تفسير الجلالين الميسّر

للإمامين

جلال الدّين المحلّيّ و جلال الدّين السّيوطيّ

٧٩١ - ٨٦٤ ٨٤٩ - ٩١٣

حقّقه وعلّق عليه

الدّكتور فخر الدّين قباوة

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب : ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٨٩٤٥
الترقيم الدولي ١ - ٠٦٩٢ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة ، القاهرة

تَفْسِيرُ الجَلالَيْنِ
المُيَسَّرُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة
« إدارة المصاحف »

...MIC RESEARCH ACADEMY
GE... PARTMENT
Ror Rese... ng & Translation

نموذج رقم (٤)

تصريح بتداول مصحف بحاشية تفسير الجلالين
رقم (٦٩) الصادر في ٧ / ٥ / ٢٠٠٣ م

١٠ ربيع ...

السيد / الدكتور علي عبد المنعم ....

الســـلام عليـــكم ورحمـــة الله وبركـــاتـه – وبعد :

فيسر « الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية » أن تفيد سيادتكم بأنها قد وافقت على طلبكم الخاص بتداول مصحف بحاشية تفسير الجلالين مقاس ....الشمس........ المكتوب بالخط المصري الكوفي... طبع مطبعة المصرية العالمية للنشر - لبنان باشروه وعلى جواز نشره في حدود الكمية المصرح لكم بطبعها وقدرها (٤٠٠٠) نسخة ، وذلك بناء على تقرير لجنة فحص المصاحف الصادر بتاريخ ٤ / ٥ / ٢٠٠٣ م

علما بأن هذا التصريح خاضع للقانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥ الخاص بطبع وتداول المصاحف والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ٤٧ لسنة ١٩٨٦ وقرار السيد وزير العدل رقم ١٦٣ لسنة ١٩٨٦ .

مع مراعاة الدقة التامة في جمع وترتيب الصفحات والملازم والا ستضطر الإدارة لسحب التصريح الذي يحمل هذا الرقم ومصادرة جميع النسخ إذا ظهر بإحداها خلل ما طبقا للقانون سالف الذكر .

علما بأن هذا التصريح صالح لمدة أقصاها خمس سنوات تمضي من تاريخه .

ومرافق لهذا التصريح نسخة من المصحف المشار إليه ختمت في جميع صفحاتها بخاتم الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة .

والســـلام عليكم ورحمـــة الله وبركـــاتـه ،،،

تحريرا في / / ١٤ هـ
٥ / ٥ / ٢٠٠٣ م

مدير عام
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

الأمين العام
لمجمع البحـوث الإسلاميـة
السيد وفا أبو عجور
٢٠٠٣/٥/٧

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

For Research, Writting & Translation

٢٠٠٢/٩/٢

مصحف بهامشه تفسير الجلالين للدكتور/عبد المنعم علي

السيد / الدكتور / علي عبد المنعم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

تفيد الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه لامانع لديها من طبع مصحف بهامشه تفسير الجلالين مقاس .. الشمسي .... المكتوب بالخط المصري الكوفي . طبع مطبعة ... بيروت .... على أن يقدم للإدارة عشر نسخ بعد الطبع للمراجعة بلجنة مراجعة المصاحف مراجعة نهائية تمهيداً للتصريح بالتداول ولايجوز توزيع هذا المصحف ونشره الا بعد الحصول على تصريح التداول من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة مع الزامكم بوضع صورة من تصريح التداول بكل نسخة من نسخ المصحف قبل نشره وعرضه للجمهور .

والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة

الأمين العام
لمجمع البحوث الاسلامية

٢٠٠٢/٩/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللّهمَّ إنا نستعينك ونستهديك، ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونُثني عليك الخير كله. نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يَفجُرك. اللّهمّ إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونَحفِد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك. إنّ عذابك الجِدّ بالكُفار مُلحَق. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى إخوانه وآله وأصحابه المؤمنين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد أكرمنا الله - تعالى - بوحيه الكريم، وحَفِظَه في الصدور والسطور، وهيأ له خَدَمة مخلصين يتابعون تلاوته وفهمه والعمل به وتفسيره للأجيال من الأمة الإسلامية، ما دامت السماوات والأرض. ولذلك انصبت الجهود المباركة في تأسيس علوم القرآن وتنميتها، حتى رأيتَ ما لا يحصى من المصنفات والرسائل والأبحاث، في ميادين هذا النور الإلٰهي العظيم.

لقد كانت المنابع الأولى على لسان محمد ﷺ، حين بلّغ وجاهد وعلّم، وبيّن معالم الهداية بالتوضيح والعمل والتوجيه. ثم توالت الألسن والأقلام، فشملت الآلاف من العلماء والباحثين إلى يومنا هذا، لتزوّد الناس بما تجدده الأيام، من بيان للنص القرآني، ومقاصده في العقيدة والعبادة والتشريع والعمل. وقد كان لمصنفات التفسير مركز الصدارة في تلك الجهود الطيبة، ينمو ويتسع مع الزمن وتتفرع ظلاله، بألوان من الإيجاز والتوسط والتفصيل، لتخدم مستويات العلم والتعليم والبحث والتأليف.

وعندما صنف الجلالان تفسيرهما المعروف، ظهرت خصائصه اللامعة بين الناس على اختلاف المستويات. فقد تميز بصنيع هذين العالمين معًا، إذ كان فيه إيجاز واف بكثير من حاجات التفسير، مع احتفاظ بجميع النص القرآني، واستيعاب جهود العلماء في القرون الإسلامية التسعة، ليصبح «لب لباب التفاسير» كما يقول الحاجّ خليفة.[١] ومع هذا فإن حروف ألفاظ التفسير صارت أكثر من حروف الآيات، مما يجيز أن يحمله من لم يكن على وضوء.

ولذا أكب عليه رجال العلم، يتلقونه في أسانيد متصلة بالجلالين.[٢] ثم كان لهم عليه تعليقات وحواش وافرة، كما توجهت إليه أنظار الكُتّاب والخطاطين والنُّسّاخ، فأخرجوا منه عددًا كبيرًا من النسخ الخطية، توزعت في مكتبات العالم. و لما لمس العلماء فيه الكفاية اتخذوه في المجالس والمساجد بين أيديهم، للبيان والوعظ، وجعلوه كتابًا مقررًا في بعض المدارس الشرعية. وقد شجع هذا دور النشر على إصداره في طبعات مختلفة الأشكال والألوان، كما حمل بعضَ رجال العلم على استقدام نسخ خطية منه، باسم التحقيق، فكان عملهم أقرب إلى النشر التجاري، وخاليًا من أصول العمل القويم.

تاريخ الكتاب:

حوالي منتصف القرن التاسع، أصبح لتفسير القرآن الكريم مصنفات لا تحصى، كل منها يقدم فيه صاحبه خدمات متنوعة، تمثل الثقافات والعلوم والتجارب التي حوله. فالنحوي يهتم بالإعراب والصرف، والإخباري يتابع الأحداث في أسباب النزول والتاريخ، والفقيه يكاد يسرد أصول الفقه وفروعه، والمهتم بالعلوم العقلية يكثر النقل عن الحكماء والفلاسفة، وصاحب الاتجاه المذهبي يشغل بالتوجيهات الشخصية، ورجل التصوف يمعن في التأويلات البعيدة، ومن عُرف بالزيغ والانحراف يصطنع للآيات

---

(١) كشف الظنون ص ٤٤٥.

(٢) انظر حاشية الصاوي ١: ٢.

معاني غريبة عن العلم والصواب. وبذلك تعددت المشارب والتوجيهات والأنظار، حتى لقد قيل: إن لكل آية ستين ألف فهم.[١]

وفي منتصف القرن التاسع، شرع الجلال المحلي في تفسير موجز قريب المنال. ولكنه توفي قبل إنجازه، فتابع خطواته تلميذه الجلال السيوطي، ليجعل الكتاب التفسيري كامل العطاء، فيه «ما يُفهم به كلام الله - تعالى - والاعتمادُ على أرجح الأقوال، وإعرابُ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٌ على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوالٍ غير مَرْضية، وأعاريبَ محلها كتب العربية»[٢].

أما جلال الدين المحلي فهو أبو عبد الله محمد بن الشهاب الأنصاري نسبًا، والمحلي مولدًا، والقاهري إقامة، والشافعي مذهبًا. ولد سنة ٧٩١، وشغل طفولته بحفظ القرآن الكريم، ثم تلقى الفقه والأصلين والتفسير، والفرائض والحساب والمنطق والجدل والحديث، والعربية والمعاني والبيان والعروض، وتصدى للتصنيف والتدريس والإقراء، فكان من آثاره «كنز الراغبين في شرح المنهاج» من فقه الشافعية، و«البدر الطالع في حل جمع الجوامع»، وشرحُ الورقات في أصول الفقه، والأنوار المضيئة شرح مختصر لـ «البردة» في المديح النبوي، والطب النبوي، وكتاب في الجهاد، وشرحُ قسم من «التسهيل» لابن مالك، وآخر من «قواعد الإعراب لابن هشام». وبدأ بتفسير القرآن الكريم، من أول سورة الكهف فأنهى ذلك حتى آخره، ثم رجع إلى أول المصحف فأنجز تفسير سورة الفاتحة، والآيات ١-٢٦ من سورة البقرة[٣]، فوافته المنية مستهل سنة ٨٦٤، ولمّا يكمل ما عزم عليه من ذلك.

وقد عُرف المحلي في حياته بجهوده هذه بين الأصوليين والفقهاء، وعلماء الحديث والتفسير والنحو، وأصبح مشهورًا في علمه وعمله بالمتانة والتحقيق. بل لقد وُصف بأنه تفتازانيُّ العرب، وأنه مفرط الذكاء آية في الفهم، حتى إن ذهنه ليثقب الماس، وهو كما يقول عن نفسه[٤]: «أنا فهمي لا يقبل الخطأ».

وأما جلال الدين السيوطي فهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الطولوني الشافعي الخُضيري الأُسيوطي، وأُمّه أمةٌ تركية. كان أبوه قاضيًا في أُسيوط قبل أن يرحل إلى القاهرة، وقد أفتى ودرّس وولي الفقه والخطابة والإمامة. وقد ولد ابنه جلال الدين في القاهرة سنة ٨٤٩، فحفظ القرآن الكريم وهو دون الثامنة، وألفية ابن مالك والعُمدة ومنهاج الفقه في الأصول قبل البلوغ، وأخذ علوم الفقه والنحو والحديث والتفسير والمعاني والبيان والبديع، وشيئًا من الجدل والفرائض والتصريف والإنشاء والترسل والطب والحساب، ونادرًا من الطب والمنطق، وعرف القليل جدًا من القراءات إذ لم يأخذها عن شيخ، ولم يُقرئها أحدًا لأنها فنّ إسناد، كما قال.

وقد شرع في التأليف وله من العمر ١٧ سنة، وفي الثانية والعشرين أكمل تفسير شيخه المحلي[٥]، ثم أجيز بتدريس الفقه والإفتاء وعمره ٢٧ عامًا. ولما بلغ الأربعين اعتزل ذلك كله، ولزم منزله بروضة المقياس على شاطئ النيل للبحث والتأليف، يزوره العظماء للإفادة والإكرام، فيقدم لهم ما يطلبون ويردّ عطاياهم، ويأبى التزلف إليهم بزيارة أو نفاق. كذلك بقي حتى توفي سنة ٩١٣، فكان خاتمة الحفّاظ، ونادرة زمانه حفظًا واطلاعًا ومشاركة وكثرة تأليف. فقد ذكر[٦] أنه حفظ ثلاثمِائة ألف حديث، وتبحر في العلوم السبعة التي أوردناها له قبل.

---

(١) الإتقان ٢: ٤١٩-٤٢٠ ومفتاح السعادة ١: ٨٥-٩٠ وكشف الظنون ص ٤٣١-٤٣٢.

(٢) انظر قول السيوطي بعد تفسير المحلي للفاتحة.

(٣) هذا هو الصواب. حسن المحاضرة ١: ٢٥٢ وشذرات الذهب ٧: ٣٠٤. والمشهور أن المحلي لم يفسر شيئًا من سورة البقرة. انظر كلام السيوطي قبل تفسير سورة الكهف، وتعليقنا عليه، ومفتاح السعادة ١: ٩٦ ومعجم المطبوعات العربية ص ١٦٢٣ و«تفسير الجلالين» مطبوعة مكتبة لبنان لعام ٢٠٠٠ والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٥: ٥٦. وقد وهمَ بعض الدارسين فذكروا عكس الواقع من نصيب الجلالين، كما زعم الحاجّ خليفة وآخرون. كشف الظنون ص ٤٤٥ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص ١٧٨ والموسوعة الذهبية ١١: ٢٢٩. والحق أن السيوطي استبعد ما فسره المحلي من آيات سورة البقرة، ليبدأ السورة من أولها، كما ذكر، فيكون في ذلك على شاكلة واحدة.

(٤) كذا، وهذا القول هو أول الخطأ. الضوء اللامع ٧: ٣٩-٤١ وحسن المحاضرة ١: ٢٥٢ والبدر الطالع ٢: ١١٥٤-١١٦وشذرات الذهب ٧: ٣٠٣ وبدائع الزهور ٢: ٦٢ وهدية العارفين ٢: ٢٠٢.

(٥) الفتوحات الإلهية ٢: ٦٦٨-٦٦٩. وانظر قول السيوطي بعد تفسير سورة الإسراء.

(٦) انظر معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ص ١٢-١٣.

ثم إنه شارك كثيرًا من أصحاب العلوم المختلفة، في البحث والتأليف، وخلّف كمية عظيمةً من المصنفات، قيل: إنها تجاوزت ألف عنوان، وبعضها في عدة مجلدات. وقد طبع كثير من كتبه، وعُرف من مجموع مصنفاته حتى الآن على سبيل المثال ٧٣ كتابًا في التفسير، و٢٠٥ في الحديث، و٧١ في الفقه، و٦٦ في علوم اللغة والنحو.(١)

وبعد أن اكتمل هذا التفسير الكريم، بين يدَي السيوطي، تناقلته الأقلام والألسن، وانتشرت نسخه بين العلماء، فتوالت عليه التعليقات للتوضيح والتعقب والاستدراك. وقد صدر عن ذلك حواش وشروح(٢)، منها للعلقمي أحد تلاميذ السيوطي محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٦٩)، وللخطيب الشِّربيني محمد بن أحمد (ت ٩٧٧)، وللكرخي بدر الدين محمد بن محمد الشافعي (ت ١٠٠٧)، وللقاري المُلّي علي بن محمد (ت ١٠١٠)، وللشنواني أبي بكر بن إسماعيل (ت ١٠١٩)، وللقصري عبد الرحمن بن محمد الفاسي المالكي (ت ١٠٣٦)، وللعقيبي عفيف الدين علي بن محمد الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية (ت ١١٠١)، ولليازجي إسماعيل بن عبد الباقي (ت ١١٢١)، ولِلأُجهوري عطية الله بن عطية البرهاني القاهري الشافعي (ت ١١٩٠)، وللدوماني مصطفى الصالحاني الحنبلي توفي أواخر القرن الثاني عشر، وللجَمَل سليمان بن عمر العُجيلي الأزهري الشافعي (ت ١٢٠٤)، وللتطواني عبد الرحمن بن محمد الحائك (ت ١٢٣٧)، ولشُبَّر عبد الله بن محمد رضا الحسيني، وللصاوي أحمد بن محمد الخلوتي (ت ١٢٤١)، وللحفناوي محمد بن صالح أبي السعود السباعي المصري (ت ١٢٦٨)، وللدهلوي سلام الله، وللنبراوي عبد الله بن محمد المصري الشافعي (ت ١٢٧٥)، وللترمانيني أحمد بن عبد الكريم (ت ١٢٩٣)، وللحُديدي محمد بن عبد الله الحسيني الزوّاك الزيدي (ت ١٣١١)، وللشهاب، وللحلبي.

وجميع أصحاب الحواشي كانوا قد تلقوا هذا التفسير، عن شيوخهم في أسانيد متصلة بالجلالين، كما رأينا عند صاحب الفتوحات والصاوي. يضاف إلى هذا كله أن مطبوعات «تفسيرالجلالين» - وهي كثيرة جدًا - قل أن تخلو من تعليقات ونقود وتوجيهات، وهي تعد من الحواشي التي يشار إليها هنا. وإليك بعض هذه المطبوعات، وكانت في:

١ - المطبع النظامي بدهلي لعام ١٢١١.
٢ - المطبعة الأميرية لعام ١٢٢٥.
٣ - المطبعة البولاقية لسنوات ١٢٨٠ و ١٢٨٩و ١٢٩٣ و ١٢٩٨.
٤ - طهران لسنتي ١٨٦٠ م و ١٨٩٩، مع حاشية الدهلوي.
٥ - بمباي لسنتي ١٢٨٢ و ١٢٩٩ مع حاشية الجمل، وسنة ١٣٠٦ مع حاشية القندهاري.
٦ - مطبعة دار الطباعة، في عدة نشرات، ثالثتها لعام ١٢٨٩.
٧ - المطبعة الأزهرية لعام ١٣٠١.
٨ - المطبعة البهية لعام ١٣٠٢.
٩ - المطبعة الميمنية لسنوات ١٣٠٥ و ١٣١٢ و١٣١٧.
١٠ - المطبعة الخيرية لعام ١٣١٠.
١١ - مطبعة التقدم العلمية ١٣٢٣.
١٢ - المطبع المجتبائي بدهلي لعام ١٣٢٣.
١٣ - المطبعة المليجية لعام ١٣٢٨.

---

(١) حسن المحاضرة ١:١٨٨ و٢١٥ و٢٢٩ و٢:٢١٥ و٢٩٦ والتحدث بنعمة الله ص ٢٠٤ والضوء اللامع ٤:٦٥-٧٠ وشذرات الذهب ٨:٥١ وخلاصة الأثر ١:٢-٣٣ و٣:٣٤٥-٣٥٤ والوافي بالوفيات ١٧:٢٢٦-٢٣١ والكواكب السائرة ١:٢٢٦-٢٣١ وفهرس الفهارس ص ١٠١٠-١٠٢٢ والمزهر ٢:٦٥٣-٦٦٣ ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ص ١١-١٤.

(٢) كشف الظنون ص ٤٤٥ ومعجم المؤلفين ٥:١٩٤ و٦:١٤٢و ١٠:١٤٤ والأعلام ٥:١٦٦ و٧:٢٩٠ والفتوحات الإلٰهية ١:٢٥٧ و٣:٤٧ وقرة العينين ص «ح-ط» وحاشية الصاوي ١:٢ - وما كان فيها من تفصيلات، في القراءات والإعراب والتصويب، معظمه منقول من حاشية شيخه الجمل، خلافًا لما جاء في ص «ي» من قرة العينين - وإيضاح المكنون ١:٣٠٤ وفهرس التيمورية ١:٥٣ و٢٢٨ و٣:٢٤٧ ومعجم المطبوعات ص ١٥٢٩ و١٦٢٣-١٦٢٤ والفتوحات الإلٰهية ١:١٥٨ و٤:٢٨٠ و٤٥١ و٤٦٢ وموسوعة المصادر والمراجع ص ٢٩٢-٢٩٣ والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٥:٥٥-٥٦.

١٤ - دار إحياء الكتب العربية، لعدة طبعات، ثالثتها في عام ١٣٧٤.
١٥ - المكتبة التجارية مع حاشية الصاوي لعام ١٣٧٥، وحاشية الجمل لعام ١٣٧٧.
١٦ - الدار العربية والنشر ببيروت ومطبعة الحرف الذهبي بدمشق لعام ١٣٨٨.
١٧ - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية لعام ١٣٩٨.
١٨ - دار التراث لعام ١٤٠٠.
١٩ - مطبعة نشرتْ مصنفًا لم يكمل، فيه تعليقات للشيخ عبد الرزاق عفيفي، ومنه نسخة في مكتبة المعهد العلمي بمكة.
٢٠ - مكتبة الملاح بدمشق عام ١٣٩٨.

وقد تكاثرت جدًا طبعات «تفسير الجلالين» في الأعوام الأخيرة، فصدر منها أكثر من نشرة في العام الواحد. ونذكر من ذلك: رد الأذهان إلى معاني القرآن، لقاضي القضاة في نيجيرية أبي بكر محمود جومي، ألفه عام ١٣٩٢، بالاعتماد على تفسير الجلالين، فأعاد سبك بعض عباراته، وأقحم فيه ما رآه مناسبًا لعمله في التهذيب والبيان. هذا أحد ما نذكره هنا.

والثاني هو: قُرّة العينَين على تفسير الجلالين، للقاضي محمد بن أحمد كنعان في عام ١٤٠٢، وأصدره في المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. وقد رغب عن أسلوب التهذب والتشذيب، فحافظ على عبارة الجلالين، وأضاف إليها كثيرًا من الزيادات للتوضيح والتصويب. ثم ألحق بحواشي بعض الصفحات تعليقات قيمة. وكان لديه نسختان خطيتان من التفسير، حاول أن يعارض النص بهما في عدة مواضع.

وأظهر ما يذكر من أوهام هذه النشرة أن حديث الإسراء ص ٣٦٤ نقل من المتن إلى الحاشية، فتوزع في ذيول الصفحات مقطَّعًا خارج سياقه، وأن سورة الشمس جعلت ١٦ آية، وسورة الزلزلة جعلت ٨ آيات خلافًا لنص المحلي. ثم إن الخاتمة التي وضعها السيوطي، في آخر تفسيره، نقلت إلى مقدمة النشرة، على غير اتصال واضح بما هي في وسطه، والآية ٩٧ من سورة يونس سقطت مع تفسيرها، و«المبدئ» سقط من نص الحديث الشريف ص ٣٧٩، والأحرف المقطعة في أوائل بعض السور لم تضبط كما يقتضي نص العلماء على ذلك.

يضاف إلى هذا أنّ النص القرآني أُغفل ضبطه في هذا المتن، فخفي على القارئ تعرّف المعاني والدلالات، ولا سيما القراءات المخالفة لما في المصحف المطبوع مع هذا التفسير، وأنّ أرقام الآيات في المتن جاءت مقدَّمة بخلاف ما هي عليه في النص المصحفي المرافق له، فتعسر على القارئ أيضًا مراعاة التوفيق بين السياقين، للاستفادة من الكتاب كما ينبغي له، وكان في النص كله كثير من التحريف والتصحيف والإخلال والاضطراب.

والثالث هو: تفسير الجلالين، أعده ونسقه مصطفى قصاص، ونشره عام ١٤٠٩ بدار العلم للملايين في بيروت، وكان في هذا الصنيع إجراءات اعتباطية، تخالف مناهج العلم. ومنها التصرفُ في عبارات التعريف بالسور القرآنية، وفي عبارات الجلالين، بدعوى التصويب للتعبير، والفصلُ بين عبارات التفسير بإقحام نصوص «أسباب النزول» للسيوطي، وحذفُ الأخبار التي فيها مِسحة من الإسرائيليات، وتغييرُ نص القراءات ليكون كله على رواية حفص عن عاصم، مع تقديم بعض القراءات على بعض.

وبهذا افتقد النص وحدته، فكان فيه قراءات تخالف التفسير الذي يرافقها، ونسق مشوه من التصنيف، وعبارات مقطعة متداخلة، ومستويات متباينة من التعبير والأداء والمعارف، وتقحم في السياقات بألفاظ بعيدة عن مقاصد الجلالين. وحسبك أن تطلع على ما جاء في ص ٥-٧ من ذلك المطبوع، لترى صور التشويه للنصوص، مع الأخطاء العلمية والإملائية.

والرابع هو: منحة المتجلي في خدمة تفسير الجلالين السيوطي والمحلي، صنعها الزميل الكريم مصطفى ديب البغا، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ونشرها على عجل شديد لأسباب خفية، منذ بضع سنوات بدون تاريخ، تحت عنوان «تفسير الجلالين» خلافًا لما ذكر ص ٢ من مقدمته. وكان صنيعه، كما قال، باعتماد نسخة مطبوعة، ومعارضتها بما طبع معه حاشيتا الجَمل والصاوي، وبنسختين مخطوطتين إحداهما لتفسير الجلالين، والأُخرى للقِسم الذي فيه تفسير السيوطي وحده، مع ترميم بثالثة وترجيح شخصي لما يُرى أنه الأصح والصواب.

وإذا تصفحتَ هذه النشرة لمست فيها صورًا مختلفة من الاضطراب، في العرض والتعليق والتوضيح والتحشية والنقد، والرسم الإملائي أيضًا. فالأصل المعتمد في النشر نسخة مطبوعة غير معينة، والمعارضة الأولية هي بمطبوعتين معينتين، ولكن ليس لهما نسب علمي معتبر، والمعارضة الثانوية قيل: إنها بنسختين خطيتين. غير أن إحداهما تحوي نصف الكتاب، والثانية مخرومة الآخر رممت بجزء من ثالثة.(١)

ثم إن المعارضتين المذكورتين لا ترى لهما في الكتاب كله أكثر من عدة أصداء، أي: ص ٨ و٢٦٠ و٣١٠ و٣٨٥ و٣٩٧ و٤٣٩ و٤٩٥ و٥٧٦ و٦٦٧ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٩٥ و٨٠٠. وكثيرًا ما أشير في ذلك إلى «نسخة» غير معينة، وقليلًا إلى النسخ المطبوعة بدون تعيين، ونادرًا إلى بعض النسخ. وغالب ذلك، في الحقيقة، هو منقول من حاشية الصاوي. فالإهمال للمعارضة عامّ للكتاب، ولا يحتاج إلى دليل.

ونص الجلالين جرى فيه تصرفات متعددة الوجوه. فما كان في مستهل كل سورة لتعريفها غُيّرت عباراته بألفاظ وأرقام وزيادات ونقصان وتحريف وتصحيف، عدا مقدمة سورة الفاتحة فكان فيها تحريف واحد. والنص القرآني جعل غُفلًا من الضبط، فغابت معاني الآيات، وضاع مراد الجلالين من القراءات التي اختاراها. ونص التفسير أقحمت فيه عبارات كثيرة جدًا، وحذفت منه أُخرى، ونال الباقيَ صور من التصحيف والتحريف والتصرف والحذف بلا منهج أو بيان. والرسم الإملائي مترجح بين المصحفي أوالمعاصر وبين القراءات المختلفة أو الاعتباطي، مع أوهام كثيرة فيما لحقه ضبط. والأحرف المتقطعة في أوائل بعض السور أكثره لم يضبط بما هو مقرر في كتابة المصاحف. وكذلك ماتراه في الرسم عامة.

والحواشي التي ألحقت بالنص التفسيري توزعت في مستويات ثلاثة: أحدها لتعليقات مرقّمة للتوضيح والتوجيه والنقد، والثاني لذكر أسباب نزول الآيات إضافة إلى ما ذكره الجلالان أيضًا، والثالث لفوائد نافعة ذات صلة بالآيات. وبهذا صار لنص الجلالين ثلاث حواش متمايزة، قد تلتقي في الصفحة الواحدة ويكون بينها تداخل وتقاطع، وكثيرًا ما يكون بينها تدافع وتناقض واختلاط، أو بينها وبين نص الجلالين، مما يعني أنها ألحقت في أوقات وبأيد مختلفة، دون مراعاة التوفيق لتوحيد العمل.(٢) والآيات التي استشهد بها الجلالان حددت أرقامها وسورها بشكلين مختلفين: مقحمة في النص أحيانًا، ومفردة في التعليقات أو ملحقة بها أحيانًا أُخر. وكذلك شأن تخريج الأحاديث الواردة في التفسير. وسورةُ الشمس جعلت آياتها ١٦ تبعًا لقرة العينين، وسورة القارعة ذكر أنها ٨ آيات وجعلت آياتها ١١. أما صور التصحيف والتحريف والتصرف فقل أن تخلو صفحة واحدة من نماذجها المختلفة. وكثير من ذلك وارد أيضًا في التعليقات والفوائد وأسباب النزول.

هذا وصف سريع لما جاءت عليه تلك النشرات الأربع. ثم ما كان منها على حاشية النص المصحفيّ شملته صفات أُخرى كالقاسم المشترك بينها، هي أن التفسير نشر موزعًا على الآيات متفرقًا، كل آية بتفسيرها على حدة، مع نهاية بعلامة ترقيم هي النقطة. فإذا ضاقت الصفحات باستيعاب التفسير اللازم ضُمت الآيات كلها في زمرة واحدة، كل صفحة على حدة، مع تلك النقاط الفاصلة بينها أيضًا. وفي هذا ما يوهم القارئ أن النص القرآني آيات متفرقة لا صلة بينها، تُفرَّق وتجمع على غير هدى أو معنى أو موضوع، فيضيع عليه ما في القرآن الكريم من موضوعات مترابطة، وسياقات فكرية متلاحقة، وأساليب تعبيرية معجزة.

وكثيرًا ما عجز الناشرون لهذه الطبعات، في توزيع عبارات التفسير، عن التوفيق بينها وبين النص المصحفي الذي هي حاشية له، فترى في بعض المواضع أن الآيات ترد في صفحة معينة، وتفسيرها يكون في صفحة متأخرة أو متقدمة. وهذا أمر تجنبتُه بدقة، ما لم يقتضِ توزيعُ الفِقَر أو التعليقُ عليها تدوير الحاشية إلى صفحة تالية، أو ضم بعض الآيات إلى بعض، لبيان الوحدات الموضوعية في النص الكريم.(٣) ولما كان ترقيم الآيات في التفسير مخالفًا له في النص المصحفيّ فقد تعذر على

(١) الظاهر من الصور التي تمثل النسخ أن الثالثة الرديفة أصح وأفضل من النسختين الأوليين، إذ هما ناقصتان إحداهما كتبت سنة ١١٩٦، والثانية بدون تاريخ، في حين أن الثالثة تامة كاملة، وتاريخ كتابتها سنة ٩٣١، لا ٨٣١ قبل ميلاد السيوطي كما أقحم الجهل قلمه بالغش، وهي مما اعتمدتُه في عملي من التحقيق، ولو رجع إليها الزميل الكريم بدقة وإخلاص لوجد فيها تصويبًا لكثير مما ندّ عنه.

(٢) انظر ما فصّلناه في «خطبة المحقق» من المفصل.

(٣) وكذلك ما كان في التفسير والتعليق على ص ٦٠٤. وحفاظًا على الوفاق بين الآيات وتفسيرها والتعليقات ما أمكن، اضطررنا إلى تكرير رقم كل صفحة من الصفحات ٢٨٢ و٢٩٣ و٣٠١ و٣٥١، وتوزيعها على صفحتين. فلْيُتنبَّه إلى ذلك.

القارئ أن يقيم الصلة بين النصين، وأن يكون له استفادة ميسرة.

وإنما خصصنا هذه النشرات الأربع بهذا الوصف، مع أنه عامّ فيما عداها أيضًا، لأنها مما اعتُني بها، وأشرف عليها مختصون ذوو خبرة بالنصوص القرآنية، كما قيل. أضف إلى هذا أن الثانية والرابعة قيل: إنهما محققتان باعتمادِ نسخ خطية ومطبوعة، واتصالٍ كبير بالعلوم الإسلامية والعربية. أما المطبوعات الباقية، من تفسير الجلالين، ففيها ما هو أدهى وأمرّ، لأنها غالبًا ما تكون بنقل بعضها عن بعض، مع تدخل أوهام وتصحيفات وتحريفات وتزيدات كثيرة، يعلم الله تعالى: كم يعاني منها هذا التفسير الكريم؟ وقد انتقل بعض ذلك إلى الأقراص المسجلات، على غير تحرير أو تحقيق.

النسخ المعتمدة:

في البحث عن أصول خطية لهذا السِّفر النفيس، زرت بعض الأقطار الإسلامية، فكان في الحرم المكي نسخ كثيرة منه، وفي دمشق والقاهرة وبيروت والخرطوم وعواصم المغرب العربي والعالم الإسلامي وبلاد الشرق والغرب عشرات من النسخ الخطية أيضًا، وفي إستانبول عدد أكثر. وقد وقفت من ذلك على نسخ وافرة، واستوقفني منها نسختان: أولاهما ذات الرقم ١٠٤ في مكتبة داماد إبراهيم، كتبتْ سنة ٩٥٥، وقيل: إنها عورضت بنسخة مقروءة أو مسموعة على المؤلف. والثانية ذات الرقم ١١٢ في مكتبة ترنو والي، وهي الجزء الثاني من الكتاب، فيه تفسير المحلي وحده، كتب سنة ٩٧٠ بخط متقن وتشكيل للآيات والتفسير، مع معارضة بالأصل المنقول عنه. وقد حاولت مرارًا الحصول على نسخة مصورة من تينك النسختين، بوسائل ووسائط متعددة، فكان جواب المحاولات صمت المسؤولين هناك وتجاهلهم للتعاون العلمي المبارك. ولذا وجهت وجهي قِبل ما عرفته في البلاد العربية، فاخترت منه ما يلي:

١ - النسخة التيمورية (الأصل):

هذه النسخة تحت الرقم ٣٢٧، في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية. وهي في ٥٦٨ صفحة بخط ممتاز جيد الضبط والتشكيل، والنص القرآني فيها مكتوب بالحمرة، وأسماء السور بقلم غليظ متميز. وفي الصفحة المقدَّمة على الغلاف مايلي بقلم معاصر: «تفسير الجلالين، والنسخة نفيسة جدًا صحيحة الضبط، كتبت برسم محبّ الدين محمود بن. . . صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية، وسائر الممالك الإسلامية. وكتبها أحمد بن مسعود النابلسي سنة ٩١٤، وهو مشرف على تسعين سنة»، ثم تجد على الغلاف تعريفًا قديمًا بالكتاب: «[سِفر فيه تفسيرٌ]، نصفه للعلامة جلال الدين السيوطي، والنصف الثاني للعلامة جلال الدين المحلي، رحمه الله».

وأول النسخة هو مقدمة السيوطي، ثم تفسير سورة البقرة وما بعدها حتى سورة الإسراء. وبعد انتهاء عمل السيوطي ص ٢٧٦، قال الناسخ: «وفرغ من هذه التكملة الفقير الضعيف المحتاج إلى كرم الله ومغفرته، أحمد بن مسعود النابلسي، عفا الله عنهما بمنه وكرمه، في سابع عِشرِي جمادى الأولى سنة أربع عشرة وتسعِمائة. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل! كتبته وقد تمسكت بأذيال التسعين، أسأل الله المعونة على ما بقي من العمر. آمين».

وفي ص ٢٧٨ يبدأ تصنيف المحلي بتفسير سورة الكهف، لينتهي بتفسير الفاتحة في ص ٥٦٨، حيث تختم النسخة بقول كاتبها: «تمّ ما وجد، والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وفرغ من كتابة هذا النصف وما قبله الفقير الضعيف المحتاج إلى عفو الله وغفرانه، أحمد بن مسعود النابلسي - عفا الله عنهما بمنه وكرمه - مع شغل البال وكبر السن وضعف الجسد، ومِن الله - عز وجل - المدد وعليه المعتمد، في ثامن رمضان المعظم قدرُه سنة أربع عشرة وتسعِمائة. والحمد لله وحده، وصلاته على سيدنا محمد وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل».

والنسخة تامة عارضها الكاتب نفسه بالأصل المنقولة منه، وصححها بإلحاق ما سقط سهوًا. والحقُّ أن هذه النسخة هي أفضل ما اطلعت عليه أو بلغني خبره. فهي قريبة من حياة السيوطي، تامة ومتقنة ومصححة، وكتبت لسيد في عصره، فكانت

محوطة بالعناية والدقة والجودة، ولا سيما الضبط الجيد للآيات الكريمة وعبارات التفسير، مما يشعر أن القراءة التي اختارها الجلالان مدوّنة فيها. ولهذا اعتمدتها أصلًا في التحقيق.

٢ - نسخة الظاهرية (خ):

في دار الكتب الظاهرية بدمشق عدة نسخ من تفسير الجلالين(١)، اخترت منها ما تحت الرقم ٧١٥٧. وهي تامة في ٣٨٧ ورقة بخط جيد وإعجام ظاهر وتشكيل نادر، مع رسم أسماء السور وألفاظ الآيات بلون أحمر غليظ متميز. وفي الصفحة الأولى تجد فهرسًا للسور بتحديد الورقات التي تكون فيها، ثم تجد العنوان في الصفحة التالية، وهو «تفسير القرآن للإمامين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. رحمهما الله تعالى». وفوقه وعلى جانبيه ثلاثة تملكات.

ونسق التصنيف هو كما جاء في النسخة السابقة، وفي الختام: «وقد تم هذا التفسير المبارك، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ووافق الفراغ من كتابته يوم الأربعاء المبارك، رابع عشر شهر محرم الحرام، افتتاح سنة ٩٣١. أحسن الله خاتمتها. وقد تشرف بكتابته العبد المذنب، الخاطئ الضعيف الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، العبد مصطفى بن الشيخ عمر العلاف الشافعي. غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين».

وقد قوبلت النسخة بالأصل المنقولة منه أيضًا، وصححت بإلحاق ما سقط سهوًا، وتصويب ما كان خطأً، ثم اطلع عليها بعض العلماء فألحقوا بحواشيها عبارات تفيد الشرح، بعضها عن حاشية الصاوي، وتفسير «السراج المنير» للخطيب الشِّربيني، والمواهب اللدنيّة، والشيخ البراوي وآخرين. وقد كان لهذه النسخة خدمة كبيرة في تصويب الكثير من العبارات والألفاظ. ولذا استعنت بها في التحقيق مقدمًا لها على أختيها التاليتين، ورمزت إليها بالحرف: خ.

٣ - نسخة الثانوية الشرعية (ث):

تحتفظ بهذه النسخة مكتبة الثانوية الشرعية بحلب، وقفها لذلك عمر بن إسماعيل بن صالح المرتيني سنة ١٣٦١ على المدرسة الخسروية، ومن بعدها على المدرسة العثمانية، ومن بعدها على مدرسة الشعبانية. وتقع في ٣٧٨ ورقة، سقط منها الورقتان ٦٢ و١٧١. وهي بخط جيد وضبط كامل للنص القرآني من السور الست الأولى، وعلى غلافها جاء عنوان «تفسير الجلالين» مع عدة تملكات. وكذلك كان نسق التصنيف على غرار ما رأينا في النسختين المتقدمتين.

وفي الختام: «انتهى تحرير الكتاب المشهور بالجلالين، للشيخين العلامين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي الشافعيين - رحمهما الله تعالى رحمة وافية - على يد أفقر الورى وأحوجهم إلى غفر من خلق جهتَي الثريا والثرى - تعالى شأنه - سليمان بن أحمد بن همّت المرعشي محتدًا السُّنّي اعتقادًا الحنفي عملًا، في مرعش المحمية بعد الظهر المتمم ثلاثة عشر يومًا من شهر ذي الحجة في سلك سنة السادسة والعشرين ومِائة وألف. . . آمين». وفي الصفحة التالية تملك تاريخه سنة ١٢٣٤.

وقد عورضت النسخة بما نُقلت عنه أيضًا، وصوب في حواشيها ما كان فيه سهو أو نقص أو خطأ. وعلى حواشي الورقات الأولى منها وبين الأسطر تعليقات كثيرة جدًا، للتفسير والإعراب، وغالب ذلك منقول من تفسيرَي البغوي والبيضاوي، وقليل من تفاسير الخطيب والزمخشري والكواشي والنيسابوري وشيخ المدارك، وكتاب «المكنون» والشيخ الدهري، وبعض العبارات عن «المختار» و«الصحاح». ثم تجد قليلًا من التصويبات عن نسخة أخرى، ومواضع متفرقة فيها نقص أو خلل، يحتاج إلى تصويب أيضًا. ومع هذا كله، فقد أفادتني كثيرًا هذه النسخة، ورمزت إليها في التحقيق بالحرف: ث.

٤ - النسخة الحلبية (ع):

هذه النسخة يحتفظ بها أستاذي الفاضل عبد الرحمن عطبة - أكرمه الله وبارك له دنياه وآخرته - في مكتبته العامرة. وقد أطلعني عليها وتكرم بالسماح لي مشكورًا مأجورًا أن أستفيد منها. وهي في ٨٨٣ صفحة بخط حسن، مخرومة بسقوط ورقة بين

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص ١٧٨-١٨٢.

ص ٤٦٣ و٤٦٤. والآيات القرآنية وأسماء السور فيها مكتوبة بلون أحمر متميز، والنسق التصنيفي هو كما جاء في النسخ المتقدمة أيضًا. والختام بدون تاريخ أو ذكر لاسم الناسخ.

وقد عورضت بالأصل المنقولة عنه كذلك، وببعض النسخ، لتصويب ما كان من خطأ أو سهو أو نقص، مع زيادة روايات أُخرى لمفردات أو عبارات. وفي حواشيها تعليقات للتصويب والتفسير وإتمام لبعض ما سقط ولم يستدرك. وبهذا كان فيها مادة وافرة لتوجيه عمليات التحقيق للنص، فاستعنت بها للتصويب وإثبات الخلافات، رامزًا إليها بالحرف: ع.

وثمة نسخ رديفة رجعت إليها في بعض المواضع المشكِلة من التفسير، للخروج بما هو أقرب إلى ما أراده الجلالان من التعبير والبيان. وقد ذكرت خلال ذلك مكان النسخ الرديفة، وبينت ما تحمله من التوجيه والتسديد.

منهج التحقيق:

اليوم وقد طعنت في السبعينات[١] من سنوات الهجرة الكريمة، وبعد ستين سنة من الاتصال بالقرآن العظيم، تلاوة وتدبرًا ووعيًا، وبعد نصف قرن من ممارسة التعلّم والتعليم لمصادر العلوم العربية والإسلامية، وبعد أربعة عقود من مزاولة البحث والتحقيق والتأليف، في ميادين اللغة والأدب والنحو وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعد خمس عشرة سنة من الانصراف إلى كتاب الجلالين، وما يتصل به من مصنفات في العلوم الإسلامية، وفي مباشرة ذلك الانصرافِ كله أنا على طهارة ونظافة بعون الله - عز وجل - وأختم كل صفحة من العمل بالحمدلة والشكر العميم ... بعد هذا كله أكرمني المولى - تعالى - بإنجاز العمل وحفظ صحتي ونور عينيّ بفضله وبركة كتابه.

إن المواجهة للنص القرآني تفتح عوالم، تستغرق الأبصار والأفئدة، وتصهر النفوس بمقاصد إلٰهية غير متناهية. والحق أن الرسول الأكرم ﷺ لولا رعاية الله له، وتحصينه إياه بأعلى مراتب الإنسانية وعيًا واستلهامًا وبيانًا وتبلّغًا وقدرة على الاستيعاب والتحمل والمصابرة، لما استطاع أن ينهض بالآيات الكريمة، وينقل إلى البشرية ما فيها من الهدي والجلالة والإعجاز والخلود. فالرهبة الربانية، والعظمة الإلٰهية، والحكمة البالغة، والروح العظيم، والسلطان الكبير لما يتضمنه الوحي، كل هذا بل بعضه كفيل بفرض الهيبة والتضعضع والانصهار. كيف لا، وهو الذي وصفه رب العزة بقوله[٢]: ﴿لَو أنزَلْنا هٰذا القُرآنَ على جَبَلٍ لَرأيْتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا، مِن خَشْيَةِ اللهِ﴾؟

لقد تعالى النص الإلٰهي العظيم أن يكون من النثر الذي نتلقاه، في ميادين الأدب، وتعاظم أن يكون كالشعر الذي نستحضره. ولقد أدرك الجاحظ عين الصواب، حين ذكر أن الله - سبحانه وتعالى - جعل لكتابه اسمًا مخالفًا لِما سمَّى العرب كلامهم به، على الإجمال والتفصيل: فقد سمَّى جُملته قرآنًا بخلاف ما جعلوه ديوانًا، وجعل بعضَه سورة على غير ما جعلوه قصيدة، وخص بعضَها باسم الآية خلاف ما عُرف عندهم بالبيت، وكان اسم آخرالآية فيه فاصلة لتتميز من القافية.[٣]

فأنت مهما تطاولت، محاولًا سبر شيء من أبعاد النص القرآني الكريم، وجدت ما حصّلته بين يديك جدولًا دقيقًا رقراقًا، بالنسبة إلى عوالم من المحيطات الربانية الغامرة. ولهذا كنتُ ومازلت على تهيب واستعظام، خلال متابعتي للعمل في دنيا الجلالين محققًا لما صنفاه. ولست زاعمًا أنني أعطيت ذلك حقه أو بعضًا منه. فالقرآن الكريم، بل بعض ما أُلّف حوله من العلوم، أكبر من أن يدعي أحد أنه يوفيه جانبًا من مقتضيات البحث والتحقيق أو الدرس والاستيعاب. لا بد أننا في الشواطئ نَشرع ونكرع، وسيبقى للتاريخ ما في اليمّ حافلًا بالمعجزات والعوالم الفياضة.

حسبي أنني جمعتُ الأصول الخطية التي ذكرت، أساسًا للتحقيق العلمي المنشود. ثم لقد رأيتني في حاجة إلى تتبع

---

(١) كان أبو حيان حين أنجز تفسير البحر المحيط قد بلغ الثالثة والسبعين من العمر، وعندما شرع فيه كان في السابعة والخمسين. البحر ١: ٣ و٨: ٣٥٧.

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١: ١١١. ولعل هذا القول منقول من «نظم القرآن» للجاحظ. انظر ص «ن» من مقدمة الكشاف وص ١٩٦٤ من كشف الظنون.

المصادر التي رجع إليها الجلالان، واعتمداها في اختيار التفسير. ذلك أن تاريخ التصنيف على النصوص القرآنية مر بمراحل الطفولة واليفاعة والشباب المستمر أبدًا، فأصبح له مذاهب وتوجهات ومدارس مختلفة، بحسب البيئات العلمية والثقافية والمذهبية والسياسية، كما أوضحت من قبل.

وخلال ذلك كله تولد اتجاهان متمايزان متقابلان: أحدهما يهتم بالموسوعية، فيستوعب العلوم المعاصرة له بالتفصيل والاستطراد والاحتجاج، والآخر يستهدي البساطة والإيجاز، فيكتفي بتفسير المعاني الدقيقة في إشارات واختصار. وبعد أن كان القدماء يروون الأقوال، مع الأسانيد الصحيحة والطرق المتقنة، انصرف مَن خلَفهم إلى اختصار الأسانيد، ثم جاء المتأخرون ينقلون الأقوال بُترًا غُفلًا من كل إسناد، فالتبس الصحيح بالعليل، وصار للتوجيهات الشخصية أثر ظاهر. ثم نقل ذلك خلف عن سلف، على غير تحرير أو تمييز لما هو مظنون أنه الحق الصراح.(١)

وقد ظهر في «تفسير الجلالين»، لاختصاره وإيجاز تعبيره، كثير من سمات أعمال المتأخرين، حتى ضاعت معالم النصوص وتعسرت معرفة أصحابها. فكان عليّ أن أجد له موارد المعلومات والتفكير والتعبير، لتيسير عملية التحقيق والتقويم. وكانت نعمة عظيمة أن وقفت على نص صريح، يحدد تلك الموارد وييسر سبيل العمل القويم. فقد ذكر السيوطي، في ترجمته للكواشي أحمد بن يوسف الموصلي (ت٦٨٠)، أن له تفسيرين: كبيرًا وصغيرًا، وأن المحلي اعتمد في عمله، وهو أيضًا في تكملته، على التفسير الصغير بالإضافة إلى «وجيز» الواحدي، وتفسيرَيِ البيضاوي وابن كثير.

فكان أن اعتمدت مطبوعات من تفاسير الواحدي والبيضاوي وابن كثير، وصورة لنسخة مخطوطة من «تلخيص التبصرة والتذكرة» للكواشي، ورمزت إليها بـ «التلخيص». وأصل هذه النسخة في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة، وقفها السيد مصطفى العنتان، وهي تامة في ٤٢٨ ورقة، أنجز نسخها بخط ممتاز عبد الرحيم بن عبد الله بن محمود الهمداني، في مدينة تبريز يوم الجمعة ختام جمادى الآخرة سنة ٦٩٦.

وقد تبدى لي، في خلال متابعة التحقيق، أن الجلالين اعتمدا أيضًا على مصنفات غير هذه الأربعة، منها: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس، وتفسير البغوي، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، والدر المصون للسمين الحلبي... فاستعنت بذلك كله على تحرير العبارات، وتقويم ما كان من خلل أو تلفيق بين أقوال المصادر المختلفة، في مستويات التأليف، أي في: تحديد مواطن النزول وأسبابه، والقراءات والتفسير والشرح والأحكام والتحليل النحوي، مما خفي أمره على المُحَشِّين والناشرين، فذهبوا في مجاهل الظن والتخمين، تخطئة وترجيحًا وتصويبًا، على غير علم.

ولما كان الجلالان على معرفة قليلة بالقراءات، كما ذكر السيوطي نفسه، فقد بدا للدارسينَ أنهما لم يتقيدا في هذ التفسير بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما تقديم قراءة معينة في جميع الآيات(٢)، وكأنهما اختارا ما كان يُحفظ من النص القرآني في ذلك العصر وتلك البقاع المصرية، وهو غير ذي إسناد واحد معين.

وعندما وقفت على مطبوعات البابي الحلبي لـ«تفسير الجلالين»، رأيت في الصفحة الثانية منها النص التالي: «مراعاةً لحقوق المؤلِّفَين، قد أثبتنا القرآن الكريم مضبوطًا بالشكل الكامل، على حسب رواية الشيخَين المفسِّرَين، وإن كانت تخالف روايةَ حفص». وكان هذا مساعدًا لي في تحقيق ما اختاره الجلالان من نسق في القراءة للنص الكريم. ولذلك استعنت بالنشرة الثالثة من تلك المطبوعات، ورمزت إليها في التحقيق بالحرف: ط.

وتقع هذه النشرة في جزأين يضمان ٥٨٠ صفحة، وقد طبع فيها التفسير كاملًا، من دون ترقيم للآيات، وجعلت سورة الفاتحة في آخره، كما هي في النسخ المخطوطة. ثم نشر بذيل بعض الصفحات منها رسالة «ماورد في القرآن الكريم من لغات القبائل» لأبي عُبيد القاسم بن سلّام الهروي،(٣) وبالهامش ثلاثة كتب هي: «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي، ثم

(١) الإتقان ٢: ٤١٩ ومفتاح السعادة ٢: ٨٥ وكشف الظنون ص ٤٣١-٤٣٢.
(٢) انظر ص «ن» من قرة العينين.
(٣) في المطبوعة: «أبي القاسم بن سلام». وتسمى الرسالة أيضًا «لغات العرب التي في القرآن». انظر الإتقان ١: ٢٨٤-٢٨٦ ومنهج أبي عبيد في تفسير غريب الحديث ص ١٢ ومعجم المطبوعات العربية ص ١٢١ والمعجم الشامل ٣: ١٩٣.

«معرفة الناسخ والمنسوخ» لجامع الفنون أبي عبد الله محمد بن حزم، ثم «الألفية في تفسير غريب القرآن»[1] لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي الكردي.

وبتتبع ما جاء في هذه المطبوعة، مع ما تحصل في النسخة الخطية التيمورية، وفي مصنفات الحواشي والتعليقات على الجلالين، تبين لي أن القراءة التي اختارها هذان المفسران لآيات القرآن الكريم جمهورها الأساسي معتمد[2] على قراءة إمام البصرة ومقرئها أبي عمرٍو بن العلاء (ت ١٥٤)، وما خالف ذلك كان فيه أشياء من قراءة إمام مكة المكرمة ومقرئها عبد الله بن كثير (ت ١٢٠)، ثم من قراءة إمام المدينة المنورة ومقرئها نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩)، ثم من قراءة إمام أهل الشام ومقرئهم عبدالله بن عامر (ت ١١٨). وما خالف ذلك في بعض المواقع فهو قليل، ومعظمه عند الجلال المحلي. وبما أن النص القرآني في الجلالين ليس مصْحفًا، جاز فيه خلاف القراءة الواحدة أيضًا، على ما ذكرنا من الأصل والتوزع.

وبناء على ما اجتمع لدي من مصادر ومراجع، جعلت النسخة التيمورية أصلًا، واستعنت بالنسخ: الظاهرية والثانوية الشرعية والحلبية، ومطبوعة البابي الحلبي، وحاشيتَي الجَمل والصاوي، للمعارضة والتصويب. وما كان من خلاف أثبتُّه في التعليقات، مضيفًا إليه ما وقع في: قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات.

بدأت أولًا بالسور، فقدمت «الفاتحة» من آخر التفسير إلى أوله، خلافًا لما هي عليه في النسخ وبعض المطبوعات، لتكون فاتحة الكتاب كما هي في النسق القرآني التوقيفي. ثم وزعت السور متوالية، وجعلت للآيات أرقامًا في أواخرها، جريًا على الأسلوب الغالب في نشر المصاحف الشريفة، ليكون وفاق بين عبارات الجلالين والنص القرآني الكريم. وهذا قلما تنبه إليه الناشرون لـ«تفسير الجلالين» وغيره، في كتاب هو تفسير لكلام رب العالمين.

ثم اجتهدت في توزيع الآيات أو الآية الواحدة، من السورة في فِقَر متمايزة، تبعًا لاتصال بعضها ببعض في السياق الدلالي. وبهذا يتضح للقارئ العلاقة المعنوية بين الآيات المتتابعة، في الموضوع الواحد والجزئيات المتوالية له، خلافًا لما جرى عليه الناشرون من الفصل بين الآيات، أو الإدماج الكامل لبعضها ببعض، والإيحاء إلى الناس بغير ما في القرآن الكريم من وحدة واتساق، وإعجاز في النظم والبيان. ومن ثَمّ ألحقت بنص الكتاب كله، أي: بالآيات وتفسيرها، أربعة أنواع من ميسرات القراءة والاستفادة الدقيقة.[3] أعني: الرسم الإملائي المعاصر، وتمييز القرآن من التفسير، وضبط الألفاظ القرآنية صرفًا وإعرابًا، وعلامات الترقيم.

ففي الأول رسمت كلمات الآيات، بالإملاء المعهود الآن، فيما عدا الأحرف المقطعة أوائل بعض السور، مع إثبات الحروف التي رواها الجلالان فيما اختارا من القراءات، واقتراح صورة شكلية لرسم همزة بينٍ بينٍ في القراءات، بصورة ألِف مع حركة تناسب لفظ تلك الهمزة. إن النص هنا هو آيات متفرقة في كتاب تفسيريّ، ولا يشكل مصحفًا له الرسم الإملائي المتَّبع.[4] فقد طالما اضطرب الناس صغارًا وكبارًا في معرفة القراءة الصحيحة لنصوص الآيات بالرسم المصحفي. هذا مع العلم أن القراءات غير الشاذة كانت في مصاحف الإمام مستوفى رسمها، لاستيعاب ما هو مشهور محقق.

ثم إذا كان ذلك الرسم الكريم واجبًا اتباعه في المصاحف الشريفة[5] فإنه يصبح غير ضروري، فيما يكون من آيات في الكتب المختلفة والمقالات والأبحاث. قال الإمام الشوكاني عن الرسم المذكور[6]: «هذا مجرد اصطلاح لا يلزم المشي عليه.

---

(١) في المطبوعة أن هذه الألفية هي لأبي زُرعة العراقي، وفي ٢:٣٠٨ من المطبوعة أيضًا ما ذكرناه نحن. وأبو زرعة هو ولي الدين أحمد بن زين الدين صاحب هذه الألفية، فزرعة حفيدة له. انظر حسن المحاضرة ١:١٦٨ و٣٦٣ والضوء اللامع ١:٣٣٦ و٤:٤٥٢ والبدر الطالع ١:٧٢ وذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٨٤ ومعجم طبقات المفسرين ص ٢١٢ ومعجم المطبوعات العربية ص ١٣١٧-١٣١٨.

(٢) هذا خلاف ما جاء في ص «ن» من قرة العينين.

(٣) يضاف إلى هذا أيضًا أن تكون آيات المصحف الشريف مع تفسيرها والتعليق عليه في صفحة واحدة، إلا ما استثنيته قبل وما كان من تدوير لبعض التعليقات، لتكتمل الفائدة المرجوة من التلاوة والفهم والاستيضاح.

(٤) انظر ص «ن» من قرة العينين.

(٥) الإتقان ٢:٢٦٧-٢٦٨.

(٦) فتح القدير ١:٤٣٩-٤٤٠.

وعلى كل حال فرسم الكلمة وجعل نقشها الكتابي على ما يقتضيه اللفظ بها هو أولى. فاعرف هذا، ولاتُشغَل بما يعتبره كثير من أهل العلم في هذه النقوش، ويُلزِمون به أنفسَهم ويعيبون من خالفه. . . فعليك بأن ترسم هذه النقوش على ما يَلفظ به اللافظ عند قراءتها».

ومع هذا، فإن بعض الناشرين الأكارم تحرجوا فيما أخرجوا من «تفسير الجلالين» وغيروه أحيانًا، خشية مخالفة الرسم المصحفي والوقوع في أخطاء طباعية، فلجؤوا إلى إثبات ألفاظ الآيات مما رسم في أجهزة «الكِبتار»[1]، منقولًا من المصاحف. وقد غاب عنهم ما في كتب التفسير من قراءات خاصة قد تخالف رسم المصاحف، فإذا هم يقعون في مفارقات كثيرة جدًا. وذلك ما تراه من تناقض بين نصوص التفسير وألفاظ الآيات الواردة، ومن مخالفة لقراءة الجلالين وعباراتهما، وتشويه للقراءات في مئات المواضع. لقد سببوا لأنفسهم ولكتب التفسير وللناس مشكلات وافرة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.[2]

وفي الثاني من الميسرات، تجد كتاب الجلالين من المصنفات التفسيرية الممزوجة، أي: أن الآية الكريمة متصلة بما قبلها وبعدها من شرح وبيان، وممزوجة به، وكأنهما نص واحد. فكان من الواجب أن تميَّز الآيات المفسَّرة بحرف قاتم وأقواس مزهرة. وهذا قد فعله أكثر الناشرين أحيانًا، ولكنهم قد أخلوا به مرارًا، فعاد التداخل بين القولين الممزوجين.

وفي الثالث، أثبتُّ التشكيل الكامل للآيات الكريمة، والضبط الضروري لعبارات التفسير. وبهذا تسنى للقارئ إدراك النص القرآني، والربط بينه وبين تفسيره، والمعرفةُ الكاملة لما يحويه الكتاب كله. على أنني أغفلت من الضبط ماهو بديهي جدًا من المفردات، وبعض الإشارات كالفتحة قبل الألفِ أوتاءِ التأنيث، والسكونات التي لا يخطئ في معرفة مواقعها جمهور الناس.

وفي الرابع، راعيت ما يقتضيه الكلام الممزوج للآيات وتفسيرها، من علامات للترقيم، توضح مواقع الفصل والوصل والاستئناف وغير ذلك. فأثبتُّ العلامات اللازمة، في الآيات الكريمة وفي عبارات المفسرين، ليكون التساوق ملحوظًا من مجمل الكلام، وتتضح العلاقات بين المفسَّر والتفسير. وعلى هذا جعلت القوس الصغيرة المزدوجة علامة تنصيص في كلام المفسرَين، للآيات المستشهد بها والأحاديث الشريفة والأقوال المحكية، والقوس المعقوفة لما أضفته في العبارات من كلمات للتصويب والتسديد.

وقد وجدتني مضطرًا إلى توظيف ذلك كله، لتحقيق الفهم الدقيق للعبارة، وإزالة احتمال التوهم للعلاقات العشوائية. فقد كان جمهور القراء في عهد الجلالين وما قبله يحفظون القرآن الكريم، ويعرفون كثيرًا من القراءات، ويدركون معاني العبارات المفسِّرة، وإن كانت عُطلًا من التمايز والضبط وعلامات الترقيم. أما اليوم فإن الجمهور في حاجة إلى من يمسك يده، ويوجه لسانه وتفكيره إلى الصواب، ويحفظه من التوزع والاضطراب وعدم الفهم الدقيق.

وإذا كان قد أجاز العلماء تحلية النص القرآني بتنقيط أبي الأسود وعلامات الخليل ومن جاء بعده، وبإعجام الحروف لتمييز بعضها من بعض، وبتحسين الخط العثماني، وبتنويع أشكال الخطوط في الرسم، وبترقيم الآيات، وبالتحزيب والتجزئة والتربيع والتعشير والتخميس، وبالإشارة إلى مواقع الأجزاء والأنصاف والأرباع والسجَدات والإمالة والإشمام وتخفيف الهمز، وأنواع المدود والتنوين والسكَتات والإدغام والوقف، والأحرف غير المحققة في الرسم، والأحرف المزيدة فيه، وبتفسير معاني الآيات وترجمتها، إذا كانوا قد أجازوا ذلك كله، لأسباب اضطرارية تخدم النص الرباني، فلأن يجيزوا ما أجريناه هو من باب الأولى، إن شاء الله تعالى.

ولكي نحفظ للنص القرآني حرمته، ودقة الرصف والضبط، راجعنا القراءة للكتاب كله حوالي عشرين مرة، وقام ببعضها

(١) الكبتار تعريب لما يطلق عليه الآن لفظ «كمبيوتر»، ويترجم بألفاظ عقيمة لاتسعف في الاشتقاق والتصريف، كالحاسوب والحيسوب والمحساب والحاسب الآلي. فالكبتار يكون من الكبترة كالتلفاز والدبلاج والغربال والقرطاس والجلباب، وفعله: كبتَرَ يُكبتِرُ. والعامل به مكبتِر، والمادة مكبتَرة.

(٢) انظر مطبوعتَي ابن كثير بدمشق ودار القلم العربي بحلب.

زملاء من كلية الآداب وعلماء الشريعة والحُفّاظ للقرآن الكريم. فجزاهم الله خير الجزاء، ويسر لهم الرضا في الدنيا والآخرة. وعسى أن نكون قد أرضينا الله بذلك، وأرضينا ضمائرنا وقدمنا للناس ما هو قريب من الصواب. هذا ما نسطيع، وعلى الله ما لا نستطيع.

ثم بعد هذا اخترت لنص الجلالين ما جاء في الأصل، مدعومًا ببعض النسخ المعتمدة وبالفتوحات وحاشية الصاوي، وعارضت ذلك بما فصّلت أمره من مخطوطات ومطبوعات، مشيرًا إلى كل منها بالرمز المصطلح أو الاسم الصريح. فإن اتفقت نسختا الظاهرية والثانوية الشرعية رمزت إليهما بلفظ: النسختين. وإن اتفقتا والنسخةَ الحلبية كانت الإشارة إلى ذلك بقولي: النسخ.

وفي متممات التحقيق، انطلقَتِ العمليات مما رسمه الجلالان منهجًا لهما في التفسير.[١] وقد أوضح السيوطي ذلك في مقدمة تفسيره، فكان فيه: التعبير بإيجاز وبأرجح الأقوال، عما يُفهَم به كلام المولى - تعالى - والتنبيه على القراءات المشهورة، والإعراب لما يُحتاج إليه، بعيدًا عن الأقوال غير المَرْضية والأعاريب المختلفة. ولو تتبعنا هذه الرسوم فيما وصل إلينا، من «تفسير الجلالين»، لكان لدينا ما يلي:

فما أريد به التفسير للمعاني جاء موجزًا بحق، ولكنه لم يكن وافيًا، وقد لا يكون بأرجح الأقوال. ذلك لأن الإمامين فسرا المفردات والمعاني، تبعًا لمستوى القُرّاء المخاطَبين في عصرهما. فهما يخاطبان علماء العصر، وطلبة العلم بين أيدي العلماء، لا عامة الناس. ومن ثَمَّ كان عملهما حصيلة مكثفة من خلاصات العلوم، يوضح بعض المفردات والعبارات بما يناسب، ويترك ما يسهل حينذاك علمه لدى المخاطبين.

والحق أن هذا المصنَّف الكريم لم ينحصر بين العلماء وطلبتهم، بل ظنه الناس عامًّا للجميع، وصار تداوله شائعًا في جميع المستويات العلمية والثقافية، فأصبح ما تُرك تفسيره غريبًا لدى جمهور القَرأة، لا يُدرَك معناه بدقة ووضوح.[٢] نعم إن هذا الجمهور يقرأ أو يسمع ما يعن له من ذلك، وكلٌّ ظانٌّ أنه يفهم المعاني والمقاصد. ولكنك إذا تتبعت أفهام عدد، من القارئين والسامعين هؤلاء، تبين لك القصور والتناقض والإحالة.

فإذا كان المراد بالتفسير شرح ما استغلق عند القارئ أو السامع من لفظ أو تركيب، بما هو واضح لديه، مما يرادفه أو يقاربه أو له دلالة عليه بإحدى الدلالات،[٣] وقد رأينا وقائع القصور والتناقض والإحالة لدى القارئين والسامعين في عصرنا هذا، فقد وجب شرح ما أغفله الجلالان، بذكر معاني مفرداته وتراكيبه، والعلاقات العامة بين العبارات والآيات المتواصلة. وهذا ما قمت به، مستعينًا بالمصادر العلمية المشهورة. ولست أدعي أن ما استدركته هو «تفسير»، إذ التفسير لا يقوم به إلّا أصحابه ورجاله الأفذاذ، وهو في حاجة إلى جهد كثير وتفرغ كبير.

وإنما رجعت في استيفاء ذلك الشرح أولًا، إلى ما اعتمده الجلالان في مصنفهما أصلًا. أعني: الوجيز والتلخيص وتفسيرَيِ البيضاوي وابن كثير. وما لم أقف على بيانه، في هذه المصنفات الأربعة، استمددت توضيحه من حاشيتَيِ الجَمَل والصاوي، وهما مستقاتان من أشهر تفاسير القدماء. فقد ذكرالصاوي أنه اقتصر في النقل على «حاشية الجمل»، لأنها ملخصة من ٢٠ كتابًا تفسيريًا مشهورًا، كالبيضاوي والحواشي عليه، والخازن والخطيب الشِّربيني، والكواشي والسمين الحلبي وأبي السعود والقرطبي، والكشاف والمحرر الوجيز والتحبير والإتقان، والبحر والنهر والساقية لأبي حيان.[٤]

(١) في ص ٥٤ من العددين ٧٧ و٧٨ من «أخبار التراث العربي» أن رسالة تحت عنوان «منهج تفسير الجلالين» قد أجيزت بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية. وقد ظننت أن فيها ما أستعين به على عملي هذا، فبعثت منذ سنوات بخطاب إلى السيد عميد الكلية، مع هدايا من بعض إنتاجي العلمي، راجيًا أن يرسل إليّ صورة من تلك الرسالة، ومتعهدًا بدفع تكاليف ذلك. ولكنني لم أتلق جوابًا حتى الآن، كأن في الرسالة المذكورة من المستويات ما لا يراد الكشف عن هزاله، ولايحسد عليه أحد.

(٢) هذا خلاف ما هو شائع بين الباحثين والدارسين، من أن «تفسير الجلالين» واضح ودقيق، يناسب أفهام جميع الناس. انظر ص ٢٩٣ من موسوعة المصادر والمراجع.

(٣) البحر المحيط ٣: ٢٨٢.

(٤) حاشية الصاوي ١: ٢.

فإن فُقد المعنى في تينك الحاشيتين تناولته من أقوال المفسرين، قدماء ومتأخرين ومحدثين. أعني ماكان عن الصحابة الأجلاء كالإمام علي وابن مسعود وابن عباس وأُبيّ بن كعب، والتابعين الكرام أمثال مجاهد والحسن البصري وقتادة، ومن جاء بعد هؤلاء من أصحاب التفاسير، بدأً بسفيان بن عُيينة وشُعبة بن الحجاج وابن جرير الطبري، ومرورًا بالكشاف والمحرر الوجيز والبحر المحيط والدر المنثور، وانتهاء بالمحمدَين: نووي بن عمر الجاوي (ت ١٣١٦) وجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢) وسيّد قطب (ت ١٣٨٦) والأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣)، وبالمعاصرين من رجالات الشرق والغرب الإسلاميين.

ثم إن بعض الآيات اختار الجلالان له من التفسير ما هو مغاير لأرجح الأقوال، ولاسيما حين اعتمدا الأخبار غير الصحيحة والإسرائيليات المختلَقة، التي تفسد المقاصد وتوجه المعاني إلى تشويه عقائد الأنبياء والصحابة والملائكة وأعمالهم. فكان من الواجب بيان منزلة تلك الروايات المتهافتة، وذكر القول الصواب، مع الإحالة على المصادر الموثقة، من الحديث الشريف والسيرة النبوية الكريمة، وأقوال علماء التفسير، ومصنفات التاريخ واللغة وعلوم القرآن الكريم والسُّنّة المباركة.

والظاهر أن اختيار الجلالين لذلك كان نقلًا مما هو شائع في عصرهما، يخاطبان به العلماء الذين يعرفون منزلته المنكرة، ويعلمون ما يقابله من صحيح الأقوال وثابتها. ثم هم مطمئنون إلى أن ماروي عن أهل الكتاب لايجوز تصديقه ولا تكذيبه إلّا بحجة، وأن الإسرائيليات أقسام: ما صح بما لدينا كان مقبولًا لا بذاته بل بما جاء عندنا، وما تكذب بما لدينا أُنكر بحق، وما سُكت عنه جاز حكايته للرواية والإخبار لاللتصديق والاعتقاد.[1] فهو يروى ولا يجور الاعتماد عليه، لِما عرف به اليهود من اختلاق للأكاذيب والأساطير والخرافات، في تاريخ الدنيا عامة وحياة الأنبياء والملائكة خاصة.

وهذا ما يفيده الحديث الشريف المشهور، وهو قول النبي ﷺ:[2] «وحَدِّثُوا عَن بَني إسرائيلَ، ولا حَرَجَ». والأمر فيه هو أمر إباحة، فيما كان غير مخالف للنصوص الشرعية وصادرًا عمن يُجهل صدقه وكذبه فقط، شأنه شأن ما يروى من أخبار الفرس والروم والهند وغيرهم.[3] ولكن ليس لنا أن نصدقهم في ذلك لأننا مأمورون مرارًا بعدم التصديق، بل بعدم الرواية لما ثَبَتَ أن كذب، وبالمخالفة لما أَلِفه واعتاده أهل الكتاب عامة، واليهود خاصة، وكانوا مختصين به أو متميزين.[4]

وإنما جاءت الإباحة بذلك الخصوص لأنها خاتمة مراحل ثلاث، في حياة الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة. فعندما قدم الرسول ﷺ المدينة أحب موافقة أهل الكتاب، فيما لم يُنهَ عنه، تألفًا لهم ولأنهم أهل شرع. وكان ذلك بإلهام وأمر من المولى - تعالى - حتى لقد أوحَى إليه تحويل القِبلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وعندما لم ينجع فيهم ذلك، وكثر تقليد بعض الصحابة لهم، زُجروا عن الأخذ عنهم، خشية الافتتان واتباع ما هم عليه واختلاط الأمور على المسلمين، وجاء الوحي بالعودة إلى استقبال المسجد الحرام. وبذلك أصبح أحبار يهود يقولون: هذا ما يدعُ من أمرنا شيئًا إلّا خالفَنا فيه.

ولما استقرت الأحكام الإسلامية والقواعد الشرعية كانت المرحلة الثالثة، إذ وقع الإذن وحصل التوسع ورُفع الحرج، فكانت الإباحة خاصة برواية ما لا ينافي الشرع الحنيف، وبقي الأمر بالمخالفة لهم فيما دون ذلك.[5] وتحقيق هذا في الحديث المشهور[6]، إذ خاطب الرسول ﷺ جماهير المسلمين إلى الأبد، بقوله: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قَبلَكُم، شِبرًا بِشِبرٍ وذِراعًا بِذِراعٍ، حَتّى لَو سَلَكُوا جُحرَ ضَبٍّ لَسَلَكتُمُوهُ». قال الصحابة: يا رسولَ اللهِ، آليهودَ والنصارى؟ قال: «فَمَن»؟

والإخبار بالتقليد الأعمى هنا هو نبوءة بما سيكون في المستقبل، مع التحذير الشديد والزجر العنيف للمسلمين. ثم إن هذا

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٦٨-٦٩ و٩٨ والإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٣٦-٤٢.
(٢) الحديث ذو الرقم ٣٢٧٤ في البخاري. وانظر فتح الباري ٦:٦١٧-٦١٨ و١٠:٤٣٤.
(٣) الرسالة للشافعي ص ٣٩٨-٣٩٩ والورقة ٣٤ من «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة» للبقاعي برهان الدين إبراهيم بن عمر. وانظر الإسرائيليات ص ٥٥-٥٦.
(٤) انظر مسند أحمد ٥:٢٦٤-٢٦٥ و١:٢٤١ ومختصر شرح الجامع الصغير ٢:٢ وصحيح الجامع الصغير ١:٦١١ والحديث ١٠٢٠ في الترمذي.
(٥) فتح الباري ٦:٦١٣-٦١٨ و١٠:٤٣٤-٤٤٤ والإسرائيليات ص ٤٢-٥٦.
(٦) الأحاديث ٣٢٦٩ و٦٨٨٩ في البخاري و٢٦٦٩ في مسلم وفتح الباري ٦:٦١٣-٦١٦.

الاستفهام الأخير هو إنكاري للنفي والتوبيخ، أي: ليس المراد غيرهم، فاحذروا أن تنقادوا بذلك. وفيه ما هو أبلغ من النهي الصريح، ويفيد إطلاق الزجر حتى آخر الحياة الدنيا. وقد أغفل بعض المفسرين بيان ذلك لأنه معلوم مفصل في الأحكام الشرعية، لا يحتاج إلى ذكر في كل موطن، ولهم أن يرووا من الإسرائيليات في حدود المنهج الشرعي، ما داموا على بصيرة نافذة، وعلم يميز الحق من الباطل.[1] ثم إنهم توسعوا في مفهوم «الإسرائيليات»، حتى دخل فيه لديهم كل خبر مصدره أعداء الإسلام، من مثل أباطيل الغرانيق التي وضعها الزنادقة، وما أقحمه القديس يوحنَّى الدمشقي في قصة طلاق زيد لزينب، رضي الله عنهما.[2]

غير أن القَرأة في هذه العصور بعدوا عن التفقه التام، فانقادوا إلى اعتقاد ما جازت روايته من الإسرائيليات، ودخل في نفوسهم كثير مما حاكته من أباطيل. ومن ثَمّ كان على العلماء أن يقرنوا تلك الأخبار الباطلة، والأساطير المختلقة، ببيان ما فيها من الأكاذيب، وذكر وجه الصواب، لتوجيه العامة إلى الحق. وإلّا انساق هؤلاء وراء الخزعِبلات، وأشاعوها بين الآخرين على أنها وقائع تاريخية وحقائق معتبرة. ولذا رأيت من واجبي أن أعلق على كل خبر مكذوب وقول مختلق أو ضعيف، ببيان حقيقته وذكر وجه الصواب، مع الإحالة إلى المصادر العلمية الموثقة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ما نذكره أحيانًا، من آلاف السنوات في تاريخ الأمم والأنبياء القدماء، هو مما أَلِفه الناس في المصادر المتداولة، وكثير منه مصدره الإسرائيليات أيضًا. والحق أن تلك الآلاف ليس لها سند علمي موثق، وهي أباطيل من مزاعم يهود ومن نقل عنهم، فلا يجوز اعتمادها في البحث إلّا استئناسًا وتقريبًا للأفهام. ذلك لأن حياة الأمم القديمة والأنبياء القدماء تستغرق عشرات الآلاف من السنين، أو أكثر. وإذا كان نوح قد عاش حوالي ألف سنة، ومَن قبله وبعده كذلك، فلا عجب أن يكون للتاريخ الإنساني عمر مديد جدًا، لا تمثل المقولات الإسرائيلية منه إلّا أقل القليل.

ومما له علاقة جوهرية بتفسير الدلالات والمعاني، في الآيات الكريمة، سبب النزول، أي: الحدث الذي كان سببًا لنزول النص القرآني، سواء أكان واقعة أم سؤالًا ألقي على النبي ﷺ. وهو أصل مهم في الفهم والتفسير الدقيقين، وإنما يؤخذ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسبابه، أو بحثوا عن علمها وجدّوا في طلب ذلك.[3] وتتحقق الصيغة الصريحة للسبب، إذا قال الراوي: «سبب نزول هذه الآية كذا»، أو أتى بفاء السببية قائلًا: «فنزل»، بعد ذكر الحادثة أو السؤال. أما إذا قال: «نزلت هذه الآية في كذا» فالعبارة تحتمل السببية وتحتمل أيضًا تضمن الآية أحكام ما ذكر، من دون تعيُّن السبب.[4]

والجلالان كثيرًا ما يوردان الروايات والأحداث، على أنها أسباب للنزول، وفيها ما هو لبيان الحكم لا للسبب، على مابيّنّا الآن. وهما غالبًا ما يسردان ذلك من دون إسناد، فيدخل في الصحيح الثابت ما هو ضعيف أو مصطنع لا أصل له،[5] وربما كان فيه دسائس إسرائيلية أو باطنية، تشوه معاني الآيات الكريمة، وتوجه إلى باطل من المقاصد. ولذا كان عليَّ أن أقف عند ما صح بطلانه من ذلك، لأحقق منزلته المتهافتة، وأبين وجه الصواب بالأدلة الموضوعية الموثقة، والمصادر العلمية المعتمدة عند جمهور العلماء. وما لم أجد إليه منفذًا تركته لمن يقوّمه، مشيرًا إليه بعبارات تمريض، نحو: روي أو قيل أو في رواية أو كتاب. . .

ثم هما كثيرًا ما أغفلا ذكر السبب لنزول الآيات الكريمة، فبقي المعنى يحتمل توجيهات مختلفة. وقد تتبعت في المصادر تلك المواطن الكثيرة المغفلة، ونقلت ما جاء فيها، فأثبتُّ ما سمح به مجال الحواشي في التعليق على الآيات أنفسها، ليكون عونًا على الفهم الصحيح، وأحلت في الباقي على «المفصل» لمن أراد المتابعة والاستيفاء. وهذا خلاف ما انتشر في أغلب مطبوعات «تفسير الجلالين»، إذ أُلحق بحواشي الصفحات جميع أسباب النزول من كتاب «لباب النقول» للسيوطي أو من كتاب آخر، على غير ارتباط بمواطن الآيات الكريمة، فكان في ذلك تكرار لما ذكره الجلالان، وتوزع اعتباطي للنصوص بأسانيدها،

(١) انظر الإسرائيليات ص ٥٣.
(٢) المصدر السابق ص ١٣-١٥.
(٣) أسباب نزول القرآن ص ٥ ومقدمة ابن الصلاح ص ١٢٨-١٢٩.
(٤) الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٤-١٥.
(٥) انظر البحر المحيط ٨:٢٣٩.

لا علاقة له بصفحات تفسير الآيات المعنيّة.

أما القراءات التي أوردها الجلالان فغالبًا ما نُقلت من تلخيص الكواشي، وكان معظمها مما اشتهر بين العلماء. غير أن بعض القراءات، ومنه ما هو في صلب نص الآيات القرآنية، لم يكن من المشهور، بل كان معروفًا بين العلماء بأنه من الشواذ. وقد تأثر الجلالان، في هذه الناحية، بما اصطلحه الكواشي من التعبير عن القراءة السبعية بقوله «في قراءة»، وعن الشاذة بالقول «وقرئ»،[1] فكان أن غفل السيوطي عن المنهج المرسوم، ونقل عنه ذلك الاصطلاح أحيانًا لمراد آخر، وتابعه ناشرو «تفسير الجلالين» من دون تحقيق، فوصفوا ما جاء فيه «قرئ» بأنه من شواذ القراءات.

والحق أن الكواشي يريد بالشاذ أحد وجهين: الأول: ما ليس في قراءات السبعة، إذ هي عنده قد صح سندها، واستقام وجهها في العربية، ووافق لفظها خط الإمام. والثاني: ما لم يكن بالتواتر أو موافقًا لخط الإمام. بيد أن السيوطي، عندما صنف «الإتقان في علوم القرآن»،[2] حرّر هذه المسألة وكان له رأي آخر، فجعل للقراءات أقسامًا أربعة: المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ. وعرّف الأخير بأنه ما لم يصح سنده، فاعتدّ القراءات العشر مشهورة غير شاذة.[3] ولهذا فإن ما عبر عنه السيوطي في تفسيره بـ «قرئ» لم يكن كله شاذًا، إذ كان فيه ما هو صحيح الإسناد، أو من القراءات العشر.

وفي ترجمات السور الكريمة، أي: التعريف لها في مستهل تفسيرها بنسبتها إلى مكة أو المدينة، وبعدد آياتها، كثيرًا ما ذكر الجلالان خلافًا في السورة أو بعض آياتها أو عددها، متأثرينِ بما نقلاه من «التلخيص» للكواشي، مع أن هذا يغاير منهجهما الذي رسماه على الاكتفاء بما يُفهم به كلام الله، عز وجل. أما الخلاف في نسبة السورة أو بعضها إلى موطن معين فسببه: نزول بعض النصوص القرآنية غير مرة، واختلاف الصحابة فيما علموه من موطن النزول، ثم تعدد وجهات النظر في مفهوم مصطلحَي «المكي والمدني»، وفي تفسير بعض الآيات.[4]

وأما الخلاف في عدد آيات السورة الواحدة فهو مبني على تحديد مواقع الفواصل فيها، مع الحفاظ على عدد الكلمات والأحرف أيضًا. وإنما اختلف العلماء في عدد الآيات هذه لأن النبي ﷺ كان، عندما يقرأ القرآن، غالبًا ما يقف عند رؤوس الآيات لتعيين مواقعها. فإذا كان ذلك واضحًا بلفظه، ولا حاجة إلى بيانه، واصلَ القراءة بدون توقف عليه لإتمام المعنى، فيحسب بعض السامعين أن ذلك هو رأس الآية، ويروي بعد ذلك كلٌّ ما تحصل لديه. يضاف إلى ذلك أن البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها من آيات السورة، ومن قرأ بغيره لم يعدها.[5] ومع هذا فإن جمهور الفواصل متفق عليه إجماعًا، وما اختلفت فيه الروايات هو قليل جدًا وقد حدّده العلماء.

وقد انتقل بعض هذا مع صور القراءات المشهورة إلى تدوين المصاحف، في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فسجل في النسخ الأربع ما يستوعبه، أي: في كل منها ما يمثل وجهًا من الروايات المحققة في القراءة والفواصل، فكان في الأمصار التي وزعت عليها صورة من ذلك، ومعها قارئ متقن يعلم الناس ما في المصحف المرسل. ثم توالت روايات الصحابة في الأمصار، فكان استقرار ما نقلوه. ولذلك مثلًا ترى كلًّا من «ألمٓ» و «ألمٓصٓ» و «طه» و «طسٓمٓ» و «يسٓ» و «حمٓ» آية عند أهل الكوفة وحدهم، واختلف كل من أهل المدينة والبصرة والكوفة والشام في تعيين بعض الفواصل للآيات،[6] فكان في مصاحفهم ما ذكره المفسرون في المطولات لاستيعاب الواقع العلمي المقرر، ثم جاء الجلالان فنقلا بعض ذلك، وهو لا يناسب منهج التفسير الموجز.

---

(١) انظر الورقة ٢ من التلخيص والفتوحات ٢:١٤٧ و٢٣٠. غير أن ما في ١:٧١ يعني الأغلبية في ذلك لا الإطلاق. وهذا يرجح ما ذهبنا إليه.

(٢) عزم السيوطي في أواخر حياته على تصنيف تفسير، يستوعب المأثور والاستنباط والإشارات والأعاريب واللغات والبلاغة... وسماه «مجمع البحرين ومطلع البدرين»، ثم جعل له مقدمة هي ماعرف بعد باسم «الإتقان في علوم القرآن». والظاهر أنه لم ينجز ذلك التفسير الموعود به. الإتقان ٢:٤٢٠ وكشف الظنون ص ١٥٩٩.

(٣) الإتقان ١:١٦٨ و٨١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١:١٨٥-٢٠٥ والإتقان ١:١٥-٣٥.

(٥) البرهان ١:٢٥١-٢٥٢. ولتيسير الوفاق بين الآيات وتفسيرها، جعلنا أرقامها تبعًا لما في النص المصحفي، وإن خالف أحيانًا قول الجلالين. وكذلك جعلنا أسماء السور في أعلى الصفحات. وقل من تنبه لهذين الأمرين من الناشرين.

(٦) جمال القراء وكمال الإقراء ص ٢٧٤-٣٢١.

والظاهر أن ما ذكره السيوطي من «الإعراب»، في مقدمة التفسير، يراد به مفهوم التحليل النحوي كاملًا.[1] ذلك لأن الجلالين لم يكتفيا بإعراب بعض المفردات، وإنما وقفا أيضًا عند وظائف كثير من الجمل وأشباهها والمصادر المؤولة، وتعرضا لتحليل بعض الكلمات صرفيًا، وذكرا معاني عدد وافر من الأدوات.

والجدير بالذكر هو التساوق والتعاون بين العناصر المختلفة لإجراءات التفسير. فقد اعتاد أصحاب مطولات التفاسير أن يبسطوا وجوه التعريف بالسور والآيات، وروايات الأسباب المتعددة للنزول، واختلاف القراءات، والدلالات المحتملة للمفردات، والمعاني والأعاريب الخاصة والعامة الصادرة للآيات عن تلك الدلالات. وغالبًا ماينثرون ذلك على غير نسق أو نظام معين، يجمع كلًّا من الوجوه والأسباب والقراءات والدلالات والمعاني وصور التحليل، بعضه إلى بعض في التوجيه المقصود.

وهم بهذا يخاطبون العلماء وطلابهم، فلايكون إشكال أو التباس، لأن العالم المتقن يعيد كل عنصر إلى لِفقه، ويدرك مرامي التوجيهات المختلفة. أما القارئ الشادي وأنصاف المثقفين فإنهم يتيهون في تلك العوالم المتداخلة، ويقيمون علاقات واهمة بين أبعاضها، من دون دليل مرشد أو توجيه معين، فيكون لديهم أفهام هلامية مضطربة رجراجة متداخلة، ليس فيها كبير فائدة. ومثل هذا يقع في التفاسير المختصرة، إذ ينقل المفسر من تلك الوجوه المتعددة ما يناسبه، فيقع في التلفيق بعيدًا من التحرير أو التحقيق.

ولأن الجلالين نقلا جمهور تفسيرهما من عدة مصادر، ذكرناها قبل، فقد حصل لديهما تعدد في بعض عناصر التفسير، وكان عندهما ضرب من التلفيق في بعض المواطن، إذ تجد الآية المكية تفسر بما هو موضوع مدني، أو العكس، وسبب النزول قد يخالفه ما ذكر من معنى أو تفسير، والقراءة المعينة قد توجَّه بما هو لغيرها، والإعراب المحدد لايناسب القراءة المختارة أو المعنى المقصود.

وبالعودة إلى تلك المصادر المعتمدة تلمست مواقع التلفيق، فبينت سببه والتصويب المناسب في سياقه. وكان كثير من هذا قد غابت معالمه عن المحشِّين لـ «الجلالين»، والناشرين لطبعاته المختلفة، فصدر عنهم أحيانًا تعليقات تزيد الأمر تعقيدًا وإيهامًا، وتنبئ عن تعجل في الحكم والتوجيه.

وتجنبًا لمثل تلك الظواهر المشكلة، والمزالق العسيرة والتوجهات الموزعة، فقد حاولت أن أوفق بين عناصر التفسير عامة، ليكون اتساق بين سبب النزول والقراءة والتفسير وعناصر الشرح. ثم كررت مراجعة ما سطرته من متممات التحقيق مرارًا، بالتعديل والتقويم والتسديد، لأحافظ بقدر الإمكان على وحدة منهجية بين تلك العناصر، ويكون التوافق ظاهرًا، ويتيسر للقارئ الفهم الدقيق للمقاصد الخاصة والعامة.

وتحقيقًا لهذه المسيرة المقصودة، فغالبًا ما كنت أختار للنص وجهًا واحدًا في كل عنصر تفسيري، يلائم سائر إخوته، ويساهم في توضيحها وتحديد أبعاد المعنى ومراميه. وإذا اضطررت إلى إيراد أكثر من وجه، في بعض المواقف تبعًا لما أثاره الجلالان في التفسير، بينتُ ما يحتمله كل منها، وما يناسبه من وجوه العناصر المرافقة له. سواء كان ذلك في الأسباب أو القراءات أو المعاني أو التحليل النحوي. ثم إذا كان ما أورداه تأويلًا بعيدًا للفظ أو التركيب علقت عليه بما هو أقرب إلى البيان. وإذا لم تتسع التعليقات لذلك اختصرت التعبير، وأحلت على «المفصل» للاستيفاء.

وقد كان للإمامين الجلالين، في بعض مواطن التفسير، أوهام في ذكر القراءات، وأخطاء علمية أو تعبيرية، على رغم ادعاء المحلي أن ذهنه لا يقبل الخطأ، وتوهُّم السيوطي أنه بلغ مرحلة الاجتهاد. وقد وقفت عند تلك الأوهام والأخطاء، مشيرًا إليها ومعلقًا بوجه الصواب، ومحيلًا على المصادر الموثقة. ولقد تبين لي، من خلال ذلك، أن بعض المحشِّين والناشرين وهموا أحيانًا، وخطّؤوا ما هو صواب، فرددت مقولاتهم بالدليل والبرهان. ثم إنني جمعت هذه الشذرات تحت عنوان «فهرس أوهام المفسرين»، منسوقة في آخر الكتاب، لأختصر ما تعقبتُه من الأقوال الواهمة، في الكون والحياة والتاريخ وأسباب النزول والسيرة، والقراءات واللغة والتفسير والشرح والإعراب والصرف والبلاغة...

وأخيرًا كان للإمامين أيضًا عبارات دقيقة عصية على القارئين، لما فيها من إيجاز شديد، ومصطلحات علمية، وإشارات

(١) انظر التحليل النحوي أصوله وأدلته ص ٩-٥٠.

في القراءات، وتوجيهات لغوية ونحوية، وتفسيرات للمفردات والتراكيب، وأحكام شرعية في الأصول والفروع للمذهب الشافعي غالبًا، وأحداث تاريخية غير واضحة، وأسماء أعلام للأفراد والقبائل والأمكنة والمصادرِ. وقد تلبثتُ إزاء هذا كله، بالشرح والبيان، تذليلًا للصعوبات، وتيسيرًا للغاية المرجوة من هذا الكتاب الكريم.

وإذا أردنا أن نجمع شتات ما ذكر في هذه المقدمة، من خدمات للنص القرآني وجهود الجلالين في التفسير، كان لدينا ما يلي: العرض التاريخي لـ «تفسير الجلالين»، والذكر لتلقي هذا التفسير في أسانيد متصلة بالمؤلِفَين، والسرد للشروح والتعليقات والحواشي التي وُضعت على هذا المصنف الكريم، والبسط لعدد من النسخ التي تولدت عن مصنف الجلالين، واستعراض أشهر الطبعات وما تتسم به من تعجل تجاري، واكتشاف المصادر التفسيرية التي اعتمد عليها المؤلفان، والتحقيق للنص بإعادته إلى أقرب صورة أرادها المؤلفان اعتمادًا على نسخ خطية ومصادر موثقة، وتقديم سورة الفاتحة إلى أول الكتاب، والتوزيع للسور المتوالية، والتمييز للنص القرآني من عبارات الجلالين، والضبط الكامل للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والضبط الضروري لعبارات التفسير، والتزام الرسم الإملائي المعاصر، والتثبيت الدقيق الكامل لعلامات الترقيم، وجعل أرقام الآيات في أواخرها كما في المطبوعات المصحفية، والتوزيع الموضوعي للآيات المتوالية.

ثم كان إثبات خلافات النسخ وبعض المطبوعات والحواشي، والتحديد للخطوات المنهجية التي رسمها الجلالان لعملهما في التفسير، والرجوع إلى أمهات كتب المصادر للتعليق بما يزيل الإبهام، والتوضيح لما كان من تعريف بالسور وخلاف لعدد الآيات وموطن النزول، والتعليق على الأحرف المتقطعة في أوائل بعض السور أنها سر الله المكنون في كتابه العزيز، والتفسير لأسباب النزول الواردة في الكتاب، وإلحاق ما أغفله الجلالان بما تيسر في مواضعه من التعليق على الآيات المعنية، والتعقب لما ورد من إسرائيليات وأخبار موضوعة أو ضعيفة، والشرح للمفردات والعبارات القرآنية التي أغفل الإمامان تفسيرها، بما يناسب توجيههما للسياق، والتعريف بالأعلام، والتخريج للأحاديث والآثار الكريمة، والشرح للمفردات الغريبة والمصطلحات والمفاهيم وبعض الأحكام الشرعية، والتوضيح لما أشكل من عبارات الجلالين، والرسم المقترح لهمزة بينِ بينٍ، والتحرير لما كان من أوهام وهنات، في مختلف مواطن التفسير، والتوحيد لخطوات التعليق على النص القرآني وتفسيره، باختيار موحد لما تقتضيه عناصر التفسير، من موطن النزول وأسبابه، ولفظ القراءات، ومعاني المفردات والعبارات. وختمت ذلك بفهارس: الحديث والأثر، والأعلام، وأوهام وهنات المفسرين، مع ثَبَت بمصادر ومراجع تخريج الأحاديث.

ولست أزعم أنني أصبت في كل شيء من ذلك، لأن العصمة والحكمة البالغة هما لرب العزة - سبحانه وتعالى - وقد أبى أن يصح إلّا كتابه العظيم. فليس لنا أن نتطاول وندعي ما لا نستطيع، وحسبنا أن نردد ما قاله السيوطي، بعد خاتمته لتفسير سورة الإسراء:

حَمِدتُ اللهَ، رَبِّي، إذ هَداني ... لِما أبدَيتُ، مَعْ عَجزي وضَعفِي

فمَن لِي بالخَطا، فأُرَدَّ عَنهُ؟ ... ومَن لِي بالقَبُولِ، ولَو بِحَرفِ؟

والظاهر أن الجلالين لم يضعا اسمًا لتفسيرهما هذا، إذ توفي المحلي قبل إنجاز ما أراد، وعبر السيوطي مرارًا عن عمله فيه بأنه «تكملة»[1]، ثم جاء مَن بعدهما من العلماء والنساخ فسماه «تفسير الجلالين»، أو «الجلالين».

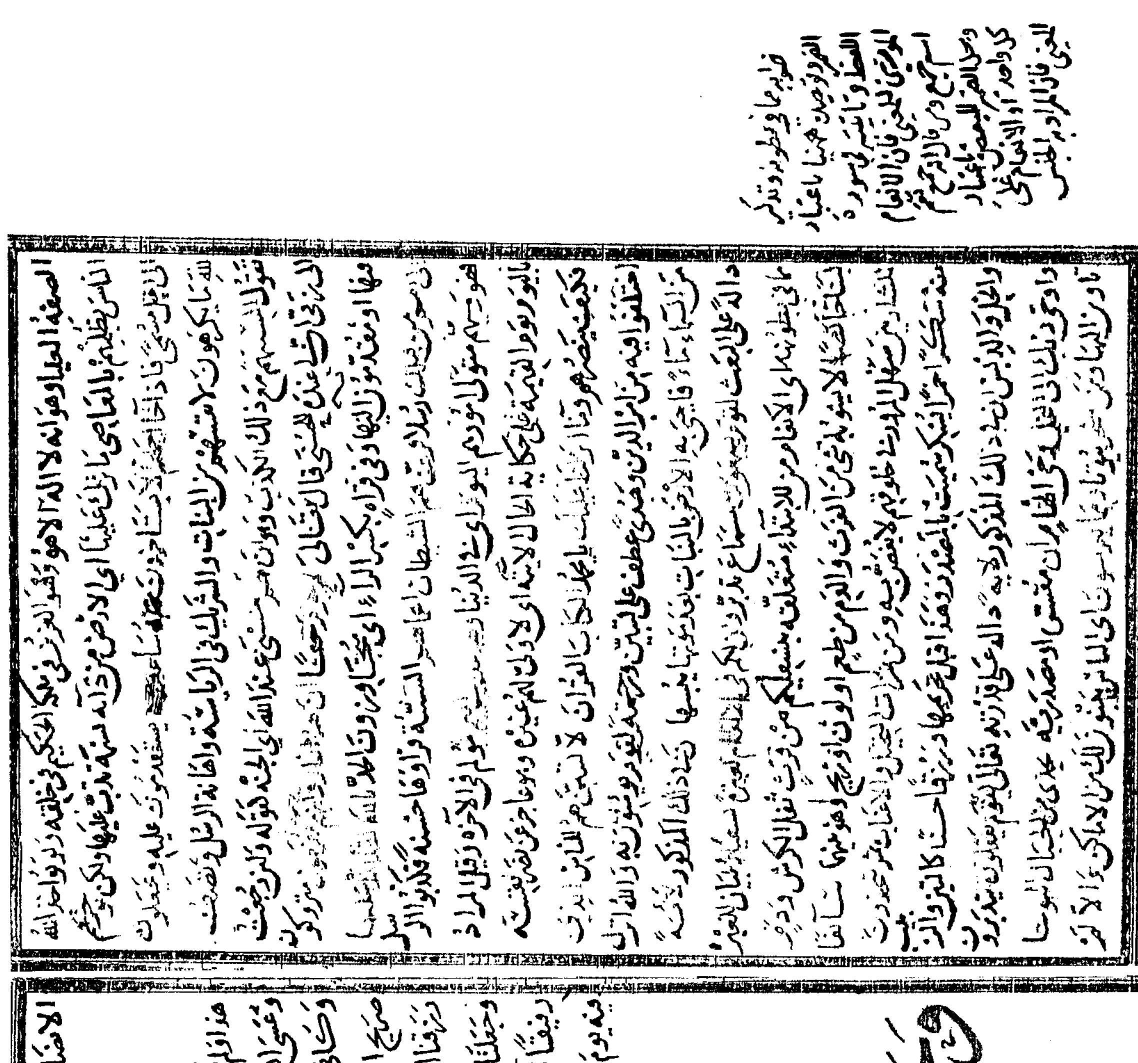
ولما كان فيما علقته على مصنفهما هنا تيسير لكثير من القضايا والمشكلات والمسائل، وتبسيط للمعلومات والملحوظات بما يناسب عامّة القرّاء والمطالعين، رأيت أن أعبر عن ذلك بإيجاز، فجمعته تحت عنوان: «تفسير الجلالين الميسَّر»، آملًا أن يكون للناس فيه يسر وعطاء، ولي به رحمة الله - عز وجل - وشفاعة رسوله الكريم ﷺ، ودعوات المؤمنين الصالحين، لي بقبول النيّة والعمل، مع المغفرة والإحسان.

فعسى أن يتحقق الرجاء، ويقضي الرحمن بفضله الميمون هذا خيرًا لي وللمسلمين في الدنيا، ورضًا عليّ ومقعد صدق يوم القيامة في ظل عرشه، يوم لا ظلَّ إلاّ ظلُّه. إنه نعم المولى ونعم النصير! وهو وحده بالإجابة حقٌّ جدير. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

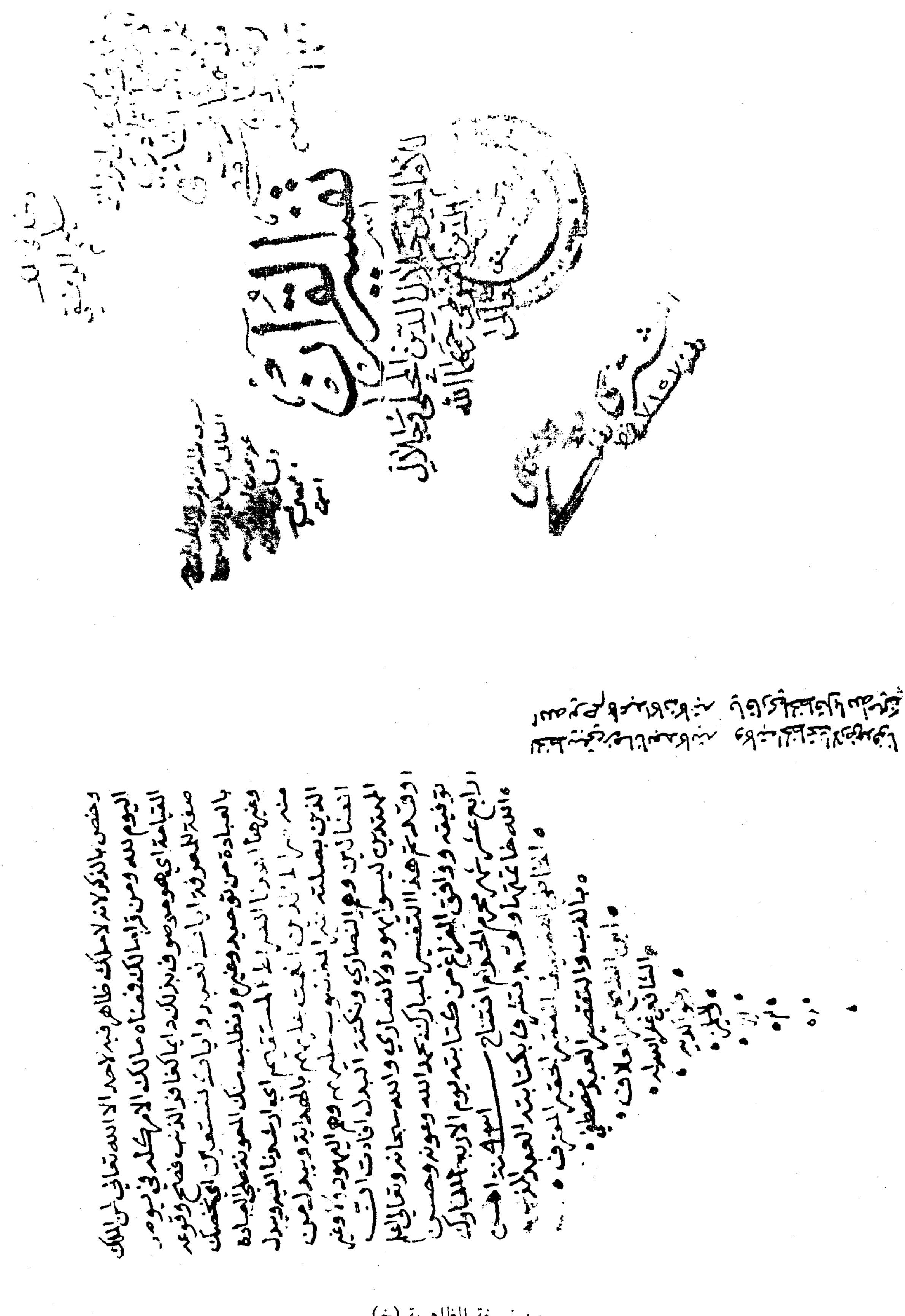
حلب في ١ رمضان سنة ١٤٢٣

الأستاذ فخر الدين قباوة

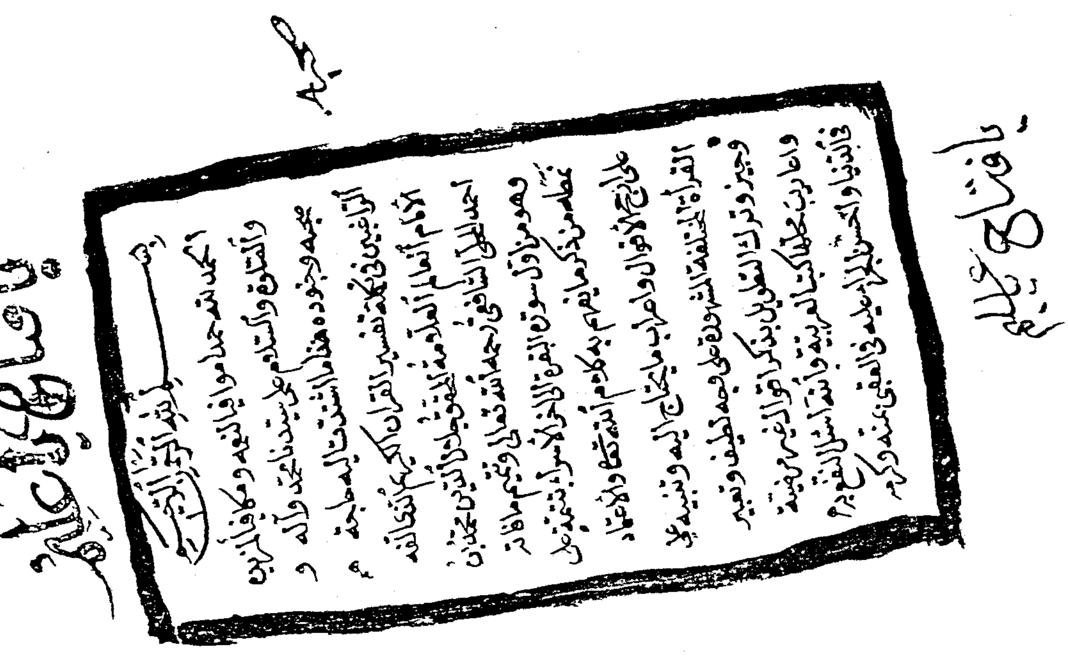
(١) انظر مقدمة السيوطي وخاتمته لتفسيره، وفهرسته لمؤلفاته ص ١٨ من معجم طبقات الحفاظ والمفسرين.

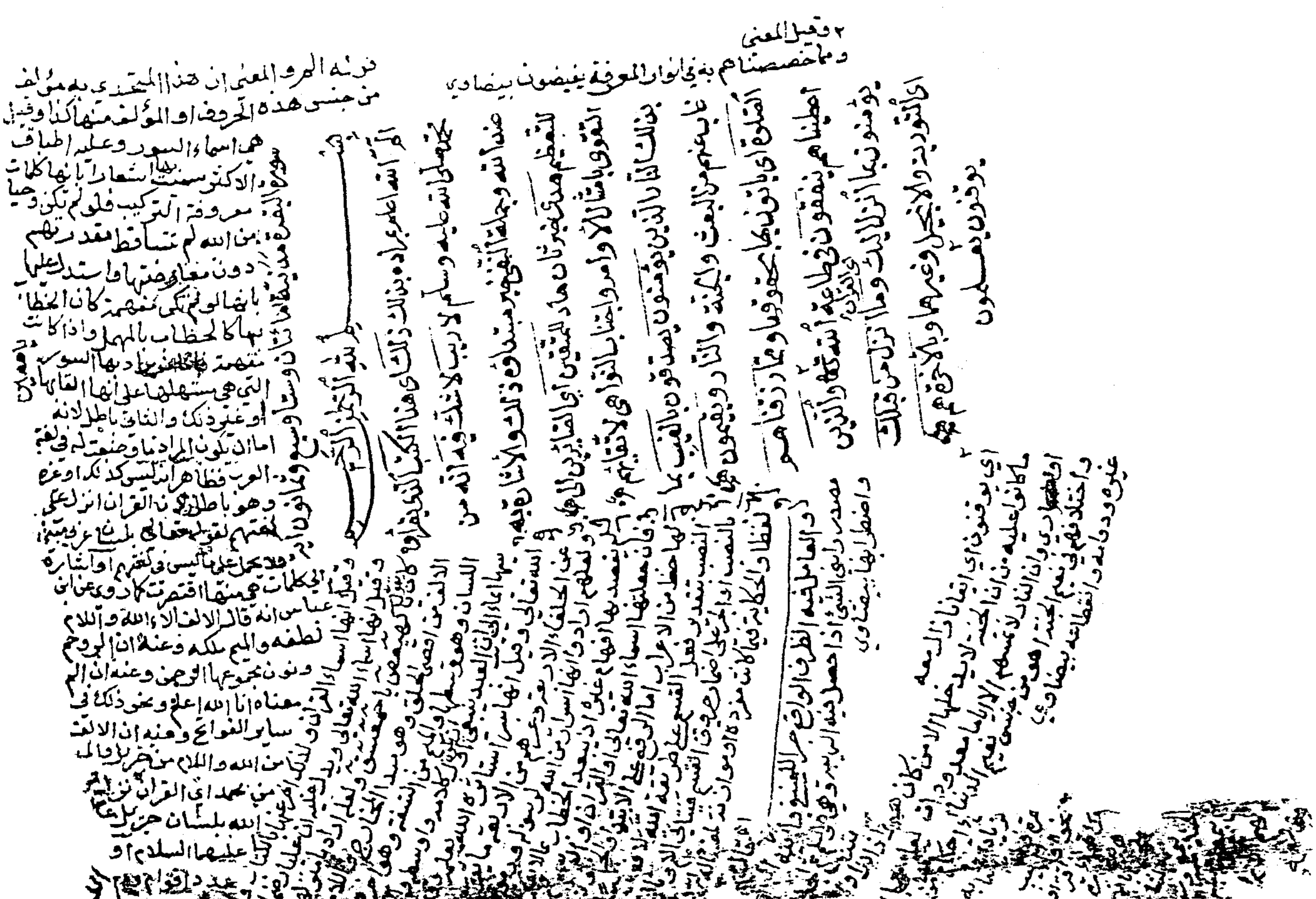


من النسخة التيمورية (الأصل)

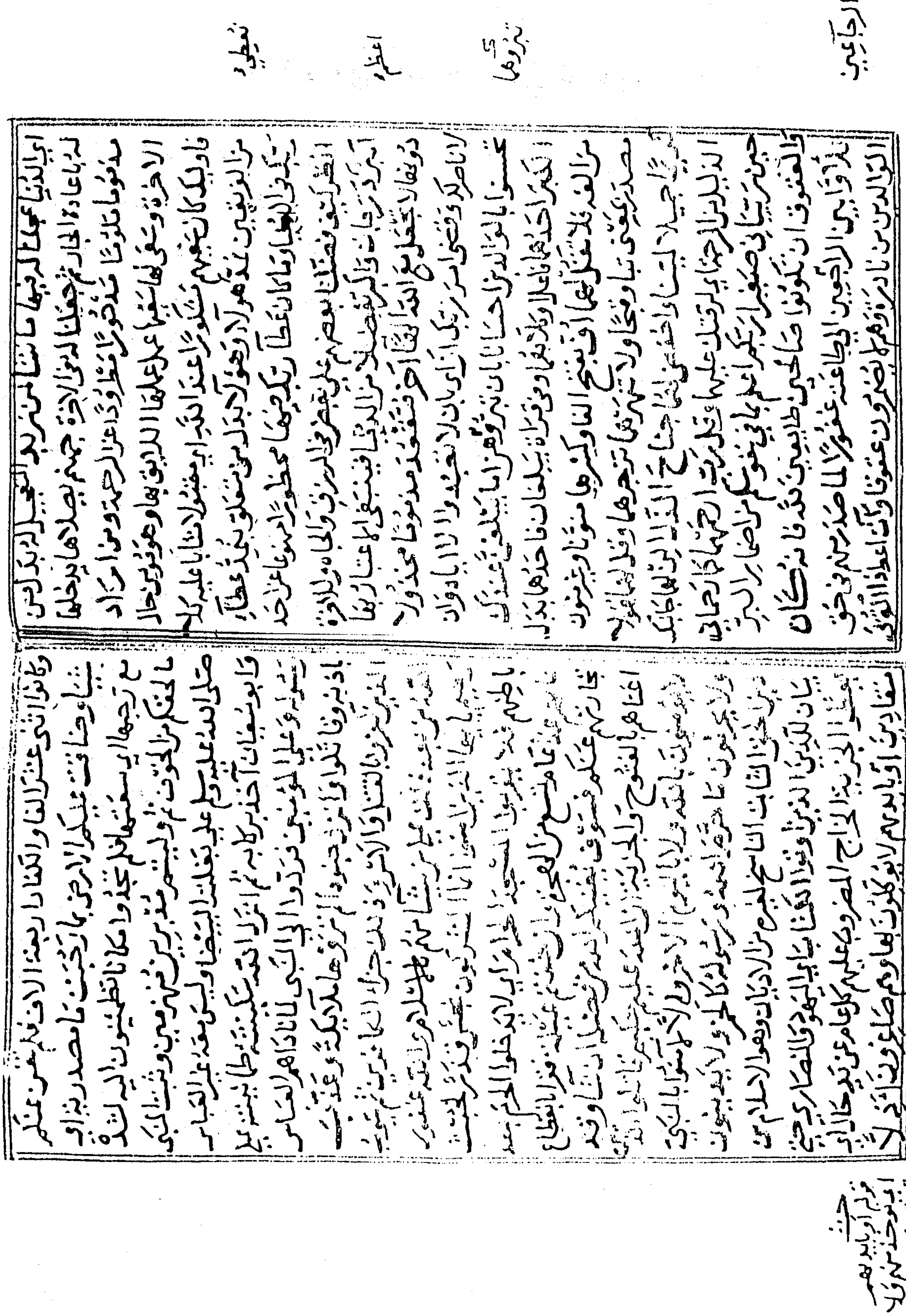


من نسخة الظاهرية (خ)





من نسخة الثانوية الشرعية (ث)



من النسخة الحلبية (ع)

الرموز المستخدمة في التحقيق

الأصل: نسخة المكتبة التيمورية

التلخيص: تلخيص التبصرة والتذكرة للكواشي

ث: نسخة الثانوية الشرعية

خ: نسخة المكتبة الظاهرية

الصاوي: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

ط: مطبوعة البابي الحلبي

ع: النسخة الحلبية

الفتوحات: الفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين

المفصل: المفصل في تفسير القرآن العظيم مطبوعة مكتبة لبنان

المنحة: منحة المتجلي في خدمة «تفسير الجلالين» السيوطي والمحلي

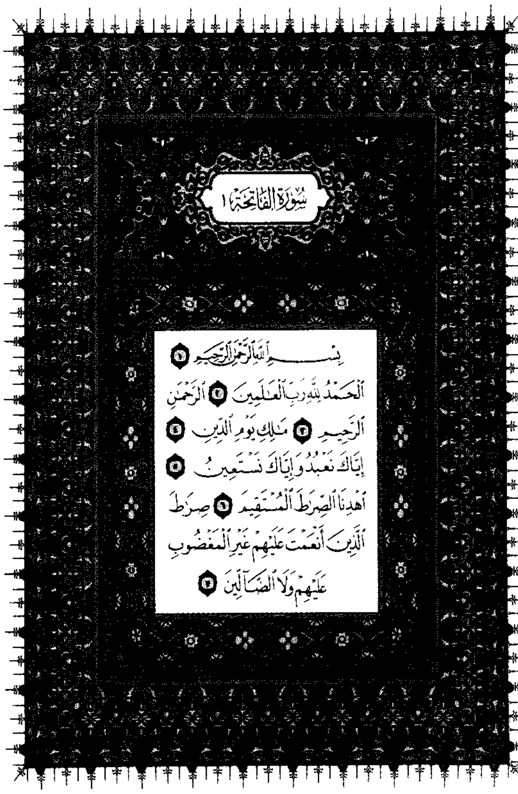
النسخ: ث وخ وع

النسختان: ث وخ

الواحدي: أسباب نزول القرآن للواحدي

الوجيز: الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم



١- [قال الإمام جلال الدين المحلّيّ]:

سورة الفاتحة

مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة «صراطَ الذينَ» إلى آخرها. وإن لم تكن منها فالسابعة «غيرُ المغضوبِ» إلى آخرها. ويُقدّر في أوّلها «قولوا»، ليكون ما قبل «إيّاك نعبدُ» مناسبًا له بكونه من مقول العباد.

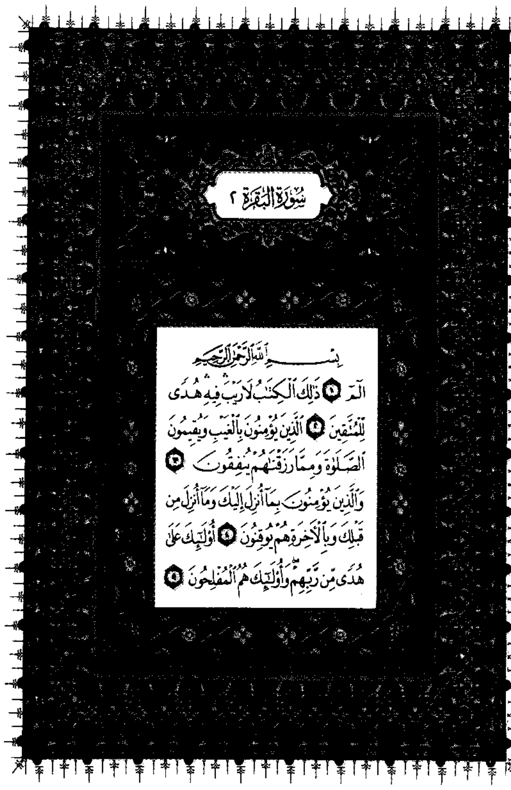
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

٢- ﴿**الحَمدُ لِلهِ**﴾ جملة خبرية، قُصِدَ بها الثناء على الله بمضمونها من أنه - تعالى - مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مُستحِقّ لأن يَحمَدوه. والله: عَلَمٌ على المعبود بحقّ، ﴿**رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ٢ أي: مالكِ جميعِ الخلق، من الإنس والجنّ والملائكة والدوابّ وغيرهم. وكلّ منها يُطلق عليه عالَم - يقال: عالَم الإنس وعالَم الجنّ، إلى غير ذلك. وغُلِّب، في جمعه بالياء والنون، أولو العِلم على غيرهم. وهو من العلامة، لأنه علامة على مُوجِده - ﴿**الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ ٣ أي: ذي الرحمة. وهي إرادة الخير لأهله. ﴿**مَلِكِ يَومِ الدِّينِ**﴾ ٤ أي: الجزاءِ. وهو يوم القيامة. وخُصّ بالذكر لأنه لا مُلك ظاهرًا فيه لأحد إلّا لله - تعالى - بدليل: «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ؟ لِلهِ». ومن قرأ «مالِكِ» فمعناه: مالكِ الأمرِ كلِّه في يوم القيامة، أي: هو موصوف بذلك دائمًا كـ «غافِرِ الذَّنْبِ». فصحّ وقوعه صفة للمعرفة.

٣- ﴿**إيّاكَ نَعبُدُ، وإيّاكَ نَستَعِينُ**﴾ ٥ أي: نَخُصّكَ بالعِبادة من توحيد وغيره، ونَطلب منك المعونة على العبادة وغيرها. ﴿**اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ**﴾ ٦ أي: أرشِدْنا إليه، ويُبدل منه: ﴿**صِراطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِم**﴾ بالهداية، ويُبدل من «الذين» بصلته ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم**﴾ وهم اليهود، ﴿**ولا**﴾: وغيرِ ﴿**الضّالِّينَ**﴾ ٧ وهم النصارى. ونكتةُ البدل أفادتْ أنّ المُهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى.

---

(١) فسر المحلي سورة الكهف، وانتهى إلى آخر سورة الناس، ثم رجع إلى أول المصحف، فلما أنجز تفسير سورة الفاتحة، والآيات ١-٢٦ من سورة البقرة، توفي كما قال الخطيب الشِّربيني في تفسيره «السراج المنير». وانظر حسن المحاضرة ١:٢٥٢ وشذرات الذهب ٧:٣٠٤. والظاهر أن السيوطي حذف تفسير المحلي لآيات البقرة، وكمل التفسير من أولها إلى آخر سورة الإسراء. ونحن قدمنا تفسير سورة الفاتحة إلى أول الكتاب، لمتابعة نسق المصحف الشريف. وسميت هذه الفاتحةَ لأنها يُفتتح بها القرآن الكريم في المصاحف، وتُفتتح بها تلاوة القرآن في الصلاة. والسورة: مجموعة محددة، من نص القرآن الكريم لها اسم خاص، تتضمن ثلاث آيات أو أكثر. وقال الرسول ﷺ في فضل قراءة الفاتحة: قالَ اللهُ تعالَى: قَسَمتُ الصَّلاةَ بَيني وبَينَ عَبدِي نِصفَينِ، ولِعَبدِي ما سأَلَ. فإذا قالَ العَبدُ: «الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ»، قالَ اللهُ تَعالَى: «حَمِدَني عَبدِي». وإذا قالَ: «الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، قالَ اللهُ تَعالَى: «أثنَى عَلَيَّ عَبدِي». وإذا قالَ: «مالِكِ يَومِ الدِّينِ»، قالَ: «مَجَّدَنِي عَبدِي». فإذا قالَ: «إيّاكَ نَعبُدُ وإيّاكَ نَستَعِينُ»، قالَ: «هذا بَيني وبَينَ عَبدِي، ولِعَبدِي ما سأَلَ». فإذا قالَ «اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ، صِراطَ الَّذِينَ أنعَمتَ علَيهِم، غَيرِ المَغضُوبِ علَيهِم، ولا الضّالِّينَ»، قالَ: «هذا لِعَبدِي، ولِعَبدِي ما سأَلَ». الحديث ٣٩٥ من مسلم. وقال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة، سمِّيتْ بذلك لأنها لا تصح إلّا بها. صحيح مسلم بشرح النووي ٢:٣٤١. وكون البسملة من السورة هو قراءة أهل مكة والكوفة. و«إن كانت منها» يعني: شرط كون السورة سبع آيات مقيد بملابسة البسملة. وفي أولها أي: في أول السورة. وما قبل إياك نعبد أي: الآيات ١-٤. ومناسبًا له أي: لـ «إياك نعبد» من حيث إنه خطاب العباد للمولى. ومن قول العباد أي: أنه تمجيد ودعاء على ألسنتهم حين التلاوة. **(٢)** الرحمة: العطف بالإحسان والفضل. والاسم: لفظ يطلق على الذات لتُعرف به، ويستدل به عليها. والله: لفظ الجلالة اسمٌ عَلَمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. أصله «إلاه» على وزن: فِعال، بمعنى مفعول من مصدر: أَلِهَ، أي: عُبِدَ. فهو المعبود بحق وحده. وقد حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا «إلَه»، ودخلت عليه «أل» للتزيين اللفظي والتعظيم، فحذفت همزته للتخفيف، وأدغمت اللام الأولى في الثانية، وبقيت في الرسم اصطلاحًا أيضًا. والألف المحذوفة رسمًا تفخم في اللفظ مع اللام قبلها، وإذا كان قبلهما كسر وجب ترقيقهما لفظًا، ولا تجوز الإمالة فيهما حفاظًا على التفخيم. والرحمن: أبلغ من الرحيم، لأنه يعم جميع الناس بالعطف والخير في الدنيا. والرحيم: مبالغة اسم الفاعل تخص المؤمن بالعطف والخير في الدنيا والآخرة. والحمد: ثناء اللسان والقلب بالفضيلة، على الجميل الاختياري من نعمة وخير. وجملة يعني: التركيب المكون من المبتدأ والخبر المحذوف. وقصد بها الثناء أي: إنشاء الثناء وإحداثه بالقول. وعَلَم أي: اسمٌ علمٌ خاص. والعالَم: اسم لما يُعلَم به كالخاتَم. ورب: للمبالغة في ثبوت الربوبية. ولأهله أي: لمن يكون له ويُخص به. ومِلك يوم الدين أي: المتفرد بحيازة ما يكون فيه من الحساب والجزاء دون منازع. واليوم: الوقت والزمن. والجزاء: المكافأة بالثواب والعقاب. وخُصّ أي: يوم الدين. وظاهرًا أي: متحققًا ظهوره للناس جميعًا، خلافًا لما يظهر لهم في الدنيا أحيانًا. والدليل المذكور هو في الآية ١٦ من سورة غافر. وغافر الذنب: في الآية ٣ من تلك السورة. **(٣)** نعبد: نقدس بالتوحيد ونطيع. و«نطلب منك المعونة» تفسير لـ «نستعين». والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. ويبدل منه أي: من صراط. وأنعمت: تكرمت وتفضلت. والبدل من «الذين» هو «غير»، فيه الدلالة على البيان والتوكيد. والمغضوب عليهم: عصاة الكفار سخط الله عليهم. واليهود أول وأشهر مَن وُصف بذلك. والضالّ: من خرج عن طريق الحق والخير. وأصح مَن وصف بهذا هم النصارى، إذا لم يؤمنوا برسالة الإسلام. والنكتة: الفكرة اللطيفة الدقيقة. وأفادت: أوضحت وبيّنت. ويُسَنُّ للقارئ والإمام والمؤتم، بعد نهاية الفاتحة، قولُ «آمِينَ»، أي: استجبْ يا ربّ. انظر الحديث ٧٤٧ في البخاري.



١ - [قال الإمام جلال الدين السُّيوطيّ]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا مُوافيًا لنِعمه مُكافئًا لمزيده، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وجنوده.

هـــذا ما اشتدّت إليه حاجة الراغبين، في تكملة تفسير القرآن الكريم، الذي ألّفه الإمام المحقّق جلال الدين محمّد بن أحمد المحلّيّ الشافعيّ - رحمه الله - وتتميم ما فاته - وهو من أوّل سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء» - بتتمة على نمطه، من ذكرِ ما يُفهَم به كلام الله - تعالى - والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٍ على القراءات المُختلِفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيّة وأعاريبَ محلُّها كتب العربيّة.

والله أسأل النفعَ به في الدنيا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقبى، بمَنّه وكرمه.

سورة البقرة

مدنية، وهي مِائَتان وستٌّ أو سبعٌ وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿الٓمٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ أي: هذا ﴿**الكِتَابُ**﴾ الذي يقرؤه محمّد ﴿**لا رَيبَ**﴾: لا شكّ ﴿**فيهِ**﴾ أنه من عند الله - وجملة النفي خبر، مبتدؤه «ذلك»، والإشارة به للتعظيم - ﴿**هُدًى**﴾ خبر ثانٍ أي: هادٍ ﴿**لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٢: الصائرين إلى التقوى، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لاتّقائهم بذلك النارَ. ﴿**الَّذِينَ يُؤمِنُونَ**﴾: يُصدّقون ﴿**بِالغَيبِ**﴾: بما غاب عنهم، من البعث والجنّة والنار، ﴿**ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ**﴾ أي: يأتون بها بحقوقها، ﴿**ومِمّا رَزَقْنَاهُم**﴾: أعطيناهم ﴿**يُنفِقُونَ**﴾ ٣ في طاعة الله، ﴿**والَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِما أُنزِلَ إلَيكَ**﴾ أي: القرآنِ، ﴿**وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ**﴾ أي: التوراةِ والإنجيلِ وغيرهما، ﴿**وبِالآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ**﴾ ٤: يَعلمونَ. ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿**عَلَى هُدًى مِن رَبِّهِم، وأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٥: الفائزون بالجنّة الناجون من النار.

---

(١) الموافي: المقابل للمقدار. والمكافئ: المماثل والمساوي. وفاته أي: لم يستطع القيام به لوفاته. و«من أول سورة البقرة» انظر تعليقنا على أول الصفحة ١. والنمط: الأسلوب والطريقة. والإعراب: بيان وظائف المفردات والجمل، ومعانيها النحوية، وعلاقاتها بما حولها، وما في المفردات من تغير صوتي. و«كتب العربية» أي: مصنفات النحو وأعاريب القرآن. والعقبى: عاقبة الأمر ونهايته. (٢) قيل: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، ثم ثلاث عشرة آية نزلت في المنافقين. الواحدي ص ٩١. والخلاف في عدد الآيات مصدره اختلاف الروايات في تحديد أواخر الفواصل المعروفة. و«أعلم بمراده بذلك» يعني أنه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. انظر تفسير الخازن ٢:٢٠٩. وقال الرسول ﷺ: «اقرَؤُوا القُرآنَ. فإنَّهُ يأتِي يَومَ القِيامةِ شَفِيعًا لأصحابِهِ. اقرَؤُوا الزَّهراوَينِ: البَقَرةَ وسُورةَ آلِ عِمرانَ. فإنَّهُما تأتِيانِ يَومَ القِيامةِ كأنَّهُما غَمامتانِ، أو كأنَّهُما غَيايَتانِ، أو كأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيرٍ صَوافَّ، تُحاجّانِ عَن أصحابِهِما. اقرَؤُوا سُورةَ البَقَرةِ. فإنّ أخْذَها بَرَكةٌ، وتَرْكَها حَسْرةٌ، ولا يَستَطِيعُها البَطَلَةُ». الحديث ٨٠٤ في مسلم. وانظر المسند ٥:٢٤٩ و٢٥١ و٢٥٥ والمستدرك ٢:٢٨٧. والزهراء: المنيرة بهدايتها وعظيم أجرها. والغياية: ما يُظل الإنسانَ فوق رأسه. والمراد أن ثواب السورة كالغياية. والفِرق: الجماعة. وتحاج: تدافع بثوابها وتشفع. وصواف: جمع صافة، أي: تبسط أجنحتها. ويستطيعها: يقدر عليها. والبطلة: السَّحَرة. وهو جمع باطل، أي: ساحر. والكتاب: ما يكون فيه كتابة. والمراد هنا: القرآن الكريم. ومن عند الله: أي: بأمره وقضائه، وحي منزل على لسان جبريل. وخبر أي: في محل رفع خبر. والنفي لوجود الشك يعني الثبوت المؤكّد للحقِّ والصدقِ بنزول القرآن وحيًا، وللتكليفِ بالتبليغ والدعوة. والهادي: المرشد المبيّن. والصائرون: الذين يؤول أمرهم ويتحولون من الضلالة. والتقوى: تجنب الغضب وطلب الرضا بلزوم الطاعة للأمر والنهي. وبما غاب أي: بما لا تدركه الحواس ولا العقول بالمشاهدة. والصلاة: الفريضة المكتوبة كل يوم خمس مرات. وحقوقها: ما بيّنه الشرع من الشروط والأركان والآداب. وينفق: يصرف ويبذل للواجب والمندوب والمواساة. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل. ومن قبلك أي: من قبل زمانك. والتوراة: الكتاب الذي أنزل في ألواح على موسى ﷺ. والإنجيل: الذي أنزل على عيسى ﷺ. وغيرهما أي: ما أنزل على الرسل من وحي، كآدم وشيث وإدريس وإبراهيم وداود، عليهم السلام. والآخرة: الحياة المتأخرة، تكون بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء. ويعلمون أي: يدركون إدراكًا قطعيًا ينفي الشبهة والشك. وما ذكر أي: في الآيات ٢-٤. والهدى: الرشاد إلى الحق وخير الدنيا والآخرة. ومن ربهم أي: من عنده بفضله وكرمه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

١ - ﴿**إنّ الّذِينَ كَفَرُوا**﴾، كأبي جهل وأبي لهب ونحوِهما، ﴿**سَواءٌ عليهِم أأنذرتَهُم**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأخرى، وتركِه - ﴿**أم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٦ لعِلم الله منهم ذلك. فلا تطمع في إيمانهم. والإنذار: إعلام مع تخويف. ﴿**خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِم**﴾: طبعَ عليها واستوثق فلا يدخلها خير، ﴿**وعلَى سَمعِهِم**﴾ أي: مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحقّ، ﴿**وعلَى أبصارِهِم غِشاوةٌ**﴾: غِطاء فلا يُبصرون الحقّ، ﴿**ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ٧: قويّ دائم.

٢ - ونزل في المنافقين: ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا باللهِ وباليَومِ الآخِرِ**﴾ أي: يوم القيامة لأنه آخِرُ الأيام، ﴿**وما هُم بمُؤمِنِينَ**﴾ ٨. رُوعيَ فيه معنى «مَن»، وفي ضمير «يقول» لفظُها، ﴿**يُخادِعُونَ اللهَ والّذِينَ آمَنُوا**﴾، بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيويّة، ﴿**وما يُخادِعُونَ إلّا أنفُسَهُم**﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم، فيَفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقَبون في الآخرة، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ ٩: يَعلَمُون أنّ خِداعهم لأنفسهم. والمُخادَعة هنا من واحد، كعاقَبتُ اللصَّ. وذكرُ الله فيها تحسينٌ. وفي قراءة: «وما يَخدَعُونَ». ﴿**في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: شكٌّ ونِفاق، فهو يُمرِض قلوبهم أي: يُضعِفها، ﴿**فزادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به، ﴿**ولَهُم عَذابٌ أليمٌ**﴾: مؤلم، ﴿**بِما كانُوا يُكَذِّبُونَ**﴾ ١٠ بالتشديد أي نبيَّ الله، وبالتخفيف أي: في قولهم: آمنّا.

٣ - ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم**﴾ أي: لهؤلاء: ﴿**لا تُفسِدُوا في الأرضِ**﴾، بالكفر والتعويق عن الإيمان، ﴿**قالُوا: إنّما نَحنُ مُصلِحُونَ**﴾ ١١، وليس ما نحن عليه بفساد - قال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿**ألا**﴾ للتنبيه ﴿**إنّهُم هُمُ المُفسِدُونَ، ولٰكِنْ لا يَشعُرُونَ**﴾ ١٢ بذلك - ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا كما آمَنَ النّاسُ**﴾ أي: أصحابُ النبيّ ﴿**قالُوا: أنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ**﴾: الجُهّال؟ أي: لا نفعل كفعلهم - قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿**ألا إنّهُم هُمُ السُّفَهاءُ، ولٰكِنْ لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٣ ذلك - ﴿**وإذا لَقُوا**﴾ أصله «لَقِيُوا» حُذفَتِ الضمة للاستثقال، ثم الياء لالتقائها ساكنةً مع الواو، ﴿**الّذِينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا، وإذا خَلَوا**﴾ منهم ورجَعوا ﴿**إلَى شَياطِينِهِم**﴾: رؤسائهم ﴿**قالُوا: إنّا مَعَكُم**﴾ في الدِّين، ﴿**إنّما نَحنُ مُستَهزِئُونَ**﴾ ١٤ بهم بإظهار الإيمان.

٤ - ﴿**اللهُ يَستَهزِئُ بِهِم**﴾: يُجازيهم باستهزائهم، ﴿**ويَمُدُّهُم**﴾: يُمهِلهم ﴿**في طُغيانِهِم**﴾: تجاوزِهم الحدَّ بالكفر، ﴿**يَعمَهُونَ**﴾ ١٥: يتردّدون تحيّرًا، حالٌ. ﴿**أُولٰئِكَ الّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالةَ بالهُدَى**﴾ أي: استبدلوها به، ﴿**فما رَبِحَتْ تِجارتُهُم**﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسروا، لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، ﴿**وما كانُوا مُهتَدِينَ**﴾ ١٦ فيما فعلوا.

---

(١) كفر: كذّب الله ورسوله. وأبو جهل: عمرو بن هشام المخزومي. وأبو لهب: انظر الآية ١ من سورة المسد. والسواء: المستوي. وبإبدال الثانية يريد القراءة «آنذَرتَهُم». وتسهيلها: جعلها بين الهمزة والهاء، يريد القراءة «أآنذَرتَهُم». وبإدخال ألف يريد القراءة «آأنذَرتَهُم». ويؤمن: يصدّق الله ورسوله. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ والجسم كله بماء الحياة صافيًا. وطبع عليها أي: أغلقها وسدّ منافذها. والسمع: قدرة الإنسان على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع البصر. وهو نور العين التي تُدرك المرئيات. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة.

(٢) آمن: صدّق متيقنًا. واليوم: الزمن. ومعنى مَن أي: معنى الجمع فيها. ولفظها أي: دلالة لفظها على الإفراد. ويخادعون الله أي: يكيدون لرسوله ولدينه ويحتالون في الخفاء. والأنفس: جمع النفس، أي: شخص الإنسان وحقيقته وذاته. والوبال: العذاب وعاقبة الأمر. ويشعر: يحس. ويعلمون أي: ما يعلمون. ومن واحد: يعني أن «يخادع»: معناه «يَخدع» وليس فيه معنى المشاركة. وبالتخفيف يريد القراءة «يَكْذِبُونَ» أي: يختلقون الكذب وادّعاء الإيمان.

(٣) تُفسدُ: تسيء وتشيع الشر والضرر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمصلح: من يزيل الفساد والشر والأذى. وآمنوا أي: أيقنوا بالتوحيد والبعث. والسفهاء: جمع سفيه. ويعلم: يدرك ويعي. وذلك أي: كونهم هم السفهاء. ولقوهم: صادفوهم وقابلوهم. وخلوا: انفردوا وتخلصوا. والشياطين: جمع شيطان. وهو هنا الإنسي يوسوس بالشر ويغري به. والمستهزئ: المغرق في السخرية من الآخرين. والظاهر أن الاستهزاء هنا موجه إلى المؤمنين واليهود معًا.

(٤) الضلالة: الكفر والخروج عن طريق الحق. والهدى: الإيمان والرشاد إلى الحق. وربحت: كَسَبت وجلبت الخير والنفع. والتجارة: الصفقة التي يتابعونها بالنفاق طلبًا للنجاة والكسب. والمهتدي: المسترشد إلى الصواب والحق. وفيما فعلوا أي: المخادعة والإفساد والاستهزاء.

الجزء الأول — سورة البقرة

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١- ﴿**مَثَلُهُم**﴾: صِفتهم، في نِفاقهم، ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي استَوقَدَ**﴾: أوقد ﴿**نارًا**﴾ في ظُلمة، ﴿**فلَمّا أضاءَتْ**﴾: أنارتْ ﴿**ما حَولَهُ**﴾ فأبصر واستدفأ وأمِنَ ما يخافه ﴿**ذَهَبَ اللهُ بنُورِهِم**﴾: أطفأه - وجُمِع الضمير مُراعاةً لمعنى «الذي» - ﴿**وتَرَكَهُم في ظُلُماتٍ لا يُبصِرُونَ**﴾ ١٧ ما حولهم، مُتحيّرينَ عن الطريق خائفين. فكذلك هؤلاء، أمِنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. هم ﴿**صُمٌّ**﴾ عن الحقّ فلا يسمعونه سماع قَبول، ﴿**بُكْمٌ**﴾: خُرسٌ عن الخير فلا يقولونه، ﴿**عُمْيٌ**﴾ عن طريق الهُدى فلا يرونه، ﴿**فهُم لا يَرجِعُونَ**﴾ ١٨ عن الضلالة.

٢- ﴿**أو**﴾ مَثلُهم ﴿**كَصَيِّبٍ**﴾ أي: كأصحاب مطر. وأصله «صَيْوِبٌ» من: صابَ يصوبُ، أي: ينزل ﴿**مِنَ السَّماءِ**﴾: السحابِ، ﴿**فِيهِ**﴾ أي: السحابِ ﴿**ظُلُماتٌ**﴾ بتكاثُفه ﴿**ورَعدٌ**﴾ هو المَلَكُ الموكَّل به، وقيل صوتُه، ﴿**وبَرقٌ**﴾: لَمَعانُ صوته الذي يَزجره به، ﴿**يَجعَلُونَ**﴾ أي: أصحابُ الصيِّب ﴿**أصابِعَهُم**﴾ أي: أناملَها ﴿**في آذانِهِم، مِنَ**﴾ أجلِ ﴿**الصَّواعِقِ**﴾: شِدّةِ صوت الرعد لئلّا يسمعوها، ﴿**حَذَرَ**﴾: خوفَ ﴿**المَوتِ**﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء، إذا نزل القرآن وفيه ذِكرُ الكُفرِ المُشبَّه بالظلمات، والوعيدُ عليه المُشبَّه بالرعد، والحُجَجُ البيّنة المشبَّهة بالبرق، يسدّون آذانهم لئلّا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم. وهو عندهم موت. ﴿**واللهُ مُحِيطٌ بِالكافِرِينَ**﴾ ١٩ عِلمًا وقُدرة، فلا يفوتونه. ﴿**يَكادُ**﴾: يقرُبُ ﴿**البَرقُ يَخطَفُ أبصارَهُم**﴾: يأخذها بسرعة، ﴿**كُلَّما أضاءَ لَهُم مَشَوا فِيهِ**﴾ أي: في ضوئه، ﴿**وإذا أظلَمَ علَيهِم قامُوا**﴾ وقفوا. تمثيلٌ لإزعاجِ ما في القرآن من الحُجج قلوبَهم، وتصديقِهم بما سمعوا فيه ممّا يُحبّون، ووقوفِهم عمّا يكرهون. ﴿**ولَو شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسمعِهِم**﴾ بمعنى أسماعِهم، ﴿**وأبصارِهِم**﴾ الظاهرةِ كما ذهب بالباطنة. ﴿**إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ**﴾ شاءه ﴿**قَدِيرٌ**﴾ ٢٠، ومنه إذهابُ ما ذُكر.

٣- ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾: أي أهلَ مكّةَ، ﴿**اعبُدُوا**﴾: وحّدوا ﴿**رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم**﴾: أنشأكم ولم تكونوا شيئًا، ﴿**و**﴾ خلق ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِكُم، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ ٢١ بعبادته عقابَه - و«لعلّ» في الأصل للترجّي، وفي كلامه تعالى للتحقيق - ﴿**الَّذِي جَعَلَ**﴾: خلق ﴿**لكُمُ الأرضَ فِراشًا**﴾ حالٌ: بِساطًا يُفترش، لا غايةً في الصلابة أو الليونة فلا يُمكنَ الاستقرارُ عليها، ﴿**والسَّماءَ بناءً**﴾: سقفًا، ﴿**وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجَ بِهِ مِنَ**﴾ أنواع ﴿**الثَّمراتِ رِزقًا لَكُم**﴾ تأكلونه وتَعلِفون به دوابّكم. ﴿**فلا تَجعَلُوا لِلهِ أندادًا**﴾: شُركاءَ في العبادة، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٢٢ أنه الخالق ولا يَخلقون، ولا يكون إلَهًا إلّا من يَخلق.

٤- ﴿**وإن كُنتُم في رَيبٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِمّا نَزَّلْنا علَى عَبدِنا**﴾ محمّد من القرآن، أنه من عند الله، ﴿**فاتُوا بِسُورةٍ مِن مِثلِهِ**﴾ أي: المُنزَّلِ، و«مِن» للبيان أي: هي مِثلُه في البلاغة وحُسن النظم والإخبار عن الغيب - والسورة: قِطعة لها أوّل وآخِر أَقلّها ثلاث آيات - ﴿**وادعُوا شُهَداءَكُم**﴾: آلهتكم التي تعبدونها ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه لتُعينكم، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٢٣، في أنّ محمّدًا قاله من عِند نفسه، فافعلوا ذلك. فإنكم عربيّون فُصحاء مثلُه. ولَمّا عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿**فإن لَم تَفعَلُوا**﴾ ما ذُكر لعجزكم - ﴿**ولَن تَفعَلُوا**﴾ ذلك أبدًا لظهور إعجازه، اعتراضٌ - ﴿**فاتَّقُوا**﴾ بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر، ﴿**النّارَ الَّتِي وَقُودُها النّاسُ**﴾: الكفّار ﴿**والحِجارةُ**﴾ كأصنامهم منها. يعني أنها مُفرطة الحرارة تتّقد بما ذُكر، لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه. ﴿**أُعِدَّتْ**﴾: هُيّئتْ ﴿**لِلكافِرِينَ**﴾ ٢٤ يُعذَّبون بها. جملة مُستأنفة أو حال لازمة.

---

(١) ترك: جعل. والظُّلْمة: السواد الشديد. ويبصر: يرى. وأمِنوا أي: من القتل والإهانة. والصم: جمع أصمّ. وهو الذي فقَدَ حاسة السمع. والبكم: جمع أبكم. وهو الذي لا يستطيع الكلام. والعمي: جمع أعمى. وهو الذي فقَدَ البصر. ويرجع: يعود. **(٢)** مثلهم أي: صفة المنافقين. والصيب: المطر. وتفسير الرعد والبرق مستفاد من الحديث ٣١١٦ في الترمذي، وهو حديث غريب. والمعروف أن سببهما اضطراب أجزاء السحاب واصطكاكها. ويجعلون: يضعون. والأصابع: جمع إصبع. والآذان: جمع أذن. والصواعق: جمع صاعقة، أي: الصيحة الشديدة من صوت الرعد، يكون معها قطعة من النار. والموت: مفارقة الروح للجسد. ومحيط أي: محدق من جميع الجهات، عالمٌ العِلمَ الكامل، وقادر على القهر والانتقام. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وأضاء لهم: أظهر لهم الطريقَ وما حوله. وتمثيل: تصوير وتقريب في الآيتين. وشاء أي: أراد أن يذهب بأسماعهم وأبصارهم. وذهب به أي: أذهبه وأعدمه. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والقدير: ذو القدرة البالغة بذاته دون معين أو منازع. **(٣)** أهل مكة أي: وغيرهم من المكلفين. وتتقون: تجتنبون. والتحقيق: وجوب حصول الوقاية من العقاب. والفراش: ما يفرش ويمهد. والسماء: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. وأنزل: أسقط. والسماء الثاني مراد به السحاب. والثمر: ما ينعقد من زهر النبات. والرزق: ما يهيأ للخلق من حاجات المعيشة. وتجعل: تصيّر. والأنداد: جمع ندّ. وتعلم: تدرك وتعي. **(٤)** ائتوا بها: أحضروها. والمثل: الشبيه المضاهي. وادعوهم: نادوهم مستعينين بهم. والشهداء: جمع شهيد. وهو الناصر القائم بالشهادة. والصادق: من يقول الحق. وتفعلوا: تصنعوا وتُنجزوا. واتقوا: تجنبوا واكفوا أنفسكم. والنار: نار جهنم. والوقود: ما توقد به النار. والكافر: من كذّب الله ورسوله.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥)
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٦) ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٢٧)
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

ربع الحزب ١

١- ﴿**وبَشِّرِ**﴾: أخبِرِ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: صَدَّقوا بالله، ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ من الفُروض والنوافل ﴿**أَنَّ**﴾ أي: بأنّ ﴿**لَهُم جَنّاتٍ**﴾: حدائقَ ذاتَ شجرٍ ومساكن، ﴿**تجري مِن تحتها**﴾ أي: من تحتِ أشجارها وقُصورها ﴿**الأنهارُ**﴾ أي: المِياهُ فيها - والنهر: الموضع الذي يجري فيه الماء، لأنّ الماء يَنهَره أي يَحفِره. وإسناد الجري إليه مَجاز - ﴿**كُلَّما رُزِقُوا مِنها**﴾: أُطعِموا من تلك الجنّات، ﴿**مِن ثَمَرةٍ رِزقًا قالُوا: هٰذا الَّذي**﴾ أي: مثلُ ما ﴿**رُزِقْنا مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَه في الجنّة، لتشابه ثمارها بقرينةِ ﴿**وأُتُوا بِهِ**﴾ أي: جِيئوا بالرزق ﴿**مُتَشابِهًا**﴾: يُشبه بعضُه بعضًا لونًا ويَختلف طعمًا، ﴿**ولَهُم فِيها أزْواجٌ**﴾، من الحُور وغيرِها، ﴿**مُطَهَّرَةٌ**﴾ من الحيض وكلّ قذر، ﴿**وهُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢٥: ماكثون أبدًا لا يَفنَون ولا يخرجون.

٢- ونزل ردًّا لقول اليهود، لمّا ضربَ اللهُ المَثَلَ بالذبابِ في قوله: «وإنْ يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا»، والعنكبوتِ في قوله: «كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ»: «ما أراد اللهُ بذِكر هذه الأشياء الخسيسة»؟: ﴿**إنَّ اللهَ لا يَستَحْيِي أن يَضرِبَ**﴾: يَجعلَ ﴿**مَثَلًا**﴾: مفعول أوّل ﴿**ما**﴾: نكرةٌ موصوفة بما بعدها، مفعولٌ ثان أيْ: أيَّ مثلٍ كان، أو زائدةٌ لتأكيد الخِسّة، فما بعدها المفعول الثاني، ﴿**بَعُوضَةً**﴾: مفرد البعوض وهو صغار البقّ، ﴿**فما فَوقَها**﴾ أي: أكبرَ منها، أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحِكَم.

٣- ﴿**فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا فيَعلَمُونَ أنَّهُ**﴾ أي: المَثَلَ ﴿**الحَقُّ**﴾: الثابتُ الواقعُ موقعَه ﴿**مِن رَبِّهِم، وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ: ماذا أرادَ اللهُ بِهٰذا مَثَلًا**﴾؟ تمييزٌ أي: بهذا المَثَل. وما: استفهامُ إنكارٍ مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصلته خبرُه. أيْ: أيُّ فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: ﴿**يُضِلُّ بِهِ**﴾ أي: بهذا المَثَلِ ﴿**كَثِيرًا**﴾ عن الحقّ لكفرهم بهِ، ﴿**ويَهدِي بِهِ كَثِيرًا**﴾ من المؤمنين لتصديقهم به، ﴿**وما يُضِلُّ بِهِ إلّا الفاسِقِينَ**﴾ ٢٦: الخارجين عن طَاعته، ﴿**الَّذِينَ**﴾: نعتٌ ﴿**يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ**﴾: ما عَهِدَه إليهم في الكتب من الإيمان بمحمّد، ﴿**مِن بَعدِ مِيثاقِهِ**﴾: توكيدِه عليهم، ﴿**ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ**﴾، من الإيمانِ بالنبيّ والرَّحِم وغير ذلك - وأن: بدل من ضمير «به» - ﴿**ويُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان. ﴿**أُولٰئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكِر ﴿**هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ٢٧، لمصيرهم إلى النّار المؤبّدة عليهم.

٤- ﴿**كَيفَ تَكفُرُونَ**﴾ - يا أهلَ مكّةَ - ﴿**باللهِ، و**﴾ قد ﴿**كُنتُم أمْواتًا**﴾: نُطَفًا في الأصلاب، ﴿**فأحياكُم**﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم - والاستفهام: للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان، أو للتوبيخ - ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُم**﴾ بالبعث، ﴿**ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٢٨: تُردّون بعد البعث، فيُجازيكم بأعمالكم؟ وقال دليلًا على البعث، لمّا أنكروه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم ما في الأرضِ**﴾ أي: الأرضَ وما فيها ﴿**جَمِيعًا**﴾، لتنتفعوا به وتعتبروا، ﴿**ثُمَّ استَوَى**﴾ بعد خلق الأرض أي: قَصَدَ ﴿**إلَى السَّماءِ فسَوّاهُنَّ**﴾، الضميرُ يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلةِ إليه، أي: صيَّرَها كما في آية أُخرى «فقَضاهُنَّ» ﴿**سَبعَ سَماواتٍ. وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٢٩، مُجمَلًا ومُفصَّلًا. أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً - وهو أعظم منكم - قادر على إعادتكم؟

---

(١) البشارة: الإخبار بما يَسرّ. والصالحات: جمع صالح. وهوالعمل يرضاه الله. وجعله علماء السلف شرطًا في كمال الإيمان. فتح الباري ١: ٦١-٦٣. وتجري: تسيل وتتدفق. والأنهار: جمع نهر. والماء أي: والعسل واللبن والخمر. و«في الجنة» يعني أنهم يظنون ما يتناولونه شبيهًا بما نالوه في الجنة قبل، ثم يتبين لهم أنه يخالفه في الطعم واللذة. والأزواج: جمع زوج. وهو الزوجة. والمطهرة: المنظفة المنزهة. والطهارة: النظافة الكاملة وصفاء النفس مع الخلق الكريم.

(٢) الآيتان المذكورتان أولاهما هي ٧٣ من سورة الحج، والثانية هي ٤١ من سورة العنكبوت. ويستحيي أي: استحياءً يليق بجلاله وعظمته، فيترك ويهمل. والمَثَل: الأمر العجيب يذكر لبيان ما يقتضيه من الوقائع المهمة. وما بعدها يعني: بعوضة.

(٣) يعلم: يدرك ويعتقد. والواقع موقعه أي: ليس هو عبثًا، بل مشتمل على الحِكَم والأسرار والفوائد. ومن ربهم أي: من عنده وبأمره. وأراد: قصد وعنى. والإنكار: النفي. فهم يزعمون أنه لا فائدة في هذا المثل، لينكروا أنه من وحي الله تعالى. وينقض: يبطل ويفسخ. وعهده إليهم أي: أمرهم به وكلفهم. ويقطع: يفصل ويترك. وأمر: أوجب وفرض. ويوصَل: يُتّبع ويُفعل. والمراد بالرحم وصل القرابة بالإحسان والمواساة والبر. وبدل: يعني أن المصدر المؤول من «أن» وما بعدها في محل جر بدل. والمعنى: ما أمر الله بوصله. ويفسد: يشيع الشر والباطل. والخاسر: الذي ضيع ما كان يؤمله من خير وربح.

(٤) تكفر به: تنكر توحيده ورسالته. ويا أهل مكة أي: ومن كان مثلهم من الكافرين. والنطف: جمع نطفة. وهي القطرة الدقيقة من ماء الرجل، يخرج بشهوة. والأصلاب: جمع صلب، أي: العمود الفقري وما يحيط به. ويميتكم: يزيل أرواحكم من الأجساد. ويحييكم: يردّ أرواحكم إلى أجسادها. وإليه أي: إلى لقاء حسابه. وخلق: أوجد من العدم، أي: أراد الخلق وقضاه. وقصد أي: بقضائه وإرادته. وهو تأويل للمعنى لا تفسير. وفي التلخيص: «استواء يليق بعظمته وجلاله»، أي: من دون بيان لدلالته الحقيقية، بتكييف أو تمثيل أو تحديد أو تعطيل. والآية المشار إليها هي ذات الرقم ١٢ من سورة فصلت. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وتعتبرون أي: تتعظون فتؤمنون.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
(٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
(٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥)
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)

١ - ﴿و﴾ اذكرْ - يا محمّد - ﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفةً﴾ يَخلِفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم. ﴿قالُوا: أتجعَلُ فِيها مَن يُفسِدُ فِيها﴾ بالمعاصي، ﴿ويَسفِكُ الدِّماءَ﴾: يُريقها بالقتل، كما فعلَ بنو الجانّ وكانوا فيها؟ فلمّا أفسدوا أرسلَ اللهُ عليهم الملائكة، فطردوهم إلى الجزائر والجبال، ﴿ونَحنُ نُسَبِّحُ﴾ مُلتبِسينَ ﴿بِحَمدِكَ﴾ أي نقول: سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، ﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾: نُنزِّهُكَ عمّا لا يليق بك؟ فاللام زائدة، والجملة حال. أي: فنحن أحقّ بالاستخلاف. ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿إنِّيَ أعلَمُ ما لا تَعلَمُونَ﴾ ٣٠ من المصلحة، في استخلاف آدمَ وأن ذُرّيّته فيهم المطيعُ والعاصي، فيَظهرُ العدل بينهم. فقالوا: لن يَخلق ربّنا خلقًا أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ، لِسبقِنا له ورؤيتنا ما لم يَره. فخلقَ الله - تعالى - آدمَ من أديم الأرض أي وجهها، بأن قبضَ منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجنتْ بالمياه المختلفة، وسَوّاهُ ونفخَ فيه الروح، فصار حيوانًا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا.

٢ - ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ﴾ أي: أسماءَ المُسمَّيات ﴿كُلَّها﴾ حتى القصعةَ والقُصيعةَ والفسوةَ والفُسيّةَ، بأن ألقى في قلبهِ عِلمها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُم﴾ أي: المُسمّياتِ - وفيه تغليب العقلاء - ﴿علَى المَلائكةِ، فقالَ﴾ لهم تبكيتًا: ﴿أنبِئُوني﴾: أخبروني ﴿بِأسماءِ هٰؤُلاءِ﴾ المُسمّيات، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ٣١ في أنّي لا أخلقُ أعلمَ منكم، أو أنكم أحقّ بالخلافة. وجواب الشرط دلَّ عليه ما قبله. ﴿قالُوا: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لكَ عن الاعتراض عليك! ﴿لا عِلمَ لَنا إلّا ما عَلَّمْتَنا﴾ إيّاه. ﴿إنَّكَ أنتَ﴾: تأكيدٌ للكاف ﴿العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ ٣٢: الذي لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته. ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا آدَمُ، أنبِئْهُم﴾ أي: الملائكةَ ﴿بِأسمائِهِم﴾ أي: المُسمّيات. فسَمّى كلّ شيء باسمه، وذكر حكمته التي خُلِق لها. ﴿فلَمّا أنبَأَهُم بِأسمائِهِم قالَ﴾ تعالى لهم موبّخًا: ﴿ألَم أقُلْ لَكُم: إنِّيَ أعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ﴾: ما غاب فيهما، ﴿وأعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهرون من قولكم «أتجعَلُ فِيها» إلى آخره، ﴿وما كُنتُم تكتُمُونَ﴾ ٣٣: تُسِرّون من قولكم «لن يَخلقَ [ربُّنا] أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ»؟

٣- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجودَ تحيّةٍ بالانحناء. ﴿فَسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿أبَى﴾: امتنعَ عن السجود، ﴿واستَكبَرَ﴾: تكبّرَ عنه وقال: «أنا خَيرٌ مِنهُ»، ﴿وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ ٣٤ في علم الله، ﴿وقُلنا: يا آدَمُ، اسكُنْ أنتَ﴾: تأكيدٌ للضمير المستتر، لِيُعطَفَ عليه ﴿وزَوجُكَ﴾ حوّاءُ بالمدّ - وكان خلقها من ضِلَعِه الأيسر - ﴿الجَنَّةَ، وكُلا مِنها﴾ أكلًا ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا لا حَجْرَ فيه، ﴿حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها - وهي الحِنطة أو الكَرْم أو غيرهما - ﴿فتَكُونا﴾: فتَصيرا ﴿مِنَ الظّالِمِينَ﴾ ٣٥: العاصِينَ. ﴿فأزَلَّهُما الشَّيطانُ﴾: إبليسُ أذهبَهما - وفي قراءة «فأزالَهُما»: نَحّاهما - ﴿عَنها﴾ أي: الجنّةِ، بأن قال لهما: «هَل أدُلُّكُما على شَجَرةِ الخُلدِ»؟ وقاسَمَهما بالله إنه لهما لمن النّاصحين. فأكلا منها، ﴿فأخرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ﴾ من النعيم، ﴿وقُلنا: اهبِطُوا﴾ إلى الأرض أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذرّيّتكما، ﴿بَعضُكُم﴾: بعض الذرّيّة ﴿لِبَعضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظلم بعضهم بعضًا، ﴿ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ﴾: موضع قرار، ﴿ومَتاعٌ﴾: ما تتمتّعون به من نباتها ﴿إلَى حِينٍ﴾ ٣٦: وقتِ انقضاء آجالكم. ﴿فتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾، ألهمه إيّاها. وفي قراءة بنصب «آدَمَ» ورفع «كلماتٌ» أي: جاءه - وهي «رَبَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا» الآية، فدعا بها ﴿فتابَ علَيهِ﴾: قَبِلَ توبتَه. ﴿إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ﴾ على عباده، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٣٧ بهم.

---

(١) الملائكة: مخلوقون من نور. والمفرد مَلَكٌ. وجاعل أي: خالق ومصور. ويفسد: ينشر الاضطراب والشر. والدماء: جمع دم. والجزائر أي: جُزُر البحار. وذكر الجان هنا هو رجم بالغيب لبعض المفسرين بلا دليل علمي. ونسبّح أي: نستبعد عنك ما لا يليق بك. والحمد: ثناء اللسان والقلب بالفضيلة على الإحسان. وأعلم: أُحِيطُ بكل شيء بالغَ الإحاطة. وتعلمون أي: تعرفونه. وقالوا أي: سرًّا بينهم. انظر الآية ٢٣. والألوان: جمع لون. وهو الشكل والهيئة، أي: النوع. والحيوان: ما فيه روح وحياة. انظر تفسير الآية ٧٥ من سورة المائدة. والجماد: ما لا حياة فيه. (٢) علّمه أي: خلق فيه القدرة على ابتكار اللغة. وآدم: أبو البشر. والأُدمة: السُّمرة. والأسماء: جمع اسم، أي: ما يطلق على الأشياء والكلمات، من اسم وفعل وحرف. وألقى في قلبه أي: خلق فيه الفطرة، بما وهبه من ملَكة الكلام، لا ما ذكر من تفصيلات الأسماء وألفاظها. انظر البحر ١:١٤٦. وعرضهم: أطلع الملائكة عليهم. والصادق: من يقول الحق. والعلم: المعرفة. والحكمة: الإتقان للفعل مع المنع للخروج عن الإرادة. وقولكم يعني: ما ذكر في تفسير الآية ٣٠. وزيادة «ربنا» تتمة من ذلك القول. (٣) التحية: الاحترام. والجن: مخلوقات من النار، منهم الشياطين، ومنهم المؤمنون. وإبليس ليس أبا الجن، وهو أب لشياطين الجنّ فقط. انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. والكافر: العاصي لأمر الله عمدًا. وعليه أي: على الضمير المستتر في «اسكن». والزوج: الزوجة. وخلقُ حواء من ضلع آدم قولٌ مرجوح. انظر «المفصل» وتعليقنا على تفسير الآية ١ من سورة النساء. والجنة: الحديقة العظيمة. والحجْر: المنع والتضييق. وتعيين نوع الشجرة أمر غيبي يحتاج إلى خبر يقين. فلا حاجة إلى التعرض له. وأزلّه: أزلقه وأبعده. و«أدلكما» هو خلاف ما في الآية ١٢٠ من سورة طه. فالخطاب فيها لآدم وحده. وقاسمهما: أقسم لهما. واهبط: انزل. والعدو: المعادي. ومن نباتها أي: وغير ذلك من المخلوقات. وتلقى: تلقن وتقبل. وجاءه أي: وصل إليه إلهامًا. والآية هي ذات الرقم ٢٣ من سورة الأعراف. فالدعاء بها كان من آدم وحواء. وعليه أي: وعلى حواء أيضًا. وإنه أي: الله تعالى. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

الجزء الأول — سورة البقرة

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

١- ﴿**قُلنا: اهبِطُوا مِنها**﴾: من الجنّة ﴿**جَمِيعًا**﴾. كرّره ليُعطف عليه: ﴿**فإمّا**﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطيةِ في «ما» المزيدة ﴿**يأتِيَنَّكُم مِنّي هُدًى**﴾: كتاب ورسول ﴿**فمَن تَبِعَ هُدايَ**﴾، فآمن بي وعمل بطاعتي، ﴿**فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٣٨ في الآخِرة، بأن يدخلوا الجنّة، ﴿**والّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا**﴾: كُتُبِنا ﴿**أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٣٩: ماكثون أبدًا، لا يَفنَون ولا يخرجون.

٢- ﴿**يا بَنِي إسرائيلَ**﴾: أولادَ يعقوبَ، ﴿**اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ علَيكُم**﴾ أي: على آبائكم، من الإنجاءِ من فرعونَ وفلقِ البحر وتظليلِ الغمام وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي، ﴿**وأَوفُوا بِعَهدِيَ**﴾ الذي عَهِدته إليكم من الإيمان بمحمّد، ﴿**أُوفِ بِعَهدِكُم**﴾ الذي عَهِدته إليكم، من الثواب عليه بدخول الجنّة، ﴿**وإيّايَ فارهَبُونِ**﴾ ٤٠: خافُونِ في ترك الوفاء به، دون غيري. ﴿**وآمِنُوا بِما أَنزلتُ**﴾ من القرآن، ﴿**مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم**﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوّة، ﴿**ولا تَكُونُوا أوَّلَ كافِرٍ بِهِ**﴾ من أهل الكتابِ لأنّ خَلَفَكم تبعٌ لكم فإثمهم عليكم، ﴿**ولا تَشتَرُوا**﴾ تستبدلوا ﴿**بِآياتي**﴾ التي في كتابكم من نعت محمّد ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ عِوَضًا يسيرًا من الدنيا. أي: لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سِفْلتكم، ﴿**وإيّايَ فاتَّقُونِ**﴾ ٤١: خافُونِ في ذلك دون غيري، ﴿**ولا تَلبِسُوا**﴾: تخلطوا ﴿**الحَقَّ**﴾ الذي أنزلتُ عليكم، ﴿**بِالباطِلِ**﴾ الذي تغيّرونه، ﴿**و**﴾ لا ﴿**تكتُمُوا الحَقَّ**﴾: نعتَ محمّد، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٤٢ أنه الحقّ، ﴿**وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ، واركَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ**﴾ ٤٣: صلُّوا مع المُصلّين، محمّدٍ وأصحابه.

نصف الحزب ١

٣- ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: «اثبُتُوا على دين محمّد فإنه حقّ»: ﴿**أتأمُرُونَ النّاسَ بِالبِرِّ**﴾: بالإيمان بمحمّد، ﴿**وتَنسَونَ أنفُسَكُم**﴾: تتركونها فلا تأمرونها به، ﴿**وأنتُم تَتلُونَ الكِتابَ**﴾: التوراةَ، وفيها الوعيد على مُخالفة القول العملَ؟ ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ٤٣ سُوءَ فِعلكم فترجعون؟ فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاريّ. ﴿**واستَعِينُوا**﴾: اطلبوا المعونة على أموركم ﴿**بِالصَّبرِ**﴾: الحبسِ للنفس على ما تكره، ﴿**والصَّلاةِ**﴾ أفردها بالذكر تعظيمًا لشأنها. وفي الحديث «كانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادَرَ إلى الصّلاةِ». وقيل: الخطاب لليهود لَمّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحبّ الرياسة فأُمروا بالصبرِ، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاةِ لأنها تُورث الخشوع وتَنفي الكِبْرَ. ﴿**وإنَّها**﴾ أي: الصلاةَ ﴿**لَكَبِيرةٌ**﴾: ثقيلة ﴿**إلّا علَى الخاشِعِينَ**﴾ ٤٥: الساكنين إلى الطاعة، ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ**﴾: يُوقنون ﴿**أنَّهُم مُلاقُو رَبِّهِم**﴾ بالبعث، ﴿**وأنَّهُم إلَيهِ راجِعُونَ**﴾ ٤٦ في الآخرة فيُجازيهم.

٤- ﴿**يا بَنِي إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أنعَمتُ علَيكُم**﴾ بالشكر عليها بطاعتي، ﴿**وأنِّي فَضَّلتُكُم**﴾ أي: آباءكم ﴿**علَى العالَمِينَ**﴾ ٤٧: عالَمِي زمانهم، ﴿**واتَّقُوا**﴾: خافوا ﴿**يَومًا، لا تَجزِي**﴾ فيه ﴿**نَفسٌ عَن نَفسٍ شَيئًا**﴾ - هو يوم القيامة - ﴿**ولا تُقبَلُ**﴾، بالتاءِ والياءِ، ﴿**مِنها شَفاعةٌ**﴾ أي: ليس لها شفاعة فتُقبلَ، «فما لَنا مِن شافِعينَ»، ﴿**ولا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ**﴾: فِداء، ﴿**ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾ ٤٨: يُمنعون من عذاب الله.

---

(١) جميعًا أي: مجتمعين. والمزيدة أي: لتوكيد معنى الفعل. ويأتيكم أي: يجيئكم ويصل إليكم. ومني أي: من عندي وبأمري. وتبعه: وافقه واستجاب له. والخوف: الفزع من مكروه سيكون. ويحزن: يغتم لضياع ما يرغب فيه. أي: انتفى عنهم الخوف والحزن، بدخول الجنة. وكفر: أنكر الرسالة والتوحيد والبعث. وكذّب بها: جحدها ولم يصدقها. والأصحاب: جمع صاحب، أي: المقارن للشيء يلازمه. والنار: نار جهنم. (٢) البنون: الذرية من الذكور والإناث. وإسرائيل: لقب ليعقوب بن إسحاق، معناه: عبد الله. واذكروها أي: استحضروها بالقلوب والألسنة والأعمال. والنعمة: التفضل بالخير. وأوفوا به أي: أدّوه كاملًا وافيًا كما يجب. وعهدي أي: ما كلفتكم به وآمنتم به في التوراة. وعهدكم: ما وعدتكم به جزاء الإيمان والعمل. وآمنوا به أي: ثقوا أنه حق يقيني. وأنزلت أي: أوحيته على لسان جبريل. والمصدق: المثبِت المحقِّق. والتوراة أي: والإنجيل. والسفلة: الأدنياء والأراذل، جمع سَفِيل. والحق: الشيء الثابت لا شك فيه. والباطل: ما لا أصل له ولاثبات عند الاختبار. وتغيرونه أي: تضعونه بدلًا من كلام الله تعالى. وتكتم: تخفي. وتعلم: تدرك باليقين. وأقيموها: أدُّوها بشروطها وأركانها وآدابها. والصلاة: العبادة المكتوبة خمس مرات في اليوم. وآتوها: أعطوها من يستحقها. والزكاة: ما يُدفع من الأموال ليطهرها ويطهر أصحابها. (٣) هذا مع ما قبله من الأوامر والنواهي، وإن كان خاصًا ببني إسرائيل، يعم كل مكلف ولاسيما العالِم الواعظ، بما يجب عليه أن يلزمه من الطاعة. انظر البحر ١:١٨١. وتأمر: توجب وتُلزِم. والبر: كل خير وإحسان. والأنفس: جمع نفس، أي: حقيقة الإنسان وذاته. وتتلونه: تقرؤونه وتفهمون ما فيه. وتعقل: تستعمل عقلك وتدرك. والحديث في المسند ١:٢٠٦. وحزَبه أي: نزل به وشق عليه. وبادر: أسرع. وعاقهم: منعهم. والشره: الحرص الشديد. وتورث: تسبِّب. والصلاةَ أي: والصبر الذي أمروا به أيضًا. وملاقوه أي: يرونه ويتلقون الثواب والعقاب. وإليه أي: إلى موعد حسابه. وراجعون أي: صائرون للحساب والجزاء. (٤) فضلتكم أي: أعطيتكم الزيادة في الخير. والعالَم: الجنس من الخلق. واليوم: الزمن. ولاتجزي أي: لا تغني. والنفس: المخلوق ممن يعقل. وتقبل: يستجاب لها وتتحقق. وبالياء يريد القراءة «ولايُقبَلُ». والشفاعة: التوسط لدفع شر أو جلب خير. والآية المذكورة هي ذات الرقم ١٠٠ من سورة الشعراء. ويؤخذ: يتقبل ويرضى به. والعدل: المماثل المعادل لغيره في القدر.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

١- ﴿**و**﴾ اذكروا ﴿**إذ نَجَّيناكُم**﴾ أي: آباءكم - والخطابُ به وبما بعده للموجودين في زمن نبيِّنا، بما أنعم الله على آبائهم، تذكيرًا لهم بنعم الله ليؤمنوا - ﴿**مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم**﴾: يُذيقونكم ﴿**سُوءَ العَذابِ**﴾: أشَدَّه - والجملة حال من ضمير «نجّيناكم» - ﴿**يُذَبِّحُونَ**﴾: بيانٌ لما قبله ﴿**أبناءَكُم**﴾ المولودين، ﴿**ويَستَحيُونَ**﴾: يَستبْقون ﴿**نساءَكُم**﴾، لقول بعض الكهنة له: إنّ مولودًا يُولَدُ في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك. ﴿**وفي ذٰلِكُم**﴾ العذابِ أو الإنجاءِ ﴿**بَلاءٌ**﴾: ابتلاءٌ أو إنعامٌ ﴿**مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ**﴾ ٤٩.

٢- ﴿**و**﴾ اذكروا ﴿**إذ فَرَقْنا**﴾: فلقنا ﴿**بِكُمُ**﴾: بسببكمُ ﴿**البَحرَ**﴾، حتى دخلتموه هاربينَ من عدوّكم، ﴿**فأنجَيناكُم**﴾ من الغرق، ﴿**وأغرَقْنا آلَ فِرعَونَ**﴾: قومَه معه، ﴿**وأنتُم تَنظُرُونَ**﴾ ٥٠ إلى انطباق البحر عليهم، ﴿**وإذ واعَدْنا**﴾، بألِفٍ ودُونِها، ﴿**مُوسَى أربَعِينَ لَيلَةً**﴾ نُعطيه عند انقضائها التوراةَ لتعملوا بها، ﴿**ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ**﴾ الذي صاغه لكم السامريّ إلَهًا، ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ ذهابه إلى ميعادنا، ﴿**وأنتُم ظالِمُونَ**﴾ ٥١ باتّخاذه، لوضعكم العبادةَ في غير محلّها، ﴿**ثُمَّ عَفَونا عَنكُم**﴾: مَحَونا ذنوبكم ﴿**مِن بَعدِ ذٰلِكَ**﴾ الاتّخاذِ، ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٥٢ نِعمتنا عليكم، ﴿**وإذ آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراةَ، ﴿**والفُرقانَ**﴾، عطفُ تفسيرٍ أي: الفارقَ بين الحقّ والباطِلِ والحلال والحرام، ﴿**لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ**﴾ ٥٣ به من الضلال.

٣- ﴿**وإذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ**﴾ الذين عبدوا العِجل: ﴿**يا قَومِ، إنَّكُم ظَلَمتُم أنفُسَكُم بِاتِّخاذِكُمُ العِجلَ**﴾ إلَهًا. ﴿**فَتُوبُوا إلَى بارِئِكُم**﴾: خالِقِكم من عبادته، ﴿**فاقتُلُوا أنفُسَكُم**﴾ أي: ليقتلِ البريءُ منكم المُجرِمَ. ﴿**ذٰلِكُم**﴾ القتلُ ﴿**خَيرٌ لَكُم عِندَ بارِئِكُم**﴾. فوفّقكم لفعل ذلك، وأرسلَ عليكم سحابة سوداء، لئلّا يُبصرَ بعضُكم بعضًا فيرحمَه، حتى قُتِل منكم نحو سبعين ألفًا. ﴿**فَتابَ عَلَيكُم**﴾: قَبِلَ توبتَكُم - ﴿**إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ**﴾ ٥٤ - ﴿**وإذ قُلتُم**﴾، وقد خرجتم مع موسى، لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿**يا مُوسَى، لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهرَةً**﴾: عِيانًا. ﴿**فأخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ**﴾: الصيحةُ فمُتّم، ﴿**وأنتُم تَنظُرُونَ**﴾ ٥٥ ما حلّ بكم، ﴿**ثُمَّ بَعَثناكُم**﴾: أحييناكم ﴿**مِن بَعدِ مَوتِكُم، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٥٦ نِعمتنا بذلك، ﴿**وظَلَّلنا عَلَيكُمُ الغَمامَ**﴾: ستَرناكم بالسحاب الرقيق من حرّ الشمس في التِّيه، ﴿**وأنزَلنا عَلَيكُمُ**﴾ فيه ﴿**المَنَّ والسَّلوَى**﴾ - هما التُّرَنْجبِينُ والطّير السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر - وقلنا: ﴿**كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم**﴾، ولا تدّخروا. فكفروا النعمة وادّخروا فقُطِعَ عنهم. ﴿**وما ظَلَمُونا**﴾ بذلك، ﴿**ولٰكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ٥٧، لأن وباله عليهم.

---

(١) نجيناكم: أنقذناكم. والنعم: جمع نعمة. والآل: الأعوان من الأقباط. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ومعناه: البيت الأعظم. ثم أطلق على الملك. ويذبح: يقطع الحلاقيم. والأبناء: جمع ابن. وهو الذكر من الأولاد. والنساء: واحدته امرأة. والابتلاء: الامتحان ليظهر الصالح من الفاسد. ومن ربكم أي: من حكمه وقضائه. والعظيم: الضخم لا مثيل له.

(٢) البحر: ما اجتمع فيه ماء. وهوالبحر الأحمر. وكان فلقُه بخسف، وارتفاع لقطع من الأرض بين أجزائه، ليعبر عليها بنو إسرائيل. ثم غارت اليابسة حين دخلها فرعون وجنوده، فكان لهم الغرق. وما ذكرته من خسف وارتفاع خلاف لما هو مشهور بين العلماء. وأغرقه: قتله خنقًا بالماء. وأنتم أي: آباؤكم. وتنظرون أي: توجهون أبصاركم عِيانًا. وواعدناه: جعلنا له وقتًا محددًا. وبدونها يريد القراءة «وَعَدْنا». وأربعين أي: تمامَ أربعين. وموسى معناه: الماء والشجر. وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل. واتخذ: جعل وصيّر. والعجل: ولد البقرة الصغير. والسامري ساحر منافق ممن يعبدون البقر، اسمه موسى بن ظفر، قصته في الآيات ٨٥-٩٧ من سورة طه. والظالم: من تجاوز حد الحق. وتشكر: تستحضر النعمة وتثني على الله بالقلب واللسان والعمل. وآتيناه: أعطيناه وكلفناه بالرسالة. وتهتدي: تسترشد إلى طريق الحق.

(٣) قوم موسى: بنو إسرائيل. وظلمتم أنفسكم أي: جُرتم عليها وأوقعتموها في الهلاك. والأنفس: جمع نفس. والاتخاذ: الجعل والتصيير. وتوبوا: اعترفوا بالذنب وعاهدوا على تركه واطلبوا المغفرة. وعبادته أي: عبادة العجل. واقتلوها أي: أزهقوا أرواحها. والبريء: من بقي على التوحيد ولم يعبد العجل. وخير: أنفع من الاستمرار على الشرك. وعنده أي: في حكمه. وتاب: غفر الذنب وصفح عنه. والتواب: الذي يقبل التوبة كثيرًا. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. وخرجتم أي: بعد توبة عابدي العجل ومقتلهم. وكلامه أي: كلام الله. ونؤمن لك أي: نصدقك أن ما نسمعه هو كلام الله. ونراه: نبصره بأعيننا. وأخذتكم أي: نزلت بكم عقوبة وإهانة. والصاعقة: نار محرقة من السماء يكون معها صوت هائل. وتنظرون: ترون بأعينكم. وتشكرون: انظر الآية ٥٢. والتيه: واد صحراوي بين مصر والشام بسيناء، تاهوا فيه أربعين سنة. وأنزل: أطلق وأسقط. والترنجبين: حلوى تشبه العسل الأبيض. والقصر أي: الألف المقصورة. والطيبات: ما يستلذ من الغذاء. ورزق: هيأ ويسر. وما ظلمونا أي: لم يصل منهم إلينا نقص أو ضرر. والوبال: سوء العاقبة.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

١ - ﴿وإذ قُلنا﴾ لهم، بعد خروجهم من التِّيه: ﴿ادخُلُوا هٰذِهِ القَرْيَةَ﴾: بيتَ المقدس أو أريحا، ﴿فكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم رَغَدًا﴾: واسعًا لا حَجْرَ فيه، ﴿وادخُلُوا البابَ﴾ أي: بابَها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنحنينَ، ﴿وقُولُوا﴾: مسألتُنا ﴿حِطّةٌ﴾ أي: أن تَحُطّ عنّا خطايانا. ﴿نَغفِرْ﴾ - وفي قراءة بالياء وبالتاء، مَبنيًا للمفعول فيهما - ﴿لَكُم خَطاياكُم. وسَنَزِيدُ المُحسِنِينَ﴾ ٥٨ بالطاعة ثوابًا. ﴿فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَولًا غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم﴾، فقالوا: حَبّةٌ في شَعَرةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم، ﴿فأنزَلْنا علَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - فيه وضعُ الظاهرِ موضعَ المضمر مبالغةً في تقبيح شأنهم - ﴿رِجْزًا﴾: عذابًا طاعونًا ﴿مِنَ السَّماءِ، بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾ ٥٩: بسبب فِسقهم، أي: خروجِهم عن الطاعة. فهلَكَ منهم في ساعة سبعون ألفًا أو أقلُّ.

ثلاثة أرباع الحزب ١

٢- ﴿و﴾ اذكر ﴿إذِ استَسقَى مُوسَى﴾ أي: طلب السُّقيا ﴿لِقَومِهِ﴾، وقد عطشوا في التِّيه، ﴿فقُلنا: اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ﴾. وهو الذي فَرَّ بثوبه، خفيفٌ مربَّعٌ كرأس الرجُل، رُخام أو كَذّانٌ. فضربه ﴿فانفَجَرَتْ﴾: انشقّتْ وسالتْ ﴿مِنهُ اثنَتا عَشْرةَ عَينًا﴾ بعدد الأسباط - ﴿قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾: سِبطٍ منهم ﴿مَشرَبَهُم﴾: موضعَ شُربهم، فلا يَشرَكهم فيه غيرهم - وقلنا لهم: ﴿كُلُوا واشرَبُوا مِن رِزقِ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾ ٦٠: حالٌ مؤكّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلّثة: أفسَدَ.

٣- ﴿وإذ قُلتُم: يا مُوسَى، لَن نَصبِرَ علَى طَعام﴾ أي: نوع منه ﴿واحِدٍ﴾. وهو المنّ والسلوى. ﴿فادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُخرِجْ لَنا﴾ شيئًا ﴿مِمّا تُنبِتُ الأرضُ مِن﴾: للبيان ﴿بَقْلِها وقِثّائها وفُومِها﴾: حِنطتِها ﴿وعَدَسِها وبَصَلِها. قالَ﴾ لهم موسى: ﴿أتَستَبدِلُونَ الَّذِي هُوَ أدنَى﴾: أخسُّ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾: أشرفُ. أي: أتأخذونه بدله؟ والهمزة للإنكار. فأبَوا أن يرجِعوا فدعا اللهَ، فقال تعالى: ﴿اهبِطُوا﴾: انزلوا ﴿مِصرًا﴾ من الأمصار. ﴿فإنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿ما سألتُم﴾ من النبات. ﴿وضُرِبَتْ﴾: جُعِلتْ ﴿علَيهِم الذِّلّةُ﴾: الذلُّ والهوان ﴿والمَسكَنةُ﴾ أي: أثرُ الفقر. من السكون والخِزي - فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء، لزومَ الدرهم المضروب لسِكّته - ﴿وباؤُوا﴾: رَجَعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ. ذٰلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بِأنَّهُم﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريّاءَ ويحيى، ﴿بِغَيرِ الحَقِّ﴾ أي: ظلمًا. ﴿ذٰلِكَ بِما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ﴾ ٦١: يتجاوزون الحدّ في المعاصي. وكرّره للتأكيد.

---

(١) ادخلوها أي: اسكنوها واستقروا فيها. وبيت المقدس: مدينة القدس. وأريحا: مدينة في شمالي القدس، كانت للجبارين العمالقة من العرب. وشئتم أي: أردتم أن تأكلوا. والحجْر: المنع. وادخلوه: اعبروه. والسجد: جمع ساجد. وقولوا أي: بدعاء وتذلل. والمسألة: ما يطلب وقوعه. ونغفرها: نسترها ولا نؤاخذ بها. وبالياء يريد القراءة «يُغفَرْ». وبالتاء يريد القراءة «تُغفَرْ». والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب الذي يستوجب العقاب. ونزيدهم: نضيف إليهم. والمحسن: من يعمل الصالحات مخلصًا. وبدلوه أي: جعلوه بدلًا مما أُمروا به. وظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والقول: ما يقال. وقيل لهم أي: أمروا. وحبة في شعرة أي: حبة من غذاء في مجموعة من الشعر. وهو قول معناه العصيان والسخرية. كأنهم أرادوا: حبة قمح مع ما يكون لها في السنبلة. يعني أنهم طلّاب غذاء ومادة، لا طلاب طاعة ومغفرة. والأستاه: جمع است، أي: الدبر. وأنزل: قضى وأرسل. والسماء: العوالم العُلوية. ويفسق: يخرج عن الطاعة. والساعة: القطعة من الزمن.

(٢) قومه أي: من بقي منهم. واضرب أي: اقرع بشِدّة. و«فر بثوبه» انظر الحديث ٢٧٤ من البخاري. وتعيين الحجر غير لازم، وعدم التعيين أظهر للحجة كما قال البيضاوي وآخرون. والمربع: الذي له أربعة جوانب. والكذان: الحجر الرِّخو. والعين: يَنبوع الماء الجاري. والأسباط: جمع سبط. وهو القبيلة المنتسبة إلى أحد أبناء يعقوب. وعلم: أدرك وعرَفَ. والرزق: ما يهيأ من الحاجات. والأرض: مكان التيه. والمفسد: من يشيع الشر والضلال. والمثلثة أي: المنقوطة بثلاث نقاط من فوق.

(٣) نصبر: نتجلد. والطعام: ما يؤكل. وادعه أي: ناده طالبًا ومستغيثًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويُخرج: يُنبت ويخلق. وللبيان أي: لتبيين المقصود من «ما». والقثاء: نوع من الخيار. والمِصر: البلد العظيم. وسألتم أي: طلبتموه. والخزي: البلاء والفضيحة. والسكة: حديدة منقوشة تسك بها الدراهم. والغضب: السخط مع إرادة الانتقام. ومن الله أي: من عنده وبأمره. ويكفر بها أي: ينكرها. والآيات: المعجزات والكتب المنزلة. والنبي: من يكلف بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. وزكرياء من بني إسرائيل هو أبو يحيى، كان قبل المسيح، قتله اليهود نشرًا بالمنشار. ويحيى قتلوه وهو يصلي. والحق: العدل والحكم الشرعي. وعصوا: خالفوا الأمر والنهي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

١- ﴿**إنّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالأنبياء من قبلُ، ﴿**والَّذِينَ هادُوا**﴾ هم اليهود، ﴿**والنَّصارَى والصَّابِئِينَ**﴾: طائفةٌ من اليهود أو النصارى، ﴿**مَن آمَنَ**﴾ منهم ﴿**باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ في زمن نبيّنا، ﴿**وعَمِلَ صالِحًا**﴾ بشريعَته، ﴿**فلَهُم أجرُهُم**﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿**عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٦٢. رُوعيَ في ضمير «آمَنَ» و«عَمِلَ» لفظ «مَن»، وفيما بعده معناها.

٢- ﴿**و**﴾ اذكروا ﴿**إذ أخَذْنا مِيثاقَكُم**﴾: عَهدَكم بالعمل بما في التوراة، ﴿**و**﴾ قد ﴿**رَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ**﴾: الجبلَ، اقتلعناه من أصله عليكم، لمّا أبَيتم قَبولها، وقلنا: ﴿**خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوَّةٍ**﴾: بجِدٍّ واجتهادٍ، ﴿**واذكُرُوا ما فِيهِ**﴾ بالعمل به، ﴿**لعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ ٦٣ النارَ أو المعاصيَ. ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم ﴿**مِن بَعدِ ذٰلِكَ**﴾ الميثاقِ عن الطاعة. ﴿**فَلَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحمَتُهُ**﴾ لكم، بالتوبة أو تأخير العذاب، ﴿**لَكُنتُم مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ ٦٤: الهالكين.

٣- ﴿**ولَقَد**﴾ - لامُ قسم - ﴿**عَلِمتُمُ**﴾: عَرَفتمُ ﴿**الَّذِينَ اعتَدَوا**﴾: تجاوزوا الحدَّ ﴿**مِنكُم في السَّبتِ**﴾ بصيد السمك، وقد نهيناهم عنه - وهم أهل أيلةَ - ﴿**فقُلنا لَهُم: كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ**﴾ ٦٥: مُبعَدِينَ. فكانوها، وهلكوا بعد ثلاثة أيّام، ﴿**فجَعَلْناها**﴾ أي: تلك العقوبةَ ﴿**نَكالًا**﴾: عِبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، ﴿**لِما بَينَ يَدَيها وما خَلْفَها**﴾ أي: للأُمم التي في زمانها أو بعدها، ﴿**ومَوعِظَةً لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٦٦ اللهَ. وخُصّوا بالذكر لأنّهم المنتفعون بها، بخلاف غيرهم.

٤- ﴿**و**﴾ اذكر ﴿**إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ**﴾، وقد قُتل لهم قتيلٌ لا يُدرَى قاتلُه، وسألوه أن يدعوَ الله أن يُبيّنه لهم فدعاه: ﴿**إنَّ اللهَ يأمُرُكُم أن تَذبَحُوا بَقَرةً. قالُوا: أتَتَّخِذُنا هُزُوًا**﴾ مهزوءًا بنا، حيث تُجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿**قالَ: أعُوذُ**﴾: أمتنعُ ﴿**باللهِ**﴾ من ﴿**أن أكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ**﴾ ٦٧: المُستهزئينَ. فلمّا علموا أنه عزمٌ ﴿**قالُوا: ادعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ**﴾ أي: ما سِنّها؟ ﴿**قالَ**﴾ موسى: ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: اللهَ ﴿**يَقُولُ: إنَّها بَقَرةٌ لا فارِضٌ**﴾: مُسِنّة، ﴿**ولا بِكرٌ**﴾: صغيرة، ﴿**عَوانٌ**﴾: نَصَفٌ ﴿**بَينَ ذٰلِكَ**﴾ المذكور من السِّنَّيْن. ﴿**فافعَلُوا ما تُؤمَرُونَ**﴾ ٦٨ به من ذبحها. ﴿**قالُوا: ادعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما لَونُها؟ قالَ: إنَّهُ يَقُولُ: إنَّها بَقَرةٌ صَفراءُ، فاقِعٌ لَونُها**﴾: شديد الصُّفرةِ، ﴿**تَسُرُّ النّاظِرِينَ**﴾ ٦٩ إليها بحسنها، أي: تُعجبهم.

---

(١) روي أن هذه الآية نزلت في سلمان الفارسي وأصحابه، كانوا قبل البعثة يصلّون ويصومون، ويؤمنون أن محمدًا ﷺ سيبعث رسولًا. الواحدي ص ٢٢-٢٤. وآمنوا بهم أي: صدّقوهم اعتقادًا. ومن قبل أي: قبل بِعثة محمد ﷺ. وهادوا: تهوّدوا. والنصارى: جمع نَصران، أي: الذي نصر المسيح على الحق وآمن به. والراجح أن الصابئين ليسوا من اليهود أو النصارى، وهم قوم كانوا على الفطرة، وليس لهم دين مقرر، ثم تنصر بعضهم أو تهود. ولذلك كان المشركون يصفون من ترك الشرك وأسلم بأنه صابئ. انظر «المفصل» وتفسير ابن كثير ١:٩٩-١٠٠. وآمن بالله أي: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بعد الموت. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الشرع. ولا خوف أي: في الدنيا والآخرة. وانظر آخر الآية ٣٢.

(٢) أخذناه: حصّلناه بالقهر. ورفعناه: أعليناه بزلزلة. والطور: جبل في شمالي فلسطين. وذكرُ الاقتلاع من الأصل تزيُّد لا يفيده نص الآية الكريمة، إذ الرفع لا يعني ذلك. وعليكم أي: يكاد يسقط عليكم. وخذوه أي: تمسكوا به واعملوا به. وآتى: أعطى. واذكروه أي: ادرسوه واحفظوه وتدبروا معناه. وتتقون: تتجنبون. وانظر آخر الآية ٢١. والفضل: التفضل والتكرم. والرحمة: العطف بالإحسان. والتوبة أي: على المؤمنين. وتأخير العذاب أي: في حق الكافرين.

(٣) السبت أي: يوم السبت ينقطع فيه اليهود عن العمل. وأيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر، ويقال لها الآن: أيلات. وقلنا: أمرنا وقضينا. وكونوا أي: صيروا. والقردة: جمع قِرد. ومبعدين أي: عن الرحمة والشرف. وكانوها أي: تحولوا إليها وصاروها. وهلكوا: يعني أن من مُسخ لم يعش كثيرًا، ولم يكن له نسل، فليس منه القردة والخنازير المعروفة. وربما وجدت بقايا عظام بعضهم، فزعم الدارسون من المضللين أنها دليل نظريات التطور المكذوبة. انظر الحديث ٢٦٦٣ في مسلم. وجعل: ترك وصيّر. والنكال: ما يُردع به غير المنتقَم منه. وما عملوا أي: من المخالفة والعصيان. والموعظة: ما يذكر لتليين القلب ثوابًا أو عقابًا. والمتقي: من يتجنب الغضب ويطلب الرضا بلزوم الطاعة.

(٤) ذكرُ القتيل هنا مع ذبح البقرة خرافة إسرائيلية، لم يرد بها نص شرعي، وليس لها إسناد أصلًا. انظر «المفصل». وما سيذكر في تفسير الآية ٧٢ أمر غير ظاهر. وهو من القصص الذي لا يصح، إذ لم يرد في كتاب ولا سنّة. وقال ابن كثير: «الظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل... فلهذا لا يعتمد عليها». وكذلك الحكم في كتب سائر الأديان والعقائد الأخرى، وعباداتها وأخلاقها وقوانينها. ويأمر: يفرض عليكم ويوجب. وتتخذ: تجعل وتصيّر. والهزء: السخرية. والجاهل: من يفعل الشيء بخلاف الصواب. والعزم: الحق الواجب. وادعه أي: ناده وسله بدعائك. ويبين: يحدّد. والفارض: التي قطعت سن الحمل. والعوان: المتوسطة في العمر. وافعلوا أي: أطيعوا ونفذوا. واللون: ما يتميز به الجسم من حمرة أو بياض، وما في نوعه أيضًا. والناظر: من يدرك بعينه ما يرى.

الجُزءُ الأوَّل — سُورَةُ البَقَرَة

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

١- ﴿**قالوا: ادعُ لنا ربَّك، يُبيِّنْ لنا ما هيَ**﴾: أسائمةٌ أم عاملة؟ ﴿**إنَّ البقَرَ**﴾ أي: جنسَه المنعوتَ بما ذُكر ﴿**تشابَهَ علَينا**﴾ لكثرته، فلم نهتدِ إلى المقصودة، ﴿**وإنّا - إن شاءَ اللهُ - لَمُهتَدونَ**﴾ ٧٠ إليها. وفي الحديث «لو لم يَستثنُوا لَما بُيِّنتْ لَهُم آخِرَ الأبد». ﴿**قالَ: إنَّه يَقولُ: إنَّها بَقَرةٌ، لا ذَلُولٌ**﴾: غيرُ مُذلَّلة بالعمل ﴿**تُثيرُ الأرضَ**﴾: تُقلِّبُها للزراعة - والجملة صفة «ذلول» داخلةٌ في النفي - ﴿**ولا تَسقِي الحرْثَ**﴾: الأرضَ المُهيّأة للزراعة، ﴿**مُسَلَّمةٌ**﴾ من العيوب وآثار العمل، ﴿**لاشِيَةَ**﴾: لَونَ ﴿**فيها**﴾ غيرُ لونها. ﴿**قالوا: الآنَ جِئتَ بالحقِّ**﴾: نطقتَ بالبيان التامّ. فطلبوها فوجدوها عند الفتى البارّ بأُمّه، فاشترَوها بمِلءِ مَسكِها ذهبًا. ﴿**فذَبَحُوها وما كادُوا يفعَلُونَ**﴾ ٧١ لغلاء ثمنها. وفي الحديث: «لَو ذَبَحُوا أيَّ بَقَرةٍ كانَتْ لأجزأتْهم. ولكِنْ شَدَّدُوا على أنفُسِهم فشدَّدَ اللهُ علَيهِم».

الحزب ٢

٢- ﴿**وإذ قَتَلتُم نَفْسًا فادّارأْتُم**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الدال - أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿**فيها - واللهُ مُخرِجٌ**﴾: مظهرٌ ﴿**ما كُنتُم تكتُمُونَ**﴾ ٧٢ من أمرها. وهذا اعتراض وهو أوّل القصة - ﴿**فقُلنا: اضرِبُوهُ**﴾ أي: القتيلَ ﴿**بِبَعضِها**﴾. فضُرِبَ بلسانها أو عَجْبِ ذنبها، فحَيِيَ وقال: «قتلني فلان وفلان» لِابنَي عمّه، ومات فحُرِما الميراثَ وقُتلا. قال تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ الإحياءِ ﴿**يُحيِي اللهُ المَوتَى، ويُريكُم آياتِهِ**﴾: دلائلَ قُدرته، ﴿**لَعَلَّكُم تعقِلُونَ**﴾ ٧٣: تتدبّرون، فتعلمون أن القادرَ على إحياء نفس واحدة قادرٌ على إحياء نفوس كثيرة، فتؤمنون.

٣- ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم**﴾ أيها اليهود: صَلُبَتْ عن قبول الحقّ، ﴿**مِن بَعدِ ذٰلِكَ**﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبلَه من الآيات، ﴿**فهْيَ كالحِجارةِ**﴾ في القسوة، ﴿**أو أشَدُّ قَسْوةً**﴾ منها - ﴿**وإنَّ مِنَ الحِجارةِ لَما يَتفجَّرُ مِنهُ الأنهارُ، وإنَّ مِنها لَما يَشَّقَّقُ**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الشين - ﴿**فيَخرُجُ مِنهُ الماءُ، وإنَّ مِنها لَما يَهبِطُ**﴾: ينزل من علوّ إلى سفل ﴿**مِن خَشْيةِ اللهِ**﴾، وقلوبكم لا تتأثّر ولا تلين ولا تخشع - ﴿**وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تعمَلُونَ**﴾ ٧٤، وإنّما يؤخّركم لوقتكم. وفي قراءة بالتحتيّة، وفيه التفات عن الخطاب.

٤- ﴿**أفتَطمَعُونَ**﴾- أيها المؤمنون - ﴿**أن يُؤمِنُوا**﴾ أي: اليهودُ ﴿**لَكُم، وقَد كانَ فَريقٌ**﴾: طائفة ﴿**مِنهُم**﴾: أحبارهم ﴿**يَسمَعُونَ كَلامَ اللهِ**﴾ في التوراة، ﴿**ثُمَّ يُحرِّفُونَهُ**﴾: يُغيِّرونه ﴿**مِن بَعدِ ما عَقَلُوهُ**﴾: فهموه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ٧٥ أنهم مفترون؟ والهمزة للإنكار أي: لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر، ﴿**وإذا لَقُوا**﴾ أي: منافقو اليهود ﴿**الَّذينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا**﴾ بأن محمدًا نبيّ، وهو المبشَّر به في كتابنا. ﴿**وإذا خَلا**﴾: رَجَعَ ﴿**بَعضُهم إلَى بَعضٍ قالُوا**﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق: ﴿**أتُحدِّثُونَهُم**﴾ أي: المؤمنين ﴿**بِما فتَحَ اللهُ علَيكُم**﴾ أي: عرّفكم في التوراة من نعت محمّد، ﴿**لِيُحاجُّوكُم**﴾: ليُخاصموكم - واللام للصيرورة - ﴿**بِهِ عِندَ رَبِّكُم**﴾ في الآخرة، ويُقيموا عليكم الحُجّة في ترك اتّباعه مع علمكم بصدقه؟ ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ٧٦ أنهم يُحاجّونكم إذا حدّثتموهم فتنتهوا؟

---

(١) السائمة: المتروكة ترعى. وما ذُكر أي: في الآيتين ٦٨ و٦٩. وتشابه: اختلط واستُشكل. وشاء أي: أراد أن نهتدي. والمهتدي: المسترشد يوفق في الحق. ولم يستثنوا أي: لم يقيدوا الاهتداء بالمشيئة. والأبد: مدة الزمن. والحديث إسناده منقطع. انظر «المفصل». والاستثناء هنا: تعليق الاهتداء بالمشيئة. ولاتسقي: لا تُستخدم للسقي. ومسلمة أي: سلّمها الله وعافاها. وفيها أي: في جسدها. وما ذكر من قصة الفتى دسيسة من الإسرائيليات. والمَسك: الجلد. وكادوا: قاربوا. ويفعلون أي: يقومون بما أمروا به. وأجزأتهم: أغنتهم عما كان من التشديد. والحديث موقوف. انظر «المفصل» أيضًا.

(٢) قتلتم نفسًا أي: قتل بعضكم إنسانًا. وذكرُ الإدغام يعني أن الأصل: «تَدارأتم»، سكنت التاء وأبدلت دالًا، ثم أدغمت وزيدت همزة الوصل قبلها، للتمكن من النطق. وفيها أي: في النفس المقتولة وتعيين القاتل. وتكتمون أي: تخفونه. والبعض: القطعة من الشيء. وقد اضطرب المفسرون في هذا البعض، ولم يَرد نص صحيح بذلك، ولا فائدة في تعيينه. والظاهر أن قصتَي القتيل والبقرة لا صلة بينهما، والضميرَ «ها» يعود على «نفس» في الآية ٧٢، وضميرَ الغائب المذكَّر يراد به من اتُّهم لا المقتول. والمراد ضربُ المتهم بيد المقتول مثلًا، وهي متصلة بالجثة. انظر «المفصل». وعجب الذنب: أصله. وحُرما الميراث يعني: لأن القاتل لا يرث المقتول. ويري: يطلع ويبصّر.

(٣) القلوب: جمع قلب. وأشد أي: أقوى وأصلب. ويتفجر: يتفتح ويتدفق. والخشية: الطاعة والانقياد للأمر. والغافل: الساهي لا يطّلع ولا يحاسب. وتعملون أي: تكتسبونه وتتحملونه من نية أو قول أو فعل. والتحتية: الياء. يريد القراءة «يَعمَلُونَ».

(٤) تطمع: تحرص نفسُك بشدة على ما تشتهي. ويؤمن: يصدّق. والأحبار: جمع حَبر. وهو العالم من اليهود. ويسمعه: يتلقاه بالسمع والفهم. والكلام: القول المفيد. ويعلم: يدرك ويعي. والسابقة: التقدم والشهرة. ولقوهم: صادفوهم أو اجتمعوا بهم. وللصيرورة أي: للعاقبة والمآل لا للعلة الغائية. وتحدثه: تخبره. وعنده أي: عند لقاء حسابه. وتعقل: تدرك بعقلك ما يضر وما ينفع.

أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ
فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ
أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ
وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ
أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ
لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾

١ - قال تعالى: ﴿**أَوَلا يَعلَمُونَ**﴾ - الاستفهام للتقرير، والواو الداخلُ عليها للعطف - ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾ ٧٧: ما يُخفون وما يُظهرون من ذلك وغيره، فيرعَوُوا عن ذلك؟ ﴿**ومنهُم**﴾ أي: اليهودِ ﴿**أُمِّيُّونَ**﴾: عوامُّ، ﴿**لا يعلَمُونَ الكِتابَ**﴾: التوراةَ ﴿**إلّا**﴾ لكن ﴿**أمانيَّ**﴾: أكاذيبَ تلقَّوها من رؤسائهم فاعتمدوها، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**هُم**﴾، في جحد نبوّة النبيّ وغيره ممّا يختلقونه، ﴿**إلّا يَظُنُّونَ**﴾ ٧٨ ظنًّا ولا عِلمَ لهم. ﴿**فويلٌ**﴾: شِدّةُ عذاب ﴿**لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بأيدِيهِم**﴾ أي: مختلَقًا مِن عندهم، ﴿**ثُمَّ يَقُولُونَ: هٰذا مِن عِندِ اللهِ. لِيَشتَرُوا بهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدنيا، وهم اليهود غيّروا صفةَ النبيّ ﷺ في التوراة، وآيةَ الرَّجم وغيرَها، وكتبوها على خلاف ما أُنزِل. ﴿**فويلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَتْ أيدِيهِم**﴾ من المُختلَق، ﴿**وويلٌ لَهُم مِمّا يَكسِبُونَ**﴾ ٧٩ من الرُّشا.

٢ - ﴿**وقالُوا**﴾، لمّا وعدَهم النبيُّ النارَ: ﴿**لَن تَمَسَّنا**﴾: تُصيبَنا ﴿**النّارُ إلّا أيّامًا مَعدُودةً**﴾: قليلة أربعين، مُدّةَ عِبادة آبائهم العِجلَ، ثم تزولُ. ﴿**قُلْ**﴾ لهم يا محمّد: ﴿**أتّخَذْتُم**﴾ - حُذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام - ﴿**عِندَ اللهِ عَهْدًا**﴾: مِيثاقًا منه بذلك، ﴿**فلَن يُخلِفَ اللهُ عَهْدَهُ**﴾ به؟ لا. ﴿**أم**﴾: بل ﴿**تَقُولُونَ على اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ٨٠. **بَلَى**﴾ تَمَسُّكم وتخلدون فيها، ﴿**مَن كَسَبَ سَيِّئةً**﴾: شِركًا، ﴿**وأحاطَتْ بهِ خَطِيئتُهُ**﴾ بالإفراد والجمع، أي: استولتْ عليه وأحدقتْ به من كلّ جانب بأن مات مُشركًا، ﴿**فأُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٨١ رُوعي فيه معنى «مَن»، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٨٢.

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ أخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ**﴾ في التوراة، وقلنا: ﴿**لا تَعبُدُونَ**﴾، بالتاء والياء، ﴿**إلّا اللهَ**﴾. خبرٌ بمعنى النهي - وقُرئ: «لا تَعبُدُوا» - ﴿**و**﴾ أحسِنوا ﴿**بالوالِدَينِ إحسانًا**﴾: بِرًّا ﴿**وذِي القُربَى**﴾: القرابةِ، عطفٌ على «الوالدين»، ﴿**واليَتامَى والمَساكِينِ، وقُولُوا لِلنّاسِ**﴾ قولًا ﴿**حَسَنًا**﴾، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمّد، والرفق بهم - وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون السين، مصدر وُصف به مبالغةً - ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ**﴾. فقبلتُم ذلك، ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم عن الوفاء به - فيه التفات عن الغَيبة والمراد آباؤهم - ﴿**إلّا قَلِيلًا مِنكُم. وأنتُم مُعرِضُونَ**﴾ ٨٣ عنه كآبائكم.

---

(١) التقرير: حمل المخاطب على الاعتراف. والداخل عليها أي: التي دخل عليها حرف الاستفهام. وللعطف أي: لعطف جملة «لا يعلمون» على جملة: تطعمون. ويعلمه: يحيط به بالغ الإحاطة. ويرعوي: يرجع. والأميّ: من نسب إلى الأم، في الجهل بالقراءة والكتابة والمعارف. والعوامّ: جمع عاميّ. والأمانيّ: جمع أُمنيّة. والجحد: إنكار ما هو معلوم متيقن. ويظن: يتخيل ويتوهم. وشدة عذاب أي: دعاء عليهم بذلك. ويكتب: يسجل ويدون. والكتاب: مايكتب من الكلام. والأيدي: جمع يد. ويقولون أي: للناس من أتباعهم. وهذا أي: ما كتبوه. ومن عنده أي: من الوحي الذي أنزله في صحف موسى. ويشتري: يستبدل ويحصّل. والثمن: العوض من المال والجاه. ويكسب: يحصّل ويجمع. والرشا: جمع رِشوة. وهي ما يدفع إلى المرء ليبطل حقًّا أو يوقع ظلمًا. وتكون محرمة على القاضي أو المسؤول عن الأمور العامة، أيًّا كان السبب، وهو بها ملعون. فإن توصل بها الراشي إلى باطل فهو ملعون أيضًا، وإن توصل بها إلى تحصيل حق أو دفع ظلم فليست بحرام عليه.

(٢) روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اليَهُود مِن أهلِ النّارِ». فزعموا أنهم يعذَّبون أربعين يومًا، ثم يخرجون إلى الجنة، ليخلفهم المسلمون في جهنم خالدين. فنزلت الآيتان ٨٠ و٨١، لتكذيب ما زعموه. البحر ١:٢٧٨ والدر المنثور ١:٨٤-٨٥ وتفسير الآلوسي ١:٤٨٠. وقالوا أي: زعموا. ووعدهم النار أي: هددهم بنار جهنم. والأيام: جمع يوم. والمعدودة: التي يسهل عدها. وحذف الهمزة يعني أن الأصل: «أاتَّخَذتُم»؟ واستغناء: يعني أن همزة الاستفهام تمكّن من النطق بالساكن. وهو التاء الأولى المدغمة. وعند الله أي: في كتاب أو وحي أو كلام رسول. وبذلك أي: بمدة تعذيبكم في النار. ويُخلف: ينقض ويبدل. و«لا» يعني أن الاستفهام معناه الإبطال. وتقولون أي: تختلقون. ولا تعلمون أي: لا تتيقنون أنه حق. والسيئة: الذنب القبيح يقتضي العقوبة. والخطيئة هي الكبيرة من السيئات. وبالجمع يريد القراءة «خَطِيئاتُهُ». والأصحاب: جمع صاحب، أي: الملازم للشيء. والخالد: المقيم أبد الدهر. والصالح: ما يرضاه الشرع. والجنة: الحديقة العظيمة.

(٣) الأولى أن يكون الخطاب لليهود، ليلتئم العطف في الآية ٨٤. وأخذنا: انظر الآية ٦٣. وإسرائيل: لقب يعقوب. وبنوه: ذريته من أولاده. وتعبد: تقدس وتطيع. وبالياء يريد القراءة «لا يَعبُدُونَ». وقراءة «لا تعبدوا» النهي فيها صريح يؤيد تفسير السيوطي قبل، وهي قراءة لابن مسعود وأُبيّ بن كعب الصحابيين، وليست شاذة عند السيوطي، لأنه يرى أن الشاذة هي التي لم يصح إسنادها. الإتقان ١:١٦٨. واليتامى: جمع يتيم. وهو من فقدَ قبل البلوغ أباه. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير والمحتاج. والناس: البشر. والحسن: الطيب فيه الخير والبركة. و«في قراءة» يريد «حُسْنًا». وأقيموا الصلاة أي: أدّوا الفريضة المكتوبة بأركانها وشروطها وآدابها. والزكاة: ما فرض على الأموال لتطهيرها وتطهير أصحابها. وآتوها أي: أعطوها مستحقيها. وبه أي: بالميثاق المذكور. والمعرض: المنصرف إهمالًا واستخفافًا.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

١- ﴿**وإذ أخَذْنا مِيثاقَكُم**﴾، وقلنا: ﴿**لا تَسفِكُونَ دِماءَكُم**﴾: تُريقونها بقتل بعضكم بعضًا، ﴿**ولا تُخرِجُونَ أنفُسَكُم مِن دِيارِكُم**﴾: لا يُخرِجُ بعضكم بعضًا من داره. ﴿**ثُمَّ أقْرَرتُم**﴾: قبلتم ذلك الميثاق، ﴿**وأنتُم تَشهَدُونَ**﴾ ٨٤ على أنفسكم.

٢- ﴿**ثُمَّ أنتُم**﴾ يا ﴿**هؤُلاءِ تَقتُلُونَ أنفُسَكُم**﴾ بقتل بعضكم بعضًا، ﴿**وتُخرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُم مِن دِيارِهِم، تَظّاهَرُونَ**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء. وفي قراءة بالتخفيف على حذفها - تتعاونون ﴿**عليهِم بالإثمِ**﴾: بالمعصية ﴿**والعُدوانِ**﴾: الظلم - ﴿**وإن يأتُوكُم أُسارَى**﴾ وفي قراءة «أَسرَى» ﴿**تَفدُوهُم**﴾ وفي قراءة «تُفادُوهُم»: تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو ممّا عُهِد إليهم - ﴿**وهُوَ**﴾ أي: الشأن ﴿**مُحَرَّمٌ عليكُم إخراجُهُم**﴾ متصل بقوله «وتخرجون» والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حُرِّمَ تركُ الفِداء. وكانت قُرَيظةُ حالفوا الأوسَ، والنضيرُ الخزرجَ، وكان كلّ فريق يقاتل مع حُلفائه ويُخرّب ديارهم ويُخرجهم، فإذا أُسروا فدَوهم. وكانوا إذا سُئلوا: لِمَ تُقاتلونهم وتَفدونهم؟ قالوا: أُمرنا بالفِداء. فيقال: فلِمَ تُقاتلونهم؟ فيقولون: حياءَ أن يُستَذَلّ حُلفاؤنا.

٣- قال تعالى: ﴿**أفتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ**﴾ - وهو الفِداء - ﴿**وتكفُرُونَ بِبَعضٍ**﴾؟ وهو تركُ القتلِ والإخراجِ والمظاهرةِ. ﴿**فما جَزاءُ مَن يَفعَلُ ذلِكَ مِنكُم إلّا خِزيٌ**﴾: هَوان وذلٌّ ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ - وقد خَزُوا بقتل قُريظةَ ونفي النَّضير إلى الشام وضربِ الجزية - ﴿**ويَومَ القِيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشَدِّ العَذابِ. وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ**﴾ ٨٥، بالياء والتاء. ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَياةَ الدُّنيا بالآخِرةِ**﴾، بأن آثروها عليها، ﴿**فلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾ ٨٦: يمنعون منه.

٤- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراةَ، ﴿**وقَفَّينا مِن بَعدِهِ بالرُّسُلِ**﴾ أي: أتبعناهم رسولًا في أثر رسول، ﴿**وآتَينا عِيسَى بنَ مَريَمَ البَيِّناتِ**﴾: المُعجزاتِ، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ﴿**وأيَّدْناهُ**﴾: قوَّيناه ﴿**بِرُوحِ القُدُسِ**﴾ - من إضافة الموصوف إلى الصفة - أي: الروح المقدَّسةِ جبريلَ لطهارته، يسير معه حيثُ سار، فلم تستقيموا. ﴿**أفَكُلَّما جاءَكُم رَسُولٌ بِما لا تَهوَى**﴾: تُحبُّ ﴿**أنفُسُكُم**﴾ من الحقّ، ﴿**استَكبَرتُم**﴾: تكبّرتم عن اتّباعه، جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ، ﴿**فَفَرِيقًا**﴾ منهم ﴿**كَذَّبتُم**﴾ كعيسى، ﴿**وفَرِيقًا تَقتُلُونَ**﴾؟ ٨٧ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: قتلتُم، كزكريّاء ويحيى. ﴿**وقالُوا**﴾ للنبيّ استهزاءً: ﴿**قُلُوبُنا غُلْفٌ**﴾ جمعُ أغلَفَ، أي: مُغشّاةٌ بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿**بَل**﴾ للإضراب ﴿**لَعَنَهُمُ اللهُ**﴾: أبعدهم عن رحمته، وخذلهم عن القَبول ﴿**بِكُفرِهِم**﴾، وليس عدم قَبولهم لخلل في قلوبهم، ﴿**فقَلِيلًا ما يُؤمِنُونَ**﴾ ٨٨ ما: زائدة لتأكيد القلّة، أي: إيمانهم قليل جدًّا.

---

(١) أخذنا ميثاقكم: انظر الآية ٦٣. والدماء: جمع دم. وتخرجه: تطرده. والأنفس: جمع نفس. والديار: جمع دار. وتشهد: تعترف بما كان من الميثاق والإقرار.

(٢) وصف اليهود هنا يعني أنهم يفعلون ما فيه تناقض. فالقتل والإخراج والتعاون بالإثم أعمال يفعلونها، وإن انتقض الميثاق، وأما الفداء فهم يفعلونه عملًا بالميثاق. وبنو قريظة وبنو النضير جماعتان من اليهود قرب المدينة. وتقتله: تكون سببًا لموته. والفريق: الجماعة. وبحذفها يريد القراءة «تَظاهَرُونَ». ويأتوكم أي: يصلوا إليكم بعد أن يقعوا في أيدي حلفائكم. وأسارى: جمع أسير. والشأن: الموضوع والأمر. والمحرم: الممنوع.

(٣) تؤمن به: تصدّقه وتعمل به. وتكفر به: تنكره وتخالفه. والكتاب: التوراة. والجزاء: العقوبة. وذلك أي: الإيمان ببعض والكفر ببعض. وقتل بني قريظة كان في السنة الخامسة من الهجرة، بعد خيانتهم للعهد وتأليب المشركين في غزوة الخندق. ونفي بني النضير كان إلى خيبر، وبعضهم رحل إلى الشام، في السنة الرابعة. انظر «المفصل». ثم ضربت الجزية عليهم وعلى من بقي منهم، وكان جلاؤهم في خلافة الفاروق. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم. ويردون: يدفعون. والأشد: الأقسى. والغافل: الساهي. ويعمل: يكتسب ويتحمل من نية أو قول أو فعل. وبالتاء يريد القراءة «تَعمَلُونَ». ويخفف: يقلّل. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة.

(٤) آتينا: أعطينا. وقفينا بهم أي: جعلناهم متتابعين. والرسل: جمع رسول. وهو من يكلف بالتبليغ والعمل. وفي أثره أي: تبعه دون تأخر في العمل. وعيسى: معناه السيد المبارك. ومريم: بنت عمران من ذرية داود، واسمها معناه خادمة الله. والأكمه: الذي عماه خِلقة أو طارئ. والأبرص: المصاب بالبرص. وهو بقعُ بياض تظهر في الجلد، أو منه الجذام. والقدس: التقديس. وجاءكم: أحضر لكم. والفريق: الطائفة. وكذبه: نسبه إلى الكذب. والإضراب أي: إنكار ما زعموه من تغلف قلوبهم. فهي مخلوقة على الفطرة لتقبل كل خير، وهم يزعمون غير ذلك كذبًا. والكفر: التكذيب والستر للحق.

سورة البقرة الجزء الأول

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

١ - ﴿**ولَمّا جاءَهُم كِتابٌ مِن عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُم**﴾ من التوراة - وهو القرآن - ﴿**وكانوا مِن قَبلُ**﴾: قبلِ مجيئه ﴿**يَستَفتِحُونَ**﴾: يستنصرون ﴿**على الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يقولون: اللّهمّ انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث آخرَ الزمان، ﴿**فلَمّا جاءَهُم ما عَرَفُوا**﴾ من الحقّ - وهو بِعثة النبيّ - ﴿**كَفَرُوا بِهِ**﴾ حسدًا وخوفًا على الرياسة. وجوابُ «لمّا» الأولى دلّ عليه جوابُ الثانية. ﴿**فلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرينَ**﴾ ٨٩. ﴿**بِئسَ ما اشتَرَوا**﴾: باعُوا ﴿**بِهِ أنفُسَهُم**﴾ أي: حظَّها من الثواب، وما: نكرة بمعنى «شيئًا» تمييز لفاعل «بئس»، والمخصوص بالذمّ ﴿**أن يَكفُرُوا**﴾ أي: كفرُهم ﴿**بِما أنزَلَ اللهُ**﴾ من القرآن، ﴿**بَغْيًا**﴾: مفعول له لـ «يكفروا» أي: حَسدًا على ﴿**أن يُنزِلَ اللهُ**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾: الوحيَ ﴿**على مَن يَشاءُ**﴾ للرسالة ﴿**مِن عِبادِهِ! فباؤُوا**﴾: رجَعوا ﴿**بِغَضَبٍ**﴾ من الله بكفرهم بما أنزل - والتنكيرُ للتعظيم - ﴿**على غَضَبٍ**﴾ استحقّوه من قبلُ، بتضييع التوراة والكفر بعيسى، ﴿**وللكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ ٩٠: ذو إهانة.

ربع الحزب ٢

٢ - ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا بِما أنزَلَ اللهُ**﴾: القرآنِ وغيره. ﴿**قالُوا: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ علَينا**﴾ أي: التوراةِ. قال تَعالى: ﴿**ويَكفُرُونَ**﴾ - الواو للحال - ﴿**بِما وَراءَهُ**﴾: سِواه أو بعدَه من القرآن، ﴿**وهُوَ الحَقُّ**﴾: حال، ﴿**مُصَدِّقًا**﴾: حال ثابتة مؤكّدة، ﴿**لِما مَعَهُم. قُلْ**﴾ لهم ﴿**:فلِمَ تَقتُلُونَ**﴾ أي: قتلتم ﴿**أنبِياءَ اللهِ مِن قَبلُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٩١ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبيّنا بما فعلَ آباؤهم لرضاهم به. ﴿**ولَقَد جاءَكُم مُوسَى بالبَيِّناتِ**﴾: بالمعجزات، كالعصا واليد وفلق البحر، ﴿**ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ**﴾ إلَهًا ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ ذَهابِه إلى الميقات، ﴿**وأنتُم ظالِمُونَ**﴾ ٩٢ باتّخاذه.

٣ - ﴿**وإذ أخَذْنا مِيثاقَكُم**﴾ على العمل بما في التوراة، ﴿**و**﴾ قد ﴿**رَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ**﴾: الجبلَ حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿**خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوّةٍ**﴾ بجدّ واجتهاد، ﴿**واسمَعُوا**﴾ ما تؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿**قالُوا: سَمِعْنا**﴾ قولَك ﴿**وعَصَينا**﴾ أمركَ. ﴿**وأُشرِبُوا في قُلُوبِهِمِ العِجلَ**﴾ أي: خالط حبُّه قلوبَهم كما يُخالط الشرابُ، ﴿**بِكُفرِهِم. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**بِئسَ ما**﴾: شيئًا ﴿**يأمُرُكُم بِهِ إيمانُكُم**﴾ بالتوراة عبادةُ العِجل، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٩٣ بها كما زعمتم! المَعنَى: لستم بمؤمنين، لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العِجل. والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذَّبتم محمّدًا، والإيمانُ بها لا يأمر بتكذيبه.

---

(١) كان اليهود في الجاهلية إذا لقوا المشركين في قتال يقولون: «اللهم إنا نسألك، بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان، إلّا نصرتنا عليهم». فلما ذكّرهم بذلك بعض الأنصار قال سلام بن مِشكَم: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. الدر المنثور ١:٨٨ والمستدرك ٢:٢٦٣.
وجاءهم أي: وصل إليهم وبُلّغوا به. والكتاب: القرآن الكريم. ومن عنده أي: بأمره ووحيه. والمصدق: الموافق المحقق ما كان في التوراة قبل تحريفها. وكفر: كذّب الله ورسوله، وأنكر الرسالة والتوحيد والبعث. وعرف: علم وأدرك يقينًا. وكفر به أي: جحده وأنكر أنه حق مع علمه بصدقه. واللعنة: العذاب والطرد من الرحمة. وبئس أي: تجاوز الحد في الشر والبؤس والفساد. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان: حقيقته وشخصه. وتمييز أي: في محل نصب. وفاعل «بئس»: مقدر أي: الشيء شيئًا اشتروا به أنفسهم. والمخصوص بالذم أي: المبتدأ الذي خبره الجملة قبله في محل رفع. وهو مذموم مرتين: الأولى في جنسه «الشيء» المقدر، والثانية في اختصاصه هنا. وأنزل أي: أوحاه على لسان جبريل. ومفعول له أي: مفعول لأجله. وبالتشديد يريد القراءة «يُنَزِّلَ». والفضل: الإنعام بالخير. ويشاء أي: يريد أن يكلفه بالدعوة والهداية. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والغضب: السخط على عُصاة الكفار مع إرادة الانتقام. وقبل أي: قبل البِعثة المحمدية. والكافر: من يكذّب الله ورسوله وينكر شيئًا من الوحي.
(٢) قيل لهم أي: أُمروا. وآمنوا به أي: صدّقوه واتبعوا مافيه. وأنزل: أوحى. ويكفرون به: يجحدونه ويكذبونه. وللحال: يعني أن جملة «يكفرون» في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم يكفرون. والتقييد بالحال بيان لشناعة تناقضهم، إذ الكفر بما يصدّق التوراة يقتضي الكفر بالتوراة أيضًا. وهو أي: القرآن الكريم. والحق: الصدق الثابت لا يسوغ إنكاره. وثابتة أي: حال لازمة لصاحبها أبدًا. وهي مؤكدة لصاحبها «الحق». وفي الأصل والنسخ والمطبوعات: «ثانية». والأنبياء: جمع نبي. وهو من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وقبل أي: قبل البعثة المحمدية. وجاءكم أي: أتاكم وأحضر لكم. واتخذتم أي: جعلتم وصيّرتم. والعجل: ولد البقر. والميقات: موعد لقاء الله - سبحانه - ليُنزل عليه التوراة. وظالمون أي: كافرون. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والكفر أفظعه.
(٣) أخذنا: انتزعنا. والميثاق: العهد المؤكد بيمين. ورفعناه: جعلناه مطلًّا عليكم. وخذوه أي: تقبلوه واعملوا به. والقبول: الرضا والاتباع. وسمعناه أي: بلغ مسامعنا وأدركناه. وعصى: خالف وعاند. والقلوب: جمع قلب. وبئس: انظر الآية ٩٠. ويأمر: يوجب. والإيمان: الاعتقاد والتصديق.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ
مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ
مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

١- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إن كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الآخِرةُ﴾ أي: الجَنّةُ ﴿عِندَ اللهِ خالِصةً﴾: خاصّةً ﴿مِنَ دُونِ النّاسِ﴾، كما زعمتم، ﴿فتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ٩٤، تعلق بتمنّيه الشرطان، على أن الأوّل قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها والمُوصّلُ إليها الموتُ، فتمنَّوه. ﴿ولَن يَتَمَنَّوهُ أبدًا، بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾، من كفرِهم بالنبيّ المستلزمِ لكذبهم - ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾ ٩٥: الكافرين، فيُجازيهم - ﴿ولَتَجِدَنَّهُم﴾ - لامُ قسم - ﴿أحرَصَ النّاسِ علَى حَياةٍ، و﴾ أحرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها، لعِلمهم بأنّ مصيرهم النارُ دُونَ المشركين، لإنكارهم له. ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنّى ﴿أحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ ألفَ سَنةٍ﴾ - لو: مصدرية بمعنى: أن. وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يودّ» - ﴿وما هُوَ﴾ أي: أحدُهم ﴿بِمُزَحزِحِهِ﴾: مُبعِده ﴿مِنَ العَذابِ﴾: النارِ ﴿أن يُعَمَّرَ﴾: فاعلُ «مزحزحه» أي: تعميرُه. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ ٩٦ - بالياء والتاء - فيُجازيهم.

٢- وسأل ابن صُورِيا النبيَّ أو عُمرَ عمّن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جِبريلُ. فقال: هو عدوّنا يأتي بالعذاب. ولو كان ميكائيلَ لآمنّا، لأنّه يأتي بالخِصب والسلم. فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ﴾ فليَمُت غيظًا، ﴿فإنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿على قَلبِكَ، بِإذنِ﴾: بأمرِ ﴿اللهِ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكتب، ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وبُشرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾ ٩٧. ﴿مَن كانَ عَدُوًّا للهِ ومَلائكَتِهِ ورُسُلِهِ وجِبرِيلَ﴾ - بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء ودونها - ﴿ومِيكالَ﴾: عطفٌ على الملائكة، من عطف الخاصّ على العامّ - وفي قراءة «مِيكائيلَ» بهمزة وياء، وفي أُخرى بلا ياء - ﴿فإنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكافِرِينَ﴾ ٩٨. أوقعه موقع «لهم» بيانًا لحالهم.

٣- ﴿ولَقَد أنزَلْنا إلَيكَ﴾ - يا محمّد - ﴿آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: واضحات. ردٌّ لقول ابن صُورِيا للنبيّ: ما جئتَنا بشيء. ﴿وما يَكفُرُ بِها إلّا الفاسِقُونَ﴾ ٩٩، ﴿أ﴾ كفروا بها، ﴿وَكُلّما عاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهدًا﴾ على الإيمان بالنبيّ إن خرج، أو النبيَّ ألّا يُعاونوا عليه المشركينَ، ﴿نَبَذَهُ﴾: طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنهُم﴾ بنقضه؟ جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام الإنكاريّ، ﴿بَل﴾ - للانتقال - ﴿أكثَرُهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ ١٠٠، ﴿ولَمّا جاءَهُم رَسُولٌ مِن عِندِ اللهِ﴾، محمّدٌ ﷺ، ﴿مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم نَبَذَ فَرِيقٌ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، كِتابَ اللهِ﴾ أي: التوراةَ ﴿وراءَ ظُهُورِهِم﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره، ﴿كأنَّهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ١٠١ ما فيها من أنه نبيّ حقّ، أو أنها كتاب الله.

---

(١) روي أن اليهود قالوا: «لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، ونحن أبناء الله وأحباؤه»، فنزلت الآيات ٩٤-٩٦ تعجيزًا لهم. الدر المنثور ١: ٨٩. وخاصة أي: مخصوصة بكم. وعند الله أي: في حكمه. ومن دونهم أي: ما عداهم. وتمنوه: أحِبُّوه واطلبوا حصوله. والأبد: مدة حياتهم. وقدمت أي: ما قدموا هم من نية وقول وعمل. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. وتجد: ترى وتعلم. والأحرص: الأكثر جشعًا. وأشرك: عبد مع الله شيئًا آخر. وعليها أي: على الحياة. وأحدهم أي: الواحد من اليهود. ويعمر: يُطال عمره. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. وبالتاء يريد القراءة «تَعمَلُونَ».

(٢) ابن صوريا: أحد أحبار اليهود. وعندما ذكر قوله هذا، قال عمر: «أشهد أن من كان عدوًا لجبريل فإنه عدو لميكائيل، ومن كان عدوًا لهما فإنه عدو لله». وقد نزلت الآيتان بموافقة ما قاله. انظر «المفصل». والخصب: كثرة الخير. والسلم: الأمن. والعدو: المعادي. وجبريل: رئيس الملائكة. ومعنى اسمه: عبد الله. وإنه أي: جبريل. ونزله أي: نزل به مرة بعد مرة. والقلب: موطن الفهم والحفظ والاعتقاد والتدبر والانفعال. والمصدق: الموافق المحقِّق. والهدى: الهادي يرشد إلى الحق. والبشرى: المبشر بما هو خير. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزم. وذَكر السيوطي هنا أربع قراءات: التي أثبتنا، وبفتحها يريد «جَبرِيلَ». وبه بياء أي: «جَبرَئِيلَ»، وبدونها أي: «جَبرَئِلَ». وميكال: من أفضل الملائكة، ومعناه: عُبيد الله. وفي أُخرى يريد القراءة «مِيكائِلَ». والكافر: من ينكر شيئًا مما أنزله الله.

(٣) أنزل: أوحى على لسان جبريل. والآيات: النصوص القرآنية. وقول ابن صوريا: انظر سبب النزول في المفصل. ويكفر بها: ينكرها ويكذب أنها من عند الله. والفاسق: المتمرد يخرج على الدين. وكلما عاهدوا أي: كل وقت عهد لهم. وعاهد: أعطى عهدًا موثقًا باليمين. والفريق: الجماعة. و«جواب كلما» توجيه إعرابي مرجوح. انظر «المفصل» أيضًا. ومحل الاستفهام يعني أن الإنكار مراد به هنا هو ما كان من نقض العهود. وللانتقال أي: عاطفة للإضراب لا تتعرض لما قبلها بشيء. والأكثر: الغالبية العظمى. يعني أن القليل جدًا منهم قد يؤمن، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ولا يؤمن: يجحد الحق. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم الرسالة. ومن عنده أي: مرسل مكلف بالتبليغ. والمصدق: المحقق المثبت. وأوتوا: أعطوا. والظهور: جمع ظهر. ويعلم: يدرك ويعي.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١ - ﴿**واتَّبَعُوا**﴾ - عطفٌ على «نَبَذَ» - ﴿**ما تَتلُو**﴾ أي: تَلَتِ ﴿**الشَّياطِينُ، علَى**﴾ عهدِ ﴿**مُلكِ سُلَيمانَ**﴾ من السحر. وكانت دفنتْه تحت كرسيّه لمّا نُزِعَ مُلكه، أو كانت تسترق السمع وتضمّ إليه أكاذيب - وتُلقيه إلى الكهنة فيدوّنونه. وفشا ذلك وشاع أن الجنّ تَعلم الغيبَ، فجمع سليمان الكُتب ودفنها. فلمّا مات دلّت الشياطينُ عليها الناسَ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنّما مَلَككم بهذا. فتعلّموه ورفضوا كتب أنبيائهم.

٢- قال - تعالى - تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم: «انظروا إلى محمّد، يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلّا ساحرًا»: ﴿**وما كَفَرَ سُلَيمانُ**﴾ أي: لم يعمل السحرَ لأنه كُفرٌ، ﴿**ولٰكِنَّ**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**الشَّياطِينَ كَفَرُوا، يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحرَ**﴾ - الجملة حال من ضمير «كفروا» - ﴿**و**﴾ يُعلّمونهم ﴿**ما أُنزِلَ علَى المَلَكَينِ**﴾ أي: أُلهِماه من السحر - وقرئ بكسر اللام - الكائنينِ ﴿**بِبابِلَ**﴾: بلدٍ في سواد العراق، ﴿**هارُوتَ ومارُوتَ**﴾: بدلٌ أو عطف بيان للملكين. قال ابن عبّاس: هما ساحرانِ كانا يُعلّمان السحرَ. وقيل: مَلَكانِ أُنزلا لتعليمه، ابتلاءً من الله للناس.

٣- ﴿**وما يُعَلِّمانِ مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**أحَدٍ حَتَّى يَقُولا**﴾ له نُصحًا: ﴿**إنَّما نَحنُ فِتْنَةٌ**﴾: بليّة من الله للناس، ليمتحنهم بتعليمه. فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن، ﴿**فلا تكفُرْ**﴾ بتعلّمه. فإن أبى إلّا التعليم علّماه. ﴿**فيَتَعَلَّمُونَ مِنهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وزَوجِهِ**﴾، بأن يُبغِّض كلٌّ إلى الآخر، ﴿**وما هُم**﴾ أي: السحرةُ ﴿**بِضارِّينَ بِهِ**﴾: بالسحر ﴿**مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**أحَدٍ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته، ﴿**ويَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُم**﴾ في الآخرة، ﴿**ولا يَنفَعُهُم**﴾. وهو السحر. ﴿**ولَقَد**﴾ - لامُ قسم - ﴿**عَلِمُوا**﴾ أي اليهودُ: ﴿**لَمَنِ**﴾ - لامُ ابتداء مُعلّقة لما قبلها، ومَن: موصولة - ﴿**اشتَراهُ**﴾: اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿**مالَهُ في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ**﴾: نصيب في الجنّة، ﴿**ولَبِئسَ ما**﴾: شيئًا ﴿**شَرَوا**﴾: باعوا ﴿**بِهِ أنفُسَهُم**﴾ أي الشارين، أي: حظَّها من الآخرة أن تعلّموه، حيث أوجب لهم النار! ﴿**لَو كانُوا يَعلَمُونَ**﴾ ١٠٢ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلّموه. ﴿**ولَو أنَّهُم**﴾ أي: اليهودَ ﴿**آمَنُوا**﴾ بالنبيّ والقرآن، ﴿**واتَّقَوا**﴾ عقابَ الله بترك معاصيه كالسحر، وجوابُ «لو» محذوف أي: لأُثيبوا، دلّ عليه ﴿**لَمَثُوبةٌ**﴾: ثواب - وهو مبتدأ واللام فيه للقسم - ﴿**مِن عِندِ اللهِ خَيرٌ**﴾، خبره، مما شرَوا به أنفُسهم. ﴿**لَو كانُوا يَعلَمُونَ**﴾ ١٠٣ أنه خير لما آثروه عليه.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقُولُوا**﴾ للنبيّ: ﴿**راعِنا**﴾. أمرٌ من **المُراعاة**، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبّ من الرُّعونة. فسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبيّ، فنُهي المؤمنون عنها. ﴿**وقُولُوا**﴾ بدلَها: ﴿**انظُرْنا**﴾ أي: انظرْ إلينا. ﴿**واسمَعُوا**﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿**ولِلكافِرِينَ عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١٠٤: مؤلمٌ هو النار. ﴿**ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ، ولا المُشرِكِينَ**﴾ من العرب - عطف على أهل الكتاب ومِن: للبيان - ﴿**أن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِن**﴾، زائدةٌ، ﴿**خَيرٍ**﴾: وحيٍ ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ حَسدًا لكم. ﴿**واللهُ يَختَصُّ بِرَحمَتِهِ**﴾: بنُبوّته ﴿**مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾ ١٠٥.

---

(١) نزعُ ملك سليمان خرافة وضعها الإسرائيليون والزنادقة. انظر تعليقنا على الآية ٣٤ من سورة ص. واتبعه: وافقه وعمل به. وتتلو أي: تفتري وتكذب. والشياطين: جمع شيطان. وهو من يوسوس بالشر من الإنس أو الجن. وسليمان: ابن داود من أشهر أنبياء بني إسرائيل، واسمه معناه: رجل السلام. (٢) كفر: جحد التوحيد وما يلزمه. وبالتخفيف يريد القراءة «ولٰكِنِ الشَّياطِينُ». ويعلمه: يعرّفه إياه ويجعله واضحًا. والسحر: ما يخدع العقل والحواس، بما هو تخييل وإيهام. انظر البحر ١: ٣٢٨. وعُبِّرَ عن الساحرين بالملَكين لما هما عليه من الصلاح حينذاك. ولجعلهما من الملائكة حقيقةً قصصٌ مختلقة من الإسرائيليات. ونحن نؤمن بما ورد في القرآن والسُّنّة لا بالقصص المصنوعة. انظر «المفصل». وبكسر اللام يريد «المَلِكَينِ». وبابل: بلد بين الحِلّة والكوفة. وسواد العراق: مناطق الريف فيه. وهاروت وماروت: اسمان أعجميان. والابتلاء: الامتحان ليظهر الصالح من المفسد. (٣) التعليم ههنا تعليم تحذيرٍ وتحريم للعمل، إذ المراد تبيين السحر ليُعرف به ما أشاعه الشياطين ، فيتيسر تجنبه. والفتنة: البلاء للامتحان، كي يتميز المصلح من المفسد. قال البيضاوي: «ما يعلمانّ أحدًا حتى ينصحاه، ويقولا له: إنما نحن ابتلاء من الله. فمن تعلم منا وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثَبَتَ على الإيمان. فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به». ويفرّق: يقطع الألفة والمحبة، بالكيد والخداع والإيهام. والمرء: الرجل. والزوج: الزوجة. والضار: المسبب للشر. وينفع: يجلب الخير ويمنع الشر. وعلم: أدرك يقينًا. ومعلقة له يعني: تعلقه عن العمل الظاهر، دون العمل في المحل. والآخرة: الحياة بعد الموت. وآمنوا به: صدقوه واتبعوه. واتقاه: تجنبه وحفظ نفسه منه. ومن عنده أي: من تكرُّمه. وخير: عميمة النفع . (٤) راعِنا، أي: اشملنا بعطفك. واستعملها اليهود خطابًا للهزء والإيذاء، فنزلت الآية تقطع ألسنة اليهود. وتقول: تخاطب بالقول. والرعونة: قلة العقل. وسُرُّوا أي: سعد اليهود. والكافرون: من يكذبون الله ورسوله. وهم هنا اليهود وأمثالهم. وكان بعض الصحابة يدعون حلفاءهم من اليهود إلى الإسلام، فيجيبونهم: «هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير مما نحن فيه. ولوددنا لو كان خيرًا». فأنزل الله الآية ١٠٥ تكذيبًا لهم. انظر «المفصل». ويود: يتمنى. والكتاب: التوراة والإنجيل. والمشرك: من يعبد مع الله بعض المخلوقات. وللبيان أي: لتبيين ما في الاسم الموصول من عموم. وينزل: يوحى. والخير: ما فيه نفع الدنيا والآخرة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ومن ربكم أي: من عنده وبفضله. ويختص: يختار ويفضل. والرحمة: العطف بالتفضل والإحسان. ويشاء: يريد أن يرحمه. وذو الفضل أي: صاحب التفضل يتفرد به دون غيره. والعظيم: ما ليس له مثيل.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

نصف الحزب ٢

١- ولمّا طَعنَ الكُفّار في النَّسخ، وقالوا: «إنّ محمّدًا يأمر أصحابه اليوم بأمر، وينهى عنه غدًا» أنزلَ الله: ﴿**ما**﴾: شرطية ﴿**نَنسَخْ مِن آيةٍ**﴾ أي: نُزِلْ حُكمَها، إمّا مع لفظها أوْ لا - وفي قراءة بضمّ النون من: أَنسَخَ، أي نأمرْك أو جبريلَ بنسخها - ﴿**أو نَنْسَأْها**﴾: نُؤخّرْها فلا نُزِلْ حُكمَها ونرفعُ تلاوتها، أو نُؤخّرْها في اللوح المحفوظ - وفي قراءة بلا همز من النسيان، أي: نُنسِكَها، أي: نَمحُها من قلبك - وجواب الشرط ﴿**نأتِ بِخَيرٍ مِنها**﴾: أنفعَ للعباد في السهولة أو كثرة الأجر، ﴿**أو مِثلِها**﴾ في التكليف والثواب. ﴿**ألَم تَعلَمْ أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١٠٦، ومنه النسخ والتبديل؟ والاستفهام للتقرير. ﴿**ألَم تعلَمْ أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾، يفعل فيهما ما يشاء، ﴿**وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**وَليِّ**﴾ يحفظكم، ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾ ١٠٧ يمنع عذابه عنكم، إن أتاكم؟

٢- ونزل لمّا سأله أهل مكّة أن يوسّعها، ويجعل الصفا ذهبًا: ﴿**أم**﴾: بل أ﴿**تُريدُونَ أن تَسألُوا رَسُولَكُم كما سُئِلَ مُوسَى**﴾ أي: سأله قومه ﴿**مِن قَبلُ**﴾، من قولهم: «أرِنا اللهَ جَهْرةً»، وغيرَ ذلك؟ ﴿**ومَن يَتبدَّلِ الكُفرَ بالإيمانِ**﴾ أي: يأخذْه بدله، بترك النظر في الآيات البيّنات واقتراح غيرها، ﴿**فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ**﴾ ١٠٨: أخطأ الطريق الحقّ. والسواءُ في الأصل: الوَسَطُ.

٣- ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو**﴾: مصدرية ﴿**يَرُدُّونكُم مِن بَعدِ إيمانِكُم كُفّارًا، حَسَدًا**﴾: مفعول له، كائنًا ﴿**مِن عِندِ أنفُسِهم**﴾ أي: حملتْهم عليه أنفسهم الخبيثة، ﴿**مِن بَعدِ ما تبَيَّنَ لَهُمُ**﴾ في التوراة ﴿**الحَقُّ**﴾، في شأن النبيّ ﷺ. ﴿**فاعفُوا**﴾ عنهم أي: اتركوهم، ﴿**واصفَحُوا**﴾: أعرضوا فلا تُجازوهم، ﴿**حَتَّى يأتِيَ اللهُ بأمرِهِ**﴾ فيهم من القتال - ﴿**إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١٠٩- **وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ. وما تُقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم مِن خَيرٍ**﴾: طاعةٍ، كصِلة وصدقة، ﴿**تَجِدُوهُ**﴾ أي: ثوابَه ﴿**عِندَ اللهِ. إنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ١١٠، فيُجازيكم به.

٤- ﴿**وقالُوا: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كانَ هُودًا**﴾: جمع هائد، ﴿**أو نَصارَى**﴾. قال ذلك يهود المدينةِ ونصارى نجرانَ، لمّا تناظروا بين يدَي النبيّ ﷺ، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلّا اليهودُ، وقال النصارى: لن يدخلها إلّا النصارى - ﴿**تِلكَ**﴾ القَولةُ ﴿**أمانِيُّهُم**﴾: شهواتهم الباطلة - ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**هاتُوا بُرهانَكُم**﴾: حُجّتكم على ذلك، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١١١ فيه. ﴿**بَلَى**﴾ يدخل الجنّةَ غيرهم، ﴿**مَن أسلَمَ وَجهَهُ لِلهِ**﴾ أي: انقاد لأمره - وخُصّ الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيرُه أولى - ﴿**وهوَ مُحسِنٌ**﴾: مُوحّد ﴿**فلَهُ أجرُهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ أي: ثوابُ عمله الجنّةُ، ﴿**ولا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ١١٢ في الآخِرة.

---

(١) طعنُ الكفار: اعتراضهم على تبديل الأحكام. ومع لفظها أي: نسخ الحكم واللفظ معًا. و«أو لا» يعني: أو نسخ الحكم دون اللفظ. وبضم النون: «نُنْسِخْ». ولا نُزِلْ: لا ننسخْ. وفي الأصل وخ: «فلا ننزل». وفي المنحة وبعض المطبوعات: «فلا نزيلُ». ورفع التلاوة: نسخها. ونؤخرها أي: لا نطلعكم عليها. وبلا همز: «نُنْسِها». و«ننسكها» تفسير للقراءة قبل. ونأت أي: نُنزل إليكم. وخير: أكثر نفعًا. ومثلها: بقدرها. وتعلم: تدرك باليقين. والقدير: المبالغ في القدرة. والمُلك: الحيازة والتصرف. والسماء: ما يحيط بالأرض. وزيادة «مِن» للتنصيص على عموم النفي. والولي: من يتولى أمور غيره. والنصير: المعين لجلب الخير ودفع الشر.

(٢) الآية مدنية وسياقها يقتضي ذكر اليهود أيضًا. انظر «المفصل». وتريد: تقصد. ومن قبل أي: قبل زمنكم. وقولهم في الآية ١٥٣ من سورة النساء. والكفر: الجحود للتوحيد. والإيمان: الاعتقاد اليقيني. والوسط: السويّ المعتدل.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. وود: تمنى. والأهل للشيء: أصحابه. والكتاب: التوراة والإنجيل. ومصدرية يعني: ودوا ردَّكم. ويَرد: يُصيِّر. وكفارًا، أي: مرتدين. والحسد: تمني زوال النعمة عن الغير. ونفس الإنسان: ضميره. وتبينَ: ظهر. والحق: الصدق اليقيني. ولا تجازوهم أي: بخصومة أو قتال. ويأتي به: يوحيه. والأمر: الفرض. وأقيموا الصلاة أي: استمروا على أدائها. وإيتاء الزكاة: أداء ما فرض على المال لتطهيره وتطهير صاحبه. وتُقدمُ: تَفعلُ في الحياة الدنيا. وتجد: تصادف. وعند الله أي: في لقاء حسابه بالفضل. وتعملون أي: تكتسبونه. والبصير: المدرك للأحداث حال وقوعها.

(٤) الجنة: الحديقة العظيمة. والهائد: التائب من عبادة العجل. والنصارى: جمع نَصران. وهو الذي نصر المسيح. ونجران: في شمالي اليمن. والقولة: ما يقال. والأمانيّ: جمع أُمنيّة. وهاتوا: أحضِروا. والصادق: من يقول الحق. وانقاد أي: دخل الإسلام بظاهره. وغيره أولى أي: أن سائر الإنسان أحق بالانقياد. وموحد أي: معترف قلبه بالتوحيد. وعند ربه أي: في حسابه بفضله. والخوف: الفزع. ويحزن: يغتم لما مضى.

الجزء الأول　سورة البقرة

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١- **﴿وقالَتِ اليَهُودُ: لَيسَتِ النَّصارَى على شَيءٍ﴾** معتدّ به. وكفَرتْ بعيسى، **﴿وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهودُ على شَيءٍ﴾** معتدّ به. وكفَرتْ بموسى، **﴿وهُم﴾** أي: الفريقانِ **﴿يَتلُونَ الكِتابَ﴾** المُنزلَ عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى. والجملة حال. **﴿كَذٰلِكَ﴾**: كما قال هؤلاء **﴿قالَ الَّذينَ لا يَعلَمُونَ﴾** أي: المشركون من العرب وغيرُهم **﴿مِثْلَ قَولِهِم﴾**: بيان لمعنى «ذلك». أي: قالوا لكلّ ذي دِين: ليسوا على شيء. **﴿فاللهُ يَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾** ١١٣ من أمر الدين، فيُدخِل المحقَّ الجنةَ والمُبطلَ النارَ.

٢- **﴿ومَن أظلَمُ﴾** أي: لا أحدَ أظلمُ **﴿مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أن يُذكَرَ فِيها اسمُهُ﴾** بالصلاة والتسبيح، **﴿وسَعَى في خَرابِها﴾** بالهدم أو التعطيل؟ نزلتْ إخبارًا عن الروم الذين خرّبوا بيت المقدس، أو في المشركين لمّا صدّوا النبيّ ﷺ عامَ الحُديبية عن البيت. **﴿أُولٰئِكَ ما كانَ لَهُم أن يَدخُلُوها إلّا خائفِينَ﴾**. خبرٌ بمعنى الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد، فلا يدخلُها أحد آمنًا، **﴿لَهُم في الدُّنيا خِزْيٌ﴾**: هوانٌ بالقتل والسبي والجزية، **﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾** ١١٤ هو النار.

٣- ونزل، لمّا طعن اليهود في نسخ القِبلة، أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجّهتْ: **﴿و للهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ﴾** أي: الأرضُ كلّها لأنهما ناحيتاها. **﴿فأينَما تُوَلُّوا﴾** وجوهكم في الصلاة بأمره **﴿فثَمَّ﴾**: هناكَ **﴿وَجهُ اللهِ﴾**: قِبلتُه التي رضيها. **﴿إنَّ اللهَ واسِعٌ﴾**: يسع فضلُه كلّ شيء، **﴿عَلِيمٌ﴾** ١١٥ بتدبير خلقه. **﴿وقالُوا﴾** بواو ودونِها أي: اليهودُ والنصارَى، ومن زعم أنّ الملائكةَ بناتُ الله: **﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾**. قال تعالى: **﴿سُبحانَهُ﴾**: تنزيهًا له عنه! **﴿بَل لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾** مُلكًا وخلقًا وعبيدًا - والمُلكيّة تُنافي الولادة. وعُبّر بـ«ما» تغليبًا لما لا يعقل - **﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾** ١١٦: مطيعون كلٌّ بما يُراد منه. وفيه تغليب العاقل. **﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾**: مُوجِدُهما لا على مثال سبق، **﴿وإذا قَضَى﴾**: أراد **﴿أمرًا﴾** أي: إيجادَه **﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾** ١١٧ أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصبِ جوابًا للأمر.

٤- **﴿وقالَ الَّذينَ لا يَعلَمُونَ﴾** أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: **﴿لَولا﴾** هلّا **﴿يُكَلِّمُنا اللهُ﴾** أنك رسوله، **﴿أو تأتِينا آيةٌ﴾** ممّا اقترحناه على صدقك. **﴿كَذٰلِكَ﴾**: كما قال هؤلاء **﴿قالَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم﴾**، مِن كُفّار الأُمم الماضية لأنبيائهم، **﴿مِثْلَ قَولِهِم﴾** من التعنّت وطلب الآيات، **﴿تَشابَهَتْ قُلُوبُهُم﴾** في الكُفر والعِناد. فيه تسلية للنبيّ ﷺ. **﴿قَد بَيَّنّا الآياتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾** ١١٨: يعلمون أنّها آيات فيؤمنون. فاقتراحُ آية معها تعنُّت.

٥- **﴿إنّا أرسَلناكَ﴾** - يا محمّد - **﴿بالحَقِّ﴾**: بالهُدى **﴿بَشِيرًا﴾** من أَجاب إليه بالجنّة، **﴿ونَذِيرًا﴾** من لم يُجب إليه بالنار، **﴿ولا تُسألُ عَن أصحابِ الجَحِيمِ﴾** ١١٩ النارِ، أي: الكُفّار، ما لهم لم يؤمنوا؟ إنّما عليك البلاغ - وفي قراءة بجزم «تَسألْ» نهيًا - **﴿ولَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصارَى، حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾**: دِينَهم. **﴿قُلْ: إنَّ هُدَى اللهِ﴾**: الإسلامَ **﴿هُوَ الهُدَى﴾**، وما عداه ضلال. **﴿ولَئِن﴾** - لامُ قسم - **﴿اتَّبَعتَ**

---

(١) المعتد به: ما له فائدة. ويتلو: يقرأ ويَفهم. ولا يعلم: لا يميز الحق من الباطل. ويحكم: يقضي بالحق. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب. ويختلفون: يتنازعون ويختصمون. (٢) ظاهر الآية العموم في كل مانع وكل مسجد. والأظلم: الأكثر عدوانًا. والمساجد: جمع لمكان السجود. ويذكر: يردد ويقدس. وسعى: عمل بجد. ونزلت أي: هذه الآية. وعن الروم أي: عما كان منهم. وعام الحديبية هو السنة السادسة. وما كان لهم أي: لا يصح لهم فامنعوهم. والسبي: الأسر في الحرب. والجزية: ما يدفعه الكتابي ليحفظ نفسه وماله في الدولة. والعظيم: الذي لا مثيل له. (٣) لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس للصلاة، فأشاع اليهود أنه تابع لهم، وبعد بضعة عشر شهرًا أُمر بالعودة إلى استقبال الكعبة. والنافلة: ما شُرع زيادة على الفرض. والراحلة: ما يُركب من الإبل في السفر. والمراد إباحة صلاة الراكب. والمشرق والمغرب: جهتا الشروق والغروب. وتولُّوا أي: تتوجَّهوا. والواسع: الجواد لاحد لتفضله. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وبواو أي: قبل الفعل. وبدونها يريد القراءة «قالُوا»، دون تلك الواو. واليهود قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله. ونصارى نجران قالوا: المسيحُ ابنُ الله. وعنه أي: عما زعمه الكافرون. والأمر: الشيء. وكن أي: احدُثْ. ويكون أي: يحدث. وبالنصب يريد القراءة «فيَكُونَ». والأمر ههنا كناية عن سرعة الإيجاد، بإرادة نافذة فورًا من دون قول أو طلب. (٤) يكلمنا أي: يخاطبنا بالقول أو وحيًا إلينا. وبيّناها أي: جعلناها بينة. والتعنت: التحكم والمكابرة. (٥) أرسل: بعث للدعوة. والحق: الأمر الثابت. والبشير: من يبلغ الخير. والنذير: المهدد. ولا تسأل أي: لست محاسَبًا عن كفرهم. والجحيم: ما اضطرب من النار. والكفار أي: عنهم. والخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته أيضًا. وفي الأصل: «ولا تُسألْ». وتتبعها: توافقها وتعمل بها. ودينهم أي: الكفر بالإسلام والرسالة. والهدى: الرشد إلى الحق. والأهواء: جمع هوى، أي: الرأي ينشأ عن الشهوة. وفرضًا أي: على سبيل الفرض جدلًا. وجاءك: وصل إليك. والعلم: المعرفة اليقينية. والولي: القريب يلي أمور غيره. والنصير: المعين يقوّي ويدافع. وآتيناهم: أنزلنا إليهم. والحق: الواقع بحسب مايجب، أي: يتلونه بإيمان، فيوجب عليهم الإيمان برسالة الإسلام. والحبشة: بلاد في شرقي إفريقية. والخاسر: الذي ظلم نفسه. والمصير: النهاية يوم القيامة.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أهْواءَهُم﴾ التي يدعونكَ إليها فَرْضًا، ﴿**بَعدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾: الوحي من الله، ﴿**مالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ**﴾ يحفظك، ﴿**ولا نَصيرٍ**﴾ ١٢٠ يمنعك منه. ﴿**الَّذينَ آتيناهُمُ الكِتابَ**﴾ مبتدأ، ﴿**يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوتِهِ**﴾: يقرؤونه كما أُنزل - والجملة حال، وحقّ: نصب على المصدر - والخبر ﴿**أُولئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾ - نزلتْ في جماعة، قدموا من الحبشة وأسلموا - ﴿**ومَن يَكفُرْ بِهِ**﴾ أي: بالكتاب المُؤتَى بأن يُحرّفه ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ١٢١، لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم.

١- ﴿**يا بَنِي إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أنعمتُ عليكُم، وأنّي فَضَّلتُكُم على العالَمِينَ**﴾ ١٢٢ - تَقدّم مِثلُه - ﴿**واتَّقُوا**﴾: خافوا ﴿**يومًا، لا تَجزِي نَفسٌ عَن نَفسٍ**﴾: تُغني فيه ﴿**شَيئًا! ولا يُقبَلُ مِنها عَدلٌ**﴾: فِداءٌ، ﴿**ولا تَنفَعُها شَفاعةٌ، ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾ ١٢٣: يُمنعون من عذاب الله.

ثلاثة أرباع الحزب ٢

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذِ ابتَلَى**﴾: اختبرَ ﴿**إبراهِيمَ**﴾ - وفي قراءة «إبراهامَ» - ﴿**رَبُّهُ بِكَلِماتٍ**﴾: بأوامرَ ونواهٍ كلّفه بها - قيل: هي مناسك الحجّ. وقيل: المضمضة والاستنشاق والسِّواك، وقصّ الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة، والخِتان والاستنجاء - ﴿**فأتَمَّهُنَّ**﴾: أدّاهنّ تامّاتٍ. ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إمامًا**﴾: قُدوة في الدِّين. ﴿**قالَ: ومِن ذُرِّيَّتِي**﴾: أولادي اجعلْ أئمّة. ﴿**قالَ: لا يَنالُ عَهدِيَ**﴾ بالإمامة ﴿**الظّالِمِينَ**﴾ ١٢٤: الكافرين منهم. دلّ على أنه ينال غيرَ الظالم.

٣- ﴿**وإذ جَعَلنا البَيتَ**﴾: الكعبةَ ﴿**مَثابةً لِلنّاسِ**﴾: مَرجِعًا يثوبون إليه من كلّ جانبٍ ﴿**وأَمْنًا**﴾: مأمنًا لهم من الظُّلم والإغارات الواقعة في غيره. كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يُهيجه - ﴿**واتَّخِذُوا**﴾، أيّها الناس، ﴿**مِن مَقامِ إبراهِيمَ**﴾، هو الحَجر الذي قام عليه عند بناء البيت، ﴿**مُصَلًّى**﴾: مكانَ صلاة بأن تُصلّوا خلفه ركعتَي الطواف. وفي قراءة بفتح الخاء، خبرٌ - ﴿**وعَهِدْنا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ**﴾: أمرناهما ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**طَهِّرا بَيتِي**﴾ من الأوثان، ﴿**لِلطّائِفِينَ والعاكِفِينَ**﴾: المقيمين فيه، ﴿**والرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ ١٢٥: جمع راكع وساجد، المُصلّينَ.

٤- ﴿**وإذ قالَ إبراهِيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هٰذا**﴾ المكانَ ﴿**بَلَدًا آمِنًا**﴾: ذا أمن - وقد أجاب الله دعاءه فجعله حَرَمًا، لا يُسفَك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يُختلَى خَلاه - ﴿**وارزُقْ أهلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ**﴾ - وقد فَعلَ بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفرَ لا زرعَ به ولا ماء - ﴿**مَن آمَنَ مِنهُم باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾: بدلٌ من «أهله». وخصّهم بالدعاء لهم موافقة لقوله «لا يَنالُ عَهدِيَ الظّالِمِينَ». ﴿**قالَ**﴾ تعالى: ﴿**و**﴾ أرزقُ ﴿**مَن كَفَرَ فأُمَتِّعُهُ**﴾ - بالتشديد والتخفيف - في الدنيا بالرزق ﴿**قَلِيلًا**﴾: مُدّة حياته، ﴿**ثُمَّ أضطَرُّهُ**﴾: أُلجئُه في الآخرة ﴿**إلَى عَذابِ النّارِ**﴾، فلا يجد عنها مَحيصًا. ﴿**وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ١٢٦: المَرجعُ هي!

---

(١) تقدم مثله أي: في الآيتين ٤٧ و٤٨. ويومًا أي: ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال. والنفس: المخلوق العاقل. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. (٢) اذكر أي: لنفسك ولأصحابك ولقومك إعلامًا، وتصحيحًا لما في مكة من الشرك والضلال. واختبره أي: امتحنه ليَظهر ما في نفسه. وإبراهيم هو خليل الله، أُرسل بالتوحيد ومعنى اسمه: أب رحيم. كان في العراق، وانتقل إلى فلسطين، ثم صار يزور مكة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وجاعل أي: مصيِّر ومرسِل. والإمام: من يؤمّ غيره ويقودهم. ويناله: يدركه ويخصه. والعهد: الميثاق. وهو الوعد بالإمامة. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. والكفر أشنع ذلك. (٣) روي أن النبي ﷺ أخذ بيد عمر بن الخطاب وقال: «هذا مَقامُ إبراهِيمَ». فقال عمر: «أفلا نتخذه مصلًّى»؟ فقال: «لَم أُومَرْ بِذلِكَ». فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية. انظر «المفصل». ويثوب: يتوجه ويجتمع. واتخذوا: اجعلوا وصيّروا. والمقام: مكان القيام. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته هاجر، ومعنى اسمه: استجب يا ألله. وقد ولد في مكة بين العرب، فكان عربيًا وجدًّا لعرب الشمال. وطهراه أي: احفظا له الطهارة. والبيت: الكعبة المشرفة. والأوثان: جمع وثن، أي: التمثال يُعبد. والطائف: من يطوف حول البيت أشواطًا للعبادة. والراكع: من يحني ظهره عبادة وتذللًا. والساجد: من يضع جبهته وأنفه وكفيه وركبتيه على الأرض. (٤) رب أي: يا ربي. حذف حرف النداء لما فيه من إشعار بمعنى الأمر والتنبيه، وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واجعل: صيّر. والبلد: المكان المحدود للاستيطان. ويختلى: يقطع ويؤخذ. والخلى: الحشيش الرطب. وارزقهم أي: أعطهم ويسر لهم. والأهل: السكان والمقيمون. والثمر: ما ينعقد عن الزهر في النبات. وما ذكر عن نقل الطائف مصدره القصص الخرافية المصنوعة، وليس له أصل صحيح. انظر «المفصل» ومعجم البلدان (الطائف). والأقفر: الخالي من المنافع. وآمن به: صدّقه باعتقاد يقيني. والله: لفظ الجلالة اسم علم للواجب الوجود المعبود بحق وحده المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واليوم: الوقت. والآخر: البعيد عن الناس يكون بالبعث بعد الموت. و«موافقة لقوله» يعني ما في الآية ١٢٤. وكفر: كذّب بتوحيد الألوهية وباليوم الآخر. وأمتعه: أزوّده بالمنافع. والتخفيف أي: تخفيف التاء مع سكون الميم، يريد القراءة «فأُمْتِعُهُ». وعنها أي: عن النار. والمحيص: المهرب والمفر. وبئس: تجاوز الحد في السوء والبؤس والشقاء. والمصير: مكان العاقبة والنهاية الأبديتين.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ
مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا
مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ
وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ
قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ
ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا
وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا
مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ يَرفَعُ إبراهِيمُ القَواعِدَ**﴾: الأُسُس أو الجُدُر، ﴿**مِنَ البَيتِ**﴾: يبنيه - متعلّق بـ «يرفع» - ﴿**وإسماعِيلُ**﴾: عطف على «إبراهيم»، يقولان: ﴿**رَبَّنا، تَقَبَّلْ مِنّا**﴾ بناءنا - ﴿**إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ**﴾ للقول، ﴿**العَلِيمُ**﴾ **١٢٧** بالفعل - ﴿**رَبَّنا، واجعَلْنا مُسلِمَينِ**﴾: مُنقادَينِ ﴿**لَكَ، و**﴾ اجعلْ ﴿**مِن ذُرِّيَّتِنا**﴾: أَولادِنا ﴿**أُمَّةً**﴾: جماعة ﴿**مُسلِمةً لَكَ**﴾ - ومِن: للتبعيض، وأتَى به لتقدّم قوله له «لا يَنالُ عَهدِيَ الظّالِمِينَ» - ﴿**وأرِنا**﴾: علِّمْنا ﴿**مَناسِكَنا**﴾: شرائعَ عبادتنا أو حجِّنا، ﴿**وتُبْ علَينا - إنَّكَ أنتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ**﴾ **١٢٨**. سألاه التوبة مع عِصمتهما، تواضعًا وتعليمًا لذرّيّتهما - ﴿**رَبَّنا، وابعَثْ فِيهِم**﴾ أي: أهلِ البيت ﴿**رَسُولًا مِنهُم**﴾ من أنفسهم - وقد أجاب الله دعاءه بمحمّد ﷺ - ﴿**يَتلُو علَيهِم آياتِكَ**﴾: القرآنَ ﴿**ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ**﴾: القرآنَ ﴿**والحِكْمَةَ**﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿**ويُزَكِّيهِم**﴾: يُطهّرهم من الشرك. ﴿**إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ**﴾: الغالب ﴿**الحَكِيمُ**﴾ **١٢٩** في صُنعه.

٢- ﴿**ومَن**﴾ أي: لا ﴿**يَرغَبُ عَن مِلّةِ إبراهِيمَ**﴾، فيتركُها ﴿**إلّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾: جهلَ أنها مَخلوقة لله يجب عليها عبادته، أو استخفّ بها وامتهنها؟ ﴿**ولَقَدِ اصطَفَيناهُ**﴾: اخترَناه ﴿**في الدُّنيا**﴾ بالرسالة والخُلّة، ﴿**وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ**﴾ **١٣٠**: الذين لهم الدرجات العُلى. اذكرْ ﴿**إذ قالَ لَهُ رَبُّهُ: أسلِمْ**﴾: انقَدْ لِله، وأخلص له دِينك. ﴿**قالَ: أسلَمتُ لِرَبِّ العالَمِينَ ١٣١. ووَصَّى**﴾ - وفي قراءة «أَوصَى» - ﴿**بِها**﴾ بالملّة ﴿**إبراهِيمُ بَنِيهِ ويَعقُوبُ**﴾ بنيه، قال: ﴿**يا بَنِيَّ، إنَّ اللهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ**﴾ دين الإسلام. ﴿**فلا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمُونَ**﴾ **١٣٢**. نهى عن تركِ الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مُصادفة الموت.

٣- ولمّا قال اليهود للنبيّ: «ألستَ تعلم أنّ يعقوب، يومَ ماتَ، أوصى بنيه باليهوديّة»؟ نزلَ: ﴿**أم كُنتُم شُهَداءَ**﴾: حضورًا، ﴿**إذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ، إذ**﴾ - بدلٌ من «إذ» قبله - ﴿**قالَ لِبَنِيهِ: ما تَعبُدُونَ مِن بَعدِي**﴾: بعدِ موتي؟ ﴿**قالُوا: نَعبُدُ إلَهَكَ وإلَهَ آبائِكَ، إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ**﴾ - عَدُّ إسماعيل من الآباء تغليبٌ، ولأن العمّ بمنزلة الأب - ﴿**إلَهًا واحِدًا**﴾: بدلٌ من «إلَهك»، ﴿**ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ**﴾ **١٣٣**. وأم: بمعنى همزة الإنكار أي: لم تَحضُروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟ ﴿**تلكَ**﴾: مبتدأ - والإشارة إلى إبراهيمَ ويعقوب وبَنِيهما، وأُنِّث لتأنيث خبره - ﴿**أُمّةٌ قَد خَلَتْ**﴾: سَلَفتْ. ﴿**لَها ما كَسَبَتْ**﴾ من العمل أي: جزاؤه - استئناف - ﴿**ولَكُم**﴾ الخطاب لليهود ﴿**ما كَسَبتُم، ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ **١٣٤** كما لا يُسألون عن عملكم. والجملة تأكيد لما قبلها.

---

(١) يرفعها: يبنيها ويَشيد عليها. والقواعد: جمع قاعدة. والبيت: الكعبة المشرفة، ولم يكن لها وجود قبل إبراهيم، وهو الذي أسسها. وقد ذكر أهل الأخبار عنها قصصًا متناقضة، لم يرد بها نص قرآني أو نبوي، وأكثرها من نسج الخيال. انظر الدر المنثور ١:١٢٥-١٣٧. وتقبله أي: اقبله وأثبنا عليه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. وقوله يعني: ما ورد في الآية ١٢٤. وعلمنا أي: عرّفنا. والمناسك: جمع مَنسَك. وهو ما يقوم به الإنسان عبادة. وتب علينا أي: ثبّتنا على التوبة، واصفح عما كان من تقصيرنا. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالإنعام. وابعث أي: أرسل بالهداية. وأهل البيت يعني بيت إبراهيم وإسماعيل. والرسول: من يكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويتلو: يقرأ ويبلّغ. ويعلمهم أي: يُعرّفهم ويفهّمهم. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٢) روي أن عبد الله بن سلام كان من أحبار اليهود، ثم أسلم ودعا إلى الإسلام ابني أخيه مهاجرًا وسلمة، فاستجاب الثاني وامتنع الأول، فنزلت الآية لتشنّع ماكان عليه الممتنع. ويرغب عنها: يزهد فيها ويعرض عنها. والملة: الشريعة والديانة. ونفس الإنسان: حقيقته وذاته. والخلة: كونه خليلًا للمولى. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والصالح: من يعمل ما يرضي الله. وقال له أي: ألهمه دلائل الإيمان والتوحيد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَم: الجنس من المخلوقات. ووصاهم بها وأوصاهم أي: عَهِد إليهم بها مبينًا لهم ما يجب العمل به منها مقرونًا بالوعظ. والبنون: الأولاد الذكور، ويشملون الإناث بالتغليب. ويعقوب: ابن إسحاق بن إبراهيم، ويعرف باسم إسرائيل أيضًا. وكأنه سمي يعقوب لأنه بُشّر به إبراهيم نبيًا بعد إسحاق. فهو يعقبه بالنبوة. واصطفى لكم أي: اختار وجعل لكم.

(٣) نزل أي: لتكذيبهم في دعوى الوصية باليهودية، وبيان ما قاله يعقوب حينذاك. والشهداء: جمع شهيد يرى ويسمع. وحضره: جاءه ونزل به. وتعبد: تقدس بالألوهية وتطيع. والإلٰه: المعبود بحق. وإسماعيل هو عمّ يعقوب. ولذلك جُعل ذكره في الآباء من التغليب. والواحد: المتفرد لا شريك له ولا مثيل. والمسلم: المذعن المقرّ بالعبودية. والأمة: الجماعة من الناس توحد بينها العقيدة. وكسبت أي: جمعته وتحملته. وتسأل أي: سؤال حساب وجزاء. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١- ﴿**وقالوا: كُونوا هُودًا أو نَصارَى، تَهتَدُوا**﴾ أو: للتفصيل. وقائل الأول يهود المدينةِ والثاني نصارى نجرانَ. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**بَل**﴾ نتّبعُ ﴿**مِلّةَ إبراهِيمَ حَنيفًا**﴾: حالٌ من إبراهيم، مائلًا عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم، ﴿**وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١٣٥. ﴿**قُولُوا**﴾، خطاب للمؤمنين: ﴿**آمَنّا باللهِ وما أُنزِلَ إلَينا**﴾ من القرآن، ﴿**وما أُنزِلَ إلى إبراهِيمَ**﴾ من الصُّحف العشر، ﴿**وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ**﴾: أولادِه، ﴿**وما أُوتِيَ مُوسَى**﴾ من التوراة ﴿**وعِيسَى**﴾ من الإنجيل، ﴿**وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم**﴾ من الكتب والآيات، ﴿**لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم**﴾ فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كاليهود والنصارى، ﴿**ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ**﴾ ١٣٦.

٢- ﴿**فإن آمَنُوا**﴾ أي: اليهودُ والنصارى ﴿**بِمِثلِ**﴾ - مثل: زائدٌ - ﴿**ما آمَنتُم بِهِ فقَدِ اهتَدَوا، وإن تَوَلَّوا**﴾ عن الإيمان به ﴿**فإنّما هُم في شِقاقٍ**﴾: خلاف معكم، ﴿**فسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ**﴾ يا محمّد: شِقاقَهم. ﴿**وهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوالهم، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ١٣٧ بأحوالهم. وقد كفاه إيّاهم بقتل قُريظةَ، ونفيِ النَّضير، وضرب الجزية عليهم. ﴿**صِبغَةَ اللهِ**﴾: مصدرٌ مؤكِّد لـ«آمنّا» ونصبُه بفعل مقدّر، أي: صَبَغَنا اللهُ - والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه كالصِّبغ في الثوب. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً**﴾؟ تمييز - ﴿**ونَحنُ لَهُ عابِدُونَ**﴾ ١٣٨.

٣- قال اليهود للمسلمين: «نحن أهل الكتاب الأوّل، وقِبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمّد نبيًّا لكان منّا»، فنزل: ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أتُحاجُّونَنا**﴾: تُخاصموننا ﴿**في اللهِ**﴾، أن اصطفى نبيًّا من العرب، ﴿**وهُوَ رَبُّنا ورَبُّكُم**﴾ - فله أن يصطفيَ من يشاء - ﴿**ولَنا أعمالُنا**﴾ نُجازَى بها، ﴿**ولَكُم أعمالُكُم**﴾ تُجازَون بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحقّ الإكرام به، ﴿**ونَحنُ لَهُ مُخلِصُونَ**﴾ ١٣٩ الدِّينَ والعمل دونكم؟ فنحن أولى بالاصطفاء. والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

٤- ﴿**أم**﴾: بل أ﴿**يَقُولُونَ**﴾ بالياء والتاء: ﴿**إنّ إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطَ كانُوا هُودًا أو نَصارَى؟ قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أأنتُم أعلَمُ أمِ اللهُ**﴾؟ أي: اللهُ أعلم. وقد برّأ منهما إبراهيمَ بقوله «ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا»، والمذكورون معه تبع له. ﴿**ومَن أظلَمُ مِمَّن كَتَمَ**﴾: أخفى عن الناس ﴿**شَهادَةً عِندَهُ**﴾ كائنة ﴿**مِنَ اللهِ**﴾؟ أي: لا أحد أظلم منه. وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفيّة. ﴿**وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ**﴾ ١٤٠. تهديدٌ لهم. ﴿**تِلكَ أُمّةٌ قَد خَلَتْ، لَها ما كَسَبَتْ ولَكُم ما كَسَبتُم، ولا تُسأَلُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٤١. تقدّم مِثله.

---

(١) زعم كل من أهل الكتاب أن نبيهم أفضل، وكتابهم هو الحق وحده، وكفروا بما دونه، ودعَوا الصحابة إلى اتباعهم. فنزلت الآية توبخ أهل الكتاب، وتبين ما يجابون به. وكونوا أي: صيروا وتحولوا. وللتفصيل أي: للتقسيم وبيان قول أهل الكتاب. والملة: الديانة والشريعة. والمشرك: من يجعل مع الله في الألوهية بعض مخلوقاته. وآمن به: صدّقه باعتقاد يقيني. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل. والأسباط: جمع سِبط. وهو الولد. وأوتي: أنزل عليه مكلفًا بالدعوة إليه. ونفرق: نميز في صحة الرسالة والدعوة. وبين أحد منهم أي: بينهم. وله أي: لله. والمسلم: الخاضع ينقاد بإيمان واحتساب.

(٢) زائدة أي: مزيدة للتوكيد، والمعنى: بما آمنتم به. وذلك لئلا يلزم ثبوت المِثل أي الشبيه لله. والصواب أن الأسماء لا تزاد، فالمِثل هنا بمعنى حقيقة الشيء وذاته، للمبالغة في التوكيد، لا للتشبيه والتنظير، أي: إن آمنوا بنفس ما آمنتم به. وتولوا أي: أعرضوا وامتنعوا. ويكفيك شقاقهم أي: يحفظك منه وينصرك عليه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والصبغة: أثر الصباغة واللون الذي يكون عنها. وأحسن أي: أجود. والعابد: المقدس المطيع.

(٣) المراد هو أهل الكتاب عامة، لا اليهود وحدهم، كما ذكر جمهور المفسرين. وفي الله أي: في اختياره رسوله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان بنية أو قول أو فعل. والمخلص: من كان إيمانه بعيدًا من كل أنواع الشرك. والإنكار أي: العيب والنهي، أي: لا ينبغي لكم أن تحاجونا، فاتركوا ما أنتم عليه. و«الثلاث» يعني: هو ربنا، ولنا أعمالنا، ونحن له مخلصون. فالواوات قبلها للحال والاقتران. وجملة لكم أعمالكم: معطوفة على التي قبلها.

(٤) بالتاء يريد القراءة «تَقُولُونَ». وأعلم أي: أصح وأوفى علمًا بكل شيء. ومنهما أي: اليهودية والنصرانية. و«بقوله» يعني الآية ٦٧ من سورة آل عمران. وأظلم أي: أكثر انهماكًا في العدوان. والشهادة: الإقرار بما هو معلوم محقق. وبالحنيفية أي: ولمحمد ﷺ بصدق الرسالة. والغافل: الساهي إهمالًا. والإشارة بـ «تلك» هي إلى إبراهيم ومن ذكرمعه. و«تقدم مثله» يعني الآية ١٣٤. وفي التكرار مبالغة في التوكيد، والإشعار بمزيد بلادتهم، وحاجتهم إلى التكرار لإقامة الحجة عليهم.

الجزء الثاني سورة البقرة

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١ - ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ**﴾: الجُهّال، ﴿**مِنَ النَّاسِ**﴾ اليهودِ والمشركينَ: ﴿**ما وَلّاهُم**﴾: أيُّ شيء صَرف النبيّ والمؤمنين ﴿**عَن قِبلتِهِم الّتي كانُوا علَيها**﴾: على استقبالها في الصَّلاة؟ وهي بيت المقدس، والإتيانُ بالسين الدالّةِ على الاستقبال من الإخبار بالغيب. ﴿**قُلْ: لِلهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ**﴾ أي: الجهاتُ كلُّها، فيأمر بالتوجّه إلى أيّ جهة شاء، لا اعتراض عليه، ﴿**يَهدِي مَن يَشاءُ**﴾ هدايته ﴿**إلَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيم**﴾ ١٤٢: دينِ الإسلام، أي: ومنهم أنتم. دلّ على هذا: ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما هديناكم إليه ﴿**جَعَلْناكُم**﴾ - يا أُمّة محمّد - ﴿**أُمّةً وَسَطًا**﴾: خِيارًا عُدولًا، ﴿**لِتَكُونُوا شُهَداءَ علَى النّاسِ**﴾ يوم القيامة أنّ رُسلهم بلّغتْهم، ﴿**ويَكُونَ الرَّسُولُ علَيكُم شَهِيدًا**﴾ أنّه بلّغكم.

٢ - ﴿**وما جَعَلْنا**﴾: صَيّرنا ﴿**القِبْلَةَ**﴾ لكَ الآن الجهةَ ﴿**الّتي كُنتَ علَيها**﴾ أوّلًا - وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلّي إليها، فلمّا هاجر أُمر باستقبال بيت المقدس تألُّفًا لليهود، فصلّى إليه ستّةَ أو سبعةَ عشَرَ شهرًا، ثمّ حُوّل - ﴿**إلّا لِنَعلَمَ**﴾ عِلمَ ظُهور ﴿**مَن يَتّبِعُ الرَّسُولَ**﴾ فيُصدّقه، ﴿**مِمَّن يَنقلِبُ على عَقِبَيهِ**﴾ أي: يرجع إلى الكفر شكًّا في الدِّين، وظنًّا أن النبيّ ﷺ في حَيرة من أمره - وقد ارتدّ لذلك جماعة - ﴿**وإنْ**﴾: مُخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنّها ﴿**كانَتْ**﴾ أي: التَّوليةُ إليها ﴿**لَكَبِيرةً**﴾: شاقّةً على الناس ﴿**إلّا على الّذِينَ هَدَى اللهُ**﴾ منهم، ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم**﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يُثيبكم عليه. لأنّ سبب نزولها السؤال عمّن مات قبل التحويل. ﴿**إنّ اللهَ بِالنّاسِ**﴾: المؤمنين ﴿**لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ١٤٣ في عدم إضاعة أعمالهم. والرأفةُ: شِدّة الرحمة. وقُدّم الأبلغُ للفاصلة.

٣ - ﴿**قَد**﴾ - للتحقيق - ﴿**نَرَى تَقَلُّبَ**﴾: تصرُّفَ ﴿**وَجهِكَ في**﴾ جهةِ ﴿**السَّماءِ**﴾؛ مُتطلّعًا إلى الوحي، ومُتشوّقًا للأمر باستقبال الكعبة. وكان يودّ ذلك لأنّها قِبلة إبراهيم، ولأنه أدعى إلى إسلام العرب. ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**﴾: نُحوِّلَنّك ﴿**قِبلَةً تَرضاها**﴾: تُحبّها. ﴿**فَوَلِّ وَجهَكَ**﴾: استقبلْ في الصّلاة ﴿**شَطْرَ**﴾: نحوَ ﴿**المَسجِدِ الحَرامِ**﴾ أي: الكعبة، ﴿**وحَيثُما كُنتُم**﴾ خطاب للأمّة ﴿**فَوَلُّوا وُجُوهَكُم**﴾ في الصّلاة ﴿**شَطْرَهُ. وإنَّ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعلَمُونَ أنّهُ**﴾ أي: التولّيَ إلى الكعبةِ ﴿**الحَقُّ**﴾: الثابت ﴿**مِن رَبِّهِم**﴾، لما في كُتبهم في نعت النبي من أنه يتحوّل إليها. ﴿**وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ**﴾ ١٤٤، بالتاء: أيّها المؤمنون، من امتثال أمره، وبالياء أي: اليهود من إنكار أمر القِبلة.

٤ - ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**أتَيتَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيةٍ**﴾ على صدقك، في أمر القبلة، ﴿**ما تَبِعُوا**﴾ أي: يتبعون ﴿**قِبلَتَكَ**﴾ عِنادًا، ﴿**وما أنتَ بِتابِعٍ قِبلَتَهُم**﴾ - قطعٌ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها - ﴿**وما بَعضُهُم بِتابِعٍ قِبلَةَ بَعضٍ**﴾ أي: اليهودُ قِبلةَ النصارى وبالعكس، ﴿**ولَئِنِ اتَّبعتَ أهْواءَهُم**﴾ التي يدعونك إليها، ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾: الوَحيِ، ﴿**إنّكَ إذًا**﴾ - إن اتّبعتهم فَرَضًا - ﴿**لَمِنَ الظّالِمِينَ**﴾ ١٤٥.

(١) السفهاء: جمع سفيه. وهو الذي يتجنب المنافع وينغمس في المضار. والقِبلة: الجهة المقابَلة التي يتوجه إليها المصلون. ويهدي: يوجه ويرشد. ويشاء: يريد ويقصد. والمستقيم: المعتدل. وعندما أُمر المسلمون بعودة التوجه إلى الكعبة، بدلًا من بيت المقدس، سخر رؤساء اليهود بذلك، فنزلت الآية. وجعل: صيّر. والأمة: الجماعة من الناس يجمعها دين واحد. والخيار: جمع خيِّر. وهو الكثير العمل الصالح. والعدول: جمع عدل. وهو المزكّى بالعلم والعمل. وتكون: تصير. والشهداء: جمع شهيد، يعترف بما يعلم للفصل بين الظالم والمظلوم.

(٢) علم ظهور أي: ليظهر في الواقع ما نعلمه، فيكون تمييزًا للمطيع والعاصي، ويكون الحساب على ما تحقق. ويتبع: يستمر في الموافقة والطاعة. والعقب: مؤخر القدم. ومخففة: يعني أنها للتوكيد. وإليها أي: إلى الكعبة. وهدى أي: أرشدهم وثبتهم على الإيمان. وماكان أي: وما يزال دون قيد زمني. ويضيع: يهمل ولا يحفظ. والإيمان: التصديق اليقيني. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. والفاصلة: لفظ آخر الآية.

(٣) نرى أي: رأينا. والوجه هنا مراد به البصر، الذي هو بعضه. والسماء: ما يحيط بالأرض. ومتشوقًا أي: منتظرًا. وولّ أي: حوّل. والمسجد: مكان السجود. والحرام: الممنوع فيه كثير مما يحل في غيره. وكنتم أي: وُجدتم. وولوا أي: وجهوا. وأوتوه أي: كلفوا اتباعه. والكتاب: التوراة. ويعلم: يدرك ويعتقد. ومن ربهم أي: من عنده وبأمره. وغافل: انظر الآية ١٤٠. وبالياء يريد القراءة «يَعمَلُونَ». ويعمل: يكتسب من نية أو قول أو فعل.

(٤) أتيتهم بها أي: أحضرتها لهم. والكتاب يراد به التوراة والإنجيل. والآية: الحجة الثابتة والدليل القاطع. ويتبعون أي: ما يتبعون ولا يوافقون. والأهواء: جمع هوى، أي: ماتميل إليه النفس من الشهوات. و«فرضًا» يعني الافتراض الذهني جدلًا لما هو غير ممكن. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. والكفر أشنع ذلك.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١- ﴿**الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ**﴾ أي: محمّدًا ﴿**كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم**﴾ بنعته في كتبهم - قال ابن سلام: «لقد عرفتُه حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمّد أشدّ» - ﴿**وإِنَّ فَرِيقًا مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ**﴾: نعتَه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ١٤٦. هذا الذي أنت عليه ﴿**الحَقُّ**﴾ كائنًا ﴿**مِن رَبِّكَ - فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ**﴾ ١٤٧ الشاكِّين فيه، أي: من هذا النوع. فهو أبلغ من «لا تَمترِ» - ﴿**ولِكُلٍّ**﴾ من الأُمم ﴿**وِجْهَةٌ**﴾: قِبلة، ﴿**هُوَ مُوَلِّيها**﴾ وَجهَهُ في صلاته. وفي قراءة «مُوَلّاها». ﴿**فاستَبِقُوا الخَيراتِ**﴾: بادروا إلى الطاعات وقَبولها. ﴿**أينما تَكُونُوا يأتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا**﴾: يجمعْكم يوم القيامة، فيُجازيَكم بأعمالكم. ﴿**إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١٤٨.

٢- ﴿**ومِن حَيثُ خَرَجتَ**﴾ لسفر، ﴿**فوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المَسجِدِ الحَرامِ - وإِنَّهُ لَلحَقُّ مِن رَبِّكَ، وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ**﴾ ١٤٩، بالتاء والياء، تقدّم مثله. وكرّره لبيان تساوي حُكم السفر وغيره- ﴿**ومِن حَيثُ خَرَجتَ فوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المَسجِدِ الحَرامِ، وحَيثُما كُنتُم فوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ**﴾ - كرّره للتأكيد - ﴿**لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ**﴾: اليهودِ أو المشركين ﴿**عَلَيكُم حُجَّةٌ**﴾ أي: مجادلةٌ في التولّي إلى غيره، لتنتفي مجادلتهم لكم، من قولِ اليهود: «يَجحدُ دِينَنا ويتبع قِبلتنا»، وقولِ المشركين: «يدّعي مِلّةَ إبراهيم ويُخالف قبلته»، ﴿**إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم**﴾ بالعِناد، فإنهم يقولون: «ما تَحوّلَ إليها إلّا ميلًا إلى دين آبائه» - والاستثناء متّصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلّا كلامُ هؤلاء. ﴿**فلا تَخشَوهُم**﴾: تخافوا جدالهم في التولّي إليها، ﴿**واخشَوني**﴾ بامتثال أمري - ﴿**ولِأُتِمَّ**﴾: عطفٌ على «لئلّا يَكُون»، ﴿**نِعمَتي عَلَيكُم**﴾ بالهداية إلى مَعالم دينكم، ﴿**ولَعَلَّكُم تَهتَدُونَ**﴾ ١٥٠ إلى الحقّ، ﴿**كَما أرسَلنا**﴾ متعلّق بـ«أُتمّ» أي: إتمامًا كإتمامها بإرسالنا ﴿**فِيكُم رَسُولًا مِنكُم**﴾ محمّدًا ﷺ، ﴿**يَتلُو عَلَيكُم آياتِنا**﴾: القُرآنَ، ﴿**ويُزَكِّيكُم**﴾: يطهّرُكم من الشرك، ﴿**ويُعَلِّمُكُمُ الكِتابَ**﴾: القرآنَ ﴿**والحِكْمَةَ**﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿**ويُعَلِّمُكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ**﴾ ١٥١.

٣- ﴿**فاذكُرُوني**﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه، ﴿**أذكُرْكُم**﴾ - قيل: معناه أجازِكم. وفي الحديث عن الله «مَن ذَكَرَني في نَفْسِه ذَكَرتُه في نَفْسِي، ومَن ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكَرتُه في مَلأٍ خَيرٍ مِن مَلَئِه» - ﴿**واشكُرُوا لِي**﴾ نعمتي بالطاعة، ﴿**ولا تَكفُرُونِ**﴾ ١٥٢ بالمعصية. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَعِينُوا**﴾ على الآخِرة ﴿**بالصَّبرِ**﴾ على الطاعة والبلاء، ﴿**والصَّلاةِ**﴾. خصّها بالذكر لتكرّرها وعِظَمها - ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ ١٥٣ بالعونِ - ﴿**ولا تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ في سَبِيلِ اللهِ**﴾: هم ﴿**أمواتٌ. بَل**﴾ هم ﴿**أحياءٌ**﴾، أرواحهم في حواصلِ طيورٍ خُضرٍ، تسرح في الجنّة حيث شاءت، لحديث بذلك، ﴿**ولٰكِنْ لا تَشعُرُونَ**﴾ ١٥٤: تعلمون ما هم فيه.

---

(١) آتيناهم أي: أعطيناهم مع الأمر بالطاعة. والكتاب: التوراة والإنجيل. والفريق: الجماعة. ويكتم: يخفي. والحق: الثابت لا شك فيه. ويعلمون أي: يدركون الحق وأن كتمانهم إياه معصية، وأن صفتك مذكورة في التوراة والإنجيل. ومن ربك أي: من عنده وبأمره. وتكون: تصير. وفيه أي: في أنه الحق. و«من هذا النوع» تفسير لـ «من الممترين». فالمراد من اتصف بالامتراء. والأمم: جماعات المسلمين والنصارى واليهود. والمولي: المانح الموجِّهُ. والخيرات: جمع خيرة، أي: ما فيه النفع في الدنيا والآخرة. وتكونوا أي: تحصلوا وتوجدوا. وجميعًا أي: مجتمعين. والقدير: الكامل الاقتدار بلا معين أو منازع. (٢) لسفر أي: أو لغيره من الحاجات. وشطره أي: جهته. وإنه أي: هذا الحكم باستقبال المسجد الحرام. وبالياء يريد القراءة «يَعْمَلُونَ». وكرره أي: ما في الآية ١٤٤، لتأكيد ما في الآيتين ١٤٤ و١٤٩. ويكون: يصير. والحجة: الاحتجاج بالحق أو الباطل. وإلّا الذين أي: إلّا حجتُهم. وظلموا أي: وضعوا الأمورفي غير مواضعها بالكفر. والأولى أن اليهود وغيرهم مقصودون بالظلم هنا، كالمشركين والنصارى والملحدين. واخشوني أي: خافوا عقابي وحدي. وأتمها: أجعلها تامة كاملة بما تؤمرون وما تفعلون. والنعمة: الإنعام بخير الدنيا والآخرة. وتهتدي: تسترشد وتوفَّق في الوصول. وأرسل: بعث لتبليغ العقيدة والشريعة والعمل بهما. ويتلو: يقرأ ويوضح. ويعلّم: ينقل العلمَ للمعاني والحفظَ للكلام بالتفسير والعمل. والحكمة: وضع الشيء في موضعه بعلم وإتقان. وتعلمون أي: تدركونه وتعرفونه. (٣) اذكروني أي: استحضروا عظمتي وجلالي في النية والقول والفعل. ونحوه أي: الطاعة في كل عمل وقصد. وأجازِكم: أكافئكم بالثواب. والحديث عن الله أي: حديث قدسي. انظر الأحاديث القدسية ١:٦٢-٦٦. والملأ: الجماعة من الخلق تملأ المجلس. واشكروها أي: اذكروها وأثنوا على مُنعمها، في القلب واللسان والعمل. ونعمتي: إنعامي عليكم. وتكفرون: تكفروني، أي: لا تجحدوا وحدانيتي ونعمتي وتعصوا أمري. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. واستعينوا أي: اطلبوا العون. والصبر: حبس النفس للتجلد من دون جزع. والصلاة: الصلوات المفروضة. ولمن أي: عمّن. وسبيل الله: ما شرعه من الجهاد لإعلاء كلمته. والأموات: جمع ميت. والأحياء: جمع حي. والحواصل: جمع حَوصلة. وهي المكان الذي يجتمع فيه الطعام قبل وصوله إلى المعدة. والحديث أخرجه الترمذي تحت الرقم ٣٠١٤. انظر «المفصل». خ: «ولكن لا يشعرون». ولم أجد للقراءة بالياء مصدرًا. فلتحرر. وتعلمون أي: لا تعلمون.

الجزء الثاني سورة البقرة

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

١- ﴿**ولنَبلُوَنّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ**﴾ للعدوّ، ﴿**والجُوعِ**﴾: القحط، ﴿**ونَقصٍ مِنَ الأموالِ**﴾ بالهلاك، ﴿**والأنفُسِ**﴾ بالقتل والموت والأمراض، ﴿**والثَّمراتِ**﴾ بالجوائح. أي: لَنَختبرَنّكم فننظرَ: أتصبرون أم لا؟ ﴿**وبَشِّرِ الصّابِرِينَ**﴾ ١٥٥ على البلاء، بالجنّة. همُ ﴿**الّذِينَ إذا أصابَتْهُم مُصِيبةٌ**﴾: بلاء ﴿**قالُوا: إنّا لله**﴾ مُلكًا وعبيدًا، يفعل بنا ما يشاء، ﴿**وإنّا إليهِ راجِعُونَ**﴾ ١٥٦ في الآخِرة فيُجازينا. في الحديث «مَن استرجَعَ عِندَ المُصيبةِ آجَرَهُ اللهُ فِيها، وأخلَفَ علَيهِ خَيرًا». وفيه أنّ مِصباحَ النبيّ ﷺ طَفِئ فاسترجَعَ، فقالَتْ عائشةُ: إنّما هٰذا مِصباحٌ. فقال: «كُلُّ ما ساءَ المُؤمِنَ فهُوَ مُصِيبةٌ». رواه أبو داودَ في مَراسيله. ﴿**أُولٰئكَ علَيهِم صَلَواتٌ**﴾: مغفرة ﴿**مِن ربِّهِم، ورَحْمةٌ**﴾: نِعمة، ﴿**وأُولٰئكَ هُمُ المُهتَدُونَ**﴾ ١٥٧ إلى الصواب.

ربع الحزب ٣

٢- ﴿**إنّ الصَّفا والمَرْوَةَ**﴾: جبلانِ بمكّةَ ﴿**مِن شَعائرِ اللهِ**﴾: أعلام دِينه، جمعُ شَعيرة. ﴿**فمَن حَجَّ البَيتَ أوِ اعتَمَرَ**﴾ أي: تلبّس بالحجّ أو العُمرة - وأصلُهما القصد والزيارة - ﴿**فلا جُناحَ**﴾: إثمَ ﴿**علَيهِ أن يَطَّوَّفَ**﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، ﴿**بِهِما**﴾ بأن يسعى بينهما سبعًا - نزلتْ لمّا كرهَ المسلمون ذلك، لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يطّوّفون بهما، وعليهما صنمان يمسحونهما. وعن ابن عبّاس أنّ السعي غيرُ فرضٍ، لِما أفاده رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعيّ وغيره: رُكنٌ. وبيَّنَ ﷺ فرْضيّته بقوله: «إنّ اللهَ كَتَبَ عليكُمُ السَّعيَ». رواه البيهقيّ وغيره، وقال: «أبدأُ بما بَدأَ اللهُ بهِ». يعني الصفا. رواه مسلم - ﴿**ومَن تطَوَّعَ**﴾، وفي قراءة بالتحتيّة وتشديد الطاء مجزومًا، وفيه إدغام التاء فيها، ﴿**خيرًا**﴾ أي: بخير، أي: فعَلَ ما لم يجب عليه من طواف وغيره، ﴿**فإنّ اللهَ شاكِرٌ**﴾ لعمله بالإثابة عليه، ﴿**عليمٌ**﴾ ١٥٨ به.

٣- ونزل في اليهود: ﴿**إنّ الّذِينَ يَكتُمُونَ**﴾ الناسَ ﴿**ما أنزَلْنا مِنَ البَيِّناتِ والهُدَى**﴾، كآية الرجم ونعت محمّد، ﴿**مِن بَعدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ في الكِتابِ**﴾: التوراة، ﴿**أُولٰئكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ**﴾: يُبعِدهم من رحمته، ﴿**ويَلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾ ١٥٩: الملائكة والمؤمنون، أو كلّ شيء بالدعاء عليهم باللعنة، ﴿**إلّا الّذِينَ تابُوا**﴾: رجعوا عن ذلك، ﴿**وأصلَحُوا**﴾ عملَهم، ﴿**وبَيَّنُوا**﴾ ما كتموا، ﴿**فأُولٰئكَ أتُوبُ علَيهِم**﴾: أقبلُ توبتهم. ﴿**وأنا التَّوّابُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٦٠ بالمؤمنين. ﴿**إنّ الّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا وهُم كُفّارٌ**﴾: حال، ﴿**أُولٰئكَ علَيهِم لَعْنةُ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ**﴾ ١٦١ أي: هم مستحقّون ذلك في الدنيا والآخرة - والناس قيل: عامّ. وقيل: المؤمنون - ﴿**خالِدِينَ فِيها**﴾ أي: اللعنةِ أو النارِ المدلولِ بها عليها، ﴿**لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ**﴾ طرفةَ عين، ﴿**ولا هُم يُنظَرُونَ**﴾ ١٦٢: يُمهلون لتوبة أو معذرة.

٤- ونزل لمّا قالوا: «صِفْ لنا ربّك»: ﴿**وإلٰهُكُم**﴾: المستحقّ للعبادة منكم ﴿**إلٰهٌ واحِدٌ**﴾: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، ﴿**لا إلٰهَ إلّا هُوَ**﴾، هو ﴿**الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٦٣. وطلبوا آية على ذلك، فنزل: ﴿**إنّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ**﴾، وما فيهما من العجائب، ﴿**واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان، ﴿**والفُلْكِ**﴾: السُّفنِ ﴿**الّتي تَجرِي في البَحرِ**﴾ ولا ترسب، مَوقورةً ﴿**بِما يَنفَعُ النّاسَ**﴾ من

---

(١) القحط: احتباس المطر. والأموال: جمع مال. والثمر: ما يكون من أولاد ونتاج النبات. والجوائح: جمع جائحة. وهي الآفة المستأصلة. ونختبركم أي: نصيبكم ليظهر الصابر من اللجوج. وبشّره أي: بلغه ما يسعده. وأصابتهم: نزلت بهم. وإليه أي: إلى لقاء حسابه بالبعث. وراجعون: مردودون. و«في حديث»: انظر المفصل. واسترجع أي: قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ومصباح أي: شيء يسير لا يقتضي الاسترجاع. ومن ربهم أي: من عنده وبفضله. والرحمة: العطف بالإحسان. والمهتدي: المسترشد إلى الحق.

(٢) الصفا: جبل يبدأ السعي منه. والمروة: جبل ينتهي السعي إليه. والشعيرة: ما يُتعبد به. والبيت: الكعبة المشرفة. والإثم: الذنب يعاقب فاعله. وذلك أي: السعي بين الصفا والمروة. وغير فرض أي: في الحج والعمرة. والركن في العبادة: ما لا تقوم بدونه فتفسد بتركه. وفرضية الشيء: كونه فرضًا. وكتب: فرض. ومسلم أي: الحديث ١٢١٨ في صحيح مسلم، واللفظ فيه «أبدأُ» كما أثبتْنا. وفيما عدا الأصل: «ابدؤوا». وتطوع: تبرع. وبالتحتية يريد «يَطَّوَّعْ». وعليم أي: محيط بالغ الإحاطة.

(٣) يكتمه: يخفيه. وأنزل: أوحى. والبينات: الواضحات الدلالة. والهدى: ما يرشد إلى الحق. وبيّنّا: شرحنا. وبالدعاء أي: يلعنونهم به. وأصلحه: تدارك ما فيه بالطاعة. وبيّن: أظهر. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالعفو. وكفار: جمع كافر. واللعنة: الطرد من الرحمة. وعامّ أي: يعم جميع البشر، لأن الكافرين يلعن بعضهم بعضًا. والخالد: المقيم أبدًا. وبها يعني: باللعنة. والطرفة: مقدار تغميض العين وفتحها.

(٤) الواحد: المتفرد. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والخلق: الإيجاد والاختراع. والاختلاف: التفاوت والمغايرة. والفلك: واحدته فُلك أيضًا.=

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

التجارات والحمل، ﴿**وما أنزلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ**﴾: مطر، ﴿**فأحيا بِهِ الأرضَ**﴾ بالنبات ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾: يُبسِها، ﴿**وبثَّ**﴾: فرّق ونشر به ﴿**فيها مِن كُلِّ دابّةٍ**﴾ لأنهم يَنمون بالخِصب الكائن عنه، ﴿**وتَصريفِ الرِّياحِ**﴾: تقليبها جنوبًا وشَمالًا حارّة وباردة، ﴿**والسَّحابِ**﴾: الغيم ﴿**المُسَخَّرِ**﴾: المُذلَّل بأمر الله، يسير إلى حيث شاء الله ﴿**بَينَ السَّماءِ والأرضِ**﴾ بلا عِلاقة، ﴿**لآياتٍ**﴾: دلالات على وحدانيّته - تعالى - ﴿**لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ١٦٤: يتدبّرون.

١- ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره ﴿**أندادًا**﴾: أصنامًا، ﴿**يُحِبُّونَهُم**﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿**كَحُبِّ اللهِ**﴾ أي: كحبّهم له، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبًّا لِلّهِ**﴾ من حبّهم للأنداد، لأنهم لا يعدِلون عنه بحالٍ ما، والكفّار يعدِلون في الشِّدّة إلى الله. ﴿**ولَو تَرَى**﴾: تُبصِرُ - يا محمّد - ﴿**الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ باتّخاذ الأنداد، ﴿**إذ يَرَونَ**﴾ بالبناء للفاعل والمفعول: يُبصِرون ﴿**العَذابَ**﴾ لرأيتَ أمرًا عظيمًا - وإذ بمعنى: إذا - ﴿**أنَّ**﴾ أي: لأنّ ﴿**القُوَّةَ**﴾: القُدرةَ والغَلَبةَ ﴿**لِلّهِ جَمِيعًا**﴾: حالٌ، ﴿**وأنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذابِ**﴾ ١٦٥. وفي قراءة: «يَرى» بالتحتيّة، والفاعل قيل: ضمير السامع، وقيل: الذين ظلموا. فهي بمعنى: يَعلم. و«أنّ» وما بعدها سدّت مسدّ المفعولين، وجواب «لو» محذوف. والمعنى: لو علموا في الدنيا شِدّة عذاب الله، وأنّ القُدرة لله وحده وقتَ مُعاينتهم له - وهو يوم القيامة - لما اتّخذوا من دونه أندادًا.

٢- ﴿**إذ**﴾: بدل من «إذ» قبله ﴿**تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا**﴾ أي: الرؤساءُ ﴿**مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا**﴾ أي: أنكروا إضلالهم، ﴿**و**﴾ قد ﴿**رأَوُا العَذابَ، وتَقَطَّعَتْ**﴾: عطفٌ على «تبرّأ» ﴿**بِهِمُ**﴾: عنهم ﴿**الأسبابُ**﴾ ١٦٦: الوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودّة، ﴿**وقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا: لَو أنَّ لَنا كَرَّةً**﴾: رجعة إلى الدنيا، ﴿**فَنَتَبَرَّأَ مِنهُم**﴾ أي: المتبوعينَ ﴿**كما تَبَرَّؤُوا مِنّا**﴾ اليوم. ولو: للتمنّي. ونتبرّأَ: جوابه. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما أراهم شدّة عذابه، وتبرّأ بعضهم من بعض، ﴿**يُرِيهِمِ اللهُ أعمالَهُم**﴾ السيّئة ﴿**حَسَراتٍ**﴾ حالٌ: نداماتٍ ﴿**عَلَيهِم، وما هُم بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ**﴾ ١٦٧ بعد دخولها.

٣- ونزل فيمن حرّم السوائب ونحوها: ﴿**يا أيُّها النّاسُ، كُلُوا مِمّا في الأرضِ حَلالًا**﴾: حالٌ ﴿**طَيِّبًا**﴾: صفةٌ مؤكِّدة، أو مُستلَذًّا، ﴿**ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ**﴾: طُرُقَ ﴿**الشَّيطانِ**﴾ أي: تزيينه. ﴿**إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ ١٦٨: بَيِّنُ العداوة. ﴿**إنَّما يأمُرُكُم بالسُّوءِ**﴾: الإثم، ﴿**والفَحشاءِ**﴾: القبيح شرعًا، ﴿**وأنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ١٦٩ من تحريم ما لم يُحرِّم وغيره. ﴿**وإذا قِيلَ لَهُمُ**﴾ أي: الكفّارِ: ﴿**اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ**﴾، من التوحيد وتحليل الطيّبات. ﴿**قالُوا**﴾: لا ﴿**بَل نَتَّبِعُ ما ألفَينا**﴾: وجَدْنا ﴿**عَلَيهِ آباءَنا**﴾، من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى: ﴿**أ**﴾ يتّبعونهم، ﴿**ولَو كانَ آباؤُهُم لا يَعقِلُونَ شَيئًا**﴾ من أمر الدِّين، ﴿**ولا يَهتَدُونَ**﴾ ١٧٠ إلى الحقّ؟ والهمزةُ للإنكار. ﴿**ومَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ومَن يدعوهم إلى الهُدى، ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ**﴾: يُصوِّتُ ﴿**بِما لا يَسمَعُ إلّا دُعاءً ونِداءً**﴾ أي: صوتًا ولا يُفهم معناه، أي: هم في سماع

=وترسب: تغوص في الماء والقاع. والموقورة: المحمّلة. وأنزل: أسقط وأرسل. والسماء: السحاب. وأحياها: خلق فيها الحياة. والدابة: ما يتحرك على الأرض. والرياح: جمع ريح. وهو الهواء المتحرك. والسحاب: واحدته سحابة.

(١) يتخذ: يجعل. والأنداد: جمع ندّ، أي: مثيل. وأصنامًا أي: ومخلوقات كثيرة أيضًا، كالحيوانات والملائكة والجن والبشر. ويحبه: يقصد طاعته ويطلب رضاه. وأشد أي: أقوى وأعظم. وحبهم أي: حب الكافرين. ويعدل عنه: ينصرف إلى غيره. ويعدل إليه: ينصرف إليه ويتوجه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشدة: شدة المصائب والأهوال. وبالتحتية أي: بالياء.

(٢) تبرأ: تنصل وتخلص. واتبعه: استجاب له وقلده. ورأوا: أبصروا عِيانًا. وتقطعت: زالت. والضمير في «بهم» و«رأوا» للمتبوعين والأتباع. والأسباب: جمع سبب. وهو ما يصل بين شيئين. والأرحام: جمع رَحِم. وهي القرابة. ويريهم أي: سيبصّرهم. والعمل ما كان من نية أو قول أو فعل. وحسرات: جمع حسْرة. والخارج: المغادر للشيء يتخلص منه.

(٣) السوائب: جمع سائبة. وهي الإبل يُنذر إهمالها للآلهة. انظر الآية ١٠٣ من سورة المائدة. والحلال: المباح المأذون به شرعًا. والشيطان: من يوسوس بالباطل من الجن أو الإنس. والعدو: المعادي. ويأمر أي: يزيّن الخواطر الفاسدة لمخالفة الحق. وتقولوا عليه أي: تفتروا. واتبعوه: استجيبوا له واعملوا به. والآباء: جمع أب. والبحائر: جمع بحيرة. وهي الناقة تُنذر للآلهة فيُمنع أن يستحلبها أحد. ويعقل: يتدبر الأمور بعقله. ويهتدي: يسترشد ويتوجه. وكمثل الذي أي: مِثلُ صفة بهائم الراعي الذي. ولا يسمع أي: لا يدرك المسموعات. والدعاء والنداء: التنبيه. وانظر الآيتين ١٧ و١٨.

الجزء الثاني　　سورة البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

الموعظة وعدم تدبّرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه. هم ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، فهُم لا يعقِلُونَ**﴾ ١٧١ الموعظة.

١ - ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا، كُلوا مِن طيِّباتِ**﴾: حلالاتِ ﴿**ما رَزَقْناكُم، واشكُرُوا للهِ**﴾ على ما أحلّ لكم، ﴿**إنْ كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ ١٧٢. إنَّما حَرَّمَ علَيكُمُ المَيْتةَ**﴾ أي: أكلَها - إذ الكلام فيه، وكذا ما بعدها. وهي ما لم يُذَكَّ شرعًا. وأُلحق بها بالسُّنّة ما أُبينَ من حيٍّ، وخُصّ منها السمكُ والجراد - ﴿**والدَّمَ**﴾ أي: المسفوحَ كما في «الأنعام»، ﴿**ولحمَ الخنزيرِ**﴾ - خُصّ اللحم لأنه مُعظم المقصود، وغيرُه تبعٌ له - ﴿**وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ**﴾ أي: ذُبح على اسم غيره. والإهلال: رفع الصوت. وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم.

٢ - ﴿**فمَنِ اضطُرَّ**﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء ممّا ذُكر، فأكلَه ﴿**غيرَ باغٍ**﴾: خارج على المسلمين، ﴿**ولا عادٍ**﴾: مُتعدٍّ عليهم بقطع الطريق، ﴿**فلا إثمَ علَيهِ**﴾ في أكله. ﴿**إنَّ اللهَ غَفورٌ**﴾ لأوليائه ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٧٣ بأهل طاعته، حيث وسّع لهم في ذلك. وخَرجَ الباغي والعادي، ويُلحق بهما كلّ عاص بسفره كالآبق والمكّاس. فلا يحلّ لهم أكل شيء من ذلك، ما لم يتوبوا. وعليه الشافعيّ.

٣ - ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ ما أنزَلَ اللهُ مِنَ الكِتابِ**﴾ المشتمل على نعت محمّد - وهم اليهود - ﴿**ويَشتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدنيا، يأخذونه بدله من سَفِلتِهم، فلا يُظهرونه خوفَ فوته عليهم، ﴿**أُولئِكَ ما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم إلّا النّارَ**﴾ لأنّها مآلُه، ﴿**ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيامةِ**﴾ غضبًا عليهم، ﴿**ولا يُزَكِّيهِم**﴾: يُطهّرهم من دنس الذنوب، ﴿**ولَهُم عَذابٌ أليمٌ**﴾ ١٧٤: مؤلم هو النار، ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالةَ بالهُدَى**﴾: أخذوها بدله في الدنيا، ﴿**والعَذابَ بالمَغفِرةِ**﴾ المُعَدّةِ لهم في الآخرة، لو لم يكتموا. ﴿**فما أصبَرَهُم علَى النّارِ**﴾ ١٧٥ أي: ما أشدَّ صبرَهم! وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم مُوجباتِها، **من** غير مُبالاة. وإلّا فأيُّ صبر لهم؟ ﴿**ذلِكَ**﴾ الذي ذُكِرَ، من أكلهم النارَ وما بعده، ﴿**بأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**اللهَ نَزَّلَ الكِتابَ بالحَقِّ**﴾: متعلّق بـ«نزّل»، فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكتمه. ﴿**وإنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا في الكِتابِ**﴾ بذلك - وهم اليهود، وقيل: المشركون - في القرآن حيث قال بعضهم: شِعر، وبعضهم: سِحر، وبعضهم: كِهانة، ﴿**لَفِي شِقاقٍ**﴾: خِلافٍ ﴿**بَعِيدٍ**﴾ ١٧٦ عن الحقّ.

---

(١) رزق: يسر وهيأ ما يحتاجه المخلوق. واشكر له أي: استحضر نعمه في نفسك ولسانك وعملك. وحرّمه: جعل فعله من الذنوب. والميتة أي: ما مات مما كان حلالًا أن يؤكل لحمه. والكلام فيه أي: التحريم هنا في الأكل، لا في الحيوان نفسه. وما بعدها يعني: ما بعد الميتة من المحرمات هنا. وأُلحق أي: في الحكم شرعًا. وما أُبين: ما قطع من البهيمة وهي حيّة ملحق أيضًا في الحكم بالميتة. والسمك والجراد الميتان أُخرجا من حكم الميتة بإباحة أكلهما. والأنعام يعني الآية ١٤٥ من تلك السورة. واللحم: ماكان بين الجلد والعظم من عضل وشحم. والخنزير: الحيوان البري المعروف أنسيًا كان أو وحشيًا. أما الخنزير البحري فهو حلال كسائر الأسماك. وغيره أي: غير اللحم مما في الخنزير كله. وأُهلّ: صِيحَ بصوت عال. وبه أي: في وقت ذبحه. ولغير أي: لأجل غير.

(٢) الإثم: المؤاخذة بذنب. والغفور: العظيم العفو وستر القبيح. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة والتيسير. وخرج أي: من حكم المضطر. والآبق: العبد الهارب من مولاه. والمكاس: المسافر لجباية المال. وبهما أي: في الحكم.

(٣) يكتم: انظر الآية ١٥٩. والكتاب: التوراة والإنجيل. ونعته أي: وصفه وأنه سيكون رسولًا يُلزمون باتباعه. فقد كان أحبار اليهود يرجون أن يُبعث النبي منهم، ولما بُعث من غيرهم خافوا زوال رياستهم، فحرّفوا ما في التوراة من وصفه لدفع الناس عن الإيمان. الدر المنثور ١:١٦٩. وفيما عدا الأصل وخ وع: «محمد صلى الله عليه وسلم». واليهود أي: والنصارى. ويشتري: يستبدل ويأخذ. وبه أي: بكتمانه. والثمن: ما يأخذه البائع. والسفلة: غوغاء الناس. والفوت: الضياع. والبطون: جمع بطن، ويراد به المعدة. ومآله أي: عاقبة ما يأخذون. ولا يكلمهم أي: لا يخاطبهم. ويطهرهم يعني: لا يطهرهم. والضلالة: الخروج على الحق. والهدى: الرشد إلى الصواب. والمغفرة: العفو عن الذنوب. والصبر: التجلد وحبس النفس. ونزله: أوحاه وأوجب اتباعه. والكتاب: التوراة والإنجيل. والحق: الصدق الثابت. واختلفوا: تنازعوا واختصموا. وفي الكتاب أي: في تقبله والحكم عليه. وبذلك أي: بكتمان بعضه والإيمان ببعض. وذكر المشركين هنا يعني أن الكتاب الثاني هو القرآن. والراجح أنه عامّ يشمل كل كتاب سماوي. فكل من اختلفوا في واحد منها موصوفون بالشقاق. والبعيد: المنحرف جدًا.

الجزء الثاني — سورة البقرة

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

نصف الحزب ٣

١- ﴿**لَيسَ البِرَّ أن تَوَلُّوا وُجوهَكُم**﴾، في الصّلاة، ﴿**قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ**﴾ - نزل ردًّا على اليهود والنصارى، حيث زعموا ذلك - ﴿**ولكِنَّ البِرَّ**﴾ أي: ذا البرّ - وقُرِئ: «البارّ» - ﴿**مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ والمَلائكةِ والكِتابِ**﴾ أي: الكُتبِ ﴿**والنَّبِيِّينَ، وآتى المالَ على**﴾: مَعَ ﴿**حُبِّهِ**﴾ له ﴿**ذَوي القُربى**﴾: القرابةِ، ﴿**واليَتامى والمَساكِينَ وابنَ السَّبيلِ**﴾: المُسافرَ، ﴿**والسّائلينَ**﴾: الطالبينَ، ﴿**وفي**﴾ فكِّ ﴿**الرِّقابِ**﴾: المُكاتَبينَ والأسرى، ﴿**وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ**﴾ المفروضةَ، وما قبله في التطوع، ﴿**والمُوفُونَ بِعَهدِهِم إذا عاهَدُوا**﴾ اللهَ أو الناسَ، ﴿**والصّابِرِينَ**﴾: نُصِبَ على المدح، ﴿**في البأساءِ**﴾: شِدّةِ الفقر ﴿**والضَّرّاءِ**﴾: المرض، ﴿**وحِينَ البأسِ**﴾: وقتَ شِدّةِ القتال في سبيل الله. ﴿**أُولئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿**الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ في إيمانهم أو ادّعاء البرّ، ﴿**وأُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ**﴾ ١٧٧ اللهَ.

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، كُتِبَ**﴾: فُرِضَ ﴿**عَلَيكُمُ القِصاصُ**﴾: المُماثلةُ ﴿**في القَتلى**﴾ وصفًا وفعلًا: ﴿**الحُرُّ**﴾ يُقتلُ ﴿**بالحُرِّ**﴾ ولا يُقتل بالعبد، ﴿**والعَبدُ بالعَبدِ، والأُنثى بالأُنثى**﴾. وبيَّنتِ السُّنّةُ أنّ الذَّكر يُقتل بها، وأنه تُعتبر المُماثلة في الدِّين فلا يُقتل مُسلم - ولو عبدًا - بكافر، ولو حُرًّا. ﴿**فمَن عُفِيَ لَهُ**﴾، من القاتلينَ، ﴿**مِن**﴾ دم ﴿**أخِيهِ**﴾ المقتولِ ﴿**شَيءٌ**﴾، بأن تُرِك القِصاص منه - وتنكيرُ «شيء» يفيد سقوط القِصاص بالعفو عن بعضه، ومن بعض الورثة، وفي ذِكر «أخيه» تعطُّفٌ داعٍ إلى العفو، وإيذانٌ بأنّ القتل لا يقطع أخوّة الإيمان - ومَن: مبتدأ شرطيّة، أو موصولة والخبر ﴿**فاتِّباعٌ**﴾ أي: فعلى العافي اتّباعٌ للقاتل ﴿**بالمَعرُوفِ**﴾: بأن يُطالبه بالدِّيَة بلا عُنف - وترتيب الاتّباع على العفو يُفيد أنّ الواجب أحدُهما. وهو أحد قولَي الشافعيّ، والثاني: الواجبُ القِصاصُ، والدِّيَةُ بدلٌ عنه. فلو عفا ولم يُسمّها فلا شيء، ورُجِّحَ - ﴿**وَ**﴾ على القاتل ﴿**أداءٌ**﴾ للدِّية ﴿**إلَيهِ**﴾ أي: العافي وهو الوارث، ﴿**بإحسانٍ**﴾: بلا مَطل ولا بخس.

٣- ﴿**ذلِكَ**﴾ الحكمُ المذكور، من جواز القصاصِ والعفوِ عنه على الدِّيَة، ﴿**تَخفِيفٌ**﴾: تسهيلٌ ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ عليكم ﴿**ورَحمَةٌ**﴾ بكم، حيث وسَّع في ذلك ولم يُحتِّم واحدًا منهما، كما حَتّم على اليهود القصاصَ وعلى النصارى الدِّيَة. ﴿**فمَنِ اعتَدى**﴾: ظلمَ القاتل، بأن قتله ﴿**بَعدَ ذلِكَ**﴾ أي: العفوِ، ﴿**فلَهُ عَذابٌ أليمٌ**﴾ ١٧٨: مؤلم في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بالقتل. ﴿**ولَكُم في القِصاصِ حَياةٌ**﴾ أي: بقاء عظيم - ﴿**يا أُولي الألبابِ**﴾: ذوي العقول - لأنّ القاتل إذا علم أنه يُقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله، فشُرِع ﴿**لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ ١٧٩ القتلَ مخافةَ القَوَد.

٤- ﴿**كُتِبَ**﴾: فُرِضَ ﴿**عَلَيكُم، إذا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوتُ**﴾ أي: أسبابُه، ﴿**إنْ تَرَكَ خَيرًا**﴾: مالًا، ﴿**الوَصِيَّةُ**﴾ - مرفوعٌ بـ«كُتب» ومتعلّقٌ «إذا» إن كانت ظرفيّة، ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطيّة. وجوابُ «إن» محذوف أي: فلْيُوصِ - ﴿**لِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ بالمَعرُوفِ**﴾: بالعدل، بألّا يزيدَ على الثلث ولا يُفضِّلَ الغنيَّ، ﴿**حَقًّا**﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجملة قبله، ﴿**على المُتَّقِينَ**﴾ ١٨٠ اللهَ. وهذا منسوخ بآية الميراث، وبحديث:

---

(١) البر: الإحسان في عمل الخير. وتولوا أي: تُوجِّهوا. وآمن: صدّق بقلبه واعترف بلسانه. واليوم: الوقت. والكتاب أي: الكتب السماوية. وآتاه: أعطاه وبذله. والمال: مايملك من نقد وغيره. واليتامى: جمع يتيم. وهو الطفل مات أبوه. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والسبيل: طريق السفر. وابنه: من يلازمه لأنه في غير وطنه. وفي الرقاب أي: لأجل فكها من الأسر والعبودية. والرقاب: جمع رقبة. وأقام الصلاة: أداها كاملة ودام على ذلك. وآتى الزكاة: أعطاها من يستحقها. وماقبله أي: ماجاء قبل هذا في الآية من إيتاء المال. والموفي: من يؤدي الشيء دون نقص.

(٢) القصاص: عقوبة الجاني بما فعل. ووصفًا وفعلًا أي: أن مماثلة العقوبة تكون في صفة المجنيّ عليه ونوع الجناية والأداة أيضًا، ما أمكن ذلك. وبالحر أي: بسبب قتله. والعبد: المملوك. وبها أي: بالأنثى. يعني: عقوبة لقتله الأنثى. وللفقهاء اختلاف في اعتبار المماثلة في الدين. انظر «المفصل». ومن دم أخيه أي: من المطالبة بالعقوبة عليه. وشيء أي: جزء ما. وترك القصاص يعني: تجاوز أحد الورثة عن الاقتصاص. وسقوط القصاص أي: كله لأنه لا يتجزأ. ومن بعض الورثة يعني: ولو كان العافي واحدًا من ألف. ورجح أي: رُجِّح القول الثاني للشافعي، باتفاق أكثر العلماء. والأداء: التأدية والتسليم. والإحسان: تطييب القول والفعل. والمطل: التسويف وتأخيرالأداء. والبخس: النقص والإجحاف.

(٣) الرحمة: العطف بالإحسان. وفي القصاص أي: في شرعه وتنفيذ حكمه. وأولي أي: أصحاب. والألباب: جمع لب. وهو العقل الكامل. وشرع أي: فرض القصاص. وتتقونه: تتجنبونه وتلزمون الطاعة.

(٤) حضره: ظهر عليه وصار فيه. وأسبابه: علاماته. والوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به. والحق: الثبات المؤكد. وانظر الحديثين ٢١٢١ و٢١٢٢ في سنن الترمذي. وبدله: غيّر بعض مضمونه. وعَلِمَه أي: أدركه ووعاه. والإثم: الوبال والعقوبة. ومقام المضمر أي: بدلًا من: عليه. وخاف: علم وتوقع. ومثقلًا يريد القراءة: «مُوَصٍّ». وإثمًا أي: ظلمًا وتجاوزًا للحق. وأصلح: فَعَلَ ما فيه الصلاح. وذلك أي: الإصلاح، لأنه توجيه نحو الحق. والغفور: الكثير العفو. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

«لا وَصِيَّةَ لِوارِثٍ» رواه الترمذيّ. ﴿**فَمَن بَدَّلَهُ**﴾ أي: الإيصاءَ من شاهد ووصيّ، ﴿**بَعدَ ما سَمِعَهُ**﴾: عَلِمَه، ﴿**فإنّما إثمُهُ**﴾ أي: الإيصاءِ المُبدَّلِ ﴿**على الّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**﴾. فيه إقامة الظاهر مَقامَ المُضمر. ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ لقول المُوصي، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ١٨١ بفعل الوصيّ، فمُجازٍ عليه. ﴿**فَمَن خافَ مِن مُوْصٍ**﴾ - مُخففًا ومُثقَّلًا - ﴿**جَنَفًا**﴾: مَيلًا عن الحقّ خطأً، ﴿**أو إثمًا**﴾ بأن تعمّد ذلك، بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنيّ مَثلًا، ﴿**فأَصلَحَ بَينَهُم**﴾: بين المُوصِي والمُوصَى له بالأمر بالعدل، ﴿**فلا إثمَ علَيهِ**﴾ في ذلك. ﴿**إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ١٨٢.

١ - ﴿**يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، كُتِبَ**﴾: فُرِض ﴿**عَلَيكُمُ الصِّيامُ، كَما كُتِبَ على الّذِينَ مِن قَبلِكُم**﴾ من الأمم، ﴿**لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ ١٨٣ المعاصيَ - فإنه يكسِرُ الشهوة التي هي مبدؤها - ﴿**أيّامًا**﴾: نُصِبَ بـ«الصيام» أو بـ«صوموا» مُقدَّرًا، ﴿**مَعدُوداتٍ**﴾ أي: قلائلَ أو مُؤقّتاتٍ بعدد معلوم. وهي رمضانُ كما سيأتي، وقلَّله تسهيلًا على المكلَّفين. ﴿**فَمَن كانَ مِنكُم**﴾ حين شُهوده ﴿**مَرِيضًا، أو على سَفَرٍ**﴾ أي: مُسافرًا سفرَ القَصْرِ، وأجهَده الصوم في الحالَين فأفطر، ﴿**فعِدَّةٌ**﴾: فعليه عَدَدُ ما أفطر ﴿**مِن أيّامٍ أُخَرَ**﴾، يصومها بدله.

٢ - ﴿**وعلى الّذِينَ**﴾ لا ﴿**يُطِيقُونَهُ**﴾ لكِبَرٍ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤه ﴿**فِدْيَةٌ**﴾، هي ﴿**طَعامُ مِسكِينٍ**﴾ أي: قدرُ ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكلّ يوم. وفي قراءة بإضافة «فِدْيةُ» وهي للبيان. وقيل: «لا» غيرُ مُقدّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثمّ نُسخ بتعيين الصوم بقوله «فمن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ». قال ابن عبّاس: إلّا الحاملَ والمُرضِعَ، إذا أفطرتا خوفًا على الولد، فإنّها باقية بلا نسخ في حقّهما. ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيرًا**﴾، بالزيادة على القدر المذكور في الفدية، ﴿**فهُوَ**﴾ أي: التطوّع ﴿**خَيرٌ لَهُ. وأنْ تَصُومُوا**﴾. مبتدأ خبرُه ﴿**خَيرٌ لَكُم**﴾ من الإفطار والفدية، ﴿**إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ١٨٤ أنه خير لكم فافعلوه.

٣- تلك الأيام ﴿**شَهرُ رَمَضانَ الّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ**﴾، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر منه، ﴿**هُدًى**﴾: حالٌ هاديًا من الضلالة ﴿**لِلنّاسِ، وبَيِّناتٍ**﴾: آياتٍ واضحاتٍ ﴿**مِنَ الهُدَى**﴾ ممّا يهدي إلى الحقّ من الأحكام، ﴿**و**﴾ من ﴿**الفُرقانِ**﴾ ممّا يفرق بين الحقّ والباطل. ﴿**فَمَن شَهِدَ**﴾: حضرَ ﴿**مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ، ومَن كانَ مَرِيضًا أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِن أيّامٍ أُخَرَ**﴾. تقدّمَ مثله، وكُرّر لئلّا يُتوهَّم نسخه بتعميم «مَن شهد». ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ، ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ**﴾ - ولذا أباح لكم الفِطر في المرضِ والسفرِ - ولكون ذلك في معنى العلّة أيضًا للأمر بالصوم، عُطف عليه ﴿**ولِتُكمِلُوا**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**العِدّةَ**﴾ أي: عِدّةَ صوم رمضانَ، ﴿**ولِتُكَبِّرُوا اللهَ**﴾ عند إكمالها ﴿**على ما هَداكُم**﴾: أرشدكم لمعالم دِينه، ﴿**ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ١٨٥ اللهَ على ذلك.

٤- وسأل جماعة النبيَّ «أقريبٌ ربُّنا فنُناجيَهُ، أم بعيدٌ فنُناديَهُ»؟ فنزلَ: ﴿**وإذا سألَكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ**﴾ منهم بعلمي، فأخبِرْهم بذلك، ﴿**أُجِيبُ دَعوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ**﴾ بإنالته ما سأل. ﴿**فلْيَستَجِيبُوا لِي**﴾ دُعائي بالطاعة، ﴿**ولْيُؤمِنُوا**﴾: يُدِيموا على الإيمان ﴿**بِي، لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ**﴾ ١٨٦ : يهتدون.

---

(١) الصيام: الإمساك عما يفطر من الفجر إلى الغروب. وتتقيها: تتجنبها بالطاعة وعمل الخير. والمراد بالمعاصي ما لا يجوز شرعًا. والأيام: جمع يوم. وهو هنا النهار. وكما سيأتي أي: في الآية ١٨٥. وقلّله أي: جعله في شهر واحد. وشهوده أي: حضور شهر رمضان في مكان إقامته. والمريض: المصاب بما يضره الصوم. والسفر: البعد عن الوطن. والقصر: رد الصلاة ذات الركعات الأربع إلى ركعتين. وسفر القصر ما يجوز فيه قصر الصلاة. وفي الحالين أي: في السفر أو المرض. وأُخر أي: غيرها. (٢) لا يطيقونه أي: لا يستطيعون الصيام ولا يمكنهم أداؤه. وفدية أي: أداؤ ما يبذله الإنسان ليقي نفسه من تقصير أو بلاء. والطعام: ما يؤكل. والمسكين: الفقير المحتاج. والمُدّ: مكيال قديم، أصله أن يَمُدّ الإنسان يديه فيملأ كفيه طعامًا. وقد أغفل السيوطي في القراءة جمع «مسكين»، وهي: «فِديةُ طَعامِ مَساكِينَ». انظر «المفصل». وبقوله يعني: في الآية ١٨٥. وتطوع: تبرع إيمانًا واحتسابًا. والخير: العمل النافع. وتعلمون: تدركون وتعون. (٣) الشهر: الزمن المقدر بدورة كاملة للقمر حول الأرض. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل، ثم بُدئ بوحيه. والدنيا: أقرب السماوات إلى الأرض. ومثله: يعني ما في الآية ١٨٤. ويريد: يقصد ويقضي. واليسر: السهولة. والعسر: الصعوبة. وبالتشديد يريد القراءة «ولِتُكَمِّلُوا». وتكبّروه أي: تعظّموه بالتكبير والحمد. وتشكرونه: تستحضرون نعمه في نفوسكم وألسنتكم وأعمالكم. (٤) سألك: استخبرك يريد المعرفة. والعباد: جمع عبد. وعني أي: عن قربي إليهم. وأجيب: أُلبّي بإرادتي. والدعوة: طلب العون. والإنالة: التمكين من الشيء وإعطاؤه. وحذفت الياء من «الداع ودعان» للتخفيف. ويستجيب: يجيب المطلوب. ويديموا أي: يستمروا. والإيمان: التصديق باعتقاد يقيني. وبي أي: بألوهيتي ووحدانيتي.

١- ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء **﴿إِلَى نِسائكُم﴾** بالجِماع. نزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام، من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العِشاء. **﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُم، وأنتُم لِباسٌ لَهُنَّ﴾**: كنايةٌ عن تعانقهما، أو احتياج كلّ منهما إلى صاحبه. **﴿عَلِمَ اللهُ أنَّكُم كُنتُم تَختانُونَ﴾**: تخونون **﴿أنفُسَكُم﴾**، بالجِماع ليلة الصيام - وقع ذلك لعُمرَ وغيره، واعتذروا إلى النبيّ ﷺ - **﴿فتابَ عليكُم﴾**: قَبِلَ توبتكم، **﴿وعَفا عَنكُم. فالآنَ﴾**: إذ أُحِلَّ لكم **﴿باشِرُوهُنَّ﴾**: جامعوهنَّ، **﴿وابتَغُوا﴾**: اطلبوا **﴿ما كَتَبَ اللهُ لَكُم﴾** أي: أباحَه من الجِماع أو قدّره من الولد، **﴿وكُلُوا واشرَبُوا﴾** الليلَ كلّه، **﴿حَتّى يَتَبَيَّنَ﴾**: يظهر **﴿لَكُمُ الخَيطُ الأبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأسوَدِ، مِنَ الفَجرِ﴾** أي: الصادقِ. بيانٌ للخيط الأبيض، وبيانُ الأسود محذوف أي: من الليل. شُبّه ما يبدو من البياض وما يمتدّ معه من الغَبَش بخيطينِ أبيضَ وأسودَ في الامتداد.

٢- ﴿ثُمَّ أتِمُّوا الصِّيامَ﴾، من الفجر **﴿إلَى اللَّيلِ﴾** أي: إلى دخوله بغروب الشمس، **﴿ولا تُباشِرُوهُنَّ﴾** أي: نساءكم **﴿وأنتُم عاكِفُونَ﴾**: مقيمون بنيّة الاعتكاف **﴿في المَساجِدِ﴾**: متعلّق بـ«عاكفون». نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود. **﴿تِلكَ﴾** الأحكام المذكورة **﴿حُدُودُ اللهِ﴾**، حَدَّها لعباده ليقفوا عندها. **﴿فلا تَقرَبُوها﴾**. أبلغُ من «لا تعتدوها» المُعبَّر به في آية أُخرى. **﴿كَذلِكَ﴾**: كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ **﴿يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾** ١٨٧ مَحارمَه.

٣- ﴿ولا تأكُلُوا أموالَكُم بَينَكُم﴾ أي: يأكلْ بعضُكم مالَ بعض **﴿بالباطِلِ﴾**: الحرام شرعًا، كالسرقةِ والغصب، **﴿و﴾** لا **﴿تُدلُوا﴾**: تُلقوا **﴿بِها﴾** أي: بحكومتها أو بالأموال رِشوةً **﴿إلَى الحُكّامِ، لِتأكُلُوا﴾** بالتحاكم **﴿فَرِيقًا﴾**: طائفةً **﴿مِن أموالِ النّاسِ﴾** ملتبسين **﴿بالإثمِ، وأنتُم تَعلَمُونَ﴾** ١٨٨ أنكم مُبطِلون.

٤- ﴿يَسألُونَكَ﴾ - يا محمّد - **﴿عَنِ الأهِلَّةِ﴾** جمعِ هِلال: لِمَ تبدو دقيقة ثمّ تَزيدُ حتّى تمتلئَ نورًا، ثمّ تعودُ كما بدت، ولا تكونُ على حالة واحدة كالشمس؟ **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿هِيَ مَواقِيتُ﴾**: جمع مِيقات **﴿لِلنّاسِ﴾**: يعلمون بها أوقات زرعِهم ومتاجرِهم وعِدَدِ نسائهم وصيامِهم وإفطارهم، **﴿والحَجِّ﴾**: عطفٌ على «الناس»، أي: يُعلَم بها وقته - فلو استمرّت على حالة لم يُعرف ذلك - **﴿ولَيسَ البِرُّ بِأن تأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِها﴾** في الإحرام، بأن تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب - وكانوا يفعلون ذلك، ويزعمونه برًّا - **﴿ولكِنَّ البِرَّ﴾** أي: ذا البرِّ **﴿مَنِ اتَّقَى﴾** اللهَ بترك مُخالفته، **﴿وأتُوا البُيُوتَ مِن أبوابِها﴾** في الإحرام كغيره، **﴿واتَّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾** ١٨٩: تفوزون.

٥- ولمّا صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحُديبية، وصالَح الكُفّارَ على أن يعود العامَ القابلَ، ويُخلُوا له مكّة ثلاثة أيّام، وتجهّزَ لعُمرة القضاء، وخافوا ألّا تَفِيَ قُريش ويُقاتلوهم، وكرهَ المسلمون قتالهم في الحَرَم والإحرام والشهر الحرام، نزل: **﴿وقاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ﴾** أي: لإعلاء دِينه **﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُم﴾** من الكُفّار، **﴿ولا تَعتَدُوا﴾** عليهم بالابتداء بالقتال. **﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ﴾** ١٩٠: المتجاوزين ما حُدّ لهم. وهذا منسوخ بآية «براءة»، أو بقوله:

الجزء الثاني | سورة البقرة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

---

(١) أحل: جعل مباحًا وعليه ثواب بفضله، تعالى. والرفث: الجماع وما يكون معه. والنساء: واحدته امرأة، أي: الحليلة من زوجة أو أمة. واللباس: ما يُلبس فيكاد يختلط بجسم صاحبه. وعلم: أحاط بالغَ الإحاطة. وتخونونها أي: تظلمونها بتعريضها للعقاب. ووقع ذلك أي: حصل جماع الزوجة في ليالي رمضان، ولمّا اعتذر الصحابة مما كان لهم نزلت الآية بالرخصة وقبول توبتهم. انظر «المفصل». وعفا: غفر الذنب. والآن: ظرف الزمن الحاضر والمستقبل. والأمر بعده للإباحة. وكلوا أي: تناولوا الطعام. واشربوا أي: تناولوا الشراب. والخيط الأبيض هو أول مايبدو من بياض النهار. والأسود: مايمتد من سواد الليل كالخيط مع ظهور بياض النهار. والفجر: انكشاف ظلمة الليل عن نور الصبح. والصادق: مايظهر منتشرًا في الأفق. والغبش: ظلمة آخر الليل. **(٢)** أتموه: اجعلوه تامًّا. وتباشر: تجامع. والاعتكاف: الإقامة في المسجد للعبادة. والمساجد: جمع مسجد. وهو المكان للصلاة. ونهي أي: هذا الحكم هو نهي. والمذكورة أي: في الآيات المتقدمة من إيجاب وتحريم وإباحة. والحدود: الأحكام، مفردها حَدّ. وهو ما يفصل بين الحق والباطل. وأبلغ أي: لأن النهي عن القرب نهي عن المجاوزة أو المخالفة وزيادة. وما ذكر أي: في تلك الأحكام. ويبين: يوضح. ويتقيها: يتجنب الوقوع فيها. **(٣)** تأكل: تأخذ. والأموال: جمع مال أي: مايملك من متاع وزينة. والحكومة: الخصومة والاحتكام. والحكام: جمع حاكم. والإثم: الظلم والذنب. وتعلم: تدرك وتعي. **(٤)** تمتلئ نورًا: تصير بدورًا. والميقات: ما يدل على الوقت. والعِدد: جمع عِدّة. والحج: قصد البيت الحرام للعبادة والنسك. والبر: إحسان العمل والعبادة. وتأتوا: تدخلوا. والبيوت: جمع بيت. والظهور: جمع ظهر. والإحرام: الدخول في الحج أو العُمرة. واتقاه: تجنب غضبه وطلب رضاه. والأبواب: جمع باب. **(٥)** صُد: مُنع أن يؤدي العمرة. ويخلوها أي: يخرجوا منها. وعمرة القضاء اتُّفق عليها في صلح الحديبية. وخافوا أي: خشي المسلمون. والحرم: البيت الحرام. والسبيل: الدين بعقيدته وشرائعه. ويقاتلونكم أي: يبدؤونكم بالقتال. وتعتدي: تتجاوز الحق بظلم. ولا يحبهم أي: لا يودهم ويكرههم، فلايريد لهم الخير ولا يحسن إليهم.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١ - ﴿**واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم**﴾: وجدتموهم، ﴿**وأخرجُوهُم مِن حَيثُ أخرَجُوكُم**﴾ أي: من مكّة - وقد فُعِل بهم ذلك عامَ الفتح. ﴿**والفِتْنَةُ**﴾: الشِّرك منهم ﴿**أشَدُّ**﴾: أعظمُ ﴿**مِنَ القَتلِ**﴾ لهم، في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه - ﴿**ولا تُقاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ**﴾ أي: في الحَرَم، ﴿**حَتَّى يُقاتِلُوكُم فِيهِ، فإنْ قاتَلُوكُم**﴾ فيه ﴿**فاقتُلُوهُم**﴾ فيه. وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة - ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ القتلِ والإخراجِ ﴿**جَزاءُ الكافِرِينَ ١٩١ - فإنِ انتَهَوا**﴾ عن الكُفر وأسلموا ﴿**فإنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لهم، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٩٢ بهم. ﴿**وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ**﴾: تُوجد ﴿**فِتْنَةٌ**﴾: شِرك، ﴿**ويَكُونَ الدِّينُ**﴾: العِبادة ﴿**لِلهِ**﴾ وحده ولا يُعبدَ سواه، ﴿**فإنِ انتَهَوا**﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دلّ على هٰذا ﴿**فلا عُدْوانَ**﴾: اعتداءَ بقتل أو غيره ﴿**إلّا على الظّالِمِينَ**﴾. ١٩٣ ومن انتهى فليس بظالم، فلا عُدوان عليه.

٢ - ﴿**الشَّهرُ الحَرامُ**﴾: المُحَرَّمُ مُقابَلٌ ﴿**بالشَّهرِ الحَرامِ**﴾. فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله - ردٌّ لاستعظام المسلمين ذلك - ﴿**والحُرُماتُ**﴾: جمع حُرْمة: ما يجب احترامه ﴿**قِصاصٌ**﴾ أي: يُقتصُّ بمثلها، إذا انتُهكتْ. ﴿**فمَنِ اعتدَى علَيكُم**﴾، بالقتال في الحَرَم أو الإحرام أو الشهر الحرام، ﴿**فاعتَدُوا علَيهِ بِمِثلِما اعتَدَى علَيكُم**﴾ - سَمَّى مُقابَلته اعتداءً لشَبهها بالمُقابَل به في الصُّورة - ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في الانتصار وترك الاعتداء، ﴿**واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ**﴾ ١٩٤ بالعون والنصر، ﴿**وأنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾: طاعتِه الجهادِ وغيره، ﴿**ولا تُلقُوا بأيدِيكُم**﴾ أي: أنفُسِكم، والباء زائدة، ﴿**إلَى التَّهلُكَةِ**﴾: الهلاك بالإمساكِ عن النفقة في الجهاد أو تركِهِ، لأنّه يُقوّي العدوّ عليكم، ﴿**وأحسِنُوا**﴾ بالنفقة وغيرها. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾ ١٩٥ أي: يُثيبهم.

٣- ﴿**وأتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرةَ لِلهِ**﴾: أدُّوهما بحقوقهما، ﴿**فإنْ أُحصِرتُم**﴾: مُنعتم عن إتمامهما بعدوٍّ ﴿**فما استَيسَرَ**﴾: تيسَّر ﴿**مِنَ الهَدْيِ**﴾ عليكم، وهو شاة، ﴿**ولا تَحلِقُوا رُؤُوسَكُم**﴾ أي: لا تتحلّلوا، ﴿**حَتَّى يَبلُغَ الهَدْيُ**﴾ المذكور ﴿**مَحِلَّهُ**﴾: حيث يَحِلّ ذبحه. وهو مكان الإحصار عند الشافعيّ، فيُذبح فيه بنيّة التحلّل ويُفرَّق على مساكينه، ويُحلَق. وبه يحصل التحلُّل. ﴿**فمَن كانَ مِنكُم مَرِيضًا، أو بِهِ أذًى مِن رأسِهِ**﴾ كقمل وصُداع، فحَلقَ في الإحرام، ﴿**ففِدْيةٌ**﴾ عليه ﴿**مِن صِيامٍ**﴾ لثلاثة أيّام، ﴿**أو صَدَقةٍ**﴾ بثلاثة آصُع من غالب قوت البلد على ستّة مساكين، ﴿**أو نُسُكٍ**﴾ أي: ذبحِ شاةٍ - وأو: للتخيير. وأُلحق به مَن حلقَ لغير عُذر لأنّه أولى بالكفّارة. وكذا مَن استمتع بغير الحلق، كالطِّيب واللُّبس والدُّهن لعُذر أو غيره - ﴿**فإذا أمِنتُم**﴾ العدوّ، بأن ذهب أو لم يكن، ﴿**فمَن تَمَتَّعَ**﴾ أي: استمتع ﴿**بالعُمْرةِ**﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿**إلَى الحَجِّ**﴾ أي: الإحرام به، بأن يكون أحرمَ بها في أشهره، ﴿**فما استَيسَرَ**﴾: تيسَّر ﴿**مِنَ الهَدْيِ**﴾ عليه. وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل يوم النحر.

٤- ﴿**فمَن لَم يَجِدْ**﴾ الهديَ، لفقده أو فقد ثمنه، ﴿**فصِيامُ**﴾ أي: فعليه صيامُ ﴿**ثَلاثةِ أيّامٍ في الحَجِّ**﴾ أي: في حال الإحرام به - فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجّة، والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفةَ. ولا يجوز صومها أيّام التشريق على أصحّ قولَي الشافعيّ - ﴿**وسَبْعةٍ إذا رَجَعتُم**﴾ إلى وطنكم مكّةَ أو غيرِها. وقيل: إذا فَرَغتم من أعمال الحجّ. وفيه التفات عن الغَيبة، ﴿**تِلكَ عَشَرةٌ كامِلةٌ**﴾: جملةٌ تأكيدٌ

---

(١) الفتنة: الافتتان والضلال. و«بلا ألف» يريد القراءة «ولا تَقتُلُوهُم»، «حَتَّى يَقتُلُوكُم»، أي: يريدوا قتلكم، «فإن قَتَلُوكُم». وانتهوا: رجعوا. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالعفو. وتكون أي: في مكة. ويكون: يصير.

(٢) الشهر الحرام أي: انتهاك أيامه بالقتال. والحرمة أي: انتهاكها. والقصاص: المماثلة في الجزاء. واعتدى: تجاوز الحق بظلم أو انتهاك لحرمة. وتلقي: ترمي وتُسلّم.

(٣) الهدي: مايهدى إلى الحرم فيذبح. والشاة: الواحدة من الضأن أو المعز. وبه أي: بالذبح والتفريق. والفدية: مايبذله الإنسان ليقي نفسه من تقصير أومخالفة. والآصع: جمع صاع. وهو مكيال يسع حوالي ٢٢٠٠ غرام. والبلد: مكة المكرمة. والنسك: العبادة. وللتخيير: يعني أن المُحصَر مخيَّر بين الثلاثة المذكورة. وألحق به أي: بمن حلق لمرض أو عذر. وتمتع: تلذذ وانتفع. و«به» في الموضعين يعني: بالحج. وبها أي: بالعمرة.

(٤) رجع: عاد من الحج. والحاضر: الموجود المقيم. والمرحلة: المسافة يقطعها من يمشي في يوم واحد. وهي أربعة وعشرون ميلًا. ودون أي: أقل من. والمراد: مَن كان أهله في مكان، هو أبعد عن الحرم من المسافة المجيزة لقصر الصلاة. وهي مرحلتان فأكثر. و«فإن كان» يعني: وجود الأهل، من زوجة وأولاد، في مكان دون تلك المسافة المذكورة. والاستيطان: الإقامة التي تكون للرجل ولأهله وتوجب عليه صلاة الجمعة. وعندنا أي: عند الشافعية. و«الثاني لا» يعني أن الوجه الثاني: لا يجب عليه ذلك الحكم. وأُلحق: يعني أن السُّنّة النبوية جعلت حكم القارن كحكم المتمتع، في وجوب الهدي أو الصوم. والشديد: القوي لا مثيل له. والعقاب: الانتقام بالعذاب، أي: شديدٌ عقابُه.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

لما قبلها. ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ الحُكم المذكور، من وجوب الهديِ أو الصيام على من تمتّع، ﴿**لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ بأن لم يكونوا على دونِ مرحلتين من الحَرَم عند الشافعيّ. فإن كان فلا دم عليه ولا صيام، وإن تمتّع. وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان. فلو أقام قبل أشهر الحجّ ولم يستوطن وتمتّع فعليه ذلك. وهو أحد وجهين عندنا، والثاني: لا، والأهل، كناية عن النفس. وأُلحق بالمتمتّع فيما ذُكر بالسُّنَّة القارنُ. وهو من يُحرم بالعُمرة والحجّ معًا، أو يُدخِلُ الحجَّ عليها قبل الطواف - ﴿**واتَّقوا اللهَ**﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ﴿**واعلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ١٩٦ لمن خالفه.

١- ﴿**الحَجُّ**﴾: وقتُه ﴿**أشهُرٌ مَعلُوماتٌ**﴾: شوّالٌ وذو القَعدة وعشرُ ليالٍ من ذي الحِجّة، وقيل: كلّه. ﴿**فمَن فَرَضَ**﴾ على نفسه ﴿**فِيهِنَّ الحَجَّ**﴾ بالإحرام به ﴿**فلا رَفَثَ**﴾: جِماعَ فيه، ﴿**ولا فُسُوقَ**﴾: مَعاصٍ، ﴿**ولا جِدالَ**﴾: خصامَ ﴿**في الحَجِّ**﴾ - وفي قراءة بفتح الأوّلَين. والمراد في الثلاثة النهي - ﴿**وما تفعَلُوا مِن خَيرٍ**﴾ كصَدَقةٍ ﴿**يَعلَمْهُ اللهُ**﴾، فيُجازيكم به. ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجّون بلا زاد، فيكونون كَلًّا على الناس: ﴿**وتزَوَّدُوا**﴾ ما يُبلّغكم لسفركم - ﴿**فإنَّ خَيرَ الزّادِ التَّقوى**﴾: ما يُتّقى به سُؤالُ الناس وغيرُه - ﴿**واتَّقُونِ، يا أُولي الألبابِ**﴾ ١٩٧ : ذوي العقُول.

٢- ﴿**لَيسَ عليكُم جُناحٌ**﴾، في ﴿**أن تَبتَغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**فَضلًا**﴾: رزقًا ﴿**مِنْ رَبِّكُم**﴾، بالتجارة في الحجّ - نزل ردًّا لكراهتهم ذلك - ﴿**فإذا أفَضتُم**﴾: دفعتم ﴿**مِن عَرَفاتٍ**﴾، بعد الوقوف بها، ﴿**فاذكُرُوا اللهَ**﴾ بعد المبيت بمُزدلِفَةَ، بالتلبية والتهليل والدعاء، ﴿**عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ**﴾ هو جبل في آخر المُزدلِفَةِ يقال له: قُزَحُ - وفي الحديث «أنّه ﷺ وَقفَ به يَذكُرُ اللهَ ويَدعُو، حَتّى أسفَرَ جِدًّا». رواه مسلم - ﴿**واذكُرُوهُ كما هَداكُم**﴾ لمَعالم دِينه ومناسك حجّه، والكافُ: للتعليل - ﴿**وإنْ**﴾: مخفّفةٌ ﴿**كُنتُم مِن قَبلِهِ**﴾: قبلِ هُداه ﴿**لَمِنَ الضّالِّينَ**﴾ ١٩٨ - ﴿**ثُمّ أفِيضُوا**﴾، يا قُريش، ﴿**مِن حَيثُ أفاضَ النّاسُ**﴾ أي: من عَرَفَةَ، بأن تقفوا بها معهم - وكانوا يقفون بالمُزدلفة ترفّعًا عن الوقوف معهم. وثمّ: للترتيب في الذكر - ﴿**واستَغفِرُوا اللهَ**﴾ من ذُنوبكم. ﴿**إنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ للمؤمنين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٩٩ بهم.

٣- ﴿**فإذا قَضَيتُم**﴾: أدّيتم ﴿**مَناسِكَكُم**﴾: عباداتِ حجّكم، بأن رمَيتم جَمْرة العقبة وطُفتم واستقررتم بمنى، ﴿**فاذكُرُوا اللهَ**﴾ بالتكبير والثناء، ﴿**كَذِكرِكُم آباءَكُم**﴾: كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حَجّكم بالمُفاخرة، ﴿**أو أشَدَّ ذِكرًا**﴾ من ذِكركم إيّاهم. ونصبُ «أشدَّ» على الحال من «ذكرًا» المنصوبِ بـ«اذكروا»، إذ لو تأخّر عنه لكان صفة له.

٤- ﴿**فمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا**﴾ نصيبنا ﴿**في الدُّنيا**﴾. فيُؤتاه فيها، ﴿**ومالَهُ في الآخرةِ مِن خَلاقٍ**﴾ ٢٠٠ : نصيبٍ، ﴿**ومِنهُم مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً**﴾: نعمة، ﴿**وفي الآخِرةِ حَسَنةً**﴾ هي الجنّة، ﴿**وقِنا عَذابَ النّارِ**﴾ ٢٠١ بعدم دخولها. وهذا بيان لما كان عليه المشركون، ولحال المؤمنين. والقصد به الحثّ على طلب خيرَيِ الدارين، كما وَعدَ بالثواب عليه بقوله: ﴿**أُولٰئِكَ لَهُم نَصِيبٌ**﴾: ثواب، ﴿**مِـ**﴾ـن أجلِ ﴿**ـمّا كَسَبُوا**﴾: عملوا من الحجّ والدعاء. ﴿**واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ ٢٠٢، يُحاسب الخلق كلّهم، في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك.

---

(١) الحج: الفريضة المعروفة. والأشهر: جمع شهر. والمعلومات: المعروفات فيها يجوز الابتداء بالإحرام للحج. وكله أي: كل ذي الحجة. وفرَضَه: أوجبه بأن أحرم. ولارفث أي: له. يعني: لمن فرض الحج على نفسه. والرفث: انظر الآية ١٨٧. والفسوق: الخروج عن حدود الشرع. والخصام: الخلاف في الباطل. وبالقراءة يريد: «فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ»، ومعها «ولا جِدالَ». والخير: مافيه نفع. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والكَلّ: العالة يسألون الآخرين. وتزودوا أي: احملوا ما يكفيكم. وخير: أكثر نفعًا. والزاد: ما يُحمل من الطعام والشراب. واتقون أي: تجنبوا غضبي واطلبوا رضاي. وأولي أي: أصحاب. والألباب: جمع لب. (٢) الجناح: الذنب. ومن ربكم أي: من كرمه. ودفعتم أي: اندفعتم راجعين. وعرفات: الجبل فيه وقفة الحج. واذكروه أي: ردّدوا اسمه العظيم. ومزدلفة: بين عرفات ومنى. وعند أي: قرب. والمشعر: مَعلَم للتعبد. والحرام: المحرّم المقدس. وأسفر: ظهر الصبح المذكور في الحديث. وانظر «المفصل». وهداكم: أرشدكم بحسب استعدادكم الحسن. والضالّ: التائه عن الهدى. واستغفروا: اطلبوا ستر ذنوبكم والعفو. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. (٣) المناسك: جمع مَنسَك. والجمرة: الحصاة ترمى في منى. والمراد هنا الجمار السبع ترمى يوم النحر إلى العقبة. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. والأشد: الأقوى. (٤) آتنا: أعطنا. والحسنة: ما يحسن به شأن الإنسان. وقنا: جنبنا. والنصيب: الشيء المحدد. وسريع أي: لا يشغله أحد عن غيره. والحساب: المحاسبة والجزاء. وذكر أيام الدنيا مبني على فهم ضعيف، لما جاء في المستدرك ٢: ٤٠٢. ونصُّ الحديث ٩٨٧ ص ٦٨١ من صحيح مسلم: «في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ، حَتّى يُقضَى بَينَ العِبادِ». وانظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٤ من سورة الفرقان.

الجزء الثاني سورة البقرة

الحزب

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا
فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

١ - ﴿**واذكُروا اللهَ**﴾ بالتكبير عند رمي الجَمَرات، ﴿**في أيّامٍ مَعدُوداتٍ**﴾ أي: أيّام التشريق الثلاثة - ﴿**فمَن تَعجَّلَ**﴾ أي: استعجل بالنفر من منى، ﴿**في يومَين**﴾ أي: في ثاني أيّام التشريق بعد رمي جماره، ﴿**فلا إثمَ عليهِ**﴾ بالتعجيل، ﴿**ومَن تأخَّرَ**﴾ بها، حتّى بات ليلة الثالث ورمى جِماره، ﴿**فلا إثمَ عليهِ**﴾ بذلك. أي: هم مُخيَّرون في ذلك. ونفيُ الإثم ﴿**لِمَنِ اتَّقى**﴾ الله في حجّه، لأنه الحاجّ على الحقيقة - ﴿**واتَّقُوا اللهَ، واعلَموا أنّكم إلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ ٢٠٣ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٢- ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ في الحَياةِ الدُّنيا**﴾، ولا يُعجبك في الآخرة لمُخالفته لاعتقاده، ﴿**ويُشهِدُ اللهَ على ما في قَلبِهِ**﴾ أنّهُ مُوافق لقوله، ﴿**وهُوَ ألَدُّ الخِصامِ**﴾ ٢٠٤: شديد الخُصومة لك ولأتباعك، لعداوته لك - وهو الأخنسُ بنُ شَريق، كان مُنافقًا حلو الكلام للنبيّ، يحلف أنّه مؤمن به ومُحبّ له فيُدني مجلسَه، فأكذَبَه اللهُ في ذلك - ومرَّ بزرع وحُمُرٍ لبعض المسلمين، فأحرقَه وعقرَها ليلًا، كما قال تعالى: ﴿**وإذا تَوَلّى**﴾: انصرف عنك ﴿**سَعى**﴾: مشى ﴿**في الأرضِ، لِيُفسِدَ فيها ويُهلِكَ الحَرْثَ والنَّسلَ**﴾ من جملة الفساد - ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ**﴾ ٢٠٥ أي: لا يرضى به - ﴿**وإذا قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ**﴾ في فعلك. ﴿**أخَذَتْهُ العِزَّةُ**﴾: حملتْه الأنفة والحميّة على العمل ﴿**بالإثمِ**﴾ الذي أُمر باتّقائه. ﴿**فحَسْبُهُ**﴾: كافيهِ ﴿**جَهَنَّمُ، ولَبِئسَ المِهادُ**﴾ ٢٠٦: الفِراشُ هي! ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَشري**﴾: يبيعُ ﴿**نَفسَهُ**﴾ أي: يبذلها في طاعة الله، ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طَلَبَ ﴿**مَرْضاةِ اللهِ**﴾: رِضاه. وهو صُهيبٌ، لمّا آذاه المشركون هاجر إلى المدينة، وترك لهم ماله. ﴿**واللهُ رَؤوفٌ بالعِبادِ**﴾ ٢٠٧، حيث أرشدهم لما فيه رِضاه.

٣- ونزلَ في عبدالله بن سلام وأصحابه، لمّا عظّموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، ادخُلُوا في السَّلمِ**﴾، بفتح السين وكسرها: الإسلام ﴿**كافّةً**﴾: حالٌ من السّلم، أي: في جميع شرائعه، ﴿**ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ**﴾: طُرُقَ ﴿**الشَّيطانِ**﴾ أي: تزيينَه بالتفريق - ﴿**إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ ٢٠٨: بيِّنُ العداوة - ﴿**فإنْ زَلَلْتُم**﴾: مِلتم عن الدخول في جميعه، ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَتْكُمُ البَيِّناتُ**﴾: الحُجج الظاهرة على أنّه حقّ، ﴿**فاعلَمُوا أنّ اللهَ عَزيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء عن انتقامه منكم، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٢٠٩ في صُنعه. ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**يَنظُرُونَ**﴾: ينتظر التاركون الدخولَ فيه ﴿**إلّا أنْ يأتِيَهُمُ اللهُ**﴾ أي: أمرُه، كقوله: «أو يأتيَ أمرُ رَبِّكَ» أي: عذابُه، ﴿**في ظُلَلٍ**﴾: جمع ظُلّة ﴿**مِنَ الغَمامِ**﴾: السحاب ﴿**والمَلائكةُ، وقُضيَ الأمرُ**﴾: تمّ أمرُ هلاكهم؟ ﴿**وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ**﴾ ٢١٠ - بالبناء للمفعول والفاعل - في الآخرة فيُجازي.

(١) معدودات أي: معيَّنات مؤقَّتات. والتشريق: تقديد اللحم وبسطه في الشمس ليجف بعد يوم النحر. والنفر: الاندفاع إلى البيت الحرام. وفي يومين أي: رمى في يومين فقط. والإثم: الذنب. والجمرات ثلاث وستون حصاة، يُرمى منها في كل يوم إحدى وعشرون إلى الجمرات الثلاث بالعدل. وتأخر: بقي في مِنى. واتقاه: تجنب غضبه وطلب رضاه. وإليه أي: إلى موقف حسابه يوم القيامة. وتحشرون أي: تجمعون أحياء بالقهر بعد الفناء.

(٢) يعجبك: يرضيك ويسعدك. والحياة أي: مايكون فيها من الأمور. ويشهده أي: يقسم به ويقول: يَشهد الله. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والأخنس هو لقب له، واسمه أُبيّ. والآيات تشمل أيضًا كل منافق. والحمر: جمع حمار. وعقرها أي: قتلها. ويفسد: ينشر الضرر والإيذاء بقصد. ويهلك: يتلف ويقتل. والحرث: المزروعات. والنسل: المولودات. ولايحب أي: يكره ويمقت. والإثم: الظلم والفساد. وجهنم: اسم علم لدار العقاب يوم القيامة. وبئس أي: بلغ النهاية في السوء والبؤس والشقاء. ونفس الإنسان: شخصه بروحه وجسده. وصهيب هو الصحابيُّ الروميُّ المشهور. والرؤوف: الشديد الرحمة والعطف. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا.

(٣) ادخلوا فيه أي: آمنوا به اعتقادًا يقينيًا بالقلب واللسان. وبكسرها يريد القراءة «السِّلم». وكافة أي: جميعًا وجملة واحدة. وتتبعُها: توافقها وتجاريها. والخطوات: جمع خُطْوة. وهي مابين القدمين من المسافة حين الخطو. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس والجن. والتفريق أي: لأحكام الإسلام. والعدو: المعادي يسرّه ما يؤذيك ويضره ماينفعك. وجاءتكم: بلغتكم وكُلفتم باتباعها. والعزيز: الغلّاب على أمره بلا معين ولا منازع. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ويأتيهم: يقصدهم ويأخذهم بالعذاب والاستئصال. والمعنى: يأتيهم الله بما وعدهم من العقاب على العصيان. انظر فتح القدير ١:٣١٢-٣١٣. وقوله أي: في الآية ٣٣ من سورة النحل. والظلة: ما يُظلِّلك من الضوء وينشر عليك الظِّلّ. والسحاب أي: الأبيض. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والأمر: الحكم. وإليه أي: إلى حكمه وقضائه. وترجع: تصير وتُردّ. وبالفاعل يريد القراءة بالمبني للمعلوم «تَرجِعُ» أي: تعود. ويجازي أي: عليها.

سورة البقرة | الجزء الثاني

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

١- ﴿**سَلْ**﴾ - يا محمّد - ﴿**بَني إسرائيلَ**﴾ تبكيتًا: ﴿**كَم آتيناهُم**﴾ كم: استفهامية معلّقة «سل» عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولَي «آتينا»، ومميِّزُها ﴿**مِن آيةٍ بيِّنةٍ**﴾: ظاهرة، كفلق البحر وإنزال المنّ والسلوى، فبدَّلوها كفرًا؟ ﴿**ومَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ**﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات لأنّها سبب الهداية، ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَتْهُ**﴾، كفرًا ﴿**فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٢١١ له.

٢- ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، من أهل مكّة، ﴿**الحَياةُ الدُّنيا**﴾ بالتمويه فأحبّوها، ﴿**و**﴾ هم ﴿**يسخرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، لفقرهم كعمّار وبلال وصُهيب، أي: يستهزئون بهم ويتعالَون عليهم بالمال، ﴿**والَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الشركَ - وهم هؤلاء - ﴿**فَوقَهُم يَومَ القِيامَةِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ٢١٢ أي: رزقًا واسعًا في الآخرة، أو الدنيا بأن يُملِّك المسخورَ منهم أموالَ الساخرين ورقابَهم

٣- ﴿**كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدةً**﴾ على الإيمان، فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض، ﴿**فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ**﴾ إليهم، ﴿**مُبَشِّرينَ**﴾ مَن آمن بالجنة، ﴿**ومُنذِرِينَ**﴾ مَن كفر بالنار، ﴿**وأنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتُب ﴿**بالحَقِّ**﴾ متعلّق بـ«أنزل»، ﴿**لِيَحكُمَ**﴾ به ﴿**بَينَ النّاسِ فِيما اختلَفُوا فِيهِ**﴾ من الدِّين، ﴿**وما اختلَفَ فِيهِ**﴾ أي: الدِّين ﴿**إلّا الَّذِينَ أُوتُوهُ**﴾ أي: الكتابَ، فآمن بعض وكفر بعض ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ**﴾: الحُجج الظاهرة على التوحيد - ومِن: متعلّقة بـ«اختلف»، وهي وما بعدها مقدّم على الاستثناء في المعنى - ﴿**بَغْيًا**﴾ من الكافرين ﴿**بَينَهُم، فهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِما اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ**﴾: للبيان ﴿**الحَقِّ بإذنِهِ**﴾ بإرادته. ﴿**واللهُ يَهدِي مَن يَشاءُ**﴾ هدايته ﴿**إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾ ٢١٣: طريق الحقّ.

٤- ونزلَ في جَهدٍ أصاب المسلمين: ﴿**أم**﴾ بل أ﴿**حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ، ولَمّا**﴾: لم ﴿**يأتِكُم مَثَلُ**﴾: شِبهُ ما أتى ﴿**الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم**﴾ من المؤمنين من المحن، فتصبِروا كما صبروا؟ ﴿**مَسَّتهُمُ**﴾: جملة مستأنفة مبيِّنةٌ ما قبلها، ﴿**البَأساءُ**﴾: شِدّة الفقر، ﴿**والضَّرّاءُ**﴾: المرض، ﴿**وزُلزِلُوا**﴾: أُزعِجوا بأنواع البلاء، ﴿**حَتَّى يَقُولَ**﴾ بالنصب والرفع أي: قال ﴿**الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ استبطاءً للنّصر، لتناهي الشِّدّة عليهم: ﴿**مَتَى**﴾ يأتي ﴿**نَصرُ اللهِ**﴾ الذي وُعِدْناه؟ فأُجيبوا من قِبَل الله: ﴿**ألا إنَّ نَصرَ اللهِ قَرِيبٌ**﴾ ٢١٤ إتيانُه.

٥- ﴿**يَسألُونَكَ**﴾ - يا محمّد - ﴿ **ماذا**﴾ أي: الذي ﴿**يُنفِقُونَ**ـهُ﴾؟ والسائل عمرُو بنُ الجموح، وكان شيخًا ذا مال، فسأل النبيَّ عمّا يُنفق وعلى من يُنفق. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**ما أنفَقتُم مِن خَيرٍ**﴾ بيانٌ لـ«ما» شاملٌ للقليل والكثير، وفيه بيان المُنفَقِ الذي هو أحد شِقَّي السؤال، وأجاب عن المَصرف الذي هو الشِّقّ الآخَر بقوله: ﴿**فلِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ، واليَتامَى والمَساكِينِ وابنِ السَّبِيلِ**﴾ أي: هم أولَى به، ﴿**وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ**﴾: إنفاق وغيره ﴿**فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ ٢١٥، فمُجازٍ عليه.

---

(١) إسرائيل: النبي يعقوب جد اليهود والنصارى. والتبكيت: التوبيخ. وآتينا: أعطينا. ومعلقة أي: تبطل عمل الفعل لفظًا لا معنى. وكفرًا أي: جعلوا الكفر بدل الإيمان. وفلق البحر: شقه قطعًا منخفضة بينها طرق صلبة، لعبور بني إسرائيل. والمن: كالعسل الأبيض. والسلوى: نوع من الطير. ويبدلها: يحرفها. وجاءته: وصلت إليه وتمكن من معرفتها.

(٢) زينت: جعلت محبوبة. وكفر: كذّب الله ورسوله. وأهل مكة أي: وغيرها. والحياة أي: مافيها من المتاع والزينة. والتمويه: التحسين الظاهر. ويسخر: يتهكم. وآمن: عرف قلبه التوحيد. واتقوه: تجنبوه ولزموا الإيمان. وهؤلاء أي: الفقراء المذكورون وأمثالهم من المؤمنين. وفوقهم أي: في المنزلة. واليوم: الوقت. ويرزقه: يهيئ له ما يكفيه. ويشاء أي: يريد أن يرزقه. والحساب: المحاسبة بما يستحق، أو بما يسعى له.

(٣) الأمة: الجماعة على دين واحد. والمبشر: من يبلغ بالسعادة. والمنذر: من يهدد بالعذاب. وأنزل: أرسل على لسان جبريل. والكتاب أي: الكتب. انظر «المفصل». وأوتوه: أعطوه وكلّفوا به. والبغي: الظلم والعدوان. وهداه: أرشده بحسب اختياره الطيب. ويشاء أي: يريد أن يهديه. والمستقيم: القويم المعتدل.

(٤) الجهد: كثرة البلاء في غزوة الخندق. وحسب: توهم. ويأتيكم: ينزل بكم. وخلوا: مضوا. ومست: أصابت. والضراء: الإيذاء. وبالرفع يريد القراءة «يقولُ». واستبطاء للنصر أي: لا شكًا في عون الله ونصره. وتناهي الشدة: بلوغها غاية ماتكون عليه. والنصر: العون. وقريب أي: واقع لا محالة.

(٥) ماذا أي: ما قدره وما جنسه؟ وعمرو بن الجموح صحابي من الأنصار. والخير: ماينفع. والأقرب: الأكثر قربًا. واليتامى: جمع يتيم. وهو الطفل مات أبوه. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والسبيل: الطريق العامّ. وابنه: المسافر من بلده ولم يبق معه مال يكفيه. والخير: العمل الصالح. والعليم: المحيط بالغ الإحاطة.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

١- ﴿**كُتِبَ**﴾: فُرِض ﴿**عَلَيكُمُ القِتالُ**﴾ لِلكُفّار، ﴿**وهُوَ كُرْهٌ**﴾: مكروه ﴿**لَكُم**﴾ طبعًا لمشقّته. ﴿**وعَسَى أَنْ تكرَهُوا شَيئًا وهُوَ خَيرٌ لَكُم، وعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيئًا وهُوَ شَرٌّ لَكُم**﴾، لميلِ النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، ونُفورِها عن التكليفات الموجبة لسعادتها. فلعلّ لكم في القتال، وإن كرهتموه، خيرًا لأنّ فيه إمّا الظفرَ والغنيمة أو الشهادةَ والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شرًّا، لأنّ فيه الذلَّ والفقر وحرمان الأجر. ﴿**واللهُ يَعلَمُ**﴾ ما هو خير لكم، ﴿**وأنتُم لا تعلَمُونَ**﴾ ٢١٦ ذلك. فبادروا إلى ما يأمركم به.

٢- وأرسل النبيُّ ﷺ أولَ سراياه، وعليها عبدُ اللهِ بنُ جحش، فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرميّ، آخِرَ يوم من جُمادَى الآخِرة، والتبس عليهم برجبٍ، فعيّرهم الكفّار باستحلاله، فنزل: ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ**﴾ المُحرَّم، ﴿**قِتالٍ فِيهِ**﴾: بدل اشتمال. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾: عظيم وِزرًا، مبتدأ وخبر، ﴿**وصَدٌّ**﴾ مبتدأ: منعٌ للناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينِه، ﴿**وكُفرٌ بِهِ**﴾: بالله، ﴿**و**﴾ صدٌّ عن ﴿**المَسجِدِ الحَرامِ**﴾ أي: مكّةَ، ﴿**وإخراجُ أهلِهِ مِنهُ**﴾ - وهم النبيّ والمؤمنون - وخبرُ المبتدأ ﴿**أكبَرُ**﴾: أعظم وزرًا ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ من القتال فيه، ﴿**والفِتْنَةُ**﴾: الشِرك منكم ﴿**أكبَرُ مِنَ القَتلِ**﴾ لكم فيه، ﴿**ولا يَزالُونَ**﴾ أي: الكفّارُ ﴿**يُقاتِلُونَكُم**﴾ - أيها المؤمنون - ﴿**حَتّى**﴾ كي ﴿**يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم**﴾ إلى الكُفر، ﴿**إنِ استَطاعُوا. ومَن يَرتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِه، فَيَمُتْ وهُوَ كافِرٌ، فأُولٰئِكَ حَبِطَتْ**﴾: بَطَلَت ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحة ﴿**في الدُّنيا والآخِرةِ**﴾، فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها - والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطُل عمله، فيثابُ عليه ولا يُعيده، كالحجّ مثلًا، وعليه الشافعيّ - ﴿**وأُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢١٧. ولمّا ظنّ السريّةُ أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزلَ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، والَّذِينَ هاجَرُوا**﴾: فارقوا أوطانهم، ﴿**وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾: لإعلاء دينه، ﴿**أُولٰئِكَ يَرجُونَ رَحمَةَ اللهِ**﴾: ثوابه. ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ للمؤمنين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٢١٨ بهم.

ربع الحزب ٤

٣- ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيسِرِ**﴾: القمار ما حُكمهما؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**فِيهِما**﴾ أي: في تعاطيهما ﴿**إثمٌ كَبِيرٌ**﴾: عظيم - وفي قراءة بالمُثلّثة - لِما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش، ﴿**ومَنافِعُ لِلنّاسِ**﴾ باللذةِ والفرحِ في الخمر وإصابةِ المال بلا كدٍّ في الميسر، ﴿**وإثمُهُما**﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿**أكبَرُ**﴾: أعظم ﴿**مِن نَفعِهِما**﴾. ولمّا نزلتْ شربها قوم وامتنع آخرون، إلى أن حرّمتها آية «المائدة».

٤- ﴿**ويَسألُونَكَ: ماذا يُنفِقُونَ**﴾ أي: ما قَدرُه؟ ﴿**قُلِ**﴾: أنفقوا ﴿**العَفوَ**﴾ أي: الفاضلَ عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتُضيّعوا أنفسكم. وقراءةُ الرفع بتقدير: هو. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما بيّنَ لكم ما ذُكِر، ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ في**﴾ أمر ﴿**الدُّنيا والآخِرةِ**﴾، فتأخذون بالأصلح لكم فيهما.

---

(١) القتال: المحاربة ببذل النفس والمال والجهد. وهوفرض عين يجب على جميع المسلمين والمسلمات، إذا هجم عدو كافر أو اعتدى على بلد مسلم، وفرض كفاية إذا كان لغير ذلك. وقد فُرض بعد الهجرة. وطبعًا أي: في طبع الإنسان وما جُبل عليه من تجنب الأذى. وعسى أي: يجوز وقد يتحقق. والخير: المنفعة. ولاتعلمون: لا تدركون إدراكًا حقيقيًا.

(٢) السرايا: جمع سَرِيّة. وهي جماعة من الصحابة للقاء المعتدين من الكافرين. وعبد الله استُشهد في غزوة أحد. والتبس عليهم أي: اختلط أمره على بعض المحاربين. وبدل: يعني أن «قتال»: بدل من الشهر يفيد البيان والتوكيد. وكفرٌ به أي: جحود لألوهيته ووحدانيته. والحرام: المحرّم. والإخراج: الإكراه على الخروج. وعنده أي: في حكمه. والشرك منكم أي: وما حملتم عليه الناس من الكفر. ولايزالون أي: سيستمرون دائمًا. والكفار أي: المشركون وأهل الكتاب والملحدون. ويقاتلونكم: بالسلاح والتآمر والإيذاء والإفساد. وبالموت عليه أي: على الكفر. والسرية: الصحابة الذين كانوا في السرية وحاربوا. وجاهد: بذل أقصى مايستطيع من نفسه وماله وقدراته، لحرب الأعداء ومنع عدوانهم. ويرجون أي: يطمعون ويؤمّلون. والرحمة: العطف بالإحسان والإكرام. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والعفو.

(٣) يسألونك أي: الصحابة. والخمر: ما يَخمُر العقل ويَسكر به الإنسان. والميسر: من اليُسر لأن فيه أخذ المال بلا كد. والإثم: الذنب. وبالمثلثة يريد القراءة «كَثِيرٌ». والمنافع: جمع مَنفعة. و«المائدة» انظر الآيتين ٩٠ و٩١ من تلك السورة.

(٤) ينفق: يصرف لنصرة الدين وعون المسلمين. والعفو: مايزيد عن حاجة الإنسان. وبالرفع يريد «العَفْوُ». ويبين: يوضّح ويفصّل. والآيات: الدلائل على الأحكام الشرعية. وتتفكرون أي: تستعملون عقولكم لفهم صلاحية الآيات لكم، وتتدبرونها لتستنبطوا الأحكام، وتفهموا المصالح والمنافع المتصلة بها.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٞ لَّهُمْ
خَيْرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٞ
مِّن مُّشْرِكَةٖ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٞ مُّؤْمِنٌ خَيْرٞ مِّن مُّشْرِكٖ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذٗى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٞ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةٗ لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

١ - ﴿**ويَسألُونَكَ عَنِ اليَتامَى**﴾، وما يَلقَونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحَرَجٌ. ﴿**قُلْ: إصلاحٌ لَهُم**﴾ في أموالهم، بتنميتها ومداخلتكم، ﴿**خَيرٌ**﴾ من ترك ذلك، ﴿**وإنْ تُخالِطُوهُم**﴾ أي: تَخلطوا نفقتهم بنفقتكم ﴿**فإخوانُكُم**﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يُخالط أخاه، أي: فلكم ذلك. ﴿**واللهُ يَعلَمُ المُفسِدَ**﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿**مِنَ المُصلِحِ**﴾ بها، فيُجازي كُلًّا منهما، ﴿**ولَو شاءَ اللهُ لأعنَتَكُم**﴾: لضَيّقَ عليكم بتحريم المخالطة. ﴿**إنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: غالب على أمره، ﴿**حَكيمٌ**﴾ ٢٢٠ في صُنعه.

٢- ﴿**ولا تَنكِحُوا**﴾: تتزوّجوا - أيها المسلمون - ﴿**المُشرِكاتِ**﴾ أي: الكافراتِ ﴿**حَتَّى يُؤمِنَّ - ولَأَمَةٌ مُؤمِنةٌ خيرٌ مِن مُشرِكةٍ**﴾ حُرّة، لأن سببَ نزولها العيبُ على من تزوّج أمة، وترغيبُه في نكاح حُرّة مشركة، ﴿**ولَو أعجَبَتْكُم**﴾ لجمالها ومالها - وهذا مخصوص بغير الكتابيّات، بآية «والمُحصَناتُ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ» - ﴿**ولا تُنكِحُوا**﴾: تُزَوِّجوا ﴿**المُشرِكِينَ**﴾ أي: الكفّارَ المؤمناتِ ﴿**حَتَّى يُؤمِنُوا. ولَعَبدٌ مُؤمِنٌ خَيرٌ مِن مُشرِكٍ، ولَو أعجَبَكُم**﴾ لماله وجماله. ﴿**أُولئِكَ**﴾ أي: أهلُ الشرك ﴿**يَدعُونَ إلَى النّارِ**﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليق مُناكحتهم، ﴿**واللهُ يَدعُو**﴾ على لسان رسله ﴿**إلَى الجَنّةِ والمَغفِرةِ**﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿**بإذنِهِ**﴾ بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه، ﴿**ويُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ٢٢١: يتّعظون.

٣- ﴿**ويَسألُونَكَ عَنِ المَحِيضِ**﴾ أي: الحيض أو مكانه: ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿**قُلْ: هُوَ أذًى**﴾: قذرٌ أو محلُّه. ﴿**فاعتَزِلُوا النِّساءَ**﴾: اتركوا وطْأهنّ ﴿**في المَحِيضِ**﴾ أي: وقتِه أو مكانِه، ﴿**ولا تَقرَبُوهُنَّ**﴾ بالجِماع، ﴿**حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ - بسكون الطاء، وتشديدِها والهاءَ وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء - أي: يغتسلْنَ بعد انقطاعه. ﴿**فإذا تَطَهَّرْنَ فأتُوهُنَّ**﴾ للجِماع، ﴿**مِن حَيثُ أمَرَكُمُ اللهُ**﴾ بتجنّبه في الحيض وهو القُبُل، ولا تَعْدُوه إلى غيره. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ**﴾: يُثيب ويكرم ﴿**التَّوّابِينَ**﴾ من الذنوب، ﴿**ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ**﴾ ٢٢٢ من الأقذار.

٤- ﴿**نِساؤُكُم حَرْثٌ لَكُم**﴾ أي: محلُّ زرعكم الولدَ. ﴿**فأتُوا حَرْثَكُم**﴾ أي: محلَّه - وهو القُبُلُ - ﴿**أنَّى**﴾: كيف ﴿**شِئتُم**﴾، من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار؟ نزلَ ردًّا لقول اليهود: من أتى امرأته في قُبُلها، من جهة دُبرها، جاء الولد أحولَ. ﴿**وقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم**﴾ العمل الصالح، كالتسمية عند الجماع، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في أمره ونهيه، ﴿**واعلَمُوا أنَّكُم مُلاقُوهُ**﴾ بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم. ﴿**وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**﴾ ٢٢٣ الذين اتّقوه بالجنّة.

٥- ﴿**ولا تَجعَلُوا اللهَ**﴾ أي: الحلفَ به ﴿**عُرضَةً**﴾: عِلّةً مانعة ﴿**لِأيمانِكُم**﴾ أي: لِما حلفتم عليه - سُمِّيَ باليمين لملابسته له - أن تفعلوه، لِـ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**تَبَرُّوا وتَتَّقُوا، وتُصلِحُوا بَينَ النّاسِ**﴾. فتُكرَهُ اليمين على ذلك، ويُسَنّ فيه الحِنثُ ويُكفِّر، بخلافها على فعل البرّ ونحوه فهي طاعة. المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البرّ ونحوه، إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفِّروا، لأنّ سبب نزولها الامتناع من ذلك. ﴿**واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لأقوالكم، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٢٤ بأحوالكم.

---

(١) اليتامى: جمع يتيم، أي: الطفل مات أبوه. وواكلوهم أي: خالطوهم في الطعام. ويأثم: يقع في الذنب. و«فحرج» أي: يكن في ذلك ضيق وشدة. والإصلاح: التحسين والتكثير. والمداخلة: المشاركة في الأموال والطعام وغيرهما. وخير أي: أكثر نفعًا. والإخوان: جمع أخ. ولكم ذلك أي: لكم المخالطة. ويعلمه: يميّزه من غيره. والمفسد: من يسبب الضرر. وشاء أي: أراد أن يُعنتكم.

(٢) يؤمنّ: يدخلْن في الإيمان. والأمة: المملوكة. وخير أي: أكثر نفعًا. وأعجبتكم: استحسنتم ما فيها. ومخصوص أي: مقصور. والكفار أي: غير المسلمين. والعبد: المملوك. وأهل الشرك أي: أصحاب الوثنية رجالًا ونساء، وأهل الكتاب من الرجال. ويدعون أي: يوجهون ويدفعون. ويدعو: يوجه ويرشد. والجنة: البستان العظيم. والمغفرة: الستر للذنوب ومحوها. وأولياؤه أي: المؤمنون والمؤمنات. وتتذكر: تستحضر الخير لتعمل به.

(٣) المحيض أي: حكمه. والحيض: العادة الشهرية. ومكانه: الفرج نفسه. وفيه أي: في وقت الحيض. ويقربُها: يدانيها. وبتشديدها والهاء يريد القراءة «يَطَّهَّرْنَ». والقُبل :الفرج. ولاتعدوه أي: لا تتجاوزوه إلى الدبر. ويحبه أي: يوده فيكرمه. والتواب: الشديد الطلب لترك العصيان وللستر والمغفرة. والمتطهر: المتنزه والمتزكي بالصلاح والنظافة.

(٤) ائتوا حرثكم أي: جامعوه. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. واعلموا أي: دوموا على العلم. وملاقوه أي: صائرون إلى لقاء حسابه. وبشرهم: أبلغهم مايَسرهم.

(٥) الله أي: القسم باسمه العظيم. والأيمان: جمع يمين. وهو الشيء المحلوف على تركه. وعليه أي: على البر والتقوى والإصلاح. وأن تفعلوه أي: عُرضة مانعة أن تفعلوا ما أقسمتم عليه. وتبروا أي: تفعلوا البِرّ. والحنث: الإخلال بالقسم. فالسُّنّة جعلت إنفاذ مثل ذلك القسم آثَمَ مِن مخالفته ودفعِ كفّارته. وخلافها أي: بخلاف اليمين. وعليه أي: على الامتناع من فعل البر. وذلك أي: فعل البر. انظر «المفصل» وآخر الآية ١٨١.

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ
بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

١- ﴿**لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغوِ**﴾ الكائن ﴿**في أيمانِكُم**﴾ - وهو ما يَسبِق إليه اللسان، من غير قصد الحلف، نحو: لا واللهِ، وبلى واللهِ. فلا إثم فيه ولا كفّارة - ﴿**ولكِنْ يُؤاخِذُكُم بما كَسَبَتْ قُلُوبُكُم**﴾ أي: قَصدَتْه من الأيمان، إذا حَنِثتم. ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ لِما كان من اللغو، ﴿**حَليمٌ**﴾ ٢٢٥ بتأخير العقوبة عن مستحقّها.

٢- ﴿**لِلَّذينَ يُؤلُونَ مِن نِسائِهِم**﴾، أي: يَحلفون ألّا يُجامعوهنّ، ﴿**تَرَبُّصُ**﴾: انتظارُ ﴿**أربَعةِ أشهُرٍ - فإن فاؤوا**﴾: رَجَعوا فيها أو بعدها، عن اليمين إلى الوطء، ﴿**فإنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لهم ما أتَوه من ضرر المرأة بالحلف، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٢٢٦ بهم، ﴿**وإنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ**﴾ أي: عليه، بأن لم يفيئوا، فلْيُوقعوه ﴿**فإنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ لقولهم، ﴿**عَليمٌ**﴾ ٢٢٧ بعزمهم. المعنى: ليس لهم بعد تربّص ما ذُكر إلّا الفَيئةُ أو الطلاق - ﴿**والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ**﴾ أي: يَنتظِرْنَ ﴿**بأنفُسِهِنَّ**﴾ عن النكاح ﴿**ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾، تمضي من حين الطلاق - جمع قَرْء بفتح القاف، وهو الطُّهر أو الحيض، قولان. وهذا في المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عِدّة عليهنّ، بقوله: «فما لكُم عَلَيهِنَّ مِن عِدّةٍ»، وفي غير الآيسةِ والصغيرةِ فعِدّتهنّ ثلاثةُ أشهر، والحواملِ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ كما في سورة «الطلاق»، والإماءِ فعدّتهنّ قرآنِ بالسُّنّة - ﴿**ولا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أرحامِهِنَّ**﴾، من الولد أو الحيض، ﴿**إنْ كُنَّ يُؤمِنَّ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وبُعُولَتُهُنَّ**﴾: أزواجهنّ ﴿**أحَقُّ برَدِّهِنَّ**﴾ أي: بمراجعتهنّ، ولو أبَينَ، ﴿**في ذلِكَ**﴾ أي: زمنِ التربُّص، ﴿**إنْ أرادُوا إصلاحًا**﴾ بينهما لا إضرارَ المرأة. وهو تحريض على قصده، لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعيّ. وأحقّ: لا تفضيل فيه، إذ لا حقّ لغيرهم في نكاحهنّ في العِدّة. ﴿**ولَهُنَّ**﴾ على الأزواج ﴿**مِثلُ الَّذي**﴾ لهم ﴿**عَلَيهِنَّ**﴾ من الحقوق ﴿**بالمَعرُوفِ**﴾ شرعًا، من حُسن العِشرة وتَرك الضرار ونحو ذلك، ﴿**وللرِّجالِ عَلَيهِنَّ دَرَجةٌ**﴾: فضيلة في الحقّ، من وجوب طاعتهنّ لهم لِما ساقوه من المَهر والإنفاق. ﴿**واللهُ عَزيزٌ**﴾ في ملكه، ﴿**حَكيمٌ**﴾ ٢٢٨ فيما دبّره لخلقه.

٣- ﴿**الطَّلاقُ**﴾ أي: التطليق الذي يُراجَع بعده ﴿**مَرّتانِ**﴾ أي: اثنتان. ﴿**فإمساكٌ**﴾ أي: فعليكم إمساكهنّ بعده، بأن تراجعوهنّ ﴿**بِمَعرُوفٍ**﴾ من غير ضِرارٍ، ﴿**أو تَسريحٌ**﴾ أي: إرسالٌ لهنّ ﴿**بإحسانٍ، ولا يَحِلُّ لَكُم**﴾ - أيها الأزواج - ﴿**أنْ تأخُذُوا مِمّا آتَيتُمُوهُنَّ**﴾ من المُهور ﴿**شَيئًا**﴾، إذا طلّقتموهنّ، ﴿**إلّا أنْ يَخافا**﴾ أي: الزوجان ﴿**ألّا يُقِيما حُدُودَ اللهِ**﴾ أي: لا يأتيا بما حَدّه لهما من الحُقوق - وفي قراءة: «يُخافا» بالبناء للمفعول. فألّا يقيما: بدل اشتمال من الضمير فيه. وقُرئ بالفوقيّة في الفعلين - ﴿**فإنْ خِفتُم ألّا يُقِيما حُدُودَ اللهِ فلا جُناحَ عَلَيهِما فِيما افتَدَتْ بِهِ**﴾ نفسها من المال ليطلّقها، أي: لا حرج على الزوجِ في أخذه ولا الزوجةِ في بذله. ﴿**تِلكَ**﴾ الأحكام المذكورة ﴿**حُدُودُ اللهِ. فلا تَعتَدُوها. ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ**

(**١**) يؤاخذ: يعاقب. وهو أي: اللغو في الأيمان. و«من غير قصد الحلف» يعني أن القصد لتوكيد الكلام. والأيمان: جمع يمين. وكسبت أي: تحملته بعزم صادق. والقلوب: جمع قلب. وحَنِث: لم يبرَّ بقسمه، أي: خالفه أو أخل به. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والحليم: العظيم الإمهال لا يعجل الانتقام. (**٢**) يحلفون أي: يقسمون القسم المانع من الجماع. والأشهر: جمع شهر. وفيها أو بعدها أي: في الأشهر الأربعة أو بعد ذلك. والوطء: الجماع. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وعزموا أي: أصرّوا بعد مضي الأشهر الأربعة. والطلاق: فِراق النساء. ويوقعوه: ينفّذوه. وسميع عليم: انظر آخر الآية ١٨١. والمطلقة: التي وقع عليها الطلاق وصار نافذًا. وينتظرن أي: كل منهن تبقى بلا زواج من غير المطلّق لها. والقروء هذه مدة العِدّة. وقولان أي: تفسيران لمعنى القرء. وهذا أي: الحكم المذكور قبل. والأمة: المرأة المملوكة. وبهن يعني: باللواتي جامعهن أزواجهن. وبقوله يعني: الآية ٤٩ من سورة الأحزاب. والآيسة: التي انقطع عنها الحيض. والصغيرة: التي لم تبلغ سن الحيض. وسورة الطلاق يريد الآية ٤ منها. والسنة يعني أن السُّنّة الشريفة جعلت عِدّة الأمة مدة قَرأين. ولايحل: لا يجوز. ويكتم: يخفي. وخلق أي: أوجده. والأرحام: جمع رحِم، موضع الجنين في البطن. والبعولة: جمع بعل. والرد أي: إلى النكاح. ولو أبين أي: وإن امتنعن من الرجوع إلى أزواجهن. وإصلاحًا أي: إزالة الخلاف. وقصده أي: قصد الإصلاح. ولاشرط: يعني أن الجملة الشرطية ليست قيدًا للرجعة. والرجعي: مايجوز معه للزوج رد زوجته، من غير استئناف عقد. ومن الحقوق أي: للنساء كما للرجال حقوق. والمعروف: ما يقرّه الشرع وعادات الصالحين. والفضيلة: الزيادة. وفيها إشارة إلى حض الرجال على البر والإكرام، وحض النساء على التبجيل والطواعية. وساقوه أي: دفعوه. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه الانتقام. والحكيم: العليم بعواقب الأمور ومصالح الخلق. (**٣**) المراد بالطلاق العدد الشرعي لوقوعه، وبالمرتين هو تحديد الجواز. والمهور أي: وغيرها. والحدود: جمع حد. وهو الحكم الشرعي. ويُخافا أي: يَخاف ولاة الأمور الزوجين. والضمير فيه أي: في «يُخاف». وبالفوقية يريد «إلّا أن تَخافا ألّا تُقيما». ولم أقف على سند لهذه القراءة. والجناح: الذنب. وعليهما أي: على الزوجين. والمذكورة يعني: في الآيات ٢٢٦-٢٢٩. ولا تعتدوها أي: لا تتجاوزوها بالمخالفة. ويتعدّى: يتجاوز ويخالف. وطلقها أي: طلق زوجته طلقة ثالثة. ويطؤها أي: يضاجعها. والشيخان: البخاري ومسلم. انظر «المفصل». ويتراجعا أي: يرجع كل منهما إلى الآخر بعقد جديد. وظن: غلب على ظنه. والمذكورات يعني: في الآيات ٢٢٦-٢٣٠.

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴿٢٣١﴾ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٢٣٢﴾ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴿٢٣٣﴾

نصف الحزب ٤

اللهِ **فأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ٢٢٩. **فإنْ طَلَّقَها** ﴾ الزوج، بعد الثِّنْتَين، ﴿**فلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ**﴾ أي: بعدِ الطلقةِ الثالثة، ﴿**حَتَّى تَنكِحَ**﴾: تتزوّجَ ﴿**زَوجًا غَيرَهُ**﴾ ويطأَها، كما في الحديث رواه الشيخان، ﴿**فإنْ طَلَّقَها**﴾ الزوج الثاني ﴿**فلا جُناحَ عليهِما**﴾ أي: الزوجةِ والزوج الأوّل ﴿**أنْ يَتراجَعا**﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العِدّة، ﴿**إنْ ظَنّا أنْ يُقِيما حُدودَ اللهِ. وتلكَ**﴾ المذكورات ﴿**حُدُودُ اللهِ، يُبَيِّنُها لِقَومٍ يَعلَمُونَ**﴾ ٢٣٠! يتدبّرون.

١- ﴿**وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾: قارَبْنَ انقضاء عِدّتهن، ﴿**فأمسِكوهُنَّ**﴾ بأن تُراجعوهنّ ﴿**بِمَعرُوفٍ**﴾ من غير ضرار، ﴿**أو سَرِّحُوهُنَّ بمَعرُوفٍ**﴾: اتركوهنّ حتى تنقضي عِدّتهن، ﴿**ولا تُمسِكوهُنَّ**﴾ بالرجعة ﴿**ضِرارًا**﴾: مفعول لأجله، ﴿**لِتَعتَدُوا**﴾ عليهنّ بالإلجاء إلى الافتداء أو التطليق وتطويل الحبس - ﴿**ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ فقد ظَلَمَ نَفسَهُ**﴾، بتعريضها إلى عذاب الله - ﴿**ولا تَتَّخِذُوا آياتِ اللهِ هُزُوًا**﴾: مهزوءًا بها بمخالفتها، ﴿**واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكُم**﴾ بالإسلام، ﴿**وما أنزَلَ عليكُم مِنَ الكِتابِ**﴾: القرآنِ، ﴿**والحِكمَةِ**﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿**يَعِظُكُم بِهِ**﴾ بأن تشكروها بالعمل به، ﴿**واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٢٣١: لا يخفى عليه شيء. ﴿**وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾: انقضتْ عِدّتهنّ، ﴿**فلا تَعضُلُوهُنَّ**﴾ - خطاب للأولياء - أي: تمنعوهنّ من ﴿**أن يَنكِحْنَ أزواجَهُنَّ**﴾ المطلِّقين لهنّ، لأنّ سبب نزولها أنّ أُخت مَعقِلِ بنِ يسار طلّقها زوجُها، فأراد أن يُراجعها فمنعها مَعقل، كما رواه الحاكم، ﴿**إذا تَراضَوا**﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿**بَينَهُم بالمَعرُوفِ**﴾ شرعًا. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ النهي عن العضل ﴿**يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ لأنه المنتفع به. ﴿**ذٰلِكُم**﴾ أي: ترك العضل ﴿**أزكَى**﴾: خيرٌ ﴿**لَكُم، وأطهَرُ**﴾ لكم ولهنّ، لما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما، ﴿**واللهُ يَعلَمُ**﴾ ما فيه المصلحةُ، ﴿**وأنتُم لا تَعلَمُونَ**﴾ ٢٣٢ ذلك. فاتَّبِعوا أمره.

٢- ﴿**والوالِداتُ يُرضِعْنَ**﴾ أي: لِيرضعن ﴿**أولادَهُنَّ حَولَينِ**﴾: عامين ﴿**كامِلَينِ**﴾: صفةٌ مؤكِّدة - ذلك ﴿**لِمَن أرادَ أنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ**﴾، ولا زيادة عليه- ﴿**وعلَى المَولُودِ لَهُ**﴾ أي: الأبِ ﴿**رِزقُهُنَّ**﴾: إطعام الوالدات، ﴿**وكِسوَتُهُنَّ**﴾ على الإرضاع إذا كنّ مطلّقات، ﴿**بالمَعرُوفِ**﴾: بقدر طاقته - ﴿**لا تُكَلَّفُ نَفسٌ إلّا وُسعَها**﴾: طاقتها. ﴿**لا تُضارَّ والِدةٌ بوَلَدِها**﴾: بسببه، بأن تُكره على إرضاعه إذا امتنعتْ، ﴿**ولا**﴾ يُضارَّ ﴿**مَولُودٌ لَهُ بوَلَدِهِ**﴾ أي: بسببه، بأن يُكلَّف فوق طاقته. وإضافة الولد إلى كلٍّ منهما في الموضعين للاستعطاف - ﴿**وعلَى الوارِثِ**﴾ أي: وارثِ الأب وهو الصبيُّ، أي: على وليّه في ماله ﴿**مِثلُ ذٰلِكَ**﴾ الذي على الأب، للوالدة من الرزق والكسوة.

٣- ﴿**فإنْ أرادا**﴾ أي: الوالدان ﴿**فِصالًا**﴾: فِطامًا له قبل الحولين، صادرًا ﴿**عَن تَراضٍ**﴾: اتّفاق ﴿**مِنهُما وتَشاوُرٍ**﴾ بينهما، لتظهر مصلحة الصبيّ فيه، ﴿**فلا جُناحَ عليهِما**﴾ في ذلك، ﴿**وإنْ أرَدتُم**﴾ - خطاب للآباء - ﴿**أنْ تَستَرضِعُوا أولادَكُم**﴾ مَراضعَ غيرَ الوالدات ﴿**فلا جُناحَ عليكُم**﴾ فيه، ﴿**إذا سَلَّمتُم**﴾ إليهنّ ﴿**ما آتَيتُم**﴾ أي: أردتم إيتاءه لهنّ من الأُجرة، ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾: بالجميل كطِيب النفس، ﴿**واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِما**

---

(١) طلقتم أي: طلاقًا رجعيًا. والأجل: الوقت المحدد للعدة. وأمسكوهن أي: احتفظوا بهن زوجات. وهذا أمر إباحة. وتراجعوهن أي: للنكاح من دون عقد جديد. والمعروف: ما أقره الشرع والعقل السليم من حسن المعاملة. والضرار: قصد المضايقة والقهر. وتعتدوا: تجوروا عليهن وتظلموهن. والإلجاء: الاضطرار. ويفعل: يقترف. وذلك أي: المنهي عنه. وظلمها: جار عليها. ونفسه أي: شخصه بروحه وجسده. وكان الرجل في الجاهلية يطلق أو يزوج، ثم يقول: كنت ألعب. فنزلت الآية بالزجر والوعيد. الدر المنثور ١:٢٨٦. وتتخذ: تجعل. والآيات: النصوص القرآنية. واذكروها أي: استحضروها بالشكر في أنفسكم وألسنتكم وأعمالكم. والنعمة: الإنعام. وأنزل: أوحى وألهم. والحكمة هنا هي السُّنّة الشريفة. ويعظكم: يأمركم ويوصيكم. واتقوه أي: تجنبوا غضبه والزموا رضاه. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والعضل: الحبس والتضييق. والأولياء: أولياء أمور النساء المطلقات. وينكحن أي: يرجعن إلى النكاح. والأزواج: جمع زوج. وانظر المستدرك ٢:٢٨٠. وتراضوا: رضي بعضهم بعضًا لتجديد النكاح. ويوعظ: يؤمر ويستجيب. ويؤمن: يعتقد يقينًا. واليوم الآخر: يوم القيامة. وأطهر: أكثر إزالة لدنس الآثام. والريبة: التهمة. ولاتعلم أي: لا تدرك وتعي. (٢) الوالدة: الأم لها طفل رضيع. والأولاد: جمع ولد. والحول: السنة بأسرها. والمراد إتمام الحولين بما كان قبل الطلاق. وأراد: قصد. ويتم: يكمل. والمولود له: الذي وُلد له ولد. والتكليف للوالد واجب، إذا لم يكن للرضيع مال خاص. والرضاعة: إرضاع الأم ولدها. ومطلقات أي: طلّقهنّ آباء الرُّضّع طلاقًا بائنًا. وتكلف: تُلزم وتُحمّل. والنفس: ذو الروح من الخلق. وتضار: يسبب لها الضرر والأذى بالإفراط أو التفريط. والوارث: من يملك مال المتوفّى. والأب هنا هو المتوفَّى. والصبي: الرضيع نفسه. فهو وارث أبيه. وماله أي: مال الصبي. ومثله: مماثله في القدر والنوع. (٣) أراد: قصد وطلب. والتشاور: التفاهم بتبادل الرأي. والجناح: الحَرَج والذنب. وتسترضع: تطلب الإرضاع. وسلمتم أي: دفعتم وأوصلتم. وآتيتم: أعطيتم. وطيب النفس هو سماحها ورضاها بما فعلت. وتعمل: تكتسب وتتحمل من نية أو قول أو فعل. والبصير: المُدرك للأحداث قبل وجودها. وانظر آخر الآية ٢٣١.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ
الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿تعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٣: لا يخفى عليه شيء منه.

١- ﴿والَّذِينَ يُتَوَفَّونَ﴾: يموتون **﴿مِنكُم، ويَذَرُونَ﴾**: يتركون **﴿أزواجًا، يَتَرَبَّصْنَ﴾** أي: لِيتربّصْنَ **﴿بأنفُسِهِنَّ﴾** بعدهم عن النكاح **﴿أربعَةَ أشهُرٍ وعَشْرًا﴾** من الليالي - وهذا في غير الحوامل، وأمّا الحواملُ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ بآية «الطلاق»، والأمةُ على النِّصف من ذلك بالسُّنّة - **﴿فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ﴾**: انقضتْ مُدّة تربُّصهنّ **﴿فلا جُناحَ عليكُم﴾** - أيّها الأولياء - **﴿فيما فعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ﴾**، من التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب، **﴿بالمَعرُوفِ﴾** شرعًا. **﴿واللهُ بما تعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٣٤**: عالم بباطنه كظاهره.

٢- ﴿ولا جُناحَ عليكُم فِيما عَرَّضتُم﴾: لوّحتم **﴿بِهِ، مِن خِطْبَةِ النِّساءِ﴾** المتوفَّى عنهنّ أزواجُهنّ في العِدّة - كقول الإنسان مثلًا: إنّكِ لجميلة، ومن يجدُ مِثْلَكِ؟ ورُبَّ راغبٍ فيك - **﴿أو أكنَنتُم﴾**: أضمرتم **﴿في أنفُسِكُم﴾** من قصد نكاحهنّ - **﴿عَلِمَ اللهُ أنَّكُم سَتَذكُرُونَهُنَّ﴾** بالخِطبة ولا تصبرون عنهنّ، فأباح لكم التعريض - **﴿ولكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾** أي: نكاحًا، **﴿إلّا﴾** لكن **﴿أنْ تَقُولُوا قَولًا مَعرُوفًا﴾** أي: ما عُرِف شرعًا من التعريض فلكم ذلك، **﴿ولا تعزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ﴾** أي: على عَقدِه، **﴿حَتّى يَبلُغَ الكِتابُ﴾** أي: المكتوب من العِدّة **﴿أجَلَهُ﴾** بأن ينتهي، **﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في أنفُسِكُم﴾** من العزم وغيره، **﴿فاحذَرُوهُ﴾** أن يعاقبكم إذا عزمتم، **﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾** لمن يحذره، **﴿حَلِيمٌ﴾ ٢٣٥** بتأخير العقوبة عن مستَحقّها.

٣- ﴿لا جُناحَ عليكُم، إنْ طَلَّقتُمُ النِّساءَ، ما لَم تَمَسُّوهُنَّ﴾ - وفي قراءة «تُماسُّوهُنَّ» - أي: تُجامعوهنّ، **﴿أو﴾** لم **﴿تفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾** مهرًا - وما: مصدريّة ظرفيّة أي: لا تبعةَ عليكم، في الطلاق زمنَ عدم المسيس والفرض، بإثم ولا مَهر - فطلّقوهنّ **﴿ومَتِّعُوهُنَّ﴾**: أعطوهنّ ما يتمتّعن به، **﴿على المُوسِعِ﴾**: الغنيِّ منكم **﴿قَدَرُهُ، وعلَى المُقتِرِ﴾**: الضيِّق الرزق **﴿قَدَرُهُ﴾** - يفيد أنّه لا نظر إلى قدَر الزوجة - **﴿مَتاعًا﴾**: تمتيعًا **﴿بالمَعرُوفِ﴾** شرعًا: صفة «متاعًا»، **﴿حَقًّا﴾**: صفةٌ ثانية أو مصدر مؤكِّد، **﴿على المُحسِنِينَ﴾ ٢٣٦**: المطيعين.

٤- ﴿وإنْ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ، وقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً، فنِصفُ ما فَرَضتُم﴾ يجبُ لهنّ ويرجع لكم النصف، **﴿إلّا﴾**: لكنْ **﴿أنْ يَعفُونَ﴾** أي: الزوجاتُ فيتركْنَه، **﴿أو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكاحِ﴾** - وهو الزوجُ فيتركَ لها الكلّ. وعن ابن عبّاس: الوليُّ إذا كانت محجورة - فلا حرج في ذلك، **﴿وأنْ تَعفُوا﴾**: مبتدأ خبرُه **﴿أقرَبُ لِلتَّقوَى، ولا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم﴾** أي: أن يتفضّل بعضكم على بعض. **﴿إنَّ اللهَ بِما تعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٧**، فيجازيكم به.

---

(١) يتوفى: تقبض روحه من جسده وتستوفى. والزوج هنا الزوجة. والأشهر: جمع شهر. والليالي أي: الأيام بلياليها. و«أن يضعن» يعني حصول الوضع كله. والآية المشار إليها هي ذات الرقم ٤ من سورة الطلاق. و«بالسُّنّة» الصواب أن ذلك بالإجماع، قياسًا على السُّنّة في عِدّة الأمة المُطلَّقة. انظر الحديثين ١١٨٢من الترمذي و٢٠٨٠ من ابن ماجه، والدارقطني ٤: ٣٨-٣٩. والأجل: آخر المدة المحددة. والتربص أي: العِدّة. والأولياء: جمع ولي. وهم المالكون لأمور المتوفَّى عنهن المتصرّفون بها من الآباء وغيرهم. والظاهر أن الخطاب لجميع المسلمين، وهم المخاطبون أيضًا بالآية ٢٣٥. وفعلن: صنعن.

(٢) لوّحتم به أي: فعلتموه أو تكلمتم به من غير تصريح. والخِطبة: التماس النكاح. وفي العِدّة أي: في أيامها. والمراد بهذه الجمل المذكورة هو التعبير عن الرغبة في الزواج بالمخاطبة. والنفس: القلب والضمير. ونكاحهن أي: بعد انتهاء العِدّة. وعلم أي: أحاط علمًا بالغ الإحاطة. وتذكرونهن أي: تتكلمون عنهن أمام بعض الناس. وتواعد: تعاهد وتوثّق. وتعزم: تصمم وتقصد قصدًا جازمًا. والعزم: الجِدّ في تحقيق النية. ويبلغه: يصل إليه. والمكتوب: المفروض. والأجل: نهاية الزمن المحدد. واحذروا أي: خافوا وتجنبوا. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنوب.

(٣) روي أن رجلًا من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة، ولم يسمّ لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسها، فنزلت هذه الآية، وقال له الرسول ﷺ «مَتِّعْها، ولَو بِقَلَنسُوتِكَ». انظر «المفصل». و«تجامعوهن» تفسير للقراءتين. وتفرضوا أي: تُسمُّوا وتُعيِّنوا. والتبعة: مايترتب على الإنسان من مسؤولية أو عقوبة. فقد كان النبي ﷺ يكثر النهي عن الطلاق، حتى ظن الناس أن فيه حرجًا، فجاء النفي لذلك. انظر تفسير البيضاوي ص ٣٩. والقدر: مقدار الطاقة والاستطاعة. والمعروف شرعًا أي: ماحسّنه الشرع.

(٤) تمسوهن أي: تجامعوهن. ويعفو: يسمح ويتكرم. وبيده أي: يملك حق إثبات العَقد وحله. والولي: من يتولى أمر الزوجة، فهو الذي بيده عقدة النكاح. والمحجورة: التي حُجر عليها لصغر سنها، أو عجزها عن التصرف. وتعفوا أي: أنتم الأزواج والزوجات، وفيه تغليب الذكور على الإناث. ومبتدأ يعني: أن المصدر المؤول من «أن» ومابعدها في محل رفع مبتدأ، أي: عفوُ كم. والتقوى: تجنب كل من الطرفين ظلمَ الآخر، مع التزام الإكرام والعطف، لاستمرار الألفة وطيب النفس في العلاقات. وتنسوا: تهملوا وتتركوا. والفضل: التفضل بالإحسان. وتعمل: تكتسب من نية أو قول أو فعل.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

١- ﴿**حافِظُوا على الصَّلَواتِ**﴾ الخمسِ، بأدائها في أوقاتها، ﴿**والصَّلاةِ الوُسطَى**﴾ - هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال. وأفردها بالذكر لفضلها - ﴿**وقُومُوا للهِ**﴾ في الصلاة ﴿**قانِتِينَ**﴾ ٢٣٨. قيل: مُطيعين، لقوله ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ في القُرآنِ فهُوَ طاعةٌ»: رواه أحمد وغيره - وقيل: ساكتين، لحديث زيدِ بن أرقمَ: «كُنّا نتكلّمُ في الصّلاةِ حتّى نَزَلَتْ، فأُمِرنا بالسُّكوتِ ونُهينا عنِ الكَلامِ». رواه الشيخان - ﴿**فإنْ خِفتُم**﴾ من عدوٍّ أو سيل أو سَبُع ﴿**فرِجالًا**﴾: جمعُ راجل أي: مُشاةً صلُّوا، ﴿**أو رُكبانًا**﴾: جمعُ راكب، أي: كيفَ أمكن، مستقبِلي القبلةِ أو غيرها، ويُومِئُ بالركوع والسجود، ﴿**فإذا أمِنتُم**﴾ من الخوفِ ﴿**فاذكُرُوا اللهَ**﴾ أي: صلّوا، ﴿**كما عَلَّمَكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ**﴾ ٢٣٩ قبل تعليمه، من فرائضها وحقوقها. والكاف: بمعنى مِثل. وما: موصولة أو مصدريّة.

٢- ﴿**والَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم، ويَذَرُونَ أزواجًا**﴾، فليوصوا ﴿**وَصِيَّةً**﴾ - وفي قراءة بالرفع أي: عليهم - ﴿**لأزواجِهِم**﴾، ويعطوهنّ ﴿**مَتاعًا**﴾: ما يَتمتّعن به من النفقة والكسوة، ﴿**إلَى**﴾ تمام ﴿**الحَولِ**﴾ من موتهم الواجبِ عليهنّ تربُّصُه، ﴿**غَيرَ إخراجٍ**﴾ حالٌ، أي: غيرَ مُخرَجات من مسكنهنّ، ﴿**فإنْ خَرَجْنَ**﴾ بأنفسهنّ ﴿**فلا جُناحَ عليكُم**﴾ - يا أولياء الميّت - ﴿**فِيما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ مِن مَعرُوفٍ**﴾ شرعًا، كالتزيّن وترك الإحداد وقطع النفقة عنها - ﴿**واللهُ عَزيزٌ**﴾ في ملكه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٢٤٠ في صُنعه. والوصيّةُ المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربّصُ الحول بآية «أربعةَ أشهُرٍ وعَشرًا» السابقةِ المتأخّرةِ في النزول، والسُّكنى ثابتة لها عند الشافعيّ - ﴿**وللمُطلَّقات مَتاعٌ**﴾ يُعطُونه ﴿**بالمَعرُوفِ**﴾ بقدر الإمكان، ﴿**حَقًّا**﴾ نُصبَ بفعله المقدّرِ، ﴿**على المُتَّقِينَ**﴾ ٢٤١ اللهَ. كرّره ليعمّ المَمسوسة أيضًا، إذِ الآية السابقة في غيرها. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تعقِلُونَ**﴾ ٢٤٢ تتدبّرون.

٣- ﴿**أَلَم تَرَ**﴾ - استفهامُ تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده - أي: يَنتهِ عِلمُك ﴿**إلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم، وَهُم أُلُوفٌ**﴾، أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفًا، ﴿**حَذَرَ المَوتِ**﴾: مفعول له - وهم قوم من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففرّوا - ﴿**فقالَ لَهُمُ اللهُ: مُوتُوا**﴾ فماتوا، ﴿**ثُمَّ أحياهُم**﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثرَ، بدُعاء نبيّهم حِزقِيلَ بكسر المهملةِ والقافِ وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يَلبَسون ثوبًا إلّا عاد كالكفن، واستمرّت في أسباطهم؟ ﴿**إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ على النّاسِ**﴾ ومنه إحياء هؤلاء، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ - هم الكُفّار - ﴿**لا يَشكُرُونَ**﴾ ٢٤٣. والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عُطف عليه:

٤- ﴿**وقاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: لإعلاء دينه، ﴿**واعلَمُوا أنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ لأقوالكم، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٤٤ بأحوالكم فمُجازيكم. ﴿**مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ**

---

(١) الوسطى: الأفضل والأعظم. وأقوال يعني: أن في تعيين الوسطى خلافًا. وقوموا أي: كونوا في حالة القيام. وزيد بن أرقم: صحابي من الأنصار. والشيخان أي: الأحاديث ١١٤٢ و٤٢٦٠ في البخاري و٥٣٩ في مسلم، واللفظ لمسلم. وأمنتم أي: صرتم في طمأنينة. واذكروه: استحضروا ذكره بالتعظيم. وعلّمكم: شرع بالوحي والسُّنّة الشريفة. وتعلمون أي: تدركونه بالدقة واليقين.

(٢) يتوفى: يقرب من الوفاة. ويذر: يترك على قيد الحياة. والمراد بالأزواج هنا الزوجات. والوصية: ما يقدم إلى الغير ليعمل به. وبالرفع يريد «وَصِيَّةٌ». والحول: السنة الكاملة. والتربص :الصبر عن الزواج. وغير إخراج أي: لا يُخرجُهن ورثةُ الميت. والجناح: الذنب. وفعلن أي: اكتسبنه. وعنها: يعني أن قطع النفقة نتيجة ما فعلته الزوجة. والعزيز: الغالب القهار لمن عصاه. والحكيم: المحكم المتقن ما شرع لمن خلق. والمذكورة يعني: في هذه الآية. وآية الميراث يعني الآيتين ١٢ و١٧٦ من سورة النساء. وبآية يعني: أن تربص الحول منسوخ بما فيها. والسابقةِ: التي وردت في هذه السورة. ويعطُونه أي: يؤديه الأزواجُ إلى المطلقات. وبقدر الإمكان أي: بقدر حال الزوج. وبفعله المقدر: يعني أن التقدير: حقَّ ذلك الحكمُ حقًّا. والممسوسة: التي جامعها زوجها. والسابقةُ أي: الآية ٢٣٦ حكمها فيمن لم يُدخل بهن من المطلقات.

(٣) ينته أي: ألم يصل. والديار: جمع دار. والحذر: الخوف. وقصة القوم وعددهم من الإسرائيليات رواها بعض اليهود، ولاصحة لها. والراجح أن القوم دعاهم نبيهم إلى الجهاد، فتركوا ديارهم للعدوِ هاربين من الموت. وقال لهم موتوا أي: قضى عليهم بالموت. وحزقيل هو ذو الكفل ويعرف بابن العجوز، كان الخليفة الثالث بعد موسى. والمهملة: الحاء. ودهرًا أي: مدة حياتهم. والأسباط: القبائل مفردها سِبط. وذو فضل أي: مالكه المستبد به. ويشكر: يستحضر النعم ثناء في قلبه ولسانه وعمله.

(٤) انظر الآية ١٩٠. ويقرضه: يقدم إليه ما هو سُلفة من الطاعة والإخلاص. وبإنفاق ماله أي: وبذل نفسه ومايملك للجهاد، تحقيقًا لانتظام الكلام بما قبله، من الأمر بالقتال. ويضاعفه: يجعله أضعافًا. وفي بعض المطبوعات نصب الفعل في الموضعين. والأضعاف: جمع قلة للضعف أُريد به الكثرة. والضِّعف: ماهو مثل الشيء في المقدار. وسيأتي أي: في تفسير الآية ٢٦١. وإليه أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وترجعون: تردّون وتصيرون.

الجزء الثاني — سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

الله﴾، بإنفاق ماله في سبيل الله، ﴿قرضًا حَسَنًا﴾ بأن يُنفقه لله عن طيب قلب، ﴿فيُضاعِفهُ﴾ - وفي قراءة: «فيُضَعِّفُهُ» بالتشديد - ﴿لَهُ أضعافًا كثيرةً﴾ من عَشر إلى أكثَر من سبعمائة؟ كما سيأتي. ﴿واللهُ يَقبِضُ﴾ يُمسِك الرزق عمّن يشاء ابتلاءً، ﴿ويَبسُطُ﴾: يوسّعه لمن يشاء امتحانًا، ﴿وإليهِ تُرجَعونَ﴾ ٢٤٥ في الآخرة بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم.

١- ﴿ألَم تَرَ إلَى المَلَإِ﴾: الجماعة، ﴿مِن بَني إسرائيلَ مِن بَعدِ﴾ موت ﴿مُوسَى﴾ أي: إلى قصّتهم وخبرهم، ﴿إذ قالوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ هو شَمْويل: ﴿ابعَثْ﴾: أقِمْ ﴿لَنا مَلِكًا، نُقاتِلْ﴾ معه ﴿في سَبيلِ اللهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه. ﴿قالَ﴾ النبيّ لهم: ﴿هَل عَسَيتُم﴾ - بالفتح والكسر - ﴿إنْ كُتِبَ عليكُمُ القِتالُ ألّا تُقاتِلُوا﴾؟ خبرُ «عسى»، والاستفهامُ لتقرير التوقّع بها. ﴿قالُوا: وما لَنا ألّا نُقاتِلَ في سَبيلِ اللهِ، وقَد أُخرِجْنا مِن دِيارِنا وأبنائِنا﴾ بسبيهم وقتلهم؟ وقد فَعَل بهم ذلك قومُ جالوتَ. أي: لا مانع لنا منه مع وجود مُقتضيه. قال تعالى: ﴿فلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمِ القِتالُ تَوَلَّوا﴾ عنه وجَبُنوا ﴿إلّا قَليلًا مِنهُم﴾. وهم الذين عبروا النهر مع طالوتَ، كما سيأتي. ﴿واللهُ عَليمٌ بالظّالِمينَ﴾ ٢٤٦ فمُجازيهم.

٢- وسأل النبيُّ ربَّه إرسالَ ملِكٍ، فأجابه إلى إرسال طالوتَ، ﴿وقالَ لَهُم نَبيُّهُم: إنَّ اللهَ قَد بَعَثَ لَكُم طالُوتَ مَلِكًا. قالُوا: أنّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ المُلكُ علَينا، ونَحنُ أحَقُّ بالمُلكِ مِنهُ﴾، لأنّه ليس من سِبط المملكة ولا النبوّة، وكان دبّاغًا أو راعيًا، ﴿ولَم يُؤتَ سَعةً مِنَ المالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك؟ ﴿قالَ﴾ النبيّ لهم: ﴿إنَّ اللهَ اصطَفاهُ﴾: اختاره للمُلك ﴿علَيكُم، وزادَهُ بَسْطةً﴾: سَعة ﴿في العِلمِ والجِسمِ﴾ - وكان أعلمَ بني إسرائيل يومئذ، وأجملهم وأتمّهم خَلقًا - ﴿واللهُ يُؤتي مُلكَهُ مَن يَشاءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه، ﴿واللهُ واسِعٌ﴾ فضلُه، ﴿عَليمٌ﴾ ٢٤٧، بمن هو أهل له.

٣- ﴿وقالَ لَهُم نَبِيُّهُم﴾، لمّا طلبوا منه آية على مُلكه: ﴿إنَّ آيَةَ مُلكِهِ أنْ يأتِيَكُمُ التّابُوتُ﴾: الصُّندوقُ، كان فيه صور الأنبياء، أنزله الله على آدم واستمرّ إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يَستفتحون به على عدوّهم، ويقدّمونه في القتال ويسكنون إليه، كما قال تعالى ﴿فيهِ سَكِينةٌ﴾: طمأنينة لقلوبكم ﴿مِن رَبِّكُم، وبَقِيّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هارُونَ﴾ أي: تركاه هما - وهو نعلا موسى وعصاه وعِمامةُ هارونَ، وقَفيزٌ من المنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضاضٌ من الألواح - ﴿تَحمِلُهُ المَلائكةُ﴾: حال من فاعل «يأتيَكُم». ﴿إنَّ في ذَلِكَ لَآيَةً لَكُم﴾ على مُلكه، ﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ﴾ ٢٤٨. فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه، حتّى وضعته عند طالوتَ، فأقرّوا بمُلكه وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شُبّانهم سبعين ألفًا.

---

(١) الجماعة أي: من الأشراف والسادة. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب، وهم اليهود. وإلى قصتهم أي: مع نبيهم ونهايتها. وشمويل أي: إسماعيل. وهو من سلالة يعقوب، وليس ابنه المعروف، كان بعد موسى بمئات السنوات. والملك: الحاكم المتصرف بالأمور. ونقاتل: نحارب بالسلاح وما أشبهه. والسبيل: الطريق الواضح. وسبيل الله: ما شرعه من الجهاد لإعلاء شأن دينه. وعسيتم: يُتوقَّع منكم ويُنتظر. وبالفتح أي: فتح السين. وبالكسر يريد القراءة «عَسِيتُم». وكتب أي: فرض. والتقرير: تثبيت الحكم وتحقيقه. والتوقع هو معنى «عسى». وبها أي: بـ «هل». والمعنى: أتوقع جبنكم عن القتال توقعًا مؤكدًا. وأخرجنا: طردنا نحن وآباؤنا. والسبي: الأسر. وجالوت: ملك للعمالقة من العرب الكنعانيين، أذل بني إسرائيل وأخذ منهم ألواح التوراة. ولا مانع: يعني أن الاستفهام في الآية هو للنفي. ومنه أي: من القتال. والمقتضي: الداعي والباعث المسبِّب. وكتب عليهم أي: فُرض وأُمروا به. وتولوا: أعرضوا وامتنعوا. وكما سيأتي يعني: في الآية ٢٤٩. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. والظالم: من يضع الأمور في غير موضعها، ومن ذلك الفِرارُ من الجهاد.

(٢) بعثه: ولّاه الحكم وأمّره. وطالوت: من سلالة بِنيامين بن يعقوب. والأحق: الأجدر. والسبط: القبيلة من بني إسرائيل. وسبط المملكة ذرية يهوذى بن يعقوب. وسبط النبوة ذرية لاوَى بن يعقوب. ويؤتى: يعطى. والسعة: الكثرة والاتساع. والمال: مايملك من النقد والمتاع والزينة. واختاره أي: فضله. وزاده: جعل فيه زيادة ظاهرة. والعلم: المعرفة اليقينية بالدين والحكم، لأنه كان يحفظ التوراة وأعلم الناس بها. والجسم: جسد الإنسان كله. وملكه أي: الحكم في بعض أمور الدنيا. ويشاء: يريد. والواسع: العظيم لا نهاية له.

(٣) الآية: البرهان القاطع يحمل على التصديق. ويأتيكم: يصل إليكم. وما ذكره السيوطي في التابوت هو من الإسرائيليات المصنوعة. وقد سرد الآلوسي بعض ذلك وقال: «ولم أر حديثًا صحيحًا مرفوعًا، يُعوَّل عليه، يَفتح قفل هذا الصندوق». تفسيره ٢: ٢٥٤. ويستفتحون أي: يطلبون النصر من الله، تعالى. ومن ربكم أي: من فضله وبأمره. وهارون: أخو موسى. وتركاه هما أي: موسى وهارون. والقفيز: مكيال قديم. والمن: شيء كالعسل الأبيض. والرضاض: الفتات والقطع المكسرة. والألواح: ألواح التوراة. وذلك: إشارة إلى إتيان التابوت كما وصف. والآية: العلامة والدلالة. والمؤمن: من صدّق الله ونبيه المرسل.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

١- ﴿**فلمّا فَصَلَ**﴾: خرج ﴿**طالُوتُ بالجُنُودِ**﴾ من بيت المقدس، وكان حرًّا شديدًا وطلبوا منه الماء، ﴿**قالَ: إنّ اللهَ مُبتَليكُم**﴾: مُختبِرُكم ﴿**بنَهَرٍ**﴾، ليَظهرَ المطيعُ منكم والعاصي. وهو بين الأردنّ وفلسطين. ﴿**فمَن شَرِبَ مِنهُ**﴾ أي: مِن مائه ﴿**فلَيسَ مِنّي**﴾ أي: من أتباعي، ﴿**ومَن لَم يَطعَمْهُ**﴾: يَذقْه ﴿**فإنَّهُ مِنّيَ، إلّا مَنِ اغترَفَ غَرْفَةً**﴾ - بالفتح والضمّ - ﴿**بِيَدِهِ**﴾، فاكتفى بها ولم يزد عليها، فإنه منّي. ﴿**فشَرِبُوا مِنهُ**﴾، لمّا وافوه، بكثرة ﴿**إلّا قَليلًا مِنهُم**﴾ فاقتصروا على الغَرفة. رُوي أنّها كفتهم لشربهم ودوابِّهم، وكانوا ثلاثَمِائةٍ وبضعةَ عشَرَ.

٢- ﴿**فلمّا جاوَزَهُ هُوَ والّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾، وهم الذين اقتصروا على الغَرفة، ﴿**قالُوا**﴾ أي: الذين شربوا: ﴿**لا طاقَةَ**﴾: قوّة ﴿**لَنا اليَومَ بجالُوتَ وجُنُودِهِ**﴾ أي: بقتالهم. وجَبُنوا ولم يجاوزوه. ﴿**قالَ الّذِينَ يَظُنُّونَ**﴾: يُوقنون ﴿**أنّهُم مُلاقُو اللهِ**﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه: ﴿**كَم**﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرٌ ﴿**مِن فِئَةٍ**﴾: جماعة ﴿**قَليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرةً، بإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته! ﴿**واللهُ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ **٢٤٩** بالعون والنصر.

٣- ﴿**ولَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وجُنُودِهِ**﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿**قالُوا: رَبّنا، أفرِغْ**﴾: اصببْ ﴿**علَينا صَبرًا، وثَبِّتْ أقدامَنا**﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد، ﴿**وانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ**﴾ **٢٥٠**. ﴿**فهَزَمُوهُم**﴾: كسروهم ﴿**بإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته، ﴿**وقَتَلَ داوُدُ**﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿**جالُوتَ، وآتاهُ**﴾ أي: داودَ ﴿**اللهُ المُلكَ**﴾ في بني إسرائيل، ﴿**والحِكْمَةَ**﴾: النبوّة، بعد موت شَمْويلَ وطالوتَ، ولم يجتمعا لأحد قبله، ﴿**وعَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ**﴾، كصنعة الدُّروع ومنطق الطير. ﴿**ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم**﴾: بدلُ بعض من «الناس»، ﴿**بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ**﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجِد. ﴿**ولكِنَّ اللهَ ذُو فَضلٍ على العالَمِينَ**﴾ **٢٥١**، فدفع بعضهم ببعض.

٤- ﴿**تِلكَ**﴾: هذه الآيات ﴿**آياتُ اللهِ، نَتلُوها**﴾: نقصّها ﴿**علَيكَ**﴾ - يا محمّد - ﴿**بالحَقِّ**﴾: بالصدق، ﴿**وإنّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ**﴾ **٢٥٢**. التأكيد بـ«إنّ» وغيرِها ردٌّ لقول الكفار له: «لَستَ مُرسَلًا».

---

(١) الجنود: الأعوان والأنصار جمع جند. والجند: جمع جندي. وهو المحارب المزود بالسلاح. وكان حرًا أي: وكان الوقت حرًا. ومختبركم أي: يعاملكم معاملة من يختبر ويمتحن. والنهر: مجرى الماء غير المالح. والأردن وفلسطين: منطقتان في جنوبي الشام، بينهما النهر المشهور والبحر الميت. وشرب: تناول الكثير وابتلعه. ويذقه يعني: لم يذقه. واغترف: أخذ. وبالضم يريد القراءة «غُرفةً»: مايحصل بيد الغارف من الماء. واليد هنا: الكف. وشربوا: كرعوا فيه وتناولوا الكثير. ووافوه أي: وصلوا إليه.

(٢) جاوزه أي: تجاوز النهر وتخطاه. وآمن: عرف قلبه التوحيد ومايلزمه. وقالوا أي: قال بعضهم لبعض، بصوت عال، ليُسمعوا المؤمنين ويثبطوهم عن الجهاد. واليوم: هذا الوقت. وجالوت: ملك للعمالقة العرب الكنعانيين في عهد داود، وهو أحد الجبابرة كان قد أذل بني إسرائيل، وضرب عليهم الجزية، وسلبهم التوراة. الكامل لابن الأثير ١:٢١٧-٢٢٢. وملاقو الله أي: يلقون حسابه وثوابه. وقليلة أي: عدد أفرادها قليل. وهي عكس كثيرة. وغلبتها: قهرتها وانتصرت عليها. والله: لفظ الجلالة اسم علم للواجب الوجود المعبود بحق وحده والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والصابر: من يحبس نفسه وقت الضيق.

(٣) ولما أي: حينما. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وقالوا أي: بالدعاء. وربنا أي: ياربنا. حذف حرف النداء تعظيمًا لما فيه من معنى الأمر. والصبر: التجلد وحبس النفس. وثبتها: اجعلها راسخة لا تتزلزل. والأقدام: جمع قدم. وهو مايطأ الأرض من رجل الإنسان. وانصرنا أي: أعنّا وأيّدنا للتغلب والنجاح. والقوم: الجماعة من الرجال. والكافر: من كذّب الله ورسوله بقلبه أو بقول أو فعل. وداود: ابن إيشَى من ذرية يهوذى بن يعقوب، كا ن بينه وبين موسى مئات السنين. وهو من أشهر أنبياء بني إسرائيل. المحبر ص ١ و٥. وحذفت واوه الثانية في الرسم اصطلاحًا. وآتاه: أعطاه ومنحه. والملك: السيادة والسلطان والتصرف بما شرعه له. والحكمة: وضع الشيء في موضعه ببالغ الإتقان. والنبوة في الناس أرفع مراتب الحكمة. ولم يجتمعا أي: لم يكن الملك والنبوة. وعلمه: أوحى إليه وألهمه وعرّفه. ومما يشاء أي: مما أراد تعليمه إياه. والدروع: جمع درع. وهو مايلبس من الزرد ليقي الجذع في الحرب. والمنطق: النطق. والطير: واحده طائر. والمراد بمنطقها القدرة على فهم دلالة أصواتها ومخاطبتها. والدفع: القمع والرد بالقوة. والناس: البشر. والبعض: الطائفة والجماعة. وفسدت: بطلت منافعها وتعطلت مصالحها وتدمرت. والأرض أي: وما فيها أيضًا من الخلق. والفضل: التكرم بالخير. وذو فضل أي: صاحبه ومالكه المتفرد به. فالمؤمنون يَدفع بهم الكافرين ليزول الفساد. وذلك بالجهاد ، كما ذكر في قصة طالوت وجالوت. وبالجهاد يستقر الخير للجميع، وهو فضل الله، تعالى. والعالَم: الجنس من الخلق. فالعالمون كل المخلوقات.

(٤) تلك: إشارة إلى الآيات ٢٤٣-٢٥١. والمرسل: من بُعث بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وغيرها أي: اللام المزحلقة وكون الجملة اسمية. فهما للتوكيد أيضًا. وقول الكفار يعني: ما في الآية ٤٣ من سورة الرعد.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الجزء ٣ الحزب ٥

١- ﴿تلكَ﴾: مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾: صفة والخبر ﴿فَضَّلْنا بعضَهُم علَى بَعضٍ﴾، بتخصيصه بمَنقبة ليست لغيره، ﴿مِنهُم مَن كَلَّمَ اللهُ﴾ كموسى، ﴿ورَفَعَ بَعضَهُم﴾ أي: محمّدًا ﴿دَرَجاتٍ﴾ على غيره، بعموم الدعوة وختم النبوّة به، وتفضيل أُمّته على سائر الأُمم، والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة، ﴿وآتَينا عِيسَى بنَ مَريَمَ البَيِّناتِ، وأيَّدْناهُ﴾: قوَّيناه ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾: جبريلَ يسير معه حيث سار، ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ هُدى الناسِ جميعًا ﴿ما اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾: بعدِ الرسل أي: أُممُهم، ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّناتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضًا، ﴿ولٰكِنِ اختَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك - ﴿فمِنهُم مَن آمَنَ﴾: ثَبَتَ على إيمانه، ﴿ومِنهُم مَن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح - ﴿ولَو شاءَ اللهُ ما اقتَتَلُوا﴾: تأكيد، ﴿ولٰكِنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ﴾ ٢٥٣، مِن توفيق مَن شاء وخذلان مَن شاء.

٢- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُم﴾ زكاتَه، ﴿مِن قَبلِ أنْ يأتِيَ يَومٌ، لا بَيعَ﴾: فِداء ﴿فِيهِ ولا خُلّةَ﴾: صداقة تنفع ﴿ولا شَفاعةَ﴾ بغير إذنه، وهو يوم القيامة. وفي قراءة برفع الثلاثة. ﴿والكافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظّالِمُونَ﴾ ٢٥٤، لوضعهم أمرَ الله في غير محلّه.

٣- ﴿اللهُ لا إلٰهَ﴾ أي: لا معبودَ بحقّ في الوجود ﴿إلّا هُوَ، الحَيُّ﴾: الدائم البقاء ﴿القَيُّومُ﴾: المُبالِغ في القيام بتدبير خلقه، ﴿لا تأخُذُهُ سِنةٌ﴾: نُعاس ﴿ولا نَومٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿مَن ذا الَّذِي﴾ أي: لا أحدَ ﴿يَشفَعُ عِندَهُ إلّا بإذنِهِ﴾ له فيها؟ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم﴾ أي: الخلقِ ﴿وما خَلفَهُم﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿ولا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ﴾: لا يعلمون شيئًا من معلوماته، ﴿إلّا بِما شاءَ﴾ أن يُعلِمَهم به منها بإخبار الرسل، ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ والأرضَ﴾ - قيل: أحاط علمُه بهما، وقيل: ملكُه. وقيل: الكرسيّ بعَينِه مشتمل عليهما لعظمته، لحديثِ «ما السَّماواتُ السَّبعُ في الكُرسيِّ إلّا كَدَراهمَ سَبعةٍ أُلقِيَتْ في تُرسٍ» -﴿ولا يَؤُودُهُ﴾: يُثقِله ﴿حِفظُهُما﴾ أي: السماواتِ والأرضِ، ﴿وهْوَ العَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر، ﴿العَظِيمُ﴾ ٢٥٥: الكبير.

٤- ﴿لا إكراهَ في الدِّينِ﴾ على الدخول فيه. ﴿قَد تَبيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمانَ رشد، والكفرَ غيّ. نزلت فيمن كان

---

(١) تلك: إشارة إلى ماذكر من الرسل في هذه السورة. والخبر أي: أن جملة «فضلنا»: في محل رفع خبر. وفضلناه: ميّزناه بمنزلة فريدة. والمنقبة: الوصف الذي يُفتخر به. وكلم الله أي: خاطبه بالكلام من غير وساطة. ورفعه: جعل له منزلة عالية. والدرجة: المكانة المتميزة. والعديدة: المعدودة. وهُدى الناس أي: هدايتهم إلى الحق والصلاح. واقتتلوا: قاتل بعضهم بعضًا. وجاءتهم: وصلت إليهم، وأدركوا دلالتها على صدق الأنبياء. والبينات: البراهين الواضحة. واختلفوا: اختصموا واقتتلوا. وذلك أي: الاختلاف. والإيمان: اعتراف القلب بالتوحيد ومايلزمه. وكفر: أنكر التوحيد ولزم الشرك. ويفعل: يخلق. ويريده: يقضي كونه وحصوله.

(٢) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وأنفقوا: ابذلوا وأدّوا. ورزقناكم أي: أعطيناكم إياه. ويأتي: يجيء ويحصل. واليوم: الزمن. والبيع: إعطاء الشيء وأخذ ثمنه. والشفاعة: المطالبة بالتجاوز عن الذنوب. وبرفع الثلاثة يريد «لا بَيعٌ فِيهِ ولاخُلّةٌ ولاشَفاعةٌ». والكافر: من ينكر بقلبه ولسانه وعمله. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه.

(٣) الدائم البقاء أي: بذاته أزلًا وأبدًا. وتأخذه: تعتريه. والنوم: غلبة جهد أو عناء للراحة. والسماء: انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ويشفع: يطلب التجاوز عن الذنوب. وعنده أي: في حكمه وقضائه. والإذن: الأمر والسماح. ويعلمه: يحيط به بالغَ الإحاطة. وما بين أيديهم أي: أمامهم. والأيدي: جمع يد. ويحيط: يدرك ويعلم. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وشاء أي: أراد. وبعينه: يعني أن الكرسي مخلوق حقيقي متميز، لا يراد به العلم أو الملك. وهو بين يدي العرش. و«في الكرسي» يعني: بالنسبة إليه. والترس: ماكان يُحمل باليد في الحرب ليُتوقى به الضرب والطعن. والحديث: انظر «المفصل». و«يثقله» أي: لا يثقله ولا يُعجزه. والحفظ: التفقد والرعاية. والعلي: المبالغ في علو الرتبة والسلطان.

(٤) الإكراه: القسرُ وإلزامُ للغيرِ. والدين: الاعتقاد الإسلامي. والرشد: الهدى إلى الحق. والغي: الضلال والجهل من الاعتقاد الفاسد. انظر «المفصل». ويكفر به: ينكر تقديسه وطاعته. ويؤمن به: يعترف قلبه بوحدانيته وما يلزم ذلك. والعروة: العقدة تكون في الحبل ليمسك منها. والعقد المحكم أي: العُقدة المُحكمة. والوثقى: الشديدة الإحكام جدًا. والسميع: المدرك للمسوعات حين وقوعها. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. وناصرهم أي: ومحبهم ومتولي أمورهم. وآمن: عرف قلبه التوحيد ومايلزمه. ويخرجهم أي: ينقذهم دائمًا. والظلمات: جمع ظُلْمة. وهي السواد الدامس لا يُدرَك فيه شيء. والكفر أشنع الظلمات. والنور: الضياء يمتاز فيه الخير من الشر. والإيمان أوضح الأنوار وأظهرها. والأولياء: جمع وليّ. وهم الذين يتولون أمور الكافرين، ويضلونهم إذا صادفهم خير أو صلاح. ويخرجونهم أي: يصرفونهم. ويعني بالمقابلة المشاكلةَ اللفظية، إذ لم يكن الذين كفروا في نور. و«فيمن آمن» تفسير آخر للمعنى. وهذا المعنى أظهر من الأول. والبعث: الإرسال للدعوة إلى العقيدة والشريعة. والخالد: المقيم أبدًا.

الجزء الثالث — سورة البقرة

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

له من الأنصار أولاد، أراد أن يكرههم على الإسلام. ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾: الشيطانِ أو الأصنام - وهو يُطلق على المفرد والجمع - ﴿**ويُؤمِنْ باللهِ فقدِ استمسَكَ**﴾: تمسّك ﴿**بالعُرْوةِ الوُثقى**﴾: بالعَقد المُحكَم ﴿**لا انفِصامَ**﴾: انقطاعَ ﴿**لها. واللهُ سَميعٌ**﴾ لما يقال، ﴿**عَليمٌ**﴾ ٢٥٦ بما يُفعل. ﴿**اللهُ وَليُّ**﴾: ناصرُ ﴿**الَّذينَ آمَنُوا، يُخرجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكفر ﴿**إلى النُّورِ**﴾: الإيمان، ﴿**والَّذينَ كَفَرُوا أولياؤُهُمُ الطّاغُوتُ، يُخرجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ**﴾. ذكرُ الإخراج إمّا في مقابلة قوله «يُخرجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ»، أو فيمن آمن بالنبيّ قبل بَعثِه من اليهود ثمّ كفر به، ﴿**أولٰئكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢٥٧.

١ - ﴿**ألَم تَرَ إلى الَّذي حاجَّ**﴾: جادلَ ﴿**إبراهيمَ في رَبِّهِ**﴾، لـ﴿**أنْ آتاهُ اللهُ المُلكَ**﴾ أي: حملَه بطرُه بنعمة الله على ذلك - وهو نُمروذُ - ﴿**إذْ**﴾: بدلٌ من «حاجَّ» ﴿**قالَ إبراهيمُ**﴾ لمّا قال له: «مَن ربُّك الذي تدعونا إليه»؟: ﴿**رَبِّيَ الَّذي يُحيي ويُميتُ**﴾ أي: يخلقُ الحياة والموت في الأجساد. ﴿**قالَ**﴾ هو: ﴿**أنا أُحيي وأُميتُ**﴾ بالقتل والعفو عنه. ودعا برجلين، فقتلَ أحدَهما وتركَ الآخَرَ. فلمّا رآه غبيًّا ﴿**قالَ إبراهيمُ**﴾ منتقلًا إلى حُجّةٍ أوضحَ منها: ﴿**فإنَّ اللهَ يأتي بالشَّمسِ مِنَ المَشرقِ. فائتِ بها**﴾ أنت ﴿**مِنَ المَغربِ. فبُهِتَ الَّذي كَفَرَ**﴾: تَحَيَّرَ ودَهِشَ. ﴿**واللهُ لا يَهدي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ٢٥٨ بالكفر إلى مَحجّة الاحتجاج.

٢ - ﴿**أوْ**﴾ رأيتَ ﴿**كالَّذي**﴾ - الكاف: زائدة - ﴿**مَرَّ على قَريةٍ**﴾ هي بيت المقدس، راكبًا على حمار، ومعه سلّةُ تينٍ وقَدَحُ عصير - وهو عُزَيرٌ - ﴿**وهِيَ خاويةٌ**﴾: ساقطة ﴿**على عُرُوشِها**﴾: سُقوفِها، لمّا خرّبها بُخْتَنَصَّرُ، ﴿**قالَ: أنّى**﴾: كيف ﴿**يُحيي هٰذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها**﴾؟ استعظامًا لقُدرته، تعالى. ﴿**فأماتَهُ اللهُ**﴾ وألبثه ﴿**مِائَةَ عامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾: أحياه ليُريه كيفيّة ذلك، ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**كَم لَبِثتَ**﴾: مكَثتَ هنا؟ ﴿**قالَ: لَبِثتُ يَومًا أو بَعضَ يَومٍ**﴾. لأنّه نام أوّل النهار فقُبض، وأُحيي عند الغُروب فظنَّ أنّه يومُ النوم. ﴿**قالَ: بَل لَبِثتَ مِائَةَ عامٍ. فانظُرْ إلى طَعامِكَ**﴾ التينِ ﴿**وشَرابِكَ**﴾ العصيرِ، ﴿**لَم يَتَسَنَّهْ**﴾: لم يتغيّرْ مع طول الزمان - والهاء قيل: أصلٌ من «سانهتُ». وقيل: للسَّكت من «سانيتُ». وفي قراءة بحذفها - ﴿**وانظُرْ إلى حِمارِكَ**﴾ كيف هو؟ فرآه ميتًا وعظامه بيض تلوح، فعلْنا ذلك لتعلم، ﴿**ولِنَجعَلَكَ آيةً**﴾ على البعث ﴿**لِلنّاسِ، وانظُرْ إلى العِظامِ**﴾ من حِمَارِك، ﴿**كَيفَ نُنشِزُها**﴾: نُحييها - بضمِّ النون وفتحِها من «أنشَرَ ونَشَرَ» لغتانِ. وفي قراءة بضمِّها والزاي: نُحرّكها ونرفعها - ﴿**ثُمَّ نَكسُوها لَحمًا**﴾؟ فنظر إليها، وقد تركّبت وكُسيت لحمًا ونُفخ فيه الروح ونَهَقَ، ﴿**فلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ**﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿**قالَ: أعلَمُ**﴾ عِلمَ مشاهدةٍ ﴿**أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ ٢٥٩. وفي قراءة: «اعلَمْ» أمرٌ من الله له.

---

(١) نمروذ من ذرية سام، كان ملكًا في بابل، وادعى الربوبية. وألم تر: ألم يصل علمك، أي: ألم يبلغ علمك؟ والاستفهام للتعجيب والتحقيق والتشويق إلى استماع ما بعده، أي: قد تحقّقتْ معرفة هذه القصة العجيبة وتقرّرت، لأنها من الظهور بحيث لا تخفى على أحد. وإلى الذي أي: إلى قصته. وفي التركيب معنى الأمر، كأنه قيل: انظر إلى قصته وتعجب منها. وفي ربه أي: في وجود ربه. وآتاه: أعطاه. والملك: السلطان والسيادة. و«بدل من حاج» لعل المراد: بدل من «الذي حاج». وقال له أي: قال النمروذ لإبراهيم. وعنه أي: عن القتل. ومنها أي: من حجة الإحياء والإماتة. ويأتي بها: يوجدها ويحضرها. والشمس: الكوكب الذي يضيء الأرض نهارًا. والمشرق: مكان الشروق. والمغرب: مكان الغروب. وكفر: كذّب الله ورسوله وأنكر الإيمان والتوحيد والبعث. ولا يهديه أي: لا يرشده إلى الحق ولايوفقه في قبوله، لِما في استعداده من سوء، وفي اختياره من خبث. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها.

(٢) رأيت أي: علمت وعرفت. وزائدة أي: حرف جر زائد معناه التوكيد. والقرية: البلدة. والسلة: وعاءٌ تحمل فيه الثمار. والتفصيلات المذكورة في هذه القصة من الإسرائيليات المصنوعة، لا سند لها يعتبر. وعُزير: نبي أقام لبني إسرائيل التوراة لأنه يحفظها عن ظهر قلب بعد أن أُحرقت، فزعم بعضهم أنه ابن الله ، تعالى. انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة. والعروش: جمع عرش. وهو ما يُنصب من القصب وغيره كالسقف، لتمتد عليه فروع الأشجار. وبُختنصَّرُ: ملك بابلي عربي. وأماته: خلق الموت فيه وأبقاه على ذلك. وقبض: توفي. وأصل أي: أن الهاء حرف أصلي في الفعل. وللسكت أي: أن الهاء زائدة تثبتُ في الوقف وتُحذف في الوصل. وتلوح أي: تلمع. ونجعلك أي: نُصيّر ماجرى لك. والآية: المعجزة القاطعة الدلالة. والعظام: جمع عظم. وبفتحها يريد القراءة «نَنشُرُها». والزاي أي: بدلًا من الراء، يريد «نُنشِزُها». ونرفعها أي: نرفع بعضها إلى بعض ونركبهما، ليصيرا خلقًا جديدًا. والإشارة بـ «ذلك» إلى حصول الإحياء. وأعلمُ: أُدرك وأعي باليقين الحق. والقدير: المبالغ في الاستطاعة دون منازع أو معين.

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ
تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ
ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا
ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ
أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
٢٦٢ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ
أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ
تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ
شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ إبراهيمُ: رَبِّ، أرِني كَيفَ تُحيي المَوتَى؟ قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**أوَلَم تُؤمِنْ**﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، لِيُجيبه بما سأل، فيعلم السامعون غرضه. ﴿**قالَ: بَلَى**﴾ آمنتُ، ﴿**ولٰكِنْ**﴾ سألتك ﴿**لِيَطمَئِنَّ**﴾: يسكن ﴿**قَلبِي**﴾ بالمُعاينة المضمومة إلى الاستدلال. ﴿**قالَ: فخُذْ أربَعَةً مِنَ الطَّيرِ، فصِرْهُنَّ إلَيكَ**﴾، بكسر الصاد وضمّها: أمِلْهنَّ إليك، وقطّعْهنّ واخلِطْ لحمهنّ وريشهنّ، ﴿**ثُمَّ اجعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ**﴾ من جبال أرضكَ ﴿**مِنهُنَّ جُزءًا، ثُمَّ ادْعُهُنَّ**﴾ إليك ﴿**يأتِينَكَ سَعْيًا**﴾: سريعًا، ﴿**واعلَمْ أنَّ اللهَ عَزيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء، ﴿**حَكيمٌ**﴾ ٢٦٠ في صنعه. فأخذ طاووسًا ونسرًا وغُرابًا وديكًا، وفعل بهنّ ما ذُكر، وأمسك رؤوسهنّ عنده ودعاهنّ، فتطايرَتِ الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملتْ، ثم أقبلتْ إلى رؤوسها.

ربع الحزب ٥

٢- ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ نفقاتِ ﴿**الَّذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم، في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: طاعته، ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ، في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائةُ حَبَّةٍ**﴾ - فكذلك نفقاتهم تُضاعَفُ لسبعِمِائَةِ ضِعف. ﴿**واللهُ يُضاعِفُ**﴾ أكثرَ من ذلك ﴿**لِمَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ**﴾ فضلُه، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٦١ بمن يستحقّ المُضاعفة - ﴿**الَّذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لا يُتبِعُونَ ما أنفَقُوا مَنًّا**﴾ على المُنفَق عليه بقولهم مَثلًا: «قد أحسنتُ إليه وجبرتُ حالَه»، ﴿**ولا أذًى**﴾ له بِذكر ذلك لمن لا يُحبّ وقوفَه عليه ونحوه، ﴿**لَهُم أجرُهُم**﴾: ثواب إنفاقهم ﴿**عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ عَلَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٢٦٢ في الآخرة.

٣- ﴿**قَولٌ مَعرُوفٌ**﴾: كلام حسن وردّ على السائل جميل، ﴿**ومَغفِرَةٌ**﴾ له في إلحاحه، ﴿**خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتبَعُها أذًى**﴾ بالمنّ وتعييرٌ له بالسؤال، ﴿**واللهُ غَنِيٌّ**﴾ عن صَدَقة العِباد، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ ٢٦٣ بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذي. ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم**﴾ أي: أُجورَها ﴿**بالمَنِّ والأذَى**﴾، إبطالًا ﴿**كالَّذي**﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿**يُنفِقُ مالَه رِئاءَ النَّاسِ**﴾ مُرائيًا لهم، ﴿**ولا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ - وهو المُنافق - ﴿**فمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ**﴾: حجرٍ أملسَ ﴿**عَلَيهِ تُرابٌ، فأصابَهُ وابِلٌ**﴾: مطر شديد، ﴿**فتَرَكَهُ صَلْدًا**﴾: صُلبًا أملس لا شيء عليه. ﴿**لا يَقدِرُونَ**﴾ - استئناف لبيان مَثَل المُنافق المُنفق رياء. وجُمع الضمير باعتبار معنى «الذي» - ﴿**على شَيءٍ مِمّا كَسَبُوا**﴾: عملوا، أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة، كما لا يُوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ**﴾ ٢٦٤.

---

(١) رب أي: ياربي. وأرني: بَصّرني حقيقة. وتحييهم: تخلق فيهم الحياة. والموتى: جمع ميت. وتؤمن: يعرف قلبك الإيمان اليقيني. وسأله أي: سأل الله إبراهيمَ. وبما سأل أي: عما سأله عنه. والسامعون أي: الذين كانوا مع إبراهيم. وبلى: حرف جواب معناه إثبات مابعد النفي المتقدم. والطير: واحده طائر. وبضمها يريد القراءة «فصُرْهُنَّ». واجعل أي: ضع وألقِ. والجزء: القطعة المنفصلة. وادعهن أي: نادِهن واطلب منهن الحضور. والسعي: الإسراع في الشيء. والعزيز: الغلاب على مايريد. والحكيم: ذو الحكمة البالغة فيما يريد. و«إلى بعضها» صوابه كما في الوجيز «بعضها إلى بعض». وهذه التفصيلات مما اضطرب فيه القصاصون اضطرابًا كثيرًا، وليس لِما ذكروه سند علمي موثق، ولاظهور لحكمة المولى، تعالى. البحر ٢:٢٩٩.

(٢) ينفق: يصرف. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والسبيل: الطريق الواضح. وطاعته أي: وجوه الخيرات الشاملة للواجب والمندوب. والحبة: البذرة من القمح وما يشبهه. وأنبت: أخرج. والسنبلة: الجزء من النبات يتكون فيه الحب. ويضاعف: يضيف ويزيد. ويشاء أي: يريد أن يكرمه. والواسع: الذي لا يُحد غناه ولا نهاية لسلطانه. والعليم: المبالغ في الإحاطة الكاملة. ويُتبعه أي: يُلحِق به. والمن: ذكر النعمة فخرًا. والأذى: جلب الضرر. ووقوفه عليه أي: اطلاعه على الإنفاق. ونحوه يعني: كالعبوس والدعاء بالشر. وعنده أي: في حكمه وقضائه. والخوف: الفزع مما سيكون. والحزن: الغم مما كان قبل.

(٣) المعروف: ماحسّنه الشرع والعقل. والمغفرة: العفو والصفح. وخير: أكثر نفعًا للمسؤول والسائل. والصدقة: التطوع ببذل المال وغيره. ويتبع: يلحق ويلي. والتعيير: الذم والتحقير. والغني: المستغني بذاته يوسّع على من يريد. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنوب، لا يستخفه عصيان ولايعجل بالانتقام. ولاتبطلوا أي: لا تفسدوا وتضيعوا. والرئاء: أن يُري الإنسانُ الناسَ أعماله الصالحة، لِيُرُوه الثناء والمدح. ويؤمن به: يصدّق قلبه، فيكون قوله مطابقًا ليقينه. واليوم: الزمن. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. ومَثَله أي: صفته العجيبة في الإنفاق. والصفوان: واحدته صفوانة. وأصابه أي: نزل عليه. وتركه: جعله. ويقدر عليه: يقوى عليه ويستطيعه. ولا يهدي القوم: انظر آخر الآية ٢٥٨. والكافر: من جحد التوحيد والبعث وأصرّ على ذلك.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

١- ﴿**ومَثَلُ**﴾ نفقاتِ ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُمُ ابتغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**مَرضاةِ اللهِ، وتَثبيتًا مِن أنفُسِهِم**﴾ أي: تحقيقًا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له - ومِن: ابتدائيّة - ﴿**كَمَثَلِ جَنّةٍ**﴾: بستانٍ ﴿**بِرُبْوَةٍ**﴾، بضمّ الراء وفتحها: مكانٍ مرتفع مستو، ﴿**أصابَها وابِلٌ فآتَتْ**﴾: أعطت ﴿**أُكُلَها**﴾، بضمّ الكاف وسكونها: ثمرَها ﴿**ضِعفَينِ**﴾: مِثلَي ما يُثمر غيرها، ﴿**فإنْ لَم يُصِبْها وابِلٌ فطَلٌّ**﴾: مطر خفيف يُصيبها ويكفيها لارتفاعها. المعنى: تُثمر وتزكو، كثُر المطرُ أم قلّ؟ فكذلك نفقات مَن ذُكِر تزكو عند الله، كَثُرتْ أم قلّت؟ ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٢٦٥، فيجازيكم به.

٢- ﴿**أيَوَدُّ**﴾: أيُحبّ ﴿**أحَدُكُم أنْ تكُونَ لَهُ جَنّةٌ**﴾: بستان ﴿**مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُ فِيها**﴾ ثمرٌ ﴿**مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، و**﴾ قد ﴿**أصابَهُ الكِبَرُ**﴾ فضعُفَ من الكبر عن الكسب، ﴿**ولَهُ ذُرِّيّةٌ ضُعَفاءُ**﴾: أولاد صغار لا يقدرون عليه، ﴿**فأصابَها إعصارٌ**﴾: ريح شديدة ﴿**فِيهِ نارٌ فاحترَقَتْ**﴾، ففَقَدَها أحوجَ ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزةً متحيّرين لا حيلة لهم؟ وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ، في ذهابها وعدم نفعها، أحوجَ ما يكون إليها في الآخرة. والاستفهام بمعنى النفي. وعن ابن عبّاس: هو لرجل عمل بالطاعات، ثمّ بُعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتّى أحرقَ أعماله. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بيّنَ ما ذكر ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتفَكَّرُونَ**﴾ ٢٦٦ فتعتبرون.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا**﴾ أي: زكّوا ﴿**مِن طَيِّباتِ**﴾: جيادِ ﴿**ما كَسَبتُم**﴾ من المالِ، ﴿**ومِـ**﴾ـن طيّبات ﴿**ـمّا أخرَجْنا لَكُم مِنَ الأرضِ**﴾ من الحُبوب والثِّمار، ﴿**ولا تَيَمَّمُوا**﴾: تقصِدوا ﴿**الخَبِيثَ**﴾: الرديء ﴿**مِنهُ**﴾ أي: من المذكورِ، ﴿**تُنفِقُونَـ**﴾ـه في الزكاة: حال من ضَمير «تَيَمَّموا»، ﴿**ولَستُم بآخِذِيهِ**﴾ أي: الخبيثِ، لو أُعطِيتُموه في حقوقكم، ﴿**إلّا أنْ تُغمِضُوا فِيهِ**﴾ بالتساهل وغضّ البصر، فكيف تؤدّون منه حقَّ الله؟ ﴿**واعلَمُوا أنَّ اللهَ غَنِيٌّ**﴾ عن نفقاتكم، ﴿**حَمِيدٌ**﴾ ٢٦٧: محمود على كلّ حال. ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ**﴾ يُخوّفكم به إن تصدّقتم فتمسكوا، ﴿**ويأمُرُكُم بِالفَحشاءِ**﴾: البُخل ومنع الزكاة، ﴿**واللهُ يَعِدُكُم**﴾ على الإنفاق ﴿**مَغفِرةً مِنهُ**﴾ لذُنوبكم، ﴿**وفَضلًا**﴾: رزقا خَلَفًا منه. ﴿**واللهُ واسِعٌ**﴾ فضله، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٦٨ بالمُنفَق، ﴿**يُؤتِي الحِكْمَةَ**﴾ أي: العلمَ النافع المُؤدّي إلى العمل ﴿**مَن يَشاءُ. ومَن يُؤتَ الحِكْمَةَ فقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾، لمصيره إلى السعادة الأبديّة. ﴿**وما يَذَّكَّرُ**﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظُ ﴿**إلّا أُولُو الألبابِ**﴾ ٢٦٩: أصحابُ العقول.

---

(١) المرضاة: الرضوان. والنفس أي: القلب والضمير. وابتدائية: يعني أن «مِن»: لابتداء الغاية المكانية. والمراد: تثبيتًا حاصلًا من أنفسهم لا من جهة أخرى. وبفتحها يريد القراءة «بِرَبْوةٍ». وبسكونها يريد القراءة «أُكْلَها». والأكل: مايؤكل من النتاج. ويصيبها: ينزل عليها. وتزكو: يزداد محصولها. وتعملون أي: تكسبونه وتتحملونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المدرك للأحداث باطنًا وظاهرًا.

(٢) النخيل: جمع نخل. وهو واحدته نخلة. وهي شجرة البلح والتمر. والأعناب: جمع عنب. والعنب واحدته عنبة. والمراد جميع أنواع الثمار بدليل ما يلي في الآية. وتجري: تسيل بسرعة. ومن تحتها أي: من تحت أشجارها. والأنهار: جمع نهر. والنهر: الماء العذب الجاري. وأصابه: حلّ به. والكبر: الشيخوخة. والضعفاء: جمع ضعيف. وعليه أي: على الكسب. وريح شديدة أي: تستدير على نفسها متلوّية، مع أصوات رهيبة، وترتفع كالعمود إلى السماء. ويقال لها زَوبعة. واحترقت أي: تدمرت الجنة بالنار وهلك مافيها. والعجزة: جمع عاجز. والنفي يعني أن ما ذكر لا يوده أحدهم ولايرضاه. و«هو» أي: التمثيل بما مضى. وكذلك أي: مِثلَ ذلك. ويُبين أي: يوضح توضيحًا كاملًا. فهو لم يكلفكم إلّا بعد التبيين. وما ذكر أي: من أمر النفقة المقبولة والباطلة. والآيات: العلامات التي يوصل بها إلى اتباع الحق. ولعلكم تتفكرون أي: ليرجى لكم أن تُعملوا أفكاركم فيما يفنى من الدنيا، وفيما هو باق لكم في الآخرة.

(٣) زكّوا أي :أدُّوا زكاة أموالكم. والطيبات: جمع طيب. وجياد أي: وحلال أيضًا. والجياد: جمع جيّد. وكسب: حصّل وجمع. والمال: مايملكه الإنسان من النقد والتجارة والمواشي. وأخرج: أظهر وأنبت. وتيمموا: تتيمموا. والآخذ: المتقبّل. وتؤدّون: تدفعون وتنفقون. واعلموا أي: دوموا على العلم. والغني: المستغني بذاته عما سواه. والحميد: المستحق للثناء دائمًا. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجن والإنس. ويعدكم: يخبركم. والفقر: قلة المال والحاجةُ إلى الآخرين. وتمسكوا أي: تبخلوا. وفيه حذف النون دون سبب واضح، وهو جائز. انظر «المفصل» وشواهد التوضيح والتصحيح ص ١٧٠-١٧٣. وفي تفسير ابن كثير: «لتمسكوا». ويأمر: يُلزِم ويكلف. والفحشاء: المعصية الشنيعة. ويعد: يتعهد وييسر. والمغفرة: الستر وعدم المؤاخذة. ومنه أي: من عنده وبأمره. والفضل: التفضل بالنعم. والخلَف: التعويض. ويؤتي: يعطي. والخير: مافيه منافع الدنيا والآخرة. والألباب: جمع لب. والعقول أي: السليمة الخالصة من متابعة الهوى.

الجزء الثالث سورة البقرة

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

نصف الحزب ٥

١- ﴿**وما أنفقتُم مِن نَفَقةٍ**﴾: أدّيتم من زكاة أو صدقة، ﴿**أو نَذَرتُم مِن نَذرٍ**﴾ فوفَيتم به، ﴿**فإنَّ اللهَ يَعلَمُهُ**﴾ فيجازيكم عليه. ﴿**وما لِلظّالِمِينَ**﴾ بمنع الزكاة والنذر، أو بوضع الإنفاق في غير محلّه من معاصي الله، ﴿**مِن أنصارٍ**﴾ ٢٧٠: مانعين لهم من عذابه.

﴿**إنْ تُبدُوا**﴾: تُظهروا ﴿**الصَّدَقاتِ**﴾ أي: النوافلَ ﴿**فنِعِمّا هِيَ**﴾ أي: نِعْمَ شيئًا إبداؤها! ﴿**وإنْ تُخفُوها**﴾: تُسِرّوها ﴿**وتُؤتُوها الفُقَراءَ فهُوَ خَيرٌ لَكُم**﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياءَ - أمّا صدقة الفرض فالأفضل إظهارها، ليُقتدَى به ولئلّا يُتّهَم، وإيتاؤها الفقراءَ مُتعيِّن - ﴿**ويُكفِّرُ**﴾ - بالياء، وبالنون مجزومًا بالعطف على محلّ «فهو»، ومرفوعًا على الاستئناف - ﴿**عَنكُم مِن**﴾ بعضِ ﴿**سَيِّئاتِكُم. واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ٢٧١: عالم بباطنه كظاهره، لا يخفى عليه شيء منه.

٢- ولمّا مَنَعَ رسولُ الله ﷺ من التصدّق على المشركين ليُسلِموا نزل: ﴿**لَيسَ علَيكَ هُداهُم**﴾ أي: الناسِ إلى الدخول في الإسلام، إنّما عليك البلاغ - ﴿**ولَكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشاءُ**﴾ هدايتَه إلى الدخول فيه - ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ**﴾: مال ﴿**فلِأنفُسِكُم**﴾، لأنّ ثوابه لَها، ﴿**وما تُنفِقُونَ إلّا ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ**﴾ أي: ثوابِهِ لا غيرِه من أعراض الدنيا، خبرٌ بمعنى النهي، ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إلَيكُم**﴾ جزاؤه، ﴿**وأنتُم لا تُظلَمُونَ**﴾ ٢٧٢: تُنقَصون منه شيئًا. والجملتان تأكيد للأولى.

٣- ﴿**لِلفُقَراءِ**﴾: خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: الصدقاتُ لهم، ﴿**الَّذِينَ أُحصِرُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: حَبَسوا أنفُسَهم على الجهاد - نزلتْ في أهل الصُّفّة، وهم أربعُمِائة من المهاجرين، أرصَدوا لتعلّم القرآن والخروج مع السرايا - ﴿**لا يَستَطِيعُونَ ضَربًا**﴾: سَفَرًا ﴿**في الأرضِ**﴾، للتجارة والمعاش لشُغلهم عنه بالجهاد، ﴿**يَحسِبُهُمُ الجاهِلُ**﴾ بحالهم ﴿**أغنِياءَ، مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ أي: لتعفّفِهم عن السؤال وتركِه، ﴿**تَعرِفُهُم**﴾ - يا مُخاطَبًا - ﴿**بِسِيماهُم**﴾: علامتِهم من التواضع وأثر الجَهد، ﴿**لا يَسألُونَ النّاسَ**﴾ شيئًا فيُلحِفون ﴿**إلحافًا**﴾ أي: لا سؤالَ لهم أصلًا، فلا يقع منهم إلحاف. وهو الإلحاح. ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ ٢٧٣، فمُجازٍ عليه. ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم بِاللَّيلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانِيَةً فلَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٢٧٤.

---

(١) النفقة: ما يصرف من المال في خير أو شر. فالحكم شامل، وتخصيصه بالزكاة والصدقة قول بعض المفسرين. والنذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه تطوعًا، لحدوث أمر مرغوب فيه أو دفع مكروه. ويعلمه: يحصيه ويحفظه للحساب. وهذا سبب للمجازاة، وفي إيراده إيجاز بديع. وكان ضمير المفعول مفردًا لأن العطف بـ «أو» التي هي لأحد الشيئين. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. والأنصار: جمع نصير. والنوافل: صدقات التطوع، مفردها نافلة. ونعما: مركبة من «نِعِمَ» و«ما». ونِعم أي: بلغ الغاية في الخير والفضل والنعيم. وإبداؤها: إظهارها للناس. وتسرّوها أي: تدفعوها سرًّا. وتؤتوها أي: تعطوها وتسلموها. والفقراء: جمع فقير. وهو المحتاج. و«هو» أي: إخفاؤها. وخير: أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. والفرض: الزكاة. ويقتدى به أي: بمن أظهر صدقة الفرض. ويكفّر: يستر ويغفر. وبالنون يريد القراءة «نُكفّر». ومحل فهو: يعني محل جزم جواب الشرط. والسيئة: ما قبحّه الشرع من الأعمال. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

(٢) التصدق: أداء صدقة التطوع. والمشركون: غير المسلمين. والهدى: التوفيق في الاسترشاد. والبلاغ: الإرشاد والحثُّ على المحاسن والنهيُ عن المقابح. ويهديه: يصرف اختياره ويوجّه قدراته إلى ما يناسب استعداده الحسن. ويشاء: يريد ويقضي. والخير: مافيه نفع الدنيا والآخرة. والمال أصله أن يكون كذلك. ولأنفسكم أي: ثوابه لكم. ونفس الإنسان: حقيقته وذاته. والابتغاء: الطلب والقصد. و«ثوابه» تأويل لـ «وجه الله» لا تفسير. والأولى أن يكون بالتفسير اللغوي، فوجه الله صفة من صفاته كما يليق بجلاله وعظمته، من دون تكييف أو تمثيل أو تقريب أو تعيين أو تعطيل. والأعراض: جمع عَرَض. وهو ما يحصل ويزول. وفي النسختين وبعض المطبوعات: «أغراض». ويوف: يوفر لكم ويؤدّ كاملًا.

(٣) الفقراء: جمع فقير. وهو الذي لا يملك ما يسد حاجته. وخبر: يعني أن الجار والمجرور «للفقراء»: متعلقان بالخبر المحذوف لمبتدأ تقديره: هي، أي: الصدقات المذكورة في الآية ٢٧١. وسبيل الله: ما شرعه من العلم والجهاد لإعلاء دينه ونصرته. والصُّفّة: مكان مظلل في مؤخرة مسجد المدينة المنورة. وأرصدوا أي: حبسوا أنفسهم. والسرايا: جمع سريّة. وهي الجيش يبعث به النبي ﷺ لحرب المعتدي من الكافرين أو لردعه. ويستطيعه: يقدر عليه ويتمكن منه. والضرب: وقع الأقدام، أي: الضرب بالأرجل للتصرف والعمل. ويحسبهم أي: يظنهم. والجاهل: غير المطلع بالمعرفة. والأغنياء: جمع غني. وهوالمكتفي بماله لا يحتاج إلى عون. والتعفف: الامتناع بتكلف عما لا يحل أو لا يجمل. وتعرفهم: تدرك ماهم فيه من الحاجة. والخطاب لكل سامع أو قارئ. والعلامة: الأثر الظاهر. والجهد: المشقة. ويسأل: يطلب العون والصدقة. والخير: المال. والأموال: جمع مال. وبالليل والنهار أي: في كل وقت بحسب ما يجب. والسر: الكتمان عن الآخَرين. والعلانية: الإظهار للناس. والأجر: الثواب. وعنده أي: في حكمه وقضائه. والخوف: الفزع مما سيكون. والحزن: الغم الشديد مما كان.

الجزء الثالث سورة البقرة

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

١- ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا**﴾ أي: يأخذونه - وهو الزيادة في المُعاملة بالنقود والمطعومات في القَدْر أو الأجَل - ﴿**لا يَقُومُونَ**﴾ من قبورهم ﴿**إلّا**﴾ قِيامًا ﴿**كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ**﴾: يَصرَعه ﴿**الشَّيطانُ، مِنَ المَسِّ**﴾ الجنون بهم، متعلّق بـ «يقومون». ﴿**ذلِكَ**﴾ الّذي نزل بهم ﴿**بِأنَّهُم**﴾: بسبب أنّهم ﴿**قالُوا: إنَّما البَيعُ مِثلُ الرِّبا**﴾ في الجواز. وهذا من عكس التشبيه مُبالغةً. فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿**وأحَلَّ اللهُ البَيعَ وحَرَّمَ الرِّبا. فمَن جاءَهُ**﴾: بَلَغه ﴿**مَوعِظَةٌ**﴾: وعظٌ ﴿**مِن رَبِّه، فانتَهَى**﴾ عن أكله، ﴿**فلَهُ ما سَلَفَ**﴾ قبلَ النهي أي لا يُستردّ منه، ﴿**وأمرُهُ**﴾ في العفو عنه ﴿**إلَى اللهِ، ومَن عادَ**﴾ إلى أكله مُشبِّهًا له بالبيع في الحِلّ ﴿**فأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢٧٥.

٢- ﴿**يَمحَقُ اللهُ الرِّبا**﴾: يُنقِصه ويُذهِب بركتَه، ﴿**ويُربِي الصَّدَقاتِ**﴾: يَزيدها ويُنمّيها ويُضاعف ثوابها، ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ**﴾ بتحليل الربا، ﴿**أثِيمٍ**﴾ ٢٧٦: فاجر بأكله أي: يُعاقبه. ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، لَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٢٧٧.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا**﴾: اتركوا ﴿**ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا، إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٢٧٨: صادقين في إيمانكم. فإنّ من شأن المؤمن امتثالَ أمر الله - نزلتْ لمّا طالب بعض الصحابة، بعد النهي، بربًا كان له قبلُ - ﴿**فإنْ لَم تَفعَلُوا**﴾ ما أُمرتم به ﴿**فائْذَنُوا**﴾: اعلَموا ﴿**بِحَربٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ**﴾ لكم - فيه تهديد شديد لهم. ولمّا نزلتْ قالوا: لا يَدَيْ لنا بحربه - ﴿**وإنْ تُبتُم**﴾: رجعتم عنه ﴿**فلَكُم رُؤُوسُ**﴾: أصولُ ﴿**أموالِكُم، لا تَظلِمُونَ**﴾ بزيادة، ﴿**ولا تُظلَمُونَ**﴾ ٢٧٩ بنقص.

٤- ﴿**وإنْ كانَ**﴾: وقعَ غريم ﴿**ذُو عُسرَةٍ فنَظِرَةٌ**﴾ له أي: عليكم تأخيرُه ﴿**إلَى مَيسَرَةٍ**﴾، بفتح السين وضمّها، أي: وقتِ يُسره، ﴿**وأنْ تَصَدَّقُوا**﴾ - بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها - أي: تتصدّقوا على المُعسر بالإبراء ﴿**خَيرٌ لَكُم، إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٢٨٠ أنّه خير فافعلوه. في الحديث «مَن أنظَرَ مُعسِرًا أو وَضَعَ عَنهُ أظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ» رواه مسلم. ﴿**واتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ**﴾ بالبناء

---

(١) المطعومات أي: وغيرها مما يصلح للمراباة. والقَدْر: ربا الفضل، أي: بيع الشيء بمثله مع زيادة للبائع. والأجل: ربا النسيئة أي التأجيل. وهو الزيادة المشروطة، يأخذها الدائن من المدين مقابل التأجيل. ويقومون: ينهضون بالبعث. وفي البيضاوي أن «يتخبطه الشيطان» وارد بناء على مايزعمه الجاهلون، من أن الشيطان يخبط الإنسان فيُصرع... والمس: الجنون. وهذا أيضًا من زعماتهم أن الجنّيّ يمسه فيختلط عقله. والبيع: إعطاء ما له ثمن وأخذ ثمنه، ويكون فيه ربح أو خسارة أو مماثلة. وأحلّه: جعله مباحًا وفيه خير. وحرّمه: منعه وجعل له عقابًا. والوعظ: الترهيب والتذكير بالعواقب. ومن ربه أي: من عنده بوحي أو بسُنّة. وانتهى: اتعظ واستجاب للنهي عن أخذ الربا. وسلف: حصل ومضى. وأمره أي: شأنه في الحساب والجزاء. وإلى الله أي: إلى حكمه وفضله. وعاد: رجع مخالفًا الموعظة ولم يمتنع. والصاحب: الملازم للشيء لا يفارقه. والخالد: المقيم أبدًا.

(٢) الصدقة: مايؤدَّى إلى الغير تقربًا إلى الله. ولا يحبه أي: يكرهه فلا يريد له الخير ويعاقبه. والكَفّار: الكثير الكفر مصرًّا على تحليل المحرمات. فليتق الله من يحللون بفتاوى باطلة بعض أنواع الربا أو تسلمها. والصالح: ما يرضاه الشرع. وأقاموها: أدّوها بواجباتها وأركانها وآدابها. وآتوها: دفعوها إلى مستحقيها. والأجر: المكافأة.

(٣) اتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. وما بقي أي: بقايا ما شرطتم. والإيمان: التصديق اليقيني. والامتثال: الاستجابة والطاعة. ونزلت أي: هاتان الآيتان. وبهذا صار الربا محرمًا تحريمًا قطعيًا، ملعونًا آكلُه ومؤكلُه. فمن يحلل شيئًا من ذلك يعرض المسلمين لحرب الله. وتفعلوا أي: تنفّذوا. وبه أي: بتقوى الله وترك الربا. والحرب: المحاربة والمخاصمة. ومن الله أي: من عنده بوقوع قتال وفتن في الدنيا، لأنكم كالمرتدين. ولايدي لنا أي: لا قدرة لنا على محاربة الله. وعنه أي: عن أكل الربا. ورأس الشيء: أصله. والأموال: جمع مال. وهو مايملك من النقد وغيره. وتَظلم: تعتدي. وبزيادة أي: بأخذها من المدين. وتُظلَم: يُعتدى عليك.

(٤) وقع أي: حصل. والغريم: الذي عليه الدين. وذو العسرة: صاحبها وملازمها. والعسرة: عدم القدرة لفقد المال. والنظرة: الصبر. وتصدّقوا: تتصدّقوا، أي: تتكرموا وتتفضلوا. وبحذفها يريد القراءة «تَصَدَّقُوا». والإبراء: الإعفاء من بعض الدين أو كله. وخير أي: أفضل من التأخير. وتعلم: تدرك وتعي. وافعلوه أي: تصدقوا بالإبراء. ووضع عنه أي: أعفاه وأبرأ ذمته مما عليه. والظل: ظل العرش. و«مسلم»: من تفسير ابن كثير ١: ٣١٤، حيث نُص على أن الحديث مما أخرجه الإمام أحمد. وانظر الحديث ٣٠٠٦ في مسلم. واتقوه أي: تجنبوا أهواله. واليوم: الوقت. وللمفعول أي: للمجهول. وللفاعل يريد القراءة «تَرجِعُونَ». وإلى الله أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. وتوفى: تعطى بالكمال. ولا يظلمون أي: لا يجار عليهم بالحساب أو الجزاء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ
كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ
مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

للمفعولِ: تُردّون، وللفاعلِ: تَصيرون **﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾** هو يوم القيامة، **﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾** فيه **﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾** جزاءَ **﴿مَا كَسَبَتْ﴾**: عملت من خير وشرّ، **﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** ٢٨١ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيّئة.

١ - **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾**: تعاملتم **﴿بِدَيْنٍ﴾** كسَلَم وقَرْضٍ، **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾**: معلوم، **﴿فَاكْتُبُوهُ﴾** استيثاقًا ودفعًا للنزاع، **﴿وَلْيَكْتُبْ﴾** كِتابَ الدَّين **﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾**: بالحقّ في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا يَنقُص، **﴿وَلَا يَأْبَ﴾**: يمتنعْ **﴿كَاتِبٌ﴾** من **﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾** إذا دُعي إليها، **﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾** أي: فضّله بالكتابة فلا يبخل بها - والكاف: متعلقة بـ«يأب» - **﴿فَلْيَكْتُبْ﴾** تأكيد، **﴿وَلْيُمْلِلِ﴾**: يُمِلَّ الكاتبَ **﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾**: الدَّينُ لأنه المشهود عليه فيُقِرّ ليُعلَم ما عليه، **﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾** في إملائه، **﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾**: يُنقِصْ **﴿مِنْهُ﴾** أي: الحقّ **﴿شَيْئًا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾**: مُبذّرًا، **﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾** عن الإملاء لصِغَر أو كِبَر، **﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾** لخَرَس أو جهل باللغة أو نحو ذلك، **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾**: متولّي أمره، من والد ووصيّ وقيّم ومترجم **﴿بِالْعَدْلِ﴾**.

٢ - **﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾**: أشهِدوا على الدَّين **﴿شَهِيدَيْنِ﴾**: شاهدين، **﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾** أي: بالِغِي المسلمين الأحرار، **﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾** أي: الشاهدان **﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾** يشهدون، **﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾** لدينه وعدالته، وتعدّدُ النساء لأجل **﴿أَنْ تَضِلَّ﴾** تنسى **﴿إِحْدَاهُمَا﴾** الشهادةَ لنقص عقلِهنّ وضبطهنّ **﴿فَتُذْكِرَ﴾** - بالتخفيف والتشديد - **﴿إِحْدَاهُمَا﴾** الذاكرةُ **﴿الْأُخْرَى﴾** الناسيةَ - وجملة الإذكار محلُّ العِلّة، أي: لِتُذكِرَ أن ضلّت. ودخلت على الضلال لأنّه سببه. وفي قراءة بكسر «إنْ» شرطيّةً ورفعِ «تُذَكِّرُ» استئنافٌ جوابُه - **﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ، إِذَا مَا﴾**: زائدة **﴿دُعُوا﴾** إلى تحمّل الشهادة وأدائها.

٣- **﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾**: تَمَلُّوا من **﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾** أي: ما شهدتم عليه من الحقّ لكثرة وقوع ذلك، **﴿صَغِيرًا﴾** كان **﴿أَوْ كَبِيرًا﴾**: قليلًا أو كثيرًا، **﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾**: وقتِ حلوله. حال من الهاء في «تكتبوه». **﴿ذَلِكُمْ﴾** أي: الكَتبُ **﴿أَقْسَطُ﴾**: أعدلُ **﴿عِنْدَ اللهِ، وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾** أي: أعوَنُ على إقامتها لأنّه يَذكرها، **﴿وَأَدْنَى﴾**: أقربُ إلى **﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾**: تشكّوا في قَدْر الحقّ والأجل.

٤- **﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾**: تقعَ **﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ﴾** - وفي قراءة بالنصب، فـ«تكونَ» ناقصةٌ واسمها ضمير التجارة - **﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾** أي: تقبضونها، ولا أجلَ فيها، **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في **﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾**. والمراد بها المُتَّجَرُ فيه. **﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾** عليه - فإنه أدفع للاختلاف. وهذا وما قبله أمرُ ندبٍ - **﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾** صاحبَ الحقّ ومَن عليه، بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، أو لا يَضُرَّهما صاحبُ الحقّ بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة. **﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾** ما نُهيتم عنه **﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾**: خروجٌ عن الطاعة لاحِقٌ **﴿بِكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ﴾** في أمره ونهيه. **﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾** مَصالِح أُموركم - حال مقدَّرة أو مستأنف - **﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** ٢٨٢.

---

(١) السلم: بيع شيء يُسلَّم آجلًا بثمن يُقبض عاجلًا. والقرض: ماتعطيه غيرك من المال على أن يرده إليك بعد زمن. والأجل: آخر وقت الشيء. واكتبوه أي: سجلوه في عقد موثق. وكاتب أي: إنسان متقن للكتابة. وإليها أي: إلى الكتابة. ويملل أي: يُسمِع المدينُ الكاتبَ الألفاظَ. والحق: الدين المذكور قبل. والضعيف: العاجز. ويستطيعه أي: يقدر عليه. والعدل: الصدق والحق.

(٢) الشهيد: الشاهد يقر صادقًا بما يعلم عند الحاجة. والبالغ: من بلغ سن الرشد. والأحرار: جمع حُرّ، أي: ليس مملوكًا. وترضون أي: تقبلون شهادته. والشهداء: جمع شهيد. وتعدد النساء أي: كونهن اثنتين مع رجل واحد. وإحداهما أي: الواحدة منهما. وتذكرها: تجعلها تستحضر ما نسيته. وبالتشديد يريد القراءة «فتُذَكِّرَ». والأُخرى: الثانية. ومحل العلة: يعني أن الغاية من تعدد النساء في الشهادة أن تذكر إحداهما الأُخرى حين تضلّ، لا أن تضل فتذكرها. والقراءة المذكورة هنا: «إنْ تَضِلَّ إحداهُما فتُذَكِّرُ». ويأبى: يرفض ويمتنع. وزائدة: يعني أن «ما»: حرف زائد معناه توكيد الإضافة.

(٣) ما شهدتم: يعني أن الخطاب للشهداء. والراجح أنه للمتعاملين بالدَّين، وهم المخاطبون في أول الآية. والكَتب: المصدر المؤول من «أن تكتبوه». وعند الله أي: في حكمه وعلمه. ويذكرها أي: ينص عليها.

(٤) التجارة: مايكون في معاملة البيع والشراء. والحاضرة: الحاصلة في مكان التبايع وزمانه. وبالنصب يريد «تِجارةً حاضِرةً». والأجل: التأجيل في تسليم المبيع أو الثمن. والجناح: الذنب. وبها أي: بالتجارة أوالمبايعة. وعليه أي: على التبايع. وما قبله يعني: ما في الآية من الأحكام. والندب: مافيه إرشاد إلى مصالح الدنيا وثواب الآخرة. و«مانهيتم عنه» صوابه قول ابن كثير في ١:٣١٨: «خالفتم ما أُمرتم به أو فعلتم مانُهيتم عنه». ويعلمكم: يبيّن ويوضح لكم. ومستأنف أي: اعتراض. وهو الصواب.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥

١- ﴿**وإنْ كُنتُم على سَفَرٍ**﴾ أي: مسافرين وتداينتم، ﴿**ولَم تَجِدُوا كاتِبًا، فرُهُنٌ**﴾ - وفي قراءة «فرِهانٌ» جمع رَهْن - ﴿**مَقبُوضةٌ**﴾ تستوثقون بها. وبيّنَتِ السُّنّةُ جوازَ الرَّهن في الحضرِ ووجودِ الكاتب. فالتقييد بما ذُكِر لأنّ التوثُّق فيه أشدّ. وأفاد قوله «مقبوضةٌ» اشتراطَ القبض في الرهن، والاكتفاءَ به من المُرتهِن ووكيله. ﴿**فإنْ أَمِنَ بَعضُكُم بَعضًا**﴾ أي: الدائنُ المَدينَ على حقّه، فلم يَرتهِن، ﴿**فلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ**﴾ أي: المَدينُ ﴿**أمانتَهُ**﴾: دَينَه، ﴿**ولْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ**﴾ في أدائه، ﴿**ولا تكتُمُوا الشَّهادةَ**﴾، إذا دُعيتم لإقامتها. ﴿**ومَن يَكتُمْها فإنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ**﴾. خُصّ بالذكرِ لأنّه محلّ الشهادة، وأنّه إذا أَثِم تبعه غيره، فيُعاقَب عليه مُعاقبةَ الآثمينَ. ﴿**واللهُ بِما تعمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ ٢٨٣، لا يخفى عليه شيء منه.

٢- ﴿**لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وإنْ تُبدُوا**﴾: تُظهِروا ﴿**ما في أنفُسِكُم**﴾ من السُّوءِ والعزمِ عليه، ﴿**أو تُخفُوهُ**﴾: تُسِرّوه، ﴿**يُحاسِبْكُم**﴾: يُخبِرْكم ﴿**بِهِ اللهُ**﴾ يوم القيامة، ﴿**فيَغفِرْ لِمَن يَشاءُ**﴾ المغفرَةَ له، ﴿**ويُعذِّبْ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبَه. والفعلانِ بالجزمِ عطفًا على جواب الشرط، والرفعِ أي: فهو. ﴿**واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٢٨٤، ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. ﴿**آمَنَ**﴾: صدَّقَ ﴿**الرَّسُولُ**﴾ محمّد ﴿**بِما أُنزِلَ إلَيهِ مِنَ رَبِّهِ**﴾ من القرآن، ﴿**والمُؤمِنُونَ**﴾: عطف عليه، ﴿**كُلٌّ**﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه ﴿**آمَنَ بِاللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ**﴾ - بالجمع والإفراد - ﴿**ورُسُلِهِ**﴾، يقولون: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِن رُسُلِهِ**﴾، فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كما فعل اليهود والنصارى. ﴿**وقالُوا: سَمِعْنا**﴾ أي: ما أُمِرنا به سماعَ قَبول ﴿**وأطَعْنا**﴾. نسألك ﴿**غُفرانَكَ - رَبَّنا - وإلَيكَ المَصِيرُ**﴾ ٢٨٥: المرجعُ بالبعث.

٣- ولمّا نزلت الآية قبلَها شكا المؤمنون من الوسوسة، وشقَّ عليهم المحاسبةُ بها، فنزل: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها**﴾ أي ما تَسَعُه قُدرتُها. ﴿**لَها ما كَسَبَتْ**﴾ من الخير أي: ثوابُه، ﴿**وعلَيها ما اكتَسَبَتْ**﴾ من الشرّ أي: وِزرُه. ولا يُؤاخَذُ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسِبه ممّا وسوستْ به نفسُه. قولوا: ﴿**رَبَّنا، لا تُؤاخِذْنا**﴾ بالعِقاب، ﴿**إنْ نَسِينا أو أخطأْنا**﴾: تركنا الصواب لا عن عمد، كما آخذتَ به مَن قبلَنا. وقد رَفع الله ذلك عن هذه الأُمّة، كما ورد في الحديث - فسؤاله اعتراف بنعمة الله - ﴿**رَبَّنا، ولا تَحمِلْ علَينا إصْرًا**﴾: أمرًا يثقُل علينا حَملُه، ﴿**كما حَمَلتَهُ على الَّذِينَ مِن قَبلِنا**﴾ أي: بني إسرائيل، من قتلِ النفس في التوبة وإخراجِ ربع المال في الزكاة وقرضِ موضع النجاسة، ﴿**رَبَّنا، ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقةَ**﴾: قوّةَ ﴿**لَنا بِهِ**﴾ من التكاليف والبلاء، ﴿**واعْفُ عَنّا**﴾: امحُ ذُنوبنا، ﴿**واغفِرْ لَنا وارحَمْنا**﴾. في الرحمة زيادة على المغفرة. ﴿**أنتَ مَولانا**﴾: سيّدنا ومتولّي أمورنا. ﴿**فانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ**﴾ ٢٨٦ بإقامةِ الحُجّة والغَلَبةِ في قتالهم. فإنّ مِن شأن المولى أن ينصر مَواليَه على الأعداء. وفي الحديث «لمّا نَزَلتْ هذهِ الآيةُ فقَرأها ﷺ قِيلَ له عَقِبَ كُلِّ كَلمةٍ: قَد فَعَلتُ».

---

(١) السفر: الرحلة والتنقل خارج الموطن. وتجد: تلقى وتصادف. والرَّهن: الشيء المرهون. والمقبوضة: يتسلمها صاحب الحق. وبيّنَتِ السُّنّة أي: أوضحت سُنّة النبي ﷺ. والحضر: الإقامة في الديار. والتقييد: الشرط المتقدم ذكره. وما ذكر أي: السفر وعدم وجود الكاتب. وفيه أي: في السفر. والاكتفاء به يعني: أنه يكتفى فيه بقبض صاحب الحق أو وكيله للرهن. والآثم: المذنب العاصي. وغيره أي: من أعضاء صاحبه. وتعملون أي: تكتسبونه. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة.

(٢) تظهروه أي: للآخرين قولًا أو فعلًا. والنفس: القلب والضمير. ويخبركم به أي: يطلعكم عليه ويعرفكم إياه. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ به. ويشاء: يريد. ويعذبه: يدخله نار جهنم. وبالرفع يريد القراءة «يَغفِرُ... ويُعَذِّبُ». وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل. ومن ربه أي: من عند ربه وبأمره. وبالإفراد يريد القراءة «وكِتابِهِ». ونفرق: نميّز في التصديق والإيمان. وأطعنا: استجبنا وامتثلنا للأمر والنهي. وربنا أي: ياربنا. وإليك أي: إلى لقاء حسابك.

(٣) قبلها أي: الآية ٢٨٤. والوسوسة: الخواطر الرديئة. وذكر المحاسبة على الوسوسة لا يناسب ماذكر قبل، من تقييد المحاسبة بالعزم على السوء. وقد بدا هذا الاضطراب لأن السيوطي لفق بين تفسير البيضاوي والوجيز. وتؤاخذُنا أي: تجازينا. والحديث هو قول النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ وَضَعَ عن أُمّتِي الخَطأَ والنِّسيانَ وما استُكرِهُوا علَيهِ». انظر «المفصل». وسؤاله أي: سؤال عدم المؤاخذة على ذلك. وتحمل علينا أي: توجب علينا. والمغفرة: ستر العيوب وعدم الفضيحة بالمؤاخذه. والرحمة: العطف بالإحسان. والدعوات في الآية سبع آخرها: انصرنا. والحديث هو تحت الرقم ٢٠٠ في مسلم. وانصرنا: أعنّا وغلّبنا. وقيل له أي: قال الله له. وعقب أي: بعد. وفعلت أي: قال الله للنبي ﷺ بعد كل كلمة من كلمات الدعوات: «قَد أَجَبتُ دُعاءَكَ ومَطلُوبَكَ».

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (ترتيبها ٣) (آياتها ٢٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

مدنية، مِائَتان أو إلّا آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**الٓمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿**اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ٢**، نَزَّلَ عليكَ**﴾ - يا محمّد - ﴿**الكِتابَ**﴾: القرآن مُلتبسًا ﴿**بالحَقِّ**﴾: بالصدق في أخباره، ﴿**مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ**﴾: قبلَه من الكُتب، ﴿**وأنزَلَ التَّوراةَ والإنجيلَ** ٣ **مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ تنزيله، ﴿**هُدًى**﴾: حال بمعنى: هادِيَين من الضلالة ﴿**لِلنّاسِ**﴾ ممّن تبعهما - وعَبّر فيهما بـ«أنزل» وفي القرآن بـ«نزّل» المقتضي للتكرير، لأنّهما أُنزلا دُفعة واحدة بخلافه - ﴿**وأنزَلَ الفُرقانَ**﴾ بمعنى الكُتب الفارقة بين الحقّ والباطل. وذَكَره بعد ذِكر الثلاثة ليعمّ ما عداها. ﴿**إنَّ الّذينَ كَفَروا بآياتِ اللهِ**﴾: القرآن وغيره ﴿**لَهُم عَذابٌ شَديدٌ، واللهُ عَزيزٌ**﴾: غالب على أمره، فلا يمنعه شيء من إنجاز وعيده ووعده، ﴿**ذُو انتِقامٍ**﴾ ٤: عقوبة شديدة ممّن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد.

٢- ﴿**إنَّ اللهَ لا يَخفَى علَيهِ شَيءٌ**﴾، كائن ﴿**في الأرضِ ولا في السَّماءِ**﴾ ٥، لعلمه بما يقع في العالم من كلّيّ وجزئيّ - وخصّهما بالذكر لأنّ الحسّ لا يتجاوزهما - ﴿**هُوَ الّذي يُصَوِّرُكُم في الأرحامِ، كَيفَ يَشاءُ**﴾ من ذُكورة وأُنوثة وبياض وسواد وغير ذلك؟ ﴿**لا إلَهَ إلّا هُوَ العَزيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكيمُ**﴾ ٦ في صُنعه، ﴿**هُوَ الّذي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ، مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ**﴾: واضحات الدلالة، ﴿**هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾: أصلُه المُعتمَد عليه في الأحكام، ﴿**وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ لا تُفهم معانيها، كأوائل السور. وجعله كلّه مُحكمًا في قوله «أُحكِمَتْ آياتُهُ» بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومُتشابهًا في قوله «كتابًا مُتَشابِهًا» بمعنى أنه يُشبه بعضه بعضًا في الحُسن والصِّدق. ﴿**فأمّا الّذينَ في قُلوبِهِم زَيغٌ**﴾: مَيل عن الحقّ ﴿**فيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**الفِتنَةِ**﴾، لحبّهم لها بوقوعهم في الشُّبهات واللَّبس، ﴿**وابتِغاءَ تأويلِهِ**﴾: تفسيره، ﴿**وما يَعلَمُ تأويلَهُ**﴾: تفسيره ﴿**إلّا اللهُ**﴾ وحده، ﴿**والرّاسِخونَ**﴾: الثابتون المتمكّنون ﴿**في العِلمِ**﴾: مبتدأ خبرُه ﴿**يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ**﴾ أي: بالمُتشابه أنّه من عند الله ولا نعلم معناه. ﴿**كُلٌّ**﴾ من المُحكَم والمُتشابِه ﴿**مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ**﴾ - بإدغام التاء في الأصل في الذال - أي: يتّعظ ﴿**إلّا أُولُو الألبابِ**﴾ ٧: أصحابُ العقول.

٣- ويقولون أيضًا إذا رأوا من يتّبعه: ﴿**رَبَّنا، لا تُزِغْ قُلُوبَنا**﴾: تُمِلْها عن الحقّ، بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغتَ قُلوب أولئك، ﴿**بَعدَ إذْ هَدَيتَنا**﴾: أرشدْتَنا إليه، ﴿**وهَبْ لَنا مِن لَدُنكَ**﴾: من عندك ﴿**رَحمَةً**﴾: تثبيتًا - ﴿**إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ**﴾ ٨ - يا ﴿**رَبَّنا، إنَّكَ جامِعُ النّاسِ**﴾: تجمعهم ﴿**لِيَومٍ**﴾ أي: في يوم ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فيهِ**﴾. هو يوم القيامة. فتُجازيهم بأعمالهم كما وعدتَ بذلك. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ**﴾ ٩: موعدَه بالبعث. فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى. والغرض من الدعاء بذلك بيان أنّ همّهم أمر الآخرة. ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.

٤- روى الشيخان عن عائشةَ قالت: «تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَةَ: هُوَ الّذِي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ، إلى آخِرِها، وقالَ: فإذا

---

(١) الإلٰه: المعبود بحق وحده. والحي: الدائم البقاء. والقيوم: المُبالغ في القيام بتدبير خلقه. ونزّل: أوحى على لسان جبريل. والتوراة: الكتاب المنزل على موسى، معناه الشريعة أو الناموس. والإنجيل: الكتاب المنزل على عيسى، معناه البشارة والخبر الكريم. والوعيد: التهديد بالعقاب. والوعد: التعهد بالخير. **(٢)** يخفى: يستتر. ويصوركم أي: يجعل لكم صورًا مجسَّمة وهيئات. والأرحام: جمع رَحِم. وهو وعاء الجنين في بطن الأنثى. وكيف يشاء أي: كيف يريد تصويركم؟ والعزيز: الغلاب لا يعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. و«لا تفهم» اختصار لعبارة المفسرينَ. والراجح أن المتشابهات لا يتيسر فهمها بسهولة، وهي تحتاج إلى التأمل والنظر في معانيها، ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها، ويبقى أمر التدارس والتأمل مع الزمن. و«قوله» في الآية ١ من سورة هود. و«كتابًا متشابهًا» في الآية ٢٣ من سورة الزمر. والقلوب: جمع قلب. وتشابه أي: لم يكن صريحًا في معناه. والفتنة: الضلال والصرف عن الصواب. والعلم: المعرفة اليقينية. وآمنا: صدقناه باعتقاد يقيني. ومعناه أي: الحقيقي الكامل مطلقًا. ومن عنده أي: من فضله ورحمته وبأمره. وانظر آخر الآية ٢٦٩ من سورة البقرة. **(٣)** القلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ وسائر الجسد بماء الحياة. وهب لنا أي: تفضل علينا. والرحمة: العطف بالإحسان. وتجمعهم أي: بالبعث قهرًا. وفيه أي: في مجيئه ووقوعه. ولا يخلف أي: يفي من دون تأخير أو إخلال. والميعاد: الوعد. وبذلك أي: بما في الآية. **(٤)** الشيخان: البخاري ومسلم. انظر «المفصل». وسمّى الله أي: عيّنهم بما في قلوبهم من الزيغ. والكبير: المعجم الكبير. وأبو مالك صحابي كريم. وانظر تفسير ابن كثير ١: ٣٢٧ والدر المنثور ٢: ٥. ورواية الحديث فيهما: «لا أخاف... وما يعلم تأويله». والخلال: جمع خَلّة. وهي الخَصلة والعادة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

رأَيتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ فأُولَئكَ الّذِينَ سَمَّى اللهُ. فاحذَرُوهُمُ». وروى الطبرانيّ في «الكبير» عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «ما أخافُ على أُمّتي إلّا ثَلاثَ خِلالٍ»، وذكر منها «أن يُفتحَ لهُمُ الكِتابُ فيأخُذَهُ المُؤمِنُ يَبتَغِي تأويلَهُ، ولَيسَ يَعلَمُ تأويلَهُ إلّا اللهُ. والرّاسِخُونَ في العِلمِ يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ إلّا أُولُو الألبابِ» الحديث.

١- ﴿إنَّ الّذِينَ كفَرُوا لَن تُغنيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنهُم أمْوالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿شيئًا! وأُولئِكَ هُم وَقُودُ النّارِ﴾ ١٠، بفتح الواو: ما يُوقد به، دأبُهم ﴿كدأْبِ﴾: كعادةِ ﴿آلِ فِرعَونَ، والّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم كعادٍ وثمودَ. ﴿كَذَّبُوا بآياتِنا، فأخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم﴾. والجملة مفسّرة لما قبلها. ﴿واللهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾ ١١.

٢- ونزل لمّا أمر رسول الله ﷺ اليهودَ بالإسلام مَرجِعَه من بدر، فقالوا له: «لا يَغرَّنّكَ أن قتلتَ نفرًا من قُرَيشٍ، أغمارًا لا يَعرفونَ القِتالَ»: ﴿قُلْ﴾ - يا محمّد - ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَتُغلَبُونَ﴾ - بالتاء والياء - في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك، ﴿وتُحشَرُونَ﴾ - بالوجهين - في الآخرة ﴿إلى جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها، ﴿وبِئسَ المِهادُ﴾ ١٢: الفراشُ هي! ﴿قَد كانَ لَكُم آيةٌ﴾: عِبرة - وذُكِّر الفِعل للفصل - ﴿في فِئَتَينِ﴾: فرقتين، ﴿التَقَتا﴾ يوم بدر للقتال، ﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعته - وهم النبيّ ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلثمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلًا، معهم فَرَسانِ وستُّ أدرُعٍ وثمانيةُ سُيوف، وأكثرهم رَجّالة - ﴿وأُخرَى كافِرةٌ، يَرَونَهُم﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِثلَيهِم﴾ أي: المسلمين أي: أكثرَ منهم، وكانوا نحوَ ألف، ﴿رأيَ العَينِ﴾ أي: رُؤيةً ظاهرةً مُعاينَةً. وقد نصرهم الله مع قلّتهم. ﴿واللهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقوّي ﴿بِنَصرِهِ مَن يَشاءُ﴾ نَصْرَه. ﴿إنَّ في ذٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبرَةً لِأُولِي الأبصارِ﴾ ١٣: لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

٣- ﴿زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ﴾: ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زيّنها اللهُ ابتلاءً أو الشيطانُ، ﴿مِنَ النِّساءِ والبَنِينَ، والقَناطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿المُقَنطَرَةِ﴾: المجمّعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ والفِضّةِ، والخَيلِ المُسَوَّمَةِ﴾: الحِسانِ، ﴿والأنعامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم، ﴿والحَرْثِ﴾: الزرع. ﴿ذٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾: يُتمتّع به فيها ثمّ يفنى، ﴿واللهُ عِندَهُ حُسنُ المآبِ﴾ ١٤: المَرجِع. وهو الجنّة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

٤- ﴿قُلْ﴾ - يا محمّد - لقومك: ﴿أَأُنَبِّئُكُم﴾: أأخبركم ﴿بِخَيرٍ مِن ذٰلِكُم﴾ المذكور من الشهوات؟ استفهام تقرير. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ ﴿عِندَ رَبِّهِم﴾: خبر مبتدؤه ﴿جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾ أي: مقدِّرين الخلودَ ﴿فِيها﴾ إذا دخلوها، ﴿وأزواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض

---

(١) المراد بالذين كفروا: جميع الذين يكذّبون شيئًا من الوحي أو الرسالة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: الذرية من البنين والبنات. والعادة أي: الحال التي اعتادها المذكورون. والآل: الجنود والأعوان. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ومعناه البيت العظيم، أصبح لقبًا لملوك مصر في القديم. وعاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. ومفسرة يعني أن جملة «كذبوا بآياتنا» تفسر: دأبهم كدأب. والشديد: القوي الهائل. والعقاب: الانتقام ممن عصاه.

(٢) مرجعه أي: وقت رجوعه. والنفر: العدد القليل. والأغمار: جمع غُمر. وهو الغافل. وتُغلبون: تقهرون. وبالياء يريد القراءة «سَيُغلَبُونَ». وبالوجهين أي: بالتاء للخطاب، وبالياء: «ويُحشَرُونَ» أي: يساقون بالبعث مجموعين. وجهنم: اسم علم للنار المعدة ليوم القيامة. وعبرة أي: عظة دالة. والتقتا: اصطدمتا للقتال. وتقاتل: تحارب بالسلاح. والسبيل: الطريق الواضح. والأدرع: جمع درع. والرجالة: جمع راجل. وهو الذي يمشي. وأُخرى أي: فئة ثانية غير المؤمنة. والكافرة: المكذبة تقاتل في سبيل الشيطان. والمِثل: المماثل في العدد. والنصر: العون. ويشاء: يريد. والعبرة: العظة تَعبُر بالجاهل إلى مرتبة العلم. وأولي أي: أصحاب. والأبصار: جمع بصر، أي: العقل والتبصر.

(٣) زين: جُمّل. وإنما ذكر هنا ما يخص الرجالَ، والنساءُ أشد وأظهر في التشهي لأكثر المذكور، ليكون شمولهنّ من باب الأَولى. والحب: الرغبة باندفاع. والشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده. والقناطير: جمع قِنطار. وهو مائة ألف دينار أو أكثر. والخيل: واحده خائل أي: الفرس. والحسان: جمع حسن وحسناء. والأنعام: جمع نَعَم. والحرث: مايُحرث ويُزرع. والمتاع: ما يُنتفع به. وعنده أي: فيما وعد من الثواب والإكرام. والمرجع: العاقبة الحميدة.

(٤) خير: أكثر نفعًا. واتقَوا: حَذِروا وتجنبوا بالطاعة والإخلاص. والخالد: المقيم أبدًا. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل بسرعة. ومن تحتها أي: من تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو ما يجري فيه الماء والعسل واللبن والخمر. والأزواج: جمع زوج. وانظر «المفصل» والآية ٢٥ من سورة البقرة. وبضمه يريد القراءة «ورُضوانٌ». واغفرها: استرها ولا تؤاخذ بها. وقنا أي: جنّبنا واكفِنا. وعن المعصية أي: عن قبولها أو فعلها. والأسحار: جمع سَحَر.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

وغيره ممّا يُستقذر، ﴿**وِرضْوانٌ**﴾ - بكسر أوّله وضمّه لغتانِ - أي: رضًا كثير ﴿**مِنَ اللهِ - واللهُ بَصِيرٌ**﴾: عالم ﴿**بِالعِبادِ**﴾ ١٥، فيُجازي كُلًّا منهم بعمله - ﴿**الَّذِينَ**﴾: نعت أو بدل مِن «الّذين» قبله ﴿**يَقُولُونَ**﴾: يا ﴿**رَبَّنا، إنَّنا آمَنّا**﴾: صدَّقنا بك وبرسولك. ﴿**فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النّارِ**١٦، **الصّابِرِينَ**﴾ على الطاعة وعن المعصية: نعت، ﴿**والصّادِقِينَ**﴾ في الإيمان، ﴿**والقانِتِينَ**﴾: المطيعين للهِ، ﴿**والمُنفِقِينَ**﴾: المتصدِّقين، ﴿**والمُستَغفِرِينَ**﴾ اللهَ بأن يقولوا: «اللّهمَّ اغفِرْ لنا» ﴿**بِالأسحارِ**﴾ ١٧: أواخرِ الليل. خُصّت بالذكر لأنّها وقتُ الغفلة ولذّة النوم.

١- ﴿**شَهِدَ اللهُ**﴾: بَيَّنَ لخَلقِه بالدلائل والآيات ﴿**أنَّهُ لا إلَهَ**﴾: معبودَ في الوجود بحقّ ﴿**إلّا هُوَ، و**﴾ شهد بذلك ﴿**المَلائكةُ**﴾ بالإقرار، ﴿**وأُولُو العِلمِ**﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ، ﴿**قائمًا**﴾ بتدبير مصنوعاته - ونصبُه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة أي: تفرّدَ - ﴿**بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**لا إلَهَ إلّا هُوَ**﴾ كرّره تأكيدًا، ﴿**العَزِيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ١٨ في صُنعه.

٢- ﴿**إنَّ الدِّينَ**﴾ المَرْضِيَّ ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ هو ﴿**الإسلامُ**﴾ أي: الشرعُ المبعوثُ به الرسل المبنيُّ على التوحيد - وفي قراءة بفتح «أنّ» بدل من «أنّه» إلى آخره بدل اشتمال - ﴿**وما اختَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾: اليهودُ والنصارى في الدين، بأن وحَّد بعض وكفر بعض، ﴿**إلّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ**﴾ بالتوحيد، ﴿**بَغْيًا**﴾ من الكافرين ﴿**بَينَهُمْ - ومَن يَكفُرْ بِآياتِ اللهِ فإنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ ١٩ أي: المُجازاةِ له - ﴿**فإنْ حاجُّوكَ**﴾: خاصمَك الكُفّار - يا محمّد - في الدين ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**أسلَمتُ وَجهِيْ لِلهِ**﴾: انقدت له أنا ﴿**ومَنِ اتَّبَعَنِي**﴾. وخُصّ الوجهُ بالذكر لشرفه، فغيره أولى. ﴿**وقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾: اليهودِ والنصارى ﴿**والأُمِّيِّينَ**﴾: مشركي العرب: ﴿**أأسلَمتُم**﴾؟ أي: أسلِموا. ﴿**فإنْ أسلَمُوا فقَدِ اهتَدَوا**﴾ من الضلال، ﴿**وإنْ تَوَلَّوا**﴾ عن الإسلام ﴿**فإنَّما عَلَيكَ البَلاغُ**﴾: التبليغ للرسالة. ﴿**واللهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ**﴾ ٢٠ فمجازيهم بأعمالهم. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

٣- ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ**﴾ - وفي قراءة «ويُقاتِلُونَ» - ﴿**النَّبِيِّينَ بِغَيرِ حَقٍّ، ويَقتُلُونَ الَّذِينَ يأمُرُونَ بِالقِسطِ**﴾: بالعدل ﴿**مِنَ النّاسِ**﴾ - وهم اليهود. رُوي أنّهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًّا، فنهاهم مِائة وسبعون من عُبّادهم فقتلوهم من يومهم - ﴿**فَبَشِّرْهُم**﴾: أعلِمْهم ﴿**بِعَذابٍ ألِيمٍ**﴾ ٢١: مؤلم، وذكرُ البشارة تهكّم بهم، ودخلت الفاء في خبر «إنّ» لشَبه اسمها الموصول بالشرط، ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ**﴾: بَطَلَتْ ﴿**أعمالُهُم**﴾: ما عملوا من خير، كصدقة وصلة رَحِم ﴿**في الدُّنيا والآخِرةِ**﴾، فلا اعتداد بها لعدم شرطها، ﴿**وما لَهُم مِن ناصِرِينَ**﴾ ٢٢: مانعين من العذاب.

---

(١) الملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والإقرار: الاعتراف بالقول. وأولو العلم: أصحاب العلم الحقيقي اليقيني. وقام به أي: نفّذه موفّيًا إياه حقه. ومعنى الجملة أي: أن جملة «لا إلٰه إلّا هو» معناها: تفرد. والمراد: تفرد قائمًا بالقسط. وتأكيدًا أي: توكيدًا لفظيًا لما في أول الآية. والعزيز: الغالب على أمره. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٢) الدين: الملة بما فيها من عقيدة وشريعة. والمرضي: المقبول. وعند الله أي: في علمه وحكمه. و«أنه» يعني ما في الآية ١٨. واختلف: تفرق واختصم. وأوتوه أي: أعطوه وكلفوا باتباعه. والكتاب: التوراة والإنجيل. وجاءهم: وصل إليهم وأدركوه. ويكفر بها أي: يجحدها وينكرها. والآيات: النصوص المقدسة والأدلة القاطعة. والوجه: مايواجَه به الآخرون من الرأس. وفي الدين أي: بعد قيام الحجة عليهم. وله أي: لأمره في جميع ما قضى وقدّر. واتبعني: وافقني واستجاب لي. وإنما رسمت الياء في تفسير الجلالين لبيان لفظ القراءة المختارة، ولأن النص منه في تفسير لا في المصحف الشريف. وأولى أي: أحق بالدخول فيما ذكر من الانقياد. يعني أن المرادَ بالإسلام انقياد النفس كلها، وذكرَ الوجه مجاز عن ذلك. والأميون: الذين لم يكن لهم كتاب إلٰهي. ومشركو العرب أي: وغيرهم. و«أسلموا» يعني أن الهمزة قبل الفعل هي استفهامية بمعنى الأمر، تلطفًا وتأنيسًا بالدعوة. واهتدَوا: استرشدوا وانتفعوا بالوعظ، وكان لهم السعادة والنعيم. وتولَوا: استمروا على الإعراض والامتناع. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. والعباد: جمع عبد.

(٣) يقتله أي: يزهق روحه بالسلاح. والحق: العدل. وبغير حق أي: بالباطل والبغي. ويأمر: يعظ ويوجب. ومن الناس أي: من غير الأنبياء. وهم اليهود يعني: الكافرين والقاتلين. والمراد هم اليهود في عصر النبوة، لأنهم رضوا بفعل أجدادهم، وحاولوا قتل النبي ﷺ مرارًا فعصمه الله منهم. وكذلك حكم اليهود في كل زمان ومكان. والأعمال: جمع عمل. وهو مايكتسبه الإنسان بقصد واختيار وعزم. وشرط قبول الأعمال عند الله هو الإسلام. والاعتداد: القبول والاعتبار الشرعي. وفي الآخرة لا يستحق الكافر ثوابًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ
فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

١- ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِنَ الكِتابِ﴾ التوراة، ﴿يُدْعَونَ﴾: حال، ﴿إلَى كِتابِ اللهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنهُم، وهُم مُعرِضُونَ﴾ ٢٣ عن قَبول حُكمه. نزل في اليهود، زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبيّ ﷺ، فحكم عليهما بالرجم فأبَوا، فجيء بالتوراة فوُجد فيها، فرُجما فغضبوا. ﴿ذٰلِكَ﴾ التولّي والإعراضُ ﴿بِأَنَّهُم قالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّامًا مَعدُوداتٍ﴾ أربعين يومًا مُدّةَ عبادة آبائهم العجلَ، ثمّ تَزولُ عنهم. ﴿وغَرَّهُم في دِينِهِم﴾: متعلّق بقوله ﴿ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ ٢٤ من قولهم ذلك. ﴿فكَيفَ﴾ حالُهم، ﴿إذا جَمَعْناهُم لِيَومٍ﴾ أي: في يوم ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ﴾ - هو يوم القيامة - ﴿ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهلِ الكتاب وغيرِهم جزاءَ ﴿ما كَسَبَتْ﴾: عمِلت من خير وشرّ، ﴿وهُم﴾ أي: الناس ﴿لا يُظلَمُونَ﴾ ٢٥ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيئة؟

٢- ونزل لمّا وَعَدَ النبيّ ﷺ أُمّتَه مُلكَ فارسَ والروم، فقال المنافقون: «هَيهاتَ»: ﴿قُلِ: اللّٰهُمَّ﴾: يا أللهُ ﴿مالِكَ المُلكِ، تُؤتِي﴾: تُعطي ﴿المُلكَ مَن تَشاءُ﴾ من خلقك، ﴿وتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاءُ، وتُعِزُّ مَن تَشاءُ﴾ بإيتائه، ﴿وتُذِلُّ مَن تَشاءُ﴾ بنزعه منه. ﴿بِيَدِكَ﴾: بقُدرتك ﴿الخَيرُ﴾ أي: والشرُّ. ﴿إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٦. ﴿تُولِجُ﴾: تُدخلُ ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ﴾: تُدخلُه ﴿في اللَّيلِ﴾، فيزيد كلّ منهما بما نقَص من الآخَر، ﴿وتُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾، كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة، ﴿وتُخرِجُ المَيْتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الحَيِّ، وتَرزُقُ مَن تَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾ ٢٧ أي: رزقًا واسِعًا.

٣- ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ أولِياءَ﴾ يُوالونهم، ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غيرَ ﴿المُؤمِنِينَ - ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ﴾ أي: يُوالِهم ﴿فلَيسَ مِنَ﴾ دِينِ ﴿اللهِ في شَيءٍ - إلّا أنْ تَتَّقُوا مِنهُم تُقاةً﴾: مصدر تَقَيتُه، أي: تخافوا مَخافة، فلكم موالاتُهم باللسان دُون القلب. وهذا قبل عِزّة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًّا فيها. ﴿ويُحَذِّرُكُمُ﴾: يُخوّفكم ﴿اللهُ نَفسَهُ﴾ أن يغضب عليكم، إن واليتموهم، ﴿وإلَى اللهِ المَصِيرُ﴾ ٢٨: المَرجع فيجازيكم - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنْ تُخفُوا ما في صُدُورِكُم﴾: قُلوبكم، من مُوالاتهم، ﴿أو تُبدُوهُ﴾: تُظهروه، ﴿يَعلَمْهُ اللهُ. و﴾ هو ﴿يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ. واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩، ومنه تعذيب مَن والاهم - اذكرْ ﴿يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ﴾ـه ﴿مِن خَيرٍ مُحضَرًا، وما عَمِلَتْ﴾ـه ﴿مِن سُوءٍ﴾: مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَو أنَّ بَينَها وبَينَهُ أمَدًا بَعِيدًا﴾: غايةً في نهاية البعد، فلا يصل إليها. ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ﴾ - كُرّر للتأكيد - ﴿واللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبادِ﴾ ٣٠.

---

(١) أوتوه أي: أنزل إليهم وكلفوا باتباعه. ويدعون: يُحَضّون ويُلجؤون. وحال: يعني أن جملة «يدعون» في محل نصب حال من «الذين». ويحكم: يفصل الحق من الباطل. ويتولى: يمتنع. والفريق: الجماعة. والمعرض: المنكر بقلبه. وحكمه أي: حكم التوراة. واثنان أي: رجل وامرأة محصَنان. ووجد فيها أي: حُكمُ الرجم. انظر «المفصل». وتمس: تصيب. والأيام: جمع يوم. والمعدودة: التي يمكن عدها لقلتها. وغرهم أي: خدعهم. والدين: الملة من عقيدة وشريعة. ومتعلق: يعني أن «في» متعلق بـ «يفترون» أي: يزعمونه من الأكاذيب والتضليل. وجمعناهم: حشرناهم بالبعث للحساب والجزاء. واليوم: الوقت. ووفيت: أعطيت بالكمال. والنفس: المخلوق ذو الروح من العاقلين. وعملت أي: باختيار وقصد وعزم. ويظلم: يجار عليه. **(٢)** انظر سبب النزول في المفصل. ووعدهم: بشرهم بما سيكون من الفتح والانتصار. والمالك: الحائز المتصرف النافذ الأمر. وتشاء: تريد. والمُلك: السلطان والغلبة. وتنزع: تسترد. وتعزه: تنصره على أعدائه. وتذله: تهينه. ويد الله: صفة من صفاته كما يليق بجلاله وعظمته، من دون تمثيل أو تقريب أو تعطيل. والخير: عز الدنيا والآخرة. وأفضله الإيمان. ولم يذكر الشر، وهو مفهوم بالسياق. والشيء: ماهو موجود أو ممكن وجوده. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته. وتخرجه: تكوّنه وتظهره. والحي: مَن في جسده روح. والميت: من فارقت روحه جسده. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًا من المنيّ. وهي ليست كائنًا حيًا، بل قابلة للنمو، إذا قدّر الله لها ذلك بالأسباب الملائمة. وكذلك البيضة من الكائن الحي. وترزقه: تعطيه ما يمتّعه ويزيّنه. وتشاء: تريد أن ترزقه. **(٣)** يتخذ: يجعل ويصيّر. والمراد بالكافرين هنا غير المسلمين، إذا كانوا محاربين أو مجاهرين بالعداوة كيدًا وإفسادًا وتحكمًا، أو مناصرين للعدو. أما غير هؤلاء فله المجاملة والبر، كما في الآيتين ٨ و٩ من سورة الممتحنة. والأولياء: جمع ولي. ومن الله أي: من دينه وولايته. وهذا أي: جواز الموالاة باللسان. ويجري: يجوز. وليس قويًا: يعني أن يكون الإسلام غير ظاهر أو نافذٍ حكمُه، كأن يكون الحكم بغير الإسلام، أو الحكومات غير إسلامية. ونفسه أي: ذاته من دون مشاكلة بالمخلوقات. والمرجع أي: بالبعث قهرًا بعد الموت. ولهم أي: للمؤمنين. وتخفوه أي: تستروه. والصدور: جمع صدر ، عُبِّرَ به عن القلب لأنه بعضه. ويعلمه أي: يحفظه عليكم ويطلعكم عليه. والسماء والأرض أي: مافيهما وما في غيرهما أيضًا مما يشاء. انظر تفسير الآية ٥. وتجد: ترى عِيانًا. والنفس: حقيقة الإنسان المكلف وذاته. وعملت أي: اكتسبته من نية وقول وفعل. والخير: ماينفع في الدنيا والآخرة. ومحضرًا: مجلوبًا غيرمنقوص. والسوء: ما يسيء إلى صاحبه وغيره. وتودّ: تحب. والأمد: المسافة الحاجزة. والرؤوف: الشديد الرحمة. والعباد: جمع عبد.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

١- ونزل لمّا قالوا: «ما نعبد الأصنام إلّا حُبًّا لله، ليُقرّبونا إليه»: ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمّد: ﴿إنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني، يُحبِبْكُمُ اللهُ﴾ بمعنى أنه يُثيبكم، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. واللهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتّبعني ما سلف منه قبل ذلك، ﴿رَحِيمٌ﴾ ٣١ به. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ﴾، فيما يأمركم به من التوحيد. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الطاعة ﴿فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾ ٣٢. فيه إقامة الظاهر مَقام المُضمر أي: لا يُحبّهم بمعنى أنه يُعاقبهم. ﴿إنَّ اللهَ اصطَفَى﴾: اختار ﴿آدَمَ ونُوحًا، وآلَ إبراهِيمَ وآلَ عِمرانَ﴾ بمعنى: أنفُسَهما ﴿على العالَمِينَ﴾ ٣٣، بجعل الأنبياء من نسلهم، ﴿ذُرِّيَّةً بَعضُها مِن﴾ ولدِ ﴿بَعضٍ﴾ منهم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤.

ربع الحزب ٦

٢- اذكرْ ﴿إذ قالَتِ امرأةُ عِمرانَ﴾ حَنّةُ، لمّا أسنَّت واشتاقت للولد، فدعَتِ اللهَ وأحسَّت بالحمل: يا ﴿رَبِّ، إنّي نَذَرتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ ما في بَطني مُحَرَّرًا﴾: عتيقًا، خالِصًا من شواغل الدنيا لخِدمة بيتك المُقدّس. ﴿فتَقَبَّلْ مِنِّي. إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ﴾ للدُّعاء، ﴿العَلِيمُ﴾ ٣٥ بالنيّات. وهَلَكَ عِمرانُ وهي حامِل. ﴿فلَمّا وَضَعَتْها﴾: ولَدَتْها جاريةً، وكانت ترجو أن يكون غلامًا إذ لم يكن يُحرَّرُ إلّا الغلمانُ، ﴿قالَتْ﴾ مُعتذرة: يا ﴿رَبِّ، إنّي وَضَعتُها أُنثَى - واللهُ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بما وَضَعَتْ﴾: جملةُ اعتراض من كلامه تعالى. وفي قراءة بضمّ التاء. ﴿ولَيسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبتْ ﴿كالأُنثَى﴾ التي وَهَبتُ، لأنّه يُقصد للخِدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه - ﴿وإنّي سَمَّيتُها مَريَمَ، وإنِّيَ أُعِيذُها بِكَ وذُرِّيَّتَها﴾: أولادَها ﴿مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾ ٣٦: المطرود. وفي الحديث «ما مِن مَولودٍ يُولَدُ إلّا مَسَّهُ الشَّيطانُ حِينَ يُولَدُ، فيَستهِلُّ صارِخًا [مِن مَسِّهِ إيّاهُ]، إلّا مَريَمَ وابنَها». رواه الشيخان.

٣- ﴿فتَقَبَّلَها رَبُّها﴾ أي: قَبِلَ مريمَ من أُمّها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وأنبَتَها نَباتًا حَسَنًا﴾: أنشأها بِخَلق حسن، فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام - وأتت بها أُمُّها الأحبارَ سَدَنَةَ بيت المقدس، فقالت: دُونكم هذه النذيرةَ. فتنافسوا فيها لأنّها بنت إمامهم، فقال زكريّاءُ: أنا أحقّ بها لأن خالتها عندي. فقالوا: لا حتّى نقترعَ. فانطلقوا، وهم تسعة وعشرون، إلى نهر الأُردُنّ وألقَوا أقلامهم، على أنّ مَن ثَبَتَ قلمه في الماء وصعِدَ فهو أولى بها. فثَبَتَ قلم زكريّاءَ فأخذها، وبنى لها غُرفة في المسجد بسُلَّم، لا يَصعد إليها غيره - وكان يأتيها بأكلها وشُربها ودُهنها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، كما قال تعالى ﴿وكَفَلَها زَكَرِيّاءُ﴾: ضمّها إليه. وفي قراءة بالتشديد ونصبِ «زكريّاء» ممدودًا

---

(١) الراجح أن سبب النزول هو الجواب لنصارى نجران، إذ قالوا في وفادتهم: «إنما نعظم المسيح ونعبده حبًا لله وتعظيمًا له». والخطاب يشمل أيضًا كل من ادعى محبة الله، وهو يخالف أمره. انظر «المفصل». والحب في المخلوق: ميل النفس إلى من أدركت فيه كمالًا، ويقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب إليه. واتبعوني أي: استجيبوا لي وأطيعوني. ويغفرُها: يمحوها من الصحف ولا يؤاخذ عليها. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية يكون عليها عقاب. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. وسلف: مضى. ورحيم أي: عظيم العطف بالإحسان. ويحبهم: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٣١. وأطيعوه أي: استجيبوا له. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وقد زعم اليهود أنهم على دين إبراهيم، والنصارى أن عيسى هو ابن الله، فنزلت هذه الآيات ردًّا عليهم، بأن إبراهيم كان قبل التوراةِ واليهوديةِ، وأن عيسى هو من ذرية البشر، ورسول كسائر المرسلين. البحر ٢:٤٣٤. وآدم: أبو البشر وأول الأنبياء. ونوح: النبي الرابع واسمه عبد الغفار. وكان قومه في جنوبي العراق. وعمران: أبو مريم. والعالَم: الجنس من الخلق. والعالمون: الإنس والجن من معاصري الأنبياء. والذرية: السلالة والنسل. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. (٢) المرأة: الزوجة. وحنة هيَ جدةُ عيسى - عليه الصلاة والسلام - من قِبَل أمه. ونذرتُ: أوجبت على نفسي. ولك أي: لأجل عبادتك. والبطن: مراد به الرحم. والمقدس أي: المطهر من الكفر والأصنام. والمراد هنا مكان العبادة. وتقبّل أي: خذ مانذرته على وجه الرضا والثواب. وهلك أي: تُوفِّيَ. والجارية: الأنثى من البشر. ووضعتُها أي: المولودةَ. وبضم التاء أي: «وَضَعْتُ». ومريم معناه العابدة المتبتلة. وأعيذها: أحصّنها وأجيرها. ويستهل: يرفع صوته. و«الشيخان» كذا. والحديث من تفسير ابن كثير ١:٣٣٩، لا من رواية الشيخين. انظر «المفصل». (٣) ما ذكر عن نمو مريم مبالغة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، تحتاج إلى نص شرعي موثق. والنبات الحسن: تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها. وبالتشديد يريد: «وكَفَّلَها زَكَرِيّاءَ»، و«زَكَرِيّا»، أي: جعله ضامنًا لمصالحها. والأحبار: جمع حَبر. وهو العالِم. والسدنة: جمع سادن. وهو الخادم. والنذيرة: المنذورة لخدمة المسجد. ودونكموها أي: خذوها فعلموها العبادة. والإمام: الرئيس. وعندي أي: زوجة لي. ونقترع: نستعمل القُرعة. وثبت: لم يغص. وذكر الفاكهة وصغر مريم و«من الجنة» هو من زيادات المفسرين، لم يرد في القرآن أو السُّنّة ما يؤيده. والراجح أن الرزق المذكور هو ما كان يقدمه إليها بعض الصالحين، وفيهم ابن عمها جريج. وفي البحر ٢:٤٤٣: «أن ذلك كان بعد أن كبرتْ، وهو أقرب للصواب». والمحراب: محل العبادة.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى
وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

ومقصورًا، والفاعلُ اللهُ، ﴿**كُلَّما دَخَلَ عليها زَكَرِيّاءُ المِحرابَ**﴾: الغُرفة - وهي أشرف المجالس - ﴿**وَجَدَ عِندَها رِزقًا. قالَ: يا مَريَمُ، أنّى**﴾: من أينَ ﴿**لَكِ هٰذا؟ قالَتْ**﴾ وهي صغيرة: ﴿**هُوَ مِن عِندِ اللهِ**﴾ يأتيني به من الجنّة. ﴿**إنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ٣٧ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

١- ﴿**هُنالِكَ**﴾ أي: لمّا رأى زكريّاءُ ذلك، وعلم أنّ القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكِبَر، وكان أهل بيته انقرضوا، ﴿**دَعا زَكَرِيّاءُ رَبَّهُ**﴾، لمّا دخل المِحراب للصلاة جوف الليل، ﴿**قالَ: رَبِّ، هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ**﴾: من عِندك ﴿**ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**﴾: ولدًا صالحًا. ﴿**إنَّكَ سَميعُ**﴾: مُجيبُ ﴿**الدُّعاءِ**﴾ ٣٨. ﴿**فنادَتهُ المَلائِكةُ**﴾ أي: جبريلُ، ﴿**وهُوَ قائمٌ يُصَلّي في المِحرابِ**﴾ أي: المسجد ﴿**أنَّ**﴾ أي: بأنّ - وفي قراءة بالكسر بتقدير القول - ﴿**اللهَ يُبَشِّرُكَ**﴾، مثقّلًا ومخفّفًا، ﴿**بِيَحيى مُصَدِّقًا بِكَلِمةٍ**﴾ كائنة ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ أي: بعيسى أنه روح الله - وسُمّي كلمة لأنّه خُلق بكلمة «كُن» -﴿ **وسَيِّدًا**﴾: متبوعًا، ﴿**وحَصُورًا**﴾: مَنُوعًا من النساء، ﴿**ونَبِيًّا مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٣٩. رُوي أنه لم يعمل خطيئة، ولم يَهِمّ بها.

٢- ﴿**قالَ: رَبِّ، أنّى**﴾: كيف ﴿**يَكُونُ لِي غُلامٌ**﴾: ولد، ﴿**وقَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ**﴾ أي: بلغتُ نهايةَ السنِّ مِائةً وعشرين سنة، ﴿**وامرأتِي عاقِرٌ**﴾ بلغتْ ثمانيَ وتسعين سنة؟ ﴿**قالَ**﴾: الأمر ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ مِن خلقِ غلام منكما. ﴿**اللهُ يَفعَلُ ما يَشاءُ**﴾ ٤٠ لا يُعجزه عنه شيء. ولإظهار هذه القُدرة العظيمة أَلهمَه السؤالَ ليُجابَ بها. ولمّا تاقت نفسه إلى سرعة المُبشَّر به ﴿**قالَ: رَبِّ، اجعَلْ لِيَ آيَةً**﴾ أي: علامة على حمل امرأتي. ﴿**قالَ: آيَتُكَ**﴾ عليه ﴿**ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ**﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم، بخلاف ذِكرِ الله تعالى، ﴿**ثَلاثةَ أيّامٍ**﴾ أي: بلياليها، ﴿**إلّا رَمزًا**﴾: إشارة. ﴿**واذكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا، وسَبِّحْ**﴾: صلِّ ﴿**بِالعَشِيِّ والإبكارِ**﴾ ٤١: أواخرِ النهار وأوائله.

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَتِ المَلائِكَةُ**﴾ أي: جبريلُ: ﴿**يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ اصطَفاكِ**﴾: اختاركِ ﴿**وطَهَّرَكِ**﴾ من مسيس الرجال، ﴿**واصطَفاكِ عَلى نِساءِ العالَمِينَ**﴾ ٤٢ أي: أهل زمانكِ. ﴿**يا مَريَمُ، اقنُتِي لِرَبِّكِ**﴾: أطيعيه، ﴿**واسجُدِي وارکَعِي مَعَ الرّاكِعِينَ**﴾ ٤٣ أي: صلّي مع المُصلّين. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ المذكور، من أمر زكريّاءَ ومريمَ، ﴿**مِن أنباءِ الغَيبِ**﴾: أخبار ما غاب عنك، ﴿**نُوحِيهِ إلَيكَ**﴾، يا محمّد، ﴿**وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يُلقُونَ أقلامَهُم**﴾ في الماء، يقترعون ليَظهر لهم ﴿**أيُّهُم يَكفُلُ**﴾: يُربّي ﴿**مَريَمَ؟ وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يَختَصِمُونَ**﴾ ٤٤ في كفالتها، فتعرفَ ذلك فتُخبِرَ به. وإنما عرفتَه من جهة الوحي.

٤- اذكرْ ﴿**إذ قالَتِ المَلائِكَةُ**﴾ أي جبريلُ: ﴿**يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ مِنهُ**﴾ أي: ولد ﴿**اسمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ**﴾ - خاطبها بنسبته إليها تنبيهًا على أنها تلده بلا أب، إذْ عادةُ الرجال نسبتُهم إلى آبائهم - ﴿**وَجِيهًا**﴾: ذا جاه، ﴿**في الدُّنيا**﴾ بالنبوّة ﴿**والآخِرَةِ**﴾ بالشفاعة والدرجات العُلا، ﴿**ومِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾ ٤٥ عند الله، ﴿**ويُكَلِّمُ النّاسَ في المَهدِ**﴾ أي: طفلًا قبل وقت الكلام ﴿**وكَهلًا، ومِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٤٦.

---

(١) علم أي: تنبه. وعلى الكبر أي: على الرغم من الشيخوخة. وانقرضوا أي: ذهبوا بالموت. وهب لي أي: امنحني وأحسن إليّ. والذرية: النسل. والسميع: المبالغ في إدراك المسموعات وما دونها. والدعاء: طلب العون. ونادته: دعته باسمه. ويصلي: يعبد الله ويدعوه. وبالكسر يريد القراءة: «إنّ». ومخففًا يريد القراءة «يَبْشُرُكَ» أي: يُبلّغك ما يَسرّك. وبيحيى أي: بولادته منك ومن زوجتك. واسمه معناه أنه يَحيى بالعلم اليقيني والإيمان. والمصدق: المؤمن بصدق عيسى في رسالته. وهو أول من آمن به. و«بعيسى» تفسير لـ «بكلمة». وروح يعني أنه سِرّ من عند الله، خلقه بدون وساطة أب. ومنوعًا أي: كثير المنع لنفسه من مضاجعتهن، مع قدرته وحاجته إلى ذلك. وفي الأصل وقرة العينين والصاوي وبعض المطبوعات: «ممنوعًا». والصالح: من يعمل مايرضي الله. ولم يهم بها أي: ولم يُردها ولم يقصدها. (٢) بلغني: أدركني. والعاقر: التي لا تحمل. و«ثمانيَ» صحيح. انظر «المفصل». والأمر أي: أمرك أنت وزوجتك. ويفعل: يُحدث ويبدع. ويشاء أي: يريد أن يفعله. وتاقت: اشتاقت. واجعل أي: صيِّرْ. وعليه أي: على حملها. وتكلمهم: تخاطبهم بكلام. وإشارة أي: باليد أو الرأس أو الجفن. واذكره: استحضر اسمه وعظمته. (٣) اختاركِ أي: بالفضل والإكرام. وطهرك: نزهك وأبعدك. ومسيس الرجال أي: الجماع وما يتصل به. والعالَم: الجنس من الخلق. والسجود والركوع: عُبِّرَ بهما عن الصلاة. والأنباء: جمع نبأ. ونوحي: نبلّغك على لسان جبريل. ولديهم أي: عند المتنازعين في كفالة مريم ومعهم. والأقلام: جمع قلم. وهو مايُكتب به. ويختصمون: يختلفون ويتنازعون. (٤) المسيح: معناه الميمون المبارك لما فيه من الخير. والدنيا: الحياة القريبة من البشر لأنهم فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والجاه: العز والشرف والسيادة. والمقرب أي: في علو المنزلة. وفي هذا أيضًا ما يتضمن رفعه إلى السماء. ويكلمهم: يخاطبهم بالكلام المسموع. والناس: البشر من حوله. والمهد: ما يهيأ للوليد ينام فيه. وطفلًا أي: قبل بلوغه عُمرَ من يتكلم من البشر. والكهل: مَن قارب الأربعين. والصالح: من يعمل ما يرضاه الله.

الجزء الثالث　　سورة آل عمران

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

١- ﴿**قالَتْ: رَبِّ، أنّى**﴾: كيف ﴿**يَكُونُ لِي وَلَدٌ، ولَم يَمسَسْني بَشَرٌ**﴾ بتزوّج ولا غيره؟ ﴿**قالَ**﴾: الأمر ﴿**كَذلِكِ**﴾ من خلق ولد منك بلا أب. ﴿**اللهُ يَخلُقُ ما يَشاءُ، إذا قَضى أمرًا**﴾: أراد خلقه ﴿**فإنَّما يَقولُ لَهُ: كُنْ. فَيَكونُ**﴾ ٤٧ أي: فهو يكون. ﴿**ونُعَلِّمُهُ**﴾ - بالنون والياء - ﴿**الكِتابَ**﴾: الخطّ، ﴿**والحِكْمَةَ والتَّوراةَ والإنجيلَ**﴾ ٤٨، و﴾ نجعله ﴿**رَسُولًا إلى بَني إسرائيلَ**﴾ في الصِّبا أو بعدَ البلوغ. فنفخ جبريلُ في جَيبِ دِرعها فحَملتْ، وكان من أمرها ما ذُكر في سورة «مريم».

٢- فلمّا بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم، ﴿**أنّي**﴾ أي: بأني ﴿**قد جِئتُكُم بِآيَةٍ**﴾: علامة على صدقي ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾، هي ﴿**أنّي**﴾ - وفي قِراءة بالكسر استئنافًا - ﴿**أخلُقُ**﴾: أصوّر ﴿**لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ**﴾: مثلَ صورته - فالكاف: اسمُ مفعولٌ - ﴿**فأنفُخُ فِيهِ**﴾ الضميرُ للكاف ﴿**فيَكونُ طَيرًا**﴾، وفي قراءةٍ: «طائرًا»، ﴿**بإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته - فخلق لهم الخُفّاش لأنه أكمل الطير خَلقًا، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعيُنهم سقط ميّتًا - ﴿**وأُبرِئُ**﴾: أشفي ﴿**الأكمَهَ**﴾: الذي وُلد أعمى ﴿**والأبرَصَ**﴾ - وخُصّا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثُه في زمن الطبّ، فأبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان - ﴿**وأُحيِي المَوتى بِإذنِ اللهِ**﴾ - كرّره لنفي توهّم الألوهيّة فيه. فأحيا عازرَ صديقًا له وابنَ العجوز وابنةَ العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسامَ بن نوح وماتَ في الحال - ﴿**وأُنَبِّئُكُم بِما تأكُلونَ، وما تَدَّخِرونَ**﴾: تخبَؤُون ﴿**في بُيُوتِكُم**﴾ ممّا لم أُعاينه. فكان يُخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لآيَةً لَكُم، إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ**﴾ ٤٩. و﴾ جئتكم ﴿**مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ**﴾: قبلي ﴿**مِنَ التَّوراةِ، ولأُحِلَّ لَكُم بَعضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيكُم**﴾ فيها - فأحلّ لهم من السمك والطير ما لا صِيصِيةَ له. وقيل: أحلّ الجميع، فبعض بمعنى: كلّ - ﴿**وجِئتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُم**﴾. كرّره تأكيدًا، وليُبنى عليه: ﴿**فاتَّقُوا اللهَ، وأطِيعُونِ**﴾ ٥٠ فيما آمُركم به من توحيد الله وطاعته. ﴿**إنَّ اللهَ رَبّي ورَبُّكُم، فاعبُدُوهُ. هٰذا**﴾ الذي آمركم به ﴿**صِراطٌ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٌ**﴾ ٥١. فكذّبوه ولم يؤمنوا به.

نصف الحزب ٦

٣- ﴿**فلَمّا أحَسَّ**﴾: عَلِمَ ﴿**عِيسى مِنهُمُ الكُفرَ**﴾، وأرادوا قتله، ﴿**قالَ: مَن أنصاري**﴾: أعواني ذاهبًا ﴿**إلَى اللهِ**﴾ لأنصر دينه؟ ﴿**قالَ الحَوارِيُّونَ: نَحنُ أنصارُ اللهِ**﴾: أعوان دينه - وهم أصفياء عيسى أوّلُ مَن آمنَ به، وكانوا اثني عَشَرَ من الحَوَرِ، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثياب أي: يُبيّضونها - ﴿**آمَنّا**﴾: صدّقنا ﴿**باللهِ. واشهَدْ**﴾ - يا عيسى - ﴿**بأنّا مُسلِمُونَ**﴾ ٥٢. ﴿**رَبَّنا، آمَنّا بِما أنزَلتَ**﴾ من الإنجيل، ﴿**واتَّبَعنا الرَّسُولَ**﴾ عيسى. ﴿**فاكتُبنا مَعَ الشّاهِدِينَ**﴾ ٥٣ لك بالوحدانيّة ولرسولك بالصِّدق.

---

(١) يمسسني أي: ينلني ناكحًا. والبشر: الإنسان الذكر. ويَخلق: يُوجِد وينشئ من العدم. والأمر: الشيء. وكن: احدث. ويكون: يَحدث. انظر الآية ١١٧ من سورة البقرة. وبالياء يريد القراءة «ويُعَلِّمُهُ» أي: وحيًا وإلهامًا وتدريبًا. والحكمة: وضع الأمور بعلم وإتقان. وجيب الدرع: ماينفتح على النحر من القميص. وحملت أي: بما صار جنينًا في الرحم. وسورة مريم أي: الآيات ١٦ - ٣٣ من تلك السورة.

(٢) جئتكم: حضرت لكم من عند الله. والآية أي: الآيات. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. وبالكسر يريد القراءة «إِنِّيَ أخلُقُ». وأصوّر أي: أُشكّل على مقدار معيّن. والطير: واحده طائر. والضمير أي: المتصل. والخفاش: الوطواط. والأبرص: الذي فيه البرص، بياض شديد يعتري جلد الإنسان. والإعياء: الإعجاز. يعني أنهما داءان يُعجزان الأطباء. وبشرط الإيمان: يعني أنه كان يشرط على من يشفيه أن يؤمن برسالته. وذكرُ العدد من الأساطير بلا نص موثق. وأحييه: أرد روحه إلى جسده. والموتى: جمع ميت. وعازر: رجل كان قد مات ودُفن. والعجوز: امرأة كانت في عهد عيسى. والعاشر: رجل كان يأخذ الإتاوات. والعشور: جمع عُشر. انظر «المفصل». وأنبئ: أُخبر عن طريق الوحي. والمذكور أي: من المعجزات. والمصدِّق: مَن يثبت ماكان من حقّ. وتصديق الصادق من صفات الأنبياء والصالحين. وأحله: أجعله حلالًا. وحُرّم: جُعل في التوراة حرامًا. والصيصية: كالشوكة الناتئة في ساق الطير. والآية: الدليل القاطع. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والمراد بالآية هنا ما سيقوله في الآية ٥١. واتقوه أي: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. وأطيعون أي: أطيعوني واستجيبوا لما جئتكم به. واعبدوه أي: قدّسوه وحدَه وأطيعوه. والمستقيم: المعتدل.

(٣) الكفر أي: ثباتهم على تكذيب الرسالته، وعدم تأثرهم بالآيات. وقال أي: للحواريين. انظر الآية ١٤ من سورة الصف. والأنصار: جمع نصير. وذاهبًا أي: متوجهًا. وإلى الله أي: إلى نصرة دينه. وقال أي: صرح بالقول. والحواريون: جمع حواريّ. وهو الناصر الخالص النية. وبالله أي: بوجوده ووحدانيته وجلاله. واشهدْ أي: كن شاهدًا لنا يوم القيامة. ومن الإنجيل أي: والتوراة. واتبعناه: وافقناه في كل ما يقول. واكتبنا أي: أثبِتْ أسماءنا برحمتك. ومع الشاهدين أي: مع أسمائهم واجعلنا فيما تكرمهم به.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

١- قال تعالى: ﴿**ومَكَرُوا**﴾ أي: كُفّارُ بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غِيلة، ﴿**ومَكَرَ اللهُ**﴾ بهم بأن ألقى شَبَهَ عيسى على من قصد قتله فقتلوه، ورُفع عيسى، ﴿**واللهُ خَيرُ الماكِرينَ**﴾ ٥٤: أعلمُهم به. اذكرْ ﴿**إذ قالَ اللهُ: يا عِيسَى، إنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾: قابضك، ﴿**ورافِعُكَ إليَّ**﴾ من الدنيا من غير موت، ﴿**ومُطَهِّرُكَ**﴾: مُبعدك ﴿**مِنَ الّذينَ كَفَرُوا، وجاعِلُ الّذينَ اتّبَعُوكَ**﴾: صدّقوا بنبُوّتك من المُسلمين والنصارى ﴿**فَوقَ الّذينَ كَفَرُوا**﴾ بك وهم اليهود، يَعلُونهم بالحُجّة والسيف ﴿**إلَى يَومِ القِيامةِ. ثُمّ إليَّ مَرجِعُكُم، فأحكُمُ بَينَكُم فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ ٥٥ من أمر الدين، ﴿**فأمّا الّذينَ كَفَرُوا فأُعَذِّبُهُم عَذابًا شَدِيدًا في الدُّنيا**﴾ بالقتل والسبي وأخذ الجزية، ﴿**والآخِرةِ**﴾ بالنار، ﴿**وما لَهُم مِن ناصِرينَ**﴾ ٥٦: مانعين منه، ﴿**وأمّا الّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم**﴾ - بالياء والنون - ﴿**أُجُورَهُم. واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ**﴾ ٥٧ أي: يُعاقبهم.

٢- رُوي أنّ الله أرسل إليه سحابة فرفعتْه، فتعلّقتْ به أُمّه وبكت، فقال لها: إنّ القِيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلةَ القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أُمّه بعده ستَّ سنين. وروى الشيخان حديث «أنّه يَنزِلُ قُربَ السّاعةِ ويَحكُمُ بِشَرِيعةِ نَبِيّنا، ويَقتُلُ الدَّجّالَ والخِنزيرَ ويَكسِرُ الصَّلِيبَ ويَضَعُ الجِزيةَ». وفي حديث مسلم أنّه يمكثُ سبعَ سنينَ - وفي حديثٍ عند أبي داودَ الطيالسيّ: أربعينَ سنة - ويُتوفّى ويُصلّى عليه. فيحتمل أنّ المُراد مجموع لَبثِه في الأرض قبل الرفع وبعده.

٣- ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿**نَتلُوهُ**﴾: نقصّه ﴿**عَلَيكَ**﴾ - يا محمّد - ﴿**مِنَ الآياتِ**﴾: حال من الهاء في «نتلوه» وعامله ما في «ذلك» من معنى الإشارة، ﴿**والذِّكرِ الحَكِيمِ**﴾ ٥٨ المُحكَم أي: القرآن. ﴿**إنّ مَثَلَ عِيسَى**﴾: شأنَه الغريبَ ﴿**عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾: كشأنه في خلقه من غير أب - وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطعَ للخصم وأوقع في النفس - ﴿**خَلَقَهُ**﴾ أي: آدمَ أي: قالبَهُ ﴿**مِن تُرابٍ، ثُمّ قالَ لَهُ: كُنْ**﴾ بشرًا. ﴿**فَيَكُونُ**﴾ ٥٩ أي: فكان. وكذلك عيسى قال له: كن من غير أب. فكان. ﴿**الحَقُّ مِن رَبِّكَ**﴾: خبرُ مبتدأ محذوف أي: أمرُ عيسى. ﴿**فلا تَكُنْ مِنَ المُمتَرِينَ**﴾ ٦٠: الشاكّين فيه.

٤- ﴿**فَمَن حاجَّكَ**﴾: جادلك من النصارى ﴿**فِيهِ، مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾ بأمرِهِ، ﴿**فَقُلْ**﴾ لهم: ﴿**تَعالَوا، نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم**﴾ فنجمعْهم، ﴿**ثُمّ نَبتَهِلْ**﴾: نتضرّعْ في الدعاء، ﴿**فنَجعَلْ لَعنَةَ اللهِ علَى الكاذِبِينَ**﴾ ٦١ بأن نقول: اللّهمّ العنِ الكاذبَ في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفدَ نجرانَ لذلك لمّا حاجُّوه فيه، فقالوا: حتّى ننظر في أمرنا ثمّ نأتيك. فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوّته، وأنه ما باهَلَ قومٌ نبيًّا إلّا هَلَكوا، فوادِعوا الرجلَ وانصرفوا. فأتَوهُ وقد خرج، ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ، وقال لهم: «إذا دَعَوتُ فأمِّنُوا». فأبَوا أن يُباهِلوا، وصالَحوه على الجِزية. وعن ابن عبّاس: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا. وفي رواية: لو خرجوا لاحترقوا.

---

(١) مكر: خدع ودبر المكايد بالخفاء. والغيلة: الاغتيال بخديعة. ومكرَ الله أي: أوصلَ كيده إلى مستحقه، وهو سترُ حقيقة صاحبهم. والراجح أن الشَّبه المذكور ألقي على أحد أنصار عيسى فصُلِب. انظر الآية ١٥٧ من سورة النساء وتفسير الآلوسي ٣:٢٨٣-٢٨٤. ولا يبعد أن بعض اليهود علموا أن المقتول هو غير عيسى، ولكنهم أشاعوا غير ماعلموا، للتضليل والإفساد. وقابضك أي: آخِذُك. ورافعك إليّ أي: ناقلك ومُصعِدك إلى محل كرامتي. ومن غير موت: المروي عن ابن عباس أن المعنى: مستوفي أجلك ومميتك حتف أنفك، لا أسلط عليك من يقتلك. انظر «المفصل». وجاعل أي: مصيّر. وإليّ أي: إلى لقاء حسابي. والمرجع: العودة بالحشر. وتختلفون: تختصمون. والشديد: القوي. وعمل: اكتسب من نية أو قول أوفعل. والصالح: مايرضاه الله. وبالنون يريد القراءة «فنُوَفِّيهِم» أي: نعطيهم عطاء غير منقوص. والأجور: جزاء أجورهم. ولا يحبهم أي: يبغضهم فلا يحسن إليهم، ويحب المؤمنين فيوفقهم ويرحمهم. والظالم: الكافر. **(٢)** بعض التفصيلات هنا غير ثابت بخبر موثق، وهو من أقوال النصارى. والشيخان: انظر «المفصل». ويقتل الخنزيرَ أي: يأمر بإعدامه. ويضع الجزية أي: يُبطلها وينسخ حكمها، لأنه لا يقبل إلّا الإسلام. وحديث مسلم هو في صحيحه تحت الرقم ٢٩٤٠. **(٣)** المذكور أي: في الآيات ٣٥-٥٧. والآيات: العلامات الدالة على صحة رسالتك. والذكر: مايذكِّر بالحق. والمحكم: الذي لا يتطرق إليه الخلل. وعند الله أي: في تقديره وحكمه. وأقطع للخصم أي: أقطع لحُجة من يخاصم في ذلك. وخلقه: كوّنه وأنشأه. والقالب: الجسد والصورة. والحق: الأمر الثابت أبدًا. **(٤)** من النصارى أي: نصارى نجران وغيرهم. وفيه أي: في الأمر الحقيقي لعيسى. وجاءك: أوحي إليك. والعلم أي: ما يوجب المعرفة إيجابًا قطعيًا بالآيات البينات. وتعالوا: هلموا وائتوا. وندعوهم: نطلبهم للاجتماع حقيقة أو بذكر أسمائهم. والأبناء: جمع ابن. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. والنفس حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ونجعل أي: نطلب الجعل والتصيير بالدعاء. ولعنة الله: الطرد من رحمته. والكاذب: من يقول غير الحق. وذو رأيهم أي: أُسقفُّهم وصاحب علمهم وأمرهم. وقال لهم أي: للأربعة المذكورين من أهله. وأمِّنوا أي: قولوا: آمين. وخرج الذين أي: خرجوا لِما طُلب منهم. ورجعوا أي: إلى ديارهم. وانظر المستدرك ٣:٢٦٧ وتفسير ابن كثير ١:٣٤٧-٣٥٠.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

١- ﴿**إنَّ هٰذا**﴾ المذكورَ ﴿**لَهْوَ القَصَصُ**﴾: الخبر ﴿**الحَقُّ**﴾: الذي لا شكّ فيه، ﴿**وما مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**إلَهٍ إلّا اللهُ، وإنَّ اللهَ لَهْوَ العَزيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٦٢ في صُنعه. ﴿**فإنْ تَولّوا**﴾: أعرضوا عن الإيمان ﴿**فإنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالمُفسِدِينَ**﴾ ٦٣، فيُجازيهم. وفيه وضع الظاهر موضع المُضمر. ﴿**قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ**﴾: اليهود والنصارى، ﴿**تعالَوا إلَى كَلِمةٍ سَواءٍ**﴾: مصدرٌ بمعنى مُستوٍ أمرُها ﴿**بَينَنا وبَينكُم**﴾، هي ﴿**ألّا نَعبُدَ إلّا اللهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا، ولا يَتَّخِذَ بَعضُنا بَعضًا أربابًا مِن دُونِ اللهِ**﴾ كما اتّخذتم الأحبار والرهبان. ﴿**فإنْ تَوَلَّوا**﴾: أعرضوا عن التوحيد ﴿**فقُولُوا**﴾ أنتم لهم: ﴿**اشهَدُوا بِأنّا مُسلِمُونَ**﴾ ٦٤: موحِّدون.

٢- ونزل، لمّا قال اليهود: «إبراهيم يهوديّ ونحن على دِينه»، وقالت النصارى كذلك، ﴿**يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تُحاجُّونَ**﴾: تُخاصِمون ﴿**في إبراهِيمَ**﴾ بزعمكم أنه على دينكم، ﴿**وما أُنزِلَتِ التَّوراةُ والإنجِيلُ إلّا مِن بَعدِهِ**﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهوديّة والنصرانيّة؟ ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ٦٥ بُطلانَ قولكم؟ ﴿**ها**﴾: للتنبيه ﴿**أنتُم**﴾: مبتدأ يا ﴿**هٰؤُلاءِ**﴾ والخبرُ: ﴿**حاجَجتُم فِيما لَكُم بِهِ عِلمٌ**﴾ من أمر موسى وعيسى، وزعمتم أنكم على دينهما. ﴿**فلِمَ تُحاجُّونَ فِيما ليسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ**﴾ من شأن إبراهيم؟ ﴿**واللهُ يَعلَمُ**﴾ شأنه، ﴿**وأنتُم لا تَعلَمُونَـ**﴾ ٦٦ـهُ. قال تعالى تبرئةً لإبراهيم: ﴿**ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا، ولٰكِنْ كانَ حَنِيفًا**﴾: مائلًا عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم، ﴿**مُسلِمًا**﴾: مُوحِّدًا، ﴿**وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ٦٧. ﴿**إنَّ أَولَى النّاسِ**﴾: أحقَّهم ﴿**بِإبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**﴾ في زمانه، ﴿**وهٰذا النَّبِيُّ**﴾ محمّد لمُوافقته له في أكثر شرعه، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من أُمَّته - فهم الذين ينبغي أن يقولوا: «نحن على دينه»، لا أنتم - ﴿**واللهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ**﴾ ٦٨: ناصرهم وحافظهم.

٣- ونزل، لمّا دعا اليهودُ مُعاذًا وحُذيفةَ وعمّارًا إلى دينهم: ﴿**وَدَّتْ طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو يُضِلُّونَكُم، وما يُضِلُّونَ إلّا أنفُسَهُم**﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ ٦٩ بذلك. ﴿**يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تكفُرُونَ بآياتِ اللهِ**﴾: القرآن المشتمل على نعت محمّد، ﴿**وأنتُم تَشهَدُونَ**﴾ ٧٠: تعلمون أنه حقّ؟ ﴿**يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَلبِسُونَ**﴾: تخلطون ﴿**الحَقَّ بِالباطِلِ**﴾ بالتحريف والتزوير، ﴿**وتكتُمُونَ الحَقَّ**﴾ أي: نعت النبيّ، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٧١ أنه حقّ؟

---

(١) المذكور أي: في الآيات من أخبار عيسى. وزائدة أي: حرف جر زائد معناه التنصيص على عموم النفي، لسلب الألوهية عما يُعبد من دون الله. والإلٰه: المعبود بحق وحده. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه معاند ويذل لعزته ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة البالغة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والمفسد: الداعي إلى الاضطراب والشر. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. وموضع المضمر: يعني أن قول «بالمفسدين» عوض من «بهم»، لبيان سبب التهديد بالمجازاة. وأهله: أصحابه المكلفون باتباعه. والكتاب أي: التوراة والإنجيل. وتعالوا أي: هلموا نجتمع ونتفق. والكلمة أي: الكلام. ومستو أمرها أي: هي عدل وإنصاف، فيما جاء به الأنبياء والكتب السماوية، لينصف كل منّا الآخَرَ. ونعبد: نقدس ونطيع طاعة مطلقة. ولا نشرك به: لا نجعل له شريكًا في الألوهية. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده أو متوهَّم. ويتخذ: يجعل. وبعضنا أي: الواحد منّا أو الأكثر. والأرباب: جمع رب. وهو المعبود. والمعنى: ألّايطيع بعضنا بعضًا في معصية الله. والأحبار: جمع حَبر. وهوالعالم عند اليهود. وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم: ماكنّا نعبدهم، يارسول الله. قال: «أليسَ كانُوا يُحِلُّونَ لَكُم ويُحَرِّمُونَ، فتأخُذُونَ بِقَولِهِم»؟ قال: نعم. قال: «هُوَ ذاكَ». وهذا ما عليه كثير من المسلمين الآن، يتقبلون فتاوى باطلة وتشريعات مستوردة ويعملون بها، خلافًا لأحكام الإسلام. وقولوا أي: أنت أيها الرسول والمؤمنون. واشهدوا أي: نحن نُقرّ ونعترف، فاعلموا واعترفوا دائمًا.

(٢) تنازع الفريقان عند الرسول ﷺ، فقال: «كِلا الفَرِيقَينِ بَرِيءٌ مِن إبراهِيمَ ودِينِهِ. بَل كانَ حَنِيفًا مُسلِمًا، وأنا على دِينِهِ، وأولَى النّاسِ بِهِ. فاتَّبِعُوا دِينَهُ الإسلامَ». ولكن أهل الكتاب أعرضوا ولم يستجيبوا، فنزلت الآيات ٦٤-٦٨. انظر «المفصل». وتُخاصمون أي: بعضكم بعضًا. وفي إبراهيم أي: في دينه وأتباعه. وأُنزلت: أُوحيت. وتعقلون أي: تستعملون عقولكم لتعُوا وتدركوا. وحاججتم: جادلتم وخاصمتم. والعلم: المعرفة لِما كان في التوراة والإنجيل. وزعمتم أي: ادعيتم من دون دليل قاطع. والعلم: الإدراك اليقيني. ويعلمه: يحيط به بالغ الإحاطة. والمشرك: من يجعل مع الله شريكًا له في الألوهية. وبإبراهيم أي: بدينه واتّباعه. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله.

(٣) ود: تمنى وأحب. والطائفة: الجماعة. ويضلونكم أي: يردونكم عن دينكم ويوقعونكم في الكفر. وما يضلون أي: ما يُفسدون ولا يؤثمون. ويشعر: يحس ويعلم. وبذلك أي: بأن الضلال هو مختص بهم. وقوله «القرآن المشتمل على نعت محمد» فيه خلل، صوابه في التلخيص: «القرآن وبيان نعت محمد». والمراد ببيان نعته هو ما جاء في التوراة والإنجيل، كما قال البيضاوي. وأنه حق أي: أنهم يشهدون بذلك فيما بينهم، إذا خلا الأحبار بعضهم إلى بعض، وينكرونه أمام الملأ. والحق: الصدق الذي أوحي على موسى وعيسى. والباطل: ما لا يثبت عند الاختبار، إذ لا أصل له في الواقع. وبالتحريف أي: بوساطة التغيير والتبديل، في التوراة والإنجيل. والتزوير: تزيين الكذب وتحسينه. وتكتم: تخفي. والحق: الأمر الثابت. وتعلم: تدرك وتعي باليقين.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

ثلاثة أرباع الحزب ٦

١- ﴿**وقالَتْ طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ اليهودِ لبعضهم: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: القرآنِ ﴿**وَجهَ النَّهارِ**﴾: أوّلَه، ﴿**واكفُرُوا**﴾ به ﴿**آخِرَهُ، لَعَلَّهُم**﴾ أي: المؤمنين ﴿**يَرجِعُونَ**﴾ ٧٢ عن دينهم - إذ يقولون: ما رَجَعَ هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه، وهم أولو عِلم، إلّا لعلمهم بُطلانَه - وقالوا أيضًا: ﴿**ولا تُؤمِنُوا**﴾: تُصدِّقوا ﴿**إلّا لِمَن**﴾ اللام زائدة ﴿**تَبِعَ**﴾: وافق ﴿**دِينَكُم**﴾ - قال تعالى: ﴿**قُلْ**﴾ لهم، يا محمّد: ﴿**إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ**﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال. والجملةُ اعتراض - ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**يُؤتَى أحَدٌ مِثلَ ما أُوتِيتُم**﴾ من الكِتاب والحِكمة والفضائل. وأنْ: مفعول «تؤمنوا»، والمُستثنى منه «أحد» قُدّم عليه المُستثنى. المعنى: لا تُقِرّوا بأن أحدًا يُؤتى ذلك إلّا مَن تبع دِينكم، ﴿**أو**﴾ أن ﴿**يُحاجُّوكُم**﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿**عِندَ رَبِّكُم**﴾ يوم القيامة لأنكم أصحّ دينًا. وفي قراءة: «أأنْ» بهمزة التوبيخ أي: أإيتاءُ أحدٍ مثلَه تُقِرّون به؟

٢- قال تعالى: ﴿**قُلْ: إنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ**﴾. فمِن أين لكم أنه لا يُؤتى أحد مِثلَ ما أوتيتم؟ ﴿**واللهُ واسِعٌ**﴾: كثير الفضل، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٧٣ بمن هو أهله، ﴿**يَختَصُّ بِرَحمَتِهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾ ٧٤.

٣- ﴿**ومِن أهلِ الكِتابِ مَن إنْ تأمَنْهُ بِقِنطارٍ**﴾ أي: بمال كثير ﴿**يُؤَدِّهِ إلَيكَ**﴾ لأمانته، كعبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفًا ومِائتَي أوقيّةٍ ذهبًا فأدّاها إليه، ﴿**ومِنهُم مَن إنْ تأمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيكَ**﴾ لخيانته، ﴿**إلّا ما دُمتَ عليهِ قائمًا**﴾ لا تفارقه. فمتى فارقته أنكره، ككعب بن الأشرف، استودعه قرشيّ دينارًا فجحده. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: تركُ الأداء ﴿**بِأنَّهُم قالُوا**﴾ بسبب قولهم: ﴿**لَيسَ علَينا في الأُمِّيِّينَ**﴾ أي: العربِ ﴿**سَبِيلٌ**﴾ أي: إثم. لاستحلالهم ظلمَ من خالفَ دِينهم، ونسبوه إليه تعالى. قال تعالى: ﴿**ويَقُولُونَ على اللهِ الكَذِبَ**﴾ في نِسبة ذلك إليه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ٧٥ أنهم كاذبون. ﴿**بَلَى**﴾ عليهم فيهم سبيل، ﴿**مَن أوفَى بِعَهدِهِ**﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره، ﴿**واتَّقَى**﴾ اللهَ بتركِ المعاصي وعملِ الطاعات، ﴿**فإنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾ ٧٦، فيه وضع الظاهر موضع المُضمر أي: يُحبّهم بمعنى: يُثيبهم.

٤- ونزل في اليهود، لمّا بدّلوا نعتَ النبيّ وعهدَ اللهِ إليهم في التوراة، أو فيمن حلف كاذبًا في دعوَى أو في بيع سِلعةٍ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَشتَرُونَ**﴾: يستبدلون ﴿**بِعَهدِ اللهِ**﴾ إليهم، في الإيمانِ بالنبيّ وأداءِ الأمانة، ﴿**وأيمانِهِم**﴾: حلفهم به - تعالى - كاذبًا، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدُّنيا، ﴿**أُولٰئِكَ لا خَلاقَ**﴾: نصيبَ ﴿**لَهُم في الآخِرةِ، ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ**﴾ غضبًا عليهم، ﴿**ولا يَنظُرُ إلَيهِم**﴾: يرحمهم ﴿**يَومَ القِيامةِ، ولا يُزَكِّيهِم**﴾: يُطهّرهم، ﴿**ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٧٧: مؤلم. ﴿**وإنَّ مِنهُم**﴾: أي: أهلِ الكتاب ﴿**لَفَرِيقًا**﴾: طائفة، ككعب بن الأشرف، ﴿**يَلْوُونَ ألسِنَتَهُم بِالكِتابِ**﴾ أي: يعطفونها

---

(١) الطائفة: الجماعة. والكتاب: التوراة. وآمِنوا أي: أظهِروا الإيمان والتصديق. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. واكفروا به: أنكروا أنه من عند الله. ويرجع: يرتد إلى الكفر أو الشرك. وزائدة: يعني أنها زائدة للفرق بين إيمان النجاة وإيمان التصديق. والهدى: الدلالة الحقيقية إلى الخير. واعتراض أي: أن «قل إن الهدى هدى الله» معترض بين «لاتؤمنوا» والمصدر المؤول من «أنْ» وما بعدها. ويؤتى: يعطى. ومثله أي: مماثله في الحق. وعند ربكم أي: عند لقاء ميعاد حسابه وجزائه.

(٢) الفضل: التفضل بالنعم. وبيد الله أي: هو في يده وحده. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد أن يؤتيه. والعليم: البالغ الإحاطة. وأهله: أهل الفضل. ويختص: يختار. والرحمة: العطف بالإحسان. وذوالفضل: صاحبه المتفرد به. والعظيم: الذي لا مثيل له.

(٣) أهل الكتاب: اليهود. والآية تعم كل أهل الكتاب. وتأمنه: تُودِع عنده. ورجل أي: من قريش. ويؤديه: يرده وقت الطلب. ودمت: بقيت. والقائم: الملحّ بالطلب. وكعب بن الأشرف: شاعر يهودي. والأميون: الذين ليس لهم كتاب سماوي. فهم ذكروا العرب للخلاف بينهم، ويريدون كل من خالف اليهودية، لأن اليهود يستحلون غيرهم دون شرط. وسبيل أي: طريق إلى الذم. ونسبوه أي: استحلالَ ظلم من خالفهم، فادعوا أنه حكم لهم في التوراة. ويقولون: يفترون. والكذب: ما هو مخالف للواقع. ويعلم: يدرك باليقين. وعليهم أي: على أهل الكتاب. وفيهم أي: في العرب وغيرهم. وأوفاه: أداه كاملًا دون إخلال. والعهد: ما يُتعهَّد به. واتقاه: تجنب غضبه وطلب رضاه. ويحبهم: يودّهم ويحسن إليهم بالإكرام.

(٤) لا مانع أن يكون للآية أكثر من سبب، غير أن العمدة ما ثَبَتَ في الصحيحين، وهو السببان الأخيران. انظر «المفصل». وعهد الله أي: ما ألزمه وأوجبه. والأيمان: جمع يمين. وكاذبًا أي: حالفًا غير صادق. والثمن: ما يؤخذ عوضًا من المبيع. ولا يكلمهم أي: يوكل بهم ملائكة العذاب. ويرحمهم أي: لا يرحمهم، يعني: لا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف. ويطهرهم أي: لا يطهرهم من الذنوب والآثام. والألسنة: جمع لسان، عُبِّر به عن القراءة لأنه آلتها. والكتاب: التوراة. وهو أي: ما حرّفوه وزوّروه. ومن عنده أي: من وحيه على موسى.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن
دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ
قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

بقراءته عن المُنزَل إلى ما حرّفوه، من نعت النبي ﷺ ونحوه، ﴿**لِتحسبُوهُ**﴾ أي: المُحرَّفَ ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ الذي أنزله الله، ﴿**وما هُوَ مِنَ الكِتابِ، ويَقُولُونَ: هُوَ مِن عِندِ اللهِ. وما هُوَ من عِندِ اللهِ، ويقولُونَ على اللهِ الكَذِبَ، وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ٧٨ أنهم كاذبون.

١- ونزل، لمّا قال نصارى نجران: «إنّ عيسى أمرَهم أن يتّخذوه ربًّا»، أو لمّا طلب بعض المسلمين السُّجود له ﷺ: ﴿**ما كانَ**﴾: ينبغي ﴿**لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكِتابَ والحُكمَ**﴾ أي: الفهمَ للشريعة ﴿**والنُّبُوّةَ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ: كُونُوا عِبادًا لي مِن دُونِ اللهِ. ولكِنْ**﴾ يقول: ﴿**كُونُوا رَبّانِيِّينَ**﴾: عُلماءَ عاملين - منسوب إلى الربّ بزيادة ألف ونون تفخيمًا - ﴿**بِما كُنتُم تعلَمُونَ**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**الكِتابَ وبِما كُنتُم تَدرُسُونَ**﴾ ٧٩ أي: بسبب ذلك: فإنّ فائدته أن تعملوا. ﴿**ولا يأمُرَكُم**﴾، بالرفع استئنافًا أي: الله، والنصبِ عطفًا على «يقولَ» أي: البشرُ ﴿**أنْ تَتّخِذُوا المَلائكَةَ والنَّبِيِّينَ أربابًا**﴾، كما اتّخذتِ الصابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عُزَيرًا، والنصارى عيسى. ﴿**أيأمُرُكُم بِالكُفرِ، بَعدَ إذ أنتُم مُسلِمُونَ**﴾ ٨٠؟ لا ينبغي له هذا.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ**﴾: حينَ ﴿**أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ**﴾: عهدَهم ﴿**لَما**﴾ - بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذِ الميثاقِ، وكسرها متعلّقةٌ بـ«أخذَ». وما: موصولة على الوجهين - أي: لَلّذي ﴿**آتَيتُكُم**﴾ إيّاه، وفي قراءة: «آتيناكُم»، ﴿**مِن كِتابٍ وحِكمةٍ، ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُم**﴾ من الكتاب والحِكمة - وهو محمّد - ﴿**لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ**﴾: جوابُ القسم، إن أدركتموه، وأممُهم تبَعٌ لهم في ذلك. ﴿**قالَ**﴾ تعالى لهم: ﴿**أأقرَرتُم**﴾ بذلك، ﴿**وأخَذتُم**﴾: قَبِلتم ﴿**على ذٰلِكُم إصرِي**﴾: عهدي؟ ﴿**قالُوا: أقرَرْنا. قالَ: فاشهَدُوا**﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك، ﴿**وأنا مَعَكُم مِنَ الشّاهِدِينَ**﴾ ٨١ عليكم وعليهم. ﴿**فَمَن تَوَلّى**﴾: أعرض ﴿**بَعدَ ذٰلِكَ**﴾ الميثاقِ ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ٨٢.

٣- ﴿**أفغيرَ دِينِ اللهِ يَبغُونَ**﴾ بالياءِ أي: المتولّون، والتاءِ، ﴿**ولَهُ أسلَمَ**﴾: انقاد ﴿**مَن في السَّماواتِ والأرضِ، طَوعًا**﴾: بلا إباء، ﴿**وكَرْهًا**﴾ بالسيفِ ومُعاينةِ ما يُلجئُ إليه، ﴿**وإليه تُرجَعُونَ**﴾؟ ٨٣ بالتاء والياء. والهمزةُ للإنكار. ﴿**قُلْ**﴾ لهم، يا محمّد: ﴿**آمَنّا باللهِ وما أُنزِلَ علَينا، وما أُنزِلَ على إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ**﴾: أولادِه، ﴿**وما أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم، لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم**﴾ بالتصديق

---

(١) السجود له أي: للنبي. ويؤتيه: يوحي إليه. والكتاب: ما يوحى من الآيات. والحكم هو الحكمة. والنبوة: التكليف بالعقيدة والشريعة دعوة وعملًا. وكونوا أي: صيروا. والعباد: جمع عبد. وهو العابد المؤلّه. وبالتشديد يريد القراءة «تُعَلِّمُونَ»، أي: تفسّرون وتوضّحون. وتدرس: تقرأ وتتابع الفهم. وذلك أي: العلم والدراسة. وبالنصب يريد القراءة: «ولايأمُرَكُم». وبها تكون «لا» زائدة لتوكيد نفي «ما كان»، ولبيان أن النفي يشمل الأمرين معًا وكلًّا منهما على حِدة. والاستفهام بالهمزة هو للنفي والتعجيب، أي: هذا مُحال ويدعو إلى العجب. والخطاب هنا للمؤمنين ونصارى نجران تعجيبًا ممن أراد السجود للنبي ﷺ، وممن ادعى تألّه عيسى. انظر تفسير الآلوسي ٣: ٣٣٤. والكفر: عبادة غير الله إشراكًا أو إفرادًا. والمسلم: المصدق لنبيه منقادًا للدين الحق.

(٢) اذكر أي: لقومك ولأهل الكتاب. وأخذه: تقبله وأثبته مؤكّدًا بالأيمان. وعهدهم أي: فيما كلفهم من النبوات والكتب المنزلة. وبكسرها يريد القراءة «لِما آتيتُكم». وآتى: أعطى. وقراءة «آتيناكُم» تَرِدُ مع فتح لام «لَما» فقط. وجاءكم: وصل إليكم وبلغكم. والرسول: من أُرسل بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والمصدق: المحقّق المثبّت. وتؤمن به: تصدّقه بيقين ثابت وتستجيب إليه. وتنصره: تعينه على عدوه بالدعوة والجهاد. والقسم أي: الذي دل عليه أخذ الميثاق في أول الآية. وأقررتم أي: اعترفتم. وأعرض أي: عن الإيمان بهذا الرسول ونصرته. والفاسق: من خرج عن الحق.

(٣) روي أن أهل الكتاب اختصموا إلى النبي ﷺ، في اتّباعهم دينَ إبراهيم، كل يدعي أنه من أتباعه. ولما نفى عنهم ذلك غضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولانأخذ بدينك. فنزل فيهم هذا. انظر «المفصل». والغير: المغاير. والدين: الملة أي: الإسلام بما فيه من العقيدة والشريعة. ويبغون: يطلبون. وبالتاء يريد القراءة «تَبغُونَ». وانقاد أي: بالإيمان أو الخضوع للسلطان، أو بهما معًا. والسماء: ما يحيط بالأرض. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وطوعًا أي: طائعًا. وكرهًا أي: مُكرَهًا مضطرًا. وله أي: إلى الإسلام، بالمعجزات القاهرة أو الانتقام الرباني الشديد. وترجعون أي: تُردّون بالبعث للحساب والجزاء. وإليه أي: إلى لقاء ما وعد به يوم القيامة. وبالياء يريد القراءة «يُرجَعُونَ» أي: مَن في السماوات والأرض. ولهم أي: لأهل الكتاب ممن يجادلك في الإيمان بالرسل. وآمنّا به أي: آمنتُ أنا والمسلمون بوحدانيته. وأُنزل: أُوحي من عند الله. والأسباط: جمع سِبط. وهم قبائل بني إسرائيل تفرعت من أولاده. وانظر الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

والتكذيب، ﴿وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ ٨٤ مخلصون في العبادة.

١- ونزل فيمن ارتدّ ولحق بالكفّار: ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ، وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾ ٨٥، لمصيره إلى النار المؤبّدة عليه. ﴿كَيفَ﴾ أي: لا ﴿يَهدِي اللهُ قَومًا كَفَرُوا، بَعدَ إِيمانِهِم وشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، و﴾ قد ﴿جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾: الحجج الظاهرات على صدق النبيّ، ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ ٨٦ أي: الكافرين؟ ﴿أُولئِكَ جَزاؤُهُم أَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أَجمَعِينَ﴾ ٨٧، ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ أي: اللعنةِ أو النار المدلولِ بها عليها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾ ٨٨: يُمهلون، ﴿إِلّا الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذٰلِكَ، وأَصلَحُوا﴾ عملَهم. ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ ٨٩ بهم.

٢- ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعدَ إِيمانِهِم﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾ بمحمّد، ﴿لَن تُقبَلَ تَوبَتُهُم﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفّارًا، ﴿وأُولئِكَ هُمُ الضّالُّونَ﴾ ٩٠. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا وهُم كُفّارٌ، فَلَن يُقبَلَ مِن أَحَدِهِم مِلءُ الأَرضِ﴾: مقدارُ ما يملؤها ﴿ذَهَبًا، ولَوِ افتَدَى بِهِ﴾ - أدخل الفاء في خبر «إنّ» لشبه «الذين» بالشرط، وإيذانًا بتسبّب عدم القبول عن الموت على الكفر - ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾ ٩١: مانعين منه. ﴿لَن تَنالُوا البِرَّ﴾ أي: ثوابَه - وهو الجنّة - ﴿حَتَّى تُنفِقُوا﴾: تَتَصدَّقوا ﴿مِمّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم، ﴿وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٢، فيُجازي عليه.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

---

(١) روي أن اثني عشر رجلًا مسلمًا ارتدوا ولحقوا بقريش، ثم كتب بعضهم إلى أهله: «هل لنا من توبة»؟ فنزلت الآيات ٨٥-٨٩ وفيها قبول التوبة، فرجعوا من الكفر إلى لإيمان. الدر المنثور ٢:٤٩ والبحر ٢:٥١٧-٥١٨. وانظر الواحدي ص ١٠٨-١١٠. ويبتغي: يطلب، أي: يدين ويتبع. والإسلام: الدين الإسلامي، بالتوحيد والاستسلام إلى الله والتفويض إليه. ويقبل منه أي: يرضى ويثاب عليه. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة. والخاسر: من ضيع ما كان ينتظر من الثواب واستحق العقاب. ولايهديه: لا يُمدّه ولا يوجّه قدراته بالدلالة الموصلة إلى الحق، لِما في اختياره من فساد وفي نفسه من الخبث. يعني أن الاستفهام للنفي، وهو أيضًا يفيد التعجيب والتهويل للكفر بعد الإيمان. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. وكفر: أنكر التوحيد والبعث. والإيمان: تصديق الله ورسوله. وشهد: أقرّ واعترف بقلبه ولسانه. وشهادتهم: يعني أن جملة شهدوا: معطوفة على المصدر «إيمان» في محل جر، وهي مؤولة بمصدر من دون حرف سابك. والرسول: من أُرسل للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل، وهو محمد ﷺ. وحق أي: صادق لا شك في رسالته. وجاءهم أي: وصل إليهم وبلّغهم. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أفظع شيء في ذلك. يعني: لا يوجّه إلى الحق مَن ظلم نفسه بالانهماك في الكفر والعصيان. فكيف بمن جاءه الحق وعرفه ثم ارتدّ عنه؟ وأولئك أي: المرتدون. والجزاء: المكافأة على العمل. واللعنة: الطردُ من الرحمة والدعاءُ بذلك. فهي تتضمن معنيين معًا، لإضافتها إلى الله وعطف الملائكة والناس عليه. فالرحمة من الأول، والدعاء من الملائكة والناس. والملائكة: جمع ملَك. وهم مخلوقون نورانيون معصومون مطهرون. والناس: البشر. فأل: جنسية للاستغراق الحقيقي في الموضعين. وأولاء: في محل رفع مبتدأ. وجزاء: مبتدأ ثان خبره المصدر المؤول من «أنّ». وهذه الجملة في محل رفع خبر: أولاء. والخالد: المقيم أبدًا. وبها أي: باللعنة. وعليها أي: على النار. أي: لأن عذاب النار من لوازم اللعنة. وفي الأصل: «عليها بها». ويخفف: يقلل وينقص. ولا يمهلون أي: لا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى آخر، بل ينزل بهم في حينه المعيّن. وتابوا: تركوا الكفر ورجعوا إلى الإيمان، طالبين المغفرة ومعاهدين على الثبات. وذلك أي: الارتداد. وأصلحه: طهره وجعله مما يرضاه الله. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثير الرحمة والعطف والعصمة للمؤمنين.

(٢) في اليهود أي: لكفرهم. يعنيَ: لاستمرار كفرهم بالأنبياء والرسل. انظر تفسير الطبري ٦:٥٧٨-٥٧٩ والدر المنثور ٢:٤٩. وكفروا: كذّبوا وأنكروا الرسالة والكتاب المنزل. والإيمان: التصديق بالقلب واللسان. وازداد: تضاعف. وتقبل: يرضى بها ليعفى ويغفر ما مضى. وغرغروا: وقعوا في الحشرجة وأشرفوا على الموت. والضالون: المتناهون في الخروج عن الحق إلى الكفر والعصيان. ومات: فارقت روحه جسده. والكفار: جمع كافر. وهو من كذّب الله ورسوله. وأحدهم: الواحد منه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وافتدى أي: استنقذ نفسه من العذاب. وتناله: تدركه وتحصّله. والبر: التقوى وعمل الخير. وتحبون أي: تفضلونه وترغبون فيه. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. وليس المقصود هو المال وحده، وإنما المراد كل ما يُبذل، كالعلم والوقت والجهد والنفس. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. والخطاب للمؤمنين. وفيما عدا الأصل وخ: «تصدقوا». والعليم: المبالغ في الإحاطة. وقوله «يجازي عليه» يعني أن هذه الجملة هي الجواب في التقدير، وما ذُكر في الآية هو سبب للجواب، أي: فيجازي عليه لأنه به عليم.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

١ - ونزل، لمّا قال اليهود: «إنّكَ تزعمُ أنك على مِلّة إبراهيمَ، وكان لا يأكل لُحومَ الإبلِ وألبانَها»: ﴿**كُلُّ الطَّعام كانَ حِلًّا**﴾: حَلالًا ﴿**لِبَني إسرائيلَ، إلّا ما حَرَّمَ إسرائيلُ**﴾: يعقوبُ ﴿**على نَفسِهِ**﴾ - وهو الإبل، لمّا حصَل له عِرقُ النَّسا، بالفتح والقصر، فنذر إن شُفي لا يأكلها فحُرّم عليهم - ﴿**مِن قَبلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوراةُ**﴾. وذلك بعد إبراهيم، ولم يكن على عهده حرامًا، كما زعموا. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**فائتُوا بالتَّوراةِ فاتلُوها**﴾، ليتبيّن صِدق قولكم، ﴿**إنْ كُنتُم صادِقِينَ**﴾ **٩٣** فيه. فبُهتوا ولم يأتوا بها. قال تعالى: ﴿**فمَن افترَى على اللهِ الكَذِبَ مِن بَعدِ ذلِكَ**﴾، أي: ظهورِ الحُجّة، بأنّ التحريم إنّما كان من جهة يعقوب، لا على عهد إبراهيم، ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ **٩٤**: المتجاوزون الحقَّ إلى الباطل. ﴿**قُلْ: صَدَقَ اللهُ**﴾ في هذا، كجميع ما أخبر به. ﴿**فاتَّبِعُوا مِلّةَ إبراهِيمَ**﴾ التي أنا عليها، ﴿**حَنِيفًا**﴾: مائلًا عن كلّ دِين إلى الإسلام، ﴿**وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ **٩٥**.

٢ - ونزل، لمّا قالوا: «قِبلتُنا قَبلَ قِبلتكم»: ﴿**إنَّ أوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ**﴾ مُتعبَّدًا ﴿**لِلنّاسِ**﴾ في الأرض ﴿**لَلَّذِي بِبَكّةَ**﴾ - بالباء لُغة في «مكّة» سُمّيتْ بذلك لأنّها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقّها. بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووُضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة، كما في حديث الصحيحين. وفي حديثٍ «أنّه أوّلُ ما ظهرَ على وجهِ الماءِ، عِندَ خَلْقِ السّماواتِ والأرضِ، زُبدةً بَيضاءَ، فدُحِيَتِ الأرضُ من تَحتِهِ» - ﴿**مُبارَكًا**﴾: حالٌ من «الذي» أي: ذا بركة، ﴿**وهُدًى لِلعالَمِينَ**﴾ **٩٦** لأنه قِبلتهم - ﴿**فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ**﴾، منها ﴿**مَقامُ إبراهِيمَ**﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثّرَ قدماه فيه، وبقي إلى الآنَ مع تطاوُلِ الزمان وتداوُلِ الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه وأنّ الطير لا يعلوه، ﴿**ومَن دَخَلَهُ كانَ آمِنًا**﴾: لا يُتعرَّض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك - ﴿**ولِلّهِ على النّاسِ حِجُّ البَيتِ**﴾ واجبٌ - بكسر الحاء وفتحها، لغتانِ في مصدر: حَجَّ، بمعنى: قَصَدَ - ويُبدَلُ من «الناس» ﴿**مَنِ استَطاعَ إلَيهِ سَبِيلًا**﴾: طريقًا، فسّره ﷺ بالزاد والراحلة. رواه الحاكم وغيره. ﴿**ومَن كَفَرَ**﴾ بالله أو بما فرضه من الحجّ ﴿**فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ**﴾ **٩٧**: الإنسِ والجنِّ والملائكة، وعن عِبادتهم. ﴿**قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَكفُرُونَ بآياتِ اللهِ**﴾: القرآن، ﴿**واللهُ شَهِيدٌ على ما تَعمَلُونَ**﴾ **٩٨**، فيُجازيكم عليه؟

٣ - ﴿**قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَصُدُّونَ**﴾: تصرِفون ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: عن دينه ﴿**مَن آمَنَ**﴾، بتكذيبكم النبيَّ وكتم نَعته، ﴿**تَبغُونَها**﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿**عِوَجًا**﴾: مصدرٌ بمعنى: مُعْوَجّة أي: مائلةً عن الحقّ، ﴿**وأنتُم شُهَداءُ**﴾: عالمون بأنّ الدين المَرْضِيَّ هو القيِّمُ دين الإسلام، كما في كتابكم؟ ﴿**وما اللهُ بغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ**﴾ **٩٩** من الكُفر والتكذيب، وإنّما يُؤخّركم إلى وقتكم فيُجازيكم. ونزل، لمّا مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفهم، فذكّرهم بما كان بينهم في الجاهليّة من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرِينَ**﴾ **١٠٠**، ﴿**وكَيفَ تَكفُرُونَ**﴾ - استفهام تعجيب وتوبيخ - ﴿**وأنتُم تُتلَى عَلَيكُم آياتُ اللهِ، وفِيكُم**

(١) الطعام: ما يؤكل أو يشرب. وبنو إسرائيل: اليهود. وحرّمه: جعله ممنوعًا. والإبل أي: لحومها وألبانها. وعرق النسا: عصب يمتد من الورك إلى الكعب. ويكون به مرض أليم جدًا. وتُنزل: تُوحى إلى موسى في الألواح. وذلك أي: التحريم. وائتوا بها أي: أحضروها. واتلوها: اقرؤوا مافيها. والصادق: من يقول الحق. وبهتوا: تحيروا وانقطعوا عن الجواب. وافتراه: اختلقه. وصدق الله: ثبت صدقُه وكذبُكم. واتبعوها: الزموها بالإيمان والعمل. والملة: الدين والشريعة. والمشرك: من يعبد مع الله غيره.

(٢) البيت: البناء المشيد. ومتعبدًا أي: مكانًا يُعبد فيه اللهُ. فالأولية التقدم للتعبد، لا التقدم في الزمن على بناء جميع البيوت. والصحيحين أي: الحديثين ٣١٨٦ في البخاري و٥٢٠ في مسلم. وليس في الحديث الشريف ذكر لعمل الملائكة، وإنما الثابت أن إبراهيم هو أول من رفع قواعد المسجد الحرام وبناه. والحديث الثالث ضعيف. انظر «المفصل». وأنه أي: مكان المسجد الحرام. ودحيت: مُدّتْ وبُسطتْ. وهدى أي: هاديًا. والعالَم: الجنس من الخلق. والبينة: الواضحة الدلالة. والمقام: موضع القيام. وهو الحجر المذكور. ودخله أي: دخل البيت الحرام. والآمن: البعيد من الأذى. وبفتحها يريد القراءة «حَجُّ». واستطاع: قَدَر وتمكن. والراحلة: ما يُركب. ورواه أي: روى الحديث المفسِّر لذلك. انظر «المفصل» أيضًا. والغني: المستغني بذاته وصفاته. والشهيد :العالم المطلع .

(٣) أهل الكتاب: اليهود والنصارى. والشهداء: جمع شهيد. والقيم: المقوّم لأمور الناس. والغافل: الساهي لا يعلم ما يكون. ووقتكم أي: وقت عقابكم. وانظر سبب النزول في المفصل. والفريق: الجماعة. وأوتوا: أُعطوا. ويردوكم أي: يجعلوكم. وتكفرون: يحصل منكم كفر، أي: فعلُ ما يناقض الإيمان والصلاح. وتتلى: تقرأ. ورسوله أي: من بعثه وكلفه بالدعوة والإرشاد. وبالله أي: بدينه وطاعته. وهُدي: أُرشد وصُرف. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل، وهو الإسلام، يوصِل إلى خير الدنيا والآخرة.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا
تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٨)

رَسُولُهُ؟ ومَن يَعتَصِمْ﴾: يتمسّكْ ﴿باللهِ فقَد هُدِيَ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ ١٠١.

١- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾ بـ«أن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُشكَرَ فلا يُكفَرَ، ويُذكَرَ فلا يُنسَى» - فقالوا: يا رسول الله، ومَن يقوى على هذا؟ فنُسخ بقوله تعالى: «فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُم» - ﴿ولا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمُونَ﴾ ١٠٢: موحّدون، ﴿واعتَصِمُوا﴾: تمسّكوا ﴿بِحَبلِ اللهِ﴾ أي: دِينه ﴿جَمِيعًا، ولا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام، ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ﴾: إنعامَه ﴿علَيكُم﴾- يا معشر الأوس والخزرج - ﴿إذ كُنتُم﴾ قبل الإسلام ﴿أعداءً، فألَّفَ﴾: جمعَ ﴿بَينَ قُلُوبِكُم﴾ بالإسلام، ﴿فأصبَحتُم﴾: فصِرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إخوانًا﴾ في الدِّين والولاية، ﴿وكُنتُم علَى شَفا﴾: طرفِ ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ﴾، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلّا أن تموتوا كُفّارًا، ﴿فأنقَذَكُم مِنها﴾ بالإيمان. ﴿كَذٰلِكَ﴾: كما بَيَّن لكم ما ذُكِر، ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تهتَدُونَ﴾ ١٠٣.

٢- ﴿ولْتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ، يَدعُونَ إلَى الخَيرِ﴾: الإسلام، ﴿ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ - وأُولئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ١٠٤: الفائزون، ومِن: للتبعيض، لأنّ ما ذُكر فرضُ كِفايةٍ لا يَلزم كلَّ الأُمّة، ولا يليق بكلّ أحد كالجاهل. وقيل: زائدة. أي: لتكونوا أُمّةً - ﴿ولا تكُونُوا كالَّذِينَ تفَرَّقُوا﴾ عن دينهم، ﴿واختَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾. وهم اليهود والنصارى. ﴿وأُولٰئِكَ لَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٠٥، ﴿يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهٌ وتَسوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فأمّا الَّذِينَ اسوَدَّتْ وُجُوهُهُم﴾ - وهم الكافرون - فيُلقَون في النار، ويُقال لهم توبيخًا: ﴿أكَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾ يومَ أخذِ الميثاقِ؟ ﴿فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تكفُرُونَ﴾ ١٠٦. ﴿وأمّا الَّذِينَ ابيَضَّتْ وُجُوهُهُم﴾ - وهم المؤمنون - ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾ أي: جَنّته، ﴿هُم فِيها خالِدُونَ﴾ ١٠٧.

٣- ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ اللهِ، نَتلُوها علَيكَ﴾ - يا محمّد - ﴿بِالحَقِّ. وما اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلعالَمِينَ﴾ ١٠٨، بأن يأخذهم بغير جُرم، ﴿ولِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ﴾: تَصِير ﴿الأُمُورُ﴾ ١٠٩.

---

(١) آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واتقوه أي: تجنبوا غضبه والزموا رضاه بلزوم الطاعة في الأمر والنهي. و«أن يطاع... فلا ينسى» حديث شريف صحيح على شرط البخاري ومسلم. المستدرك ٢: ٢٩٤ ومجمع الزوائد ٦: ٣٢٦ والكافي الشاف في حاشية الكشاف ١: ٣٩٤. وعن ابن عباس أن الآية لم تنسخ، وأن «ما استطعتم» بيان لقوله «حق تقاته». البحر ٣: ١٧ والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢: ١٢٨-١٣١. والنهي هو عن ترك الإسلام، وإن كان ظاهره عن الموت. والمراد: اثبتوا على الإسلام. والحبل: مايُربط به أو يتمسك به للنجاة. وجميعًا أي: مجتمعين على قلب واحد. ولاتفرقوا: لا تفرقوا، أي: لا تنقسموا فئات متخاصمة، والزموا الوحدة والوفاق. واذكروا أي: استحضروا في نفوسكم، واعملوا ما يلزم ذلك من حرص على النعم وشكر دائم باللسان والفعل. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي والمخاصم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة الخالص. والنعمة: الإنعام بالخير. والإخوان: جمع أخ، أي: متحابين متناصرين كالإخوة في النسب. وكنتم... أي: كانت حالكم قبل الإسلام كحال من وقف على طرف حفرة من النار، متهيئًا للسقوط فيها. والحفرة: المكان المحفور، أي: الهوة السحيقة. وأنقذكم: نجّاكم وخلّصكم. ومنها أي: من الوقوع في الحفرة. وما ذكر يعني: في الآيات المتقدمة، من الأحكام والحقائق. ويبين: يوضح. ولعلكم أي: ليكون لكم الترجي. وتهتدون أي: تدومون على الرشاد إلى الحق والخير.

(٢) لتكن أي: لتحصل وتوجد. والأمة: الجماعة. ويدعون: يوجهون ويحضون. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة، فسّره بالإسلام لأنه من لوازمه. ويأمر: يوجب ويلزم. والمعروف: ما حسن شرعًا وعقلًا. وينهى: يمنع ويدفع. والمنكر: ماقبّحه الشرع والعقل. وفرض الكفاية: ما يجب على الجميع، ويسقط عنهم بفعل بعضهم. وجعل «من» للتبعيض هو الأصح، لأن زيادتها تسبب إشكالًا بين المعنى والإعراب. انظر «المفصل». ولا تكونوا أي: لا تصيروا بعد الوحدة والاتفاق. وتفرقوا: انقسموا فئات متباينة. واختلفوا: تنازعوا واختصموا. وجاءهم: أتاهم. والمراد هو التوراة والإنجيل. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الهائل لا مثيل له. واليوم: الوقت. وتبيض: تصير نقية بالنور والسرور. والوجوه: جمع وجه. وهو أول ماتظهر عليه علائم الانفعال. وتسوَدّ: تصير سوداء بالكآبة والخوف. والكافرون: من أهل الكتاب وغيرهم. والتوبيخ: التعنيف والزجر. وكفر: كذب الله ورسوله بالتفرق والخلاف. والميثاق: العهد المؤكد للإيمان والتوحيد. وذوقوا: تحسسوا وكابدوا بكامل أجسامكم وأرواحكم. والرحمة: العطف بالعفو والإحسان، فسّر بالجنة لأنها كالمحل له. والخالد: المقيم أبدًا.

(٣) نتلوها أي: نبيّنها ونقرؤها على لسان جبريل. والحق: الصدق الذي لا شك فيه ولا اضطراب. ويريد: يقصد ويقضي. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. ومن ذلك أن يكون العذاب من دون جرم. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. ويأخذ: يعاقب. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأمور: جمع أمر، وهي شؤون الخلق كله.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

١- ﴿**كُنتُم**﴾ - يا أُمّة محمّد - في علم الله تعالى ﴿**خَيرَ أُمّةٍ، أُخرِجَتْ**﴾ أي: أُظهرت ﴿**لِلّناسِ، تأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وتنهَون عَنِ المُنكَرِ، وتُؤمِنُونَ بِاللهِ. ولَو آمَنَ أَهلُ الكِتابِ لَكانَ**﴾ الإيمان ﴿**خَيرًا لَهُم. مِنهُمُ المُؤمِنُونَ**﴾ كعبدِالله بن سلام وأصحابِه، ﴿**وأكثَرُهُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ١١٠: الكافرون. ﴿**لَن يَضُرُّوكُم**﴾ أي: اليهودُ - يا معشرَ المسلمين - بشيء ﴿**إلّا أذًى**﴾ باللسان من سبّ ووعيد، ﴿**وإنْ يُقاتِلُوكُم يُوَلُّوكُمُ الأدبارَ**﴾ منهزمين، ﴿**ثُمَّ لا يُنصَرُونَ**﴾ ١١١ عليكم. بل لكم النصر عليهم.

٢- ﴿**ضُرِبَتْ عليهِمِ الذِّلّةُ، أينَما ثُقِفُوا**﴾: حيثما وُجدوا، فلا عزَّ لهم ولا اعتصام ﴿**إلّا**﴾ كائنينَ ﴿**بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وحَبلٍ مِنَ النّاسِ**﴾: المؤمنين - وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية - أي: لا عِصمة لهم غيرُ ذلك، ﴿**وباؤُوا**﴾: رجَعوا ﴿**بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وضُرِبَتْ عليهِم المَسكَنَةُ. ذٰلِكَ بِأنَّهُم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ الأنبياءَ بِغَيرِ حَقٍّ. ذٰلِكَ**﴾: تأكيد ﴿**بِما عَصَوا**﴾ أمر الله، ﴿**وكانُوا يَعتَدُونَ**﴾ ١١٢: يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

ربع الحزب ٧

﴿**لَيسُوا**﴾ أي: أهلُ الكتاب ﴿**سَواءً**﴾: مُستوين. ﴿**مِن أهلِ الكِتابِ أُمّةٌ قائمةٌ**﴾: مُستقيمة ثابتة على الحقّ، كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿**يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيلِ**﴾ أي: في ساعاته، ﴿**وهُم يَسجُدُونَ**﴾ ١١٣: يُصَلُّون - حالٌ - ﴿**يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وينهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُسارِعُونَ في الخَيراتِ. وأُولٰئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ١١٤، ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين.

٣- ﴿**وما تَفعَلُوا**﴾ - بالتاء أيُّها الأُمّة، والياء أي: الأُمّةُ القائمة - ﴿**مِن خَيرٍ فلَن تُكفَرُوهُ**﴾. بالوجهين أي: تَعدَموا ثوابه، بل تُجازَون عليه. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ**﴾ ١١٥. ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغنِيَ**﴾: تدفعَ ﴿**عَنهُم أمْوالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ**﴾ أي: عذابِه ﴿**شَيئًا**﴾ - وخصّهما بالذكر لأنّ

---

(١) روي أن اليهود قالوا لبعض الصحابة: ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم. فنزلت الآية تكذبهم وتبين وجه الحق. تفسير الطبري ٧:١٠١. و«في علم الله» يعني: سيحصل ذلك حتمًا، فكونوا خير أمة. وخير أي: أفضل وأنفع. والأمة: الجماعة من الناس يجمعها دين واحد. وتؤمنون به أي: تعتقدون ألوهيته وتوحيده باليقين. وأهل الكتاب: أصحاب التوراة والإنجيل. وكان أي: صار. وخيرًا لهم أي: أكثر نفعًا من الإيمان بموسى وحده في زمانه. والفاسق: الخارج عن طاعة الله. ويضروكم أي: يؤذوكم. والأذى: الضرر اليسير، يكون لكم به أجر الجهاد والصبر. ويقاتل: يحارب بالسلاح وما يشبهه. ويولوكم أي: يوجهوا إليكم ويوكِلوا. والأدبار: جمع دبر. والمراد به هنا ظهورهم، وذكرت الأدبار للتشنيع والتهكم. وينصر: يعان ليتغلب على عدوه.

(٢) ضربت عليهم أي: أحاطت بهم ولزمتهم، كما تُضرب الرسوم والأشكال على النقد المسكوك والمطبوعات. والذلة: الاستخذاء والهوان للنفس. والعز: الغلبة والنصر. والاعتصام: الامتناع والحماية. وهذا هو ما يتصف به اليهود، ولو احتموا بكل سلاح. فهم لا يواجهون المسلمين بقتال حقيقي. وكائنين أي: حاصلين. وحبل من الله أي: العهد والذمة من عنده وبأمره. والمراد: أن يدخلوا في الإسلام فيكون لهم عهد الله. والناس: البشر من المسلمين وغيرهم. والمؤمنين: يعني أنه لا يكون لليهود طمأنينة إلّا إذا سالمهم المؤمنون. فهم خائفون مهددون في ذلة وصغار، وإن كان لهم ظاهر قوة، أوحماية من جماعات كافرة ذات سلطان، أو من سماسرة للقيم والشعوب. والغضب: السخط والانتقام. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والمسكنة: التذلل والتخضع والتشبه بالمساكين والعاجزين. وذلك أي: ما هم عليه من الجبن والخذلان والذل والمسكنة. ومستوين أي: في الصفات والأعمال. والأمة: الجماعة. ويتلون: يقرؤون ويرتلون في تهجدهم. والآناء: جمع أَنًى. وهو الوقت والزمن. والليل: مابين الغروب والفجر. ويسجد: يضع جبهته على الأرض خشوعًا وعبادة. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر عن الناس. ويسارعون أي: يبالغون في السرعة إلى أنواع الخير، مع كمال الرغبة والحرص. والخيرات: جمع خَيْرة. وهي الخصلة الكريمة النافعة في الدارين. وما ذكر أي: من صفات كريمة في الآيتين. والصالحون: الذين صلَحت أحوالهم عند الله - تعالى - واستحقوا رضاه وثناءه.

(٣) تفعلوا أي: تكتسبوا من نية أو قول أوعمل. وأيها الأمة: يعني أن الخطاب للمسلمين. وبالياء يريد القراءة «وما يَفعَلُوا». والأمة القائمة هي المذكورة في الآية ١١٣. وبالوجهين يريد قراءةً بالتاء كما أثبتنا، وثانيةً بالياء: «يُكفَرُوهُ». وكل منهما مع ما يناسبها من القراءتين قبل. والعليم: البالغ الاطلاع. والمتقون: من يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. وعليم بهم أي: محيط بما يعملون ومجازيهم على تقواهم. والذين كفروا: المشركون وأهل الكتاب والمجوس والملحدون. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد ، وهم الذكور والإناث. وخصهما يعني: الأموال والأولاد. وفداء المال: التضحية به لاستنقاذ النفس من الشدائد. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لا يفارقه. والخالد: المقيم أبدًا. وصفة: يعني الصفة العجيبة تذكر للاعتبار. وينفقون أي: يبذلونه للمفاخرة ودفع الناس عن الإيمان. والريح: الهواء المتحرك بشدة. وأصابته: نزلت به. والحرث: المحروث. والزرع: المزروع. وظلموها: جاروا عليها وسببوا لها الخسارة والعقاب. ونفس الإنسان: حقيقته وشخصه. وأهلكته: دمرته وأتلفته. ولا ينتفعون بها أي: وتكون سببًا لتدمير غيرها من الأعمال.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد - ﴿**وأُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ ١١٦، مَثَلُ**﴾: صفةُ ﴿**ما يُنفِقُونَ**﴾ أي: الكُفّارُ، ﴿**في هٰذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾، في عداوةِ النبيّ أو صدقةٍ ونحوِها، ﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ**﴾: حَرّ أو برد شديد، ﴿**أصابَتْ حَرْثَ**﴾: زرعَ ﴿**قومٍ، ظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بالكُفر والمعصية، ﴿**فأهلَكَتْهُ**﴾ فلم ينتفعوا به. فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها. ﴿**وما ظَلَمَهُمُ اللهُ**﴾ بضياع نفقاتهم، ﴿**ولٰكِنْ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ١١٧ بالكفر المُوجب لضياعها.

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا بِطانةً**﴾: أصفياءَ تُطلعونهم على سِرّكم ﴿**مِن دُونِكُم**﴾ أي: غيرَكُم من اليهود والنصارى والمنافقين. ﴿**لا يألُونَكُم خَبالًا**﴾ - نُصب بنزع الخافض - أي: لا يُقصّرون جُهدَهم لكم في الفساد، ﴿**وَدُّوا**﴾: تمنَّوا ﴿**ما عَنِتُّم**﴾ أي: عَنَتَكُم - وهو شِدّة الضرر - ﴿**قَد بَدَتِ**﴾: ظهرتِ ﴿**البَغضاءُ**﴾: العداوةُ لكم ﴿**مِن أفواهِهِم**﴾، بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سِرّكم، ﴿**وما تُخفِي صُدُورُهُم**﴾ من العداوة ﴿**أكبَرُ. قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ**﴾ على عداوتهم، ﴿**إنْ كُنتُم تعقِلُونَ**﴾ ١١٨ ذلك فلا تُوالُوهم.

٢- ﴿**ها**﴾: للتنبيه ﴿**أنتُم**﴾ يا ﴿**أُولاءِ**﴾ المؤمنين ﴿**تُحِبُّونَهُم**﴾، لقرابتهم منكم وصداقتهم، ﴿**ولا يُحِبُّونَكُم**﴾ لمخالفتهم لكم في الدين، ﴿**وتُؤمِنُونَ بِالكِتابِ كُلِّهِ**﴾ أي: بالكُتب كلّها ولا يؤمنون بكِتابكم، ﴿**وإذا لَقُوكُم قالُوا: آمَنّا، وإذا خَلَوا عَضُّوا علَيكُمُ الأنامِلَ**﴾: أطراف الأصابع، ﴿**مِنَ الغَيظِ**﴾: شِدّة الغضب، لِما يَرون من ائتلافكم. ويُعبَّرُ عن شِدّة الغضب بِعَضِّ الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثَمَّ عضّ - ﴿**قُلْ: مُوتُوا بِغَيظِكُم**﴾ أي: ابقَوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسرّكم. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ١١٩: بما في القلوب، ومنه ما يُضمره هؤلاء - ﴿**إنْ تَمسَسْكُم**﴾: تُصِبْكم ﴿**حَسَنَةٌ**﴾: نعمة كنصر وغنيمة ﴿**تَسُؤْهُم**﴾: تُحزِنْهم، ﴿**وإنْ تُصِبْكُم سَيِّئَةٌ**﴾ كهزيمة وجدب ﴿**يفرَحُوا بِها**﴾ - وجُملة الشرط مُتّصلة بالشرط قبلُ، وما بينهما اعتراض. والمعنى أنهم مُتناهون في عداوتكم. فلِمَ تُوالونهم؟ فاجتنبوهم - ﴿**وإنْ تَصبِرُوا**﴾ على أذاهم، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ اللهَ في مُوالاتهم وغيرها، ﴿**لا يَضِرْكُم**﴾ - بكسر الضاد وسُكون الراء، وضمِّهما وتشديدها - ﴿**كَيدُهُم شَيئًا! إنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ**﴾، بالياء والتاء، ﴿**مُحِيطٌ**﴾ ١٢٠: عالم فيُجازيهم به.

٣- ﴿**و**﴾ اذكر - يا محمّد - ﴿**إذ غَدَوتَ مِن أهلِكَ**﴾ من المدينة، ﴿**تُبَوِّئُ**﴾: تُنزِل ﴿**المُؤمِنِينَ مَقاعِدَ**﴾: مراكزَ يقفون فيها ﴿**لِلقِتالِ - واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لأقوالكم، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ١٢١ بأحوالكم. وهو يومُ أُحد، خرج النبيّ ﷺ بألف أو إلّا خمسين رجلًا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشِّعب يومَ السبت سابع شوّال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهرَه وعسكرِه إلى أُحُد وسوَّى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرُّماة، وأَمَّر عليهم عبدَالله بن جُبير بسفح الجبل، وقال: «انضَحُوا عَنّا بالنَّبلِ لا يأتُونا مِن وَرائنا، ولا تَبرَحُوا غُلِبْنا أو نُصِرْنا» - ﴿**إذ**﴾: بدل من «إذ» قبله ﴿**هَمَّتْ طائفتانِ مِنكُم**﴾ بنو سَلِمةَ وبنو حارثةَ جَناحا العسكر ﴿**أنْ تَفشَلا**﴾: تجبُنا عن القِتال وترجِعا، لمّا رجَع عبدالله بن أُبيٍّ المُنافقُ وأصحابه، وقال: عَلامَ نَقتلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟ وقال لأبي جابرٍ السَّلَميّ القائلِ له: «أنشُدُكمُ اللهَ في نَبِيّكُم وأنفُسِكم»: «لو نعلمُ قِتالًا لاتّبعناكم». فثبّتهما اللهُ ولم ينصرفا،

---

(١) تتخذ: تجعل. وبطانة الرجل: خاصته يُسِرُّ إليهم أموره. ونزع الخافض: حذف «إلى» قبل الكاف، و«في» قبل «خبالًا». والبغضاء: الكره الشديد. والأفواه: جمع فم. والوقيعة: الغيبة لإيقاع الفتن. وتخفي: تكتم. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب. وأكبر أي: أعظم. وبينّا: أوضحنا. والآيات: الأدلة القاطعة. وتعقل: تستخدم عقلك.

(٢) تحبه: توده. وتؤمنون به: تعتقدون أنه من عند الله. والكتاب: الكتب السماوية. ولقوكم: التقَوا بكم. وخلوا: انفرد بعضهم ببعض. وعليكم: بسبب ائتلافكم. والأنامل: جمع أُنملة. وموتوا أي: لتفارقْ أرواحكم الأجساد. والعليم: المبالغ في الإحاطة الكاملة. وذات الصدور أي: المضمَرات في القلوب. وتصبر: تتجلد. وتتقوه: تتجنبوا غضبه وتطلبوا رضاه. ولا يضير: لا يضرّ. وبضمهما يريد القراءة «لا يَضُرُّكم». والكيد: المكر وتدبير الفتن. وبالتاء يريد القراءة: «تَعمَلُونَ».

(٣) غدوت: خرجت لغزوة أحد. والمقاعد: جمع مقعد. وهو مكان الوقوف. والقتال: الحرب للمشركين. والشعب: الطريق في جبل أُحد. وعسكره أي: ظهر عسكره. وانضحوا عنا بالنبل أي: ارموا به الأعداء، لتدفعوهم عنا. ولا تبرحوا أي: لا تغادروا مكانكم. والحديث: انظر «المفصل». وهمت: حدثتها نفسها. والطائفة: الجماعة. وبنو سلمة: من الخزرج، وبنو حارثة: من الأوس، قبيلتان من الأنصار. وجناح العسكر: أحد جانبَي الجيش. وعلام أي: لا داعي لذلك ولا يجوز أن نفعله. وأبو جابر هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري. والسَّلَميّ: المنسوب إلى بني سَلِمة. وله أي: للمنافق. وأنشدكم: أسألكم. وفي نبيكم أي: في حفظه من العدو. ولو... لاتبعناكم: هذا قول المنافق عبد الله بن أُبيّ. وانظر الآية ١٦٧. والولي: من يتولى أمر غيره ويؤيده. ويتوكل: يعتمد باطمئنان في جميع الأمور.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿**والله وَلِيُّهما**﴾: ناصرهما. ﴿**وعلى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ**﴾ ١٢٢: ليثقوا به دون غيره.

١ - ونزل، لمّا هُزموا، تذكيرًا لهم بنعمة الله: ﴿**ولَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدرٍ**﴾: موضع بين مكّة والمدينة، ﴿**وأنتُم أذِلّةٌ**﴾ بقلّة العدد والسلاح - ﴿**فاتّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ١٢٣ نِعَمه - ﴿**إذ**﴾: ظرف لـ«نَصرَكم» ﴿**تقُولُ لِلمُؤمِنِينَ**﴾ تُوعِدُهم تَطمينًا: ﴿**ألَن يَكفِيَكُم أنْ يُمِدَّكُم**﴾: يُعينكم ﴿**رَبُّكُم بِثَلاثةِ آلافٍ، مِنَ المَلائكةِ مُنْزَلِينَ**﴾ ١٢٤؟ بالتخفيف والتشديد.

٢ - ﴿**بَلَى**﴾ يكفيكم ذلك. وفي «الأنفال»: «بألفٍ» لأنّه أمدّهم أوّلًا بها، ثمّ صارت ثلاثة، ثمّ صارت خمسة كما قال تعالى: ﴿**إنْ تَصبِرُوا**﴾ على لقاء العدوّ، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ الله في المُخالفة، ﴿**ويأتُوكُم**﴾ أي: المشركون ﴿**مِن فَورِهِم**﴾: وقتِهم ﴿**هٰذا، يُمدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمسةِ آلافٍ مِنَ المَلائكةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ ١٢٥، بكسر الواو وفتحها، أي: مُعلِّمين. وقد صبروا وأنجز الله وعده، بأن قاتلتْ معهم الملائكة على خيلٍ بُلْقٍ، عليهم عمائمُ صُفرٌ أو بيض، أرسلوها بين أكتافهم. ﴿**وما جَعَلَهُ اللهُ**﴾ أي: الإمدادَ ﴿**إلّا بُشرَى لَكُم**﴾ بالنصر، ﴿**ولِتَطمَئِنَّ**﴾: تسكنَ ﴿**قُلُوبُكُم بِهِ**﴾، فلا تجزعَ من كثرة العدوّ وقلّتكم. ﴿**وما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**﴾ ١٢٦ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجُند. ﴿**لِيَقطَعَ**﴾: متعلّق بـ«نَصرَكم» أي: ليُهلكَ ﴿**طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالقتل والأسر، ﴿**أو يَكبِتَهُم**﴾: يُذلَّهم بالهزيمة، ﴿**فيَنقَلِبُوا**﴾: يَرجِعوا ﴿**خائبِينَ**﴾ ١٢٧. لم ينالوا ما راموه.

٣- ونزلَ لمّا كُسرت رباعِيَتُه ﷺ وشُجّ وجهُه يوم أُحُد، وقال: «كَيفَ يُفلِحُ قومٌ خَضَبُوا وَجهَ نَبيِّهِم بالدَّم»؟: ﴿**لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ**﴾، بل الأمر لله - فاصبر - ﴿**أو**﴾ بمعنى: إلى أن ﴿**يَتُوبَ عَلَيهِم**﴾ بالإسلام ﴿**أو يُعَذِّبَهُم - فإنَّهُم ظالِمُونَ**﴾ ١٢٨ بالكُفر - ﴿**ولِلّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ**﴾ المغفرةَ له، ﴿**ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبَه. ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ لأوليائه، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٢٩ بأهل طاعته.

٤ - ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا الرِّبا أضعافًا مُضاعَفةً**﴾ - بألفٍ ودُونِها - بأن تزيدوا في المال عِند حُلول الأجل، وتُؤخّروا الطلبَ، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ بتركِه، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ١٣٠: تفوزون، ﴿**واتَّقُوا النّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلكافِرِينَ**﴾ ١٣١ أن تُعذَّبوا بها، ﴿**وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ ١٣٢، ﴿**وسارِعُوا**﴾ - بواو ودونها - ﴿**إلَى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم، وجَنّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ**﴾ أي: كعرضهما، لو وُصلت إحداهما بالأُخرى - والعرض: السَّعة - ﴿**أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ**﴾ ١٣٣ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي، ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ**﴾، في طاعة الله، ﴿**في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ**﴾: اليُسر والعُسر، ﴿**والكاظِمِينَ الغَيظَ**﴾: الكافّين عن إمضائه مع القُدرة، ﴿**والعافِينَ عَنِ النّاسِ**﴾ ممّن ظلمهم أي: التاركين عُقوبتَه - ﴿**واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾ ١٣٤ بهذه الأفعال، أي: يُثيبهم - ﴿**والَّذِينَ إذا فَعَلُوا فاحِشةً**﴾: ذنبًا قبيحًا كالزنى، ﴿**أو ظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بما دُونه

(١) نصركم: أعانكم فانتصرتم. وببدر: في غزوة بدر. والأذلة: جمع ذليل. والذلة: الضعف. واتقوه: تجنبوا غضبه والزموا رضاه. وتشكر النعمة: تستحضرها في نفسك وتذكرها، وتثني على منعمها بالقلب والقول والفعل. وتوعدهم: تتعهد لهم بعون الله ونصره. والتطمين مصدر: طَمَّنَ. وعندي أنه صحيح فصيح. انظر «المفصل». ويكفيكم: يقوم بأمركم ويغنيكم. والمُنزَل: من أنزله الله من السماء لقضاء أمره. وبالتشديد يريد القراءة «مُنَزَّلِينَ».

(٢) بالأنفال: يعني الآية ٩ من تلك السورة. وتصبر: تضبط نفسك وتتجلد. ويأتوكم: يقابلوكم للحرب. والفور: الحالة التي لا بطء فيها. وبفتحها يريد القراءة «مُسَوَّمِينَ»، أي: أنهم جُعلت لهم علامات المحاربين. ومعلِّمين أي: علّموا أنفسهم بعلامة الحرب. وأنجزه: حققه فعلًا. والبلق: جمع أبلق: وهو الفرس الأسود في وجهه وأطرافه بياض. وأرسلوها أي: أطلقوا أطرافها. وجعل: أوجد. والبشرى: البشارة بما يَسرّ. والقلوب: جمع قلب. وبه أي: بالإمداد المذكور. والنصر: التغلب على العدو. ومن عنده أي: بأمره وقضائه. والعزيز: الذي لا يُغلب فيما يريد. والحكيم: ينصر ويخذل بالحكمة والمصلحة للجميع. ومتعلق: يعني الجار، أي: اللام مع المصدر المؤول الذي في محل جر. والطرف: الفئة من مجموعة أكبر. وخائبين أي: خاسرين منقطعي الآمال.

(٣) الحديث: انظر «المفصل». ويفلح: يفوز بالنعيم. والرباعية: السن التي قبل الناب. والأمر: الحكم في شأن المشركين. ويتوب عليهم: يقبل توبتهم. والظالم: من وضع الشيء في غير موضعه. ويغفر: يستر الذنب ويعفو عنه. ويشاء: يريد. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بعون المؤمنين.

(٤) تأكلوه أي: تأخذوه. والربا: الزيادة الخالية عن عوضٍ شُرطَتْ لأحد المتعاقدين. والأضعاف: جمع ضِعف. والضعف: المِثل في القدر. والنهي مراد به هنا عن الأخذ للربا مطلقًا، لا مقيدًا بالأضعاف المضاعفة، لأن ذكر الأضعاف هنا إنما كان للتوبيخ. وبدونها يريد القراءة «مُضَعَّفَةً». وتركه أي: ترك أكل الربا أيًا كان قدره. ولعلكم تفلحون أي: لرجاء فوزكم. واتقوها أي: تجنبوا ما يوجب التعذيب بها. وأعدت: هيئت وجهزت. وأطيعوه أي: استجيبوا لِما=

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

نصف الحزب ٧

كالقبلة، ﴿**ذَكَرُوا اللهَ**﴾ أي: وعيدَه ﴿**فاستغفَروا لِذُنوبِهِم، ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا اللهُ؟ ولَم يُصِرُّوا**﴾: يُدِيموا ﴿**علَى ما فَعَلُوا**﴾، بل أقلعوا عنه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ١٣٥ أنّ الذي أتوه معصية. ﴿**أُولئكَ جَزاؤُهُم مَغفِرَةٌ مِن رَبِّهِم، وجَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها**﴾: حالٌ مُقدَّرة، أي: مقدِّرين الخلودَ فيها إذا دخلوها. ﴿**ونِعمَ أجرُ العامِلِينَ**﴾ ١٣٦ بالطاعة هذا الأجرُ!

١- ونزل في هزيمة أُحُد: ﴿**قَد خَلَتْ**﴾: مضت ﴿**مِن قَبلِكُم سُنَنٌ**﴾: طرائقُ في الكُفّار، بإمهالِهم ثمّ أخذِهم. ﴿**فسِيرُوا**﴾ - أيُّها المُؤمنون - ﴿**في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ**﴾ ١٣٧ الرُّسلَ أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فلا تحزنوا لغلبتهم، فأنا أُمهلهم لوقتهم - ﴿**هٰذا**﴾ القرآن ﴿**بَيانٌ لِلنّاسِ**﴾ كلِّهم، ﴿**وهُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**ومَوعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ**﴾ ١٣٨ منهم - ﴿**ولا تَهِنُوا**﴾: تَضعُفوا عن قتال الكُفّار، ﴿**ولا تَحزَنُوا**﴾ على ما أصابكم بأُحُد، ﴿**وأنتُمُ الأعلَونَ**﴾ بالغلبة عليهم، ﴿**إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ١٣٩ حقًّا. وجوابه دلّ عليه مجموع ما قبله.

٢- ﴿**إنْ يَمسَسكُم**﴾: يُصِبْكم بأُحُد ﴿**قَرحٌ**﴾، بفتح القاف وضمّها: جَهدٌ من جَرح ونحوه، ﴿**فقَد مَسَّ القَومَ**﴾: الكُفّارَ ﴿**قَرحٌ مِثلُهُ**﴾ ببدر، ﴿**وتِلكَ الأيّامُ نُداوِلُها**﴾: نُصرِّفها ﴿**بَينَ النّاسِ**﴾ يومًا لفِرقة ويومًا لأُخرى، ليتّعظوا ﴿**ولِيَعلَمَ اللهُ**﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: أخلصوا في إيمانهم من غيرهم، ﴿**ويَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ**﴾ يُكرمُهم بالشهادة - ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ**﴾ ١٤٠: الكافرين، أي: يُعاقبهم، وما يُنعِم به عليهم استدراجٌ - ﴿**ولِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يُطهِّرَهم من الذُّنوب بما يُصيبهم، ﴿**ويَمحَقَ**﴾: يُهلكَ ﴿**الكافِرِينَ**﴾ ١٤١. ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ، ولَمّا**﴾: لم ﴿**يَعلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم**﴾ عِلمَ ظُهورٍ، ﴿**ويَعلَمَ الصّابِرِينَ**﴾ ١٤٢ في الشدائد؟ ﴿**ولَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ**﴾ - فيه حذف إحدى التاءين في الأصل - ﴿**المَوتَ مِن قَبلِ أنْ تَلقَوهُ**﴾، حيث قلتم: ليت لنا يومًا كيوم بدر، لننال ما نال شُهداؤه. ﴿**فقَد رَأَيتُمُوهُ**﴾ أي: سَبَبَهُ الحربَ، ﴿**وأنتُم تَنظُرُونَ**﴾ ١٤٣ أي: بُصراءُ تتأمّلون الحال كيف هي؟ فلِمَ انهزمتم؟

=أمر ونهي. ويريد بواوِ القراءةَ بواو العطف. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. ومن ربكم أي: من عنده برحمته. وأعدت: هيئت وأحضرت. والمتقي: من يتجنب الغضب ويسعى للرضا. وينفق: يصرف. والكاظم: من يحبس مافي نفسه. والغيظ: الغضب الشديد. وإمضائه أي: تنفيذ ما يتطلبه من الإيذاء. والعافي: من يصفح عن الذنب. وعقوبته أي: عقوبة من ظلمه. والمحسن: من يفعل الخير بإخلاص. ويحبهم: يودّهم على مايليق به من صفات الألوهية، فيريد لهم الخير. والوعيد: التهديد بالعقاب. وظلموها: جاروا عليها. واستغفر: طلب العفو وعدم المؤاخذة. والذنوب: جمع ذنب. ويعلم: يدرك ويعي. وأتوه: فعلوه. والإشارة بـ «أولئك» هي إلى المذكورين في الآيات ١٣٣-١٣٥. والجزاء: المكافأة. ومن ربهم أي: من عنده تفضلًا. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. ونعم: بلغ الغاية في النعيم والخير والسعادة. والأجر: الثواب. والعاملين أي: المستجيبين للأمر والنهي.

(١) في هزيمة أحد أي: كأنه يقال لهم: لا تحزنوا لأن العبرة بالخواتيم، كما كان في تاريخ الأمم المكذّبة. ومضت أي: حصلت وتحققت. والسنن: جمع سُنّة. وهي الطريقة المتبعة. والأخذ: الانتقام بالهزيمة أو الهلاك. والأرض: المناطق التي كان فيها أمم بائدة. وانظروا أي: تدبروا لتعتبروا. والعاقبة: النهاية الحقيقية. والبيان: الدلالة التي تزيل الشبهات. وتحزن: تغتم وتجزع. والأعلون: جمع الأعلى. وهو الأكثر رفعة والأرفع مقامًا في الدنيا والآخرة.

(٢) القرح: أثر الجراحة في الجسم. والمراد بضمها القراءة «قُرْح»، وهي في الموضع التالي كذلك. أعني أن الموضعين معًا قُرئا بالفتح أو بالضم. ويتبع ذلك مافي الآية ١٧٢. ومثله أي: يماثله في الجملة. وإلّا فهو أعظم منه، لأنه قُتل من المشركين ببدر وأسر أكثر مما أصاب المسلمين في أحد. وروي أنه لما رجع المسلمون من أحد جعل بعض النساء يلطمن وجوههن على القتلى، فاستاء النبي ﷺ لذلك، فنزلت الآية عظة وتسلية. وكانت إحدى النساء قد استقبلت العائدين بالسؤال عن حال النبي، ولما علمت أنه حيّ قالت: «فلا أبالي. يتخذ الله من عباده شهداء»، فجاء في الآية ماقالت. انظر لباب النقول والواحدي ص ١٢٠. والإشارة بـ «تلك» إلى أوقات النصر والغلبة بين الأمم. والأيام: جمع يوم. وهو الوقت. وعلم الظهور أي: علم تحققٍ في الواقع يُبنى عليه الجزاء. ويتخذ: يجعل. والشهداء: جمع شهيد. وهو الذي يُقتل لإعلاء دين الإسلام. ولايحبهم أي: يبغضهم. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أشنع ذلك وأفظعه. والاستدراج: إمهال العدو ليتدرج في مراتب الضلال والبغي. ويهلك أي: بعذاب الدنيا والآخرة. وحسِبَ: ظن. والجنة: الحديقة العظيمة. وجاهد: بذل جهده، من النفس والمال والعلم والقدرة، في قتال العدو ومخاصمته. والصابر: من يتجلد. والخطاب لبعض المؤمنين لم يشهدوا غزوة بدر. وتتمناه أي: تحب أن تلقاه. والموت هنا: الشهادة، أي: تحبون أن تصيروا إلى لقاء موتكم في الجهاد. وتلقوه أي: تشاهدوه وتعانوا شِدته. ورأيتموه أي: أبصرتم الموت برؤية الحرب. وتنظرون: تبصرون بأعينكم.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ
حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ
ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ
مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ
إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ
أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١- ونزل في هزيمتهم، لمّا أُشيعَ أنّ النبيَّ قُتل، وقال لهم المُنافقون: «إن كان قُتل فارجِعوا إلى دِينكم»: ﴿**وما مُحَمَّدٌ إلّا رَسُولٌ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ. أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ**﴾ كغيره ﴿**انقَلَبتُم على أعقابِكُم**﴾: رجَعتم إلى الكُفر؟ والجُملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاريّ، أي: ما كان معبودًا فترجِعوا، ﴿**ومَن يَنقلِبْ على عَقِبَيهِ فلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئًا**﴾! وإنما يضرّ نفسه، ﴿**وسَيَجزِي اللهُ الشّاكِرينَ**﴾ ١٤٤ نِعمَه بالثبات، ﴿**وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾: بقضائه، ﴿**كِتابًا**﴾: مصدرٌ أي: كَتَبَ اللهُ ذلك، ﴿**مُؤَجَّلًا**﴾: مُؤقّتًا لا يتقدّم ولا يتأخّر. فلِمَ انهزمتم، والهزيمةُ لا تدفع الموتَ، والثباتُ لا يقطع الحياة؟ ﴿**ومَن يُرِدْ**﴾ بعمله ﴿**ثَوابَ الدُّنيا**﴾ أي: جزاءَه منها ﴿**نُؤْتِهِ مِنها**﴾ ما قُسم له ولا حظَّ له في الآخرة، ﴿**ومَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنها**﴾ أي: من ثوابها. ﴿**وسَنَجزِي الشّاكِرينَ**﴾ ١٤٥.

٢- ﴿**وكَأَيِّنْ**﴾: كم ﴿**مِن نَبِيٍّ قُتِلَ**﴾ - وفي قراءة: «قاتَلَ» والفاعل ضميره - ﴿**مَعَهُ**﴾: خبرٌ مبتدؤه ﴿**رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾: جموعٌ كثيرة، ﴿**فما وَهَنُوا**﴾: جَبُنوا، ﴿**لِما أصابَهُم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ من الجراحِ وقتلِ أنبيائهم وأصحابهم، ﴿**وما ضَعُفُوا**﴾ عن الجهاد، ﴿**وما استَكانُوا**﴾: خضعوا لعدوّهم، كما فعلتم حين قيل: قُتل النبيّ! - ﴿**واللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ**﴾ ١٤٦ على البلاء، أي: يُثيبهم - ﴿**وما كانَ قَولَهُم**﴾ عند قتل نبيّهم، مع ثباتهم وصبرهم، ﴿**إلّا أنْ قالُوا: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإسرافَنا**﴾: تجاوُزَنا الحدَّ ﴿**في أمرِنا**﴾، إيذانًا بأنّ ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم، ﴿**وثَبِّتْ أقدامَنا**﴾ بالقوّة على الجِهاد، ﴿**وانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ**﴾ ١٤٧. ﴿**فآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنيا**﴾: النصرَ والغنيمةَ، ﴿**وحُسنَ ثَوابِ الآخِرةِ**﴾ أي: الجنّة. وحُسنه: التفضّل فوق الاستحقاق. ﴿**واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾ ١٤٨.

---

(١) ما ذكر هنا من الهزيمة كان في غزوة أُحد. فلقد أصاب أحد المشركين وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - بحجر، فشجّه وكسر رباعية من أسنانه، فشاع الخبر في الناس أنه قُتل، وانهزم أكثر المسلمين. وعند ذلك قال أنس بن النضر: «إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل. وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتِلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه». ثم علم المسلمون كذب خبر مقتله، فعادوا إلى القتال حتى انتهت المعركة. ونزلت الآيات ١٤٤-١٤٨. الواحدي ص ١٢٠ وتفاسير البغوي ١:٣٥٧-٣٥٨ والخازن ١:٤٢٨ والآلوسي ٤:١١٣. والرسول: من بعثه الله لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. فهو إنسان مخلوق، يجري عليه ما يجري على الناس. وخلت: مضت وذهبت. والرسل: جمع رسول. ومات: فارقت روحه جسده بالوفاة العادية. وقُتل: استُشهد لإعلاء دين الله. والأعقاب: جمع عقب. وهو عظم في مؤخر القدم، يُعبَّر به عن الرجوع والتقهقر. وينقلب على عقبيه أي: يرتد إلى الكفر. ولايضره أي: لا يسبب له مايسوء. ويجزي: يثيب بفضله وكرمه. والشاكر: من يستحضر النعمة ويذكرها، ويثني على منعمها بالقلب واللسان والفعل. وما كان أي: لا يصح ولا يجوز. والنفس: المخلوق الحي من البشر وغيرهم. والكتاب أي: التسجيل لما هو محتم وقوعه. وذلك أي: موت الأنفس. ويريد: يطلب ويقصد بنيته في عمله. ونؤتيه: نعطيه ونيسر له المتاع والزينة. ونجزي: نثيب ونكافئ بنعيم الدنيا والآخرة.

(٢) كم أي: للمبالغة في التكثير والتعجب. والنبي: من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وقُتل: استُشهد لإعلاء دين الله. وضميره أي: الضمير العائد على «نبيّ». ومعه أي: بصحبته في الإيمان والجهاد. والربّيّ: المنسوب إلى الرِّبّة. وهي الجماعة تبلغ عشرة الآلاف. وجبنوا أي: ماجبنوا. وأصابهم: نزل بهم. وسبيل الله: دينه القويم وما شرعه فيه من الجهاد لإعلاء كلمته. وضعف: عجز وقصّر. والصابر: من يتحمل ويتجلد. ويحب الصابرين: يودهم لصبرهم ويكرمهم بالثواب. وربنا أي: يا ربنا. والنداء بـ «يا» يفيد التوكيد للدعاء. وحذفت مبالغة في التوكيد، لِما تشعر به من الأمر والتنبيه. واغفرها: استرها واصفح عنها. والذنوب: جمع ذنب. والمراد بالذنوب: الصغائر من المعاصي، وبالإسراف: الكبائر. والأمر: الشأن من قول أو فعل. والإيذان: الإعلام. والهضم للأنفس هو التهوين من قدرها تواضعًا. وثبتها أي: رسّخها في مواطن اللقاء. والأقدام: جمع قدم. وانصرنا: أعنّا وغلّبنا. والقوم: الجماعة من الناس. وآتاهم: أعطاهم في الدارين. والثواب: الجزاء. وثواب الدنيا أي: المكافأة في الدنيا. وذكرُ الغنيمة من البيضاوي والتلخيص وتفسير البغوي، وهو قول الزمخشري في الكشاف ١:٤٢٥، وفيه إشكال لأن الغنائم لم تحل بغير شريعة القرآن. انظر الأحاديث ٣٢٨ و٤٢٧ في البخاري و٥٢١ في مسلم. وفي الفتوحات ١:٣٢٣ والصاوي ١:١٨٣ ما يعني أن المراد هو التمكين من الغنائم، دون تحليل الانتفاع بها. والحُسن: الجودة والزيادة في الخير. وفسَّره بالجنة لأنها أحسن ما يناله الإنسان من نعيم. و«فوق الاستحقاق» يعني أن الزيادة على ما يستحقه العمل يتفضل الله بها عليهم إحسانًا. ويحبهم: يودهم ويكافئهم على إحسانهم، بما هم أهل له مع زيادة إكرام. والمحسنون: من يخلصون في العمل، ويتوكلون على الله ويُقرّون بإساءتهم، كما فعل هؤلاء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُم علَى أعقابِكُم﴾ إلى الكُفر، ﴿فتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ﴾ ١٤٩. ﴿بَلِ اللهُ مَولاكُم﴾: ناصركم، ﴿وهْوَ خَيرُ النّاصِرِينَ﴾ ١٥٠. فأطيعوه دونهم. ﴿سَنُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، بسكُون العين وضمّها: الخوفَ - وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحُد على العَود واستئصال المسلمين، فرُعِبُوا ولم يرجِعوا - ﴿بِما أشرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم ﴿بِاللهِ ما لَم يُنْزِلْ بِهِ سُلطانًا﴾: حُجّة على عبادته - وهو الأصنام - ﴿ومأواهُمُ النّارُ، وبِئسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿الظّالِمِينَ﴾ ١٥١: الكافرين هي!

٢- ﴿ولَقَد صَدَقَكُمُ اللهُ وَعدَهُ﴾ إيّاكم بالنصر، ﴿إذ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم ﴿بِإذنِهِ﴾: بإرادته. ﴿حَتَّى إذا فَشِلتُم﴾: جبُنتم عن القتال، ﴿وتَنازَعتُم﴾: اختلفتم ﴿في الأمرِ﴾ أي: أمرِ النبيّ بِالمُقام في سفح الجبل للرمي، فقالَ بعضُكم: نَذهبُ فقد نُصِرَ أصحابنا. وبعضُكم: لا نُخالِفُ أمرَ النبيّ، ﴿وعَصَيتُم﴾ أمره فتركتم المركز لأجل الغنيمة، ﴿مِن بَعدِ ما أراكُم﴾ اللهُ ﴿ما تُحِبُّونَ﴾ من النصر. وجواب «إذا» دلّ عليه ما قبله أي: منعكم نصرَه - ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنيا﴾ فترك المركز للغنيمة، ﴿ومِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرةَ﴾ فثَبَتَ بِه حتّى قُتل، كعبدالله بن جُبير وأصحابه - ﴿ثُمَّ صَرَفَكُم﴾: عطفٌ على جواب «إذا» المُقدّر، ردّكم بالهزيمة ﴿عَنهُم﴾ أي: الكُفّارِ، ﴿لِيَبتَلِيَكُم﴾: ليَمتحنكم فيَظهَرَ المخلصُ من غيره. ﴿ولَقَد عَفا عَنكُم﴾ ما ارتكبتموه. ﴿واللهُ ذُو فَضلٍ علَى المُؤمِنِينَ﴾ ١٥٢ بالعفو.

ثلاثة أرباع الحزب ٧

٣- اذكروا ﴿إذ تُصعِدُونَ﴾: تُبعِدون في الأرض هاربين، ﴿ولا تَلْوُونَ﴾: تُعَرِّجون ﴿علَى أحَدٍ، والرَّسُولُ يَدعُوكُم في أُخراكُم﴾ أي: من ورائكم، يقول: «إليَّ عِبادَ اللهِ، إليَّ عِبادَ اللهِ»، ﴿فأثابَكُم﴾: فجازاكم ﴿غَمًّا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾: بسبب غمّكم الرسولَ بالمُخالفة - وقيل: الباء بمعنى: على، أي: مُضاعَفًا على غمِّ فَوتِ الغنيمة - ﴿لِكَيلا﴾، متعلّق بـ«عفا»، أو بـ «أثابكم» فـ«لا»: زائدة، ﴿تَحزَنُوا علَى ما فاتَكُم﴾ من الغنيمة، ﴿ولا ما أصابَكُم﴾ من القتل والهزيمة. ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾ ١٥٣.

---

(١) روي أن المشركين وأهل الكتاب والمنافقين أمروا، بعد غزوة أحد، ضعفاء الإيمان بالعودة إلى الكفر، وقال لهم عبد الله بن أُبيّ: امضوا بنا إلى أبي سفيان، لنأخذ لكم منه عهدًا. ألم أقل لكم: إن محمدًا ليس بنبي؟ فنزلت الآية بالتحذير والوعيد. والخطاب عامّ أيضًا، يتناول أهل أُحد وغيرهم. ولايزال الكافرون مثابرين على إفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم، وردهم عن الحق، بكل وسائل الإغراء والغش والتضليل. انظر البحر ٣:٧٦ والآية ١٠٠. وتطيعه: تستجيب لقوله وتنقاد له. والأعقاب: جمع عقب. انظر الآية ١٤٤. يعني أنهم يعيدونكم إلى دينكم الأول. وتنقلبوا خاسرين أي: ترجعوامغبونين في الدنيا بالانقياد للعدو والتذلل له، وفي الآخرة بالحرمانِ من الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد. وخير أي: أفضل وأعظم. والناصر: المعين على العدو والبلاء. ونلقي: نقذف ونطرح. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، ويمد الدماغ بذلك. والذين كفروا أي: المشركون. وبضمها يريد القراءة «الرُّعُبَ». ورُعبوا: خُوِّفوا. وأشرك: جعل مع الله معبودًا من خلقه، يطيعه ويقدسه. ولم يُنزله أي: لم يوحِه. والمأوى: المسكن يلجأ إليه الإنسان. وفي ذكره هنا تهكم. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والشقاء. والمثوى: مكان الإقامة. وهو ما يصيرون إليه في الآخرة. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. وأشنع ذلك هو الكفر.

(٢) روي أن بعض الصحابة قالوا بعد مُصاب أُحد: مِن أين أصابنا هذا، وقد وَعدنا الله النصرَ؟ فنزلت الآية. الواحدي ص ١٢١. وصدقه: أثبته وحققه. والوعد: التعهد القاطع. وقد وعدهم الله - تعالى - بالنصر إن صبروا وأطاعوا. وتقتلونهم أي: بكثرة وشدة. والأمر: الواجب الملزم. يعني: في امتثال الأمر المعهود وتنفيذه. والمقام: البقاء. وسفح الجبل: هضبة هناك. وعصى: خالف. وأراكم أي: نصركم فعلًا وأبصرتم ذلك عِيانًا. وتحبون أي: تودونه وتتمنونه. ويريد الدنيا أي: يطلب المكاسب الفانية في الحياة الدنيا. ويريد الآخرة يعني: يطلب ثوابها الأبدي. وردكم بالهزيمة أي: ردكم مهزومين. وعفا: صفح وتجاوز. وما ارتكبتموه أي: من مخالفة أمر النبي ﷺ والفرار من العدو. والفضل: التفضل والتكرم. وذو فضل أي: صاحبه المختص به.

(٣) تعرجون أي: لا تعرجون. والمراد أنهم لا يلتفتون إلى ما وراءهم، ولا يقف أحدهم لانتظار آخر. والرسول: النبي ﷺ. ويدعو: ينادي ويصرخ بأعلى صوته. ومن ورائكم يعني أن «في» هي بمعنى: مِن، وأن «أُخرى» بمعنى: آخِر. والحديث من التلخيص والبيضاوي، وتتمته: «أنا رَسُولُ اللهِ. مَن يَكِرَّ فلَهُ الجَنّةُ». رواه الطبري وابن المنذر عن ابن عباس. وانظر الدر المنثور ٢:٨٧. وإليّ أي: أقبلوا، اسم فعل أمر. والغم: الكرب والحزن الشديد. والمضاعف: المزيد فيه مثل قدره. والفوت: الذهاب والخسارة. وزائدة: يعني أن المراد: جازاكم ذلك، لتأسفوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم، كما ذكر البيضاوي. والظاهر هنا أن «لا» غير زائدة، بقرينة توكيدها بمثلها بعد، وأن المعنى: جازاكم غمًّا مع غم، تمرينًا لكم على المصائب، وتدريبًا لاحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على ما يفوتكم من المنافع. فتح القدير ١:٥٨١ والبحر ٣:٨٥. وتحزن: تغتم وتأسف لِما كان. وفاتكم: ذهب أو يذهب عنكم ولا تدركونه. وأصابكم أي: حلّ أو يحل بكم. والخبير: البالغ العلم ببواطن الأمور وخفاياها. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١- ﴿**ثُمَّ أنزَلَ عليكُم مِن بَعدِ الغَمِّ أَمَنَةً**﴾: أمْنًا، ﴿**نُعاسًا**﴾: بدلٌ ﴿**يَغشَى**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**طائفةً مِنكُم**﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يميدون تحت الحَجَفِ وتسقط السيوف منهم، ﴿**وطائفةٌ قَد أهَمَّتهُم أنفُسُهُم**﴾ أي: حَملتْهم على الهمّ، فلا رغبةَ لهم إلّا نجاتُها دُونَ النبيّ وأصحابه فلم يناموا - وهم المنافقون - ﴿**يَظُنُّونَ بِاللهِ**﴾ ظنًّا ﴿**غيرَ**﴾ الظنِّ ﴿**الحَقِّ، ظَنَّ**﴾ أي: كظنِّ ﴿**الجاهِلِيّةِ**﴾، حيث اعتقدوا أنّ النبيّ قُتل أو لا يُنصر، ﴿**يَقُولُونَ: هَل**﴾ ما ﴿**لَنا مِنَ الأمرِ**﴾ أي: النصرِ الذي وُعِدْناه ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ؟ - قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّ الأمرَ كُلَّهُ**﴾، بالنصبِ: توكيدًا، والرفع: مبتدأ خبره: ﴿**لِلهِ**﴾ أي: القضاءَ له يفعل ما يشاء - ﴿**يُخفُونَ في أنفُسِهِم ما لا يُبدُونَ**﴾: يُظهرون ﴿**لَكَ، يَقُولُونَ**﴾: بيان لما قبله ﴿: **لَو كانَ لَنا مِنَ الأمرِ شَيءٌ ما قُتِلنا هٰهُنا**﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نُقتل. لكن أُخرجنا كُرهًا.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَو كُنتُم في بُيُوتِكُم**﴾، وفيكم من كَتبَ اللهُ عليه القتل، ﴿**لَبَرَزَ**﴾: خرج ﴿**الَّذينَ كُتِبَ**﴾: قُضي ﴿**علَيهِمِ القَتلُ**﴾ منكم ﴿**إلَى مَضاجِعِهِم**﴾: مصارعهم فيقتلوا، ولم يُنجهم قُعودهم، لأنّ قضاءه - تعالى - كائن لا محالة، ﴿**و**﴾ فُعِل ما فُعِل بأُحُد، ﴿**لِيَبتَلِيَ**﴾: يَختبرَ ﴿**اللهُ ما في صُدُورِكُم**﴾: قُلوبكم من الإخلاص والنفاق، ﴿**ولِيُمَحِّصَ**﴾، يَميزَ ﴿**ما في قُلُوبِكُم، واللهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ**﴾ **١٥٤**: بما في القُلوب، لا يخفى عليه شيء. وإنّما يَبتلي ليُظهِر لِلناس. ﴿**إنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم**﴾ عن القتال، ﴿**يَومَ التَقَى الجَمعانِ**﴾: جمعُ المسلمين وجمع الكافرين بأُحُد - وهم المسلمون إلّا اثني عشر رجلًا - ﴿**إنَّما استَزَلَّهُمُ**﴾: أزلّهم ﴿**الشَّيطانُ**﴾ بوسوسته، ﴿**بِبَعضِ ما كَسَبُوا**﴾ من الذُّنوب - وهو مُخالفة أمر الرسول - ﴿**ولَقَد عَفا اللهُ عَنهُم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ للمُؤمنين، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ **١٥٥**: لا يُعجّل على العُصاة.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: المنافقين، ﴿**وقالُوا لإخوانِهِم**﴾ أي: في شأنهم، ﴿**إذا ضَرَبُوا**﴾: سافروا ﴿**في الأرضِ**﴾ فماتوا، ﴿**أو كانُوا غُزًّى**﴾: جمع غازٍ، فقُتلوا: ﴿**لَو كانُوا عِندَنا ما ماتُوا وما قُتِلُوا**﴾، أي: لا تقولوا كقولهم، ﴿**لِيَجعَلَ اللهُ ذٰلِكَ**﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿**حَسْرَةً في قُلُوبِهِم - واللهُ يُحيِي ويُمِيتُ**﴾، فلا يمنع عن الموت قعودٌ، ﴿**واللهُ بِما تعمَلُونَ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**بَصِيرٌ**﴾ **١٥٦** فيُجازيكم به - ﴿**ولَئِن**﴾: لامُ قسم ﴿**قُتِلتُم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: الجِهاد، ﴿**أو مُتُّمْ**﴾ - بضم الميم وكسرها من: ماتَ يَموتُ ويَماتُ - أي: أتاكم الموت فيه، ﴿**لَمَغفِرَةٌ**﴾ كائنة ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ لذنوبكم ﴿**ورَحْمَةٌ**﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم، وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره: ﴿**خَيرٌ مِمّا تَجمَعُونَ**﴾ **١٥٧** من الدنيا، بالتاء والياء، ﴿**ولَئِن**﴾: لامُ قسم ﴿**مُتُّمْ**﴾ - بالوجهين - ﴿**أو قُتِلتُم**﴾ في الجِهاد أو غيره

---

(١) أنزل: ألقى. والغم أي: غمكم. والأمن: الطمأنينة والهدوء. والنعاس: النوم الخفيف. ويغشاها: يخالط نفوسها وعيونها. وبالتاء يريد القراءة «تَغشَى». والطائفة: الجماعة. ويميد: يميل. والحجف: مفرده حَجَفة. وهي الترس. وطائفة أي: من غيركم. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والهم: الحرص. ويظن: يعتقد. والحق: الصدق والعدل. والجاهلية: المِلّة التي كانت قبل الإسلام، وقد تتجدد بعده بين المسلمين وغيرهم. وزائدة: يعني أن «من»: للتنصيص على عموم النفي. والأمر: الحكم في الكون. وبالرفع يريد القراءة «كُلُّهُ». ويخفون أي: يسترون. والأنفس هنا: القلوب والضمائر.

(٢) البيوت: جمع بيت. والمضاجع: جمع مضجع. والمصارع: جمع مصرع. وهو مكان الموت. وانظر «المفصل» لحذف النون من «يقتلوا»، ولتقدير: فُعِلَ. وفُعل أي: نُفِّذ. والصدور: جمع صدر. عُبِّرَ به عن القلب لاشتماله عليه. والعليم: البالغ العلم. وذات الصدور أي: صاحبتها. وتولوا: انهزموا. واليوم: الوقت. والتقى الجمعان: اصطدما للقتال. والاثنا عشر هؤلاء ثَبَتُوا مع النبي ﷺ. وأزلهم: أزلقهم وأضلهم. وكسب: فعل باختيار وقصد. وأمر الرسول أي: بالثبات في المراكز المحددة. وعفا عنهم أي: رفع عنهم جزاء مخالفتهم. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والحليم: ذو العفو المطلق لا يستخفه عصيان ولا يعجل بالانتقام.

(٣) تكون: تصير. والإخوان: جمع أخ. وهو المشارك في النفاق. والغازي: من يطلب حرب المعتدي أو ردعه. ويجعل: يصيّر. وحسرة أي: غمًّا. والقلوب: جمع قلب. ويحيي ويميت أي: هو الذي يحدث أسباب الموت والحياة. وتعملون أي: تكتسبونه. وبالياء يريد القراءة «يَعمَلُونَ». والبصير: المدرك للأحداث. وبكسرها يريد القراءة «مِتُّمْ». والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. ومن الله أي: من عنده بأمره. والرحمة: العطف بالخير. ومدخولها أي: ما دخلت عليه اللام من الجملة. وهو في موضع الفعل أي: أن التركيب في جملة «مغفرة... خير» تقديره: ليغفرنّ الله لكم وليرحمنكم. وخير: أكثر نفعًا. وتجمعون أي: تحصّلونه من متاع وزينة. وبالياء يريد القراءة «يَجمَعُونَ». ولام قسم: الصواب أن اللام موطئة لجواب قسم محذوف، والتقدير: أقسمُ - لئن متم أو قتلتم فإلى الله تحشرون - لَإليه تحشرون. وبالوجهين يريد ماذكرناه في الآية المتقدمة من القراءتين. وكل قراءة تكون مع نظيرتها في الآيتين، لئلّا يُظن جواز خلاف ذلك. وإلى الله أي: إلى لقاء حسابه يوم القيامة. وتحشرون: تبعثون وتساقون للحساب.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿**لَإِلَى اللهِ**﴾ لا غيره ﴿**تُحشَرُونَ**﴾ ١٥٨ في الآخرة فيُجازيكم.

١- ﴿**فبما**﴾ ما: زائدةٌ ﴿**رَحمةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**لَهُم**﴾: أي: سَهّلتَ أخلاقَك إذ خالفوك، ﴿**ولو كنتَ فَظًّا**﴾: سيّئ الخُلق، ﴿**غَلِيظَ القَلبِ**﴾: جافيًا فأغلظت لهم، ﴿**لَانْفَضُّوا**﴾: تفرّقوا ﴿**مِن حَولِكَ. فاعفُ**﴾: تجاوزْ ﴿**عَنهُم**﴾ ما أتوه، ﴿**واستَغفِرْ لَهُم**﴾ ذَنبَهم حتّى أغفِرَ لهم، ﴿**وشاوِرْهُم**﴾: استخرِج آراءهم ﴿**في الأمرِ**﴾ أي: شأنِك من الحرب وغيره، تطييبًا لقلوبهم وليُستنّ بك - وكان ﷺ كثير المُشاورة لهم - ﴿**فإذا عَزَمتَ**﴾ على إمضاء ما تُريد، بعد المُشاورة، ﴿**فتوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثِقْ به لا بالمُشاورة. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ**﴾ ١٥٩ عليه. ﴿**إنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ**﴾: يُعِنْكم على عدوّكم كيوم بدر ﴿**فلا غالِبَ لَكُم، وإنْ يَخذُلْكُم**﴾: يَترُكْ نصركم كيوم أُحد ﴿**فمَن ذا الَّذي يَنصُرُكُم مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ خِذلانه؟ أي: لا ناصر لكم. ﴿**وعلى اللهِ**﴾ لا غيرِهِ ﴿**فلْيَتَوَكَّلِ**﴾: لِيَثِقِ ﴿**المُؤمِنُونَ**﴾ ١٦٠.

٢- ونزل، لمّا فُقِدتْ قَطيفةٌ حمراء يومَ بدر، فقال بعضُ الناس: «لعلّ النبيَّ أخذَها»: ﴿**وما كانَ**﴾: ما ينبغي ﴿**لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ**﴾: يخونَ في الغنيمة - فلا تظنّوا به ذلك. وفي قراءة بالبناء للمفعول أي: يُنسبَ إلى الغُلول - ﴿**ومَن يَغلُلْ يأتِ بما غَلَّ يومَ القِيامةِ**﴾ حاملًا له على عنقه، ﴿**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ**﴾ الغالُّ وغيرُه جزاءَ ﴿**ما كَسَبَتْ**﴾: عملت، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ ١٦١ شيئًا.

٣- ﴿**أفمَنِ اتَّبَعَ رِضوانَ اللهِ**﴾، فأطاع ولم يَغُلَّ، ﴿**كَمَن باءَ**﴾: رَجَع ﴿**بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ**﴾ لمعصيته وغلوله، ﴿**ومأواهُ جَهَنَّمُ؟ وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ١٦٢: المرجعُ هي! لا. ﴿**هُم دَرَجاتٌ**﴾ أي: أصحابُ درجاتٍ ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ أي: مختلفو المنازل، فلِمَن اتّبع رضوانه الثوابُ، ولِمَن باء بسَخَطه العِقابُ، ﴿**واللهُ بَصِيرٌ بما يَعمَلُونَ**﴾ ١٦٣ فيُجازيهم به. ﴿**لَقَد مَنَّ اللهُ على المُؤمِنِينَ، إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولًا مِن أنفُسِهِم**﴾ أي: عربيًّا مِثلَهم، ليفهموا عنه ويَشرُفوا به، لا مَلَكًا ولا عَجميًّا، ﴿**يَتلُو عَلَيهِم آياتِهِ**﴾: القرآنَ، ﴿**ويُزَكِّيهِم**﴾: يُطهّرهم من الذّنوب، ﴿**ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ**﴾: القرآنَ ﴿**والحِكمَةَ**﴾: السُّنّةَ، ﴿**وإنْ**﴾ مُخفّفةٌ أي: إنّهم ﴿**كانُوا مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ بَعثه ﴿**لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ١٦٤: بيِّن.

٤- ﴿**أوَلَمّا أصابَتكُم مُصِيبةٌ**﴾ بأُحُد، بقتل سبعين منكم، ﴿**قد أصَبتُم مِثلَيها**﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم، ﴿**قُلتُم**﴾ مُتعجّبين: ﴿**أنّى**﴾: من أين لنا ﴿**هٰذا**﴾ الخِذلانُ، ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاريّ. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**هُوَ مِن عِندِ أنفُسِكُم**﴾، لأنكم تركتم المركز فخُذلتم. ﴿**إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١٦٥، ومنه النصرُ ومنعُه. وقد جازاكم بخِلافكم.

---

(١) زائدة أي: حرف زائد معناه التوكيد. والرحمة: العطف بالإحسان إليك وإليهم. ولنت: لطفت ورفقت. والفظ: العنيف الجافي المعاشرة. والغليظ: القاسي المتكبر. واستغفر لهم أي: اشفع لهم وادع الله لهم بالستر والعفو. وما أتوه أي: من مخالفة في غزوة أحد. ويُستن أي: يُقتدى بين المسلمين. وعزمت: وطنت نفسك. ويحبهم: يودهم ويقدر لهم الخير. والمتوكل: الذي يفوض أمره إلى الله. والغالب: المتغلب القاهر. وينصرُكم: يعينكم على أعدائكم. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٢) القطيفة: كساء من المُخمل. وبعض الناس أي: من المنافقين. وما ينبغي أي: لا يمكن أن يحصل. وللمفعول يريد: «يُغَلّ». ويغلُل أي: يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة خفية. ويأت به أي: يحضره معه. وتُوفاه: تُعطاه تامًّا وافيًا. والنفس: المخلوق المكلف. وهم أي: جميع الناس. ويظلم: يجار عليه بنقص الحسنات أو زيادة السيئات.

(٣) اتّبعه: عمل بأمر الله واجتنب نهيه. والرضوان: القبول والإكرام. والسخط: الغضب الشديد كما يليق بجلاله وعظمته. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. والمرجع: المكان يُرجع إليه. وجهنم: اسم علم للعذاب الذي هيئ للكافرين والمصرّين على العصيان. وعند الله أي: في حكمه وعلمه. وبصير أي: يشاهد ويرى. ومنّ عليهم أي: أحسن إليهم بالنعم. وبعثه: كلفه بالدعوة. ويتلوها: يقرؤها ويعمل بما تقتضيه. ويعلّمهم أي: يوضّح لهم ويفسر. والحكمة: وضع الأمور في مواضعها بإتقان. ومخففة: انظر «المفصل». والضلال: الحيرة والضياع والكفر.

(٤) أصابتكم: نزلت بكم. والمصيبة: الهزيمة والخسارة. ومثليها أي: بمقداريها. وأصبتم: نلتم. والاستفهام أي: مافي الهمزة أول الآية من معنى الإنكار التوبيخي. ومن عند أنفسكم أي: هي سبب ما حدث. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والمركز: المكان الذي حُدِّد للمحاربين في الغزوة. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته دون معين أو منازع.

وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ
وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١- ﴿**وما أصابَكُم يَومَ التَقَى الجَمْعانِ**﴾ بأُحد ﴿**فبِإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته، ﴿**ولِيَعلَمَ**﴾ اللهُ عِلمَ ظُهورٍ ﴿**المُؤمِنِينَ**﴾ ١٦٦ حقًّا، ﴿**ولِيَعلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا، و**﴾ الذين ﴿**قِيلَ لَهُم**﴾، لمّا انصرفوا عن القتال، وهم عبدالله بن أُبيّ وأصحابه: ﴿**تَعالَوا قاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أعداءه، ﴿**أوِ ادفَعُوا**﴾ عنّا القوم بتكثير سوادكم، إن لم تُقاتلوا - ﴿**قالُوا: لَو نَعلَمُ**﴾: نُحسِنُ ﴿**قِتالًا لَاتَّبَعْناكُم**﴾. قال تعالى، تكذيبًا لهم: ﴿**هُم لِلكُفرِ يَومَئذٍ أقرَبُ مِنهُم لِلإيمانِ**﴾، بما أظهروا من خِذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقربَ إلى الإيمان من حيث الظاهرُ. ﴿**يَقُولُونَ بِأفواهِهِم ما لَيسَ في قُلُوبِهِم**﴾، ولو علموا قتالًا لم يتّبعوكم، ﴿**واللهُ أعلَمُ بِما يَكتُمُونَ**﴾ ١٦٧ من النِّفاق - ﴿**الَّذِينَ**﴾: بدل من «الذين» قبله أو نعت ﴿**قالُوا لِإخوانِهِم**﴾ في الدِّين، ﴿**و**﴾ قد ﴿**قَعَدُوا**﴾ عن الجِهاد: ﴿**لَو أطاعُونا**﴾ أي: شُهداءُ أُحُد أو إخواننا، في القُعود، ﴿**ما قُتِلُوا. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**فادرَؤُوا**﴾: ادفعوا ﴿**عَن أنفُسِكُمُ المَوتَ، إنْ كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٦٨ في أن القعود يُنجي منه.

الحزب ٨

٢- ونزل في الشهداء: ﴿**ولا تَحسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: لأجل دِينه ﴿**أمواتًا. بَل**﴾ هم ﴿**أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم**﴾، أرواحهم في حواصل طُيور خُضر تسرح في الجنَّة حيث شاءت، كما ورد في حديث، ﴿**يُرزَقُونَ**﴾ ١٦٩: يأكلون من ثِمار الجنّة، ﴿**فَرِحِينَ**﴾: حالٌ من ضمير «يرزقون» ﴿**بِماآتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، و**﴾ هم ﴿**يَستَبشِرُونَ**﴾: يفرحون ﴿**بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِهِم مِن خَلفِهِم**﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويُبدل من «الذين»: ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**لا خَوفٌ عَلَيهِم**﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم، ﴿**ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ١٧٠ في الآخرة - المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم - ﴿**يَستَبشِرُونَ بِنِعْمةٍ**﴾: ثواب ﴿**مِنَ اللهِ وفَضلٍ**﴾: زيادةٍ عليه، ﴿**وأنَّ**﴾ - بالفتحِ عطفًا على «نعمة» والكسرِ استئنافًا - ﴿**اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُؤمِنِينَ**﴾ ١٧١ بل يأجُرهم.

٣- ﴿**الَّذِينَ**﴾: مبتدأ ﴿**استَجابُوا للهِ والرَّسُولِ**﴾ دُعاءه بالخُروج للقِتال، لمّا أراد أبو سفيان وأصحابه العَودَ، وتواعدوا مع النبيّ سُوقَ بدر العامَ المُقبل من يوم أُحُد، ﴿**مِن بَعدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ**﴾ بأُحُد، وخبر المبتدأ: ﴿**لِلَّذِينَ أحسَنُوا مِنهُم**﴾ بطاعته، ﴿**واتَّقَوا**﴾ مُخالفَته، ﴿**أجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٧٢ هو الجنّة، ﴿**الَّذِينَ**﴾: بدل من «الذين» قبله أو نعت ﴿**قالَ لَهُمُ النّاسُ**﴾ أي: نُعيم بن مسعود الأشجعيّ: ﴿**إنَّ النّاسَ**﴾: أبا سُفيان وأصحابه ﴿**قَد جَمَعُوا لَكُم**﴾ الجُموعَ ليستأصلوكم. ﴿**فاخشَوهُم**﴾ ولا تأتوهم. ﴿**فزادَهُم**﴾ ذلك القولُ ﴿**إيمانًا**﴾: تصديقًا بالله ويقينًا، ﴿**وقالُوا: حَسْبُنا اللهُ**﴾: كافِينا أمرَهم، ﴿**ونِعمَ الوَكِيلُ**﴾ ١٧٣: المُفوَّضُ إليه الأمرُ هو! وخرجوا مع النبيّ فوافَوا سُوقَ بدر، وألقى اللهُ الرُّعبَ في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال الله تعالى: ﴿**فانقَلَبُوا**﴾: رجَعوا من بدر، ﴿**بِنِعْمةٍ مِنَ اللهِ وفَضلٍ**﴾: بسلامة ورِبح، ﴿**لَم يَمسَسْهُم سُوءٌ**﴾ من قتل أو جرح، ﴿**واتَّبَعُوا رِضوانَ اللهِ**﴾ بطاعته ورسولَه في الخُروج. ﴿**واللهُ ذُو فَضلٍ عَظِيمٍ**﴾ ١٧٤ على أهل طاعته. ﴿**إنَّما**﴾

---

(١) أصابكم أي: حلّ بكم. والتقى: التحم للقتال. ونافق: أظهر بلسانه من الإيمان خلاف مافي قلبه. وأصحابه أي المنافقون. وتعالوا: أقبلوا إلى أُحد. وسبيل الله: دينه وماشرع فيه من الجهاد لإعلاء كلمته. وتكثير سوادكم يعني: تكثير عددكم لنا. ومن حيث الظاهر يعني أنهم كانوا في ظاهر الأمر مؤمنين. والأفواه: جمع فم. والقلوب: جمع قلب. وأعلم: أكثر علمًا منهم ومن المؤمنين. ويكتمون أي: يخفونه. والإخوان: جمع أخ. وهو الموافق والمشارك في الاعتقاد. وجعلُ المؤمنين إخوانًا للمنافقين هنا هو من حيث ظاهر الحال. ولإخوانهم أي: في الحديث عن إخوانهم. وقعد: تخلف وامتنع. وأطاعوا: وافقوا.

(٢) تحسب: تظن. وبالتشديد يريد القراءة «قُتِّلوا». وأموات: جمع ميت. والأحياء: جمع حي. والحواصل: جمع حوصلة. وهي ما يُختزن فيه الغذاء قبل وصوله إلى المعدة. والحديث المذكور: انظر «المفصل». ويرزق: ييسّر ما يريد. وآتاهم: أعطاهم. والفضل: التفضل والإحسان. ولم يلحقوا بهم أي: بقوا بعدهم في الحياة الدنيا. والنعمة: الإنعام بالخير. ومن الله أي: من عنده وبإكرامه. وبالكسر يريد القراءة «إنَّ». ويضيع: يهمل. والأجر: المكافأة.

(٣) استجابوا: أجابوا الدعوة ولبّوها. والمقبل أي: بعد غزوة أُحد. وأصابهم: نزل بهم. والقرح: الجراح والآلام. وأحسنوا أي: في طاعة الرسول. واتقوا: تجنبوا. والعظيم: الذي لا مثيل له في ضخامته وتميزه. وجمع: حشد. واخشوهم أي: خافوا لقاءهم وتجنبوه. وزادهم أي: أضاف إليهم. ونِعم أي: بلغ الغاية في الفضل والخير والعون. ووافوها أي: صادفوا السوق عامرة بالناس. ومعهم يعني: مع المسلمين. والنعمة والفضل: الإنعام والتفضل. ويمسّ: يصيب. والسوء: ما يؤذي. واتبعوه: طلبوه بالعمل. ورضوان الله: رضاه وقبوله. وذو فضل أي: صاحبه المتفرد به. والعظيم: الضخم لا مثيل له. والشيطان: من يوسوس بالشر والفساد. ويخوف: يُرهب يُفزع. وأولياء: جمع ولي. وأولياءه أي: شرَّ أوليائه بتعظيمه وتضخيمه.

الجزء الرابع سورة آل عمران

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا
أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

ذٰلِكُمُ﴾ أي: القائلُ لكم «إنّ الناس» إلى آخره ﴿**الشَّيطانُ، يُخَوِّفُـ**﴾ـكم ﴿**أولياءَهُ**﴾: الكُفّارَ. ﴿**فلا تَخافُوهُم وخافُونِيَ**﴾ في ترك أمري، ﴿**إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ١٧٥ حقًّا.

١- ﴿**ولا يُحزِنْكَ**﴾ - بضمّ الياء وكسر الزاي، وبفتحها وضمّ الزاي من: حَزَنَه، لغةٌ في: أحزَنَه - ﴿**الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفرِ**﴾: يقعون فيه سريعًا بنُصرته - وهم أَهل مكّة والمنافقون - أي: لا تَهتمَّ لكُفرهم. ﴿**إنَّهُم لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا**﴾ بفِعلهم! وإنّما يضرّون أنفُسَهم. ﴿**يُرِيدُ اللهُ ألّا يَجعَلَ لَهُم حَظًّا**﴾: نصيبًا ﴿**في الآخِرةِ**﴾ أي: في الجنّة - فلذلك خذلهم - ﴿**ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٧٦ في النار. ﴿**إنَّ الَّذِينَ اشتَرَوُا الكُفرَ بالإيمانِ**﴾ أي: أخذوه بدله ﴿**لَن يَضُرُّوا اللهَ**﴾ بكُفرهم ﴿**شَيئًا! ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١٧٧: مؤلم.

٢- ﴿**ولا يَحسِبَنَّ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ ما نُملِي**﴾ أي: إملاءنا ﴿**لَهُم**﴾، بتطويل الأعمار وتأخيرهم، ﴿**خَيرٌ لِأنفُسِهِم**﴾. و«أنّ» ومعمولاها سدّت مسدّ المفعولين في قراءة التحتانيّة، ومسدّ الثاني في الأُخرى. ﴿**إنَّما نُملِي**﴾: نُمهل ﴿**لَهُم لِيَزدادُوا إثمًا**﴾ بكثرة المعاصي، ﴿**ولَهُم عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ ١٧٨: ذو إهانة في الآخرة. ﴿**ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ**﴾: ليترك ﴿**المُؤمِنِينَ على ما أنتُم**﴾ - أيُّها النّاس - ﴿**علَيهِ**﴾ من اختلاط المنافق بغيره، ﴿**حَتّى يَمِيزَ**﴾، بالتخفيف والتشديد: يَفصِلَ ﴿**الخَبِيثَ**﴾: المُنافقَ ﴿**مِنَ الطَّيِّبِ**﴾: المؤمنِ، بالتكاليف الشاقّة المبيِّنة لذلك، ففعل ذلك يوم أُحُد، ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم على الغَيبِ**﴾، فتعرفوا المُنافقَ من غيره قبل التمييز، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ يَجتَبِي**﴾: يختارُ ﴿**مِن رُسُلِهِ مَن يَشاءُ**﴾، فيُطلِعُه على غَيبه، كما أَطلع النبيَّ على حال المُنافقين. ﴿**فآمِنُوا باللهِ ورُسُلِهِ. وإنْ تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا**﴾ النفاق ﴿**فلَكُم أجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٧٩.

٣- ﴿**ولا تَحسِبَنَّ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**الَّذِينَ يَبخَلُونَ بما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ**﴾ أي: بزكاته ﴿**هُوَ**﴾ أي: بُخلَهم ﴿**خَيرًا لَهُم**﴾: مفعول ثان والضمير للفصل، والأوّل «بُخلَهم» مقدّرًا قبل المَوصول على الفوقانيّة، وقبل الضمير على التحتانيّة. ﴿**بَل هُوَ شَرٌّ لَهُم، سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ**﴾ أي: بزكاته من المال، ﴿**يَومَ القِيامةِ**﴾ بأن يُجعل حيّة في عُنقه تنهشه، كما ورد في الحديث، ﴿**ولِلّهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما، ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**خَبِيرٌ**﴾ ١٨٠، فيُجازيكم به.

---

(١) يحزن: يسبب الهم والأسى. وبفتحها يريد القراءة «ولايَحزُنْكَ». والكفر: التكذيب للتوحيد والنبوة. ولن يضروه أي: لن يصيبوا دينه ولا أولياءه بأذى كبير أو شر، لأن ما يكون هو خير للإسلام والمسلمين. وفي تعليق نفي الضرر هنا به - تعالى - تشريف للمؤمنين، وإيذان بأن مضارتهم بمنزلة مضارة المولى، مع مبالغة في التسلية والوعد الجميل. خ: «بكفرهم». وفي الحاشية عن إحدى النسخ: «بفعلهم». ويريد: يحكم ويفعل. ويجعل: يوجِد. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والعظيم: الضخم جدًا لا مثيل له. والإيمان: الاعتقاد القاطع بالتوحيد وما يلزمه.

(٢) يحسب: يظن. وبالتاء يريد القراءة «ولا تَحسِبَنَّ». والإملاء: الإمهال بتأخير العقوبة وإطالة العمر. والخير: مافيه نفع حقيقي. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. والتحتانية: ياء المضارعة. فهي منقوطة من تحت بخلاف التاء. والمراد قراءة «ولا يَحسِبَنَّ». ويزداد: يضاف إليه ويتضاعف. والإثم: الذنب والمعصية. وروي أن النبي ﷺ أعلمه الله مَن يؤمن به ومَن يكفر. ولما بلغ ذلك المنافقين قالوا مستهزئين: يزعم هذا، ونحن معه ولا يعرفنا. فنزلت الآية ١٧٩. الواحدي ص ١٢٧. والناس: البشر من المؤمنين وغيرهم. والتشديد أي: للياء مع كسرها وضم الياء الأولى وفتح الميم، يريد القراءة «يُميِّزَ». والخبيث: الخسيس الدنيء. والطيب: من تحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال. ويطلعكم عليه: يعلمكم به ويبيّنه لكم. والغيب: ماخفي على عقول الخلق وحواسهم. والرسل: جمع رسول. وهو المبعوث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويشاء أي: يريد أن يطلعه. وآمنوا أي: تيقنوا تيقنًا جازمًا. وتتقوا النفاق أي: تتجنبوه وتطلبوا الطاعة والصلاح. والأجر: المكافأة والثواب. والعظيم: الضخم لا مثيل له ولا يقدر قدره.

(٣) انظر أول الآية ١٧٨. ويبخل به: يمنع بذل ما يجب عليه. وآتاهم: أعطاهم ويسّر لهم. والفضل: التفضل والإنعام. وبزكاته أي: بدفع زكاة ما أعطاهم الله - تعالى - من تفضله وإحسانه. وشر لهم أي: يجلب لهم الضرر بالعقاب الشديد. ويطوقونه: يُجعل لهم كالطوق في أعناقهم. واليوم: الوقت والزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث قهرًا. وتنهش: تلسع وتعض. والحديث هو ما أخرجه البخاري تحت الأرقام ١٣٣٨ و٤٢٨٩ و٤٣٨٢ و٦٥٥٧. والميراث: التملك والحيازة لما ينتقل ملكه بين المخلوقات. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمراد: ما في السماوات والأرض أيضًا. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أوفعل. وبالياء يريد القراءة «يَعمَلُونَ». والخبير: العالم بخفايا الأمور وظواهرها، ومنها ما يكون من بذل ومنع وغير ذلك.

الجزء الرابع سورة آل عمران

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

١ - ﴿**لَقَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ فَقِيرٌ، ونَحنُ أغنِياءُ**﴾. وهم اليهود قالوه، لمّا نزل «مَن ذا الّذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا»؟ وقالوا: لو كان غنيًّا ما استقرضَنا. ﴿**سَنكتُبُ**﴾: نأمر بكتب ﴿**ما قالُوا**﴾ في صحائف أعمالهم، ليُجازَوا عليه - وفي قراءة بالياء مبنيًّا للمفعول - ﴿**و**﴾ نكتبُ ﴿**قَتلَهُمُ**﴾، بالنصب والرفع، ﴿**الأنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍّ، ونَقُولُ**﴾ بالنون، والياء أي: اللهُ لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿**ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ ١٨١: النار. ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: ﴿**ذٰلِكَ**﴾ العذاب ﴿**بِما قَدَّمتْ أيدِيكُم**﴾ - عُبّر بهما عن الإنسان لأنّ أكثر الأفعال تُزاوَل بهما - ﴿**وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ**﴾ أي: بذي ظُلم ﴿**لِلعَبِيدِ**﴾ ١٨٢، فيُعذِّبَهم بغير ذنب.

٢ - ﴿**الَّذِينَ**﴾ نعتٌ لـ«الذين» قبله ﴿**قالُوا**﴾ لمحمّد: ﴿**إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَينا**﴾ في التوراة ﴿**ألّا نُؤمِنَ لِرَسُولٍ**﴾: نصدِّقَه، ﴿**حَتَّى يأتِيَنا بِقُربانٍ تأكُلُهُ النّارُ**﴾، فلا نُؤمنُ لك حتّى تأتينَا به. وهو ما يُتقرَّبُ به إلى الله من نَعَمٍ وغيرِها. فإن قُبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته. وإلّا بقي مكانه. وعَهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلّا في المسيح ومحمّد. قال تعالى: ﴿**قُلْ**﴾ لهم توبيخًا: ﴿**قَد جاءَكُم رُسُلٌ مِن قَبلِي بِالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات، ﴿**وبِالَّذِي قُلتُم**﴾ كزكريّاء ويحيى فقتلتموهم. والخِطاب لمن في زمن نبيّنا، وإن كان الفعل لأجدادهم، لرضاهم به. ﴿**فلِمَ قَتَلتُمُوهُم، إنْ كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٨٣ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟ ﴿**فإنْ كَذَّبُوكَ فقَد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ، جاؤُوا بِالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات، ﴿**والزُّبُرِ**﴾ كصُحف إبراهيم ﴿**والكِتابِ**﴾ - وفي قراءة بإثبات الباء فيهما - ﴿**المُنِيرِ**﴾ ١٨٤: الواضح - هو التوراة والإنجيل - فاصبر كما صبروا.

ربع الحزب ٨

٣ - ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوتِ، وإنَّما تُوَفَّونَ أُجورَكُم**﴾: جزاءَ أعمالكم ﴿**يَومَ القِيامةِ. فمَن زُحزِحَ**﴾: بُعّدَ ﴿**عَنِ النّارِ وأُدخِلَ الجَنّةَ فقَد فازَ**﴾: نال غاية مطلوبه، ﴿**وما الحَياةُ الدُّنيا**﴾ أي: العيشُ فيها ﴿**إلّا مَتاعُ الغُرُورِ**﴾ ١٨٥: الباطلِ، يُتمتّع به قليلًا ثم يفنى. ﴿**لَتُبْلَوُنَّ**﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتُختبَرُنَّ ﴿**في أموالِكُم**﴾ بالفرائض فيها والجوائحِ ﴿**وأنفُسِكُم**﴾ بالعبادات والبلاء، ﴿**ولَتَسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم**﴾، اليهودِ والنصارى، ﴿**ومِنَ الَّذِينَ أشرَكُوا**﴾ من العرب، ﴿**أذًى كَثِيرًا**﴾ من السبِّ والطعن والتشبيب بنسائكم. ﴿**وإنْ تَصبِرُوا**﴾ على ذلك، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ اللهَ، ﴿**فإنَّ ذٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ**﴾ ١٨٦ أي: من معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها.

---

(١) سمعه أي: أدركه وعلمه. والفقير: من ليس عنده ما يكفيه. والأغنياء: جمع غني. وهو المستغني عن الآخرين. وللمفعول يريد «سَيُكتَبُ». وبالرفع يريد القراءة «قَتْلُهُمُ»، مع بناء فعل الكتابة للمجهول أيضًا. والأنبياء: جمع نبي. والحق: العدل. وبالياء يريد القراءة «ويَقُولُ»، مع بناء فعل الكتابة للمفعول ورفع «قتل» أيضًا. وذوقوا أي: تحسسوا وكابدوا بكامل أجسامكم وأرواحكم. وقدمت: اكتسبت وتحملت في الحياة الدنيا. والأيدي: جمع يد. والمراد بنفي الظلم عنه إثبات أنه عادل عدلًا مطلقًا مع التوكيد لذلك. والعبيد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا.

(٢) نعت أي: في محل جر صفة. وانظر «المفصل». وعهد إلينا أي: أمرنا وألزمنا. ورسول أي: من يدعي أن الله أرسله إلينا. ويأتينا بقربان أي: يجيئنا ومعه قربان. وتأكله: تحرقه وتفنيه. والنعم: الإبل والشاء والبقر. وبيضاء أي: لا دخان لها ولا دويّ. وجاءكم أي: أتاكم. والرسل: جمع رسول. والصادق: من يقول الحق. وكذبوك أي: استمروا على تكذيبك، في أصل النبوة والشريعة. وجاؤوا: أتوا وحضروا. والزبر: جمع زَبُور. وهو ما يُسجل فيه الحِكم البالغة. وبإثبات الباء يريد «وبالزُّبُرِ وبالكِتابِ». والمنير: المضيء لتمييز الحق من الباطل.

(٣) النفس: المخلوق الحي. وذائقته أي: تناله وتعانيه بكامل بنيانها. وتوفونها أي: تعطَونها كاملة. وأجور: جمع أجر. وهو المكافأة من ثواب أو عقاب. وأدخلها أي: أُكرم بأن يصير فيها. والجنة: الحديقة العظيمة. والمتاع: ما يُستمتع به من آلات وأموال وغير ذلك. والغرور: ما يَخدع. والباطل: الزائل لاثبات له. وذكر حذف الواو هو من التلخيص، خطأ انتقل إلى قرة العينين والمنحة وغيرهما. والصواب أن واو الضمير ثابتة. انظر «المفصل». وقد مرّ النبي ﷺ بمجلس فيه عبد الله بن أُبيّ قبل ادعاء إسلامه، مع بعض اليهود والمشركين، ودعاهم إلى الإسلام، فكان ردهم سيئًا أدى إلى التساب والفتنة بينهم وبين المسلمين، فنزلت الآية ١٨٦ بالصبر والعفو. انظر «المفصل». وتُختبرون أي: تُمتحنون ليظهر الصالح من الفاسد. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من المتاع والزينة. والجوائح: جمع جائحة. وهي المهلكة كالغرق والحرق والزلازل. والأنفس: جمع نفس. وتسمعه: يبلغ سمعَك. وأوتوه: أُعطُوه وكلّفوا بما فيه. والكتاب: التوراة والإنجيل. وأشرك: جعل مع الله شريكًا من المخلوقات في التقديس والطاعة. والعرب أي: وغيرهم من الأمم. والأذى: ما يُسبب الضرر والغم. وتصبر: تتجلد ولا تستجيب للغضب. وتتقوه أي: تتجنبوا غضبه وتطلبوا رضاه بالطاعة والإخلاص. ويُعزم أي: يصمَّم. فالعزم هنا هو ما صُمِّم عليه. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والحال.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا
قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ
بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِي
خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ
لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ
أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ
ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤

١ - ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ أخَذَ اللهُ ميثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكتابَ**﴾ أي: العهدَ عليهم في التوراة، ﴿**لَيُبيِّنُنَّهُ**﴾ أي: الكتابَ ﴿**لِلناسِ ولا يَكتُمونَهُ**﴾ - بالياء والتاء في الفعلين - ﴿**فنَبَذُوهُ**﴾: طرحوا الميثاق ﴿**وَراءَ ظُهُورِهِم**﴾ فلم يعملوا به، ﴿**واشتَرَوا بهِ**﴾: أخذوا بدله ﴿**ثَمنًا قَليلًا**﴾ من الدنيا من سَفِلتهم، برياستهم في العلم، فكتموه خوفَ فَوتِه عليهم. ﴿**فبِئسَ ما يَشتَرُونَ**﴾ ١٨٧ : شراؤهم هذا!

٢- ﴿**لا تَحسِبَنَّ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**الَّذينَ يَفرَحُونَ بما أتَوا**﴾: فعلوا من إضلال الناس، ﴿**ويُحِبُّونَ أنْ يُحمَدُوا بما لَم يَفعَلُوا**﴾ من التمسّك بالحقّ، وهم على ضلال، ﴿**فلا تَحسِبَنَّهُم**﴾ - بالوجهين تأكيد - ﴿**بِمفازةٍ**﴾: بمكانٍ ينجُون فيه ﴿**مِنَ العَذابِ**﴾ في الآخرة، بل هم في مكان يُعذّبون فيه وهو جهنّم. ﴿**ولَهُم عَذابٌ أليمٌ**﴾ ١٨٨ : مؤلم فيها - ومفعولا «يحسِب» الأُولى دلّ عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانيّة، وعلى الفوقانية حُذف الثاني فقط - ﴿**ولله مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: خزائنُ المطر والرزق والنبات وغيرها، ﴿**واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ ١٨٩ ، ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين.

٣- ﴿**إنَّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ**﴾، وما فيهما من العجائب، ﴿**واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ بالمجيء والذّهاب والزِّيادة والنُّقصان، ﴿**لآياتٍ**﴾: دلالات على قدرته - تعالى - ﴿**لأُولِي الألبابِ**﴾ ١٩٠ : لذوي العُقول، ﴿**الَّذينَ**﴾: نعت لما قبله أو بدل ﴿**يَذكُرُونَ اللهَ، قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِهِم**﴾: مضطجعين أي: في كلّ حال - وعن ابن عبّاس: يُصلّون كذلك حَسَبَ الطاقة - ﴿**ويَتَفكَّرُونَ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ**﴾، ليستدلّوا به على قُدرة صانعهما، يقولون:

٤- ﴿**ربَّنا، ما خَلَقتَ هٰذا**﴾ الخلقَ الذي نراه ﴿**باطِلًا**﴾: حالٌ، عبثًا بل دليلًا على كمال قُدرتك. ﴿**سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك عن العبث! ﴿**فقِنا عَذابَ النّارِ**١٩١. **رَبَّنا، إنَّكَ مَن تُدخِلِ النّارَ**﴾ للخُلود فيها ﴿**فقَد أخزَيتَهُ**﴾: أهنته، ﴿**وما لِلظّالِمِينَ**﴾: الكافرين - فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر إشعارًا بتخصيص الخِزي بهم - ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**أنصارٍ**﴾ ١٩٢ : يمنعونهم من عذاب الله. ﴿**رَبَّنا، إنَّنا سَمِعْنا مُنادِيًا، يُنادِي**﴾: يدعو الناس ﴿**لِلإيمانِ**﴾ أي: إليه - وهو مُحمّد أو القُرآن - ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**آمِنُوا برَبِّكُم، فآمَنّا**﴾ به. ﴿**رَبَّنا، فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وكَفِّرْ**﴾: غَطِّ ﴿**عَنّا سَيِّئاتِنا**﴾ فلا تظهرها بالعِقاب عليها، ﴿**وتَوَفَّنا**﴾: اقبِض أرواحنا ﴿**مَعَ**﴾: في جملة ﴿**الأبرارِ**﴾ ١٩٣ : الأنبياء والصالحين - ﴿**رَبَّنا - وآتِنا**﴾: أعطِنا ﴿**ما وَعَدتَّنا**﴾ به، ﴿**علَى**﴾ ألسنة ﴿**رُسُلِكَ**﴾ من الرحمة والفضل - وسُؤالُهم ذلك، وإن كان وعدُه تعالى لا يُخلَف، سؤالُ أن يجعلهم من مُستحقّيه، لأنهم لم يتيقّنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربّنا» مبالغة في التضرّع - ﴿**ولا تُخزِنا يَومَ القِيامةِ. إنَّكَ لا تُخلِفُ المِيعادَ**﴾ ١٩٤ : الوعدَ بالبعث والجزاء.

---

(١) أخذه: تلقاه من أقوالهم الصريحة. وأوتوه: أعطوه وأنزل إليهم. ويبين: يوضح بجلاء. ولا يكتمونه أي: لا يخفون مافيه. وفي الفعلين يريد القراءة للفعلين المتقدمين بتاء الخطاب: «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ ولا تَكتُمُونَهُ». والظهور: جمع ظهر. والثمن: ما يأخذه البائع. والسفلة: الأدنياء. وفوته عليهم أي: ذهاب الثمن عنهم وضياعه.

(٢) انظر أول الآية ١٧٨. والمراد هنا اليهود. ويحب: يود. ويُحمد: يُمدح. وبالوجهين أي: بالتاء كما أثبتنا، وبالياء «فلا يَحسِبُنَّهُم» أي: لا يحسِبُنَّ أنفسَهم. وكل من وجهي القراءة يكون مع ما يناسبه من القراءتين في أول الآية. والتحتانية: الياء. والفوقانية: التاء. والملك: الحيازة والتصرف مطلقًا. والقدير: المبالغ في الاقتدار بلا معين أو معارض. ومنه أي: من الشيء المقدور عليه.

(٣) الخلق: الإيجاد من العدم. والاختلاف: التفاوت في كثير من الصفات والأحوال. وعلى قدرته أي: وعلى وجوده ووحدانيته وعلمه وتسلطه المطلق. وهو مصداق رسالة النبي. والألباب: جمع لب. ويذكرونه أي: يستحضرون عظمته وجلاله باللسان والقلب والعمل. وقيامًا: جمع قائم. وقعودًا: جمع قاعد. والجنوب: جمع جنب. وهو الطرف من جسم الإنسان. وحسب الطاقة أي: على قدر الاستطاعة. ويتفكر: يفكر بعقله وبصيرته. وفي خلقهما يعني: ما فيهما من الإتقان والعجائب.

(٤) قنا: امنع عنا. وتُدخله: تقضي عليه بالدخول. والظالم: من يتجاوز الحق فيضع الأمور في غير مواضعها. وأشنع ذلك هو الكفر. وزائدة أي: للتنصيص على عموم الجنس. والأنصار: جمع نصير. وسمعنا أي: أدركنا بأسماعنا وعقولنا. والمنادي: الداعي يبلّغ ويعظ. وبربكم أي: بوجوده وألوهيته ووحدانيته. وآمنا به أي: صدّقناه جازمين. ومغفرة الذنب: ستره والعفو عنه. والذنوب: جمع ذنب. والسيئات: جمع سيئة. وغطها أي: استرها وامحها. والأبرار: جمع برّ. ووعدتنا: تعهّدت لنا. والرسل: جمع رسول. ولا تخزنا أي: لا تفضحنا بالعتاب ولا تهلكنا بالعقاب. ولاتخلفه أي: لا تهمله ولا تخل به.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ — آياتها ١٧٦ — ترتيبها ٤

١- ﴿**فاستجابَ لَهُم رَبُّهُم**﴾ دعاءهم ﴿**أنّي**﴾ أي: بأني ﴿**لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أو أُنثى، بَعضُكُم**﴾ كائن ﴿**مِن بَعضٍ**﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس. والجُملة مؤكِّدة لما قبلها. أي: هم سواء في المُجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلت، لمّا قالت أمّ سَلَمَةَ: يا رسول الله، إنّي لا أسمع ذِكر النساء في الهجرة بشيء. ﴿**فالَّذِينَ هاجَرُوا**﴾ من مكّة إلى المدينة، ﴿**وأُخرِجُوا مِن دِيارِهِم، وأُوذُوا في سَبِيلي**﴾: ديني، ﴿**وقاتَلُوا**﴾ الكفّارَ ﴿**وقُتِلُوا**﴾ - بالتخفيف والتشديد. وفي قراءة بتقديمه - ﴿**لأُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم**﴾: أسترُها بالمغفرة، ﴿**ولأُدخِلَنَّهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ثَوابًا**﴾: مصدرٌ من معنى «لأكفرنّ» مؤكِّد له ﴿**مِن عِندِ اللهِ**﴾. فيه التفات عن التكلّم. ﴿**واللهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ**﴾ ١٩٥: الجزاء.

٢- ونزل، لمّا قال المسلمون: «أعداءُ الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجَهدِ»: ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: تصرّفُهم ﴿**في البِلادِ**﴾ ١٩٦ بالتجارة والكسب. هو ﴿**مَتاعٌ قَلِيلٌ**﴾ يتمتّعون به في الدنيا يسيرًا ويفنى، ﴿**ثُمَّ مأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ**﴾ ١٩٧: الفراشُ هي! ﴿**لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لَهُم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ**﴾ أي: مقدّرين الخلودَ ﴿**فيها، نُزُلًا**﴾ هو ما يُعَدّ للضيف - ونصبُهُ على الحال من «جنّات» والعامل فيها معنى الظرف - ﴿**مِن عِندِ اللهِ، وما عِندَ اللهِ**﴾، من الثواب، ﴿**خَيرٌ لِلأبرارِ**﴾ ١٩٨ من متاع الدنيا.

٣- ﴿**وإنَّ مِن أهلِ الكِتابِ لَمَن يُؤمِنُ باللهِ**﴾، كعبدالله بن سلام وأصحابه والنجاشي، ﴿**وما أُنزِلَ إلَيكُم**﴾ أي: القرآنِ، ﴿**وما أُنزِلَ إلَيهِم**﴾ أي: التوراةِ والإنجيل، ﴿**خاشِعِينَ**﴾: حالٌ من ضمير «يؤمن» مُراعًى فيه معنى «مَن» أي: مُتواضعين ﴿**لِلّهِ، لا يَشتَرُونَ بآياتِ اللهِ**﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبيّ ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدنيا بأن يكتموها، خوفًا على الرياسة كفِعل غيرهم من اليهود. ﴿**أُولٰئِكَ لَهُم أجرُهُم**﴾: ثواب أعمالهم ﴿**عِندَ رَبِّهِم**﴾، يُؤتَونه مرّتين كما في «القَصص». ﴿**إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ ١٩٩ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اصبِرُوا**﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي، ﴿**وصابِرُوا**﴾ الكفّارَ فلا يكونوا أشدّ صبرًا منكم، ﴿**ورابِطُوا**﴾: أقيموا على الجِهاد، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في جميع أحوالكم، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ٢٠٠: تَفوزون بالجنّة وتنجون من النار.

سورة النساء

مدنية، وهي مِائَة وخمس أو ستّ أو سبع وسبعون آية.

---

(١) هذه الآية نزلت جوابًا لكلام أُمّ سلمة، زوجة الرسول ﷺ. ففي الآية بشارة للمؤمنين جميعًا، من ذكور وإناث، بما يطلبون من الفضل. واستجاب: أجاب بتحقق المراد. وأُضيعُ: أُهمل وأُبطل. وهاجر: ترك بلده وأهله وماله ليحفظ دينه. وأُخرج أي: حُمل على الخروج اضطرارًا. والديار: جمع دار. وأوذي: أصيب بالضرر والعذاب. والسبيل: الطريق الواضح. وقاتل: حارب العدو. وقتل: فارقت روحه جسده استشهادًا. وبالتشديد يريد القراءة «وقُتِّلُوا». وتقديمه أي: تقديم «قُتِلُوا». يريد القراءة «وقُتِلُوا وقاتَلُوا». والسيئة: المعصية. وأُدخله: أقضي له بالدخول. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل بسرعة. ومن تحتها أي: من تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. ومن عنده أي: تفضلًا وإحسانًا منه في مرتبة الزلفى والإكرام. والحُسن: الجمال والطيب. (٢) المسلمون أي: بعض الصحابة. والجهد: المشقة والفقر. ولا يغرنك أي: لا تنخدع بظاهر ما ترى. والبلاد: جمع بلد. و«هو» أي: تقلبهم المذكور قبل. والمتاع: ما ينتفع به. والمأوى: المكان الذي يأوون إليه ويخلدون فيه. وجهنم: اسم علم للنار الموقدة معدة للكافرين. وبئس: جاوز الحد في القبح والسوء والفساد. والمهاد: ما مهّدوا لأنفسهم ليلقوه في الآخرة. و«هي» المخصوص بالذم مرتين: في جنسه «المهاد»، وفي اختصاصه هذا. واتقوا ربهم أي: بتجنب الشرك والمعاصي، ولزوم الطاعة والصلاح. والخالد: المقيم أبدًا. وخير: أكثر نفعًا. والأبرار: جمع برّ. وهو المحسن للإيمان والعمل أي: المتقي. (٣) النجاشي ملك الحبشة حينذاك، واسمه أصحمة. وأهل الكتاب: أصحابه الذين كلفوا بما فيه، وهم اليهود والنصارى. ويؤمن به: يعرف قلبه توحيده وما يلزم ذلك. وعبد الله بن سلام: صحابي جليل كان من أحبار اليهود وأسلم. وأُنزل: أوحي من عند الله. والخاشع: الخاضع الخائف المتذلل. ولا يشترون بها أي: لا يستبدلون بها ولا يبيعونها. وأولئك أي: المؤمنون من أهل الكتاب. وعند ربهم أي: بحكمه مهيّأ لهم في الدنيا والآخرة. وفي القصص يعني: الآية ٥٤ من تلك السورة. و«أيام الدنيا» قول غير صحيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة. (٤) اصبروا أي: الزموا التحمل. وصابروهم أي: كونوا أصبر منهم. ورابطوا أي: لازموا ما شرع الله - تعالى - في جهاد العدو لإعلاء كلمته ودينه. ولعلكم أي: ليترجى لكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

نصف الحزب ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه، ﴿**الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ**﴾: آدمَ، ﴿**وخَلَقَ مِنها زَوجَها**﴾: حوّاءَ بالمدّ، من ضِلَع من أضلاعه اليُسرى، ﴿**وبَثَّ**﴾: فرّق ونشر ﴿**مِنهُما**﴾ من آدمَ وحوّاءَ ﴿**رِجالًا كَثِيرًا ونِساءً**﴾ كثيرة، ﴿**واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسّاءَلُونَ**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها - أي: تتساءلون ﴿**بِهِ**﴾ فيما بينكم، حيثُ يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله وأنشُدك بالله، ﴿**و**﴾ اتّقوا ﴿**الأرحامَ**﴾ أن تقطعوها. وفي قراءة بالجرّ عطفًا على الضمير في «بِهِ». وكانوا يتناشدون بالرَّحِم. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ علَيكُم رَقِيبًا**﴾ ١: حافظًا لأعمالكم فيُجازيكم بها، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

٢- ونزل في يتيم، طلبَ من وليّه مالَه فمنعَه: ﴿**وآتُوا اليَتامَى**﴾ الصِّغارَ الأُلَى لا أب لهم ﴿**أمْوالَهُم**﴾ إذا بلغوا، ﴿**ولا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ**﴾: الحرامَ ﴿**بِالطَّيِّبِ**﴾: الحلالِ، أي: تأخذوه بدله كما تفعلون، من أخذ الجيّد من مال اليتيم، وجعل الرديء من مالكم مكانه، ﴿**ولا تأكُلُوا أمْوالَهُم**﴾ مضمومةً ﴿**إلَى أمْوالِكُم - إنَّهُ**﴾ أي: أكلَها ﴿**كانَ حُوبًا**﴾: ذنبًا ﴿**كَبِيرًا**﴾ ٢: عظيمًا - ولمّا نزلت تحرّجوا من وِلاية اليتامى، وكان فيهم مَن تحتَه العَشرُ أو الثمانُ من الأزواج فلا يَعدِل بينهنّ، فنزل: ﴿**وإنْ خِفتُم ألّا تُقسِطُوا**﴾: تعدِلوا ﴿**في اليَتامَى**﴾، فتحرّجتم من أمرهم، فخافوا أيضًا ألّا تعدِلوا بين النِّساء إذا نكحتُموهنّ، ﴿**فانكِحُوا**﴾: تزوّجوا ﴿**ما**﴾ بمعنى: مَن ﴿**طابَ لَكُم مِنَ النِّساءِ، مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ**﴾ أي: اثنتين اثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك، ﴿**فإن خِفتُم ألّا تَعدِلُوا**﴾ فيهنّ بالنفقة والقَسْم ﴿**فواحِدةً**﴾ انكحوها، ﴿**أو**﴾ اقتصروا على ﴿**ما مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من الإماء، إذ ليس لهنّ من الحُقوق ما للزوجات. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: نِكاح الأربعة فقط أو الواحدةِ أو التسرّي ﴿**أدنَى**﴾: أقربُ إلى ﴿**ألّا تَعُولُوا**﴾ ٣: تجوروا.

٣- ﴿**وآتُوا**﴾ أعطُوا ﴿**النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ**﴾: جمع صَدُقة، مُهورَهنّ ﴿**نِحْلةً**﴾: مصدر، عطيّةً عن طِيب نفس - ﴿**فإنْ طِبْنَ لَكُم عَن شَيءٍ مِنهُ نَفْسًا**﴾: تمييزٌ محوّل عن الفاعل، أي: طابت أنفسُهنّ لكم عن شيء من الصَّداق فوهَبْنَه لكم ﴿**فكُلُوهُ هَنِيئًا**﴾: طيّبًا، ﴿**مَرِيئًا**﴾ ٤: محمودَ العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة. نزلَ ردًّا على من كره ذلك - ﴿**ولا تُؤتُوا**﴾، أيّها الأولياءُ، ﴿**السُّفَهاءَ**﴾: المُبَذِّرين، من الرجال والنساء والصبيان، ﴿**أمْوالَكُمُ**﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم، ﴿**الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُم قِيامًا**﴾: مصدرُ: قامَ، أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أَوَدِكم، فيُضيّعوها في غير وجهها - وفي قراءة: «قِيَمًا» جمع قِيمة: ما يُقوَّم به الأمتعةُ - ﴿**وارزُقُوهُم فِيها**﴾ أي: أطعموهم منها، ﴿**واكسُوهُم وقُولُوا لَهُم قَولًا مَعرُوفًا**﴾ ٥: عِدُوهم عِدةً جميلة بإعطائهم أموالَهم، إذا رَشَدوا.

٤- ﴿**وابتَلُوا**﴾: اختبِروا ﴿**اليَتامَى**﴾ قبل البُلوغ، في دِينهم وتصرّفهم في أموالهم - ﴿**حَتَّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ**﴾ أي: صاروا أهلًا له بالاحتلام أو السنّ، وهو استكمال خمسَ عشْرةَ سنةً عند الشافعيّ، ﴿**فإنْ آنَستُم**﴾: أبصرتم ﴿**مِنهُم رُشدًا**﴾: صلاحًا في دِينهم ومالهم ﴿**فادفَعُوا إلَيهِم أمْوالَهُم - ولا تأكُلُوها**﴾، أيّها الأولياء، ﴿**إسرافًا**﴾: بغير حقّ، حال ﴿**وبِدارًا**﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافةَ ﴿**أنْ يَكبَرُوا**﴾ رُشداءَ، فيلزمَكم تسليمُها إليهم، ﴿**ومَن كانَ**﴾ من الأولياء ﴿**غَنِيًّا فلْيَستَعفِفْ**﴾ أي: يَعِفَّ عن مال اليتيم ويمتنعْ من أكله، ﴿**ومَن كانَ فَقِيرًا فلْيأكُلْ**﴾ منه ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾ بقدر أُجرة عمله، ﴿**فإذا دَفَعتُم إلَيهِم**﴾ أي: إلى اليتامى ﴿**أمْوالَهم فأشهِدُوا علَيهِم**﴾ أنهم تسلّموها وبرئتم، لئلّا يقع اختلاف فترجِعوا إلى البيِّنة. وهذا أمرُ إرشاد. ﴿**وكَفَى بِاللهِ**﴾ - الباء: زائدة - ﴿**حَسِيبًا**﴾ ٦: حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسبَهم!

---

(١) خلقكم: أوجدكم. والنفس: الروح والجسد، أي: الإنسان. والزوج: الزوجة. وذكر الضلع استنباط مرجوح من حديث شريف. والحق أن ما جاء فيه مراد به التمثيل، لِما يكون في النساء من عناد ومخالفة للرجال، كالضلع العوجاء. انظر «المفصل». وتساءلون: يستعطف بعضكم بعضًا. وبحذفها يريد: «تَساءلُونَ». وأنشُدك: أستحلفك. والأرحام: جمع رَحِم. وهم الأقارب مطلقًا، ما يعرف في الميراث بأصحاب الفروض والعَصَبة ومَن بعدهم، أي: الجدان والجدتان وأولادهم والحفدة. وصلة الرحم مما كان في الجاهلية وأقره الإسلام، وتكون بالإحسان والعون والدعاء للأحياء والأموات. **(٢)** بلغوا: أدركوا سنّ الرشد. وتحته: في عصمته. ونزل أي: الآية التالية بلزوم ولاية اليتامى، والعدل في معاملة الزوجات. وانكحوا: إن شئتم مثنى وإن شئتم ثلاث وإن شئتم رباع. والقسم: النصيب بين الزوجات في الحاجات عدا المحبة والوطء. وما ملكت أيمانكم: ماملكتم للتسرّي، وهو نكاح الجواري المملوكات. **(٣)** النحلة: الهبة. وطبن: وهبن. والنفس: القلب والضمير. وكلوه: خذوه. والمريء: السائغ. والسفهاء: جمع سفيه، ضعاف العقول. والأود: ضعف الحال. وارزقوهم: أنفقوا عليهم. واكسوهم: هيئوا لهم الكسوة. والمعروف: ما حسن شرعًا وعقلًا وعرفًا. ورشدوا: بلغوا سن الرشد والتمييز للصواب. **(٤)** النكاح: سن الزواج. والاحتلام: بلوغ الطفل حد القدرة على الزواج. وادفعوها: سلّموها. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك للتمتع والزينة. وتأكل:=

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

١- ونزل ردًّا لِما كان عليه الجاهليّة، من عدم توريث النِّساء والصِّغار: ﴿**لِلرِّجالِ**﴾ الأولادِ والأقرباءِ ﴿**نَصِيبٌ**﴾: حظّ، ﴿**مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ**﴾ المتوفَّون، ﴿**ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ، مِمّا قَلَّ مِنهُ**﴾ أي: المالِ ﴿**أو كَثُرَ**﴾، جعله الله ﴿**نَصِيبًا مَفرُوضًا**﴾ ٧: مقطوعًا بتسليمه إليهم، ﴿**وإذا حَضَرَ القِسمةَ**﴾ للمِيراث ﴿**أُولُو القُربَى**﴾: ذَوُو القرابة ممّن لا يَرِثُ، ﴿**واليَتامَى والمَساكِينُ، فارزُقُوهُم مِنهُ**﴾ شيئًا قبل القِسمة، ﴿**وقُولُوا**﴾ - أيُّها الأولياء - ﴿**لَهُم**﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿**قَولًا مَعرُوفًا**﴾ ٨: جميلًا، بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه لصغار. وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا ولكن تهاونَ الناسُ في تركه. وعليه فهو ندب، وعن ابن عبّاس: واجب.

٢- ﴿**ولْيَخشَ**﴾، أي: لِيَخَفْ على اليتامى، ﴿**الَّذِينَ لَو تَرَكُوا**﴾ أي: قاربوا أن يتركوا، ﴿**مِن خَلفِهِم**﴾ أي: بعدَ موتهم، ﴿**ذُرِّيّةً ضِعافًا**﴾: أولادًا صِغارًا ﴿**خافُوا علَيهِم**﴾ الضياعَ، ﴿**فلْيَتَّقُوا اللهَ**﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يُحبّون أن يُفعل بذرّيّتهم من بعدهم، ﴿**ولْيَقُولُوا**﴾ للميّت ﴿**قَولًا سَدِيدًا**﴾ ٩: صوابًا، بأن يأمروه أن يتصدّقَ بدون ثُلثه، ويدعَ الباقي لورثته ولا يتركَهم عالةً. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يأكُلُونَ أموالَ اليَتامَى ظُلمًا**﴾ أي: بغير حقّ ﴿**إنَّما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم**﴾ أي: مِلأَها ﴿**نارًا**﴾، لأنه يؤول إليها، ﴿**وسَيَصلَونَ**﴾، بالبناء للفاعل والمفعول: يدخلون ﴿**سَعِيرًا**﴾ ١٠: نارًا شديدة يحترقون فيها.

٣- ﴿**يُوصِيكُمُ**﴾: يأمُركم ﴿**اللهُ، في**﴾ شأن ﴿**أولادِكُم**﴾ بما يُذكَر. ﴿**لِلذَّكَرِ**﴾ منهم ﴿**مِثلُ حَظِّ**﴾: نصيبِ ﴿**الأُنثَيَينِ**﴾، إذا اجتمعتا معه فله نِصفُ المال ولهما النِّصفُ. فإن كان معه واحدةٌ فلها الثُّلثُ وله الثُّلثانِ، وإن انفردَ حازَ المالَ. ﴿**فإنْ كُنَّ**﴾ أي: الأولادُ ﴿**نِساءً**﴾ فقطْ ﴿**فَوقَ اثنتَينِ فلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ**﴾ الميْت، وكذا الاثنتان لأنه للأُختين بقوله «فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ» فهما أولى، ولأنّ البنت تستحقّ الثُّلث مع الذكر، فمع الأُنثى أولى - و«فوق» قيل: صلة، وقيل: لدفع توهّم زيادة النصيب بزيادة العدد، لمّا فُهم استحقاق الثِّنتين الثُّلثين من جعل الثُّلث للواحدة مع الذَّكر - ﴿**وإنْ كانَتْ**﴾ المولودة ﴿**واحِدةً**﴾ - وفي قراءة بالرفع فـ«كان»: تامّةٌ - ﴿**فلَها النِّصفُ، ولِأبَوَيهِ**﴾ أي: الميتِ، ويُبدل منهما ﴿**لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ مِمّا تَرَكَ، إنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ ذكر أو أُنثى. ونُكتةُ البدل أفادتْ أنهما لا يشتركان فيه. وأُلحق بالولدِ ولدُ الابن، وبالأبِ الجَدُّ.

٤- ﴿**فإنْ لَم يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ووَرِثَهُ أبَواهُ**﴾ فقطْ أو مع زوج ﴿**فلِأُمِّهِ**﴾ - بضمِّ الهمزة، وكسرِها فرارًا من الانتقال من ضمّة إلى كسرة لِثِقَلِه، في الموضعين - ﴿**الثُّلُثُ**﴾ أي: ثُلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب، ﴿**فإنْ كانَ لَهُ إخوةٌ**﴾ أي: اثنان فصاعدًا ذكور أو إناث ﴿**فلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة، وإرثُ مَن ذَكر ما ذُكر، ﴿**مِن بَعدِ**﴾ تنفيذِ ﴿**وَصِيّةٍ يُوصِي**﴾ - بالبناء للفاعل والمفعول - ﴿**بِها أو**﴾

=تأخذ وتنفق. والإسراف: الإفراط. والغني: من يملك ما يكفيه. والفقير: من ليس عنده ما يكفيه. وأشهدوا: أحضروا من يشهد. وكفى: أغنى عن الحاجة. وزائدة: للتوكيد والتزيين.

(١) الرجال: جمع رجل. وهو الذكر. وترك: خلّف بعد موته. والأقربون: المتوارثون بالقرابة. والنساء: واحدته امرأة. وهي الأنثى. وحضرها أي: شهدها وقت إجرائها. والميراث: ما يورث من التركة. واليتامى: الأطفال الذين توفي آباؤهم، جمع يتيم. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والمراد هنا الأجانب من اليتامى والمساكين. وارزقوهم أي: أعطوا الأصناف الثلاثة المذكورة قبل. ومنه أي: من الميراث. وهذا أي: إعطاؤهم من الميراث وجوبًا. ومنسوخ أي: حكمه نُسخ بالآيتين ١١ و١٢ اللتين للميراث والوصية. و«لا» يعني أن الحكم غير منسوخ والآية مُحكَمة. وعليه أي: على القول بعدم النسخ فالحكم مندوب لا واجب. **(٢)** الضعاف: جمع ضعيف. ويتقوه أي: يتجنبوا غضبه ويطلبوا رضاه بالعدل. والميت: المشرف على الموت. والعالة: جمع مفرده عَيِّل. وهو المحتاج أن يعوله غيره. ويأكل: يأخذ. والبطون: جمع بطن. وهو الجوف. ويؤول إليها يعني: أن أكل مال اليتيم ظلمًا يؤدي إلى نار جهنم. وبالمفعول يريد القراءة «سَيُصلَونَ». **(٣)** المثل: المماثل في القدر. وحازه: ملكه وحده. وفوق اثنتين أي: زائدات على اثنتين. والثلث: ما يكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. فيكون الثلثان للنساء، والثلث الباقي للورثة الآخرين. وكذا يعني: كذلك حكم الثلثين من الميراث، يكون للأنثيين تقتسمانه، إذا لم يكن معهما ذكر. وبقوله أي: في الآية ١٧٦. و«فهما» يعني: فالبنتان. ومع الذكر أي: إذا انفردا بالميراث. ومع الأنثى أولى أي: فحكم الأنثى أوجب مع من هي مثلها. وصلة: يعني أن «فوق» لفظ زائد. وليس في القرآن شيء لا فائدة له. انظر «المفصل». ولدفع التوهم أي: أن «فوق» غير زائدة، والمقصود بذكرها إزالة ما يُتوهم بدونها، من استحقاق الكثيرات أكثر من الثلثين. والمراد بالمولودة الوارثة التي هي ولد الميت. وبالرفع يريد «واحِدةٌ». والنكتة: الفكرة العلمية الدقيقة. وفيه أي: في السدس. وولد الابن والجد أي: أن حكم ولدِ الابن والجدِّ في الإرث كحكم الولد والأب . **(٤)** الولد: الابن أو الابنة. وورثه: كان وارثًا له. والوالدان: الأب والأم والجد والجدة. والمراد بالزوج ماكان ذكرًا أو أنثى. وبكسرها يريد القراءة «فلِإمِّهِ». و«من ضمة إلى كسرة»=

الجزء الرابع — سورة النساء

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٨

قضاءِ ﴿دَينٍ﴾ عليه. وتقديم الوصيّة على الدَّين، وإن كانت مؤخّرة عنه في الوفاء، للاهتمام بها - ﴿آباؤُكُم وأبناؤُكُم﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿لا تَدرُونَ: أيُّهُم أقرَبُ لَكُم نَفعًا﴾ في الدنيا والآخرة؟ فظانٌّ أنّ ابنه أنفع له فيُعطيه المِيراث فيكون الأب أنفع، وبالعكس. وإنّما العالِم بذلك اللهُ، ففرض لكم المِيراث - ﴿فَرِيضةً مِنَ اللهِ. إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ ١١ فيما دبَّره لهم، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

١- ﴿ولَكُم نِصفُ ما تَرَكَ أزواجُكُم، إنْ لَم يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم، ﴿فإنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فلَكُمُ الرُّبُعُ مِمّا تَرَكْنَ، مِن بَعدِ وَصِيّةٍ يُوصِينَ بِها أو دَينٍ﴾ - وأُلحق بالولد في ذلك ولدُ الابن بالإجماع - ﴿ولَهُنَّ﴾ أي: الزوجاتِ تَعدَّدْنَ أو لا ﴿الرُّبُعُ مِمّا تَرَكتُم، إنْ لَم يَكُنْ لَكُم وَلَدٌ، فإنْ كانَ لَكُم وَلَدٌ﴾ منهنّ أو من غيرهنّ ﴿فلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمّا تَرَكتُم، مِن بَعدِ وَصِيّةٍ تُوصُونَ بِها أو دَينٍ﴾ - وولد الابن كالولد في ذلك إجماعًا - ﴿وإنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: صفةٌ والخبر: ﴿كَلالةً﴾ أي: لا والدَ له ولا ولدَ، ﴿أو امرأةٌ﴾ تُورث كلالةً، ﴿ولَهُ﴾ أي: الموروثِ الكلالةِ ﴿أخٌ أو أُختٌ﴾ أي: من أُمّ - وقرأ به ابن مسعود وغيره - ﴿فلِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ﴾ ممّا ترك، ﴿فإنْ كانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأُمّ ﴿أكثَرَ مِن ذٰلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فهُم شُرَكاءُ في الثُّلُثِ﴾: يستوي فيه ذَكَرهم وأُنثاهم، ﴿مِن بَعدِ وَصِيّةٍ يُوصِي بِها أو دَينٍ، غَيرَ مُضارٍّ﴾: حالٌ من ضمير «يُوصِي» أي: غيرَ مُدخلِ الضررَ على الوَرَثة، بأن يُوصيَ بأكثرَ من الثلث، ﴿وَصِيّةً﴾: مصدر مؤكِّد لـ«يوصيكم» ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبّره لخلقه من الفرائض، ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٢ بتأخير العُقوبة عمّن خالفه. وخَصّتِ السُّنّةُ توريثَ مَن ذُكر، بمَن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دِين أو رِقّ.

٢- ﴿تِلكَ﴾ الأحكام المذكورة، من أمر اليتامى وما بعده، ﴿حُدُودُ اللهِ﴾: شرائعه التي حَدَّها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدَّوها، ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ

=صوابه: من كسرة إلى ضمة. والموضعين أي: هنا وفي قوله: «فلأمه السدس». والثلث: مايكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. وله أي: للميت الذي لم يكن له ولد. والإخوة: جمع أخ. ومن ذكر يعني: الفروع والأصول من الورثة. وما ذكر أي: ما فُصّل من الأحكام السابقة. والوصية: ما أمر المتوفَّى بتمليكه من ماله بعد موته لأحد. ويوصي بها أي: يبلّغها ويكلف بها. وبالمفعول يريد القراءة «يُوصَى». والدين: القرض ذو الأجل المحدد. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجد. والمراد هنا الأم والجدة أيضًا. والأبناء: جمع ابن. وهم الأولاد والحفدة. وتدرون: تعلمون علمًا حقيقيًا. وأقرب نفعًا أي: أكثر جلبًا للخير ودفعًا للشر. والظان: المتوهم بلا علم حقيقي. وبالعكس أي: ومنكم من يظن عكس ذلك. وفريضة: مفروضة محتمة. ومن الله أي: من عنده بحكمته وقضائه. ولم يزل: يعني أن «كان» هنا ليست لما مضى من الزمن، بل تفيد الدوام والتأبيد. والعليم: المبالغ في العلم. والحكيم: ذو الحكمة العالية بتمام العلم وإتقان التوجيه.

(١) الأزواج: الزوجات. والمراد نصف ما تركن من الميراث. والنصف الآخر لباقي الورثة. وولد أي: ذكر أو أنثى، واحد أو أكثر. والربع: مايكون من تقسيم الشيء على أربعة. وألحق أي: أن الولد الذكر أو الأنثى من ابن المتوفَّى حكمه بالإجماع حكم أبيه، أما ولد البنت فلا يحجب الزوج إلى الربع. وتعددن أي: كنّ أكثر من واحدة. و«أو لا» يعني: أو كانت الزوجة واحدة ليس معها غيرها. ولكم ولد أي: منهن أو من غيرهن. والرجل :الذكر. والمرأة: الأنثى. وتورث كلالة أي: كانت المرأة الموروثة كالّة، خالية من الوالد والولد. والموروث الكلالة هو الرجل أو المرأة، لأن كلًّا منهما يقال له: موروث. و«ابن مسعود» كذا، وقراءة: «أَخٌ أو أُختٌ مِن أُمٍّ» هي لسعد بن أبي وقاص. معجم القراءات القرآنية ٢:١١٦. والظاهر أن السيوطي وهِمَ في تحريف عبارة البيضاوي، وفيها: «أي: من الأم. ويدل عليه قراءة أُبيّ وسعد بن مالك: وله أخ أو أخت من الأم». والشركاء: جمع شريك. والمضارّ: من يسبب الأذى. وخصص حكم الأولاد بالفريضة، لأنها أقوى وآكد، وحكم الكلالة بالوصية للدلالة على أن الكَلَّ، وإن كان واجبَ الرعاية، تكون رعاية الأولاد أولى منه. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنب لا يستخفه العصيان. وليس فيه مانع: يعني أن القاتلَ للموروث أو غيرَ المسلم أو الرقيقَ لا يكون له نصيب في الميراث المذكور، كما جاء في السُّنّة الشريفة. انظر الأحاديث ٦٣٨٣ في البخاري و١٦١٤ في مسلم.

(٢) المذكورة أي: في الآيات ٢-١٢. والحدود: جمع حد. وهو الحكم الشرعي. وحدّها أي: فصّلها محددة. ويطيعه: ينقاد لأمره ونهيه. والرسول: من بعث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويدخله: ييسر له الدخول. والتفاتًا يعني: من الغَيبة إلى التكلم في القراءة «نُدْخِلْهُ». والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل بسرعة وتتدفق. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والنهر: المجرى العظيم للماء والعسل والخمر واللبن. والخالد: المقيم أبدًا. والإشارة بـ«ذلك» هي إلى دخول الجنة مع الخلود فيها. والفوز: الظفر بالخير. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ويعصيه أي: يخالف أمره أو نهيه. ويتعداها: يتجاوزها ويخرج عليها. وبالوجهين: يعني القراءتين للفعل الأخير: بالياء وبالنون. وكل منهما مع ما يماثلها في جواب الشرط السابق، من الغَيبة والتكلم. والنار: نار جهنم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. و«روعي... معناها» المراد أن «مَن» لفظها يدل على مفرد، ومعناها يحتمل الدلالة على جمع، فأعيد عليها في «خالدين» ضمير الجمع، وفيما عدا ذلك هنا ضمير المفرد.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

ورَسُولَهُ﴾ فيما حكم به **﴿يُدْخِلْهُ﴾** - بالياء، والنونِ التفاتًا - **﴿جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها - وذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾** ١٣ **- ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾** - بالوجهين - **﴿نارًا خالِدًا فِيها، ولَهُ﴾** فيها **﴿عَذابٌ مُهِينٌ﴾** ١٤: ذو إهانة. ورُوعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَن» وفي «خالدين» معناها.

١- **﴿واللّاتي يأتِينَ الفاحِشةَ﴾**: الزِّنى، **﴿مِن نِسائكُم، فاستَشهِدُوا عليهِنَّ أربعةً مِنكُم﴾** أي: من رجال المسلمين، **﴿فإنْ شَهِدُوا﴾** عليهنّ بها **﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾**: احبسوهنّ **﴿في البُيُوتِ﴾** وامنعوهنّ من مُخالطَة الناسِ، **﴿حَتَّى يَتَوَفّاهُنَّ المَوتُ﴾** أي: ملائكته **﴿أو﴾** إلى أن **﴿يَجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾** ١٥: طريقًا إلى الخُروج منها. أُمروا بذلك أوّلَ الإسلام، ثمّ جَعلَ لهنّ سبيلًا بجلدِ البِكر مِائةً وتغريبها عامًا، ورجم المُحصَنة. وفي الحديث: لمّا بيّن الحدَّ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عنِّي. قَد جَعلَ اللهُ لهنَّ سَبيلًا» رواه مسلم.

٢- **﴿واللَّذانِ﴾** - بتخفيفِ النون وتشديدِها - **﴿يأتِيانِها﴾** أي: الفاحشةَ الزنى أو اللِّواطَ **﴿مِنكُم﴾** أي: الرجالِ **﴿فآذُوهُما﴾** بالسبِّ والضرب بالنعال، **﴿فإنْ تابا﴾** منها، **﴿وأصلَحا﴾** العمل، **﴿فأعرِضُوا عَنهُما﴾** ولا تُؤذوهما. **﴿إنَّ اللهَ كانَ تَوّابًا﴾** على مَن تاب **﴿رَحِيمًا﴾** ١٦ به. وهذا منسوخ بالحدّ إن أُريد بها الزنى. وكذا إن أُريد بها اللِّواط عند الشافعيّ. لكنّ المفعول به لا يُرجم عنده وإن كان مُحصَنًا، بل يُجلد ويُغرّب. وإرادة اللِّواط أظهر بدليل تثنية الضمير. والأوّلُ قال: أراد الزاني والزانية. ويردّه تبيينُهما بـ«مِن» المُتّصلة بضمير الرجال واشتراكُهما في الأذى والتوبة والإعراض. وهو مخصوص بالرجال لِما تقدّم في النساء من الحبس. **﴿إنّما التَّوبةُ على اللهِ﴾**، أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضله، **﴿لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ﴾**: المعصيةَ **﴿بِجَهالةٍ﴾**: حالٌ أي: جاهلين إذ عصَوا ربّهم، **﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾** زمنٍ **﴿قَرِيبٍ﴾** قبلَ أن يُغرغِروا، **﴿فأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم﴾**: يقبل توبتهم - **﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾** بخلقه، **﴿حَكِيمًا﴾** ١٧ في صُنعه بهم - **﴿ولَيسَتِ التَّوبةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾**: الذُّنوبَ - **﴿حَتَّى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ المَوتُ﴾** وأخذ في النَّزْع **﴿قالَ﴾**، عند مشاهدة ما هو فيه: **﴿إنِّي تُبتُ الآنَ﴾**، فلا ينفعه ذلك ولا يُقبل منه - **﴿ولا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وهُم كُفّارٌ﴾**، إذا تابوا في الآخرة عند مُعاينة العذاب لا تُقبل منهم. **﴿أُولٰئِكَ أعتَدْنا﴾**: أعددنا **﴿لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾** ١٨: مُؤلمًا.

٣- **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَحِلُّ لَكُم أنْ تَرِثُوا النِّساءَ﴾** أي: ذاتَهنّ **﴿كَرْهًا﴾**، بالفتح والضمّ لغتانِ، أي مُكرِهِيهنّ على ذلك - كانوا في الجاهليّة يرثون نساء أقربائهم. فإن شاؤوا تزوّجوها بلا صَداق، أو زوّجوها وأخذوا صَداقها، أو عَضَلوها حتّى تفتديَ بما ورثته، أو تموتَ فيرثوها. فنُهوا عن ذلك - **﴿ولا﴾** أن **﴿تَعضُلُوهُنَّ﴾** أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم، بإمساكهنّ ولا رغبةَ لكم فيهنّ ضِرارًا، **﴿لِتَذهَبُوا بِبَعضِ ما آتَيتُمُوهُنَّ﴾** من المَهر، **﴿إلّا أنْ يأتِينَ بِفاحِشةٍ مُبَيِّنةٍ﴾**، بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنت أو هي بَيِّنة، أي: زِنًى أو نُشوزٍ، فلكم أن تُضارّوهنّ حتّى يَفتدينَ منكم ويَختلعْنَ، **﴿وعاشِرُوهُنَّ بِالمَعرُوفِ﴾** أي: بالإجمال في القول والنفقة والمَبيت، **﴿فإنْ كَرِهتُمُوهُنَّ﴾** فاصبِروا **﴿فَعَسَى أنْ تَكرَهُوا شَيئًا، ويَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا﴾** ١٩، ولعلّه يجعل فيهنّ ذلك بأن يرزقكم منهنّ ولدًا صالحًا.

---

(١) يأتين الفاحشة أي: يفعلنها. والنساء: جمع نسوة. والمفرد امرأة. واستشهدوا أربعة أي: اطلبوا ممن قذفهن شهادة أربعة. والبيوت: جمع بيت. ويجعل: يَشرع. و«جعل لهن سبيلًا» يعني الآية ٢ من سورة النور، وما كان من السُّنّة الشريفة. والبكر: التي لم تتزوج قبل. والتغريب: الإبعاد عن البلد. والمحصنة: المتزوجة. والرجم: الرمي بالحجارة حتى الموت. والحديث تحت الرقم ١٦٩٠ في صحيح مسلم.

(٢) وبتشديدها يريد القراءة «واللَّذانِّ». وتاب: عزم على الامتناع. وأصلحه: جعله كما يريد الشرع. وأعرِضوا: اصفحوا. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: الكثير العطف بالعفو. ومنسوخ بالحد أي: أن الحكم بالإيذاءِ منسوخ بالآية ٢ من سورة النور. والمفعول به يعني الذَّكَرَ الذي كان اللواط فيه. ومخصوص أي: أن حكم الإيذاء والتوبة والإعراض عن التائب خاص بالرجال، لأن حكم النساء تقدم في الآية ١٥. والسوء: ما يسبب الضرر. والجهالة: عدم المعرفة. والتوبة أي: التي يقبلها الله. والنزع: نزع الروح من الجسد. والكفار: جمع كافر.

(٣) لا يحل أي: لا يجوز. وذاتهن يعني أن المراد هو النهي عن وراثة نكاحهن. وبالضم يريد القراءة «كُرْهًا». وعن ذلك أي: معاملة النساء معاملة التركة الموروثة. وأزواجكم أي: زوجاتكم. والإمساك: الامتناع عن الطلاق. وضرارًا أي: قهرًا ليُحملن على ما يضرهن. وتذهبوا به أي: تأخذوه. ويأتين بها أي: يفعلنها. وبكسرها يريد القراءة «مُبَيِّنةٍ» أي: تُبيِّن نفسَها. والنشوز: بغض الزوج، أوالترفع عليه بالعصيان والبذاءة، أو صرف النظر عنه إلى غيره. ويختلعن أي: يُطلَّقن بفدية من المال. وعاشروهن أي: خالطوهن وصاحبوهن. والإجمال: فعل الجميل. وعسى أي: يُرتجى ويؤمل. ويجعل: يخلق وينشئ. والخير: مافيه النفع الحقيقي.

الجزء الرابع | سورة النساء

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

١ - ﴿**وإنْ أَرَدتُمُ استِبدالَ زَوجٍ مَكانَ زَوجٍ**﴾ أي: أخْذَها بدلها بأن طلقتموها، ﴿**و**﴾ قد ﴿**آتَيتُم إحداهُنَّ**﴾ أي: الزوجاتِ ﴿**قِنطارًا**﴾: مالًا كثيرًا صَداقًا، ﴿**فلا تأخُذُوا مِنهُ شَيئًا - أتأخُذُونَهُ بُهْتانًا**﴾: ظُلمًا ﴿**وإثمًا مُبينًا**﴾ ٢٠: بيّنًا؟ ونصبُهما على الحال. والاستفهامُ للتوبيخ، وللإنكار في :﴿**وكَيفَ تأخُذُونَهُ**﴾ أي: بأيِّ وجه، ﴿**وقَد أفضَى**﴾: وصلَ ﴿**بَعضُكُم إلى بَعضٍ**﴾ بالجِماع المُقرِّر للمهر، ﴿**وأخَذْنَ مِنكُم مِيثاقًا**﴾: عهدًا ﴿**غَلِيظًا**﴾ ٢١: شديدًا؟ وهو ما أمر الله به، من إمساكهنّ بمعروف أو تسريحهنّ بإحسان - ﴿**ولا تَنكِحُوا ما**﴾ بمعنى: مَن ﴿**نَكَحَ آباؤُكُم مِنَ النِّساءِ. إلّا**﴾: لكنْ ﴿**ما قَد سَلَفَ**﴾ من فِعلكم ذلك فإنه معفوّ عنه. ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: نِكاحَهنّ ﴿**كانَ فاحِشةً**﴾: قبيحًا، ﴿**ومَقْتًا**﴾ سببًا للمقت من الله، وهو أشد البغض، ﴿**وساءَ**﴾: بئسَ ﴿**سَبِيلًا**﴾ ٢٢: طريقًا ذلك!

٢- ﴿**حُرِّمَتْ علَيكُم أُمَّهاتُكُم**﴾ أن تنكحوهنّ، وشَمَلَتِ الجدّاتِ من قِبَلِ الأب أو الأُمّ، ﴿**وبَناتُكُم**﴾ وشَمَلتْ بَناتِ الأولاد وإن سَفَلْنَ، ﴿**وأخَواتُكُم**﴾ من جِهة الأب أو الأُمّ، ﴿**وعَمّاتُكُم**﴾ أي: أخواتُ آبائكم وأجدادِكم، ﴿**وخالاتُكُم**﴾ أي: أخواتُ أُمّهاتِكم وجدّاتِكم، ﴿**وبَناتُ الأخِ وبَناتُ الأُختِ**﴾ - ويدخل فيهنّ بناتُ أولادِهم - ﴿**وأُمَّهاتُكُمُ اللّاتِي أرضَعْنَكُم**﴾ قبل استكمال الحولين خمسَ رَضَعات كما بَيّنَه الحديث، ﴿**وأخَواتُكُم مِنَ الرَّضاعةِ**﴾ - ويُلحق بذلك بالسُّنَّة البناتُ منها، وهنّ من أرضعتْهنّ موطوءتُه، والعمّاتُ والخالاتُ وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت منها، لحديثِ: «يَحرُمُ مِن الرَّضاعِ ما يَحرُمُ مِنَ النَّسبِ». رواه البخاريّ ومُسلم - ﴿**وأُمَّهاتُ نِسائكُم، ورَبائبُكُمُ**﴾: جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيرِه، ﴿**اللّاتِي في حُجُورِكُم**﴾ تُربّونها - صفة مُوافقة للغالب فلا مفهوم لها - ﴿**مِن نِسائكُمُ اللّاتِي دَخَلتُم بِهِنَّ**﴾ أي: جامعتموهنّ - ﴿**فإنْ لَم تكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَّ فلا جُناحَ علَيكُم**﴾ في نِكاح بناتهنّ إذا فارقتموهنّ - ﴿**وحَلائلُ**﴾: أزواجُ ﴿**أبنائكُم الَّذِينَ مِن أصلابِكُم**﴾، بخِلاف من تبنّيتموهم فلكم نكاحُ حلائلهم، ﴿**وأنْ تَجمَعُوا بَينَ الأُختَينِ**﴾ من نسب أو رَضاع بالنكاح. ويُلحق بهما بالسُّنّة الجمعُ بينها وبين عمّتها أو خالتها. ويجوز نِكاحُ كلّ واحدة على الانفراد، وملكُهما معًا ويَطأ واحدةً. ﴿**إلّا**﴾: لكنْ ﴿**ما قَد سَلَفَ**﴾ في الجاهليّة، من نِكاحكم بعضَ ما ذُكر، فلا جُناحَ عليكم فيه. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا**﴾ لما سلف منكم قبل النهي، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٢٣ بكم في ذلك.

---

(١) أردتم الاستبدال: فعلتموه، أي: إن أبدلتم. والزوج: الزوجة. و«أخذها» تفسير لاستبدال زوج. وبأن طلقتموها يعني: بالطلاق. وشرط الاستبدال لا مفهوم له، وذكره هنا من باب الخاص يراد به العامّ. خ: «بأن طلقتموهن». وآتيتم: أعطيتم تسليمًا أو التزامًا وضمانًا. وإحداهن أي: الواحدة منهن. وذِكرُ القِنطار تمثيل على جهة المبالغة في الكثرة ليكون الشمول لما هو كثير وما هو قليل أيًا كان، ولايلزم عنه جواز المغالاة في المهور. فكأن المراد: وقد آتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. والبهتان: الكذب مكابرة يُبهَتُ من يُرمى به. والإثم: فعل المحرَّم. وعلى الحال أي: باهتين وآثمين. والصواب أن «بهتانًا» هو الحال، و«إثمًا»: منصوب بالعطف. فجعلهُ حالًا هو ذكر للإعراب الحُكمي لا للإعراب الحقيقي. وبعضكم أي: أحدكم. وأخذن: تلقَّين بإقرار مؤكد. والمراد بالميثاق الغليظ مايقتضيه عقد النكاح. وما أمر به: يعني ما في الآية ٢٢٩ من سورة البقرة. وبمعنى «من» أي: أن «ما» هنا للدلالة على العاقلة. ونكحها: عقد عليها عقد النكاح. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والمراد الأبوة في النسب أو الرضاع. وسلف: حصل فيما مضى. ونكاحهن أي: نكاح الأبناء زوجاتِ آبائهم. وكان أي: فيما مضى وما زال، لأن بعض الجاهليين كانوا يستقبحون ذلك ويستهجنون فاعله. وساء: تجاوز الحد في القبح والسوء والشر. وطريقًا أي: في النكاح.

(٢) حرّمت: جُعل نكاحها حرامًا. وأمهات: جمع أُمّ وأمّهة. وأن تنكحوهن: يعني أن المحرَّم هو نكاحهن لا ذواتهن. والأخوات: جمع أخت. ومن جهة الأب أو الأم أي: أو منهما معًا. وبنات الأخ وبنات الأخت أي: بنات الإخوة والأخوات. وبنات أولادهم أي: بنات أولاد الإخوة والأخوات. وأرضعن أي: من لبن أثدائهن. ويعني الحديث ١٤٥٢ في مسلم. و«بذلك» يعني: بتحريم النكاح. ومنها أي: من الرضاعة. وموطوءته أي: المرأة التي ضاجعها. و«البخاري ومسلم» كذا. انظر «المفصل». والمراد أن الرَّضاع يقوم مقام النسب في التحريم للنكاح. ومن غيره أي: من زوج آخر غير زوجها الحالي. والحجور: جمع حَجْر. وهو مقدم الثوب. والمراد به الكنف والرعاية. ولا مفهوم لها: يعني أن الاسم الموصول مع صلته يفيد وصف الربائب المحرَّمات، بكونهن في كنف زوج أمهن، وهو ليس مقصودًا به القيد، ليجوز نكاحهن إذا كنَّ في كنف غيره. وإنما المراد بيان الأمر الغالب في الربائب. والحلائل: جمع حليلة. وهي الزوجة. والأصلاب: جمع صُلب. والمراد هو النسل أي: الذين ولَدتموهم. وحكم الرضاعة هنا أيضًا حكم النسب. والأختان أي: الشقيقتان أو من أب واحد أو أم واحدة. وبينها يعني: بين الزوجة. وكل واحدة أي: من المحرّمتين. وعلى الانفراد أي: أن يكون عقد الرجل على إحداهما في حين أن الأُخرى ليست في عصمته. وملكهما معًا يعني: ويجوز أن يملك الرجل المحرّمتين ملكًا شرعيًا، وينكح واحدة منهما فقط. وسلف: وقع وحصل في الماضي. و«بعض ما ذكر» ليس على إطلاقه، لأن المراد: لكن ما مضى قبل نزول الآية من الجمع بين الأختين. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. والرحيم: العطوف الكثير الإحسان.

۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ
بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ
ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ
بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ
مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ
ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾

١- ﴿**و**﴾ حُرّمتْ عليكم ﴿**المُحصَناتُ**﴾ أي: ذوات الأزواج ﴿**مِنَ النِّساءِ**﴾، أن تنكحوهنّ قبل مُفارقة أزواجهنّ، حَرائرَ مسلماتٍ كنّ أوْ لا - ﴿**إلّا ما مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهنّ، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب، بعد الاستبراء - ﴿**كِتابَ اللهِ**﴾: نُصب على المصدر أي: كَتَبَ ذلك ﴿**علَيكُم، وأَحَلَّ**﴾ - بالبناء للفاعل والمفعول - ﴿**لَكُم ما وَراءَ ذٰلِكُم**﴾ أي: سوى ما حُرّم عليكم من النساء، لِ ﴿**أنْ تَبتَغُوا**﴾: تطلبوا النِّساء ﴿**بِأمْوالِكُم**﴾ بِصَداق أو ثمن، ﴿**مُحصِنينَ**﴾: مُتزوِّجين ﴿**غَيرَ مُسافِحِينَ**﴾: زانين. ﴿**فما**﴾: فمَن ﴿**استَمتَعتُم**﴾: تمتّعتم ﴿**بِهِ مِنهُنَّ**﴾: ممّن تزوّجتم بالوطء ﴿**فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورهنّ التي فرضتم لهنّ ﴿**فَرِيضةً، ولا جُناحَ علَيكُم فِيما تَراضَيتُم**﴾ أنتم وهنّ ﴿**بِهِ مِن بَعدِ الفَرِيضةِ**﴾، مِن حطِّها أو بعضِها أو زيادةٍ عليها. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمًا**﴾ ٢٤ فيما دبّره لهم.

٢- ﴿**ومَن لَم يَستَطِعْ مِنكُم طَولًا**﴾ أي: غِنًى لِـ ﴿**أنْ يَنكِحَ المُحصَناتِ**﴾ الحرائرَ ﴿**المُؤمِناتِ**﴾ - هو جَريٌ على الغالب فلا مفهوم له - ﴿**فمِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ يَنكِحُ، ﴿**مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ - واللهُ أعلَمُ بإيمانِكُم**﴾. فاكتفُوا بظاهره وكِلوا السرائر إليه. فإنه العالم بتفاصيلها، ورُبّ أَمَةٍ تَفضُلُ الحُرّةَ فيه. وهذا تأنيس بنِكاح الإماء. ﴿**بَعضُكُم مِن بَعضٍ**﴾ أي: أنتم وهنّ سواء في الدِّين، فلا تستنكفوا من نكاحهنّ - ﴿**فانكِحُوهُنَّ بِإذنِ أهلِهِنَّ**﴾: مَواليهنّ، ﴿**وآتُوهُنَّ**﴾: أعطوهنّ ﴿**أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورَهنّ، ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾: من غير مطل ونقص، ﴿**مُحصَناتٍ**﴾: عفائفَ، حالٌ ﴿**غَيرَ مُسافِحاتٍ**﴾: زانياتٍ جهرًا، ﴿**ولا مُتَّخِذاتِ أخدانٍ**﴾: أخِلّاءَ يزنون بهنّ سِرًّا. ﴿**فإذا أُحصِنَّ**﴾: زُوِّجْنَ - وفي قراءة بالبناء للفاعل: تَزوّجْنَ - ﴿**فإنْ أتَينَ بِفاحِشةٍ**﴾: زِنًى ﴿**فعَلَيهِنَّ نِصفُ ما علَى المُحصَناتِ**﴾: الحرائر الأبكار إذا زَنَينَ، ﴿**مِنَ العَذابِ**﴾: الحدّ. فيُجلَدْنَ خمسين ويُغرَّبْنَ نصفَ سنةٍ. ويُقاس عليهنّ العبيدُ. ولم يُجعل الإحصانُ شرطًا لوجوب الحدّ، لإفادة أنه لا رجم عليهنّ أصلًا.

٣- ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: نِكاح المملوكات، عند عدم الطَّول، ﴿**لِمَن خَشِيَ**﴾: خاف ﴿**العَنَتَ**﴾: الزنى - وأصله المشقّة، سُمّي به الزنى لأنّه سببها بالحدِّ في الدنيا والعقوبةِ في الآخرة - ﴿**مِنكُم**﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحلّ له نكاحها، وكذا من استطاع طَول حُرّة - وعليه الشافعيّ. وخَرجَ بِقوله: «مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ» الكافراتُ، فلا يحلّ له نكاحها ولو عَدِمَ وخاف - ﴿**وأنْ تَصبِرُوا**﴾ عن نِكاح المملوكات ﴿**خَيرٌ لَكُم**﴾، لئلا يصير الولدُ رقيقًا، ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٢٥ بالتوسعة في ذلك.

٤- ﴿**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم**﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم، ﴿**ويَهدِيَكُم سُنَنَ**﴾: طرائق ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِكُم**﴾، من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتّبعوهم، ﴿**ويَتُوبَ علَيكُم**﴾: يرجِعَ بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته - ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بكم، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٢٦ فيما دبّره لكم - ﴿**واللهُ يُرِيدُ**﴾

---

(١) أن تنكحوهن: يعني تحريم النكاحِ لهن لا ذواتِهن. و«أو لا» يعني: أو كنّ إماء أو من الكتابيات. وملكت أيمانكم: انظر الآية ٣. والوطء: المضاجعة. والاستبراء: الانتظار حتى يبرأ رحم المرأة من الحمل. وبالمفعول يريد القراءة «وأُحِلَّ». والأموال: جمع مال. والصداق: مهر للحرائر. والثمن لشراء الإماء. وآتوا: أعطوا. وأجور: جمع أجر. وفرضتم أي: سميتم. وفريضة أي: مفروضة. والجناح: الذنب. وعليكم أي: أنتم وهنّ. وتراضيتم: توافقتم وقبِلَ بعضكم من بعض. والفريضة: ما كان من المهر المعيّن. والحط: الإسقاط والإزالة. يعني إسقاط المهور عن الأزواج، أو إسقاط بعضها. وانظر آخر الآية ١١.

(٢) ينكح: يتزوج. والحرائر: جمع حُرّة. وهي غير الأمة وغير ذات الزوج. ولا مفهوم له: يعني أن الوصف بـ «المؤمنات» ليس مقصودًا، فيمتنعَ نكاح الكتابية. وإنما قُصد تقرير ما هو الأفضل والأغلب في الواقع. وملكت أيمانكم: انظر الآية ٣. والفتاة: المملوكة. وأعلم أي: أكثر علمًا منكم جملة وتفصيلًا. وبظاهره أي: بما هو ظاهر من إيمان الإماء. وتفاصيلها: ما في السرائر. وتستنكف: تمتنع. والإذن: الإعلام بالموافقة والجواز. والعفائف: جمع عفيفة. وهي التي تحفظ نفسها مما لا يحل. والمتخذة: التي حازت وحصّلت. والأخدان: جمع خِدن. وهو الخليل تقتصر عليه المرأة في الزنى خِفية. وللفاعل يريد القراءة «أَحصَنَّ». وأتينها أي: فعلنها. والنصف: الشطر من الكمّيّة. ويقاس أي: يكون حكم العبيد في الزنى كحكم الإماء بالقياس.

(٣) لأنه سببها أي: لأن الزنى سبب المشقة. والمعروف أن العنت أصله دخول المشقة ولقاء الشِّدة، لا المشقة أو الشِّدة نفسها. والكافرات: فاعل «خرج»، أي: المملوكات غير المسلمات. وعدم وخاف أي: ولو عدم الطول وخاف العنت.

(٤) يريد: يشاء ويقضي. ويبين: يوضح ويفصل. ويهدي: يرشد. والسنن: جمع سُنّة. وكنتم عليها أي: قبل هذه التوبة. ويريدون: يقصدون. ويتبعها: يأتمر لها وينقاد. والشهوة: مايغلب على النفس محبته وهواه. والزناة: جمع الزاني. والعظيم: الكبير جدًا لا مثيل له. وخلق: أُنشئ من العدم. والضعيف: القليل الاحتمال والحزم.

الجزء الخامس سورة النساء

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ
وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

أنْ يَتُوبَ عليكُم﴾، كرّره ليَبنيَ عليه: **﴿ويُريدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ﴾**: اليهودُ والنصارى أو المجوس أو الزُّناة **﴿أنْ تَمِيلُوا مَيلًا عَظِيمًا﴾** ٢٧: تعدلوا عن الحقّ بارتكاب ما حَرّم عليكم، فتكونوا مِثلهم. **﴿يُرِيدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عَنكُم﴾**: يُسهّلَ عليكم أحكام الشرع. **﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا﴾** ٢٨، لا يصبر عن النساء والشهوات.

١ - **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا أموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ﴾**: بالحرام في الشرع كالرِّبا والغصب - **﴿إلّا﴾**: لكنْ **﴿أنْ تكُونَ﴾**: تقعَ **﴿تِجارةٌ﴾**، وفي قراءة بالنصب أي: تكون الأموالُ أموالَ تجارةٍ، صادرةٌ **﴿عَن تَراضٍ مِنكُم﴾** وطِيب نفس فلكم أن تأكلوها - **﴿ولا تَقتُلُوا أنفُسَكُم﴾** بارتكاب ما يُؤدّي إلى هلاكها، أيًّا كان في الدنيا أو الآخرة، بقرينةِ **﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُم رَحِيمًا﴾** ٢٩، في منعه لكم من ذلك، **﴿ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ﴾** أي: ما نَهى عنه **﴿عُدوانًا﴾**: تجاوُزًا للحلال، حالٌ **﴿وظُلمًا﴾**: تأكيد، **﴿فَسَوفَ نُصلِيهِ﴾**: نُدخله **﴿نارًا﴾** يحترق فيها، **﴿وكانَ ذٰلِكَ علَى اللهِ يَسيرًا﴾** ٣٠: هيّنًا. **﴿إنْ تَجتَنِبُوا كَبائرَ ما تُنهَونَ عَنهُ﴾** - وهي ما ورد عليها وعيد، كالقتل والزنَى والسرقة. وعن ابن عبّاس: هي إلى السبعِمائَةِ أقربُ - **﴿نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئاتِكُم﴾** الصغائرَ بالطاعات، **﴿ونُدخِلْكُم مُدخَلًا﴾** - بضمِّ الميم وفتحِها - أي: إدخالًا، أو مَوضعًا **﴿كَرِيمًا﴾** ٣١ هو الجنّة.

٢- **﴿ولا تَتَمَنَّوا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعضَكُم علَى بَعضٍ﴾**، من جهة الدُّنيا أو الدِّين، لئلّا يُؤدّي إلى التحاسد والتباغض - **﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ﴾**: ثوابٌ **﴿مِمّا اكتَسَبُوا﴾** بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره، **﴿ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا اكتَسَبْنَ﴾** من طاعة أزواجِهنّ وحفظ فروجهنّ. نزل لمّا قالت أُمّ سلمة: ليتَنا كُنّا رِجالًا فجاهدنا، وكانَ لنا مِثلُ أجرِ الرجالِ - **﴿واسألُوا﴾**، بهمزة ودونِها، **﴿اللهَ مِن فَضلِهِ﴾** ما احتجتم إليه يُعطِكم. **﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾** ٣٢، ومنه محلّ الفضل وسُؤالُكم. **﴿ولِكُلٍّ﴾** من الرجال والنساء **﴿جَعَلْنا مَوالِيَ﴾**: عَصَبةً يُعطَون **﴿مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ﴾** لهم من المال. **﴿والَّذِينَ عاقَدَتْ﴾** - بألف ودونِها - **﴿أيمانُكُم﴾**: جمع يمين بمعنى القَسَم أو اليد، أي: الحُلفاءُ الذين عاهدتموهم في الجاهليّة على النُّصرة والإرث، **﴿فآتُوهُم﴾** الآنَ **﴿نَصِيبَهُم﴾**: حَظَّهم من المِيراث. وهو السُّدس. **﴿إنَّ اللهَ كانَ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾** ٣٣: مُطّلعًا، ومنه حالُكم. وهذا منسوخ بقوله: «وأُولُو الأرحامِ بَعضُهُم أولَى بِبَعضٍ».

---

(١) المراد بالأكل هو الأخذ والإنفاق، ليشمل ما ينفقه الإنسان بغير حق. والمال: ما يُملك من المتاع والزينة. والباطل: الطريق الذي لم تبحه الشريعة. والتجارة: ممارسة البيع والشراء لِما فيه مصلحة الخلق. والمراد عموم التصرف المشروع، كالهبة والوصية والصدقة. وبالنصب يريد «أن تَكُونَ تِجارةً». والتراضي: أن يقع القبول والرضا من الطرفين. وتقتل: تهلك بإزهاق الروح أو التعريض لعذاب جهنم. والقرينة هنا: الدليل. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والرحيم: المبالغ في الرحمة بعطفه وإحسانه. وما نهى عنه: يعني ما في الآية ٢٩ من أكل المال بالباطل وقتل النفس. وعدوان: اعتداء. والظلم: المجاوزة للحق. وتجتنبها: تبتعد عنها وتنكرها. والكبائر: جمع كبيرة. وهي الموبقات السبع. وتنهون عنه أي: تؤمرون شرعًا بتركه وتجنبه. ونكفر: نغفر ونستر. وبالطاعات أي: بسبب ماتفعلون من لزوم الأمر والنهي. وندخلكم: نجعلكم داخلين ونيسّر لكم ذلك. وبفتحها يريد القراءة «مَدخَلًا». والكريم: الحسن المبارك.

(٢) تتمنى: تشتهي الشيء بدون عمل صالح يوصل إليه. وفضّله أي: خصّه بفضيلة ونعمة. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر المكلف. والنصيب: الحظ والمقدار المعيّن. واكتسب: فعل وتحمل. والنساء: واحدتها امرأة. وهي الأنثى المكلفة. وحفظ فروجهن أي: وغير ذلك من خير أو شر. و«نزل» يعني أن قوله - تعالى - في هذه الآية نزل، عندما صرّحت أم سلمة بهذا التمني. وهي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية المخزومي. واسألوا أي: اطلبوا بالدعاء والسعي. وبدونها يريد القراءة «وسَلُوا». والفضل: التفضل والإحسان. وجعلنا: صيّرنا بتبديل ما كان متعارفًا في الجاهلية. وعَصبة الإنسان: بنوه وقرابته لأبيه. والموالي: جمع مولى. وهو هنا الوارث. والوالدان: الأب والأم أو الجد والجدة. والأقربون: الأكثر قربًا في النسب. وكان الجاهلي يعاهد الآخر، فيقول: دمي دمك، وثأري ثأرك، وسلمي سلمك، وترثُني وأرثُك. ويكون لكل من الحليفين سدس ميراث الآخر. انظر الحديث ٤٣٠٤ في البخاري. وعاقدت أي: عاهدت وحالفت. وبدونها يريد القراءة «عَقَدَتْ» أي: وثّقت حلفَهم أوعهدَهم. والأيمان: جمع يمين. وفي الجاهلية أي: وفي الإسلام. وكان أي: ولايزال. انظر آخرالآية ١١. وقوله يعني: الآية ٧٥ من سورة الأنفال. فالأقارب بعضهم أحق بإرث بعض من الحلفاء، لأن الحليف لم يبق له نصيب، خلافًا لما كانت عليه الجاهلية والمسلمون قبل نزول الآية ٣٣ هذه. وهو ما ذكر أنه منسوخ، أي: بطل العمل بحكمه. انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢:٢٠١-٢٠٦

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ
بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا
﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ
ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

١ - ﴿**الرِّجالُ قَوّامُونَ**﴾: مُسلَّطون ﴿**عَلَى النِّساءِ**﴾، يُؤدِّبونهنّ ويأخذون على أيديهنّ، ﴿**بِما فَضَّلَ اللهُ بَعضَهُم على بَعضٍ**﴾ أي: بتفضيله لهم عليهنّ بالعِلم والعقل والوِلاية وغير ذلك، ﴿**وبِما أنفَقُوا**﴾ عليهنّ ﴿**مِن أمْوالِهِم. فالصّالِحاتُ**﴾ منهنّ ﴿**قانِتاتٌ**﴾: مُطيعات لأزواجهنّ، ﴿**حافِظاتٌ لِلغَيبِ**﴾ أي: لفروجهنّ وغيرها في غَيبة أزواجهنّ، ﴿**بِما حَفِظَ**﴾ـهنّ ﴿**اللهُ**﴾، حيثُ أوصى عليهنّ الأزواج، ﴿**واللّاتي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ**﴾: عصيانهنّ لكم، بأن ظهرت أماراته ﴿**فعِظُوهُنَّ**﴾: فخوّفوهنّ اللهَ، ﴿**واهجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ**﴾: اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرْنَ النُّشوزَ، ﴿**واضرِبُوهُنَّ**﴾ ضربًا غير مُبرِّح، إن لم يرجعن بالهجران. ﴿**فإنْ أطَعْنَكُم**﴾، فيما يُراد منهنّ، ﴿**فلا تَبغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**عَلَيهِنَّ سَبِيلًا**﴾: طريقًا إلى ضربهنّ ظُلمًا. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ ٣٤، فاحذروه أن يُعاقبكم إن ظلمتموهنّ.

ربع الحزب ٩

٢ - ﴿**وإنْ خِفتُم**﴾: علمتم ﴿**شِقاقَ**﴾: خلافَ ﴿**بَينِهِما**﴾: بينِ الزوجين - والإضافة للاتّساع - أي: شقاقًا بينهما ﴿**فابعَثُوا**﴾ إليهما برضاهما ﴿**حَكَمًا**﴾: رجلًا عدلًا ﴿**مِن أهلِهِ**﴾: أقاربه، ﴿**وحَكَمًا مِن أهلِها**﴾. ويُوكِّلُ الزوجُ حَكَمَه في طلاقٍ وقبولِ عِوَضٍ عليه، وتُوكِّلُ هي حَكَمَها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يُفرِّقان إن رأياه. قال تعالى: ﴿**إنْ يُرِيدا**﴾ أي: الحَكَمانِ ﴿**إصلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَينَهُما**﴾: بين الزوجين أي: يُقدِّرْهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا**﴾ بكلّ شيء، ﴿**خَبِيرًا**﴾ ٣٥ بالبواطن والظواهر.

٣- ﴿**واعبُدُوا اللهَ**﴾: وحّدوه ﴿**ولا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و**﴾ أحسنوا ﴿**بالوالِدَينِ إحسانًا**﴾ برًّا ولينَ جانب، ﴿**وبِذِي القُربَى**﴾: القرابة، ﴿**واليَتامَى والمَساكِينِ والجارِ ذِي القُربَى**﴾: القريب منك في الجِوار أو النسب، ﴿**والجارِ الجُنُبِ**﴾: البعيد عنك في الجِوار أو النسب، ﴿**والصاحِبِ بالجَنْبِ**﴾: الرفيق في سفر أو صِناعة وقيل: الزوجة، ﴿**وابنِ السَّبِيلِ**﴾: المنقطع في سفره، ﴿**وما مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من الأرِقّاء. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُختالًا**﴾: مُتكبّرًا، ﴿**فَخُورًا**﴾ ٣٦ على النّاس بما أُوتي.

٤- ﴿**الَّذِينَ**﴾: مبتدأ ﴿**يَبخَلُونَ**﴾ بما يجب عليهم، ﴿**ويأمُرُونَ النّاسَ بالبُخلِ**﴾ به، ﴿**ويَكتُمُونَ ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ**﴾ من العِلم والمال. وهم اليهود. وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد - ﴿**وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ**﴾ بذلك وبغيره ﴿**عَذابًا مُهِينًا**﴾ ٣٧: ذا إهانة - ﴿**والَّذِينَ**﴾: عطف على «الّذين» قبله

(١) القوّام: الكثير القيام بالمصالح والتدبير والتأديب والرعاية. والمسلط: بالحق والمعروف. ويأخذون على أيديهن أي: يمنعونهن إذا أردن مكروهًا. وفضله: خصّه بفضيلة. وبعضهم أي: بعض الناس. وذكرُ العلم والعقل هو من باب الأغلبية، وهذا لا يمنع أن تكون امرأة أعلم وأعقل من بعض الرجال، وإن كان ذلك نادرًا. وغير ذلك أي: كحسن التدبير، ومزيد القوة للقيام بالطاعات. وأنفق: بذل ودفع من مهر ونفقة دائمة وتكاليف. والصالحة: المحسنة إلى زوجها. والحافظة: الواقية والحامية بالحرص والعفاف. وللغيب أي: لغيب أزواجهن. وغيرها أي: ماكان من مال وبيت وأولاد وأسرار. وتخاف: تظن وتتوقع. والنشوز: الترفع والانصراف بالنفس والتطلعات. والمضاجع: جمع مَضجَع. والضرب يكون خفيفًا بالسواك وأمثاله، فيما دون الوجه، للتنبيه والردع لا للإيذاء أو الإهانة. والمبرّح: المؤذي. والأمور الثلاثة مرتبة، ينبغي أن يُتدرَّج فيها بحكمة. وعليهن أي: للتعدي عليهن وتجديد الردع. وكان: انظر آخر الآية ١١. والعلي: العالي على عباده بالخلق والتذليل والقدر دونه كل مخلوق. والكبير: المتكبر على كل شيء.
(٢) الحَكَم: من يصلح للحكم بالنَّصَفة لمعرفته بالشريعة وبواطن الأمور. والاختلاع: طلاق الزوجة بفدية من مالها. وإن رأياه أي: يحكمان بالتفريق إن تعذر الوفاق، ورأيا التفريق مصلحة للطرفين. ويريد: يطلب. والإصلاح: إزالة الخصومة بالوفاق أو الطلاق. ويوفق بينهما أي: يوقع الموافقة بين الزوجين على حل صالح لهما. وكان: انظر آخر الآية ١١. والعليم: البالغ العلم والإحاطة. والخبير: العظيم الخبرة والاطلاع لا يخفى عليه شيء.
(٣) اعبدوه: قدّسوه وأطيعوه. وتشرك به: تقدس وتطيع معه. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده أو متخيل. والوالدان: الأب والأم، أو الجد والجدة. وذو القربى: صاحبها في النسب. واليتامى: جمع يتيم. وهو الطفل مات أبوه. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والجار: المُجاور في السكن أو العمل. والصاحب: المُرافق. والجَنْب: القُرب. وما ملكت أيمانكم أي: عبيدكم وإماؤكم، وهم الأرقاء جمع رقيق. ولا يحبه أي: يكرهه. والفخور: من يكثر تعداد مناقبه للتطاول.
(٤) أعتدنا: أعددنا وهيأنا ليوم القيامة. والكافر: الجاحد لما يعلم أنه حق مكابرة وعنادًا. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والرئاء: أن يظهر الإنسان لغيره ماليس في قلبه من مقاصد الخير والصلاح، ليقابله ذاك بالتقدير والاحترام. ولايؤمنون به أي: يجحدون وجوده وينكرون ذلك. واليوم الآخر: يوم القيامة. والشيطان: من يغري بالشر والعصيان من الإنس والجن. والقرين: المقارن الملازم.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿**يُنفِقُونَ أَمْوالَهُم رِئاءَ النّاسِ**﴾: مُرائين لهم، ﴿**ولا يُؤمِنُونَ باللهِ ولا باليَومِ الآخِرِ**﴾: كالمنافقين وأهل مكّة. ﴿**ومَن يَكُنِ الشَّيطانُ لَهُ قَرِينًا**﴾: صاحبًا، يعمل بأمره كهؤلاء، ﴿**فساءَ**﴾: بئس ﴿**قَرِينًا**﴾ ٣٨ هو!

١ - ﴿**وماذا عليهِم، لَو آمَنُوا باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأنفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ**﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟ والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية أي: لا ضرر فيه، وإنّما الضرر فيما هم عليه، ﴿**وكانَ اللهُ بِهِم عَلِيمًا**﴾ ٣٩، فيُجازيهم بما عملوا. ﴿**إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ**﴾ أحدًا ﴿**مِثقالَ**﴾: وزنَ ﴿**ذَرّةٍ**﴾: أصغرِ نملةٍ، بأن يَنقُصَها من حسناته أو يزيدَها في سيّئاته، ﴿**وإنْ تَكُ**﴾ الذرّةُ ﴿**حَسَنةٌ**﴾ من مُؤمن - وفي قراءة بالرفع، فـ«كان»: تامّةٌ - ﴿**يُضاعِفْها**﴾ من عَشر إلى أكثرَ من سبعمِائة - وفي قراءة: «يُضَعِّفْها» بالتشديد - ﴿**ويُؤتِ مِن لَدُنْهُ**﴾: من عِنده مع المُضاعفة ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ ٤٠ لا يُقدّره أحد. ﴿**فكَيفَ**﴾ حالُ الكُفّار، ﴿**إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ**﴾ يشهد عليها بعملها، ﴿**وجِئنا بِكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**على هؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾ ٤١؟ ﴿**يَومَئذٍ**﴾: يوم المجيء ﴿**يَوَدُّ الّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَو**﴾ أي: أن ﴿**تُسَوَّى**﴾ - بالبناء للمفعولِ، وللفاعلِ مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين أي: تَسَوَّى - ﴿**بِهِمِ الأرضُ**﴾ بأن يكونوا تُرابًا مِثلَها لعِظَم هوله، كما في آية أُخرى: «ويَقُولُ الكافِرُ: يا لَيتَنِي كُنتُ تُرابًا»، ﴿**ولا يَكتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا**﴾ ٤٢ عمّا عملوه. وفي وقتٍ آخَر يكتمونه: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ».

٢ - ﴿**يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ**﴾ أي: لا تُصلّوا ﴿**وأنتُم سُكارَى**﴾ من الشراب، لأنّ سبب نزولها صلاة جماعة في حال السُّكر، ﴿**حَتّى تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ**﴾ بأن تَصحُوا، ﴿**ولا جُنُبًا**﴾ بإيلاج أو إنزال - ونصبُه على الحال. وهو يُطلق على المُفرد وغيره - ﴿**إلّا عابِرِي**﴾: مُجتازِي ﴿**سَبِيلٍ**﴾: طريق أي: مسافرين، ﴿**حَتّى تَغتَسِلُوا**﴾ فلكم أن تُصلّوا - واستثنَى المسافرَ لأنّ له حُكمًا آخر سيأتي. وقيل: المُراد النهي عن قُربان مواضع الصلاة أي: المساجدِ، إلّا عبورَها من غير مَكث - ﴿**وإنْ كُنتُم مَرضَى**﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿**أو على سَفَرٍ**﴾ أي: مسافرين وأنتم جُنُب أو مُحدِثون، ﴿**أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائطِ**﴾ هو المكان المُعَدّ لقضاء الحاجة، أي: أحدَثَ، ﴿**أو لامَستُمُ النِّساءَ**﴾ - وفي قراءة بلا ألف. وكلاهما بمعنًى، من اللمس وهو الجسّ باليد. قاله ابن عُمَرَ وعليه الشافعيّ، وألحَقَ به الجسَّ بباقي البَشَرة. وعن ابن عبّاس: هو الجِماع - ﴿**فلَم تَجِدُوا ماءً**﴾ تَطَهَّرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى، ﴿**فتَيَمَّمُوا**﴾: اقصِدوا بعد دخول الوقت ﴿**صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾: تُرابًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين ﴿**فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم**﴾ إلى المِرفقين منه. ومَسَحَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ ٤٣.

٣ - ﴿**ألَم تَرَ إلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا**﴾: حظًّا ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ - وهم اليهود - ﴿**يَشتَرُونَ الضَّلالةَ**﴾ بالهدى، ﴿**ويُرِيدُونَ أنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾ ٤٤: تُخطئوا طريق الحقّ، لتكونوا مِثلَهم؟ ﴿**واللهُ أعلَمُ بأعدائكُم**﴾ منكم، فيُخبركم بهم لتجتنبوهم، ﴿**وكَفَى باللهِ وَلِيًّا**﴾: حافظًا لكم منهم! ﴿**وكَفَى باللهِ نَصِيرًا**﴾ ٤٥: مانعًا لكم من كيدهم!

---

(١) بالرفع يريد «حَسَنةٌ». ويضاعفها: يضاعف أجرها مرارًا. ويؤت أي: يعط صاحب الحسنة تفضلًا. ومن عنده أي: بإحسانه. والكفار: غير المسلمين. وجئنا به: أحضرناه. والشهيد: من يقرّ بما يعلم. وهؤلاء أي: الأنبياء وجميع الأمم. ويود: يتمنى. وعصوه: خالفوه. والرسولَ أي: أمْرَ رسولِهم. وتُسوَّى بهم: تنشق وتبتلعهم. وللفاعل أي «تَسَوَّى». وبالإدغام أي «تَسَّوَّى». والأرض: مكان حشر الناس. والمراد بالآية الأُخرى ذات الرقم ٤٠ من سورة النبأ. ويكتم: يُخفي. والحديث: القول. و«وفي وقت» انظر الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

(٢) الصلاة: العبادة المكتوبة. والسكارى: جمع سكران. والشراب: شرب ما يسكر. وتعلموا أي: تدركوا. والجنب: البعيد عن الطهارة. والإيلاج: الجماع. والإنزال: إلقاء المَنِيّ. وكذلك الحيض والنفاس. وتغتسل: تطهّر البدن بالماء. واستثنى المسافرَ أي: من وجوب الاغتسال. والمرضى: جمع مريض. والمُحدِث: الذي أتى بما ينقض الطهارة الشرعية. وأحدث: قضى حاجة من التبول أو التغوط. وبلا ألف يريد «لَمَسْتُم». وابن عمر: عبد الله بن عمر ابن الخطاب. وباقي البشرة: سائر جلد الإنسان. يعني أن حكم ذلك أيضًا هو حكم الجس باليد. وابن عباس: عبدالله بن عباس. والوقت: وقت الصلاة. وامسحوا أي: دلكًا بالتراب. ومنه أي: من بعض الصعيد الطيب. والعفوّ: الكثير الصفح والإزالة للذنوب. والغفور: الكثير الستر لها وعدم المؤاخذة عليها.

(٣) ألم تر أي: لقد رأيت عيانًا. وأُوتوه: كلفوا باتباعه. ويشتري: يستبدل. والضلالة: الكفر. ويريد: يطلب. وأعلمُ: أكثر علمًا وأوفى وأثبت وأدق. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي المخاصم. وكفى أي: بلغ نهاية الكفاية بلا معين ولا منازع.

الجزء الخامس — سورة النساء

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ
وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ
ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

١- ﴿**مِنَ الَّذِينَ هادُوا**﴾ قوم ﴿**يُحَرِّفُونَ**﴾: يُغيِّرون ﴿**الكَلِمَ**﴾ الذي أنزل اللهُ في التوراة، من نعت مُحمّد، ﴿**عَن مَواضِعِهِ**﴾ التي وُضع عليها، ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ للنبيّ إذا أمرهم بشيء: ﴿**سَمِعْنا**﴾ قولك ﴿**وعَصَينا**﴾ أمرك، ﴿**واسمَعْ، غَيرَ مُسمَعٍ**﴾: حالٌ بمعنى الدعاء أي: لا سمعتَ، ﴿**و**﴾ يقولون له: ﴿**راعِنا**﴾ - وقد نُهيَ عن خِطابه بها. وهي كلمة سبّ بلغتهم - ﴿**لَيًّا**﴾: تحريفًا ﴿**بألسِنتِهِم وطَعْنًا**﴾: قدحًا ﴿**في الدِّينِ**﴾: الإسلام. ﴿**ولَو أنَّهُم قالُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا**﴾ بَدَلَ «وعَصَينا»، ﴿**واسمَعْ**﴾ فقط ﴿**وانظُرْنا**﴾: انظر إلينا بَدَلَ «راعِنا»، ﴿**لَكانَ خَيرًا لَهُم**﴾ ممّا قالوه ﴿**وأقوَمَ**﴾: أعدلَ منه، ﴿**ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ**﴾: أبعدَهم عن رحمته ﴿**بِكُفرِهِم، فلا يُؤمِنُونَ إلّا قَلِيلًا**﴾ ٤٦ منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه.

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، آمِنُوا بِما نَزَّلْنا**﴾ من القُرآن، ﴿**مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم**﴾ من التوراة، ﴿**مِن قَبلِ أنْ نَطمِسَ وُجُوهًا**﴾: نمحوَ ما فيها من العين والأنف والحاجب، ﴿**فنَرُدَّها عَلَى أدبارِها**﴾: فنجعلَها كالأقفاء لوحًا واحدًا، ﴿**أو نَلعَنَهُم**﴾: نمسخَهم قِردةً ﴿**كَما لَعَنّا**﴾: مسخنا ﴿**أصحابَ السَّبتِ**﴾ منهم - ﴿**وكانَ أمرُ اللهِ**﴾: قضاؤه ﴿**مَفعُولًا**﴾ ٤٧. ولمّا نزلتْ أسلم عبدالله بن سلام. فقيل: كان وعيدًا بشرط. فلمّا أسلم بعضهم رُفع. وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قِيام الساعة - ﴿**إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ**﴾ أي: الإشراكَ بِهِ، ﴿**ويَغفِرُ ما دُونَ**﴾: سِوَى ﴿**ذٰلِكَ**﴾ من الذّنوب ﴿**لِمَن يَشاءُ**﴾ المغفرةَ له، بأن يُدخله الجنّة بلا عذاب - ومن يشأ يعذّبه من المؤمنين بذُنوبه، ثمّ يُدخلْه الجنّة - ﴿**ومَن يُشرِك بِاللهِ فقَدِ افتَرَى إثمًا**﴾: ذنبًا ﴿**عَظِيمًا**﴾ ٤٨: كبيرًا.

٣- ﴿**ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أنفُسَهُم**﴾؟ وهم اليهود، حيثُ قالوا: «نَحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ». أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفُسَهم، ﴿**بَلِ اللهُ يُزَكِّي**﴾: يُطهّرُ ﴿**مَن يَشاءُ**﴾ بالإيمان، ﴿**ولا يُظلَمُونَ**﴾: يُنقَصون من أعمالهم ﴿**فَتِيلًا**﴾ ٤٩: قَدْرَ قِشرة النواة. ﴿**انظُرْ**﴾ مُتعجّبًا: ﴿**كَيفَ يَفتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ**﴾ بذلك؟ ﴿**وكَفَى بِهِ إثمًا مُبِينًا**﴾ ٥٠: بيّنًا! ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من عُلماء اليهود، لمّا قَدِموا مكّة وشاهدوا قتلى بدر، وحرّضوا المُشركين على الأخذ بثأرهم ومُحاربة النبي ﷺ: ﴿**ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتابِ، يُؤمِنُونَ بِالجِبتِ والطّاغُوتِ**﴾: صنمان لقُريش، ﴿**ويَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أبي سُفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: «أنحن أهدى سبيلًا، ونحن وُلاة البيت: نسقي الحاجّ ونَقري الضيف ونفكّ العانيَ ونفعلُ، أم مُحمّد، وقد خالف دِين آبائه وقطع الرَّحِم وفارق الحَرَم»؟: ﴿**هٰؤُلاءِ**﴾ أي: أنتم ﴿**أهدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ ٥١: أقوَمُ طريقًا؟ ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، ومَن يَلعَنِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا**﴾ ٥٢: مانعًا من عذابه.

---

(١) هادَ: لزم طريق اليهودية. والكلم: واحدته كَلِمة. والمواضع: جمع مَوضع. وسمعنا: أدركنا. وعصينا: كفرنا بك وبقولك. واسمع أي: أنصِت إلينا. فهم يرفعون أصواتهم بـ «اسمع» ليُنصِت إليهم، ثم يقولون في أنفسهم: «غير مُسمَع». وراعنا: انظر الآية ١٠٤ من سورة البقرة. والألسنة: جمع لسان. والقدح: الشتم والذم. وأطعنا: لزمنا الأمر والنهي. والكفر: الإنكار والتكذيب. وعبدالله بن سلام: كان أحد أحبارهم. وأصحابه: من أسلم من اليهود في ذلك الوقت.

(٢) أُوتوه: أعطوه وأُلزموا ما فيه. وآمنوا: صدقوا يقينًا. ونزّلنا أي: أوحيناه على لسان جبريل. ومصدقًا لما معكم أي: موافقًا ما أنزلنا إلى أجدادكم. والوجوه: جمع وجه. والأدبار: جمع دُبُر. والأقفاء جمع قفا. وهو مؤخر العنق. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء ينسب إليه. والسبت: اليوم الأول من الأسبوع، كان الاعتداء فيه بالاحتيال للصيد سببًا لمسخ بعض اليهود. وقضاؤه: ما حكم به. ومفعولًا أي: واقعًا لا مرد له. وبشرط: يعني أن الوعيد بالطمس أو المسخ مشروط بعدم الإيمان. ويغفر الذنب: يعفو عنه. ويشرَك به: يُجعل له شريك في التقديس والطاعة. وذلك أي: الشرك. ويشاء: يريد. وافترى: اختلق.

(٣) ألم تر: انظر الآية ٤٤. ويزكونها: يمدحونها ويطهرونها من الذنوب. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. و«قالوا»: انظر الآية ١٨ من سورة المائدة. ويشاء أي: يريد تزكيته. ويُظلم: يجار عليه ولا ينصف. و«قشرة النواة» هنا خطأ، وهو تفسير للقِطمِير. والفتيل: خيط دقيق في شَقّ النواة. وانظر أي: تأمّل شناعة دعواهم. ويفتري: يكذب. وبذلك أي: بتزكية أنفسهم. وكفى: انظر آخر الآية ٤٥. وبه أي: بزعمهم في التزكية والافتراء. وكعب بن الأشرف: أحد علماء اليهود وشعرائهم. والنصيب: القدر المعلوم. ويؤمنون به أي: يعتقدون ألوهيته ويقدسونه. والجبت: الرذِل لا خير فيه. والطاغوت جُعِل اسمًا لصنم آخر. والبيت: البيت الحرام. والحاجّ: الحُجّاج. ونقري: نكرم. والعاني: الأسير. ونفعل أي: ونفعل غير ذلك من الأمور الحسنة. وأهدى: أكثر هداية إلى الحق. ولعنهم: طردهم من رحمته. وتجد: ترى.

الجزء الخامس　　سورة النساء

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ
لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

١- ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**لَهُم نَصِيبٌ مِنَ المُلكِ**﴾؟ أي: ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿**فإذًا لا يُؤتونَ النّاسَ نَقِيرًا**﴾ ٥٣ أي: شيئًا تافهًا قدْرَ النُّقرة في ظهر النواة، لفَرط بُخلهم. ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَحسُدُونَ النّاسَ**﴾ أي: النبيَّ ﴿**عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ**﴾ من النبوّة وكثرة النِّساء؟ أي: يتمنّون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبيًّا لاشتغل عن النِّساء. ﴿**فقد آتينا آلَ إبراهيمَ**﴾ جدِّه، كموسى وداودَ وسُليمانَ، ﴿**الكِتابَ والحِكمَةَ**﴾: النبوّة، ﴿**وآتيناهُم مُلكًا عَظِيمًا**﴾ ٥٤، فكان لداودَ تسع وتسعون امرأة، ولسليمانَ ألفٌ ما بين حُرّة وسُرِّيّة. ﴿**فمِنهُم مَن آمَنَ بِهِ**﴾: بمُحمّد، ﴿**ومِنهُم مَن صَدَّ**﴾: أعرض ﴿**عَنهُ**﴾ فلم يُؤمن، ﴿**وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا**﴾ ٥٥: عذابًا لمن لا يُؤمن!

نصف الحزب ٩

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوفَ نُصلِيهِم**﴾: نُدخلهم ﴿**نارًا**﴾، يحترقون فيها، ﴿**كُلّما نَضِجَتْ**﴾: احترقتْ ﴿**جُلودُهُم بَدَّلْناهُم جُلُودًا غَيرَها**﴾، بأن تُعاد إلى حالها الأوّل غيرَ محترقة، ﴿**لِيَذُوقُوا العَذابَ**﴾: ليُقاسوا شِدّته - ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَزِيزًا**﴾: لا يُعجزه شيء، ﴿**حَكِيمًا**﴾ ٥٦ في خلقه - ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا، لَهُم فِيها أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾ من الحيض وكلّ قذر، ﴿**ونُدخِلُهُم ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾ ٥٧: دائمًا لا تنسخه شمس. وهو ظِلّ الجنّة.

٣- ﴿**إنَّ اللهَ يأمُرُكُم أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ**﴾ ما اؤْتُمِنَ عليه من الحُقوق ﴿**إلى أهلِها**﴾ - نزلتْ لمّا أخذ عليٌّ مِفتاحَ الكعبة من عُثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ سادنِها قسرًا، لمّا قدم النبيّ ﷺ مكّةَ عامَ الفتح، ومَنَعَه وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه. فأمَرَ ﷺ بردّه إليه، وقال: «هاكَ خالِدَةً تالِدَةً». فعَجِبَ من ذلك، فقرأ له عليّ الآية فأسلمَ. وأعطاه عند موته لأخيه شيبةَ، فبقي في ولده. والآية وإن وردت على سبب خاصّ فعمومها مُعتبر بقرينة الجمع - ﴿**وإذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ**﴾ يأمُركم ﴿**أنْ تَحكُمُوا بِالعَدلِ. إنَّ اللهَ نِعِمّا**﴾ - فيه إدغام ميم «نِعِمَ» في «ما» النكرة الموصوفة - أي: نِعْمَ شيئًا ﴿**يَعِظُكُم بِهِ**﴾ تأديةُ الأمانة والحكمُ بالعدل! ﴿**إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعًا**﴾ لما يُقال، ﴿**بَصِيرًا**﴾ ٥٨. بما يُفعل.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، وأُولِي**﴾: وأصحابَ ﴿**الأمرِ**﴾ أي: الوُلاةَ ﴿**مِنكُم**﴾، إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله، ﴿**فإنْ تَنازَعتُم**﴾: اختلفتم ﴿**في شَيءٍ فرُدُّوهُ إلَى اللهِ**﴾ أي: كتابِه ﴿**والرَّسُولِ**﴾ مُدّةَ حياته، وبعده إلى سُنّته أي: اكشفوا عليه منهما، ﴿**إنْ كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ. ذلِكَ**﴾ أي: الردّ إليهما ﴿**خَيرٌ**﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي، ﴿**وأحسَنُ تأوِيلًا**﴾ ٥٩: مآلًا.

(١) النصيب: القدر المعلوم. والملك: حق التصرف في العالم. ومنه أي: من الملك. فقد زعم اليهود أن ملك الدنيا لهم، وسيحوزونه بكل وسيلة. ويؤتون: يعطُون. والنقرة: الحفرة الدقيقة. يريد: قدر ما يملؤها. والأولى أن يكون الحسد على العزة وازدياد الرفعة. أما تعدد الزوجات فليس مما يَكرهه العرب أو أنبياء يهود، حتى يكون سببًا للذم. وأريد بالناس النبيُّ لأنه جمع كل الخصال الحميدة المتفرقة في الناس. وآتى: أعطى. والفضل: التفضل والإحسان. وآل إبراهيم: ذريته من أولاد وحفدة. وجدِّه أي: آل جده. يعني: جد النبي ﷺ. والكتاب أي: الكتب. والحكمة: وضع الشيء في موضعه بغاية الإتقان. والحرّة: الزوجة بمَهر. والسُّرِّيّة: الجارية المملوكة ينكحها سيدها. وما جاء هنا عن سليمان هو من الإسرائيليات المنكرة. انظر «المفصل». والسعير: شدة توقد النار.

(٢) الجلود: جمع جِلد. والعزيز: الغلّاب يذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية. والصالح: ما يرضاه الله. ومن تحتها أي: من تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم مدة طويلة. وأبدًا أي: إلى نهاية الزمن. والأزواج: جمع زوج. وهو الزوجة. وقذر أي: كالنفاس وسوء الخلق والخلاف. والظليل أي: لا ينتقل وليس فيه ثغرات.

(٣) تؤدي: تسلم. والحقوق: حقوق الله والمخلوقات والنفس. وأهلها: أصحابها. وعثمان هذا صحابي أسلم في هُدنة الحُدَيبية، لا كما يذكر السيوطي بعد. والحَجَبِيّ: منسوب إلى الحِجابة: خدمة الكعبة وحفظ مفتاحها. ومنعه أي: كان منع عثمانُ بن طلحة تسليمَ المفتاح. وهاك أي: خذ هذه الخدمة. والسميع: المدرك للمسموعات. والبصير: البالغ العلم.

(٤) الولاة: جمع الوالي، كالخليفة والقاضي والعالم بالشرع والمسؤول عن عمل أو إدارة. ومنكم أي: من المسلمين. واختلفتم أي: أنتم وأولو الأمر. والمراد: فيما ليس فيه نص صريح. وردوه أي: اعرضوه. وسُنّته: ما صحّ عنه. وخير: أكثر نفعًا. وأحسن: أجمل. والتفضيل بـ «خير وأحسن» لاعتبار ما في النفوس، من ظن بحُسن ما ترغب فيه.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا
قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ
إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾

١ - ونزل، لمّا اختصم يهوديّ ومُنافق، فدعا المُنافقُ إلى كعبِ بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهوديُّ إلى النبيّ ﷺ، فأتياه فقضى لليهوديّ فلم يرضَ المُنافقُ، وأتيا عُمرَ فذكر اليهوديّ له ذلك، فقال للمُنافق: أكذلك؟ فقال: نعم. فقتله: ﴿**أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ، وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ، يُرِيدُونَ أَن يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ**﴾: الكثير الطُّغيان - وهو كعب بن الأشرف - ﴿**وَقَد أُمِرُوا أَنْ يَكفُرُوا بِهِ**﴾ ولا يُوالوه، ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيطانُ أَنْ يُضِلَّهُم ضَلالًا بَعِيدًا**﴾ ٦٠ عن الحقّ؟ ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا إِلَى ما أَنزَلَ اللهُ**﴾ في القُرآن من الحُكم، ﴿**وإِلَى الرَّسُولِ**﴾ ليحكم بينكم، ﴿**رأيتَ المُنافِقِينَ يَصُدُّونَ**﴾: يُعرِضون ﴿**عَنكَ**﴾ إلى غيرك ﴿**صُدُودًا** ٦١ - **فَكَيفَ**﴾ يصنعون، ﴿**إِذا أصابَتهُم مُصِيبةٌ**﴾ عقوبة، ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم**﴾ من الكُفر والمعاصي، أي: أيقدِرون على الإعراض والفِرار منها؟ لا - ﴿**ثُمَّ جاؤُوكَ**﴾: معطوفٌ على «يصدّون»، ﴿**يَحلِفُونَ بِاللهِ إِنْ**﴾: ما ﴿**أَرَدْنا**﴾ بالمُحاكمة إلى غيرك ﴿**إِلّا إِحسانًا**﴾: صُلحًا ﴿**وتَوفِيقًا**﴾ ٦٢: تأليفًا بين الخصمين بالتقريب في الحُكم، دون الحمل على مُرّ الحقّ.

٢ - ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللهُ ما في قُلُوبِهِم**﴾، من النِّفاق وكذبهم في عُذرهم. ﴿**فأَعرِضْ عَنهُم**﴾ بالصفح، ﴿**وعِظْهُم**﴾: خوِّفْهُمُ اللهَ، ﴿**وقُلْ لَهُم في**﴾ شأن ﴿**أَنفُسِهِم قَولًا بَلِيغًا**﴾ ٦٣: مؤثِّرًا فيهم، أي: أزجُرْهم ليرجِعوا عن كُفرهم. ﴿**وما أَرسَلْنا مِن رَسُولٍ إِلّا لِيُطاعَ**﴾، فيما يأمر به ويحكم، ﴿**بِإِذنِ اللهِ**﴾: بأمره، لا ليُعصَى ويُخالَف. ﴿**ولَو أَنَّهُم، إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم**﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت، ﴿**جاؤُوكَ**﴾ تائبين، ﴿**فاستَغفَرُوا اللهَ واستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**﴾ - فيه التفات عن الخِطاب تفخيمًا لشأنه - ﴿**لَوَجَدُوا اللهَ تَوّابًا**﴾ عليهم، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٦٤ بهم. ﴿**فلا - ورَبِّكَ - لا يُؤمِنُونَ**﴾ لا: زائدة ﴿**حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ**﴾: اختلط ﴿**بَينَهُم، ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجًا**﴾: ضِيقًا أو شكًّا ﴿**مِمّا قَضَيتَ**﴾ به، ﴿**ويُسَلِّمُوا**﴾: ينقادوا لحُكمك ﴿**تَسلِيمًا**﴾ ٦٥ من غير مُعارضة.

---

(١) قوله «نزل» أي: ما في الآيات ٦٠-٦٤. واختصم أي: اختلف وتنازع. ودعا: طلب التحاكم. والمنافق اسمه بشر. وكعب بن الأشرف أحد أحبار اليهود وشعرائهم، كان من أشد الناس عداوة للمسلمين والإسلام، وقتله بعض الأنصار. ولم يرض أي: بحكم النبي وطلب الاحتكام إلى عمر بن الخطاب. وقتله يعني: قتل عمرُ المنافقَ، ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله رسوله. الواحدي ص ١٥٤-١٥٥ والدر المنثور ٢:١٨٠-١٨٢. ومضمون الآيات يعم أيضًا من يلجأ إلى قضاء الكافرين وقوانينهم المستوردة ويترك أحكام الشرع. وألم تر أي: لقد رأيت حقًّا. ويزعم: يدعي بالباطل. وآمنوا به: صدّقوه يقينًا. وأُنزل: أوحي ونزل به جبريل. وما أُنزل من قبلك أي: التوراة. ويريد: يطلب. والطغيان: تجاوز الحد المقبول. وأُمر: وجب عليه. ويكفر به: يكذّب قوله. والشيطان: من يغري بالشر من الجن والناس. ويضله: يخرجه ويبعده. والبعيد: المغرق في الانحراف. وتعالوا: توجهوا. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. ورأيت: أبصرت. والمنافق: من يُظهر بلسانه غير ما في قلبه. وأصابتهم: حلت بهم. والعقوبة هي مقتل المنافق بيد عمر، وما يكون من البلاء والمحن والمذلة للمسلمين المحتكمين إلى قوانين الكفّار. وقدمت أيديهم أي: فعلوا وقالوا. والمراد هو التحاكم إلى غير الشرع. والأيدي: جمع يد. و«لا» يعني أنهم هالكون ولا نجاة لهم من العقاب، وقد حصل ذلك في الدنيا، ولهم أشد منه في الآخرة. وجاؤوك أي: أتى إليك أهل المنافق القتيل، يعتذرون مما فعلوا ويطالبون بدمه. ومعطوف: يعني أن «فكيف... أيديهم» اعتراض بين المتعاطفين. ويحلف: يُقسم الأيمان. وأردنا: قصدنا وطلبنا. والإحسان: العمل الحسن الطيب. والتقريب: التساهل والتوسط.

(٢) الإشارة بـ «أولئك» هي إلى المنافقين وأمثالهم. ويعلمه: يحيط به جملة وتفصيلًا. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة صافيًا. وأعرض عنهم أي: اتركهم ولا تعاقبهم ولا تعاتبهم بما كان منهم. والصفح: العفو والمسامحة. والأنفس: جمع النفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والبليغ: ما يطابق مدلوله المقصودَ به. وازجرهم أي: وبخهم وهددهم بالقتل، إن عادوا إلى مثل فعلهم. وأرسل: بعث وكلف بالدعوة والعمل. والرسول: من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويطاع: يستجاب لأمره ونهيه. وظلموها: جاروا عليها بالهلاك في الدنيا والآخرة. وجاؤوك أي: أتوا إليك. واستغفروه: طلبوا منه المغفرة بالتوبة والإخلاص. واستغفر لهم الرسول أي: شفع لهم الرسول ليُغفر لهم. ووجد: علم علمًا يقينيًا. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: الكثير العطف بفضله وإحسانه. وانظر «المفصل». والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويؤمن: يعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وزائدة يعني أنها حرف زائد تكرارًا لـ «لا» التي قبلها لتوكيد الكلام، وأن جملة القسم اعتراضية بين النفي والفعل المنفي. ويحكموك أي: يجعلوك حكمًا فتقضي بينهم في ذلك بما هو شرعنا. هذا في حياة النبي ﷺ، وبعد وفاته يكون الحكم بذلك أيضًا على أيدي العلماء والفقهاء بما في القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة. واختلط: التبس عليهم وأشكل من الخلاف. ويجد: يرى بتدبره وتعقله. وقضيت: حكمت وأمرت.

الجزء الخامس — سورة النساء

وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾

١- ﴿**ولو أنّا كَتَبْنا عليهم أنِ**﴾: مُفَسِّرةٌ ﴿**اقتُلُوا أنفسَكُم، أوِ اخرُجُوا مِن دِيارِكُم**﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل، ﴿**ما فَعَلُوهُ**﴾ أي: المَكتوبَ عليهم ﴿**إلّا قليلٌ**﴾ - بالرفع على البدل، والنصبِ على الاستثناء - ﴿**مِنهُم، ولَو أنَّهُم فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ**﴾، من طاعة الرسول، ﴿**لَكانَ خَيرًا لَهُم وأشَدَّ تَثبيتًا**﴾ ٦٦: تحقيقًا لإيمانهم، ﴿**وإذًا**﴾ أي: لو ثَبَتُوا ﴿**لآتَيناهُم مِن لَدُنّا**﴾: من عِندنا ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ ٦٧ هو الجنّة، ﴿**ولَهَدَيناهُم صِراطًا مُستَقِيمًا**﴾ ٦٨.

٢- قال بعض الصحابة للنبيِّ ﷺ: كيف نراكَ في الجنّة، وأنتَ في الدرجات العُلا، ونحن أسفلَ منك؟ فنزل: ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ**﴾، فيما أمَرا به، ﴿**فأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ علَيهِم، مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ**﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء لمُبالغتهم في الصِّدق والتصديق، ﴿**والشُّهَداءِ**﴾: القتلى في سبيل الله، ﴿**والصّالِحِينَ**﴾ غير مَن ذُكِر، ﴿**وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ ٦٩: رُفقاء في الجنّة بأن يُستمتَع فيها برُؤيتهم وزِيارتهم والحُضور معهم، وإن كان مقرّهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم!

ثلاثة أرباع الحزب ٩

﴿**ذلِكَ**﴾ أي: كونهم مع من ذُكِرَ، مبتدأ خبرُه: ﴿**الفَضلُ مِنَ اللهِ**﴾ تفضّل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم، ﴿**وكَفَى باللهِ عَلِيمًا**﴾ ٧٠ بثواب الآخرة! أي: فثقوا بما أخبركم به، «ولا يُنبِئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ».

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، خُذُوا حِذرَكُم**﴾ من عدوّكم، أي: احترزوا منه وتيقّظوا له، ﴿**فانفِرُوا**﴾: انهضوا إلى قتاله ﴿**ثُباتٍ**﴾: مُتفرّقين سَرِيّةً بعد أُخرى، ﴿**أوِ انفِرُوا جَمِيعًا**﴾ ٧١: مجتمعين، ﴿**وإنَّ مِنكُم لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ**﴾: ليتأخّرَنّ عن القِتال، كعبدالله بن أُبيٍّ المُنافقِ وأصحابه - وجعله منهم من حيث الظاهر. واللام في الفعل للقسم - ﴿**فإنْ أصابَتكُم مُصِيبةٌ**﴾، كقتل وهزيمة، ﴿**قالَ: قَد أنعَمَ اللهُ علَيَّ، إذ لَم أكُنْ مَعَهُم شَهِيدًا**﴾ ٧٢: حاضرًا فأُصابَ. ﴿**ولَئِنْ**﴾: لامُ قسم ﴿**أصابَكُم فَضلٌ مِنَ اللهِ**﴾، كفتح وغنيمة، ﴿**لَيَقُولَنَّ**﴾ نادمًا ﴿**كأنْ**﴾ - مُخَفَّفةٌ واسمها محذوف - أي: كأنّه ﴿**لَم يَكُنْ**﴾، بالياء والتاء، ﴿**بَينَكُم وبَينَهُ مَوَدّةٌ**﴾: معرفة وصداقة - وهذا راجع إلى قوله «قَد أنعَمَ اللهُ عليَّ»، اعترض به بين القول ومقوله وهو -: ﴿**يا**﴾ للتنبيه ﴿**لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُم، فأفُوزَ فَوزًا عَظِيمًا**﴾ ٧٣: آخُذَ حظًّا وافرًا من الغنيمة.

٤- قال تعالى: ﴿**فلْيُقاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ**﴾: لإعلاء دينه ﴿**الَّذِينَ يَشرُونَ**﴾: يبيعون ﴿**الحَياةَ الدُّنيا بالآخِرةِ. ومَن يُقاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ، فيُقتَلْ**﴾: يُستَشهَدْ ﴿**أو يَغلِبْ**﴾: يَظفرْ بعدوّه، ﴿**فسَوفَ نُؤتِيهِ أجرًا عَظِيمًا**﴾ ٧٤: ثوابًا جزيلًا. ﴿**وما لَكُم لا تُقاتِلُونَ**﴾ - استفهام توبيخ - أي: لا مانع لكم

---

(١) كتبنا: أمرنا بالوحي. واخرجوا: ارحلوا. والديار: جمع دار. وماكُتب على بني إسرائيل مراد به مافُرض عليهم، حين أرادوا التوبة من عبادة العجل. انظر الآيات ٤٩-٥٨ من سورة البقرة. ويوعظ: ينصح. وخيرًا أي: أكثر نفعًا. وأشد: أقوى. وثبتوا أي: على الطاعة. وآتينا: أعطينا. والأجر: الثواب. والعظيم: الوافر لا يقدر قدره. ومن عندنا أي: بالفضل. وهديناهم: أرشدناهم. والصراط المستقيم: الطريق المعتدل.

(٢) نزل أي: الآيتان ٦٩ و٧٠. وانظر «المفصل». و[illegible] ينفّذ أمره ونهيه أيضًا، لأن النهي أمر بألّا يقع الفعل. ومعهم أي: في الدرجات العالية من النعيم العظيم. وأنعم: تفضل بالإحسان. والشهداء: جمع شهيد. وحسن: كان الطِّيب والبهجة والجمال فيه طبيعة أصيلة. ورفيق: مُرافِق. ومن الله أي: من تكرمه. وكفى: انظر الآية ٤٥. وما بين قوسين هو في الآية ١٤ من سورة فاطر.

(٣) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وخذوه أي: لازموه. والحذر: الاحتراز والتيقظ. والثُّبات: الجماعات المتفرقة، واحدتها ثُبة. والسَّريّة: الجماعة من خمسة إلى أربعمائة. ومجتمعين أي: بالأمرين معًا، أن يخرجوا للجهاد على كل حال، ولايكون لهم عذر بقلة أو كثرة، وبتجمع أو تفرق. ومن حيث الظاهر أي: أن المنافقين هم في الظاهر منكم، ولكنهم في الحقيقة أعداء لكم. وأصابتكم: نزلت بكم. وأنعم علي: أكرمني. والفضل: التفضل والإحسان. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والفوز: الظفر بالخير والسلامة. والعظيم: الضخم جدًا.

(٤) يقاتل: يحارب العدوَّ. والسبيل: الطريق الواضح. والدنيا: القريبة من الإنسان لأنه فيها. والآخرة: الحياة البعيدة تكون بالبعث بعد الموت. ونؤتي: نعطي. والعظيم: الضخم لا يقدر قدره. والمستضعف: من أذلّه غيره وأهانه. والرجال: جمع رجل. والنساء: واحدته امرأة. والولدان: جمع وليد. وهو الطفل والطفلة والعبد والأمة. وأخرجنا: اجعلنا نخرج وبسّر لنا ذلك. والقرية: البلدة. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. والكفر والعدوان على المسلمين أشنع ذلك. والأهل: المصاحبون للمكان، وهم أصحابه المتصرفون في شؤونه. واجعل: أوجِد وهيِّئ. ومن عندك أي: بفضلك ورحمتك. والنصير: المعين على العدو والشدائد. وولّى عليهم أي: بعد فتح مكة. وعتاب: من بني عبد شمس، أسلم يوم فتح مكة. وفي الأصل وقرة العينين: «أُسَيد». وآمن: عرف قلبه التوحيد ومايلزمه. وفي سبيله أي: لنصرة دينه ولطاعته وطلب رضاه. والطاغوت: المبالغ في الطغيان ومجاوزة الحق. وأشنع ذلك يكون في الشيطان، لما هو عليه من الضلال والعصيان. والأولياء: جمع وليّ. وهو الموالي والمناصر. والكيد: السعي في الفساد على جهة الاحتيال.

سُورَةُ النِّسَاءِ — الجُزْءُ الخَامِسُ

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

من القِتال ﴿**في سَبيلِ اللهِ، و**﴾ في تخليص ﴿**المُستَضعَفينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ**﴾ الذين حبسهم الكفّار عن الهجرة وآذوهم - قال ابن عبّاس: كنتُ أنا وأُمّي منهم - ﴿**الَّذينَ يَقُولُونَ**﴾ داعين: يا ﴿**رَبَّنا، أخرِجنا مِن هٰذِهِ القَريَةِ**﴾: مكّةَ ﴿**الظّالِمِ أهلُها**﴾ بالكُفر، ﴿**واجعَل لَنا مِن لَدُنكَ**﴾: من عِندك ﴿**وَلِيًّا**﴾ يتولّى أمورنا، ﴿**واجعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ نَصيرًا**﴾ ٧٥: يمنعنا منهم؟ وقد استجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخُروجَ، وبقي بعضهم إلى أن فُتحت مكّة، وولّى عليهم ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيدٍ، فأنصفَ مظلومهم من ظالمهم. ﴿**الَّذينَ آمَنوا يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ، والَّذينَ كَفَروا يُقاتِلونَ في سَبيلِ الطّاغوتِ**﴾: الشيطانِ. ﴿**فقاتِلُوا أولياءَ الشَّيطانِ**﴾. أنصارَ دِينه، تغلبوهم لقوّتكم بالله. ﴿**إنَّ كَيدَ الشَّيطانِ**﴾ بالمُؤمنين ﴿**كانَ ضَعيفًا**﴾ ٧٦: واهيًا، لا يُقاوِم كيد الله بالكافرين.

١- ﴿**ألَم تَرَ إلَى الَّذينَ قِيلَ لَهُم: كُفّوا أيدِيَكُم**﴾ عن قِتال الكُفّار، لمّا طلبوه بمكّة لأذى الكُفّار لهم - وهم جماعة من الصحابة - ﴿**وأقيمُوا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ. فلَمّا كُتِبَ**﴾: فُرض ﴿**عَليهِمِ القِتالُ إذا فَريقٌ مِنهُم يَخشَونَ**﴾: يخافون ﴿**النّاسَ**﴾: الكُفّارَ، أي: عذابَهم بالقتل ﴿**كَخَشيَةِ**﴾هم عذابَ ﴿**اللهِ، أو أشَدَّ خَشيَةً**﴾ من خشيتهم له؟ ونُصبَ «أشدَّ» على الحال، وجواب «لمّا» دلَّ عليه «إذا» وما بعدها، أي: فاجأهم الخَشيةُ، ﴿**وقالُوا**﴾ جزعًا من الموت: ﴿**رَبَّنا، لِمَ كَتَبتَ عَلَينا القِتالَ؟ لَولا**﴾: هلّا ﴿**أخَّرتَنا إلَى أجَلٍ قَريبٍ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَتاعُ الدُّنيا**﴾: ما يُتمتّع به فيها أو الاستمتاعُ بها ﴿**قَليلٌ**﴾ آيلٌ إلى الفناء، ﴿**والآخِرةُ**﴾ أي: الجنّة ﴿**خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾ عِقابَ الله بترك معصيته، ﴿**ولا تُظلَمُونَ**﴾ - بالتاء والياء - تُنقَصون من أعمالكم ﴿**فَتيلًا**﴾ ٧٧: قَدْرَ قِشرة النواة. فجاهِدوا. ﴿**أينَما تَكُونوا يُدرِكْكُمُ المَوتُ، ولَو كُنتُم في بُروجٍ**﴾: حُصون ﴿**مُشَيَّدَةٍ**﴾: مرتفعة. فلا تخشَوُا القتالَ خوفَ الموت.

٢- ﴿**وإنْ تُصِبهُم**﴾ أي: اليهودَ ﴿**حَسَنَةٌ**﴾: خِصب وسَعة ﴿**يَقُولُوا: هٰذِهِ مِن عِندِ اللهِ. وإنْ تُصِبهُم سَيِّئَةٌ**﴾: جدب وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبيّ ﷺ المدينةَ، ﴿**يَقُولُوا: هٰذِهِ مِن عِندِكَ**﴾ - يا مُحمّد - أي: بشُؤمك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**كُلٌّ**﴾ من الحسنة والسيّئة ﴿**مِن عِندِ اللهِ**﴾: من قِبَله. ﴿**فما لِهٰؤُلاءِ القَومِ، لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ**﴾ أي: لا يُقاربون أن يفهموا ﴿**حَديثًا**﴾ ٧٨ يلقى إليهم؟ وما: استفهامُ تعجيبٍ من فَرط جهلهم، ونفيُ مُقاربة الفعل أشدّ من نفيه. ﴿**ما أصابَكَ**﴾ - أيّها الإنسان - ﴿**مِن حَسَنةٍ**﴾: خيرٍ ﴿**فَمِنَ اللهِ**﴾ أتتك فضلًا منه، ﴿**وما أصابَكَ مِن سَيِّئةٍ**﴾: بليّة ﴿**فَمِن نَفسِكَ**﴾ أتتك، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذُّنوب. ﴿**وأرسَلناكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**لِلنّاسِ رَسُولًا**﴾: حالٌ مؤكّدة، ﴿**وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ ٧٩ على رِسالتك!

---

(١) قال بعض الصحابة قبل الهجرة: يا نبيَّ الله، كنّا في عزّ ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلة. ائذن لنا في القتال. فأمرهم بالصبر والعفو. ولما هاجروا وأُمروا بالجهاد تثاقلوا، فنزلت الآية للتعجيب من أمرهم وتوجيههم إلى ما يجب. المستدرك ٢:٣٠٧ والنسائي ٦:٣ وتفسير الطبري ٨:٥٤٩. وألم تر أي: لقد رأيت حقًّا وبلغ علمُك. وكفوا: امنعوا. والأيدي: جمع يد. ولأذى الكفار أي: بسبب إيذائهم. وأقيموا الصلاة أي: أدّوا العبادة المعهودة المكتوبة بشروطها وأركانها وآدابها. وآتوا الزكاة أي: أدّوا الفريضة المطهِّرة للمالِ وأصحابِه إلى مستحقيها. والقتال: الجهاد للعدو. والفريق: الجماعة. وأشد أي: أقوى وأعنف. والجزع: الضجر وقلة الصبر. وذلك كان منهم لِما في طبع البشر من المخافة. فهم يتمنون أن يزاد في مدة الكف عن القتال، ليتسنى لهم الاستعداد الأفضل. وأخرتنا: أجّلتنا. وقريب أي: يكون بعد زمن قليل من الآن. وخير: أكثر نفعًا وبركة. واتقاه: تجنبه وحفظ نفسه منه. وتُظلم: يُجار عليك وتعامَل بغير العدل. وبالياء يريد القراءة «ولايُظلَمُونَ». و«قشرة نواة» خطأ. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤٩. وتكونوا: توجدوا. ويدركُ: يصيب. وكنتم: حصلتم. والبروج: جمع بُرج.

(٢) تصيبهم: تنالهم. واليهودَ أي: والمنافقين. انظر «المفصل». والحسنة: الحال الطيبة المباركة. والسيئة: الحال المؤذية تسوء الناس. ومن قِبَلِه يعني: خلقًا وإيجادًا، بلا تدخل لأحد في ذلك كما تزعمون. فالحسنة تفضُّل من الله - سبحانه - والسيئة عقوبة أو تكفير ذنب أو إعلاء مقام. وفي كل ذلك ابتلاء وامتحان، ليظهر الصالح من الفاسد. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والحديث: الكلام الذي يقال. وأصابك: نالك. ونفسك أي: شخصك وحقيقة ذاتك. ومن الذنوب: يعني أن ذنوبك استوجبتْ ذلك، والله قضى به وخلقه، بلا تدخل أحد في القضاء أو الخلق. وأرسلناك: بعثناك مكلفًا بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والناس: البشر. وكفى: انظر الآية ٦. والشهيد: المُبالِغ في الشهادة يثبت حقيقة الواقع فعلًا.

الجزء الخامس | سورة النساء

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

١- ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أطاعَ اللهَ، وَمَن تَوَلَّى**﴾: أعرض عن طاعتِه فلا يُهِمَّنَّك ﴿**فما أرسلْناكَ عَلَيهِم حَفِيظًا**﴾ ٨٠: حافظًا لأعمالهم، بل نذيرًا، وإلينا أمرهم فنُجازيهم. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ أي: المنافقون، إذا جاؤوك: أمرُنا ﴿**طاعةٌ**﴾ لك. ﴿**فإذا بَرَزُوا**﴾: خرجوا ﴿**مِن عِندِكَ بَيَّتَ طائفةٌ مِنهُم**﴾ - بإدغامِ التاء في الطاء وتركِه - أي: أضمرتْ ﴿**غَيرَ الَّذِي تَقُولُ**﴾ لك في حضورك من الطاعة، أي: عِصيانَك، ﴿**واللهُ يَكتُبُ**﴾: يأمر بكتب ﴿**ما يُبَيِّتُونَ**﴾ في صحائفهم، ليُجازَوا عليه. ﴿**فأعرِضْ عَنهُم**﴾ بالصفح، ﴿**وتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثق به، فإنه كافيك، ﴿**وكَفَى باللهِ وَكِيلًا**﴾ ٨١: مُفوَّضًا إليه! ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُونَ**﴾: يتأمّلون ﴿**القُرآنَ**﴾، وما فيه من المعاني البديعة؟ ﴿**ولَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافًا كَثِيرًا**﴾ ٨٢: تناقضًا في معانيه، وتباينًا في نظمه.

٢- ﴿**وإذا جاءَهُم أمرٌ**﴾ عن سرايا النبيّ ﷺ ممّا حصل لهم، ﴿**مِنَ الأمنِ**﴾ بالنصر، ﴿**أوِ الخَوفِ**﴾ بالهزيمة، ﴿**أذاعُوا بِهِ**﴾: أفشوه. نزل في جماعة من المُنافقين، أو في ضُعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعُف قلوبُ المؤمنين ويتأذّى النبيّ ﷺ، ﴿**ولَو رَدُّوهُ**﴾ أي: الخبرَ ﴿**إلَى الرَّسُولِ وإلَى أُولِي الأمرِ مِنهُم**﴾ أي: ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتّى يُخبَروا به ﴿**لَعَلِمَهُ**﴾: هل هو ممّا ينبغي أن يذاع؟ أو لا، ﴿**الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ**﴾: يتّبعونه ويطلبون عِلمه - وهم المُذيعون - ﴿**مِنهُم**﴾: من الرسول وأولي الأمر. ﴿**ولَولا فَضلُ اللهِ عَلَيكُم**﴾ بالإسلام، ﴿**ورَحمَتُهُ**﴾ لكم بالقُرآن، ﴿**لا تَّبَعتُمُ الشَّيطانَ**﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿**إلّا قَلِيلًا**﴾ ٨٣.

٣- ﴿**فقاتِلْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**في سَبِيلِ اللهِ، لا تُكَلَّفُ إلّا نَفسَكَ**﴾، فلا تهتمَّ بتخلّفهم عنك. المعنى: قاتل، ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر، ﴿**وحَرِّضِ المُؤمِنِينَ**﴾: حُثَّهم على القِتال ورغِّبْهم فيه، ﴿**عَسَى اللهُ أنْ يَكُفَّ بأسَ**﴾: حربَ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا. واللهُ أشَدُّ بأسًا**﴾ منهم، ﴿**وأشَدُّ تَنكِيلًا**﴾ ٨٤: تعذيبًا منهم. فقال ﷺ: «والّذي نَفسِي بِيَدِهِ لأخرُجَنَّ، ولَو وَحدِي». فخرج بسبعين راكبًا إلى بدر الصُّغرى، فكفَّ الله بأس الكُفّار بإلقاءِ الرُّعب في قُلوبهم، ومَنَعَ أبا سُفيان عن الخروج، كما تقدّم في «آل عمران».

٤- ﴿**مَن يَشفَعْ**﴾ بين الناس ﴿**شَفاعةً حَسَنةً**﴾: مُوافقة للشرع ﴿**يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ**﴾ من الأجر ﴿**مِنها**﴾: بسببها، ﴿**ومَن يَشفَعْ شَفاعةً سَيِّئةً**﴾: مُخالفة له ﴿**يَكُنْ لَهُ كِفلٌ**﴾: نصيب من الوزر ﴿**مِنها**﴾: بسببها. ﴿**وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقِيتًا**﴾ ٨٥: مقتدرًا، فيُجازي كلّ أحد بما عمل. ﴿**وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيّةٍ**﴾، كأنْ قِيل لكم: سلامٌ عليكم، ﴿**فحَيُّوا**﴾ المُحيِّيَ ﴿**بأحسَنَ مِنها**﴾ بأن تقولوا له: عليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته، ﴿**أو رُدُّوها**﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي: الواجب أحدهما والأوّل أفضل. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شَيءٍ حَسِيبًا**﴾ ٨٦: محاسبًا، فيُجازي عليه، ومنه ردُّ السلام. وخَصّت السُّنّةُ الكافرَ والمُبتدِعَ والفاسقَ، والمسلِّمَ على قاضي الحاجة ومَن في الحمّام والآكلِ، فلا يجب الردّ عليهم بل يُكره في غير الأخير.

---

(١) يطيعه: يستجيب له بما أمر أو نهى. وهذا أي: أن الأمر بقتال العدو نَسخ الحكم المذكور، فصار الجهاد للمشركين العرب واجبًا. وأمرنا: شأننا وحالنا. والطائفة: الجماعة. وبإدغام يريد القراءة «بيَّت طّائفةٌ» بعدم لفظ التاء. وأعرض: انصرف إلى عدم المبالاة بهم، فلاتعاتب ولا تفضح. والصفح: العفو. ووجد: لقي وصادف.

(٢) جاءهم: وصل إليهم. والأمر: الخبر. والسرايا: جمع سرية. وهي القطعة من الجيش يرسلها النبي للقاء المعتدين. والأمن: السلامة. والخوف: الفزع. وردوه: رجعوا فيه. وأولو الأمر: المسؤولون عنه يعرفون ما يجب فيه. ومنهم أي: من المسلمين. وعلمه: عرف ما يقتضيه من تدبير. ويستنبطونه: يستخرجون ما يوجبه من العمل. وهم المذيعون: يعني أن المذيعين هم الذين يستنبطونه ويطلبون علمه. انظر «المفصل». والفضل: التفضل. والرحمة: العطف بالإحسان.

(٣) سبيل الله: ماشرعه من الجهاد. وتكلَّف أي: يوجَب عليك. ويكف: يمنع عنك. والبأس: القوة. والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة. وغزوة بدر الصغرى كانت في السنة الرابعة. والصواب أن العدد كان ألفًا وخمسمائة في عشرة أفراس. وما تقدم أي: الآية ١٧٢ من تلك السورة.

(٤) يشفع: يتوسط لمنفعة أو دفع مضرة. ويكون: يصير. والنصيب: الحظ المعيَّن. ومخالفة له أي: للشرع. والوزر: الذنب. وحييتم: دعي لكم بالحياة والأمان. وحيوا: ادعوا لمن بادركم بالسلام. وردوها أي: ردوا مثلها. وخصّت أي: حددت حكم التحية في ذلك. والمبتدع: من يُحدث ما يخالف الشرع. والحاجة: ما يُحْوِج إلى التبول أو التغوط. ومَن في الحمام: من يغتسل. والمراد بالآكل من كان فمه مشغولًا بالطعام. ويجب عليه رد التحية وقت خلوّ فمه. والأخير هو المسلّم على قاضي الحاجة ومَن في الحمام والآكلِ، يجوز رد التحية عليه. وغير الأخير هم الكافر والمبتدع والفاسق، يجوز الرد عليهم مع الكراهة. وعليك أي: عليك ما قلتَ. ويجمعكم: يحشركم بالبعث. وأصدق: أكثر صدقًا.

سورة النساء		الجزء الخامس

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ
مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

الحزب ١٠

ويقال للكافر: وعليك. ﴿**اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ**﴾، واللهِ ﴿**لَيَجمَعَنَّكُم**﴾ من قُبوركم ﴿**إلى**﴾: في ﴿**يومِ القِيامةِ، لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فيهِ، ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أصدَقُ مِنَ اللهِ حَديثًا**﴾ ٨٧: قولًا؟

١- ولمّا رجَع ناس من أُحُد اختلف الناس فيهم، فقال فريق: اقتلْهم. وقال فريق: لا. فنزل: ﴿**فما لَكُم**﴾ أي: ما شأنكم صِرتم ﴿**في المُنافِقينَ فِئَتَينِ**﴾: فرقتين؟ ﴿**واللهُ أركَسَهم**﴾: ردّهم ﴿**بِما كَسَبُوا**﴾ من الكُفر والمعاصي. ﴿**أتُريدونَ أن تَهدُوا مَن أضلَّـ**﴾ـه ﴿**اللهُ**﴾ أي: تعدُّوهم من جُملة المهتدين؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار - ﴿**ومَن يُضلِلِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ سَبيلًا**﴾ ٨٨: طريقًا إلى الهُدى - ﴿**ودُّوا**﴾: تمنَّوا ﴿**لَو تكفُرُونَ كما كَفَرُوا، فتَكُونُونَ**﴾ أنتم وهم ﴿**سَواءً**﴾ في الكُفر. ﴿**فلا تَتَّخِذُوا مِنهُم أولياءَ**﴾ تُوالونهم، وإن أظهروا الإيمان، ﴿**حَتّى يُهاجِرُوا في سَبيلِ اللهِ**﴾ هِجرةً صحيحة تُحقّق إيمانهم. ﴿**فإنْ تَوَلَّوا**﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿**فخُذُوهُم**﴾ بالأسر، ﴿**واقتُلُوهُم حَيثُ وَجَدتُمُوهُم، ولا تَتَّخِذُوا مِنهُم وَلِيًّا**﴾ تُوالونه، ﴿**ولا نَصيرًا**﴾ ٨٩ تنتصرون به على عدوّكم.

٢- ﴿**إلّا الّذِينَ يَصِلُونَ**﴾: يلجؤون ﴿**إلَى قَومٍ، بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ**﴾: عهدٌ بالأمان لهم ولمن وصلَ إليهم، كما عاهد النبيُّ هِلالَ بنَ عُويمِرٍ الأسلميَّ. ﴿**أوْ**﴾ الّذين ﴿**جاؤُوكُم**﴾ وقد ﴿**حَصِرَتْ**﴾: ضاقت ﴿**صُدُورُهُم**﴾ عن ﴿**أنْ يُقاتِلُوكُم**﴾ مع قومهم، ﴿**أو يُقاتِلُوا قَومَهُم**﴾ معكم، أي: مُمسكِينَ عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرّضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف. ﴿**ولَو شاءَ اللهُ**﴾ تسليطَهم عليكم ﴿**لَسَلَّطَهُم عَلَيكُم**﴾، بأن يُقوّيَ قلوبَهم، ﴿**فلَقاتَلُوكُم**﴾. ولكنه لم يشأه، فألقى في قلوبهم الرُّعب - ﴿**فإنِ اعتَزَلُوكُم فلَم يُقاتِلُوكُم، وألقَوا إلَيكُمُ السَّلَمَ**﴾: الصُّلحَ أي: انقادوا، ﴿**فما جَعَلَ اللهُ لَكُم عَلَيهِم سَبِيلًا**﴾ ٩٠: طريقًا بالأخذ والقتل.

٣- ﴿**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ، يُرِيدُونَ أنْ يأمَنُوكُم**﴾ بإظهار الإيمان عندكم، ﴿**ويأمَنُوا قَومَهُم**﴾ بالكُفر إذا رجعوا إليهم - وهم أسد وغطفان - ﴿**كُلَّما رُدُّوا إلَى الفِتنَةِ**﴾: دُعوا إلى الشِّرك ﴿**أُركِسُوا فِيها**﴾: وقعوا أشدّ وقوع. ﴿**فإنْ لَم يَعتَزِلُوكُم**﴾ بترك قِتالكم، ﴿**و**﴾ لم ﴿**يُلقُوا إلَيكُمُ السَّلَمَ و**﴾ لم ﴿**يَكُفُّوا أيدِيَهُم**﴾ عنكم، ﴿**فخُذُوهُم**﴾ بالأسر، ﴿**واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم**﴾: وجدتموهم. ﴿**وأُولَئِكُم جَعَلنا لَكُم عَلَيهِم سُلطانًا مُبِينًا**﴾ ٩١: بُرهانًا بيّنًا ظاهرًا، على قتلهم وسبيهم لغدرهم.

---

(١) ناس أي: بعض المنافقين. والناس: الصحابة. واقتلهم أي: يجب قتلهم لثبوت كفرهم. والمخاطب هنا بالطلب هو النبي ﷺ. و«لا» يعني: لا تقتلهم لأنهم ينطقون بالشهادتين، فهم من المسلمين. وفي المنافقين أي: في شأنهم وأمرهم. وفئتين أي: جماعتين مختلفتين، في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم غزوة أُحد. وأمرهم لا يدعو إلى الاختلاف، لأنهم هاربون من الجهاد، وهذا يدل على الرِّدّة والكفر. وردهم أي: عن الجهاد منكوسين على رؤوسهم وأعقابهم. وكسبوا أي: فعلوا من نيات وأقوال وأفعال بالاختيار والقصد. وتريد: تطلب. وتهدي: تنسب إلى الإيمان. وأضله: صرف قدراته إلى الكفر والنفاق، لِما في ضميره واختياره واستعداده من الشر والفساد. وفيما عدا خ: «ومن يضلله الله». والضمير المتصل هو زيادة تخل باللفظ القرآني من وجهين. انظر «المفصل». وتجد: تلقى. يعني: فلن تجد سبيلًا لخلق الهداية في قلبه. والخطاب هنا للنبي ﷺ. وتكونون: تصيرون. وهم أي: المنافقون. وسواءً أي: متساوين متماثلين. وتتخذ: تجعل. والأولياء: جمع وليّ. وهو الصديق والنصير. ويهاجر: يترك ما هو عليه من الباطل. وسبيل الله: الطريق الذي يوصل إلى طاعته. وتولوا أي: أعرضوا عن الهجرة. وخذوهم أي: أمسكوهم لأنهم ارتدّوا وثَبَتَ كفرهم. وبالأسر أي: لقصد الاستتابة. فلعلهم يرجعون إلى الإيمان. ووجَد: لقي.

(٢) القوم: الجماعة من الناس. وهلال أي: مع قومه. وكان العهد ألّا يعين هؤلاء المسلمين، ولايعينوا عليهم أحدًا. وجاؤوكم أي: أتوا إليكم مسالمين. والمراد أن المُوادِع فريقان: فريق التجأ إلى المعاهدين، وآخر جاء معتزلًا القتال. والصدور: جمع صدر. ويراد ما فيه من القلب. ومنسوخ: يعني أن النهي عن الأخذ والقتل مع ما بعده، أي: تتمةِ الآية، قد نُسخ حكمه بنزول الآية ٥ من سورة براءة. وشاء: أراد. وسلطهم: جرّأهم. واعتزلوكم: هادنوكم. وألقوا: قدّموا. وجعل: أوجد. وما جعل أي: منع وحرم.

(٣) تجدون: تلقَون. وآخرين: كفارًا ومنافقين غير الذين تقدم ذكرهم. ويريد: يقصد. ويأمنوكم أي: يَسلموا من قتالكم. وأسد وغطفان: قبيلتان تقيمان حول المدينة المنورة، نزلت فيهما الآية ليعرف المسلمون أمرهما، ويقابلوهما بالجهاد. ورُدوا: أُعيدوا وأُرجعوا. والفتنة: الاختبار بالشر. وإلى الشرك أي: وإلى قتالكم أيضًا. وأركسوا: انقلبوا على رؤوسهم. ويكف: يمنع. والأيدي: جمع يد. انظر الآيات ٧٧ و٨٩ و٩٠.

سُورَةُ النِّسَاءِ | الجُزْءُ الخَامِسُ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

١- ﴿**وما كانَ لِمُؤمِنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمِنًا**﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿**إلّا خَطأً**﴾: مُخطئًا، في قتله من غير قصد. ﴿**ومَن قَتَلَ مُؤمِنًا خَطأً**﴾، بأن قصدَ رميَ غيره كصيد أو شجرة فأصابه، أو ضربه بما لا يَقتل غالبًا، ﴿**فتَحرِيرُ**﴾: عَتقُ ﴿**رَقَبةٍ**﴾: نَسَمةٍ ﴿**مُؤمِنةٍ**﴾ عليه، ﴿**ودِيَةٌ مُسَلَّمةٌ**﴾: مُؤدّاة ﴿**إلَى أهلِهِ**﴾ أي: ورثةِ المقتول، ﴿**إلّا أنْ يَصَّدَّقُوا**﴾: يتصدّقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها. وبيّنَتِ السُّنّة أنها مِائَةٌ من الإبل: عشرون بنتُ مَخاض، وكذا بناتُ لَبُونٍ وبنو لَبُونٍ وحِقاقٌ وجِذاعٌ، وأنها على عاقلةِ القاتل - وهم عَصَبتُه - إلّا الأصلَ والفرع، مُوزّعةً عليهم على ثلاث سنين، على الغنيِّ منهم نِصفُ دينار والمتوسّطِ رُبعُ كلَّ سنة. فإن لم يفُوا فمِن بيت المال، فإن تعذّر فعلى الجاني.

٢- ﴿**فإنْ كانَ**﴾ المقتول ﴿**مِن قَوم عَدُوٍّ**﴾: حرب ﴿**لَكُم، وهْوَ مُؤمِنٌ، فتَحرِيرُ رَقَبةٍ مُؤمِنةٍ**﴾ على قاتله كفّارةً، ولا دِيَةَ تُسلَّم إلى أهله لحِرابتهم، ﴿**وإنْ كانَ**﴾ المقتول ﴿**مِن قَومٍ، بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ**﴾: عهد كأهل الذِّمّة، ﴿**فَدِيَةٌ**﴾ له ﴿**مُسَلَّمةٌ إلَى أهلِهِ**﴾ - وهي ثُلثُ دِيةِ المؤمنِ إن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، وثلثا عُشرِها إن كان مجوسيًّا - ﴿**وتَحرِيرُ رَقَبةٍ مُؤمِنةٍ**﴾ على قاتله، ﴿**فمَن لَم يَجِدْ**﴾ الرقبةَ، بأن فقَدها وما يُحصِّلها به، ﴿**فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ**﴾ عليه كفّارةً - ولم يذكرِ اللهُ تعالى الانتقال إلى الطعام كالظِّهار. وبه أخَذ الشافعيّ، في أصحّ قوليه - ﴿**توبةً مِنَ اللهِ**﴾: مصدر منصوب بفعله المقدّر. ﴿**وكانَ اللهُ عَلِيمًا**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمًا**﴾ **٩٢** فيما دبّره لهم.

٣- ﴿**ومَن يَقتُلْ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا**﴾، بأن يقصِد قتله بما يَقتل غالبًا عالمًا بإيمانه، ﴿**فجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فِيها، وغَضِبَ اللهُ علَيهِ ولَعَنَهُ**﴾: أبعده من رحمته، ﴿**وأعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظِيمًا**﴾ **٩٣** في النار. وهذا مُؤوّل بمن يستحلّه، أو بأنّ هذا جزاؤه إن جُوزي، ولا بِدْع في خُلف الوعيد، لقوله: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذٰلكَ لِمَن يَشاءُ». وعن ابن عبّاس أنها على ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وبيّنتْ آية «البقرة» أنّ قاتل العَمد يُقتل به، وأنّ عليه الدِّيَةَ إن عُفي عنه، وسَبَق قَدرُها. وبيّنَتِ السُّنّة أنّ بين العَمد والخطأ قتلًا يُسمَّى شِبهَ العَمد. وهو أن يَقتله بما لا يَقتل غالبًا. فلا قِصاص فيه، بل دِية كالعمدِ في الصفة، والخطأِ في التأجيل والحمل. وهو والعمدُ أولى بالكفّارة من الخطأ.

٤- ونزل، لمّا مرّ نفر من الصحابة برجل من بني سُليم وهو يسوق غنمًا، فسلّم عليهم، فقالوا: ما سلّم علينا إلّا تَقِيّةً. فقتلوه واستاقوا غنمه: ﴿**يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، إذا ضَرَبتُم**﴾: سافرتم للجِهاد ﴿**في سَبِيلِ اللهِ فتَبَيَّنُوا**﴾ - وفي قراءة «فتَثَبَّتُوا» بالمثلّثة في الموضعين. ﴿**ولا تَقُولُوا لِمَن ألقَى إلَيكُمُ السَّلامَ**﴾، بألِف ودونِها، أي: التحيّةَ، أو الانقيادَ بقول كلمة الشهادة التي هي أمارة على إسلامه: ﴿**لَستَ مُؤمِنًا**﴾، وإنّما قُلتَ هذا تقيّةً لنفسك

---

(١) الخطأ: أن يعمل الإنسان غير ما يريد. انظر «المفصل». والعتق: جعل المملوك حرًا مِن تملك الغير. والنسمة: الإنسان. والدية: المال المأخوذ بدل الاقتصاص. والسُّنّة: الحكم النبوي الشريف. وبنت المخاض: الناقة أتمت السنة الأولى. وابن اللبون: البعير أتم السنة الثانية. ومثله بنت اللبون. والحِقاق: جمع حِقّة. وهي التي أتمت السنة الثالثة. والجِذاع: جمع جَذَعة. وهي التي أتمت السنة الرابعة. والعاقلة: الذين يدفعون الدية. والعَصَبة: قوم القاتل. والأصل: أبو القاتل وجدوده. والفرع: أبناؤه وحفدته.

(٢) حرب أي: محارب. والكفارة: ما يزيل العقوبة. وتسلم: توصل. والحرابة: المحاربة. ولم يجد: لم يملك. والصيام: الامتناع عما يُفطر. والشهر: مدة دوران القمر حول الأرض مرة واحدة. والمتتابعان: المتصلان. وبه أي: بعدم الانتقال إلى الطعام. والتوبة: قبول الإقلاع والاستغفار.

(٣) المتعمد: من ينوي ويطلب بتصميم. والجزاء: العقاب. والخلود هنا: طول الإقامة لأن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم. وغضب عليه: سخط عليه وأنزل به عقابه. وأعد: هيأ. والعظيم: ما لا يقدر قدره وليس له مثيل. والمعروف أن صاحب الكبيرة لا يخلد في النار. ولقوله يعني: الآيتين ٤٨ و١١٦. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى الإشراك. ويُقتل به أي: قصاصًا بمن قَتل. وعفي عنه أي: من القصاص. وسبق قدرها يعني: في تفسير الآية ٩٢. وشِبه العمد في المسند ٢:٣٦. وكالعمد أي: كقتل العمد. والخطأ أي: كقتل الخطأ. والتأجيل: تحديد الأوقات لدفع الدنانير. والحمل: تحمُّل العاقلة للدية عن الجاني. وهو أي: شِبه العمد.

(٤) النفر: الرجال من الثلاثة إلى العشرة. والتقية: المصانعة لتوقي الشر. والموضعين: هنا وفي آخر الآية. وسبيل الله: ما شرعه لنصرة دينه. وتبينوا أي: اطلبوا بيان الأمر. وتثبتوا أي: اطلبوا التثبُّت. وبالمثلثة أي: بالثاء بعد التاء. وألقاه أي: حيّا به مبادرًا. وبدونها يريد القراءة «السَّلَمَ». والعَرَض: ماهو سريع الزوال. وعند الله أي: فيما قدّره وقضاه. والمغانم: جمع مَغنَم. وهو ما يؤخذ من مال العدو. وكذلك أي: مثلَ مَن ألقى إليكم السلام كنتم، من قبلِ أن تعلنوا إسلامكم. ومنّ: أنعم بالخير. وأن تقتلوا أي: خشية أن تقتلوا خطأ. والداخل فيه: من اعتنق الإسلام. والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ومالك. فتقتلوه ﴿تبتغُونَ﴾: تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: متاعَها من الغنيمة. ﴿فعِندَ اللهِ مَغانِمُ كَثيرةٌ﴾، تُغنيكم عن قتل مِثله لماله. ﴿كَذٰلِكَ كُنتُم مِن قَبلُ﴾ تُعصم دِماؤكم وأموالكم بمجرّد قولكم الشهادة، ﴿فَمَنَّ اللهُ عليكُم﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة - ﴿فتبيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم. ﴿إنَّ اللهَ كانَ بما تعملُونَ خَبيرًا﴾ ٩٤، فيُجازيكم به.

١- ﴿لا يَستَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ عن الجهاد، ﴿غَيرُ أولِي الضَّرَرِ﴾ - بالرفع صفةً والنصب استثناء - من زمانةٍ أو عمًى أو نحوه، ﴿والمُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم. فَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم عَلَى القاعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجةً﴾: فضيلة، لاستوائهما في النيّة وزيادة المجاهدين بالمباشرة - ﴿وكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللهُ الحُسنَى﴾: الجنّة - ﴿وفَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ على القاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ ٩٥، ويُبدل منه: ﴿دَرجاتٍ مِنهُ﴾: منازلَ بعضها فوق بعض من الكرامة، ﴿ومَغفِرةً ورَحْمةً﴾: منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه، ﴿رَحِيمًا﴾ ٩٦ بأهل طاعته.

ربع الحزب ١٠

٢- ونزل في جماعة أسلموا ولم يُهاجروا، فقُتلوا يوم بدر مع الكُفّار: ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾، بالمُقام مع الكُفّار وترك الهجرة، ﴿قالُوا﴾ لهم مُوبّخين: ﴿فِيمَ كُنتُم﴾ أي: في أيّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قالُوا﴾ مُعتذرين: ﴿كُنّا مُستَضعَفِينَ﴾: عاجزين عن إقامة الدين ﴿في الأرضِ﴾: أرض مكّة. ﴿قالُوا﴾ لهم توبيخًا: ﴿ألَم تَكُنْ أرضُ اللهِ واسِعةً، فتُهاجِرُوا فِيها﴾ من أرض الكُفر إلى بلد آخر، كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فأُولٰئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، وساءَتْ مَصِيرًا﴾ ٩٧ هي! ﴿إلّا المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ﴾ الذين ﴿لا يَستَطِيعُونَ حِيلةً﴾: لا قُوّة لهم على الهجرة ولا نفقة، ﴿ولا يَهتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ٩٨: طريقًا إلى أرض الهجرة - ﴿فأُولٰئِكَ عَسَى اللهُ أنْ يَعفُوَ عَنهُم. وكانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩ - ومَن يُهاجِرْ في سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ في الأرضِ مُراغَمًا﴾: مُهاجَرًا ﴿كَثِيرًا وسَعةً﴾ في الرِّزق، ﴿ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ﴾ في الطريق، كما وقع لجُندُع بن ضَمرة الليثيّ، ﴿فقَد وَقَعَ﴾: ثَبَتَ ﴿أجرُهُ عَلَى اللهِ. وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ١٠٠.

٣- ﴿وإذا ضَرَبتُم﴾: سافرتم ﴿في الأرضِ فلَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ﴾، في ﴿أن تَقصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾، بأن تردّوها من أربع إلى اثنتين، ﴿إنْ خِفتُم أنْ يَفتِنَكُمُ﴾ أي: ينالَكم بمكروهٍ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. بيانٌ للواقع إذ ذاك، فلا مَفهوم له. وبيّنَتِ السُّنّة أنّ المُراد بالسفرِ الطويلُ. وهو أربعة بُرُدٍ وهي مرحلتان. ويُؤخذ من قوله «فلَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ» أنه رُخصة لا واجب. وعليه الشافعيّ. ﴿إنَّ الكافِرِينَ كانُوا لَكُم عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ١٠١: بيّنَ العداوة.

(١) يستوون: يكونون متساوين في الإيمان والمنزلة. والقاعد: المتخلف كسلًا وجبنًا. وبالنصب يريد القراءة «غَيرَ». وأولو الضرر: الذين لا يقدرون على الجهاد. والزمانة: المرض الدائم. انظر «المفصل». والمجاهد: من يبذل أقصى ما يستطيع. والأموال: جمع مال. وهو مايملك من المتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وفضله: جعله أفضل من غيره. ووعده: تعهد له. والحسنى: النعمة أحسن من كل شيء. والعظيم: الضخم لا يقدر قدره. ومنه أي: من فضله وتكرمه. والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. والرحمة: العطف بالإحسان.

(٢) توفاهم الملائكة: قبضوا أرواحهم. وظلم النفس: تعريضها للعذاب. والمقام: الإقامة. والمستضعف: الذي يُعَدُّ في الضعفاء. والواسعة: الفسيحة الجنبات. وتهاجروا أي: تنتقلوا للحفاظ على دينكم. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. والمصير: المكان الذي يصير إليه الإنسان. والولدان: جمع وليد. وهو الطفل والمملوك والأمة. وإلى الله أي: إلى طلب طاعته ورضاه. وابن ضمرة كان شيخًا كبيرًا. وغفورًا أي: لما سلف من ذنوب المهاجرين. ورحيمًا أي: بوقوع أجره عليه ومكافأته على نيته وهجرته.

(٣) سافرتم أي: رحلتم لمكان وزمان يحددهما الشرع. والجناح: الإثم. وتقصروها أي: تختصروها بحذف بعض أجزائها كما يحدد الشرع. وإلى اثنتين يعني: ماكان من صلوات الظهر والعصر والعشاء، يصلّى في كل منها ركعتان بدلًا من أربع. وخفتم: علمتم أو توقعتم. ولا مفهوم له: يعني أن شرط عدوان الكافرين لم يُقصد تحققه لجواز قصر الصلاة في السفر، لأنه ذُكر هنا لبيان واقع المسلمين إذ ذاك. فلا فرق بين الخوف والأمن في جواز القصر. والبُرُد: جمع بَريد. وهو مسافة اثني عشر ميلًا. والمرحلة: مسير يوم معتدل. ومجموع المرحلتين يقدر بحوالي ٨١ كيلو مترًا. وانظر «المفصل». وكانوا أي: منذ وجدوا وما يزالون. والعدو: المعادي.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١- ﴿**وإذا كُنتَ**﴾ - يا مُحمّد - حاضرًا ﴿**فيهم**﴾، وأنتم تخافون العدوّ، ﴿**فأقمتَ لَهُمُ الصَّلاةَ**﴾ - وهذا جَرْيٌ على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له - ﴿**فلْتَقُمْ طائفةٌ منهم مَعَكَ**﴾ وتتأخّرْ طائفة، ﴿**ولْيأخُذُوا**﴾ أي: الطائفةُ التي قامت معك ﴿**أسلحتَهم**﴾ معهم، ﴿**فإذا سَجَدُوا**﴾ أي: صلّوا ﴿**فلْيَكونُوا**﴾ أي: الطائفةُ الأخرى ﴿**مِن ورائكم**﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهبَ هذه الطائفة تحرسُ، ﴿**ولْتأتِ طائفةٌ أُخرى لَم يُصلُّوا فلْيُصلُّوا مَعَكَ، ولْيأخُذوا حِذْرَهُم وأسلِحتَهُم**﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة. وقد فعل النبيّ ﷺ كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان. ﴿**ودَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَغْفُلُونَ**﴾، إذا قمتم إلى الصلاة، ﴿**عَن أسلِحتِكُم وأمتِعتِكُم، فيَمِيلُونَ عليكُم مَيلةً واحِدةً**﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم. وهذا عِلّة الأمر بأخذ السلاح.

٢- ﴿**ولا جُناحَ عليكُم، إنْ كَانَ بِكُم أذًى مِن مَطَرٍ أو كُنتُم مَرضَى، أنْ تَضَعُوا أسلِحَتَكُم**﴾ فلا تحملوها - وهذا يُفيد إيجاب حملها عند عدم العُذر، وهو أحد قولَي الشافعيّ، والثاني أنّه سُنّة ورُجِّحَ - ﴿**وخُذُوا حِذْرَكُم**﴾ من العدوّ أي: احترزوا منه ما استطعتم - ﴿**إنّ اللهَ أعَدَّ لِلكافِرينَ عَذابًا مُهِينًا**﴾ ١٠٢: ذا إهانة - ﴿**فإذا قَضَيتُمُ الصَّلاةَ**﴾: فرَغتم منها ﴿**فاذكُرُوا اللهَ**﴾ بالتهليل والتسبيح، ﴿**قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِكُم**﴾: مضطجعين، أي: في كُلّ حال، ﴿**فإذا اطْمأنَنتُم**﴾: أمِنتم ﴿**فأقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾: أدُّوها بحُقوقها. ﴿**إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ علَى المُؤمِنِينَ كِتابًا**﴾: مكتوبًا أي: مفروضًا ﴿**مَوقُوتًا**﴾ ١٠٣ أي: مُقدّرًا وقتها، فلا تُؤخَّرُ عنه.

٣- ونزل، لَمّا بَعثَ النبيُّ ﷺ طائفة في طلب أبي سُفيانَ وأصحابِه، لمّا رَجعوا من أُحُد فشكَوُا الجراحاتِ: ﴿**ولا تَهِنُوا**﴾: تَضعُفوا ﴿**في ابتِغاءِ**﴾: طلبِ ﴿**القَومِ**﴾ الكُفّارِ لتُقاتلوهم. ﴿**إنْ تَكُونُوا تألَمُونَ**﴾: تجدون ألم الجِراح ﴿**فإنَّهُم يألَمُونَ كَما تألَمُونَ**﴾ أي: مِثلَكم، فلا تَجبُنوا عن قتالهم، ﴿**وتَرجُونَ**﴾ أنتم ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ من النصر والثواب عليه ﴿**ما لا يَرجُونَ**﴾ هم. فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه. ﴿**وكانَ اللهُ عَلِيمًا**﴾ بكُلّ شيء، ﴿**حَكِيمًا**﴾ ١٠٤ في صُنعه.

٤- وسرقَ طُعمةُ بنُ أُبَيرِقَ دِرعًا وخَبَأها عند يهوديّ، فوُجدت عنده، فرماه طُعمةُ بها وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومُه النبيَّ أن يُجادل عنه

---

(١) أقمت الصلاة أي: أردت أن تبدأ بالصلاة إمامًا. وفيهم أي: في الخائفين من فتنة العدو وغدره. وهذا أي: شرط وجوده ﷺ. ولا مفهوم له: يعني أنه ليس شرطًا، والحكم كذلك إن لم تكن فيهم. والطائفة: الجماعة. وتتأخر أي: تبتعد عن تحصيل الصلاة لتكون أمام العدو. ويأخذوا أي: يحملوا تأهبًا لِما يكون من العدو. والأسلحة: جمع سلاح. ومن ورائكم أي: من خلفك وخلف المصلين معك. وتحرس أي: تقف للحراسة مكان الطائفة التي كانت تحرس قبل. وتأتي: تحضر خلفك للصلاة. والأُخرى: المغايرة لمن صلى معك. ويأخذوا حذرهم أي: يكونوا حذرين متيقظين. وتقضوا الصلاة أي: تنتهوا من أدائها جميعًا. و«الشيخان» انظر الأحاديث ٩٠٠ و٩٠١ و٣٩٠٣ و٣٩٠٤ و٤٢٦١ في البخاري و٨٤٢ و٨٤٣ في مسلم. وبطن نخل: موضع في نجد. وود: تمنى. وتغفل: تُشغل. والأمتعة: جمع متاع. وهي الحوائج. ويميل: يندفع في الهجوم، أي: تمنوا أن ينالوا منكم غِرّة في صلاتكم، فيشدّوا عليكم شَدة واحدة. والعلة: السبب.

(٢) الجناح: الإثم. والأذى: الجَهد يؤذيه حمل السلاح. والمرضى: جمع مريض. وتضعوها أي: تتركوها وقت أداء الصلاة. ورجح: يعني أن القول الثاني هو كون الحمل للسلاح سُنّة لا واجبًا، وهو مرجَّح على الأول. وأعده: هيّأه لينال صاحبه. والصلاة: صلاة الخوف المذكورة قبل. ومنها أي: على الوجه المبيَّن قبل. واذكروه أي: بالقلب واللسان. والتسبيح أي: والتحميد والتكبير والدعاء بالنصر. والقيام: جمع قائم. والقعود: جمع قاعد. والجنوب: جمع جَنب. وهو طرف الإنسان. وأمنتم أي: وسكنت قلوبكم بعد الحرب. وبحقوقها أي: بما لها من الأركان والشروط والآداب. وكانت أي: من قديم الزمان ولاتزال في الحياة. ومكتوبًا أي: شيئًا مكتوبًا. ولا تؤخر أي: ولا تقدم عليه.

(٣) الطائفة: الجماعة من الصحابة. وتألمون: تتألمون. وترجون: تطمعون وتظنون حصول ما فيه المسرة. ومنه: من فضله وإحسانه. و«بذلك» الإشارة فيه إلى الثواب على النصر. وكان أي: انظر آخر الآية ١١.

(٤) اليهودي اسمه زيد بن السمين. وعنده أي: عند اليهودي. ورماه بها أي: اتهمه بسرقتها. وقومه أي: قوم الأوسي طُعمة. وشهد بعضهم زورًا أن اليهودي هو السارق ليتجنبوا الفضيحة. وكان طعمة هذا وأهله من المنافقين. ونزل: يعني الآيات ١٠٥-١١٦، وفيها مع الحكم الخاص بماكان أحكامٌ عامة، لتوجيه جميع المسلمين إلى الحق في مثل هذه الأحوال. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والحق: العدل والصدق. وتحكم: تقضي. وفيه أي: في الكتاب. ولاتكن أي: لا تَصِر. والخائن: من خالف الحق بنقض الأمانة. واستغفره: اطلب منه العفو والصفح. وبه يعني: بالحكم على اليهودي بقطع يده، وإن لم ينفذ. وانظر آخر الآية ١٠٠.

الجزء الخامس — سورة النساء

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

ويُبَرِّئه، فنزل: ﴿**إنّا أنزَلْنا إليكَ الكِتابَ**﴾: القُرآن ﴿**بالحَقِّ**﴾ متعلق بـ«أنزل»، ﴿**لِتحكُمَ بَينَ النّاسِ بما أراكَ**﴾: علّمك ﴿**اللهُ**﴾ فيه، ﴿**ولا تكُنْ لِلخائنينَ**﴾ كطُعمةَ ﴿**خَصيمًا**﴾ ١٠٥: مُخاصمًا عنهم، ﴿**واستَغفِرِ اللهَ**﴾ مِمّا هممتَ به. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ غفُورًا رَحيمًا**﴾ ١٠٦.

١- ﴿**ولا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَختانُونَ أنفُسَهُم**﴾: يخونونها بالمعاصي، لأنّ وبال خِيانتهم عليهم. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ خَوّانًا**﴾: كثير الخيانة ﴿**أثِيمًا**﴾ ١٠٧ أي: يُعاقبه. ﴿**يَستَخفُونَ**﴾ أي: طُعمةُ وقومه حياءً ﴿**مِنَ النّاسِ، ولا يَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وهُوَ مَعَهُم**﴾ بعلمه، ﴿**إذ يُبَيِّتُونَ**﴾: يُضمِرون ﴿**ما لا يَرضَى مِنَ القَولِ**﴾، من عزمهم على الحَلِف على نفي السرقة ورمي اليهوديّ بها. ﴿**وكانَ اللهُ بما يَعمَلُونَ مُحِيطًا**﴾ ١٠٨ عِلمًا. ﴿**ها أنتُم**﴾ يا ﴿**هؤُلاءِ**﴾: خِطابٌ لقوم طُعمةَ، ﴿**جادَلتُم**﴾: خاصمتم ﴿**عَنهُم**﴾ أي: عن طُعمة وذَويه - وقُرِئ: «عَنهُ» - ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا. فمَن يُجادِلُ اللهَ عَنهُم يومَ القِيامةِ**﴾، إذا عذّبهم؟ ﴿**أم مَن يَكُونُ عَليهِم وَكيلًا**﴾ ١٠٩: يتولّى أمرهم ويذبّ عنهم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك.

٢- ﴿**ومَن يَعمَلْ سُوءًا**﴾: ذنبًا يسوءُ به غيره كرمي طُعمةَ اليهوديَّ ﴿**أو يَظلِمْ نَفسَهُ**﴾: بعمل ذنب قاصر عليه، ﴿**ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ**﴾ منه أي: يتُبْ، ﴿**يَجِدِ اللهَ غَفُورًا**﴾ له ﴿**رَحيمًا**﴾ ١١٠ به، ﴿**ومَن يَكسِبْ إثمًا**﴾: ذنبًا ﴿**فإنَّما يَكسِبُهُ على نَفسِهِ**﴾، لأنّ وباله عليها ولا يضرّ غيره - ﴿**وكانَ اللهُ عَليمًا حَكيمًا**﴾ ١١١ في صُنعه - ﴿**ومَن يَكسِبْ خَطيئةً**﴾: ذنبًا صغيرًا ﴿**أو إثمًا**﴾: ذنبًا كبيرًا، ﴿**ثُمَّ يَرمِ بِهِ بَريئًا**﴾ منه، ﴿**فقَدِ احتَمَلَ**﴾: تحمّلَ ﴿**بُهتانًا**﴾ برَميِه ﴿**وإثمًا مُبِينًا**﴾ ١١٢: بيّنًا بكسبه، ﴿**ولولا فَضلُ اللهِ عَليكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**ورَحمَتُهُ**﴾ بالعِصمة ﴿**لَهَمَّتْ**﴾: أضمرتْ ﴿**طائفةٌ مِنهُم**﴾: من قوم طُعمةَ ﴿**أنْ يُضِلُّوكَ**﴾ عن القضاء بالحقّ، بتلبيسهم عليك، ﴿**وما يُضِلُّونَ إلّا أنفُسَهُم، وما يَضُرُّونَكَ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ**﴾ لأنّ وبال إضلالهم عليهم! ﴿**وأنزَلَ اللهُ عَلَيكَ الكِتابَ**﴾ القُرآن، ﴿**والحِكمَةَ**﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿**وعَلَّمَكَ ما لَم تَكُنْ تَعلَمُ**﴾ من الأحكام والغيب، ﴿**وكانَ فَضلُ اللهِ عَلَيكَ**﴾ بذلك وغيره ﴿**عَظِيمًا**﴾ ١١٣.

---

(١) تجادل: تخاصم وتدافع. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والأثيم: المكثر من الذنب الذي يقتضي العقوبة. ولا يحبه أي: يكرهه كما يليق به من صفات الألوهية، فلايغفرله. ويستخفون: يطلبون الاستتار بخيانتهم، أي: يرتكبون المعاصي مستترين. ولا يستخفون أي: لا يستحيون ولا يخافون. ويرضاه: يقبله ويجيزه. والقول: الكلام الذي يقال. وكان أي: ولايزال من دون قيد زماني. ويعملون أي: يكتسبونه من نية وقول وفعل. والمحيط بالشيء: المدرك له من جميع نواحيه. وذوو الإنسان: أهله الأقربون. و«عَنهُ» هذه قراءة ابن مسعود، وهي أيضًا في: «يُجادِلُ اللهَ عَنهُ». واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ويكون: يصير. والوكيل: المحامي الحافظ يكل الإنسانُ أمره إليه.

(٢) يعمل: يكتسب باختيار وقصد. والسوء: ما يؤذي. والرمي: الاتهام. ويظلم: يتجاوز حد الحق ويحمّل نفسه مسؤولية العدوان. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وقاصر عليه أي: لم يتجاوزه إلى غيره، كاليمين الكاذبة ليس فيها ظلم لأحد. وفي قرة العينين والمنحة وط وبعض المطبوعات: «يعمل ذنبًا قاصرًا عليه». ويستغفر: يطلب الغفران. والمراد: مع التوبة الصادقة بشروطها. ويجد: يعلم. والغفور: الكثير المغفرة بستر الذنوب والصفح عنها. والرحيم: العظيم الرحمة بالعطف تفضلًا. ويكسب: يعمل ويربح. والذنب هنا: ما يتعلق بالإنسان نفسه أو يتجاوزه إلى غيره. وكان: انظر آخر الآية ٩٢. وفي صنعه أي: يعلم جميع ما يُكسب، لا يغيب عنه شيء منه، ويضع الأمور في مواضعها، فيجازي على الآثام بما تقتضيه حكمته. ويرم أي: يتهم. والبريء: المتهَم ولم يذنب. والبهتان: أن يُرمَى الإنسان بأمر منكر يتحير منه لفظاعته. وبينًا: يعني أنه أوجب عقوبةَ بهتان عظيم، وجزاءَ ذنب واضح لا لبس فيه. والفضل: التفضل بالخير. والرحمة: العطف بالإحسان. و«أضمرت» كذا من البغوي ١: ٤٧٩، بتفسير الهم على أنه إضمار في النفس دون عمل. وقوم طعمة قاموا فعلًا بما هموا به، ولولا: شرطية امتناعية لوجود في الماضي، تعني نفيَ حصول جوابها في الماضي لوجود شرطها، أي: نفيَ إضمارِهم إضلالَه. والراجح أن الهم هنا: العزم على الشيء والاهتمام به والاحتيال له، وأن الطائفة منهم هي: وفد من المشركين من بني ثقيف، لا من بني طعمة المنافقين، قالوا للنبي ﷺ: جئناك نبايعك، على ألّا نُحشَر ولا نُعشَر، وعلى أن تمتّعنا بالعُزَّى سَنةً. فلم يجبهم لِما أرادوا، ونزلت الآية. انظر النهر الماد في حاشية البحر ٣: ٣٤٧. وهؤلاء لم يهتموا بالأمر ولم يحتالوا له، كما فعل قوم طعمة. فنفي ذلك عنهم ظاهر. وقد جمعت الآية بين الفريقين، فكان فيها تشنيع عليهما وتوبيخ، وتقرير لعصمة النبي، مع تغليب مسألة ثقيف لأنها أفظع. ونُحشر: نُجمع للمغازي. ونُعشر: يؤخذ عُشر أموالنا. ثم أسلم بنو ثقيف، وتركوا طلبهم ذلك. ويضل: يصرف. ويضر: يسبب الإيذاء الحقيقي. والأنفس: جمع نفس. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على تعميم النفي، أي: لا يضرونك ضررًا لا قليلًا ولا كثيرًا. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. والحكمة: الاتقان لوضع الأمور في مواضعها. وعلمك: لقّنك وألهمك. وبذلك أي: بما ذُكر من النعم في هذه الآية.

سورة النساء — الجزء الخامس

۞ لَّاخَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

نصف الحزب ١٠

١- ﴿**لا خَيرَ في كَثيرٍ مِن نَجْواهُم**﴾ أي: الناس، أي: ما يتناجَون فيه ويتحدّثون، ﴿**إلّا**﴾ نجوَى ﴿**مَن أمَرَ بِصَدَقةٍ أو معرُوفٍ**﴾: عملِ برّ، ﴿**أو إصلاحٍ بينَ النّاسِ، ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ**﴾ المذكورَ ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**مَرضاةِ اللهِ**﴾ لا غيرِه من أُمور الدُّنيا ﴿**فسَوفَ نُؤتِيهِ**﴾ - بالنون، والياءِ أي: اللهُ - ﴿**أجرًا عَظِيمًا ١١٤، ومَن يُشاقِقِ**﴾: يُخالفِ ﴿**الرَّسُولَ**﴾، فيما جاء به من الحقّ، ﴿**مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى**﴾: ظهرَ له الحقّ بالمُعجزات، ﴿**ويَتَّبِعْ**﴾ طريقًا ﴿**غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ**﴾ أي: طريقِهم الذي هم عليه من الدِّين، بأن يكفر، ﴿**نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى**﴾: نجعلْه واليًا لما تولّاه من الضلال، بأن نُخلّي بينه وبينه في الدُّنيا، ﴿**ونُصْلِهِ**﴾: نُدخِلْه في الآخرة ﴿**جَهَنَّمَ**﴾ ليحترق فيها، ﴿**وساءَتْ مَصِيرًا**﴾ ١١٥: مَرجِعًا هي! ﴿**إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ بِهِ، ويَغفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشاءُ، ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فقَد ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا**﴾ ١١٦ عن الحقّ.

٢- ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**يَدعُونَ**﴾: يَعبدُ المشركون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ، أي: غيرَه ﴿**إلّا إناثًا**﴾: أصنامًا مُؤنّثة كاللّاتِ والعُزَّى ومَناةَ، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**يَدعُونَ**﴾: يَعبدون بِعبادتها ﴿**إلّا شَيطانًا مَرِيدًا**﴾ ١١٧: خارجًا عن الطاعة، لطاعتهم له فيها - وهو إبليسُ - ﴿**لَعَنَهُ اللهُ**﴾: أَبعده عن رحمته، ﴿**وقالَ**﴾ أي: الشيطانُ: ﴿**لَأَتَّخِذَنَّ**﴾: لأجعلنّ لي ﴿**مِن عِبادِكَ نَصِيبًا**﴾: حظًّا، ﴿**مَفرُوضًا**﴾ ١١٨: مقطوعًا، أدعوهم إلى طاعتي، ﴿**ولَأُضِلَّنَّهُم**﴾ عن الحقّ بالوسوسة، ﴿**ولَأُمَنِّيَنَّهُم**﴾: أُلقي في قُلوبهم طُول الحياة، وأنْ لا بعث ولا حِساب، ﴿**ولَآمُرَنَّهُم فلَيُبَتِّكُنَّ**﴾: يُقطِّعُنّ ﴿**آذانَ الأنعامِ**﴾ - وقد فُعل ذلك بالبحائر - ﴿**ولَآمُرَنَّهُم فلَيُغَيِّرُنَّ خلقَ اللهِ**﴾: دِينَه بالكُفر، وإحلال ما حرَّم وتحريم ما أحل.

٣- ﴿**ومَن يَتَّخِذِ الشَّيطانَ وَلِيًّا**﴾ يتولّاه ويُطيعه، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**فقَد خَسِرَ خُسرانًا مُبِينًا**﴾ ١١٩: بَيّنًا، لمصيره إلى النار المُؤبّدة عليه. ﴿**يَعِدُهُم**﴾ طُولَ العمر، ﴿**ويُمَنِّيهِم**﴾ نَيلَ الآمال في الدُّنيا وأنْ لا بعث ولا جزاء، ﴿**وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ**﴾ بذلك ﴿**إلّا غُرُورًا**﴾ ١٢٠: باطلًا. ﴿**أُولٰئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، ولا يَجِدُونَ عَنها مَحِيصًا**﴾ ١٢١: مَعدِلًا، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها**

---

(١) الخير: ما ينفع. والنجوى: الحديث سرًا أو علانية. وكثير يعني: أن في قليل من نجوى الناس خيرًا. وأمر: ألزم غيره. والصدقة: ما يُدفع إلى المحتاجين تقربًا إلى الله. والإصلاح: إزالة الخلاف والخصام. ويفعل: يكتسب بالنية أو القول أو العمل اختيارًا وقصدًا. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى الأمر بواحد من الأعمال الثلاثة قبل. والمرضاة: الرضوان. ونؤتيه: نعطيه تفضلًا. وبالياء يريد القراءة «يُؤتِيهِ». فالفاعل ضمير يعود على لفظ الجلالة. وروي أن أحد بني سُليم سرق بعض مالِ مَن أضافه، ثم هرب إلى قومه مرتدًا، فنزلت الآية فيه، وحكمها عامّ أيضًا. البحر ٣: ٣٥٠. والرسول: من أُرسل بالدعوة إلى الإسلام مع العمل. وتبين: ظهر. ويتبعه: يعمل ما يدعو إليه. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وما تولاه أي: ما اختاره بنفسه وليًّا لأمره ينقاد له. والوالي: التابع. وساءت: بلغت نهاية السوء والشر. ومرجعًا أي: مكان رجوع للحياة بعد الموت. ولاتكون المغفرة للشرك، إذا مات صاحبه عليه. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ عليه. ويشرك به: يجعل له شريكًا في الألوهية. ودون ذلك أي: غير الشرك من الذنوب. ويشاء أي: يريد أن يغفر له. وضل: انحرف. والبعيد: الذي لا نهاية له.

(٢) الإناث: جمع أُنثى. وهي ما يقابل الذكر. وبعبادتها أي: في عبادتها. والشيطان: من يوسوس بالشر ويغري بالضلال. والمريد: الذي بلغ الغاية في الشر والخروج عن طاعة الله. وإبليس أي: ومن يشبهه من الإنس أو الجن. والعباد: جمع عبد. والحظ: المقدار المحدد. والمقطوع: الذي اقتطعه إبليس والشياطين. وأُضِلّه: أصرفه وأُميل قلبه. وأُمنّيه: أعِده الأمانيّ الكاذبة أشغَله بها. وآمره: أُوَسْوِسُ إليه وأُغريه. والآذان: جمع أُذن. والأنعام: جمع نعم. وهو الإبل والبقر والغنم. والبحائر: جمع بَحِيرة. وهي الناقة تلد أربعة بطون، ثم تلد في الخامس ذكرًا، فلايحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويتركون ألبانها للأصنام. وانظر الآية ٣ من سورة المائدة. ويغيّر: يبدّل ويشوّه. والخلق: المخلوق. وهو يشمل مع الدين أيضًا إفساد التكوين لسائر المخلوقات، كما هو معروف في الاستنساخ والاستنسال، والولادات المشوهة بالعقاقير المصطنعة، والإنجاب المخبري بالأنابيب، وعمليات التجميل غير الضرورية، وتحويل الخُنثى إلى ذُكَير أو أُنيثى، وخلخلة التكامل الحيوي بين الخلائق، والعبث بالمورِّثات والمكونات للإنسان والحيوان والنبات والجماد، لتغيير طبيعة بعضها وتشويه وظائفها الفطرية، مما يفسد الكون والحياة.

(٣) خسر: أضاع مايؤمله من الخير. ويعدهم: يتعهد لهم. والغرور: إظهار النفع فيما فيه الضرر. فهو باطل لا يثبت عند التمحيص. والمأوى: الملجأ. ويجد: يرى. والمعدل: المهرب. وآمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب من نية أو قول أوفعل باختيار وقصد. والصالح: ما يرضاه الشرع. وندخلهم: نجعلهم داخلين ونيسّر لهم ذلك. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. ومن تحتها أي: من تحت شجرها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم للماء والعسل واللبن والخمر. والخالد: المقيم مدة طويلة. وأبدًا أي: مدة الدهر. والوعد: التعهد بإيصال المنافع قبل حصولها. والحق: الثبوت والتحقق. وأصدق أي: أكثر صدقًا فيما يعد وأكثر التزامًا له فيما يقول. والمراد معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة بوعد الله الصادق دائمًا.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ
الَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا، وَعْدَ اللهِ حقًّا﴾ أي: وعَدهم اللهُ ذلك وحَقَّه حقًّا. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا**﴾ ١٢٢: قولًا؟

١- ونزل، لمّا افتخر المسلمون وأهل الكتاب: ﴿**ليسَ**﴾ الأمر منوطًا ﴿**بأمانِيِّكم، ولا أمانيِّ أهلِ الكِتابِ**﴾، بل بالعمل الصالح. ﴿**مَن يَعمَلْ سُوءًا يُجزَ بِهِ**﴾ إمّا في الآخرة، أو في الدُّنيا بالبلاء والمِحن، كما ورد في الحديث، ﴿**ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ**﴾ اي: غيرِه ﴿**وَلِيًّا**﴾ يحفظُه، ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ ١٢٣ يمنعه منه، ﴿**ومَن يَعمَلْ**﴾ شيئًا ﴿**مِنَ الصّالِحاتِ مِن ذَكَرٍ أو أُنثى، وهوَ مُؤمِنٌ، فأُولئِكَ يُدخَلُونَ**﴾ - بالبناء للمفعول، والفاعلِ - ﴿**الجَنّةَ ولا يُظلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ ١٢٤: قدرَ نُقرةِ النواة.

٢- ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أحسَنُ دِينًا مِمَّن أسلَمَ وَجهَهُ**﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿**للهِ، وهوَ مُحسِنٌ**﴾: مُوحِّد، ﴿**واتّبَعَ مِلّةَ إبراهِيمَ**﴾ المُوافقة لمِلّة الإسلام ﴿**حَنِيفًا**﴾؟ حالٌ أي: مائلًا عن الأديان كلّها إلى الدِّين القيِّم - ﴿**واتّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلًا**﴾ ١٢٥: صفيًّا خالص المحبّة له - ﴿**وللهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾، مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطًا**﴾ ١٢٦ عِلمًا وقُدرة، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

٣- ﴿**ويَستَفتُونَكَ**﴾: يطلبون منك الفتوى، ﴿**في**﴾ شأنِ ﴿**النِّساءِ**﴾ وميراثهن. ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**اللهُ يُفتِيكُم فِيهِنَّ، وما يُتلَى علَيكُم في الكِتابِ**﴾: القرآن، من آية المِيراث، يُفتيكم أيضًا ﴿**في يَتامَى النِّساءِ اللّاتِي لا تُؤتُونَهُنَّ ما كُتِبَ**﴾: فُرِض ﴿**لَهُنَّ**﴾ من المِيراث، ﴿**وتَرغَبُونَ**﴾ - أيها الأولياء - عن ﴿**أنْ تَنكِحُوهُنَّ**﴾ لدمامتهنّ، وتَعضُلوهنّ أن يتزوّجن طمعًا في مِيراثهنّ، أي: يُفتيكم ألّا تفعلوا ذلك، ﴿**و**﴾ في ﴿**المُستَضعَفِينَ**﴾: الصِّغار ﴿**مِنَ الوِلدانِ**﴾ أن تُعطوهم حُقوقهم، ﴿**و**﴾ يأمركم ﴿**أنْ تَقُومُوا لِليَتامَى بِالقِسطِ**﴾: بالعدل في المِيراث والمَهر. ﴿**وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ كانَ بِهِ عَلِيمًا**﴾ ١٢٧ فيُجازيكم عليه.

---

(١) أهل الكتاب: أصحابه المكلفون باتباعه وملازمة أحكامه. وهم بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. فقد روي أن بعض هؤلاء فاخره الصحابة، فكان كل منهم يقول للآخر: نحن أفضل منكم. ويعدد المفاخر التي تميزه عليه، برسوله وكتابه والهداية. فنزلت الآيات ١٢٣-١٢٥. انظر «المفصل». والمنوط: المعلّق والمحكوم له. والأمانيّ: جمع أُمنيّة. وهي ما يتمناه الإنسان ويحب أن يكون عليه. ولما سمع أبو بكر هذه الآية قال: فلا أعلم إلّا أني وَجدت انقصامًا في ظهري، فتمطّأت لها. فقال الرسول ﷺ: «أمّا أنتَ - يا أبا بَكرٍ - والمُؤمِنُونَ فتُجزَونَ بذلِكَ في الدُّنيا، حَتَّى تَلقَوُا اللهَ، ولَيسَ لَكُم ذُنُوبٌ. وأمّا الآخَرُونَ فيَجتمِعُ ذلِكَ لَهُم، حَتَّى يُجزَوا بِهِ يَومَ القِيامةِ». الحديث ٣٠٤٢ في الترمذي، وفي إسناده ضعف ومجهول. وانظر الحديث ٢٥٧٤ في مسلم، وتفسير ابن كثير ١: ٥٢٨-٥٢٩. وتمطأت أي: تمدد جسمي واقشعر من الفزع. والسوء: ما حرّمه الشرع، ويكون فيه إساءة وضرر. ويجزى: يعاقب. وبه أي: بما يستحقه عليه من الجزاء. ولايجد: انظر الآية ١٢١. والولي: من يتولى أمر الإنسان ويرعاه. والنصير: من ينصره ويدافع عنه. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. وبالفاعل يريد القراءة «يَدخُلُونَ». ويُظلم: يحرم حقَّه. والنقير: الثقب الدقيق في نواة التمرة. يعني: لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم شيء، بقدر النقير.

(٢) الأحسن: الأفضل. والدين: العقيدة والشريعة والعبادة. والمحسن: من يعبد الله بإخلاص كأنه يرى الله. ولذلك فُسّر بالموحد. واتبعها: عمل بها. والملة: الديانة. والسماوات: ما يحيط بالأرض. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. ولا يذكر هنا المستحيل لأنه إذا كان مما يعلمه الله صار ممكنًا وجوده. والمحيط: النافذ العلم والاقتدار.

(٣) لما نزلت الآية ٣ وما بعدها من هذه السورة شق ذلك على بعض الصحابة، لِما فيه من فرض المهر والنصيب الموروث، إذ كانوا يتزوجون اليتيمات بلا مهر ولا يورّثون إلا الرجال، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية. انظر «المفصل». وروي أن عيينة بن حصن قال للنبي: أُخبِرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف. وإنما كنا نُوَرّث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة. فأجابه: «كَذلِكَ أُمِرتُ». والآية هنا تؤكد أحكام أول السورة. والفتوى: بيان الحكم المُشكِل على السائل. والنساء: واحدتها امرأة. وهي الأنثى. ويفتي: يبين الحكم الحق ويأمر به. وفيهن أي: فيما لهن من الميراث والمهر. ويتلى: يقرأ. واليتامى: جمع جمع يتيمة. واللاتي: اللواتي. وتؤتي: تعطي. وترغب: تُعرض وتمتنع. وتنكح: تتزوج. والدمامة: قبح المنظر. وذكرُ الدمامة أحد وجهَي التفسير. والوجه الثاني أن معنى ترغبون: تطمعون وتحرصون. ويقدر بعده «في» بدلًا من «عن». فالمراد أن وليّ اليتيمة يرغب في نكاحها لجمالها أو مالها، ولا يعطيها حقها من المهر. وتَعضل: تمنع. وذلك أي: ما ذكر من عدم المهر، والرغبة عن نكاح اليتيمات أو فيه، ومنعهن من الزواج. والمستضعف: الذي يُعَدّ ضعيفًا لقصوره. والولدان: جمع وليد. وهو الطفل أو الأمة والمملوك. وتقوموا بالقسط أي: تفعلوه. وتفعل: تكتسب من نية أو قول أو عمل. والخير: مافيه نفع في الدنيا والآخرة. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زماني. والعليم: المبالغ في الإحاطة.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

١- ﴿**وإنِ امرأةٌ**﴾: مرفوع بفعل يُفسِّره ﴿**خافَتْ**﴾: توقّعتْ، ﴿**مِن بَعلِها**﴾: زوجها، ﴿**نُشُوزًا**﴾ ترفّعًا عليها بترك مُضاجعتها والتقصير في نفقتها، لبُغضها وطُموح عينه إلى أجملَ منها، ﴿**أو إعراضًا**﴾ عنها بوجهه، ﴿**فلا جُناحَ عليهِما أن يَصّالَحا**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: «يُصْلِحا» من: أصلَحَ - ﴿**بينَهُما صُلحًا**﴾ في القَسْم والنفقة، بأن تترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصُّحبة. فإن رضيتْ بذلك، وإلّا فعلى الزوج أن يُوفّيَها حقّها أو يُفارقَها. ﴿**والصُّلحُ خَيرٌ**﴾ من الفُرقة والنُّشوز والإعراض. قال تعالى، في بيان ما جُبلَ عليه الإنسان: ﴿**وأُحضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ**﴾: شِدّةَ البُخل، أي: جُبِلتْ عليه، فكأنّها حاضِرتُه لا تَغيب عنه. المعنى: أنّ المرأةَ لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجلَ لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحبّ غيرها، ﴿**وإنْ تُحسِنُوا**﴾ عِشرة النِّساء، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ الجَور عليهنّ، ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ بِما تعمَلُونَ خَبيرًا**﴾ ١٢٨، فيُجازيكم به.

٢- ﴿**ولَن تَستَطِيعُوا أنْ تَعدِلُوا**﴾: تُسوُّوا ﴿**بَينَ النِّساءِ**﴾ في المحبّة، ﴿**ولَو حَرَصتُم**﴾ على ذلك - ﴿**فلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيلِ**﴾ إلى التي تُحبّونها في القَسْم والنفقة، ﴿**فتَذَرُوها**﴾ أي: تتركوا المُمالَ عنها ﴿**كالمُعَلَّقةِ**﴾ التي لا هي أيّم ولا هي ذات بعل - ﴿**وإنْ تُصلِحُوا**﴾ بالعدل في القَسْم، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ الجورَ، ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا**﴾ لما في قلوبكم من المَيل، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ١٢٩ بكم في ذلك. ﴿**وإنْ يَتفَرَّقا**﴾ أي: الزوجانِ بالطلاق ﴿**يُغْنِ اللهُ كُلًّا**﴾ عن صاحبه، ﴿**مِن سَعتِهِ**﴾ أي: فضله، بأن يرزقها زوجًا غيره ويرزقه غيرها. ﴿**وكانَ اللهُ واسِعًا**﴾ لخلقه في الفضل، ﴿**حَكِيمًا**﴾ ١٣٠ فيما دبّره لهم.

٣- ﴿**ولِلهِ ما في السَّماواتِ، وما في الأرضِ. ولَقَد وَصَّينا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتُب، ﴿**مِن قَبلِكُم**﴾ أي: اليهودَ والنصارى، ﴿**وإيّاكُم**﴾ - يا أهل القُرآن - ﴿**أنِ**﴾ أي: بأنِ ﴿**اتَّقُوا اللهَ**﴾: خافوا عقابه بأن تُطيعوه، ﴿**و**﴾ قلنا لهم ولكم: ﴿**إنْ تكفُرُوا**﴾ بما وُصّيتم به ﴿**فإنَّ لِلهِ ما في السّماواتِ، وما في الأرضِ**﴾ خلقًا ومُلكًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، ﴿**وكانَ اللهُ غَنيًّا**﴾ عن خلقه وعِبادتِهم، ﴿**حَمِيدًا**﴾ ١٣١: محمودًا في صُنعه بهم، ﴿**ولِلهِ ما في السَّماواتِ، وما في الأرضِ**﴾، كرّره تأكيدًا لتقرير مُوجِب التقوى، ﴿**وكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا**﴾ ١٣٢: شهيدًا بأنّ ما فيهما له!

٤- ﴿**إنْ يَشأْ يُذهِبْكُم -**﴾ يا ﴿**أيُّها النّاسُ - ويأتِ بِآخَرِينَ**﴾ بدَلَكم، ﴿**وكانَ اللهُ على ذٰلِكَ قَدِيرًا**﴾ ١٣٣. **مَن كانَ يُرِيدُ**﴾ بعمله ﴿**ثَوابَ الدُّنيا فعِندَ**

---

(١) مرفوع: يعني أن التقدير: إن خافتِ امرأة. والترفع: التعالي. والمضاجعة: المجامعة. والطموح: التلفت والنظر. والإعراض: الصدود. والجناح: الإثم. والإدغام يعني أن الأصل: «يَتَصالَحا». ويُصلحا أي: يزيلا ما بينهما من الخلاف. والقسم: إفراز النصيب بين الزوجات بالعدل عدا المحبة والجماع. وتتركه: تتنازل عنه. وخير أي: أكثر نفعًا للزوجين. وأحضرت أي: خلق الله فيها. وتُحسن: تجعل الفعل حسنًا. وتتقوا: تتجنبوا. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها.

(٢) تستطيعه أي: تقدر عليه. والنساء: الزوجات. والمحبة أي: ومثل ذلك المحادثة والمجالسة والجماع والنظر. وحرص: تحرى وبالغ في الإرادة. وذلك أي: العدل. وقد نفى استطاعة العدل مع وجود حرص الرجال عليه، إشارة إلى عذرهم في ذلك. وتميل: تتحيز. و«الممال» خطأ صوابه: المَمِيل. انظر «المفصل». وفي الأصل والنسختين والصاوي: «الممال عليها». والأيم: من هي مطلقة أو مات عنها زوجها. وكان: انظر الآية ١١. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثيرالعطف بالإحسان. ويتفرقا أي: ينفصلا. ويغنيه: يجعله مستغنيًا. والسعة: اتساع الملك والتصرف. والواسع أي: الذي لا حد لقدرته وأفضاله. والحكيم: ذو الحكمة البالغة.

(٣) السماوات والأرض: انظر الآية ١٢٦. ووصى: أمر. وأوتوا: أُنزل إليهم وكلفوا به. وتكفروا أي: تنكروا. وكان: انظر الآية ١١. والغني: المستغني بذاته وصفاته وأفعاله. وموجب التقوى: سببها ومحققها. وهي المذكورة في الآية ١٣١. وكفى: بلغ الغاية في الاستغناء والكفاية عن جميع الخلق. والوكيل: الذي تُوكل إليه الأمور ويشهد بالحق.

(٤) يشاء أي: يريد إفناءكم وإيجادَ غيركم. ويذهبْكم: يفنِكم جميعًا. ويأتي به: يوجده ويخلقه. وآخرين أي: مخلوقين غيركم دفعة واحدة، يكونون أطوع منكم له. والخطاب للمشركين والمنافقين وأهل الكتاب. وكان: انظر الآية ١١. وذلك أي: ما ذُكر من الإفناء والخلق. والقدير: البليغ القدرة لايعجزه شيء. ويريد: يطلب. وثواب الدنيا: متاعها ولذاتها. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وعنده أي: بملكه وقدرته وتصرفه. وثواب الآخرة: الأجر فيها. وهو الجنة والرضا. وأحدهما أي: أحد الأجرين. والأخس: الخسيس الحقير. وبإخلاصه له أي: بجعله خالصًا للمولى، تعالى. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث.

الجزء الخامس — سورة النساء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن
تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

﴿اللهِ ثَوابُ الدُّنيا والآخِرةِ﴾ لمن أراده، لا عند غيره. فلِمَ يَطلُبُ أحدَهما الأخسَّ؟ وهلّا طَلَب الأعلى بإخلاصه له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلّا عنده. **﴿وكانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** ١٣٤.

١- **﴿يا أيُها الَّذينَ آمَنوا، كُونوا قوّامِينَ﴾**: قائمين **﴿بالقِسطِ﴾**: بالعدل، **﴿شُهَداءَ﴾** بالحقّ **﴿للهِ، ولو﴾** كانت الشهادة **﴿على أنفُسِكُم﴾** فاشهدوا عليها بأن تُقرّوا بالحقّ ولا تكتموه، **﴿أوِ﴾** على **﴿الوالِدَينِ والأقرَبينَ - إنْ يَكُنْ﴾** المشهود عليه **﴿غَنيًّا أو فَقيرًا فاللهُ أولَى بِهما﴾** منكم، وأعلَمُ بمصالحهما - **﴿فلا تَتَّبِعُوا الهَوَى﴾** في شهادتكم، بأن تحابوا الغنيَّ لرضاه أو الفقيرَ رحمة له، لـ**﴿أنْ﴾** لا **﴿تَعدِلُوا﴾**: تميلوا عن الحقّ، **﴿وإنْ تَلْوُوا﴾**: تُحرّفوا الشهادة - وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفًا - **﴿أو تُعرِضُوا﴾** عن أدائها **﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبيرًا﴾** ١٣٥، فيُجازيكم به.

٢- **﴿يا أيُها الَّذينَ آمَنُوا، آمِنُوا﴾**: داوموا على الإيمان **﴿باللهِ ورَسُولِهِ، والكِتابِ الَّذي نُزِّلَ على رَسُولِهِ﴾** مُحمّد - وهو القرآن - **﴿والكِتابِ الَّذي أُنزِلَ مِن قَبلُ﴾** على الرُّسل، بمعنى: الكُتُب. وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلَين. **﴿ومَن يَكفُرْ باللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ فقد ضَلَّ ضَلالًا بَعيدًا﴾** ١٣٦ عن الحقّ. **﴿إنَّ الَّذينَ آمَنُوا﴾** بمُوسى - وهم اليهود - **﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾** بعبادة العِجل، **﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾** بعده، **﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾** بِعيسى، **﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾** بمُحمّد، **﴿لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم﴾** ما أقاموا عليه، **﴿ولا لِيَهدِيَهُم سَبِيلًا﴾** ١٣٧: طريقًا إلى الحقّ.

٣- **﴿بَشِّرِ﴾**: أخبِرْ - يا مُحمّد - **﴿المُنافِقينَ بأنَّ لَهُم عَذابًا أليمًا﴾** ١٣٨: مؤلمًا - هو عذاب النار - **﴿الَّذينَ﴾**: بدلٌ أو نعت للمنافقين **﴿يَتَّخِذُونَ الكافِرينَ أولياءَ مِن دُونِ المُؤمِنينَ﴾**، لما يتوهّمون فيهم من القُوّة - **﴿أيَبتَغُونَ﴾**: يطلبون **﴿عِندَهُمُ العِزّةَ﴾**؟ استفهام إنكار، أي: لا يجدونها عندهم. **﴿فإنَّ العِزَّةَ للهِ جَميعًا﴾** ١٣٩ في الدُّنيا والآخرة، ولا ينالها إلّا أولياؤه - **﴿وقد نَزَّلَ﴾**، بالبناء للفاعل والمفعول، **﴿عَلَيكُم في الكِتابِ﴾**: القُرآنِ في سورة «الأنعام» **﴿أنْ﴾**: مُخفّفةٌ واسمها محذوف، أي: أنّه **﴿إذا سَمِعتُم آياتِ اللهِ﴾**: القُرآنَ، **﴿يُكفَرُ بِها ويُستَهزأُ بِها، فلا تَقعُدُوا مَعَهُم﴾** أي: الكافرين والمُستهزئين، **﴿حَتَّى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيرِهِ. إنَّكُم إذًا﴾**: إن قعدتم معهم **﴿مِثلُهُم﴾** في الإثم. **﴿إنَّ اللهَ جامِعُ المُنافِقِينَ والكافِرِينَ في جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** ١٤٠، كما اجتمعوا في الدُّنيا على الكُفر والاستهزاء.

---

(١) كونوا أي: صيروا. وقوامين أي: مداومين على العمل. والقوام: مبالغة في القيام بالعدل. والشهداء: جمع شهيد. ولله أي: لوجه الله، لا يراعَى في الشهادة إلّا طاعته. والوالدان: الأب والأم. والأقربون: جمع أقرب. وهو الداني النسب. والغني: من يملك ما يكفيه. والفقير: المحتاج إلى مساعدة الناس له. وأولى بهما أي: أحق بجنسَيِ الفقير والغني. وتتبعوه أي: تنقادوا له. والهوى: ميل النفس إلى الشهوة. وهو هنا ما لم يبحه الله. وتحابوه: تفضلوه. وتعدلوا أي: في الحكم أو الشهادة. والقراءة المذكورة: «تَلُوْا» أي: تتولّوا إقامة الشهادة وتقوموا بها. وكان: انظر آخر الآية ١١. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أوفعل. وخبير أي: عليم ببواطن الأمور وظواهرها.

(٢) داوموا أي: اثبتوا. والإيمان هو التصديق اليقيني القاطع. ونُزّل: أوحي على لسان جبريل. ومن قبل أي: من قبلِ القرآن. وبمعنى الكتب أي: أن «الكتاب الذي أنزل» يراد به الكثرة لا كتاب واحد. وفي الفعلين يريد القراءة «والكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، والكِتابِ الَّذِي أَنزَلَ». ويكفر به: ينكر أنه حق. والكتب: جمع كتاب. والرسل: جمع رسول. والآخر: المتأخر يكون بالبعث. والمراد: من يكفر بشيء مما ذُكر. وضل: انصرف. وآمنوا به أي: صدّقوه باليقين واتبعوه. وكفروا: جحدوا الإيمان وارتدوا. وبعبادة العجل أي: لأنهم عبدوا العجل. وبعده أي: بعد رجوع موسى إليهم من تكليم ربه. وازداد: تضاعف. وبمحمد أي: بسبب كفرهم به. ويغفر: يستر الذنب ويصفح عنه. وعليه أي: على الكفر.

(٣) في جعل التبشير للإخبار بالعذاب معنى التهكم. والمنافق: من يُظهر بلسانه الإيمان وفي قلبه الكفر. ويتخذ: يجعل. وأولياء: جمع وليّ. وهم المعينون يوالونهم على المسلمين. والكافرون: غير المسلمين. ودون أي: غير. والعزة: الغلبة والشِّدّة. والإنكار: التوبيخ ليتركوا ما هم عليه من الباطل. انظر فتح القدير ١ :٧٨٦. والجميع: المجموع بكل أجزائه وأنواعه. ونزل: أوحى على لسان جبريل. وبالمفعول يريد القراءة «نُزِّلَ». والأنعام: يعني الآية ٦٨ من تلك السورة. ومخففة أي: من «أنّ». وسمع: أدرك ما يقال. وتقعد معه: تجالسه. ويخوض: يشرع ويتناول. والحديث: ما يكون من الكلام. وغيره أي: حديث مغاير للكفر والاستهزاء. والمِثل: المماثل والمساوي. وجامع أي: حاشر بالقوة والقهر للحساب والعقاب. وجهنم: اسم علم للنار الموقدة أعدت للكافرين والمنافقين. وجميعًا أي: مجتمعين بكامل أفرادهم.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١- **﴿الَّذِينَ﴾**: بدل من «الّذين» قبله **﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾**: ينتظرون **﴿بِكُمْ﴾** الدوائرَ، **﴿فإنْ كانَ لَكُم فَتحٌ﴾**: ظفرٌ وغنيمة **﴿مِنَ اللهِ قالُوا﴾** لكم: **﴿ألَم نكُنْ مَعَكُم﴾** في الدِّين والجِهاد؟ فأعطُونا من الغنيمة. **﴿وإنْ كانَ لِلكافِرينَ نَصِيبٌ﴾** من الظفر عليكم **﴿قالُوا﴾** لهم: **﴿ألَم نَستَحْوِذْ﴾**: نستَولِ **﴿عليكُم﴾**، ونَقدِرْ على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم، **﴿و﴾** ألَم **﴿نَمنَعْكُم مِنَ المُؤمِنِينَ﴾** أن يظفروا بكم، بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المِنّة. قال الله تعالى: **﴿فاللهُ يَحكُمُ بَينَكُم﴾** وبينهم **﴿يَومَ القِيامةِ﴾**، بأن يُدخلَكم الجنّة ويُدخلَهم النار، **﴿ولَن يَجعَلَ اللهُ لِلكافِرينَ علَى المُؤمِنِينَ سَبِيلًا﴾** ١٤١: طريقًا بالاستئصال.

٢- **﴿إنَّ المُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ﴾**، بإظهار خِلاف ما أبطنوه من الكُفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدُّنيويّة، **﴿وهْوَ خادِعُهُم﴾** فيُجازيهم على خِداعهم، فيُفضَحون في الدُّنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقبون في الآخرة، **﴿وإذا قامُوا إلَى الصَّلاةِ﴾** مع المُؤمنين **﴿قامُوا كُسالَى﴾**: مُتثاقِلينَ، **﴿يُراؤُونَ النّاسَ﴾** بصلاتهم، **﴿ولا يَذكُرُونَ اللهَ﴾**: يُصلّون **﴿إلّا قَلِيلًا﴾** ١٤٢ رياء، **﴿مُذَبذَبِينَ﴾**: مُتردِّدين **﴿بَينَ ذٰلِكَ﴾**: الكفرِ والإيمان، **﴿لا﴾** منسوبين **﴿إلَى هٰؤُلاءِ﴾** أي. الكُفّارِ، **﴿ولا إلَى هٰؤُلاءِ﴾** أي: المؤمنين. **﴿ومَن يُضْلِلِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾** ١٤٣: طريقًا إلى الهُدى.

٣- **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الكافِرِينَ أولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ. أتُرِيدُونَ أنْ تَجعَلُوا لِلهِ علَيكُم﴾** بمُوالاتهم **﴿سُلطانًا مُبِينًا﴾** ١٤٤: بُرهانًا بيّنًا على نِفاقكم؟ **﴿إنَّ المُنافِقِينَ في الدَّرْكِ﴾**: المكان **﴿الأسفَلِ مِنَ النّارِ﴾** - وهو قعرها - **﴿ولَن تَجِدَ لَهُم نَصِيرًا﴾** ١٤٥: مانعًا من العذاب. **﴿إلّا الَّذِينَ تابُوا﴾** من النِّفاق، **﴿وأصلَحُوا﴾** عملهم، **﴿واعتَصَمُوا﴾**: وثِقُوا **﴿باللهِ، وأخلَصُوا دِينَهُم لِلهِ﴾** من الرِّياء، **﴿فأُولٰئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾** فيما يُؤتَونه. **﴿وسَوفَ يُؤتِي اللهُ المُؤمِنِينَ أجرًا عَظِيمًا﴾** ١٤٦ في الآخرة، هو الجنّة. **﴿ما يَفعَلُ اللهُ بِعَذابِكُم، إنْ شَكَرتُم﴾** نِعَمه **﴿وآمَنتُم﴾** به؟ والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يُعذّبكم. **﴿وكانَ اللهُ شاكِرًا﴾** لأعمال المُؤمنين بالإثابة، **﴿عَلِيمًا﴾** ١٤٧ بخلقه.

---

(١) قبله أي: ما في الآية ١٣٩. والدوائر: جمع دائرة. وهي ما يقع في الزمان من المصائب. أي: ينتظرون وقوعها بكم. وكان: حصل. والفتح: الغلبة على الكافرين. ومن الله أي: من عنده تفضلًا. والنصيب: الحظ المحدود. ولهم أي: للكافرين. وقوله «ألم» بعد الواو هو خلاف للفصيح من الكلام. وكان عليه أن يقدم الهمزة على الواو: أوَلم. وإنما جاز له التأخير لأنه يفسر كلامًا ولا يصوغ عبارة. والمنة أي: الإحسان والإنعام، فأبقوا علينا وأشركونا في الغنائم. ويحكم: يقضي بالثواب والعقاب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث من القبور. ويجعل: يُوجِد. والاستئصال: إبادة المؤمنين ونزع دينهم وشرعهم من الجذور.

(٢) يخادعون: يحاولون الكيد وهم واهمون. وخادعُهم أي: غالبهم في الخدع. وهو إظهار غير ما يَخفى على الآخرين كما يليق بجلاله وعظمته، وإرادة المكروه بهم من حيث لايعلمون. وتفسير «خادع» بـ «يجازي» يعني أن الجزاء سمي خدعًا من باب المشاكلة. وهو تأويل بلازم المعنى، يحسن هنا تجنبه بذكر المراد كما فسرنا. وقاموا: نهضوا وتوجهوا. والكسالى: جمع كسلان. ويراؤون أي: يُرُون المسلمين تجمُّلهم بالطاعات، والمسلمون يُرُونهم استحسان ذلك. والناس: البشر من المسلمين. ويذكره: يستحضر عظمته وجلاله. ورياء أي: بحضور المسلمين تظاهرًا بالطاعة والصلاح. والمذبذب: من قلقله الشيطان وحيّره، فهو يضطرب ولايعرف الاستقرار ولا الطمأنينة. ويضله: يصرفه عن الهداية ويوجه قدراته بحسب استعداده السيئ واختياره الخبيث. وفيما عدا خ والفتوحات: «يضلله». وهو مخلّ باللفظ القرآني، من كسر اللام الثانية لالتقاء الساكنين، وترقيق اللام من لفظ الجلالة. انظر آخر الآية ٨٨.

(٣) روي أنه كان للأنصار في بني قُريظة رضاع وحلف ومودة، فقالوا: يا رسول الله، من نتولّى؟ فقال: «المُهاجِرِينَ». ونزلت الآيات تؤكد ذلك وتحذر من خلافه. تفسير الخازن ١:٦١٣-٦١٤ والبحر ٣:٣٧٩. وحكمها عامّ أيضًا يشمل كل مكلف، حيثما كان. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ويتخذ: يصيّر. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق والنصير والمحب. ودون أي: غير. وتريد: تطلب. وتجعل: تصيّر. و«نفاقكم» في هذا ما يعني أن موالاة الكافرين والانقياد إليهم نفاق عملي، يجعل الإنسان قريبًا من نفاق الاعتقاد، ويعرضه للوعيد والهلاك. وتجد: ترى. وتاب: اعترف بذنبه وطلب العفو وتعهد بعدم العصيان، أي: بعد أن صحح إيمانه. وأصلح العمل: جعله صالحًا كما أمر به الله. وأخلصه: جعله خالصًا صافيًا مما كان يخالطه. والدين: الطاعة والعبادة. ومع المؤمنين أي: يرافقونهم ويصاحبونهم. ويؤتي: يعطي. وفيما عدا الأصل والنسختين والوجيز: «يُؤتِ» بحذف الياء لالتقاء الساكنين، وهو حذف واجب في رسم المصاحف. وإنما أُثبتتِ الياء هنا لأن النص في تفسير لا في مصحف، ولبيان القراءة التي اختارها السيوطي. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم جدًا لايقدر قدره. ويفعل: يصنع ويخلق لنفسه. وشكر: اعترف بالنعمة وذكرها وأثنى على المنعم بالقلب واللسان والعمل. ولايعذبكم أي: لأنكم أحسنتم الشكر والإيمان والإخلاص. وكان: انظر الآية ١١. والشاكر: من يكافئ المحسن بأفضلَ مما فعل. والعليم: المحيط الإحاطة الكاملة بما يكون، لئلا يقع غلط البتة في جزاء المحسن وعقاب المسيء.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

١- ﴿**لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ**﴾ من أحد، أي: يُعاقِبُ عليه، ﴿**إلّا مَن ظُلِمَ**﴾. فلا يُؤاخذه بالجهر به، بأن يُخبِرَ عن ظُلم ظالمه ويدعوَ عليه. ﴿**وكانَ اللهُ سَمِيعًا**﴾ لما يُقال، ﴿**عَلِيمًا**﴾ ١٤٨ بما يُفعل. ﴿**إنْ تُبدُوا**﴾: تُظهروا ﴿**خيرًا**﴾ من أعمال البِرّ، ﴿**أو تُخفُوهُ**﴾: تَعملوه سِرًّا، ﴿**أو تَعفُوا عَن سُوءٍ**﴾: ظُلمٍ، ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾ ١٤٩.

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ بِاللهِ ورُسُلِهِ، ويُرِيدُونَ أنْ يُفَرِّقُوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ**﴾، بأن يُؤمنوا به دونهم، ﴿**ويَقُولُونَ: نُؤمِنُ بِبَعضٍ**﴾ من الرُّسلِ، ﴿**ونكفُرُ بِبَعضٍ**﴾ منهم، ﴿**ويُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بينَ ذٰلِكَ**﴾: الكفرِ والإيمانِ ﴿**سَبِيلًا**﴾ ١٥٠: طريقًا يذهبون إليه، ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقًّا**﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجُملة قبله، ﴿**وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا**﴾ ١٥١: ذا إهانة، هو عذاب النار، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ**﴾ كلِّهم، ﴿**ولَم يُفَرِّقُوا بَينَ أحَدٍ مِنهُم، أُولٰئِكَ سَوفَ نُؤتِيهِم**﴾ - بالنون والياء - ﴿**أُجُورَهُم**﴾: ثواب أعمالهم. ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا**﴾ لأوليائه، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ١٥٢ بأهل طاعته.

٣- ﴿**يَسألُكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**أهلُ الكِتابِ**﴾: اليهودُ ﴿**أنْ تُنْزِلَ عليهِم كِتابًا مِنَ السَّماءِ**﴾ جُملةً، كما أُنزل على مُوسى، تعنّتًا. فإن استكبرتَ ذلك ﴿**فقَد سألُوا**﴾ أي: آباؤهم ﴿**مُوسَى أكبَرَ**﴾: أعظمَ ﴿**مِن ذٰلِكَ، فقالُوا: أرِنا اللهَ جَهْرةً**﴾: عِيانًا. ﴿**فأخَذَتْهُمُ الصّاعِقةُ**﴾: الموت عِقابًا لهم ﴿**بِظُلمِهِم**﴾، حيث تعنّتوا في السُّؤال، ﴿**ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجلَ**﴾ إلَهًا، ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ**﴾: المُعجزات على وحدانيّة الله، ﴿**فعَفَونا عَن ذٰلِكَ**﴾ ولم نستأصلهم، ﴿**وآتَينا مُوسَى سُلطانًا مُبِينًا**﴾ ١٥٣: تسلُّطًا بيّنًا ظاهرًا عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفُسهم توبة فأطاعوه، ﴿**ورَفَعْنا فَوقَهُمُ الطُّورَ**﴾: الجبل، ﴿**بِمِيثاقِهِم**﴾: بسبب أخذ المِيثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه، ﴿**وقُلْنا لَهُم**﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم: ﴿**ادخُلُوا البابَ**﴾ أي: باب القرية ﴿**سُجَّدًا**﴾ سُجودَ انحناءٍ. ﴿**وقُلْنا لَهُم: لا تَعدُوا**﴾ - وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال - أي: لا تعتدوا ﴿**في السَّبتِ**﴾ باصطياد الحِيتان فيه. ﴿**وأخَذْنا مِنهُم مِيثاقًا غَلِيظًا**﴾ ١٥٤ على ذلك فنقضوه.

---

(١) لايحب أي: يكره ويبغض، كما يليق به من صفات الألوهية. والجهر: رفع الصوت ليسمع الآخرون. والسوء: الإيذاء بذكر أحوال الناس غِيبة أو نميمة أو مذمة. وليس الجهر هو المقصود بالكراهة، لأن المراد هو السوء سرًا كان أو علانية. وإنما ذكر الجهر لأنه أشنع، وهو سبب نزول الآية. انظر «المفصل». وظُلِم: أصابه عدوان. وكان: انظر آخر الآية ١١. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: البالغ الإحاطة لايغيب عنه شيء. والخير: ما فيه نفع. وتعفوا عنه أي: تصفحوا عنه وتستروه. والعفوّ: الكثير الصفح عن الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والقدير: البالغ القدرة لايعجزه شيء.

(٢) يكفرون به: يكذّبونه ويعصون أمره. وهم بنو إسرائيل من أهل الكتاب: فاليهود آمنوا بموسى والتوراة، وكفروا بعيسى ومحمد وما أنزل الله إليهما. والنصارى آمنوا بعيسى والإنجيل، وكفروا بمحمد والقرآن. والرسل: جمع رسول. والتعبير بإرادة الفعل، في الموضعين، مقصود به إيجاد الفعل نفسه. والمعنى: «ويفرّقون بين الله ورسله، ويقولون... ويتخذون بين ذلك سبيلًا». والدليل في الآية ١٥٢: «ولم يفرقوا». وانظر المغني ص ٧٦٨. ويفرق: يَفصل في وجوب الإيمان. والبعض: القسم من الشيء. ويتخذ: يجعل لنفسه. ويذهبون إليه أي: في التفريق بين عناصر الإيمان الكامل، يعني: بالرسل كلهم ومن أرسلهم. وأولئك: إشارة إلى الموصوفين بالأوصاف المتقدمة في الآية ١٥٠. وحقًّا أي: يقينًا من دون شك. وأعتدنا: هيأنا. ولم يفرقوا أي: في الإيمان والتصديق يقينًا. وانظر الآية ١٣٦ من سورة البقرة. ويؤتي: يعطي. وأجور: جمع أجر. وبالياء يريد القراءة «يُؤتِيهِم». وكان: انظر الآية ١١. والغفور: الكثير العفو والصفح. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

(٣) يسألك: يطالبك للتعجيز. وتنزل: تسقط بطلب من الله. وجملة: دُفعة واحدة. والتعنت: طلب الوقوع في الزلل. وذلك أي: تنزيل الكتاب جملة. وأرنا إياه أي: أحضره لنراه. وأخذتهم: أهلكتهم. والموت أي: الجماعي السريع. والصاعقة صوت شديد من الجو، يكون بعده نار عظيمة تمحق ما تصادفه. والظلم: مجاوزة الحق. واتخذوه: جعلوه. والعجل: ولد البقرة. وعلى وحدانية الله أي: وعلى صدق موسى في رسالته. وعفونا: لم نؤاخذ تمام المؤاخذة بما كان. وآتينا: أعطينا. ورفعناه: جعلناه مستعليًا. وفوقهم أي: يكاد يسقط عليهم. والطور: جبل في فلسطين. والميثاق: العهد المؤكد باليمين. و«يقبلوه» المراد قبول ما في التوراة، بعد أن امتنعوا. ومظل عليهم أي: مرفوع ومحاذيهم كالمِظلة. وتعيين زمن القول غير صحيح، إذ الأمرُ بدخول القرية كان بعد خروجهم من التيه، ورفعُ الطور قبل دخولهم التيه، وبينهما عشرات السنوات. ثم بين الطور والقرية - وهي القدس أو أريحا - مسافات مديدة. وادخلوه: اعبروه لتصيروا داخل ما بعده. والقرية: البلدة. وسجود انحناء أي: مطأطئين رؤوسكم خضوعًا لله. ولكنهم خالفوا ودخلوا زحفًا على أستاههم. ولاتعدوا: لاتتجاوزوا ما شرع لكم. والقراءة المذكورة هي «لا تَعَدُّوا». والسبت: اليوم الأول من الأسبوع. وأخذنا: تلقينا بالقسر. والغليظ: المبرم المؤكد.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١- ﴿**فبما نقضِهم**﴾ ما: زائدة، والباء: للسببيّة متعلّقة بمحذوف، أي: لعنّاهم بسبب نقضهم ﴿**ميثاقَهم، وكُفرهم بآياتِ الله، وقتلِهم الأنبياء بغَيرِ حَقٍّ، وقولِهم**﴾ للنبيّ: ﴿**قُلوبُنا غُلفٌ**﴾: لا تعي كلامَك - ﴿**بَل طَبَعَ**﴾: ختم ﴿**اللهُ عليها بكُفرهِم**﴾ فلا تعي وعظًا، ﴿**فلا يؤمِنونَ إلّا قَليلًا**﴾ ١٥٥ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه - ﴿**وبِكُفرِهم**﴾ ثانيًا بعيسى، وكرّر الباء للفصل بينه وبين ما عُطف عليه، ﴿**وقولِهم على مَريَمَ بُهتانًا عَظيمًا**﴾ ١٥٦ حيثُ رَموها بالزّنى، ﴿**وقولِهم**﴾ مفتخرين: ﴿**إنّا قَتَلنا المَسيحَ عِيسَى بنَ مَريمَ رَسُولَ اللهِ**﴾، في زعمهم. أي: بمجموع ذلك عذّبناهم. قال تعالى تكذيبًا لهم في قتله: ﴿**وما قَتَلوهُ وما صَلَبُوهُ، ولكِن شُبِّهَ لَهُم**﴾ المقتولُ والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى، أي: ألقى الله عليه شَبَهَه فظنّوه إيّاه. ﴿**وإنَّ الّذينَ اختَلَفوا فِيهِ**﴾ أي: في عيسى ﴿**لَفي شَكٍّ مِنهُ**﴾: من قتله - حيثُ قال بعضهم لمّا رأوُا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده، فليس به. وقال آخرون: بل هو هو - ﴿**ما لَهُم بِهِ**﴾: بقتله ﴿**مِن عِلمٍ، إلّا اتّباعَ الظَّنِّ**﴾: استثناءٌ مُنقطع، أي: لكن يتّبعون فيه الظنّ الذي تخيّلوه، ﴿**وما قَتَلُوهُ يَقينًا**﴾ ١٥٧: حالٌ مؤكِّدة لنفي القتل، ﴿**بَل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ. وكانَ اللهُ عَزيزًا**﴾ في مُلكه، ﴿**حَكيمًا**﴾ ١٥٨ في صُنعه.

٢- ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ أحدٌ ﴿**إلّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ**﴾: بعيسى، ﴿**قَبلَ مَوتِهِ**﴾ أي: الكتابيّ، حين يُعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبلَ موت عيسى لمّا ينزلُ قُربَ الساعة كما ورد في حديث، ﴿**ويَومَ القِيامةِ يَكُونُ**﴾ عيسى ﴿**عليهِم شَهيدًا**﴾ ١٥٩، بما فعلوه لمّا بُعث إليهم.

٣- ﴿**فبِظُلمٍ**﴾ أي: بسبب ظُلم ﴿**مِنَ الّذينَ هادُوا**﴾ هم اليهود، ﴿**حَرَّمنا عليهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم**﴾ - هي التي في قوله: «حَرَّمْنا كُلَّ ذي ظُفُرٍ» الآيَةَ - ﴿**وبِصَدِّهِمْ**﴾ الناسَ ﴿**عَن سَبيلِ اللهِ**﴾: دينِه صدًّا ﴿**كَثيرًا**﴾ ١٦٠، ﴿**وأخذِهِم الرِّبا وقَد نُهُوا عَنهُ**﴾ في التوراة، ﴿**وأكلِهِم أموالَ النّاسِ بِالباطِلِ**﴾: بالرُّشا في الحُكم، ﴿**وأعتَدْنا لِلكافِرينَ مِنهُم عَذابًا أليمًا**﴾ ١٦١: مؤلمًا.

٤- ﴿**لٰكِنِ الرّاسِخُونَ**﴾: الثابتون ﴿**في العِلمِ مِنهُم**﴾، كعبد الله بن سلام، ﴿**والمُؤمِنُونَ**﴾: المهاجرون والأنصار، ﴿**يُؤمِنُونَ بما أُنزِلَ إلَيكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ**﴾ من الكُتب - ﴿**والمُقِيمينَ الصَّلاةَ**﴾ نُصبَ على المدح، وقُرئ بالرفع - ﴿**والمُؤتُونَ الزَّكاةَ والمُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، أُولئِكَ سَنُؤتِيهِم**﴾، بالنون والياء، ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ ١٦٢ هو الجنّة.

---

(١) نقض العهد: مخالفته. وزائدة أي: للمبالغة في توكيد السببية. والكفر: التكذيب. والحق: العدل. والقلوب: جمع قلب. وغلف: جمع أغلف، أي: مغطًّى بغلاف. وطبع عليها أي: أقفلها بعد المكابرة. وعبدالله بن سلام: أحد الأحبار أسلم وحسن إسلامه. وبهتانًا أي: اتهامًا باطلًا. ورموها: اتهموها. وفي زعمهم: يعني أن ما ادعوه من القتل زعم باطل. فالذين صلبوا لعلهم كانوا على علم أنهم قتلوا غير عيسى، ولكنهم أشاعوا الأكاذيب للتضليل. والراجح أن المصلوب أحد حواريِّي عيسى. وشُبِّهَ لهم أي: زُيِّفَ لليهود. والشك: التردد. وليس به أي: ليس المقتول هو عيسى. وهو هو أي: المقتول هو عيسى. و«مؤكدة لنفي القتل»: انظر «المفصل» لتعرف اضطراب المراد. والعلم: المعرفة اليقينية. والاتباع: الموافقة. والظن: التوهم. ورفَعَه: أصعده من الأرض. وإليه أي: إلى سمائه موضع رضاه. والعزيز: الغالب على أمره. والحكيم: الذي يضع الأمور في مواضعها الحقيقية.

(٢) أهل الكتاب: اليهود والنصارى. والكتابي: يعني أن كل يهودي أو نصراني قبل موته يقول: آمنت به عبدَ الله ورسولَه. وقبل موت عيسى: يعني أن الضمير في «موته» يكون لعيسى، وهو احتمال بعيد. و«لما ينزلُ» لحن في التعبير. انظر «المفصل» أيضًا. والحديث: الأحاديث ٢١٠٩ و٢٣٤٤ و٣٢٦٤ في البخاري و٥٧ و١٥٥ في مسلم. ويكون: يصير. وشهيدًا: يقر بما يعلم حقيقة.

(٣) هادوا: تابوا عن عبادة العجل. وفي قوله يعني: الآية ١٤٦ من سورة الأنعام. وانظر الآية ٩٣ من سورة آل عمران. والصد: الدفع. والسبيل: الطريق الواضح. والأخذ: التناول بالقوة. والربا: زيادة تؤخذ من المدين. وعنه أي: عن أخذه. والأكل: السلب والاغتصاب. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من المتاع والزينة. والباطل: ما لا يجوز. وبالرشا أي: وسائر الوجوه المحرمة من الكسب. والرشا: جمع رشوة. وهي ما يعطاه الحاكم وغيره ليُحمل على إجراء الباطل. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة. وأعتدنا: هيأنا. والكافر: من جحد التوحيد ومات على ذلك.

(٤) العلم: الإدراك اليقيني. وأنزل: أوحي على لسان جبريل. والصلاة: العبادة المكتوبة. والمقيم لها هو الذي يؤديها بأركانها وشروطها وآدابها. وبالرفع يريد «والمُقِيمُونَ». وهي قراءة غير شاذة عند السيوطي، خلافًا لما جاء في الصاوي ١:٢٥٨ ومن نقل عنه. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٨٣ من سورة البقرة. والمؤتون: المعطون من يستحق. والزكاة: ما فرض على المال لتطهيره وتزكية أصحابه. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. ونؤتي: نعطي. وبالياء يريد القراءة «سَيُؤتِيهِم». والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم جدًّا لايقدر قدره.

الجزء السادس سورة النساء

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾

ربع الحزب ١١

١- **﴿إِنّا أوحَينا إلَيكَ، كَما أوحَينا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِن بَعدِهِ، و﴾** كما **﴿أوحَينا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ﴾** ابنَيه، **﴿ويَعقُوبَ﴾** بن إسحاقَ **﴿والأسباطِ﴾** أولادِه، **﴿وعِيسَى وأيُّوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيمانَ، وآتَينا﴾** أباه **﴿داوُدَ زَبُورًا﴾ ١٦٣**، بالفتح: اسمٌ للكتاب المُؤتَى، والضمِّ: مصدرٌ بمعنى: مَزبورًا أي: مكتوبًا.

٢- **﴿و﴾** أرسلنا **﴿رُسُلًا قَد قَصَصْناهُم علَيكَ مِن قَبلُ، ورُسُلًا لَم نَقصُصْهُم علَيكَ﴾** - رُوِي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. قاله الشيخ في سورة «غافر» - **﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى﴾** بلا واسطة **﴿تكليمًا ١٦٤، رُسُلًا﴾**: بدلٌ من «رُسلًا» قبلُ، **﴿مُبَشِّرِينَ﴾** بالثواب مَن آمنَ، **﴿ومُنذِرِينَ﴾** بالعقاب من كفر، أرسلناهم **﴿لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ علَى اللهِ حُجَّةٌ﴾**، تُقال **﴿بَعدَ﴾** إرسال **﴿الرُّسُلِ﴾** إليهم، «فَيقُولُوا: رَبَّنا لَولا أرسَلتَ إلَينا رَسولًا، فنَتَّبِعَ آياتِكَ ونكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ». فبعثناهم لقطع عُذرهم. **﴿وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾** في مُلكه، **﴿حَكِيمًا﴾ ١٦٥ في** صُنعه.

٣- ونزل، لمّا سُئل اليهود عن نبوّته ﷺ فأنكروه: **﴿لٰكِنِ اللهُ يَشهَدُ﴾**: يُبيّن نبوّتَك، **﴿بِما أنزَلَ إلَيكَ﴾** من القُرآن المُعجز، **﴿أنزَلَهُ﴾** مُلتبسًا **﴿بِعِلمِهِ﴾** أي: عالمًا به، أو: وفيه علمه، **﴿والمَلائكةُ يَشهَدُونَ﴾** لك أيضًا، **﴿وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ ١٦٦**على ذلك! **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالله، **﴿وصَدُّوا﴾** الناس **﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾**: دِين الإسلام بكتمهم نعتَ مُحمّد - وهم اليهود - **﴿قَد ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيدًا﴾ ١٦٧** عن الحقّ. **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالله، **﴿وظَلَمُوا﴾** نبيّه بكِتمان نعته، **﴿لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم، ولا لِيَهدِيَهُم طَرِيقًا﴾ ١٦٨** من الطُّرق، **﴿إلّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾** أي: الطريقَ المؤدّيَ إليها، **﴿خالِدِينَ﴾**: مُقدِّرين الخلودَ **﴿فِيها﴾** إذا دخلوها **﴿أبَدًا، وكانَ ذٰلِكَ علَى اللهِ يَسِيرًا﴾ ١٦٩**: هيّنًا.

٤- **﴿يا أيُّها النّاسُ﴾** أي: أهلُ مكّة، **﴿قَد جاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾** مُحمّد **﴿بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم. فآمِنُوا﴾** به، واقصدوا **﴿خَيرًا لَكُم﴾** مِمّا أنتم فيه، **﴿وإن تَكفُرُوا﴾** به **﴿فإنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾** مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، **﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾** بخلقه، **﴿حَكِيمًا﴾ ١٧٠ في** صُنعه بهم.

---

(١) أوحينا أي: نزّلنا على لسان جبريل. والنبي: من بعث بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وابنيه يعني: ابني إبراهيم. وبالضم يريد القراءة «زُبُورًا». والأسباط: جمع سِبط. وكانوا اثني عشر، منهم يوسف نبي ورسول، وكان في أبناء بعضهم أنبياء أيضًا.

(٢) الرسل: جمع رسول. وغالبًا ما يكون معه كتاب من عند الله. وقصصناهم: سمَّيناهم لك في القرآن وعرّفناك أخبارهم. ومن قبل أي: من قبل نزول الآية. وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «من إسرائيل». وقوله «روي» هذا حديث ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك مرفوعًا. وقيل إن عدد الأنبياء ١٤٢٤٠٠٠، أو ٢٢٠٠٠٠٠. وهذا من علم الغيب، ولم يرد فيه نص يصح الاحتجاج به. انظر «المفصل». والشيخ: جلال الدين المحليّ. انظر الآية ٧٨ من سورة غافر. وكلمه أي: خاطبه بالكلام. والمبشر: من يبلّغ بالمحبوب الذي يُسعِد. والمنذر: من يهدّد. ويكون: يصير. والحجة: المعذرة من كفرهم. و«فيقولوا» في الآية ٤٧ من سورة القصص. وفي صنعه: انظر آخر الآية ١٥٨.

(٣) أنكروه أي: أنكروا ما ذكر من نبوته. انظر «المفصل». وأنزل: أوحى على لسان جبريل. وملتبسًا أي: مصاحبًا. والعلم: الإحاطة الكاملة بما ظهر وما خفي. وفيه علمه يعني: فيه بعض معلومه، مما يحتاج إليه الأمر. والملائكة: جمع ملَك، وهم مخلوقون نورانيون مكرمون معصومون مطهرون. ويشهدون أي: يقرّون بقول صادر عن علم يقيني. وكفى: انظر الآية ٧٩. وكفر به أي: أنكر وجوده أو توحيده وبعض صفاته. وصد: دفع بالباطل والأكاذيب. والسبيل: الطريق الواضح. والإسلام هو الطريق الوحيد الذي أوجبه الله على الناس جميعًا من عهد آدم. ونعته أي: صفاته الكريمة التي وردت في التوراة مبشرة بقدومه. وضل: ترك الطريق المستقيم وزاغ عنه. والبعيد: الذي لا نهاية لتطرفه. وظلموه أي: جاروا عليه بالعصيان. ويغفر: يعفو ويصفح عن الذنوب والسيئات. ولا يهديهم أي: لايوجه اختيارهم وقدراتهم ولايوفقهم، بسبب ما هم عليه من الخبث والمكابرة والظلم. والطريق: السبيل الذي يسلكه الإنسان في الدنيا، يوصله إلى الجزاء في الآخرة. وجهنم: اسم علم لمكان النار التي أعدت للكافرين. وطريقها هو الكفر والظلم، أي: اليهودية التي يعتنقونها. والخالد: المقيم أمدًا طويلًا. والأبد: مدة الزمن. وكان أي: ولايزال. وذلك: إشارة إلى إضلالهم وخلودهم في جهنم.

(٤) الناس: البشر. والتعميم للبشر جميعًا أولى. البحر ٣: ٤٠٠. وجاءكم: أتى إليكم وحضر مجالسكم عِيانًا أو وصل إليكم خبره. والحق: الصدق لاشك فيه. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وآمنوا به أي: صدّقوه واستجيبوا لأمره ونهيه. وخير: أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. وتكفروا أي: تصرّوا على التكذيب. والسماوات: ما يحيط بالأرض. والمراد ما فيهما وهما أيضًا وغير ذلك مما في الكون كله من الخلق. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وكان أي: ولايزال بدون قيد زماني.

الجزء السادس سورة النساء

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥

١- ﴿**يا أهلَ الكِتابِ**﴾: الإنجيل، ﴿**لا تَغلُوا**﴾: تتجاوزوا الحدَّ ﴿**في دِينِكُم، ولا تَقُولُوا على اللهِ إلّا**﴾ القولَ ﴿**الحَقَّ**﴾، من تنزيهه عن الشريك والولد. ﴿**إنَّما المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ رَسُولُ اللهِ، وكَلِمتُهُ ألقاها**﴾: أوصلها ﴿**إلَى مَريَمَ، ورُوحٌ**﴾ أي: ذو رُوح ﴿**مِنهُ**﴾. أضيف إليه - تعالى - تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابنَ الله أو إلَهًا معه أو ثالثَ ثلاثة، لأنّ ذا الرُّوح مركَّب والإلَهَ منزّه عن التركيب، وعن نسبة المُركّب إليه. ﴿**فآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ، ولا تَقُولُوا**﴾: الآلهةُ ﴿**ثَلاثةٌ**﴾ اللهُ وعيسى وأُمُّه. ﴿**انتَهُوا**﴾ عن ذلك وائتوا ﴿**خَيرًا لَكُم**﴾ منه. وهو التوحيد. ﴿**إنَّما اللهُ إلَهٌ واحِدٌ، سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عن ﴿**أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ خلقًا ومُلكًا - والمُلكيّة تُنافي البُنوّة - ﴿**وكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا**﴾ ١٧١: شهيدًا على ذلك!

٢- ﴿**لَن يَستَنكِفَ**﴾: يتكبّرَ ويأنفَ ﴿**المَسِيحُ**﴾ الذي زعمتم أنه إلَه، عن ﴿**أنْ يَكُونَ عَبدًا لِلهِ، ولا المَلائكةُ المُقَرَّبُونَ**﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا. وهذا من أحسن الاستطراد. ذُكر للردّ على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رُدّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصودِ خِطابُهم. ﴿**ومَن يَستَنكِفْ عَن عِبادتِهِ ويَستكبِرْ فَسَيَحشُرُهُم إلَيهِ جَمِيعًا**﴾ ١٧٢ في الآخرة.

٣- ﴿**فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم أُجُورَهُم**﴾: ثوابَ أعمالهم، ﴿**ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ**﴾ «ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ»، ﴿**وأمّا الَّذِينَ استَنكَفُوا واستَكبَرُوا**﴾ عن عِبادته ﴿**فيُعَذِّبُهُم عَذابًا ألِيمًا**﴾: مُؤلمًا، هو عذاب النار، ﴿**ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**وَلِيًّا**﴾ يدفعه عنهم، ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ ١٧٣ يمنعهم منه.

٤- ﴿**يا أيُّها النّاسُ، قَد جاءَكُم بُرهانٌ**﴾: حُجَّة ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ عليكم - وهو النبيّ - ﴿**وأنزَلْنا إلَيكُم نُورًا مُبِينًا**﴾ ١٧٤: بيّنًا. وهو القُرآن. ﴿**فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ واعتَصَمُوا بِهِ فسَيُدخِلُهُم في رَحْمةٍ مِنهُ وفَضلٍ، ويَهدِيهِم إلَيهِ صِراطًا**﴾: طريقًا ﴿**مُستَقِيمًا**﴾ ١٧٥، هو دِين الإسلام.

---

(١) نزلت هذه الآية لخطاب طوائف النصارى: اليعقوبية والمِلكانية والنُّسطورية والمَرقَسية، فيما ادعته من أمر المسيح - عليه السلام - وفيها الزجرُ عن الباطل، والتوجيهُ إلى الحق. انظر «المفصل». وأهل الكتاب: النصارى. والدين: العقيدة والشريعة. وتقولوا أي: تذكروا وتعتقدوا. والحق: الصدق الثابت. وكلمته أي: خَلْقٌ تكوَّن بكلمة من الله. وهو: كُن من غير أب ولا نطفة. وذلك بالإرادة لا بالقول المعروف. وألقاها أي: بنفخ جبريل في جيب درع مريم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أوصلها الله». والروح: ماتكون به حياة الجسد، سرّ من أسرار الغيب الإلٰهي. ومنه: من خلقه. يعني أن المسيح إنسان من خلق الله لأنه وجد بأمره. ومركَّب أي: مكون من روح وجسد. والمراد بنسبة المركب: نسبة الولد. وفي الأصل: «وعن نسبة التركيب إليه». وآمنوا به: صدّقوا قوله اعتقادًا قاطعًا. والرسل: جمع رسول. وتقولوا: تذكروا باللسان أو القلب. وانتهوا: امتنعوا. ومنه أي: من ادعاء التثليث. والولد: ما يولد من ذكر أو أنثى. وما في السماوات: انظر الآية ٥ من سورة آل عمران. وخلقًا وملكًا: يعني أن عيسى أيضًا من خلق الله وملكه، وليس ولدًا له ولا إلٰهًا. وفي بعض المطبوعات: «تنافي النبوة». وكفى: انظر الآية ٦.

(٢) روي أن وفد نصارى نجران قالوا: يا محمد، تعيب صاحبنا، فتقول: إنه عبد الله. فقال: «إنَّهُ لَيسَ بِعارٍ لِعِيسَى أن يَكُونَ عَبدًا لِلهِ». قالوا: بلى. فنزلت الآية تحقيقًا لقول النبي ﷺ. تفسيرا البغوي ١:٥٠٣ والخازن ١:٦٢٨ والواحدي ص ١٨٠. والعبد: المخلوق المملوك قهرًا وتعبدًا. والملائكة: جمع ملَك. والمقرب: من كانت منزلته دانية رفيعة. والاستطراد هو الانتقال من معنى إلى آخر متصل به. والمراد به هنا ذكر الملائكة، وفائدته أنه إذا كان الملائكة - وهم لا أب لهم ولا أم وقوتهم فوق قوة البشر - لايستنكفون فكيف بالأضعف الذي هو من البشر؟ وأنها آلهة: يعني أن الملائكة آلهة. فقد كان بعض العرب يعبد الملائكة. انظر الآيتين ١٥ و١٦ من سورة الزخرف. وذلك أي: ما ذكر قبل من وصف النصارى لعيسى. والعبادة: الطاعة والتقديس. ويستكبر: يترفع بما لا يستحقه.

(٣) آمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الشرع. ويوفيهم أجورهم: يعطيهم إياها كاملة. والأجور: جمع أجر. وهو المكافأة. ويزيدهم: يضيف إليهم ويضاعف الثواب. والفضل: الإحسان والتفضل في العطاء. وما بين قوسين مزدوجتين هو من الأحاديث الشريفة ٣٠٧٢ و٤٥٠١ و٤٥٠٢ و٧٠٥٩ في البخاري و٢٨٢٤ في مسلم. ويعذبهم: يعاقبهم وينكل بهم. ويجد: يلقى ويرى. ومنه أي: من الله. وهو الذي قضى عليهم بالعذاب فلا رادّ له.

(٤) جاءكم: أتاكم بنفسه أو وصل إليكم خبره. ومن ربكم أي: من عنده بأمره وقضائه. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. وإليكم أي: بوساطة إنزاله إلى الرسول. والنور: ما يضيء ويتضح بنفسه، ولا يحتاج إلى معونة غيره، بل يعين ما دونه ويكشفه. وآمنوا به: عرفت قلوبهم توحيده يقينًا. واعتصموا: تمسكوا والتجؤوا. ويدخلهم: ييسر لهم الدخول. والرحمة: العطف بزيادة ترقية ورفع درجات. ومنه أي: من عنده. والفضل: التفضل والإحسان ومضاعفة الأجر. ويهديهم: يرشدهم ويصرف اختيارهم وقدراتهم بما يناسب استعدادهم الطيب. وإليه أي: إلى طاعته ورضاه. والمستقيم: المعتدل لا عوج فيه ولا اضطراب.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

نصف الحزب ١١

١ - ﴿**يستفتونَكَ**﴾ في الكلالة. ﴿**قُلِ اللهُ يُفتيكُم في الكَلالةِ. إنِ امرُؤٌ**﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿**هَلَكَ**﴾: مات، ﴿**ليسَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ أي: ولا والد - وهو الكلالة - ﴿**ولَهُ أُختٌ**﴾ من أبوين أو أبٍ، ﴿**فلَها نِصفُ ما تَرَكَ، وهُوَ**﴾ أي: الأخُ كذلك ﴿**يرِثُها**﴾ جميعَ ما تركتْ، ﴿**إنْ لَم يَكُنْ لَها وَلَدٌ**﴾ - فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له، أو أُنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأُخت أو الأخ من أمّ ففرضُه السُّدس، كما تقدّم أوّل السُّورة - ﴿**فإنْ كانَتا**﴾ أي: الأختانِ ﴿**اثنتَينِ**﴾ أي: فصاعدًا، لأنّها نزلتْ في جابر، وقد مات عن أخوات، ﴿**فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ**﴾ الأخُ، ﴿**وإنْ كانُوا**﴾ أي: الورثةُ ﴿**إخوةً رِجالًا ونِساءً فلِلذَّكَرِ**﴾ منهم ﴿**مِثلُ حَظِّ الأُنثيَين. يُبيِّنُ اللهُ لَكُم**﴾ شرائع دِينكم، لـ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**تَضِلُّوا. واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ**﴾١٧٦، ومنه المِيراث. روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أي: من الفرائض.

سورة المائدة

مدنية، وهي مِائة وعشرون آية، أو واثنتان أو وثلاث.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أوفُوا بالعُقُودِ**﴾: العُهودِ المُؤكَّدة التي بينكم وبين الله والناس. ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهيمةُ الأنعامِ**﴾: الإبلِ والبقر والغنم أكلًا بعد الذبح، ﴿**إلّا ما يُتلَى علَيكُم**﴾ تحريمُه في: «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ» الآيَة - فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون مُتّصلًا، والتحريمُ لِما عَرَضَ من الموت ونحوه - ﴿**غيرَ مُحِلِّي الصَّيدِ وأنتُم حُرُمٌ**﴾ أي: مُحرِمون. ونُصِب «غيرَ» على الحال من ضمير «لكم». ﴿**إنَّ اللهَ يَحكُمُ ما يُريدُ**﴾ ١ من التحليل وغيره، لا اعتراض عليه.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُحِلُّوا شَعائرَ اللهِ**﴾: جمع شَعيرة، أي: معالمَ دِينه بالصيد في الإحرام، ﴿**ولا الشَّهرَ الحَرامَ**﴾ بالقتال فيه، ﴿**ولا الهَدْيَ**﴾: ما أُهديَ إلى الحَرَم من النَّعم بالتعرّض له، ﴿**ولا القَلائدَ**﴾: جمعَ قِلادة - وهي ما كان يتقلّد به مَن يَنحر الهدْيَ ليأمَنَ - أي: فلا تتعرّضوا لها ولا لأصحابها، ﴿**ولا**﴾ تُحِلّوا ﴿**آمِّينَ**﴾: قاصدين ﴿**البَيتَ الحَرامَ**﴾ بأن تقاتلوهم، ﴿**يَبتَغُونَ فَضْلًا**﴾: رزقًا ﴿**مِن ربِّهِم**﴾ بالتِّجارة، ﴿**ورِضْوانًا**﴾ منه بقصده بزعمهم - وهذا منسوخ بآية «براءة» - ﴿**وإذا حَلَلتُم**﴾ من الإحرام ﴿**فاصطادُوا**﴾: أمرُ إباحةٍ، ﴿**ولا يَجرِمَنَّكُم**﴾: يُكسِبَنّكم ﴿**شَنَآنُ**﴾، بفتح النون وسكونها: بُغضُ ﴿**قَومٍ**﴾، لأجلِ ﴿**أنْ صَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ، أنْ تَعتَدُوا**﴾ عليهم بالقتل وغيره، ﴿**وتَعاوَنُوا على البِرِّ**﴾ فعلِ ما أُمرتم به، ﴿**والتَّقوَى**﴾ بترك ماَ نُهيتم عنه، ﴿**ولا تَعاوَنُوا**﴾ - فيه حذف إحدى التاءين في الأصل - ﴿**على الإثمِ**﴾: المعاصي ﴿**والعُدْوانِ**﴾: التعدي في حدود الله، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾: خافوا عِقابه بأن تُطيعوه. ﴿**إنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ**﴾ ٢ لمن خالفه.

---

(١) روي أن جابر بن عبد الله مرض، وكان له أخوات ولا ولد له أو أب، وسأل النبي ﷺ عما يصنع بتركته، فنزلت الآية. الحديث ١٦١٦ في مسلم. ويستفتي: يطلب إظهار ما أشكل وبيان الحكم. ويفسره أي: أن «امرؤ» فاعل لفعل «هلك» محذوف. والولد: الابن ذكرًا كان أو أنثى. والنصف الآخر من التركة هو لقرابة الميت لأبيه، يأخذون ما أبقى ذوو الفروض من الورثة. ويرثها أي: يرث تركتها. وفرضُه أي: فرض كل منهما. وأول السورة يعني الآية ١٢. والثلث: ما يكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. وترك أي: تركه. وإخوة أي: وأخوات. فغلب الذكور على الإناث. والحظ: النصيب. وتضلوا: يخفى عليكم الحق ولا تهتدوا إليه. والشيء: ما هو موجود أو ممكن وجوده. والعليم: المبالغ في الإحاطة الكاملة. وما رواه الشيخان هو الحديثان ٤٣٢٩ في البخاري و١٦١٨ في مسلم. وانظر «المفصل».

(٢) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وأوفوا بها أي: أدوها كاملة بلا نقص أو خلاف. والعقود: جمع عَقد. وأحلت: جعلت مباحة حلالًا. والبهيمة: كل ذات أربع قوائم. ويشمل ما كان مجترًا وليس له أنياب. والأنعام: جمع نعَم. ويتلى: يقرأ من الوحي والسُّنّة. والآية هي ذات الرقم ٣. والمحل: من يستحل الأمر. والصيد: اصطياد الحيوان. والحرم: جمع حرام. وهو من كان في حج أو عُمرة. ويحكم: يفرض ويقضي.

(٣) الشهر أي: الأشهر الحرم الأربعة: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. والقلائد أي: أصحاب القلائد. ويتقلد به أي: يضعه في عنقه كالقلادة. وفي ط والمنحة: «ما كان يقلد به من شجر الحرم». وآمّين أي: قومًا مشركين آمّين. ويبتغي: يطلب. والرضوان: القبول. وهذا أي: مانص على تحريمه عدا الشعائر. وبراءة: يعني سورة التوبة، والآية ٢٨ منها. وروي أن أحد المشركين ادعى الإسلام وسرق إبلًا للمسلمين، ثم جاء إلى الكعبة بها ليهديها، فنزلت الآية بتحريم قتاله. الواحدي ص ١٨١. وبسكونها يريد القراءة «شَنْآنُ». وصد: منع. والبر: الإحسان. والتقوى: تجنب المحظور. والحذف يعني أن الأصل في المضارع «تَتَعاوَنُوا»، فحذفت التاء الثانية للتخفيف. والشديد: القوي العظيم.

الجزء السادس سورة المائدة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

١٠٧

١- ﴿**حُرِّمَتْ عليكُمُ المَيْتةُ**﴾ أي: أكلُها ﴿**والدَّمُ**﴾ أي: المسفوح كما في «الأنعام»، ﴿**ولَحمُ الخِنزِير، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ**﴾ بأن ذُبح على اسم غيره، ﴿**والمُنخَنِقةُ**﴾: المَيْتة خنقًا، ﴿**والمَوقُوذةُ**﴾: المقتولة ضربًا، ﴿**والمُتَرَدِّيةُ**﴾: الساقطة من علوّ إلى أسفلَ فماتت، ﴿**والنَّطِيحةُ**﴾: المقتولة بنطح أُخرى لها، ﴿**وما أكَلَ السَّبُعُ**﴾ منه فماتَ، ﴿**إلّا ما ذَكَّيتُم**﴾: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه، ﴿**وما ذُبِحَ على**﴾ اسم ﴿**النُّصُبِ**﴾: جمع نِصاب - وهي الأصنام - ﴿**وأنْ تَستَقسِمُوا**﴾: تطلبوا القَسْم والحُكم ﴿**بالأزلامِ**﴾: جمع زُلَم، بفتح الزاي وضمّها مع فتح اللام: قِدْحٌ بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل. وكانت سبعةً عند سادنِ الكعبة عليها أعلام، وكانوا يحكّمونها. فإن أمرتهمُ ائتمروا، وإن نهتهمُ انتهَوا. ﴿**ذٰلِكُم فِسقٌ**﴾: خُروج عن الطاعة. ونزل بعَرَفةِ عام حَجّةِ الوداع: ﴿**اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم**﴾ أن ترتدّوا عنه، بعد طمعهم في ذلك، لِما رأوا من قوّته. ﴿**فلا تَخشَوهُم واخشَونِ. اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم**﴾: أحكامه وفرائضه - فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام - ﴿**وأتمَمتُ عليكُم نِعمَتي**﴾ بإكماله، وقيل: بدُخول مكّة آمِنينَ. ﴿**ورَضِيتُ**﴾: اخترتُ ﴿**لَكُمُ الإسلامَ دِينًا. فمَنِ اضطُرَّ في مَخمَصةٍ**﴾: مجاعة إلى أكل شيء مِمّا حُرّم عليه فأكل، ﴿**غَيرَ مُتَجانِفٍ**﴾: مائل ﴿**لإثمٍ**﴾: معصية، ﴿**فإنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ له ما أكلَ، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٣ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم، أي: المُلتبس به كقاطع الطريق والباغي مثلًا، فلا يَحِلّ له الأكلُ.

٢- ﴿**يَسألُونَكَ**﴾ يا مُحمّد: ﴿**ماذا أُحِلَّ لَهُم**﴾ من الطعام؟ ﴿**قُلْ: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ**﴾: المُستلَذّاتُ، ﴿**و**﴾ صَيدُ ﴿**ما عَلَّمتُم مِنَ الجَوارِحِ**﴾: الكواسِبِ من الكِلاب والسِّباع والطير، ﴿**مُكَلِّبِينَ**﴾: حال - من: كَلَّبْتُ الكلبَ بالتشديد: أرسلتُه على الصيدِ - ﴿**تُعَلِّمُونَهُنَّ**﴾: حال من ضمير «مكلّبينَ» أي: تُؤدّبونهنَّ ﴿**مِمّا عَلَّمَكُمُ اللهُ**﴾ مِن آداب الصيد. ﴿**فكُلُوا مِمّا أمسَكْنَ عَلَيكُم**﴾، وإن قتلنه بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المُعلَّمة فلا يَحِلّ صيدُها - وعلامتها أن تَسترسلَ إذا أُرسلتْ، وتَنزجرَ إذا زُجرتْ، وتُمسكَ الصيدَ ولا تأكلَ منه. وأقلُّ ما يُعرف به ذلك ثلاثُ مرّات. فإن أكلْنَ منه فليس ممّا أمسكْن على صاحبهنّ فلا يَحِلُّ أكله، كما في حديث الصحيحين. وفيه أنّ صيد السهم، إذا أرسل وذُكر اسم الله عليه، كصيد المُعلَّم من الجوارح - ﴿**واذكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيهِ**﴾ عِند إرساله، ﴿**واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ ٤.

٣- ﴿**اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ**﴾ المُستلَذّات، ﴿ **وطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾ أي: ذبائحُ اليهود والنصارى ﴿**حِلٌّ**﴾: حلال ﴿**لَكُم، وطَعامُكُم**﴾ إيّاهم ﴿**حِلٌّ لَهُم، والمُحصَناتُ مِنَ المُؤمِناتِ، والمُحصَناتُ**﴾: الحرائرُ ﴿**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم**﴾ حِلّ لكم أن تنكحوهنّ، ﴿**إذا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورهنّ، ﴿**مُحصِنِينَ**﴾: مُتزوّجين، ﴿**غَيرَ مُسافِحِينَ**﴾: مُعلِنينَ بالزِّنى بهنّ، ﴿**ولا مُتَّخِذِي أخدانٍ**﴾ منهنّ تُسِرّون بالزِّنى بهنّ. ﴿**ومَن يَكفُرْ بالإيمانِ**﴾ أي: يرتدَّ ﴿**فقد حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يُعتدّ به ولا يُثاب عليه، ﴿**وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ ٥ إذا مات عليه.

---

(١) حرم: منع. والميتة: مافارقته الروح قبل الذبح. والأنعام: يعني الآية ١٤٥ من تلك السورة. وأهل: رفع الصوت حين الذبح. وسقط «فمات» من الأصل والمنحة والمطبوعات. وعلى اسم النصب أي: ما قصد بذبحه الصنم للتعظيم. والقدح: السهم. والسادن: الخادم. والأعلام: جمع عَلَم، العلامات بما يجب على من خرج له القدح. ويئس: انقطع أمله. وكفر: كذب الله ورسوله. ودينكم أي: إبطال أمره وسيادة الكفر. ولا تخشوهم أي: لا تخافوا أن يتغلبوا. واخشون أي: اخشوني وحدي. وأكملته: ختمت كماله. والنعمة: الإنعام. والدين: العقيدة والشريعة. واضطر: أُجهد بالضرر فأرغم. والغفور: الكثير المحو للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. والباغي: المجرم. (٢) سأل بعض الصحابة عما أحل لهم مما تصطاده الكلاب، فنزلت الآية. الواحدي ص ١٨٤. وأحل: جعل حلالًا. والمستلذ: ماتستطيبه الطباع السليمة. والجوارح: جمع جارح. وهو الذي يجرح ما يصيده. والكواسب: جمع كاسب. وحال أي: من فاعل: علّم. والمعروف أن كلبته: علمته الضراوة وعودته على الصيد، وليس هذا خاصًا بالكلاب. ومن ضميره أي: من الضمير المستتر فيه. وأمسكن أي: اصطدنه وحفظنه. والأمر بالأكل للإباحة. والعلامة: الصفة المميزة. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «فإن أكلت». والحديث هو تحت الرقمين ٣١٦٦ في البخاري و١٩٢٩ في مسلم. وأرسل: أطلق ورمي به. واتقوه: تجنبوا عصيانه والزموا طاعته. وسريع الحساب أي: سريعٌ حسابُه. (٣) الطعام: مايكون من غذاء وشراب، عدا ماحرم كلحم الخنزير وما يسكر. وأوتوه: أعطوه. والكتاب: التوراة والإنجيل. والحل: الحلال. والحرائر: جمع حرّة. وهي غير المملوكة. وتنكحوهن أي: قاصدين التزوج بهن. وآتيتم: أعطيتم أو حدّدتم. والأجور: جمع أجر. والمهور: جمع مَهر. والمسافح: من يتخذ خليلة للزنى جهارًا. والمتخذ: الجاعل. والمراد: ولامتخذين بعضًا منهن أخدانًا. والأخدان: جمع خِدن. وهو الخليلة للزنى سرًا. ويكفر به: يرجع عنه. والإيمان: الاعتقاد اليقيني. وحبط: فسد. والعمل: ما يكتسب. والخاسر: الذي أضاع ثواب الآخرة. وعليه أي: على الارتداد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ
أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

١- ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا، إذا قُمتُم**﴾ أي: أردتم القِيام ﴿**إلى الصَّلاةِ**﴾، وأنتم مُحدِثون، ﴿**فاغسِلُوا وُجُوهَكُم وأيدِيَكُم إلى المَرافِقِ**﴾ أي: معها كما بَيّنته السُّنّة، ﴿**وامسَحُوا برُؤُوسِكُم**﴾ - الباء: للإلصاق أي: ألصِقوا المسح بها من غير إسالة ماء. وهو اسم جنس، فيكفي أقلّ ما يصدق عليه. وهو مسح بعضِ شَعرةٍ. وعليه الشافعيّ - ﴿**وأرجُلَكُم**﴾، بالنصب عطفًا على «أيديَكم»، والجرِّ على الجِوار، ﴿**إلى الكَعبَينِ**﴾ أي: معهما كما بيّنته السُّنّة - وهما العظمان الناتئان في كلّ رِجل عند مَفصِل الساق والقدم. والفصلُ بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأسِ الممسوح يفيدُ وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعيّ. ويُؤخذ من السُّنّة وجوب النيّة فيه، كغيره من العِبادات - ﴿**وإنْ كُنتُم جُنُبًا فاطَّهَّروا**﴾: فاغتسلوا.

٢- ﴿**وإنْ كُنتُم مَرضَى**﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿**أو علَى سَفَرٍ**﴾ أي: مُسافرينَ، ﴿**أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائطِ**﴾ أي: أحدَثَ، ﴿**أو لامَستُمُ النِّساءَ**﴾ - سبق مِثله في آية «النساء» - ﴿**فلَم تَجِدُوا ماءً**﴾ بعد طَلَبه، ﴿**فتَيَمَّمُوا**﴾: اقصِدوا ﴿**صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾: تُرابًا طاهرًا، ﴿**فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم**﴾ مع المِرفقَين ﴿**مِنهُ**﴾ بضربتين. والباء: للإلصاق. وبيّنَتِ السُّنّةُ أنّ المُرادَ استيعابُ العُضوَين بالمسح. ﴿**ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجعَلَ عليكُم**﴾ في الدِّين ﴿**مِن حَرَجٍ**﴾: ضيق، بما فرض عليكم من الوضوء والغُسل والتيمّم، ﴿**ولٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم**﴾ من الأحداث والذُّنوب، ﴿**ولِيُتِمَّ نِعمَتَهُ علَيكُم**﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدِّين، ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٦ نِعَمَه.

٣- ﴿**واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم**﴾ بالإسلام، ﴿**ومِيثاقَهُ**﴾ عهده ﴿**الَّذِي واثَقَكُم بِهِ**﴾: عاهدكم عليه، ﴿**إذ قُلتُم**﴾ للنبيّ حين بايعتموه: ﴿**سَمِعْنا وأطَعْنا**﴾، في كلّ ما تأمر به وتنهى عنه، مِمّا تُحبّ وتكره، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في مِيثاقه أن تنقضوه. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٧: بما في القُلوب، فبغيره أولى.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوّامِينَ**﴾: قائمين ﴿**لِلّهِ**﴾ بحقوقه، ﴿**شُهَداءَ بالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**ولا يَجرِمَنَّكُم**﴾: يَحمِلنكم ﴿**شَنَآنُ**﴾: بُغضُ ﴿**قَومٍ**﴾ أي: الكُفّارِ ﴿**علَى ألّا تَعدِلُوا**﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم. ﴿**اعدِلُوا**﴾ في العدوّ والوليّ - ﴿**هُوَ**﴾ أي: العدل ﴿**أقرَبُ لِلتَّقوَى - واتَّقُوا اللهَ.**

---

(١) المحدث: من كان في حدث أصغر، أي: عدم الوضوء. واغسلوا وجوهكم أي: بإسالة الماء والدلك. والوجوه: جمع وجه. وهو من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل اللَّحيين، وما بين شحمتَي الأذنين. أما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فمن السُّنّة. والأيدي: جمع يد. والمرافق: جمع مَرفِق. وهو موضع اتصال الذراع بالعضد. ومعها أي: مع المرافق. والسُّنّة أي: ما ثَبَت عن الرسول ﷺ في وضوئه. انظر «المفصل». وامسحوا أي: بتمرير اليد مع الماء. والرؤوس: جمع رأس. وهو هنا مايكون فيه الشعر من دون الوجه. والأرجل: جمع رِجل. وبالجر يريد القراءة «وأرجُلِكُم». وعلى الجوار يعني: لأجل جوارها الاسمَ المجرور «رؤوس». ومعهما أي: مع الكعبين. وعليه الشافعي يعني: على وجوب الترتيب في الوضوء. والمراد بالسُّنّة هنا الحديث الأول في البخاري. والنية: القصد وعزم القلب على أمر من الأمور، وقد تكون باللسان مع ذلك أيضًا. والجُنب: البعيد عن الطهارة بالحدَث الأكبر، ويكون بالتقاء خِتانَي الذكر والأنثى، أو بنزول المنيّ، أو بالحيض أو النفاس. واغتسلوا: اغسلوا أبدانكم على أتم وجه.

(٢) المرضى: جمع مريض. انظر «المفصل». والسفر: التنقل بين البلاد للرحلة أو العمل. والغائط: مكان قضاء الحاجة. وأحدث أي: أفسد وضوءه بخروج شيء من مخرج البول أو مخرج البراز. وهو الحدث الأصغر. ولامس أي: ضاجع، أو لمس بيده أو بغيرها. وسبق مثله: يعني الآية ٤٣ من تلك السورة. وتجدُ: ترى. وبضربتين أي: بنقلتين. ويريد: يقصد. ويجعل: يوجد. ويطهر: ينظف. والأحداث: جمع حدَث. وهو الجنابة. والنعمة: الإنعام. والنعم: جمع نعمة.

(٣) اذكروها أي: استحضروها في القلب واللسان والعمل. واتقوه أي: تجنبوا عصيانه والزموا الطاعة. وعليم: محيط بالغَ الإحاطة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. وذات الصدور أي: الأمور المصاحبة للقلوب لا يطلع عليها بشر.

(٤) كونوا أي: استمروا. ولله أي: لوجهه تعالى إيمانًا واحتسابًا. والشهداء: جمع شهيد، يؤدي مايعلم لإحقاق الحق وإبطال الباطل. والقوم: الجماعة من الناس. واعدلوا أي: الزموا الحق والإنصاف. والولي: من توالونه وتخلصون له. وهو جماعة المؤمنين. وللتقوى: للدلالة على تجنب العصيان والحصول على الطاعة. والخبير: المبالغ في علم بواطن الأمور وظواهرها. وتعملون أي: تكتسبونه. ووعدهم أي: تعهد لهم بما هو محبوب. وآمن: صدّق الله ورسوله. والصالح: مايرضاه الشرع. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب. والعظيم: الضخم جدًا لا يستوعبه التعبير. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله. وكذبوا بها أي: أنكروها. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة على التوحيد والبعث. والأصحاب: جمع صاحب. والجحيم: النار الشديدة التأجج في جهنم.

الجزء السادس سورة المائدة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

إنّ اللهَ خَبيرٌ بما تعمَلُونَ﴾ ٨، فيُجازيكم به. **﴿وَعَدَ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالحاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ﴾** ٩، هو الجنّة، **﴿والّذِينَ كَفَرُوا وكَذّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾** ١٠.

ثلاثة أرباع الحزب ١١

١ - **﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم، إذ هَمَّ قَومٌ﴾** - هُم قُريش - **﴿أنْ يَبسُطُوا﴾**: يَمدّوا **﴿إلَيكُم أيدِيَهُم﴾** ليفتكوا بكم، **﴿فكَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم﴾** وعصمكم مِمّا أرادوا بكم، **﴿واتّقُوا اللهَ، وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكّلِ المُؤمِنُونَ﴾** ١١.

٢- **﴿ولَقَد أخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ﴾** بما يُذكَر بعدُ، **﴿وبَعَثْنا﴾** - فيه التفات عن الغَيبة - أقمنا **﴿مِنهُمُ اثنَي عَشَرَ نَقِيبًا﴾**، من كلّ سِبط نقيبٌ، يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بالعهد تَوثقةً عليهم، **﴿وقالَ﴾** لهم **﴿اللهُ: إنّي مَعَكُم﴾** بالعون والنصر. **﴿لَئِنْ﴾**: لامُ قسم **﴿أقَمتُمُ الصّلاةَ وآتَيتُمُ الزّكاةَ، وآمَنتُم بِرُسُلِي وعَزّرتُمُوهُم﴾**: نصرتموهم، **﴿وأقرَضتُمُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا﴾** بالإنفاق في سبيله، **﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيّئاتِكُم، ولَأُدخِلَنّكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، فمَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ﴾** المِيثاق **﴿مِنكُم فقد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾** ١٢: أخطأ طريق الحقّ. والسواء في الأصل: الوسَط. فنقضوا الميثاق.

٣- قال تعالى: **﴿فبِما نَقضِهِم﴾** - ما: زائدة - **﴿مِيثاقَهُم لَعَنّاهُم﴾**: أبعدناهم عن رحمتنا، **﴿وجَعَلْنا قُلُوبَهُم قاسِيَةً﴾** لا تلين لقَبُول الإيمان، **﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾** الذي في التوراة من نعتِ مُحمّد وغيره **﴿عَن مَواضِعِهِ﴾** التي وضعه الله عليها، أي: يُبدّلونه، **﴿ونَسُوا﴾**: تركوا **﴿حَظًّا﴾**: نصيبًا **﴿مِمّا ذُكِّرُوا﴾**: أُمروا **﴿بِهِ﴾** في التوراة، من اتّباع مُحمّد، **﴿ولا تَزالُ﴾** - خِطاب للنبيّ - **﴿تَطّلِعُ﴾**: تَظهرُ **﴿علَى خائنةٍ﴾** أي: خِيانة **﴿مِنهُم﴾**، بنقض العهد وغيره، **﴿إلّا قَلِيلًا مِنهُم﴾** مِمّن أسلم. **﴿فاعفُ عَنهُم واصفَحْ. إنّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾** ١٣. هذا منسوخ بآية السيف.

---

(١) اذكروا أي: استحضروا في نفوسكم. وفي الآية ٧ ذكّرهم بتيسير الخير لهم، وهنا يذكّرهم بدفع البلاء عنهم. فقد روي أن المشركين رأوا المسلمين يصلّون صلاة الظهر، في غزوة ذي الرِّقاع بعسفان، وأجّلوا مباغتتهم بالهجوم إلى الصلاة التالية، فأنزل الله حكم صلاة الخوف، فكان أن عجز المشركون عن المباغتة. وفي هذه الآية تذكير بذلك. البحر ٣:٤٤١. وانظر الآية ١٠٢ من سورة النساء. وهمّ: نوى وعزم. والقوم: الجماعة من الناس. وكف: منع وحبس. والأيدي: جمع يد. وعصمكم أي: حماكم وحفظكم. وهذه هي النعمة المقصودة، وذكرُ همِّ العدوّ بالفتك هنا إيذان بوقوعه وقت الحاجة إليه. واتقوه أي: تجنبوا عصيانه وعقابه والزموا طاعته ورضاه. ويتوكل: يعتمد مفوضًا أمره. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٢) أخذ: تلقى وتقبل. والميثاق: العهد المؤكد بالقسم. والمراد به قوله بعد: «إني معكم لئن...». وإسرائيل هو النبي يعقوب بن إسحاق، عليهما السلام. وبنوه أي: ذريته من أبنائه الاثني عشر. والنقيب: وليّ أمر الجماعة والأمين على أسرارها وأحوالها. والسبط في بني إسرائيل كالقبيلة عند العرب. وأقمتم الصلاة: حافظتم على أدائها، في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها. والصلاة: العبادة المكتوبة. وآتيتم الزكاة: أعطيتموها مستحقيها. والزكاة: ما فرض على المال لتزكيته وتطهير صاحبه. وآمنتم بهم أي: صدّقتموهم باعتقاد يقيني. والرسل: جمع رسول. وهو من بعث بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والمراد بالإقراض هنا البذل والصدقة غير الزكاة، من المال والجهد والوقت والجاه والعلم والصحة والنفس. والحسن: الجميل يكون عن طيب نفس بلا منّ ولا أذى ولا تفاخر. وأكفّر: أستر وأغفر. والسيئة: الذنب يكون عليه عقاب. وأدخلكم: أجعلكم داخلين وأيسر لكم ذلك. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل بتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى الكبير للماء والعسل واللبن والخمر. وكفر أي: أنكر شيئًا مما ذُكر في الشروط المتقدمة، أو لم يعمل بموجبها. والسواء: المعتدل القويم. وطريق الحق: الطريق المستقيم، أي: الدين المشروع.

(٣) نقض الميثاق: الإخلال بالعهد ومخالفته، بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وتحريف التوراة وتضييع الفرائض. وجعلنا: صيّرنا. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. والقاسية: الغليظة المتحجرة. والكلم: واحدته كلمة. والمواضع: جمع موضع. وهو المكان الذي أريد للكلمة من الدلالة والحكم. وغيره أي: وغير النعت، من أصول العقيدة والأحكام الشرعية والأخبار والمعلومات التي لاتوافق أهواءهم. ولاتزال أي: ستبقى وتستمر. والخائنة: المكر والغدر. والمراد بالقليل هنا أمثال عبد الله بن سلام وأصحابه، من اليهود الذين حسن إسلامهم وأخلصوا. واعف أي: سامح ولاتعاقب. واصفح: تجاوز ولاتؤاخذ. ويحبه: يوده ويحسن إليه بالخير والفضل. والمحسن: الذي يحسن الخُلق مع الناس ويعفو ويصفح، إيمانًا واحتسابًا. ومنسوخ: يعني أن الأمر بالعفو عن خيانتهم منسوخ بالآية ٢٩ من سورة التوبة، أو الآية ٥٨ من سورة الأنفال.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١- ﴿**ومِنَ الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى**﴾. متعلّق بقوله ﴿**أخَذْنا مِيثاقَهُم**﴾ كَما أخذنا على بني إسرائيلَ اليهودِ، ﴿**فنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق، ﴿**فأغرَينا**﴾: أوقَعْنا ﴿**بَينَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ إلَى يَومِ القِيامةِ**﴾، بتفرّقهم واختلاف أهوائهم، فكُلُّ فِرقة تُكفِّرُ الأخرى، ﴿**وسَوفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ**﴾ في الآخرة ﴿**بما كانُوا يَصنَعُونَ**﴾ ١٤، فيُجازيهم عليه.

٢- ﴿**يا أهلَ الكِتابِ**﴾ اليهودَ والنصارى، ﴿**قَد جاءَكُم رَسُولُنا**﴾ مُحمّد، ﴿**يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِمّا كُنتُم تُخفُونَ**﴾: تكتمون، ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾: التوراةِ والإنجيل، كآية الرجم وصفته، ﴿**ويَعفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ من ذلك فلا يُبيّنُه، إذا لم يكن فيه مصلحةٌ إلّا افتضاحُكم. ﴿**قَد جاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ**﴾ هو النبيّ، ﴿**وكِتابٌ**﴾: قُرآن ﴿**مُبِينٌ**﴾ ١٥: بيّنٌ ظاهر، ﴿**يَهدِي بِهِ**﴾ أي: بالكِتاب ﴿**اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوانَهُ**﴾، بأن آمن، ﴿**سُبُلَ السَّلامِ**﴾: طُرقَ السلامة، ﴿**ويُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان ﴿**بإذنِهِ**﴾ بإرادته، ﴿**ويَهدِيهِم إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾ ١٦: دِين الإسلام.

٣- ﴿**لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ**﴾ حيث جعلوه إلَهًا. وهم اليعقوبيّة، فِرقة من النصارى. ﴿**قُل: فَمَن يَملِكُ**﴾ أن يدفع ﴿**مِنَ**﴾ عذاب ﴿**اللهِ شَيئًا، إن أرادَ أنْ يُهلِكَ المَسِيحَ ابنَ مَريَمَ وأُمَّهُ ومَن في الأرضِ جَمِيعًا**﴾؟ أي: لا أحد يملك ذلك. ولو كان المسيح إلَهًا لقَدَرَ عليه. ﴿**وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما. يَخلُقُ ما يَشاءُ، واللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ**﴾ شاءه ﴿**قَدِيرٌ**﴾ ١٧.

---

(١) قالوا أي: صرحوا بالقول لفظًا. ذلك لأنهم أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، كما في الآيتين ٥٢ من سورة آل عمران و١٤ من سورة الصف. وإنما نَسب هذه التسمية إليهم، ولم يصفهم بها حقيقة، إشعارًا بأن قول أكثرهم «نحن أنصار الله» هو تقول محض بعيد من الصدق. ونصارى: جمع نصران ونصرانة. وهم الذين يتحرّون الالتزام بالدين النصراني، وينتسبون إليه. ومتعلق: يعني أن «من» لابتداء الغاية المكانية تتعلق بـ «أخذ». وأخذنا: تلقينا بالقبول. والميثاق: العهد الموثق بالقسم. ونسوا: أهملوا وتركوا. والحظ: القسم من الشيء. وذكر: نبّه وأمر. وغيره أي: الواجبات والمندوبات. وأغرينا: ألزمنا وألصقنا. وبينهم أي: بين فرق النصارى المختلفة. والعداوة: المعاداة والخصام والنزاع. والبغضاء: شدة التباغض. وهذا كله فيهم، وإن استتر بظاهر من الوفاق أحيانًا للتألب على المسلمين ومساعدة اليهود. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث من قبورهم للحساب والجزاء. وسوف: للتحقيق في المستقبل وإن تأخر الحصول. وينبئ: يُخبِر ويُعلِم. وفي ذكر «ينبئهم» إيجاز، بالدلالة على الحساب والجزاء أيضًا. ويصنعون أي: يعملونه من العصيان والكفر باختيار وقصد وتصميم، وقد صاروا فيه أهل خبرة وإتقان، ولاسيما في العصور الأخيرة، حين هادن أكثرهم اليهود وبرؤوهم من الصلب، وانقادوا إليهم في التوجه والعمل، وتأثروا بأخلاقهم ومبادئهم الفاسدة.

(٢) روي أن اليهود أتوا النبي ﷺ، يسألونه عن حكم الزانيَينِ المُحصَنَينِ، فقال: «أيُّكُم أعلَمُ»؟ فأشاروا إلى الحَبر ابن صُورِيا. فأقسم عليه بكل أيمان مغلظة حتى أخذته الرِّعدة، وقال له: «هَل تَجِدُونَ الرَّجمَ في كِتابِكُم»؟ فقال: إن نساءنا حِسان، وقد كثر فينا القتل. ولمّا كثر [أي: الزنى] فينا اختصرنا أُخصورة، فجلدنا مِائَة وحلقنا الرؤوس. فحَكمَ النبي عليهما بالرجم، ونزلت الآيتان ١٥ و١٦ تعمّان الرجم وغيره، مما كان اليهود والنصارى يخفونه. البحر ٣:٤٤٧ والدر المنثور ٢:٢٦٨- ٢٦٩. والكتاب أي: التوراة والإنجيل. وهو اسم جنس يطلق على الواحد والأكثر، ويدل هنا على اثنين. وأهله: أصحابه الذين أنزل إليهم وكلفوا بما فيه، وهم بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. وجاءكم: وصل إليكم وبلغ مجالسكم عِيانًا. والرسول: المبعوث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويبين: يُظهر ويَكشف. وكثيرًا أي: عددًا وافرًا. وآية الرجم أي: نص التوراة الذي فيه حكم رجم الزاني المُحصَن. وصفته أي: صفة النبي ﷺ كما جاءت في التوراة والإنجيل. ويعفو: يتجاوز ويغضي. ومن الله أي: بسبب فضله وإرادته. والنور: ما يضيء السبيل ويميز الخير من الشر. وفيما عدا الأصل والنسختين: «هو النبي ﷺ». وبيّن أي: فيه بيان لكل ما اختلفتم فيه. ويهديه أي: يوجه اختياره وقدراته، ويُمِده بحسب استعداده الحسن ويوفقه. واتبعه: طلبه وعمل بما يقتضيه. والرضوان: مبالغة في الرضا. خ: «من آمن». والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق الواضح. والسلامة أي: من الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة. ويخرجه: ينقذه. والظلمة: الظلام يُضل الناس عن الصواب. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه ولا اضطراب.

(٣) كفر أي: جحد الحق وكذّب الصدق الذي لاشك فيه، وادعى الباطل الشنيع. وقالوا أي: بألسنتهم أو بقلوبهم وأعمالهم. والمسيح: الرسول عيسى، عليه السلام. وفي الأصل: «هو المسيح عيسى بن مريم». ومريم: بنت عمران. وحيث أي: حين، زمانية تفيد السببية بمعنى: إذ. واليعقوبية: فرقة نُسبت إلى يعقوب البراذعي الذي عاش في الشام قبيل الإسلام. وكان يقول بالطبيعة الواحدة في المسيح، أي: اتحاد اللاهوت والناسوت. يريد أن المسيح إلٰه وإنسان. فإذا قال: «المسيح إلٰه واحد» فقد قال: إن الله هو المسيح. البحر ٣:٤٤٩. ويملكه: يستطيعه ويتصرف فيه بحزم واقتدار. وفي الأصل وع وقرة العينين وبعض المطبوعات: «أي يدفع». والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. وأراد: قصد وقضى. ويهلكه: يفنيه إفناء نهائيًا. وتخصيص ذكر الأمّ، مع اندراجها فيمن عطف بعد، لزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها كحال غيرها. والأرض: مكان الحياة الدنيا. وجميعًا أي: مجتمعين دون تخلف أحد. وعليه أي: على دفع العذاب والإهلاك. والملك: الحيازة والتصرف دون منازع أو معين. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ويخلق: يوجد وينشئ من العدم. ويشاء أي: يريد أن يخلقه. والقدير: ذو القدرة البالغة لايعجزه شيء.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١- ﴿**وقالَتِ اليَهودُ والنَّصارَى**﴾ أي: كلّ منهم: ﴿**نَحنُ أبناءُ اللهِ**﴾ أي: كأبنائه في القُرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿**وأحِبّاؤُهُ. قُلْ**﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿**فلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم**﴾، إن صدقتم في ذلك؟ ولا يُعذِّب الأبُ ولدَه ولا الحبيبُ حبيبَه، وقد عذّبكم. فأنتم كاذبون. ﴿**بَل أنتُم بَشَرٌ مِـ**﴾ـن جملةِ ﴿**مِمَّن خَلَقَ**﴾ من البشر، لكم مالَهم وعليكم ما عليهم، ﴿**يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ**﴾ المغفرةَ له، ﴿**ويُعذِّبُ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه. ﴿**ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، وإلَيهِ المَصيرُ**﴾ ١٨: المَرجِع.

٢- ﴿**يا أهلَ الكِتابِ، قَد جاءَكُم رَسُولُنا**﴾ مُحمّد، ﴿**يُبَيِّنُ لَكُم**﴾ شرائع الدين، ﴿**على فَترةٍ**﴾: انقطاع ﴿**مِنَ الرُّسُلِ**﴾ - إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومُدّة ذلك خمسُمِائةٍ وتسعٌ وستُّونَ سنةً - ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**تَقُولُوا**﴾ إذا عُذّبتم: ﴿**ما جاءَنا مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**بَشيرٍ ولا نَذيرٍ. فقَد جاءَكُم بَشيرٌ ونَذيرٌ**﴾، فلا عذر لكم إذًا. ﴿**واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ ١٩، ومنه تعذيبكم، إن لم تتّبعوه.

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم، إذْ جَعَلَ فِيكُم**﴾ أي: منكم ﴿**أنبياءَ، وجَعَلَكُم مُلُوكًا**﴾ أصحابَ خَدَمٍ وحَشَمٍ، ﴿**وآتاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العالَمينَ**﴾ ٢٠، من المنّ والسلوى وفَلْقِ البحر وغيرِ ذلك. ﴿**يا قَومِ، ادخُلُوا الأرضَ المُقَدَّسَةَ**﴾: المُطهّرة، ﴿**الَّتي كَتَبَ اللهُ لَكُم**﴾: أمركم بدخولها - وهي الشام - ﴿**ولا تَرتَدُّوا على أدبارِكُم**﴾: تنهزموا خوف العدوّ، ﴿**فتَنقَلِبُوا خاسِرينَ**﴾ ٢١ في سعيكم.

٤- ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، إنَّ فِيها قَومًا جَبّارينَ**﴾ من بقايا عادٍ طِوالًا ذَوِي قُوّة، ﴿**وإنّا لَن نَدخُلَها حَتّى يَخرُجُوا مِنها. فإنْ يَخرُجُوا مِنها فإنّا داخِلُونَ**﴾ ٢٢ لها. ﴿**قالَ**﴾ لهم ﴿**رَجُلانِ، مِنَ الَّذينَ يَخافُونَ**﴾ مُخالفةَ أمرِ الله - وهما يُوشَعُ وكالَبُ، من النُّقباء الذين بعثهم مُوسى في كشف أحوال الجبابرة - ﴿**أنعَمَ اللهُ علَيهِما**﴾ بالعِصمة، فكتما ما اطّلعا عليه من حالهم إلّا عن موسى، بخلاف بقيّة النُّقباء فأفشَوه فجَبُنوا: ﴿**ادخُلُوا علَيهِمِ البابَ**﴾: باب القرية ولا تخشَوهم، فإنهم أجساد بلا قلوبٍ - ﴿**فإذا دَخَلتُمُوهُ فإنَّكُم غالِبُونَ**﴾. قالا ذلك تيقّنًا بنصر الله وإنجاز وعده -

---

(١) منهم أي: من الفريقين. انظر «المفصل». والأبناء: جمع ابن. والأحباء: جمع حبيب. وهو الذي يكرَم ويحسَن إليه. ويعذبكم: يعاقبكم في الدنيا وفي الآخرة. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية يكون عليها عقاب. والحبيب: المحِبّ. وحبيبه أي: محبوبه. وبشر أي: أناس من بني آدم. وخلق أي: أنشأ من العدم. وفي بعض المطبوعات والنسخ: «بشر ممن: جملة مَن خلق». وفي ط وقرة العينين والمنحة: «بشر ممن: مِن جملة مَن خلق». وبهذا القول وما قبله من الاستدلال، امتنعت البنوّة المزعومة، وما ادعوه من أنهم أحباء الله. ويغفر: يستر الذنوب ولايؤاخذ عليها. ولمن أي: للذي آمن به وبرسله. ويشاء أي: يريد. وملك السماوات: انظر الآية ١٧. وإليه أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. والمرجع أي: الرجوع يوم القيامة.

(٢) الرسل: جمع رسول. وهو من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل، وغالبًا ما يكون معه كتاب منزل. والعدد المذكور هو المدة بين ولادتي عيسى ومحمد - عليهما السلام - لابين مدتي إرسالهما. وتقولوا أي: معتذرين من كفركم والعصيان. وما جاءنا أي: ما أتانا. وزائدة: يعني أن «مِن»: حرف جر زائد للتنصيص على العموم في النفي. والبشير: الذي يبشّر بالخير من لزم التوحيد والشريعة. والنذير: من يهدد العصاة بعذاب الله. وجاءكم بشير نذير أي: محمد ﷺ.

(٣) موسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل، أنزلت عليه التوراة. وقومه: الجماعة التي هو منها ويعيش معها. وياقوم أي: ياقومي. والنعمة: الإنعام بالخير. والأنبياء: جمع نبي. وهو من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والملوك: جمع ملِك. وهو ذو السلطان والتصرف في البلاد وأهلها. وآتى: أعطى. والعالَمون: واحده عالَم. وهو الجنس من المخلوقات. والمن والسلوى: انظر تفسير الآية ٥٧ من سورة البقرة. وذكرهما هنا من الوجيز والتلخيص، وفيه نظر لأن نزولَهما كان في التِّيه، وتذكيرَ موسى هنا وأمرهم بدخول الأرض المقدسة كانا قبل التيه. وفلق البحر: شقه بخسف الماء وبروز مرتفعات من القاع، ليعبر موسى وقومه أمام لحاق فرعون وجنوده. والمطهرة أي: بإقامة الأنبياء وكثرة الدعوة إلى التوحيد. والشام: ما يعرف الآن بسورية ولبنان والأردن وفلسطين. والمراد هنا مدينة أريحا. وهي بلدة شمال القدس. وترتدوا أي: ترجعوا. والأدبار: جمع دبر، أي: لاترجعوا مدبرين. وتنقلبوا أي: تصيروا. والخاسر: من ظلم نفسه، فخسر منافع الدنيا والآخرة.

(٤) قالوا أي: أجابوا. وفيها أي: في البلدة المذكورة. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والجبار: من يحمل الناس على ما يريده لقوته وبطشه. وعاد: قوم النبي هود، رضي الله عنه. وهم من العرب العاربة. ويخاف: يخشى ويتجنب. ويوشع: ابن نون صار نبيًا بعد موسى. وكالب: سيد تقي من بني إسرائيل. وأنعم عليه: أحسن إليه. والعصمة: الحفظ من الشر والضلال. وحالهم أي: شأن الجبابرة داخل المدينة. والنقباء: جمع نقيب. وأفشوه: أشاعوا ما رأوا. وجبنوا أي: امتنعوا من الدخول. وادخلوا أي: اقتحموا بعنف. والقرية: المدينة. وتوكلوا عليه أي: ثقوا به وحده. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿**وعلى اللهِ فتوَكَّلُوا، إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ**﴾ ٢٣.

١ - ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، إنّا لَن نَدخُلَها أبَدًا ما دامُوا فِيها. فاذهَبْ أنتَ ورَبُّكَ فقاتِلا**﴾ هم. ﴿**إنّا هٰهُنا قاعِدُونَ**﴾ ٢٤ عن القتال. ﴿**قالَ**﴾ مُوسى حينئذ: ﴿**رَبِّ، إنِّي لا أملِكُ إلّا نَفسِي و**﴾ إلّا ﴿**أخِي**﴾، ولا أملك غيرهما فأجبُرَهم على الطاعة. ﴿**فافرُقْ**﴾: فافصِلْ ﴿**بَينَنا وبَينَ القومِ الفاسِقِينَ**﴾ ٢٥.

الحزب ١٢

٢ - ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**فإنَّها**﴾ أي: الأرضَ المُقدَّسة ﴿**مُحَرَّمةٌ علَيهِم**﴾ أن يدخلوها ﴿**أربَعِينَ سَنةً، يَتِيهُونَ**﴾: يتحيّرون ﴿**في الأرضِ**﴾. وهي تسعةُ فراسخَ، قاله ابن عبّاس. ﴿**فلا تأسَ**﴾: تحزَنْ ﴿**علَى القومِ الفاسِقِينَ**﴾ ٢٦. رُوي أنهم كانوا يسيرون الليل جادِّينَ، فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك، حتّى انقرضوا كلّهم إلّا من لم يبلغ العِشرينَ. قيل: وكانوا سِتَّمِائةِ ألفٍ. ومات هارون وموسى في التِّيه، وكان رحمةً لهما وعذابًا لأولئك. وسأل موسى ربَّه عند موته أن يُدنيه من الأرض المُقدّسة رَميةً بحجر، فأدناه كما في الحديث. ونُبِّئَ يُوشَعُ بعدَ الأربعينَ وأُمر بقتال الجبّارين، فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يومَ الجمعة، ووقفتْ له الشمسُ ساعةً حتّى فَرَغَ من قتالهم. وروى أحمدُ في مُسنَده حديثَ «إنّ الشَّمسَ لَم تُحبَسْ علَى بَشَرٍ، إلّا لِيُوشَعَ لَياليَ سارَ إلى بَيتِ المَقدِسِ».

٣ - ﴿**واتلُ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**علَيهِم**﴾: على قومك ﴿**نَبَأَ**﴾: خبرَ ﴿**ابنَي آدَمَ**﴾ هابيلَ وقابيلَ، ﴿**بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ«اتل»، ﴿**إذ قَرَّبا قُربانًا**﴾ إلى الله - وهو كبشٌ لهابيلَ وزرعٌ لقابيلَ - ﴿**فتُقُبِّلَ مِن أحَدِهِما**﴾ وهو هابيلُ، بأن نزَلتْ نار من السماء فأكلتْ قُربانَه، ﴿**ولَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ**﴾ وهو قابيلُ. فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حجّ آدم. ﴿**قالَ**﴾ له: ﴿**لأقتُلَنَّكَ**﴾. قال: لِمَ؟ قال: لتقبُّل قُربانك دُوني. ﴿**قالَ: إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ**﴾ ٢٧. ﴿**لَئِنْ**﴾: لامُ قسم ﴿**بَسَطتَ**﴾: مددتَ ﴿**إلَيَّ يَدَكَ لِتَقتُلَنِي، ما أنا بباسِطٍ يَدِيَ إلَيكَ لأقتُلَكَ. إنِّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ**﴾ ٢٨ في قتلك. ﴿**إنِّي أُرِيدُ أنْ تَبُوءَ**﴾: ترجع ﴿**بإثمِي**﴾: بإثم قتلي، ﴿**وإثمِكَ**﴾ الذي ارتكبته من قبلُ، ﴿**فتَكُونَ مِن أصحابِ النّارِ**﴾، ولا أريد أن أبوءَ بإثمك إذا قتلتك، فأكونَ منهم.

٤ - قال تعالى: ﴿**وذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ**﴾ ٢٩. ﴿**فطَوَّعَتْ**﴾: زيَّنتْ ﴿**لَهُ نَفسُهُ قَتلَ أخِيهِ فقَتَلَهُ، فأصبَحَ**﴾: فصار ﴿**مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ ٣٠ بقتله - ولم يدرِ ما يصنع به، لأنّه أوّل ميّت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره - ﴿**فبَعَثَ اللهُ غُرابًا يَبحَثُ في الأرضِ**﴾: يَنبُش التراب بمِنقاره وبرجلَيه، ويُثيره على غُراب ميّت معه حتّى واراه، ﴿**لِيُرِيَهُ كيفَ يُوارِي**﴾ يسترُ ﴿**سَوءةَ**﴾: جيفةَ ﴿**أخِيهِ؟ قالَ: يا وَيلَتا، أعَجَزتُ**﴾ عن ﴿**أنْ أكُونَ مِثلَ هٰذا الغُرابِ، فأُوارِيَ سَوءةَ أخِي؟ فأصبَحَ مِنَ النّادِمِينَ**﴾ ٣١ على حمله، وحَفَرَ له وواراه.

---

(١) أبدًا أي: مدة الحياة. وداموا أي: بقوا واستمروا. وههنا أي: في هذا المكان. وقاعدون أي: مقيمون لانتقدم للحرب. ورب أي: يا ربي. ولا أملك: لا يجيبني إلى طاعتك. ونفس الإنسان: حقيقته وذاته. وأخوه هو النبي هارون، عليه السلام. وافصل أي: احكم. والقوم: هؤلاء الجماعة. والفاسق: العاصي للأمر.

(٢) محرمة أي: ممنوعة لايصلون إليها. والفراسخ مقدار العرض، وطولها ثلاثون فرسخًا. والفرسخ: قرابة خمسة كيلو مترات. ومن لم يبلغ العشرين: يعني أن من كان دون العشرين من عمره لم يهلك لأنه لم يكن من المكلفين العصاة. وتعيين عدد القوم فيه خرافات. انظر البحر ٣:٤٥٨ والنهر الماد في حاشيته. ورمية بحجر أي: المسافة التي تكون برمية حجر. والحديث في البخاري تحت الرقم ٢٧٤. ونبّئ أي: بُعث نبيًا لتجديد الدعوة. ويوشع هو أحد المذكورَين في الآية ٢٣. والأربعين: يعني مدة بني إسرائيل في التيه. وكان أي: يومُ القتال للجبارين. ووقفت له الشمس يعني: لدعائه بذلك خشية أن تدخل ليلة السبت، فيحرم عليه القتال. وتحبس: توقف. وروى أحمد أي: في المسند ٢:٣٢٥.

(٣) اتل: اقرأ. والحق: الصدق الثابت. انظر «المفصل». وذكرُ الحج هنا ورد بصيغة التمريض في البحر ٣:٤٦١، والمعروف أن الكعبة لم تكن وجدت حينذاك. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٩٦ من سورة آل عمران. وقرّب: قدّم. والقربان: ما يُتقرّب به إلى الله. و«أكلتْ قربانه» يخالف ما سيرد في تفسير الآية ١٠٧ من سورة فاطر. والمتقي: المؤمن يتجنب ماحرّمه الله ويطلب رضاه. وأريد أي: أطلب من الله. وتكون: تصير.

(٤) ذلك أي: الكون من أصحاب النار. والجزاء: العقاب. والظالم: من يتجاوز الحق ويرتكب إحدى الكبائر. والنفس: الضمير والقلب. والخاسر: من فقد الخير وما ينتظر من الكسب. وبعث: وجّهَ. والغراب: طائر يضرب به المثل في السواد والبكور والحذر. ويريه: يعلّمه. والسوءة: ما يسوء الإنسان ويسبب له الشر. ويا ويلتا أي: ياهلاكي تعالَ، فهذا أوان حضورك وحصولك. وعجزت: ضعفت ولم أستطع. والمِثل: المماثل في المعرفة والقدرة. والنادم: من يتأسف ويحزن لِما كان.

الجزء السادس سورة المائدة

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِي سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

١ - ﴿**مِن أجْلِ ذٰلِكَ**﴾ الذي فعله قابيل، ﴿**كَتَبْنا على بَني إسرائيلَ أنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ**﴾: قَتَلَها، ﴿**أو**﴾ بغير ﴿**فَسادٍ**﴾ أتاه ﴿**في الأرضِ**﴾ من كُفرٍ أو زِنًى أو قطعِ طريقٍ ونحوه، ﴿**فكأنَّما قَتَلَ النّاسَ جَميعًا، ومَن أحياها**﴾، بأن امتنع من قتلها، ﴿**فكأنَّما أحيا النّاسَ جَميعًا**﴾. قال ابن عبّاس: من حيثُ انتهاكُ حُرمتِها وصونُها. ﴿**ولَقَد جاءَتْهُم**﴾ أي: بني إسرائيل ﴿**رُسُلُنا بالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات، ﴿**ثُمَّ إنَّ كَثيرًا مِنهُم بَعدَ ذٰلِكَ في الأرضِ لَمُسرِفُونَ**﴾ ٣٢: مجاوزون الحَدَّ بالكُفر والقتل وغير ذلك.

٢- ونزل في العُرَنِيِّينَ، لمّا قَدِموا المدينةَ وهم مرضى، فأذن لهم النبيّ ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلمّا صحُّوا قتلوا راعي النبيّ ﷺ واستاقوا الإبل: ﴿**إنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ**﴾ بمُحاربة المُسلمين، ﴿**ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا**﴾ بقطع الطريق، ﴿**أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيدِيهِم وأرجُلُهُم مِن خِلافٍ**﴾ أي: أيديهم اليُمنى وأرجلُهم اليُسرى، ﴿**أو يُنْفَوا مِنَ الأرضِ**﴾. أو: لترتيب الأحوال. فالقتلُ لمن قَتَلَ فقطْ، والصلبُ لمن قَتَلَ وأخذَ المال، والقطعُ لمن أخذَ المال ولم يَقتل، والنفيُ لمن أخافَ فقطْ. قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ. وأصحّ قوليه أنّ الصلب ثلاثًا بعد القتل، وقيل: قبله قليلًا. ويُلحَق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره.

٣- ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الجزاءُ المذكور ﴿**لَهُم خِزْيٌ**﴾: ذُلّ ﴿**في الدُّنيا، ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ٣٣، هو عذاب النار، ﴿**إلّا الَّذينَ تابُوا**﴾ من المُحاربين والقُطّاع، ﴿**مِن قَبلِ أنْ تَقدِرُوا عليهِم، فاعلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لهم ما أتَوه ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٣٤ بهم. عَبَّرَ بذلك دُون «فلا تَحُدُّوهُم» ليُفيد أنه لا يَسقط عنه بتوبته إلّا حُدودُ الله - تعالى - دُونَ حُقوقِ الآدميِّينَ. كذا ظهرَ لي، ولم أرَ مَن تَعرّضَ له. والله أعلم. فإذا قَتَلَ وأخذَ المالَ يُقتل ويُقطع ولا يُصلب - وهو أصحّ قولَيِ الشافعيّ - ولا تُفيد توبته بعد القُدرة عليه شيئًا. وهو أصحّ قولَيه أيضًا.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ**﴾: خافوا عِقابه بأن تُطيعوه، ﴿**وابتَغُوا**﴾: اطلبوا ﴿**إلَيهِ الوَسِيلَةَ**﴾: ما يُقرّبكم إليه من طاعته، ﴿**وجاهِدُوا في سَبِيلِهِ**﴾ لإعلاء دينه، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ٣٥: تفوزون. ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو**﴾ ثَبَتَ ﴿**أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ، لِيَفتَدُوا بِهِ مِن عَذابِ يَومِ القِيامةِ، ما تُقُبِّلَ مِنهُم، ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٣٦، ﴿**يُرِيدُونَ**﴾: يتمنَّون ﴿**أنْ يَخرُجُوا مِنَ النّارِ، وما هُم بِخارِجِينَ مِنها، ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾ ٣٧: دائم.

---

(١) الأجل: الجناية. وكتبنا: قضينا. وإسرائيل: يعقوب بن إسحاق. وبنوه: ذريته وسلالته. والشأن: الأمر والموضوع. والنفس: الإنسان ذو الروح. وبغير نفس أي: بدون أن يكون المقتول قد استوجب القصاص. والفساد: الإفساد. وبغير نفس أوفساد أي: بغير حق شرعي. وأتاه: فعله وقام به. وأحياها: تسبب في بقائها على الحياة بحق. وجاءتهم: أتتهم. والرسل: جمع رسول. والبينة: الحجة الواضحة. وبعد ذلك أي: بعد مجيء البينات. وفي الأرض أي: حيث حلوا أو أقاموا.

(٢) نزل أي: حكم الآيتين ٣٣ و٣٤. وهو يشمل من يشبه أولئك في الفساد. والعرنيون: المنسوبون إلى قبيلة عُرينة من بني قحطان. انظر «المفصل». والجزاء: العقاب في الدنيا. ويحاربونه أي: يعصُون أحكامه. ويسعى: يسرع. وقطع الطريق: ترقُّب المارين في الطريق لسلب ما معهم. ويُقتّل أي: يحقق فيه القتل. والتصليب: تثبيت المجرم على خشب أو ما يشبهه. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. والخلاف: المخالفة. وينفوا أي: يطردوا. والأرض أي: بلدهم التي هم فيها. وترتيب الأحوال يعني: تقسيم أحوال العقوبة تقسيمًا، موزعًا على حالات المجرمين وجناياتهم. ويلحق أي: أن السجن أو ما يماثله، من إصابة بما يُكرَه ويؤلِم، حكمه حكم النفي أيضًا.

(٣) المذكور أي: في هذه الآية. ولهم أي: للذين يحاربون الله ورسوله. والعذاب: التعذيب للعقوبة والتنكيل. والعظيم: الهائل جدًا لا يقدر قدره. وتابوا: رجعوا عما هم عليه، وطلبوا العفو وردوا ما يمكن رده إلى أصحابه. والقطّاع: جمع قاطع. وهو من يقطع الطريق على الناس للسلب والقتل والإيذاء. وتقدروا عليهم: تتمكنوا منهم بالأسر أو الاعتقال. واعلموا أي: دوموا على الإدراك. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالعفو والإحسان. ولاتحدّوهم أي: لا تقيموا عليهم الحدّ في حقوق الناس. ودون حقوق الآدميين: يعني أن حق ولي المجني عليه يبقى له. وقوله «لم أر من تعرض له» انظر «المفصل».

(٤) تطيعوه أي: فيما أمر ونهى هو ورسوله. وإليه أي: إلى رحمته ورضاه. والوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة. وهي هنا مراعاة سبيل الله، بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة. وجاهدوا أي: ابذلوا نفوسكم وجهودكم وأموالكم، في محاربة أعدائه الظاهرة والكامنة. والذين كفروا أي: المشركون والمرتدون والمعادون من اليهود والنصارى. وما فيها أي: من أصناف المتاع والزينة. ومعه أي: مع ما في الأرض. ويفتدي: يقدم ما ينقذه. واليوم: الوقت. وتقبل منه أي: رُضي به ليُفتدى. والأليم: الشديد الإيلام والتنكيل. ويخرجوا: يتخلصوا وينجوا.

الجزء السادس — سورة المائدة

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

١ - ﴿والسّارِقُ والسّارِقةُ﴾ «أل» فيهما موصولة مبتدأ، ولشَبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فاقطَعُوا أيدِيَهُما﴾ أي: يمينَ كلّ منهما من الكوع - وبيّنَتِ السُّنّة أنّ الذي يُقطع فيه ربعُ دينار فصاعدًا، وأنَّه إن عاد قُطعتْ رِجله اليُسرى من مَفصِل القَدَم، ثمّ اليدُ اليُسرَى ثمّ الرِّجلُ اليُمنى، وبعد ذلك يُعزَّر - ﴿جَزاءً﴾: نصبٌ على المصدر ﴿بِما كَسَبا، نَكالًا﴾: عُقوبةً لهما ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، ﴿حَكِيمٌ﴾ ٣٨ في خلقه.

ربع الحزب ١٢

٢ - ﴿فمَن تابَ مِن بَعدِ ظُلمِهِ﴾: رجَعَ عن السرقة، ﴿وأصلَحَ﴾ عمله، ﴿فإنَّ اللهَ يَتُوبُ عليهِ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٣٩. في التعبير بهذا ما تقدّم، فلا يَسقطُ بتوبته حقُّ الآدميّ من القطع، وردّ المال. نَعَمْ بَيَّنَتِ السُّنّة أنه إن عَفا عنه، قَبْلَ الرفعِ إلى الإمام، سَقطَ القطعُ. وعليه الشافعيّ. ﴿ألَم تعلَمْ﴾ - الاستفهام فيه للتقرير - ﴿أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السّماواتِ والأرضِ، يُعذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه، ﴿ويَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤٠، ومنه التعذيب والمغفرة؟

٣ - ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ، لا يَحزُنْكَ﴾ صُنعُ ﴿الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفْرِ﴾: يقعون فيه بسُرعة، أي: يُظهرونه إذا وجدوا فُرصة، ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿الَّذِينَ قالُوا: آمَنّا، بِأَفواهِهِم﴾: بألسنتهم متعلّق بـ «قالوا»، ﴿ولَم تُؤمِنْ قُلُوبُهُم﴾. وهم المنافقون. ﴿ومِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ قومٌ ﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سَماعَ قَبولٍ، ﴿سَمّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَومٍ﴾: لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَم يأْتُوكَ﴾ - وهم أهل خيبرَ، زنى فيهم مُحصَنانِ فكرهوا رجمهما، فبعثوا قُرَيظةَ ليسألوا النبيَّ عن حكمهما - ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم، ﴿مِن بَعدِ مَواضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي: يبدّلونه، ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إنْ أُوتِيتُم هٰذا﴾ الحُكمَ المحرَّف، أي: الجَلدَ، أي: أفتاكم به مُحمّد ﴿فخُذُوهُ﴾: فاقبلوه، ﴿وإنْ لَم تُؤْتَوهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذَرُوا﴾ أن تقبلوه. ﴿ومَن يُرِدِ اللهُ فِتنَتَهُ﴾: إضلالَه ﴿فلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيئًا﴾ في دفعها. ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَم يُرِدِ اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم﴾ من الكفر - ولو أراده لكان - ﴿لَهُم في الدُّنيا خِزْيٌ﴾: ذُلّ بالفضيحة والجزية، ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ٤١.

---

(١) السارق: الذي أخذ مال غيره مستخفيًا. وموصولة أي: أن «أل»: حرفية موصولة للعاقل. ولشبهه بالشرط: يعني أن المبتدأ المحلّى بـ «أل» الموصولة يشبه الشرط. واقطعوا: ابتروا. والأيدي: جمع يد. والمراد من اليد ما حدده الشرع، وسيذكره السيوطي. والكوع: مفصل الكف عن الساعد. والمراد بالسُّنّة ماجاء في الحديثين ٦٤٠٨ من البخاري و١٦٨٤ من مسلم. وصاعدًا أي: أكثر منه. ويعزر أي: يعاقبه القاضي بما يردعه. والحكم المذكور: انظر «المفصل». والجزاء: مافيه الكفاية من المقابلة للجريمة. وكسبا أي: ربحاه. والنكال: المعاقبة بما يمنع الغير. ومن الله أي: من شرعه وحكمه. والحكيم: ذو الحكمة البالغة.

(٢) بعد ظلمه أي: وبعد نيل العقوبة الشرعية. انظر «المفصل». وأصلحه: جعله كما يريد الشرع. ومن إصلاح العمل أن يرد ما سرق أو يدفع عوضًا منه. ويتوب عليه أي: يتجاوز عنه ويقبل توبته. وغفور رحيم: انظر آخر الآية ٣٤. وما تقدم أي: في تفسير تلك الآية. وعفا: سامح صاحبُ ما سُرق. والرفع أي: رفع القضية إلى القضاء. وتعلم: تدرك باليقين. والتقرير: الإثبات. والمُلك: الحيازة والتصرف. ويعذبه: يعاقبه. ويشاء: يريد. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ عليه. والقدير: المبالغ في الاستطاعة.

(٣) يحزنك: يسبب لك الحسرة والألم. ويسارع: يتعجل. وفرصة: زمنًا يتمكنون به من الظفر. وللبيان: يعني أن «من»: لتبيين الجنس المقصود بـ «الذين» المتقدم. والأفواه: جمع فم. ومتعلق يعني: بأفواه. وتؤمن: تعرف التوحيد وما يلزمه. والقلوب: جمع قلب. وهاد: تحرّى طريق اليهودية. وسمّاع للكذب أي: يتتبع الكذب ويطلبه دائمًا. والمراد بنو قُريظة والنَّضير، كما ذكر الكواشي في التلخيص، وهم يهود من ذرية هارون، كانوا مسالمين للنبي ﷺ وجواسيس ليهود خيبر. والقوم: الجماعة من الناس. ولم يأتوك أي: لم يحضروا مجلسك لبغضهم وتكبرهم. والمحصنان: يهودي متزوج ويهودية متزوجة، كانا من أشرافهم. انظر تفسير الآية ١٥ والمفصل. والكلم: واحدته كلمة. والمواضع: جمع موضع. وهو المكان المعيَّن يكون للشيء. وفي الأصل: «عن مواضعه التي وضعه»، كما في الكشاف والتلخيص. وانظر الآية ١٣. ويقولون لهم أي: يخاطبونهم آمرين. وأوتيتم: أعطيتم وأُمرتم. وتؤتوه أي: تُعطَوه وتؤمروا به. واحذروا: تجنبوا وامتنعوا. ويريد: يحكم ويقضي. وقول السيوطي «إضلاله» من التلخيص. وفي الوجيز: «ضلاله»، وفي البيضاوي: «ضلالته». وهما أولى مما ذكره السيوطي، لأن المراد بالفتنة افتتان العبد نفسِه، أي: انصرافه عن الحق لسوء استعداده وتوجهه، وفساد قلبه كما سيرد بعد. وهو مما يوصف به العبد وتتعلق به إرادة الله. الفتوحات ١: ٤٩١. وتملكه: تستطيعه وتتصرف فيه باقتدار. ومن الله أي: من إرادته وتوفيقه. وأولئك أي: المنافقون واليهود المذكورون في هذه الآية. ويطهرها أي: ينقيها ويخلصها. والعظيم: الضخم جدًا لا يقدر قدره.

١- هم ﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ أكّالُونَ لِلسُّحُتِ﴾ - بضمّ الحاء وسكونها - أي: الحرام كالرُّشا. ﴿فإنْ جاؤُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكُمْ بينَهُم، أو أعرِضْ عنهُم﴾ - هذا التخيير منسوخ بقوله «وأنِ احكُمْ بَينَهُم» الآيةَ، فيجب الحُكم بينهم إذا ترافعوا إلينا. وهو أصحّ قولَي الشافعيّ. فلو ترافعوا إلينا مع مُسلم وجب إجماعًا - ﴿وإنْ تُعرِضْ عنهُم فلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا! وإنْ حَكَمتَ﴾ بينهم ﴿فاحكُمْ بَينَهُم بالقِسطِ﴾: بالعدل. ﴿إنّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ ٤٢: العادلين في الحكم، أي: يُثيبهم. ﴿وكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ، وعِندَهُمُ التَّوراةُ فِيها حُكمُ اللهِ﴾ بالرجم - استفهام تعجيب - أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحقّ بل ما هو أهوَنُ عليهم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّونَ﴾: يُعرِضون عن حُكمِك بالرجم الموافقِ لكتابهم، ﴿مِن بَعدِ ذٰلِكَ﴾ التحكيم؟ ﴿وما أُولٰئِكَ بالمُؤمِنِينَ﴾ ٤٣.

٢- ﴿إنّا أنزَلنا التَّوراةَ، فِيها هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿ونُورٌ﴾: بيان للأحكام، ﴿يَحكُمُ بِها النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أسلَمُوا﴾: انقادوا لله، ﴿لِلَّذِينَ هادُوا، والرَّبّانِيُّونَ﴾: العلماء منهم ﴿والأحبارُ﴾: الفُقهاء ﴿بِما﴾ أي: بسبب الذي ﴿استُحفِظُوا﴾: استُودِعُوه أي: استَحفظَهم اللهُ إيّاه ﴿مِن كِتابِ اللهِ﴾ أن يُبدِّلوه، ﴿وكانُوا علَيهِ شُهَداءَ﴾ أنه حقّ. ﴿فلا تَخشَوُا النّاسَ﴾ - أيُّها اليهود - في إظهار ما عِندكم من نعتِ مُحمّد والرجم وغيرهما، ﴿واخشَوني﴾ في كِتمانه، ﴿ولا تَشتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بآياتي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها. ﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولٰئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾ ٤٤ به.

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٣- ﴿وكَتَبْنا﴾: فرضنا، ﴿علَيهِم فيها﴾ أي: التوراةِ، ﴿أنَّ النَّفْسَ﴾ تُقتل ﴿بالنَّفْسِ﴾ إذا قَتلَتْها، ﴿والعَينَ﴾ تُفقأ ﴿بالعَينِ، والأنفَ﴾ يُجدع ﴿بالأنفِ، والأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بالأُذُنِ، والسِّنَّ﴾ تُقلع ﴿بالسِّنِّ﴾ - وفي قراءة بالرفع في الأربعة - ﴿والجُرُوحَ﴾، بالوجهين، ﴿قِصاصٌ﴾ أي: يُقتصّ فيها إن أمكن، كاليدِ والرِّجلِ والذَّكرِ ونحو ذلك، وما لا يُمكن فيه الحُكومةُ. وهذا الحُكم، وإن كُتب عليهم، فهو مقرّر في شرعنا. ﴿فمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقِصاص، بأن مَكّن من نفسه، ﴿فهُوَ كَفّارةٌ لَهُ﴾: لِما أتاه، ﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ﴾، في القِصاص وغيره، ﴿فأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ ٤٥.

---

(١) الكذب: الباطل من القول. وأكّال: كثير الأخذ جشعًا. والمراد أنهم يُشجعون على الكذب ويأخذون الرشا للحكم بالباطل. والرشا: جمع رُشوة. وهي مايُدفع إلى ولي أمر لإبطال حق أو إحقاق باطل. ومنذ قرنين، أصدر السلطان محمود أمرًا بمعاقبة الراشي والمرتشي والرائش بينهما. انظر تفسير الآلوسي ٦: ٢٠٦ وتعليقنا على تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة. وبسكونها يريد القراءة «لِلسُّحْتِ». وهو المال المقطوع البركةِ. واحكم: افصل. وأعرض: انصرف. والآية يعني: ذات الرقم ٤٩. وترافعوا إلينا أي: احتكموا إلى المسلمين. انظر «المفصل». ولن يضروك أي: لن يسببوا لك أذى. ومعنى يحبهم: يودهم ويريد لهم الخير. ويحكمونك: يطلبون منك الحكم في زنى المُحصنين. وأولئك أي: اليهود المذكورون قبل. ونفي الإيمان أي: بكتابهم وما يوافقه من الشرائع.

(٢) أنزلنا: أوحينا. والهدى: الدلالة على الحق. والنور: الضياء يُكشف به ما خفي. ويحكم: يقضي. وبها أي: بما فيها. والأنبياء هنا هم الذين جاؤوا بعد موسى. وهادوا: طلبوا طريقة اليهودية. والرباني: المنسوب إلى الرب. والأحبار: جمع حَبر. واستحفظهم: جعلهم حفَظة وعاملين. وأن يبدلوه أي: كراهة أن يبدلوا شيئًا من لفظه أو معناه. والشهداء: جمع شهيد، يقر بما هو معلوم، مع الحماية من التغيير. وعليه أي: على كتاب الله. وتخشوا: تخافوا. ونعت محمد أي: ما وُصف به في التوراة. والرجم: حكم الرجم للزاني المُحصَن. واخشوني: خافوني وحدي. وفيما عدا الأصل وخ وع: «واخشَونِ» بحذف ياء المتكلم تخفيفًا. والثمن: العوض. وقال ابن عباس ومجاهد: «من لم يحكم بما أنزل الله، ردًا للقرآن، وجحدًا لقول الرسول ﷺ فهو كافر». والمراد به عموم المسلمين وغيرهم. وكذلك حكم ختام الآيتين التاليتين. يعني: أن الوصف بالظلم والفسق يضاف إلى الكفر فيمن حكم بغير شريعة الله أو طلب ذلك.

(٣) عليهم: على الذين هادوا. والنفس: الإنسان الحي. وتقتل: تزهق ويصار إلى مفارقة الروح للجسد. وإذا قتلتها أي: إذا كانت النفس الأولى قَتلت النفس الثانية بغير حق. والعين: عضو الإبصار. وتفقأ: تقلع وتخرج. والأنف: عضو التنفس والشم. ويجدع: يقطع. والأذن: عضو السمع. والسن: القطعة العظمية تنبت في الفك. وفي الأربعة أي: في المواضع الأربعة «و العينُ... والأنفُ... والأذنُ... والسِّنُّ». والجروح: جمع جُرح. وهو الشق في البدن. وبالوجهين يريد: قراءتَي النصبِ كما أثبتنا والرفعِ: «والجُرُوحُ». والقصاص: معاقبة الجاني بمثلما فعل. وإنْ أمكن أي: إن أمكن القصاص فيها. وما لايمكن فيه الحكومة يعنى: الذي لايمكن فيه القصاصُ يجب فيه الحكم بما يناسب ما نقص من المجني عليه. وذلك نحو رضّ في اللحم أو كسر في العظم أو جرح في البطن. وتصدق أي: اعترف وأقرّ، ونُفذت فيه العقوبة. و«هو» أي: التصدق. والكفارة: ما يغطي الإثم ويزيل عقوبته يوم القيامة. وما أتاه أي: ما فعل من الجرم. والظالم: الجائر في الحكم والمخالف للحق والعدل. وانظر تعليقنا على آخر الآية ٤٤.

الجزء السادس سورة المائدة

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤٧ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠

١ - ﴿**وقَفَّينا**﴾: أتبَعْنا ﴿**على آثارِهم**﴾ أي: النبيِّينَ ﴿**بعِيسَى بنِ مَريَمَ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيه**﴾: قبلَه ﴿**مِنَ التَّوراةِ، وآتيناهُ الإنجيلَ فِيهِ هُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**ونُورٌ**﴾: بيان للأحكام، ﴿**ومُصَدِّقًا**﴾: حال ﴿**لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّوراةِ**﴾، لما فيها من الأحكام، ﴿**وهُدًى ومَوعِظةً لِلمُتَّقِينَ ٤٦، و**﴾ قلنا: ﴿**لِيَحكُمْ أهلُ الإنجِيلِ بِما أنزَلَ اللهُ فِيهِ**﴾ من الأحكام. وفي قراءة بنصبِ «يَحكُمَ» وكسرِ لامه عطفًا على معمول «آتيناه». ﴿**ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ٤٧.

٢ - ﴿**وأنزَلْنا إلَيكَ**﴾ - يا محمّد - ﴿**الكِتابَ**﴾: القرآنَ ﴿**بالحَقِّ**﴾: متعلّق بـ«أنزلنا»، ﴿**مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيه**﴾: قبلَه ﴿**مِنَ الكِتابِ، ومُهَيمِنًا**﴾: شاهدًا ﴿**علَيهِ**﴾. و«الكتابِ» بمعنى الكُتب. ﴿**فاحكُمْ بَينَهُم**﴾: بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك، ﴿**بِما أنزَلَ اللهُ**﴾ إليك، ﴿**ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم**﴾ عادلًا ﴿**عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ. لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكُم**﴾ - أيّها الأمم - ﴿**شِرْعَةً**﴾: شريعة ﴿**ومِنهاجًا**﴾: طريقًا واضحًا في الدِّين يمشون عليه، ﴿**ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمّةً واحِدةً**﴾ على شريعة واحدة، ﴿**ولكِنْ**﴾ فرّقكم فِرَقًا ﴿**لِيَبلُوَكُم**﴾: لِيَختبِرَكم ﴿**فِيما آتاكُم**﴾ من الشرائع المختلفة، لينظر المُطيعَ منكم والعاصيَ. ﴿**فاستَبِقُوا الخَيراتِ**﴾: سارعوا إليها. ﴿**إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا**﴾ بالبعثِ، ﴿**فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ ٤٨ من أمر الدين، ويَجزي كُلًّا منكم بعمله.

٣- ﴿**وأنِ احكُمْ بَينَهُم بِما أنزَلَ اللهُ، ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم واحذَرْهُم**﴾، لِـ ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**يَفتِنُوكَ**﴾: يُضِلّوك ﴿**عَن بَعضِ ما أنزَلَ اللهُ إلَيكَ. فإن تَوَلَّوا**﴾ عن الحُكم المُنزَل، وأرادوا غيره، ﴿**فاعلَمْ أنَّما يُرِيدُ اللهُ أنْ يُصِيبَهُم**﴾ بالعُقوبة في الدنيا ﴿**بِبَعضِ ذُنُوبِهِم**﴾ التي أتَوها - ومنها التولّي - ويُجازيَهم على جميعها في الأُخرى - ﴿**وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ ٤٩ - أفحُكمَ الجاهِلِيّةِ يَبغُونَ**﴾، بالياء والتاء: يطلبون من المُداهنة والمَيل، إذ تولَّوا؟ استفهام إنكار، ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أحسَنُ مِنَ اللهِ حُكمًا، لِقَومٍ**﴾: عند قوم ﴿**يُوقِنُونَ**﴾ ٥٠ به؟ خُصّوا بالذكر لأنهم الذين يتدبّرونه.

---

(١) الآثار: جمع أثر. وأثر الشيء: عقبه ومابعده. وقفينا به على آثارهم أي: بعثناه بعدهم على أثرهم. و«النبيين» تفسيرللضمير في «آثارهم». يعني: على آثار النبيين المتقدمين. وعيسى: الرسول الذي زعم اليهود أنهم صلبوه. والمصدق: المؤيد أن ماقبله هو من عند الله. وتصديق الصادق من صفات الأنبياء والصالحين. و«قبله» تفسير لـ «بين يديه». والتوراة: كتاب اليهود. وآتيناه: أوحينا إليه. والإنجيل: كتاب النصارى. والهدى: الهداية والإرشاد إلى الحق والخير. والنور: الضياء يكشف ما تشابه. وقوله «حال» كذا. والواو: للعطف. انظر «المفصل». وهدى وموعظة أي: هاديًا وواعظًا، يوجّه وينصح ويذكّر بالعواقب للمطيع والعاصي. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب رضاه بالصلاح والطاعة. وأهل الإنجيل: النصارى. وأنزل أي: أوحاه على لسان جبريل. وفيه أي: في الإنجيل. وبالنصب يريد القراءة «لِيَحكُمَ». والفاسق: الذي خرج وتمرد على حكم الله. وانظر تعليقنا على ختام الآية ٤٤.

(٢) الحق: الصدق الثابت. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٧. وبما أنزل الله إليك أي: من الأحكام الموافقة لِما كان قبلك أو الناسخة له. وتتبع: توافق وتطيع. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تميل إليه النفس من الشهوات، أي: لاتوافق أغراضهم الفاسدة. وعادلًا أي: مائلًا. وجاءك: وصل إليك بالوحي. ولكل أي: لكل قوم منكم. وجعلنا: وضعنا. والشرعة والشريعة: الدين. والمراد أن كل قوم له شريعة خاصة به، مع اتفاق جميع الشرائع في الأصول، والاختلاف في بعض الفروع. وشاء أي: أراد وحدتكم. وجعل: صيّر. والأمة: الجماعة من الناس على دين واحد. أي: لو أراد الله أن تكونوا أمة واحدة لصيّركم جماعة متفقة على دين واحد أبدًا. وآتاكم: أعطاكم وكلّفكم. والخيرات: الأعمال الصالحة التي نزلت بها الكتب السماوية. وإلى الله أي: إلى لقاء حسابه. وجميعًا أي: مجتمعين لايتخلف منكم أحد. وينبئ: يخبر ويطلع. وتختلفون: تتنازعون وتختصمون.

(٣) عن ابن عباس أن بعض أحبار اليهود أرادوا خداع النبي ﷺ، فقالوا له: إن اتبعناك اتبعَنا اليهودُ، وإنّ بيننا وبين قوم خصومة، ونحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك. فأبى النبي ذلك، فنزلت الآيتان تثبيتًا له. انظر «المفصل». واحذرهم أي: احترز منهم. ويضلوك: يصرفوك. والبعض: الجزء من الشيء، ولو كان قليلًا جدًا. والمُنزَل: الموحَى. وتولوا: أعرضوا وامتنعوا. واعلم أي: فليكن في علمك. ويريد: يشاء ويقضي. ويصيبهم: ينزل بهم. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية التي تستوجب العقوبة. وأتوها: فعلوها. والتولي: الإعراض عن حكم الله. أي: إن أعرضوا عن الحكم بالحق والإيمان فإن ذلك لإرادة الله تعجيلَ العقوبة لهم. والفاسق: المتمرد في الكفر. والحكم: الفصل في الخصومات. والجاهلية: أديان الناس قبيل الإسلام، تقوم على الشهوات والأوهام والظلم، وقد تكون بين المسلمين وغيرهم بعد. وبالتاء يريد القراءة «تَبغُونَ»، خطابًا لليهود ومن شابههم. والمداهنة: بذل الدين لأجل الدنيا. وهي عكس المداراة، أي: بذل الدنيا لإصلاح الدين. والميل أي: مع الهوى والشهوات. وأحسن: أجود وأعدل وأعم نفعًا. والقوم: الجماعة من الناس. ويوقنون به أي: يعلمون علم اليقين حسن أحكام الله ويتبينون عدله المطلق. ويتدبرونه يعني: من أيقن بإيمان مطمئن تدبر ذلك وعلم حقيقته.

الجزء السادس — سورة المائدة

۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ١٢

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أولياءَ**﴾، تُوالونهم وتُوادّونهم. ﴿**بَعضُهُم أولياءُ بَعضٍ**﴾ لاتّحادهم في الكُفر، ﴿**ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فإنَّهُ مِنهُم**﴾: من جُملتهم. ﴿**إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ٥١ بمُوالاة الكُفّار، ﴿**فتَرَى الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: ضعفُ اعتقاد، كعبد الله بن أُبيّ، ﴿**يُسارِعُونَ فِيهِم**﴾: في مُوالاتهم، ﴿**يَقُولُونَ**﴾ مُعتذرين عنها: ﴿**نَخشَى أن تُصِيبَنا دائِرةٌ**﴾ يدورُ بها الدهر علينا من جدب أو غلبة، ولا يتمّ أمر محمّد فلا يَميرونا.

٢- قال تعالى: ﴿**فعَسَى اللهُ أن يأتِيَ بالفَتحِ**﴾: بالنصر لنبيّه لإظهار دينه، ﴿**أو أمرٍ مِن عِندِهِ**﴾ بهتك سِتر المنافقين وافتضاحهم، ﴿**فيُصبِحُوا على ما أسَرُّوا في أنفُسِهِم**﴾ من الشكّ ومُوالاة الكُفّار ﴿**نادِمِينَ**﴾ ٥٢. **ويَقُولُ**﴾ - بالرفع استئنافًا بواوٍ ودونها، وبالنصب عطفًا على «يأتيَ» - ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لبعضهم إذا هَتَكَ سِترَهم تعجّبًا: ﴿**أهؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمُوا باللهِ جَهدَ أيمانِهِم**﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿**إنَّهُم لَمَعَكُم**﴾ في الدِّين؟ قال تعالى: ﴿**حَبِطَتْ**﴾: بَطَلَتْ ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحة، ﴿**فأصبَحُوا**﴾: صاروا ﴿**خاسِرِينَ**﴾ ٥٣ الدُّنيا بالفضيحة، والآخرةَ بالعِقاب!

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، مَن يَرتَدِدْ**﴾، بالفكّ والإدغام: يَرجِعْ ﴿**مِنكُم عَن دِينِهِ**﴾ إلى الكُفر - إخبارٌ بما علم الله تعالى وقوعَه منهم. وقد ارتدّ جماعة بعد موت النبيّ ﷺ - ﴿**فسَوفَ يأتِي اللهُ**﴾ بدَلَهم ﴿**بِقَومٍ، يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ**﴾ - قال ﷺ: «هُم قَومُ هٰذا» وأشار إلى أبي مُوسى الأشعريّ. رواه الحاكم في صحيحه - ﴿**أذِلَّةٍ**﴾: عاطِفِينَ ﴿**على المُؤمِنِينَ، أعِزَّةٍ**﴾: أشدّاءَ ﴿**على الكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَخافُونَ لَومةَ لائمٍ**﴾ فيه، كما يخاف المُنافقون لوم الكُفّار. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ المذكور من الأوصاف ﴿**فَضلُ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ**﴾: كثير الفضل، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٥٤ بمن هو أهله.

٤- ونزل، لمّا قال ابن سلام: «يا رسولَ اللهِ، إنّ قومَنا هَجَرُونا»: ﴿**إنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم راكِعُونَ**﴾ ٥٥: خاشعون، أو مُصلّون صلاةَ التطوّع، ﴿**ومَن يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ - فيُعينُهم وينصرُهم - ﴿**فإنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ**﴾ ٥٦ لنصره إيّاهم. أوقعه موقع «فإنّهم» بيانًا لأنهم من حزبه، أي: أتباعِه. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُوًا**﴾: مهزوءًا به ﴿**ولَعِبًا، مِنَ**﴾ - للبيان - ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم والكُفّارِ**﴾: المشركينَ - بالجرّ والنصبِ - ﴿**أولِياءَ، واتَّقُوا اللهَ**﴾ بترك مُوالاتهم، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٥٧: صادقين في إيمانكم، ﴿**و**﴾ الذين ﴿**إذا نادَيتُم**﴾ دعوتم ﴿**إلى الصَّلاةِ**﴾ بالأذان ﴿**اتَّخَذُوها**﴾ أي: الصلاةَ ﴿**هُزُوًا ولَعِبًا**﴾، بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الاتّخاذ ﴿**بِأنَّهُم**﴾: بسبب أنهم ﴿**قَومٌ لا يَعقِلُونَ**﴾ ٥٨.

---

(١) تتخذوا: تجعلوا. انظر «المفصل». والأولياء: جمع ولي. وهو الذي يتولى أمورك، ويوجهك ويتحكم في شؤونك. ومن جملتهم أي: من أهل دينهم. ولايهديه أي: لايرشده إلى طريق الإيمان والصلاح. والظالمون: الذين نافقوا بموالاة الكفار. وترى: تبصر. والقلوب: جمع قلب. ويسارع: يتعجل. وتصيبنا: تنزل بنا. والدائرة: المصيبة العظيمة. ويميرونا أي: يعطيَنا الكفارُ المِيرة. وهي مايكون للطعام والشراب.

(٢) يأتي به: يخلقه. والأمر: الخلق للأشياء. ويصبحوا أي: يصير المنافقون. وأسروا: أضمروا. والنفس: القلب. ودونها أي: بدون واو. يريد: «ويقولُ»، «يقولُ»، «ويقولَ». و«لبعضهم»: خطأ في التعبير. انظر «المفصل». وأقسم: حلف. وجهدَ أي: بَذْلَ أقصى القدرة. والأيمان: جمع يمين. وهي القسَم. والأعمال: جمع عمل. والصالحة أي: بحسب الظاهر. والخاسر: من ضيّع ما كان ينتظره.

(٣) الفك: إظهار الدالين في اللفظ. وبالإدغام يريد القراءة «يَرتَدَّ». وما زال الارتداد يستفحل باسم التنصير والاستعمار والعَولمة. ويأتي بهم أي: يهيئهم. ويحبهم: يودهم ويثيبهم. ويحبونه أي: يودونه فيطلبون رضاه. و«رواه» انظر المستدرك ٢: ٣١٣ والمفصل. وأذلة: جمع ذليل. وأعزة: جمع عزيز. ويجاهد: يبذل أقصى ما يملك. وفي سبيله أي: لأجله. والفضل: التفضل والإحسان. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء أي: يريد إيتاءه. والعليم: البالغ الإحاطة والتقدير والإحكام.

(٤) عبد الله بن سلام أحد علماء اليهود أسلم. انظر «المفصل». والولي: الذي يرعى المصالح. ويقيمونها: يؤدونها بشروطها وأركانها وآدابها. ويؤتون الزكاة: يدفعون ما يجب على أموالهم، تطهيرًا لها وللنفس. ويتولى الله: يختاره وليًا يعبده وحده. وحزبه: جنده وأنصاره. والغالبون: المنتصرون بالقوة أو بالحجة. ونصره إياهم: عونه لهم. وأوتوا: أُعطوا. والكفار: جمع كافر. وبالنصب يريد القراءة «والكُفّارَ». واتقوه أي: تجنبوا سخطه واطلبوا رضاه. وروي أن بعض النصارى واليهود والمشركين كانوا، إذا سمعوا الأذان للصلاة، يستهزئون ويتضاحكون، فنزلت الآية. الدر المنثور ٢: ٢٩٤. ودعوتم أي: دعا بعضكم بعضًا. ولايعقلون أي: لا عقول لهم تفكر، فهم في سفه وجهل.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

١- ونزل، لمّا قال اليهود للنبيّ ﷺ: «بمن تُؤمن من الرُّسل»؟ فقال: «باللهِ وما أُنزِلَ إلَينا» الآيَةَ، فلمّا ذَكر عيسى قالوا: «لا نعلم دِينًا شرًّا من دينكم»: ﴿**قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، هَل تَنقِمُونَ**﴾: تُنكرون ﴿**مِنّا إلّا أنْ آمَنّا بِاللهِ، وما أُنزِلَ إلَينا وما أُنزِلَ مِن قَبلُ**﴾ إلى الأنبياء، ﴿**وأنَّ أَكثَرَكُم فاسِقُونَ**﴾؟ **٥٩** عطفٌ على «أنْ آمَنّا». المعنى: ما تُنكرون إلّا إيمانَنا ومُخالفتَكم في عدمِ قبوله، المعبَّرِ عنه بالفسق اللازم عنه. وليس هذا ممّا يُنكَر.

٢- ﴿**قُلْ: هَل أُنبِّئُكُم**﴾: أُخبِرُكم ﴿**بِشَرٍّ مِن**﴾ أهلِ ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الذي تَنقِمُونه، ﴿**مَثُوبَةً**﴾: ثوابًا بمَعنى: جزاءً ﴿**عِندَ اللهِ**﴾؟ هو ﴿**مَن لَعَنَهُ اللهُ**﴾: أبعده من رحمته ﴿**وغَضِبَ علَيهِ، وجَعَلَ مِنهُمُ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ**﴾ بالمَسخ، ﴿**و**﴾ مَن ﴿**عَبَدَ الطّاغُوتَ**﴾: الشيطان بطاعته. وراعَى في «منهم» معنى «مَن» وفيما قبله لفظها - وهم اليهود - وفي قراءةٍ بضمِّ باء «عَبُدَ» وإضافتِه إلى ما بعده، اسم جمع لعَبْد، ونصبُه بالعطف على «القِردةَ». ﴿**أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكانًا**﴾: تمييزٌ، لأنَّ مأواهم النار، ﴿**وأَضَلُّ عَن سَواءِ السَّبِيلِ**﴾ ٦٠: طريق الحقّ. وأصل السواء: الوسَط. وذُكِرَ «شرّ وأضَلّ» في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم.

٣- ﴿**وإذا جاؤُوكُم**﴾ أي: منافقو اليهود ﴿**قالُوا: آمَنّا، وقَد دَخَلُوا**﴾ إليكم مُلتبسين ﴿**بِالكُفرِ، وهُم قَد خَرَجُوا**﴾ من عِندكم مُلتبسين ﴿**بِهِ**﴾، ولم يؤمنوا - ﴿**واللهُ أعلَمُ بِما كانُوا يَكتُمونَـ**﴾ ٦١ـه من النفاق - ﴿**وتَرَى كَثِيرًا مِنهُم**﴾ أي: اليهودِ ﴿**يُسارِعُونَ**﴾: يقعون سريعًا ﴿**في الإثمِ**﴾: الكذب، ﴿**والعُدوانِ**﴾: الظُّلم، ﴿**وأكلِهِم السُّحُتَ**﴾ الحرامَ كالرُّشا. ﴿**لَبِئسَ ما كانُوا يَعمَلُونَـ**﴾ ٦٢ـه عملُهم هذا! ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**يَنهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ والأحبارُ**﴾ منهم، ﴿**عَن قَولِهِم الإثمَ**﴾: الكذبَ ﴿**وأكلِهِم السُّحُتَ. لَبِئسَ ما كانُوا يَصنَعُونَـ**﴾ ٦٣ـه تركُ نهيهم!

٤- ﴿**وقالَتِ اليَهُودُ**﴾، لمّا ضُيِّق عليهم بتكذيبهم النبيَّ، بعد أن كانوا أكثر الناس مالًا: ﴿**يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ**﴾: مقبوضة عن إدرار الرزق علينا - كنَوا به عن البُخل - تعالى عن ذلك. قال تعالى: ﴿**غُلَّتْ**﴾: أُمسِكَتْ ﴿**أيدِيهِم**﴾ عن فِعل الخيرات، دُعاءً عليهم، ﴿**ولُعِنُوا بِما قالُوا. بَل يَداهُ مَبسُوطَتانِ**﴾: مُبالغةٌ في الوصف بالجود. وثَنَّى اليدَ لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخيّ من ماله أن يُعطيَ بيديه. ﴿**يُنفِقُ كَيفَ يَشاءُ**﴾ من توسيع وتضييق؟ لا اعتراض عليه. ﴿**ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ**﴾، من القُرآن، ﴿**طُغيانًا وكُفرًا**﴾ لكُفرهم به. ﴿**وألقَينا بَينَهُمُ العَداوةَ**

---

(١) الآية أي: ذات الرقم ١٣٦ من سورة البقرة. وأهل الكتاب: اليهود. وتنكرون أي: وتكرهون وتعيبون. ومنّا أي: من صفاتنا وأحوالنا. وآمن: صدّق مع اعتقاد يقيني. وأُنزل: أُوحي من عند الله. ومن قبل أي: من قبل القرآن. والفاسق: الخارج عن الإيمان.

(٢) شرّ أي: أكثر ضررًا. وغضب عليه: سخط عليه فأراد عقابه. وجعل: صيّر. والقردة: جمع قرد. والخنازير: جمع خِنزير. والمَسخ: تحويل صورة الشيء إلى أقبح منها. والمراد هنا أصحاب السبت وكفار أهل المائدة. انظر الآيات ١١٢-١١٥ من هذه السورة و١٦٣-١٦٦من سورة الأعراف. وعبده: اتخذه إلٰهًا. وكل من أطاع أحدًا في معصية الله فقد عبده. والطاغوت: الكثير الطغيان. فالشيطان أول الطواغيت. واليهود أي: والنصارى. وبضم الباء يريد القراءة «عَبُدَ الطّاغُوتِ». والمكان: المنزلة يوم القيامة. وأضل: أكثرُ بعدًا. والسبيل: الطريق الواضح. والوسط: المعتدل.

(٣) جاؤوكم: لقوكم. انظر «المفصل». وآمنا أي: صدّقْنا الله ورسوله باعتقاد جازم. ودخلوا إليكم أي: واجهوكم وقابلوكم. والكفر: التكذيب. وأعلم: أكثر إحاطة منكم ومنهم. ويكتمون: يسترون. وتراهم: تبصرهم عِيانًا. والإثم: الذنب يكون عليه عقاب. والأكل: التناول بانهماك وجشع. والرشا: جمع رشوة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة. والسحت: المال المستأصَل من جذوره. وبئس أي: تجاوز الحد في السوء والبؤس والشر. ويعملون أي: يكتسبون من نية أو قول أو فعل. وينهى: يمنع. والرباني: العابد المنسوب إلى الرب. والأحبار: جمع حَبر. وهو العالِم المتقن. وكانوا أي: وما زالوا. يعني الربانيين والأحبار. ويصنع: يعمل بانهماك وخبرة.

(٤) ضيق عليهم: انظر «المفصل». وإذا كان اليهود يقصدون بقولهم اليد نفسها فهم ينطلقون من مذهبهم في التجسيم. انظر فتح القدير ٢:٨٣ والبحر ٣:٥٢٢-٥٢٣. ولعنوا: طردوا من رحمة الله، فكانوا شياطين البشر. وبما قالوا أي: بسبب قولهم المنكر. ومبسوطة: مفتوحة مطلقة. وينفق: يعطي ويرزق. ويشاء أي: يريد الإنفاق. ويزيده أي: يضيف إليه. وكثيرًا منهم أي: الأحبار ومن يجاريهم. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل. ومن ربك أي: من عنده بأمره. والطغيان: تجاوز الحد بالعصيان. والكفر: الإنكار للحق. وألقينا: رسّخنا. وبينهم أي: بين فِرق اليهود وجماعاتهم. ولكنهم لحرب المسلمين يكونون قلبًا واحدًا في الظاهر. والعداوة: مبالغة المعاداة. والبغضاء: مبالغة التباغض. والقيامة: بعث الناس للحساب. وأوقد: أثار بالتحريض. والحرب: المحاربة. وأطفأها: أخمدها. أي: كلما أرادوا حرب المؤمنين تخاذلوا وغُلبوا. وهذا شأنهم في التاريخ كله، بخلاف ما يكونون فيه من محاربة لضعاف الإيمان وشعارات فارغة، كما هو الحال في هذه الأيام بين الدول الإسلامية. ويسعى: يجتهد. والفساد: إشاعة الشر. وبالمعاصي أي: الجرائم والفواحش، في الكيد للإسلام والمسلمين، والتضليل لمن في الأرض جميعًا. ولا يحبه أي: يبغضه فلا يجازيه إلّا شرًّا بما كسب، ويكف عدوانه ومفاسده عن المؤمنين.

والبَغضاءَ إلى يَومِ القِيامةِ﴾. فكلّ فِرقة منهم تُخالف الأُخرى. ﴿كُلَّما أوقَدُوا نارًا لِلحَربِ﴾ أي: لحرب النبيّ ﴿أطفأَها اللهُ﴾ أي: كلمّا أرادوه ردَّهم. ﴿ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا﴾ أي: مُفسدين بالمعاصي. ﴿واللهُ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ﴾ ٦٤ بمعنى أنه يُعاقبهم.

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

١- ﴿ولَو أنَّ أهلَ الكِتابِ آمَنُوا﴾ بمُحمّد، ﴿واتَّقَوا﴾ الكُفرَ، ﴿لَكَفَّرْنا عَنهُم سَيِّئاتِهِم، ولَأدخَلْناهُم جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٦٥، ﴿ولَو أنَّهُم أقامُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ﴾ بالعملِ بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبيّ، ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِم﴾ من الكُتب ﴿مِن رَبِّهِم، لَأكَلُوا مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم﴾، بأن يُوسَّع عليهم الرزقُ ويَفيض من كُلّ جهة. ﴿مِنهُم أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿مُقتَصِدةٌ﴾ تعمل به - وهم مَن آمنَ بالنبيّ ﷺ، كعبد الله بن سلام وأصحابه - ﴿وكَثِيرٌ مِنهُم ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما﴾ شيئًا ﴿يَعمَلُونَـ﴾ ٦٦ـه!

٢- ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ، بَلِّغْ﴾ جميع ﴿ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾، ولا تكتم شيئًا منه خوفًا أن تُنال بمكروه - ﴿وإن لَم تَفعَلْ﴾ أي: لم تُبلّغ جميع ما أُنزل إليك ﴿فما بَلَّغتَ رِسالَتَهُ﴾، بالإفراد والجمع، لأنّ كِتمان بعضها ككتمان كُلّها - ﴿واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ أن يقتلوك. وكان ﷺ يُحرَس حتّى نزلتْ، فقال: «انصرِفُوا فقد عَصَمَني اللهُ». رواه الحاكم. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾ ٦٧.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

٣- ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لَستُم على شَيءٍ﴾ من الدِّين مُعتدٍّ به، ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ، وما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾، بأن تعملوا بما فيه. ومنه الإيمانُ بي. ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾، من القُرآن، ﴿طُغيانًا وكُفرًا﴾ لِكُفرهم به. ﴿فلا تأسَ﴾: تحزنْ ﴿على القومِ الكافِرِينَ﴾ ٦٨، إن لم يُؤمنوا بك، أي: لا تهتمَّ بهم. ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، والَّذِينَ هادُوا﴾ هم اليهود: مبتدأ ﴿والصّابِئُونَ﴾: فرقة منهم ﴿والنَّصارَى،﴾ ويُبدل من المبتدأ ﴿مَن آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وعَمِلَ صالِحًا، فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ ٦٩ في الآخرة: خبر المبتدأ، ودالّ على خبر «إنّ».

٤- ﴿لَقَد أخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله، ﴿وأرسَلْنا إلَيهِم رُسُلًا، كُلَّما جاءَهُم رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِما لا تَهوَى أنفُسُهُم﴾ من

(١) أهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. وآمنوا به أي: صدّقوه معتقدين. واتقوا: تجنبوا. وكفّر: ستر وغفر. والسيئة: المعصية يجب عليها العقاب. والنعيم: النعمة الكثيرة. وأقاموها: أظهروا ما فيها وأطاعوا أمره ونهيه. وأُنزل: أُوحي. والكتب: القرآن الكريم، وكتب أنبيائهم القديمة التي أنزلت على مثل شعياء ودانيال وداود. ومن ربهم أي: من عنده بأمره. وأكلوا أي: كان لديهم ما يأكلون ويشربون. والأرجل: جمع رِجل. ومنهم أي: من اليهود والنصارى. والمقتصدة: المعتدلة لا تغالي ولاتقصر. وأصحابه أي: ومن أسلم من النصارى أيضًا كالنجاشي وآخرين. وساء: تجاوز الحد في السوء والفساد. ويعمل: يكتسب من النية والقول والفعل، في المكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه.

(٢) روي أن النبي ﷺ كان قد يضيق ذرعًا بتكذيب اليهود والنصارى والمشركين، ويشفق على نفسه منهم، فلا يجاهرهم ببعض ضلالاتهم وإنكار ما هم فيه، فنزل أول الآية، للتنبيه والتحذير، فقال: «يارَبِّ، كَيفَ أصنَعُ؟ أنا واحِدٌ. أخافُ أن يَجتَمِعُوا علَيَّ»، فنزلت بقية الآية، تطمئنه وتبشره بالحماية والنصر. تفسير الطبري ١٠:٤٧١. وبلغ ما أنزل إليك أي: أعلِم الناس ما أُوحي إليك من القرآن وغيره. وبالجمع يريد القراءة «رِسالاتِهِ» أي: جمع رسالة. ويعصمك: يحفظك. والناس: البشر من الكافرين. وما رواه الحاكم هو في المستدرك ٢:٣١٣. ويهدي: يرشد إلى الحق. ولايهديه أي: يوجه اختياره وقدراته إلى ما يناسب استعداده الخبيث. والكافر: المنكر للحق.

(٣) المعتدّ به: ما يكون له قيمة. وما أنزل إليكم أي: الكتب التي أوحاها الله إلى أنبياء بني إسرائيل ومحمد ﷺ. وآمنوا أي: برسالة الإسلام إيمانًا يقينيًا. وهادوا: التزموا طريقة اليهودية. ومنهم أي: من اليهود. وفي هذا خلاف. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة. وفائدة جعل الخبر للمذكورين أنه إذا كان هؤلاء ينجون، بالإيمان والعمل الصالح، فالمؤمنون المخلصون أولى منهم بذلك.

(٤) أخذنا: تلقينا بالإقرار والقبول. والميثاق: العهد المؤكد بالأيمان. وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق. وبنوه: سلالته من أبنائه. وأرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. وتهوى أي: تحب من الفساد والظلم. والنفس: القلب. والفريق: الجماعة. وكذبوه: جحدوا ما جاء به. ويقتلونه أي: يزهقون روحه. وللفاصلة أي: للمحافظة على مجانسة لفظ رؤوس الآيات. ومخففة: يعني أن أصلها «أنّ»، حذفت نونها الثانية. وبالنصب يريد القراءة «ألّا تَكُونَ». والفتنة: الامتحان. وعمي: ذهبت بصيرته وفسد تمييزه للخير من الشر. وصم: فَقَدَ ما يعينه على السمع الواعي. وتاب عليهم: قَبِلَ توبتهم وصفح عنهم. وبدل: يعني أن «كثيرًا» بدل من واو الجماعة. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

الحقّ كذّبوه، **﴿فَرِيقًا﴾** منهم **﴿كَذَّبُوا، وفَرِيقًا﴾** منهم **﴿يَقْتُلُونَ﴾** ٧٠ كزكريّاءَ ويحيى - والتعبير به دون «قَتَلُوا»، حكايةٌ للحال الماضية، للفاصلة - **﴿وحَسِبُوا﴾**: ظنّوا **﴿أَنْ لا تكُونُ﴾** - بالرفع و«أن» مخفّفة، والنصبِ فهي ناصبة - أي: تقعُ **﴿فِتْنَةٌ﴾**: عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم، **﴿فعَمُوا﴾** عن الحقّ فلم يُبصِروه، **﴿وصَمُّوا﴾** عن استماعه، **﴿ثُمَّ تابَ اللهُ عليهِم﴾** لمّا تابوا، **﴿ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا﴾** ثانيًا **﴿كَثِيرٌ مِنهُم﴾**: بدل من الضمير. **﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾** ٧١، فيجازيهم به.

١ - **﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هوَ المَسِيحُ بنُ مَريَمَ﴾** - سبق مِثله - **﴿وقالَ﴾** لهم **﴿المَسِيحُ: يا بَنِي إسرائيلَ، اعبُدُوا اللهَ رَبِّي وربَّكُم﴾**. فإنّي عبد ولستُ بإلّه. **﴿إنَّهُ مَن يُشرِكْ باللهِ﴾** في العبادة غيرَه **﴿فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ﴾**: منعه أن يدخلها، **﴿ومأواهُ النّارُ، وما لِلظّالِمِينَ مِن﴾**: زائدةٌ **﴿أنصارٍ﴾** ٧٢ يمنعونهم من عذاب الله. **﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ ثالِثُ﴾** آلهةٍ **﴿ثَلاثَةٍ﴾** أي: أحدُها، والآخرانِ عيسى وأُمّه. وهم فِرقة من النصارى. **﴿وما مِن إلَهٍ إلّا إلَهٌ واحِدٌ، وإن لَم يَنتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ﴾** من التثليث ويُوحّدوا، **﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، أي: ثَبَتُوا على الكُفر، **﴿مِنهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** ٧٣: مؤلم، هو النار. **﴿أفلا يَتُوبُونَ إلَى اللهِ ويَستَغفِرُونَهُ﴾** ممّا قالوا - استفهام توبيخ - **﴿واللهُ غَفُورٌ﴾** لمن تاب، **﴿رَحِيمٌ﴾** ٧٤ به؟

٢ - **﴿ما المَسِيحُ بنُ مَريَمَ إلّا رَسُولٌ، قَد خَلَتْ﴾**: مضت **﴿مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ﴾** - فهو يمضي مِثلَهم وليس بإلّه، كما زعموا. وإلّا لَما مضى - **﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾**: مُبالِغة في الصِّدق. **﴿كانا يأكُلانِ الطَّعامَ﴾** كغيرهما من الحيوانات. ومن كان كذلك لا يكون إلّهًا، لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط. **﴿انظُرْ﴾** مُتعجّبًا: **﴿كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ﴾** على وحدانيّتنا؟ **﴿ثُمَّ انظُرْ: أنّى﴾**: كيف **﴿يُؤفَكُونَ﴾** ٧٥: يُصرفون عن الحقّ، مع قيام البرهان؟ **﴿قُلْ: أتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه **﴿ما لا يَملِكُ لَكُم ضَرًّا ولا نَفعًا، واللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** لأقوالكم **﴿العَلِيمُ﴾** ٧٦ بأحوالكم؟ والاستفهام للإنكار.

---

(١) سبق مثله أي: ما ورد في الآية ١٧. واعبدوه أي: قدسوه وأطيعوه وحده. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق لجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويشرك به أي: يجعل له شريكًا من المخلوقات في العبادة والطاعة. وحرم: منع منعًا مطلقًا. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. والمأوى: المكان الذي يُلجأ إليه. وفي هذا تهكم. والنار: نار جهنم. والظالمون: المشركون. فالظلم: مجاوزة الحق بوضع الأمور في غير مواضعها. والشرك أفظع أنواع الظلم. وفي ذكر الظالمين إقامةٌ للاسم الظاهر مَقام المضمر لتحقيق هذا الوصف فيهم، ومراعاةٌ لمعنى الجمع في «مَن». ولولا ذلك لقيل: وما له من أنصار. وزيادة «مِن» للتنصيص على عموم النفي. والأنصار: جمع نصير. وهو من يقوم بالتأييد والدفاع. وكفر: جحد الحق وانهمك في الباطل. وثالثها: واحد منها. وفرقة من النصارى يعني طائفتَيِ النُّسطورية والمِلكانية من بني إسرائيل. والإلٰه: المعبود بحق. وواحد أي: لايكون في الوجود من يستحق العبادة إلّا إله متصف بالوحدانية متعال عن الشركة. وينتهي: يمتنع. ويمس: يخص ويصيب. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويتوب: يرجع عن ذنبه ويندم على فعله ويتعهد بتركه ويطلب العفو. ويستغفره: يطلب منه ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، بالتنزيه له مما أشركوا به. وقول السيوطي «توبيخ» من التلخيص، والأولى أن الهمزة استفهامية للأمر، أي: ليتوبوا إلى الله ولْيستغفروه. والغفور: العظيم العفو والصفح. والرحيم: الكثير الرأفة والعطف بالإحسان.

(٢) الرسول: من بعث للدعوة إلى العقيدة والشريعة والعمل، ومعه كتاب منزل. ومضت أي: ذهبت وفنيت. والرسل: جمع رسول. و«لما مضى» كذا وهو لحن، يعني: لو كان إلٰهًا لما مضى. انظر «المفصل». وفي الصدق أي: وفي التصديق لآيات الله وتعاليمه. ويأكل: يتناول ما يحتاج إليه لاستمرار الحياة. والطعام: ما يؤكل أو يشرب للغذاء والتلذذ. والحيوانات: الأحياء من البشر، جمع حيوان. وهو اسم يقع على كل ذي روح، ويفيد المبالغة من الحياة. انظر الآية ٦٤ من سورة العنكبوت وتفسير الآية ٣٠ من سورة البقرة. والمراد أنهما كانا من بني آدم يتغذيان بالطعام والشراب، مثل سائر الكائنات الحية التي تعيش بالروح والجسد، فهما يحتاجان إلى مايَقوتهما لأنهما من البشر. وقد أسقط بعض الناشرين «الحيوانات» تحرجًا أو لأنه لم يفهم معناه، أو تصرف في العبارة. انظر مطبوعة حلب لدار القلم العربي. وفي المنحة: «كغيرهما من الناس». وذكرُ البول والتغوط لا ضرورة لإيراده هنا، إذ الاحتياج إلى التغذي كاف في الدلالة على البشرية الحقيقية، كما جاء في نص الآية الكريمة. ثم ليس كل آكل يكون منه ماذكر من تبول وغائط، وأهل الجنة يأكلون ولا يُحدِثون. تفسير الرازي ٣: ٤٠٩-٤١٠ والمحرر ٢: ٢٢٢. وانظر أي: تدبر وتأمل ما يحمل على التعجب. ونبين: نوضح. والآيات: الأدلة الظاهرة. وتعبد: تقدس وتطيع. وما أي: مَن. والمراد عيسى، عليه السلام. وعُبِّرَ بـ «ما» لتحقيق أنه بمعزل عن الألوهية، ومنتظم في سلك ماخلقه الله. ويملك: يستطيع بقدرته الخاصة. والضر: جلب السوء والأذى. والنفع: إيصال الخير. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة قبل وجود الأشياء وبعده.

الجزء السابع — سورة المائدة

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾

الجزء ٧ الحزب ١٣

١- ﴿**قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ**﴾ اليهود والنصارى، ﴿**لا تَغلُوا**﴾: تُجاوِزوا الحدَّ ﴿**في دِينِكُم**﴾ غُلُوًّا ﴿**غَيرَ الحَقِّ**﴾، بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقّه، ﴿**ولا تَتَّبِعُوا أهْواءَ قَومٍ قد ضَلُّوا مِن قَبلُ**﴾ بغُلوّهم - وهم أسلافهم - ﴿**وأضَلُّوا كَثيرًا**﴾ من الناس، ﴿**وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبِيلِ**﴾ ٧٧: طريق الحقّ. والسواء في الأصل: الوسَط.

٢- ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إسرائيلَ، عَلَى لِسانِ داوُدَ**﴾، بأن دعا عليهم فمُسِخوا قِردةً - وهم أصحاب أيلةَ - ﴿**وعِيسَى بنِ مَريَمَ**﴾ بأن دعا عليهم فمُسِخوا خنازيرَ. وهم أصحاب المائدة. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ اللعن ﴿**بِما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ**﴾ ٧٨. **كانُوا لا يَتَناهَونَ**﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿**عَن**﴾ مُعاودةِ ﴿**مُنكَرٍ فَعَلُوهُ. لَبِئسَ ما كانُوا يَفعَلُونَ**﴾ ٧٩ـهُ فِعلُهم هذا!

٣- ﴿**تَرى**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**كَثيرًا مِنهُم يَتَوَلَّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة، بُغضًا لك. ﴿**لَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لَهُم أنفُسُهُم**﴾، من العملِ لمَعادهم المُوجِبِ لهم، ﴿**أن سَخِطَ اللهُ عَلَيهِم، وفي العَذابِ هُم خالِدُونَ**﴾ ٨٠! **ولَو كانُوا يُؤمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ**﴾ مُحمّد، ﴿**وما أُنزِلَ إلَيهِ، ما اتَّخَذُوهُم**﴾ أي: الكُفّارَ ﴿**أولياءَ، ولٰكِنَّ كَثِيرًا مِنهُم فاسِقُونَ**﴾ ٨١: خارجون عن الإيمان.

٤- ﴿**لَتَجِدَنَّ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**أشَدَّ النّاسِ عَداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ، والَّذِينَ أشرَكُوا**﴾ من أهل مكّة، لتضاعُف كُفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتّباع الهوى، ﴿**ولَتَجِدَنَّ أقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى. ذٰلِكَ**﴾ أي: قربُ مودّتهم للمؤمنين ﴿**بِأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**مِنهُم قِسِّيسِينَ**﴾: عُلماءَ ﴿**ورُهبانًا**﴾: عُبّادًا، ﴿**وأنَّهُم لا يَستَكبِرُونَ**﴾ ٨٢ عن اتّباع الحقّ، كما يستكبر اليهود وأهل مكّة. نزلتْ في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ عليهم سورة «يسٓ» فبكَوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبهَ هذا بما كان ينزل على عيسى! قال تعالى:

---

(١) قل أي: خاطب بالقول جهارًا. وأهل الشيء: أصحابه المسؤولون عنه. والكتاب: التوراة والإنجيل، اسم جنس يدل على الواحد والأكثر. فهو هنا يدل على اثنين. والمراد بالدين هنا ما أنزله الله عليهم. وغيره أي: المغاير له. والحق: الصدق والعدل. وتضعوا عيسى أي: تخفضوا منزلته - أيها اليهود الأفّاكون - بإنكار نبوته وادعاء أنه ابن زنى. وتتبعوها: تطيعوها وتنقادوا لها. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تدعو شهوة النفس إليه، وأكثر مايكون في الشر. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والمراد هنا علماء أهل الكتاب من أحبار وقسيسين ورهبان وراهبات. وضلوا أي: انحرفوا عما أمر الله. وقبل أي: قبل بِعثة محمد ﷺ. وأضلوا أي: صرفوا وأفسدوا مِن قبل ومِن بعد إلى الآن. وطريق الحق: الدين الإسلامي. والوسط: الاعتدال بين النقيضين في كل شيء، أي: الدين الحق. (٢) لُعن: قُضي عليه بالطرد من رحمة الله، وبنزول غضبه به. وبنو إسرائيل هنا هم اليهود والنصارى من سلالة يعقوب، لأن قدماء الجماعتين كانوا منهم، وكذلك حال أكثر أعاجم النصارى واليهود الآن . فهم أبناء عم حقًا، بخلاف ما ينسب إلى العرب الآن من ذلك كذبًا وافتراء. وعلى لسان داود وعيسى أي: أن الله أنزل في الزبور والإنجيل ما معناه: «ملعون من يكفر من بني إسرائيل». ثم دعا داود وعيسى أيضًا، كما ذكر السيوطي هنا. وكفر: جحد التوحيد وكذّبه. واللسان: الجارحة التي يكون بها الكلام. وأيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر يقال لها: أيلات. وأصحابها هم الذين اعتدوا في السبت. انظر الآيتين ٦٥ من سورة البقرة و١٦٣ من سورة الأعراف. وأصحاب المائدة أي: النصارى الذين كفروا بعد نزول المائدة عليهم. انظر الآيات ١١٢-١١٨. وعصوا: خرجوا عن طاعة الله. ويعتدون: يتجاوزون الحد بالعصيان والكفر. وينهى: يمنع. ومعاودة الشيء: العودة إليه مرارًا. والمنكر: ما تستقبحه الشريعة والعقول الصحيحة. وفَعلَه: اكتسبه واقترفه. وبئس: تجاوز الحد في الشر والفساد والبؤس. و«فعلهم» مذموم مرتين: في جنسه «فاعل بئس»، وفي اختصاصه هذا. (٣) ترى: تبصر عِيانًا. والخطاب للرسول ﷺ ولكل سامع أو قارئ حينذاك. ومنهم أي: من منافقي أهل الكتاب. ويتولونهم: يصادقونهم. وكفر: كذّب الله ورسوله وجحد التوحيد. وما قدمت لهم أنفسهم يعني: ماقدموه لأنفسهم، أي: فعلوه. والمعاد: الرجوع إلى الحساب والجزاء. والمُوجب: الذي أوجب وحقق. وسخط: غضب غضبًا شديدًا يقتضي العقوبة. يعني أن ماعملوه ليوم القيامة أوجب لهم غضب الله عليهم. والعذاب: التعذيب في جهنم عقوبة وإهانة. والخالد: المقيم أبدًا. ويؤمن به أي: يصدّقه ويطيعه. وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل. واتخذ: جعل، أي: لو صدق المنافقون في إيمانهم ما تولوُا الكافرين. والتقدير: لو آمنوا لتركوا ولاية الكافرين. والأولياء: جمع ولي. وهو الذي تصادقه وتوادّه وتنصره. ولكن كثيرًا منهم أي: لكنهم. وإنما ذكر «كثيرًا منهم» - وهوفي أول الآية ٨٠ - وضعًا للظاهر بلفظه موضع المضمر، لمّا طال الكلام. وإلّا كان المعنى: ولكن كثيرًا من ذلك الكثير. (٤) تجد: ترى وتعلم. والخطاب لكل سامع أو قارئ أيضًا. وأشد: أقوى وأفظع. والعداوة: المعاداة. واليهود: واحده يهودي. وأشرك: جعل مع الله شريكًا بالتقديس والطاعة. و«أهل مكة» أي: وغيرهم في كل زمان ومكان، من المشركين والملحدين. وأقربهم: أقرب الناس. والمودة: الألفة. والمراد أنهم كذلك، إذا لم ينقادوا لليهود ويتابعوهم في التفكير والسلوك. والمقصود هنا النصارى الذين يلتزمون حقيقة النصرانية، لامن صاروا كاليهود في الأخلاق والعمل، وبرؤوهم من الصلب. وانظر الفتوحات ١ :٥١٩. والقسيس: عالم النصارى. والرهبان: جمع راهب. والنجاشي هو ملك الحبشة حينذاك واسمه أصحمة، استقبل المهاجرين الأوائل وأكرمهم وسمع دعوتهم فأسلم، ولما توفي صلى عليه النبي ﷺ والصحابة صلاة الغائب. انظر «المفصل» والآيات ٨٢-٨٦. وعدم تشديد الياء هو الصواب. ولا يستكبرون: لا يُظهرون من أنفسهم أكثر مما يستحقون.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

١- **﴿وإذا سَمِعُوا ما أُنزلَ إلَى الرَّسُولِ﴾**، من القُرآن، **﴿تَرى أعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ، مِمّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ، يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا﴾**: صدّقنا نبيَّك وكتابك. **﴿فاكتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾** ٨٣: المُقرّين بتصديقهما. **﴿و﴾** قالوا، في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود: **﴿ما لَنا لا نُؤمِنُ بالله، وما جاءَنا مِنَ الحَقِّ﴾**: القرآن - أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مُقتضيه - **﴿ونَطمَعُ﴾**: عطف على «نُؤمنُ» **﴿أن يُدخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَومِ الصّالِحِينَ﴾** ٨٤ المؤمنين الجنّةَ؟

٢- قال تعالى: **﴿فأثابَهُمُ اللهُ بما قالُوا جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها. وذٰلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾** ٨٥ بالإيمان، **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا، وكَذَّبُوا بِآياتِنا، أُولٰئِكَ أَصحابُ الجَحِيمِ﴾** ٨٦.

٣- ونزل، لمّا همَّ قوم من الصحابة أن يُلازموا الصومَ والقيامَ، ولا يَقربوا النساءَ والطِّيبَ، ولا يأكلوا اللحمَ ولا يناموا على الفراش: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُم، ولا تَعتَدُوا﴾**: تتجاوزوا أمرَ الله - **﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ﴾** ٨٧ - **﴿وكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾**: مفعول، والجارّ والمجرور قبله حال متعلّق به، **﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾** ٨٨.

٤- **﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغوِ﴾** الكائن **﴿في أيمانِكُم﴾** - هو ما يَسبِق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله - **﴿ولٰكِنْ يُؤاخِذُكُم بما عَقَدتُمُ﴾** - بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقَدْتُمُ» - **﴿الأيمانَ﴾** عليه بأن حلفتم عن قصد. **﴿فكَفّارتُهُ﴾** أي: اليمينِ إذا حَنِثتُم فيه **﴿إطعامُ عَشَرةِ مَساكِينَ﴾**، لكُلّ مِسكين مُدٌّ **﴿مِن أوسَطِ ما تُطعِمُونَ﴾** منه **﴿أهلِيكُم﴾** أي: أقصدِه وأغلبِه لا أعلاه ولا أدناه، **﴿أو كِسوَتُهُم﴾** بما يُسمَّى كِسوةً كقميص وعِمامة وإزار - ولا يكفي دفع ما ذُكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعيّ - **﴿أو تَحرِيرُ﴾**: عِتقُ **﴿رَقَبةٍ﴾** أي: مؤمنة، كما في كفّارة القتلِ والظِّهارِ حملًا للمُطلق على المُقيَّد، **﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾** واحدًا ممّا ذُكر **﴿فصِيامُ ثَلاثةِ أيّامٍ﴾** كفّارتُه. وظاهرُه أنه لا يُشترط التتابعُ، وعليه الشافعيّ. **﴿ذٰلِكَ﴾** المذكورُ **﴿كَفّارةُ أيمانِكُم، إذا حَلَفتُم﴾** وحَنِثتُم. **﴿واحفَظُوا أيمانَكُم﴾** أن تَنكثوها، ما لم يكن على فعلِ برٍّ أو إصلاحٍ بينَ الناس، كما في سورة «البقرة». **﴿كَذٰلِكَ﴾**: مِثلَما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ **﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَـ﴾** ٨٩ ـه على ذلك.

---

(١) أُنزل: أوحي على لسان جبريل. وترى: تبصر. والأعين: جمع عين. وتفيض: تطفح خشوعًا وإيمانًا. والدمع: ماء العين. وعرفوا: أدركوا بعد تفكير. والحق: الدين الصحيح. واكتبنا أي: سجلْ أسماءنا وأثبِتْها. والشاهدون: أمة محمد، لأنها تؤمن بالرسل جميعًا وتُقِرّ بذلك. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «المقربين بتصديقهم». ونؤمن به أي: نصدقه اعتقادًا جازمًا. وجاءنا: أتانا. والمراد: لاشيء نحصل عليه إذا لم نؤمن، فنعود بالخسارة والندم. ونطمع: نشتهي. والصالح: من جعل عمله كما أمر الله. وإنما فُسّر الصالحون بالمؤمنين، لأن العمل لايقبل إلا مع الإيمان.

(٢) أثابهم: قدّر لهم أحسن الجزاء. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. وذلك أي: الثواب. والمحسن: المخلص في عمله كأنه يرى الله. وكفروا أي: جحدوا الإيمان. وهم غير المسلمين. وكذبها: أنكر صحتها. والآيات: النصوص المنزلة والأدلة الموجبة للإيمان. والجحيم: نار جهنم المتوقدة.

(٣) نزل أي: الآيات ٨٧-٨٩. وهمّ: قصد وعزم. والقيام: قيام الليل كله بالعبادة. انظر «المفصل». وتحرموه أي: تجعلوه حرامًا. والطيبات: ما تستلذه النفوس السليمة. وأحله: جعله حلالًا. ولايحبهم: يبغضهم ويدعهم لما هم فيه من الظلم والعدوان. والمعتدين: المتجاوزين للحق. وكلوا أي: تمتعوا بأنواع الرزق. ورزق: أعطى وهيأ. وحال أي: أن الجار والمجرور متعلقان بحال مقدمة محذوفة عن «حلالًا». واتقوه أي: تجنبوا عصيانه والزموا طاعته.

(٤) يؤاخذ: يعاقب ويوجب الكفّارة. وعقدتم: وثّقتم بالنية والعزم. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم. وهو أي: اللغو في الأيمان. وانظر «المفصل». وبالتشديد يريد القراءة «عَقَّدْتُمُ». وعليه أي: على ما أقسمتم. والكفارة: ما يستر الخطيئة ويزيل الإثم والعقاب. واليمين: يعني الحلف الذي حُنِثَ فيه ولم يوَفَّ حقه. والإطعام: تقديم الغذاء. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والمد: مكيال قديم مقدار سعته ما وزنه حوالي ٦٠٠ غرام من الحنطة، أو ضِعفه من التمر مثلًا. والأوسط: المتوسط في القدر والمنزلة. والعتق: التخليص للمملوك من خدمة المالك. والظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي. وهو نوع من طلاق الجاهلية. وذكره هنا سهو من السيوطي، إذ حكمُ الظهار في القرآن ليس فيه وصف الرقبة بالإيمان. انظر الآية ٣ من سورة المجادلة. ولم يجد أي: لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة. وحنثتم أي: في اليمين. ونكث اليمين: نقضها. والبقرة أي: الآية ٢٢٤ منها. ويبين: يوضح. والآيات: أعلام الشريعة. وتشكرونه: تثنون عليه بالقلب واللسان والعمل.

سورة المائدة الجزء السابع

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ
وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ
يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ
مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

١- ﴿**يا أيها الّذِينَ آمَنوا، إنّما الخمرُ**﴾: المُسكِر الذي يُخامِرُ العقلَ، ﴿**والمَيسِرُ**﴾: القِمار، ﴿**والأنصابُ**﴾: الأصنام، ﴿**والأزلامُ**﴾: قِداح الاستقسام ﴿**رِجسٌ**﴾: خبيث مُستقذَر، ﴿**مِن عَمَلِ الشّيطانِ**﴾ الذي يُزيِّنه. ﴿**فاجتَنِبُوهُ**﴾ أي: الرجسَ المعبَّرَ به عن هذه الأشياء، أن تفعلوه، ﴿**لَعَلّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ٩٠. ﴿**إنّما يُرِيدُ الشّيطانُ أن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ، في الخمرِ والمَيسِرِ**﴾ إذا أتيتُموهما، لِما يحصُل فيهما من الشرّ والفتن، ﴿**ويَصُدَّكُم**﴾ بالاشتغال بهما ﴿**عَن ذِكرِ اللهِ وعَنِ الصّلاةِ**﴾. خَصّها بالذِّكر تعظيمًا لها. ﴿**فهَل أنتُم مُنتَهُونَ**﴾ ٩١ عن إتيانهما؟ أي: انتهوا.

٢- ﴿**وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرّسُولَ، واحذَرُوا**﴾ المعاصيَ. ﴿**فإن تَوَلّيتُم**﴾ عن الطاعة ﴿**فاعلَمُوا أنّما علَى رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ**﴾ ٩٢: الإبلاغ البيِّن، وجزاؤكم علينا. ﴿**لَيسَ علَى الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ، فِيما طَعِمُوا**﴾: أكلوا من الخمر والميسر قبلَ التحريم، ﴿**إذا ما اتّقَوا**﴾ المُحرَّماتِ، ﴿**وآمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، ثُمّ اتّقَوا وآمَنُوا**﴾: ثَبَتوا على التقوى والإيمان، ﴿**ثُمّ اتّقَوا وأحسَنُوا**﴾ العملَ. ﴿**واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾ ٩٣ بمعنى أنه يُثيبهم.

٣- ﴿**يا أيها الّذِينَ آمَنُوا، لَيَبلُوَنّكُمُ**﴾: ليَختبرَنّكم ﴿**اللهُ بِشَيءٍ**﴾ يُرسله لكم، ﴿**مِنَ الصّيدِ تَنالُهُ**﴾ أي: الصغارَ منه ﴿**أيدِيكُم ورِماحُكُم**﴾ الكبارَ منه - وكان ذلك بالحُدَيبية وهم مُحرِمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رِحالهم - ﴿**لِيَعلَمَ اللهُ**﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿**مَن يَخافُهُ بالغَيبِ**﴾: حال أي: غائبًا لم يَرَه، فيَجتنبُ الصيدَ. ﴿**فمَنِ اعتَدَى بَعدَ ذلِكَ**﴾ النهيِ عنه فاصطاده ﴿**فلَهُ عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٩٤.

٤- ﴿**يا أيها الّذِينَ آمَنُوا، لا تَقتُلُوا الصّيدَ وأنتُم حُرُمٌ**﴾: مُحرِمون بالحجّ أو العُمرة، ﴿**ومَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فجَزاءٌ**﴾، بالتنوين ورفعِ ما بعده، أي: فعليه جزاءٌ، هو ﴿**مِثلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ**﴾ أي: شِبهُهُ في الخِلقة - وفي قراءة بإضافة «جَزاءُ» - ﴿**يَحكُمُ بِهِ**﴾ أي: بالمِثل رجُلانِ ﴿**ذَوا عَدلٍ مِنكُم**﴾: لهما فِطنة يَميزان بها أشبه الأشياء به - وقد حكم ابن عبّاس وعُمر وعليّ في النعامة بِبَدَنةٍ، وابن عبّاس وأبو عُبيدة في بَقَرِ الوحش وحمارِه ببقرة، وابن عُمر وابن عَوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عبّاس وعُمر وغيرهما في الحمام لأنه يُشبهها في العَبِّ - ﴿**هَدْيًا**﴾: حال من «جزاء»، ﴿**بالِغَ الكَعبَةِ**﴾ أي: يُبلَغ به الحَرَمُ فيُذبح فيه ويُتصدّق به على مساكينه - ولا يجوز أن يُذبح حيث كان. ونصبُه نعتًا لما قبله، وإن أُضيف، لأن إضافته لفظيّة لا تُفيد تعريفًا. فإن لم يكن للصيد مِثلٌ من النعم كالعُصفور والجراد فعليه قيمتُه - ﴿**أو**﴾ عليه ﴿**كَفّارةٌ**﴾ غيرُ الجزاء، وإن وَجده، هي ﴿**طَعامُ مَساكِينَ**﴾ من غالب قُوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكُلّ مِسكينٍ مُدٌّ - وفي قراءة بإضافة «كفّارةُ» لِما بعده. وهي للبيان - ﴿**أو**﴾ عليه ﴿**عَدلُ**﴾: مِثلُ ﴿**ذلِكَ**﴾ الطعام ﴿**صِيامًا**﴾ يصومه، عن كُلّ مُدٍّ يومًا، وإن وجده. وجب ذلك عليه ﴿**لِيَذُوقَ وَبالَ**﴾: ثِقَلَ جزاءِ ﴿**أمرِهِ**﴾ الذي فعله. ﴿**عَفا اللهُ عَمّا سَلَفَ**﴾، من قتل الصيد قبل تحريمه، ﴿**ومَن عادَ**﴾

---

(١) كان سعد بن أبي وقاص مع بعض الصحابة ،في مجلس شراب قبل تحريم الخمر، وفضّل بكلام له المهاجرين على الأنصار، فضربه أحدالأنصار وجرح أنفه، فشكا أمره إلى النبي ﷺ، فنزل تحريم الخمر وما معها هنا. الحديث ١٧٤٨ في مسلم ص ١٨٧٧-١٧٧٨ والدر المنثور ٢: ٣١٥. ويخامره أي: يغطيه ويمنعه أن يعي ويفكر، فيفقد بذلك أخصّ صفات الإنسانية. والقمار: لعب فيه مراهنة أن يأخذ المالَ من يتغلب. والأنصاب: جمع نُصُب. وسمي الصنم نُصبًا لأنه يرفع ويعلى للعبادة. والأزلام: جمع زَلَم. وهو سهم لاريش له. والقداح: جمع قِدح. وهو قضيب قصير. والاستقسام: طلب المعرفة لما قُسِمَ للإنسان من عمل وغيره. والخبيث: القبيح النجاسة. وعمله أي: وسوسته بالشر. والشيطان: من يغري بالباطل من الجن والإنس. واجتنبوه أي: ابتعدوا عنه وعما يتصل به. وتفلحون: تفوزون بما تبتغون. ويريد: يقصد. ويوقع: يُحدِث. والعداوة: المعاداة. والبغضاء: التباغض. ويصد: يرد. والذكر: استحضار العظمة بالقلب واللسان والعمل. ومنتهون أي: ممتنعون. (٢) أطيعوه: الزموا الامتثالَ لأمره. واحذروا: تجنبوا. وتوليتم: امتنعتم. واعلموا أي: ليكن في علمكم. وعمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الشرع. والجناح: الذنب. وقبل التحريم أي: قبل نزول الآيات ٩٠-٩٢. وانظر «المفصل». واتقوا: تجنبوا وتركوا. والمحسن: من جعل عمله حسنًا. ويحبه: يوده فيكرمه ويحسن إليه. (٣) يختبركم: يعاملكم ممتحنًا. انظر «المفصل». والصيد: مايصاد من الحيوان. وتناله: تقدر على صيده. والأيدي: جمع يد. والرماح: جمع رمح. والوحش: من الحيوان. والطير: واحده طائر. وتغشاهم: تحيط بهم. والرحال: ما يوضع على ظهور الإبل. وعلم ظهور أي: ليظهر علمُه فيتميز المطيع من العاصي. واعتدى: تجاوز حكم الشرع. (٤) لا تقتلوا الصيد أي: لا تصطادوا. والحرم: جمع حرام. والعُمرة: زيارة البيت الحرام. انظر «المفصل». والجزاء: العقوبة والكفّارة. والنعم: الإبل والبقر والغنم. وبإضافة: يريد القراءة «فجَزاءُ مِثلِ». ويحكم: يقضي. وذوا عدل: صاحبا حكم بالحق. والبدنة: الواحد من الإبل إذا دخل في السنة السادسة. وأبو عبيدة: أمين الأمّة أحد العشرة المبشرين بالجنة. وابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب. وابن عوف: عبد الرحمن أحد المبشرين بالجنة أيضًا. والشاة: الواحدة من الغنم. والعب: الشرب من غير مص أو تنفس. والهدي: ما يُهدَى إلى الحرم. والكفارة: ما يستر الذنب ويزيل عقوبته. ووجده أي: استطاع تنفيذ الجزاء. والمد: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٨٩. ولما بعده يريد القراءة «كَفّارةُ طَعامِ». وعدل أي: مُعادِل. وسلف: مضى.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

إليه ﴿فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنهُ. واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، ﴿ذُو انتِقامٍ﴾ ٩٥ ممّن عصاه. وألحق بقتله مُتعمّدًا، فيما ذُكِرَ، الخطأُ.

ربع الحزب ١٣

١ - ﴿أُحِلَّ لَكُم﴾ - أيُّها الناس - حَلالًا كنتم أو مُحرِمِينَ ﴿صَيدُ البَحرِ﴾ أن تأكلوه - وهو ما لا يعيش إلّا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البرّ كالسَّرَطان - ﴿وطَعامُهُ﴾: ما يقذفه ميتًا، ﴿مَتاعًا﴾: تمتيعًا ﴿لَكُم﴾ تأكلونه ﴿ولِلسَّيّارةِ﴾: المسافرين منكم يتزوّدونه، ﴿وحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ﴾ - وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول - أن تصيدوه، ﴿ما دُمتمُ حُرُمًا﴾. فلو صاده حَلال فللمُحرِم أكلُه، كما بيّنته السُّنّة. ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ ٩٦.

٢ - ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرامَ﴾: المُحرَّمَ ﴿قِيامًا لِلنّاسِ﴾: يقوم به أمر دِينهم بالحجّ إليه، ودُنياهم بأمنِ داخله وعدم التعرّض له، وجَبْي ثمرات كُلّ شيء إليه - وفي قراءة «قِيَمًا» بلا ألف مصدرُ «قام» غَيرَ مُعَلٍّ - ﴿والشَّهرَ الحَرامَ﴾ بمعنى: الأشهُر الحُرُم ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجب، قيامًا لهم بأمنهم من القتالَ فيها، ﴿والهَديَ والقَلائدَ﴾ قيامًا لهم بأمن صاحبهما من التعرُّض له. ﴿ذٰلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وأنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧. فإنّ جَعْلَه ذلك، لِجلبِ المصالح لكم ودفع المضارّ عنكم قبل وقوعها، دليلٌ على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. ﴿اعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لأعدائه، ﴿وأنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه، ﴿رَحِيمٌ﴾ ٩٨ بهم.

٣ - ﴿ما على الرَّسُولِ إلّا البَلاغُ﴾: الإبلاغ لكم، ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهرون من العمل، ﴿وما تَكتُمُونَ﴾ ٩٩: تُخفون منه، فيُجازيكم به. ﴿قُلْ: لا يَستَوِي الخَبِيثُ﴾: الحرام ﴿والطَّيِّبُ﴾: الحلال، ﴿ولَو أعجَبَكَ﴾ أي: سرَّك ﴿كَثرةُ الخَبِيثِ. فاتَّقُوا اللهَ﴾ في تركه - ﴿يا أُولِي الألبابِ - لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ ١٠٠: تفوزون.

٤ - ونزل، لمّا أكثروا سُؤاله ﷺ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَسألُوا عَن أشياءَ، إن تُبدَ﴾: تُظهرْ ﴿لَكُم تَسُؤْكُم﴾ لِما فيها من المشقّة، ﴿وإن تَسألُوا عَنها حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ﴾ أي: في زمن النبيّ ﴿تُبدَ لَكُم﴾. المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزلُ القُرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءَتكم. فلا تسألوا. قد ﴿عَفا اللهُ عَنها﴾: عن مسألتكم، فلا تعودوا. ﴿واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ١٠١. ﴿قَد سَألَها﴾أي: الأشياءَ ﴿قَومٌ مِن قَبلِكُم﴾ أنبياءَهم، فأُجيبوا ببيان أحكامها، ﴿ثُمَّ أصبَحُوا﴾: صاروا ﴿بِها كافِرِينَ﴾ ١٠٢ بتركهم العملَ بها.

٥ - ﴿ما جَعَلَ﴾: شَرَعَ ﴿اللهُ مِن بَحِيرةٍ، ولا سائبةٍ ولا وَصِيلةٍ ولا حامٍ﴾، كما كان أهل الجاهليّة يفعلونه - روى البُخاريّ عن سعيد بن المُسَيَّب قال: البحيرةُ: التي يُمنعُ دَرُّها للطواغيت، فلا يَحلبها أحد من الناسِ. والسائبة: كانوا يُسَيِّبونها لآلهتهم لا يُحملُ عليها شيء. . . والوصيلة: الناقة البِكر تُبكِّرُ في أول نِتاج الإبل بأُنثى، ثمّ تُثنّي بعدُ بأُنثى. وكانوا يُسَيِّبونها لطواغيتهم إن وَصَلَتْ إحداهما بالأُخرى ليس بينهما ذَكَر. والحامِ: فحلُ الإبل يَضرِبُ الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَه وَدَعُوه للطّواغيت وأعفَوه من الحمل، فلم يُحمَل عليه شيء وسمَّوه الحاميَ -

(١) الناس: البشر. وحلالًا أي: غير محرمين لحج أو عُمرة. وأن تأكلوه أي: أن تصيدوه. والسمك أي: وغيره من الحيوان. القرطبي ٦:٣١٩. وطعامه أي: الطعام الذي يكون من البحر دون صيد. وما يقذفه أي: ما يلقيه البحر. انظر «المفصل». والتمتيع: الانتفاع. والسيارة: واحده سيّار، أي: المسافر. ودمتم: بقيتم. والحُرُم: المُحرِمون، مفرده حرام. وحلال أي: إنسان غير مُحرِم. والمراد بالسُّنّة ماورد في الحديثين ١٧٢٥ من البخاري و١١٩٦ من مسلم. واتقوه أي: تجنبوا تحريم ما أحل وتحليل ما حرم. وإليه أي: إلى موعد حسابه. وتحشرون: تجمعون يوم القيامة للحساب والجزاء. **(٢)** جعل: صيّر بحكم جازم. والبيت: المسجد في مكة المكرمة. والمُحرَّم أي: الذي حُرِّم فيه القتال وكثير مما يجوز في غيره. والقيام: ما يكون سببًا لاستقرارالشيء. والناس: البشر. والجبي: الجلب والورود. وغير معل: انظر «المفصل». والهدي: النَّعَم الذي يُهدى إلى البيت الحرام. والقلائد: جمع قِلادة. وهي ما كان يضعه المُحرِمُ في عنقه أو في عنق بعيره. وتعلموا أي: تدركوا وتفهموا. ويعلمه: يحيط به بالغ الإحاطة. والعقاب: الضرر مع الإهانة. والغفور: العظيم الستر للذنوب والصفح عنها. والأولياء: جمع ولي. وهو المطيع لله. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. **(٣)** الرسول: من كلف بالدعوة والعمل. وهو محمد ﷺ. ولايستويان أي: لايتساويان في القدر والقيمة. وسرك أي: أدخل السرور إلى نفسك. والكثرة: الوفرة والضخامة. واتقوه أي: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. وأولو الألباب: أصحاب العقول السليمة التي تميز الطيب من الخبيث. والألباب: جمع لب. ولعلكم أي: ليترجى لكم. **(٤)** سبب النزول في المفصل. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتسأل: تطلب حكمًا. وأشياء أي: أمور لم تكلفوا بها ولاضرورة إلى السؤال عنها، جمع شيء. وتسوءُكم: تُلحق بكم ما يَشينكم. وينزل: يوحى بحكمة الله على لسان جبريل. وعفا: صفح ولم يُعنِت. والمسألة: السؤال. والحليم: ذو العفو المطلق لا يستخفه عصيان ولا يعجل بالانتقام. والقوم: الجماعة من الناس. والكافر: الجاحد للشيء ينكره. **(٥)** البخاري يعني: في الحديث ٤٣٤٧. وسعيد بن المسيَّب: سيّد التابعين وأحد الفقهاء السبعة في المدينة. والدر: اللبن الحليب. والطواغيت: الأصنام. يعني أن اللبن يُجعل للأصنام. ويسيبونها أي: يُسرّحونها. والحام: انظر «المفصل». والضراب: وُثوب الفحل على الناقة للشهوة. وودعوه: تركوه. وكفر: كذب الله ورسوله. ويفترون: يكذبون. ولايعقلون أي: لايدركون ويقلدون دون تفكير. وتعالوا أي: هلموا وأقبلوا. وكافينا يعني: لانريد شيئًا غيره. وكانوا أي: وما يزالون. ولا يعلم: لايدرك. ويهتدي: يسترشد ويتوجّه. والإنكار أي: التوبيخ والزجر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ
مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ
أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿**ولٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ**﴾ في ذلك ونسبتِه إليه، ﴿**وأكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ**﴾ ١٠٣ أنّ ذلك افتراء، لأنّهم قلّدوا فيه آباءهم، ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا إِلَى ما أنزَلَ اللهُ، وإِلَى الرَّسُولِ**﴾ أي: إلى حُكمه، من تحليل ما حرّمتم، ﴿**قالُوا: حَسْبُنا**﴾: كافِينا ﴿**ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا**﴾ من الدِّين والشريعة. قال تعالى: ﴿**أ**﴾ حَسبُهم ذلك، ﴿**ولَو كانَ آباؤُهُم لا يَعلَمُونَ شَيئًا، ولا يَهتَدُونَ**﴾ ١٠٤ إلى الحقّ؟ والاستفهام للإنكار.

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، علَيكُم أنفُسَكُم**﴾ أي: احفظوها وقُوموا بصلاحها. ﴿**لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ، إذا اهتَدَيتُم**﴾. قيل: المُراد: لا يضرّكم مَن ضلّ مِن أهل الكتاب. وقيل: المُراد غيرُهم، لحديث أبي ثعلبةَ الخُشَنيّ: سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمِرُوا بالمَعرُوفِ وتَناهَوا عَنِ المُنكَرِ. حَتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤثَرةً، وإعجابَ كُلِّ ذِي رأيٍ برأيِهِ، فعلَيكَ نَفسَكَ». رواه الحاكم وغيره. ﴿**إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ١٠٥، فيُجازيكم به.

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، شَهادةُ بَينِكُم، إذا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوتُ**﴾ أي: أسبابُه ﴿**حِينَ الوَصِيَّةِ، اثنانِ ذَوا عَدلٍ مِنكُم**﴾ - خبرٌ بمعنى الأمر، أي: لِيَشهَدْ. وإضافة «شَهادة» لـ«بين» على الاتّساع. وحينَ: بدل من «إذا» أو ظرف لـ«حَضَرَ» - ﴿**أو آخَرانِ مِن غَيرِكُم**﴾ أي: غيرِ مِلّتكم، ﴿**إنْ أنتُم ضَرَبتُم**﴾: سافرتم ﴿**في الأرضِ، فأصابَتكُم مُصِيبةُ المَوتِ، تَحبِسُونَهُما**﴾: تُوقِفُونهما صفةُ «آخرانِ»، ﴿**مِن بَعدِ الصَّلاةِ**﴾ أي: صلاة العصر، ﴿**فيُقسِمانِ**﴾: يَحلِفان ﴿**باللهِ، إنِ ارتَبتُم**﴾: شككتم فيهما، ويقولان: ﴿**لا نَشتَرِي بِهِ**﴾: بالله ﴿**ثَمَنًا**﴾: عِوَضًا نأخذُه بدَلَه من الدُّنيا، بأن نحلف به أو نشهد به كاذبًا لأجله، ﴿**ولَو كانَ**﴾ المُقسَمُ له أو المَشهودُ له ﴿**ذا قُربَى**﴾: قرابةٍ منّا، ﴿**ولا نَكتُمُ شَهادةَ اللهِ**﴾ التي أُمرنا بإقامتها. ﴿**إنّا إذًا**﴾: إن كتمناها ﴿**لَمِنَ الآثِمِينَ**﴾ ١٠٦. ﴿**فإن عُثِرَ**﴾: اطُّلع، بعد حلفهما، ﴿**علَى أنَّهُما استَحَقّا إثمًا**﴾ أي: فَعَلا ما يُوجبه من خِيانة أو كذِب في الشهادة، بأن وُجد عندهما مثلًا ما اتُّهما به، وادَّعيا أنّهما ابتاعاه من الميت أو وصَّى لهما به، ﴿**فآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما**﴾ في توجّه اليمين عليهما، ﴿**مِنَ الَّذِينَ استُحِقَّ علَيهِم**﴾ الوصيّةُ - وهم الورثة - ويُبدل من «آخرانِ» ﴿**الأَولَيانِ**﴾ بالميت أي: الأقربانِ إليه - وفي قراءةِ «الأوَّلِينَ»: جمعُ أوّل، صفةٌ أو بدلٌ من «الّذِين» - ﴿**فيُقسِمانِ باللهِ**﴾ على خِيانة الشاهدَين، ويقولان: ﴿**لَشَهادَتُنا**﴾: يمينُنا ﴿**أحَقُّ**﴾: أصدقُ ﴿**مِن شَهادَتِهِما**﴾: يمينهما، ﴿**وما اعتَدَينا**﴾: تجاوزْنا الحقّ في اليمين. ﴿**إنّا إذًا لَمِنَ الظّالِمِينَ**﴾ ١٠٧.

المعنى: لِيُشهِدِ المُحتضَرُ على وصيّته اثنينِ أو يُوصي إليهما، من أهلِ دينه، أو غيرِهم إن فَقَدَهم لسفر ونحوه. فإن ارتاب الورثة فيهما، فادّعَوا أنهما خانا بأخذِ شيءٍ أو دفعِه إلى شخص زعما أنّ الميت أوصى له به، فلْيحلِفا إلى آخره. فإن اطُّلِع على أمارةِ تكذّبُهما فادّعيا دافعًا له حلفَ أقربُ الورثة على كذبهما وصِدق ما ادّعَوه. والحُكمُ ثابتٌ في الوصيَّينِ منسوخٌ في الشاهدَينِ، وكذا شهادةُ غير أهل المِلّة منسوخة. واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيصُ الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها. وهي ما رواه البخاريّ، أنّ رجلًا من بني سهم خرج مع تميم الداريّ وعديّ بن بَدّاءٍ - أي وهما نصرانيّان - فمات السهميّ بأرض ليس فيها مُسلم. فلمّا قدِما بتركته فقَدُوا جامًا من فِضّة مُخوَّصًا بالذهب، فرُفعا إلى النبيّ ﷺ، فنزلتْ فأحلفهما ثمّ وُجد الجام بمكّة، فقالوا: ابتَعناه من تميم وعديّ. فنزلتِ الآيةُ الثانية، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا. وفي رواية التِّرمذيّ: فقام عَمرُو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكانا أقرب إليه. وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبلّغا ما ترك أهلَه. فلمّا مات أخذا الجام، ودفعا إلى أهله ما بقي.

٣- ﴿**ذلِكَ**﴾ الحكم المذكور، من ردّ اليمين على الورثة، ﴿**أدنَى**﴾: أقربُ إلى ﴿**أن يأتُوا**﴾ أي: الشهودُ أو الأوصياء ﴿**بالشَّهادةِ علَى وَجهِها**﴾

---

(١) لا يضر أي: لايسبب أذى مهمًا. انظر سبب النزول في المفصل. وأبو ثعلبة صحابي ممن بايع تحت الشجرة. والمُؤثَرة: التي تفضّل على الآخرة. والمعنى: إذا لم يبق أحد تنفعه النصيحة، فاكتفِ بإصلاح ما يخصك. ومحال أن يخلو العالم ممن يقبل الصلاح، وما أورده السيوطي من الحديث ضعيف. وإلى الله أي: إلى لقاء موعده للحساب. والمرجع: الرجوع يوم القيامة. وينبئكم: يُعلمكم. وتعمل: تكتسب. **(٢)** حضر: جاء وظهر. والوصية: التمليك للتركة. وذوا عدل أي: رجلان صاحبا عدالة، أي: استقامة وصلاح. وأصابت: قربت. وفيهما أي: في صدق قول الآخَرين. وبه: يعني بدلًا من الله، أي: من حرمته. وكاذبًا أي: قسمًا كاذبًا. ونكتم: نخفي. وإقامة الشهادة: أداؤها كاملة. والآثم: المرتكب للذنب. وآخران أي: شاهدان غير اللذينِ ظهر كذبهما، مِن الذين وجبت لهم الوصية بالتركة. والشاهدين أي: أو الوصيَّينِ اللذين عُثر على كذبهما. والظالم: الكاذب. وفقدَهم أي: لم يكن معه مسلمون. والأمارة: العلامة بوضوح. والنسخ مراد به أن حكم تحليفِ الوصيَّينِ ثابت في الشرع، وحكمَ تحليفِ الشاهدَين وشهادةِ غير المسلمِين منسوخ. ونزلت لها أي: نزلت الآيات ١٠٦-١٠٨ بسببها. والبخاري أي: الحديث ٢٦٢٨ في صحيحه. وخرج أي: في سفر. والجام: كأس كبيرة. ورُفعا أي: رُفع أمر خيانتهما الأمانةَ. ونزلت فأحلفهما أي: الآية ١٠٦. وحلفا أي: على خيانة النصرانيَّين، ورُدّ الجام إليهما. وحديث الترمذي في سننه تحت الرقم ٣٠٦١. وعمرو بن العاص: صحابي من بني سهم. وأقرب إليه أي: إلى السهمي. وأهلَه أي: أن يوصِلا تركته إلى أهله. **(٣)** رد اليمين أي: ما جاء في الآية ١٠٧. يعني: توجه اليمين=

الجزء السابع — سورة المائدة

۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ
لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ
ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا
بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ
ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ
جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّبِينٞ ١١٠ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ إِذۡ قَالَ
ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣

نصف الحزب ١٣

الذي تحمّلوها عليه، من غير تحريف ولا خيانة، ﴿أو﴾ أقربُ إلى أن ﴿يخافوا أن تُرَدَّ أيمانٌ بَعدَ أيمانِهِم﴾ على الورثة المدَّعِينَ - فيحلفون على خِيانتهم وكذِبهم فيَفتضِحون ويَغرَمون - فلا يكذبوا. ﴿واتَّقوا اللهَ﴾، بترك الخِيانة والكذِب، ﴿واسمَعُوا﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾ ١٠٨: الخارجين عن طاعته، إلى سبيل الخير.

١- اذكرْ ﴿يَومَ يَجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ - هو يوم القيامة - ﴿فيَقُولُ﴾ لهم توبيخًا لقومهم: ﴿ماذا﴾ أي: [ما] الذي ﴿أُجِبتُم﴾ به، حين دَعوتم الناسَ إلى التوحيد؟ ﴿قالُوا: لا عِلمَ لَنا﴾ بذلك، إلّا ما علّمتنا. ﴿إنَّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيُوبِ﴾ ١٠٩: ما غاب عن العِباد وذهب عنهم علمه. لِشدّة هول يوم القيامة وفزعهم. ثمّ يشهدون على أُممهم لمّا يَسكنون.

٢- اذكرْ ﴿إذْ قالَ اللهُ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ، اذكُرْ نِعمَتِي علَيكَ وعلَى والِدَتِكَ﴾ بشكرها، ﴿إذْ أيَّدتُكَ﴾: قوّيتك ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾: جبريل، ﴿تُكَلِّمُ النّاسَ﴾: حالٌ من الكاف في «أيّدتك»، ﴿في المَهدِ﴾ أي: طفلًا ﴿وكَهلًا﴾ - يُفيد نُزولَه قبل الساعة، لأنه رُفع قبل الكُهولة كما سبق في «آل عمران». ﴿وإذْ عَلَّمتُكَ الكِتابَ والحِكمَةَ والتَّوراةَ والإنجِيلَ، وإذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ﴾: كصورةِ ﴿الطَّيرِ﴾ - والكاف: اسم بمعنى «مِثل» مفعول - ﴿بإذني فتَنفُخُ فِيها فتَكُونُ طَيرًا بإذني﴾: بإرادتي، ﴿وتُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ بإذني، وإذْ تُخرِجُ المَوتَى﴾ من قُبورهم أحياءً ﴿بإذني، وإذْ كَفَفتُ بَنِي إسرائيلَ عَنكَ﴾ حين همّوا بقتلك، ﴿إذْ جِئتَهُم بالبَيِّناتِ﴾: المُعجزات، ﴿فقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم: إنْ﴾ ما ﴿هٰذا﴾ الذي جئتَ به ﴿إلّا سِحرٌ مُبِينٌ﴾ ١١٠ - وفي قراءةٍ «ساحِرٌ» أي: عيسى - ﴿وإذْ أوحَيتُ إلَى الحَوارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي﴾ عيسى. ﴿قالُوا: آمَنّا﴾ بهما. ﴿واشهَدْ بأنَّنا مُسلِمُونَ﴾ ١١١.

٣- اذكرْ ﴿إذْ قالَ الحَوارِيُّونَ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ، هَل يَستَطِيعُ﴾ أي: يفعلُ ﴿رَبُّكَ﴾ - وفي قراءةٍ بالفوقانيّةِ ونَصبِ ما بعده أي: تقدرُ أن تسأله - ﴿أن يُنزِلَ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ؟ قالَ﴾ لهم عيسى: ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾، في اقتراح الآيات، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ ١١٢. ﴿قالُوا: نُرِيدُ﴾ سؤالَها من أجلِ ﴿أن نأكُلَ مِنها، وتَطمَئِنَّ﴾: تسكنَ ﴿قُلُوبُنا﴾ بزيادة اليقين، ﴿ونَعلَمَ﴾: نزدادَ علمًا ﴿أنْ﴾، مخفّفةٌ، أي: أنّك ﴿قَد صَدَقتَنا﴾ في ادّعاء النُّبوّة، ﴿ونكُونَ علَيها مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ ١١٣.

=إلى أولياء الميت، إذا ظهر من الوصيَّين أو الشاهدَين خيانة أو كذب. ويأتوا بها أي: يؤدوها. ويخاف: يخشى. وترد أي: يصير حق اليمين للورثة. والأيمان: جمع يمين. وهي القسم. ويَغرم: يَلزمه تأديةُ العِوَض. و«فلا يكذبوا» كذا. وعبارة السيوطي من التلخيص، وفيه: «فيحلفون... ويغرمون فلا يحلفون كاذبين». واتقوه أي: خافوه واحذروا عقابه. ولايهديه: لايرشده ولايوفقه، بل يتركه لِما هو فيه من الفسوق.

(١) اليوم: الوقت. ويجمعهم: يبعثهم ويحضرهم جميعًا. والرسل: جمع رسول. وأجبتم: قوبلتم به قولًا وعملًا. والعلم: المعرفة والإحاطة الحقيقيتان. والمراد بـ «ذلك» هو جميع ما أجيبوا به قولًا وفعلًا. وعلّمتنا أي: يسّرت لنا تعلمه. وسقط «إلّا ما علمتنا» من الأصل والنسخ والمطبوعات، وأُلحق بحاشية الأصل مصححًا عليه. والعلّام: مبالغة اسم الفاعل من العلم، أي: الإحاطة البالغة بكل شيء. والغيوب: جمع غيب، أي: الشيء الذي غاب عن حواس المخلوقات وعقولهم. والسيوطي استعمل «لمّا» قبل الفعل المضارع «يسكنون» بمعنى: حين. وهذا خطأ. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٥٩ من سورة النساء.

(٢) النعمة: الإنعام. والوالدة: الأمّ. وفي ط وقرة العينين وبعض المطبوعات: «اشكرها». وروح القدس: الروح المقدسة. والمهد: ما يُمهّد للطفل. وطفلًا أي: قبل وقت الكلام. وهذا رد على النصارى القائلين: إنه تكلم في السن التي يتكلم فيها الأطفال. والكهل: من تجاوز سن الثلاثين. وما ذكره السيوطي هنا عن الكهل يخالف ما ذكر في تفسير الآية ٥٧ من سورة آل عمران. و«آل عمران» أي: الآيات ٤٦-٤٩ من تلك السورة. وعلمتك: يسّرت لك التعلم. والكتاب: الكتابة. والحكمة: الإتقان للتفكير والقول والفعل. وتخلق: تصوّر وتشكّل. والطين: التراب المجبول. والطير: واحده طائر. وتنفخ: تبعث نفَسك بقوة. وفيها أي: في هيئة الطير. وتكون: تصير. وتُبرئ: تشفي من المرض. والأكمه: من خُلق بغير بصر. والأبرص: من فيه مرض البرص. وتُخرج: تبعث. والموتى: جمع ميت. وكففت: منعت. وجئتهم بها: فعلتها. والسحر: الاحتيال يخدع الأبصار والبصائر ممن كان على غير اتزان. والمبين: الواضح لا شك فيه. والحواريون: أول من آمن به من بني إسرائيل. واشهد أي: اعلم لتطمئن وتُقِرّ لنا بذلك يوم القيامة.

(٣) يفعل: يعني أن «يستطيع» هنا بمعنى: يستجيب لدعائك. وبالفوقانية يريد القراءة «هَل تَستَطِيعُ رَبَّكَ»؟ أي: هل تطلب لنا من ربك؟ وينزل: يسقط. وقد أثبتناه هنا كما ضبط في الأصل وط وع، خلافًا لما في ث والمطبوعات: «يُنَزِّلَ». والمائدة: الخِوان العالي عليه الطعام. واتقوه: تجنبوا عصيانه أي: دعوا هذا الطلب، والزموا الاستسلام والإخلاص. ونريد: نقصد. ونأكل: نتغذى. والقلوب: جمع قلب. والعلم: الإدراك اليقيني بالمشاهدة. ومخففة: يعني أن أصلها «أنّ». وصدقت: قلت الحق. ونكون: نصير. والشاهد: من يقرّ بالحقيقة.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١- ﴿قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ: اللّٰهُمَّ رَبَّنا، أنزِلْ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ، تكُونُ لَنا﴾ أي: يومُ نُزولها ﴿عِيدًا﴾ نُعظّمه ونُسَرّ فيه، ﴿لِأوَّلنا﴾: بدلٌ من «لنا» بإعادة الجارّ، ﴿وآخِرنا﴾ ممّن يأتي بعدنا، ﴿وآيةً مِنكَ﴾ على قُدرتك ونُبوّتي، ﴿وارزُقْنا﴾ إيّاها. ﴿وأنتَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾ ١١٤. ﴿قالَ اللهُ﴾ مُستجيبًا له: ﴿إنِّي مُنْزِلُها﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿عَلَيكُم. فمَن يَكفُرْ بَعدُ﴾ أي: بعدَ نزولها ﴿مِنكُم فإنِّيَ أُعذِّبُهُ عَذابًا، لا أُعَذِّبُهُ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ﴾ ١١٥. فنزلتِ الملائكة بها من السماء، عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعةُ أحواتٍ، فأكلوا منها حتّى شبعوا. قاله ابن عبّاس. وفي حديثٍ: «أُنزلَتِ المائدةُ منَ السَّماءِ خُبزًا ولَحمًا. فأُمِرُوا ألّا يَخُونُوا ولا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فخانُوا وادَّخَرُوا ورَفَعوا، فمُسِخُوا قِرَدةً وخَنازِيرَ».

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ﴾ أي: يقول ﴿اللهُ﴾ لعيسى، في القِيامة توبيخًا لقومه: ﴿يا عِيسَى بنَ مريَمَ، أأنتَ قُلتَ لِلنّاسِ: اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَينِ مِن دُونِ اللهِ؟ قالَ﴾ عيسى، وقد أُرعِدَ: ﴿سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك من الشريك وغيره! ﴿ما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أن أقُولَ ما لَيسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبرُ «ليس»، ولي: للتبيين. ﴿إن كُنتُ قُلتُهُ فقَد عَلِمتَهُ. تَعلَمُ ما﴾ أُخفيه ﴿في نَفسِي، ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ﴾ أي: ما تُخفيه من معلوماتك. ﴿إنَّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيُوبِ﴾ ١١٦. ﴿ما قُلتُ لَهُم إلّا ما أمَرتَني بِهِ﴾ - وهو ﴿أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي وربَّكُم - وكُنتُ عَلَيهِم شَهِيدًا﴾: رقيبًا أمنعهم ممّا يقولون، ﴿ما دُمتُ فِيهِم، فلَمّا تَوَفَّيتَني﴾: قبضتَني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم﴾: الحفيظَ لأعمالهم. ﴿وأنتَ على كُلِّ شَيءٍ﴾، من قولي لهم وقولهم بعدي وغيرِ ذلك، ﴿شَهِيدٌ﴾ ١١٧: مطّلع عالم به. ﴿إن تُعَذِّبْهُم﴾ أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فإنَّهُم عِبادُكَ﴾، وأنت مالكهم تتصرّف فيهم كيف شئتَ؟ لا اعتراض عليك. ﴿وإن تَغفِرْ لَهُم﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فإنَّكَ أنتَ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره، ﴿الحَكِيمُ﴾ ١١٨ في صُنعه.

٣- ﴿قالَ اللهُ: هٰذا﴾ أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ يَنفَعُ الصّادِقِينَ﴾ في الدُّنيا كعِيسَى ﴿صِدقُهُم﴾، لأنه يوم: الجزاء. ﴿لَهُم جَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿ذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ ١١٩. ولا ينفع الكاذبين في الدُّنيا صِدقهم فيه، كالكفّار لمّا يؤمنون عند رُؤية العذاب. ﴿لِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وما فِيهِنَّ﴾ - أتى بـ «ما» تغليبًا لغير العاقل - ﴿وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٢٠، ومنه إثابةُ الصادق وتعذيبُ الكاذب. وخَصَّ العقلُ ذاتَه، فليس عليها بقادر.

---

(١) اللّٰهم: يا أللهُ. وتكون: تصير. والعيد: ما يعود بالفرح. وقد نزلت يوم الأحد. وفيما عدا الأصل وع: «ونشرّفه». والآية: البرهان والدليل. ومنك أي: من عندك وبأمرك. وارزقنا أي: أعطنا. وخير: أكثر نفعًا. ومنزلها أي: مجيب الدعاء بإنزالها. وبالتشديد يريد القراءة «مُنَزِّلُها». ويكفر: ينكر الرسالة. وأعذبه: أقضي عليه بالعذاب. والعالمون: جمع عالَم. وهو الجنس من المخلوقات. والأحوات: جمع حوت. وهو السمكة. والحديث في الترمذي تحت الرقم ٣٠٦٣، بخلاف في اللفظ. وادّخروا أي: خبؤوا لأنفسهم. وفي البحر ٤:٥٧ أن الخلاف كثير في كيفية نزول المائدة، وما كان عليها ومن أكلوا منه، وما آل إليه أمرهم، ليس منه شيء يدل عليه لفظ الآية. فليُضرَب عن ذكره صفح، إلّا ما جاء في الحديث الصحيح.

(٢) الناس أي: قومك. واتخذوني: اجعلوني. والإلٰه: المعبود. ومن دونه أي: غيرَه. والمراد: معه. وقال أي: يقول. وأرعد: ارتعدت أعضاؤه من الفزع. والحق: الشيء الثابت. انظر «المفصل». وعلمتَه أي: ظهر علمك. وما في نفسي أي: ما أخفيه في قلبي. واعبدوه: قدسوه وحده وأطيعوه. ودمت: أقمت. وقبضتني بالرفع أي: رفعتني وأنقذتني. والعباد: جمع عبد. وتغفر: تستر الذنوب وتصفح عنها. والحكيم: المبالغ في معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإتقان.

(٣) قال أي: يقول في ذلك اليوم. وينفعه: يوصل إليه الثواب، ويمنع عنه العقاب. والأنهار: جمع نهر. والأبد: مدة الزمان كله. ورضي عنهم: قبِلَ أعمالهم وأكرمهم. ورضوا عنه: اطمأنوا إلى ما أكرمهم به. و«لمّا يؤمنون» خطأ. انظر تعليقنا على تفسيره للآية ١٠٩. والقدير: الكامل الاقتدار. وخص العقل: يعني أن «كل شيء» مع شموله للمولى - تعالى - يراد به غيره من الموجودات. ذلك لأن الله ليس كالأشياء. ولهذا استثنى العقلُ الذاتَ الإلٰهيةَ الواجبة الوجود من سلطان هذه القدرة المطلقة، إذ هي تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات التي هي افتراض وهمي. ويظهر مما ذكرنا مجانبةٌ للأدب في الكلام على الله، سبحانه. ولو قال السيوطي: «لأنها ليست من الموجودات التي تتعلق بها قدرته» لأوضح المراد، وتجنَّب الإشكال واضطراب الشراح في التعليق على عبارته. وقد أسقطها ناشرو المنحة وبعض المطبوعات، جهلًا بمضمونها، أو تأدبًا وخشية التوهم.

سُورَةُ الأَنْعَامِ — ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

مكيّة إلّا «وما قدروا الله حقّ قدره» الآيات الثلاث، وإلّا «قل تعالوا» الآيات الثلاث، مِائة وخمس أو ستّ وستّون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**الحمدُ**﴾، وهو الوصف بالجميل، ثابتٌ ﴿**لِله**﴾ - وهل المُراد الإعلام بذلك للإيمانِ به، أو الثناءِ به، أو هما؟ احتمالاتٌ أفيَدُها الثالث. قاله الشيخ في سورة «الكهف» - ﴿**الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ**﴾، خصّهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين، ﴿**وجَعَلَ**﴾: خلق ﴿**الظُّلُماتِ والنُّورَ**﴾ أي: كُلَّ ظُلمة ونور - وجَمَعَها دونه لكثرة أسبابها. وهذا من دلائل وحدانيّته - ﴿**ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾، مع قيام هذا الدليل، ﴿**برَبِّهِم يَعدِلُونَ**﴾ ١: يُسَوُّون غيرَه في العِبادة.

٢- ﴿**هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِن طِينٍ**﴾، بخلق أبيكم آدمَ منه، ﴿**ثُمَّ قَضَى أجَلًا**﴾ لكم تموتون عِند انتهائه، ﴿**وأجَلٌ مُسَمًّى**﴾: مضروبٌ ﴿**عِندَهُ**﴾ لبعثكم، ﴿**ثُمَّ أنتُم**﴾ - أيُّها الكُفّار - ﴿**تَمتَرُونَ**﴾ ٢: تشكُّون في البعث، بعد عِلمكم أنه ابتدأ خلقكم - ومن قَدَرَ على الابتداء فهو على الإعادة أقدرُ - ﴿**وهُوَ اللهُ**﴾: مُستحقّ للعبادة ﴿**في السَّماواتِ وفي الأرضِ، يَعلَمُ سِرَّكُم وجَهرَكُم**﴾: ما تُسرُّونه وما تجهرون به بينكم، ﴿**ويَعلَمُ ما تَكسِبُونَ**﴾ ٣: تعملون من خير وشرّ.

٣- ﴿**وما تأتِيهِم**﴾ أي: أهلَ مكةَ ﴿**مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**آيةٍ، مِن آياتِ رَبِّهِم**﴾ من القُرآن، ﴿**إلّا كانُوا عَنها مُعرِضِينَ**﴾ ٤. ﴿**فقَد كَذَّبُوا بالحَقِّ**﴾: بالقُرآن، ﴿**لَمّا جاءَهُم، فَسَوفَ يأتِيهِم أنباءُ**﴾: عواقبُ ﴿**ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٥. ﴿**ألَم يَرَوا**﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿**كَم**﴾: خبريّة بمعنى كثيرًا ﴿**أهلَكنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ**﴾: أُمّةٍ من الأُمم الماضية؟ ﴿**مَكَّنّاهُم**﴾: أعطيناهم مكانًا ﴿**في الأرضِ**﴾، بالقوّة والسَّعةِ، ﴿**ما لَم نُمَكِّنْ**﴾: نُعطِ ﴿**لَكُم**﴾ - فيه التفات عن الغَيبة - ﴿**وأرسَلْنا السَّماءَ**﴾: المطرَ ﴿**عَلَيهِم مِدرارًا**﴾: مُتتابعًا، ﴿**وجَعَلْنا الأنهارَ تَجرِي مِن تَحتِهِم**﴾: تحتَ مساكنهم، ﴿**فأهلَكناهُم بذُنُوبِهِم**﴾: بتكذيبهم الأنبياءَ، ﴿**وأنشأْنا مِن بَعدِهِم قَرنًا آخَرِينَ**﴾ ٦.

٤- ﴿**ولَو نَزَّلْنا عَلَيكَ كِتابًا**﴾ مكتوبًا ﴿**في قِرطاسٍ**﴾: رَقٍّ كما اقترحوه، ﴿**فلَمَسُوهُ بأيدِيهِم**﴾ - أبلغُ من «عايَنوه» لأنه أنفى للشكّ - ﴿**لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ**﴾ ما ﴿**هٰذا إلّا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾ ٧، تعنّتًا وعِنادًا. ﴿**وقالُوا: لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ عَلَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**مَلَكٌ**﴾ يُصدّقه. ﴿**ولَو أنزَلْنا مَلَكًا**﴾ كما اقترحوه، فلم يُؤمنوا، ﴿**لَقُضِيَ الأمرُ**﴾ بهلاكهم، ﴿**ثُمَّ لا يُنظَرُونَ**﴾ ٨: يُمهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم، من إهلاكهم عِند

---

(١) ثابت: مستحَق دائمًا. وبذلك أي: بثبوت الحمد. وبالثالث يريد الاحتمال الأخير، أي: هما. وهو أن يجمع قائل «الحمد لله» بين الإيمان بثبوت الحمد لله، وصدور الحمد منه لله. وقاله أي: جلال الدين المحلي، في تفسير أول سورة الكهف. وخلَقَه: أوجده من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض. ولأنهما أعظم المخلوقات للناظرين: يعني أن في الكون ما هو أعظم منهما، ولكن الناس محجوبون عنه لا يعلمونه. فقد جاء في الأثر أن ملكوت الله ١٧٠٠٠ عالَم، السماوات والأرض واحد منها. والظلْمة: السواد الدامس تغيب فيه معالم الأشياء، كالليل وما في الأجسام الكثيفة والعقائد الباطلة، وما في الكون من ظلام أضخم من الأنوار. ولذا كان الجمع. والنور: الضوء الساطع تتضح به الحقائق. وكفر: كذّب الله ورسوله. (٢) الطين: التراب المجبول. وقضى: قدّر وكتب. والأجل: المدة المحدّدة لنهاية الشيء. والمضروب: المقدّر. وعنده أي: في علمه. وجعل الأجل الثاني عنده لأنه لايعلمه إلّا هو. بخلاف الأول الذي للناس علم به في الجملة، إذ هومحدود بالأعمار التقريبية. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وتسره أي: تخفيه. وتجهر به أي: تظهره وتعلنه للآخرين. (٣) تأتيهم: تنزل إليهم. وزائدة: يعني أن «من»: للتنصيص على عموم النفي. والآية: العبارة القرآنية أُثِرَ الوقوف في نهايتها غالبًا. والمعرض: المنصرف تكذيبًا. والحق: الشيء الثابت. وجاءهم: أتاهم. ويأتيهم: ينزل بهم. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر المزعج. ويستهزئ: يسخر. ويروا أي: يعلموا. وغيرها أي: إلى غير الشام، كاليمن يسافرون إليه في الشتاء. وأهلك: دمّر وأفنى. وأعطيناهم مكانًا أي: ثبّتناهم فيه. ولم نعط أي: لم نيسّر لكم مثله. وارسلنا: أطلقنا بغير قيد وحساب. وجعل: صيّر. والأنهار: جمع نهر. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية عليها عقاب. وأنشأ: خلق. وآخرين أي: مغايرين لهم ليس فيهم واحد ممن هلك. (٤) روي أن صناديد المشركين قالوا: يامحمد، واللهِ لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله. فنزلت الآيات ٧-٩. الواحدي ص ٢٠٨. ونزلنا: أرسلنا من السماء مع جبريل. والرق: الجلد يُكتب عليه. وهو غير القرطاس. وتفسير السيوطي هنا غير سديد. ولمس: تحسس ليدرك الحقيقة. والأيدي: جمع يد، أي: الكف. والسحر: ما هو تمويه وتخييل يخدع بعض الحواس والعقول لضعاف الإيمان والقلوب. والمبين: الواضح لاشك فيه. وأنزل: أرسل من عند الله. ويصدقه أي: يخبرنا بصدقه في النبوة. وقضي الأمر: أُبرم أمرهم، أي: الحكم عليهم ونُفّذ فيهم. وجعلنا: صيّرنا. وصورته أي: صورة الرجل. ويلبسون أي: يلبسونه، يشبهونه ويجعلونه مشكِلًا يُشَك فيه ولا يُطمأن إليه.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

وجود مُقترحهم، إذا لم يؤمنوا. ﴿**ولو جعلْناهُ**﴾ أي: المُنزَلَ إليهم ﴿**مَلَكًا لجعَلْناهُ**﴾ أي: المَلَكَ ﴿**رَجُلًا**﴾ أي: على صورته، ليتمكّنوا من رُؤيته، إذ لا قوّة للبشر على رُؤية المَلَك، ﴿**و**﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجُلًا ﴿**لَلَبَسْنا**﴾ شبَّهنا ﴿**عَلَيهِم ما يَلبِسُونَ**﴾ ٩ على أنفسهم، بأن يقولوا: ما هذا إلّا بشر مِثلُكم.

١- ﴿**ولقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ**﴾ - فيه تسلية للنبيّ - ﴿**فحاقَ**﴾: نزل ﴿**بالَّذينَ سَخِرُوا مِنهُم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ١٠. وهو العذاب، فكذا يَحيق بمن استهزأ بك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**سِيرُوا في الأرضِ، ثُمَّ انظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكذِّبِينَ**﴾ ١١ الرُّسلَ، من هلاكهم بالعذاب؟ ليعتبروا. ﴿**قُلْ: لِمَن ما في السَّماواتِ والأرضِ؟ قُلْ: لِلهِ**﴾. إن لم يقولوه، لا جواب غيرُه. ﴿**كَتَبَ**﴾: قضى ﴿**على نَفْسِهِ الرَّحمةَ**﴾، فضلًا منه. وفيه تلطُّف في دعائهم إلى الإيمان. ﴿**لَيَجمَعَنَّكُم إلَى يَومِ القِيامةِ**﴾، ليُجازيَكم بأعمالكم، ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيهِ. الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ بتعريضها للعذاب: مبتدأ خبرُه ﴿**فهُم لا يُؤمِنُونَ**﴾ ١٢.

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

٢- ﴿**ولَهُ**﴾ - تعالى - ﴿**ما سَكَنَ**﴾: حلَّ ﴿**في اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ أي: كُلُّ شيء، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿**وهْوَ السَّمِيعُ**﴾ لما يقال، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ١٣ بما يُفعل. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أغيرَ اللهِ أتَّخِذُ وَلِيًّا**﴾ أعبده، ﴿**فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: مُبدعِهما، ﴿**وهْوَ يُطعِمُ**﴾: يَرزق ﴿**ولا يُطعَمُ**﴾: يُرزَق؟ لا. ﴿**قُلْ: إنِّيَ أُمِرتُ أن أكُونَ أوَّلَ مَن أسلَمَ**﴾ لله من هذه الأُمّة، وقيل لي: ﴿**ولا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١٤ به. ﴿**قُلْ: إنِّيَ أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي**﴾ بعبادة غيره، ﴿**عَذابَ يَوم عَظِيم**﴾ ١٥: هو يوم القِيامة، ﴿**مَن يُصرَفْ**﴾ - بالبناء للمفعولِ أي: العذابُ، وللفاعلِ أي: اللهُ. والعائد محذوف - ﴿**عَنهُ يَومَئِذٍ فقَد رَحِمَهُ**﴾ تعالى أي: أراد له الخير. ﴿**وذٰلِكَ الفَوزُ المُبِينُ**﴾ ١٦: النجاة الظاهرة.

٣- ﴿**وإن يَمسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ**﴾: بَلاءٍ، كمرض وفقر، ﴿**فلا كاشِفَ**﴾: رافعَ ﴿**لَهُ إلّا هُوَ، وإن يَمسَسْكَ بِخَيرٍ**﴾، كصحّةٍ وغِنًى، ﴿**فهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١٧، ومنه مَسُّكَ به، ولا يقدِر على ردِّه عنك غيرُه، ﴿**وهْوَ القاهِرُ**﴾: القادر الذي لا يُعجزه شيء، مُستعليًا ﴿**فَوقَ عِبادِهِ، وهْوَ الحَكِيمُ**﴾ في خلقه، ﴿**الخَبِيرُ**﴾ ١٨ ببواطنهم كظواهرهم.

---

(١) الرسل: جمع رسول. وهو الذي كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل، وغالبًا ما يكون معه كتاب منزل. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. وسخر: استهزأ. ومنهم أي: من الرسل. وسيروا: امشوا وتنقلوا. وانظروا: تفكروا فيما تشاهدون. والعاقبة: ما ينتهون إليه من العقاب. ولمن أي: من يملك ويتصرف تصرفًا مطلقًا، مِن دون معين أو منازع؟ والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ولا جواب غيره أي: هو الجواب الوحيد. ونفسه أي: ذاته وحقيقته. والرحمة: العطف بالإحسان. والمراد: جعل ذلك واجبًا عليه، فضلًا أي: على وجه التفضل والامتنان. والأمر الأول لطلب السؤال، والثاني لرد الجواب. وكذلك ما في الآية ١٩. ويجمعكم: يحشركم بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور. وفيه أي: في حصول يوم القيامة. وخسرها: ظلمها وأهلكها. ونفس الإنسان: حقيقته وذاته. ويؤمن: يعرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٢) عن ابن عباس أن المشركين قالوا: يامحمد، إنا علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجةُ. فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا، حتى تكون أغنانا رجلًا ، وترجع عما أنت عليه. فنزلت الآيات ١٣-١٨. تفسير القرطبي ٦:٣٩٦. وله أي: بملكه وتصرفه وحده. وما سكن يشمل الساكن والمتحرك، أي: كل شيء. والسميع والعليم: من السمع الكامل والعلم المطلق ، أي: أنه وحده المختص بذلك. وأتخذ: أجعل. والولي: المعبود يتولى أمر الناس ويتصرف في شؤونهم. وفاطرهما أي: الذي خلقهما من العدم على غير مثال سابق. ويُرزق يعني: لايُرزق لأنه غني عن العالمين. وأمرت: فُرض عليّ. وأكون: أصير. والأول: الأسبق. وأسلمَ أي: انقاد واستسلم. فهو أيضًا مكلف بدعوة نفسه إلى الإسلام، وأول من آمن بالرسالة. والمشرك: من يجعل مع الله شريكًا له في التقديس والطاعة. وأخاف: أتوقع. وعصيته: خرجت على طاعته أو خالفتها. واليوم: الوقت. والعظيم: المهول لايقدر قدره وليس له مثيل. ويصرف: يمنع ويحجب. وبالفاعل يريد القراءة «يَصرِفْ». والتقدير: من يَصرفْه اللهُ. ويصرفه: يمنعه. والعائد أي: الضمير العائد على العذاب. ويومئذ أي: يومَ إذْ يكون العذاب. ورحمه: أوجب له الرحمة، فعطف عليه وأنعم. وذلك أي: ما ذكر من الرحمة وصرف العذاب.

(٣) يمسّك به أي: يقدّره عليك، وإن كان يسيرًا. والضر: ما يؤذي. والخير: ما فيه نفع ومسرة. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والقدير: الكامل الاقتدار. وبه أي: بما ذكر من الضر والخير. والعباد: جمع عبد. والحكيم: الكامل الحكمة، أفعاله متقنة آمنة من وجوه الخلل والفساد. والخبير: البالغ العلم والإحاطة.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

١- ونزل، لمّا قالوا للنبيّ: «ائتِنا بمَن يَشهدُ لكَ بالنبوّة، فإنّ أهل الكِتاب أنكرُوكَ»: ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أيُّ شَيءٍ أكبَرُ شَهادةً**﴾؟ تمييزٌ محوّل عن المبتدأ. ﴿**قُلِ: اللهُ**﴾. إن لم يقولوه. لا جواب غيرُه. هو ﴿**شَهِيدٌ بَيني وبَينكُم**﴾ على صِدقي. ﴿**وأُوحِيَ إليَّ هٰذا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم**﴾ - يا أهل مكّةَ - ﴿**بِهِ ومَن بَلَغَ**﴾: عطف على ضمير «أنذركم» أي: بلغَه القُرآن من الإنس والجنّ. ﴿**أإنَّكُم لَتَشهَدُونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهةً أُخرَى**﴾؟ استفهام إنكار. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا أشهَدُ**﴾ بذلك. ﴿**قُلْ: إنَّما هُوَ إلٰهٌ واحِدٌ، وإنَّني بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ**﴾ ١٩ معه من الأصنام. ﴿**الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ**﴾ أي: مُحمّدًا، بنعته في كِتابهم، ﴿**كَما يَعرِفُونَ أَبناءَهُمُ، الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ منهم، ﴿**فهُم لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٢٠ به. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾، بنسبة الشريك إليه، ﴿**أو كَذَّبَ بِآياتِهِ**﴾: القُرآنِ؟ ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ**﴾ ٢١ بذلك.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أشرَكُوا**﴾ توبيخًا: ﴿**أينَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ**﴾ ٢٢ أنهم شُركاء لله؟ ﴿**ثُمَّ لَم تكُنْ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**فِتنَتَهُم**﴾، بالنصب والرفع، أي: معذرتَهم ﴿**إلّا أن قالُوا**﴾ أي قولُهم: ﴿**واللهِ رَبِّنا**﴾ - بالجرِّ: نعتٌ، والنصبِ: نداءٌ - ﴿**ما كُنّا مُشرِكِينَ**﴾ ٢٣. قال تعالى: ﴿**انظُرْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**كَيفَ كَذَبُوا علَى أنفُسِهِم**﴾، بنفي الشِّرك عنهم، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَـ**﴾ ٢٤ـه على الله من الشركاء؟

٣- ﴿**ومِنهُم مَن يَستَمِعُ إلَيكَ**﴾ إذا قرأت، ﴿**وجَعَلْنا علَى قُلُوبِهِم أكِنَّةً**﴾: أغطية، لِـ ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**يَفقَهُوهُ**﴾: يفهموا القُرآن، ﴿**وفي آذانِهِم وَقرًا**﴾: صَممًا فلا يسمعونه سماعَ قَبول، ﴿**وإن يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها - حَتَّى إذا جاؤُوكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا**﴾ القُرآنُ ﴿**إلّا أساطِيرُ**﴾: أكاذيبُ ﴿**الأَوَّلِينَ**﴾ ٢٥، كالأضاحيك والأعاجيب، جمعُ أُسطورة بالضمّ - ﴿**وهُم يَنهَونَ**﴾ الناسَ ﴿**عَنهُ**﴾ أي: عن اتّباع النبيّ، ﷺ ﴿**ويَنأَونَ**﴾: يتباعدون ﴿**عَنهُ**﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلتْ في أبي طالب، كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**يُهلِكُونَ**﴾ بالنأي عنه ﴿**إلّا أنفُسَهُم**﴾، لأنّ ضرره عليهم، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ ٢٦ بذلك.

٤- ﴿**ولَو تَرَى**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**إذْ وُقِفُوا**﴾: عُرضوا ﴿**علَى النّارِ، فقالُوا: يا**﴾ - للتنبيه - ﴿**لَيتَنا نُرَدُّ**﴾ إلى الدُّنيا، ﴿**ولا نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنا، ونَكُونُ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ٢٧. برفعِ الفعلين استئنافًا، ونصبِهما في جواب التمنّي، ورفع الأوّل ونصبِ الثاني. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا عظيمًا. قال تعالى: ﴿**بَل**﴾ - للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنّي - ﴿**بَدا**﴾: ظهرَ ﴿**لَهُم ما كانُوا يُخفُونَ مِن قَبلُ**﴾: يكتمون، بقولهم «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، بشهادة جوارحهم، فتمنَّوا ذلك، ﴿**ولَو رُدُّوا**﴾ إلى الدُّنيا فَرْضًا ﴿**لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُ**﴾ من الشِّرك، ﴿**وإنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ ٢٨ في وعدهم بالإيمان.

---

(١) انظر «المفصل» لسبب النزول. والأكبر: الأصدق. والشهادة: الخبر الحق القاطع للخلاف. وعن المبتدأ: يعني أن أصل التقدير: أيّ شي ء شهادتُه أكبرُ؟ ولا جواب غيره: انظر الآية ١٢. وأوحي أي: أُنزل من عند الله على لسان جبريل، ويُسِّرَ لي تعلمه وحفظه وتفهمه وتبليغه. وبلغه: وصل إليه. وتشهدون: تُقرّون. والآلهة: جمع إلٰه. وهو المعبود بحق. والواحد: المتوحد المتفرد لامثيل له. والبريء: المتبرئ المتنزه. وتشركون أي: تجعلونه شريكًا في الألوهية. وآتيناهم: أعطيناهم نكلفهم بالإيمان والعمل. ويعرف: يعلم بيقين قاطع. والأبناء: جمع ابن. والأظلم: الأكثر وضعًا للباطل في مكان الحق. وممن أصله «مِنْ مَن» أبدلت النون ميمًا وأدغمت في الميم بعدها. وافترى: اختلق. وكذب بها: أنكرها بعد ما تبين أنها حق. ولايفلح: لايفوز بخير. والظالمون: الكافرون من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم. (٢) اليوم: الوقت، أي: ما فيه من الأهوال. ونحشرهم: نجمعهم بالقهر من قبورهم، للحساب والعقاب. وجميعًا أي: مجتمعين كلهم لايتخلف أحد منهم. ونقول أي: على لسان الملائكة. وأشركوا: جعلوا مع الله شريكًا له في التقديس والطاعة. والشركاء: جمع شريك، أي: شركاء الله في رأيكم. وتزعمون: تدّعون بالباطل والافتراء. وتكون: تصير. وبالياء يريد القراءة «لَم يَكُنْ». والفتنة: الاختبار. وبالرفع يريد «فِتنَتُهُم». والنصب يريد به قراءة «رَبَّنا». ويفتري: يختلق. (٣) انظر «المفصل» لسبب النزول. وجعلنا: خلقنا بسبب عنادهم والمكابرة. والقلوب: جمع قلب. والأكنة: جمع كنان. والأغطية: جمع غطاء. والآذان: جمع أذن. والآية: الدليل الواضح بالمعجزات. ويجادل: يخاصم بالقول. والأولون: قدماء الأمم. والأسطورة: المقولة الباطلة تروى. وينهى: يدفع بالأباطيل والمكايد. ونزلت أي: هذه الآية. وأبو طالب: عم النبي ﷺ ووالد الإمام عليّ. ويهلك: يؤذي بالخلود في النار. وبالنأي أي: وبالنهي. وضرره أي: ضرر الإهلاك. ويشعر: يعي ما يشاهد. (٤) ترى: تبصر بعينيك. وعرضوا عليها أي: وعاينوها. ونرد: نعاد. ونكون: نصير. وقول السيوطي «جواب التمني» الصواب أن «نكذّبَ»: منصوب بـ «أن» مضمرة بعد واو المعية. البحر ٤:١٠١. وبرفع الأول ونصب الثاني يريد القراءة «ولا نُكَذِّبُ... ونَكُونَ ». انظر «المفصل». ومن قبل أي: من قبلِ شهادةِ جوارحهم. وقولهم المذكور هو في الآية ٢٣. والجوارح: الأعضاء العاملة من الجسد. وردوا: أعيدوا. وفرضًا أي: افتراضًا عقليًا غير واقع. ونهوا عنه أي: أُمروا بتركه وحرّم عليهم.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

١- ﴿وقالُوا﴾ أي مُنكرو البعث: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إلّا حَياتُنا الدُّنيا، وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ﴾ ٢٩. ﴿ولَو تَرَى إذْ وُقِفُوا﴾: عُرضوا ﴿علَى رَبِّهِم﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا. ﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿ألَيسَ هٰذا﴾ البعثُ والحساب ﴿بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى ورَبِّنا﴾ إنه لحقّ. ﴿قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تكفُرُونَ﴾ ٣٠ به في الدُّنيا.

٢- ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ﴾: بالبعث. ﴿حَتَّى﴾ - غايةٌ للتكذيب - ﴿إذا جاءَتهُمُ السّاعةُ﴾: القِيامة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿قالُوا: يا حَسْرتَنا﴾ - هي شِدّة التألُّم، ونداؤها مجاز أي: هذا أوانُكِ فاحضُري - ﴿علَى ما فَرَّطْنا﴾: قصّرنا ﴿فِيها﴾ أي: الدُّنيا. ﴿وهُم يَحمِلُونَ أوزارَهُم علَى ظُهُورِهِم﴾، بأن تأتيَهم عِند البعث على أقبحِ شيء صُورةً وأنتنِه رِيحًا فتركبَهم. ﴿ألا ساءَ﴾: بئس ﴿ما يَزِرُونَ﴾ ٣١: يحملونه حِملُهم ذلك! ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿إلّا لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾، وأمّا الطاعة وما يُعين عليها فمن أُمور الآخِرة، ﴿ولَلدّارُ الآخِرةُ﴾ - وفي قراءةٍ «ولَدارُ الآخِرةِ» - أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾الشِّرك. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ ٣٢، بالياء والتاء، ذلك فيُؤمنون؟

٣- ﴿قَد﴾ للتحقيق ﴿نَعلَمُ إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب. ﴿فإنَّهُم لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السِّرّ، لعلمهم أنك صادق - وفي قراءة بالتخفيف - أي: لا يَنسبونك إلى الكذب، ﴿ولٰكِنَّ الظّالِمِينَ﴾ - وضَعَه موضِعَ المُضْمر - ﴿بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿يَجحَدُونَ﴾ ٣٣: يُكذّبون، ﴿ولَقَد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ﴾ - فيه تسلية للنّبي - ﴿فَصبَرُوا علَى ما كُذِّبُوا وأُوذُوا، حَتَّى أتاهُم نَصرُنا﴾ بإهلاك قومهم. فاصبر حتّى يأتيك النصر بإهلاك قومِك، ﴿ولا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾: مَواعِيده. ﴿ولَقَد جاءَكَ مِن نَبَأ المُرسَلِينَ﴾ ٣٤ ما يَسكُن به قلبك.

٤- ﴿وإن كانَ كَبُرَ﴾: عظُم ﴿علَيكَ إعراضُهُم﴾ عن الإسلام، بحرصك عليهم، ﴿فإنِ استَطَعتَ أن تَبتَغِيَ نَفَقًا﴾: سَرَبًا ﴿في الأرضِ، أو سُلَّمًا﴾: مِصعدًا ﴿في السَّماءِ، فَتَأتِيَهُم بِآيةٍ﴾ ممّا اقترحوا، فافعلْ - المعنى: إنك لا تستطيع ذلك. فاصبر حتّى يحكُم الله - ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ هِدايتهم ﴿لَجَمَعَهُم علَى الهُدَى﴾، ولكن لم يشأ ذلك فلم يُؤمنوا. ﴿فلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ﴾ ٣٥ بذلك. ﴿إنَّما يَستَجِيبُ﴾ دُعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تفهُّم واعتبار، ﴿والمَوتَى﴾ أي: الكُفّارُ - شبَّههم بهم في عدم السماع - ﴿يَبعَثُهُمُ اللهُ﴾ في الآخِرة، ﴿ثُمَّ إلَيهِ يُرجَعُونَ﴾ ٣٦:

(١) الحياة: العيش روحًا وجسدًا. والمبعوث: من يخرج من القبر للحساب والجزاء. والمراد: ليس لنا حياة غير هذه التي نحن فيها بالدنيا، ولن نبعث بعد الموت. ولو ترى: انظر الآية ٢٧. والحق: الموجود الثابت. وذوقوه أي: تحسسوه بكامل الجسم والروح، وقاسوا أهواله. والعذاب: التعذيب. وتكفرون به أي: تكذبونه وتجحدونه.

(٢) خسر: فاته نعيم الجنة واستحق الخلود في جهنم. ولقاؤه أي: لقاء حسابه وجزائه بعد الموت. وغاية أي: ما زال بهم التكذيب إلى وقت حسرتهم، عند حضور أسباب الموت. وجاءتهم: وصلت إليهم. والساعة: وقت مقدمات الموت. و«احضري» المراد الاعتراف بهول ما وقع لهم من شدة الندم والتفجع، حتى اضطروا إلى نداء ما لاينادَى. وقصّرنا أي: بالكفر والعصيان. والأوزار: جمع وِزر. وهوثقل الذنب. والظهور: جمع ظهر. وساء أي: تجاوز الحد في البؤس والشقاء والشر. واللعب: ما يَشغل النفس عما تنتفع به. واللهو: صرفُها إلى الهزل. والآخرة: المتأخرة تكون بالبعث بعد الموت. وخير أي: أكثر نفعًا من الحياة الدنيا. ويتقون الشرك أي: يتجنبونه ويلتزمون التوحيد. ويعقل: يفكر ليميز الخير من الشر. وبالتاء يريد القراءة «أفلا تَعقِلُونَ»؟

(٣) نعلمه: نحيط به كامل الإحاطة. والشأن: الأمر والموضوع. ويحزنك: يَغمّك ويحزّ في نفسك. انظر «المفصل». وبالتخفيف يريد القراءة «لا يُكْذِبُونَكَ». والظالم: الكافر يفضل الباطل على الحق. والرسل: جمع رسول. ومن قبلك أي: من قبل زمانك. وصبر: ثَبَتَ ولم يجزع. وأوذوا: أصيبوا بالضرر. وأتاهم: جاءهم. والنصر: العون والتأييد. والمبدّل: من ينقض ويغيّر. ونفي المبالغة «مبدّل» يفيد مبالغة للنفي.

(٤) إعراضهم: ابتعادهم. وبحرصك عليهم أي: بسبب رغبتك في إيمانهم. انظر «المفصل». واستطعت: قدرت. وتبتغي: تتخذ. والسرب: المنفذ يُدخل فيه إلى جوف الأرض. وفتأتيهم بآية أي: لتحضر لهم معجزة تحملهم على الإيمان. وشاء: أراد وقضى. و«هدايتهم» صوابه: «جَمْعَهم على الهدى». وجمَعَهم: ألّف بين قلوبهم ووحّد بينها بالقهر. والهدى: الرشد والبصيرة بالحق. وتكون: تصير. والجاهل: من لايعرف حقيقة الأمور. ويستجيب: يجيب بالقبول. والاعتبار: الاتعاظ وتقبل النصح. والموتى: موتى القلوب، أي: الذين لايعقلون ولايتدبرون. ويبعثهم: يخرجهم من قبورهم أحياء بعد الموت الحقيقي. وإليه أي: إلى موقف حسابه لهم وجزائهم. وعن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في رؤساء قريش، سألوا الرسول ﷺ معجزة تعنتًا منهم. وإلّا فقد جاءهم بآيات كثيرة فيها مَقنع. البحر ٤:١١٨. ونُزِّل: أُلقي وأُسقط. والآية: المعجزة تضطرهم إلى الإيمان. ومن ربه أي: من عند ربه. والقادر: الكامل الاستطاعة. وبالتخفيف يريد القراءة «يُنْزِلَ». واقترح: اختلق وطلب. ويعلم: يدرك ويعي.

الجزء السابع سورة الأنعام

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

الحزب ١٤

يُردّون، فيُجازيهم بأعمالهم. ﴿**وقالُوا**﴾ أي: كُفّار مكّةَ: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**نُزِّلَ عليهِ آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾، كالناقة والعصا والمائدة. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُنَزِّلَ**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**آيةً**﴾ ممّا اقترحوا، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ٣٧ أنّ نُزولها بلاء عليهم، لوُجوب هلاكهم إن جحدوها.

١- ﴿**وما مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**دابّةٍ**﴾ تمشي ﴿**في الأرضِ، ولا طائرٍ يَطِيرُ**﴾ في الهواء ﴿**بجَناحَيهِ، إلّا أُمَمٌ أمثالُكُم**﴾، في تقدير خلقها ورزقها وأحوالها - ﴿**ما فَرَّطْنا**﴾: تركنا ﴿**في الكِتابِ**﴾: اللوح المحفوظ ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ**﴾، فلم نكتبه - ﴿**ثُمَّ إلى رَبِّهِم يُحشَرُونَ**﴾ ٣٨ فيُقضى بينهم، ويُقتَصّ للجَمّاء من القَرناء، ثم يقول لهم: كونوا تُرابًا. ﴿**والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾: القُرآن ﴿**صُمٌّ**﴾ عن سماعها سماعَ قَبول، ﴿**وبُكمٌ**﴾ عن النُّطق بالحقّ، ﴿**في الظُّلُماتِ**﴾: الكفرِ. ﴿**مَن يَشَأِ اللهُ**﴾ إضلالَه ﴿**يُضلِلْهُ، ومَن يَشَأْ**﴾ هِدايتَه ﴿**يَجعَلْهُ على صِراطٍ**﴾: طريقِ ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ ٣٩. دِينِ الإسلام.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ - يا مُحمّد - لأهل مكّة: ﴿**أرَأَيتَكُم**﴾: أخبروني - ﴿**إن أتاكُم عَذابُ اللهِ**﴾ في الدُّنيا، ﴿**أو أَتَتكُمُ السّاعةُ**﴾: القِيامة المُشتملة عليه بغتةً - ﴿**أغَيرَ اللهِ تَدعُونَ**﴾؟ لا، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٤٠ في أنّ الأصنام تنفعكم فادعوها، ﴿**بَل إيّاهُ**﴾ لا غيرَه ﴿**تَدعُونَ**﴾ في الشدائد، ﴿**فيَكشِفُ ما تَدعُونَ إلَيهِ**﴾ أن يكشفه عنكم من الضُّرّ ونحوه، ﴿**إن شاءَ**﴾ كشْفَه، ﴿**وتَنسَونَ**﴾: تتركون ﴿**ما تُشرِكُونَ**﴾ ٤١ معه من الأصنام فلا تدعونه.

٣- ﴿**ولَقَد أرسَلْنا إلَى أُمَمٍ مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**قَبلِكَ**﴾ رُسلًا فكذَّبوهم، ﴿**فأخَذْناهُم بالبأساءِ**﴾: شِدّة الفقر ﴿**والضَّرّاءِ**﴾: المرض، ﴿**لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ**﴾ ٤٢: يتذلّلون فيؤمنون. ﴿**فلَولا**﴾: فهلّا، ﴿**إذْ جاءَهُم بأسُنا**﴾: عذابنا، ﴿**تَضَرَّعُوا**﴾ أي: لم يفعلوا ذلك، مع قيام المقتضي له، ﴿**ولٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُم**﴾ فلم تلن للإيمان، ﴿**وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٤٣ من المعاصي، فأصرّوا عليها. ﴿**فلَمّا نَسُوا**﴾: تركوا ﴿**ما ذُكِّرُوا**﴾: وُعظوا وخُوّفوا ﴿**بِهِ**﴾، من البأساء والضرّاء، فلم يتّعظوا ﴿**فَتَحْنا**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**عَلَيهِم أبوابَ كُلِّ شَيءٍ**﴾ من النِّعم، استدراجًا لهم. ﴿**حَتَّى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا**﴾ فَرَحَ بطرٍ ﴿**أخَذْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجأة، ﴿**فإذا هُم مُبلِسُونَ**﴾ ٤٤: آيِسُونَ من كُلّ خير، ﴿**فقُطِعَ دابِرُ القَومِ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي: آخِرُهم، بأن استُؤصِلوا. ﴿**والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ٤٥، على نصر الرُّسل وهلاك الكافرين.

---

(١) زائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. والدابة: الحيوان يتحرك في بر أو بحر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويطير: يعلو ويتنقل. والأمم: جمع أمة. وهي المجموعة من الخلق. والأمثال: جمع مِثل. وهو المُشابه. وتركنا أي: أهملنا. واللوح المحفوظ: سِجِلّ فيه ما كان وما سيكون في الوجود. وإلى ربهم أي: إلى نفاذ قضائه. ويحشرون أي: يُهلكون جميعًا. و«يقتص.. ترابًا» هذا قول لبعض المفسرين، مبني على حديث لأبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أهلِها يَومَ القِيامةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلحاءِ منَ الشّاةِ القَرناءِ». الحديث ٢٥٨٢ في مسلم. وزاد فيه بعض الرواة ماجاء بعدُ هنا، مع حساب للحجر والعود... أيضًا. انظر فتح القدير ٢:١٦٤. والراجح أن حشْرَ الحيواناتِ هو موتها كما ذكرنا قبل، وذِكرَ حسابِها هو للتمثيل في الحساب والقصاص. وهوقول لابن عباس والحسن البصري وآخرين. والجلحاء والجماء: التي لاقرن لها. والصم: جمع أصم. والبكم: جمع أبكم. وهو من لايستطيع الكلام. والظُّلْمة: السواد لا تتبين فيه الأمور. ويشاء: يريد. ويضله: يُمدّ قدراته بما يناسب اختياره الفاسد واستعداده السيئ. ويجعل: يصيّر. والمستقيم: المعتدل.

(٢) لأهل مكة أي: وغيرهم من الكافرين. وأخبروني أي: عن حالتكم العجيبة المتناقضة. وأتاكم: نزل بكم. وتدعونه: تستغيثون به لكشف العذاب. والصادق: من يقول الحق. ويكشفه: يرفعه ويزيله. وإن شاء كشْفه أي: إن أراد أن يكشفه كشْفَه. وتشركون أي: تجعلونه مشاركًا الله في التقديس والطاعة.

(٣) الأمم: جمع أمة. وهي الفئة من الناس يجمعها دين أو اعتقاد. وزائدة: انظر المفصل. وأخذناهم: عاقبناهم على ذنوبهم. وجاءهم: نزل بهم. والمقتضي له أي: ما يستلزم التضرع. وقست: استمرت بازدياد الصلابة، والصبر على البلاء. والقلوب: جمع قلب. وزيّنها: جمّلها فأعجبتهم. والشيطان: من يغري بالشر من الإنس أو الجن. ويعملون أي: يكتسبونه باختيار وقصد. وفتحنا: أطلقنا. وبالتشديد يريد القراءة: «فَتَّحْنا». والأبواب: جمع باب. وهو ما يتوصل به إلى الخفايا. واستدراجًا أي: خداعًا لهم وإمهالًا ليزدادوا كفرًا. وفرحوا: استبشروا ولم يتعظوا. وأوتوا: أعطوا من الخيرات. وقطع: بتر ومنع من الحياة. والدابر: كل من كان منهم. وظلموا: كفروا. والحمد: الثناء بالجميل ظاهرًا وباطنًا على المنعم. والعالَم: الجنس من الخلق. فالعالمون: كل المخلوقات.

الجزء السابع سورة الأنعام

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟
إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

١- ﴿**قُلْ**﴾ لأهل مكّةَ: ﴿**أَرَأَيْتُم**﴾: أخبروني - ﴿**إِن أَخَذَ اللهُ سَمعَكُم**﴾: أصَمَّكم ﴿**وأبصارَكُم**﴾: أعماكم، ﴿**وخَتَمَ**﴾: طبع ﴿**على قُلُوبِكُم**﴾ فلا تعرفون شيئًا - ﴿**مَن إلَـهٌ غَيرُ اللهِ يأتِيكُم بِهِ**﴾: بما أخذه منكم، بزعمكم؟ ﴿**انظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ**﴾: نُبيِّن ﴿**الآياتِ**﴾: الدلالاتِ على وحدانيّتنا، ﴿**ثُمَّ هُم يَصدِفُونَ**﴾ ٤٦: يُعرِضون عنها، فلا يؤمنون؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أَرَأَيتَكُم - إن أتاكُم عَذابُ اللهِ بَغْتَةً أو جَهْرَةً**﴾: ليلًا أو نهارًا - ﴿**هَل يُهلَكُ إلّا القَومُ الظّالِمُونَ**﴾ ٤٧ الكافرون؟ أي: ما يُهلَك إلّا هم.

٢- ﴿**وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلّا مُبَشِّرِينَ**﴾ مَن آمَن بالجنّة، ﴿**ومُنذِرِينَ**﴾ مَن كفرَ بالنار. ﴿**فَمَن آمَنَ**﴾ بهم ﴿**وأصلَحَ**﴾ عمله ﴿**فلا خَوفٌ عليهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٤٨ في الآخِرة، ﴿**والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ العَذابُ، بِما كانُوا يَفسُقُونَ**﴾ ٤٩: يخرجون عن الطاعة.

٣- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا أَقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائِنُ اللهِ**﴾ التي منها يُرزق، ﴿**ولا**﴾ إنّي ﴿**أعلَمُ الغَيبَ**﴾: ما غاب عنّي ولم يُوحَ إليّ، ﴿**ولا أقُولُ لكُم: إنّي مَلَكٌ**﴾ من الملائكة. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ. قُلْ: هَل يَستَوِي الأعمَى**﴾: الكافر ﴿**والبَصِيرُ**﴾: المؤمن؟ لا. ﴿**أفلا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ ٥٠ في ذلك فتُؤمنون؟ ﴿**وأنذِرْ**﴾: خوِّف ﴿**بِهِ**﴾: بالقرآن ﴿**الَّذِينَ يَخافُونَ أن يُحشَرُوا إلَى رَبِّهِم، لَيسَ لَهُم مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيره ﴿**وَلِيٌّ**﴾ ينصرهم، ﴿**ولا شَفِيعٌ**﴾ يشفع لهم - وجُملة النفي: حال من ضمير «يُحشروا»، وهي محلّ الخَوف. والمُراد بهم المُؤمنون العاصون - ﴿**لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ ٥١ اللهَ بإقلاعِهم عمّا هم فيه، وعملِ الطاعات.

٤- ﴿**ولا تَطرُدِ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُرِيدُونَ**﴾ بعبادتهم ﴿**وَجهَهُ**﴾ - تعالى - لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفُقراء. وكان المُشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليُجالسوه، وأراد النبيّ ذلك طمعًا في إسلامهم. ﴿**ما عليكَ مِن حِسابِهِم مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**شَيءٍ**﴾، إن كان باطنهم غير مَرْضيّ، ﴿**وما مِن حِسابِكَ عليهِم مِن شَيءٍ، فَتَطرُدَهُم**﴾: جواب النفي، ﴿**فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ**﴾ ٥٢ إن فعلتَ ذلك. ﴿**وكَذلِكَ فَتَنّا**﴾: ابتلَينا ﴿**بَعضَهُم بِبَعضٍ**﴾ أي: الشريفَ بالوضيع والغنيَّ بالفقيرِ، بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان، ﴿**لِيَقُولُوا**﴾ أي: الشُّرفاءُ والأغنياء بمَكّة مُنكِرينَ: ﴿**أَهؤُلاءِ**﴾ الفقراءُ ﴿**مَنَّ اللهُ عَلَيهِم مِن بَينِنا**﴾ بالهداية؟ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه. قال تعالى: ﴿**أَلَيسَ اللهُ بِأَعلَمَ بِالشّاكِرِينَ**﴾ ٥٣ له فيهديَهم؟ بلى.

---

(١) انظر أول الآية ٤٠. وأخذه: أفناه. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر. والقلوب: جمع قلب. وختم عليها: عطّل بصائركم وعقولكم، وسدّ عليها منافذ التدبر. وانظر: تفكر وتدبر. وأرأيتكم: انظر الآية ٤٠ أيضًا. والبغتة: الفُجاءة. والجهرة: تكون مع سبق علامات دالة. ويُهلَك: يُدمَّر ويُفنَى سخطًا. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أقبح ذلك. **(٢)** نرسل: نبعث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والمرسل: الرسول. والمبشر: المخبر بما يَسرّ. وبالجنة: متعلقان بـ «مبشرين». والمنذر: المهدد بالنقمة والعذاب. وبالنار: متعلقان بـ «منذرين». وآمن بهم أي: صدّقهم واستجاب لهم. وأصلحه: جعله صالحًا كما أمر الله. والخوف: الفزع مما يأتي. ويحزن: يغتم لِما كان. وكذبوا بآياتنا: انكروا الدلالات على الوحدانية وجحدوها. ويمسهم أي: ينزل بهم. وجُعل العذاب ماسًّا كأنه ذو حياة، يفعل بهم ما شاء من الآلام. **(٣)** انظر سبب النزول في المفصل. وعندي أي: في حوزتي وتصرفي. والخزائن: جمع خزانة. وهي مكان الحفظ للمتلكات. وأعلمه: أعرفه وأحيط به. والملَك: مخلوق نوراني ليس فيه حاجات البشر من طعام وغيره، أي: لاأدعي أنني ملَك، فأخالفَ البشر في أحوالهم وتصرفاتهم. وأتبعه: أعمل به. ويوحى: يُنزل على لسان جبريل، ويُيسَّر لي تعلمه وحفظه وتبليغه واتباعه. ويستويان: يكونان متساويين في الحكم والعمل والجزاء. وتتفكرون: تُعمِلون عقولكم فيما ترون وتسمعون، من الآيات والأدلة على صدق الرسالة. ويخاف: يخشى ويتهيب. ويحشروا: يجمعوا من قبورهم بالبعث يوم القيامة. وإلى ربهم أي: إلى موقف حسابه وجزائه. والولي: الذي يتولى أمور الآخرين ويحميهم. والشفيع: الذي يطلب التجاوز عن الذنوب. ومحل الخوف يعني: أن الخوف لايراد به الحشر نفسه، وإنما يراد به أن يُحشَروا غيرَمنصورين ولا مشفوعًا لهم. ويتقونه: يخافونه فيلتزمون طاعته. **(٤)** تطرد: تبعد عنك. ويدعون ربهم: يعبدونه ويلجؤون إليه ويخصونه بالدعاء. والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والعشي: من منتصف النهار إلى المغرب. والمراد بهما جميع الأوقات للصلوات والدعاء. ويريدونه أي: يطلبونه مخلصين. والأعراض: جمع عَرَض. وهو المتاع يزول سريعًا. والحساب: المحاسبة على الأعمال وجزاؤها. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والنفي أي: انتفاء حساب كل من الطرفين عن الآخَر. والمعنى: ما يُسأل أحدكم عن أعمال غيره في الآخرة، ليكون ذلك سببًا لتجنبهم. فأنت لاتبعدهم عنك. وتكون: تصير. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها، فيتجاوز الحق ويظلم نفسه وغيره. والإشارة بـ «ذا» إلى ابتلاء مشركي مكة بإسلام الفقراء. و«بمكة» سقط مما عدا الأصل، وهو يشير إلى سبب نزول الآية، أي: ما كان يقوله زعماء قريش. ومنّ: تفضل بالنعم العظيمة. وأعلم: الأكثر إحاطة مما سواه. والشاكر: من يستحضر النعم في نفسه، ويثني على المنعم بالقلب واللسان والعمل.

الجزء السابع سورة الأنعام

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

١- ﴿وإذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِآياتِنا فقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلامٌ عليكُم. كَتَبَ﴾: قضى ﴿رَبُّكم على نَفسِه الرَّحْمةَ، إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ - وفي قراءة بالفتح: بدلٌ من «الرحمة» - ﴿مَن عَمِلَ منكُم سُوءًا بِجَهالةٍ﴾ منه حيثُ ارتكبه، ﴿ثُمَّ تابَ﴾: رجَع ﴿مِن بَعدِهِ﴾: بعدِ عمله عنه ﴿وأصلَحَ﴾ عمله، ﴿فإنَّهُ﴾ أي: اللهَ ﴿غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ ٥٤ به. وفي قراءة بالفتح أي: فالمغفرة له. ﴿وكَذلِكَ﴾: كما بيَّنّا ما ذُكر، ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّن ﴿الآياتِ﴾القُرآنَ، ليَظهرَ الحقّ فيُعمَلَ به، ﴿ولِتَستَبِينَ﴾: تظهرَ ﴿سَبِيلُ﴾: طريقُ ﴿المُجرِمِينَ﴾ ٥٥ فتُجتَنَبَ. وفي قراءة بالتَّحتانيّة، وفي أُخرى بالفوقانيّةِ ونصبِ «سَبِيلَ»: خِطابٌ للنبيّ.

٢- ﴿قُلْ: إنِّي نُهِيتُ أن أعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِن دُونِ اللهِ. قُلْ: لا أتَّبِعُ أهْواءَكُم﴾ في عِبادتها. ﴿قد ضَلَلْتُ إذًا﴾ إن اتبعتُها، ﴿وما أنا مِنَ المُهتَدِينَ﴾ ٥٦. ﴿قُلْ: إنِّي على بَيِّنةٍ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّي، و﴾ قد ﴿كَذَّبتُم بِهِ﴾: بربّي، حيثُ أشركتم. ﴿ما عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ﴾، من العذاب. ﴿إنِ﴾: ما ﴿الحُكمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إلّا للهِ، يَقضِي﴾ القضاء ﴿الحَقَّ، وهُوَ خَيرُ الفاصِلِينَ﴾ ٥٧: الحاكمين، وفي قراءةٍ «يَقُصُّ» أي: يقول.

ربع الحزب ١٤

٣- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو أنَّ عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأمرُ بَيني وبَينَكُم﴾، بأن أُعجّله لكم وأستريح. ولكنّه عِند اللهِ، ﴿واللهُ أعلَمُ بالظّالِمِينَ﴾ ٥٨ متى يُعاقبهم؟ ﴿وعِندَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَفاتِحُ الغَيبِ﴾ أي: خزائنه أو الطُّرق المُوصِلة إلى عِلمه، ﴿لا يَعلَمُها إلّا هُوَ﴾ - وهي الخمسة التي في قوله تعالى: «إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ» الآيَةَ، كما رواه البخاريّ - ﴿ويَعلَمُ ما﴾ يَحدُثُ ﴿في البَرِّ﴾: القِفار، ﴿والبَحرِ﴾: القُرى التي على الأنهار، ﴿وما تَسقُطُ مِن﴾ - زائدةٌ - ﴿وَرَقةٍ إلّا يَعلَمُها، ولا حَبّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ، ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ﴾: عطفٌ على «وَرَقةٍ»، ﴿إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ﴾ ٥٩ هو اللوح المحفوظ. والاستثناء بدلُ اشتمال من الاستثناء قبله.

---

(١) جاءك: لقيك أو حضر مجلسك. ويؤمنون بها: يصدقونها ويتبعون ما يراد بها. والآيات: آيات القرآن الكريم وعلامات النبوة. والذين يؤمنون: الذين أراد المشركون إبعادهم عن مجلس النبوة. فصار ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحَمدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ في أُمَّتِي مَن أمَرَنِي أن أبدأَهُم بالسَّلام». تفسيرا البغوي ٢:١٠٠ والخازن ٢:١١٤. وقل لهم أي: خاطبهم جهارًا للطمأنة والتودد. وسلام أي: تحية دعاء بالسلامة والخير الدائم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرحمة: العطف بالإحسان. والشأن: الأمر والموضوع. وبالفتح يريد القراءة «أنَّهُ». وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والسوء: الذنب. والجهالة: الغفلة عما يتبع العمل من الضرر. وأصلحه: جعله كما يريد الشرع. وغفور: عظيم الستر للذنوب والعفو عنها. ورحيم: عظيم العطف بالإحسان. وبالفتح يريد القراءة «فأنَّهُ غَفُورٌ»، وتكون أيضًا مع فتح همزة «أنَّهُ مَن» لامع كسرها. وما ذكر يعني: ما تقدم في السورة، من أحوال أهل الطاعة والأمم الكافرة. وبنصب «سبيلَ» يكون معنى «تستبين»: تَعلم أيها المخاطب. والمجرم: من يرتكب الجرائم اختيارًا وقصدًا. وبالتحتانية يريد القراءة «لِيَستَبِينَ» ، أي: بنقطتين من تحت. وبالفوقانية يعني منقوطة من فوق. وللنبي أي: ولكل سامع أو قارئ، ليتعظ ويسلك السبيل القويمة، في عمله ومعاملته للكافرين.

(٢) نُهيت: أُمرت بعدم الفعل وبالبعد عنه وتسفيهه. وأعبد: أقدس وأطيع. ومعنى «دون»: غير. وأتبعها: أعمل بما تزينه. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تميل إليه النفس من الشهوة. وضللت: تركت سبيل الهداية إلى الباطل. والمهتدي: المسترشد إلى الصواب. وكان رؤساء قريش يقولون استهزاء: «يامحمد، ائتنا بالعذاب الذي تعِدنا به». فنزلت هذه الآية وما بعدها. الواحدي ص ٢١٤. والمراد بالبينة الدليل الواضح، وهو الشريعة المشرقة والدين القيم. ومن ربي أي: من عنده وبأمره. وكذبتم به: جحدتم وحدانيته. وتستعجلون به أي: تطالبون بوقوعه قبل أوانه. والحكم: القضاء المبرم. ويقضي: يدبر ويصنع. وفيما عدا الأصل والنسختين وط والصاوي: «يَقضِ» على ما هو واجب في رسم المصاحف، بحذف الياء خطًا كما حُذفت لفظًا للقائها لامَ التعريف الساكنة. والحق: العدل الثابت. وخير أي: لايدانيه أحد في الفصل بين المختلفين، وقضاء ما يناسب مصلحة الكون.

(٣) عندي أي: في قدرتي واستطاعتي. وقضي الأمر أي: أنزلته بكم. والظالمون: الكافرون. وعنده أي: في ملكه وتصرفه. ومفاتح: جمع مَفتِح. وهو الخزانة. والغيب: ما غاب عن حواس المخلوقات وعقولهم. ورواه البخاري: يعني الحديث ٤٣٥١ في صحيح البخاري. والآية الواردة هنا هي ذات الرقم ٣٤ من سورة لقمان. والبر والبحر يشملان الأرض كلها. وتسقط: تقع. والحبة: الجزء الدقيق من الحجر. وظلمات الأرض: ما فيها من خفايا لا يدرك منه شيء. والرطب واليابس: كل ما في الدنيا. والمبين: العظيم الإيضاح والبيان. واللوح المحفوظ: كتاب فيه سِجلّ ما كان وما سيكون في الوجود، من قضاء محتمل أو مبرَم. والأربعة المذكورة هنا كلها من علم الله وفي كتاب مبين.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

١- **﴿وهوَ الَّذي يَتوفّاكُم بالليلِ﴾**: يقبِض أرواحكم عِند النوم، **﴿ويَعلَمُ ما جَرَحتُم﴾**: كسَبتم **﴿بالنَّهارِ، ثُمَّ يَبعَثُكُم فيهِ﴾** أي: النهارِ بردِّ أرواحكم، **﴿لِيُقضَى أجَلٌ مُسَمّى﴾** هو أجل الحياة، **﴿ثُمَّ إليهِ مَرجِعُكُم﴾** بالبعث، **﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾** ٦٠، فيُجازيكم به، **﴿وهوَ القاهِرُ﴾** مُستعليًا **﴿فَوقَ عِبادِهِ، ويُرسِلُ عَلَيكُم حَفَظَةً﴾**: ملائكة تُحصي أعمالكم. **﴿حَتّى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوتُ تَوَفَّتهُ﴾** وفي قراءةٍ «تَوَفّاهُ» - **﴿رُسُلُنا﴾**: الملائكة المُوكّلون بقبض الأرواح، **﴿وهُم لا يُفَرِّطُونَ﴾** ٦١: يقصِّرون فيما يُؤمرون به، **﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾** أي: الخَلقُ **﴿إلَى اللهِ مَولاهُمُ﴾**: مالكِهم، **﴿الحَقِّ﴾**: الثابتِ العدلِ، ليُجازيهم. **﴿ألا لَهُ الحُكمُ﴾**: القضاء النافذ فيهم، **﴿وهوَ أسرَعُ الحاسِبينَ﴾** ٦٢ يحاسبُ الخلق كلّهم في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك.

٢- **﴿قُلْ﴾** - يا مُحمّد - لأهل مكّة: **﴿مَن يُنَجّيكُم مِن ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾**: أهوالِهما في أسفاركم، حين **﴿تَدعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾**: علانية **﴿وخُفْيَةً﴾**: سِرًّا، تقولون: **﴿لَئِنْ﴾** لامُ قسم **﴿أنجَيتَنا﴾** - وفي قراءةٍ «أنجانا» أي: اللهُ - **﴿مِن هٰذِهِ﴾** الظُّلمات والشدائد، **﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ﴾** ٦٣: المؤمنين؟ **﴿قُلِ﴾** لهم: **﴿اللهُ يُنَجّيكُم﴾** - بالتخفيف والتشديد - **﴿مِنها ومِن كُلِّ كَربٍ﴾**: غمّ سواها، **﴿ثُمَّ أنتُم تُشرِكُونَ﴾** ٦٤ به. **﴿قُلْ: هُوَ القادِرُ عَلى أن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذابًا، مِن فَوقِكُم﴾**: من السماء كالحجارة والصيحة، **﴿أو مِن تَحتِ أرجُلِكُم﴾** كالخَسف، **﴿أو يَلبِسَكُم﴾**: يَخلِطَكم **﴿شِيَعًا﴾**: فِرَقًا مُختلفة الأهواء، **﴿ويُذيقَ بَعضَكُم بأسَ بَعضٍ﴾** بالقِتال. قال ﷺ لمّا نزلت: «هٰذا أهوَنُ» أو «أيسَرُ»، ولمّا نزل ما قبله: «أعوذُ بوَجهِكَ». رواه البخاريّ. وروى مُسلم حديثَ «سألتُ رَبّي ألّا يَجعلَ بأسَ أُمّتي بينَهُم، فمَنَعَنيها». وفي حديث «لمّا نَزَلَتْ قالَ: أما إنّها كائنةٌ، ولَم يأتِ تأويلُها بَعدُ». **﴿انظُرْ: كَيفَ نُصَرِّفُ﴾**: نُبيِّنُ لهم **﴿الآياتِ﴾**: الدلالات على قُدرتنا، **﴿لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾** ٦٥: يعلمون أنّ ما هم عليه باطل؟ **﴿وكَذَّبَ بِهِ﴾**: بالقرآنِ **﴿قَومُكَ، وهوَ الحَقُّ﴾**: الصِّدق. **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿لَستُ عَلَيكُم بوَكيلٍ﴾** ٦٦ فأُجازيَكم، إنّما أنا مُنذر، وأمرُكم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقِتال. **﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾**: خبرٍ **﴿مُستَقَرٌّ﴾**: وقتٌ يقع فيه ويستقرّ، ومنه عذابكم، **﴿وسَوفَ تَعلَمُونَ﴾** ٦٧. تهديدٌ لهم.

٣- **﴿وإذا رأيتَ الَّذينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا﴾**: القُرآنِ بالاستهزاء **﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾** ولا تُجالسهم، **﴿حَتّى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيرِهِ. وإمّا﴾** - فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة - **﴿يُنسِيَنَّكَ﴾**، بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد، **﴿الشَّيطانُ﴾** فقعدتَ معهم **﴿فلا تَقعُدْ بَعدَ الذِّكرَى﴾** أي: تذكُّرِه، **﴿مَعَ القَومِ الظّالِمينَ﴾** ٦٨. فيه وضعُ الظاهر موضعَ المُضمر. وقال المُسلمون: إن قُمنا، كلّما خاضوا، لم نستطع أن

---

(١) يتوفاكم أي: يستوفي بالنوم منكم الإدراك. وذكر الأرواح مبني على أن للإنسان روحين: إحداهما للتمييز والتدبر تذهب بالنوم والغيبوبة، والأُخرى للحياة تذهب بالموت. ويُقضَى: يُستوفى ويُنهى. والأجل: العمر من الزمن. والمرجع: الرجوع يوم القيامة. والقاهر: الغالب فيما يريد. والعباد: جمع عبد. ويرسل عليكم: يكلف بكم. والحفظة: جمع حافظ. وهو الذي يحفظ الأعمال ويدفع كثيرًا من البلاء. وجاء الموت: حضرت أسبابه. وتوفته: قبضت روح الحياة. والرسل: جمع رسول، أعوان ملَك الموت. وردوا: أعيدوا بالبعث يوم القيامة. وإلى الله أي: إلى لقاء موعده المحقَّق. والعدل: العادل. وأسرع أي: لامثيل له في السرعة. و«من أيام الدنيا» قول غير صحيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

(٢) ينجيكم: ينقذكم. والظلمات تستعار للشدائد. وأسفاركم أي: وإقامتكم. وتدعونه: تلجؤون إليه للإنقاذ. والتضرع: التذلل. وبالتشديد يريد القراءة «يُنَجِّيكُم». وتشركون به: تعبدون معه بعض مخلوقاته. والقادر: الكامل القدرة. ويبعثه أي: يرسله عليكم. والشيع: جمع شيعة. والبأس: العذاب والشدة. ولما نزلت أي: الجملة الأخيرة «ويذيق بعضكم بأس بعض». انظر «المفصل». و«أعوذ بوجهك» ورد مرتين: الأولى عند التهديد بالعذاب من فوق، والثانية عند التهديد به من تحت الأرجل. والحديثان هما ٤٣٥٢ و٦٨٨٣ في البخاري و٢٨٩٠ في مسلم. وتأويلها أي: حصولها ووقوعها. و«لما نزل... بعد» الحديث ٣٠٦٨ في الترمذي، وفي إسناده ضعف الرواية. وكذب به: أنكره. والوكيل: الحفيظ يوكَل إليه أمر الآخرين. وهذا: يعني أن تركَ أمرهم نُسخ بما في الآيات ٣-١٦ من سورة براءة. وتعلم: تدرك حقيقة ما تكذبه.

(٣) يخوضون: يتحاورون ويتحادثون. وأعرض: انصرف. والإدغام يعني إبدال النون ميمًا ثم إدغام الميم في الثانية. وزيادة «ما» للمبالغة في توكيد الشرط. ط: «يُنسيَنْكَ». وبفتحها يريد القراءة «يُنَسِّيَنَّكَ»: يجعلك تنسى. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس أو الجن. وتقعد معهم أي: تجالسهم. وتذكُّره: يعني تذكّرَ الأمر بالإعراض. والقوم: الجماعة من الناس. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه فيتجاوز الحد. والمسجد أي: المسجد الحرام. وزيادة «من» للتنصيص على عموم النفي. ويتقونه: يتجنبون عصيانه ويطلبون رضاه بالطاعة والإخلاص. والحساب: المحاسبة. والوعظ: النصح والتذكير بالعواقب. ولعلهم أي: لِيُترجَّى لهم.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

نجلس في المسجد وأن نطوف. فنزل: ﴿**وما علَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ اللهَ، ﴿**مِن حِسابِهِم**﴾ أي: الخائضين، ﴿**مِن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**شَيءٍ**﴾ إذا جالسوهم، ﴿**ولٰكِنْ**﴾ عليهم ﴿**ذِكرَى**﴾: تذكرةٌ لهم ووعظ، ﴿**لَعلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ ٦٩ الخوض.

١- ﴿**وذَرِ**﴾: اترُكِ ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم**﴾ الذي كُلِّفوه ﴿**لَعِبًا ولَهْوًا**﴾، باستهزائهم به، ﴿**وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾، فلا تتعرّضْ لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿**وذَكِّرْ**﴾: عِظْ ﴿**بِهِ**﴾: القُرآنِ الناسَ، لِـ ﴿**أنْ**﴾ لا ﴿**تُبسَلَ نَفْسٌ**﴾: تُسلَمَ إلى الهلاك ﴿**بِما كَسَبَتْ**﴾: عملته، ﴿**لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**وَليٌّ**﴾: ناصِر، ﴿**ولا شَفِيعٌ**﴾ يمنع عنها العذاب، ﴿**وإن تَعدِلْ كُلَّ عَدلٍ**﴾: تَفدِ كُلَّ فِداء ﴿**لا يُؤخَذْ مِنها**﴾ ما تُفدَى به. ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبسِلُوا بِما كَسَبُوا، لَهُم شَرابٌ مِن حَمِيمٍ**﴾: ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارة، ﴿**وعَذابٌ أَلِيمٌ**﴾: مُؤلم، ﴿**بِما كانُوا يَكفُرُونَ**﴾ ٧٠: بكُفرهم.

٢- ﴿**قُلْ: أنَدعُو**﴾: أنعبد ﴿**مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُنا**﴾ بعبادته، ﴿**ولا يَضُرُّنا**﴾ بتركها - وهو الأصنام - ﴿**ونُرَدُّ علَى أعقابِنا**﴾: نرجع مُشركين، ﴿**بَعدَ إذْ هَدانا اللهُ**﴾ إلى الإسلام، ﴿**كالَّذِي استَهوَتْهُ**﴾: أضلّته ﴿**الشَّياطِينُ في الأرضِ، حَيرانَ**﴾: مُتحيّرًا لا يدري أين يذهب؟ حال من الهاء، ﴿**لَهُ أصحابٌ**﴾: رُفقة ﴿**يَدعُونَهُ إلَى الهُدَى**﴾ أي: ليهدوه الطريق، يقولون له: ﴿**ائتِنا**﴾. فلا يُجيبهم فيَهلِك؟ والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير «نُردّ». ﴿**قُلْ: إنَّ هُدَى اللهِ**﴾ الذي هو الإسلام ﴿**هُوَ الهُدَى**﴾، وما عداه ضلال، ﴿**وأُمِرْنا لِنُسلمَ**﴾ أي: بأن نُسلم ﴿**لِرَبِّ العالَمِينَ ٧١، وأنْ**﴾ أي: بأن ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاةَ واتَّقُوهُ**﴾ تعالى. ﴿**وهْوَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ ٧٢: تُجمعون يوم القيامة للحِساب.

٣- ﴿**وهْوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ**﴾ أي: مُحِقًّا، ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يَقُولُ**﴾ للشيء: ﴿**كُنْ. فيَكُونُ**﴾ هو يوم القيامة - يقول للخلق: قوموا. فيقومون - ﴿**قَولُهُ الحَقُّ**﴾: الصِّدق الواقع لا محالة، ﴿**ولَهُ المُلكُ، يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الثانيةَ من إسرافيلَ، لا مُلك فيه لغيره «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ؟ لِلهِ»، ﴿**عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿**وهْوَ الحَكِيمُ**﴾ في خلقه، ﴿**الخَبِيرُ**﴾ ٧٣ بباطن الأشياء كظاهرها.

---

(١) اتركهم أي: لا تبال بتكذيبهم ومجونهم، ولا تَشغل قلبك بهم. واتخذوا: جعلوا وصيّروا. والدين: العقيدة والشريعة. واللعب: العبث وما لايجدى نفعًا. واللهو: ما يَشغل عن الخير والحق. وغرتهم: خدعتهم باللذائذ والشهوات فأنكروا التوحيد والبعث. والحياة أي: مافي العيش من التمتع والزينة. وهذا: يعني أن حكم الإعراضِ عن المشركين العرب وعدمِ قتلهم منسوخ بآيات جهادهم. وذكر به أي: انصح مبشِّرًا ومنذرًا، مذكرًا بالحساب والجزاء. والنفس: المخلوق من البشر. وغيره: يعني أن «دون» بمعنًى: غير. والشفيع: من يطلب لغيره التجاوز عن الذنوب والجرائم. والعدل: الفداء. ويؤخذ: يرضى به. وأبسلوا بما كسبوا أي: سُلِّموا إلى العذاب. والشراب: ما يُشرب. ويكفر: يكذّب الله ورسوله.

(٢) دون الله أي: غيره. وينفع: يفيد ويجلب الخير. ويضر: يؤذي ويجلب الشر. والأعقاب: جمع عقب. وهو عظم مؤخر القدم، يعبر به عن خلف الإنسان. وهدانا: وجّه قدراتنا وأمدّها بحسب اختيارنا الصالح واستعدادنا للخير. والشياطين: جمع شيطان. وهو من يوسوس بالشر من الجن أو الإنس. والأرض: البراري والقفار. والأصحاب: جمع صاحب. ويدعونه :يطلبون منه المجيء. والهدى: طريق الحق والرشاد. وائتنا أي: تعال إلينا. وهدى الله أي: ما هدانا إليه بالقرآن. وأمرنا: فرض علينا. ونسلم: نستسلم وننقاد. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالعالمون: كل المخلوقات. وأقيموا الصلاة: حافظوا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. واتقوه أي: خافوه وتجنبوا عصيانه واطلبوا رضاه بالطاعة والإخلاص. وإليه أي: إلى ميعاد لقاء حسابه، لا إلى الفناء النهائي، ولا إلى ماتعبدون من المخلوقات.

(٣) خلقها: أوجدها من العدم. والحق: العدل الجاري على وَفق الحكمة ومصالح المخلوقات. ويقول له أي: يأمره أمر خلق. والشيء: ما هو محتمل وجوده. وكن فيكون أي: احدُثْ فيحدُثُ فورًا. وقوله أي: أمره. ولامحالة أي: لابد من ذلك. والملك: حيازة الأمور والتصرف فيها بدون معين أو منازع. وينفخ: يدفع الهواء بقوة. والصور: مخلوق عظيم لايعلم حقيقته إلّا الله، وقد ذكرَتِ السنّة بعض أحواله، ثم أطال القصاصون في تفصيلات لا سند لها يعتبر. والقرن هنا هو على صورة البوق. والعالم: المحيط كامل الإحاطة بالشيء قبل وجوده وبعده. وغاب أي: خفي عن حواس المخلوقات وعقولهم. وما شوهد أي: أحسوا به أو أدركوه. والحكيم: من الحكمة. وهي وضع الأمور في مواضعها المناسبة بالعلم والإتقان. والخبير: من الخبرة. وهي الإحاطة بما لطف إدراكه من الأمور.

الجزء السابع — سورة الأنعام

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

نصف الحزب ١٤

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ ابراهيمُ لِأَبيه آزرَ﴾، هو لقبه واسمه تارَخُ: ﴿أَتَتَّخِذُ أصنامًا آلِهةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ. ﴿إنّي أراكَ وقومَكَ﴾، باتّخاذها، ﴿في ضَلالٍ﴾ عن الحقّ ﴿مُبينٍ﴾ ٧٤: بيِّن. ﴿وكَذلِكَ﴾: كما أريناه إضلال أبيه وقومه، ﴿نُري إبراهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: مُلكَ ﴿السَّماواتِ والأرضِ﴾، ليستدلّ به على وحدانيّتنا، ﴿ولِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ ٧٥ بها. وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض.

٢- وعُطِفَ على «قال» ﴿فلمّا جَنَّ﴾: أظلم ﴿عليهِ اللَّيلُ رأى كَوكَبًا﴾ - قيل: هو الزُّهَرة - ﴿قالَ﴾ لقومه وكانوا نَجّامينَ: ﴿هٰذا رَبِّي﴾، في زعمكم. ﴿فلمّا أفَلَ﴾: غاب ﴿قالَ: لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ٧٦ أن أتّخذهم أربابًا، لأنّ الربّ لا يجوز عليه التغيُّر والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث. فلم ينجع فيهم ذلك. ﴿فلمّا رأى القَمَرَ بازِغًا﴾: طالعًا ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿هٰذا رَبِّي. فلمّا أفَلَ قالَ: لَئِنْ لَم يَهدِني رَبِّي﴾: يُثبِّتْني على الهُدى، ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالِّينَ﴾ ٧٧. تعريضٌ لقومه بأنهم على ضلال. فلم ينجع فيهم ذلك.

٣- ﴿فلمّا رأى الشَّمسَ بازِغةً قالَ: هٰذا﴾ - ذكَّره لتذكير خبره - ﴿رَبِّي هٰذا أكبَرُ﴾ من الكوكب والقمر. ﴿فلمّا أفَلَتْ﴾ وقَويتْ عليهم الحُجّة، ولم يَرجِعوا، ﴿قالَ: يا قَومِ، إنِّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ ٧٨ بالله، من الأصنام والأجرام المُحدثَة المُحتاجة إلى مُحدِث. فقالوا له: ما تعبدُ؟ فقال: ﴿إنِّي وَجَّهتُ وَجهِي﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذي فَطَرَ﴾: خلق ﴿السَّماواتِ والأرضَ﴾ أي: اللهِ، ﴿حَنيفًا﴾: مائلًا إلى الدِّين القيّم، ﴿وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ﴾ ٧٩ به.

٤- ﴿وحاجَّهُ قَومُهُ﴾: جادلوه في دِينه، وهدَّدوه بالأصنام أن تُصيبه بسوء، إن تركها. ﴿قالَ: أتُحاجُونِّي﴾، بتشديدِ النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين، وهي نون الرفع عِند النُّحاة ونون الوقاية عند القُرّاء: أتُجادِلُونَني ﴿في﴾ وحدانيّةِ ﴿اللهِ، وقَد هَدانِ﴾ - تعالى - إليها؟ ﴿ولا أخافُ ما تُشرِكُونَ﴾ه ﴿بِهِ﴾ من الأصنام، أن تُصيبني بسوء لعدم قُدرتها على شيء. ﴿إلّا﴾: لكن ﴿أن يَشاءَ رَبِّي شَيئًا﴾ من المكروه يُصيبُني فيكونَ. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾ أي: وسع علمُه كُلّ شيء. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٨٠ هذا فتُؤمنون؟ ﴿وكَيفَ أخافُ ما أشرَكتُم﴾ بالله، وهي لا تضرّ ولا تنفع، ﴿ولا تَخافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أنَّكُم أشرَكتُم بِاللهِ﴾، في العِبادة، ﴿ما لَم يُنَزِّلْ بِهِ﴾: بعبادته ﴿عَلَيكُم سُلطانًا﴾: حُجّة وبرهانًا، وهو القادر على كُلّ شيء؟ ﴿فأيُّ الفَرِيقَينِ أحَقُّ بِالأمنِ﴾ من العذاب، أنحن أم أنتم؟ ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ٨١ مَنِ الأحقُّ به - أي: وهو نحن - فاتّبعوه.

---

(١) آزر معناه المُعْوَجّ. وتتخذ: تجعل. والأصنام: جمع صنم. وهو ما يصنع على شكل إنسان من الحجارة أو الخشب أو الذهب أو الفضة. والآلهة: جمع إلٰه. وهو المعبود. وأرى: أعلمُ. وقومك أي: الناس الذين اتبعوك في عبادة الأصنام. والضلال: عدم الهداية. وإضلال أبيه وقومه يعنى: الحكم عليهم بالضلال، لما هم عليه من الاختيار الخبيث والاستعداد للباطل. ونري أي: بعين البصيرة، يعني: نُعرّف. والملكوت: بعض ما هو ملك الله. والسماء: ما يحيط بالأرض. ويستدل أي: في دعوة قومه وحوارهم. ويكون: يصير. والموقن: من يعلم بعد التأمل للدلائل علمًا ثابتًا. وبها أي: بالوحدانية.

(٢) القمر: النجم يستضيء بالشمس وينير الأرض في الليل. ورأى: أبصر. والكوكب: النجم يدور حول الشمس ويستضيء بنورها. والزهرة: ألمع كوكب بعد الشمس والقمر. والنجام: العابد للنجوم. والرب: المعبود. وأحب: أودّ وأعبد. وفي خ وبعض المطبوعات: «التغيير والانتقال». والحوادث: جمع حادث. وهو ما يحدث من المخلوقات فهو يفنى أيضًا. وقال أي: على سبيل الجدال بما يعتقدون. والهدى: الرشاد إلى الحق. وأكون: أصير. والضال: من فقدَ الهداية إلى الصواب.

(٣) الشمس: النجم الرئيس تدور حوله الأرض وتنعم بنوره ودفئه. وأكبر أي: أضخم حجمًا وضوءًا ونفعًا. والحجة: البرهان على ضرورة التوحيد. وياقوم أي: ياقومي. والبريء: السليم المتباعد. وتشركون أي: تجعلونه مشاركًا في الألوهية تقديسًا وطاعة. والأجرام: جمع جِرم. وهو جسم الشيء. والمحدَثة: المخلوقة المُنشأة. والمُحدِث: الخالق المُنشئ. ووجّهته: صرفتُه في جهة واحدة. وإنما ذكرالوجه هنا لأنه قد يُطلق على الشخص كله، إذ المراد: صرفت نفسي قلبًا وقالَبًا. ولفظ الجلالة تفسير لـ «الذي». والمشرك: من يعبد مع الله بعض المخلوقات بالتقديس والطاعة في منكر.

(٤) بالحذف يريد القراءة «أتُحاجُوني»؟ و«القرّاء» كذا في الأصل والنسخ والمنحة وبعض المطبوعات. وفي ط وقرة العينين: «عند الفرّاء». انظر الهمع ١: ٦٥ والمفصل. وهدان: هداني، أي: صرف قدراتي وأمدّني. خ وع: «هَداني». وأخاف: أخشى. ويشاء: يريد. ووسعه: أحاط به. والرب: المعبود بحق. والعلم: الإحاطة الكاملة بالأمور. وتتذكرون: تستحضرون ما في أذهانكم من الحقيقة وتتعظون. وما أشركتم أي: المعبودات من الأصنام. وينزلُ: يوحي ويُعلم. وأحق بالأمن أي: حقيق بالطمأنينة وزوال الخوف. وتعلم: تدرك وتعي.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ
وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

١- قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا، ولَم يَلبِسُوا**﴾: يخلِطوا ﴿**إيمانَهُم بِظُلم**﴾ أي شِركٍ، كما فُسّر بذلك في حديث الصحيحين، ﴿**أُولئِكَ لَهُمُ الأمنُ**﴾ من العذاب، ﴿**وهُم مُهتَدُونَ**﴾ ٨٢. **وتِلكَ**﴾: مُبتدأ، ويُبدل منه ﴿**حُجَّتُنا**﴾ التي احتجّ بها إبراهيم على وحدانيّة الله، من أفول الكوكب وما بعده، والخبرُ: ﴿**آتيناها إبراهيمَ**﴾: أرشدناه لها حُجّةً ﴿**على قومِهِ. نَرفعُ دَرجاتٍ مَن نَشاءُ**﴾ - بالإضافة والتنوين - في العِلم والحِكمة. ﴿**إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٨٣ بخلقه.

٢- ﴿**ووَهَبْنا لَهُ إسحاقَ ويَعقُوبَ**﴾ ابنَه، ﴿**كُلًّا**﴾ منهما ﴿**هَدَينا، ونُوحًا هَدَينا مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ إبراهيمَ، ﴿**ومِن ذُرِّيَتِهِ**﴾ أي: نُوحٍ ﴿**داوُدَ وسُلَيمانَ**﴾ ابنَه، ﴿**وأيُّوبَ ويُوسُفَ**﴾ ابنَ يعقوب، ﴿**ومُوسَى وهارُونَ - وكَذٰلِكَ**﴾: كما جزيناهم، ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ**﴾ ٨٤ - **وزَكَرِيّاءَ ويَحيَى**﴾ ابنَه، ﴿**وعِيسَى**﴾ ابنَ مريمَ، يُفيد أنّ الذّرّيّة تتناول أولاد البنت، ﴿**وإلْياسَ**﴾ ابنَ أخي هارونَ أخي موسى - ﴿**كُلٌّ**﴾ منهم ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٨٥ - **وإسماعِيلَ**﴾ ابنَ إبراهيم ﴿**واليَسَعَ**﴾، اللام زائدة، ﴿**ويُونُسَ ولُوطًا**﴾ ابنَ هارانَ أخي إبراهيم. ﴿**وكُلًّا**﴾ منهم ﴿**فَضَّلْنا على العالَمِينَ**﴾ ٨٦ بالنُّبوّة، ﴿**ومِن آبائِهِم وذُرِّيّاتِهِم وإخوانِهِم**﴾ - عطفٌ على «كلًّا» أو «نُوحًا»، ومِن: للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر - ﴿**واجتَبَيناهُم**﴾: اخترناهم، ﴿**وهَدَيناهُم إلى صِراطٍ مُستَقِيم**﴾ ٨٧.

٣- ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الدِّين الذي هُدوا إليه ﴿**هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ولَو أشرَكُوا**﴾ فَرْضًا ﴿**لَحَبِطَ عَنهُم ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٨٨. **أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ**﴾ - بمعنى الكُتب - ﴿**والحُكمَ**﴾: الحكمة ﴿**والنُّبوّةَ. فإن يَكفُرْ بِها**﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿**هٰؤُلاءِ**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**فقد وَكَّلْنا بِها**﴾: أرصدنا لها ﴿**قَومًا، لَيسُوا بِها بِكافِرِينَ**﴾ ٨٩، هم المهاجرون والأنصار. ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ هَدا**﴾ هم ﴿**اللهُ. فَبِهُداهُمُ**﴾: طريقِهم من التوحيد والصبر ﴿**اقتَدِهْ**﴾، بهاء السكت وقفًا ووصلًا، وفي قراءة بحذفها وصلًا. ﴿**قُلْ**﴾ لأهل مكّة: ﴿**لا أسألُكُم عَلَيهِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**أجرًا**﴾ تُعطُونيه. ﴿**إنْ هُوَ**﴾: ما القُرآن ﴿**إلّاذِكرَى**﴾: عِظة ﴿**لِلعالَمِينَ**﴾ ٩٠: الإنس والجنّ.

---

(١) آمن: صدّق الله ورسوله. وفي حديث الصحيحين أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يارسول الله، أيُّنا لايظلم نفسه؟ قال: «لَيسَ ذلِكَ. إنَّما هُوَ الشِّركُ». الأحاديث: ٧٨ في اللؤلؤ والمرجان و٣٢ في البخاري و١٢٤ في مسلم. وانظر «المفصل». والمهتدي: المقيم على الحق. والإشارة بـ «تلك» إلى ما كان في الآيات ٧٦-٨١. والحجة: البرهان. وآتينا: علّمنا. ونرفع: نفضل. والدرجات: المراتب. ونشاء أي: نريد أن نرفعه. وبالتنوين يريد القراءة «دَرَجاتٍ». والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والعليم: المبالغ في الإحاطة بالأمور.

(٢) وهبنا: منحنا. وابنه يعني أن يعقوب هو ابن إسحاق. وهدينا: يسرنا قدراته بحسب اختياره الصالح واستعداده الطيب. وذريته: نسله من أبنائه وبناته. وابنه أي: أن سليمان هو ابن داود. و«نوح» يعني أن الضمير في «ذريته» يعود على نوح لاعلى إبراهيم، لأن لوطًا المذكور بعدُ ليس من ذرية إبراهيم. ونجزي: نفضل بالنعم. والمحسن: من يراقب الله في اعتقاده ونياته وأعماله. والصواب إسقاط كلمة «أخي» الأولى لأن إلياس هو ابن ياسين الذي هو ابن حفيد هارون. وكل منهم أي: كل واحد من الأنبياء الأربعة عشر المذكورين قبل. والصالح: من كان كاملًا في الصلاح. واليسع: من أنبياء بني إسرائيل. واللام يعني «أل». وفضلناه: خصصناه بزيادة إكرام. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. والآباء: جمع أب، أي: الوالد أو الجد. والإخوان: جمع أخ. والصراط المستقيم: الطريق القويم، أي: توحيد الله وتنزيهه عما لايليق به من الصفات.

(٣) هُدى الله: الإسلام دين التوحيد. وبه أي: إليه. ويشاء أي: يريد هدايته. والمراد هداية من هو مستعد لذلك وصالح له. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وتدبيرًا وعبودية. وأشركوا أي: جعل أولئك الأنبياء مع الله شريكًا له في الألوهية بالتقديس والطاعة. وفرضًا: يعني أن الشرط بـ «لو» هنا هو على سبيل الافتراض الذهني، لا على سبيل الاحتمال. فلو كان منهم شرك، مع فضلهم وتقدمهم، لبطل عملهم الصالح وسقط ثوابه. فكيف بمن عداهم من الناس؟ وحبط: سقط وبطَل. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والإشارة بـ «أولئك» في الموضعين هي إلى مجموع الأنبياء الثمانية عشر المذكورين قبل، ومن عُطف عليه أيضًا. وآتينا: أعطينا. والكتب: يعني التي أنزلت. والنبوة: التكليف بدعوة الناس إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويكفر بها: ينكرها. وبهذه الثلاثة يعني: أو ببعضها. وأهل مكة أي: أو غيرهم من الأقوام. وأرصدنا لها أي: وفقنا في اتباعها. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. وليسوا بها بكافرين أي: هم مؤمنون بها. واقتد به أي: اتّبعه وافعل مثل فعله. وهاء السكت: يعني أن الهاء حرف زائد جيء به لبيان حركة الدال في الوقف، أي: قطع القراءة بالصمت. وبحذفها يريد القراءة «اقْتَدِ قُلْ». ولا أسألكم أي: لا أطلب منكم. وعلى القرآن أي: على تبليغكم إياه. والأجر: المكافأة بمال أو غيره.

الجزء السابع — سورة الأنعام

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ
أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

١- ﴿**وما قَدَرُوا**﴾ أي: اليهودُ ﴿**اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ أي: ما عظّموه حقَّ عظمته، أو ما عَرَفوه حقّ معرفته، ﴿**إذْ قالُوا**﴾ للنبيّ وقد خاصموه في القُرآن: ﴿**ما أنزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِن شَيءٍ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَن أنزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى لِلنّاسِ، يَجعَلُونَهُ**﴾ - بالياء والتاء في المواضع الثلاثة - ﴿**قَراطِيسَ**﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطّعة، ﴿**يُبدُونَها**﴾ أي: ما يُحبّون إبداءه منها، ﴿**ويُخفُونَ كَثِيرًا**﴾ ممّا فيها كنعت مُحمّد؟ ﴿**وعُلِّمتُم**﴾ - أيها اليهودُ - في القُرآن ﴿**ما لَم تَعلَمُوا أنتُم ولا آباؤُكُم**﴾ من التوراة، ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه. ﴿**قُلِ: اللهُ**﴾ أنزله - إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه - ﴿**ثُمَّ ذَرْهُم في خَوضِهِم**﴾: باطلهم ﴿**يَلعَبُونَ**﴾ ٩١.

٢- ﴿**وهٰذا**﴾ القرآن ﴿**كِتابٌ أنزَلْناهُ، مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ**﴾: قبلَه من الكُتب، ﴿**ولِتُنذِرَ**﴾، بالتاء والياء عطفٌ على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿**أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها**﴾ أي: أهلَ مكّة وسائرَ الناس، ﴿**والَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ يُؤمِنُونَ بِهِ، وهُم على صَلاتِهِم يُحافِظُونَ**﴾ ٩٢ خوفًا من عقابِها. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى على اللهِ كَذِبًا**﴾، بادّعاءِ النبوّة ولم يُنبّأ، ﴿**أو قالَ: أُوحِيَ إلَيَّ. ولَم يُوحَ إلَيهِ شَيءٌ**﴾ - نزلتْ في مُسيلِمةَ - ﴿**و**﴾ مِن ﴿**مَن قالَ: سأُنزِلُ مِثلَ ما أنزَلَ اللهُ**﴾؟ وهم المُستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مِثل هذا. ﴿**ولَو تَرَى**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**إذِ الظّالِمُونَ**﴾ المذكورون ﴿**في غَمَراتِ**﴾: سكراتِ ﴿**المَوتِ، والمَلائكةُ باسِطُو أيدِيهِم**﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفًا: ﴿**أخرِجُوا أنفُسَكُمُ**﴾ إلينا لنقبضها. ﴿**اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ**﴾: الهوان، ﴿**بِما كُنتُم تَقُولُونَ على اللهِ غَيرَ الحَقِّ**﴾ بدعوى النبوّة والإيحاء كذبًا، ﴿**وكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرُونَ**﴾ ٩٣: تتكبّرون عن الإيمان بها. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا فظيعًا.

٣- ﴿**و**﴾ يقال لهم، إذا بعثوا: ﴿**لَقَد جِئتُمُونا فُرادَى**﴾: منفردين عن الأهل والمال والولد، ﴿**كَما خَلَقْناكُم أوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي: حُفاةً عُراةً غُرْلًا، ﴿**وتَرَكتُم ما خَوَّلْناكُم**﴾: أعطَيناكم من الأموال، ﴿**وراءَ ظُهُورِكُم**﴾: في الدنيا بغير اختياركم، ﴿**و**﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿**ما نَرَى مَعَكُم شُفَعاءَكُمُ**﴾: الأصنامَ ﴿**الَّذِينَ زَعَمتُم أنَّهُم فِيكُم**﴾ أي: في استحقاق عِبادتكم ﴿**شُرَكاءُ**﴾ للهِ. ﴿**لَقَد تَقَطَّعَ بَينُكُم**﴾: وصلُكم أي: تَشتّتَ جمعُكم - وفي قراءة بالنصب ظرفٌ، أي: وصلُكم بينكم - ﴿**وضَلَّ**﴾: ذهب ﴿**عَنكُم ما كُنتُم تَزعُمُونَ**﴾ ٩٤ في الدنيا، من شفاعتها.

---

(١) كان بعض أحبار اليهود قالوا: يامحمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نَعَم». فأنكروا كل وحي، وقالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا. فنزلت الآيات ٩١-٩٣. الواحدي ص ٢١٥ والدر المنثور ٣:٢٩. وأنزل: أوحى. والبشر: الإنسان. والشيء: ما وجد. والكتاب: التوراة. وجاء به أي: بلّغ قومه إياه. ونورًا: واضحًا بيّنًا بنفسه. وهدى أي: مرشدًا إلى الحق. والناس: بنو إسرائيل. ويجعل: يصيّر. وبالتاء يريد القراءة «تَجعَلُونَهُ» و«تُبدُونَها» و«وتُخفُونَ». والقراطيس: جمع قرطاس. وهو ما يكتب عليه من الورق. ويبدون: يظهرون للناس. ويخفون: يكتمون. والكثير: القدر الكبير. وعُلّم: عُرّف. وتعلموا أي: تعلموه وتدركوه. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجد. والتبس: خفي. وذر: دع واترك. والخوض: الشروع في الشيء وتداوله. ويلعب: يسخر ويستهزئ.

(٢) أنزلناه: أوحيناه على لسان جبريل، ويسرنا حفظه وتبليغه. والمبارك: الكثير الخير. ومصدق أي: موافق. وتنذر: تخوف بالعقاب لمن عصى. وبالياء يريد القراءة «ولِيُنذِرَ». والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وإنما سمّيت مكة أم القرى لأنها أعظمها، وغيرها تابع لها. وسائر الناس أي: باقيهم. ويؤمن بها: يصدقها اعتقادًا جازمًا. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة بعد الموت. وبه أي: بالقرآن الكريم. ويحافظون عليها أي: في أوقاتها كما يجب بالشروط والأركان والآداب. وأظلم أي: أكثر كفرًا. وافترى: اختلق. وأوحي إليّ أي: بُعثت نبيًا. ومُسيلِمة هو الكذاب من بني حنيفة، ادعى النبوة. والحكم عام لكل من أشبه مسيلمة. وأُنزلُ أي: أنظِم كلامًا. انظر «المفصل». وترى: تبصر بعينيك. والغمرات: جمع غمْرة. وهي الشِّدة الفظيعة. وباسطو أيديهم أي: يمدون أيديهم. والأيدي: جمع يد. وأخرجوها: خلّصوها. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح. واليوم: الوقت. وتجزون: تعاقبون. والحق: القول الثابت. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة على التوحيد وصدق الرسالة.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. ويقال لهم أي: على لسان ملائكة العذاب. وجئتمونا: أُحضرتم بالقهر والعنف. وفرادى: جمع فريد. وخلق: أوجد. وأول مرة أي: حين التكون والولادة. والغرل: جمع أغرَل. وهو الذي لم تقطع منه جلدة الختان. وتركه: أهمله. والظهور: جمع ظهر. والشفعاء: جمع شفيع. وهو الذي يتوسط للمذنب في التجاوز عما فعل. والأصنام أي: وغيرها ممايعبده الكافرون، بشرًا أو حيوانًا أو جمادًا أوجنًا أو ملائكة. وتقطع: تفرق وتمزق. وبالنصب يريد القراءة «بَينَكُم». وتزعم: تدعي من غير دليل علمي ثابت.

الجزء السابع سورة الأنعام

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

١- ﴿إنَّ اللهَ فالِقُ﴾: شاقُّ ﴿الحَبِّ﴾ عن النبات ﴿والنَّوَى﴾ عن النخل، ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾ كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة، ﴿ومُخرِجُ المَيْتِ﴾: النطفة والبيضةِ ﴿مِنَ الحَيِّ - ذٰلِكُم﴾ الفالق المخرج ﴿اللهُ - فأنّى تُؤفَكُونَ﴾ ٩٥: فكيف تُصرفون عن الإيمان، مع قيام البرهان؟ ﴿فالِقُ الإصباحِ﴾: مصدر بمعنى الصبح أي: شاقُّ عمودِ الصُّبح - وهو أوّل ما يبدو من نور النهار - عن ظُلمة الليل، ﴿وجاعِلُ اللَّيلِ سَكَنًا﴾: تسكن فيه الخلق من التعب، ﴿والشَّمسَ والقمرَ﴾ - بالنصب عطفًا على محلّ «الليلِ» - ﴿حُسبانًا﴾: حِسابًا للأوقات. أو الباء محذوفة وهو حال من مُقدّر أي: يَجريان بحُسبان، كما في آية «الرحمن». ﴿ذٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تقديرُ العَزيزِ﴾ في مُلكه، ﴿العَليمِ﴾ ٩٦ بخلقه.

٢- ﴿وهوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ، لِتهتَدُوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ في الأسفار - ﴿قد فَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿الآياتِ﴾: الدلالاتِ على قُدرتنا ﴿لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ ٩٧: يتدبّرون - ﴿وهوَ الَّذي أنشأكُم﴾: خلقكم ﴿مِن نَفسٍ واحِدةٍ﴾ هي آدمُ، ﴿فمُستقِرٌّ﴾ منكم في الرَّحِم، ﴿ومُستَودَعٌ﴾ منكم في الصُّلب. وفي قراءة بفتح القاف أي: مكانُ قرارٍ لكم. ﴿قد فَصَّلْنا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهُونَ﴾ ٩٨ ما يقال لهم.

٣- ﴿وهوَ الَّذي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا﴾ - فيه التفات عن الغَيبة - ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿نَباتَ كُلِّ شَيءٍ﴾ يَنبتُ، ﴿فأخرَجْنا مِنهُ﴾ أي: النباتِ شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضَرَ، ﴿نُخرِجُ مِنهُ﴾: من الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُتَراكِبًا﴾: يركب بعضه بعضًا كسنابل الحِنطة ونحوها - ﴿ومِنَ النَّخلِ﴾: خبرٌ ويُبدَل منه ﴿مِن طَلعِها﴾: أوّلِ ما يخرج منها، والمبتدأ ﴿قِنوانٌ﴾: عراجينُ ﴿دانِيةٌ﴾: قريب بعضها من بعض - ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِن أعنابٍ، والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُشتَبِهًا﴾ ورقُهما: حال، ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ ثمرُهما. ﴿انظُرُوا﴾، يا مخاطِبينَ، نظرَ اعتبارٍ ﴿إلى ثَمَرِهِ﴾ - بفتح الثاء والميم وضمِّهما. وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب - ﴿إذا أثمَرَ﴾: أوّلَ ما يبدو كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿يَنعِهِ﴾: نُضجِه إذا أدرك كيف يعود؟ ﴿إنَّ في ذٰلِكُم لآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته - تعالى - على البعث وغيره، ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ ٩٩. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

٤- ﴿وجَعَلُوا للهِ﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿شُرَكاءَ﴾: مفعولٌ أوّل، ويُبدل منه ﴿الجِنَّ﴾، حيث أطاعوهم في عِبادة الأوثان، ﴿و﴾ قد ﴿خَلَقَهُم﴾، فكيف يكونون شُركاءَه؟ ﴿وخَرَقُوا﴾، بالتخفيف والتشديد، أي: اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ﴾، حيث قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله، والملائكةُ بنات الله. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له! ﴿وتَعالَى عَمّا يَصِفُونَ﴾ ١٠٠ بأنّ له ولدًا. هو ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدِعهما من غير مثال سبق، ﴿أنّى﴾: كيف

---

(١) الحب واحدته حبة. وهي القطعة من القمح ونحوه. والنوى واحدته نواة. وهي القطعة الغليظة داخل ثمر النخل وما أشبهه. ويخرجه: يخلقه. والحي: ما ينمو بنفسه وتقدير الله. وشاقُّه أي: خالقه. والجاعل: المُصيِّر. والسكن: ما سكنتَ إليه واسترحت. والأوقات: الأيام والليالي وما يكون عنها، من ساعات وأسابيع وشهور وسنوات وقرون. والرحمن: يعني الآية ٥ من سورة الرحمن. وتقديره أي: جعل الشيء على مقدار ووجه مخصوصين. والعزيز: الغلّاب على أمره. والعليم: الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه. (٢) جعل: خلق. والنجوم: جمع نجم. وهو الكوكب المضيء. وتهتدوا أي: تستدلوا. والظُّلمة: السواد لايرى فيه شيء. والبر: الأرض اليابسة. والبحر: ما اجتمع فيه الماء الكثير. وفي الأسفار أي: وفي غيرها. والنفس: المخلوق الإنساني بروحه وجسده. والمستقِرّ: المتمكّن زمنًا طويلًا. وهو الجنين. والمستودَع: ما كان وديعة لزمن قصير. وهو النطفة والبويضة. والصلب: العظم الذي يضم فقار الظهر من الأب والأم. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة الطارق. وبفتح القاف يريد القراءة «فمُستقَرٌّ». وهو خصية الرجل ومَبِيض المرأة. ويفقهون: يُحسنون الاستدلال بخلق الإنسان على قدرة الخالق ووحدانيته. (٣) أنزل: أسقط بتفضله. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبَرَد والندى. وأخرج: أنبت. وبه أي: بسببه. والحب واحدته حبة. وهي القطعة المتميزة من الثمر. والنخل واحدته نخلة. وهي شجرة ثمرها التمر. والقنوان: جمع قِنْو. فالقنوان تخرج من الطلع النابت من النخل. والعراجين: جمع عُرجُون. وهو ما يحمله النخل كعنقود العنب. وبه أي: بالماء. وجنات: جمع جنة. والأعناب: جمع عنب. والمشتبه: المتشابه في الشكل واللون. وانظر تفسير الآية ١٤١. والاعتبار: التأمل والاتعاظ. والثمر: ما ينعقد عن الزهر. وضمهما يراد به القراءة «ثُمُرِهِ»، أي: ثمر كل من النخل والأعناب والزيتون والرمان. والإشارة بـ «ذلكم» إلى ما مضى في الآيات ٩٥-٩٩ من عجائب الخلق. وبها أي: بالآيات. (٤) جعلوا: صيّروا. والضمير لمن يستجيب لمزاعم سحر الجن. انظر «المفصل». والشركاء: جمع شريك. والجن واحده جنيّ. وهو هنا الشيطان يغري بالشر. وفي عبادة الأوثان أي: وعبادة بعض المخلوقات، أو اعتقاد أباطيل السحرة والمشعبذين. وخلقهم أي: خلق الجن. وبالتشديد يريد القراءة «وخَرَّقُوا». والعلم: الإدراك بنص شرعي أو دليل برهاني لاشك فيه. وبعض النصارى قالوا: المسيح ابن الله. وتعالى أي: ترفع وتقدس. ويكون: يحصل. وخلقه: أوجده من العدم. والمعنى: مُحال أن يكون لله ولد، وأسبابُ الأبوة منتفية. وهي مضمون الجمل الثلاث التالية: تنزهُه عن اتخاذ زوجه، وكلُّ ماعداه هو من مخلوقاته فلا يكون ابنًا له، وإحاطةُ علمه بكل شيء، ولا كذلك غيره.

الجزء السابع — سورة الأنعام

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، ولَم تكُنْ لَهُ صاحِبةٌ﴾: زوجة، ﴿وخَلقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿وهْوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٠١؟

١- ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لا إلَهَ إلّا هُوَ، خالِقُ كُلِّ شَيءٍ - فاعبُدُوهُ﴾: وحِّدوه - ﴿وهْوَ علَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٠٢: حفيظ، ﴿لا تُدرِكُهُ الأبصارُ﴾ أي: لا تراه - وهذا مخصوص، لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: «وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرةٌ إلَى رَبِّها ناظِرةٌ»، وحديثِ الشيخَينِ «إنّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كما تَرَونَ القَمَرَ لَيلةَ البَدرِ». وقيل: المراد لا تُحيط به - ﴿وهْوَ يُدرِكُ الأبصارَ﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يُدرِكَ البصرَ وهو لا يُدرِكُه، أو يُحيطَ به علمًا، ﴿وهْوَ اللّطِيفُ﴾ بأوليائه، ﴿الخَبِيرُ﴾ ١٠٣ بهم. قل - يا مُحمّد - لهم: ﴿قَد جاءَكُم بَصائرُ﴾: حُججٌ ﴿مِن رَبِّكُم، فمَن أبصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فلِنَفْسِهِ﴾ أبصر، لأنّ ثواب إبصاره له، ﴿ومَن عَمِيَ﴾ عنها فضلّ ﴿فعَلَيها﴾ وبالُ إضلاله، ﴿وما أنا علَيكُم بِحَفِيظٍ﴾ ١٠٤: رقيبٍ لأعمالكم. إنما أنا نذير.

٢- ﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما بيّنّا ما ذُكر، ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّن ﴿الآياتِ﴾ ليعتبروا، ﴿ولِيَقُولُوا﴾ أي الكُفّار في عاقبة الأمر: ﴿دارَسْتَ﴾: ذاكرتَ أهلَ الكِتاب - وفي قراءة «دَرَستَ» أي: كُتبَ الماضين وجئتَ بهذا منها - ﴿ولِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ ١٠٥. ﴿اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ - ﴿لا إلَهَ إلّا هُوَ - وأعرِضْ عَنِ المُشرِكِينَ﴾. ١٠٦ ﴿ولَو شاءَ اللهُ ما أشرَكُوا، وما جَعَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا﴾: رقيبًا فتُجازيَهم بأعمالهم، ﴿وما أنتَ علَيهِم بِوَكِيلٍ﴾ ١٠٧ فتُجبرَهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٣- ﴿ولا تَسُبُّوا الّذِينَ يَدعُونَ﴾ ـهم ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ، ﴿فيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾: اعتداءً وظلمًا، ﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾ أي: جهلًا منهم بالله. ﴿كَذٰلِكَ﴾: كما زَيَّنّا لهؤلاء ما هم عليه، ﴿زَيَّنّا لِكُلِّ أُمّةٍ عَمَلَهُم﴾ من الخير والشرّ فأتَوه، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّهِم مَرجِعُهُم﴾ في الآخرة، ﴿فيُنَبِّئُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ ١٠٨، فيُجازيهم به.

٤- ﴿وأقسَمُوا﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿بِاللهِ جَهْدَ أيمانِهِم﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها، ﴿لَئِنْ جاءَتهُم آيةٌ﴾ ممّا اقترحوا ﴿لَيُؤمِنُنَّ بِها. قُلْ﴾ لهم: ﴿إنّما الآياتُ عِندَ اللهِ﴾، يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير، ﴿وما يُشعِرُكُم﴾: يُدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي: أنتم لا تدرون ذلك. ﴿إنَّها إذا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ﴾ ١٠٩ لِما سبق في علمي - وفي قراءة بالتاء خطابًا للكُفّار، وفي أُخرى بفتح «أَنّ» بمعنى «لعلّ» أو معمولةٌ لما قبلها - ﴿ونُقَلِّبُ أفئِدَتَهُم﴾: نُحوِّلُ قُلوبَهم عن الحقّ فلا يفهمونه، ﴿وأبصارَهُم﴾ عنه فلا يُبصرونه، فلا يُؤمنون ﴿كَما لَم يُؤمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أُنزل من الآيات ﴿أوَّلَ مَرّةٍ، ونَذَرُهُم﴾: نتركهم ﴿في طُغيانِهِم﴾: ضلالتهم: ﴿يَعمَهُونَ﴾ ١١٠: يتردّدون متحيّرين.

---

(١) الإلٰه: المعبود بحق. والخالق: المنشئ للموجودات من العدم. والأبصار: جمع بصر. وهو حاسة النظر. ولا تحيط به: يعني أن بعض الأبصار تراه يوم القيامة، ولكن لاتحيط بكُنهه وحقيقته. وهذا تفسير ثان لنفي رؤية الناس للمولى، أورده السيوطي بصيغة التمريض. والأول عنى به أن نفي الرؤية مقصور على زمن الدنيا، لأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، واستدل على ذلك بالآيتين ٢٢ و٢٣ من سورة القيامة، والحديثين في الصحيحين: ذي الرقم ٥٢٩ في البخاري وذي الرقم ٦٣٣ في مسلم. واللطيف: الخفيّ المحتجب لايحيط به بصر ولابصيرة. وجاءكم: أتاكم. والبصائر: جمع بصيرة. وهي النور الذي تدرك به القلوب. والحجج: جمع حجة. وهي الدلالة التي توجب إدراك الحقائق. وأبصرها: وعاها واهتدى بها. وعمي: عجز عن الإدراك لفساد اختياره واستعداده. وعليها أي: على نفسه. و«وبال إضلاله» صوابه «وبال ضلاله»، ليلائم ما كان قبله من تفسير العمى بالضلال. (٢) الآيات أي: آيات القرآن الكريم. وذاكرتَهم أي: قرأتَ معهم فتعلمتَ منهم هذه الحجج. ودرستَها: قرأتَها وأخذتها عنهم. ونبينه: نوضحه ونفصله. والمشرك: من جعل مع الله شريكًا في الألوهية. وأعرض عنهم أي: انصرف عنهم ولاتلتفت إلى آرائهم ولاتخاصمهم. وشاء أي: أراد عدم إشراكهم. والمعنى: أراد لهم الإشراك، لطلبهم إياه وفساد اختيارهم واستعدادهم، فكان منهم ذلك. وجعل: صيّر. والوكيل: الذي وكل الله إليه أمورهم، ليتولّاها ويسيّر مصالحهم. وهذا يعني أن الأمر بالإعراضِ عن المشركين، وعدمِ مجابهتم بالخصام، منسوخ بآيات القتال لهم، في أوائل سورة براءة. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. ويدعونهم أي: يعبدونهم لما يعتقدون فيهم. ودونه أي: غيره. ويسبوه أي: يخوضوا في ذكره بما لايليق به. والعلم: الإدراك لتميز الحق من الباطل. وزيّنّاه: خلقنا في نفوسهم المحبة له. والعمل: ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. وإلى ربهم أي: إلى لقاء موعده بالبعث والحساب. والمرجع: الرجوع. وينبئ: يخبر. (٤) أقسموا أي: حلفوا. والأيمان: جمع يمين. وهو القسَم المغلَّظ. وجاءتهم أي: أتتهم فشاهدوها. والآية: المعجزة. واقترحوا: اخترعوا وطلبوا. ويؤمن: يصدّق تصديق يقين. انظر «المفصل». وعند الله أي: أنه هو المختص بها ينزلها حين تقتضيها حكمته. وجاءت: أتت وحصلت. وفي علمي أي: لِما في نفوسهم من اختيار الضلال والإصرار على الكفر والعصيان. وبقوله «خطابًا للكفار» يريد القراءة: «لاتُؤمِنُونَ». وبفتح «أنّ» يريد القراءة «أنّها». والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. والأبصار: جمع بصر. وأول كرة أي: وقت نزول الآيات السابقة.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الجزء ٨ الحزب ١٥

١- ﴿ولَو أنَّنا نَزَّلْنا إلَيهِمِ المَلائكةَ، وكَلَّمَهُمُ المَوتَى﴾ كما اقترحوا، ﴿وحَشَرْنا﴾: جمعنا ﴿عليهِم كُلَّ شَيءٍ، قُبُلًا﴾ بضمّتين: جمع قَبيل أي فوجًا فَوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء أي: مُعايَنةً، فشهدوا بصِدقك، ﴿ما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾ لِما سبق في علم الله، ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿أنْ يَشاءَ اللهُ﴾ إيمانَهم فيؤمنون، ﴿ولٰكِنَّ أكثَرَهُم يَجهَلُونَ﴾ ١١١ ذلك.

٢- ﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، كما جعلنا هؤلاء أعداءكَ، ويُبدل منه ﴿شَياطِينَ﴾: مَرَدَةَ ﴿الإنسِ والجِنِّ، يُوحِي﴾: يُوَسْوِسُ ﴿بَعضُهُم إلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ﴾ مُموَّهَهُ من الباطل، ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغرّوهم - ﴿ولَو شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاءَ المذكورَ. ﴿فذَرْهُم﴾: دَعِ الكُفّارَ ﴿وما يَفتَرُونَ﴾ ١١٢ من الكُفر وغيره، ممّا زُيِّنَ لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿ولِتَصغَى﴾ عطفٌ على «غُرورًا» أي: تَميلَ ﴿إلَيهِ﴾ أي: الزُّخرفِ ﴿أفئِدةُ﴾: قلوبُ ﴿الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، ولِيَرضَوهُ ولِيَقتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿ما هُم مُقتَرِفُونَ﴾ ١١٣ من الذُّنوب، فيُعاقَبوا عليه.

٣- ونزل، لمّا طلبوا من النبيّ أن يجعل بينه وبينهم حَكمًا، قُل: ﴿أفغَيرَ اللهِ أبتَغِي﴾: أطلبُ ﴿حَكَمًا﴾: قاضيًا بيني وبينكم، ﴿وهْوَ الَّذِي أنزَلَ إلَيكُمُ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبيَّنًا فيه الحقُّ من الباطل؟ ﴿والَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ﴾: التوراة، كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿يَعلَمُونَ أنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ. فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾ ١١٤: الشاكِّين فيه. والمُراد بذلك التقريرُ للكُفّار أنه حقّ. ﴿وتَمَّتْ كَلِماتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد، ﴿صِدقًا وعَدلًا﴾: تمييز، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ﴾ بنقص أو خُلف، ﴿وهْوَ السَّمِيعُ﴾ لما يُقال، ﴿العَلِيمُ﴾ ١١٥ بما يُفعل. ﴿وإن تُطِعْ أكثَرَ مَن في الأرضِ﴾ أي: الكُفّارَ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه. ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ﴾ في مُجادلتهم لك في أمر المَيتة، إذ قالوا: ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممّا قتلتم، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿هُم إلّا يَخرُصُونَ﴾ ١١٦: يكذبون في ذلك. ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ، وهْوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ ١١٧، فيُجازي كلًّا منهم.

٤- ﴿فكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ﴾ أي: ذُبح على اسمه، ﴿إنْ كُنتُم بِآياتِهِ مُؤمِنِينَ ١١٨. وما لَكُم ألّا تأكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ﴾ من الذبائح،

---

(١) نزلنا: أرسلنا. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. وكلمهم أي: خاطبهم بأمرنا. والموتى: جمع ميت. وكما اقترحوا أي: ما طلبوا في الآيات ٧ من سورة الحجر و٩٢ من سورة الإسراء و٣٦ من سورة الدخان. والقبيل: واحدته قبيلة. ومعاينة أي: أن يكونوا بحيث يشاهدهم الكفار عِيانًا ويسمعون كلامهم. يريد القراءة «قِبَلًا». ويؤمن: يعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ويشاء: يريد. ويجهل: لايدري. وذلك أي: عدم إيمانهم بالمعجزات، وأن كلًّا من الإيمان والكفر هو بمشيئة الله وقدره، لمن يستحق ذلك بحسب استعداده واختياره المتأصل.

(٢) جعلنا: صيّرنا. والعدو: المعادي. والشياطين: جمع شيطان. والمردة: جمع مارد. وهو المتمرد على الطاعة. والقول: قولهم المزخرف. والمموه: المحبَّب إلى النفس. والغرور: الخداع. وشاء أي: أراد إيمانهم. وفعلوه أي: قاموا به. ويفترون أي: يختلقونه كذبًا. وهذا يعني أن الأمر، بالموادعة والإعراض عن المشركين، كان حكمه قبل نزول آيات القتال لهم في أوائل سورة التوبة. فهو منسوخ بها. والأفئدة: جمع فؤاد. ولايؤمن أي: يكذب وينكر. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت للحساب. ويرضوه أي: يقبلوه. ومقترفون أي: مكتسبوه من نية أو قول أو فعل.

(٣) الحكم: مَن عنده الحِكمة والإنصاف. انظر «المفصل». وأنزل: أوحى على لسان جبريل. ويعلم: يدرك إدراك يقين. وأنه أي: القرآنَ الكريم. وبالتشديد يريد القراءة: «مُنَزَّلٌ». والحق: الصدق الثابت. وتكون: تصير. وفيه أي: في علم أهل الكتاب أن القرآن من عند الله. وتمت أي: بلغت الغاية في الكمال. وصدقًا وعدلًا أي: صادقة في الأخبار والمواعيد للطائعين والعاصين، وعادلة في الأحكام الشرعية. والمبدِّل: المغيِّر والمُحرِّف. والخلف: عدم التنفيذ. والسميع والعليم: من السمع والعلم. وتطيعهم: توافقهم. ويضلوك: يصرفوك. والسبيل: الطريق الواضح. ويتبعونه أي: يعتقدون مايزينه. والظن: التوهم. والميتة أي: وغيرها من الباطل. ويخرص أي: الأباطيل والأوهام. ويضل: ينصرف. وسبيله: طريق دينه. والمهتدي: المسترشد إلى الحق.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. وكلوا أي: تناولوا للغذاء والمتعة. وهو أمر إباحة. وعليه أي: على ذبحه. والآيات: نصوص القرآن وأدلة التوحيد والبعث وصدق الرسالة. والمؤمن: المصدق يقينًا. وفُصِّل: بُيِّنَ وأُوضح بدقة واستيعاب. وبالفاعل يريد القراءة «فَصَّلَ لَكُم ما حَرَّمَ». والفاعل يعود على لفظ الجلالة. وحرم: منع. و«في آية» كذا. والآية المذكورة هي الثالثة من سورة المائدة المدنية، والآيات هنا مكية. فلا يصح الإحالة هنا على ما سينزل بعد. والصواب أن المراد بما فصّل من المحرمات هو في الآيات ١٢١ و١٣٦ و١٣٨ و١٣٩ و١٤٥ من هذه السورة. وهذا يعني أن ماذكر اسم الله عليه ليس من المحرم. واضطررتم: أُلجئتم بقوة قاهرة. والكثير: العدد الوافر من الناس. ويضلون: ينحرفون عن طريق الحق. وبضمها يريد القراءة «لَيُضِلُّونَ»، أي: يَصرفون غيرهم. والأهواء: جمع هوى. وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه، وغالبًا ما يكون من الباطل. وبغير أي: بشيء لاصلة له بالعلم، أي: المعرفة اليقينية بوحي أو دليل قاطع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلم: أكثر إحاطة من جميع الخلق.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿**وقد فُصِّلَ**﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين - ﴿**لكم ما حُرِّمَ عليكم**﴾ في آيةِ «حُرِّمَتْ عليكُمُ المَيْتَةُ»، ﴿**إلّا ما اضطُرِرْتُم إليهِ**﴾ منه فهو أيضًا حلال لكم؟ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بُيِّن لكم المحرّمُ أكلُه، وهذا ليس منه. ﴿**وإنَّ كثيرًا لَيَضِلُّونَ**﴾ - بفتح الياء وضمّها - ﴿**بأهوائهم**﴾: بما تهواه أنفسُهم من تحليل الميتة وغيرها، ﴿**بغيرِ عِلمٍ**﴾ يعتمدونه في ذلك. ﴿**إنَّ ربَّكَ هُوَ أعلَمُ بالمُعتَدِينَ**﴾ ١١٩: المُتجاوزين الحلالَ إلى الحرام.

١- ﴿**وذَرُوا**﴾: اتركوا ﴿**ظاهِرَ الإثمِ وباطِنَهُ**﴾: علانيتَه وسرَّه - والإثم قيل: الزِّنَى، وقيل: كلّ معصية. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَكسِبُونَ الإثمَ سيُجزَونَ**﴾، في الآخرة، ﴿**بما كانُوا يَقترِفُونَ**﴾ ١٢٠: يكتسبون - ﴿**ولا تأكُلُوا مِمّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عليهِ**﴾، بأن مات أو ذُبح على اسم غيره، وإلّا فما ذَبَحه المُسلمُ، ولم يُسمِّ فيه عمدًا أو نِسيانًا، فهو حلال - قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ - ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: الأكلَ منه ﴿**لَفِسقٌ**﴾: خُروج عمّا يَحِلّ، ﴿**وإنَّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ**﴾: يُوَسْوِسُونَ ﴿**إلى أولِيائِهِم**﴾: الكُفّارِ، ﴿**لِيُجادِلُوكُم**﴾ في تحليل الميتة، ﴿**وإنْ أطَعتُمُوهُم**﴾ فيه ﴿**إنَّكُم لَمُشرِكُونَ**﴾ ١٢١.

٢- ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿**أوَمَن كانَ مَيْتًا**﴾ بالكُفر، ﴿**فأحيَيناهُ**﴾ بالهُدى، ﴿**وجَعَلنا لَهُ نُورًا يَمشِي بِهِ في النّاسِ**﴾: يتبصّر به الحقَّ من غيره وهو الإيمانُ، ﴿**كَمَن مَثَلُهُ**﴾ - مَثَل: زائدٌ - أي: كمن هو ﴿**في الظُّلُماتِ، لَيسَ بِخارِجٍ مِنها**﴾، وهو الكافر؟ لا. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما زُيِّن للمؤمنين الإيمانُ، ﴿**زُيِّنَ لِلكافِرِينَ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٢٢ من الكُفر والمعاصي، ﴿**وكَذلِكَ**﴾ كما جعلنا فُسّاق مَكّة أكابرَها، ﴿**جَعَلنا في كُلِّ قَريةٍ أكابِرَ مُجرِمِيها، لِيَمكُرُوا فِيها**﴾ بالصدّ عن الإيمان، ﴿**وما يَمكُرُونَ إلّا بِأنفُسِهِم**﴾ لأنّ وباله عليهم، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ ١٢٣ بذلك.

٣- ﴿**وإذا جاءَتهُم**﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿**آيةٌ**﴾، على صِدق النبيّ، ﴿**قالُوا: لَن نُؤمِنَ**﴾ به، ﴿**حَتَّى نُؤتَى مِثلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ**﴾ من الرسالة ويُوحَى إلينا، لأنّا أكثر مالًا وأكبر سِنًّا. قال تعالى: ﴿**اللهُ أعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ**﴾، بالجمع والإفراد. وحيث: مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم»، أي: يعلمُ الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعُها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها. ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ أجرَمُوا**﴾، بقولهم ذلك، ﴿**صَغارٌ**﴾: ذُلّ ﴿**عِندَ اللهِ وعَذابٌ شَدِيدٌ، بِما كانُوا يَمكُرُونَ**﴾ ١٢٤ أي: بسبب مكرهم.

---

(١) اتركوا أي: تجنبوا واحذروا. والظاهر: ما تقوم به الجوارح من الذنوب. والباطن: ما يُنوى بالقلب كالرياء والحسد والكبر والإصرار على الذنوب. ويكسب: يعمل ويحصّل. ويُجزون: يعاقبون. وتأكل: تتناول للغذاء والمتعة. ولم يسم أي: المسلم. وما ذبحه أيضًا أهل الكتاب وغيرهم دون تسمية كان حلالًا، يسمَّى عليه ويؤكل. انظر «المفصل». والأكل منه أي: مما مات حتف أنفه أو ذبح على اسم غير الله. والشياطين: إبليس وجنوده من الإنس أو الجن، جمع شيطان. والأولياء: جمع ولي. وهو الذي يتولى الشيطانَ ويطيعه فيما يوسوس. ويجادل: يخاصم. والميتة أي: وغيرها من الأباطيل. وأطعتموهم أي: وافقتموهم واستجبتم لمزاعمهم. والمشرك: من يجعل بعض المخلوقات شريكًا في الألوهية تقديسًا أو طاعة.

(٢) أبوجهل هو زعيم المشركين من قريش. وغيره أي: غيره من المؤمنين. انظر «المفصل». والميت: من عَطّل عقله عن التدبر، فكان كمن فقد الحياة. وأحييناه: بعثنا في عقله الاستعداد للتفكر والاهتداء، بسبب ما لديه من استجابة للحق. وجعلنا: خلقنا. والنور: ما يضيء الظلمات فتتبين به الأشياء، ويُعرَف الخير من الشر. ويمشي: يهتدي ويستضيء. وفي الناس أي: فيما بينهم. و«زائد» كذا. والحق أن المَثَل قد يرد بمعنى ذات الشيء. فالمعنى: كمَن ذاتُه في الظلمات. والظُّلمة: السواد يخفي كل شيء فتضيع معالم الخير والشر ويختلط بعضها ببعض. والمراد ظلمات الكفر والجهالة وعمى البصيرة. والخارج: المتخلص. و«لا» يعني أن الاستفهام في أول الآية معناه النفي، أي: ليس المذكورانِ سواء. وزُين: جعل مما تعشقه النفوس. ويعملون أي: يكتسبونه نية أو قولًا أو فعلًا. وجعل: صيّر. وأكابر هنا بمعنى: كِبار، أي: رؤساء. والقرية: البلدة. والمجرم: الذي يرتكب الجرائم باختيار وقصد. ويمكر: يخدع. والنفس: حقيقة الإنسان بجسمه وروحه. ووباله أي: وخامة مكرهم. ويشعرون: يحسّون. ونفي الشعور هو نفي لما يتمتع به البهائم. فهم أحط منها.

(٣) قال الوليد بن المغيرة للرسول ﷺ: «لوكانت النبوة حقًّا لكنتُ أولى بها منك، لأني أكبر منك سنًّا وأكثر منك مالًا»، وقال أبو جهل: «زاحمَنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسَي رهان قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولانتبعه أبدًا، إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه»، فنزلت الآيات. البحر ٤:٢١٦. وجاءتهم: نزلت إليهم. والآية :البرهان القاطع. ونؤتى: نعطى. ويجعل: يضع. والرسالات: جمع رسالة. وفي ث وقرة العينين والمنحة: «رسالته». وحيث يجعل رسالاته أي: من يستحق أن يكلفه بالرسالة. وبالإفراد يريد القراءة «رِسالتَهُ». ويصيبهم: يَنزل بهم. وأجرموا: ارتكبوا جرائم الكفر. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. ويمكر: يخادع ويفجر.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

١ - ﴿**فَمَن يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشرَحْ صَدرَهُ لِلإسلام**﴾، بأن يَقذِفَ في قَلبه نُورًا فيَنفسِحَ له ويَقبَلَه، كما ورد في حديث، ﴿**ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقًا**﴾ - بالتخفيف والتشديد - عن قبوله، ﴿**حَرَجًا**﴾: شديد الضِّيق، بكسر الراء: صفةٌ، وفتحِها: مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً، ﴿**كأنَّما يَصَّعَّدُ**﴾ - وفي قراءةٍ "يَصّاعَدُ"، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسُكونها - ﴿**في السَّماءِ**﴾، إذا كُلِّف الإيمانَ لشِدّته عليه. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ الجعلِ ﴿**يَجعَلُ اللهُ الرِّجسَ**﴾: العذابَ، أو الشيطانَ أي: يُسلِّطه، ﴿**على الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ**﴾ ١٢٥.

٢ - ﴿**وهٰذا**﴾ الذي أنت عليه - يا مُحمّد - ﴿**صِراطُ**﴾: طريقُ ﴿**رَبِّكَ مُستَقِيمًا**﴾: لا عِوَجَ فيه. ونصبُه على الحال المؤكِّدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة. ﴿**قد فَصَّلْنا**﴾: بيّنّا ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ ١٢٦، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتّعظون. وخُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون. ﴿**لَهُم دارُ السَّلامِ**﴾ أي: السلامة - وهي الجنّة - ﴿**عِندَ رَبِّهِم، وهُوَ وَلِيُّهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٢٧.

٣ - ﴿**وَ**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ نَحشُرُهُم**﴾ - بالنون، والياءِ أي: اللهُ - الخلقَ ﴿**جَمِيعًا**﴾، ويقال لهم: ﴿**يا مَعشَرَ الجِنِّ، قَدِ استَكثَرتُم مِنَ الإنسِ**﴾ بإغوائكم. ﴿**وقالَ أولياؤُهُم**﴾ الذين أطاعوهم ﴿**مِنَ الإنسِ: رَبَّنا، استَمتَعَ بَعضُنا بِبَعضٍ**﴾: انتفع الإنسُ بتزيين الجنِّ لهم الشهواتِ، والجنُّ بطاعة الإنس لهم، ﴿**وبَلَغْنا أجَلَنا الَّذي أجَّلْتَ لَنا**﴾. وهو يوم القيامة. وهذا تحسُّر منهم. ﴿**قالَ**﴾ تعالى لهم، على لسان الملائكة: ﴿**النّارُ مَثواكُم**﴾: مأواكم، ﴿**خالِدِينَ فِيها، إلّا ما شاءَ اللهُ**﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشُرب الحميم. فإنه خارجَها، كما قال تعالى: «ثُمَّ إنَّ مَرجِعَهُم لَإلَى الجَحِيمِ». وعن ابن عبّاس أنه فيمَن عَلِمَ اللهُ أنهم يؤمنون. فـ «ما» بمعنى: مَن. ﴿**إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ١٢٨ بخلقه.

٤ - ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كما متّعنا عُصاةَ الإنس والجنّ بعضَهم ببعض، ﴿**نُوَلِّي**﴾ من الوِلاية ﴿**بَعضَ الظّالِمِينَ بَعضًا**﴾ أي: على بعض، ﴿**بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ١٢٩ من المعاصي. ﴿**يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ، ألَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم**﴾ أي: من مجموعكم الصادق بالإنس، أو رسلُ الجنّ: نُذُرُهم الذين يستمعون كلام الرسل فيُبلِّغون قومهم، ﴿**يَقُصُّونَ عَلَيكُم آياتي، ويُنذِرُونَكُم لِقاءَ يَومِكُم هٰذا؟ قالُوا: شَهِدْنا عَلى أنفُسِنا**﴾ أن قد بَلَغنا - قال تعالى: ﴿**وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾ فلم يُؤمنوا - ﴿**وشَهِدُوا عَلى أنفُسِهِم أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ**﴾ ١٣٠. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: إرسال الرسل ﴿**أنْ**﴾ - اللام مُقدّرة وهي مخفّفة - أي: لأنّه ﴿**لَم يَكُنْ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ**﴾ منها، ﴿**وأهلُها غافِلُونَ**﴾ ١٣١: لم يُرسَل إليهم رسول يُبيِّن لهم.

---

(١) يريد: يقضي ويقدّر. ويهديه: يوجه قدراته بحسب اختياره الطيب واستعداده الخيّر. ويشرح صدره: يوسّعه للتصديق والطاعة. والمراد بالصدر ما فيه من القلب. والإسلام: دين الله. والحديث المذكور: انظر «المفصل». وفيما عدا الأصل وخ وع: «ومن يرد الله أن يضله». ويضله: يصرف قدراته إلى الضلال بحسب اختياره السيئ وكثرة طغيانه. ويجعل: يصيّر. والضَّيْق: الشديد التحجر، لا ينفذ إليه رشاد. وبالتشديد يريد القراءة «ضَيِّقًا». وبفتحها يريد القراءة «حَرَجًا». ويصّعّد: يتعلّى، أي: يتكلف الصعود بمشقة ولا يستطيعه، فهو يزاول أمرًا مستحيلًا عليه. وبسكونها يريد قراءة ثالثة "يَصْعَدُ". وفي المنحة ص ١٨٣ حصر هذه القراءة بفتح راء «حَرَجًا»، خلافًا لما ورد في كتب القراءات. ويجعلُ أي: يصيّر. ولا يؤمن أي: يكفر بالتوحيد والبعث.

(٢) المؤكدة للجملة: انظر «المفصل». والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. ويذكرون أي: يستحضرون آيات القرآن ويتدبرون معانيها ويدركون الحق. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. وعند ربهم أي: يوم القيامة في ضيافته والمنزلة المقربة العالية. ووليهم: مُواليهم وناصرهم على أعدائهم. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

(٣) اليوم: الوقت وما فيه من الأهوال. ونحشرهم أي: نجمعهم بالبعث للحساب والجزاء. وبالياء يريد القراءة «يَحشُرُهم». والمعشر: الجماعة. واستكثرتم: أضللتم كثيرًا. والأولياء: جمع ولي. وهو العابد المطيع. وأطاعوهم أي: أطاعوا الشياطين. وبلغنا: أدركنا. وأجلت أي: عينته وحددته. ومأواكم: مكان إقامتكم. والخالد: من يقيم أبدًا. وشاء أي: أراده وقدّره. والحميم: الشراب البالغ نهاية الغليان. و«خارجها» الصواب أن الجحيم والحميم هما في نار جهنم. وقوله تعالى هو الآية ٦٨ من سورة الصافات. والحكيم والعليم: مبالغتا اسم الفاعل من الحكمة والعلم.

(٤) الولاية: التحكم. والظالمون: الكافرون ومن يتجاوز الحق من المسلمين. ويكسبون أي: يعملونه من نية أو قول أو فعل. ويأتيكم: يجيئكم. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل لتبليغ الدعوة والعمل بها. والصادق بالإنس: يعني أن الرسل كلهم من الإنس، فهم حقًّا من مجموع المخاطبين الإنس والجن معًا. والنذر: جمع نذير. وهو الرسول المهدِّد بعذاب من عصى. ويقصونها: يتلونها مع التوضيح. وينذرونكم: يُعلِمونكم ما يكون من عذاب الآخرة. واللقاء: الحضور. وشهدنا: أقررنا. وغرتهم: خدعتهم بزخارفها والشهوات. والكافر: المكذب للتوحيد وعبادة الله. والمهلك: المدمِّر. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. والظلم: الكفر والعصيان. والغافل: من تُرِك بغير تبشير وإنذار.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١- ﴿**ولِكُلٍّ**﴾ من العاملين ﴿**دَرَجاتٌ**﴾: جزاءٌ، ﴿**مِمّا عَمِلُوا**﴾ من خير وشرّ، ﴿**وما رَبُّكَ بغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ**﴾ ١٣٢ بالياء والتاء، ﴿**ورَبُّكَ الغنيُّ**﴾ عن خلقه وعبادتهم، ﴿**ذُو الرَّحْمةِ، إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم**﴾ - يا أهل مكّة - بالإهلاك، ﴿**ويَستَخلِفْ مِن بَعدِكُم ما يَشاءُ**﴾ من الخلق، ﴿**كما أنشأكُم مِن ذُرِّيّةِ قَومٍ آخَرينَ**﴾ ١٣٣ أذهَبُهم. ولكنه أبقاكم رحمةً لكم.

٢- ﴿**إنَّ ما تُوعَدُونَ**﴾، من الساعة والعذاب، ﴿**لَآتٍ**﴾ لا مَحالة، ﴿**وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾ ١٣٤: فائتينَ عذابَنا. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**يا قَومِ، اعمَلُوا على مَكانَتِكُم**﴾: حالتكم. ﴿**إنِّي عامِلٌ**﴾ على حالتي. ﴿**فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَنْ**﴾: موصولةٌ مفعول العِلم، ﴿**تَكُونُ لَهُ عاقِبةُ الدّارِ**﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿**إنَّهُ لا يُفلِحُ**﴾: يَسعد ﴿**الظّالِمُونَ**﴾ ١٣٥: الكافرون.

٣- ﴿**وجَعَلُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿**للهِ مِمّا ذَرَأَ**﴾: خلق، ﴿**مِنَ الحَرْثِ**﴾: الزرعِ ﴿**والأنعام، نَصِيبًا**﴾ يصرفونه إلى الضِّيفان والمساكين، ولشُركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سَدَنتها، ﴿**فقالُوا: هٰذا للهِ بِزَعمِهِم**﴾ - بالفتح والضمّ - ﴿**وهٰذا لِشُرَكائنا**﴾. فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إنّ الله غنيّ عن هذا. كما قال تعالى: ﴿**فما كانَ لِشُرَكائهِم فلا يَصِلُ إلَى اللهِ**﴾ أي: لجهته، ﴿**وما كانَ للهِ فهُوَ يَصِلُ إلَى شُرَكائهِم. ساءَ**﴾: بئس ﴿**ما يَحكُمُونَ**﴾ ١٣٦ هُ حكمُهم هذا!

٤- ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كما زُيِّنَ لهم ما ذُكر، ﴿**زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشرِكِينَ قَتلَ أولادِهِم**﴾ بالوأد ﴿**شُرَكاؤُهُم**﴾ من الجنّ - بالرفع: فاعل «زَيَّنَ». وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع «قَتلُ» ونصبِ الأولاد به وجرِّ «شُركائهِم» بإضافته. وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ولا يضرُّ. وإضافةُ القتل إلى الشركاء لأمرهم به - ﴿**لِيُرْدُوهُم**﴾: يُهلكوهم، ﴿**ولِيَلبِسُوا**﴾: يَخلِطوا ﴿**علَيهِم دِينَهُم، ولَو شاءَ اللهُ ما فَعَلُوهُ. فذَرْهُم وما يَفتَرُونَ**﴾ ١٣٧.

---

(١) لكل أي: لكل مكلف. والدرجة: المرتبة تناسب من يستحقها. وجزاء أي: درجات من المراتب المختلفة. وعمل: اكتسب وتحمل. والغافل: الساهي تخفى عليه مقادير الأعمال. وبالتاء يريد القراءة «تَعمَلُونَ». والغني: المستغني بذاته. وذو الرحمة أي: صاحبها المتفرد بها. والرحمة: العطف بالإحسان. ويشأ أي: يرد إذهابكم. ويستخلف: ينشئ ويوجد خلفًا لكم. وما يشاء أي: ما يريد استخلافه. وأنشأكم: أوجدكم. والذرية: السلالة. وآخرين: مغايرين لم يكونوا مثلكم في العصيان. وهم نوح ومن آمنوا به.

(٢) توعدون: تهدّدون به. والآتي: الواقع حتمًا. والمكانة: الناحية والجهة. والمراد: اثبُتوا على الكفر والعداوة. وهو أمر تهديد. وعامل أي: مستمر في العمل. وتعلمون: تدركون. وتكون: تصير. والعاقبة: النهاية. ويسعد أي: لايسعد في الدنيا والآخرة.

(٣) جعلوا: صيّروا. والحرث: المحروث. والأنعام: ما يرعى من الإبل والبقر والشاء، مفرده نَعَمٌ. والنصيب: القدر. والضيفان: جمع ضيف. والشركاء: الأصنام التي يعبدونها. والسدنة: خدمة الأصنام جمع سادن. والزعم: الكذب لأنهم ابتدعوا ذلك، من غير أن يأمرهم به الله أو يشرعه لهم. وبالضم يريد القراءة «بِزُعمِهِم». وكذلك هي في الآية ١٣٨. والتقطوه أي: نزعوه مما سقط فيه، وردوه إلى نصيب الأصنام التي أشركوها بالله. وكان: صار. وساء: تجاوز الحد في السوء والشر والفساد. ويحكمون: يضعون من الأحكام الباطلة. وحكمهم هو المخصوص بالذم.

(٤) ما ذكر: يعني قسمةَ القرابين بين الله والأصنام، وجعْلَ الأصنام شركاء له. وزينه: زخرفه وجعله مما تميل النفوس إليه. والكثير: العدد الوافر جدًا. والمشرك: من يعبد مع الله بعض المخلوقات بالتقديس والطاعة. والقتل: إزهاق الروح من الجسد. والأولاد: جمع ولد. والمراد: البنات يُدفَنَّ على الحياة خوف السبي والفقر، والبنون يُذبحون قرابين للأصنام أو لدفع الفقر. والوأد هو الدفن للأحياء، كان بعض ربيعة ومضر يفعلونه في بناتهم. ومن الجن أي: ومن السَّدَنة والكهان وكبار الجاهليين. فهم شركاء لهم في الضلال والقتل للأولاد. وللمفعول أي: للمجهول. ورفع «قتلُ» يعني أنه نائب فاعل. وبه أي: بالمصدر: قتل. و«بإضافته» المراد قراءة ابن عامر: «زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشرِكِينَ قَتلُ أولادَهُم شُرَكائهِم». فـ«قتل» هو الذي أضيف إلى «شركاء» لا العكس، وهو الذي وصفه السيوطي نفسه بـ «الأصح». انظر الهمع ٢: ٤٦. وفيه أي: في هذا البناء للمفعول مع ما تبعه من رفع ونصب وجر. والفصل حاصل بين «قتل» وبين «شركاء» بقوله تعالى «أولادَهم»، وفيه مفعول به للمصدر المضاف «قتل» مع المضاف إليه والميم. ويهلكوهم أي: في عذاب جهنم. ويخلطوا أي: يدخلوا الباطل والضلال والشك. ودينهم أي: دين إبراهيم، يُدخِلون فيه الأباطيل والضلالات، ليصرفوهم عنه ويجعلوهم مشركين. وشاء أي: أراد عدم فعل المزينين والمشركين. وما فعلوه أي: ما زيَّن الشركاء قتل الأولاد، وما قتل المشركون أولادهم. وذرهم وما يفترون أي: اتركهم بلا خصام ولا قتال، ومع أباطيلهم بلا جدال ولا اهتمام، لأنك رسول تبلغ ولست مسؤولًا عن ضلالهم. ويفترون أي: يختلقونه من الإثم والباطل.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ
سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ
قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ
حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١- ﴿وقالُوا: هٰذِهِ أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام، ﴿لا يَطعَمُها إلّا مَن نَشاءُ﴾ من خَدَمة الأوثان وغيرهم، ﴿بِزَعمِهِم﴾ أي: لا حُجّة لهم فيه، ﴿وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ فلا تُركب كالسَّوائب والحَوامي، ﴿وأنعامٌ لا يَذكُرُونَ اسمَ اللهِ علَيها﴾ عِند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افتِراءً علَيهِ - سَيَجزِيهِم بِما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ ١٣٨ عليه - ﴿وقالُوا: ما في بُطُونِ هٰذِهِ الأنعامِ﴾ المُحرَّمة - وهي السوائب والبحائر - ﴿خالِصةٌ﴾: حلال ﴿لِذُكُورِنا، ومُحَرَّمٌ علَى أَزْواجِنا﴾ أي: النساء، ﴿وإن يَكُنْ مَيْتةٌ﴾ - بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره - ﴿فهُم فِيهِ شُرَكاءُ. سَيَجزِيهِم﴾ الله ﴿وَصفَهُم﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي: جزاءه. ﴿إنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه، ﴿عَلِيمٌ﴾ ١٣٩ بخلقه. ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿أولادَهُم﴾ بالوأد، ﴿سَفَهًا﴾: جهلًا ﴿بِغَيرِ عِلم، وحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ ممّا ذُكر ﴿افتِراءً علَى اللهِ. قَد ضَلُّوا وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾ ١٤٠.

نصف الحزب ١٥

٢- ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَ﴾: خلق ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ، ﴿مَعرُوشاتٍ﴾: مبسوطات على الأرض كالبِطّيخ، ﴿وغَيرَ مَعرُوشاتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل، ﴿و﴾ أنشأ ﴿النَّخلَ والزَّرعَ مُختَلِفًا أُكُلُهُ﴾: ثمره وحبّه في الهيئة والطعم، ﴿والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُتَشابِهًا﴾ ورقُهما: حال، ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ طَعمُهما - ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إذا أثمَرَ﴾ قبلَ النُّضج، ﴿وآتُوا حَقَّهُ﴾: زكاتَه ﴿يَومَ حَصادِهِ﴾، بالفتح والكسر، من العُشرِ أو نِصفِه، ﴿ولا تُسرِفُوا﴾ بإعطاء كلّه، فلا يبقى لعِيالكم شيء. ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾ ١٤١: المتجاوزين ما حُدَّ لهم - ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ الأنعامِ حَمُولةً﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار، ﴿وفَرْشًا﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سُمّيتْ فرشًا لأنها كالفرش للأرض لدنوّها منها. ﴿كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ﴾: طرائقَه في التحريم والتحليل. ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ١٤٢: بيّنُ العداوة.

---

(١) الإشارة بـ «هذه» إلى ما جعلوه نصيب أصنامهم في الآية ١٣٦، يفصّلون حكمه هنا، فيجعلونه ثلاثة أقسام. والأنعام: جمع نَعَم، وهو مايرعى من الإبل والشاء والبقر. والحرث: الزرع وما يكون من النبات. ويطعمها أي: يأكل لحمها أو يتذوقه. ومن نشاء أي: من نريد أن يطعمها. وغيرهم يعني: الرجال دون النساء. والزعم: الكذب والباطل. وحرمت: جعلت محرمة. والسوائب والبحائر: انظر الآية ١٠٣ من سورة المائدة. وظهورها أي: ركوب ظهورها. ولا يذكرونه: لايلفظون به ولايحجّون على تلك الأنعام. فهي تركب في كل حال إلّا في الحج. والافتراء: الكذب. ويجزي: يعاقب ويعذب. والبطون: جمع بطن. والمراد بها الأرحام التي تحوي الأجنة. فما ولد حيًّا يأكله الرجال وحدهم، وما ولد ميتًا يأكله الرجال والنساء. والخالصة هنا المخصصة بالذكور. وهو جمع ذكر. والمحرم: الممنوع شرعًا عندهم. والأزواج: جمع زوج، الزوجات. ويكن أي: يحصل ويقع. وبالنصب يريد القراءة «مَيْتَةً». وبالتأنيث: الإسناد إلى مؤنث. يريد القراءة «تَكُنْ». والفعل لا يذكر ولا يؤنث، وفي عبارة السيوطي تسمح. وهم أي: الذكور والإناث معًا على التغليب. وفيه أي: في الميتة من المولود. والشركاء: المشتركون، جمع شريك. والوصف: ما وضعوه أحكامًا من أباطيل. وجزاءه أي: جزاء وصفهم المذكور. والحكيم والعليم: من الحكمة والعلم. وفي ذلك أن عقابهم على ما زعموه يكون بحكمته وعلمه. وخسر: ضيّع الخير والربح. وبالتشديد يريد القراءة «قَتَّلُوا». والوأد: دفن البنات أحياء. وكان بعض ربيعة ومضر من العرب يفعلونه، خشية السبي والفقر. وكان بعض آخر من العرب يذبحون الأبناء خوف الفقر أو قربانًا للأصنام. والعلم: المعرفة بنص شرعي، أو ببرهان علمي قاطع. ورزقهم: هيّأ لهم. ومما ذكر أي: مما رزقهم الله إياه. والافتراء: الكذب. وضلوا: انحرفوا عن طريق الحق. والمهتدي: المسترشد للصواب يطلبه ويعمل به.

(٢) انظر الآية ٩٩. والبطيخ أي: والعنب والقرع والقثاء. والزرع: ما يُزرع. والمختلف: المتباين المتباعد. وأكله: ما يؤكل من المزروعات. والمتشابه: ما يشبه بعضه بعضًا، يقاربه أو يماثله. والثمر: ما ينعقد عن الزهر واحدته ثمرة. والنضج: إدراك الثمر وصيرورته طيب المأكل. وآتوا أي: أدّوا إلى المستحق من الناس. والحق: ما يجب أداؤه عن المال ليتطهر هو وصاحبه. وبالكسر يريد القراءة «حِصادِهِ». وحِصاد الثمر: بلوغه وقت قطعه لنضجه. وعُشر الشيء: ما يكون منه إذا قسم على عَشَرة. ويجب هذا فيما كان سقيه بالمطر. ونصفه أي: نصف العُشر. وهو يجب فيما كان سقيه بالآلة. ولاتسرفوا أي: لا تتجاوزوا الحد. وإيراد السيوطي للعشر ونصفه يعني أن الآية مدنية. وهو خلاف لما نص عليه في مستهل تفسير السورة، من أن هذه الآيات مكية. انظر «المفصل». وسبب هذا التناقض أنه نقل النصَّ على المكية من التلخيص، وذِكرَ العشر والنصف من الوجيز، دون تحقيق أو توفيق. وإنه أي: اللهَ. ولايحبهم: لايودهم، أي: يبغضهم كما يليق به من صفات الألوهية، فلا يرحمهم وينتقم منهم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة. والحمولة: ما يُحمل عليه من الإبل. ورزقكم: أعطاكم ويسّر لكم. ومما رزقكم أي: من الثمار والزرع والأنعام التي خلقها وأحلّها لكم، وحرّم الجاهليون بعضها باطلًا. وتتبعوها أي: تأتمروا بها وتعملوا ما تفرضه عليكم. والخُطْوة: مسافة ما بين القدمين حين المشي. والشيطان: من يوسوس بالباطل ويغري به من الجن أو الإنس. والعدو: المعادي.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١- ﴿**ثمانيةَ أزواجٍ**﴾: أصنافٍ: بدلٌ من «حَمولةً وفَرشًا»، ﴿**مِنَ الضّأنِ**﴾ زوجينِ ﴿**اثنين**﴾ ذكرٌ وأنثى ﴿**ومِنَ المَعَزِ**﴾، بالفتح والسكونِ، ﴿**اثنَينِ - قُلْ**﴾ يا مُحمّد لمن حرَّمَ ذُكورَ الأنعام تارة وإناثَها أُخرى، ونسبَ ذلك إلى الله: ﴿**آلذَّكَرينِ**﴾ من الضأن والمعز ﴿**حَرَّمَ**﴾ اللهُ عليكم ﴿**أمِ الأُنثيَينِ**﴾ منهما، ﴿**أمْ ما اشتَمَلَتْ عليهِ أرحامُ الأُنثيَينِ**﴾ ذكرًا كان أو أُنثى؟ ﴿**نَبِّئُوني بِعِلمٍ**﴾ عن كيفيّة تحريم ذلك، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٤٣ فيه. المعنى: مِن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قِبل الذُّكورةِ فجميع الذكور حرام، أو الأنوثةِ فجميع الإناث، أو اشتمالِ الرحم فالزوجان. فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار - ﴿**ومِنَ الإبِلِ اثنَينِ ومِنَ البَقَرِ اثنَينِ. قُلْ: آلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أمِ الأُنثيَينِ، أمْ ما اشتَمَلَتْ عَلَيهِ أرحامُ الأُنثيَينِ؟ أمْ**﴾: بل أ ﴿**كُنتُم شُهداءَ**﴾: حُضورًا، ﴿**إذ وَصّاكُمُ اللهُ بِهٰذا**﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك؟ لا بل أنتم كاذبون فيه. ﴿**فمَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افترَى على اللهِ كَذِبًا**﴾ بذلك، ﴿**لِيُضِلَّ النّاسَ، بِغَيرِ عِلمٍ؟ إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ١٤٤.

٢- ﴿**قُلْ: لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إلَيَّ**﴾ شيئًا ﴿**مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يَطعَمُهُ، إلّا أن يَكُونَ**﴾، بالياء والتاء، ﴿**مَيْتَةً**﴾ - بالنصب. وفي قراءة بالرفع مع التحتانيّة - ﴿**أو دَمًا مَسفُوحًا**﴾: سائلًا بخلاف غيره كالكبد والطحال، ﴿**أو لَحمَ خِنزيرٍ - فإنَّهُ رِجسٌ**﴾: حرام - ﴿**أو فِسقًا أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ**﴾ أي: ذُبح على اسم غيره. ﴿**فمَنِ اضطُرَّ**﴾ إلى شيء ممّا ذُكر فأكلَه، ﴿**غَيرَ باغٍ ولا عادٍ، فإنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ**﴾ له ما أكل، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٤٥ به. ويُلحَق بما ذُكر، بالسُّنّة، كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ومِخلبٍ من الطير.

٣- ﴿**وعلَى الَّذِينَ هادُوا**﴾ أي: اليهودِ ﴿**حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**﴾ - وهو ما لم تُفرَّق أصابعه كالإبل والنعام - ﴿**ومِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنا عليهِم شُحُومَهُما**﴾: الثُّروب وشحم الكُلَى، ﴿**إلّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما**﴾ أي: ما علق بها منه، ﴿**أوِ**﴾ حملتْه ﴿**الحَوايا**﴾: الأمعاءُ جمعُ حاوياءَ أو حاويةٍ، ﴿**أو ما اختَلَطَ بِعَظمٍ**﴾ منه. وهو شحم الألْية. فإنه أُحِلّ لهم. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ التحريمُ ﴿**جَزَيناهُم**﴾ به ﴿**بِبَغيِهِم**﴾: بسبب ظُلمهم بما سبق في سورة «النساء». ﴿**وإنّا لَصادِقُونَ**﴾ ١٤٦ في أخبارنا ومواعيدنا.

---

(١) الأزواج: جمع زوج ، المخلوق معه آخر من جنسه يحصل منهما نسل. والأصناف: جمع صِنف. والجنس أنواع، والنوع أصناف. والضأن: مفرده ضائن وضائنة. والمعز: مفرده ماعز وماعزة. وهو ذو الشعر من الغنم. وبالسكون يريد القراءة «المَعْزِ». والتارة: الحين. وأُخرى أي: تارة أُخرى. وآلذكرين: مركب من همزة الاستفهام و«الذكرين». ومنهما أي: من الضأن والمعز. وحرّم أي: أمر بتحريمه. ورسمُ «أم ما» يكون في المصاحف مدغمًا: «أمّا». وجاز الفصل هنا وفيما بعد، لأن ما يذكره السيوطي آيات متفرقة في كتاب تفسير وليست في مصحف. واشتملت عليه: احتوته. والأرحام: جمع رحِم، وعاء الجنين في البطن. ونبئوني: أخبروني. والعلم: المعرفة بالإخبار عن الله. والصادق: من يقول الحق. وفيه أي: في تحريم ذلك. وجميع الإناث أي: هو حرام أيضًا. والزوجان أي: الذكور والإناث حرام. وللإنكار يعني: ما حرم الله شيئًا من هذا. والإبل: الجمال والنوق. والبقر: الحيوان الذي تُشق وتُثار به الأرض ويُشرب لبنه. وفيما عدا الأصل والنسختين وقرة العينين: «بل كنتم». والشهداء: جمع شهيد. وهو الحاضر المشاهد. ووصى: أمر. وأظلم: أكثر كفرًا ومجانبة للحق. وافترى: اختلق. ويضلهم: يميل بهم عن طريق الحق إلى الباطل. والعِلم: انظر الآية ١٤٣. ولا يهديه: لايصرف قدراته إلى طريق الحق، لما فيه من اختيار للضلال واستعداد سيئ، ويتركه فيما يناسب نفسه الخبيثة.

(٢) أجد: أرى. وأوحي: أنزل على لسان جبريل. والمحرم: الممنوع. والطاعم: الإنسان يتغذى بالشيء. وبالتاء يريد القراءة «تكُونَ». والميتة: الدابة المباح أكل لحمها، فارقتها الحياة من دون ذبح شرعي. وبالتحتانية يريد القراءة «أن يكُونَ مَيْتةٌ». وهي قراءة غير مسندة. والدم: ما يجري في عروق الحيوان حين الذبح. والخنزير: الحيوان البري المعروف. والفسق: الخروج عن الطاعة. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أو إلّا أن يكون فسقًا». يعني أن «فسقًا» معطوف على «ميتةً». والظاهر أن السيوطي أسقط هذه الزيادة للتخلص من إشكال. وأهلّ: رُفع الصوت عاليًا. ولغير الله أي: لأجل غيره. وبه أي: في وقت ذبحه. واضطر: ألجأته الضرورة. والباغي: المجرم. والعادي: القاطع للطريق. والغفور: الكثير الستر والعفو عن الذنوب. والرحيم: الكثير العطف بالفضل. ويلحق به: يعني أن حصر المحرمات في هذه الآية هو خاص بها، وثَمّةَ محرمات غيرها تُلحَق بها، لأن السُّنّة نصت عليها. والناب: السن المدببة في الفك. والسباع: جمع سبع كالضبع والذئب. والمخلب: هو الظفر الحاد الجارح. والطير: واحده طائر.

(٣) حرمنا: منعنا أكل اللحم. وذو الظفر: ما له في أصابعه أظافر. وكالإبل والنعام يعني: وما يشبهها مما له أظافر، كالبط والإوز. والشحوم: جمع شحم. وهو الجزء الأبيض في اللحم. والثروب: جمع ثَرْب. وهو الشحم الرقيق يحيط بالكرش والأمعاء. والكلى: جمع كُلْية. والظهور: جمع ظَهر. ومنه أي: من الشحم. واختلط به أي: تدخل بين أجزائه. وشحم الألية يكون على العُصعُص. وجزيناهم: عاقبناهم. والنساء: الآيات ١٥٥-١٦١ من تلك السورة. وصادقون أي: ما نقوله صدق وحق لا شك فيه.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١ - ﴿**فإنْ كَذَّبُوكَ**﴾، فيما جئتَ به، ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**رَبُّكُم ذُو رَحْمةٍ واسِعةٍ**﴾، حيث لم يعاجلكم بالعُقوبة - وفيه تلطّفٌ بدعائهم إلى الإيمان - ﴿**ولا يُرَدُّ بأسُهُ**﴾: عذابهُ إذا جاء ﴿**عَنِ القَومِ المُجرِمينَ**﴾ ١٤٧. **سَيَقُولُ الَّذِين أشرَكُوا: لَو شاءَ اللهُ ما أشرَكْنا**﴾ نحن ﴿**ولا آباؤُنا، ولا حَرَّمْنا مِن شَيءٍ**﴾. فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به. قال تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما كذّب هؤلاء، ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ رُسلَهم، ﴿**حَتَّى ذاقُوا بأسَنا**﴾: عذابنا. ﴿**قُلْ: هَل عِندَكُم مِن عِلمٍ**﴾ بأنّ الله راضٍ بذلك، ﴿**فتُخرِجُوهُ لَنا**﴾؟ أي: لا عِلم عندكم. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**تَتَّبِعُونَ**﴾ في ذلك ﴿**إلّا الظَّنَّ، وإنْ**﴾: ما ﴿**أنتُم إلّا تَخرُصُونَ**﴾ ١٤٨ تكذبون فيه.

٢- ﴿**قُلْ**﴾: إن لم يكن لكم حُجّة ﴿**فلِلّٰهِ الحُجّةُ البالِغةُ**﴾: التامّة. ﴿**فلَو شاءَ**﴾ هِدايتكم ﴿**لَهَداكُم أجمَعِينَ**﴾ ١٤٩. **قُلْ: هَلُمَّ**﴾: أحضِروا ﴿**شُهَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشهَدُونَ أنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذا**﴾ الذي حرّمتموه. ﴿**فإن شَهِدُوا فلا تَشهَدْ مَعَهُم، ولا تَتَّبِعْ أهواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، والَّذِينَ لا يُؤمِنونَ بِالآخِرةِ، وهُم بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ**﴾ ١٥٠: يُشركون.

ثلاثة أرباع الحزب ١٥

٣- ﴿**قُلْ: تَعالَوا، أتلُ**﴾: أقرأْ ﴿**ما حَرَّمَ رَبُّكُم علَيكُم، أنْ**﴾ - مُفسِّرةٌ - ﴿**لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و**﴾ أحسِنوا ﴿**بِالوالِدَينِ إحسانًا، ولا تَقتُلُوا أولادَكُم**﴾ بالوأد، ﴿**مِن**﴾ أجل ﴿**إملاقٍ**﴾: فقرٍ تخافونه - ﴿**نحنُ نَرزُقُكُم وإيّاهُم - ولا تَقرَبُوا الفَواحِشَ**﴾: الكبائر كالزنَى، ﴿**ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ**﴾ أي: علانيتَها وسِرَّها، ﴿**ولا تَقتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ**

(١) روي أنه عندما ذكر الرسول ﷺ للمشركين ما حرمه الله على المسلمين، وماحرمه من قبل على اليهود، قالوا له: ما أصبتَ. أي: كذبوه، فنزلت الآية. الوجيز ١:٢٦٦. وكذبوك أي: اتهموك أنك تختلق تلك الأحكام. والرحمة: العطف بالإحسان إلى العصاة والطائعين. والواسعة: التي تحيط بكل شيء. ويرد: يمنع. والبأس: الشدة في العقوبة. والمجرمون: الذين يرتكبون الكبائر باختيار وعزم. وفي الآية إخبار بما سيكون في المستقبل، وقد وقع ذلك فكان تحقيقًا للإعلام بالمغيَّبات. وأشركوا: عبدوا مع الله بعض خلقه بالتقديس والطاعة. وشاء أي: أراد عدم إشراكنا وعدم تحريمنا. والآباء: جمع أب. وحرمناه: جعلناه محرمًا. وذاقوه: أصابهم وكابدوا شدته. والعلم: الشيء المعلوم حقًا. وتخرجوه أي: تظهروه. وتتبعون الظن: تنقادون إلى التوهم وتعملون به. وفيه أي: فيما ادعيتم على الله. (٢) الحجة: الدليل. والبالغة: التي بلغت حد الكمال. وهي إنزال الكتب وإرسال الرسل، وخلق العجائب الباهرة في الكون والحياة. وشاء: أراد. وهداكم: أرشدكم إلى الإيمان ووفقكم فيه. والشهداء: جمع شهيد. ويشهدون: يخبرون خبرًا قاطعًا بعلم. وشهدوا أي: جاء من يشهد للكافرين. ولاتشهد معهم: لاتصدق مقالهم، بل وضّح فساده وبطلانه. ولاتتبع أهواءهم: لاتوافقها، أي: فاثبت على ما أنت عليه. والأهواء: جمع هوى. وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه. ويكذبون بها: ينكرونها. ولايؤمنون بها: يكفرون بها. والآخرة: يوم القيامة للحساب والجزاء. ويعدلون بربهم: يجعلون له عديلًا، أي: مثيلًا في الألوهية. فهم مشركون. (٣) تعالوا: هلموا وتقدموا. وماحرم أي: ما شرع تحريمه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعليكم أي: وعلى الناس جميعًا. والمعنى: «أتل آياتِ ماحرم، هي أن لا تشركوا...». والمحرَّمات هنا أحد عشر شيئًا: الشرك بالله، وعدم الإحسان إلى الوالدين، وقتل الأولاد، والقرب من الفواحش، وقتل النفس بغير حق، وأكلُ... وعدمُ اتباع الصراط المستقيم، واتباعُ السبل المتفرقة: ستة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر. وهي متلائمة لأن الأمر هو طلب وقوع الفعل، والنهي هو طلب عدم وقوع الفعل. وبهذا لايكون الإشكال الذي اصطنعه المعربون. انظر البحر ٤:٢٥٠-٢٥١. وتشرك به: تجعل له مشاركًا في الألوهية، بالتقديس والطاعة. والخطاب للمشركين، وإن كان حكم غيرهم في ذلك حكمهم أيضًا، إذ الدعوة للناس كافة. البحر ٤:٢٤٩. والوالدان: الأب والأم، والجد والجدة. وإحسانًا أي: بِرًّا وإكرامًا في القول والفعل. وتقتلها: تزهق روحها. والأولاد: جمع ولد. فالوأد يكون للبنات بدفنهن أحياء، وللأبناء الذبح. ونرزقكم: نعطيكم وننيسر لكم ما تكون به الحياة. ولاتقربوها أي: لا تدنوا منها ولاتقوموا بها، أي: تجنبوها وما يتعلق بها مع الإنكار. والفواحش: جمع فاحشة. وهي ما عظم قبحه من نية أو قول أو فعل. وظهر: انكشف للآخرين. وبطن: اختفى عنهم. والعلانية: ما يراه الغير. والسر: ما لايراه الغير، كالغش والخداع والرياء والحسد والكبر والعجب. والنفس: النفس الإنسانية. وحرم أي: منع قتلها. والحق: العدل الشرعي. والقود: هو قتل القاتل. والحد: الحكم الشرعي. والردة: الرجوع عن الإسلام. والمحصن: المتزوج إذا زنى. والمذكور أي: الأمور الخمسة في الآية. ووصاكم: أمركم وفرض عليكم. ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم. وتتدبرون أي: تتأملون بعقولكم هذه التكاليف، وتتبينون فوائدها في الدنيا والآخرة. واليتيم: الطفل مات والده. والخصلة: الخُلُق. والأحسن: الأكثر حسنًا ونفعًا. والمراد: هي أحسن لليتيم وأنفع، إذ لايكفيه الخصلة الحسنة، بل الخلة الأحسن، ليكون التصرف على أفضل ما يمكن، ولا يؤكل من ماله إلا وقت الضرورة. ويبلغ: يدرك. والأشُدّ: جمع شِدّة، أي: استحكام قوة الشباب، وهي غالبًا في الثامنة عشرة. ويحتلم أي: يبلغ مرحلة الرجولة والنكاح. وأوفوا الكيل أي: أدوا بالتمام كيل ما تكيلونه. والميزان: وزن ما تزنون. والبخس: النقص والغش. ونكلفها: نوجب عليها. والنفس: المخلوق الحي. والوسع: ما يستطيعه المكلف ويكون أقل من قدرته. وأخطأ أي: وقع في الخطأ. وعدم المؤاخذة لا يُعفي المخطئ من تعويض ما أخطأ فيه. والحديث مرسل، أخرجه ابن مردويه عن سعيد بن المسيب، وهو غيرما ذكر في المنحة ص ١٨٩. انظر تفسير ابن كثير ٢:١٨١ والدر المنثور ٣:٥٥ وقرة العينين ص ١٨٩. واعدلوا: كونوا عادلين في القول والفعل. وذا قربى أي: صاحب قرابة لكم. و«والسكون» سبق قلم، إذ ليس في القراءات سكون الذال. والصواب أن يقول: «وبالتخفيف»، يعني القراءة «تَذَكَّرُونَ». وعهد الله: الميثاق المؤكد بتكاليف العقيدة والشريعة، والذي يعاهد به بعضُكم بعضًا. وأوفوا به: أدّوه كاملًا. والإشارة ب «ذا» هي إلى ما جاء في الآية من أمر ونهي.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

اللهُ إلّا بالحقّ﴾، كالقَوَدِ وحدِّ الرِّدّة ورجم المُحصَن - **﴿ذٰلِكُم﴾** المذكور **﴿وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ ١٥١**: تتدبّرون - **﴿ولا تقرَبُوا مالَ اليَتيمِ إلّا بالّتي﴾** أي: بالخصلة التي **﴿هِيَ أحسَنُ﴾**، وهي ما فيه صلاحُه، **﴿حَتّى يَبلُغَ أشُدَّهُ﴾** بأن يحتلم، **﴿وأوفُوا الكَيلَ والمِيزانَ بالقِسطِ﴾**: بالعدل وترك البَخس - **﴿لا نُكَلِّفُ نَفسًا إلّا وُسعَها﴾**: طاقتها في ذلك. فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحّة نيّته، فلا مُؤاخذة عليه، كما ورد في حديث - **﴿وإذا قُلتُم﴾** في حُكم أو غيره **﴿فاعدِلُوا﴾** بالصِّدق، **﴿ولَو كانَ﴾** المقولُ له أو عليه **﴿ذا قُربَى﴾**: قرابة، **﴿وبِعَهدِ اللهِ أوفُوا. ذٰلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَذَّكَّرُونَ﴾ ١٥٢**، بالتشديد: تتّعظونَ، والسكونِ.

١- **﴿وأنّ﴾** - بالفتح على تقدير اللام، والكسرِ استئنافًا - **﴿هٰذا﴾** الذي وصّيتُكم به **﴿صِراطِي مُستَقِيمًا﴾**: حال. **﴿فاتَّبِعُوهُ، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾**: الطُّرقَ المُخالفة له **﴿فتَفَرَّقَ﴾**، فيه حذف إحدى التاءين: تميلَ **﴿بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾**: دِينه. **﴿ذٰلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣**.

٢- **﴿ثُمَّ آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾**: التوراة - وثمّ: لترتيب الإخبار - **﴿تَمامًا﴾** للنِّعمة **﴿عَلَى الَّذِي أحسَنَ﴾** بالقيام به، **﴿وتَفصِيلًا﴾**: بيانًا **﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾** يُحتاج إليه في الدِّين، **﴿وهُدًى ورَحمةً، لَعَلَّهُم﴾** أي: بني إسرائيلَ **﴿بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾**: بالبعث **﴿يُؤمِنُونَ﴾ ١٥٤**.

٣- **﴿وهٰذا﴾** القُرآن **﴿كِتابٌ أنزَلْناهُ مُبارَكٌ - فاتَّبِعُوهُ﴾**، يا أهل مكّة، بالعمل بما فيه. **﴿واتَّقُوا﴾** الكُفرَ، **﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ١٥٥** - أنزلناه لِـ **﴿أنْ﴾** لا **﴿تَقُولُوا: إنَّما أُنزِلَ الكِتابُ عَلَى طائفتَينِ﴾** اليهودِ والنصارى **﴿مِن قَبلِنا، وإنْ﴾**: مُخفّفة واسمها محذوف أي: إنّا **﴿كُنّا عَن دِراسَتِهِم﴾**: قراءتهم **﴿لَغافِلِينَ﴾ ١٥٦**، لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلُغتنا. **﴿أو تَقُولُوا: لَو أنّا أُنزِلَ عَلَينا الكِتابُ لَكُنّا أهدَى مِنهُم﴾** لجَودة أذهاننا. **﴿فَقَد جاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾**: بيان **﴿مِن رَبِّكُم، وهُدًى ورَحمةٌ﴾** لمن اتّبعه. **﴿فَمَن﴾** أي: لا أحدَ **﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ، وصَدَفَ﴾**: أعرض **﴿عَنها؟ سَنَجزِي الَّذِينَ يَصدِفُونَ عَن آياتِنا سُوءَ العَذابِ﴾** أي: أشَدَّه، **﴿بِما كانُوا يَصدِفُونَ﴾ ١٥٧**.

---

(١) تقدير اللام أي: لام السببية قبل «أنَّ». والكسر أي: كسر الهمزة. يريد القراءة «وإنَّ». وقوله «استئنافًا» الصواب أن الواو في هذه القراءة تعطف جملة «إنّ» على جملة «لا تشركوا»، فتكون جملة اتبعوه: معطوفة أيضًا على جملة «إنّ» المتضمنة معنى السبب لها. والذي وصيتكم به يعني ما ذكر في الآيتين السابقتين. والأولى أن الإشارة هي إلى الإسلام، والواو: حرف عطف لجملة «اتبعوا» على جملة «لا تشركوا»، والفاء: حرف زائد للتوكيد والسببية. وقلّ من تنبه لهذا العطف. والصراط: الطريق الواضح. وصراطي أي: ديني. والياء تعود إلى النبي ﷺ. والمستقيم: لا عوج فيه ولا التواء. واتبعوه: التزموه واعملوا بما يوجبه من أمر ونهي. ولاتتبعوها أي: تجنبوها وانصرفوا عنها. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق. والطرق المخالفة: الأديان والعقائد والمذاهب والأحزاب والقوانين المستوردة. وتفرق بكم: تُفرّقُكم وتجعلكم جماعات مختلفة. وذكر التاءين يقتضي أن الأصل: «فتتَفَرّق»، حذفت التاء الثانية للتخفيف، وأدغمت الراء الأولى في الثانية. والإشارة بـ «ذا» إلى اتباع الإسلام وتجنب غيره. وتتقون أي: تتجنبون طرق الضلال، وتحفظون أنفسكم من عذاب النار.

(٢) آتيناه: أعطيناه وأنزلنا إليه. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. ولترتيب الإخبار أي: ترتيب ذكر المعلومات، بلا مهلة زمنية في وقوعها ولاترتب بعضها على بعض، لأن إيتاء موسى الكتابَ كان قبل نزول القرآن. خ: «للترتيب الإخباري». والتمام: الإكمال والاستيفاء. والمراد بـ «الذي» هو من اتبع التوراة أيًا كان. وأحسنَه: أجادَه وأجملَه. والقيام بالأمر هو العمل بما يوجبه. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. والهدى: الهداية والإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان على بني إسرائيل، المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب. ولقاء ربهم أي: الرجوع إليه يوم القيامة كما وعد. ويؤمنون أي: يصدّقون ويعتقدون اعتقادًا يقينيًا قاطعًا.

(٣) أنزلناه: أوحيناه ويسرنا حفظه وتبليغه. والمبارك: الكثير النفع والخير في الدين والدنيا. واتبعوه: التزموا سبيله بصدق وإخلاص. وقوله «يا أهل مكة» جعل الخطاب لهم لأنهم هم المعاندون في ذلك الوقت. وإلّا فالخطاب يشمل غيرهم من الكافرين جميعًا. واتقوا الكفر أي: تجنبوه وابتعدوا عنه. وترحمون: تكونون أهلًا للرحمة بالعطف وإحسان الله. وتقولوا أي: تحتجوا بالقول يوم القيامة اعتذارًا من كفركم. وأنزل: أوحي. والكتاب أي: التوراة والإنجيل. والطائفة: الجماعة. ودراستهم أي: دراسة أهل الكتاب للتوراة والإنجيل. والغافل: الساهي لايدري ما حوله. وعلينا أي: بلُغتِنا. وكنا أي: صرنا. وأهدى: أكثر رشدًا واستقامة. ومنهم أي: من اليهود والنصارى. وفي الأصل: «بجودة أذهاننا». وجاءكم: أتاكم وبُلّغتم به. والبينة: القرآن الكريم، لأنه الحجة الواضحة الدالّة النيّرة، حيث نزل عليهم بلسانهم، وأُلزم العالَمُ أحكامَه وشريعته. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والأظلم: الأكثر كفرًا ومجاوزة للحق. وكذب بها: جحدها وأنكرها بعد أن تحقق صدقها. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية. ونجزي: نعاقب. والسوء: القبيح الشنيع. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة عقوبة وإهانة. وبما كانوا أي: بسبب كونهم.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١- ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾: ما ينتظر المُكذِّبون ﴿**إلّا أن تأتيَهُمُ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**الملائكةُ**﴾ لقبض أرواحهم، ﴿**أو يأتيَ رَبُّكَ**﴾ أي: أمرُه بمعنى: عذابُه، ﴿**أو يأتيَ بعضُ آياتِ رَبِّكَ**﴾ أي: علاماتِه الدالّةِ على الساعة؟ ﴿**يومَ يأتي بعضُ آياتِ رَبِّكَ**﴾ - وهي طُلوع الشمس من مَغرِبها كما في حديث الصحيحين - ﴿**لا يَنفَعُ نَفسًا إيمانُها، لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ**﴾ - الجُملة: صفة «نفس» - ﴿**أو**﴾ نفسًا لم تكن ﴿**كَسَبَتْ في إيمانِها خيرًا**﴾: طاعة، أي: لا تنفعها توبتها، كما في الحديث. ﴿**قُلِ: انتَظِرُوا**﴾ أحدَ هذه الأشياءِ. ﴿**إنّا مُنتَظِرُونَ**﴾ ١٥٨ ذلك.

٢- ﴿**إنَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دِينَهُم**﴾ باختلافهم فيه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، ﴿**وكانُوا شِيَعًا**﴾: فِرَقًا في ذلك - وفي قراءة «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمِروا به. وهم اليهود والنصارى - ﴿**لَستَ مِنهُم في شَيءٍ**﴾. فلا تتعرّض لهم. ﴿**إنّما أمرُهُم إلَى اللهِ**﴾ يتولّاه، ﴿**ثُمَّ يُنَبِّئُهُم**﴾ في الآخرة ﴿**بِما كانُوا يَفعَلُونَ**﴾ ١٥٩، فيُجازيهم به. وهذا منسوخ بآية السيف. ﴿**مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ**﴾ أي «لا إلٰه إلّا اللهُ» ﴿**فَلَهُ عَشرُ أمثالِها**﴾ أي: جزاءُ عشر حسنات، ﴿**ومَن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فلا يُجزَى إلّا مِثلَها**﴾ أي: جزاءه، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ ١٦٠: يُنقَصون من جزائهم شيئًا.

٣- ﴿**قُلْ: إنَّني هَداني رَبِّيَ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾، ويُبدل من محلّه ﴿**دِينًا قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا، ﴿**مِلَّةَ إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١٦١. **قُلْ: إنَّ صَلاتي ونُسُكِي**﴾: عِبادتي من حجّ وغيره، ﴿**ومَحْيايَ**﴾: حياتي ﴿**ومَماتِي**﴾: موتي، ﴿**للهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ١٦٢، **لا شَرِيكَ لَهُ**﴾ في ذلك. ﴿**وبِذٰلِكَ**﴾ أي: التوحيد ﴿**أُمِرْتُ، وأنا أوَّلُ المُسلِمِينَ**﴾ ١٦٣ من هذه الأُمّة.

٤- ﴿**قُلْ: أغَيرَ اللهِ أبغِي رَبًّا**﴾: إلَهًا؟ أي: لا أطلب غيره، ﴿**وهُوَ رَبُّ**﴾: مالكُ ﴿**كُلِّ شَيءٍ، ولا تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ**﴾ ذنبًا ﴿**إلّا علَيها، ولا تَزِرُ**﴾: تحمل نفسٌ ﴿**وازِرَةٌ**﴾: آثمة ﴿**وِزرَ**﴾ نفسٍ ﴿**أُخرَى، ثُمَّ إلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ ١٦٤. **وهُوَ الَّذي جَعَلَكُم خَلائفَ الأرضِ**﴾: جمع خليفة، أي: يخلُف بعضكم بعضًا فيها، ﴿**ورَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ**﴾ بالمال والجاه وغير ذلك، ﴿**لِيَبلُوَكُم**﴾: ليختبركم ﴿**فِيما آتاكُم**﴾: أعطاكم، ليَظهر المطيعُ منكم والعاصي. ﴿**إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقابِ**﴾ لمن عصاه، ﴿**وإنَّهُ لَغَفُورٌ**﴾ للمُؤمنين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٦٥ بهم.

---

(١) تأتيهم: تجيئهم. وبالياء يريد القراءة «يأتِيَهُمُ». والملائكة: جمع ملَك. والمراد هنا ملَك الموت وأعوانه. ويأتي ربك أي: كما اقترحوا في الآية ٢١ من سورة الفرقان. انظر فتح القدير ٢:٢٥٦. و«أمره بمعنى عذابه» تأويل للمعنى لاتفسير. ويأتي: يحصل ويحدث. وطلوع الشمس من مغربها هو تفسير لـ «بعض» في الجملتين الماضيتين. وحديث أي: الأحاديث ٤٣٥٩ و٦١٤١ في البخاري و٢٤٨ في مسلم. وهي تفسير لهذه الآية. وينفع: يجلب الخير ويدفع الشر. والنفس: المخلوق المكلف. والإيمان: التصديق اليقيني. وكسبت: استفادت. وفي إيمانها أي: وهي مؤمنة. والخير: ما يكون نفعه في الدنيا والآخرة. والحديث يعني ما ذكر قبل قليل. وانظر «المفصل». وانتظروا أي: ترقبوا ما وُعدتم به. ومنتظرون: مترقبون أيضًا.

(٢) فرقوه: جعلوه أقسامًا متفرقة. وكانوا: صاروا. والشيع: جمع شيعة. يعني أنهم انقسموا جماعات، كل منها تتشيع لزعيم وتخاصم لأجله. وتركوا أي: أكثرَ شريعتهم وأحكامها، فما بقي من الدين عندهم شيء. ومنهم أي: أنت بريء مما هم فيه. وينبئهم: يخبرهم. ويفعلون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو عمل. ومنسوخ: يعني أن موادعة أهل الكتاب نُسخت بالآية ٢٩ من سورة التوبة. والصواب أن الموادعة واجبة ماداموا على مسالمة حقيقية، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي. وهما مفقودان في الآية. وجاء بها أي: أتى يوم القيامة مصاحبًا لها. والحسنة هنا تعم كل عمل حسن. انظر «المفصل». والأمثال: جمع مِثل. وهو المُماثل في المقدار. والمراد بالسيئة أيضًا عموم مانهى عنه الله. ويجزى: يعاقب. وجزاءه يعني: جزاء مثلها. وهم أي: العاملون للحسنات أو السيئات.

(٣) هداني: عرّفني الهداية ووفقني فيها. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ويبدل: يعني أن «دينًا»: بدل من محل «إلى صراط» وهو النصب. وفي ط والمطبوعات: «قِيَمًا». والملة: الدين والشريعة. والحنيف: المائل عن الضلالة إلى الاستقامة. والمشرك: من يجعل مع الله معبودًا من المخلوقات. وصلاتي ونسكي أي: إخلاصهما نية وعملًا. ومحياي ومماتي أي: خلقهما وما يقع فيهما وبعدهما. والعالَم: الجنس من المخلوقات. والشريك: المشارك. وأمرت: فُرض عليّ. والأول: السابق المتقدم على غيره في الزمن. والمسلم: المستسلم المنقاد لأمر الله. يعني أنه مكلف أيضًا بالإسلام كغيره من الناس، فكان أسبقهم إليه في زمنه.

(٤) أبغي: أطلب. وتكسب: تعمل إثمًا باختيار وقصد. والوزر: الذنب. والأُخرى: المغايرة للآخَرينَ. وإلى ربكم أي: إلى لقاء موعده بالبعث والحساب. والمرجع: الرجوع. وينبئكم: يخبركم. وفيه أي: بسببه. وتختلفون أي: تختصمون من أمور العقيدة والشريعة والعمل. وجعل: صيّر. ورفعَه: جعله أرفع وأعلى. ودرجات: مراتب. وغير ذلك أي: كالقوة والجمال والعلم والخلق. ويختبركم أي: يعاملكم معاملة من يمتحنكم. وآتاكم أي: آتاكموه من النعم والمحن. والعقاب: أي: عقابه. وغفور ورحيم: من الغفران والرحمة، أي: ستر الذنوب والعفو عنها، والعطف بالإحسان والفضل أيضًا.

الجزء الثامن | سورة الأعراف

سورة الأعراف — ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

الحزب ١٦

مكية إلّا «واسألهم عن القرية» الثمانَ أو الخمسَ آيات، مِائَتان وخمسُ أو ستُّ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**آلَمَصَ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. هذا ﴿**كِتابٌ أُنزِلَ إليكَ**﴾، خطاب للنبيّ - ﴿**فلا يَكُنْ في صَدرِكَ حَرَجٌ**﴾: ضِيق ﴿**مِنهُ**﴾ أن تُبلّغه مَخافةَ أن تُكذَّب - ﴿**لِتُنذِرَ**﴾: مُتعلّق بـ «أُنزل» أي: للإنذار ﴿**بِهِ، وذِكرَى**﴾: تذكرةٍ ﴿**لِلمُؤمِنِينَ**﴾ ٢ به. قل لهم: ﴿**اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إليكُم مِن ربِّكُم**﴾ أي: القُرآنَ، ﴿**ولا تَتَّبِعُوا**﴾ تتّخذوا ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿**أولِياءَ**﴾، تُطيعونهم في معصيته، تعالى. ﴿**قَلِيلًا ما تَذَّكَّرُونَ**﴾ ٣، بالتاء والياء: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها، وما: زائدة لتأكيد القِلّة.

٢- ﴿**وكَم**﴾: خبريّةٌ مفعولٌ، ﴿**مِن قَرْيةٍ**﴾ أُريدَ أهلُها، ﴿**أهلَكْناها**﴾: أردنا إهلاكها، ﴿**فجاءَها بأسُنا**﴾: عذابنا ﴿**بَياتًا**﴾: ليلًا، ﴿**أو هُم قائلُونَ**﴾ ٤: نائمون بالظهيرة! والقيلولة: استراحةٌ نصفَ النهار، وإن لم يكن معها نوم - أي: مرّةً جاءها ليلًا ومرّةً نهارًا - ﴿**فما كانَ دَعْواهُم**﴾: قولَهم، ﴿**إذ جاءَهُم بأسُنا، إلّا أن قالُوا: إنّا كُنّا ظالِمِينَ**﴾ ٥.

٣- ﴿**فلَنسأَلَنَّ الَّذِينَ أُرسِلَ إلَيهِم**﴾ أي: الأُممَ عن إجابتِهم الرُّسلَ وعملِهم فيما بلغهم، ﴿**ولَنسأَلَنَّ المُرسَلِينَ**﴾ ٦ عن الإبلاغ، ﴿**فلَنَقُصَّنَّ علَيهِم بِعِلمٍ**﴾: لَنُخبرَنّهم عن عِلم بما فعلوه، ﴿**وما كُنّا غائِبِينَ**﴾ ٧ عن إبلاغِ الرُّسل والأُممِ الخالية فيما عملوا، ﴿**والوَزنُ**﴾ للأعمال أو لصحائفها، بميزانٍ له لسان وكِفّتانِ كما ورد في حديث، كائنٌ ﴿**يَومَئذٍ**﴾ أي: يومَ السُّؤال المذكور - وهو يوم القيامة - ﴿**الحَقُّ**﴾: العدل صِفة «الوزنُ»، ﴿**فمَن ثقُلَتْ موازِينُهُ**﴾ بالحسنات ﴿**فأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٨: الفائزون، ﴿**ومَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ**﴾ بالسيّئات ﴿**فأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ بتصييرها إلى النار، ﴿**بِما كانُوا بِآياتِنا يَظلِمُونَ**﴾ ٩: يجحدون.

٤- ﴿**ولَقَد مَكَّنّاكُم**﴾ - يا بني آدم - ﴿**في الأرضِ، وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ**﴾، بالياء: أسبابًا تعيشون بها جمع مَعِيشة - ﴿**قَلِيلًا ما**﴾، لتأكيد القِلّة، ﴿**تَشكُرُونَ**﴾ ١٠ على ذلك - ﴿**ولَقَد خَلَقْناكُم**﴾ أي: أباكم آدم، ﴿**ثُمَّ صَوَّرْناكُم**﴾ أي: صوّرناه وأنتم في ظهره، ﴿**ثُمَّ قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ**﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿**فسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ**﴾ أبا الجِنّ، كان بين الملائكة، ﴿**لَم يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ**﴾ ١١.

---

(١) أُنزل إليك: أوحي إليك وكُلّفت بما فيه رسولًا. ولا يكن: لا يحصل. يعني: لا تتحرج من تبليغه. والإنذار: التهديد لمن عصى. والتذكرة: الوعظ. واتبعوه أي: اعملوا به. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والأولياء: جمع ولي. وهو من يولّونه أمرهم ويعبدونه. وتذكرون: تستحضرون الحق فتستجيبون له. وبالياء يريد «يَذَّكَّرُونَ». وهي وليست شاذة عند السيوطي. انظر الإتقان ١٦٨:١. و«بسكونها» خطأ، والصواب: بفتحها مخففة، أي: «تَذَكَّرُونَ».

(٢) خبرية يعني: للتكثير والتعجب. والقرية: البلدة. وأهلكنا: دمّرنا. وجاءها: نزل بها. والبأس: الشِّدة. وقائلون: هم في وقت غفلة غير متوقعين للانتقام. أي: كثيرًا من القرى. فبعض منها كان عذابه ليلًا كقوم لوط، وبعض كان عذابه نهارًا كقوم شعيب. والدعوى: الاستغاثة بالله. والظالم: الكافر، لأن الظلم مجاوزة الحق، والكفر أشنعه.

(٣) نسأل الأمم: نقرّرها ونَحملها على الجواب، مع توبيخها على الظلم. وأرسل: بعث للدعوة مع العمل. وعليهم أي: على الأمم والمرسلين. والعِلم: الإحاطة الكاملة بما ظهر وماخفي. والغائب: من لم يشهد. والوزن: بيان المقدار والقيمة. والصحائف: جمع صحيفة. وهي ما يسجل فيه حسنات الإنسان وسيئاته. وثقلت: رجح وزنها. والموازين: جمع موزون، أي: الأعمال والنيات. والفائزون: الذين يفوزون بالنجاة من النار وبثواب الجنة. وخفت: قلّ وزنها. وخسروا أنفسهم: أهلكوها.

(٤) مكناكم في الأرض: يسّرنا لكم فيها مكانًا وقرارًا. وجعلنا: خلقنا. والمعيشة: ما يُعاش به من ضرورات الحياة. وتشكر: تستحضر النعمة في القلب، وتُظهر الثناء على المنعم بالقلب واللسان والعمل. وخلقناه: أوجدناه من العدم. وصورناه: ركّبناه في صورة كاملة، عجيبة الشكل متمكنة من بديع الصانع. وفي ظهره أي: في موضع أصول النطف منه. والملائكة: جمع ملَك. واسجدوا أي: انحنوا تقديرًا وإكرامًا. و«أبا الجن» الصواب أن إبليس أب للشياطين من الجن، وليس أبًا لجميع الجن. انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. ولم يكن أي: لم يصر.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١- **﴿قالَ﴾** تعالى: **﴿ما مَنَعَكَ ألّا﴾** - زائدةٌ - **﴿تَسجُدَ إذْ﴾**: حينَ **﴿أمَرتُكَ؟ قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَني مِن نارٍ، وخَلَقتَهُ مِن طينٍ﴾** ١٢. **قالَ: فاهبِطْ مِنها﴾** أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات - **﴿فما يَكونُ﴾**: ينبغي **﴿لَكَ أن تَتَكَبَّرَ فِيها - فاخرُجْ﴾** منها. **﴿إنَّكَ مِنَ الصّاغِرينَ﴾** ١٣: الذليلين. **﴿قالَ: أنظِرْني﴾**: أخّرني **﴿إلى يَومِ يُبعَثونَ﴾** ١٤ أي: الناسُ.

٢- **﴿قالَ: إنَّكَ مِنَ المُنظَرينَ﴾** ١٥. وفي آية أخرى: «إلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُوم» أي: وقت النفخة الأُولى. **﴿قالَ: فبِما أغوَيتَني﴾** أي: بإغوائكَ لي، والباء: للقسم، وجوابُه **﴿لأقعُدَنَّ لَهُم﴾** أي: لبني آدمَ **﴿صِراطَكَ المُستَقيمَ﴾** ١٦ أي: على الطريق المُوصل إليك، **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَينِ أيديهِم ومِن خَلفِهِم، وعَن أيمانِهِم وعَن شَمائلِهِم﴾** أي: من كُلّ جِهة، فأمنعُهم عن سلوكه - قال ابن عبّاس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم، لئلّا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى - **﴿ولا تَجِدُ أكثَرَهُم شاكِرينَ﴾** ١٧: مُؤمنينَ.

٣- **﴿قالَ: اخرُجْ مِنها مَذْؤومًا﴾**، بالهمز: مَعِيبًا أو ممقوتًا، **﴿مَدحُورًا﴾**: مُبعَدًا عن الرحمة - **﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنهُم﴾**: منَ الناس، واللام: للابتداء أو موطِّئة للقسم، وهو **﴿لأملأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أجمَعينَ﴾** ١٨ أي: منك بذُرّيّتك ومن الناس. وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «مَن» الشرطيّة، أي: مَن تبعك أعذّبْه - **﴿و﴾** قال: **﴿يا آدَمُ، اسكُنْ أنتَ﴾**: تأكيد للضمير في «اسكُنْ» ليُعطف عليه **﴿وزَوجُكَ﴾** حواءُ بالمدّ **﴿الجَنَّةَ، فكُلا مِن حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** بالأكل منها - وهي الحِنطة - **﴿فتَكُونا مِنَ الظّالِمينَ﴾** ١٩.

٤- **﴿فوَسوَسَ لَهُما الشَّيطانُ﴾**: إبليسُ، **﴿لِيُبدِيَ﴾**: يُظهِرَ **﴿لَهُما ما وُورِيَ﴾** - فُوعِلَ من المُواراة - **﴿عَنهُما مِن سَوءاتِهِما، وقالَ: ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إلّا﴾** كراهةَ **﴿أن تَكُونا مَلَكَينِ﴾** - وقُرئ بكسر اللام - **﴿أو تَكُونا مِنَ الخالِدينَ﴾** ٢٠ أي: وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أُخرى: «هَل أدُلُّكَ عَلَى شَجَرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبلَى»؟ **﴿وقاسَمَهُما﴾** أي: أقسم لهما بالله، **﴿إنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ﴾** ٢١ في ذلك.

٥- **﴿فدَلّاهُما﴾**: حطّهما عن منزلتهما **﴿بغُرُورٍ﴾** منه، **﴿فلَمّا ذاقا الشَّجَرَةَ﴾** أي: أكلا منها **﴿بَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾** أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخر ودُبُره - وسُمّي كُلّ منها سوءة لأنّ انكشافه يسوء صاحبَه - **﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾**: أخذا يُلزقان **﴿عَلَيهِما مِن وَرَقِ الجَنَّةِ﴾** ليستترا به، **﴿ونادَاهُما رَبُّهُما: ألَم أنهَكُما عَن تِلكُما الشَّجَرةِ، وأقُلْ لَكُما: إنَّ الشَّيطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبينٌ﴾** ٢٢: بيِّن العداوة؟ استفهام تقرير. **﴿قالا: رَبَّنا، ظَلَمْنا أنفُسَنا﴾** بمعصيتنا، **﴿وإن لَم تَغفِرْ لَنا وتَرحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾** ٢٣.

---

(١) منع: صرف. وزائدة: يعني أن «لا» مزيدة للتوكيد. وخير أي: أفضل وأكرم. والنار: اللهب يكون عن الاحتراق. والطين: التراب المجبول بالماء. واهبط: انزل. وتتكبر: تمتنع عن الطاعة. وأخّرني أي: أخّر موتي. واليوم: الوقت. ويبعثون: يخرجون من القبور للحساب والجزاء.

(٢) المنظرون: المؤجّل موتُهم كثيرًا. والآية: يعني الآيتين ٣٨ من سورة الحِجر و٨١ من سورة ص. والنفخة الأولى يموت لها الخلق كلهم. وأغويتني: وفقتني وأوقعتني في الضلال. وأقعد: أُقيم مترصدًا لأمنع وأضلّل. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. وآتيهم: أهاجمهم مضلّلًا. ومن بين أيديهم أي: من أمامهم. والأيمان: جمع يمين. وهو الطرف الأيمن. والشمائل: جمع شِمال. وهو الطرف الأيسر. وسلوكه أي: سلوك الصراط المستقيم. وتجد: تلقى. والشاكر: من يثني على المنعم بقلبه ولسانه وعمله.

(٣) اخرج: ابتعد. وتبعك: انقاد إليك. وللابتداء أي: حرف توكيد. وأملؤها: أضع فيها قدر ما تتسع له. واسكن الجنة: ادخلها للإقامة والاستقرار. وعليه أي: على الضمير المذكور. والزوج: الزوجة. والجنة: الحديقة العظيمة. وكلا: تغذيا وتمتعا. وشئتما: أردتما الأكل. ولا تقربا أي: لا تُدانيا. والشجرة: النبتة لها ساق وثمر. وتكونا أي: تصيرا. ومن الظالمين: من الذين ظلموا أنفسهم وضروها بما يفعلون.

(٤) وسوس: أغرى بالكلام الخفي المكرّر. وووري: سُتر. والسوءة: العَورة، أي: ما يجب ستره من الإنسان. ونهى: منع. وتكونا: تصيرا. والملَك: واحد الملائكة. وبكسر اللام يريد القراءة «مَلِكَين». والخلد: بقاء المخلوق دون أن يتعرض لفساد أو فناء. وآية: يعني الآية ١٢٠ من سورة طه. والناصح: من يرشد إلى الخير والصلاح.

(٥) الغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش. والقبل: عضو الذكورة أو عضو الأنوثة. والدبر: ما يكون خلف الفرج. ويخصف الورق: يلزق بعضه ببعض. وعليهما: على سوءاتهما. والعدو: المعادي. وظلمنا أنفسنا أي: أسأنا إليها وسببنا لها الضرر. وأنفسنا أي: نفسَينا. وجاز التعبير بالجمع عن المثنى لأنهما من اثنين منفصلين. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وتغفرُ لنا: تستر ذنبنا وتعفو عنه. وترحمنا: تعطف علينا وتحسن إلينا. ونكون: نصير. والخاسر: المغبون بالعقوبة سببها لنفسه.

الجزء الثامن — سورة الأعراف

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

١- ﴿**قالَ: اهبِطُوا**﴾ أي آدمُ وحواءُ، بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿**بَعضُكُم**﴾: بعض الذرّيّة ﴿**لِبَعضٍ عَدُوٌّ**﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضًا، ﴿**ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ**﴾: مكانُ استقرار، ﴿**ومَتاعٌ**﴾: تمتّعٌ ﴿**إلَى حِينٍ**﴾ ٢٤ تنقضي فيه آجالكم. ﴿**قالَ: فيها**﴾ أي: الأرضِ ﴿**تحيَونَ وفِيها تَمُوتُونَ، ومِنها تخرُجُونَ**﴾ ٢٥ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول.

٢- ﴿**يا بَنِي آدَمَ، قَد أنزَلْنا عليكُم لِباسًا**﴾ أي: خلقناه لكم، ﴿**يُوارِي**﴾: يسترُ ﴿**سَوءاتِكُم، ورِيشًا**﴾ هو ما يُتجمّل به من الثياب، ﴿**ولِباسَ التَّقوَى**﴾: العملَ الصالح أو السمتَ الحسن، بالنصبِ: عطفٌ على «لباسًا» والرفع، مبتدأ خبره جملةُ ﴿**ذٰلِكَ خَيرٌ. ذٰلِكَ مِن آياتِ اللهِ**﴾: دلائلِ قُدرته، ﴿**لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ**﴾ ٢٦ فيؤمنون. فيه التفات عن الخِطاب إلى الغَيبة. ﴿**يا بَنِي آدَمَ، لا يَفتِنَنَّكُمُ**﴾: يُضِلَّنّكم ﴿**الشَّيطانُ**﴾ أي: لا تتّبعوه فتُفتَتَنُوا، ﴿**كَما أخرَجَ أبَوَيكُم**﴾ بفتنته ﴿**مِنَ الجنّةِ، يَنزِعُ**﴾: حالٌ ﴿**عَنهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوءاتِهِما. إنَّهُ**﴾ أي: الشيطانَ ﴿**يَراكُم هُوَ وقَبِيلُهُ**﴾: جنوده، ﴿**مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم**﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم. ﴿**إنّا جَعَلْنا الشَّياطِينَ أولِياءَ**﴾: أعوانًا وقُرناء ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٢٧.

٣- ﴿**وإذا فَعَلُوا فاحِشَةً**﴾، كالشرك وطوافهم بالبيت عُراةً، قائلين: «لا نطوف في ثياب عصَينا اللهَ فيها»، فنُهوا عنها ﴿**قالُوا: وَجَدْنا عليها آباءَنا**﴾ فاقتدَينا بهم، ﴿**واللهُ أمَرَنا بها**﴾ أيضًا. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّ اللهَ لا يأمُرُ بِالفَحشاءِ. أتَقُولُونَ على اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ٢٨ أنه قاله؟ استفهام إنكار. ﴿**قُلْ: أمَرَ رَبِّي بِالقِسطِ**﴾: العدل، ﴿**وأقِيمُوا**﴾ - معطوف على معنى «بالقِسط» أي قال: أقسِطوا وأقيموا. أو قبله «فأقبِلُوا» مُقدَّرًا - ﴿**وُجُوهَكُم**﴾ لله ﴿**عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ**﴾ أي: أخلِصوا له سُجودكم، ﴿**وادعُوهُ**﴾: اعبدوه ﴿**مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ من الشِّرك. ﴿**كما بَدَأَكُم**﴾: خلقكم ولم تكونوا شيئًا، ﴿**تَعُودُونَ**﴾ ٢٩ أي: يُعيدكم أحياءً يومَ القيامة، ﴿**فَرِيقًا**﴾ منكم ﴿**هَدَى، وفَرِيقًا حَقَّ عَلَيهِمِ الضَّلالةُ. إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أولِياءَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**ويَحسِبُونَ أنَّهُم مُهتَدُونَ**﴾ ٣٠.

---

(١) قال أي: قضى وأمر. واهبطوا: انزلوا من الجنة. وبعض الشيء: مقدار منه. والعدو: المعادي، أي: انتم متعادون متخاصمون. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمتاع: مايُتمتَّع به. وإلى حين: إلى وقت وفاتكم. وتحيون: تعيشون. وتموتون: تفارق أرواحكم الأجساد. وتخرج: تبرز للحساب. وبالمفعول يريد القراءة «تُخرَجُونَ».

(٢) بنو آدم: فيه تغليب الذكور على الإناث، هنا وفيما بعد، لأن المراد جميع الأولاد من الجنسين. واللباس: ما يلبس من الثياب. والسوءات: جمع سوءة، ما يجب ستره من الجسم. والريش: مايكون فيه المتاع والزينة. وفي ط وبعض المطبوعات: «ولِباسُ التَّقوَى». والتقوى: الفزع من الله بتجنب غضبه وطلب رضاه. ولباسها: ما ينشأ عنها أي: لباس من التقوى يحفظ صاحبه من العذاب. والسمت: الهيئة والشكل. وبالرفع يريد القراءة «ولِباسُ». والشيطان: إبليس وأعوانه ممن يغرون بالشر والضلال. وأخرجه: نزعه. والأبوان: الوالدان آدم وحواء. والجنة: الحديقة العظيمة. وينزع: يخلع بعنف. واللباس: ما كانا يستتران به قبل الفتنة. ويُريه أي: يبصّره عيانًا. ويراكم: يُبصِركم ويشاهدكم. وحيث أي: مكان. ولا ترونهم أي: لاتبصرونهم لأنهم من طبيعة نارية خفية، وقد تكون لبعض الرسل رؤيتهم. وما يدعيه السحرة والمشعبذون من رؤية الجن باطل الأباطيل. وجعلنا: صيّرنا. والشياطين: جمع شيطان. والأولياء: جمع ولي. ولا يؤمنون أي: لا يصدّقون الله ورسله وما يبلّغونه.

(٣) فعلوها: مارسوها. والفاحشة: العمل المتناهي في القبح. ووجدنا: أبصرنا. وعليها: أي: على فعلها. والآباء: جمع أب. وأمر بها: أوجبها وفرضها. ولايأمر بالفحشاء أي: ولايرضى أن تُفعل. وتقولون: تفترون وتختلقون. وتعلم: تعرفه باليقين القاطع. وأمر: فرض. وأقيموا: وجهوا إلى العبادة الخالصة. و«معطوف... بالقسط» المعنى: أمر ربي أن أقسطوا وأقيموا. وتقدير «فأقبلوا» ذكرٌ لتوجيه آخر، هو أن يقدَّر فعل أمر قبل «أقيموا» ليعطف عليه، أي: فأقبلوا على ذلك وأقيموا. والوجوه: جمع وجه. والمراد الأجسام والقلوب أيضًا. والدين: العبادة والطاعة. وإخلاص الدين: تبرئته من كل مزاعم الكفر. وتعودون أي: ترجعون أحياء بالبعث بعد الموت. والفريق: الجماعة. وهداه: وجّه قدراته وأمدّه بما يناسب اختياره واستعداده الطيب، فأرشده إلى الإيمان ووفقه فيه. وحق: ثَبَتَ بمقتضى الحكمة البالغة. والضلالة: الانصراف إلى الكفر تبعًا للاستعداد السيئ. واتخذوا: جعلوا. والأولياء: جمع ولي. وهم الأعوان والأنصار يتولّونهم. وجملة «إنهم اتخذوا» تفيد السببية لثبوت الضلالة. وهذا دليل على أن علم الله لاأثر له في ضلالهم، وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطينَ من دون الله، وقد حق عليهم ذلك لاتخاذهم الشياطين أولياء. تفسير الآلوسي ٨:١٦١. ويحسبون: يظنون. والمهتدي: المسترشد إلى الحق.

سورة الأعراف — الجزء الثامن

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ
اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ١٦

١- ﴿**يا بَني آدَمَ، خُذُوا زِينَتَكُم**﴾: ما يستر عورتكم، ﴿**عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ**﴾ عِند الصلاة والطواف، ﴿**وكُلُوا واشرَبُوا**﴾ ما شِئتم ﴿**ولا تُسرِفُوا. إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ**﴾ ٣١. ﴿**قُلْ**﴾ إنكارًا عليهم: ﴿**مَن حَرَّمَ زِينةَ اللهِ الَّتِي أخرَجَ لِعِبادِهِ**﴾ من اللِّباس، ﴿**والطَّيِّباتِ**﴾: المُستلَذّات ﴿**مِنَ الرِّزقِ؟ قُلْ: هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم، ﴿**خالِصةٌ**﴾: خاصّة بهم - بالرفع، والنصب: حالٌ - ﴿**يَومَ القِيامةِ. كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ**﴾: نُبيّنها مِثلَ ذلك التفصيل، ﴿**لِقَومٍ يَعلَمُونَ**﴾ ٣٢: يتدبّرون. فإنهم المُنتفعون بها.

٢- ﴿**قُلْ: إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ**﴾: الكبائرَ كالزِّنى، ﴿**ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ**﴾ أي: جهْرَها وسِرَّها، ﴿**والإثمَ**﴾: المعصية، ﴿**والبَغيَ**﴾ على الناس ﴿**بِغَيرِ الحَقِّ**﴾ هو الظلم، ﴿**وأن تُشرِكُوا باللهِ ما لَم يُنَزِّلْ بِهِ**﴾: بإشراكه ﴿**سُلطانًا**﴾: حُجّة، ﴿**وأن تَقُولُوا علَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ٣٣، من تحريم ما لم يُحرّم وغيرِه. ﴿**ولِكُلِّ أُمّةٍ أجَلٌ**﴾: مُدّة، ﴿**فإذا جاءَ أجَلُهُم لا يَستأخِرُونَ**﴾ عنه ﴿**ساعةً، ولا يَستَقدِمُونَ**﴾ ٣٤ عليه.

٣- ﴿**يا بَني آدَمَ، إمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿**يأتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَقُصُّونَ علَيكُم آياتي، فَمَنِ اتَّقَى**﴾ الشِّرك ﴿**وأصلَحَ**﴾ عملَه ﴿**فلا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ٣٥ في الآخِرة، ﴿**والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا واستَكبَرُوا**﴾: تكبّروا ﴿**عَنها**﴾، فلم يُؤمنوا بها، ﴿**أُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٣٦.

٤- ﴿**فمَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾، بنسبة الشريك والولد إليه، ﴿**أو كَذَّبَ بِآياتِهِ**﴾: القرآن؟ ﴿**أُولٰئِكَ يَنالُهُم**﴾: يُصيبهم ﴿**نَصِيبُهُم**﴾: حظّهم ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ ممّا كُتب لهم، في اللوح المحفوظ، من الرِّزق والأجل وغير ذلك. ﴿**حَتَّى إذا جاءَتهُم رُسُلُنا**﴾: الملائكة ﴿**يَتَوَفَّونَهُم قالُوا**﴾ لهم تبكيتًا: ﴿**أينَ ما كُنتُم تَدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ؟ قالُوا: ضَلُّوا**﴾: غابوا ﴿**عَنّا**﴾، فلم نرهم، ﴿**وشَهِدُوا علَى أنفُسِهِم**﴾ عِند الموت ﴿**أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ**﴾ ٣٧.

---

(١) كان بعض الجاهليين يطوفون بالكعبة عراة، أنفة أن يعبدوا الله بثياب عصَوه فيها، فالرجال يطوفون في النهار، والنساء بالليل، وكانوا لايأكلون في الحج لحمًا ولادسمًا، وهمّ المسلمون أن يقلدوهم في تحريم الطعام، فنزلت الآيتان. انظر «المفصل». وخذوا زينتكم أي: تزينوا بأحسن هيئة، باللباس والنظافة والطهارة والسكينة والانتظام. وكلوا واشربوا أي: تغذوا وتمتعموا بما أحله الله حقًا. ولاتسرفوا أي: لاتخرجوا عن الاعتدال في التحليل أو التحريم والمنع، لِما كان من الزينة والطعام والشراب. ولا يحبه أي: يكرهه فلا يحسن إليه. وحرمها: جعلها حرامًا. وزينة الله: ما خلقه زينة للناس وأباحه. وأخرجها: أظهرها. والطيب: ما تستلذه النفوس الصالحة. والرزق: ما ييسر للخلق. والمراد بتحليل الزينة والطيبات ما يفيد في الدنيا والآخرة، ولم يكن فيه ربحٌ للعدو وتمكين له من استعبادنا، أو استعلاءٌ علينا بما يقدمه من المغريات والكماليات وشبه المخدرات، أو انشغالٌ للمسلمين عن الصلاح والجهاد والعمل الإيجابي للتحرر والسيادة. واللام وفي: يتعلقان بالخبر المحذوف. وخالصة: خبر ثان. وبالنصب يريد القراءة «خالِصةً». واليوم: الزمن. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى ما ورد من أحكام في الآيتين. ويعلمون أي: يدركون أن الله واحد لاشريك له، أحل الطيبات وحرم الخبائث، فيلتزمون أحكامه مع الشكر والحمد.

(٢) الفواحش: جمع فاحشة. وهي ما تناهى في القبح من القول والعمل. وظهر: بدا للناس. وبطن: اختفى على الناس أو كان في القلب، كالنفاق والكفر والغش والحسد والكبر. والحق: العدل. وتشركوا به أي: تسوّوا به في الألوهية. ولم ينزل: لم يوح إلى نبي. وتقولوا: تكذبوا. وتعلمون أي: تدركون باليقين حقيقةَ مصدره وصدقه. والأمة: الجماعة من الناس. والمدة: مقدار العمر. وجاء: أتى. وأجلهم: آخر وقت من عمرهم. ولايستأخرون ولايستقدمون أي: لايتأخرون ولايتقدمون. وإذا كانوا لايستأخرون، حين مجيء الأجل، فعجزهم عن الاستقدام هو من باب الأَولى. وساعة أي: قليلًا من الزمن.

(٣) الإدغام يعني: أبدلت النون ميمًا وأدغمت في الميم الثانية. ومزيدة أي: حرف زائد لتوكيد الشرط. والرسل: جمع رسول. ويأتينكم رسل: يجيئون إليكم مرسَلين للتبشير والإنذار. ويقصون آياتي أي: يتلون أحكامي ويبينونها. واتقى الشرك: تجنبه وتوجه إلى التوحيد. وأصلحه: جعله صالحًا كما أمر الله. ولا خوف عليهم أي: هم في نجاة من العذاب وفي نعيم الجنة لا يخافون أبدًا. ولا يحزن أي: لا يغتم لعاقبة ما مضى. وكذبوا بها: أنكروها. وأصحاب النار: الملازمون لها يوم القيامة. والخالد: المقيم أبدًا.

(٤) أظلم: أكثر كفرًا ومجاوزة للحق إلى الباطل. وافترى: اختلق. والكذب: ما ليس له وجود أصلًا. وكذب به أي: أنكره. والكتاب: المكتوب. واللوح المحفوظ: سجلّ لكل ما كان وسيكون في الوجود، من أقدار محتومة، أو محتملة تبعًا للظروف واختيار الإنسان. وجاءتهم: أتت لقبض أرواحهم. والرسل: جمع رسول. والملائكة: مَلَك الموت وأعوانه. ويتوفونهم: يستوفون آجالهم. والتبكيت: التوبيخ والتقريع. وتعبدون أي: بالتقديس والطاعة. ومن دون الله أي: من غيره كالأصنام والحيوان والملائكة والشياطين والبشر. وشهدوا: أقروا واعترفوا بما يعلمون يقينًا. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات الإنسان بروحه وجسده. والكافر: الجاحد للحق يعبد شيئًا من المخلوقات.

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

١- ﴿**قالَ**﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿**ادخُلُوا في**﴾ جُملةِ ﴿**أُمَم قَد خَلَت مِن قَبلِكُم، مِنَ الجِنِّ والإنسِ، في النّارِ**﴾: مُتعلّق بـ «ادخلوا»، ﴿**كُلَّما دَخَلَت أُمّةٌ**﴾ النارَ ﴿**لَعَنَتْ أُختَها**﴾ التي قبلها لضلالها بها. ﴿**حَتَّى إذا ادّارَكُوا**﴾: تلاحقوا ﴿**فِيها جَمِيعًا قالَتْ: أُخراهُم**﴾ - وهم الأتباع - ﴿**لِأُولاهُم**﴾ أي: لأَجلهم، وهم المتبوعون: ﴿**ربَّنا، هٰؤُلاءِ أضَلُّونا. فآتِهِم عَذابًا ضِعفًا**﴾: مُضعّفًا ﴿**مِنَ النّارِ. قالَ**﴾ تعالى: ﴿**لِكُلٍّ**﴾ منكم ومنهم ﴿**ضِعفٌ**﴾: عذاب مُضعّف، ﴿**ولٰكِنْ لا تَعلَمُونَ**﴾ ٣٨ - بالتاء والياء - ما لكُلّ فريق. ﴿**وقالَتْ أُولاهُم لِأُخراهُم: فما كانَ لَكُم علَينا مِن فَضلٍ**﴾، لأنكم لم تكفروا بسببنا. فنحن وأنتم سواء. قال - تعالى - لهم: ﴿**فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تكسِبُونَ**﴾ ٣٩.

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، واستَكبَرُوا**﴾: تكبّروا ﴿**عَنها**﴾ فلم يُؤمنوا بها، ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُم أبوابُ السَّماءِ**﴾، إذا عُرِج بأرواحهم إليها بعد الموت، فيُهبَط بها إلى سِجِّين، بخِلاف المؤمن فيُفتّح له ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث، ﴿**ولا يَدخُلُونَ الجَنّةَ، حَتَّى يَلِجَ**﴾: يدخلَ ﴿**الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ**﴾: ثَقب الإبرة. وهو غير مُمكن، فكذا دُخولهم - ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾ الجزاءِ ﴿**نَجزِي المُجرِمِينَ**﴾ ٤٠ بالكُفر - ﴿**لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ**﴾: فِراش، ﴿**ومِن فَوقِهِم غَواشٍ**﴾: أغطيةٌ من النار. جمع غاشية، وتنوينه عِوض من الياء المحذوفة. ﴿**وكَذٰلِكَ نَجزِي الظّالِمِينَ**﴾ ٤١.

٣- ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾: مبتدأ - وقولُه ﴿**لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها**﴾: طاقتَها من العمل: اعتراض بينه وبين خبره - وهو ﴿**أُولٰئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٤٢، ﴿**ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ**﴾: حِقد، كان بينهم في الدُّنيا، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِهِم**﴾: تحتِ قُصورهم ﴿**الأنهارُ، وقالُوا**﴾ عند الاستقرار في منازلهم: ﴿**الحَمدُ لِلهِ الَّذِي هَدانا لِهٰذا**﴾ العمل الذي هذا جزاؤه، ﴿**وما كُنّا لِنَهتَدِيَ، لَولا أنْ هَدانا اللهُ**﴾. حُذف جواب «لولا» لدلالة ما قبله عليه. ﴿**لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ. ونُودُوا أنْ**﴾ - مُخفَّفة أي: أنّه، أو مُفسِّرة، في المواضع الخمسة - ﴿**تِلكُمُ الجَنّةُ أُورِثتُمُوها بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٤٣.

---

(١) ادخلوا في أمم: صيروا معهم. والأمم: جمع أمة، وهي الجماعات الكافرة. وخلت من قبلكم: مضت وسبقتكم إلى النار. والجن: مخلوقات نارية واحدها جنّيّ. والإنس: بنو آدم واحدهم إنسيّ. والنار: نار جهنم. ودخلتها: صارت فيها. ولعنتها: دعت عليها بزيادة العذاب. وأختها أي: شبيهتها في الكفر. وادارکوا: صاروا معًا. وفيها: في النار. وجميعًا أي: كلهم لم يتخلف منهم أحد. وأُخرى هنا: مؤنث آخَر الذي للتفضيل. فآخَر كلٍّ أمة يدعو على أولها. ولأجلهم: يعني أن اللام الجارة في «لأولاهم» هي للسببية، والخطاب بـ «قالت» هو للمولى - سبحانه - لا للمتبوعين. ث: «لأجلّهم». وفي ط وقرة العينين وبعض المطبوعات: «لأجلّائهم». وربنا أي: ياربنا. حذف حرف النداء تعظيمًا، لما يحتمله من معنى الأمر. وأضلونا: شرعوا لنا الانصراف إلى الكفر. وآتهم: أعطهم. والمضعف: المزيد فيه إلى ما لا نهاية. ولاتعلمون أي: لاتدركون. وبالياء يريد القراءة «لا يَعلَمُونَ». والفضل: التميز لتخفيف العذاب. ولم تكفروا بسببنا أي: بل كفرتم طمعًا بمتاع الدنيا ولذائذها. وذوقوا أي: تحسسوا وتحملوا. وتكسبون أي: تقترفونه وتربحونه باختيار وقصد.

(٢) كذبوا بها: أنكروها. والآيات: نصوص القرآن والأدلة على التوحيد والبعث. وتفتح: تطلق. والأبواب: جمع باب. وهو المدخل. والسماء: العالم العلوي. وسجين: واد في جهنم لسجنِ أرواح الكافرين. والحديث في المسند ٤: ٢٨٧-٢٨٨ وأبي داود ٢: ٦٥٢-٦٥٣ والمستدرك ١: ٣٧ والمصنف ٣: ٥٨٠. ولا يدخلها: لايصير فيها. والجنة: الحديقة العظيمة. والجمل: الذَّكَرُ من الإبل بلغ من العمر أربع سنين. والخياط: ما يخاط به. والإشارة بـ «ذلك» إلى عدمِ تفتح أبواب السماء، واستحالةِ دخول الجنة، والخلودِ في النار. ونجزي: نعاقب. والمجرم: من اقترف الكفر باختيار وعزم. والظالم: الكافر.

(٣) آمنوا: صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم من الوحي والشرائع. وعمل: اكتسب. والصالح: ما حسّنه الشرع. ونكلف: نُحمّل. والنفس أي: الإنسان. والوسع: ما تسعه قدرة المكلَّف. واعتراض يعني: أن جملة «لانكلف»: اعتراضية. والأصحاب: جمع صاحب. والخالد: المقيم أبدًا. ونزعنا: أزلنا. والصدور: جمع صدر، يعبَّر به عن القلب. والأَولى أن نزع الغل كناية عن خَلقهم في الجنة متوادّين متعاطفين. وتجري: تسيل. والأنهار: جمع نهر. والحمد: الثناء بالجميل ظاهرًا وباطنًا. وهدانا له: أرشدنا إليه. والجزاء: الثواب. ونهتدي: نسترشد إلى الإيمان والعمل الصالح. وحذف: يعني أن الجواب المحذوف تقديره: لَما اهتدينا. وجاءت بالحق أي: أتت في الدنيا بالموعود الواقع حقًا، وبلغتنا به، وهو الآن مشاهَد عِيانًا. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحق: الشيء الثابت من دون شك. ونودوا أي: دُعوا بأسمائهم. والمواضع الخمسة يعني ما بعد «نودوا» حتى «أن أفيضوا» في الآية ٥٠. وأورثتموها: صُيِّرت لكم كالإرث فضلًا من الله ورحمة. وتعملون أي: تكتسبونه من الصالحات نية أو قولًا أو فعلًا.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن
لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ
أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ
ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟
لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ١٦

١- ﴿**ونادى أصحابُ الجَنّةِ أصحابَ النّارِ**﴾، تقريرًا وتبكيتًا: ﴿**أن قد وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا**﴾ من الثواب ﴿**حَقًّا. فهَل وَجدتُم ما وَعَدَ**﴾ كم ﴿**رَبُّكُم**﴾ من العذاب ﴿**حَقًّا؟ قالُوا: نَعَمْ. فأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ**﴾: نادى مُنادٍ ﴿**بَينَهُم**﴾: بين الفريقين أسمعهم: ﴿**أنْ لَعْنَةُ اللهِ على الظّالِمِينَ ٤٤، الَّذِينَ يَصُدُّونَ**﴾ الناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينه، ﴿**ويَبغُونَها**﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿**عِوَجًا**﴾: مُعْوَجّة، ﴿**وهُم بالآخِرةِ كافِرُونَ**﴾ ٤٥.

٢- ﴿**وبَينَهُما**﴾أي: أصحابِ الجنّة والنار ﴿**حِجابٌ**﴾: حاجز - قيل: هو سُور الأعراف - ﴿**وعلَى الأعرافِ**﴾ وهو سُور الجنّة ﴿**رِجالٌ**﴾ استوت حسناتهم وسيّئاتهم، كما في الحديث، ﴿**يَعرِفُونَ كُلًّا**﴾ من أهل الجنّة والنار ﴿**بِسِيماهُم**﴾: بعلامتهم - وهي بياض الوُجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، لرُؤيتهم لهم إذ موضعُهم عالٍ - ﴿**ونادَوا أصحابَ الجَنّةِ: أنْ سَلامٌ علَيكُم**﴾. قال تعالى: ﴿**لَم يَدخُلُوها**﴾ أي: أصحابُ الأعراف الجنّةَ، ﴿**وهُم يَطمَعُونَ**﴾ ٤٦ في دُخولها. قال الحسن: لم يُطمِعهم إلّا لكرامةٍ يُريدها بهم. وروى الحاكم عن حُذيفة قال: «بَينَما هُم كَذلِكَ، إذ طَلَعَ علَيهِم رَبُّكَ، فقالَ: قُوموا ادخُلوا الجَنّةَ. فقَد غَفَرتُ لَكُم».

٣- ﴿**وإذا صُرِفَت أبصارُهُم**﴾ أي: أصحابِ الأعراف ﴿**تِلقاءَ**﴾: جِهَةَ ﴿**أصحابِ النّارِ قالُوا: رَبَّنا، لا تَجعَلْنا**﴾ في النار ﴿**مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ٤٧. ﴿**ونادَى أصحابُ الأعرافِ رِجالًا**﴾ من أصحاب النار، ﴿**يَعرِفُونَهُم بِسِيماهُم، قالُوا: ما أغنَى عَنكُم**﴾ من النار ﴿**جَمعُكُم**﴾ المالَ أو كثرتُكم، ﴿**وما كُنتُم تَستَكبِرُونَ**﴾ ٤٨ أي: واستبكارُكم عن الإيمان؟ ويقولون لهم، مشيرين إلى ضُعفاء المسلمين: ﴿**أهَؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللهُ بِرَحمَةٍ**﴾؟ قد قيل لهم: ﴿**ادخُلُوا الجَنّةَ، لا خَوفٌ علَيكُم ولا أنتُم تحزَنُونَ**﴾ ٤٩. وقُرئ: «أُدْخِلُوا» بالبناء للمفعول، «ودَخَلُوا». فجُملة النفي حال أي: مقولًا لهم ذلك.

٤- ﴿**ونادَى أصحابُ النّارِ أصحابَ الجَنّةِ: أن أفِيضُوا علَينا مِنَ الماءِ، أو مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ**﴾ من الطعام. ﴿**قالُوا: إنَّ اللهَ حَرَّمَهُما**﴾: منعهما ﴿**على الكافِرِينَ**﴾ ٥٠، ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهوًا ولَعِبًا، وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا. فاليَومَ نَنساهُم**﴾: نتركهم في النار، ﴿**كما نَسُوا لِقاءَ يَومِهِم هٰذا**﴾ بتركهم العملَ له، ﴿**وما كانُوا بآياتِنا يَجحَدُونَ**﴾ ٥١ أي: وكما جحدوا.

---

(١) ناداه: دعاه باسمه ونبهه تبجحًا وتحسيرًا. والأصحاب: جمع صاحب. وتقريرًا أي: أن الاستفهام بعدُ بـ «هل» لحمل المخاطب على الإقرار بما علم حقًا، للتشفي والشماتة. والتبكيت: التوبيخ والتقريع على ما كان من الكفر والعصيان. ووجد: رأى. ووعدنا: منّانا به وبشّرنا في الدنيا. والحق: الصدق الواقع فعلًا. ووعدكم أي: خوفكم به. وأسمعهم أي: أسمع الفريقين. ولعنة الله: الطرد من رحمته. والظالم: الكافر. ويصدون: يمنعون. والسبيل: الطريق الواضحة، تذكر وتؤنث. وعِوَجًا أي: أنهم يحاولون تغيير دين الله، وطريقته التي شرعها لعباده، ويحرفونهما ليضللوا الناس. والآخرة أي: البعث والحساب والجزاء يوم القيامة. والكافر: المكذب الجاحد اعتقادًا وعملًا.

(٢) روي في تفسير «الأعراف» بضعة عشر قولًا، الجيدُ منها ماجاء في حديث جابر، وتفسير جماعة من الصحابة. قيل: يارسول الله. فمَن استوتْ حسناته وسيئاته؟ قال: «أُولئكَ أصحابُ الأعرافِ». الدر المنثور ٣:٨٧ وتفسير ابن كثير ٢:٢٠٧ والبحر ٤:٣٠١-٣٠٢. والحاجز: ما يَحجز ويَمنع وصول أثر كل من الدارين إلى الأخرى. والأعراف: جمع عُرف. وهو ما أشرف وعلا. وسمي سور الجنة بالأعراف لارتفاعه وإشرافه عليها وعلى النار أيضًا. والرجال: جمع رجل. ويعرف: يميز ويعلم بالتفكير والتدبر. وبسيماهم أي: زيادةً على وجود هؤلاء في الجنة وأولئك في النار. ولرؤيتهم أي: لرؤية أصحاب الأعراف كلًا من الفريقين. والمراد أنه إذا نظر أصحاب الأعراف إلى الجنة نادَوا أهلها وسلموا عليهم. ويدخلها: يلجها ليصير في منازله المعدّة له. ويطمعون: يتيقنون. والحسن هو الحسن البصري التابعي المشهور. وحذيفة: ابنُ اليمانِ الصحابيُّ المعروف. وطلع عليهم أي: أزال عنهم الحُجب المانعة من رؤيته، فظهر لهم ورأوه. والحديث في المستدرك ٢:٣٢٠.

(٣) صرفت: حُوِّلت على غير قصد منهم. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. ودعاؤهم هنا لاستعظام هول ما يقاسية الكافرون. وتجعل: تصيّر. والظالم: الكافر. والرجال هنا: رؤساء المشركين والكفرة، كفرعون وأبي جهل وسماسرة القيم والشعوب. وسيماهم: علامتهم يتميزون بها. وأغنى: دفع. والاستكبار: الامتناع مع المكابرة والعناد. وأقسمتم: حلفتم. وينالهم: يتغمدهم ويكرمهم. والرحمة: العطف بالتفضل والإحسان. والخوف: الفزع مما سيكون. وتحزن: تغتم وتتحسر لِما كان.

(٤) أفيضوا: ألقوا. ومن الطعام أي: وغيره من نعيم الآخرة، كأنواع المشروبات. والكافر: من كذّب الله ورسوله ومات على ذلك. واتخذوا: جعلوا. ودينهم: ما شرعه الله لهم. واللهو: صرف الهمّ بما يَشغل عن الواجب. واللعب: طلب الفرح بما لايَحسن. وغرتهم: شغلتهم بطول العمر والشهوات. واليوم: هذا الوقت. ونسوه: غفلوا عنه. وجحدوا: كذّبوا آيات الكتب المقدسة، والأدلة على التوحيد وصدق الرسل.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

١- ﴿**وَلَقَد جِئناهُم**﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿**بِكِتابٍ**﴾: قُرآنٍ، ﴿**فَصَّلْناهُ**﴾ بيّنّاه بالأخبار والوعد والوعيد، ﴿**عَلَى عِلمٍ**﴾: حالٌ أي: عالمين بما فُصِّل فيه، ﴿**هُدًى**﴾: حال من الهاء ﴿**ورَحْمةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ**﴾ ٥٢ به. ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾: ما ينتظرون ﴿**إلّا تأويلَهُ**﴾: عاقبة ما فيه؟ ﴿**يَومَ يأتي تأويلُهُ**﴾، هو يوم القيامة، ﴿**يَقولُ الَّذينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ**﴾: تركوا الإيمان به: ﴿**قَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بالحَقِّ. فَهَل لَنا مِن شُفَعاءَ فَيَشفَعُوا لَنا، أَو**﴾ هل ﴿**نُرَدُّ**﴾ إلى الدُّنيا ﴿**فنَعمَلَ غَيرَ الَّذي كُنّا نَعمَلُ**﴾: نوحّدَ اللهَ ونتركَ الشركَ؟ فيقال لهم: لا. قال الله تعالى: ﴿**قَد خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾، إذ صاروا إلى الهلاك، ﴿**وضَلَّ**﴾: ذهب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ٥٣ من دعوى الشريك.

٢- ﴿**إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، في سِتّةِ أيّامٍ**﴾ من أيّام الدُّنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس - ولو شاء خلقهنّ في لمحة. والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبّتَ - ﴿**ثُمَّ استَوى على العَرشِ**﴾ هو في اللغة: سرير المُلك، استواءً يليق به، ﴿**يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ**﴾، مُخفّفًا ومُشدّدًا، أي: يُغطّي كُلًّا منهما بالآخر، ﴿**يَطلُبُهُ**﴾: يطلب كُلٌّ منهما الآخَرَ طلبًا ﴿**حَثِيثًا**﴾: سريعًا، ﴿**والشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ**﴾ - بالنصبِ عطفًا على «السّماواتِ»، والرفعِ مبتدأ خبرُه - ﴿**مُسَخَّراتٍ**﴾: مُذلّلاتٍ ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بقُدرته. ﴿**ألا لَهُ الخَلقُ**﴾ جميعًا، ﴿**والأمرُ**﴾ كُلّه. ﴿**تَبارَكَ**﴾: تعظّمَ، ﴿**اللهُ رَبُّ**﴾: مالكُ ﴿**العالَمِينَ**﴾ ٥٤.

٣- ﴿**ادعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا**﴾: حالٌ تذلُّلًا ﴿**وخُفيَةً**﴾: سِرًّا - ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ**﴾ ٥٥ في الدُّعاء بالتشدّق ورفع الصوت - ﴿**ولا تُفسِدُوا في الأرضِ**﴾ بالشّرك والمعاصي ﴿**بَعدَ إصلاحِها**﴾ ببعث الرسل، ﴿**وادعُوهُ خَوفًا**﴾ من عِقابه ﴿**وطَمَعًا**﴾ في رحمته. ﴿**إنَّ رَحمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحسِنِينَ**﴾ ٥٦: المُطيعين. وتذكير «قريب» المخبَر به عن «رحمة» لإضافتها إلى «الله».

٤- ﴿**وهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ، نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ**﴾ أي: مُتفرّقةً قُدّامَ المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحّدة بدلَ النون، أي: مبشّراتٍ. ومُفرد الأُولى: نَشُورٌ كرَسُول، والأخيرةِ: بَشِيرٌ. ﴿**حَتَّى إذا**

---

(١) جئناهم: أنزلنا إليهم. والعلم: الإحاطة الكاملة. وهدى أي: مرشدًا إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان. ويؤمنون: يصدّقون ويعملون. وبه أي: بالكتاب الذي هو القرآن. وينتظرون: يتوقعون. وتأويله: تأويل القرآن، أي: وقوع مافيه من الوعد والتهديد. ويأتي: يحصل. ونسوه: غفلوا عن القرآن الكريم وجحدوه. ومن قبل أي: من قبلِ إتيانِ تأويله. وجاءت: أتت. والرسل: جمع رسول. وهو هنا بمعنى النبي. والحق: الصدق الثابت. والشفعاء: جمع شفيع. وهو الذي يطلب التجاوز عن الذنوب. ونُرد: نُعاد. ونعمل أي: نكتسبه. وخسروا أنفسهم أي: ضيعوها وأهلكوها بعذاب جهنم. وذهب أي: غاب. ويفترون: يكذبون.

(٢) خلق: أوجد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأيام: جمع يوم، أي: في أوقات ستة متوالية، مقدار كل يوم من هذه الأيام ألف سنة أو أكثر، وليس من أيام الدنيا. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة هود. وثَمّ أي: في ذلك الوقت. والعرش: أعظم المخلوقات يحيط بالكون، ولا يعلم حقيقته إلّا الله. ويليق به أي: استواء يناسب عظمة المولى وجلاله، دون تعرض للكيفية والتفصيلات. و«مشددًا» يريد القراءة «يُغَشّي». ويغطيه: يعني أن الليل يُخفي النهار، والنهار يُخفي الليل. ويطلبه: يعقبه سريعًا لايفصل بينهما شيء. والشمس والقمر: الكوكبان المعروفان. والنجوم: جمع نجم. وبالرفع يريد القراءة «والشَّمسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ». وخبره: يعني «مُسخراتٌ» بالرفع. ومذللات أي: لِما يراد بها في مصلحة الكون والحياة. والخلق: الإيجاد للأشياء من العدم. والأمر: الحكم والتصرف. والعالَم: الجنس من المخلوقات. فالعالمون كل المخلوقات.

(٣) ادعوه أي: ناجوه لطلب الخير ودفع الشر. ولايحبه: يبغضه فلا يريد له الخير. والمعتدي: الذي يتجاوز الحد. ولاتفسدوا: نهي عن الإفساد، وأمر بإصلاح النفوس والعقول والعقائد، والأبدان والأموال وسائر مظاهر الخير. وإصلاحها أي: إصلاح الله لها بخلقها على الوجه النافع، وبإنزال العقائد والشرائع. والطمع: توقع ما هو محبوب. والرحمة: العطف بالإنعام. وقرب الرحمة من المحسن لوجود الصلاح عنده. والمحسن: من جعل عمله حسنًا بالإخلاص ومراقبة الله. ولإضافتها: يعني أن إضافة «رحمة» إلى اسم مذكر - وهو لفظ الجلالة - أكسبها التذكير، فجاز أن يكون الخبر مذكرًا.

(٤) يرسل: يحرك. والرياح: جمع ريح. وهي الهواء المتحرك. وبين يديها أي: قبلها. ونُشرًا: جمع نَشُور، أي: منشورة. وذكر السيوطي هنا ثلاث قراءات: «نُشْرًا» و«نَشْرًا» و«بُشْرًا»، غير التي أثبتناها. والموحدة: الباء. والسحاب: واحدته سحابة. والثقال: جمع ثقيلة، أي: مترعة بما يكون غيثًا. وسقناه: وجهناه. والبلد: الموضع من الأرض اليابسة، يذكر ويؤنث. والميت: الفاقد للحياة. ث وع: «ميْت». وأنزل: أسقط. وأخرج: أنبتَ. والثمرة: ما ينعقد عن زهر الشجر من أنواع الغذاء. ونخرج: نبعث. والموتى: جمع ميت. وتذكرون أي: تستحضرون قدرة الله ومسؤولية الحساب. وفيما عدا الأصل وخ وع وط: «تَذَكَّرُونَ». والعذب: السائغ الكريم المبارك. ويخرج: ينبت ويظهر. والنبات: ما أخرجته الأرض من شجر ونحوه. وإذنه: مشيئته وأمره. وخبث: كان رديئًا فاسدًا. ونصرّف: نردد ونكرر. والآيات: البراهين الدالة على الوحدانية. ويشكره: يعترف بنعمه ويثني عليه بالقلب واللسان والعمل.

الجزء الثامن سورة الأعراف

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

أقَلَّتْ﴾: حَملَتِ الرياحُ ﴿**سَحابًا ثِقالًا**﴾ بالمطر ﴿**سُقناهُ**﴾ أي: السحابَ - وفيه التفات عن الغَيبة - ﴿**لِبَلَدٍ مَيْتٍ**﴾: لا نبات به، أي: لإحيائه، ﴿**فأنزَلْنا بِهِ**﴾: بالبلد ﴿**الماءَ، فأخرَجْنا بِهِ**﴾: بالماء ﴿**مِن كُلِّ الثَمراتِ - كَذٰلِكَ**﴾ الإخراجِ ﴿**نُخرِجُ المَوتَى**﴾ من قُبورهم بالإحياء، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ ٥٧ فتؤمنون - ﴿**والبَلَدُ الطَيِّبُ**﴾: العذبُ الترابِ ﴿**يَخرُجُ نَباتُهُ**﴾ حسنًا، ﴿**بإذنِ رَبِّهِ**﴾ - هذا مَثَلُ المُؤمن، يسمع الموعظة فينتفع بها - ﴿**والَّذِي خَبُثَ**﴾ ترابُه ﴿**لا يَخرُجُ**﴾ نباتُه ﴿**إلّا نَكِدًا**﴾: عسِرًا بمشقّة. وهذا مَثَلُ الكافر. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما بيّنّا ما ذُكر، ﴿**نُصَرِّفُ**﴾: نُبيّنُ ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَشكُرُونَ**﴾ ٥٨ اللهَ فيؤمنون.

١- ﴿**لَقَد**﴾ - جوابُ قسم محذوف - ﴿**أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، فقالَ: ياقَومِ اعبُدُوا اللهَ، مالَكُم مِن إلَهٍ غَيرِهِ**﴾. بالجرِّ صفةٌ لِـ «إلَـهٍ»، والرفعِ بدلٌ من محلّه. ﴿**إنِّيَ أخافُ عَلَيكُم**﴾ - إن عبدتم غيره - ﴿**عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ ٥٩، هو يوم القيامة. ﴿**قالَ المَلأُ**﴾: الأشراف ﴿**مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٦٠: بيّن.

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

٢- ﴿**قالَ: يا قَومِ، لَيسَ بِي ضَلالَةٌ**﴾ - هي أعمّ من الضلال، فنفيُها أبلغ من نفيه - ﴿**ولٰكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ ٦١، أُبْلِغُكُم**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**رِسالاتِ رَبِّي، وأنصَحُ**﴾: أُريد الخيرَ ﴿**لَكُم، وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ ٦٢. أ**﴾ كذّبتم ﴿**وَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ**﴾: موعظة، ﴿**مِن رَبِّكُم علَى**﴾ لسان ﴿**رَجُلٍ مِنكُم، لِيُنذِرَكُم**﴾ العذابَ إن لم تُؤمنوا، ﴿**ولِتَتَّقُوا**﴾ اللهَ، ﴿**ولَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ ٦٣ بها؟ ﴿**فكَذَّبُوهُ، فأنجَيناهُ والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ من الغرق ﴿**في الفُلْكِ**﴾: السفينة، ﴿**وأَغرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾ بالطوفان. ﴿**إنَّهُم كانُوا قَومًا عَمِينَ**﴾ ٦٤ عن الحقّ.

٣- ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**إلَى عادٍ**﴾ الأُولى ﴿**أخاهُم هُودًا، قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ**﴾: وحّدوه، ﴿**مالَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ**﴾ ٦٥ تخافونه فتؤمنون؟ ﴿**قالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في سَفاهةٍ**﴾: جهالة، ﴿**وإنّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ**﴾ ٦٦ في رسالتك.

٤- ﴿**قالَ: يا قَومِ، لَيسَ بِي سَفاهةٌ، ولٰكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ ٦٧، أُبْلِغُكُم رِسالاتِ رَبِّي، وأنا لَكُم ناصِحٌ أمِينٌ**﴾ ٦٨: مأمون على الرسالة. ﴿**أوَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ مِن رَبِّكُم، علَى**﴾ لسان ﴿**رَجُلٍ مِنكُم لِيُنذِرَكُم؟ واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ**﴾ في الأرض، ﴿**مِن بَعدِ قَومِ نُوحٍ، وزادَكُم في الخَلْقِ بَسْطةً**﴾: قوّة وطُولًا. وكان طويلُهم مائة ذراع وقصيرُهم ستين. ﴿**فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ**﴾: نِعَمَه، ﴿**لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ**﴾ ٦٩: تفوزون.

---

(١) أرسلناه: بعثناه رسولًا. ونوح هو أول رسول، بعد نبوة آدم وشيث وإدريس. وقوم الرجل: أقرباؤه من جد واحد. واعبدوا: وحّدوا. والإلٰه: المعبود بحق. وبالرفع يريد القراءة «غيرُهُ». ومحله يعني: في الإعراب، لأن «إلٰه»: مجرور لفظًا مرفوع محلًّا مبتدأ مؤخر. وأخاف: أتوقع إن لم توحدوا. والعظيم: الضخم جدًا لايقدر قدره. والملأ: الرؤساء يملؤون المجالس بأجسامهم، والقلوب مهابة والعيون إجلالًا. ونرى: نعلم. والضلال: الجهالة والانحراف عن طريق الصواب.

(٢) العالَم: مجموع الجنس من الخلق. وأبلغكم أي: أوصل إليكم وأعلمكم. والتخفيف أي: تخفيف اللام. وبالتشديد يريد القراءة «أُبَلِّغُكُم». والرسالة: ما بُعث به من تكاليف التوحيد والشريعة. وأعلم: أعرف معرفة يقين. ومن الله أي: من شؤونه وبطشه ودينه الحق. وعجِب منه: أنكره لعدم اعتياده إياه. وجاءكم: أتاكم. والذكر: التذكير فيه نصح وإرشاد. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. ومنكم أي: بشر من جنسكم تعرفون نسبه. وينذركم: يخوّفكم بالانتقام من العاصين. وتتقوه أي: تخافوه وتتجنبوا عصيانه، وتطلبوا رضاه بالإيمان والطاعة. ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم. وترحمون: يُرأف بكم ويُحسَن إليكم وتكرَمون. وكذبوه أي: استمروا على إنكار ما جاءهم به. وأنجيناه: أنقذناه. ومن معه أي: الذين استقروا بصحبته. وهم المؤمنون والمؤمنات. وكان من ذرية هؤلاء أجناس البشر المعروفة، لا من أبناء نوح وحدهم. انظر الآيتين ٣ من سورة الإسراء و٥٨ من سورة مريم. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بماء الطوفان. والآيات: النصوص السماوية والأدلة على التوحيد والبعث. والعمون: جمع العَمِي. وهو من عَمِيَتْ بصيرته فلا يعرف من أموره شيئًا.

(٣) انظر أول الآية ٥٩. وعاد من العرب العاربة قبل الميلاد بآلاف السنين والآلاف، وهم قوم هود ثلاث عشرة قبيلة كانت تنزل بين عُمان وحضرموت، ولهم أقدم الآثار التي يعرف أصحابها في التاريخ. وأخاهم أي: من نسبهم وجماعتهم. وهود: من حفدة نوح. وفي الأصل: «هودًا فقال». وتتقون: انظر الآية ٦٣. والملأ: انظر الآية ٦٠. وكفروا: أنكروا التوحيد ونبوة هود. ونراك: نعلمك. ونظن: نعتقد. والكاذب: الذي يدعي الباطل.

(٤) انظر الآيتين ٦١ و٦٢. والناصح: من يريد الخير للآخرين ويعرّفهم وجه المصلحة. وعجبتم: انظر الآية ٦٣. واذكروا: تذكروا واستحضروا في أذهانكم. وجعل: صيّر. والخلفاء: جمع خليفة. وهو الذي يحل مكان غيره في عمل أو موضع. وزادكم أي: أضاف إليكم ومنحكم. والخلق أي: خلْقُكم وتكوينكم. والذراع المذكور هنا مراد به ذراع قوم هود، أي: طول ذراع اليد منهم. وهذا الوصف بالطول لم يرد ما يصدقه من القرآن أو الحديث الصحيح، وهو قول ينكره العقل والخيال، مصدره دسائس إسرائيليات لا يعتمد عليها، ولايحتج منها بشيء. انظر تفسير المنار ٨:٤٩٨ وقرة العينين ص ٢٠٣-٢٠٤ و٤١٧. والآلاء: جمع ألْوٌ.

١- ﴿قالُوا: أجِئتَنا لِنَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ، ونَذَرَ﴾: نترك ﴿ما كانَ يَعبُدُ آباؤُنا؟ فائتِنا بِما تَعِدُنا﴾ به من العذاب، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ ٧٠ في قولك.

٢- ﴿قالَ: قَد وَقَعَ﴾: وجب ﴿عليكُم مِن رَبِّكُم رِجسٌ﴾: عذاب ﴿وغَضَبٌ. أتُجادِلُونَني في أسماءٍ، سَمَّيتُمُوها﴾ أي: سميتم بها ﴿أنتُم وآباؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿ما نَزَّلَ اللهُ بها﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلطانٍ﴾: حُجّة وبُرهان؟ ﴿فانتَظِرُوا﴾ العذاب. ﴿إنّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ ٧١ ذلك بتكذيبكم لي. فأُرسِلتْ عليهم الريحُ العقيم.

٣- ﴿فأنجَيناهُ﴾ أي: هودًا، ﴿والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين، ﴿بِرَحمةٍ مِنّا، وقَطَعنا دابِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ أي: استأصلناهم، ﴿وما كانُوا مُؤمِنِينَ﴾ ٧٢: عطفٌ على «كذّبوا».

٤- ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى ثَمُودَ﴾، بترك الصرف مُرادًا به القبيلةُ، ﴿أخاهُم صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ، ما لَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ. قَد جاءَتكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجزة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ على صدقي. ﴿هٰذِهِ ناقةُ اللهِ، لَكُم آيةً﴾: حالٌ عاملها معنى الإشارة. وكانوا سألوه أن يُخرجها لهم من صخرة عيّنوها. ﴿فذَرُوها، تأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾: بعقر أو ضرب، ﴿فيأخُذَكُم عَذابٌ أليمٌ﴾ ٧٣. ﴿واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ﴾ في الأرض ﴿مِن بَعدِ عادٍ، وبَوَّأكُم﴾: أسكنكم ﴿في الأرضِ، تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِها قُصُورًا﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

---

(١) قالوا أي: خاطبوا بالقول جهارًا واستنكارًا. وجئتنا: أتيتنا وقصدتنا بما تدعيه. ونعبد: نقدس ونطيع. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وكان أي: وما يزال. والآباء: جمع قلة للأب يراد به الكثرة. والأب يطلق على الوالد والجد. وائتنا بما تعدنا أي: أحضر ما هددتنا به من عند ربك، وأنزله بنا. والصادق: من يقول الحق الذي لاشك فيه.

(٢) قال أي: أجابهم بعد كثير من الجدال. ومن ربكم أي: من عنده وبقضائه، لما أنتم عليه من الكفر والعصيان. والغضب: السخط وما يكون معه من إرادة للانتقام والإهانة. وتجادلون: تخاصمون وتنازعون. والأسماء: جمع اسم. وهو ما يطلق على الشيء تمييزًا له من غيره. وما نزّل أي: ما أوحى ولا أمر. والمعنى: بل أمر بترك عبادتها وبتوحيده، خلافًا لِما تزعمون. وبعبادتها أي: على عبادتها. وانتظروه: توقعوه وترقبوه، لأنه واقع فيكم لامحالة. والمنتظر: المترقب المتوقع. وذلك أي: العذاب المذكور. وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «ذلكم بتكذيبكم». والريح: الهواء الشديد الهبوب كالعواصف والزوابع. والعقيم: التي لاخير فيها وتحمل الدمار والهلاك، كانت شديدة جدًا، واستمرت ثمانية أيام فأهلكتهم. انظر الآيات ٦-٨ من سورة الحاقة.

(٣) أنجيناه: أنقذناه من الريح العقيم ومن الهلاك. والرحمة: العطف بالإحسان والإكرام. ولما نجا هود وأصحابه رحلوا إلى مكة، فعاشوا فيها موحدين حتى ماتوا، وانتشرت ذريتهم في اليمن ومصر ثم في بلاد الشام. ومنا أي: من عندنا وبإرادتنا. والدابر: الآخِر، أي: من كان من الأجيال خاتمًا لهم. فقطعُه يعني قطع ما قبله أيضًا، وهو الاستئصال الكامل. وكذبوا بآياتنا: أنكروا النصوص المقدسة التي كانت قبلهم، ودلائل التوحيد ومعجزات هود أيضًا. و«استأصلناهم» تفسير: قطعنا دابر الذين كذبوا. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله، واعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه من الطاعة والصلاح.

(٤) انظر الآية ٥٩. وثمود: قبيلة من العرب العاربة كانت منذ آلاف السنين والآلاف قبل الميلاد ومساكنها في الحِجر، بين الحجاز والشام إلى وادي القرى. وبترك الصرف يعني أن ثمود: مجرور بالفتحة عوضًا من الكسرة، ولم ينون أيضًا، لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وصالح من حفدة سام بن نوح. وهو أخو أبناء القبيلة لأن نسبه فيهم. وجاءتكم: بلغتكم ورأيتموها عِيانًا. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والناقة: الأنثى من الإبل. وإضافتها إلى لفظ الجلالة تشريف وتعظيم. وآية: علامة على صدق الرسالة. فهم بخير وسلامة، إذا لم يؤذوا الناقة. و«من صخرة» هذا قول بعض المفسرين باعتماد الأساطير الإسرائيلية. وعن الحسن البصري وآخرين أن صالحًا اختار ناقة من النوق المعروفة حينذاك. معاني القرآن وإعرابه ٢:٣٤٩-٣٥٠ والبحر ٤:٣٢٨. وقد اختلف أصحاب الأخبار والقصص في بيان عجائب هذه الناقة، وأورد الرازي في تفسيره ٤:٢٥٣ بعض ذلك، ثم قال: «اعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية. فأما ذِكرُ أنها كانت آية من أيّ الوجوه فهو غير مذكور. والعلم حاصل بأنها كانت معجزة، من وجهٍ ما لامحالة. والله أعلم». وليس من الضروري بيان حقيقة كل معجزة. انظر الآية ٨٥ وتفسير الآلوسي ٨:٢٦١-٢٦٢. وذروها: دعوها واتركوها ولاتتعرضوا لها. وتأكل أي: وتشرب وتسرح. ولاتمسوها أي: لا تقربوها بشيء من الأذى. والعقر: قطع إحدى القوائم تمهيدًا للذبح. وأو ضرب أي: وغير ذلك من الإيذاء. ويأخذكم: يصيبكم ويذهب بكم. والأليم: المؤلم. واذكروا. . . عاد: انظر الآيتين ٦٥ و٦٩. وتتخذون: تصنعون وتبنون. والسهول: جمع سهل. وهو الأرض المنبسطة اللينة. والقصور: جمع قصر. وهو البناء الواسع المحصَّن بالجدران العالية، لمنع الفقراء والأعداء والوحوش من نيله أو الدخول إليه. وتنحت: تنجر وتحفر. والجبال: جمع جبل. وهو ماعلا وصلب من الأرض. والبيوت: جمع بيت. وهو البناء للإقامة والاستقرار. والمقدرة: يعني أن بيوتًا: حال من «الجبال» على تقدير ما ستؤول إليه فيما بعد، لأنها لم تكن الجبال بيوتًا وقت النحت. والآلاء: النِّعم مفردها ألْوٌ. ولا تعثوا أي: لا تُفسِدوا.

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

تسكنونها في الصيف، ﴿**وتَنحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتًا**﴾ تسكنونها في الشتاء. ونصبُه على الحال المُقدَّرة. ﴿**فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ**﴾ ٧٤.

١- ﴿**قالَ المَلأُ الَّذِينَ استكبَرُوا مِن قومِهِ**﴾: تكبّروا عن الإيمانِ به ﴿**لِلَّذِينَ استُضعِفُوا، لِمَن آمَنَ مِنهُم**﴾ أي: من قومه، بدل ممّا قبله بإعادة الجارّ: ﴿**أتعلَمُونَ أنَّ صالِحًا مُرسَلٌ مِن رَبِّهِ**﴾ إليكم؟ ﴿**قالُوا**﴾: نعم ﴿**إنّا بما أُرسِلَ بِهِ مُؤمِنُونَ** ٧٥. **قالَ الَّذِينَ استكبَرُوا: إنّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كافِرُونَ**﴾ ٧٦.

٢- وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملّوا ذلك، ﴿**فعَقَرُوا النّاقَةَ**﴾ عقَرها قُدارٌ بأمرهم، بأن قتلها بالسيف، ﴿**وعَتَوا عَن أمرِ رَبِّهِم، وقالُوا: يا صالِحُ، ائتِنا بِما تَعِدُنا**﴾به من العذاب على قتلها، ﴿**إن كُنتَ مِنَ المُرسَلِينَ**﴾ ٧٧.

٣- ﴿**فأخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ**﴾: الزلزلةُ الشديدة من الأرض والصيحةُ من السماء، ﴿**فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ**﴾ ٧٨: باركين على الرُّكب ميّتين، ﴿**فتَوَلَّى**﴾: أعرَضَ صالح ﴿**عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغتُكُم رِسالَةَ رَبِّي، ونَصَحتُ لَكُم، ولٰكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحِينَ**﴾ ٧٩.

٤- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**لُوطًا**﴾، ويُبدل منه ﴿**إذ قالَ لِقَومِهِ: أتأتُونَ الفاحِشَةَ**﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿**ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ**﴾ ٨٠ الإنس والجنّ؟ ﴿**أإنَّكُم**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ الألف بينهما على الوجهين - ﴿**لَتَأتُونَ الرِّجالَ شَهوَةً مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ**﴾ ٨١: متجاوزون الحلالَ إلى الحرام.

---

(١) الملأ: الأشراف الذين يملؤون صدورالمجالس بأجسادهم، والقلوب بجلالتهم وهيبتهم، والعيون بجمالهم وأبهتهم. وقوم الإنسان: الجماعة التي هو منها. والإيمان: التصديق والطاعة. واستضعفوا: جعلوا من الضعفاء الأذلاء. وآمن أي: بنبوة صالح وما أرسل به، واستجاب بالطاعة والصلاح. وبدل: يعني أن الجار والمجرور «لمن»: بدل من «للذين». فهما في محل نصب. وإعادة الجار أي: ذكر حرف الجر، وهو اللام. وتعلمون: تتيقنون بإيمان وتجزمون بحق. والمرسل: المبعوث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ومن ربه أي: من عنده وبأمره. وأرسل به: بعث به من التوحيد والبعث. وبه مؤمنون أي: نحن نعلم ذلك ونصدقه ونمتثل أمره. وآمنتم أي: صدّقتم واعتقدتم جازمين. والكافر: المكذب الجاحد.

(٢) ملّوا أي: لم يحتملوا أن يكون للناقة، كلَّ يومين، يوم خاص بها تشرب فيه الماء وحدها، ولهم كلهم يوم أيضًا. انظر الآية ١٥٥ من سورة الشعراء. وعقرها: قطع إحدى قوائمها، فسقطت وتيسر له ذبحها. وقدار: ابن سالف سيد منيع في بني ثمود، وكان جزارًا مشهورًا بالفساد. ث: «قدارٌ». وتفسير العقر بالقتل تفسير للسبب بالمسبَّب. وعتوا: ترفعوا وتكبروا. والأمر: الحكم والإلزام. وائتنا به أي: أحضره وأنزله بنا. وهو أمر تعجيز واستهزاء. وتعد: تهدد وتتوعد. والمرسل: الرسول من عند الله للتبليغ والنصح والعمل.

(٣) أخذتهم: أهلكتهم عقوبة وإهانة. وأصبحوا: صاروا. و«ميتين» تأويل مستفاد من قصة هلاكهم لا من معنى جاثمين. وقال لهم أي: خاطبهم وهم مهلكون، كما خاطب الرسول ﷺ أصحاب القليب بعد بدر. وأبلغتكم: أعلمتكم. والرسالة: ما أُرسل به من التوحيد والبعث. ونصحت لكم: عرّفتكم سبيل الخير بنيّة خالصة. ولاتحبون: لاتودون فلاتطيعون. والتعبير بالمضارع حكاية للحال الماضية باستحضارها كأنها تقع الآن.

(٤) اذكر أي: لقومك ترهيبًا وحثًا على الإيمان، ولنفسك وأصحابك تسلية وتصبيرًا على ما تفعل قريش. ولوط هو ابن هارانَ أخي إبراهيم، هاجر مع عمه من بابل إلى بلاد الشام، فنزل هو في الأردن، ثم أرسله الله إلى مدينة سدوم. وهي إحدى مدائن قومه قرب حمص. ويبدل منه: يعني أن «إذ»: في محل نصب بدل من «لوطًا». ولم يقدر «أرسلنا» كما في الآيات ٦٥ و٧٣ و٨٥ لأن الإرسال هنا لم يكن وقت قوله لقومه ما قال. الفتوحات ٢:١٦١ والصاوي ٢:٨٤. وانظر الآية ٦٥. ذلك أحد أقوال المفسرين، والثاني أن لوطًا: منصوب أيضًا بتقدير: أرسلنا، كما في الآيات قبل، والجملة معطوفة على نظيرتها في الآية ٥٩، وإذ: ظرف زمان متعلق بـ «أرسل». تفسير الآلوسي ٨:٢٥١. وهذا التوجيه أولى من الأول، ليكون موافقًا لما قبله وما بعده. وأيسر منهما أن «لوطًا» معطوف على «نوحًا» في الآية ٥٩، ولا حاجة إلى التقدير. وتأتون: تفعلون وتمارسون. والفاحشة: ما عظم قبحه من الأعمال. وسبقكم: تقدمكم فيما مضى، أي: لم يلتبس بهذه الجريمة أحد قبلكم. والعالمون: جمع عالَم. وهو الجنس من الخلق. والجن أي: والبهائم أيضًا. وفي المنحة تصرف وإقحام: «إنكم وفي قراءة أئنكم ». وقول السيوطي «بتحقيق. . . على الوجهين» يعني: على تحقيق الهمزتين معًا كما أثبتنا، وعلى تحقيق الأولى وجعل الثانية بينَ بينَ: «أاِنَّكُم»؟ وزيادة ألف بينهما للتخفيف في الحالتين: «آإنّكم»؟ و«آاِنَّكُم»؟ وتأتون الرجال: تقصدون أدبارهم بالشهوة. وهي الرغبة الشديدة في التلذذ الخبيث. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من البشر. ودون أي: غير. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. والقوم: الجماعة من الرجال.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ
فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

١ - ﴿**وما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلّا أن قالُوا: أخرِجُوهُم**﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿**مِن قَريَتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ ٨٢ من أدبار الرجال. ﴿**فأنجَيناهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ، كانَتْ مِنَ الغابِرينَ**﴾ ٨٣: الباقين في العذاب، ﴿**وأمطَرْنا عليهِم مَطَرًا**﴾، هو حِجارة السِّجّيل فأهلكتهم. ﴿**فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُجرِمِينَ**﴾ ٨٤؟

٢ - ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**إلَى مَديَنَ أخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَوم، اعبُدُوا اللهَ، ما لَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ. قَد جاءَتكُم بَيِّنةٌ**﴾: مُعجزة ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ على صِدقي. ﴿**فأوفُوا**﴾: أتمُّوا ﴿**الكَيلَ والمِيزانَ، ولا تَبخَسُوا**﴾: تنقُصوا ﴿**النّاسَ أشياءَهُم، ولا تُفسِدُوا في الأرضِ**﴾ بالكُفر والمعاصي ﴿**بَعدَ إصلاحِها**﴾ ببعث الرُّسل - ﴿**ذلِكُم**﴾ المذكور ﴿**خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٨٥ مُريدي الإيمان فبادروا إليه - ﴿**ولا تَقعُدُوا بكُلِّ صِراطٍ**﴾: طريق، ﴿**تُوعِدُونَ**﴾: تُخوِّفونَ الناس بأخذ ثيابهم أو المَكس منهم، ﴿**وتَصُدُّونَ**﴾: تَصرفون ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينه ﴿**مَن آمَنَ بِهِ**﴾ بتوعّدكم إياه بالقتل، ﴿**وتَبغُونَها**﴾: تطلبون الطريق ﴿**عِوَجًا**﴾ مُعْوَجّة، ﴿**واذكُرُوا إذْ كُنتُم قَلِيلًا فكَثَّرَكُم، وانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ**﴾ ٨٦ قبلكم بتكذيبهم رسلَهم، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ ﴿**وإن كانَ طائفةٌ مِنكُم آمَنُوا بالَّذِي أُرسِلتُ بِهِ، وطائفةٌ لَم يُؤمِنُوا**﴾ به، ﴿**فاصبِرُوا**﴾: انتظروا، ﴿**حَتَّى يَحكُمَ اللهُ بَينَنا**﴾ وبينكم بِإنجاءِ المُحقِّ وإهلاك المُبطل، ﴿**وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ**﴾ ٨٧: أعدلُهم.

---

(١) في الأصل: «فما كان». انظر الآيتين ٥٦ من سورة النمل و٢٩ من سورة العنكبوت. وجواب قومه أي: ردّ المستكبرين منهم، على الإنكار والتوبيخ. يعني قول بعضهم لبعض استثارة وتهييجًا. وجواب: خبر مقدم لـ «كان». وإلّا: حرف حصر. والمصدر المؤول من «أن» وما بعدها في محل رفع اسم مؤخّر لـ «كان». والجملة معطوفة على جملة: قال. وليس المراد بهذا أنهم لم يقولوا غير ذلك، بل المراد أنه كان هو الوحيد في آخر ما قالوه. وأخرجوهم أي: اطردوهم وشرّدوهم لنتخلص منهم. والقرية: مدينتهم سدوم وما حولها من المدن. ويتطهرون: يتنزهون. وفي هذا تهكمٌ بالمؤمنين لتجنبهم الفاحشة، وافتخارٌ بما هو عليه الكافرون من القذارة. والأدبار: جمع دبر. وأنجيناه: أنقذناه من العذاب والهلاك. وأهله: من يعولهم كالمرأة والأولاد. وامرأته اسمها واهلة، نافقت وأضمرت الكفر به وبرسالته، وكانت تنقل أخباره إلى قومها الكافرين وتؤيدهم في الضلال والكفر. وآمنت ابنتاه به فكانتا ممن هاجر معه إلى فلسطين مقر عمه إبراهيم. وكانت: صارت. وأمطرنا: أرسلنا وأنزلنا. والمطر: ما يسقط من السماء. والسجيل: الآجرّ المحروق. وهو طين يطبخ بالنار ليتصلب. وانظر: تأمل وتدبر. والخطاب لكل سامع أو قارئ. والعاقبة: النهاية والمآل. والمجرمون: الذين اقترفوا جرائم الكفر والعصيان باختيار وقصد وتصميم، من قوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم.

(٢) إلى مدين... من ربكم: انظر الآيتين ٦٥ و٧٣. ومدين هنا: مدينة على شاطئ البحر الأحمر محاذية لتبوك، وهي مدينة شُعيب النبي العربي من ذرية إبراهيم العربية، أطلق عليها اسم مَدْيَنِ بن إبراهيم. ومدين هذا من زوجة عربية أُخرى لإبراهيم، كان له إخوة عرب أيضًا، انتشروا في مكة وغيرها فيما بعد. وأخاهم أي: في النسب إلى جدهم إبراهيم. ولم تُذكر معجزة شعيب ما هي؟ والكيل والميزان: انظر الآية ١٥٢ من سورة الأنعام. والناس: البشر. والأشياء: جمع شيء. وهي الحقوق والأموال فيما يكون من التعامل. ولا تفسدوا أي: لا توقعوا الفساد والشر قاصدين متعمدين. والأرض: بلادهم وماحولها. وإصلاحها: جعلها صالحة لمنافع الخلق والحياة في الدنيا والآخرة. والإشارة بـ «ذلكم» إلى ما مضى، من إيفاء الكيل والميزان وترك البخس والفساد. وخير: أكثر نفعًا وفائدة في الدارين. والمراد التفضيل بالنظر إلى ما كانوا يعتقدونه، من أن ما هم عليه فيه خير لهم. وإليه أي: إلى ما ذكر من الأمر والنهي. وتقعدوا أي: تترصدوا الناس. يعني أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس، ليؤذوهم ويسلبوا ما معهم. والمكس: الضريبة يأخذونها من التجار بغير حق. وهي هنا الإتاوة والغصب. والسبيل: الطريق الواضح لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. وآمن به: صدّقه اعتقادًا يقينيًا. وتطلبون الطريق يعني بـ «الطريق» ما فسر به قبل. وهو الصراط أي: تطلبون غير سبيل الله. وبعض عبارات التفسير مستفاد من ابن كثير، وعنده أن قطع الطريق حسّي ومعنوي. وفي التلخيص: «بكل صراط: طريق من طرق الحق... تبغونها عوجًا: تطلبون أن تكون طريق الحق معوجة». فالصراط إذًا هو سبيل الله نفسها، خلافًا لما تفيده عبارة السيوطي. ولهذا تعقبه صاحب الفتوحات ٢: ١٦٤ بوجوب بيان أن المراد هو سبيل الله لا الطريق المذكور قبل. فذاك حسي وهذا معنوي. يعني أن قوم شعيب كانوا يريدون اعوجاج سبيل الحق، ليصرفوا الناس عن الإيمان، لا اعوجاج الطريق الذي يسلكه الناس. وانظر الصاوي ٢: ٨٦. واذكروا: استحضروا في أذهانكم للاعتبار والاتعاظ. وقليلًا أي: في العدد والقوة والمال. وكثركم: جعلكم أكثر عددًا وقوة ومالًا. وانظروا أي: تأملوا وتدبروا. والمفسدون: الذين يقترفون الكفر والعصيان باختيار وقصد، أي: الذين أُهلكوا قبلهم لكفرهم. والهلاك يفسر عاقبة أمرهم. والطائفة: الجماعة. وآمنوا: صدّقوا واعتقدوا. وما أرسلت به أي: الذي بُعثت للدعوة إليه والعمل به، من العقيدة والشريعة والأحكام. واصبروا أي: تحملوا ما يكون من الخلاف وتريثوا. والأمر بالصبر خطاب للفريقين معًا، للمؤمنين بانتظار النصر، وللكافرين بترقب البلاء. ويحكم: يقضي ويفصل بأمره. و«وبينكم» هو من ابن كثير، بجعل الضمير في «بيننا» لشعيب ومَن آمن، وجعل الأمر بالصبر للكافرين وحدهم. والأَولى أن الضمير والأمر للفريقين، بناء على تفسيرنا قبل، وفي ذلك وعد للمؤمنين وتهديد للكافرين. وأعدلُهم أي: لأنه منزّه عن الجور والميل والحيف والخطأ، ولا مانع لحكمه وعدله.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

الجزء ٩ الحزب ١٧

١ - ﴿**قالَ المَلأُ الَّذينَ استكبَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ عن الإيمان: ﴿**لَنُخرِجَنَّكَ - يا شُعَيبُ - والَّذينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَريَتِنا، أو لَتَعُودُنَّ**﴾: تَرجِعُنّ ﴿**في مِلَّتِنا**﴾: دِيننا. وغَلّبوا في الخِطاب الجمعَ على الواحد، لأنّ شُعيبًا لم يكن في مِلّتهم قطُّ. وعلى نحوه أجاب، ﴿**قالَ: أ**﴾ نعود فيها، ﴿**وَلَو كُنّا كارِهِينَ**﴾ ٨٨ لها؟ استفهام إنكار. ﴿**قَدِ افترَينا على اللهِ كَذِبًا، إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُم بَعدَ إذْ نَجّانا اللهُ مِنها. وما يَكُونُ**﴾: ينبغي ﴿**لَنا أن نَعُودَ فِيها، إلّا أن يَشاءَ اللهُ رَبُّنا**﴾ ذلك فيَخذُلَنا. ﴿**وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيءٍ عِلمًا**﴾ أي: وسع علمُه كُلَّ شيء، ومنه حالي وحالكم. ﴿**على اللهِ تَوَكَّلنا. رَبَّنا، افتَحْ**﴾: احكم ﴿**بَينَنا وبَينَ قَومِنا بالحَقِّ، وأنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ**﴾ ٨٩: الحاكمين.

٢ - ﴿**وقالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**لَئِنِ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**اتَّبَعْتُم شُعَيبًا إنَّكُم إذًا لَخاسِرُونَ**﴾ ٩٠. ﴿**فأخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾: الزلزلة الشديدة، ﴿**فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ**﴾ ٩١: باركين على الركب ميّتين. ﴿**الَّذينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا**﴾: مبتدأ خبرُه ﴿**كأنْ**﴾ - مُخفّفةٌ واسمها محذوف - أي: كأنّهم ﴿**لَم يَغنَوا**﴾: يُقيموا ﴿**فِيها**﴾: في ديارهم. ﴿**الَّذينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ**﴾ ٩٢. التأكيد بإعادة الموصولِ وغيرِه للردّ عليهم في قولهم السابق.

٣ - ﴿**فتَوَلَّى**﴾: أعرَضَ ﴿**عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغتُكُم رِسالاتِ رَبِّي، ونَصَحْتُ لَكُم**﴾ فلم تُؤمنوا. ﴿**فكَيفَ آسَى**﴾: أحزنُ ﴿**على قَومٍ كافِرِينَ**﴾ ٩٣؟ استفهام بمعنى النفي.

٤ - ﴿**وما أرسَلنا في قَريَةٍ مِن نَبِيٍّ**﴾ فكذّبوه، ﴿**إلّا أخَذْنا**﴾: عاقبنا ﴿**أهلَها بالبأساءِ**﴾: شِدّةِ الفقر ﴿**والضَّرّاءِ**﴾: المرضِ، ﴿**لَعَلَّهُم يَضَّرَّعُونَ**﴾ ٩٤: يتذلّلون فيُؤمنون. ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنا**﴾: أعطيناهم ﴿**مَكانَ السَّيِّئَةِ**﴾: العذابِ ﴿**الحَسَنَةَ**﴾: الغِنى والصحّةَ، ﴿**حَتَّى عَفَوا**﴾: كثُروا، ﴿**وقالُوا**﴾ كُفرًا للنعمة: ﴿**قَد مَسَّ آباءَنا الضَّرّاءُ والسَّرّاءُ**﴾ كما مسّنا. وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه. قال تعالى: ﴿**فأخَذْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجأة، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ ٩٥ بوقت مجيئه قبله.

---

(١) قال... من قومه: انظر الآية ٧٥. ونخرج: نطرد ونشرّد. والقرية هي مَدْيَن، بناها مدين بن إبراهيم فسميت باسمه. وقط أي: فيما مضى من الزمان. يعني أن المؤمنين بشعيب كانوا قبل ذلك في ملة الكافرين، فجاء الخطاب لهم مع شعيب، بتغليب ضمير الجماعة على المفرد، وليس المقصود أن شعيبًا كان على ملة الكفر قبل، ليراد منه العودة إليها. وعلى نحوه أي: على نحو التغليب المذكور في كلام الكافرين، جاء جوابه بتغليب الجماعة على المفرد. و«فيها» كذا من الوجيز والتلخيص، بجعل الإنكار للعودة فقط، مع أن ذلك للعودة أو الإخراج. وكارهين لها أي: مبغضين ملتكم لانرضاها. والكره هنا للأمرين أيضًا: العودة إلى الكفر، والخروج من الديار. وافترينا: كذبنا. والكذب: الباطل المخالف للواقع. وعدنا: رجعنا. ونجانا: أنقذنا وهدانا. ويشاء أي: يريد عودتنا فيها. والرب: الخالق المالك والمعبود. ويخذلنا أي: يتخلى عن عوننا وتثبيتنا. ووسعه: أحاط به وحواه مجملًا ومفصلًا. والعلم: الإحاطة بحقيقة الأشياء. وعلى الله توكلنا أي: استسلمنا إليه واعتمدنا عليه وحده. وقومنا أي: الذين كفروا. والحق: العدل الثابت لاشك فيه. وخير: أفضل وأعدل. (٢) قال الملأ: انظر الآية ٧٥. و«لام قسم» الصواب أن اللام موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: واللهِ - لئن اتبعتم شعيبًا فإنكم إذًا لخاسرون - إنكم إذًا لخاسرون. واتبعتم شعيبًا: آمنتم به وعملتم ما يريد. وخاسرون أي: مغبونون ومضيعون أموالكم بتوفية الكيل والميزان وترك البخس. وأخذتهم: نزلت بهم وأهلكتهم. وأصبحوا: صاروا. انظر الآية ٧٨. وكذبوه: أنكروا ما دعا إليه. ومبتدأ خبره: يعني أن الاسم الموصول «الذين»: في محل رفع مبتدأ، خبره الجملة: كأن لم يَغنَوا فيها. وقولهم السابق يعني: ما جاء عنهم في الآية ٩٠، حيث زعموا أن المؤمنين سيخسرون، فكان الرد عليهم أن الخاسرين هم لا المؤمنون. (٣) تولى... ونصحت لكم: انظر الآية ٧٩. وبمعنى النفي يعني أن الاستفهام بـ «كيف» معناه الإنكار الإبطالي، أي: محالٌ أن آسَى على الذين كفروا بآيات الله وجحدوها، وأصرّوا على الآثام. (٤) في الآية إجمال لما فُصّل في الآيات ٥٩-٩٣ من أحوال الأمم المكذبة للرسل، مع التعميم بالإشارة إلى ما لم يذكر من ذلك. وفي هذا تهديد لأهل مكة وأمثالهم، وتسلية للمؤمنين بأن النصر لهم. وأرسله: بعثه مكلفًا بالتبليغ والدعوة مع التبشير والإنذار ووجوب العمل. والقرية: البلدة العامرة بالسكان. والنبي: من بعث وكلف بالدعوة والعمل. وأهل القرية: أصحابها المقيمون فيها. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «يتذللون فيؤمنوا». وبدلنا: غيّرنا، أي: جعلنا شيئًا مكان آخر للابتلاء والاختبار. و«أعطيناهم» من التلخيص والبيضاوي، وهو حلّ للمعنى، لاتفسير لغوي يوجّه الإعراب ولا بيان لتضمين، خلافًا لما تأثره الآلوسي في تفسيره ٩: ١٤، ولما ورد في الآية ٥٦ من سورة النساء. والسيئة: ما يسوء ويؤذي من المصائب. والحسنة: ما يُستحسن من النعم. وكثروا أي: عددًا وغنى وقوة. وقالوا أي: بعضهم لبعض تبجحًا بالقول جهارًا. وكفرًا للنعمة أي: ومكابرة وتكذيبًا للأنبياء. ومسهم أي: أصابهم ونزل بهم. والآباء: جمع أب. وهو يطلق على الوالد والجد. وهذه عادة الدهر: يعني أنهم لم يتعظوا بما كان لهم ولآبائهم من الابتلاء والاختبار، وأصرّوا على العصيان. وأخذناهم: عاقبناهم بالفناء. ولايشعرون: لايحسون. فنفيُ الشعور يعني أنهم أحط من الحيوان الذي يشعر بما حوله، فيتجنب الضرر. وبوقت مجيئه أي: لايعرفون وقت حلول العذاب قبل ذلك، لانهماكهم في الكفر والعصيان والمكابرة.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

١- ﴿**ولو أنَّ أهلَ القُرَى**﴾ المُكذِّبين ﴿**آمَنوا**﴾ بالله ورُسلهم، ﴿**واتَّقَوا**﴾ الكُفرَ والمعاصي، ﴿**لَفَتَحْنا**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**عليهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ**﴾ بالمطر ﴿**والأرضِ**﴾ بالنبات، ﴿**ولٰكِنْ كَذَّبُوا**﴾ الرُّسلَ، ﴿**فأخَذْناهُم**﴾: عاقبناهم ﴿**بما كانُوا يَكسِبُونَ ٩٦. أفأمِنَ أهلُ القُرَى**﴾ المكذّبون ﴿**أن يأتِيَهُم بأسُنا**﴾: عذابنا ﴿**بَياتًا**﴾: ليلًا، ﴿**وهُم نائمُونَ**﴾ ٩٧ غافلون عنه؟ ﴿**أوَأمِنَ أهلُ القُرَى أن يأتِيَهُم بأسُنا ضُحًى**﴾: نهارًا، ﴿**وهُم يَلعَبُونَ ٩٨؟ أفأمِنُوا مَكرَ اللهِ**﴾: استدراجَه إيّاهم بالنعمة وأخذَهم بغتةً؟ ﴿**فلا يأمَنُ مَكرَ اللهِ إلّا القومُ الخاسِرُونَ**﴾ ٩٩.

٢- ﴿**أوَلَم يَهْدِ**﴾: يتبيَّنْ ﴿**لِلَّذينَ يَرِثُونَ الأرضَ**﴾ بالسُّكنى، ﴿**مِن بَعدِ**﴾ هلاكِ ﴿**أهلِها، أنْ**﴾ - فاعلٌ مُخفّفة واسمها محذوف - أي: أنه ﴿**لَو نَشاءُ أصَبْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**بِذُنُوبِهِم**﴾، كما أصبنا مَن قبلهم؟ والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف. وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأوّل عطفًا بـ «أوْ». ﴿**و**﴾ نحن ﴿**نَطبَعُ**﴾: نَختِمُ ﴿**على قُلُوبِهِم، فهُم لا يَسمَعُونَ**﴾ ١٠٠ الموعظةَ سماعَ تدبُّر.

٣- ﴿**تِلكَ القُرَى**﴾ التي مرَّ ذِكرها ﴿**نَقُصُّ علَيكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**مِن أنبائها**﴾: أخبارِ أهلها. ﴿**ولَقَد جاءَتهُم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات الظاهرات، ﴿**فما كانُوا لِيُؤمِنُوا**﴾ عِند مجيئهم ﴿**بما كَذَّبُوا**﴾: كفروا به ﴿**مِن قَبلُ**﴾ قبلِ مجيئهم، بل استمرّوا على الكُفر. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ الطبع ﴿**يَطبَعُ اللهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ ١٠١. وما وَجَدْنا لِأكثَرِهِم**﴾ أي: أكثر الناس ﴿**مِن عَهدٍ**﴾ أي: وفاءٍ بعهدهم يوم أخذِ الميثاق، ﴿**وإنْ**﴾ - مُخفّفةٌ - ﴿**وَجَدْنا أكثَرَهُم لَفاسِقِينَ**﴾ ١٠٢.

٤- ﴿**ثُمَّ بَعَثْنا، مِن بَعدِهِم**﴾ أي: الرُّسلِ المذكورين، ﴿**مُوسَى بآياتِنا**﴾ التسع ﴿**إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ**﴾: قومِه، ﴿**فظَلَمُوا**﴾: كفروا ﴿**بِها. فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ**﴾ ١٠٣ بالكفر، من إهلاكهم؟ ﴿**وقالَ مُوسَى: يا فِرعَونُ، إنِّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ١٠٤ إليك. فكذّبه، فقال: أنا ﴿**حَقِيقٌ**﴾: جدير ﴿**علَى أن**﴾ أي: بأن ﴿**لا أقُولَ علَى اللهِ إلّا الحَقَّ**﴾. وفي قراءة بتشديد الياء - فحقيق: مبتدأ خبره «أن» وما بعده - ﴿**قد جِئتُكم**

---

(١) أهل القرى: أصحابُ المدن المذكورون في الآية ٩٤. والقرى: جمع قرية. واتقوا: تجنّبوا. وفتحناها: وسّعناها فأقبلت وتنزّلت. وبالتشديد يريد القراءة «لَفَتَّحْنا». والبركة: ثبوت الخير الإلٰهي. وهذا يشمل المطر والنبات وغيرهما من النعم. والسماء: السحاب وما حوله من عوالم علوية. وكذبوه: أنكروا ما دعاهم إليه. ويكسبون أي: يقترفونه من الكفر والعصيان. وأمن: اطمأن ولم يخف. ويأتيهم: ينزل بهم. والنائم: من اضطجع ونعس. وسقط «عنه» من خ. والضحى: وقت ارتفاع الشمس. ويلعبون: يتلهون بما يضرهم ولاينفعهم. والمكر: الاحتيال والخديعة، كما يليق بصفات الألوهية، لإيصال الضرر إلى العدو بطريق خفي. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والخاسرون: الذين أهلكوا أنفسهم بالكفر والعصيان، فوقعوا في خسران الدنيا والآخرة. (٢) يتبيّن: يظهر ويتضح. خ: «يُبيِّن». ويرثون الأرض أي: يَخلفون من هلك ويرثون ديارهم. وفاعل: يعنى أن المصدر المؤول من «أنْ» واسمها وخبرها: في محل رفع فاعل للفعل «يهد»، أي: ألم يتبين إصابتُنا لهم بالعذاب لو شئنا ذلك. ومحذوف أي: ضمير الشأن والموضوع. ونشاء: نريد إصابتهم بالعذاب. وأصبناهم: أنزلنا بهم وأهلكناهم. وبذنوبهم أي: بسببها. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية التي تقتضي العقوبة. والمواضع الأربعة هي أوائل الآيات ٩٧-١٠٠. والداخلةُ عليهما يعني: «الداخلةُ الهمزُة عليهما» أي: على الفاء والواو. وعطفًا بـ«أو» يعني أول الموضعين اللذين فيهما الواو بعد الهمزة، يريد القراءة «أوْ أمِنَ» في أول الآية ٩٨. ونطبع عليها أي: نغلقها ونسد عليها المنافذ، لأنها امتلأت مكابرة. ولايسمع أي: لايدرك المسموعات. والقلوب: جمع قلب. والمراد بالموعظة ما جاءهم من أخبار الأقوام المُهلَكة، فهم لايسمعونها كما يجب، فضلًا عن التدبر والتفكر فيها والاتعاظ بها. (٣) المراد بالقرى أهلها ومن كان فيها. ونقص: نتلو ونفصّل. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. وجاءتهم بالبينات: أتتهم بها وأحضرتها عِيانًا. والرسل: جمع رسول. ويؤمنوا أي: يصدقوا ويقرّوا يقينًا. والمراد بـ «مجيئهم» في الموضعين: مجيء الرسل بالمعجزات. والكافرون: المكذبون للتوحيد والرسل والآيات بإصرار وعناد. ووجد: لقي وصادف. والمراد بالعهد: ما عهد الله - تعالى - إلى الناس من الإيمان والتقوى، بنصب الدلائل والحجج وإنزال الآيات. و«أخذ الميثاق» يشير إلى ما سيرد في الآية ١٧٢، وهو مذهب بعض المفسرين. ووجدنا أي: علمنا. والفاسقون: الخارجون عن الطاعة . (٤) بعثنا: أرسلنا للدعوة والعمل. والآيات: المعجزات. والتسع: انظر الآية ١٠١ من سورة الإسراء. والملأ: السادة الذين يملؤون صدور المجالس بأجسادهم، والعيون بجمالهم وهيئاتهم والقلوب بمهابتهم، ويتمالؤون بما لامزيد عليه من المكر والفساد. وظلم: وضعَ الشيء في غير موضعه. والكفر أشنع ذلك وأقبحه. وانظر أي: تأمل وتدبر. والعاقبة: النهاية. والمفسد: الذي يسبب الفساد والشر لنفسه ولغيره. ومنه أي: من عنده بتكليف منه. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. و«فقال» أي: موسى لفرعون. وبتشديد الياء يريد القراءة: «عَلَيَّ». ومعنى «حقيق» على هذه القراءة: واجب ثابت. وعلى الله أي: عنه تعالى. والحق: الصدق الذي لا شك فيه. وجئتكم: أحضرت لكم. والبينة: المعجزة المؤيدة للرسالة. وأرسلهم أي: أطلق سبيلهم ودعهم يذهبون. والشام أي: الأرض المقدسة من بلاد الشام. وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق. وبنوه أي: ذريته من سلالة أبنائه. واستعبدهم أي: عاملهم معاملة العبيد .

الجزء التاسع سورة الأعراف

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُم. فأرسِلْ مَعِي ﴾ إلى الشام ﴿**بَني إسرائيلَ**﴾ ١٠٥. وكان استعبدهم.

١- ﴿**قالَ**﴾ فرعون له: ﴿**إن كُنتَ جِئتَ بِآيةٍ**﴾ على دعواك ﴿**فائْتِ بِها، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ١٠٦ فيها. ﴿**فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ**﴾ ١٠٧: حيّة عظيمة، ﴿**ونَزَعَ يَدَهُ**﴾: أخرجها من جيبه، ﴿**فإذا هِيَ بيضاءُ**﴾ ذات شُعاع ﴿**لِلنّاظِرِينَ**﴾ ١٠٨، خلافُ ما كانت عليه من الأُدمة.

٢- ﴿**قالَ المَلأُ مِن قَومِ فِرعَونَ: إنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ**﴾ ١٠٩: فائق في عِلم السِّحر - وفي «الشعراء» أنه من قول فرعون نفسه، فكأنّهم قالوه معه على سبيل التشاور - ﴿**يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم. فماذا تأمُرُونَ**﴾ ١١٠؟ **قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ**﴾: أخِّرْ أمرهما، ﴿**وأرسِلْ في المَدائنِ حاشِرِينَ**﴾ ١١١: جامعين، ﴿**يأتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ**﴾ - وفي قراءة «سَحّارٍ» - ﴿**عَلِيمٍ**﴾ ١١٢ يفضُلُ موسى في عِلم السِّحر.

٣- فجمعوا، ﴿**وجاءَ السَّحَرةُ فِرعَونَ، قالُوا: أإنَّ**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿**لَنا لَأَجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ**﴾ ١١٣؟ **قالَ: نَعَمْ، وإنَّكُم لَمِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾ ١١٤.

ربع الحزب ١٧

٤- ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، إمّا أن تُلقِيَ**﴾ عصاك، ﴿**وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ**﴾ ١١٥ ما معنا. ﴿**قالَ: ألقُوا**﴾. أمَرَ للإذن بتقديم إلقائهم توسُّلًا به إلى إظهار الحقّ. ﴿**فلَمّا ألقَوا**﴾ حِبالهم وعصيّهم ﴿**سَحَرُوا أعيُنَ النّاسِ**﴾: صرفوها عن حقيقة إدراكها، ﴿**واستَرهَبُوهُم**﴾: خوّفوهم حيثُ خَيّلوها حيّاتٍ تسعى، ﴿**وجاؤُوا بِسِحرٍ عَظِيمٍ**﴾ ١١٦.

٥- ﴿**وأَوحَينا إلَى مُوسَى: أن أَلقِ عَصاكَ. فإذا هِيَ تَلقَّفُ**﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل: تبتلعُ ﴿**ما يأفِكُونَ**﴾ ١١٧: يقلِبون بتمويههم، ﴿**فوَقَعَ الحَقُّ**﴾: ثَبَتَ وظهر، ﴿**وبَطَلَ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١١٨ من السِّحر، ﴿**فغُلِبُوا**﴾ أي: فرعونُ وقومه ﴿**هُنالِكَ، وانقَلَبُوا صاغِرِينَ**﴾ ١١٩: صاروا ذليلين، ﴿**وأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ ١٢٠، قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ ١٢١، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾ ١٢٢. لِعلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

---

(١) جئت بآية أي: حملت وأحضرت دليلًا وبرهانًا. وائت بها أي: أظهرها لتصح دعواك ويثبت صدقك. والصادق: من يقول الحق لاشك فيه. وألقاها: رماها من يده إلى الأرض. والعصا: ما يتخذ من الخشب وغيره للتوكؤ أو الضرب. و«حية عظيمة» تفسير للثعبان. والمبين: الظاهر للعِيان لايُشك في أنه ثعبان. ونزعها أي: بعد ما جعلها تحت إبطه الأيسر. ويده أي: كفه اليمنى. والجيب: طوق القميص. وهو ما يدخل منه الرأس عند لبسه. وبيضاء أي: ذات لون أبيض. والناظر: المبصر بعينه. والأدمة: السُّمرة. وكان موسى شديد السُّمرة.

(٢) قوم فرعون هم الأقباط العرب الذين يعبدونه ويعينونه على بني إسرائيل. والساحر: من يخدع أبصار الناس وعقولهم، بالتخييل والتمويه لما هو غير حقيقي. والشعراء: يعني الآية ٣٤ من سورة الشعراء. و«أنه» يعني القول «إن هذا لساحر عليم». ويريد: يقصد ويطلب. ويخرجكم: يبعدكم لتكون له السيادة ولقومه. وأرضكم أي: أرض مصر. أي: يريد أن يجعل لبني إسرائيل سلطانًا، يا أيها الأقباط. وتأمرون أي: تشيرون علينا في شأنه. وفي هذا تلطف لاستمالة القلوب أكثر. وفي ث وقرة العينين والمنحة: «أرجِه». وأخّر أمرهما أي: أجّل الحكم في شأنهما. وأرسل: ابعث. والمدائن: مُدن المملكة جمع مدينة. وجامعين أي: الذين يجمعون السحرة والناس. ويأتوك به أي: يحضروه إلى مجلسك. والعليم: الخبير بخفايا الأمور ودقائقها.

(٣) جمعوا أي: جمع الحاشرون السحرةَ. وجاؤوه أي: حضروا مجلسه. والسحرة: جمع ساحر. و«بتحقيق... على الوجهين» يريد ثلاث قراءات، بالإضافة إلى ما أثبتنا: «أإِنّ» و«آإِنّ» و«آاِنّ». والأجر: المكافأة بالمال والجاه والسلطان. وكنا أي: صرنا. والغالبين أي: المتغلبين على موسى في السحر وإبطال ما يأتي به. ومن المقربين يعني: ولكم المنزلة الرفيعة عندي، زيادة على الأجر.

(٤) تلقيها: ترميها إلى الأرض لتصنع ما تريد. وألقُوا أي: ارموا ما معكم. وإظهار الحق أي: القصد بتقديم إلقائهم هو إلى تغلب الحق على الباطل. والحبال: جمع حبل. والعصي: جمع عصا. والأعين: جمع عين. وهي عضو الإبصار. والناس أي: البشر في ذلك المكان، وهو موضع احتفال بعِيد لهم. و«عن حقيقة إدراكها» يعني: عن إدراك حقيقتها. وجاؤوا به: فعلوه. والسحر: تخييل في الأشياء لِعين الرائي وإدراكه، مع أن الأشياء المرئية هي على حقيقتها لم تتغير. والعظيم: الكبير الضخم في فنه وأثره.

(٥) أوحينا أي: أنزلنا الأمر على لسان جبريل. والحق: الأمر الذي لا شك فيه. وبطل: ظهر فساده. ويعمل أي: يصطنع ويموّه بخبرة ومهارة. وغلبوا: خسروا وقهروا. وهنالك: في مكان اجتماعهم. وألقي السحرة: خروا على وجوههم مذعنين لِما بهرهم، من صدق موسى وبطلان سحرهم. والسحرة: جمع ساحر. والساجد: من يحني ظهره ويضع جبهته على الأرض خضوعًا وتعظيمًا. وآمنا: صدّقنا واعتقدنا يقينًا. والرب: المالك والمعبود. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالعالمون كل الخلائق. وهارون: أخو موسى، وكان رسولًا معه. ولا يتأتى بالسحر أي: لايتيسر ولايمكن حدوثه بالسحر، وهو معجزة من عند الله، تعالى.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١- ﴿**قالَ فِرعَونُ: آَمَنتُمْ**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا - ﴿**بِهِ**﴾: بمُوسى، ﴿**قَبلَ أن آذَنَ**﴾ أنا ﴿**لَكُم؟ إنَّ هٰذا**﴾ الذي صنعتموه ﴿**لَمَكرٌ، مَكَرتُمُوهُ في المَدِينةِ، لِتُخرِجُوا مِنها أهلَها. فَسَوفَ تَعلَمُونَ**﴾ ١٢٣ ما ينالكم منّي. ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وأَرجُلَكُم، مِن خِلافٍ**﴾ أي: يدَ كُلّ واحد اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿**ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ**﴾ ١٢٤.

٢- ﴿**قالُوا: إنّا إلَى رَبِّنا**﴾ بعد موتنا، بأيّ وجه كان، ﴿**مُنقَلِبُونَ**﴾ ١٢٥: راجعون في الآخِرة، ﴿**وما تَنقِمُ**﴾: تُنكر ﴿**مِنّا إلّا أن آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا، لَمّا جاءَتنا. رَبَّنا، أفرِغْ عَلَينا صَبْرًا**﴾ عِند فِعلِ ما توعَّدَه بنا، لئلّا نرجع كُفّارًا، ﴿**وتَوَفَّنا مُسلِمِينَ**﴾ ١٢٦.

٣- ﴿**وقالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ**﴾ له: ﴿**أتَذَرُ**﴾: تتركُ ﴿**مُوسَى وقَومَهُ، لِيُفسِدُوا في الأرضِ**﴾ بالدُّعاء إلى مُخالفتك، ﴿**ويَذَرَكَ وآلِهتَكَ**﴾؟ وكان صنع لهم أصنامًا صِغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربّكم وربّها. ولذا قال «أنا رَبُّكُمُ الأعلى». ﴿**قالَ: سَنُقَتِّلُ**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**أبناءَهُم**﴾ المولودين، ﴿**ونَستَحْيِي**﴾: نستبقي ﴿**نِساءَهُم**﴾ كفِعلنا بهم من قبلُ. ﴿**وإنّا فَوقَهُم قاهِرُونَ**﴾ ١٢٧: قادرون. ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل.

٤- ﴿**قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: استَعِينُوا بِاللهِ واصبِرُوا**﴾ على أذاهم. ﴿**إنَّ الأرضَ لِلهِ يُورِثُها**﴾: يُعطيها ﴿**مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، والعاقِبةُ**﴾ المحمودة ﴿**لِلمُتَّقِينَ**﴾ ١٢٨ اللهَ. ﴿**قالُوا: أُوذِينا مِن قَبلِ أن تأتِيَنا، ومِن بَعدِ ما جِئتَنا. قالَ: عَسَى رَبُّكُم أن يُهلِكَ عَدُوَّكُم، ويَستَخلِفَكُم في الأرضِ، فيَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ**﴾ ١٢٩ فيها؟

٥- ﴿**ولَقَد أخَذْنا آلَ فِرعَونَ بِالسِّنِينَ**﴾: بالقحط، ﴿**ونَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ**﴾ ١٣٠ يتّعظون فيُؤمنون، ﴿**فإذا جاءَتهُمُ الحَسَنةُ**﴾:

---

(١) قال أي: للسحرة. وآمنتم به أي: صدقتموه واعتقدتم ما يدعو إليه. وقول السيوطي «بتحقيق... ألفًا» يريد قراءتين: الأولى هي ما أثبتنا، والثانية: «آمَنتُم». مع تقدير المدة بألفين لأنها مبدلة من همزتين: الهمزة المزيدة على الفعل، والهمزة التي هي فاء الفعل أصلًا. فليس المراد قراءة واحدة، أو أن الثانية للخبر بهمزة بعدها ألف، خلافًا لما جاء في الفتوحات ٢:١٧٧ و٣:١٠١ و٢٧٨ والصاوي ٢:٩١ وقرة العينين ص ٢١١. انظر «المفصل». وهمزة الاستفهام معناها الإنكار التوبيخي وتقريع السحرة على استسلامهم للحق. وآذن لكم أي: أسمح لكم وآمُركم. والمكر: الحيلة والخداع. ومكرتموه أي: احتلتموه أنتم وموسى وتواطأتم عليه. والمدينة هنا هي مصر، أي: لتخرجوا الأقباط ويستبد بها بنو إسرائيل. فهو يموه على الناس لئلّا يتبعوا موسى والسحرة. وأهلها أي: أصحابها الأصليون، وهم العرب الأقباط. وسوف تعلمون: تهديد ووعيد، أي: سوف ترون. وأقطعها: أفصلها عن الجسد. والأيدي: جمع يد. واليد: من المنكب إلى أطراف الأصابع. والأرجل جمع رِجل. وهي من أصل الفخذ إلى أطراف أصابع القدم. ومن خلاف أي: مختلفة. وأصلبنكم: أجعلنكم مصلوبين في جذوع النخل. والصَّلب هو شدّ صُلب الإنسان، أي: ظهره، إلى الخشب أو غيره بحبال ومسامير. وأجمعين أي: كلكم مجتمعين لايتخلف منكم أحد.

(٢) إلى ربنا أي: إلى لقاء موعده بالحشر والحساب. ومنّا أي: من أحوالنا. وآمنا بها: صدّقناها تصديق يقين. والآيات: المعجزات الدالة على صدق موسى. وجاءتنا: أتتنا ورأيناها عِيانًا. وأفرغ علينا صبرًا: ارزقنا إياه واسعًا يفيض علينا. والصبر: التحمل والتجلد. وما توعّده بنا يعني: ماتَوعّدَنا به. ففي العبارة قلب للتركيب. وفي قرة العينين والمنحة والمطبوعات: «ما توعدنا به». ومسلمين أي: أمِتْنا ثابتين على الاستسلام لك.

(٣) انظر الآية ١٠٩. وقوم موسى: مَن آمن به من بني إسرائيل. ويفسدوا أي: يشيعوا الفساد والشر. والأرض أي: مصر. ويذرك أي: يتركَ موسى وقومُه عبادتك ويعبدوا غيرك. وأسند هذا الترك إلى موسى، مع أنه لم يكن يعبد فرعون قبل، لأنه هو سببه. والآلهة: جمع إلٰه. والمراد بالأصنام ماجعله على شكل الكواكب والبقر، ليعبدها الناس. و«لذا قال» انظر الآية ٢٤ من سورة النازعات. ونقتلهم: نزهق أرواحهم. وبالتخفيف يريد القراءة: «سَنَقْتُلُ». والأبناء: جمع ابن. وهو الولد الذكر والحفيد. والنساء: واحدته امرأة. وهي الأنثى صغيرة كانت أو كبيرة. و«كفعلنا»: انظر الآية ٤٩ من سورة البقرة. وفوقهم أي: مستعلون عليهم مسيطرون. وشكا أي: إلى موسى.

(٤) استعينوا: اطلبوا العون والنصرة. واصبروا أي: تجلدوا وتحملوا. ويشاء أي: يريد إعطاءه إياها وتمليكه. والعباد: جمع عبد. والعاقبة: نهاية الأمر. والمتقون: الذين يخافون ويطيعون الأمر والنهي. وأوذينا: ابتلينا بالذبح والتعذيب والاستخدام. وتأتينا أي: تجيء إلينا بالرسالة. وعدوكم: معاديكم. ويستخلفكم: يجعلكم خلفاءهم فيملككم بلادهم وأموالهم. وينظر: يرى رؤية تحقق وحدوث. والمراد هنا بالنظر إظهار أعمالهم، لأن الله يحاسب الناس عليها، لا على ما يعلم منهم فحسب. وتعملون أي: تكتسبون من نية وقول وفعل.

(٥) أخذنا: ابتلينا وعذبنا. وآل فرعون: قومه وأنصاره. والسنون: جمع سنة. وهي الجدبُ واحتباس المطر. والنقص: التقليل بالآفات والكوارث. والثمرة: ما ينعقد عن الزهر للغذاء. ولعلّ: للترجي والتعليل أي: ليُترجَّى لهم تذكر قدرة الله ونعمه. وجاءتهم: كانت في بلادهم. والحسنة: ما يستحسن من النعم والخير. وتصبهم: تنزل بهم. والسيئة: ما يسوء ويؤذي. وشؤمهم أي: ما تشاءموا به ولحقهم من السوء. وعند الله أي: إرادتُه وحكمته وأعمالهم المكتوبة عنده هي سبب شؤمهم وابتلائهم، لا وجود المؤمنين بينهم. ويعلم: يدرك ويعرف. ونفي العلم يعني إثبات الجهل مؤكدًا.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

الخِصب والغِنى ﴿**قالوا: لنا هٰذِهِ**﴾ أي: نستحقّها - ولم يشكروا عليها - ﴿**وإن تُصِبْهُم سَيِّئةٌ**﴾: جدب وبلاء ﴿**يَطَّيَّرُوا**﴾: يتشاءموا ﴿**بِمُوسَى ومَن مَعَهُ**﴾ من المُؤمنين. ﴿**ألا إنّما طائرُهُم**﴾: شُؤمهم ﴿**عِندَ اللهِ**﴾، يأتيهم به، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٣١ أنّ ما يُصيبهم من عِنده.

١- ﴿**وقالُوا**﴾ لمُوسى: ﴿**مَهما تأتِنا بِهِ مِن آيَةٍ، لِتَسحَرَنا بِها، فما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ**﴾ ١٣٢. فدعا عليهم، ﴿**فأرسَلْنا عَلَيهِم الطُّوفانَ**﴾، وهو ماء دخل بُيوتهم ووصل إلى حُلوق الجالسين سبعةَ أيّام، ﴿**والجَرادَ**﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك، ﴿**والقُمَّلَ**﴾: السُّوسُ أو نوعٌ من القُراد فتتبّع ما تركه الجراد، ﴿**والضَّفادِعَ**﴾ فملأت بُيوتهم وطعامهم، ﴿**والدَّمَ**﴾ في مِياههم، ﴿**آياتٍ مُفَصَّلاتٍ**﴾: مُبيَّنات، ﴿**فاستَكبَرُوا**﴾ عن الإيمان بها، ﴿**وكانُوا قومًا مُجرِمِينَ**﴾ ١٣٣.

٢- ﴿**ولَمّا وَقَعَ عَلَيهِم الرِّجزُ**﴾: العذاب ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، ادعُ لَنا ربَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ**﴾، من كشف العذاب عنّا إن آمنا، ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**كَشَفْتَ عَنّا الرّجزَ لَنُؤمِنَنَّ لَكَ، ولَنُرسِلَنَّ مَعَكَ بَني إسرائيلَ**﴾ ١٣٤. ﴿**فلَمّا كَشَفْنا**﴾ بدعاء مُوسى ﴿**عَنهُمُ الرِّجزَ، إلَى أجَلٍ هُم بالِغُوهُ، إذا هُم يَنكُثُونَ**﴾ ١٣٥: ينقضون عهدهم، ويُصرّون على كُفرهم.

٣- ﴿**فانتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم في اليَمِّ**﴾: البحر المِلح، ﴿**بِأنَّهُم**﴾: بسبب أنهم ﴿**كَذَّبُوا بِآياتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ**﴾ ١٣٦: لا يتدبّرونها، ﴿**وأورَثْنا القَومَ الَّذِينَ كانُوا يُستَضعَفُونَ**﴾ بالاستعباد - وهم بنو إسرائيل - ﴿**مَشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها الَّتي بارَكْنا فِيها**﴾ بالماء والشجر - صفة للأرض وهي الشام - ﴿**وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ الحُسنَى**﴾، وهي قوله «ونُريدُ أن نَمُنَّ على الَّذينَ استُضعِفُوا» إلى آخره، ﴿**عَلَى بَني إسرائيلَ بِما صَبَرُوا**﴾ على أذى عدوّهم، ﴿**ودَمَّرْنا**﴾: أهلكنا ﴿**ما كانَ يَصنَعُ فِرعَونُ وقَومُهُ**﴾ من العَمارة، ﴿**وما كانُوا يَعرِشُونَ**﴾ ١٣٧، بكسر الراء وضمّها: يرفعون من البُنيان.

---

(١) تأتينا به: تحضره وترينا إياه عِيانًا. والآية: المعجزة على زعمك. وفي ذلك سخرية واستهزاء به. ولذلك عللوا الإتيان بقولهم: لتسحرنا، أي: تخدع أبصارنا وعقولنا بما هو غير حقيقي. فهم يزعمون أن المعجزات ضرب من السحر والإيهام. ومؤمنون: مصدقون ومتبعون. وأرسلناه: أطلقناه وبعثناه. والطوفان: الماء الكثير الغامر. وسبعة أيام أي: استمر في تلك المدة وتتابع. والجراد: واحدته جرادة للذكر والأنثى. وكذلك القمل واحدته قمّلة. وهو من الحشرات يأكل السنابل غضة. والسوس: نوع من الحشرات يأكل مايعيش فيه. والقراد: دُوَيْبّة ذات أرجل كثيرة تتعلق بالحيوان. و«فتتبع ما تركه الجراد» تفسير للسوس لا للقراد. والضفادع: جمع ضِفدَع للذكر والأنثى، حيوان برْمائيّ له نقيق مشهور. والدم: السائل الأحمر الذي يسري في عروق الحيوان. قيل: إن الله سلط عليهم الرُّعاف الشديد، فكان الدم يختلط بما يتناولون من مياه وغيرها. وكان الابتلاء بهذا كله على مراحل، كما سيلي في الآيتين ١٣٤ و١٣٥. والآيات: الأدلة والبراهين. ومبينات أي: لا يغيب عن العاقل أنها عذاب بسبب الكفر. وفي الأصل: «آياتٌ مفصلاتٌ بينات». واستكبروا: امتنعوا تكبرًا وتجبرًا مع علمهم بالحقيقة. والمجرمون: الذين يقترفون الجرائم بالكفر والعصيان اختيارًا وقصدًا.

(٢) وقع عليهم: نزل بهم وذاقوا شدته. وكان وقوع الأصناف الخمسة على مراحل، كل منها يكون في مدة وينكشف بدعاء موسى. وادعه أي: ناده باسمه مستغيثًا لكشف العذاب عنا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعهد عندك أي: أعلمك إياه ووعدك به. و«لام قسم»: انظر الآية ٩٠. والتقدير: نقسمُ - لئن كشفت عنا الرجز نؤمنْ لك - لنؤمنن لك. وكشفت: رفعت وأزلت. ونؤمن: نصدق ونتبع. ونرسلهم: نبعثهم إلى البلد الذي تريد. والأجل: الوقت المعيّن لنهاية الشيء. وبالغوه أي: مدركوه وواصلون إلى نهايته ليكون الانتقام.

(٣) انتقمنا أي: أردنا الانتقام - وهو العقوبة ممن كفر - وقضينا به. عُبِّرَ عن الإرادة بالفعل ليزداد توكيد ما عطف عليه بعد. وأغرقناهم: أمتْناهم خنقًا بالماء. والملح: المالح. وهذا يعني أن الغرق كان في بحر لا في نهر، خلافًا لما يزعمه المكابرون. انظر البحر ٤:٣٧٧. ث: «البحر المالح». وكذبوا بها: أنكروها وجحدوا صدقها مع أنهم علموا وجوب الإيمان. والآية: المعجزة والدليل على صدق موسى. وغافلين عنها: تاركين الاستجابة لها. وأورثناهم: ملّكناهم خلَفًا لمن ذهب قبلهم من العماليق العرب. ويُستضعفون: يُجعلون ضعفاء أذلّاء. والمشارق: جمع مَشرِق. وهو موضع شروق الشمس. والمغارب: جمع مَغرِب. وهو موضع غروبها. والمراد جميع جهات تلك الأرض وما بينها. وباركنا فيها: جعلنا الخير فيها كثيرًا جدًا. وصفة للأرض: يعني أن «التي» في محل جر صفة لـ «الأرض». وتمت: تحققت وثَبَتَت كاملة. وكلمة ربك أي: وعده بالنجاة والنصر، والاستخلاف والتمليك والسيادة. والحسنى: تأنيث الأحسن، يراد بها الوعد بالمحبوب يفضل كل شيء حسن. و«قوله» يعني ما في الآيتين ٥ و٦ من سورة القصص. وبنو إسرائيل: سلالة الأسباط أبناء يعقوب. وصبر: تجلد وتحمل. ويصنع أي: يبنيه بدقة ومهارة. وبضمها يريد القراءة «يَعرُشُونَ». والبنيان أي: كصرح هامان والقصور والمعابد للأصنام والملوك.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١- ﴿**وجاوَزْنا**﴾: عبرنا ﴿**بِبَنِي إسرائيلَ البَحرَ، فأتوا**﴾: فمرّوا ﴿**على قوم يَعكُفُونَ**﴾ - بضمّ الكاف وكسرها - ﴿**على أصنام لَهُم**﴾: يُقيمون على عبادتها. ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، اجعَلْ لنا إلَهًا**﴾: صنمًا نعبده، ﴿**كَما لَهُم آلِهةٌ. قالَ: إنَّكُم قومٌ تجهَلُونَ**﴾ ١٣٨، حيثُ قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ﴿**إنَّ هؤُلاءِ مُتبَّرٌ**﴾: هالك ﴿**ما هُم فِيهِ، وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٣٩. **قالَ: أغيرَ اللهِ أبغِيكُم إلَهًا**﴾: معبودًا - وأصله: أبغي لكم - ﴿**وَهوَ فَضَّلَكُم على العالَمِينَ**﴾ ١٤٠ في زمانكم؟ بما ذكره في قوله:

٢- ﴿**و**﴾ اذكروا ﴿**إذْ أنجَيناكُم**﴾ - وفي قراءة «أنجاكُم» - ﴿**مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونكُم**﴾: يُكلّفونكم ويُذيقونكم ﴿**سُوءَ العَذابِ**﴾: أشدَّه، وهو ﴿**يُقتِّلُونَ أبناءَكُم ويَستَحيُونَ**﴾: يستبقون ﴿**نِساءَكُم. وفي ذلِكُم**﴾ الإنجاءِ أو العذابِ ﴿**بلاءٌ**﴾: إنعام أو ابتلاء، ﴿**مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ**﴾ ١٤١. أفلا تتّعظون فتنتهون عمّا قلتم؟

نصف الحزب ١٧

٣- ﴿**وواعَدْنا**﴾ - بألِفٍ ودونِها - ﴿**مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلةً**﴾ نُكلّمه عِند انتهائها، بأن يصومها - وهي ذو القَعدة - فصامها، فلمّا تمّت أنكرَ خُلوفَ فمه فاستاك، فأمره الله بعشَرة أُخرى ليُكلّمه بخُلوف فِيه، كما قال تعالى: ﴿**وأتمَمْناها بِعَشْرٍ**﴾ من ذي الحِجّة، ﴿**فتمّ مِيقاتُ رَبِّهِ**﴾: وقتُ وعده بكلامه إيّاه، ﴿**أربَعِينَ**﴾: حالٌ ﴿**لَيلةً**﴾: تمييز، ﴿**وقالَ مُوسَى لأخِيهِ هارُونَ**﴾، عِند ذهابه إلى الجبل للمُناجاة: ﴿**اخلُفْنِي**﴾: كنْ خليفتي ﴿**في قَومِي وأصلِحْ**﴾ أمرهم، ﴿**ولا تتَّبِعْ سَبِيلَ المُفسِدِينَ**﴾ ١٤٢ بمُوافقتهم على المعاصي.

٤- ﴿**ولَمّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا**﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه، ﴿**وكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ بلا واسطة كلامًا، يسمعه من كُلّ جِهة، ﴿**قالَ: رَبِّ، أرِنِيَ**﴾ نفسَك، ﴿**أنظُرْ إلَيكَ. قالَ: لَن تَرانِي**﴾ أي: لا تقدِر على رُؤيتي - والتعبير به دون «لن أُرَى» يُفيد إمكان رُؤيته تعالى - ﴿**ولكِنِ انظُرْ إلَى الجَبَلِ**﴾ الذي هو أقوى منك. ﴿**فإنِ استَقَرَّ**﴾: ثَبَتَ ﴿**مَكانَهُ فسَوفَ تَرانِي**﴾ أي: تَثبُتُ لرؤيتي، وإلّا فلا طاقة لك. ﴿**فلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ**﴾ أي: ظهر من نُوره قدرُ نِصفِ أُنمُلةِ الخِنصِر. كما في حديث صحّحه الحاكم ﴿**لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾، بالقصر والمدّ، أي: مدكوكًا مستويًا بالأرض، ﴿**وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾: مَغشيًّا عليه لهول ما رأى، ﴿**فلَمّا أفاقَ قالَ: سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك! ﴿**تُبتُ إلَيكَ**﴾ من سُؤال ما لم أُومَرْ به، ﴿**وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ**﴾ ١٤٣ في زماني.

---

(١) جاوزنا: جزنا بفلق البحر، أي: ارتفاع بعض أراضيه وانخساف مائه ليتيسر العبور. والبحر هوالمعروف باسم الأحمر. والقوم هم الكنعانيون العرب أُمر موسى بقتالهم. وبكسرها يريد القراءة «يَعكِفُونَ». والأصنام: جمع صنم. وهو تمثال للبقر من الحجارة وغيرها. وقالوا أي: بعض بني إسرائيل. واجعل لنا إلَهًا أي: عيّن لنا صنمًا. والآلهة: جمع إله. وتجهلون أي: لاتعلمون حقيقة التوحيد والنعم. وماهم فيه أي: من الشرك. والباطل: الفاسد المضمحل. وأبغي: أطلب. وفضلكم: شرّفكم وأكرمكم بالنعم. والعالَمون: الخلق. وفي زمانكم أي: في الوقت الذي تعيشون فيه.

(٢) أنجيناكم أي: أنقذناكم بأمر الله وفضله. والخطاب تتمة لقول موسى من قبل. وأنجاكم أي: أنقذكم الله. فالخطاب منه لبني إسرائيل. وآل فرعون: جنوده وقومه من العرب الأقباط. ويقتلون: يزهقون الروح. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد والحفيد. ويستبقونها أي: للخدمة والاستعباد. والبلاء: الاختبار لتمييز المطيع من العاصي. ومن ربكم أي: من عنده وبقضائه. والعظيم: الكبير الضخم يدركه كل ذي عقل. وفي ط والمنحة والمطبوعات: فتنتهوا عما تقولون.

(٣) واعدناه: وضعنا له أجلًا للقائه. ودونها أي: بدون ألف. يريد القراءة «ووَعَدْنا». والمراد هنا بالليلة هو اليوم الكامل. وذو القعدة هوالشهر الحادي عشر من السنة القمرية. وصامها أي: الثلاثين يومًا. واستاك: نظف أسنانه بالسواك. وخلوف فِيه: تغيير رائحة فمه من أثر الصيام. وانظر «المفصل». وأتممناها: أكملنا المواعدة. وتم: اكتمل. وحال: يعني أن «أربعين» حال من: ميقات. وأصلح أمرهم أي: احفظ صلاحه وامنعهم من الضلال. ولا تتبع أي: اثبُتْ على التجنب. والسبيل: الطريق والمذهب. والمفسدون: الذين يشيعون الفساد باختيار وقصد. والموافقة هنا مراد بها السماح وعدم الإنكار.

(٤) وجاء: حضر. وكلمه ربه أي: أزال الحجاب الذي يمنعه من سماع كلامه، فصار يدركه ويفهمه. ورب: أي: ياربي. وأرني أنظر إليك أي: مكّنّي من رؤيتك. إن فعلتَ ذلك أوجّهْ نظري فأرك. ولن تراني أي: لا قدرة لك على رؤيتي في الدنيا. وانظرْ أي: وجّه بصرك. والجبل: ما ارتفع وغلظ من الأرض. وهو جبل زَبِير أو الطور قرب مَدْيَن. وتثبت: تستقر. والأنملة: المفصل الأعلى من الإصبع فيه الظفر. والخنصر: الإصبع الصغرى. والحديث في المستدرك ٢: ٣٢٠. وجعله: صيّره. و«بالقصر» خطأ، لأن الألف في «دكًّا» إنما تكون بدلًا من التنوين في الوقف. وبالمد يريد القراءة «دَكّاءَ» أي: أرضًا مستوية منبسطة. والدك: الدق والتفتيت. وخر: سقط بضجة. وما رأى أي: وما سمع وأدرك. وأفاق: صحا مما كان فيه، ورجع إليه الحس والإدراك والفهم. وتبتُ: ندمت على ما طلبت ورجعت عنه. ولم أومر به أي: لم يؤذن لي به وليس من حقي. وفي قرة العينين: «لم أؤمر به». وفي المنحة «لم اؤمر به». وكلاهما خطأ ظاهر. والمؤمن: المصدق المُقِرّ بعظمتك ووحدانيتك وأن شيئًا لا يقوم لبطشك.

قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي
فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا
سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١ - ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**يا مُوسَى، إنِّي اصطَفَيتُكَ**﴾: اخترتك ﴿**على النّاسِ**﴾: أهل زمانك ﴿**برسالاتي**﴾ - بالجمع والإفراد - ﴿**وبكَلامِي**﴾ أي: تكليمي إيّاك. ﴿**فخُذْ ما آتيتُكَ**﴾ من الفضل، ﴿**وكُنْ مِنَ الشّاكِرينَ**﴾ ١٤٤ لأنعمي. ﴿**وكَتَبْنا لَهُ في الألْواحِ**﴾ أي: ألواح التوراة. وكانت من سِدر الجنّة أو زَبَرْجَدٍ أو زُمرّدٍ سبعةً أو عشرة - ﴿**مِن كُلِّ شَيءٍ**﴾ يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿**مَوعِظةً وتَفصِيلًا**﴾: تبيينًا، ﴿**لِكُلِّ شَيءٍ**﴾: بدلٌ من الجارّ والمجرور قبله. ﴿**فخُذْها**﴾ - قبلَه «قلنا» مقدّرًا - ﴿**بقُوّةٍ**﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿**وأمُرْ قَومَكَ يأخُذُوا بأحسَنِها. سأُرِيكُم دارَ الفاسِقِينَ**﴾ ١٤٥: فرعونَ وأتباعِه - وهي مصر - لتعتبروا بهم.

٢ - ﴿**سأصرِفُ عَن آياتِيَ**﴾: دلائلِ قُدرتي، من المصنوعات وغيرها، ﴿**الّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ**﴾، بأن أخذلَهم فلا يتفكّرون فيها؟ ﴿**وإن يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها، وإن يَرَوا سَبِيلَ**﴾: طريقَ ﴿**الرُّشدِ**﴾: الهُدى الذي جاء من عند الله ﴿**لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾: يسلكوه، ﴿**وإن يَرَوا سَبِيلَ الغَيِّ**﴾: الضلالِ ﴿**يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا - ذلِكَ**﴾ الصرف ﴿**بِأنَّهُم كَذَّبُوا بِآياتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ**﴾ ١٤٦. تقدّمَ مِثلُه - ﴿**والّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، ولِقاءِ الآخِرَةِ**﴾: البعث وغيره، ﴿**حَبِطَتْ**﴾: بَطَلت ﴿**أعمالُهُم**﴾: ما عملوه في الدنيا من خير، كصِلة رَحِم وصدقة، فلا ثواب لهم لعدم شرطه، ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**يُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٤٧، من التكذيب والمعاصي؟

٣ - ﴿**واتَّخَذَ قَومُ مُوسَى مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ ذهابه إلى المُناجاة، ﴿**مِن حُلِيِّهِم**﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلّة عِرس، فبقي عِندهم، ﴿**عِجلًا**﴾ صاغه لهم منه السامريّ، ﴿**جَسَدًا**﴾: بدلٌ لحمًا ودمًا ﴿**لَهُ خُوارٌ**﴾ أي: صوت يسمع. انقلب كذلك بوضع التُّراب الذي أخذه من حافر فرسِ جبريلَ في فمه، فإن أثره الحياةُ فيما يُوضع فيه. ومفعول «اتّخذ» الثاني محذوف أي: إلهًا - ﴿**ألَم يَرَوا أنَّهُ لا يُكَلِّمُهُم، ولا يَهدِيهِم سَبِيلًا**﴾؟ فكيف يُتّخذ إلهًا؟ ﴿**اتَّخَذُوهُ**﴾ إلهًا، ﴿**وكانُوا ظالِمِينَ**﴾ ١٤٨ باتّخاذه - ﴿**ولَمّا سُقِطَ في أيدِيهِم**﴾ أي: ندموا على عبادته، ﴿**ورَأَوا**﴾: علموا ﴿**أنَّهُم قَد ضَلُّوا**﴾ بها - وذلك بعد رُجوع موسى - ﴿**قالُوا: لَئِنْ لَم يَرحَمْنا رَبُّنا ويَغفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ ١٤٩.

---

(١) برسالاتي أي: بتبليغها مع العمل. وبالإفراد يريد القراءة «بِرِسالتِي». وخذه أي: تناوله وبلّغه واعمل به. وآتيتك: أعطيتك إياه. وكن أي: دُم على ذلك. والشاكر: الذي يذكر النعم ويثني على معطيها بالقلب واللسان والعمل. والأنعم: جمع نعمة. وكتبنا فيها أي: خلقنا الكتابة فيها. وكانت الكتابة باللغة العربية القبطية، إذ لم يكن لبني إسرائيل لغة خاصة، وهم عائدون من مصر. ولما أقاموا في الشام اصطنعوا لهم لغة من لهجات عربية لدى الكنعانيين والعماليق. والألواح: جمع قلة للوح. وهو الصفيحة العريضة. وسدر الجنة: نوع من شجرها. انظر الآية ٢٨ من سورة الواقعة. والزبرجد والزمرد: نوعان من الحجر الكريم. وسبعة أي: سبعة ألواح. وأكثر ما قيل في وصف الألواح هو من الإسرائيليات المختلقة وليس له نقل صحيح. والموعظة: الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية. ولكل شيء أي: من تكاليف الحياة. وبدل: يعني أن «موعظة»: بدل من محل «كل شيء». وأؤمرهم أي: افرض عليهم. ويأخذوا بأحسنها أي: يعملوا بما هوأفضل وأنفع. وأريكم دارهم: أُشهدكم بلادهم لترثوها. والفاسق: من خرج على الطاعة.

(٢) أصرف: أمنع بختم القلوب وطمس البصائر. ويتكبرون: يحتقرون الناس ويرون لأنفسهم فضلًا عليهم. والحق: الواجب شرعًا. ويروا أي: يبصروا. والآية: ما ورد في الوحي والأدلة الكونية والمعجزات. وسبيلًا: مذهبًا ودينًا. و«يسلكوه» تفسير لـ «لايتخذوه» أي: لايسلكوه. ويتخذوه: يختاروه. وكذّبوا بها أي: أنكروها. ومثله: يعني ما في آخر الآية ١٣٦. وآياتنا أي: ما عُبِّرَ عنه في الآية ١٤٦ بـ «كل آية». ولقاء الآخرة: حضورهم يوم القيامة للحساب والجزاء. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. وصلة الرحم: الإحسان إلى الأقربين. ولعدم شرطه يعني: لفقد شرط الثواب على العمل. وهذا الشرط هو الإيمان. ويجزون: يعاقبون.

(٣) اتخذ: جعل. وقوم موسى أي: بعضهم. وعلة عرس أي: حجة أن عندهم عرسًا. وعجلًا أي: صنمًا في صورة العجل، ولد البقرة. والسامري منافق من سحرة فرعون، اسمه موسى بن ظفر وكان صائغًا. والخوار: مايشبه صوت البقر. والظاهر أن الجسد هنا هو جثة جماد، والخوار لأن العجل صيغ مجوَّفًا، فيه ممرّات تُحدث في مهب الريح ما يشبهه. وذكر التراب وأثره ضعّفه أبو حيان، لأن الآثار وردت بأن موسى قد بَرَدَ العجل بالمَبارد وألقاه في البحر. وإقحام فرس جبريل مردود، لأن الملائكة مخلوقات نورانية غير مجسمة، لاتحتاج إلى خيل تركبها في تبليغ الرسالة. واليهود يعادون جبريل ويكفرون بكل ما يأتي به، فكيف يؤمنون بتراب حافر فرس وهمي له؟ انظر «المفصل» والآية ٩٦ من سورة طه، والبحر ٦:٢٥٤. ولم يروا أي: لم يعلموا. ويهدي: يُرشد ويوجّه. وسبيلًا أي: طريقًا من طرق الفلاح. والأيدي: جمع يد. وضلوا: خرجوا عن طريق الحق. وبها أي: بعبادة العجل. ويرحمنا: يعطف علينا بفضله. ويغفرُ لنا: يمسح ذنوبنا ويصفح عنا. وفيما عدا الأصل والنسختين: «ويغفر لنا، بالياء والتاء فيهما، لنكونن» يعني أن القراءة جاءت أيضًا: «لَم تَرحَمْنا، رَبَّنا، وتَغفِرْ لَنا». أسقطه السيوطي بعد إثباته في بعض النسخ. والخاسر: الهالك في العذاب، ضيع ما كان ينتظره من النعيم .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١- ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَومِهِ، غضبانَ**﴾ من جهتهم ﴿**أسِفًا**﴾: شديد الحُزن، ﴿**قالَ**﴾ لهم: ﴿**بِئْسَ ما**﴾ أي: بئس خلافةً ﴿**خَلَفْتُمونِيـ**﴾ ـها ﴿**مِن بَعدِيَ**﴾ خلافتُكم هذه، حيث أشركتم! ﴿**أَعَجِلتُم أمرَ رَبِّكُم؟ وألقى الألواحَ**﴾ ألواح التوراة غضبًا لربّه فتكسّرت، ﴿**وأخذَ بِرأسِ أخِيهِ**﴾ أي: بشَعره بيمينه ولِحيته بشماله، ﴿**يَجُرُّهُ إليهِ**﴾ غضَبًا. ﴿**قالَ**﴾: يا ﴿**بنَ أُمَّ**﴾ - بكسر الميم وفتحها، أراد: أُمّي. وذِكرُها أعطفُ لقلبه - ﴿**إنَّ القومَ استضعَفُونِي، وكادُوا**﴾: قاربوا ﴿**يَقتُلُونَنِي. فلا تُشمِتْ**﴾: تُفرح ﴿**بِيَ الأعداءَ**﴾ بإهانتك إيّاي، ﴿**ولا تَجعَلْنِي مَعَ القومِ الظّالِمِينَ**﴾ ١٥٠ بعبادة العِجل في المُؤاخذة. ﴿**قالَ: رَبِّ اغفِرْ لِي**﴾ ما صنعتُ بأخي ﴿**ولأخِي**﴾ - أشركَه في الدعاء إرضاءً له ودفعًا للشماتة به - ﴿**وأدخِلْنا في رَحمتِكَ، وأنتَ أرحمُ الرّاحِمِينَ**﴾ ١٥١.

٢- قال تعالى: ﴿**إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ**﴾ إلَهًا ﴿**سَيَنالُهُم غَضَبٌ**﴾: عذاب ﴿**مِن رَبِّهِم، وذِلَّةٌ في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ - فعُذّبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضُربتْ عليهم الذِّلّة إلى يوم القيامة. ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما جزيناهم ﴿**نَجزِي المُفتَرِينَ**﴾ ١٥٢ على الله بالإشراك وغيره - ﴿**والَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ، ثُمَّ تابُوا**﴾: رجَعوا عنها ﴿**مِن بَعدِها وآمَنُوا**﴾ بالله، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: التوبةِ ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٥٣ بهم.

٣- ﴿**ولَمّا سَكَتَ**﴾: سكن ﴿**عَن مُوسَى الغَضَبُ أخَذَ الألواحَ**﴾ التي ألقاها، ﴿**وفي نُسْخَتِها**﴾ أي: ما نُسخ فيها أي: كُتب ﴿**هُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**ورَحمةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِم يَرهَبُونَ**﴾ ١٥٤: يخافون. وأُدخل اللام على المفعول لتقدّمه.

٤- ﴿**واختارَ مُوسَى قَومَهُ**﴾ أي: من قومه ﴿**سَبعِينَ رَجُلًا**﴾ ممّن لم يعبدوا العِجل، بأمره تعالى، ﴿**لِمِيقاتِنا**﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعتذروا من عِبادة أصحابهم العِجلَ، فخرج بهم، ﴿**فلَمّا أخَذَتهُمُ الرَّجْفةُ**﴾: الزلزلة الشديدة - قال ابن عبّاس: لأنهم لم يُزايلُوا قومهم حين عبدوا العِجل. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتْهم الصاعقة - ﴿**قالَ**﴾ مُوسى: ﴿**رَبِّ، لَو شِئتَ أهلَكتَهُم مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ خروجي بهم، ليُعايِنَ بنو إسرائيل ذلك ولا يتّهموني، ﴿**وإيّايَ. أتُهلِكُنا بما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا**﴾؟ استفهام استعطاف، أي: لا تُعذّبنا بذنب غيرنا. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هِيَ**﴾ أي: الفِتنةُ التي وقعتْ فيها السُّفهاء ﴿**إلّا فِتنَتُكَ**﴾: ابتلاؤك، ﴿**تُضِلُّ بِها مَن تَشاءُ**﴾ إضلاله، ﴿**وتَهدِي مَن تَشاءُ**﴾ هِدايته. ﴿**أنتَ وَلِيُّنا**﴾: مُتولّي أُمورنا. ﴿**فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا - وأنتَ خَيرُ الغافِرِينَ ١٥٥ - واكتُبْ**﴾:

---

(١) رجع: عاد من اللقاء المذكور في الآية ١٤٣. والغضبان: الشديد السخط. وخلفتموني من بعدي أي: فعلتم في غيابي. وعجلتم أمره: سبقتم ما وصّاكم به من التوحيد. و«تكسرت» هذا من الروايات الإسرائيلية المردودة، وفي الآية ١٥٤ ما يفيد أنها لم تتكسر. فإلقاؤها هنا مراد به وضعها. وأخذ به: أمسكه وشد عليه. ويجر: يشد بعنف. وقال أي: هارون لموسى. وابن أم أي: شقيقي من أبي وأمي. وبفتحها يريد القراءة «ابنَ أُمَّ». ولاتشمت أي: لاتفعل ما يُشمَت به. والأعداء: جمع عدو. وهو المشرك من بني إسرائيل. وتجعل: تصيّر. والظالم: الكافر المشرك. وقال أي: موسى. ورب أي: ياربي. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم، لِما يشعر به من معنى الأمر. واغفر: استر وامحُ. ولأخي أي: تفريطَه في عدم منع عبادة العجل. وأدخلنا فيها أي: اشملنا بها. والرحمة: العطف بالإحسان. (٢) اتخذ: جعل. وينالهم: يصيبهم. والغضب: السخط والانتقام. ومن ربهم أي: من عنده وبأمره. والذلة: الضعف والهوان. ونجزي: نعذب. والمفتري: الذي يختلق الكذب. وجملة «إن... سينالهم» ابتدائية في اعتراض آخره نهاية الآية ١٥٣، وليست من تتمة كلام موسى. وعملوا: اكتسبوا باختيار. والسيئات: ما قبحه الشرع من الكبائر. وبعدها أي: بعد عمل السيئات. والغفور الرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من الغفران والرحمة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، وكثرة العطف والإحسان. (٣) سكن: هدأ. والغضب: السخط الشديد. وأخذها: تناولها ليبلّغ ما فيها. والهدى: البيان والإرشاد. والرحمة: العطف بالإحسان وصلاح الدنيا والآخرة. و«أدخل» يعني أن اللام في «لربهم» حرف جر زائد لتقوية الفعل المتأخر «يرهب» للعمل في «رَبّ»، والتقدير: ربَّهم يرهبون. أي: يخافونه ويطلبون رضاه. وبذلك تكون الهداية والرحمة لهم. (٤) اختار: اصطفى. وبأمره: يعني أن الاختيار كان بأمر الله لموسى. وللوقت أي: للقاء في ذلك الوقت. وأخذتهم: نزلت بهم فأغمي عليهم. وذلك حين كانوا في موقف الاعتذار. وإنما أصابتهم الرجفة رهبة من تقصيرهم ومن موقفهم هذا. ولم يزايلوهم أي: لم يفارقوهم إنكارًا لعبادة العجل، ولم يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر. وغير الذين أي: غير المذكورين في الآيتين ٥٥ من سورة البقرة و١٥٣ من سورة النساء. ورب أي: ياربِّي. انظر الآية ١٥١. وشئت أي: أردت إهلاكنا. وتهلكنا: تدمرنا وتقضي علينا. وفعَلَ أي: اكتسب باختيار وقصد. والسفهاء: جمع سفيه. وهو الضعيف العقل. والمراد هنا من عبد العجل. والابتلاء: المعاملة بما يشبه الاختبار، لتمييز المطيع من العاصي. وهو هنا ما صنعه السامري بسحره من صياغة العجل، وادعائه ألوهيته ودعوتهم لعبادته. وتضله: توجّه قدراته بحسب اختيارِه واستعدادِه السيئ للعصيان. وتشاء: تريد. وتهدي: تصرف قدراته بحسب اختياره واستعداده الحسن للهداية والطاعة. واغفر لنا أي: استر سيئاتنا وامحها. وارحمنا: اعطف علينا بالعفو والهداية إلى الحق. وخير الغافرين أي: أفضلهم وأعظمهم لأنك تمحو السيئة وتبدل بها حسنة، فضلًا ورحمة لاطلبًا للثناء أو الأجر، كما يفعل مَن يصفح مِن الناس. وأوجب أي: أثبت. وحسنة الدنيا: ما يحسن من النعم والطاعة والعافية. وحسنة الآخرة هي الجنة. وتبنا أي: ورجعنا. وإليك أي: إلى أمرك وطاعتك ورضاك.

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا
هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

أَوجِبْ ﴿لَنا في هٰذِهِ الدُّنيا حَسَنَةً، وفي الآخِرةِ﴾ حسنة. ﴿إنّا هُدْنا﴾: تُبنا ﴿إلَيكَ﴾.

١- ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿عَذابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَن أشاءُ﴾ تعذيبه، ﴿ورَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾: عمّت ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ في الدنيا. ﴿فَسأكتُبُها﴾ في الآخِرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، والَّذِينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنُونَ ١٥٦، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ مُحمّدًا ﷺ، ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوبًا عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجِيلِ﴾ باسمه وصفته، ﴿يأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ ويَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ، ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ﴾ ممّا حُرّم في شرعهم، ﴿ويُحَرِّمُ عليهِمِ الخَبائثَ﴾ من الميتة ونحوها، ﴿ويَضَعُ عَنهُم إصرَهُم﴾: ثِقلهم، ﴿والأغلالَ﴾: الشدائد ﴿الَّتِي كانَتْ عَلَيهِم﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم، ﴿وعَزَّرُوهُ﴾: وقّروه ﴿ونَصَرُوهُ، واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿أُولٰئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ١٥٧.

٢- ﴿قُل﴾، خِطابٌ للنبيّ: ﴿يا أيُّها النّاسُ، إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعًا، الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، لا إلَهَ إلّا هُوَ، يُحيِي ويُمِيتُ. فآمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤمِنُ بِاللهِ وكَلِماتِهِ﴾ القُرآنِ، ﴿واتَّبِعُوهُ، لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ ١٥٨: ترشُدون.

٣- ﴿ومِن قَومِ مُوسَى أُمّةٌ﴾: جماعة ﴿يَهدُونَ﴾ الناس ﴿بِالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ﴾ ١٥٩

---

(١) العذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة عقوبة وإهانة. وأصيب: أعاقب وأعذب. وأشاء: أريد بما تقتضيه الحكمة. والرحمة: العطف بالإحسان والخير. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وأكتبها: أثبتها وأحققها. ويتقون أي: يخافونني ويتجنبون عصياني، ويلزمون الطاعة والصلاح للحصول على الرضا. ويؤتون الزكاة: يؤدونها كما فرضت إلى مستحقيها. والزكاة: ما فُرض على المال لتطهيره وتطهير أصحابه. والآيات: آيات الكتب والمعجزات والدلائل على التوحيد وصدق الأنبياء. ويؤمنون بها أي: يصدّقونها اعتقادًا وعملًا بما توجبه. ولما سمع يهود المدينة الآية ١٥٦ تطاولوا لها، بدعوى أنهم مقصودون بالرحمة لأنهم يتقون ويزكون ويؤمنون، فجاءت الآية ١٥٧ تُخرج منهم مَن لم يؤمن برسالة الإسلام. يعني أن الرحمة في الآخرة، للكتابيِّينَ الذين أدركوا زمن النبوة، تكون لهم إذا آمنوا واتبعوا. انظر تفسير الخازن ٢:٢٩٦. ويتبعونه: يؤمنون بما جاء به من الدين والشريعة، ويلتزمون أمره ونهيه. والرسول: الذي أوحي إليه كتاب خاص به هو القرآن ليبلغ العقيدة والشريعة. والنبي: صاحب المعجزات والإعلام عن الله. والأمّيّ: الذي لايعرف القراءة ولا الكتابة ودقائق الحساب، كأنه على ما ولد عليه من ذلك. ويجدونه أي: يَلقَون اسمه وصفته. ومكتوبًا أي: مسجلًا في آيات بينات. ويأمرهم: يفرض عليهم. والتوراة: الكتاب الذي أوحي إلى موسى، عليه السلام. والإنجيل: الذي أوحي إلى عيسى، عليه السلام. ويأمرهم: يفرض عليهم ويوجب. والمعروف: مكارم الأخلاق والكفر بالشرك. وينهى: يمنع. والمنكر: الباطل وبذيء الأخلاق. ويحلها: يجعلها حلالًا يؤجر من يتناولها. والطيبات: المستلذات من الطعام والشراب. ويحرمها: يجعلها حرامًا يعاقب من يتناولها. والخبائث: جمع خبيثة. وهي القذرة النجسة. ويضع: يزيل ويرفع. والأغلال: جمع غُلّ. وهو طوق من الحديد، استعير لِما يكون من الشدة. وأثر النجاسة أي: أن النجاسة لاتزول بالغسل والتنظيف، بل بقطع موضعها من الثوب وما أشبهه. وآمنوا به أي: صدقوه يقينًا. ونصروه: أعانوه على أعدائه. واتبعوا النور أي: اقتدوا به. والنور: ما يضيء فتتبين به الأشياء على حقيقتها. وجُعل القرآن نورًا لأنه ظاهر بنفسه ومظهر لغيره من الحق والباطل. وأُنزل أي: أنزلناه إليه على لسان جبريل. والمفلح: الفائز برضا الله وعفوه وجنته. **(٢)** قل أي: تكلم جهارًا. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف بالدعوة، لا كما يزعم الكافرون. وتكرار ذلك في الآيات القرآنية يعني التوكيد والتحقيق. وفيما عدا الأصل والنسخ: «خطاب للنبي ﷺ». والناس: العرب وأهل الكتاب وغيرهم من البشر. والرسول: المرسل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وجميعًا أي: مجتمعين لايستثنى منكم أحد. والملك: الحيازة والتصرف. وله ملكها أي: له وحده لايشاركه في ذلك أحد. والسماوات والأرض أي: ومافيهما وبينهما وغير ذلك من الكون. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والإله: المعبود بحق وحده. ويحيي: يخلق الحياة في فاقدها. ويميت: يخلق الموت في الحيّ. وفي هذا ما يوجب الإذعان والانقياد للرسول، إذ كان المرسِل هو الله الذي له الملك والتصرف، والألوهية الخالصة والتفرد بالإيجاد والإعدام لما يشاء. وآمنوا به أي: صدّقوه تصديق يقين. وإنما ورد هنا «رسول» ولم يرد «نبي»، مع أن الخطاب يقتضي ذلك، لأن المراد وجوب الإيمان بالرسول المتصف بهذه الصفات، أيًّا كان. واتبعوه أي: اقتدوا به. ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم. وتهتدون أي: إلى طريق الحق والخير. **(٣)** منهم أي: بعضهم. وقوم موسى: الذين آمنوا به من بني إسرائيل. والمقصود بالأمة هنا: من التزم الشريعة قبل نسخها، أو آمن برسالة الإسلام منهم. ويهدون: يُرشدون ويوجهون وينصحون. والحق: الصدق الثابت لاشك فيه من العقيدة والشريعة والسلوك. ويعدلون: يحكمون منصفين. وقطعناهم اثنتي عشرة أي: فرقناهم معدودين بهذا العدد. وحال: يعني أن اثنتي: حال من مفعول «قطع» منصوبة بالياء لأنها ملحقة بالمثنى. والأسباط: جمع قلة للسِّبط يراد به الكثرة. والسِّبط من ذرية يعقوب كالقبيلة من العرب. والأمم: جمع أمة. وبدل: يعني أن أسباطًا: بدل من «اثنتي عشرة» منصوب، وأممًا: بدل من «أسباطًا» منصوب، والتمييز محذوف تقديره: فرقةً. وأوحينا إليه: أمرناه على لسان جبريل. واستسقاه قومه: طلبوا منه السُّقيا، ولاماء فيما حولهم. واضربه: اقرعه بشِدة. والحجر: الصخر الصلب من الأرض. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٦٠ من سورة البقرة. والعين: يَنبوع الماء من الأرض. وعلمَ: عرَف. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. وأناس أي: سبط من الأسباط. والمشرب: العين التي يُشرب منها. وظللنا عليهم: جعلنا لهم ظلالًا تقيهم حر الشمس. والغمام: السحاب الرقيق واحدته غمامة. والتيه: واد بين مصر والشام، تاهوا فيه أربعين سنة. وأنزل: أسقط. والترنجبين: نوع من الحلوى يشبه العسل الأبيض ينزل عليهم كالثلج. والقصر:=

الجزء التاسع سورة الأعراف

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ
فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ
مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ
وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠ وَإِذۡ
قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ
شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ
لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ
فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ
يَظۡلِمُونَ ١٦٢ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ
حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ
حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ
لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣

في الحُكم، ﴿**وقطّعْناهم**﴾: فرّقنا بني إسرائيل ﴿**اثنتي عَشْرةَ**﴾: حالٌ ﴿**أسباطًا**﴾: بدلٌ منه، أي: قبائلَ ﴿**أُمَمًا**﴾: بدلٌ ممّا قبله، ﴿**وأوحينا إلى موسى إذِ استَسقاهُ قومُهُ**﴾ في التّيهِ: ﴿**أنِ اضرِبْ بعَصاكَ الحجَرَ**﴾. فضربه، ﴿**فانبَجَسَتْ**﴾: انفجرتْ ﴿**منهُ اثنتا عَشْرةَ عَينًا**﴾ بعدد الأسباط - ﴿**قد عَلِمَ كلُّ أُناسٍ**﴾: سِبطٍ منهم ﴿**مَشربَهُم - وظَلَّلْنا عَلَيهِمِ الغمامَ**﴾ في التّيه من حرّ الشمس، ﴿**وأنزَلْنا عَلَيهِمِ المَنَّ والسَّلوَى**﴾ - هما التُّرَنْجِبينُ والطير السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر - وقلنالهم: ﴿**كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم. وما ظَلَمُونا، ولٰكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ١٦٠.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ قِيلَ لَهُمُ: اسكنُوا هٰذِهِ القَرْيَةَ**﴾: بيتَ المقدس، ﴿**وكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم، وقُولُوا**﴾: أمرُنا ﴿**حِطّةٌ. وادخُلُوا البابَ**﴾ أي: باب القرية ﴿**سُجَّدًا**﴾: سُجودَ انحناء، ﴿**نَغفِرْ**﴾ - بالنون، وبالتاء مبنيًّا للمفعول - ﴿**لَكُم خَطاياكُم. سَنَزِيدُ المُحسِنِينَ**﴾ ١٦١ بالطاعة ثوابًا. ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم قَولًا غَيرَ الَّذي قِيلَ لَهُم**﴾، فقالوا: حَبّةٌ في شَعَرة. ودخلوا يزحفون على أستاهم، ﴿**فأرسَلْنا عَلَيهِم رِجزًا**﴾: عذابًا ﴿**مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظلِمُونَ**﴾ ١٦٢.

٢- ﴿**واسألْهُم**﴾ - يا مُحمّد - توبيخًا ﴿**عَنِ القَرْيةِ الّتي كانَتْ حاضِرةَ البَحرِ**﴾: مُجاورةَ بحرِ القُلزُم - وهي أَيلةُ - ما وقع بأهلها، ﴿**إذْ يَعدُونَ**﴾: يعتدون ﴿**في السَّبتِ**﴾، بصيد السمك المأمورين بتركه فيه، ﴿**إذْ**﴾: ظرف لـ «يعدون» ﴿**تأتِيهِم حِيتانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعًا**﴾: ظاهرة على الماء، ﴿**ويَومَ لا يَسبِتُونَ**﴾: لا يُعظّمون السبت أي: سائرَ الأيام ﴿**لا تأتِيهِم**﴾، ابتلاءً من الله - ﴿**كَذٰلِكَ نَبلُوهُم بِما كانُوا يَفسُقُونَ**﴾ ١٦٣. ولمّا صادوا السمك افترقت القرية أثلاثًا: ثُلث صادوا معهم، وثُلث نَهَوهم، وثُلث أمسكوا عن الصيد والنهي - ﴿**وإذْ**﴾: عطف على «إذ» قبله ﴿**قالَتْ أُمّةٌ مِنهُم**﴾ لم تَصِدْ ولم تنهَ، لمَن نَهَى: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَومًا، اللهُ مُهلِكُهُم أو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَدِيدًا؟ قالُوا**﴾: موعظتُنا ﴿**مَعذِرةٌ**﴾ نعتذر بها ﴿**إلَى رَبِّكُم**﴾، لئلّا نُنسبَ إلى تقصير في ترك النهي، ﴿**ولَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ ١٦٤ الصيد.

=يعني الألف المقصورة. وكلوا منها أي: تغذَّوا بها. والطيبات: ما تستلذه النفس التي خلت من الانحراف والأمراض. ورزقنا: خلقنا ويسرنا. وما ظلمونا أي: لم يكن كفرهم بالنعم ظلمًا لنا، إذ وبال أمرهم يعود عليهم. والأنفس: جمع نفس. ونفسُ الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. ويظلمونها: يسببون لها غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة.

(١) قيل لهم أي: أمرنا بني إسرائيل، بعد خروجهم من التيه. واسكنوها أي: أقيموا فيها مطمئنين. والقرية: البلدة. ومنها أي: من مطاعمها وثمارها. وحيث شئتم أي: في نواحيها التي تريدون، من غير أن يزاحمكم أحد. وحطة: أن تَحُطَّ عنا خطايانا. والمراد: ما نسأله هو المغفرة والرحمة. والباب: المدخل. والسجد: جمع ساجد. وهو الذي حنى ظهره وطأطأ رأسه. ونغفرها أي: نسترها ونصفح عنها. وبالتاء يحتمل قراءتين هما: «تُغفَرْ لَكُم خَطِيئاتُكُم» بالجمع، و«خَطِيئتُكُم» بالإفراد. والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب المقصود عمدًا. وفي المنحة: «خطيئاتكم». ونزيد: نضاعف الأجر تفضلًا. ط: «وسنزيد». والمحسِن: من أحسن عبادته. وبدل... قيل لهم أي: غيّروا ما طلب منهم وجعلوا مكانه قولًا آخر، وكذلك العمل الذي أمروا به جعلوا مكانه عملًا آخر. وظلموا: كفروا متعمدين. وحبة في شعرة أي: حبة غذاء في مجموعة شعر. وهو قول مراد به التهكم والعصيان، مع طلب منافع الحياة. انظر «المفصل». والأستاه: جمع للاست. وهو الدبر. وأرسلنا: أنزلنا بكثرة. والرجز: العذاب. وهو الطاعون. انظر الآية ٥٩ من سورة البقرة. وفي الأصل: «رجسًا». والسماء: العالم العلوي. ويظلم: يكفر بالله ونعمه ويفعل غير ما يؤمر.

(٢) اسألهم أي: سؤال تقرير وتشهير. انظر «المفصل». وعن القرية أي: عما جرى لأهلها. والقرية أي: أهل القرية. وبحر القلزم هو البحر الأحمر الآن. وأيلة: مدينة على ساحله يقال لها: إيلات. خ: «إيلية». ويعدون: يخالفون أمر الله. فقد كان أمرَهم بتعظيم يوم الجمعة، فأبوا واختاروا أن يكون التعظيم ليوم السبت، فشدّد عليهم بالنهي عن العمل في هذا اليوم، ومن ذلك صيدُ البحر. وفيه أي: في يوم السبت. وتأتيهم: تبدو في مياه البحر. والحيتان: جمع حوت، أنواع السمك. وسبتهم: تعظيم يوم السبت بالانقطاع للعبادة. والشرّع: جمع شارع. وسائر الأيام أي: بقيتها من أيام الأسبوع. والابتلاء: الامتحان. والإشارة بـ«ذلك» إلى ما كان من ابتلائهم، بظهور الحيتان يوم السبت وغيابها في غيره من الأيام، أي: نبلو دائمًا بني إسرائيل بلاء مثل بلاء صيد السبت. ونبلوهم: نعاملهم دائمًا معاملة من يختبرهم لتمييز المطيع من العاصي. ويفسقون: يخرجون على أمر الله. وافترقت القرية أي: أهلها. وقوله «على إذ قبله» فيه إشكال، لأن الذي قبله هو «إذ تأتيهم»، والعطف عليه يخل بالمعنى، حتى زعم الكرخي أنه يَلزم عنه إدخال الأمة القائلة في حكم المعتدين بالصيد. الفتوحات ٢:٢٠٣. فالعطف هو على «إذ يعدون» كما جاء في البيضاوي والتلخيص. وقد نقل السيوطي ذلك بتصرف فأخل بالمراد. والأمة: الجماعة. وتعظ: تنصح بترك العصيان وملازمة الطاعة. ومهلكهم: مفنيهم. والعذاب: التعذيب في الآخرة. والمعذرة: الاعتذار من الذنب. ويتقون الصيد أي: يتجنبونه يوم السبت.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١- **﴿فلمّا نَسُوا﴾**: تركوا **﴿ما ذُكِّرُوا﴾**: ما وُعظوا **﴿بِهِ﴾**، فلم يرجعوا، **﴿أنجَينا الَّذِينَ يَنهَونَ عَنِ السُّوءِ، وأخَذنا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** بالاعتداء **﴿بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾**: شديد، **﴿بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾ ١٦٥. فلَمّا عَتَوا﴾**: تكبّروا **﴿عَنِ﴾** تركِ **﴿مَا نُهُوا عَنهُ قُلنا لَهُم: كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾ ١٦٦**: صاغرين. فكانوها. وهذا تفصيل لما قبله. قال ابن عبّاس: ما أدري ما فُعل بالفرقة الساكتة. وقال عِكرمةُ: لم تَهلِك لأنها كرهتْ ما فعلوه، وقالت: لِمَ تعظون إلى آخره. وروى الحاكم عن ابن عبّاس أنه رَجَعَ إليه وأعجبه.

٢- **﴿وإذْ تأذَّنَ﴾**: أعلمَ **﴿رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم﴾** أي: اليهودِ **﴿إلَى يَومِ القِيامةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذابِ﴾**، بالذلّ وأخذ الجزية، فبعث عليهم سُليمانَ، وبعده بُختَنَصَّرَ، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدّونها إلى المجوس إلى أن بُعث نبيّنا ﷺ وضربها عليهم. **﴿إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقابِ﴾** لمن عصاه، **﴿وإنَّهُ لَغَفُورٌ﴾** لأهل طاعته، **﴿رَحِيمٌ﴾ ١٦٧** بهم.

٣- **﴿وقَطَّعْناهُم﴾**: فرّقناهم **﴿في الأرضِ أُمَمًا﴾**: فِرَقًا، **﴿مِنهُمُ الصّالِحُونَ، ومِنهُم﴾** ناس **﴿دُونَ ذٰلِكَ﴾** الكُفّارُ والفاسقون، **﴿وبَلَوناهُم بِالحَسَناتِ﴾**: بالنِّعم **﴿والسَّيِّئاتِ﴾**: النِّقم، **﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ ١٦٨** عن فِسقهم، **﴿فخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، ورِثُوا الكِتابَ﴾**: التوراة عن آبائهم، **﴿يأخُذُونَ عَرَضَ هٰذا الأدنَى﴾** أي: حُطامَ هذا الشيء الدنيّ، أي: الدنيا من حلال وحرام، **﴿ويَقُولُونَ: سَيُغفَرُ لَنا﴾** ما فعلناه. **﴿وإن يأتِهِم عَرَضٌ مِثلُهُ يأخُذُوهُ﴾**. الجملة حال، أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مُصرّون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار.

٤- **﴿ألَم يُؤخَذْ﴾** - استفهام تقرير - **﴿عَلَيهِم مِيثاقُ الكِتابِ﴾**، الإضافةُ بمعنى «في»، **﴿ألّا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلّا الحَقَّ، ودَرَسُوا﴾**: عطفٌ على «يؤخذ» قرؤوا **﴿ما فِيهِ﴾**؟ فلِمَ كذبوا عليه بنِسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ **﴿والدّارُ الآخِرةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** الحرامَ. **﴿أفَلا يَعقِلُونَ﴾ ١٦٩** - بالياء والتاء - أنها خير، فيؤثرونها على الدنيا؟ **﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾** - بالتشديد والتخفيف - **﴿بِالكِتابِ﴾** منهم، **﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾** كعبدالله بن سلام وأصحابه، **﴿إنّا لا نُضِيعُ أجرَ المُصلِحِينَ﴾ ١٧٠**. الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي: أجرَهم.

---

(١) لما أي: عندما. وأنجينا أي: أنقذنا من العذاب والانتقام. وينهى: يطلب الترك. والسوء: صيد السمك يوم السبت. وأخذنا: عاقبنا بانتقام. وظلموا: كفروا وعصوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وفي الأصل: «بئس». ويفسقون: يقترفون العصيان باختيار وقصد. وتكبر: استعصى وتمرد. وقلنا: أمرناهم وقضينا عليهم. وكونوا: صيروا. وهو أمر تكوين ومسخ. يعني أنه بمعنى التصيير. والقردة: جمع قرد. وهو الحيوان المعروف بقبحه وتقليده للبشر. وكانوها أي: صاروا قردة خاسئين. ولما قبله أي: لما في الآية ١٦٥. وابن عباس هو حَبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الصحابي المشهور بالعلم والتقى والصلاح. أسد الغابة ٣: ٢٩٠. والفئة الساكتة: الجماعة التي أمسكت عن الصيد وعن النهي. وعكرمة هذا مولى لابن عباس، أحد المفسرين التابعين. إرشاد الأريب ٥: ٦٢. وما فعلوه أي: مافعله عبّاد العجل. والحاكم هو النيسابوري صاحب المستدرك في الحديث النبوي. ورجع إليه أي: إلى قول عكرمة. والحديث في المستدرك ٢: ٣٢٢، صححه الحاكم والذهبي. انظر «المفصل».

(٢) يبعث: يسلط. ويسوم: يذيق ويحمّل. والسوء: ما يغم ويؤذي. واليهود لايزالون كذلك في عبودية للأمم الغالبة، مسخَّرين لأطماعها وجبروتها، وفي عذاب بتهديد المسلمين المجاهدين، وإن ظهر لهم أحيانًا تسلط بحماية سماسرة القيم والشعوب. وفي البيضاوي: «بعث الله عليهم بعد سليمان - عليه السلام - بختنصر»، وهو يعني أن الذي سُلّط على اليهود هو بختنصر، أي: ملك البابليين العرب حينذاك. فقد غزا بني إسرائيل مرتين. وقتلهم أي: قتل الرجال المحاربين منهم. وسباهم أي: سبى نساءهم وصغارهم. وعليهم أي: على من لم يقاتل منهم. وسريع العقاب أي: عذابه واقع فور وجوب الانتقام. والغفور والرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من الغفران والرحمة، أي: من العفو مع عدم المؤاخذه، والعطف بالإحسان.

(٣) قطعناهم أي: اليهود. أما اجتماع بعضهم الآن في الأرض المقدسة، بتخاذل المتمسلمين وتثاقلهم إلى الحياة الدنيا واستسلامهم لأمر الأعداء، فليكونَ هلاكهم بأيدي المسلمين قريبًا - إن شاء الله - حتى ليكادُ ينطق الجماد بتحريض المسلمين وعونهم عليهم. انظر «المفصل». ويرجعون: يتوبون. والخلْف: من يأتي بعد غيره فيخلفه. ويأخذون: يأكلون بالظلم رشوة وغصبًا. والعرَض: ما لا ثبات له. ويُغفر: يُمحى. وحال: يعني أن الجملة الشرطية حال من الضمير في «لنا».

(٤) يؤخذ عليهم: يُحصَّل منهم بقبولهم وإقرارهم. والميثاق: التعهد الموثَّق. والحق: الصدق الثابت. والدار الآخرة أي: ما فيها من ثواب ونعيم. وخير: أكثر نفعًا. ويعقل: يستخدم عقله ليتعظ. وبالتاء يريد القراءة «أفلا تَعقِلُونَ»؟ وبالتخفيف يريد القراءة «يُمْسِكُونَ» أي: يتعلّقون، دون تحريف أو مخالفة. وعبد الله بن سلام: أحد أحبار اليهود أسلم في عهد النبوة. وأقاموا الصلاة: حافظوا على العبادة المكتوبة. ولانضيع: لا نقص. والمصلح: من كان صالح العقيدة والعبادة والقول والعمل.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

الحزبُ ١٨

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ نَتقْنا الجَبَلَ﴾: رفعناه من أصله ﴿فوقَهُم، كأنَّهُ ظُلّةٌ، وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أنَّهُ واقِعٌ بِهِم﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه، إن لم يَقبلوا أحكام التوراة - وكانوا أبَوها لثِقَلها - فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوّةٍ﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿واذكُرُوا ما فِيهِ﴾ بالعمل به، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ ١٧١.

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ﴾: حينَ ﴿أخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم﴾ - بدلُ اشتمال ممّا قبله بإعادة الجارّ - ﴿ذُرِّيّاتِهِم﴾ بأن أخرج بعضهم من صُلبِ بعضٍ من صُلبِ آدمَ، نسلًا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذرّ بنَعمانَ، يومَ عَرَفةَ، ونصب لهم دلائل على رُبوبيّته وركّب فيهم عقلًا، ﴿وأشهَدَهُم علَى أنفُسِهِم﴾، قال: ﴿ألَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بَلَى﴾ أنت ربّنا، ﴿شَهِدْنا﴾ بذلك. والإشهادُ لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ - بالياء والتاء في الموضعين - أي الكُفّارُ ﴿يَومَ القِيامةِ: إنّا كُنّا عَن هٰذا﴾ التوحيد ﴿غافِلِينَ﴾ ١٧٢ لا نعرفه. ﴿أو يَقُولُوا: إنَّما أشرَكَ آباؤُنا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِنا، ﴿وكُنّا ذُرِّيّةً مِن بَعدِهِم﴾ فاقتدَينا بهم. ﴿أفتُهلِكُنا﴾: تُعذّبنا ﴿بِما فَعَلَ المُبطِلُونَ﴾ ١٧٣ من آبائنا بتأسيس الشِّرك؟ المعنى: لا يُمكنهم الاحتجاج بذلك، مع إشهادهم على أنفُسهم بالتوحيد، والتذكيرُ به على لسان صاحب المُعجزة قائمٌ مقامَ ذكره في النفوس. ﴿وكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نُبيِّنها مِثلَما بيّنّا المِيثاقَ، ليتدبّروها ﴿ولَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ ١٧٤ عن كُفرهم.

٣- ﴿واتْلُ﴾ - يا مُحمّد - ﴿علَيهِم﴾ أي: اليهودِ ﴿نَبَأَ﴾: خبرَ ﴿الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا، فانسَلَخَ مِنها﴾: خرج بكُفره كما تخرج الحيّة من جِلدها - وهو بَلعَمُ بنُ باعُوراءَ من عُلماء بني إسرائيل، سُئل أن يدعو على مُوسى وأُهدي إليه شيء، فدعا فانقلب عليه واندلعَ لسانُه على صدره - ﴿فأتبَعَهُ الشَّيطانُ﴾: فأدركه فصار قرينه، ﴿فكانَ مِنَ الغاوِينَ﴾ ١٧٥. ﴿ولَو شِئنا لَرَفَعْناهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِها﴾ بأن نُوفّقه للعمل، ﴿ولٰكِنَّـهُ أخلَدَ﴾: سكن ﴿إلَى الأرضِ﴾ أي: الدنيا ومال إليها، ﴿واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في دُعائه إليها فوضعناه، ﴿فمَثَلُه﴾: صِفتُه ﴿كَمَثَلِ الكَلبِ، إن تَحمِلْ عَلَيهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلهَثْ﴾: يَدلعْ لسانَه، ﴿أو﴾ إن ﴿تَترُكْهُ يَلهَثْ﴾. وليس غيره من الحيوان كذلك. وجملتا الشرط حال، أي: لاهثًا ذليلًا بكُلّ حال. والقصد التشبيه في الوضع والخِسّة، بقرينة الفاء المُشعرة بترتّب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتّباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ المَثَل ﴿مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ

---

(١) الجبل يقال له: الطُّور. وقوله «رفعناه من أصله» مبالغة في التفسير. انظر تفسير الآية ٦٣ من سورة البقرة. وفوقهم أي: ارتفع مظلًّا عليهم وعلى منازلهم، ويكاد يسقط فوقهم. والظلة: ما يكون عنه ظل. وخذوه أي: تمسكوا به اعتقادًا وعملًا. وآتيناكم: أعطيناكم. وتتقون: تخافون الله فتتجنبون العصيان. انظر «المفصل». (٢) أخذ: أخرج بالتكوين. والظهور: جمع ظهر. والصلب: العظم الذي يضم فقار الظهر. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة الطارق. والذر: صغار النمل. ونعمان: واد قرب جبل عرفة. ويوم: ظرف للفعل: أخرج. يعني أن ذلك كان في اليوم الموافق لما سيكون في موقف الحُجّاج بعرفة. وتوجيه الآية بإخراج الذر من صلب آدم مردود. فذكرُ الظهور ينفي الإخراج من صلب آدم. وأخذ العهد يكون ممن له بُنية جسدية تتحمل العقل وتدرك المسؤولية. وعودة الإنسان بالتكوّن تزيل عنه التزام ما مضى قبل ذلك. انظر «المفصل». والعقل أي: العقول. و«نصب... عقلًا» هذا قول آخر هو الصواب، والمراد أن الله، بعد خلقه الناس في الدنيا، نصب لهم الأدلة الواضحة وجعل لهم عقولًا وبصائر، يميّزون بها الضلالة من الهدى، فصار ذلك بمنزلة الإشهاد والاعتراف فعلًا. وإذًا فلا إخراج ولاقول ولاشهادة بالفعل. وقد بيّن الإمام القاري أن ما أورده السيوطي هنا تلفيق بين القولين في التفسير. وفي هذه الآية ذكر الميثاق العام للناس جميعًا بالتوحيد، بعد ذكرالميثاق الخاص ببني إسرائيل. وأشهدهم: قرّرهم بالربوبية والوحدانية. وبالتاء يريد القراءة «تَقُولُوا» هنا وفي أول الآية ١٧٣. والغافل: الساهي لعدم التنبيه وبيان الدليل. والأب يطلق على الوالد والجد. و«فاقتدينا بهم» هذه حجة ثانية أبطلها الله، إذ جعل الميثاق العام سببًا لدفعها. والمبطلون: المشركون الذين ضلوا وأضلوا. فالميثاقُ العام بالأدلةِ القاطعة، وتبليغُ الرسل، يدفعان كل اعتذار من الضلال. ويرجعون أي: يعود المشركون وأهل الكتاب وأمثالهم عن الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية. (٣) اتل: اقرأ. وآتيناه: علّمناه. وقد اختلف المفسرون في تعيين الإنسان المقصود هنا، وفي تفصيل ضلاله وشروره. انظر «المفصل». وأهدي إليه أي: رشاه الكفار. وكان أي: صار. والغاوون: الراسخون في الضلال والكفر. وشئنا أي: أردنا أن نشرفه وننقذه من الضلال. وبها أي: بما تتضمنه تلك الآيات وتوجبه على المؤمنين. واتبع هواه: انقاد إلى شهواته. ووضعناه: تركناه في الضلال. والمعنى: لم نشأ هدايته لأنه آثر الضلال وترك الطاعة، فبقي على الكفر والعصيان. وفي هذا دلالة قاطعة أن ضلال الإنسان بقصد منه واختيار. وتحمل عليه: تطرده وتجهده. ويدلعه: يخرجه ويدليه. وتتركه: تهمله وتنصرف عنه. والقرينة: الدلالة اللفظية والمعنوية. والترتب: كون الشيء مسبّبًا وما قبله سببًا له. وماقبلها يعني: ما قبل الفاء التي دخلت على «مثله». وذلك أي: ماكان عليه المنسلخ من الآيات في شَبَهه للكلب. وكذبوا بها أي: أنكروها. واقصص: اسرد. والقصص: أخبار القرون الماضية. وعلى اليهود أي: وعلى غيرهم من الكافرين. وساء: تجاوز الحد في السوء والقبح والشر. ويظلمونها: يحكمون عليها ظلمًا بعذاب الدنيا والآخرة. ويهديه: يصرف قدراته بحسب اختياره الطيب واستعداده الصالح. والمهتدي: المسترشد إلى أمر الله ونهيه في النية والقول والعمل. ويضله: يوجّه قدراته بحسب اختياره الفاسد واستعداده السيئ. والخاسر: الكامل في الخسران بضياع خير الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

كَذَّبُوا بِآياتِنا - فاقصُصِ القَصصَ على اليهود، ﴿**لَعَلَّهُم يَتفكَّرُونَ**﴾ ١٧٦ : يتدبّرون فيها فيُؤمنون - ﴿**ساءَ**﴾ : بئس ﴿**مَثَلًا القَومُ**﴾ أي: مَثَلُ القوم ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، وأنفسَهُم كانُوا يَظلِمُونَ**﴾ ١٧٧ بالتكذيب! ﴿**مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ١٧٨.

١- ﴿**ولَقَد ذَرَأْنا**﴾ : خلقنا ﴿**لِجَهنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ والإنسِ، لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِها**﴾ الحقَّ، ﴿**ولَهُم أعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِها**﴾ دلائلَ قُدرة الله بصرَ اعتبار، ﴿**ولَهُم آذانٌ لا يَسمَعُونَ بِها**﴾ الآياتِ والمواعظَ سماعَ تدبّر واتّعاظ. ﴿**أُولئِكَ كالأنعامِ**﴾، في عدم الفِقه والبصر والاستماع، ﴿**بَل هُم أضَلُّ**﴾ من الأنعام، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارّها، وهؤلاء يُقدمون على النار مُعاندةً. ﴿**أُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ**﴾ ١٧٩. ﴿**ولِلهِ الأسماءُ الحُسنَى**﴾ التِّسعةُ والتِّسعون الواردُ بها الحديثُ. والحُسنى: مُؤنّث الأحسَن. ﴿**فادعُوهُ**﴾: سمُّوه ﴿**بِها، وذَرُوا**﴾: اتركوا ﴿**الَّذِينَ يُلحِدُونَ**﴾، من: ألحَدَ ولَحَدَ: يَميلون عن الحقّ ﴿**في أسمائِهِ**﴾، حيثُ اشتقّوا منها أسماء لآلهتهم: كاللّاتِ من الله، والعُزّى من العزيز، ومَناةَ من المنّان. ﴿**سَيُجزَونَ**﴾ في الآخِرة جزاءَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٨٠. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٢- ﴿**وممَّن خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهدُونَ بالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ**﴾ ١٨١ - هم أُمّة مُحمّد ﷺ كما في حديث - ﴿**والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾: القرآنِ، من أهل مكّة، ﴿**سَنَستَدرِجُهُم**﴾: نأخذهم قليلًا قليلًا، ﴿**مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٨٢، ﴿**وأُملِي لَهُم**﴾: أُمهِلُهم. ﴿**إنَّ كَيدِي مَتِينٌ**﴾ ١٨٣ : شديد لا يُطاق.

٣- ﴿**أوَلَم يَتفكَّرُوا**﴾، فيعلموا ﴿**ما بِصاحِبِهِم**﴾ مُحمّد ﴿**مِن جِنَّةٍ**﴾ : جُنون، ﴿**إنْ**﴾ : ما ﴿**هُوَ إلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ١٨٤ : بيِّنُ الإنذار؟ ﴿**أوَلَم يَنظُرُوا في مَلَكُوتِ**﴾ : مُلكِ ﴿**السَّماواتِ والأرضِ، و**﴾في ﴿**ما خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ**﴾ - بيان لـ «ما» - فيستدلّوا به على قُدرة صانعه ووحدانيّته، ﴿**و**﴾ في ﴿**أنْ**﴾ أي: أنّه ﴿**عَسَى أن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ**﴾ : قرُبَ ﴿**أجَلُهُم**﴾ ، فيموتوا كُفّارًا فيصيروا إلى النار، فيُبادروا إلى الإيمان؟ ﴿**فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ**﴾ أي: القرآنِ ﴿**يُؤمِنُونَ**﴾ ١٨٥؟ ﴿**مَن يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ لَهُ، ويَذَرُهُم**﴾ - بالياء والنون مع الرفعِ استئنافًا، والجزمِ عطفًا على محلّ ما بعد الفاء - ﴿**في طُغيانِهِم يَعمَهُونَ**﴾ ١٨٦ : يتردّدون تحيُّرًا.

٤- ﴿**يَسألُونَكَ**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**عَنِ السّاعةِ**﴾ القِيامة: ﴿**أيّانَ**﴾ : متى ﴿**مُرْساها؟ قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّما عِلمُها**﴾ متى تكون ﴿**عِندَ رَبِّي، لا يُجَلِّيها**﴾: يُظهرُها ﴿**لِوَقتِها**﴾ - اللام بمعنى: في - ﴿**إلّا هُوَ. ثَقُلَتْ**﴾ : عظُمت ﴿**في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ على أهلهما لهولها، ﴿**لا تأتِيكُم إلّا بَغتَةً**﴾ :

---

(١) القلوب: جمع قلب. انظر «المفصل». ويفقه: يفهم. والأعين: جمع عين. والآذان: جمع أذن. وأولئك أي: الموصوفون بتعطيل قلوبهم وأعينهم وآذانهم. والأنعام: جمع نَعَم. وهي الإبل والبقر والغنم. وأضل أي: أكثر بعدًا عن الاستفادة مما وهب الله من القدرات. انظر «المفصل» ايضًا. والأسماء: جمع اسم. والحسنى: الأعظم جمالًا وحسنًا. والحديث هو تحت الرقمين ٣٥٠٢ و٣٥٠٣ في الترمذي وفي تفسير الآية ١١٠ من سورة الإسراء. وذروهم أي: اتركوا أتباع هذه الأسماء التي اختلقها الملحدون لآلهتهم. و«لَحَدَ» يريد القراءة بالمضارع «يَلحَدُونَ». واللات والعزى ومناة: أسماء أصنام للجاهليين. وانظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٠ من سورة النجم. ويجزون: يعاقبون بعذاب الدنيا والآخرة. وقوله «في الآخرة» يخالف ما ذكره من النَّسخ بالقتال. ويعملون: يقترفون في النية والقول والفعل. و«هذا» المراد أن موادعة المشركين، بتركهم على شركهم، نُسخت بأمر قتالهم في الآيات ٥-١٥ من سورة التوبة. (٢) خلق: أوجد. ويهدون: يرشدون إلى الخير. والحق: الاستقامة والعدل. ويعدلون: يجعلون الأمور متعادلة. والحديث: انظر «المفصل». وكذبوا: أنكروا قولًا واعتقادًا. ونأخذهم قليلًا قليلًا أي: نقربهم إلى الهلاك، بإدرار النعم عليهم. ولايعلمون أي: يجهلون أنه استدراج. وأملي لهم: أؤخرهم مدة فيها طول. والكيد: التدبير الخفي بإيصال الضرر إلى الكافرين. (٣) في لباب النقول أن النبي ﷺ قام على الصفا يدعو قريشًا، ويحذرهم بأس الله ونقمه. فقال بعضهم لبعض: «إن صاحبكم هذا لمجنون». فنزلت الآية. يعني الآيات ١٨٤-١٨٦. ويتفكروا: يتدبروا بعقولهم. وصاحبهم أي: من يعيش بينهم وهو منهم. والنذير: الذي يتوعد العصاة بالعذاب. وينظروا أي: يدركوا بأعينهم وبصائرهم. وخلق: أوجده من العدم. والحديث: الكلام المقول. ويبادروا: يسارعوا. ويضله: يوجّه قدراته بحسب اختياره الفاسد واستعداده السيئ. والهادي: المرشد إلى الحق. ويذرهم: يتركهم لما هم عليه. والقراءات هنا أربع: والثانية «نَذَرُهُم»، والثالثة «يَذَرْهُم»، والرابعة «نَذَرْهُم». والطغيان: مجاوزة الحد بالكفر والعصيان. (٤) يسأل: يطلب الجواب تعجيزًا . انظر «المفصل». ومرساها: وقت وقوعها وحصولها. وعلمها أي: معرفة زمن وقوعها. وعند ربي أي: لايطلع عليه أحدًا. ووقتها: الزمن المعيَّن لها. والخطاب لكل الناس، لالقريش وحدها، إبهامًا عليهم. ويعلم: يدرك ويعي. وأملك الشيء: أتمكن منه وأستطيعه. والنفع: الإفادة وإيصال الخير. والضر: الإيذاء وإيصال الشر. وما شاء أي: ما أراد تمكيني منه بأن ألهمني إياه ويسره لي. وأعلم الغيب: أعرف المغيبات. والخير: ماينفع في الدنيا والآخرة. ومسني: أصابني. والسوء: ما يضر ويؤذي. والنذير: من يبلغ العصاة ما يخيفهم ويُرهبهم. والبشير: من يبلغ المطيعين ما يَسرّ ويُسعِد. ويؤمنون أي: تعرف قلوبهم التوحيد، وعندهم استعداد لتصديق الحق والعمل به.

الجزء التاسع　سورة الأعراف

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

فَجأة. ﴿**يَسألُونَكَ، كأَنَّكَ حَفِيٌّ**﴾: مُبالغ في السُّؤال ﴿**عَنها**﴾ حتّى علمتَها. ﴿**قُلْ: إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ**﴾ - تأكيد - ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٨٧ أَنَّما عِلمُها عِنده، تعالى. ﴿**قُلْ: لا أملِكُ لِنَفسِي نَفعًا**﴾ أجلِبه، ﴿**ولا ضَرًّا**﴾ أدفعه، ﴿**إلّا ما شاءَ اللهُ. ولَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ**﴾: ما غاب عنّي ﴿**لاستَكثَرْتُ مِنَ الخَيرِ، وما مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ من فقر وغيره، لاحترازي عنه باجتناب المضارّ. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أنا إلّا نَذِيرٌ**﴾ بالنار للكافرين، ﴿**وبَشِيرٌ**﴾ بالجنّة ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ١٨٨.

ربع الحزب ١٨

١- ﴿**هُوَ**﴾ أي: اللهُ ﴿**الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدةٍ**﴾ أي: آدمَ، ﴿**وجَعَلَ**﴾: خلقَ ﴿**مِنها زَوجَها**﴾ حوّاء، ﴿**لِيَسكُنَ إلَيها**﴾ ويألفَها، ﴿**فلَمّا تَغَشّاها**﴾: جامعها ﴿**حَمَلَت حَملًا خَفِيفًا**﴾ هو النُّطفة، ﴿**فمَرَّتْ بِهِ**﴾: ذهبت وجاءت لخِفّته، ﴿**فلَمّا أثقَلَتْ**﴾ بكِبَر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿**دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما: لَئِنْ آتَيتَنا**﴾ ولدًا ﴿**صالِحًا**﴾: سويًّا ﴿**لَنكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ**﴾ ١٨٩ لك عليه.

٢- ﴿**فلَمّا آتاهُما**﴾ ولدًا ﴿**صالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ**﴾، وفي قراءة بكسر الشين والتنوين، أي: **شريكًا** ﴿**فِيما آتاهُما**﴾ بتسميته عبدَ الحارث. ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلّا للهِ. وليس بإشراك في العبوديّة لعِصمة آدم. وروى سمُرةُ عن النبيّ ﷺ قال: «لَمّا وَلَدَتْ حَوّاءُ طافَ بِها إبلِيسُ - وكانَ لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ - فقالَ: سَمِّيهِ عَبدَ الحارث. فإنّهُ يَعِيشُ. فسَمّتْه فعاشَ، فكانَ ذلِكَ مِن وَحيِ الشَّيطانِ وأمرِهِ». رواه الحاكمُ وقال: صحيحٌ، والترمذيُّ وقال: حسن غريب. ﴿**فتَعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ١٩٠ أي: أهلُ مكّة به من الأصنام! والجملة مُسبَّبة عطفٌ على «خلقكم»، وما بينهما اعتراض.

٣- ﴿**أيُشرِكُونَ**﴾ به في العِبادة ﴿**ما لا يَخلُقُ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ ١٩١، ولا يَستَطِيعُونَ لَهُم**﴾ أي: لعابدِيهم ﴿**نَصرًا، ولا أنفُسَهُم يَنصُرُونَ**﴾ ١٩٢ بمنعها ممّن أراد بهم سوءًا من كسر أو غيره؟ والاستفهام للتوبيخ. ﴿**وإن تَدعُوهُم**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**إلَى الهُدَى لا يَتَّبِعُوكُم**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**سَواءٌ عَلَيكُم أدَعَوتُمُوهُم**﴾ إليه ﴿**أم أنتُم صامِتُونَ**﴾ ١٩٣ عن دُعائهم، لا يتّبعوه لعدم سماعهم. ﴿**إنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ عِبادٌ**﴾ مملوكة ﴿**أمثالُكُم. فادعُوهُم فلْيَستَجِيبُوا لَكُم**﴾ دُعاءكم، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٩٤ في أنها آلهة. ثمّ بيّن غايةَ عجزهم وفضلَ عابديهم عليهم، فقال: ﴿**ألَهُم أرجُلٌ يَمشُونَ بِها، أم**﴾: بل أ ﴿**لَهُم أيدٍ**﴾: جمع يد ﴿**يَبطِشُونَ بِها، أم**﴾: بل أ ﴿**لَهُم أعيُنٌ يُبصِرُونَ بِها، أم**﴾: بل أ ﴿**لَهُم آذانٌ يَسمَعُونَ بِها**﴾؟ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك ممّا هو لكم. فكيف تعبدونهم وأنتم أتمّ حالًا منهم؟

٤- ﴿**قُلِ**﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿**ادعُوا شُرَكاءَكُم**﴾ إلى هلاكي، ﴿**ثُمَّ كِيدُونِ فلا تُنظِرُونِ**﴾ ١٩٥: تُمهلونِ. فإني لا أُبالي بكم. ﴿**إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ**﴾: يتولّى أُموري، ﴿**الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ**﴾: القُرآن، ﴿**وهْوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ**﴾ ١٩٦ بحِفظه، ﴿**والَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ لا يَستَطِيعُونَ نَصرَكُم، ولا أنفُسَهُم**

---

(١) خلقكم: أوجدكم. ومن نفس أي: من جنسها البشري. والزوج هنا: الزوجة. وتغشاها: تغشى الرجل زوجته. وضميرا الفاعل والمفعول ليسا لآدم وحواء، بل هما مَثَل لآخَرين بيانًا لحال بعض أبناء آدم الكافرينَ، ممن ينسى نعم الله ويشرك به. انظر «المفصل». وأثقلت: صارت ذات ثقل بالحمل. و«بهيمة» الصواب أن يقال: أن يولد مشوهًا أو ميتًا. ودعوا الله: ناداياه يستعينان به رجاء الخير. ونكون: نصير. والشاكر: من يذكر النعمة بالثناء في القلب واللسان والعمل.

(٢) جعلا له شركاء أي: صيّرا المخلوقات شركاء له في الألوهية، بتسمية الأبناء عبدَ مناف وعبد المسيح، أو بعبادة بعض الخلق. والشركاء: جمع شريك. وبكسر الشين والتنوين يريد القراءة «شِركًا». و«في العبودية» صوابه: «في العبادة». وكلامه هنا مبني على أن الأبوين هما آدم وحواء. وحملُ ذلك على غيرهما هو الصواب كما ذكرنا، والإشراك حقيقي صريح. والحديث رواه الحسن البصري عن سمُرة، وفسر الآية كما ذكرنا قبل. وهذا الحديث في الترمذي ٨:٢٣٥ والمستدرك ٢:٥٤٥، وهو ضعيف منكر، من دسائس الإسرائيليات. والوحي هنا: الوسوسة بالشر. وتعالى: تنزه وترفع. وعما يشركون أي: عما يجعلونه شريكًا له في الألوهية والعبادة. والقول بالعطف والاعتراض مرجوح. انظر «المفصل».

(٣) النصر: العون. وتدعوهم أي: تنادوهم. والهدى: الإرشاد إلى الخير. وفيما عدا الأصل والنسخ: «لا يَتبَعُوكُم». وسواء أي: متساويان. والصامتون: الساكتون. وعباد: جمع عبد. والأمثال: جمع مِثل. ويستجيبوا لكم أي: يطيعوكم ويلبوا طلبكم. والصادق: من يقول الحق. والأرجل: جمع رِجل. والأيدي: جمع يد. ويبطشون: يأخذون بعنف. والأعين: جمع عين. والآذان: جمع أذن.

(٤) الشركاء: جمع شريك. وهو من جُعل شريكًا لله. وكيدون أي: اجتهدوا أنتم وشركاؤكم في إيذائي. وفي الأصل: «كِيدُونِي». ونزّل الكتاب أي: أوحاه إليّ وأرسلني لتبليغه والعمل به. ويتولاهم: ينصرهم ويرعى مصالحهم. والصالحون: الذين صلَحت أعمالهم في الاعتقاد والقول والفعل. وتدعوه: تعبده وتستغيث به. والهدى: الرشاد. وينظرون أي: للأصنام شكل الأعين، ولايبصرون لأنهم جماد.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦
وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ
أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ
بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ
فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦

يَنصُرُونَ﴾ ١٩٧، فكيف أبالي بهم؟ ﴿**وإن تدعُوهُم**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**إلى الهُدَى لا يَسمَعُوا. وتَراهُم**﴾ - يا مُحمّد - أي الأصنامَ ﴿**يَنظُرُونَ إليكَ**﴾ أي: يُقابلونك كالناظر، ﴿**وهُم لا يُبصِرُونَ**﴾ ١٩٨.

١- ﴿**خُذِ العفوَ**﴾: اليُسرَ من أخلاق الناس ولا تبحث عنها، ﴿**وأمُرْ بالعُرفِ**﴾: المعروف، ﴿**وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ**﴾ ١٩٩ فلا تُقابلهم بسَفَههم، ﴿**وإمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿**يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ**﴾ أي: إن يَصرِفْك عمّا أُمرت به صارف ﴿**فاستَعِذْ باللهِ**﴾: جوابُ الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدفعْه عنك. ﴿**إنَّهُ سَمِيعٌ**﴾ للقول، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٠٠ بالفِعل.

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إذا مَسَّهُم**﴾: أصابهم ﴿**طَيفٌ**﴾، وفي قراءة: «طائفٌ» أي: شيء ألمّ بهم ﴿**مِنَ الشَّيطانِ، تَذَكَّرُوا**﴾ عِقاب الله وثوابه، ﴿**فإذا هُم مُبصِرُونَ**﴾ ٢٠١ الحقَّ من غيره فيرجعون، ﴿**وإخوانُهُم**﴾ أي: إخوان الشياطين من الكُفّار ﴿**يَمُدُّونَهُم**﴾ الشياطينُ ﴿**في الغَيِّ، ثُمَّ**﴾ هم ﴿**لا يُقصِرُونَ**﴾ ٢٠٢: يكُفّون عنه بالتبصُّر كما تَبَصَّرَ المتّقون، ﴿**وإذا لَم تأتِهِم**﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿**بآيَةٍ**﴾ ممّا اقترحوا ﴿**قالُوا: لَولا**﴾ هلّا ﴿**اجتَبَيتَها**﴾: من قِبَلِ نفسك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّما أتَّبِعُ ما يُوحَى إلَيَّ مِن رَبِّي**﴾، وليس لي أن آتيَ من عند نفسي بشيء. ﴿**هٰذا**﴾ القُرآن ﴿**بَصائِرُ**﴾: حُجَجٌ ﴿**مِن رَبِّكُم، وهُدًى ورَحمَةٌ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٢٠٣.

٣- ﴿**وإذا قُرِئَ القُرآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا**﴾ عن الكلام، ﴿**لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ ٢٠٤. نزلتْ في ترك الكلام في الخُطبة، وعُبّر عنها بالقُرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القُرآن مُطلقًا. ﴿**واذكُرْ رَبَّكَ في نَفسِكَ**﴾ أي: سِرًّا، ﴿**تَضَرُّعًا**﴾: تذلُّلًا، ﴿**وخِيفَةً**﴾: خوفًا منه، ﴿**و**﴾ فوق السرّ ﴿**دُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ**﴾ أي: قصدًا بينهما، ﴿**بالغُدُوِّ والآصالِ**﴾: أوائل النهار وأواخره، ﴿**ولا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ**﴾ ٢٠٥ عن ذكر الله. ﴿**إنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ**﴾ أي: الملائكةَ ﴿**لا يَستَكبِرُونَ**﴾: يتكبّرون ﴿**عَن عِبادَتِهِ، ويُسَبِّحُونَهُ**﴾: يُنزِّهونه عمّا لا يليق به، ﴿**ولَهُ يَسجُدُونَ**﴾ ٢٠٦ أي: يخصُّونه بالخُضوع والعِبادة. فكونوا مِثلهم.

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وخذ أي: تقبل راضيًا مطمئنًا واترك السرائر. وأؤمر به أي: أوجبه. والمعروف: ما حسّنه الشرع والعقل السليم. وأعرض أي: انصرف باللطف. والجاهل: الجافي من الناس. وزيادة «ما» تفيد توكيد الشرط والجواب. والشيطان: من يغري بالشر من الإنس والجن. وينزغن: يصيبن. والنزغ: الإغواء، أي: الوسوسة من الإنس أوالجن أو النفس بالنسبة إلى المسلمين. وهو بالنسبة إلى النبي ﷺ يكون من نزغ الإنس أوالنفس فقط، بنميمة أو غيبة وغضب أو عداوة. فقد ثَبَتَ في الحديث الصحيح، وفي إجماع الأمة، أنه معصوم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه. انظر ص ٢١٦٧-٢١٦٨ من صحيح مسلم والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ١٠٤-١٠٥ وتفسير الآلوسي ٩: ٢١٤. واستعذ به: الجأ إليه وتحصن به، ليكشف عنك البلاء ويحفظك.

(٢) اتقوا أي: خافوا الله والتزموا طاعته وتجنبوا عصيانه. والطيف والطائف: ما يدور في النفس الإنسانية من الوسوسة والتخيلات الوهمية، ودسائس المفسدين والأشرار. والتذكّر هنا شامل أيضًا لعداوة الشيطان وكيده، وللاستعاذة بالله واستحضار عظمته وعونه في القلب، وللتفكر فيما يحقق الخير والصلاح. ومبصرون: من البصيرة. وهي الفطنة وإدراك الحقيقة، لتجنبِ مواقع الخطأ وطلبِ الخير والصلاح. والإخوان: جمع أخ. وهو الصاحب. وإخوان الشياطين هم الكفار يجارونهم في الباطل. ويمدونهم: يزيّنون بالإغراء. والهاء تعود على: إخوان. والغي: الضلال. و«هم» يعني الكفار. ويكفون أي: لا يكف إخوان الشياطين عن الغي. وانظر «المفصل». واجتبيتها أي: أتيت بها. وأتّبعُه أي: أعمل به وأبلّغه. ويوحى: يرسل إليّ على لسان جبريل، وييسر لي علمه وحفظه وتبليغه. والبصائر: جمع بصيرة. وهي ظهور الشيء، حتى يبصره الإنسان فيهتدي به. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان. ويؤمنون أي: يتقبلون الخير بالتصديق والعمل.

(٣) استمعوا أي: توجهوا بالسمع والانتباه. وأنصتوا: اسكتوا مستمعين. ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم. وترحمون أي: يكون عليكم عطف الرحمن بالإحسان. وفي الخطبة أي: وجوب امتناع المستمعين لخطبة الجمعة والعيدين عن الكلام. وفي هذا نظر، لأن الآية مكية، والخطبة وجبت في المدينة. الجامع لأحكام القرآن ٧: ٣٥٣. و«قيل» هذا تفسير آخر للآية، يوجب صمت المستمعين حين تلاوة القرآن، وهو الراجح. واذكره أي: استحضر عظمته في قلبك وتصرفاتك. والخطاب للنبي ﷺ ويعم جميع المسلمين. ودون الجهر أي: تحت درجة الصوت العالي. وهو القصد أي: التوسط والاعتدال. والغدو: جمع غُدوة. وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والآصال: جمع أصيل. وهو من العصر إلى المغرب. والغافل: الساهي لا يعي ما حوله. وعند ربك أي: في الرضا والإكرام من المنازل الرفيعة. ويسجد: يتذلل ويخضع.

سورة الأنفال (٨) آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال

الحزب ١٨

مدنية أو إلّا «وإذ يمكر» الآيات السبع فمكية، [بل هي مدنية]، خمس أو ستّ أو سبع وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- لمّا اختلف المسلمون في غنائمِ بدرٍ، فقال الشُّبّانُ: هي لنا لأننا باشرْنا القتال. وقال الشُّيوخُ: «كنّا رِدءًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفِئتم إلينا. فلا تستأثروا بها»، نَزَلَ: ﴿**يَسألُونَكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**عَنِ الأنفالِ**﴾: الغنائمِ لمن هي؟ ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**الأنفالُ للهِ والرَّسُولِ**﴾ يجعلانها حيثُ شاءا. فقسَّمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في «المستدرك». ﴿**فاتَّقُوا اللهَ وأصلِحُوا ذاتَ بَينِكُم**﴾ أي: حقيقةَ ما بينكم بالمودّة وترك النزاع، ﴿**وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ١ حقًّا.

٢- ﴿**إنَّما المُؤمِنُونَ**﴾ الكاملو الإيمانِ ﴿**الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ**﴾ أي: وعيدُه ﴿**وَجِلَتْ**﴾: خافت ﴿**قُلُوبُهُم، وإذا تُلِيَتْ عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا**﴾: تصديقًا، ﴿**وعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**﴾ ٢: به يثقون لا بغيره، ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ**﴾: يأتون بها بحقوقها، ﴿**ومِمّا رَزَقْناهُم**﴾: أعطيناهم ﴿**يُنفِقُونَ**﴾ ٣ في طاعة الله. ﴿**أُولئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿**هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا**﴾: صِدقًا بلا شكّ، ﴿**لَهُم دَرَجاتٌ**﴾: منازل في الجنّة ﴿**عِندَ رَبِّهِم، ومَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ ٤ في الجنّة.

٣- ﴿**كَما أخرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيتِكَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أخرج»، ﴿**وإنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤمِنِينَ لَكارِهُونَ**﴾ ٥ الخُروجَ - والجملة: حال من كاف «أخرجك». وكما: خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الحالُ في كراهتهم لها مِثلُ إخراجك في حال كراهتهم. وقد كان خيرًا لهم، فكذلك أيضًا. وذلك أنّ أبا سُفيانَ قَدِمَ بِعِير من الشام فخرج ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبّوا عنها. وهم النفير. وأخذ أبو سُفيان بالعِير طريقَ الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجعْ. فأبى وسار إلى بدر، فشاور ﷺ أصحابَه وقال: «إنّ اللهَ وَعَدَني إحدَى الطّائفتَينِ» - فوافقوه على قتال النفير، وكرهَ بعضهم ذلك وقالوا: «لم نَستَعِدَّ له»، كما قال تعالى: ﴿**يُجادِلُونَكَ في الحَقِّ**﴾: القتال، ﴿**بَعدَ ما تَبَيَّنَ**﴾: ظهر لهم، ﴿**كأنَّما يُساقُونَ إلَى المَوتِ، وهُم يَنظُرُونَ**﴾ ٦ إليه عِيانًا في كراهتهم له.

٤- ﴿**و**﴾اذكرْ ﴿**إذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدَى الطّائفتَينِ**﴾: العِيرَ أو النفيرَ ﴿**أنَّها لَكُم، وتَوَدُّونَ**﴾: تُريدون ﴿**أنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوكةِ**﴾ أي: البأسِ والسلاح - وهي العِير - ﴿**تَكُونُ لَكُم**﴾ لقِلّة عَدَدها وعُدَدها بخِلاف النفير، ﴿**ويُرِيدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ**﴾: يُظهرَه ﴿**بِكَلِماتِهِ**﴾ السابقة بظهور الإسلام، ﴿**ويَقطَعَ**﴾

(١) الردء: الحماية والعون. وانكشفتم: انهزمتم. وفئتم: التجأتم. ولاتستأثروا بها أي: لاتخصوا بها أنفسكم. انظر «المفصل». ويسألونك أي: سؤال استفتاء لحل الخلاف. والأنفال: جمع نَفَل. والمراد بالغنائم ما يُعطاه المجاهد زيادة على نصيبه. ولله والرسول أي: حكمها مختص به - تعالى - يقسمها الرسول دون تدخل أحد. والمستدرك يعني ماورد في ٢:١٣٥ و٣٢٦ منه. واتقوه أي: خافوه بتجنب عصيانه ولزوم طاعته. وأصلحوه: أزيلوا مافيه من الخلاف. وذات الشيء: حقيقته ونفسه. والبين: الروابط. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٢) لفظ «المؤمنون» فيه تغليب الذكور على الإناث، لأن المراد به الرجال والنساء. وذُكِرَ الله: ورد اسم من أسمائه. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وتليت: قرئت وبُيِّن حكمها. والآيات: النصوص القرآنية. وزادته: أضافت إليه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والصلاة: العبادة المكتوبة. وينفق: يصرف. وفي طاعة الله: فيما شرع من الزكاة وغيرها. والمؤمنون: الكاملو الإيمان. وعند ربهم: في حكمه بفضله ورحمته. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والرزق: ما ييسّر للمخلوق من نعم. والكريم: الدائم مع الإكرام والتعظيم.

(٣) أخرجك: قدّر لك الخروج. والبيت: مكان الإقامة والاستقرار. والحق: ما وجب من الجهاد. انظر «المفصل». ومتعلق: يعني حرف الجر الباء. والفريق: الجماعة. والكاره: من يأبى ولايريد. و«فكذلك» أي: فقسمة الغنيمة بالعدل مثل ذلك الخروج، في أن كلًّا منهما خير. وأبو سفيان: صخر بن حرب سيد قريش في الجاهلية. والعير: الإبل الحاملة للتجارة. ويذبوا أي: يقاتلوا ويدافعوا. والنفير: العسكر المجتمع. وأخذ طريق الساحل أي: عدل إلى طريق بساحل البحر. وذكر الطائفتين يشير إلى الآية ٧. وظهرَ أي: تحتُّمُ القتال وثبوت النصر فيه. ويساقون إلى الموت: يُدفعون إلى القتل.

(٤) يعدكم إحداهما أي: يتعهد لكم بها. وذات الشوكة: صاحبتها. وتكون لكم أي: تصير لكم في اللقاء والتملك. وبخلاف النفير: يعني أن لقاء النفير فيه حرب وقتل، ولقاء العِير فيه غنيمة بقليل من القتال. ويريد: يقضي. ويحق: يُثبت ويُغلّب. والحق: الشيء الثابت وهو التوحيد. وكلماته: أوامره وقضاؤه. ويقطع: يُفني ويمحق. والباطل: ما لا أصل له عند الاختبار. وكره: أبغض ولم يرض. والمجرم: من يقترف الشرك والجرائم باختيار وقصد. وذلك يعني: انتصار الإسلام وهزيمة الكفر.

الجزء التاسع | سورة الأنفال

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

دابِرَ الكافِرينَ ﴾ ٧ آخرَهم بالاستئصال. فأمركم بقتال النفير، ﴿**لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ**﴾: يمحق ﴿**الباطِلَ**﴾: الكُفر، ﴿**ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ**﴾ ٨: المُشركون ذلك.

١- اذكرْ ﴿**إِذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم**﴾: تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم، ﴿**فاستَجابَ لَكُم أَنِّي**﴾ أي: بأني ﴿**مُمِدُّكُم**﴾: مُعينكم ﴿**بِألفٍ مِنَ المَلائكةِ مُردِفِينَ**﴾ ٩: مُتتابعين يُردف بعضهم بعضًا. وعَدَهم بها أوّلًا، ثمّ صارت ثلاثة آلاف ثمّ خمسة، كما في «آل عمران». وقُرئ: «بآلُفٍ» كأفلس، جمعٌ. ﴿**وما جَعَلَهُ اللهُ**﴾ أي: الإمدادَ ﴿**إلّا بُشرَى، ولِتطمَئنَّ بِهِ قُلُوبُكُم. وما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ اللهِ. إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ ١٠.

٢- اذكرْ ﴿**إِذْ يَغشاكُمُ النُّعاسُ أَمَنةً**﴾: أمْنًا ممّا حَصَلَ لكم من الخوف ﴿**مِنهُ**﴾ - تعالى - ﴿**ويُنزِلُ عَلَيكُم مِنَ السَّماءِ ماءً، لِيُطَهِّرَكُم بِهِ**﴾ من الأحداث والجنابات، ﴿**ويُذهِبَ عَنكُم رِجزَ الشَّيطانِ**﴾: وسْوَستَه إليكم، بأنكم لو كنتم على الحقّ ما كنتم ظِماءً مُحدِثين والمشركون على الماء، ﴿**ولِيَربِطَ**﴾: يَحبِسَ ﴿**عَلَى قُلُوبِكُم**﴾ باليقين والصبر، ﴿**ويُثَبِّتَ بِهِ الأقدامَ**﴾ ١١ أن تسوخ في الرمل.

٣- ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائكةِ**﴾ الذين أمدّ بهم المسلمين: ﴿**أنّي**﴾ أي: بأنّي ﴿**مَعَكُم**﴾ بالعون والنصر. ﴿**فثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالإعانة والتبشير. ﴿**سأُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ**﴾: الخوفَ. ﴿**فاضرِبُوا فَوقَ الأعناقِ**﴾ أي: الرؤوسَ، ﴿**واضرِبُوا مِنهُم كُلَّ بَنانٍ**﴾ ١٢ أي: أطرافَ اليدين والرجلين. فكان الرجل يقصِد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل سيفه إليه. ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى، فلم يَبقَ مُشرك إلّا دخل في عينيه منها شيء، فهُزموا. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ العذاب الواقع بهم ﴿**بِأنَّهُم شاقُّوا**﴾: خالفوا ﴿**اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ١٣ له. ﴿**ذٰلِكُم**﴾ العذابُ - ﴿**فذُوقُوهُ**﴾ أيها الكُفّار في الدنيا - ﴿**وأنَّ لِلكافِرِينَ**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابَ النّارِ**﴾ ١٤.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحفًا**﴾ أي: مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿**فلا تُوَلُّوهُمُ الأدبارَ**﴾ ١٥ منهزمين. ﴿**ومَن يُوَلِّهِم يَومَئذٍ**﴾ أي: يوم لقائهم ﴿**دُبُرَهُ، إلّا مُتَحَرِّفًا**﴾: مُنعطفًا ﴿**لِقِتالٍ**﴾، بأن يُريهم الفَرّةَ مَكيدةً وهو يريد الكرّةَ، ﴿**أو مُتَحَيِّزًا**﴾: مُنضمًّا ﴿**إلَى فِئةٍ**﴾: جماعة من المسلمين يستنجدُ بها، ﴿**فقَد باءَ**﴾: رجَع ﴿**بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، ومأواهُ جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ١٦: المرجعُ هي! وهذا مخصوص بما إذا لم يَزِد الكُفّارُ على الضِّعف.

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. واستجاب لكم أي: قبل دعاءكم وحقق طلبكم. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية عظيمة القدرات معصومة مطهرة. و«كما في» يعني الآيتين ١٢٤ و١٢٥ من سورة آل عمران. وجمع أي: آلُف جمع ألْف. وجعله: أوجده. والبشرى: البشارة. وهي التبليغ بالخير والنصر. وتطمئن: تهدأ. والقلوب: جمع قلب. والنصر: الغلبة على العدو. ومن عنده أي: بأمره وقضائه. والعزيز: الغلّاب لايعجزه شيء ويَذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٢) يغشاكم: يحل بكم. وفي ث والمنحة وبعض المطبوعات: «يغشيكم». والنعاس: النوم الخفيف. والأمن: الطمأنة. ومنه أي: من عنده وبأمره. وينزل: يسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر. والأحداث: جمع حَدَث. وهو فساد الوضوءِ أوالاغتسالِ. والجنابة: الحاجة إلى الاغتسال من الحدث الأكبر. وذلك أنهم كانوا في كثيب رمل لاماء فيه، واحتلم بعضهم في منامه، فكان المطر لهم مُسعفًا. ويذهب: يزيل. والرجز: العذاب. وفسّر بالوسوسة لأنها سبب له. والشيطان: من يغري بالشر من الجن. وظماء: جمع ظمآن. وهو العطشان. وفي ع وقرة العينين والمنحة: «ظمأى». ويربط على قلوبكم: يقويها ويشجعها. ويثبت الأقدام: يرسخها في مواطئها بتلبد الرمال بعد المطر. والأقدام: جمع قدم. وأن تسوخ أي: لئلّا تغوص.

(٣) يوحي إليهم: يلهمهم. وثبتوهم: قوُّوا قلوبهم وعزائمهم. وآمن: صدّق الله ورسوله. وألقي: أقذف وأرمي. واضربوا أي: بالسلاح. والأعناق: جمع عنق. وهي الرقبة. والبنان: واحدته بنانة. وهي هنا الأصابع. وفي عينيه أي: وفي فمه وأنفه، ليعجز عن القتال. وانظر تفسير الآية ١٧. والشديد: القوي الفظيع. والعقاب: الجزاء بالعذاب. وذوقوه أي: تحسسوه وقاسوا شدائده. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والكافر من كذّب الله ورسوله. والنار: نارجهنم.

(٤) لقيتم: قابلتم في الحرب. وتولوهم الأدبار أي: تمكنوهم من ظهوركم بالفرار. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. وهذا الحكم عام لكل حرب، لأن الآيتين نزلتا بعد انقضاء الحرب يومئذ. انظرالفتح القدير ٢:٤١٣ وتفسير الآلوسي ٩:٢٦٤-٢٦٥. ولقتال أي: لأجل التمكن من حرب العدو. والفرّة: الهرب. والكرة: العودة إلى القتال. والغضب: السخط وإرادة الانتقام. ومن الله أي: من عنده وفي حكمه. والمأوى: الملجأ الذي يأوي إليه ويلازمه. وجهنم: اسم علم للعذاب الذي أعد للكافرين. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والقبح والسوء. والمرجع: مكان الرجوع والإقامة. وهي: المخصوص بالذم، مذموم مرتين: الأولى في جنسه «المصير»، والثانية في اختصاصه هنا. و«هذا» يعني الحكم الوارد في الآية. وبما إذا: انظر «المفصل».

الجزء التاسع — سورة الأنفال

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

١ - ﴿فلَم تَقتُلوهُم﴾ ببدر بقوّتكم، ﴿ولٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُم﴾ بنصره إيّاكم، ﴿وما رَمَيتَ﴾ - يا مُحمّد - أعيُنَ القوم ﴿إذْ رَمَيتَ﴾ بالحصباء، لأنّ كفًّا من الحصباء لا يملأ عُيون الجيش الكثير برمية بشر، ﴿ولٰكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم. فعلَ ذلك ليقهر الكافرين، ﴿ولِيُبلِيَ المُؤمِنِينَ مِنهُ بَلاءً﴾: عطاء ﴿حَسَنًا﴾، هو الغنيمة. ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ ١٧ بأحوالهم. ﴿ذٰلِكُم﴾ الإبلاء حقّ، ﴿وأنَّ اللهَ مُوَهِّنٌ﴾: مُضْعِفٌ ﴿كَيدَ الكافِرِينَ﴾ ١٨.

٢- ﴿إن تَستَفتِحُوا﴾أيها الكُفّار: تطلبوا الفتح أي القضاء، حيثُ قال أبو جهلٍ منكم: «اللّهمَّ، أيُّنا كان أقطعَ للرَّحِم، وآتانا بما لا نَعرِفُ، فأحِنْه الغَداةَ» أي: أهلِكْه، ﴿فقَد جاءَكُمُ الفَتحُ﴾: القضاء بهلاك من هو كذلك - وهو أبو جهل ومن قُتل معه، دون النبيّ والمؤمنين - ﴿وإن تَنتَهُوا﴾ عن الكُفر والحرب ﴿فهْوَ خَيرٌ لَكُم، وإن تَعُودُوا﴾ لقتال النبيّ ﴿نَعُدْ﴾ لنَصره عليكم، ﴿ولَن تُغنيَ﴾: تَدفعَ ﴿عَنكُم فِئتُكُم﴾: جماعتكم ﴿شَيئًا، ولَو كَثُرَتْ! وإنَّ اللهَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾ ١٩، بكسرِ «إنّ» استئنافًا، وفتحِها على تقدير اللام.

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

٣- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولا تَوَلَّوا﴾: تُعرضوا ﴿عَنهُ﴾ بمُخالفة أمره، ﴿وأنتُم تَسمَعُونَ﴾ ٢٠ القُرآن والمواعظ، ﴿ولا تكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا: سَمِعْنا. وهُم لا يَسمَعُونَ﴾ ٢١ سماعَ تدبُّر واتّعاظ. وهم المُنافقون أو المُشركون. ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحقّ، ﴿البُكمُ﴾ عن النُّطق به، ﴿الَّذِينَ لا يَعقِلُونَ﴾ ٢٢ ه، ﴿ولَو عَلِمَ اللهُ فِيهِم خَيرًا﴾: صلاحًا بسماع الحقّ ﴿لَأَسمَعَهُم﴾ سماعَ تفهُّم، ﴿ولَو أسمَعَهُم﴾ - فرْضًا وقد علم أنْ لا خير فيهم - ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عنه ﴿وهُم مُعرِضُونَ﴾ ٢٣ عن قبوله، عِنادًا وجُحودًا.

٤- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة، ﴿إذا دَعاكُم لِما يُحيِيكُم﴾ من أمر الدِّين لأنه سبب الحياة الأبديّة، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ المَرءِ وقَلبِهِ﴾، فلا يستطيع أن يُؤمن أو يكفر إلّا بإرادته، ﴿وأنَّهُ إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ ٢٤، فيُجازيكم بأعمالكم، ﴿واتَّقُوا فِتنَةً﴾، إن أصابتكم ﴿لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خاصّةً﴾، بل تعمّهم وغيرَهم - واتقاؤها بإنكار مُوجِبها من المُنكَر - ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ ٢٥ لمن

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وقتلهم أي: أزهق أرواحهم وجعلها تفارق الأجساد. ورميت: ألقيت. وفي أعين القوم أي: وجوههم بما فيها من الأعين والأنوف والأفواه. والثابت في صحيح الأحاديث أن هذا الرمي كان يوم حنين. وغير بعيد أن يكون قد حصل رمي الحصى في الغزوتين. وكفًا أي: ما يملأ قبضة الكف. والحصباء: الحجارة الصغار. انظر «المفصل». ورمى أي: قدّر الرمي وحققه بأمره. ويبليهم: يُنعم عليهم ويعرّفهم فضله، ليعرفوا حقه ويشكروا نعمته. ومنه أي: من عنده وبأمره. والحَسَن: الكثير الخير. وسميع وعليم: من السمع والعلم. وحق: أمر ثابت وعدل. وفي الأصل: «مُوهِنُ». ط: «مُوَهِّنٌ مضعف كَيدَ» ». والكيد: المكر وقصد الإيذاء. والكافر: من كذب الله ورسوله. (٢) الفتح: النصر. والقضاء: الحكم بينهم وبين المسلمين. وأبو جهل: سيد المشركين يوم بدر. وقطع الرحم: معاداة العشيرة والهجرة. وآتانا أي: أكثرنا أتيًا. والغداة: هذا الصباح. وجاءكم أي: نزل بكم. وكذلك أي: أقطع للرحم وآتاكم بالباطل. وتنتهوا أي: تستجيبوا للإيمان والطاعة. وخير: أكثر نفعًا. والتفضيل هنا باعتبار ما يعتقدون من أنهم في خير. ونعد أي: نقصد كرة ثانية. وكثرت: كثر عددها. ومعهم أي: يصحبهم بالعون والنصر. وبفتحها: يعني أن القراءة «وأنَّ» على تقدير: ولأن الله مع المؤمنين في العون والنصر كان ذلك الفتح. (٣) أطيعوا أي: اثبتوا على الطاعة. والرسول: من كلف بالدعوة والعمل. وتولوا: تتولوا. انظر «المفصل». وتسمعونه أي: تدركونه. وتكونوا: تصيروا. وسمعنا: أدركنا وفهمنا. وشرها: أكثرها ضررًا وإيذاء. والدواب: جمع دابة. وهو ما يدب على الأرض من إنسان أو حيوان. وعنده أي: في حكمه وعلمه. والصم: جمع أصم. وهو الذي لايسمع. والبكم: جمع أبكم. وهو الذي لاينطق. ولايعقلون: لايدركون الحقائق لتعطيل عقولهم واستغراقهم في الشهوات. وعَلِمَه: أحاط به، أي: ليس فيهم شيء من الخير لِيَعلمه الله. وأسمعهم: أقدرهم على السماع الواعي. و«فرضًا» يعني: افتراضًا جدليًا غير واقعي. وتولوا: انصرفوا وأبوا. والمعرض: الممتنع المتأبي. (٤) استجيبوا له: أجيبوا أمره ونفذوه. وما يحييكم أي: ما فيه حياتكم الحقيقية بالإيمان والصلاح. واعلموا أي: دوموا على الإدراك اليقيني. ويحول بينهما: يحجز كلًّا منهما عن الآخر. وهو تمثيل لغاية القرب والتملك والاقتدار على التحكم. والمرء: الإنسان. والقلب: العقل وما فيه من اعتقاد وتدبر وانفعال. وإليه أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وتحشرون: تجمعون بالبعث للحساب. واتقوها أي: تجنبوا أسبابها. وهي شيوع المنكرات والفواحش وتحكم الشهوات، أو تعطيل الجهاد وبعض الأحكام الشرعية، أو الانقياد إلى غير المسلمين واتباعهم في الخلق والسلوك، أو قبول قوانينهم ومذاهبهم السياسية والفكرية، أو الاعتماد عليهم في المرافق العامة والنصرة. والفتنة: الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة، والأوبئة والقحط وتسلط الظلمة، والذلة والهوان والاستسلام. وتصيبه: تنزل به. والذين ظلموا: المقترفون للكفر أو العصيان أو البغي أو الفساد. والخاصة: التي تخص بعض الناس. والموجب: السبب. وشديد العقاب: انظر آخر الآية ١٣. واذكروا: استحضروا في نفوسكم دائمًا. والمستضعفون: الذين يعاملهم الناس معاملة العاجزين. وآواكم: حماكم من العدوان. والنصر: العون. ورزقكم: منحكم ما تتمتعون به. والطيبات: المستلذات من النعم. وتشكرون: تذكرون النعم بالثناء قلبًا ولسانًا وعملًا.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

خالفه، ﴿**واذكُرُوا إذْ أنتُم قَلِيلٌ مُستَضعَفُونَ في الأرضِ**﴾: أرض مكّة، ﴿**تَخافُونَ أن يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ**﴾: يأخذَكم الكُفّار بسُرعة، ﴿**فآواكُم**﴾ إلى المدينة، ﴿**وأيَّدَكُم**﴾: قوّاكم ﴿**بِنَصرِهِ**﴾ يومَ بدر بالملائكة، ﴿**ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾: الغنائمِ، ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٢٦ نِعَمَه.

١- ونزلَ في أبي لُبابة بنِ عبدِ المُنذر، وقد بعثه ﷺ إلى بني قُريظةَ ليَنزلوا على حُكمه فاستشاروه، فأشار إليهم أنّه الذبحُ، لأنّ عِياله وماله فيهم: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ، و**﴾ لا ﴿**تَخُونُوا أماناتِكُم**﴾: ما اؤْتُمنتُم عليه من الدِّين وغيره، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ** ٢٧، **واعلَمُوا أَنَّما أمْوالُكُم وأولادُكُم فِتْنةٌ**﴾ لكم صادّة عن أُمور الآخِرة، ﴿**وأنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ٢٨. فلا تفوِّتوه بمُراعاة الأموال والأولاد والخِيانة لأجلهم. ونزلَ في توبته: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَتَّقُوا اللهَ**﴾ بالأمانة وغيرها ﴿**يَجعَلْ لَكُم فُرقانًا**﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون، ﴿**ويُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئاتِكُم، ويَغفِرْ لَكُم**﴾ ذُنوبكم. ﴿**واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيم**﴾ ٢٩.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ - يا مُحمّد - ﴿**إذْ يمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، وقد اجتمعوا للمُشاورة في شأنك بدار الندوة، ﴿**لِيُثبِتُوكَ**﴾: يُوثقوك ويَحبِسوك، ﴿**أو يَقتُلُوكَ**﴾ كلّهم قتلَةَ رجلٍ واحد، ﴿**أو يُخرِجُوكَ**﴾ من مكّة - ﴿**ويَمكُرُونَ**﴾ بك ﴿**وَيمكُرُ اللهُ**﴾ بهم بتدبير أمرك، بأن أوحى إليك ما دبّروه وأمرك بالخروج، ﴿**واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ**﴾ ٣٠: أعلمهم به - ﴿**وإذا تُتلَى عَلَيهِم آياتُنا**﴾: القُرآنُ ﴿**قالُوا: قَد سَمِعْنا. لَو نَشاءُ لَقُلْنا مِثلَ هٰذا**﴾ - قاله النضرُ بن الحارث، لأنه كان يأتي الحِيرة يتّجر، فيشتري كُتب أخبار الأعاجم ويحدِّث بها أهل مكّة - ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا**﴾ القُرآن ﴿**إلّا أساطِيرُ**﴾: أكاذيبُ ﴿**الأوَّلِينَ**﴾ ٣١.

٣- ﴿**وإذْ قالُوا: اللّهُمَّ، إن كانَ هٰذا**﴾ الذي يقرؤه مُحمّد ﴿**هُوَ الحَقَّ**﴾ المُنزَلَ ﴿**مِن عِندِكَ فأمطِرْ عَلَينا حِجارةً مِنَ السَّماءِ، أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أليمٍ**﴾ ٣٢: مؤلم على إنكاره. قاله النضر أو غيره استهزاءً، وإيهامًا أنه على بصيرةٍ وجزم ببُطلانه. قال تعالى: ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم**﴾ بما سألوه، ﴿**وأنتَ فِيهِم**﴾، لأنّ العذاب إذا نزل عَمَّ، ولم تُعذَّب أُمّة إلّا بعد خروج نبيِّها والمؤمنين منها، ﴿**وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُم، وهُم يَستَغفِرُونَ**﴾ ٣٣ حيثُ يقولون في طوافهم: غُفرانَكَ غُفرانَكَ. وقيل: هم المُؤمنون المُستضعفون فيهم، كما قال تعالى: «لَو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابًا ألِيمًا».

---

(١) الخطاب في الآيات هو لأبي لبابة، ويعم جميع المسلمين. وأبو لبابة صحابي من الأنصار. وبنو قريظة: جماعة من اليهود سلالة هارون يقيمون قرب المدينة، نقضوا العهود وشاركوا المشركين في غزوة الخندق، فحاربهم المسلمون بعد الغزوة حتى طلبوا تحكيم سعد بن معاذ، واستشارة أبي لبابة. وحُكمه يعني حكم النبي، وهو قتل الرجال وسبي النساء. ولما لقيهم أبو لُبابة ليستشيروه خان ما اؤتُمِن عليه بإشارة. يعني أنه أشار بيده إلى حلقه: إنه الذبح ، فلا تقبلوا. سيرة ابن هشام ٢:٢٣٣-٢٤٢. وخيانة الأمانة: مخالفتها أو نقضها وعدم الالتزام لبعضها. ولاتخونوه أي: لاتنقضوا عهد الإيمان والإخلاص. وتعلمون أي: تدركون أن ما وقع منكم خيانة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من متاع وزينة. والأولاد: جمع ولد. وفتنة أي: محنة لبيان من يحفظ حدود الله. والمراد أنها وسيلة للاختبار. والأجر: الثواب. والعظيم: الكبير الضخم. وتفوتوه: تضيعوه. وتتقوه أي: تتجنبوا عصيانه وتطلبوا رضاه. ويجعل لكم: يخلق في نفوسكم وبصائركم. والفرقان: الهداية إلى الحق. ويكفّرُ: يغطي. والسيئات: الصغائر. ويغفرها: يمحوها ويتجاوز عنها. والفضل: الإحسان بالزيادة في الثواب. والعظيم: الضخم لامثيل له.

(٢) يمكر: يكيد بالخفاء. والذين كفروا: المشركون من قريش. ودار الندوة: مكان في الحرم المكي جعل قبل الإسلام للمشاورة في عون المظلوم. انظر «المفصل». ويخرجوك أي: يحملوك على الهجرة. ويمكر الله بهم أي: يخدعهم ويدبر ما يسوءهم. يعني: يعاملهم بما يقابل مكرهم. وخير الماكرين أي: أفضلهم وأقدرهم بتدبير الخداع للماكرين، يعذبهم ويخذلهم من حيث لايشعرون، فيكون ذلك أشد مما يريدون. ونشاء: نريد القول. والنضر أحد زعماء المشركين. وهذا أي: القرآن الكريم. والأساطير: جمع أسطورة، القصص والأخبار الباطلة. والأولون: الأمم الماضية.

(٣) اللّهم أي: يا ألله. والحق: الصدق الثابت. وأمطر: أنزل. والحجارة: التي هلك بها أصحاب الفيل. وائتنا: عاقبنا. ولما قال المشركون ما في الآية ٣٢ نزلت الآية ٣٣، جوابًا لقولهم الشنيع، وتوكيدًا للتهديد والوعيد. انظر الواحدي ص ٢٣٢-٢٣٣ وتفاسير البغوي ٢:٢٤٥ والخازن ٣:٢٣ وابن كثير ٢:٢٩١ والقرطبي ٧:٣٩٩. ويعذبهم: ينزِل بهم عذاب الدنيا بالاستئصال. وفيهم أي: بينهم في مكة. ويستغفرون: يطلبون مغفرة الذنوب. وغفرانك أي: ندعوك أن تغفر. والمستضعفون: يعني أن المستغفرين هنا هم المؤمنون بين الكفار في مكة، ممن لم يستطع الهجرة. وهذا يشمل أيضًا كل مسلم مستضعف حيثما وُجد، إذا كانت دعوة النبي في قلبه وعمله، ويديم الاستغفار. و«قال تعالى» أي: الآية ٢٥ من سورة الفتح. ولو تزيلوا أي: لو تميز المؤمنون عن الكفار وغادروا مكة.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

١ - ﴿**وما لَهُم ألّا يُعذِّبَهُمُ اللهُ**﴾ بالسيف، بعد خُروجك والمُستضعفين - وعلى القول الأوّل هي ناسخة لما قبلها، وقد عذّبهم الله ببدر وغيره - ﴿**وهُم يَصُدُّونَ**﴾: يمنعون النبيّ والمُسلمين ﴿**عَنِ المَسجِدِ الحَرام**﴾ أن يطوفوا به، ﴿**وما كانُوا أولياءَهُ**﴾ كما زعموا؟ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أولياؤُهُ إلّا المُتَّقونَ، ولٰكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ٣٤ أن لا ولاية لهم عليه. ﴿**وما كانَ صَلاتُهُم عِندَ البَيتِ إلّا مُكاءً**﴾: صفيرًا ﴿**وتَصدِيَةً**﴾: تصفيقًا، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أُمروا بها. ﴿**فذُوقُوا العَذابَ**﴾ ببدر ﴿**بِما كُنتُم تكفُرُونَ**﴾ ٣٥.

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أموالَهُم**﴾ في حرب النبيّ، ﴿**لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ. فَسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ**﴾ في عاقبة الأمر ﴿**عَلَيهِم حَسْرَةً**﴾: ندامة، لفواتها وفوات ما قصدوه، ﴿**ثُمَّ يُغلَبُونَ**﴾ في الدُّنيا - ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ منهم ﴿**إلَى جَهَنَّمَ**﴾ في الآخرة ﴿**يُحشَرُونَ**﴾ ٣٦: يُساقون - ﴿**لِيَمِيزَ**﴾: مُتعلّق بـ «تكونُ»، بالتخفيف والتشديد، أي: يَفصِلَ ﴿**اللهُ الخَبيثَ**﴾: الكافرَ ﴿**مِنَ الطَّيِّبِ**﴾: المُؤمنِ، ﴿**ويَجعَلَ الخَبيثَ بَعضَهُ على بَعضٍ، فيَركُمَهُ جَمِيعًا**﴾: يجمعَه متراكبًا بعضُه فوق بعض، ﴿**فيَجعَلَهُ في جَهَنَّمَ. أُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ٣٧.

٣- ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، كأبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿**إن يَنتَهُوا**﴾ عن الكُفر وقِتال النبيّ ﷺ ﴿**يُغفَرْ لَهُم ما قَد سَلَفَ**﴾ من أعمالهم، ﴿**وإن يَعُودُوا**﴾ إلى قِتاله ﴿**فقَد مَضَت سُنَّةُ الأوَّلِينَ**﴾ ٣٨ أي: سُنّتُنا فيهم بالإهلاك. فكذا نفعل بهم. ﴿**وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ**﴾: تُوجَدَ ﴿**فِتنَةٌ**﴾: شِركٌ، ﴿**ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ**﴾ وحده ولا يُعبَدَ غيرُه. ﴿**فإنِ انتَهَوا**﴾ عن الكُفر ﴿**فإنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٣٩، فيُجازيهم به، ﴿**وإن تَوَلَّوا**﴾عن الإيمان ﴿**فاعلَمُوا أنَّ اللهَ مَولاكُم**﴾: ناصركم ومُتولّي أُموركم، ﴿**نِعمَ المَولَى**﴾ هو، ﴿**ونِعمَ النَّصِيرُ**﴾ ٤٠ أي: الناصرُ لكم!

---

(١) بالسيف أي: بالسلاح. و«ناسخة» يعني أن هذه الآية ناسخة لحكم الآية التي قبلها. وقوله بالنسخ هنا يخالف الصواب، لأن النسخ مقصور على الأمر والنهي، والآية هذه ليس فيها ذلك. انظر الإتقان ٢: ٤٥. وببدر أي: في لقاء يوم بدر. وما كانوا أولياءه أي: ليسوا ولاة أمره ولا متأهلين لذلك. والأولياء: جمع ولي. وهو مالك الأمر والتصرف. والمتقون: الذين يخافون الله ويطلبون الرضا. وأكثرهم: العدد الوافر منهم. يعني أن منهم من يعلم كذب دعواهم، ويعاند ظلمًا ومكابرة. ويعلم: يدرك ويعي. والصلاة: العبادة والدعاء. والبيت أي: البيت الحرام. وموضع صلاتهم يعني: بدلًا من صلاتهم. انظر «المفصل». وذوقوه أي: قاسوا شدته. والعذاب: التعذيب أسرًا وقتلًا وذلة. وتكفرون أي: تكذبون وتجحدون آيات التوحيد والنبوة. والخطاب للمشركين من القتلى والأسرى والهاربين. وهذا يعني أن الآيات ٣٠-٣٦ هي مدنية، كما زدنا في مستهل تفسير السورة عن التلخيص. وانظر الإتقان ١: ١٥-٢٨.

(٢) ينفق: يبذل ويصرف. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. وحرب النبي يعني غزوة بدر وما بعدها. والحكم في الآيتين يعم من أشبه المشركين، في محاربة الإسلام والمسلمين. ويصد: يمنع. وسبيل الله: دين التوحيد. وتكون: تصير. ويغلبون: يقهرون في الحرب ويخسرون ما يعتزون به. وكفروا: أصروا على الكفر وماتوا عليه. وجهنم: اسم علم لدار العقاب. ومتعلق: يعني أن حرف الجر والمصدر المؤول في «ليميز» متعلقان بالفعل: تكون. وبالتشديد يريد القراءة «لِيُمَيِّزَ». والتفسير بالمؤمن والكافر لايناسب ما ذكره من التعلق بـ «يكون». ففي البيضاوي أنّ هذا التعلقَ يكون المَيز فيه لما أنفقه المشركون مما أنفقه المسلمون، والتعلقَ بـ «يحشر» أو «يغلب» إذا كان المَيز للكافر من المؤمن. وانظر تفسير الآلوسي ٩: ٢٩٧-٢٩٨. فقد لفّق السيوطي بين وجه من التفسير وآخر من الإعراب. والتعلق بـ «يحشر» يعني أن المَيز يكون في الآخرة لا في الدنيا، وأن ما قبله ليس اعتراضًا. ويجعل: يلقي. والبعض: القسم من الشيء. و«يجمعه... بعض» تفسير لقوله تعالى: يركمه. وإنما يتراكب لكثرته وازدحامه. ويجعله: يقذفه. والخاسرون أي: الذين ضيعوا أنفسهم وأعمالهم وما كانوا ينتظرون من خير.

(٣) قل لهم أي: خاطبهم بالقول جهارًا. والأمر موجه إلى النبي ﷺ ويعم جميع المسلمين. والقول موجه إلى الكافرين، وإنما جعل بضمير الغائبين استهانة بهم. وأبو سفيان: سيد المشركين قبل إسلامه. وأصحابه أي: الكافرون من قريش وغيرها. وينتهوا: يكفوا ويمتنعوا. ويُغفر: يُستر ويُتجاوز عنه. وسلف: وقع فيما مضى. ويعودوا أي: يرجعوا مرة ثانية. ومضت: سبقت واستقر تنفيذها. والسُّنّة: الحكم والقضاء بالعقاب لكل كافر يصرّ على الكفر والعصيان والمحاربة. والأولون: الأمم الكافرة الماضية. وقاتلوهم أي: حاربوهم بالسلاح وغيره. وفتنة أي: فساد وبلاء يعمان العالم كله. وتفسيرها بالشرك لأنه سببها. ويكون أي: يصير ويتحقق. وانتهى: امتنع وكفّ وتوجه إلى الإيمان والطاعة. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: الخبير بالخفي ودقائق الأمور كما في ظاهرها وجهرها. وبه أي: بما يعملونه. وتولوا: أعرضوا وتأبّوا، أي: لم ينتهوا عن الكفر والقتال. واعلموا أي: دوموا على الإدراك اليقيني. ونعم: بلغ الغاية في الخير والكمال والعون والتأييد. وقوله «هو» يعني أن هذا الضمير - ويعود على لفظ الجلالة - هو المخصوص بالمدح، يكون له ذلك مرتين: الأولى في ذكر «المولى»، والثانية في تقديره مخصوصًا ومبتدأ للجملة قبله، وهي في محل رفع خبر مقدم. والنصير: المعين والمغلّب على العدو والبلاء.

۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

١- ﴿**واعلَمُوا أنَّ ما غَنِمتُم**﴾: أخذتم من الكُفّار قهرًا، ﴿**مِن شَيءٍ، فأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ**﴾ يأمرُ فيه بما يشاء، ﴿**ولِلرَّسُولِ ولِذِي القُربَى**﴾: قرابةِ النبيّ ﷺ من بني هاشم والمُطّلبِ، ﴿**واليَتامَى**﴾: أطفالِ المُسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء، ﴿**والمَساكِينِ**﴾: ذوي الحاجة من المُسلمين، ﴿**وابنِ السَّبِيلِ**﴾: المنقطع في سفره من المسلمين - أي: يستحقّه النبيّ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أنّ لكُلٍّ خُمُسَ الخُمُسِ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين - ﴿**إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ**﴾ فاعلموا ذلك، ﴿**وما**﴾ - عطف على «بالله» - ﴿**أنزَلْنا على عَبدِنا**﴾ مُحمّد من الملائكة والآيات، ﴿**يَومَ الفُرقانِ**﴾ أي: يوم بدرٍ الفارقِ بين الحقّ والباطل، ﴿**يَومَ التَقَى الجَمعانِ**﴾: المسلمون والكُفّار. ﴿**واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٤١، ومنه نصركم مع قِلّتكم وكثرتهم.

٢- ﴿**إذ**﴾ - بدلٌ من «يوم» - ﴿**أنتُم**﴾ كائنون ﴿**بِالعُدْوةِ الدُّنيا**﴾: القُربَى من المدينة، وهي بضمّ العين وكسرها: جانبِ الوادي، ﴿**وهُم بِالعُدْوةِ القُصوَى**﴾: البُعدى منها، ﴿**والرَّكبُ**﴾: العِير كائنون بمكانٍ ﴿**أسفَلَ مِنكُم**﴾ ممّا يلي البحر، ﴿**ولَو تَواعَدتُّم**﴾ أنتم والنفير لِلقِتال ﴿**لَاختَلَفتُم في المِيعادِ، ولٰكِنْ**﴾ جمعَكم بغير مِيعاد ﴿**لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولًا**﴾ في عِلمه. وهو نصر الإسلام ومحق الكُفر. فعلَ ذلك ﴿**لِيَهلِكَ**﴾: يَكفرَ ﴿**مَن هَلَكَ عَن بَيِّنةٍ**﴾ أي: بعد حُجّة ظاهرة قامت عليه - وهي نصر المُؤمنين مع قِلّتهم على الجيش الكثير - ﴿**ويَحيا**﴾: يُؤمنَ ﴿**مَن حَيَّ عَن بَيِّنةٍ. وإنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ ٤٢.

٣- اذكرْ ﴿**إذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ في مَنامِكَ**﴾ أي: نومك ﴿**قَلِيلًا**﴾، فأخبرتَ به أصحابك فسُرّوا، ﴿**ولَو أراكَهُم كَثِيرًا لَفَشِلتُم**﴾: جَبُنتم، ﴿**ولَتَنازَعتُم**﴾: اختلفتم ﴿**في الأمرِ**﴾: أمر القتال، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ**﴾ كم من الفشل والتنازُع - ﴿**إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٤٣: بما في القُلوبِ - ﴿**وإذْ يُرِيكُمُوهُم**﴾، أيُّها المُؤمنون، ﴿**إذِ التَقَيتُم في أعيُنِكُم قَلِيلًا**﴾ نحوَ سبعين أو مِائة، وهم ألف لتُقدِموا عليهم، ﴿**ويُقَلِّلُكُم في أعيُنِهِم**﴾ ليُقْدِموا ولا يرجعوا عن قِتالكم - وهذا قبل التحام الحرب. فلمّا التحم أراهم إيّاهم مِثلَيهم كما في «آل عمران» - ﴿**لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولًا. وإلَى اللهِ تُرجَعُ**﴾: تصير ﴿**الأُمُورُ**﴾ ٤٤.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُم فِئَةً**﴾: جماعة كافرة ﴿**فاثبُتُوا**﴾ لقتالهم ولا تنهزموا، ﴿**واذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا**﴾: ادعوه بالنصر، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ٤٥: تفوزون، ﴿**وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولا تَنازَعُوا**﴾: تختلفوا فيما بينكم، ﴿**فتَفشَلُوا**﴾: تجبُنوا ﴿**وتَذهَبَ رِيحُكُم**﴾: قُوّتكم ودَولتكم، ﴿**واصبِرُوا - إنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ ٤٦ بالنصر والعون - ﴿**ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم**﴾، ليمنعوا عِيرهم، ولم يرجِعوا بعد نجاتها

(١) غنمت الشيء: فزت به بعد جهد. والخمس: قسم من خمسة أقسام الشيء. وذو القربى: الذي له صلة قرابة بالنسب. وهاشم: عمرو بن عبد مناف. والمطلب: الفيض بن عبد مناف. وهما من أعمام النبي ﷺ. واليتامى: جمع يتيم. وهو الطفل مات أبوه. والمساكين: جمع مسكين. والسبيل: الطريق. وابنه: من يريد الرجوع إلى بلده ولم يجد ما يتبلغ به. والأربعة: يعني أن الأخماس الباقية من الغنائم هي للمحاربين. واليوم: الوقت. والتقى: تحارب. وقدير: من القدرة. وهي الاستطاعة والتمكن مطلقًا. (٢) العدوة: المكان المرتفع. والمدينة أي: المنورة. وبكسره يريد القراءة «بالعِدوةِ» هنا وفيما يلي. والوادي: وادي بدر. وهم أي: جماعة الكفار. والركب: الراكبون للإبل واحده راكب. والعِير: القافلة التي بقيادة أبي سفيان. وأسفل: أخفض. يعني أن القافلة كانت في مكان منخفض قريب من الجيشين. والبحر: البحر الأحمر. وتواعدتم: واعد بعضكم بعضًا للقاء. واختلفتم فيه: لم تستطيعوا تنفيذه، لتخلف أحد الطرفين أو كليهما. ويقضي: ينفّذ. والأمر: الحادث. ومفعولًا: واقعًا لابد منه. ويكفر أي: يدوم على الكفر. وهلك: كفر. ويحيا أي: يدوم على الإيمان. وحيّ: آمن. وسميع عليم: من السمع والعلم، أي: سميع لأقوالكم وأقوالهم، عليم بنياتكم ونياتهم. (٣) قليلًا أي: يسيرًا قدرهم وأنهم مغلوبون. انظر «المفصل». وفي الأصل: «وتنازعتم». وسلمكم: أنعم عليكم بالسلامة. وعليم: خبير بالخفايا ودقائق الخطرات. وذات الصدور: الملازمة لها لايطلع عليها الآخرون. والصدور: جمع صدر، أريد به القلب. ويريكموهم: يُبصِّركم إياهم. والتقيتم أي: في الحرب. والأعين: جمع عين. ويقللكم: يجعلكم قليلين ويهوّن أمركم. و«هذا» أي: تقليل المسلمين في أعين الكفار. والحرب مؤنثة وقد تذكّر. وأراهم إياهم: يعني أن الله أرى المشركين عدد المسلمين في حدود الألفين. وآل عمران: يعني الآية ١٣ من تلك السورة. وانظر الآية ٤٢. وإلى الله أي: إلى حكمه وقضائه. وفي ط وبعض المطبوعات: «تُرجَعُ». والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والحال. (٤) اذكروا الله: ردّدوا اسمه بالتكبير والدعاء. وتفوزون أي: بالنصر والثواب. وأطيعوا الله: انقادوا لأمره ونهيه. وتذهب: تزول وتمحي. والريح: الهواء الشديد النافذ، استعيرت للقوة. واصبروا: تحملوا الشدائد. وتنازعوا: تتنازعوا. ولا تكونوا أي: لا تصيروا. والديار: جمع دار. والعير: القافلة التي معها تجارة قريش. انظر «المفصل». والبطر: الطغيانُ بالنعمة. والرئاء: الرياء. والجزور: ما يصلح من الإبل للذبح. والقيان: جمع قَينة. وهي الجارية المغنية. ويصدون: يمنعون. وسبيل الله: دين التوحيد. ويعملون أي: يكتسبونه. وبالتاء يريد قراءة «تَعمَلُونَ».

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿**بَطَرًا ورِئاءَ النّاسِ**﴾، حيثُ قالوا: «لا نرجعُ حتّى نشربَ الخمر وننحرَ الجَزور، وتَضربَ علينا القِيانُ ببدر، فيتسامعَ بذلك النّاسُ»، ﴿**ويَصُدُّونَ**﴾ النّاس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ. واللهُ بِما يَعمَلُونَ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مُحِيطٌ**﴾ ٤٧ عِلمًا، فيُجازيهم به.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ**﴾: إبليس ﴿**أعمالَهُم**﴾، بأن شجّعهم على لِقاء المُسلمين، لمّا خافوا الخُروج من أعدائهم بني بكر، ﴿**وقالَ**﴾ لهم: ﴿**لا غالِبَ لَكُمُ اليَومَ مِنَ النّاسِ، وإنِّي جارٌ لَكُم**﴾ من كِنانة. وكان أتاهم في صُورة سُراقةَ بنِ مالكٍ سيّدِ تلك الناحية. ﴿**فلَمّا تَراءتِ**﴾: التقَتِ ﴿**الفِئَتانِ**﴾ المُسلمة والكافرة ورأى الملائكةَ، وكان يده في يد الحارث بن هشام، ﴿**نَكَصَ**﴾: رجَع ﴿**على عَقِبَيهِ**﴾ هاربًا، ﴿**وقالَ**﴾ لمّا قالوا له: «أتَخذُلُنا على هذا الحال»؟: ﴿**إنِّي بَرِيءٌ مِنكُم**﴾: من جِواركم. ﴿**إنِّي أرَى ما لا تَرَونَ**﴾ من الملائكة. ﴿**إنِّي أخافُ اللهَ**﴾ أن يُهلكني، ﴿**واللهُ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٤٨.

٢- ﴿**إذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ، والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: ضعفُ اعتقاد: ﴿**غَرَّ هٰؤُلاءِ**﴾ أي: المسلمين ﴿**دِينُهُم**﴾، إذ خرجوا مع قِلّتهم يُقاتلون الجمع الكثير، توهّمًا أنهم يُنصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم: ﴿**ومَن يَتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: يَثِقْ به يَغلِبْ، ﴿**فإنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: غالب على أمره، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٤٩ في صُنعه.

٣- ﴿**ولَو تَرَى**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**إذْ يَتَوَفَّى**﴾، بالياء والتاء، ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائكةُ، يَضرِبُونَ**﴾: حالٌ ﴿**وُجُوهَهُم وأدبارَهُم**﴾ بمقامعَ من حديد، ﴿**و**﴾ يقولون لهم: ﴿**ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ ٥٠ أي: النار. وجواب «لو»: لرأيت أمرًا عظيمًا. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ التعذيب ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيكُم**﴾ - عُبِّر بهما دون غيرهما لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما - ﴿**وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ**﴾ أي: بذي ظُلم ﴿**لِلعَبِيدِ**﴾ ٥١، فيُعذّبَهم بغير ذنب. دأبُ هؤلاء ﴿**كَدأْبِ**﴾: كعادةِ ﴿**آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ، فأخَذَهُمُ اللهُ**﴾ بالعِقاب ﴿**بِذُنُوبِهِم**﴾. جُملة «كفروا» وما بعدها: مفسِّرة لما قبلها. ﴿**إنَّ اللهَ قَوِيٌّ**﴾ على ما يُريده، ﴿**شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٥٢.

---

(١) زين أعمالهم: حسّن لهم الكفر والعصيان. ولما خافوا أي: لما توقع المشركون من أعدائهم بني بكر بن عبد مناة أن يهاجموا الأهل، حين الخروج من مكة. والجار: الناصر الحامي. وكنانة: قبيلة في مكة، ومنها بنو بكر. و«في صورة سراقة» هذا خبر عن الغيب، لايثبت إلّا بنص شرعي من القرآن أو السنّة. فهو مردود، والراجح أن تزيين الشيطان هنا من باب مجاز التمثيل للوسوسة والتضليل. انظر «المفصل». وسراقة كان سيدًا يعتمد عليه المشركون في تعقب المسلمين. وتراءت الفئتان: رأت الجماعتان كل منهما الأُخرى. وكان أي: سراقة. والحارث بن هشام هو أبو جهل. ونكص: انقلب. والعقب: مؤخر الرِّجل. أي: ارتد وبطل كيده. وشديد العقاب أي: شديدٌ عقابُه.

(٢) المنافقون: قوم من الأنصار واليهود ، بقوا في المدينة ولم يشهدوا بدرًا. والذين في قلوبهم مرض هم بعض المسلمين لم يهاجروا، وخرجوا مع المشركين فقُتلوا جميعًا. والقلوب: جمع قلب. ودينهم أي: اعتقادهم الجديد بالتوحيد وشريعة الإسلام. ويتوكل عليه أي: يعوّل على إحسانه ويفوّض أمره إليه، بعد الاستعداد والإعداد اللازم. والحكيم: الذي يفعل بحكمته البالغة ما قد يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه.

(٣) ترى: تبصر بعينك. والخطاب أيضًا لكل قارئ وسامع تعريضًا بالكفار. ويتوفاهم: يستوفي آجالهم، أي: يقبض أرواحهم. وبالتاء يريد القراءة «تَتَوَفّى». وكفر: جحد التوحيد والنبوة. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والمراد بهم ملك الموت وأعوانه. ويضرب: يقرع ويصفع بشدة. والوجوه: جمع وجه. والأدبار: جمع دبر. وهو خلفُ الإنسان. والمراد جهات الأمام والخلف، أي: كل جانب منهم. وإنما ذكرت الأدبار للتشنيع والتحقير. والمقامع: جمع مِقمعة. وهي كالعصا مُعوَجّة الرأس، يضرب بها للإذلال والإهانة. وذوقوا أي: تحسسوا وقاسوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والحريق: المُحرق. والمراد: عذاب الحريق بالنار. و«لرأيت» يعني أن هذا هو جواب الشرط، وقد حذف للتهويل، إذ يتصور كل إنسان فيه ما يناسبه. والتعذيب: ما يكون وقت الموت والعقاب. وقدمت أيديكم: اكتسبتم وجنيتم من الكفر والعصيان، فيما مضى. والأيدي: جمع يد. وبهما أي: باليدين. وفيما عدا الأصل والنسخ: «عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها». وتفسير «ظلام» بذي ظلم يعني أن «ظلام» ليس مبالغة اسم الفاعل، وأنه صيغة نسب نحو: عطّار وسيّاف. وفيه معنى المبالغة أيضًا. والنفي لمصاحبة الظلم أبلغ من نفي القيام به، ويعني إثبات العدل مؤكدًا. والنفي للمبالغة هو مبالغة في النفي. والعبيد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وتصرفًا وتعبدًا. وانظر الآية ١١ من سورة آل عمران. وهؤلاء أي: كفار قريش. وآل فرعون: قومه وأعوانه وهو فيهم أيضًا. والذين من قبلهم: كفار الأمم السابقة. وكفروا: كذّبوا وجحدوا. والآيات: آيات الكتب السماوية والمعجزات المؤيدة للرسل. وأخذهم: انتقم منهم ونكل بهم. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية عليها عقاب. وأخذهم اللهُ بذنوبهم: تفسير للدأب، بما فيه من كفر وعقاب. والقوي: الكامل القدرة لايعجزه شيء بحال من الأحوال.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

١ - ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأنَّ﴾ أي: بسبب أنّ ﴿اللهَ لَم يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمةً أنعَمَها علَى قَومٍ﴾: مبدّلًا لها بالنقمة، ﴿حتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم﴾: يُبدّلوا نِعمتهم كُفرًا، كتبديل كُفّار مكّة إطعامَهم من جوع وأمنَهُم من خوف وبَعْثَ النبيّ إليهم، بالكُفر والصدّ عن سبيل الله وقِتال المؤمنين، ﴿وأنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٥٣، ﴿كَدأْبِ آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِم، فأهلَكْناهُم بِذُنُوبِهِم، وأغرَقْنا آلَ فِرعَونَ﴾: قومَه معه، ﴿وكُلٌّ﴾ من الأُمم المُكذّبة ﴿كانُوا ظالِمِينَ﴾ ٥٤.

٢- ونزل في قُريظةَ: ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا - فهُم لا يُؤمِنُونَ ٥٥- الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنهُم﴾ ألّا يُعينوا المشركين، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهدَهُم في كُلِّ مَرّةٍ﴾ عاهدوا فيها، ﴿وهُم لا يَتَّقُونَ﴾ ٥٦ الله في غدرهم. ﴿فإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿تثقفَنَّهُم﴾: تَجِدَنّهم ﴿في الحَربِ فشَرِّدْ﴾: فرِّقْ ﴿بِهِم مَن خَلْفَهُم﴾ من المُحاربين، بالتنكيل بهم والعقوبة، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يذَّكَّرُونَ﴾ ٥٧: يتّعظون بهم، ﴿وإمّا تَخافَنَّ مِن قَومٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيانةً﴾ في العهد، بأمارةٍ تلوح لك، ﴿فانبِذْ﴾: اطرحْ عهدهم ﴿إلَيهِم علَى سَواءٍ﴾: حالٌ، أي: مُستويًا أنت وهم في العِلم بنقض العهد، بأن تُعلِمَهم به، لئلّا يتّهموك بالغدر. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنِينَ﴾ ٥٨.

ربع الحزب ١٩

٣- ونزل فيمن أَفلَتَ يومَ بدر: ﴿ولا تَحسِبَنَّ﴾ - يا مُحمّد - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ اللهَ أي: فاتُوه - ﴿إنَّهُم لا يُعجِزُونَ﴾ ٥٩: لا يفوتونه. وفي قراءة بالتحتانيّة، فالمفعول الأوّل محذوف أي: أنفُسَهم. وفي أُخرى بفتح «أنّ» على تقدير اللام - ﴿وأعِدُّوا لَهُم﴾: لقتالهم ﴿ما استطَعتُم مِن قُوّةٍ﴾ - قال ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ». رواه مسلم - ﴿ومِن رِباطِ الخَيلِ﴾: مصدرٌ بمعنى حبسها في سبيل الله، ﴿تُرهِبُونَ﴾: تُخوّفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم﴾ أي: كُفّارَ مكّة، ﴿وآخَرِينَ مِن دُونِهِم﴾ أي: غيرِهم - وهم المنافقون أو اليهود - ﴿لا تَعلَمُونَهُمُ، اللهُ يَعلَمُهُم. وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ في سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيكُم﴾ جزاؤه، ﴿وأنتُم لا تُظلَمُونَ﴾ ٦٠: تُنقَصون منه شيئًا.

٤- ﴿وإن جَنَحُوا﴾: مالوا ﴿لِلسِّلْمِ﴾، بكسر السين وفتحها: الصُّلحِ ﴿فاجنَحْ لَها﴾ وعاهدْهم - وقال ابن عبّاس: هذا منسوخ بآية السيف.

---

(١) النعمة: التفضل بالمنافع. وما بأنفسهم أي: من الاعتقاد والأخلاق والمقاصد، أو القول والعمل. ويبدلوا نعمتهم أي: يبدلوا ما توجبه من الشكر والطاعة. وسميع عليم أي: بلغ الغاية في السمع والعلم، لما يفكرون ويقولون ويعملون ويتركون. و«كدأب... بذنوبهم» قال ابن كثير: «أي: كصُنعه بآل فرعون وأمثالهم، حين كذبوا بآياته أهلكهم». فالدأب هنا هو السُّنّة. وكذبوا: أنكروا. والآيات: دلائل التوحيد والنبوات والتربية والإحسان. وأهلكناهم: أفنيناهم. وفي الأصل: «كفروا بآياتنا فأهلكناهم». وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بماء البحر. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها، فيجور على نفسه بالكفر والعصيان. (٢) بنو قريظة: جماعة من يهود المدينة وسلالة هارون، نقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح يوم بدر، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم ثانية فنكثوا ذلك أيضًا بتأييد المشركين يوم الخندق. وقد نزلت فيهم الآيات ٥٥-٥٧. وانظر الآية ٢٧. والدواب: جمع دابة. وهو ما يدب على الأرض من المخلوقات. وشرها: أكثرها فسادًا وضلالًا. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. وكفروا: أصروا على الكفر. وعاهدته: كان بينك وبينه عهد مؤكد بالقسم. وينقضون العهد: يخالفون ما فيه. والمرة أي: الحادثة من المعاهدات. ولايتقون الله أي: لا يخافون غضبه. وزيادة «ما» هنا وفي الآية ٥٨ هي لتوكيد معنى الشرط. وبهم أي: بتقتيلهم. ومَن خلفهم: مَن وراءهم كالمشركين والمنافقين. ويذكرون: يستحضرون ما كان من تقتيل هؤلاء في نفوسهم. وتخاف: تعلم. والخطاب لولاة أمور المسلمين جميعًا. والخيانة: الغدر ونقض العهد. والأمارة: الدلالة الواضحة. وتلوح: تظهر. والسواء: المساواة والعدل. ولايحبه أي: لايوده فلايحسن إليه. والخائن: الغادر. (٣) أفلت أي: نجا من القتل والأسر. وتحسب: تظن. وفاتوه: تخلصوا من عذابه. وبالتحتانية يريد «ولا يَحسِبَنَّ». وتقدير اللام يعني: قبل «أنَّهم»، والمعنى: لأنهم. وأعدوا أي: جهزوا. والمسلمون مأمورون بذلك ليمارسوه بأنفسهم ويثقوا بكفايته، ولايعتمدوا فيه على غيرهم من الأمم المعادية، فتتحكم فيهم وتجعلهم عرضة للذلة والهوان. ولقتالهم أي: لحرب المشركين ومَن هو مثلهم في العداوة. وما استطعتم أي: أقصى ما تقدرون على حشده وتهيئته. ورواه مسلم: يعني الحديث ١٩١٧ في صحيحه. والرمي: المهارة في رمي العدو بما يؤذيه أو يردعه أو يدمره، كالسهام وما يكون بدلًا منها في القتال. يعني السلاح بأنواعه، صناعة ودربة واستعمالًا. والخيل: واحده الفرس. والعدو: المعادي. وأعداء الله هم أعداء المسلمين. والمراد الأعداء المجاهرون بالخصام والقتال، يواجَهون بمثل أفعالهم. وآخرين أي: أعداء آخرين يُسِرّون الخصام ونية القتال. ولاتعلمونهم: لاتعرفون بواطنهم. ويعلمهم: يحيط بهم علمًا وبدخائل نفوسهم. وتنفق: تبذل المال والجهد والعلم والوقت والنفس. وفي سبيل الله أي: لأجل إعلاء كلمته وتحقيق الخير. ويوفَّى: يؤدَّى وافيًا في الدنيا والآخرة. (٤) جنحوا أي: أعداء الله وأعداؤكم. ومالوا: قصدوا. وبفتحها يريد القراءة «لِلسَّلْمِ». واجنح: توجّه معهم إلى السلم وعاهدهم، لئلّا يكون لَبس وخداع. فإن رأى الإمام الشرعي في الموادعة جلب نفع للمسلمين، أو دفع ضر عنهم، فلابأس فيها، شريطة ألايكون العدو غاصبا شيئًا من الحقوق العامة للمسلمين، أو معتديًا على بعض ديارهم. والمشرك والكتابي في هذا سواء. انظر أحكام القرآن ص ٨٧٦. وقول ابن عباس يعني أن قبول المسالمة منسوخ بالآية ٢٩ من سورة براءة. وفيه نظر لأن تلك الآية في المشركين وأهل الكتاب معًا، والضمير في «جنحوا» يعود على=

الجزء العاشر سورة الأنفال

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا
غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

ومُجاهد: مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلتْ في بني قُريظةَ - ﴿**وتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثِقْ به - ﴿**إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾ للقول، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٦١ بالفعل - ﴿**وإن يُرِيدُوا أن يَخدَعُوكَ**﴾ بالصُّلح، ليستعدّوا لك، ﴿**فإنَّ حَسْبَكَ**﴾: كافيَك ﴿**اللهُ. هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصرِهِ وبِالمُؤمِنِينَ** ٦٢، **وألَّفَ**﴾: جمع ﴿**بينَ قُلُوبِهِم**﴾ بعد الإِحَن، ﴿**لَو أنفَقْتَ ما في الأرضِ جَمِيعًا ما ألَّفْتَ بَينَ قُلُوبِهِم، ولٰكنَّ اللهَ ألَّفَ بينَهُم**﴾ بقُدرته. ﴿**إنَّهُ عَزِيزٌ**﴾: غالب على أمره، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٦٣ لا يَخرج شيء عن حكمته.

١- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، حَسْبُكَ اللهُ و**﴾حسبك ﴿**مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ** ٦٤. **يا أيُّها النَّبِيُّ، حَرِّضِ**﴾: حُثَّ ﴿**المُؤمِنِينَ علَى القِتالِ**﴾ للكفّار، ﴿**إن يَكُنْ مِنكُم عِشرُونَ صابِرُونَ يَغلِبُوا مِائَتَينِ**﴾ منهم، ﴿**وإن يَكُنْ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مِنكُم مِائَةٌ**﴾ صابرة ﴿**يَغلِبُوا ألفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، بِأنَّهُم**﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿**قَومٌ لا يَفقَهُونَ**﴾ ٦٥. وهذا خبر بمعنى الأمر، أي: لِيقاتل العشرون منكم المِائَتين، والمِائَةُ الألفَ، ويَثبُتوا لهم.

٢- ثمّ نُسخ لمّا كثروا بقوله: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُم، وعَلِمَ أنَّ فِيكُم ضُعفًا**﴾ - بضمّ الضاد وفتحها - عن قِتال عشَرةِ أمثالكم. ﴿**فإن يَكُنْ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مِنكُم مِائَةٌ صابِرةٌ يَغلِبُوا مِائَتَينِ**﴾ منهم، ﴿**وإن يَكُن مِنكُم ألفٌ يَغلِبُوا ألفَينِ، بِإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته. وهو خبر بمعنى الأمر، أي: لِتقاتلوا مِثلَيكم وتَثبُتوا لهم. ﴿**واللهُ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ ٦٦ بعونه.

٣- ونزل، لمّا أخذوا الفِداء من أسرى بدر: ﴿**ما كانَ لِنَبِيٍّ أن تَكُونَ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**لَهُ أسرَى، حَتَّى يُثخِنَ في الأرضِ**﴾: يُبالغ في قتل الكُفّار. ﴿**تُرِيدُونَ**﴾ - أيها المُؤمنون - ﴿**عَرَضَ الدُّنيا**﴾: حُطامَها بأخذ الفِداء، ﴿**واللهُ يُرِيدُ**﴾ لكم ﴿**الآخِرةَ**﴾ أي: ثوابَها بقتلهم، ﴿**واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ ٦٧. وهذا منسوخ بقوله «فإمّا مَنًّا بَعدُ وإمّا فِداءً». ﴿**لَولا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ**﴾، بإحلالِ الغنائم والأسرى لكم، ﴿**لَمَسَّكُم فِيما أخَذتُم**﴾ من الفِداء ﴿**عَذابٌ عَظِيمٌ** ٦٨. **فَكُلُوا مِمّا غَنِمتُم حَلالًا طَيِّبًا - واتَّقُوا اللهَ - إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٦٩.

=مشركي العرب فقط في قول من يذهب إلى النسخ، ومشركو العرب لهم وضع خاص بهم. فقد وجب قتالهم بعد أن نقضوا العهد، ولا يقبل منهم غير الإسلام. هذا قول بعض العلماء، وخص الإمام مالك منهم قريشًا وحدها بهذا الحكم. انظر البحر ٢:٢٨١ والناسخ والمنسوخ ٢:٣٨٥. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «وقال مجاهد». ويريد: يقصد. وكافيك أي: يحفظك بالمعونة والحماية والنصر. وأيدك: قواك وأمدّك. والنصر: الدفاع عنك والغلبة على المشركين وغيرهم. والقلوب: جمع قلب. والإحن: جمع إحنة. وهي الحقد والحروب والثارات. وأنفقت: بذلت وصرفت. والحكيم: الذي يُحكِم الأمور كلها بالعلم البالغ والإتقان.

(١) حسبك: كافيك وحافظك. والمراد بمن اتبعك: المهاجرون والأنصار في بدر. ويكن: يجتمع. والصابر: الذي يحتمل الشدائد ويتجلد. ومنهم أي: من الذين كفروا. وبالتاء يريد القراءة «تَكُنْ». وكفروا أي: بالله واليوم الآخر والنبوة. ولا يفقهون أي: لا يعرفون الحقيقة، يقاتلون للحمية الجاهلية والباطل. ويثبتوا أي: ليَثبُتوا لهم فينتصروا عليهم ويغلبوهم.

(٢) كثروا أي: كثر عدد المسلمين. انظر سبب النزول في المفصل. والآن أي: من هذا الوقت، بعدما تحقق امتثالكم للأمر رغم ثقله عليكم. وخفف أي: التكليفَ فقلل الثقل وأزال المشقة. وعلمَ أي: تحقق علمه في الواقع. وعلم الله هنا هو علم ظهور بتحقق مضمونه، بعد أن كان خفيًا على الناس، مع أنه في علمه - عز وجل - واجب الأولية والبقاء لايتغير. انظر أحكام القرآن ص ٨٧٨. والضعف: قلة الجَلَد والقدرة. وبفتحها يريد القراءة «ضَعفًا». وبالتاء يريد القراءة «فإن تَكُنْ». وألف أي: صابرة. وألفين أي: منهم.

(٣) كان النبي ﷺ قد استشار الصحابة في الأسرى، فأشار أبو بكر بالفدية، وأشار عمر بضرب أعناقهم، فكان الاختيار لقول أبي بكر بأخذ الفداء وإطلاق الأسرى. وفي اليوم التالي نزلت الآيات ٦٧-٦٩. انظر «المفصل». وما كان أي: ما صح ولا استقام. وتكون: تصير. وبالياء يريد القراءة «يَكُونَ». والأسرى: جمع أسير. وتريدونه: تطلبونه. والعرض: المتاع يعرض لصاحبه ويزول. ويريد: يرضى. والعزيز: الغالب ينصر أولياءه على أعدائهم. والحكيم: الذي يُحكم وضع كل شيء موضعه اللائق به. وهذا منسوخ: يعني أن الحكم بوجوب قتل الأسرى نسخته الآية ٤ من سورة محمد. ونص الآية ٦٧ هذه خبر لا يحتمل النسخ. والكتاب: الحكم المكتوب في اللوح المحفوظ. ومن الله أي: من عنده وبأمره. وسبق: تحقق إثباته، بألّا يعذِّب قومًا قبل تقديم التكليف. ومسكم: أصابكم. وما أخذتم: ما قبلتموه. والعذاب: التعذيب. ويراد به تسليط أعدائهم عليهم وإنزال المحن والفتن والكوارث بهم. والعظيم: الضخم لايقدر قدره. وكلوا أي: خذوا وتملكوا. وغنمتم: اكتسبتموه بالقوة. والحلال: ما أحله الشرع. والطيب: ما تستلذه النفوس السليمة. واتقوا الله: خافوه وامتثلوا أمره ونهيه. وغفور رحيم: من المغفرة والرحمة، أي: من الستر للذنوب مع العفو، والعطف بالإحسان إلى التائبين.

الجزء العاشر — سورة الأنفال

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ
ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ
بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

١- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لِمَن في أيديكُم مِنَ الأُسارَى**﴾، وفي قراءة «الأَسرَى»: ﴿**إن يَعلَمِ اللهُ في قُلوبِكُم خَيرًا**﴾: إيمانًا وإخلاصًا ﴿**يُؤتِكُم خَيرًا مِمّا أُخِذَ مِنكُم**﴾ من الفِداء، بأن يُضعِفه لكم في الدنيا ويُثِيبَكم في الآخرة، ﴿**ويَغفِرْ لَكُم**﴾ ذُنوبكم. ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٧٠. ﴿**وإن يُرِيدُوا**﴾ أي: الأسرى ﴿**خِيانَتَكَ**﴾، بما أظهروا من القول، ﴿**فقد خانُوا اللهَ مِن قَبلُ**﴾: قبلِ بدر بالكفر، ﴿**فأمكَنَ مِنهُم**﴾ ببدر قتلًا وأسرًا، فلْيتوقَّعوا مثلَ ذلك إن عادوا. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٧١ في صنعه.

٢- ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا، وجاهَدُوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ - وهم المهاجرون - ﴿**والَّذِينَ آوَوْا**﴾ النبيّ ﴿**ونَصَرُو**﴾ هُ - وهم الأنصار - ﴿**أُولئِكَ بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ**﴾ في النُّصرة والإرث، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا ولَم يُهاجِرُوا مالَكُم مِن وِلايَتِهِم**﴾ - بكسر الواو وفتحها - ﴿**مِن شَيءٍ**﴾، فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة، ﴿**حَتَّى يُهاجِرُوا**﴾ - وهذا منسوخ بآخِر السُّورة - ﴿**وإنِ استَنصَرُوكُم في الدِّينِ فعَلَيكُمُ النَّصرُ**﴾ لهم على الكُفّار، ﴿**إلّا على قَومٍ بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ**﴾: عهد، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم - ﴿**واللهُ بما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٧٢ - ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ**﴾ في النُّصرة والإرث. فلا إرث بينكم وبينهم. ﴿**إلّا تَفعَلُوهُ**﴾، أي: تولّيَ المسلمين وقطعَ الكُفّار، ﴿**تَكُنْ فِتنَةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ**﴾ ٧٣، بقوّة الكُفر وضعف الإسلام.

٣- ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ، والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا، أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا، لَهُم مَغفِرَةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ ٧٤ في الجنّة، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعدُ**﴾ أي: بعدِ السابقين إلى الإيمان والهجرة، ﴿**وهاجَرُوا وجاهَدُوا مَعَكُم فأُولئِكَ مِنكُم**﴾، أيّها المُهاجرون والأنصار، ﴿**وأُولُو الأرحامِ**﴾: ذَوُو القرابات ﴿**بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ**﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة، المذكورِ في الآية السابقة، ﴿**في كِتابِ اللهِ**﴾: اللوحِ المحفوظ. ﴿**إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٧٥، ومنه حِكمة الميراث.

---

(١) الأيدي: جمع يد. وفي أيديكم: في حوزتكم وتصرفكم. والأُسارى: جمع أسير. والمراد بهم الذين كانوا في الأسر، وقد أبدَوا ميلًا إلى الإسلام إن قُبل منهم الفداء. وإن يعلم الله أي: إن يحصل ويتبين للناس ما في علمه. يعني: إن يكن. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة. ويؤتكم: يعطكم. وخيرًا أي: أكثر نفعًا وفائدة. وأُخذ: قُبل وتُسلِّم. ويغفرها: يسترها ولايؤاخذكم بها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. ويريدوا: يُضمروا ويقصدوا. والخيانة: الغدر. وبما أظهروا يعني: إعلان الإسلام والعهد ألّا يحاربوك ولا يعاونوا عليك. وخانوا الله: نقضوا الميثاق. وأمكن منهم: أقدرك عليهم.

(٢) آمنوا أي: سبقوا بالإيمان. وهاجروا: سبقوا للهجرة من مكة إلى المدينة أوالحبشة أواليمن. وجاهدوا: بذلوا أقصى جهدهم. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته وإعزاز دينه. وآووا النبيَّ أي: والمهاجرين، أنزلوهم في ديارهم وأسكنوهم منازلهم، وبذلوا لهم أموالهم. ونصروه: دافعوا عنه العدو. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ونصروا». والأولياء: جمع ولي. وهو من يسعى في خير من يتولاه، ويكون أحق به من أقربائه. فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة، دون الأقارب من الكافرين. وبعضهم أي: الأفراد منهم، الواحد والأكثر. ولم يهاجروا أي: بقوا في مكة أو في بواديهم. وولايتهم: تولي أمورهم وموارثتهم. وبفتحها يريد القراءة «وَلايَتِهم». ومنسوخ: انظر «المفصل». واستنصروكم أي: طلب غير المهاجرين منكم العون والنصر. وفي الدين أي: في قتال لأجل الإسلام. والنصر: عونهم وتأييدهم. وكذلك حكم من يُظلم من المسلمين في ديار العدوّ أو المغتصِب للوطن. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: الخبير بدقائق الأمور وما خفي منها. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله وعصوهما. ولا إرث أي: ولا مناصرة ولاموالاة. وإلّا تفعلوه يعني: إلّا تلتزموا أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضًا، في النصرة والإرث، ويقاطعوا الكفار مقاطعة تامة. وتكن: تحصل. والفتنة: المحنة والبلاء. والفساد: الاضطراب والخلل. والكبير: الضخم لامثيل له.

(٣) هاجروا: هجروا ديارهم إلى المدينة بعد عام الحديبية. فهم أصحاب الهجرة الثانية إلى المدينة. والمؤمنون حقًّا: ذوو الإيمان البالغ الكمال، لاشك في إيمانهم ، لأنهم حققوا ذلك بالهجرة والجهاد بالنفس والمال في نصرة الدين. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. ورزق كريم أي: عطاء دائم لاتبعة فيه ولا مِنّة. وأولئك منكم أي: هم مثلكم في النصرة والموالاة، مُلحَقون بكم في الإيمان والجهاد، وأنتم لكم المرتبة الأولى. وأولو: واحده ذو، أي: الصاحب الملازم للشيء. والأرحام: جمع رَحِم. وهي هنا القرابة التي تتعلق بالإرث عامة، أي: أصحاب الفروض والعَصَبة ومَن بعدهم. انظر الآية ١ من سورة النساء. والبعض: الواحد أو الأكثر. وأولى: أحق ممن ليس بقريب. والمذكور أي: التوارث. والآية السابقة يعني الآية ٧٢، وأن الحكم هنا نَسخ حكم تلك الآية. فقد كان الأنصار يوارثون المهاجرين، دون الأقرباء ممن لم يهاجر قبل الحديبية، فنزلت هذه الآية. الناسخ والمنسوخ ٢:٣٩٤-٣٩٥. واللوح المحفوظ: سجلّ فيه ما كان وما سيكون في الوجود، من قضاء محتوم أو محتمل بما يحصل من الظروف واختيارات الخلق. والعليم: الكامل الإحاطة بالخفايا والدقائق وغيرها، مبالغة اسم الفاعل من العلم الحقيقي. وحكمة الميراث: يعني الميراثَ بالإيمان والهجرة، ونَسْخَه بميراث القرابة.

الجزء العاشر سورة التوبة

سورة التوبة
ترتيبها ٩ آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سورة التوبة

نصف الحزب ١٩

مدنية أو إلّا الآيتين آخرها، مِائة وثلاثون أو إلّا آية.

١- ولم تُكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك، كما يُؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأَخرج في معناه عن عليّ: أنّ البسملةَ أمانٌ، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حُذيفةَ: «إنّكُم تُسمُّونها سُورةَ التوبةِ، وهي سُورةُ العَذابِ». وروى البخاريّ عن البراء أنها آخرُ سُورةٍ نَزَلَتْ.

٢- هذه ﴿**بَراءةٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ**﴾، واصلةٌ ﴿**إِلَى الَّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١ عهدًا مطلقًا، أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونَقَضُوا العهدَ، بما يُذكر في قوله: ﴿**فسِيحُوا**﴾: سيروا آمنين - أيها المُشركون - ﴿**في الأرضِ أربعةَ أشهُرٍ**﴾، أوّلُها شوّال بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها، ﴿**واعلَمُوا أنّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ**﴾ أي: فائتِي عذابِه، ﴿**وأنَّ اللهَ مُخزِي الكافِرِينَ**﴾ ٢: مُذِلّهم في الدنيا بالقتل، والأُخرى بالنار.

٣- ﴿**وأذانٌ**﴾: إعلامٌ ﴿**مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ إِلَى النّاسِ، يَومَ الحَجِّ الأكبَرِ**﴾ يومَ النحر، ﴿**أنَّ**﴾ أي: بأنّ ﴿**اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ وعهودِهم ﴿**ورَسُولُهُ**﴾ بريءٌ أيضًا. «وقد بَعثَ ﷺ عليًّا من السَّنة - وهي سنةُ تِسعٍ - فأذّنَ يومَ النحرِ بمِنًى بهذه الآياتِ، وألّا يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشركٌ ولا يطوفَ بالبيتِ عُريانٌ». رواه البخاريّ - ﴿**فإن تُبتُم**﴾ من الكفر ﴿**فهُوَ خَيرٌ لَكُم، وإن تَوَلَّيتُم**﴾ عن الإيمان ﴿**فاعلَمُوا أنّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ. وبَشِّرِ**﴾: أخبِرِ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا بعذابٍ أليمٍ**﴾ ٣: مُؤلم. وهو القتلُ والأسر في الدنيا، والنارُ في الآخِرة - ﴿**إلّا الَّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ، ثُمَّ لَم يَنقُصُوكُم شَيئًا**﴾ من شُروط العهد، ﴿**ولَم يُظاهِرُوا**﴾: يُعاونوا ﴿**عَلَيكُم أحَدًا**﴾ من الكُفّار، ﴿**فأتِمُّوا إلَيهِم عَهدَهُم إلَى**﴾ انقضاء ﴿**مُدّتِهِم**﴾ التي عاهدتموهم عليها. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾ ٤ بإتمام العُهود.

٤- ﴿**فإذا انسَلَخَ**﴾: خرج ﴿**الأشهُرُ الحُرُمُ**﴾ - وهي آخر مُدّة التأجيل - ﴿**فاقتُلُوا المُشرِكِينَ حَيثُ وجَدتُّمُوهُم**﴾ في حِلٍّ أو حَرم، ﴿**وخُذُوهُم**﴾

---

(١) فيها أي: في أول السورة. ولم يأمر بذلك أي: أن ذلك توقيف، لادخل للرأي فيه. انظر المستدرك ٢: ٣٣٠ والمسند ١: ٦٩. وفي معناه أي: في عدم كَتْب البسملة. وعليّ: ابن أبي طالب. والحديث أيضًا في المستدرك ٢: ٣٣٤. والأمان: السلام والطمأنينة. و«هي» يعني سورة التوبة. وبالسيف أي: باستعمال السلاح لقتال مشركي العرب. وحذيفة: ابن اليمان صحابي جليل حديثه في المستدرك ٣: ٣٣١. والبراء: ابن عازب صحابي أنصاري. ونزلت أي: كاملة. وانظر الحديثين ٤١٠٦ و٤٣٧٧ في البخاري. (٢) هذه أي: الآيات القادمة. والبراءة: التبرؤ والتحلل من عصمة المشركين والعهود التي نقضوها. ومن الله أي: من عنده وبأمره. وعاهدتم أي: عقدتم بينكم وبينهم عهدًا موثقًا بيمين. والمشركون: مشركو العرب وبخاصة قريش، يمهَلون أربعة أشهر قبل إعلامهم بالحرب. وكذلك من لم يكن له عهد من المشركين العرب. ومن كان له عهد ولم ينقضه فأجله إلى مدته، مهما كان. فقد كان لبعض المشركين عهد بالموادعة، فنقضوه بتأييد أعداء المسلمين، فجاءت الآيات تحل المسلمين مما نقضه أولئك. وبما يذكر أي: بالإباحة المذكورة في الآية التالية. يعني أن البراءة من العهود المنقوضة للمشركين هي مصحوبة بالمهلة المذكورة في الآية. والأشهر: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم بعد شوال. واعلموا أي: تيقنوا. وغير فائتي عذابه أي: غير قادرين على النجاة من تعذيبه أو الهرب في الدنيا والآخرة، بل هو مدرككم ومجازيكم. والكافر: من كذّب الله ورسوله. (٣) الأذان: إخبار بوجوب الإعلام. والأكبر أي: غير العُمرة التي هي الحج الأصغر. ويوم النحر: يوم العيد. والبريء: المتبرئ المتباعد. وعلي: ابن أبي طالب. والسنة أي: التي نزلت فيها هذه السورة. وأذّنَ: أعلمَ الناسَ بصوت عال. وهذه الآيات يعني الآيات ١-٢٧. ورواه يعني الأحاديث ٣٦٢ و٤٣٧٨ و٤٣٧٩ في البخاري. وانظر «المفصل». وتبتم: دخلتم في الإيمان والطاعة. وهو أي: المَتاب من الكفر. وخير: أفضل وأكثر نفعًا. وتوليتم: أعرضتم وامتنعتم. واعلموا أنكم: انظر الآية ٢. والذين كفروا أي: المشركون المذكورن قبل. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وعاهدتم أي: كان بينكم وبينهم عهد مؤكد. ولم ينقصوكم أي: وفَوا بالعهود كاملة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧. وأتموا أي: أكملوا دون نقص أو إخلال. والمدة: الوقت المحدد. ويحبهم: يودهم كما يليق بجلاله، فيريد لهم الخير. والمتقي: من يتجنب غضب الله، ويطلب رضاه بالطاعة والصلاح. (٤) الأشهر: جمع قلة للشهر. والحرم: جمع حرام. وهي الأشهر الأربعة في الآية ٢. واقتلوهم أي: أزهقوا أرواحهم، إن لم يتوبوا. والمشركون هنا: الناقضون لعهودهم من مشركي العرب خاصة. والمراد من كان يستطيع القتال. وحيث أي: في كل مكان. ووجدته: صادفته والتقيت به. وخذوهم أي: ائسروهم وشدوا عليهم القيود. واحصروهم أي: حاصروهم وضيقوا عليهم بشدة. واقعدوا لهم أي: ترقبوهم. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والمرصد: الموضع الذي يراقَب فيه العدو للهجوم عليه. ونزع الخافض: حذف حرف الجر، أي: في كلِّ مرصد. وتابوا: دخلوا في الإيمان والطاعة. وأقاموا الصلاة: أدَّوها تامة. وآتوا الزكاة: دفعوها إلى مستحقيها. وخلوا سبيلهم أي: ليكونوامثلكم في الحقوق والواجبات. والغفور الرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من الغفران والرحمة، أي: من العفو والعطف بالإحسان. ومن المشركين أي: من العرب غير المحافظين على العهد. واستجار: طلب حمايتك، بعد الأشهر الأربعة المحددة. ويسمع: يتلقى ويطلع على حقيقة ما تدعو إليه. وأبلغه: أوصله مع من يحميه ويحفظه. والمذكور أي: وجوب الإجارة وإبلاغ المأمن. ولايعلمون أي: يجهلون لأنهم لم يُبلَّغوا بوعي وإدراك.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

بالأسر، ﴿**واحصُرُوهُم**﴾ في القِلاع والحُصون حتّى يُضطرّوا إلى القتل أو الإسلام، ﴿**واقعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرصَدٍ**﴾: طريقٍ يسلكونه - ونصبُ «كُلّ» على نزع الخافض - ﴿**فإن تابُوا**﴾ من الكُفر، ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، فخَلُّوا سَبِيلَهُم**﴾ ولا تتعرّضوا لهم - ﴿**إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٥ لمن تاب - ﴿**وإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿**استَجارَكَ**﴾: استأمنك من القتل ﴿**فأجِرْهُ**﴾: آمِنْه، ﴿**حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللهِ**﴾: القُرآنَ، ﴿**ثُمَّ أبلِغْهُ مأمَنَهُ**﴾ أي: موضع أمنه - وهو دار قومه - إن لم يُؤمن، لِيَنظرَ في أمره. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ المذكور ﴿**بِأنَّهُم قَومٌ لا يَعلَمُونَ**﴾ ٦ دِين الله. فلا بُدّ لهم من سماع القُرآن ليعلموا.

١- ﴿**كَيفَ**﴾ أي: لا ﴿**يَكُونُ لِلمُشرِكِينَ عَهدٌ عِندَ اللهِ وعِندَ رَسُولِهِ**﴾، وهم كافرون بهما غادرون؟ ﴿**إلّا الَّذِينَ عاهَدتُّم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ**﴾ يوم الحُديبية - وهم قريش المُستثنَون من قبلُ - ﴿**فما استَقامُوا لَكُم**﴾: أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿**فاستَقِيمُوا لَهُم**﴾ على الوفاء به. وما: شرطيّة. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾ ٧. وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا، بإعانة بني بكرٍ على خُزاعةَ.

٢- ﴿**كَيفَ**﴾ يكون لهم عهد، ﴿**وإن يَظهَرُوا عَلَيكُم**﴾: يظفروا بكم ﴿**لا يَرقُبُوا**﴾: يُراعوا ﴿**فِيكُم إلًّا**﴾: قرابةً ﴿**ولا ذِمَّةً**﴾: عهدًا، بل يُؤذوكم ما استطاعوا؟ وجملة الشرط: حال. ﴿**يُرضُونَكُم بأفواهِهِم**﴾: بكلامهم الحسن، ﴿**وتأبَى قُلُوبُهُم**﴾ الوفاءَ به، ﴿**وأكثَرُهُم فاسِقُونَ**﴾ ٨: ناقضون للعهد. ﴿**اشتَرَوا بآياتِ اللهِ**﴾: القُرآنِ ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتّباعها للشهوات والهوى، ﴿**فصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ**﴾: دِينه. ﴿**إنَّهُم ساءَ**﴾: بئس ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٩ه عملُهم هذا! ﴿**لا يَرقُبُونَ في مُؤمِنٍ إلًّا ولا ذِمَّةً، وأُولٰئِكَ هُمُ المُعتَدُونَ**﴾ ١٠.

٣- ﴿**فإن تابُوا، وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، فإخوانُكُم**﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿**في الدِّينِ - ونُفَصِّلُ**﴾: نُبيّنُ ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ**﴾ ١١: يتدبّرون - ﴿**وإن نَكَثُوا**﴾: نقضوا ﴿**أيمانَهُم**﴾: مواثيقهم، ﴿**مِن بَعدِ عَهدِهِم، وطَعَنُوا في دِينِكُم**﴾: عابوه، ﴿**فقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفرِ**﴾: رُؤساءه - فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر - ﴿**إنَّهُم لا أيمانَ**﴾: عهودَ ﴿**لَهُم**﴾ - وفي قراءة بالكسر - ﴿**لَعَلَّهُم يَنتَهُونَ**﴾ ١٢ عن الكُفر. ﴿**ألا**﴾ للتحضيض ﴿**تُقاتِلُونَ قَومًا، نَكَثُوا**﴾: نقضوا ﴿**أيمانَهُم**﴾: عهودهم، ﴿**وهَمُّوا بإخراجِ الرَّسُولِ**﴾ من مكّة، لمّا تشاوروا فيه بدار الندوة، ﴿**وهُم بَدَؤُوكُم**﴾ بالقِتال ﴿**أوَّلَ مَرَّةٍ**﴾، حيثُ قاتلوا خُزاعةَ حلفاءَكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تُقاتلوهم؟ ﴿**أتَخشَونَهُم**﴾: أتخافونهم؟ ﴿**فاللهُ أحَقُّ أن تَخشَوهُ**﴾ في ترك قِتالهم، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ١٣.

---

(١) لا يكون أي: لا يثبت. يعني أن الاستفهام للنفي. وللمشركين أي: الغادرين بالعهود والمواثيق. وعند الله: في حكمه وقبوله. وعاهدتم أي: كان بينكم وبينهم عهد بالموادعة. والمسجد: مكة كلها. وعنده أي: الحديبية. و«هم قريش» كذا. والآيات هذه نزلت سنة تسع، وقريش نقضوا العهد سنة ثمان فكان فتح مكة ودخولهم في الإسلام. فالمستثنَون من قبلُ هم المذكورن في تفسير الآية ٤، كان عهدهم يوم الحديبية سنة ست. وبعضهم نقض العهد مع قريش. انظر «المفصل». وعلى هذا يُصحّح ما سيرد من تفسير لآخر الآية وللآيات ٨ - ١٦. واستقام: حافظ. ويحب المتقين: انظر الآية ٤. و«على خزاعة» الصواب أن يقول: وقد استقام. . . حتى انتهت مدة عهدهم، أي: عهد بني خُزيمة ومُدلج وضَمرة، لأنهم وفَوا به كاملًا. أما قريش وبنو الدئل فقد انتهى أمرهم قبل. **(٢)** لهم أي: لمشركي العرب. ويظهر: يتغلب. وفيكم أي: في شأنكم. ويرضونكم: يقنعونكم. والأفواه: جمع فم. وتأبى: تمتنع. والقلوب: جمع قلب. وبه أي: بكلامهم. واشتروا بها: فضلوا عليها. والثمن: ما يأخذه البائع. وللشهوات يعني: تركوا اتباع الآيات لأجل تحصيل الشهوات. فقد روي أن بعضهم نقضوا العهد بوليمة دعاهم إليها أبو سفيان. وصدوا: امتنعوا. والسبيل: الطريق الواضح. وساء أي: بلغ النهاية في السوء والشر والفساد. ويعمل: يكتسب من نية أو قول أو فعل. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والمعتدون: المجاوزون الحد بالكفر والظلم والشر ونقض العهد. **(٣)** الإخوان: جمع أخ. وهو الصاحب والمناصر. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم بالله. وقاتلوهم: حاربوهم بالسلاح. والأئمة: جمع إمام. والكفر: التكذيب للتوحيد والبعث. وبالكسر يريد القراءة «لا إيمانَ». وهو منح الأمان والسلم. وينتهون: يمتنعون. والنكث بالعهد هو المشروط في الآية ١٢، وقد أجاب بعضهم الإمام عليًا، حين أبلغهم أوائل هذه السورة في منى، بقولهم: أبلغ ابن عمك أنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأنه ليس بيننا وبينه عهد، إلّا طعن بالرماح وضرب بالسيوف. البحر ٥:٧. وعلى هذا يُصحّح ما سيلي من التفسير في الآية والتي بعدها. وهموا به أي: نووه وعزموا عليه وقصدوه. والمعنى: قاتِلوا قومًا اجتمعت فيهم أسباب ثلاثة، كل منها وحده يقتضي قتلهم. فما بالكم باجتماعها؟ والإخراج: النفي والإبعاد. والتشاور في دار الندوة كان فيه بعض بني بكر. وقد ائتمر اليهود وهؤلاء بإخراج النبي ﷺ من المدينة. فالمقصود هنا هو الإخراج من المدينة لا من مكة. وبدؤوكم أي: كانوا البادئين المعتدين. والمرة: الجزء من الزمان. و«حيث قاتلوا خزاعة» هذا مبني على أن المراد في هذه الآيات هم مشركو مكة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧. والصواب أن المراد عدوان بني الدئل على خُزاعة قبل فتح مكة. وأحق: أولى وأجدر. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
ثلاثة أرباع الحزب ١٩ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

١- ﴿**قاتِلُوهُم، يُعَذِّبْهُمُ اللهُ**﴾: يَقتلْهم ﴿**بأيدِيكُم، ويُخزِهِم**﴾: يُذلَّهم بالأسر والقهر، ﴿**ويَنصُرْكُم عليهِم، ويَشفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ**﴾ ١٤ ممّا فُعل بهم - هم بنو خُزاعةَ - ﴿**ويُذهِبْ غَيظَ قُلُوبِهِم**﴾: كربَها. ﴿**ويَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشاءُ**﴾ بالرجوع إلى الإسلام، كأبي سُفيانَ. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ ١٥.

٢- ﴿**أم**﴾، بمعنى همزة الإنكار، ﴿**حَسِبتُم أن تُترَكُوا، ولَمّا**﴾: لم ﴿**يَعلَمِ اللهُ**﴾ علمَ ظُهورِ ﴿**الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم**﴾ بإخلاص، ﴿**ولَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ ولا رَسُولِهِ ولا المُؤمِنِينَ وَلِيجةً**﴾: بِطانةً وأولياء؟ المعنى: ولم يَظهرِ المخلصون - وهم الموصوفون بما ذُكر - من غيرهم. ﴿**واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾ ١٦.

٣- ﴿**ما كانَ لِلمُشرِكِينَ أن يَعمُرُوا مَسجِدَ اللهِ**﴾ - بالإفراد والجمع - بدُخوله والقُعود فيه، ﴿**شاهِدِينَ عَلَى أنفُسِهِم بِالكُفرِ. أُولئِكَ حَبِطَتْ**﴾: بَطَلت ﴿**أعمالُهُم**﴾، لعدم شرطها، ﴿**وفي النّارِ هُم خالِدُونَ**﴾ ١٧. **إنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ، ولَم يَخشَ**﴾ أحدًا ﴿**إلّا اللهَ. فَعَسَى أُولئِكَ أن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ**﴾ ١٨.

٤- ﴿**أجَعَلتُم سِقايةَ الحاجِّ وعِمارةَ المَسجِدِ الحَرامِ**﴾، أي: أهلَ ذلك، ﴿**كَمَن آمَنَ**

---

(١) يعذبهم: يقدر عليهم العذاب. ويقتلهم أي: يقتل بعضهم، وييسر لكم اغتنامَ أموالهم ونسائهم وأولادهم وتشريدَهم. والمراد بنو الدئل. والأيدي: جمع يد. وينصركم: يُغلّبكم. ويشف صدورهم: يَسرّها بالنصر وإعلاء دين الله. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. والمراد بالمؤمنين هنا المخاطبون الذين يقاتلون، وكل مؤمن لم يحضر القتال، لأن ما يصيب أهل الكفر هو سرور لقلب كل مؤمن. وما فعل بهم: يعني أن بني خُزاعة المؤمنين أعان بنو الدئل قريشًا في العدوان عليهم بمكة. فالنصر على بني الدئل يطمئنهم مع المؤمنين جميعًا. انظر «المفصل». ويذهبُه: يزيله ويحلّ محله السرور. والكرب: الحزن. ويتوب: يصفح ولايؤاخذ بالذنوب. ويشاء أي: يريد التوبة عليه. والرجوع إلى الإسلام: الدخول فيه. وذكرُ أبي سفيان هنا يتصل بفتح مكة. والمراد أيضًا من دخل في الإسلام، من بني الدئل وغيرهم. وعليم أي: محيط كاملَ الإحاطة بما يُصلح عباده وبمن آمن صادقًا أو منافقًا. وحكيم أي: ذو الحكمة البالغة بكمال العلم والإحسان والإتقان، في أقواله وأفعاله وأحكامه وما يجزي به كل مكلف. **(٢)** حسبتم: اعتقدتم. وتتركوا أي: تُعفَوا من الواجبات والجهاد. وعِلمَ ظهور أي: علمَ تحقق في الواقع، يظهر لكم به ما يعلمه الله من قبل. يعني: ولما يمتحنكم، ليُظهِر الذين بذلوا بنية خالصة، ويميزهم ممن كانوا ضعاف الإيمان. ويتخذ: يجعل. وما ذكر يعني: الجهاد وعدم موالاة الكافرين. وخبير: من الخبرة. وهي الإحاطة التامة بدقائق الأمور ودخائلها. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **(٣)** انظر سبب النزول في المفصل. وما كان أي: ما ينبغي ولا يصح، ولا يجوز لهم بعد اليوم. انظر الآية ٣. والمشرك: من يشرك بعبادة الله بعض مخلوقاته. والمسجد هو المسجد الحرام. وبالجمع يريد القراءة «مَساجِدَ اللهِ». وذكرُ الدخول والقعود تفسيرٌ لعمارة المسجد، يعني أنه ليس المراد بها هو البناء، فليس لهم شيء مما افتخروا به، حتى إن الدخول إلى المسجد والقعود فيه لايجوزان لهم. والشاهد: الذي يقرّ بما يعلم بلسانه أو فعله. والكفر: تكذيب الله ورسوله، وعبادة الأصنام والأوثان في الحرم وغيره. والأعمال: جمع عمل. يعني زيارة المسجد الحرام ورعايته وخدمة الحجاج، وما أشبه ذلك من عمل البر. وشرطها أي: ما يحقق ثوابها. وهو الإيمان والتوحيد والطاعة بالصلاح والجهاد. والخالد: المقيم أبدًا. والمراد أنه لايصح لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين: عمارةِ بيت الله والكفرِ به وبعبادته. فقد فسدت صالحات عملهم، ولهم العذاب الأبدي، إن أصروا على الكفر والعصيان وماتوا عليهما. ويعمره أي: يبنيه ويصلحه ويخدمه ويعظمه ويصونه ، ويزوره للعبادة والتعلم والذكر بحق. وآمن به: صدّقه بقلبه ولسانه وعمله. واليوم الآخر: وقت القيامة للحساب والجزاء. وأقام الصلاة: أداها كاملة. وآتى الزكاة: أداها إلى مستحقيها. ويخشى: يخاف في نياته وأقواله وأعماله. وعسى أي: وجب وتحقق. وأولئك أي: الموصوفون بالأوصاف الأربعة: الإيمان والإقامة والإيتاء والخوف من الله. والمهتدي: المسترشد المستمسك بالطاعة الموصلة إلى الجنة. **(٤)** عن ابن عباس أنّ بعض المشركين كان يزعم أنّ زيارة البيت الحرام وخدمته خير من التوحيد والجهاد، فجاءت الآية تكذب ذلك وتبين وجه الحق. انظر «المفصل». وهذا الحكم يعم أيضًا من يُشغل بأمور الحج أو الحجّاج، ويهمل واجبات الإيمان والحكم الشرعي والجهاد للعدو الغاصب المهيمن. وجعلتم: صيّرتم. والسقاية: تقديم الماء وتيسير شربه. والمراد الخدمة اللازمة في مواسم الحج والعمرة. والحاجّ: مفرده حاجّ أيضًا. والعمارة: الزيارة والطواف والقعود. وأهل ذلك: يعني القائمين بالسقاية والعمارة. وجاهد: بذل أقصى ما يستطيع من النفس والمال والقدرات والأهل والوطن بإخلاص واحتساب. وفي سبيله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه والمسلمين. ولايستوون أي: ليس الفريقان متساويين، بل الثاني هو صاحب الفضل والفلاح. وعنده أي: في حكمه وقضائه. ولايهديهم أي: يصرف قدراتهم بحسب اختيارهم الفاسد واستعدادهم السيئ، ولا يوفقهم في التوجه إلى الحق. و«نزلت» هذا قول آخر في سبب نزول الآية، يشير إلى ماكان بين جماعة من المؤمنين، إذ افتخر بعض بسقاية الحجاج، وآخرون بزيارة الكعبة، وآخرون بالإيمان والجهاد، فزجرهم عمر بن الخطاب، واستفتى النبيَّ ﷺ في ذلك، فنزلت الآية ١٩. انظر الحديث ١٨٧٩ في مسلم و«المفصل». ولامانع أن يكون للآيات أكثر من سبب للنزول. وهاجروا: هجروا ديارهم وأهلهم وأموالهم إلى المدينة قبل عام الحديبية. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. وأعظم أي: أرفع وأفخم. ويبشر: يخبر بما هو ذو فرح. والرحمة: العطف بالفضل. ومنه أي: من عنده بتفضله. والرضوان: القبول للأعمال مع نهاية الإحسان. والجنة: الحديقة العظيمة. والنعيم: نضارة العيش وحسن الحال. والخالد: المقيم مدة طويلة. والأبد: مدة الزمن كله. وعنده أي: في ملكه وتصرفه وعطائه. والأجر: الثواب. والعظيم: الكبير الفخم لامثيل له.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

بِاللهِ واليَوم الآخِرِ وجاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ؟ لا يَستَوُونَ عِندَ اللهِ في الفضل - ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ**﴾ ١٩: الكافرين. نزلتْ ردًّا على من قال ذلك. وهو العبّاس أو غيره - ﴿**الَّذينَ آمَنُوا وهاجَرُوا، وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بأموالِهم وأنفُسِهم، أعظَمُ دَرَجةً**﴾: رُتبة ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ من غيرهم، ﴿**وأُولٰئِكَ هُمُ الفائزُونَ**﴾ ٢٠: الظافرون بالخير، ﴿**يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمةٍ مِنهُ ورِضوانٍ، وجَنّاتٍ لَهُم فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾ ٢١: دائم، ﴿**خالِدِينَ**﴾: حال مُقدّرة ﴿**فِيها أبَدًا. إنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ٢٢.

١ - ونزل فيمن ترك الهجرة، لأجل أهله وتجارته: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولياءَ، إنِ استَحَبُّوا**﴾: اختاروا ﴿**الكُفرَ علَى الإيمانِ. ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ ٢٣. **قُلْ: إن كانَ آباؤُكُم وأبناؤُكُم وإخوانُكُم وأزواجُكُم وعَشِيرتُكُم**﴾: أقرباؤكم - وفي قراءة: «عَشِيراتُكُم» - ﴿**وأموالٌ اقتَرَفتُمُوها**﴾: اكتسبتموها، ﴿**وتِجارةٌ تَخشَونَ كَسادَها**﴾: عدم نَفاقها ﴿**ومَساكِنُ تَرضَونَها، أحَبَّ إلَيكُم مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ**﴾، فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد، ﴿**فتَرَبَّصُوا**﴾: انتظروا ﴿**حَتَّى يأتِيَ اللهُ بأمرِهِ**﴾. تهديد لهم. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾ ٢٤.

٢ - ﴿**لَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ**﴾ للحرب ﴿**كَثِيرةٍ**﴾، كبدرٍ وقُريظةَ والنضير، ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ حُنَينٍ**﴾: وادٍ بين مكّة والطائف، أي يومَ قِتالكم فيه هوازنَ - وذلك في شوّال سنة ثمانٍ - ﴿**إذ**﴾: بدل من «يوم» ﴿**أعجَبَتْكُم كَثرَتُكُم**﴾، فقلتم: لن نُغلَب اليوم من قِلّة - وكانوا اثني عشر ألفًا والكُفّارُ أربعة آلاف - ﴿**فلَم تُغنِ عَنكُم شَيئًا! وضاقَتْ علَيكُمُ الأرضُ بِما رَحُبَتْ**﴾ ما: مصدريّة أي: مع رُحبِها أي سَعتِها، فلم تجدوا مكانًا تطمئنّون إليه لشِدّة ما لحقكم من الخوف، ﴿**ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِينَ**﴾ ٢٥: منهزمين، وثَبَتَ النبيّ ﷺ على بغلته البيضاء،

---

(١) ما ذكره السيوطي هنا قد يعني أن الآيتين مكيتان، خلافًا لما ذكره في مستهل تفسير السورة. والأقرب إلى الصواب أنه لما أمر الله بالتبري من المشركين قال بعض المسلمين ممن في المدينة ومكة: كيف يمكن أن نقاطع آباءنا وإخواننا وأبناءنا؟ فنزل ما يوجب مقاطعتهم شرعًا. تفسير الخازن ٣:٧١. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتتخذوا: تجعلوا. والآباء: جمع أب. ويراد به الوالد والجد. والإخوان: جمع أخ. ومراد بهم الأقارب كذلك. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق يواده الإنسان ويُسِرّ إليه ما في نفسه. واستحب: أحب. والكفر: تكذيب الله ورسوله. ويقابله الإيمان. ويتولاهم: يتخذهم أولياء. والظالم: من تجاوز الحد لعصيانه أمر الله. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد والحفيد. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. والعشيرة: الأقرباء من القبيلة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والتجارة: البضائع تعدّ للبيع والربح. وتخشون: تخافون. والنَّفاق: الرواج وسرعة البيع. وفي المنحة والمطبوعات: «عدم نفادها». والمساكن: جمع مسكن. وهو الدار للإقامة والاستقرار. وترضونها: تحبونها لحسنها وما فيها. وأحب: أكثر مودة وتفضيلًا. والمراد هنا الحب الاختياري، أي: الملازمة وعدم المفارقة، لا الحب الجِبلّيّ الذي لايخلو عنه البشر. فهذا غير داخل في التكليف الذي يكون ضمن الطاقة. والجهاد: بذل أقصى ما يستطاع، من النفس والمال والجهد والجاه والعلم والوقت. وفي سبيله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. ولأجله يعني: لأجل حب تلك الأنواع الثمانية. ويأتي به: يوقعه ويقضيه. والأمر: العذاب العاجل والآجل. ولايهديهم أي: لايرشدهم إلى الحق والصلاح، لما في نفوسهم من الضلال واختيار العصيان. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والفاسقون: جمع فاسق. وهو المصرّ على الخروج عن الطاعة. (٢) نصركم: أعانكم على الأعداء. والمواطن: جمع موطن. وهو الموقف يوطّن فيه المرء نفسه للقاء العدو. وهي متعددة ذكر العلماء أنها ثمانون. وكثيرة أي: عددها وافر. وبدر: اسم مكان، أي: كمواطن غزوة بدر. وقُريظة والنَّضير: جماعتان من اليهود سلالة هارون انتصر عليهما المسلمون. واليوم: الوقت. انظر «المفصل». وهوازن: قبيلة من قيس عيلان. وأعجبتكم: سرتكم وصرفتكم عن التوكل على الله. والكثرة: العدد الوافر. ومن قلة أي: بسبب قلة العدد. والقول هذا نُسب إليهم جميعًا، مع أنه صدر عن واحد منهم، لأن أكثرهم لم ينكره. الدر المنثور ٣:٢٢٤. ولم تغن أي: لم تدفع ولم تقدّم ما يسعف. وضاقت عليكم أي: كأنها انضم بعضها إلى بعض وصغر مداها. ورحبت: اتسعت وامتدت. ووليتم: هربتم. والمدبر: الذي يوجّه ظهره لعدوه في الهرب. وأبو سفيان هذا ابن عم الرسول، عليه السلام. وهو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب. وآخذ بركابه أي: ممسك بسرج بغلته ليدافع عنه. والمشهور أن الذين ثبتوا يومئذ هم عشرة من الرجال، وأُمُّ سُليم بنت مِلحان بيدها خِنجر تطعن به، وتقول: بأبي أنت وأمي، يارسول الله. اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك، كما تقتل الذين يقاتلونك. فإنهم لذلك أهل. الإصابة ٨:٢٢٧-٢٣٠. وأنزلها: خلقها وأثبتها في النفوس. وردوا أي: رجعوا كرة واحدة. وبإذنه أي: بأمر النبي ﷺ. وأنزل الجنود: بعثها. والجنود: واحده جند. والجند: واحده جُندي. ولم تروها أي: لم تبصروها بأعينكم. وعذبهم: أنزل بهم ما يسوءهم من الانتقام. والجزاء: العقاب. وكان الأسر للنساء والصبيان فبلغ عددهم ستة آلاف، وفي الغنائم من الإبل اثنا عشر ألفًا، ومن الغنم والسلاح والمتاع ما لايحصى. ويتوب على من يشاء أي: يوفق من أراد له التوبة في الرجوع عن الكفر والعصيان، لِما يعلمه من استعداده للإيمان وحسن اختياره للصلاح. وذلك أي: التعذيب. وبالإسلام أي: بأن يُسلِم ويدع الشرك. وقد جاء بعد النصر بعض بني هوازن مبايعين مسلمين، ورجَوُا استرداد الغنائم والأسرى، فخُيِّروا بين هذه وهؤلاء، فاختاروا أن يردّ إليهم ذراريهم ونساؤهم. والغفور والرحيم: من المغفرة والرحمة. يعني أنه له كاملُ التجاوز عمن أسلم، ونهايةُ العطف بالإحسان إليه.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

وليس معه غيرُ العبّاس، وأبو سُفيانَ آخذٌ بركابه، ﴿**ثُمَّ أنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ**﴾: طُمأنينته ﴿**على رَسُولِهِ وعلى المُؤمِنِينَ**﴾، فردُّوا إلى النبيّ ﷺ لمّا ناداهم العبّاس بإذنه وقاتلوا، ﴿**وأنزَلَ جُنودًا لَم تَرَوها**﴾: ملائكةً، ﴿**وعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالقتل والأسر. ﴿**وذٰلِكَ جَزاءُ الكافِرِينَ**﴾ ٢٦. ﴿**ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعدِ ذٰلِكَ عَلَى مَن يَشاءُ**﴾ منهم بالإسلام. ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٢٧.

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّما المُشرِكُونَ نَجَسٌ**﴾: قذر لخُبث باطنهم. ﴿**فلا يَقرَبُوا المَسجِدَ الحَرامَ**﴾، أي: لا يدخلوا الحَرَمَ، ﴿**بَعدَ عامِهِم هٰذا**﴾ عام تسع من الهجرة، ﴿**وإن خِفتُم عَيلَةً**﴾: فقرًا، بانقطاع تجارتهم عنكم، ﴿**فَسَوفَ يُغنِيكُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، إن شاءَ**﴾. وقد أغناهم بالفُتوح والجزية. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ ٢٨.

٢- ﴿**قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ**﴾ - وإلّا لآمنوا بالنبي - ﴿**ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ كالخمر، ﴿**ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ**﴾: الثابتِ الناسخ لغيره من الأديان - وهو الإسلام - ﴿**مِنَ**﴾: بيانٌ لِـ «الَّذِينَ» ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾ أي: اليهودِ والنصارى، ﴿**حَتَّى يُعطُوا الجِزيَةَ**﴾: الخراج المضروب عليهم كُلّ عام، ﴿**عَن يَدٍ**﴾: حالٌ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يُوكِّلون بها، ﴿**وهُم صاغِرُونَ**﴾ ٢٩: أذلّاءُ منقادون لحُكم الإسلام.

٣- ﴿**وقالَتِ اليَهُودُ: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ. وقالَتِ النَّصارَى: المَسِيحُ**﴾ عيسى ﴿**ابنُ اللهِ. ذٰلِكَ قَولُهُم بِأفواهِهِم**﴾ لا مُستندَ لهم عليه، بل ﴿**يُضاهُونَ**﴾: يُشابهون به ﴿**قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ**﴾ من آبائهم تقليدًا لهم. ﴿**قاتَلَهُمُ**﴾: لعنهم ﴿**اللهُ. أنَّى**﴾: كيف ﴿**يُؤفَكُونَ**﴾ ٣٠: يُصرفون عن الحقّ، مع قِيام الدليل؟ ﴿**اتَّخَذُوا أحبارَهُم**﴾: عُلماءَ اليهود، ﴿**ورُهبانَهُم**﴾: عُبّادَ النصارى، ﴿**أربابًا مِن دُونِ اللهِ**﴾، حيثُ اتّبعوهم في تحليل ما حُرّم وتحريم ما أُحِلّ، ﴿**والمَسِيحَ**

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. والمشرك: من جعل مع الله شريكًا له في الألوهية. وبعض العلماء على أن أهل الكتاب هم مشركون أيضًا. انظر البحر ٥:٢٧ والآية ٣١. ويقربه: يدنو منه. والمسجد الحرام: المسجد الذي فيه الكعبة. والعام: الحول، من أول محرم إلى آخر ذي الحجة. و«عام تسع» صوابه «سنة تسع» كما في تفسير البغوي والتلخيص. وخفتم: خشيتم وتوقعتم. ويغنيكم: يجعلكم ذوي قدرات تكفيكم، فلا تحتاجون إلى الغير. والفضل: التفضل بالنعم. وشاء أي: أراد إغناءكم. والجزية أي: وإرسال الأمطار النافعة، وإقبال المسلمين على مكة بالتجارات والميرة والمتاع الوافر. وعليم حكيم أي: محيط بأحوالكم وما يصلحكم، وتصدر مشيئته عن الحكمة.

(٢) قاتلوهم: حاربوهم بكل وسيلة. ولايؤمن: يكذّب ويجحد. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر بعد الموت يكون فيه البعث للحساب. و«إلّا لآمنوا»: انظر تفسيره للآية ٧٥ من سورة المائدة. فهو يريد: ولولا عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر لآمنوا بالنبي. ذلك لأن اليهود يعتقدون التشبيه والتجسيم، وهم والنصارى يعتقدون الحلول، ويظنون بيوم القيامة الأباطيل، ويكذبون كثيرًا من الأنبياء. وانظر الآيات ٣٠-٣٣. وكان هرقل قد جمع لحرب المسلمين بعض الروم والعرب واليهود، فأمر الله بقتالهم أيضًا. انظر الآية ٣٨. وحرمه: منعه. وكالخمر أي: ولحم الخنزير والكذب على الله، والربا والرشوة وإشاعة الفواحش والمنكرات. ويدينه: يعتقد صحته بيقين. والدين: العقيدة والشريعة. وأوتوا الكتاب: أُنزل إليهم وأُمروا باتباعه. ويعطوها أي: يعطوكم إياها. يعني: يُقرّوا بها ويلتزموا ذلك بعقد موثق. وتفسير السيوطي «عن يد» يحتمل معاني: أحدها أن اليد بمعنى القوة من المخاطبين، أي: صادرين عن قوة منكم وردع لهم. والآخر أي: يسلمونها بأيديهم، ولايكلون ذلك إلى غيرهم. وفي حاشية ع: «قوله أو بأيديهم أي: تؤخذ منهم ولا تبقى بأيديهم». والصاغر: من الصَّغار. وهو الانقياد والخضوع. وهذا خاص بالمحاربين، من غير المسلمين وغير المشركين العرب، يضعها الإمام عليهم إذا غُلبوا في الحرب، ويدفعونها كذلك لإقرارهم على الأملاك والديار والمسالَمة. ومن الجزية مايكون بالصلح يدفعه المصالَحون بالتراضي. ومنها مايكون على غير المسلمين في البلد الإسلامي، ضريبة يؤدونها لحمايتهم ورعاية مصالحهم، أي: مقابل تمتعهم بذمة الله ورسوله. ومقدار الجزية قرابة دينار في العام الواحد على الرجل غير العاجز. أما مشركو العرب، ولا سيما قريش، فليس لهم إلّا الإسلام أو القتال. تفسير الآلوسي ١٠: ١١٤-١١٧.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. واليهود: واحده يهودي. وعزير نبي لهم جاء يجدد عهد التوراة، فزعموا أنه ابن الله تعالى. والنصارى: جمع نصران. وذلك أي: ما قاله اليهود والنصارى. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «يُضاهِئُونَ». ومن قبل أي: من قبلهم. واتخذوا: جعلوا. والأحبار: جمع حَبر. والرهبان: جمع راهب. والأرباب: جمع رب. ومن دونه أي: من غيره. وانظر الحديث ٣٠٩٤ في الترمذي. وأمروا: فرض عليهم. ويعبدوا أي: يقدسوا ويطيعوا. والإلٰه: المعبود بحق وحده. وما يشركون: الإشراك في العبادة والطاعة. ويريدون: يطلب الكافرون. ويطفئ: يخفي. والنور: ما يضيء فتتبين به الأشياء. ويأبى: يمنع ولايريد. ويتمه: يزيد إنارته ويحققها كاملة. وكره: أبغض. والكافر: الذي يخفي حقيقة الإسلام. وأرسل: بعث إلى الناس جميعًا. والهدى: الدلالة على الحق. ودين الحق: الإسلام. انظر الآية ٢٩. والمشرك: من يعبد بعض المخلوقات مع الله.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

ابنَ مَريَمَ، وما أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلّا لِيَعبُدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إلَهًا واحِدًا، لا إلَهَ إلّا هُوَ. سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يُشرِكُونَ ٣١! يُرِيدُونَ أن يُطفِئُوا نُورَ اللهِ﴾: شرعَه وبراهينه، ﴿بِأفواهِهِم﴾: بأقوالهم فيه، ﴿ويأبَى اللهُ إلّا أن يُتِمَّ﴾: يُظهِرَ ﴿نُورَهُ، ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ٣٢ ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ﴾ مُحمّدًا، ﴿بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ، لِيُظهِرَهُ﴾: يُعلِيَه ﴿علَى الدِّينِ كُلِّهُ﴾: جميعِ الأديان المُخالفة له، ﴿ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ ٣٣ ذلك.

الحزب ٢٠

١ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحبارِ والرُّهبانِ لَيأكُلُونَ﴾: يأخذون ﴿أمْوالَ النّاسِ بِالباطِلِ﴾، كالرُّشا في الحُكم، ﴿ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه، ﴿والَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَكنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضّةَ، ولا يُنفِقُونَها﴾ أي: الكنوزَ ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾، أي: لا يُؤدّون منها حقّه من الزكاةِ، والخبرُ: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أخبِرْهم ﴿بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾ ٣٤: مُؤلِم، ﴿يَومَ يُحمَى علَيها في نارِ جَهَنَّمَ، فتُكوَى﴾: تُحرَقُ ﴿بِها جِباهُهُم وجُنُوبُهُم وظُهُورُهُم﴾، ويُوسّع جلدهم حتى تُوضع عليه كلّها، ويقال لهم: ﴿هٰذا ما كَنَزتُم لِأنفُسِكُم. فذُوقُوا ما كُنتُم تكنِزُونَ﴾ ٣٥ أي: جزاءَه.

٢- ﴿إنَّ عِدّةَ الشُّهُورِ﴾ المُعتدُّ بها للسَّنة ﴿عِندَ اللهِ اثنا عَشَرَ شَهرًا، في كِتابِ اللهِ﴾: اللوحِ المحفوظ ﴿يَومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، مِنها﴾ أي: الشُّهورِ ﴿أربَعةٌ حُرُمٌ﴾: مُحرَّمة: ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجب. ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: تحريمُها ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المستقيم. ﴿فلا تَظلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهرِ الحُرم ﴿أنفُسَكُم﴾ بالمعاصي - فإنها فيها أعظم وِزرًا. وقيل: في الأشهُرِ كُلّها - ﴿وقاتِلُوا المُشرِكِينَ كافّةً﴾ أي: جميعًا في كُلّ الشُّهور، ﴿كَما يُقاتِلُونَكُم كافّةً، واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ ٣٦ بالعون والنصر.

---

(١) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والكثير: العدد الوافر لايحصى. والأحبار: جمع حَبر. وهو العالم من اليهود. والرهبان: جمع راهب. وهو العابد من النصارى زهد في الدنيا، وانقطع عن الناس في الصومعة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والناس: البشر. والباطل: الظلم والعدوان. والرشا: جمع رشوة. وهي ما يدفع لإحقاق باطل أو إبطال حق. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة. ويصدون: يمنعون. والسبيل: الطريق الواضح. ويكنز: يجمع ويخزن. والذهب: المعدن الأصفر الثمين. والفضة: المعدن الأبيض النفيس. والمراد أيضًا ما يصاغ منهما أو يقابلهما من النقد والجواهر. وينفق: يبذل ويصرف. والكنوز: جمع كنز. وسبيل الله: الطريق الذي شرعه للإنفاق. والعذاب: التعذيب في الآخرة. وهو الكي بالكنوز المحمّاة. ونزل هذا الحكم في مانعي الزكاة والحقوق المشروعة، من المسلمين وغيرهم، ولاسيما الأحبار والرهبان. انظر الحديثين ١٣٤١ و٤٣٨٣ في البخاري وتفاسير الطبري ١٤: ٢٢٧ وابن أبي حاتم ٤: ٤٥ والخازن ٣: ٨٦ والبحر ٥: ٣٦ والواحدي ص ٢٤٣. ويحمى عليها أي: تُسخَّن الكنوز من الذهب والفضة كثيرًا، حتى تلتهب وتصبح صفائح من النار. وجهنم: اسم علم لما أعدّ للكافرين من العذاب. والجباه: جمع جبهة. وهي ما بين الحاجبين. والمراد هنا جهة الأمام من الإنسان كلها. والجنوب: جمع جنب. وهو الطرف. والظهور: جمع ظهر. وهو هنا جهة الخلف كلها. وبذلك يشمل الكي جميع الجسد. وفيما عدا الأصل والنسختين: «وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها» مع خلاف يسير. وهذا ما كنزتم أي: هذا الكيّ عقاب ما كنزتم لمنفعة أنفسكم، فكان عين ضررها وعذابها. وذوقوا أي: تحملوا وقاسوا. وفيه معنى التهكم والتبكيت.

(٢) كانت العرب في الجاهلية، إذا طال عليها أمد تحريم القتال في ثلاثة أشهر متوالية، تؤخر شهر محرم فتجعله مكان صفر، لتستحل القتال، وتؤخر الأشهر التالية فتصير السنة ثلاثة عشر شهرًا. وبذلك كان الحج يقع تارة في وقته، وأحيانًا في شهر آخر، فنزلت الآية تبين الرجوع إلى الحق وترك ماكان من النسيء. وفي حجة الوداع كان الحج قد صار في شهر ذي الحجة على الصواب. تفسير الخازن ٣: ٨٩ والبحر ٥: ٣٧-٣٨. والجمهور على أن حرمة القتال في الأشهر الحرم منسوخة بتتمة الآية. انظر تفاسير الخازن ٣: ٩٠ والقرطبي ٨: ١٣٤ وفتح القدير ٢: ٥٠٣. والعِدة: العدد. والشهور: جمع شهر. وهو مدة دوران القمر حول الأرض مرة واحدة. والمعتدّ بها أي: المعتبرة في الحقيقة. وعند الله أي: في حكمه لا بابتداع الناس. واللوح المحفوظ: الكتاب الرباني سجل فيه ما سيكون في جميع الخلق، من قضاء محتوم أو محتمل. واليوم: الزمن والحين. ويوم: مفعول فيه ظرف زمان منصوب ومضاف. وهو متعلق بصفة محذوفة لـ «اثنا عشر»، أي: ثابتة منذ خلق الأجرام والأزمنة. وتعليقه بـ«عدة» مردود لسببين: لأن حكم الله في اللوح المحفوظ كان قبل خلق السماوات والأرض، ولأن عدة هنا اسم ذات. فهو غير عامل. انظر «المفصل». وخلق: أوجد من العدم. ومنها أي: من الاثني عشر، لا من «الشهور» كما ذكر السيوطي. والحرم: جمع حرام. وهو المحترم المعظم، يحرم فيه القتال وتكثر فيه الطاعات. والدين: الشرع، أي الحساب الشرعي. والمستقيم أي: المنتظم الواضح الكامل البالغُ النهايةِ في الإحكام. ولاتظلموا أنفسكم أي: لاتعتدوا عليها فتسببوا لها العقاب بتجاوز الحق، وأكثروا فعل الخيرات. وفي الأشهر كلها أي: دائمًا. وهذا وجه آخر لتفسير «فيهن». والأول أولى لأن سياق النظم الكريم هو في حكم الأشهر الحرم، لا في العامّة منها. وقاتلوهم يعني: ابدؤوهم بالقتال. وفي كل الشهور أي: الحُرُم وغيرها، لأن قتال الجميع يعني أيضًا جميع الأحوال والأزمان والبقاع. والمتقون: الذين يتجنبون العصيان ويلزمون الطاعة.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

١- ﴿**إنّما النّسِيءُ**﴾ أي: التأخير لحُرمة شهر إلى آخَرَ، كما كانت الجاهليّة تفعله من تأخير حُرمة المُحرّم إذا هلَّ، وهم في القتال، إلى صفر ﴿**زيادةٌ في الكُفرِ**﴾ لكُفرهم بحُكم الله فيه، ﴿**يُضَلُّ**﴾ - بضمّ الياء وفتحها - ﴿**بِهِ الَّذينَ كَفَرُوا، يُحِلّونَهُ**﴾ أي: النسيءَ ﴿**عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا، ليُواطِئُوا**﴾: يُوافقوا بتحليل شهرٍ وتحريم آخر بدلَه ﴿**عِدّةَ**﴾: عددَ ﴿**ما حَرَّمَ اللهُ**﴾ من الأشهُر، فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها، ﴿**فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ. زُيِّنَ لَهُم سُوءُ أعمالِهِم**﴾، فظنّوه حسنًا. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القومَ الكافِرِينَ**﴾ ٣٧.

٢- ونزل، لمّا دعا رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة تَبُوكَ، وكانوا في عُسرةٍ وشِدّة وحرّ، فشقّ عليهم: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، ما لَكُم إذا قِيلَ لَكُمُ: انفِرُوا في سَبِيلِ اللهِ. اثّاقَلتُم**﴾ - بإدغام التاء في الأصل في المُثلّثة واجتلاب همزة الوصل - أي: تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿**إلى الأرضِ**﴾ والقُعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ. ﴿**أرَضِيتُم بالحَياةِ الدُّنيا**﴾ ولذّاتها ﴿**مِنَ الآخِرةِ**﴾ أي: بدلَ نعيمها؟ ﴿**فما مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا، في**﴾ جنب متاع ﴿**الآخِرةِ، إلّا قَليلٌ**﴾ ٣٨: حقير. ﴿**إلّا**﴾ - بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطيّة في الموضعين - ﴿**تَنفِرُوا**﴾: تخرجوا مع النبيّ للجهاد ﴿**يُعَذِّبْكُم عَذابًا ألِيمًا**﴾: مُؤلمًا، ﴿**ويَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم**﴾ أي: يأتِ بهم بدلكم، ﴿**ولا تَضُرُّوهُ**﴾ أي: اللهَ أو النبيَّ ﴿**شَيئًا**﴾ بترك نصره! فإنّ الله ناصرٌ دِينَه. ﴿**واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٣٩، ومنه نصر دِينه ونبيّه.

٣- ﴿**إلّا تَنصُرُوهُ**﴾ أي: النبيَّ ﴿**فقد نَصَرَهُ اللهُ، إذْ**﴾: حينَ ﴿**أخرجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ من مكّة أي: ألجؤوه إلى الخُروج، لمّا أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة، ﴿**ثانيَ اثنَينِ**﴾: حالٌ أي: أحدَ اثنين، والآخرُ أبو بكر - المعنى: نصره الله في مِثل تلك الحالة، فلا يَخذله في غيرها - ﴿**إذْ**﴾: بدل من «إذ» قبله ﴿**هُما في الغارِ**﴾: نَقب في جبلِ ثور، ﴿**إذْ**﴾: بدلٌ ثانٍ ﴿**يَقُولُ لِصاحِبِهِ**﴾ أبي بكر، وقد قال له لمّا نظر أقدام المشركين: «لَو نَظَرَ أحَدُهُم تَحتَ قَدَمَيهِ لأبصَرَنا»: ﴿**لا تَحزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا**﴾ بنصره. ﴿**فأنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ**﴾: طُمأنينته ﴿**عَلَيهِ**﴾ - قيل: على النبيّ، وقيل: على أبي بكر - ﴿**وأيَّدَهُ**﴾ أي: النبيَّ ﴿**بِجُنُودٍ لَم تَرَوها**﴾: ملائكةٍ في الغار ومواطن قِتاله، ﴿**وجَعَلَ كَلِمةَ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ أي: دعوةَ الشِّرك ﴿**السُّفلَى**﴾ المغلوبةَ. ﴿**وكَلِمةُ اللهِ**﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿**هِيَ العُليا**﴾: الظاهرةُ الغالبة. ﴿**واللهُ عَزِيزٌ**﴾ في مُلكه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٤٠ في صُنعه.

---

(١) حرمة الشهر: تعظيمه بعدم القتال فيه. وهلّ: ظهر هلاله. وهم في قتال أي: وهم راغبون في القتال. فقد كانوا يعتقدون حرمة الأشهر الحرم، ويشق عليهم ترك الغارة والمعاصي ثلاثة أشهر متوالية. وكان أبناءُ القَلَمَّس الكنانيّ يؤخرون تسميةَ محرم لتكون لصفر. والكفر: التكذيب لأمر الله. ويُضَلُّ: يُمَدُّ بما هو فيه من الباطل واختيار العصيان. وبفتحها يريد القراءة «يَضِلُّ»، أي: ينصرف عن الحق. والسيوطي يذكر هنا قراءتين لا ثلاثًا، خلافًا لما في الفتوحات والصاوي والمنحة. ويحلونه: يجعلونه حلالًا. وعامًا أي: في أحد الأعوام. ويحرمونه: يجعلونه حرامًا. وأعيانها أي: التعيين الحقيقي للأشهر الأربعة التي حرمها الله. وزين: حُسّن وجُمّل. والسوء: القبيح والفاسد. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. ولايهديه: يُمِدّ قدراته بما يناسب اختياره الفاسد واستعداده السيئ. والكافر: الذي يصرّ على تكذيب الله وعصيانه.

(٢) تبوك: حصن قريب من حدود الشام، تجمّع فيه الروم وبعض اليهود وقبائل العرب لحرب المسلمين، فأمر الله بغزوهم في رجب سنة تسع. وشق: اشتد. وانفروا: اخرجوا للجهاد سريعًا. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته وردع أعدائه ونصرة دينه. وما ذكر عن الإدغام يعني أن الأصل «تَثاقَلتُم». والزيادة في الفعل للمبالغة، سكنت التاء وأبدلت ثاء وأدغمت في التاء الثانية. ولتعذّر البدء بالساكن جيء بهمزة الوصل في أول الفعل، فصار الوزن: اتْفاعَل. ورضيتم: قبلتم. ونعيمها: نعيم الآخرة الدائم. والمتاع: ما يتمتع به ثم يزول. والموضعين أي: أول الآيتين ٣٩ و٤٠. وانظر «المفصل». ويعذبكم: يعاقبكم بالقحط والفتن، وبالنار في الآخرة. ويستبدل أي: يبدل بكم. ولاتضروه: لا تلحقوا بدينه أذى. والقدير: من القدرة. وهي التمكن من الأمور والتحكم فيها.

(٣) تنصروه أي: تعينوه بالجهاد وتدافعوا عنه أعداءه. والذين كفروا أي: مشركو مكة. انظر الآية ٣٠ من سورة الأنفال. ويخذله: يتخلى عنه. وجبل ثور: بجنوب مكة على مسير ساعة في الطريق إلى اليمن. ويقول أي: النبي ﷺ. والصاحب: المرافق في الهجرة. ونظر: أبصر. وفيما عدا الأصل وخ: «لما رأى أقدام المشركين». ولاتحزن: لاتغتمّ واطمئن. ومعنا أي: يصحبنا ويحفظنا. وأنزل: خلق. وأيده: جعل له الغلبة. والجنود: واحده جندي. وتروها: تبصروها. وجعل: صيّر. والسفلى: من السفول، عُبِّر به عن الغلبة. وكلمة الشهادة أي: عبارة التوحيد. والعليا: من الارتفاع والسمو، عُبِّر به عن التغلب. والعزيز والحكيم: من العزة - وهي الغلبة والقهر - ومن الحكمة. وهي وضع الأمور فيما يقتضيه الصواب والحق.

الجزء العاشر　سورة التوبة

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

١- ﴿**انفِرُوا خِفافًا وثِقالًا**﴾: نِشاطًا وغيرَ نِشاط - وقيل: أقوياءَ وضُعفاء، أو أغنياءَ وفُقراء. وهي منسوخة بآيةِ «لَيسَ على الضُّعَفاءِ» - ﴿**وجاهِدُوا بأموالِكُم وأنفُسِكُم في سَبيلِ اللهِ. ذٰلِكُم خيرٌ لكُم، إن كُنتُم تعلَمُونَ**﴾ ٤١ أنه خير لكم فلا تتثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلّفوا: ﴿**لو كانَ**﴾ ما دعوتَهم إليه ﴿**عَرَضًا**﴾: متاعًا من الدنيا ﴿**قريبًا**﴾: سهلَ المأخذ، ﴿**وسفَرًا قاصِدًا**﴾: وسَطًا، ﴿**لاتّبَعُوكَ**﴾ طلبًا للغنيمة، ﴿**ولكِن بَعُدَت عَلَيهِم الشُّقّةُ**﴾: المسافة فتخلّفوا. ﴿**وسَيَحلِفُونَ باللهِ**﴾، إذا رجَعتم إليهم، ﴿**لَو استطَعنا**﴾ الخروجَ ﴿**لَخَرَجنا مَعَكُم، يُهلِكُونَ أنفُسَهُم**﴾ بالحَلِف الكاذب، ﴿**واللهُ يَعلَمُ إنّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ ٤٢ في قولهم ذلك.

ربع الحزب ٢٠

٢- وكان - صلّى الله عليه وسلّم - أذِن لجماعة في التخلّف باجتهاد منه، فنزل عِتابًا له، وقُدّم العفو تطمينًا لقلبه: ﴿**عَفا اللهُ عَنكَ، لِمَ أذِنتَ لَهُم**﴾ في التخلّف؟ وهلّا تركتهم ﴿**حَتّى يَتَبَيّنَ لَكَ الّذِينَ صَدَقُوا**﴾ في العُذر، ﴿**وتَعلَمَ الكاذِبِينَ**﴾ ٤٣ فيه. ﴿**لا يستأذِنُكَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ**﴾، في التخلّف عن ﴿**أن يُجاهِدُوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم. واللهُ عَلِيمٌ بالمُتّقِينَ**﴾ ٤٤. ﴿**إنّما يَستأذِنُكَ**﴾ في التخلّف ﴿**الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ، وارتابَت**﴾: شكّت ﴿**قُلُوبُهُم**﴾ في الدِّين، ﴿**فهُم في رَيبِهِم يَتَرَدّدُونَ**﴾ ٤٥: يتحيّرون.

٣- ﴿**ولَو أرادُوا الخُرُوجَ**﴾ معك ﴿**لَأعَدُّوا لَهُ عُدّةً**﴾: أُهبةً من الآلة والزاد، ﴿**ولكِنْ كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُم**﴾ أي: لم يُرِد خُروجهم، ﴿**فثَبّطَهُم**﴾: كسّلهم، ﴿**وقِيلَ**﴾ لهم: ﴿**اقعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ**﴾ ٤٦ المرضَى والنِّساء والصِّبيان. أي: قدّر الله - تعالى - ذلك. ﴿**لَو خَرَجُوا فِيكُم ما زادُوكُم إلّا خَبالًا**﴾: فسادًا بتخذيل المُؤمنين، ﴿**ولَأوضَعُوا خِلالَكُم**﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة، ﴿**يَبغُونَكُمُ**﴾: يطلبون لكم ﴿**الفِتنَةَ**﴾ بإلقاء العداوة، ﴿**وفِيكُم سَمّاعُونَ لَهُم**﴾ ما يقولون سماعَ قَبول. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِينَ**﴾ ٤٧. ﴿**لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتنَةَ**﴾ لك ﴿**مِن قَبلُ**﴾: أوّلَ ما قدِمتَ المدينة، ﴿**وقَلّبُوا لَكَ الأُمُورَ**﴾ أي:

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وانفروا: أسرعوا بالخروج لقتال العدو. والخفاف: جمع خفيف. وهو الذي يسهل عليه الجهاد. والثقال: جمع ثقيل. وهو الذي يشتد عليه ذلك. وآية: يعني الآية ٩١. وجاهدوا: ابذلوا أقصى الجهود. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وخير: أنفع. وتعلم: تدرك. والعرَض: ما يحصل بيسر. وهو المتاع أو الزينة. واتبعوك: ساروا معك للقتال. وبعدت: صعب الوصول إليها. ويحلف: يُقسم الأيمان. واستطعنا: قدرنا بقوة أبدان وعدة. ويُهلك: يُتلف لعصيانه. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والكاذب: من يقول غير الحق.

(٢) الجماعة التي أذن لها هي من المنافقين، وذكرُ العتاب يعني أن العفو أُورد قبل العتاب على ترك الأفضل، ليتبين أمرهم. فقد كان المغرقون في النفاق قالوا: نستأذنه ونتخلف، إن أذن لنا، وإن لم يأذن. والأصح أن افتتاح الآية بالعفو هنا يعني أنه لاحرج عليه فيما فعل. وهو استفتاح كلام بالدعاء جرت عادة العرب فيه، أن يكون تعظيمًا للمخاطب، كما تقول: أصلح الله الأمير، ورضي عنك وهداك وأكرمك. البحر ٥:٤٧. ولفظ «تطمين» صحيح فصيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٢٤ من سورة آل عمران. وعفا عنك أي: أكرمك الله وأحسن إليك. وأذنت: سمحت. ولم أذنت أي: كان الأَولى ألّا تأذن، وإن كان لك مباحًا ما فعلت. ويتبين: يظهر بالفعل. وصدقوا: قالوا الحق. وتعلم: تعرف. والكاذب: من يقول بلسانه ما لا أصل له. ويستأذن: يطلب السماح. ويؤمنون: يصدقون قلبًا ولسانًا وعملًا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. ويجاهدوا أي: يضحوا ويتبرعوا. والمعنى: ليس من عادة المؤمنين الاستئذان في ترك الجهاد دون عذر، لأنهم يبادرون إلى الطاعة دائمًا. واستئذان هؤلاء المنافقين يقتضي التأني في أمرهم لكشف نفاقهم. والأموال والأنفس: انظر الآية ٤١. والعليم: المحيط إحاطة كاملة. والمتقون: الذين يخافون الله فيتجنبون عصيانه ويلزمون طاعته ورضاه. وفي التخلف أي: بدون عذر شرعي. والقلوب: جمع قلب. والريب: الشك. وقد أصبح الاستئذان حينذاك دليل نفاق.

(٣) أرادوا: قصدوا وطلبوا. وأعدوا: هيؤوا وجهزوا. والعُدة: ما يُعَدّ للاستعمال وقت الحاجة. والزاد أي: والنية الخالصة للجهاد. وكره: أبغض. و«لم يرد» تأويل لمعنى: كره، لاتفسير للدلالة اللغوية. ولذلك قدّم له بـ «أي». واقعدوا أي: دعوا الجهاد والزموا التخلف. وذلك أي: قعودَهم مع القاعدين. فليس هناك قول بذلك، لأنه قدرٌ وقع بهم لِما هم عليه من النفاق، إذ ألهمهم الله أسباب الكسل والتخلف. وفيكم أي: معكم. وزادوكم: ضاعفوا ما يثيره ضعاف الإيمان منكم. والخلال: جمع خَلَل. وهو الفُرجة بين الشيئين. والفتنة: الشر والفساد. والسمّاع: الكثير الإنصات والتقبل. وسماع قبول أي: وطاعة وتنفيذ. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة. وانظر آخر الآية ٤٤. والظالم: الذي تجاوز الحق في نيته أو قوله أو عمله. والمراد أن الله محيط بدقائق أمورهم وخفيات صدورهم، فيجازيهم بما يستحقون. وابتغوا: طلبوا. والفتنة: الشر. وقبل أي: قبل هذه الغزوة، حين أثاروا الخصام بين الأوس والخزرج، وحرضوا المشركين واليهود، وانسحبوا في غزوة أحد، وغير ذلك. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والرأي. وتقليب الأمور: تصريفها وتدبرها للمبالغة في المكر. ولك أي: لأجلك. وجاء: حصل وثَبَت. والحق: الشيء الواقع حتمًا لابد منه. وعزّ أي: تغلب وانتصر. والكاره: المبغض المتألم.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ
أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ
إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

أجالوا الفِكر في كيدك وإبطال دِينك، ﴿حتّى جاءَ الحَقُّ﴾: النصر، ﴿وظَهَرَ﴾: عزَّ ﴿أمرُ اللهِ﴾: دِينُه، ﴿وهُم كارِهُونَ﴾ ٤٨ له فدخلوا فيه ظاهرًا.

١- ﴿ومِنهُم مَن يَقُولُ: ائْذَنْ لي﴾ في التخلّف، ﴿ولا تَفتِنّي﴾. وهو الجَدّ بن قيس قال له النبيّ: «هَل لَكَ في جِلادِ بَني الأصفر»؟ فقال: إني مُغرَم بالنساء، وأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألّا أصبرَ عنهنّ، فأفتَتَن. قال تعالى: ﴿ألا في الفِتْنَة سَقطُوا﴾ بالتخلّف - وقرئ «سَقَطَ» - ﴿وإنَّ جَهنَّم لَمُحِيطةٌ بالكافِرينَ﴾ ٤٩: لا محيص لهم عنها. ﴿إن تُصِبْكَ حَسَنةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُم، وإن تُصِبْكَ مُصِيبةٌ﴾: شِدّة ﴿يَقُولُوا: قَد أخَذْنا أمرَنا﴾ بالحزم، حين تخلّفنا، ﴿مِن قَبلُ﴾: قبلِ هذه المُصيبة. ﴿ويَتَوَلَّوا وهُم فَرِحُونَ﴾ ٥٠ بما أصابك.

٢- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَن يُصِيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا﴾ إصابته. ﴿هُوَ مَولانا﴾: ناصرنا ومُتولّي أُمورنا. ﴿وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾ ٥١. ﴿قُلْ: هَل تَرَبَّصُونَ﴾ - فيه حذف إحدى التاءين من الأصل - أي: تنتظرون أن يقع ﴿بِنا إلّا إحدَى﴾ العاقبتَين ﴿الحُسنَيَينِ﴾: تثنية حُسنَى تأنيث أحسن، النصر أو الشهادة؟ ﴿ونَحنُ نَتَرَبَّصُ﴾: ننتظر ﴿بِكُم أن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِن عِندِهِ﴾: بقارعة من السماء، ﴿أو بأيدِينا﴾ بأن يأذن لنا بقتالكم. ﴿فتَرَبَّصُوا﴾ بنا ذلك. ﴿إنّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ﴾ ٥٢ عاقبتَكم.

٣- ﴿قُلْ: أنفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوعًا أو كَرهًا. لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُم﴾ ما أنفقتموه. ﴿إنَّكُم كُنتُم قَومًا فاسِقِينَ﴾ ٥٣. والأمر هنا بمعنى الخبر. ﴿وما مَنَعَهُم أن تُقبَلَ﴾ - بالتاء والياء - ﴿مِنهُم نَفَقاتُهُم إلّا أنَّهُم﴾: فاعل، وأن تُقبل: مفعول، ﴿كَفَرُوا بِاللهِ وبِرَسُولِهِ، ولا يأْتُونَ الصَّلاةَ إلّا وهُم كُسالَى﴾: مُتثاقلون، ﴿ولا يُنفِقُونَ إلّا وهُم كارِهُونَ﴾ ٥٤ النفقةَ، لأنهم يَعدّونها مَغرمًا.

---

(١) منهم أي: من المنافقين. وائذن :اسمح. ولاتفتنّي أي: لاتوقعني في المعصية. والجد: كان سيد قومه، وقد تخفّى يوم الحديبية لئلا يحضر بيعة الرضوان، ثم تاب وحسنت توبته. والجلاد: المضاربة بالسيوف. وبنو الأصفر هم الروم معروفون بصفرة بَشرتهم. وأُفتتَن: أُسقَط في الفتنة والمعصية. فأذن له النبي ﷺ بالتخلف. والحديث في تفاسير الطبري ١٤:٢٨٧-٢٨٨ والبغوي ٢:٢٩٩ والخازن ٣:١٠٥ وابن كثير ٢:٣٤٦ والقرطبي ٨:١٥٨-١٥٩ والنسفي ٢:١٢٩ والبحر ٥:٥١ وأبي السعود ٤:٩٢ وفتح القدير ٢:٥١٦ والدر المنثور ٣:٢٤٧-٢٤٨. وانظر «المفصل». وفي مجمع الزوائد ٧:٣٠: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني. وهو ضعيف». والفتنة أي: المعصية التي ذُكرتْ قبل. وسقط أي: وقع وثبَت. وفي قراءة «سقط» مراعاة الإفراد من لفظ «مَن»، وفي «سقطوا» مراعاة معناها لأن منافقين آخرين اعتذروا بخوف الفتنة أيضًا، كما جاء عن ابن عباس. وجهنم: اسم علم للنار التي أعدت للكافرين. والمحيطة: المحدقة من كل جانب. والكافرون: من يكذبون الله والرسول، ومنهم المنافقون. والمحيص: المهرب. وتصبك: تُقدَّر لك وتنزل بك. والحسنة: النعمة المحبوبة. وتسوء: تؤذي وتؤلم. وأخذنا أمرنا أي: تلافينا ما أهمنا من الأمور، وحفظنا مودة الكافرين. ويتولوا أي: يعرضوا عن مجالسة المسلمين وعن الإيمان. وفرحون: مسرورون معجبون.

(٢) يصيب: ينال. وكتب: قدّر وقضى بحكمته التي وضعت قوانين الكون والحياة. ولنا أي: لحالنا بحسب نياتنا وأعمالنا. ويتوكل عليه: يستسلم إليه ويفوض أمره كله. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله قلبًا ولسانًا وعملًا. والحسنيان أي: ما كتب الله لنا. والحسنى: الأعظم حسنًا وفضلًا. ويصيبكم: يقدّر عليكم ويُنزل بكم إحدى السُّوءيَينِ. والعذاب: التعذيب في الدنيا. ومن عنده أي: بأمره من دون تدخل البشر. والقارعة: الصاعقة أو المصيبة العظيمة. وبأيدينا أي: بفعلنا نحن. والأيدي: جمع يد. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يؤذن لنا في قتالكم». وفي نسخة أُخرى: «بقتلكم». وانظر الفتوحات ٢:٢٨٩. وتربصوا: انتظروا مواعيد الشيطان لكم من عاقبتنا. وهو أمر للتهديد والوعيد والتهكم. ومتربصون: منتظرون مواعيد الرحمن من عاقبتكم.

(٣) قوله «طاعة الله» فيه نظر، لأن بذل المنافق لايكون طاعة لله، بل هو رياء وخداع. وأنفِقوا أي: بذلتم أموالكم. فالفعل أمر معناه الخبر للتهكم. والطوع: التطوع من غير إلزام. والكره: الإكراه والإلزام. ولن يتقبل منكم أي: لن يُتلقى منكم بالرضا ولن تثابوا عليه. وكنتم أي: وما زلتم. والفاسق: العاتي المتمرد على الطاعة. والمراد به الكافر بالله والرسول. وبمعنى الخبر: يعني أن «أنفقوا» بمعنى: أنفقتم. وفيه التهكم والتبكيت، أي: لن يُتقبل منكم نفقاتكم، أنفقتموها طوعًا أو كرهًا. والخطاب للجَدّ بن قيس وأمثاله من المنافقين، نزلت الآية فيهم، لأنهم حين استأذنوا في التخلف خشية الافتتان بذلوا مالهم لتجهيز الغزوة. انظر البحر ٥:٥٣. ومنعهم: حرمهم ودفع عنهم. وبالياء يريد القراءة «أن يُقبَلَ». خ وط: «أن يقبل بالياء والتاء». وفي المنحة: «بالياء والتاء». والنفقة: ما يُبذل من المال. وفاعل أي: المصدر المؤول من «أنَّ» وما بعدها في محل رفع. ومفعول: يعني أن المصدر الأول المؤول من «أنْ» وما بعدها في محل نصب مفعول ثان لـ «منع»، أي: حَرَمَهم كفرُهم قَبولَ نفقاتهم. وكفروا به: كذبوه في قلوبهم وادعوا الإيمان. ومتثاقلين أي: يجيئون لأدائها مع الجماعة نفاقًا، وإذا كانوا وحدهم لم يصلوا. والكسالى: جمع كسلان. وينفقون: يبذلون أموالهم. والكاره: المضطرّ إلى ما لا يريد. والمَغرم: ما يُدفع للزوم من غير الواجبات. فهم لايرجون عليه ثوابًا، ولا يخافون على تركه عقابًا، لأنهم يرونه خسارة كاملة.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٢٠

١- ﴿**فلا تُعجبْكَ أموالُهم ولا أولادُهم**﴾ أي: لا تَستحسنْ نِعَمَنا عليهم، فهي استدراج. ﴿**إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم**﴾ أي: أن يُعذِّبهم ﴿**بها في الحَياةِ الدُّنيا**﴾، بما يَلقَون في جمعها من المشقّة وفيها من المصائب، ﴿**وتزهَقَ**﴾: تخرجَ ﴿**أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ**﴾ ٥٥، فيُعذّبهم في الآخِرة أشدّ عذاب. ﴿**ويَحلِفُونَ باللهِ إنَّهم لَمِنكُم**﴾ أي: مُؤمنون، ﴿**وما هُم مِنكُم، ولٰكِنَّهُم قومٌ يَفرَقُونَ**﴾ ٥٦: يخافون أن تفعلوا بهم كالمُشركين، فيحلفون تقيّةً، ﴿**لَو يَجِدُونَ مَلجأً**﴾ يلجؤون إليه، ﴿**أو مَغاراتٍ**﴾: سراديبَ، ﴿**أو مُدَّخَلًا**﴾: موضعًا يَدَّخِلونه ﴿**لَوَلَّوا إليهِ، وهُم يَجمَحُونَ**﴾ ٥٧: يُسرعون في دُخوله والانصراف عنكم، إسراعًا لا يردّه شيء، كالفرس الجموح، ﴿**ومِنهُم مَن يَلمِزُكَ**﴾: يَعيبك ﴿**في**﴾ قَسْم ﴿**الصَّدَقاتِ، فإن أُعطُوا مِنها رَضُوا، وإن لَم يُعطَوا مِنها إذا هُم يَسخَطُونَ**﴾ ٥٨. **ولَو أنَّهُم رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ**﴾، من الغنائم ونحوها، ﴿**وقالُوا: حَسْبُنا**﴾: كافينا ﴿**اللهُ. سَيُؤتِينا اللهُ مِن فَضلِهِ ورَسُولُهُ**﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا. ﴿**إنّا إلَى اللهِ راغِبُونَ**﴾ ٥٩ أن يُغنِيَنا. وجواب «لو»: لكان خيرًا لهم.

٢- ﴿**إنَّما الصَّدقاتُ**﴾: الزّكَوات مصروفةٌ ﴿**لِلفُقَراءِ**﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعًا من كِفايتهم، ﴿**والمَساكِينِ**﴾الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿**والعامِلِينَ عَلَيها**﴾ أي: الصدقاتِ من جابٍ وقاسمٍ وكاتبٍ وحاشرٍ، ﴿**والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم**﴾ ليُسلموا أو يثبتَ إسلامهم، أو يُسلمَ نُظراؤهم أو يذبّوا عن المسلمين - أقسام، والأوّل والأخير لا يُعطَيان اليوم عِند الشافعيّ لعزّ الإسلام، بخلاف الآخَرَين فيُعطَيان على الأصحّ - ﴿**وفي**﴾ فكّ ﴿**الرِّقابِ**﴾ أي: المُكاتَبينَ، ﴿**والغارِمِينَ**﴾: أهلِ الدَّين، إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياءَ، ﴿**وفي سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: القائمين بالجِهاد ممّن لا فيء لهم ولو أغنياءَ، ﴿**وابنِ السَّبِيلِ**﴾: المنقطعِ في سفره، ﴿**فَريضةً**﴾: نُصب بفعله المُقدّر، ﴿**مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٦٠ في صُنعه. فلا يجوز صرفُها لغير هؤلاء، ولا منعُ صِنف منهم إذا وُجد. فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصِّنف على بعض. وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قَسَمَ لعُسْره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كُلّ صِنف، ولا يكفي دونَها كما أفادته صيغة الجمع. وبيَّنتِ السُّنّة أنّ شرط المُعطَى منها الإسلامُ وألّا يكون هاشميًّا ولا مُطّلبيًّا.

٣- ﴿**ومِنهُمُ**﴾ أي: المُنافقين ﴿**الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ**﴾ بعيبه وبنقل حديثه، ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلّا يبلغه: ﴿**هُوَ أُذُنٌ**﴾ أي: يسمع كُلّ قِيلٍ ويقبله، فإذا حلفنا له إنّا لم نقل صدَّقَنا. ﴿**قُلْ**﴾: هو ﴿**أُذُنُ**﴾: مستمِعُ ﴿**خَيرٍ لَكُم**﴾ لا مستمِعُ شرّ، ﴿**يُؤمِنُ باللهِ ويُؤمِنُ**﴾: يُصدّق ﴿**لِلمُؤمِنِينَ**﴾

---

(١) الأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وهو الذكر والأنثى. والاستدراج: ما يكون في الظاهر نعمة، ليزداد من يملكه اغترارًا قبل أن يباغَت بالعقاب. ويريد: يشاء. ويعذبهم: ينتقم منهم. وبها أي: بسبب الافتتان بالأموال والأولاد. والأنفس: الأرواح، جمع نفس. ويحلفون: يقسمون. ومنكم أي: مثلكم في الدين. وما هم منكم أي: هم كافرون يتظاهرون بالإسلام. والتقية: الخوف. ويجدون: يصادفون. والملجأ: الحصن يحتمى به. والمغارة: ما انخفض في الأرض. وولوا: التجؤوا. ومنهم أي: من المنافقين. والصدقات: الغنائم. وكان النبي ﷺ يقسم غنائم غزوة حنين، فقال أحد المنافقين: اعدل فينا. فأجابه: «ويلَكَ ، ومَن يَعدِلُ إذا لم أعدِلْ»؟ فنزلت الآية في ذلك وما يشبهه. انظر «المفصل». وأعطوا أي: قدر ما يريدون. ورضوا أي: قبلوا. ويسخط: يغضب. ورضيه أي: قبِله وطابت نفسه به. وآتاهم: أعطاهم إياه. والفضل: الإنعام بما هو زيادة وتكرم. وراغبون: قاصدون ومتضرعون. **(٢)** الزكاة: ما يجب على المال من التأدية لتزكيته وتطهير صاحبه. والفقراء: جمع فقير. والمساكين: جمع مسكين. والعاملون عليها: الذين يتولون أمرها. وهم الجابي: يسعى في تحصيلها، والقاسم: يوزعها على المستحقين، والكاتب: يسجل ما دفعه أرباب الأموال، والحاشر: يجمع المستحقين وأرباب الأموال، والحاسب: يقدّر ما يجب من تسلم وتسليم. والمؤلفة قلوبهم: انظر «المفصل». والقلوب: جمع قلب. ويذب: يجاهد. والأول والأخير يعني: الكفارَ يرجى إسلامهم، والمسلمين المحتاجين للتمكن من الجهاد، هذان القسمان لايعطيان من الزكاة، باستقرار حكم الإسلام وسلطانه. واليوم أي: في زمن تصنيف هذا التفسير. والفك: التخليص من رق العبودية للناس. والرقاب: جمع رقبة أي: النفس الإنسانية المملوكة للغير. والغارم: المَدين. ولغير معصية أي: لعمل مباح لا إثم فيه. ولإصلاح: معطوفان على «لغير». ولعسره أي: لأنه يتعذر على صاحب المال التقسيمُ التام المذكور. وبينت السُّنّة أي: جاء في السُّنّة الشريفة ما يبين هذا الحكم. وشرطُ الإسلام يخالفه ما ذكرَ في تفسير المؤلفة قلوبهم. وهاشم والمُطّلِب ابنا عبد مناف. **(٣)** انظر سبب النزول في «المفصل». ويؤذي: يسبب الأذى. والقيل: القول. والخير: ما يحقق النفع في الدنيا والآخرة. ويؤمن به أي: يعترف بوجوده وصفاته يقينًا. ويؤمن لهم أي: يطمئن إليهم فيصّدقهم. ورحمةٌ أي: رحيم، كثير العطف والشفقة. وبالجر يريد القراءة «ورَحْمةٍ». والذين آمنوا أي: أظهروا الإيمان ادعاء ونفاقًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة في الدنيا والآخرة.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

فيما أخبروه به لا لغيرهم - واللام: زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره - ﴿**ورَحْمةٌ**﴾، بالرفع عطفًا على «أذنُ» والجرِّ عطفًا على «خيرِ»، ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم، والَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ ٦١.

١- ﴿**يَحلِفُونَ باللهِ لَكُم**﴾ - أيها المؤمنون - فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنهم ما أتوه، ﴿**لِيُرضُوكُم، واللهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرضُوهُ**﴾ بالطاعة. ﴿**إن كانُوا مُؤمِنِينَ**﴾ ٦٢ حقًّا. وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو خبرُ «اللهُ» أو «رسولُه» محذوف. ﴿**أَلَم يَعلَمُوا أنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**مَن يُحادِدِ**﴾: يُشاققِ ﴿**اللهَ ورَسُولَهُ فأنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ**﴾ جزاءً، ﴿**خالِدًا فِيها؟ ذٰلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ**﴾ ٦٣.

٢- ﴿**يَحذَرُ**﴾: يخاف ﴿**المُنافِقُونَ أن تُنَزَّلَ عَلَيهِم**﴾ أي: المُؤمنين ﴿**سُورةٌ، تُنَبِّئُهُم بِما في قُلُوبِهِم**﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون. ﴿**قُلِ: استَهزِئُوا**﴾ - أمرُ تهديدٍ - ﴿**إنَّ اللهَ مُخرِجٌ**﴾: مُظهرٌ ﴿**ما تَحذَرُونَ**﴾ ٦٤ إخراجَه من نِفاقكم. ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لام قسم - ﴿**سَأَلتَهُم**﴾ عن استهزائهم بك والقرآنِ، وهم سائرون معك إلى تَبُوكَ، ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾ مُعتذرين: ﴿**إنَّما كُنّا نَخُوضُ ونَلعَبُ**﴾ في الحديث لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أَبِاللهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِئُونَ؟**﴾ ٦٥ ﴿**لا تَعتَذِرُوا**﴾ منه. ﴿**قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم**﴾ أي: ظهر كُفركم بعد إظهار الإيمان. ﴿**إن يُعفَ**﴾ - بالياءِ مبنيًّا للمفعول، والنون مبنيًّا للفاعل - ﴿**عَن طائِفةٍ مِنكُم**﴾ بإخلاصها وتوبتها كمَخْشِيِّ بنِ حُمَيِّرٍ ﴿**تُعَذَّبْ**﴾ - بالتاء والنون - ﴿**طائِفةٌ بِأَنَّهُم كانُوا مُجرِمِينَ**﴾ ٦٦: مُصرّين على النفاق والاستهزاء.

٣- ﴿**المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ بَعضُهُم مِن بَعضٍ**﴾ أي: مُتشابهون في الدِّين كأبعاض الشيء الواحد، ﴿**يأمُرُونَ بِالمُنكَرِ**﴾: الكُفرِ والمعاصي، ﴿**ويَنهَونَ عَنِ المَعرُوفِ**﴾: الإيمانِ والطاعة، ﴿**ويَقبِضُونَ أيدِيَهُم**﴾ عن الإنفاق في الطاعة، ﴿**نَسُوا اللهَ**﴾: تركوا طاعته، ﴿**فَنَسِيَهُم**﴾: تركهم من

---

(١) يحلفون: يُقسمون. ويرضوكم أي: لترضوا عنهم وتحموهم من الانتقام. وأحق أن يرضوه أي: إرضاؤه أولى من إرضائكم. والمؤمن: الصادق الاعتقاد يقينًا بقلبه ولسانه وعمله. ويعني بتوحيد الضمير قولَ الله تعالى «يرضوه». ولو جاء على التثنية لقيل: يرضوهما. والرضاء هو الإرضاء. ويعلم: يدرك ويعي. والشأن أي: ضمير الشأن، يعني الأمر الثابت لاشك فيه. وإنما يكون ضمير الشأن فيما أريد تعظيمه وتهويله. والمراد بالمحادّة إصرار المنافقين على العصيان والإيذاء. ونار جهنم أي: التعذيب فيها. وخالدًا: مقيمًا فيها أبدًا. وذلك أي: التعذيب بنار جهنم. والخزي: الذلة والهوان. يعني: الهلاك البالغ حد الكمال. والعظيم: الضخم لا مثيل له.

(٢) كان المنافقون يسخرون من الإسلام والمسلمين، فيما بينهم، ويتمنون ألّا يفشي الله ذلك، فيقول أحدهم: لوَدِدتُ أن نُجلد مائة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا. فنزلت الآية. الواحدي ص ٢٤٩. وتُنزل: توحَى. والسورة: الآيات تكوّن واحدة من سور القرآن. وتنبئهم: تخبر المسلمين. والقلوب: جمع قلب. وهو الضمير. واستهزئوا: اسخروا ما شئتم. وتحذرون: تخافون. وفي المسير إلى غزوة تبوك، كان بعض المنافقين مع جيش المسلمين يقولون: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات له ذلك ! وإنه يزعم أنه أُنزل في أصحابنا قرآن، وإنما هو قوله وكلامه. ولما أطلع الله نبيه على مقالهم، وعاتبهم النبي ﷺ، قالوا: إنما كنا نخوض ونعبث بالحديث، ليقصر علينا الطريق. فنزلت الآيتان ٦٥ و٦٦. انظر «المفصل». وسألتهم: طلبت منهم الجواب. ونخوض: نتداول الكلام عبثًا. ومنه أي: من الاستهزاء. ويعفى: يصفح. وبالفاعل يريد القراءة «إن نَعْفُ». والفاعل ضمير العظمة. ومخشيّ كان منافقًا مع الذين اعتذروا، ثم تاب توبة نصوحًا، ودعا الله أن يُستشهد، فسماه النبي ﷺ عبد الله ، واستُشهد باليمامة في حروب الرِّدّة. وتعذَّب أي: يُنتقم منها في الدنيا والآخرة. وبالنون يريد القراءة «نُعَذِّبْ». وهي تقتضي نصب «طائفةً»، وتكون مع قراءة: «نَعفُ» أيضًا. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وقصد.

(٣) المنافق: من يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعصيان. والبعض: الفرد أو الأكثر من الجماعة. والدين: الاعتقاد. وهو هنا النفاق. ويأمر به أي: يوجبه. والمنكر: ما أنكره الشرع وحرّمه. وينهى: يمنع. والمعروف: ماحسُن في الشرع والعقل السليم. ويأمرون وينهون أي: بعضُهم بعضًا. ويقبضون أيديهم: يمتنعون بإمساك المال وحجبه شُحًّا. والأيدي: جمع يد. وقد فُسِّر نسيانهم هنا بلازمه - وهو الترك - لأن النسيان لايُذَم عليه صاحبه. وترَكَهم: أهملهم وأبعدهم. وفي «نَسِيَهم» مشاكلة لفظية، ليكون الجزاء من جنس الجريمة، إذ لايجوز وصف الله بالنسيان الحقيقي. فتح القدير ٢:٥٣١-٥٣٢. والفاسق: الخارج عن الطاعة والمنسلخ من كل خير. وأل: جنسية للمبالغة والكمال، أي: الكامل في الفسق، حتى كأنه الفسقُ نفسه. ووعد: هدد وأنذر. والكفار: جمع كافر. وهو من كذّب الله ورسوله، وجحد التوحيد والبعث. وجهنم: اسم علم للنار التي أعدت للعذاب يوم القيامة. والخالد: المقيم إلى الأبد. وحسبهم: كافيتهم، أي: هي العقوبة الكافية لهم، ولاشيء أبلغ منها، فلاحاجة إلى الزيادة عليها. والعذاب: التعذيب انتقامًا وإهانة. ودائم أي: في الدنيا بخوف العقاب والقتل، وفي الآخرة بما يزيد على النار من أصناف التعذيب.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

لُطفه. ﴿**إنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ٦٧، ﴿**وعَدَ اللهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ فِيها، هِيَ حَسْبُهُم**﴾ جزاءً وعقابًا، ﴿**ولَعَنَهُمُ اللهُ**﴾: أبعدهم عن رحمته، ﴿**ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾ ٦٨: دائم.

١- أنتم - أيها المُنافقون - ﴿**كالَّذِينَ مِن قَبلِكُم، كانُوا أشَدَّ مِنكُم قُوَّةً وأكثَرَ أموالًا وأولادًا، فاستَمتَعُوا**﴾: تمتّعوا ﴿**بِخَلاقِهِم**﴾: نصيبهم من الدنيا، ﴿**فاستَمتَعتُم**﴾ - أيها المُنافقون - ﴿**بِخَلاقِكُم كما استَمتَعَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم بِخَلاقِهِم، وخُضتُم**﴾ في الباطل والطعن في النبيّ ﴿**كالَّذِي خاضُوا**﴾ أي: كخَوضهم. ﴿**أُولٰئِكَ حَبِطَت أعمالُهُم في الدُّنيا والآخِرةِ، وأُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ٦٩.

٢- ﴿**ألَم يأتِهِم نَبَأُ**﴾: خبرُ ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، قَومِ نُوحٍ وعادٍ**﴾: قوم هود ﴿**وثَمُودَ**﴾: قومِ صالح، ﴿**وقَومِ إبراهِيمَ، وأصحابِ مَديَنَ**﴾: قوم شُعيب، ﴿**والمُؤتَفِكاتِ**﴾: قُرى قومِ لُوط أي: أهلِها؟ ﴿**أتَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات فكذبُوهم فأُهلكوا. ﴿**فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم**﴾ بأن يُعذّبهم بغير ذنب، ﴿**ولٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ٧٠ بارتكاب الذنب.

٣- ﴿**والمُؤمِنُونَ والمُؤمِناتُ بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ، يأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، ويُطِيعُونَ اللهَ ورَسُولَهُ، أُولٰئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللهُ. إنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٧١: لا يضع شيئًا إلّا في محلّه.

٤- ﴿**وعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ. ﴿**ورِضوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ**﴾: أعظم من ذلك كُلّه. ﴿**ذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ ٧٢.

---

(١) كالذين أي: كالمنافقين والكافرين. يعني: مثل الذين مضَوا من قبلكم، فيما ذكر من الآيتين ٦٧ و٦٨. وأشد: أعظم وأضخم. والقوة: التمكن والقدرة في الأبدان والعزائم. وأكثر أي: أوفر قدرًا وعددًا. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والعقار والحيوان والسلاح والتجارات والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. ويطلق على الابن والحفيد. والخلاق: ما قُدّر وخلق لصاحبه من الرزق. وخضتم: دخلتم واستمررتم. وفيما عدا الأصل وخ وع: «النبي ﷺ». وأولئك أي: الفريقان المشبَّهون والمشبَّه بهم. وحبطت: ضاعت وبطَلت. والأعمال: جمع عمل. والمراد ما اكتسبوه وكانوا يستحقون عليه الثواب، لو أنه قارن الإيمان. والدنيا: الحياة القريبة من الناس لأنهم يعيشون فيها. والآخرة: الحياة المتأخرة بالبعث بعد الموت. والخاسر: من ضيع خير الدنيا وثواب الآخرة.

(٢) ألم يأتهم أي: قد جاءهم حقًا، وصار معلومًا لديهم. وفي الأصل: «ألم يأتكم». ونبؤهم أي: خبرما فعلوا من الكفر والتكذيب والعصيان، وما نزل بهم من الهلاك. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. وعاد: أقدم الأمم التي عرفت في التاريخ آثارها حتى الآن، وهي من العرب العاربة، جدها عاد حفيد لسام ابن نوح، وكانت تقيم بين عُمان وحضرموت. وثمود: قبيلة عربية قديمة بعد عاد موطنها بين الحجاز والشام، وآثارها باقية أيضًا. والأصحاب: جمع صاحب. ومدين: بلدة على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك. وأصحابها أي: أهلها الذين كانوافيها قبل إهلاكهم. وشعيب: نبي عربي من سلالة مدين بن إبراهيم كان في عهد موسى وزوّجه ابنته. والمؤتفكة: المنقلبة، أي: القرى التي قلبت عاليها سافلها بمن فيها من الكافرين. ولوط: ابن هاران أخي إبراهيم. وأتتهم: جاءتهم وأحضرت لهم. والرسل: جمع رسول، الذين أرسلهم الله إليهم بالتوحيد. وهو في الجمع مضموم السين، سكنت للتخفيف. ويظلمهم أي: يجور عليهم ولايعطيهم ما يستحقون. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظلمونها: يعتدون عليها ويسببون لها العذاب والهلاك.

(٣) في الآيتين ٧١ و٧٢ أوصاف للمؤمنين، تقابل ما وصف به المنافقون في الآية ٦٧. والمؤمن هو الذي صدّق الله ورسوله قلبًا ولسانًا وعملًا. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق المحب والنصير. والمعروف: ما أمر به الشرع. والمنكر: ما نهى عنه الشرع. ويقيمون الصلاة أي: يؤدون الصلوات بشروطها وأركانها وآدابها راضين راغبين. ويؤتون الزكاة: يؤدون مافُرض من الزكاة إلى مستحقيه، ليطهروا أموالهم وأنفسهم. ويطيعونه أي: يلزمون العمل بما أمر ونهى. ويرحمهم: يعطف عليهم بالإحسان في الدنيا والآخرة. والعزيز: الغالب على أمره.

(٤) وعدهم: منّاهم وهيّأ لهم. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها أي: من تحت أشجارها ومنازلها. والأنهار: من الماء والعسل والخمر واللبن، جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. والمساكن: المنازل والقصور، جمع مسكن. والطيبة: التي تستلذها النفوس وتطيب فيها الحياة. والإقامة: الاستقرار والطمأنينة. والرضوان: الرضا الكثير والقبول للعمل والنيات. ومن الله أي: من عنده. وذلك أي: جميع ما ذكر من النعم. والفوز: الظفر والنجاة. والعظيم: الضخم لامثيل له.

الجزء العاشر | سورة التوبة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

١- ﴿**يا أيُّها النَبيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ**﴾ بالسيف، ﴿**والمُنافِقِينَ**﴾ باللسان والحُجّة، ﴿**واغلُظْ عليهِم**﴾ بالانتهار والمقت. ﴿**ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٧٣: المرجعُ هي! ﴿**يَحلِفُونَ**﴾ أي: المنافقون ﴿**باللهِ، ما قالُوا**﴾ ما بلغك عنهم من السبّ، ﴿**ولَقَد قالُوا كَلِمةَ الكُفرِ، وكَفَرُوا بَعدَ إسلامِهِم**﴾: أظهروا الكُفر بعد إظهار الإسلام، ﴿**وهَمُّوا بِما لَم يَنالُوا**﴾ من الفتك بالنبيّ ليلة العَقَبة عند عَودِه من تبوك - وهم بضعةَ عشرَ رجلًا - فضرب عمّار بن ياسر وُجوه الرواحل لمّا غشُوه فرَدّوا. ﴿**وما نَقَمُوا**﴾: أنكروا ﴿**إلّا أن أغناهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ مِن فَضلِهِ**﴾ بالغنائم، بعد شِدّة حاجتهم. المعنى: لم ينلهم منه إلّا هذا، وليس ممّا يُنقَم. ﴿**فإن يَتُوبُوا**﴾ عن النفاق ويُؤمنوا ﴿**يَكُ خَيرًا لَهُم، وإن يَتَوَلَّوا**﴾ عن الإيمان ﴿**يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذابًا أَلِيمًا في الدُّنيا**﴾ بالقتل ﴿**والآخِرةِ**﴾ بالنار، ﴿**وما لَهُم في الأرضِ مِن وَلِيٍّ**﴾: يحفظهم منه، ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾ ٧٤: يمنعهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

٢- ﴿**ومِنهُم مَن عاهَدَ اللهَ، لَئِنْ آتانا مِن فَضلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ**﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد - ﴿**ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٧٥ - وهو ثعلبة بن حاطب، سأل النبيَّ ﷺ أن يدعوَ له أن يرزقَه اللهُ مالًا، ويؤدّيْ منه كُلّ ذي حقّ حقّه - فدعا له فوُسّعَ عليه، فانقطعَ عن الجُمعة والجماعة ومَنعَ الزكاةَ، كما قال تعالى: ﴿**فلَمّا آتاهُم مِن فَضلِهِ بَخِلُوا بِهِ، وتَوَلَّوا**﴾ عن طاعة الله، ﴿**وهُم مُعرِضُونَ ٧٦، فأعقَبَهُم**﴾ أي: فصيَّر عاقبتهم ﴿**نِفاقًا**﴾ ثابتًا ﴿**في قُلُوبِهِم، إلَى يَومِ يَلقَونَهُ**﴾ أي: اللهَ - وهو يوم القيامة - ﴿**بِما أخلَفُوا اللهَ ما وَعدُوهُ، وبِما كانُوا يَكذِبُونَ**﴾ ٧٧ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبيّ ﷺ بزكاته، فقال: «إنّ اللهَ مَنَعَني أن أقبَلَ مِنكَ». فجعل يحثو التراب على رأسه. ثمّ جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثمّ إلى عُمر فلم يقبلها، ثمّ إلى عُثمان فلم يقبلها. ومات في زمانه. ﴿**ألَم يَعلَمُوا**﴾ أي: المنافقون ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ سِرَّهُم**﴾: ما أسرّوه في أنفُسهم، ﴿**ونَجْواهُم**﴾: ما تناجَوا به بينهم، ﴿**وأنَّ اللهَ عَلّامُ الغُيُوبِ**﴾ ٧٨: **ما** غاب عن العِيان؟

٣- ولمّا نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرائي. وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إنَّ الله لغنيّ عن صدقةِ هذا. فنزل: ﴿**الَّذِينَ**﴾: مبتدأ ﴿**يَلمِزُونَ**﴾: يَعيبون ﴿**المُطَّوِّعِينَ**﴾: المُتنفّلين ﴿**مِنَ المُؤمِنِينَ في الصَّدَقاتِ، والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلّا جُهدَهُم**﴾: طاقتهم فيأتون به، ﴿**فَيَسخَرُونَ مِنهُم**﴾، والخبرُ: ﴿**سَخِرَ اللهُ مِنهُم**﴾: جازاهم على سخريتهم، ﴿**ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ ٧٩.

---

(١) جاهدهم أي: قاومهم وخاصمهم. والكفار: جمع كافر. وبالسيف أي: وكل سلاح قاتل. والمنافق: الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر. واغلظ: كن شديدًا ما أمكن. والانتهار: الإهانة. والمقت: البغض الشديد. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. وفي هذا تهكم وسخرية. وجهنم: اسم علم للنار التي أعدت للكافرين والمنافقين. وبئس: بلغ النهاية في السوء والشر والفساد. و«هي» ضمير يعود على «جهنم»، مذمومة مرتين: في ذكر جنسها «المصير»، وفي اختصاصها هنا. ويحلفون: يُقسمون. وكان بعض المنافقين في الطريق إلى تبوك يشتمون النبي ﷺ ويريدون الغدر به، ولما عاتبهم في ذلك أقسموا أنهم بريئون مما يقول. انظر «المفصل». وكلمة الكفر: الشتم للنبي ﷺ والطعن في الدين. وهموا: عزموا وحاولوا. وينالوا أي: يدركوه ويحققوه. والعقبة: جبل بين تبوك والمدينة. والرواحل: جمع راحلة. وهي الإبل تركب في السفر. و«ردوا» أي: رجعوا مدبرين منحطين إلى بطن الوادي. وفضله أي: إحسان الله عليهم بالنعم. ويتوب: يندم على ما فعل ويعزم على تركه ويطلب المغفرة. وخيرًا أي: أنفع. ويتولوا: يُصرّوا على ذلك. ويعذبهم: ينتقم منهم. والأليم: المؤلم. والولي: الصديق يتولى أمورهم. والنصير: المعين على البلاء. **(٢)** منهم أي: من المصرّين على النفاق. وعاهد: أقر بعهد مؤكد بالقسم. وآتانا: أعطانا. والفضل: الإحسان بالنعم. ونصدق: نؤدي الصدقات. ونكون: نصير. ويؤدي: يعطي. والصواب: يؤتي. والخبر بذكر ثعلبة ضعيف جدًا، وفي إسناده من هو متروك. وثعلبة أنصاري شهد بدرًا واستُشهد في أحد. فذكرُه في النفاق باطل. وإن قصد حاطب بن أبي بلتعة فهو غير صحيح أيضًا. إذ التائب الصادق في توبته في الدنيا لا تُرفض عبادته شرعًا، وتجب معاملته بظاهر فعله. انظر «المفصل». والصواب أن الآيات نزلت في جماعة من المنافقين ، ومنهم مَن أبى دفع ما يجب عليه. فتح القدير ٢:٢٤٢ والدر المنثور ٣:٢٦١. وآتاهم: أعطاهم. وبخل: أمسك وضنّ. وبه أي: بحق الله من زكاة وبذل للجهاد. وتولوا: امتنعوا. والمعرض: المنصرف. والقلوب: جمع قلب. واليوم: الوقت. ويلقونه أي: يبعثون ليلقوا الحساب والعقاب. إذ ليس للمنافق أوالكافر أن يرى الله، تعالى. فقول السيوطي «الله» فيه مسامحة ولا يُحمل على ظاهره. وأخلفوا: نقضوا. وبعد ذلك أي: بعد نزول الآيات هذه. ويعلموا: يدركوا. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وتناجوا: تحدثوا خفية. والعلام: مبالغة اسم الفاعل من العلم. والغيوب: جمع غيب. **(٣)** آيةُ الصدقة هي الآية ٦٠ أو ١٠٣، ومضمونها فرض الزكاة. وعدم حذف الياء من «مرائي» جائز. انظر «المفصل». والصاع: مكيال للحبوب. والمطوع: من يعطي عن تطوع. والمتنفل: من يتصدق بالزيادة على الفرض والواجب. والصدقات: صدقات التنفل والتطوع. ولايجد: لا يملك ولا يحصّل. والجهد: الشيء اليسير. ويسخر: يهزأ. وسخر منهم أي: هزئ بهم فأهانهم وأذلهم. والتعبير بهذا هو من باب المشاكلة اللفظية. فتح القدير ٢:٥٤٠. والعذاب: التعذيب.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

١- ﴿**استَغفِرْ**﴾ - يا مُحمّد -﴿**لَهُم أو لا تَستَغفِرْ لَهُم**﴾: تخيير له في الاستغفار وتركه. قال ﷺ: «إنّي خُيِّرتُ فاختَرتُ». يعني الاستغفارَ. رواه البخاريّ. ﴿**إن تَستَغفِرْ لَهُم سَبعِينَ مَرّةً فلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم**﴾. قيل: المُراد بالسبعين المُبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاريّ حديثُ «لَو أعلَمُ أنّي لَو زِدتُ علَى السَّبعِينَ غُفِرَ لَزِدتُ علَيها». وقيل: المُراد العدد المخصوص لحديثه أيضًا: «وسأزِيدُ علَى السَّبعِينَ». فبُيِّنَ له حسمُ المغفرة بآيةِ «سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم». ﴿**ذلِكَ بِأنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ. واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾ ٨٠.

٢- ﴿**فَرِحَ المُخَلَّفُونَ**﴾ عن تبوكَ ﴿**بِمَقعَدِهِم**﴾: بقُعودهم ﴿**خِلافَ**﴾ أي: بعد ﴿**رَسُولِ اللهِ، وكَرِهُوا أن يُجاهِدُوا بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ، وقالُوا**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**لا تَنفِرُوا**﴾: تخرجوا إلى الجِهاد ﴿**في الحَرِّ. قُلْ: نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا**﴾ من تبوكَ. فالأَولى أن يتّقوها بترك التخلّف - ﴿**لَو كَانُوا يَفقَهُونَ**﴾ ٨١: يعلمون ذلك ما تخلّفوا - ﴿**فلْيَضحَكُوا قَلِيلًا**﴾ في الدنيا، ﴿**ولْيَبكُوا**﴾ في الآخرة ﴿**كَثِيرًا، جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ٨٢. خبرٌ عن حالهم بصيغة الأمر.

٣- ﴿**فإن رَجَعَكَ**﴾: ردّك ﴿**اللهُ**﴾ من تبوكَ ﴿**إلَى طائفةٍ مِنهُم**﴾: ممّن تخلّف بالمدينة من المُنافقين، ﴿**فاستأذَنُوكَ لِلخُرُوجِ**﴾ معك إلى غزوة أُخرى، ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أبَدًا، ولَن تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا. إنَّكُم رَضِيتُم بِالقُعُودِ أوَّلَ مَرّةٍ. فاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ**﴾ ٨٣: المُتخلّفين عن الغزو، من النِّساء والصِّبيان وغيرهم.

٤- ولمّا صلّى النبيّ ﷺ على ابن أُبيٍّ نزل: ﴿**ولا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنهُم ماتَ أبَدًا، ولا تَقُمْ علَى قَبرِهِ**﴾ لدفن أو زيارة - ﴿**إنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وماتُوا وهُم فاسِقُونَ**﴾ ٨٤: كافرون - ﴿**ولا تُعجِبْكَ أمْوالُهُم وأولادُهُم. إنَّما يُرِيدُ اللهُ أن يُعَذِّبَهُم بِها في الدُّنيا، وتَزهَقَ**﴾: تخرج ﴿**أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ**﴾ ٨٥. ﴿**وإذا أُنزِلَت سُورةٌ**﴾ أي: طائفة من القُرآن: ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**آمِنُوا بِاللهِ، وجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، استأذَنَكَ أُولُو الطَّولِ**﴾: ذَوُو الغِنى ﴿**مِنهُم، وقالُوا: ذَرْنا نَكُنْ مَعَ القاعِدِينَ**﴾ ٨٦. ﴿**رَضُوا بِأن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ**﴾: جمع خالفة، أي: النساءِ اللّاتي تَخَلَّفْنَ في البُيوت، ﴿**وطُبِعَ علَى قُلُوبِهِم، فهُم لا يَفقَهُونَ**﴾ ٨٧ الخيرَ.

---

(١) روي أنه لما نزلت الآية ٧٩ طلب بعض المنافقين الاستغفار لهم، فاستجاب النبي ﷺ لهم، فنزلت الآية تبين الحكم في ذلك. البحر ٥:٧٦. وتخيير يعني: إن شئتَ استغفرت لهم، وإن شئتَ لم تستغفر. والبخاري يعني الحديثين ٤٣٩٣ و٤٣٩٤ في البخاري. وحسم المغفرة في الآية ٦ من سورة المنافقون. وذلك أي: اليأس من الغفران لهم. وكفروا: كذّبوا في قلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. ولايهديهم: يوجّه قدراتهم إلى ما يناسب اختيارهم الفاسد واستعدادهم السيئ. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسق: المتمرد في كفره بالخروج عن الإيمان. والمعنى: أن امتناع المغفرة لهم هو بسبب كفرهم.

(٢) كان المعتذرون المخلفون حوالي التسعين. انظر «المفصل». والمخلفون: الذين خلّفهم عن الجهاد كسلهم أو نفاقهم. وعن تبوك أي: عن المسير إلى غزوة تبوك. وكرهوا: أبت نفوسهم. ويجاهد: يبذل ما يستطيع. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. والحر: شدة الحرارة في الصيف. وأشد: أقوى وأفظع. ومن تبوك أي: مما في تبوك حينذاك. وضحك: انفرجت شفتاه وبدت أسنانه من السرور. والجزاء: المكافأة والعقاب. ويكسبون أي: يربحونه ويقصدونه من نفاق وفسق في النية والقول والعمل. وبصيغة الأمر أي أن المعنى: سيضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا. وإنما كان بصيغة الأمر للدلالة على تحتم وقوعه، لأن الأمر المطاع لايكاد يتخلف عنه المطيع.

(٣) الطائفة: الجماعة. واستأذن: طلب السماح. والخروج: الذهاب. ولن تخرجوا معي أي: لن تصحبوني في سفر أو جهاد. والأبد أي: مدة حياتكم ما دمتم على النفاق. والعدو: المعادي في خصام أو حرب. ورضيتم: قبلتم وسررتم. والقعود أي: تخلفكم عن الجهاد. وأول مرة أي: وقت الخروج إلى غزوة تبوك. واقعدوا: أقيموا في دياركم.

(٤) ولما توفي عبد الله بن أُبيّ طلب ابنه من النبي ﷺ قميصه يكفنه به، وأن يصلي عليه ويستغفر له، فحاول عمر منع ذلك دون جدوى. وأبيّ هو أبوه، وسلول هي جدته. ولاتصل أي: صلاة الميت. وأبدًا أي: مدة حياتك. ولاتقم أي: لاتقف. وكفروا به أي: كذّبوه وجحدوا ما كلفهم به. والفاسق: من خرج عن أمر الله وتمرد عليه بقصد وإرادة واختيار. وانظر الآية ٥٥. وفي التكرار لما في تلك الآية توكيد للمضمون، وتثبيت في النفوس، لئلا يشغل المخاطب عنه، مع خلاف يسير في العبارة للدلالة على أن الفائدة واحدة، وإن اختلف التعبير. وأنزلت: أوحيت إلى النبي ﷺ. والطائفة: القطعة. وآمِنوا أي: أخلصوا في الإيمان اعتقادًا وقولًا وعملًا. وجاهدوا: ابذلوا ما تستطيعون من المال والنفس والجهد. وأولو: أصحاب. وذرنا: دعنا واتركنا. ونكون: نصير. والقاعدون: المقيمون المتخلفون عن الجهاد. ورضوا: قَبِلوا وسُرّوا واطمأنوا. ويكونوا: يصيروا. وفي هذا تهجين لهم ومبالغة في الذم. وطبع عليها: أغلقتْ وختمت وسدت منافذها ومنعت من قبول الإيمان، لِما اختاروه وأصروا عليه من الكفر والعصيان. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. ولايفقهون: لا يفهمون ولا يدركون. والخير أي: في الإيمان والجهاد، والشر في الكفر والعصيان.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

١ - ﴿**لكِنِ الرَّسُولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بأمْوالِهِم وأنفسِهِم، وأُولئِكَ لَهُمُ الخَيراتُ**﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿**وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٨٨ أي: الفائزون، ﴿**أعَدَّ اللهُ لَهُم جَنّاتٍ، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدينَ فِيها. ذٰلِكَ الفوزُ العَظِيمُ**﴾ ٨٩.

٢ - ﴿**وجاءَ المُعَذِّرُونَ**﴾ - بإدغام التاء في الذال في الأصل أي: المُعتذِرون بمعنى المعذورين. وقُرِئ به - ﴿**مِنَ الأعرابِ**﴾ إلى النبيّ، ﴿**لِيُؤذَنَ لَهُم**﴾ في القُعود لعُذرهم فأذِن لهم، ﴿**وقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ ورَسُولَهُ**﴾، في ادّعاء الإيمان من مُنافقي الأعراب، عن المجيء للاعتذار. ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عذابٌ أليمٌ**﴾ ٩٠.

٣ - ﴿**لَيسَ على الضُّعَفاءِ**﴾ كالشيوخ، ﴿**ولا على المَرضَى**﴾ كالعُمْي والزَّمْنَى، ﴿**ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ**﴾ في الجهاد، ﴿**حَرَجٌ**﴾: إثم في التخلّف عنه، ﴿**إذا نَصَحُوا للهِ ورَسُولِهِ**﴾ في حال قُعودهم، بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة - ﴿**ما على المُحسِنِينَ**﴾ بذلك ﴿**مِن سَبِيلٍ**﴾: طريقٍ بالمُؤاخذة، ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ لهم، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٩١ بهم بالتوسعة في ذلك - ﴿**ولا على الَّذِينَ إذا ما أتَوكَ لِتَحمِلَهُم**﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مُقَرّن، ﴿**قُلتَ: لا أجِدُ ما أحمِلُكُم عليهِ**﴾: حالٌ، ﴿**تَوَلَّوا**﴾: جوابُ «إذا» أي: انصرفوا، ﴿**وأعيُنُهُم تَفِيضُ**﴾: تسيل ﴿**مِنَ**﴾: للبيان ﴿**الدَّمعِ حَزَنًا**﴾، لأجل ﴿**ألّا يَجِدُوا ما يُنفِقُونَ**﴾ ٩٢ في الجِهاد.

٤ - ﴿**إنَّما السَّبِيلُ على الَّذِينَ يَستأذِنُونَكَ**﴾ في التخلُّف، ﴿**وهُم أغنِياءُ. رَضُوا بِأن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ، وطَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِم، فهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ٩٣. تقدّم مِثلُه. ﴿**يَعتَذِرُونَ إلَيكُم**﴾ في التخلّف، ﴿**إذا رَجَعتُم إلَيهِم**﴾ من الغزو. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا تَعتَذِرُوا. لَن نُؤمِنَ لَكُم**﴾:

---

(١) لكن: حرف عطف واستدراك لتوكيد ما قبله وتحقيق ما بعده، وقد وقع بين متنافيين: صفات المنافقين وصفات المؤمنين. والرسول: المرسل بالتوحيد والشريعة مع العمل. وآمنوا أي: بالله، صدّقوا قلبًا ولسانًا وعملًا. وجاهدوا: بذلوا جهدهم وأقصى ما يستطيعون. والأموال والأنفس: انظر الآية ٨١. والخيرات: جمع خيرة. وهي الفاضلة لغيرها بالنفع الدائم. وسقط «أي الفائزون» من الأصل والنسخ. وأعدّ: خلق وهيأ. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر، من الماء أو العسل أو اللبن أو الخمر. وخالدين: مقيمين أبدًا. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى ما أعده الله لهم. والفوز: الظفر بالخير والنجاة من الشر. والعظيم: الضخم جدًا لامثيل له.

(٢) جاء: أتى إلى مجلسك. والإدغام يعني أن الأصل «المُعْتَذِرُونَ» نقلت حركة التاء إلى الساكن قبلها، وأبدلت ذالًا وأدغمت في الذال الثانية. وقرئ به يريد «المُعْتَذِرُونَ». وهم أصحاب العذر الشرعي. والأعراب: سكان البادية من العرب واحدهم أعرابي. وهم بنو أسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل، كانوا في شِدّة، يهددهم أعداؤهم بالغزو. ويؤذن: يباح ويسمح. وقعد: أقام في دياره. وكذبوه: ادعوا له ما يخالف قلوبهم ونياتهم. ويصيبه: ينزل به ويناله. وكفروا: كذّبوا التوحيد والنبوة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام.

(٣) قال زيد بن ثابت: كنت أكتب للرسول ﷺ براءة. فإني لَواضع القلم على أذني، إذ أُمرنا بالقتال، فجعل الرسول ينظر ما ينزل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي - يارسول الله - وأنا أعمى؟ فنزلت الآية. الدر المنثور ٣:٢٦٧ ولباب النقول. والضعفاء: جمع ضعيف. وكالشيوخ أي: والنساء والأطفال ومن خُلق هزيلًا شديد النحافة والضؤولة. والمرضى: جمع مريض. والعمي: جمع أعمى. والزمنى: جمع زَمِن. وهو المصاب بمرض شديد دائم. ولايجدون: لايملكون ولا يحصّلون. وهم بنو جُهينة ومُزينة وعُذرة، كانوا فقراء محاويج. وينفق: يبذل ويصرف. ونصحوا: يعني أن يتركوا الفتن وتكون نياتهم وأقوالهم لخير المؤمنين، وداعية لهم بالنصر. والإرجاف: إثارة الفتن. والتثبيط: التكسيل لمن أراد الجهاد. والمحسن: الذي أخلص نيته وقوله وعمله. والغفور والرحيم: من المغفرة والرحمة، أي: ستر الذنوب والعفو عنها، والعطف بالإحسان. وفيما عدا لأصل وخ: «في التوسعة». وتفيض: تمتلئ وتسيل. والأعين: جمع عين. و«للبيان» كذا. انظر «المفصل». والدمع: واحدته دمعة. والحزن: الغم والألم. وقد سمي هؤلاء المذكورون «البكّائين»، فحمل العباس اثنين منهم للجهاد، وعثمان ثلاثة، وآخرون الباقين.

(٤) السبيل: الطريق للمؤاخذة والمعاقبة. ويستأذن: يطلب الإباحة والسماح. والأغنياء: جمع غني. وهو من يملك ما يستغني به عن طلبه مساعدةَ الآخرين، فهو قادر على الجهاد. يعني أنهم واجدون لأهبة الغزو، مع سلامتهم من الضعف والمرض. ولايعلم: لايدري ولايعرف ما ينفعه مما يضره. ومثله: يعني ما في الآية ٨٧. ويعتذر: يحتج للتملص من ذنب التخلف. و«إليكم» يعني: أيها المؤمنون. ورجعتم: عدتم. والأخبار: جمع خبر. وسيراه الله أي: سيعلمه علم واقع، بظهوره للناس، فيكون عليه جزاء. والعمل: ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. وتُردّون: تُرجعون. وإليه أي: إلى ميعاد لقائه وحسابه. والعالِم: المحيط كاملَ الإحاطة. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والشهادة: ما يشهده الخلق ويعلمونه. وينبئ: يخبر. وتعمل: تكتسب.

الجزء الحادي عشر سورة التوبة

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

نُصدّقكم. ﴿قد نَبَّأنا اللهُ مِن أخبارِكُم﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم، ﴿وسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُه، ثُمّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: اللهِ، ﴿فيُنَبِّئُكم بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ ٩٤، فيُجازيكم عليه.

١- ﴿سَيَحلِفُونَ باللهِ لكُم، إذا انقلَبتُم﴾: رجعتم ﴿إليهِم﴾ من تبوكَ، إنهم معذورون في التخلّف، ﴿لِتُعرِضُوا عنهُم﴾ بترك المُعاتبة - ﴿فأعرِضُوا عنهُم. إنَّهُم رِجسٌ﴾: قذر لخُبث باطنهم، ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ ٩٥ - ﴿يَحلِفُونَ لَكُم، لِتَرضَوا عَنهُم. فإن تَرضَوا عَنهُم فإنَّ اللهَ لا يَرضَى عَنِ القَومِ الفاسِقِينَ﴾ ٩٦ أي: عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سُخط الله.

٢- ﴿الأعرابُ﴾: أهل البدو ﴿أشَدُّ كُفرًا ونِفاقًا﴾ من أهل المُدن، لجفائهم وغِلَظ طِباعهم وبُعدهم عن سماع القرآن، ﴿وأجدَرُ﴾: أولى ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا يَعلَمُوا حُدُودَ ما أنزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ﴾، من الأحكام والشرائع - ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ ٩٧ في صُنعه بهم - ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغرَمًا﴾: غرامة وخُسرانًا، لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفًا، وهم بنو أسدٍ وغطفانَ، ﴿ويَتَرَبَّصُ﴾: ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوائرَ﴾: دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلّص - ﴿عَلَيهِم دائرةُ السُّوءِ﴾، بالضمّ والفتح، أي: يدور العذاب والهلاك لا عليكم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عِباده، ﴿عَلِيمٌ﴾ ٩٨ بأفعالهم - ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾، كجُهينةَ ومُزينةَ، ﴿ويَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيله ﴿قُرُباتٍ﴾ تُقرّبه ﴿عِندَ اللهِ، و﴾وسيلةً إلى ﴿صَلَواتِ﴾: دعواتِ ﴿الرَّسُولِ﴾ له. ﴿ألا إنَّها﴾ أي: نفقتهم ﴿قُرْبةٌ﴾ - بضمّ الراء وسُكونها - ﴿لَهُم﴾ عِنده. ﴿سَيُدخِلُهُمُ اللهُ في رَحمَتِهِ﴾: جنّته. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته، ﴿رَحِيمٌ﴾ ٩٩ بهم.

---

(١) يحلفون: يقسمون. وفيما عدا الأصل والنسختين وط: «أنهم معذورون». وتعرضوا أي: تنصرفوا وتمتنعوا. والمعاتبة مراد بها: التوبيخ والتقريع. وقيل: إن هذا من أول ما نزل في المنافقين. فقد استأذنوا لعدم الذهاب إلى تبوك، وأذن النبي ﷺ لهم، فخرجوا يسخرون به ويقول بعضهم لبعض: «ماهو إلّا شحمة لأوّل آكِل». وقد أمر النبي الصحابة حين رجع إلى المدينة ألّا يجالسوهم ولا يكلموهم، فنزلت الآية. تفاسير البغوي ٢:٣٢٠ والخازن ٣:١٣٧ والبحر ٥:٨٩. وأعرضوا عنهم: تجنبوهم واحذروهم، واتركوا كلامهم وسلامهم. والمأوى: ما يُلجأ إليه ويحتمى فيه. وفي ذكره هنا تهكم وسخرية من المنافقين. وجهنم: اسم علم للنار التي أعدت للكافرين. والجزاء: المكافأة والعقاب. ويكسب: يقترف بإرادته واختياره، من النفاق والعصيان والكذب. وروي أن عبد الله بن أُبيّ حلف بالله الذي لاإله إلّا هو لايتخلف بعدُ أبدًا، وأن ابن أبي سرح حلف لنكونن مع الرسول ﷺ على عدوه، وطلب الرضا والدعاء، فنزلت الآية. تفاسير البغوي ٢:٣٢٠ والبحر ٥:٨٩-٩٠ وأبي السعود ٤:٩٥. وانظر الآية ٦٢. وترضوا عنهم أي: تقبلوا عذرهم وتحسنوا إليهم. ولايرضى عنهم: لا يقبل ما اعتذروا به ولاقسمهم عليه. والقوم: الجماعة من الرجال. والفاسق: الخارج عن الطاعة بإرادة.

(٢) نزلت الآيتان ٩٧ و٩٨ في أعاريب من أسد وتميم وغطفان، وأعاريب من حاضري المدينة المنورة. البحر ٥:٩٠ والدر المنثور ٣:٢٦٩ والواحدي ص ٢٥٨-٢٥٩. والأعراب: واحده أعرابي. وأل: جنسية لتعريف الماهية، أي جنس هؤلاء كذلك، لا كل واحد منهم. وأهل البدو أي: أصحاب البادية. وأشد: أقسى وأعنف. والكفر: التكذيب لله ورسوله والجحود للحق. والنفاق: إظهار الإيمان وإبطان الكفر. وأهل المدن يعني: كفار أهل المدن ومنافقيهم. وعن سماع القرآن أي: ومجالسة العلماء ومتابعة الدرس والتحصيل. ولذلك كان الفهم الصحيح للإسلام أظهر في المدن منه في القرى والبادية، خلافًا لِما يزعمه المضللون اليوم من مقولات «علم الاجتماع»، ولِما يكون في الأديان الخرافية القائمة على الأساطير والأوهام. وأولى أي: أحقّ. ويعلم: يعرف ويدرك. والحدود: جمع حد. وهي الفرائض ومقادير التكاليف والأحكام. وأنزل: أوحى وفرض. والعليم: المحيط بدقائق الأمور وخفاياها. والحكيم: الذي يضع كل شيء فيما تقتضيه الحكمة. ويتخذ: يجعل. وينفق: يبذل. وغطفان أي: وتميم. فقد كانوا يقولون عن الزكاة أو الصدقات: ما هي إلّا جِزية أو قريبة من الجِزية. والدوائر: جمع دائرة، أي: ما يتقلب من الأحداث والمصائب. ويتخلص أي: من الإنفاق. وبالفتح يريد القراءة «السَّوءِ». وهو الفساد. ط: «دائرةُ السَّوءِ». وفيما عدا الأصل والنسخ: «والهلاك عليهم لاعليكم». والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. وبأفعالهم أي: وبنياتهم. ويؤمن به: يصدّقه قلبًا ولسانًا وعملًا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. وجُهينة: قبيلة من قُضاعة. والمراد من حَسُن إسلامه منها، كبني رشدان ومن بايع تحت الشجرة. ومُزينة: قبيلة من بني الياس بن مضر، يراد منها أيضًا هنا بنو مقرّن المذكورون في تفسير الآية ٩٢. ويتخذ: يجعل. وفيما عدا الأصل وخ وع: «في سبيل الله». وقربات: جمع لقُربة المضمومة الراء أو الساكنتها. وهو ما يُتقرَّب به. وبسكونها يريد القراءة «قُرْبةٌ». وعند الله أي: في حكمه منزلة ورفعة. والرسول: من كلف برسالة التوحيد والبعث مع العمل. ويدخلهم: ييسر لهم الدخول ويهيئه لهم. والرحمة: العطف بالفضل والإكرام. وتفسير الرحمة بالجنة من قبيل تفسير السبب بالمسبَّب.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

١ - ﴿**والسّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرينَ والأنصارِ**﴾ - وهم من شَهد بدرًا أو جميعُ الصحابة - ﴿**والّذِينَ اتّبَعُوهُم**﴾ إلى يوم القيامة ﴿**بإحسانٍ**﴾ في العمل، ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنهُم**﴾ بطاعته ﴿**ورَضُوا عَنهُ**﴾ بثوابه، ﴿**وأعَدَّ لَهُم جَنّاتٍ تَجري تَحتَها الأنهارُ**﴾ - وفي قراءة بزيادة «مِن» - ﴿**خالِدِينَ فِيها أبَدًا. ذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ ١٠٠.

٢ - ﴿**ومِمَّن حَولَكُم**﴾ - يا أهل المدينة - ﴿**مِنَ الأعرابِ مُنافِقُونَ**﴾، كأسلَمَ وأشجَعَ وغِفارٍ، ﴿**ومِن أهلِ المَدِينةِ**﴾ مُنافقون أيضًا، ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ**﴾: لجُّوا فيه واستمرّوا، ﴿**لا تَعلَمُهُم**﴾ - خِطاب للنبيّ - ﴿**نَحنُ نَعلَمُهُم، سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَينِ**﴾ بالفضيحةِ أو القتلِ في الدنيا وعذابِ القبر، ﴿**ثُمّ يُرَدُّونَ**﴾ في الآخرة ﴿**إلى عَذابٍ عَظِيمٍ**﴾ ١٠١ هو النار، ﴿**و**﴾ قوم ﴿**آخَرُونَ**﴾: مبتدأ ﴿**اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم**﴾ من التخلّف: نعتُه والخبرُ: ﴿**خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا**﴾ - وهو جهادُهم قبل ذلك أو اعترافُهم بذنوبهم أو غيرُ ذلك - ﴿**وآخَرَ سَيِّئًا**﴾ وهو تخلّفهم، ﴿**عَسَى اللهُ أن يَتُوبَ عَلَيهِم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ١٠٢. نزلت في أبي لُبابةَ وجماعةٍ أوثقوا أنفُسهم في سواري المسجد، لمّا بلغهم ما نزل في المُتخلّفين، وحلفوا لا يَحلّهم إلّا النبيّ ﷺ. فحلَّهم لمّا نزلت.

٣ - ﴿**خُذْ مِن أموالِهِم صَدَقةً، تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِها**﴾ من ذنوبهم - فأخذ ثُلث أموالهم وتصدّق بها - ﴿**وصَلِّ عَلَيهِم**﴾ أي: ادعُ لهم. ﴿**إنَّ صَلَواتَكَ سَكَنٌ**﴾: رحمة ﴿**لَهُم**﴾، وقيل: طُمأنينة بقَبول توبتهم - ﴿**واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ ١٠٣ - ﴿**ألَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقبَلُ التَّوبةَ عَن عِبادِهِ، ويأخُذُ**﴾: يقبل ﴿**الصَّدَقاتِ، وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ**﴾ على عِباده بقَبول توبتهم، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ ١٠٤ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة. ﴿**وقُلِ**﴾ لهم أو للناس: ﴿**اعمَلُوا**﴾ ما شئتم. ﴿**فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ، وسَتُرَدُّونَ**﴾ بالبعث ﴿**إلى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾ أي: الله، ﴿**فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ١٠٥، فيُجازيكم به.

٤ - ﴿**وآخَرُونَ**﴾ من المُتخلّفين ﴿**مُرجَؤُونَ**﴾، بالهمز وتركه: مؤخّرون عن التوبة، ﴿**لِأمرِ اللهِ**﴾ فيهم بما يشاء، ﴿**إمّا يُعَذِّبُهُم**﴾ بأن يُميتهم بلا توبة، ﴿**وإمّا يَتُوبُ عَلَيهِم - واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ١٠٦ في صُنعه بهم - وهم الثلاثة الآتون بعدُ: مُرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهِلال بن أُميّة. تخلّفوا كسلًا ومَيلًا إلى الدَّعة لا نِفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبيّ ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس، حتّى نزلت توبتهم بعدُ.

---

(١) السابقون: الذين سبقوا بالإيمان والجهاد. والأولون: المتقدمون في ذلك. والمهاجرون: الذين هاجروا إلى المدينة. والأنصار: الأوس والخزرج. واتبعوهم: اقتدوا بهم. والإحسان: مراقبة الله في القول والعمل والنية. ورضي عنهم: قبل منهم ما فعلوا، وتجاوز عن سيئاتهم. ورضوا عنه: تقبلوا قضاءه بالطمأنينة. وأعد: خلق. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها أي: تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وبزيادة «من» يريد قراءة «مِن تَحتِها». وقوله يوهم الإقحام في النص القرآني. قال البيضاوي: «وقرأ ابن كثير: مِن تَحتِها الأنهارُ. وهي ثابتة في مصاحف مكة». والخالد: المقيم زمنًا طويلًا. والأبد: مدة الزمن. والفوز: الظفر بالنعيم. والعظيم: الضخم لامثيل له.

(٢) حولكم أي: حول بلدكم. والأعراب: المقيمون في البادية. وأهل المدينة: المقيمون في المدينة المنورة. ولاتعلمهم: لاتعرف نفاقهم. ونعلمهم أي: نعلم حقيقة أمرهم أنهم منافقون. ونعذبه: نعاقبه. ويردّ: يصير أمره. واعترف: أقرّ وندم على ما فعل. والذنوب: جمع ذنب. والصالح: النافع. والسيئ: الفاسد. ويتوب عليهم: يقبل توبتهم. والغفور والرحيم: من المغفرة والرحمة، أي: ستر الذنب مع العفو والعطف بالإحسان. وأبو لُبابة صحابي من أهل الصُّفّة. انظر تفسيرالآية ٢٧ من سورة الأنفال. والسواري: جمع سارية. وهي عمود من الخشب. وحلهم أي: أرسل إليهم من حل وثاقهم، حين نزلت هذه الآية. انظر «المفصل».

(٣) خذها أي: وأدّها إلى من يستحقها. والأموال: جمع مال. والصدقة: ما يدفع تطوعًا. وتطهرهم أي: تزيل عنهم الذنوب. وتزكيهم: ترفعهم إلى مراتب المخلصين. والصلوات جمع لتعدد المدعوّ لهم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «صَلاتَكَ». وسميع عليم أي: سميع لاعترافهم عليم بندامتهم. انظر «المفصل». ويعلموا: يدرك غير التائبين ويفهموا. ويقبلها: يرضاها. والعباد: جمع عبد. والرحيم: العظيم العطف بالإكرام. وشئتم: اخترتم. ويرى الله: انظر الآية ٩٤.

(٤) آخرون أي: غير الذين ذكروا في الآيات المتقدمة. وفي ث والمنحة وبعض المطبوعات: «مُرجَونَ». و«بالهمز وتركه» كذا. وانظر «المفصل». وعليم حكيم: انظر الآية ٩٧. والآتون بعد يعني: في الآية ١١٨. وهم من أهل المدينة كأولئك المذكورين في الآية ١٠٢. والدعة: الراحة والكسل. فقد كان هؤلاء الثلاثة تخلفهم لغير عذر، ولا يستطيعون الكذب للمبالغة في الاعتذار. ونزلت أي: نزل قبول توبتهم في الآية ١١٨.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

١- ﴿و﴾ منهم ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسجِدًا**﴾ - وهم اثنا عشرَ من المُنافقين - ﴿**ضِرارًا**﴾: مُضارّة لأهل مسجد قُباءٍ، ﴿**وكُفرًا**﴾ لأنهم بنَوه بأمر أبي عامرٍ الراهبِ، ليكون مَعقِلًا له يَقدَم فيه من يأتي من عنده - وكان ذهب ليأتي بجُنود من قيصر لقتال النبيّ ﷺ - ﴿**وتفريقًا بَينَ المُؤمِنينَ**﴾ الذين يُصلّون بقُباءٍ، بصلاة بعضهم في مسجدهم، ﴿**وإرصادًا**﴾: ترقّبًا ﴿**لِمَن حارَبَ اللهَ ورَسُولَهُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ بنائه. وهو أبو عامرٍ المذكورُ. ﴿**ولَيَحلِفُنَّ إن**﴾: ما ﴿**أَردنا**﴾ ببنائه ﴿**إلّا**﴾ الفعلةَ ﴿**الحُسنَى**﴾، من الرِّفقِ بالمِسكين في المطر والحرّ، والتوسعةِ على المُسلمين، ﴿**واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ ١٠٧ في ذلك.

٢- وكانوا سألوا النبيّ أن يصليَ فيه، فنزل ﴿**لا تَقُمْ**﴾: تُصلِّ ﴿**فِيهِ أبَدًا**﴾. فأرسلَ جماعة هدموه وحرّقوه وجعلوا مكانه كُناسة يُلقى فيها الجِيَفُ. ﴿**لَمَسجِدٌ أُسِّسَ**﴾: بُنيتْ قواعده ﴿**على التَّقوَى، مِن أَوَّلِ يَومٍ**﴾ وُضِعَ يومَ حللتَ بدار الهجرة - وهو مسجد قُباءٍ كما في البخاريّ - ﴿**أَحَقُّ**﴾ منه ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**تَقُومَ**﴾: تُصلّيَ ﴿**فِيهِ. فِيهِ رِجالٌ**﴾ هم الأنصار ﴿**يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا. واللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ**﴾ ١٠٨ أي: يُثيبهم. وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خُزيمة في صحيحه عن عُويم بن ساعدةَ: «أنّهُ ﷺ أتاهُم في مَسجِدِ قُباءٍ، فقالَ: إنَّ اللهَ - تَعالَى - قَد أحسَنَ علَيكُمُ الثَّناءَ في الطُّهورِ في قِصّةِ مَسجِدِكُم. فما هذا الطُّهورُ الَّذِي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟ قالوا. واللهِ - يا رَسُولَ اللهِ - ما نَعلَمُ شَيئًا إلّا أنَّه كانَ لَنا جِيرانٌ مِنَ اليَهُودِ، فكانُوا يَغسِلُونَ أدبارَهُم مِنَ الغائطِ، فغَسَلنا كَما غَسَلُوا» - وفي حديث رواه البزّار: فقالوا: نُتبعُ الحِجارةَ بالماءِ - «فقالَ: هُو ذاكَ. فعَلَيكُمُوهُ».

ربع الحزب ٢١

٣- ﴿**أفَمَن أَسَّسَ بُنيانَهُ عَلَى تَقوَى**﴾: مخافةِ ﴿**مِنَ اللهِ و**﴾رجاءِ ﴿**رِضوانٍ**﴾ منه ﴿**خَيرٌ، أم مَن أَسَّسَ بُنيانَهُ على شَفا**﴾: طَرَفِ ﴿**جُرُفٍ**﴾، بضمّ الراء وسكونها: جانبِ ﴿**هارٍ**﴾: مُشرف على السقوط، ﴿**فانهارَ بِهِ**﴾: سقط مع بانيه ﴿**في نارِ جَهَنَّمَ**﴾ خيرٌ؟ تمثيلٌ للبناء **على** ضِدّ التقوى بما يؤول إليه. والاستفهام للتقرير، أي: الأوّل خير. وهو مِثال مسجد قُباءٍ، والثاني مِثال مسجد الضِّرار. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ١٠٩. ﴿**لا يَزالُ بُنيانُهُمُ الَّذِي بَنَوا رِيبةً**﴾: شكًّا ﴿**في قُلُوبِهِم، إلّا أن تَقَطَّعَ**﴾: تنفصل ﴿**قُلُوبُهُم**﴾ بأن يموتوا. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ١١٠ في صُنعه بهم.

٤- ﴿**إنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ أنفُسَهُم وأَموالَهُم**﴾، بأن يبذلوها في طاعته كالجِهاد، ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ، فيَقتُلُونَ ويُقتَلُونَ**﴾ جُملة استئناف بيان للشراء. وفي قراءة بتقديم المبنيّ للمفعول، أي: فيُقتل بعضهم ويُقاتِل الباقي، ﴿**وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا**﴾: مصدران منصوبان بفعلهما

---

(١) اتخذوا: صنعوا. والمسجد: مكان للصلاة. ومسجد قباء: مسجد التقوى جنوبي المدينة المنورة. وكفرًا أي: لتشجيع الكفر والعصيان. وكان أبوعامر ترهب، ولزم محاربة المسلمين. انظر «المفصل». والتفريق: إثارة الفتن. ومن عنده أي: من عند أبي عامر. وأردنا: قصدنا. والحسنى: الأكثر خيرًا. ويشهد: يخبر خبرًا قاطعًا. وفي ذلك أي: في حلفهم. **(٢)** أبدًا أي: مدة حياتك. والكناسة: ما يُجمع من النُّفايات. والجيف: جمع جِيفة. وهي جثة الحيوان المُنتنة. والتقوى: الخوف وطلب رضا الله. والبخاري: انظر «المفصل». وأحق: أجدر وأولى. والرجال: جمع رجل. ويحبون: يفضلون. ويتطهروا أي: يزيلوا الحدث وسائر النجاسات. ويحبهم: يودهم ويريد لهم الخير. وعُويمٌ صحابي من الأوس. وانظر الحديث ٨٣ في صحيح ابن خزيمة والمسند ٦:٦ والمستدرك ١:١٥٥. والثناء: المديح. والطهور: التطهّر. وفيما عدا الأصل والنسخ: «وكانوا يغسلون». والأدبار: جمع دبر. وهو مخرج الغائط. ونتبع الحجارة بالماء أي: نستنجي بالماء بعد المسح بالحجارة. وهو ذاك أي: هو الذي أثنى الله عليكم به. وعليكموه أي: الزموه واستمروا فيه. وماروي عن البزار هو من تفسير ابن كثير ٢:٣٧٣. **(٣)** أسس بنيانه: أنشأ أمور دينه وما بنيت عليه. والرضوان: القبول للعمل الصالح. وبسكونها يريد القراءة «جُرْفٍ». ويؤول إليه: يصير إليه وينتهي. ولايهديه أي: لايرشده إلى ما فيه صلاحه. والظالم: من يتجاوز الحق. وريبة أي: سبب اضطراب. وتقطّع: تتقطّع. والقلوب: جمع قلب. والعليم: المحيط بالنيات ودقائق الأمور. **(٤)** انظر سبب النزول في المفصل. واشتراها: قَبِلَ أخذها بثمن كريم. والأنفس: جمع نفس، أي: الروح والجسد. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والجنة: الحديقة العظيمة. وفي سبيله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وللمفعول يريد القراءة «فيُقتَلُونَ ويَقتُلُونَ». فلا يُشترط اجتماع الأمرين في الشخص الواحد، بل يتحقق الفضل العظيم بمجرد العزم. واستئناف: يعني جملة: يقاتلون. والصواب أنها حالية. والوعد: التعهد بالخير. والحق: الثبوت الصادق. ومصدران: يعني أن التقدير: وعدَهم ذلك وعدًا وحقَّه حقًّا. وأوفى: أكثرُ وأثبتُ وفاء. والعهد: الوعد الموثق. واستبشروا: افرحوا أقصى ما يكون. والبيع: مراد به الجهاد الذي يؤدي إلى الجنة. والفوز: الظفر بالخير. والعظيم: الضخم لامثيل له. ومبتدأ: يعني أن التقدير: هم التائبون. وانظر سبب النزول في المفصل أيضًا. والعابد: المطيع لله. والحامد: من يشكر بالقلب واللسان والعمل. والراكع والساجد أي: المصلّي. والآمر: من يوجب ويُلزم. والمعروف: ما استحسنه الشرع. والناهي: من يمنع. والمنكر: ما استقبحه الشرع. والحافظ لها: من يراعيها. والحدود: جمع حد. وبشر المؤمنين أي: أبلغ هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ما يسرهم.

ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأَٰمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

المحذوف، ﴿**في التَّوراةِ والإنجِيلِ والقُرآنِ - ومَن أوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللهِ**﴾؟ أي: لا أحد أوفى منه - ﴿**فاستَبشِرُوا**﴾، فيه التفات عن الغَيبة، ﴿**بِبَيعِكُمُ الَّذِي بايَعتُم بِهِ. وذٰلِكَ**﴾ البيع ﴿**هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ ١١١: المُنِيل غايةَ المطلوب. ﴿**التّائِبُونَ**﴾، رفع على المدح بتقدير مبتدأ، من الشِّرك والنفاق ﴿**العابِدُونَ**﴾: المُخلصون العِبادةَ لله ﴿**الحامِدُونَ**﴾ له على كُلّ حال ﴿**السّائحُونَ**﴾: الصائمون، ﴿**الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ**﴾ أي: المُصلّون، ﴿**الآمِرُونَ بِالمَعرُوفِ والنّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ، والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ**﴾: لأحكامه بالعمل بها. ﴿**وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**﴾ ١١٢ بالجنّة.

١- ونزل في استغفاره ﷺ لعمّه أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبوَيه المُشرِكَين: ﴿**ما كانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ، ولَو كانُوا أُولِي قُربَى**﴾: ذوي قرابة، ﴿**مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أصحابُ الجَحِيمِ**﴾ ١١٣: النار، بأن ماتوا على الكُفر، ﴿**وما كانَ استِغفارُ إبراهِيمَ لِأَبِيهِ إلّا عَن مَوعِدةٍ، وَعَدَها إيّاهُ**﴾ بقوله: «سأستَغفِرُ لَكَ رَبِّي» رجاءَ أن يُسلم، ﴿**فلَمّا تبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ**﴾، بموته على الكُفر، ﴿**تبَرَّأَ مِنهُ**﴾ وترك الاستغفار له. ﴿**إنَّ إبراهِيمَ لَأَوّاهٌ**﴾: كثير التضرّع والدُّعاء، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ ١١٤: صبور على الأذى.

٢- ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَومًا، بَعدَ إذ هَداهُم**﴾ للإسلام، ﴿**حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم ما يَتَّقُونَ**﴾ من العمل، فلا يتّقوه فيستحقّوا الإضلال. ﴿**إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ١١٥، ومنه مُستحِقُّ الإضلالِ والهِداية. ﴿**إنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي ويُمِيتُ، وما لَكُم**﴾ - أيها الناس - ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مِن وَلِيٍّ**﴾: يحفظكم منه، ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾ ١١٦: يمنع عنكم ضرره.

٣- ﴿**لَقَد تابَ اللهُ**﴾ أي: أدام توبته ﴿**علَى النَّبِيِّ، والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في ساعةِ العُسْرةِ**﴾ أي: وقتِها - وهي حالهم في غزوة تبوكَ، كان الرجلان يقتسمان تمرة، والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتدّ الحرّ حتّى شربوا الفَرْث - ﴿**مِن بَعدِ ما كادَ تَزِيغُ**﴾، بالتاء والياء: تَميل ﴿**قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنهُم**﴾ عن اتّباعه إلى التخلّف، لِما هم فيه من الشِّدّة، ﴿**ثُمَّ تابَ عَلَيهِم**﴾ بالثبات - ﴿**إنَّهُ بِهِم رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ١١٧ - و﴾ تاب ﴿**على**

---

(١) سبب النزول في المفصل. وما كان أي: لا يصح ولا يجوز. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله بالقلب واللسان والعمل. ويستغفر: يطلب من الله ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والمشرك: من عبد مع الله بعض مخلوقاته بالتقديس والطاعة. وتبين: اتضح وثَبَتَ. وأنهم أي: المشركين. والأصحاب: جمع صاحب. والموعدة: التعهد بشيء. وبقوله يعني: الآية ٤٧ من سورة مريم. والعدو: المعادي والمحارب للشرع والدين. وتبرأ منه: تخلص منه وتخلى عنه وقطع استغفاره.

(٢) روي أنه كان بعض المسلمين بعيدين عن المدينة، يشربون الخمرة ويصلون إلى بيت المقدس، ثم علموا أن القرآن نزل بغير ذلك بعد مدة، وخشوا أن يكونوا آثمين، ولما نزلت الآية ١١٣ بمنع الاستغفار للمشركين خاف المؤمنون أن يؤاخذوا بما صدر عنهم قبل نزولها، فنزلت هذه الآية تطمئن بعدم المؤاخذة. التسهيل ٢:٨٦ وفتح القدير ٢:٥٧٩. وما كان أي: وما يزال. ولا يضل قومًا أي: لا يوقع الضلال في قلوبهم، ما لم ينصرفوا عن الطاعة بإرادة منهم وإصرار. وهداهم: أمدّ قدراتهم بما يناسب اختيارهم واستعدادهم. ويبين: يوضح. ويتقون: يتجنبون. والعليم: المحيط بدقائق الأمور وخفياتها. و«مستحق» يعني أن الاستحقاق يكون بما يختاره الإنسان، عن علم وإرادة، فيمدّه الله بما يناسب ذلك. والملك: الحيازة والتصرف. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمراد أيضًا: وما في الكون كله. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ويحيي: يَخلق ما يشاء من العدم. ويميت: يُفني ما يشاء من الخلق. والولي: الذي يتولى الأمور ويرعى المصالح. والنصير: المعين المنقذ.

(٣) التوبة على النبي: رفع درجاته إلى الكمال. والمهاجرون: المسلمون الذين هجروا ديارهم إلى المدينة. والأنصار: المسلمون من أهل المدينة. والتوبة عليهم: قبول توبتهم عما بدا لدى بعضهم من الضيق والوساوس قبل المسير إلى تبوك، وخلال الطريق. واتبعوه: صاحبوه. والساعة: الوقت. والعسرة: الشِّدّة. وغزوة تبوك يقال لها: غزوة العُسرة. ويعتقبونه: يركبه هذا ساعة وهذا ساعة. والفرث: ما يكون في كَرِش الناقة أو البعير، يُستخرج بعد الذبح ليُشرب بدل الماء. وكاد: قرُب جدًا. وبالياء يريد القراءة «يَزِيغُ». والقلوب: جمع قلب. ومعنى الرؤوف والرحيم أنه يرفق بالمؤمنين دائمًا، ويعطف عليهم كثيرًا في المعاملة، فلا يحمّلهم ما لايطيقون، ويزيل عنهم الضرر ويقدّر لهم النفع، ويتجاوز عما كان منهم في الشدائد. والثلاثة هم المذكورون في الآية ١٠٦. وخُلّفوا: أُخِّروا وتُركوا عن قبول العذر. فقد تخلف هؤلاء عن غزوة تبوك، ولم يختلقوا عذرًا. انظر «المفصل». والمراد بالقرينة أن ما يأتي من الآية يؤيد جعل «خُلّفوا» لتأخير التوبة لا للتخلف عن الغزوة. وضاقت عليهم: اسودت في أعينهم، وكأنها تقلصت فلم يجدوا مكانًا يلجؤون إليه. ورحبت: اتسعت. والأنفس: جمع نفس. ومخففة أي: «أنْ» أصلها «أنّ». والملجأ: المكان يُلجأ إليه ويُعتصم به. ومن الله أي: من غضبه وعقابه. وإليه أي: إلى استغفاره. ويتوبوا أي: توبة مقبولة. والتواب: الكثير القبول لتوبة الصادقين. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا بالطاعة والصلاح رضاه. وكونوا: صيروا دائمًا في النية والقول والعمل. والصادقون: أصحاب الصدق والوفاء.

الجزء الحادي عشر　سورة التوبة

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

الثَّلاثةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التَّوبة عليهم، بقرينة ﴿**حَتَّى إذا ضاقَتْ عليهِمِ الأرضُ بِما رَحُبَتْ**﴾ أي: مع رُحبِها، أي: سَعتِها، فلا يجدون مكانًا يطمئنّون إليه، ﴿**وضاقَتْ عليهِم أنفُسُهُم**﴾: قُلوبهم للغمِّ والوحشة، بتأخير تَوبتهم فلا يسعها سُرور ولا أُنس، ﴿**وظَنُّوا**﴾: أيقنوا ﴿**أن**﴾: مُخفّفةٌ ﴿**لا مَلجأَ مِنَ اللهِ إلّا إلَيهِ، ثُمَّ تابَ عليهِم**﴾: وفّقهم للتَّوبة ﴿**لِيَتُوبُوا. إنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ**﴾ ١١٨. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ**﴾ بترك معاصيه، ﴿**وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ**﴾ ١١٩ في الإيمان والعُهود، بأن تلزموا الصِّدق.

١- ﴿**ما كانَ لِأهلِ المَدِينةِ، ومَن حَولَهُم مِنَ الأعرابِ، أن يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللهِ**﴾ إذا غزا، ﴿**ولا يَرغَبُوا بِأنفُسِهِم عَن نَفسِهِ**﴾ بأن يصونوها عمّا رضيه لنفسه من الشدائد. وهو نهي بلفظ الخبر. ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: النهيُ عن التخلّف ﴿**بِأنَّهُم**﴾: بسبب أنهم ﴿**لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ**﴾: عطش، ﴿**ولا نَصَبٌ**﴾: تعب، ﴿**ولا مَخمَصةٌ**﴾: جوع ﴿**في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَطَؤُونَ مَوطِئًا**﴾: مصدرٌ بمعنى وطْئًا ﴿**يَغِيظُ**﴾: يُغضِب ﴿**الكُفّارَ، ولا يَنالُونَ مِن عَدُوٍّ**﴾ لله ﴿**نَيلًا**﴾ قتلًا أو أسرًا أو نهبًا، ﴿**إلّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ**﴾ ليُجازَوا عليه - ﴿**إنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ**﴾ ١٢٠ أي: أجرَهم بل يُثيبهم - ﴿**ولا يُنفِقُونَ**﴾ فيه ﴿**نَفَقةً صَغِيرةً**﴾ ولو تمرةً ﴿**ولا كَبِيرةً، ولا يَقطَعُونَ وادِيًا**﴾ بالسَّير ﴿**إلّا كُتِبَ لَهُم**﴾ ذلك، ﴿**لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٢١ أي: جزاءه.

نصف الحزب ٢١

٢- ولمّا وُبِّخوا على التخلّف وأرسل النبيّ سَرِيّة نَفروا جميعًا، فنزل: ﴿**وما كانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِرُوا**﴾ إلى الغزو، ﴿**كافّةً. فلَولا**﴾: فهلّا ﴿**نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقةٍ**﴾: قبيلةٍ ﴿**مِنهُم طائفةٌ**﴾: جماعة، ومكَثَ الباقون ﴿**لِيتفَقَّهُوا**﴾ أي: الماكثون ﴿**في الدِّينِ، ولِيُنذِرُوا قَومَهُم إذا رَجَعُوا إلَيهِم**﴾ من الغزو بتعليم ما تعلّموه من الأحكام، ﴿**لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ**﴾ ١٢٢ عِقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عبّاس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلّف أحد فيما إذا خرج النبيّ. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفّارِ**﴾ أي: الأقربَ فالأقرب منهم، ﴿**ولْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظةً**﴾: شِدّة، أي: أغلظوا عليهم، ﴿**واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ**﴾ ١٢٣ بالعون والنصر.

---

(١) ما كان أي: لا يجوز. وأهل المدينة: من يقيم في المدينة المنورة. والأعراب: سكان البادية، واحدهم أعرابي. ويرغبوا بها أي: يترفعوا ويكرهوا لأجلها. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح والجسد. والخبر هو النفي بـ «ما» في أول الآية وما دخلت عليه. ويصيبهم: يقع بهم. وسبيله: طريق طاعته وإعلاء كلمته. ويطأ: يدوس بقدمه. والكفار: جمع كافر. وينال: يصيب. والعدو: المعادي. والنهب: الغنيمة تؤخذ بالقوة. وكُتب: سُجّل في صحائف الأعمال. وبه أي: بسبب كل ذلك. والصالح: النافع في الدنيا والآخرة. ويضيع: يهمل. والأجر: الثواب. والمحسن: الذي أحسن النية والقول والعمل بمراقبة الله. ويثيبهم أي: ويتفضل عليهم بما هو أعظم وأنفع. وينفق: يصرف إيمانًا واحتسابًا. وفيه أي: في سبيل الله. والصغيرة: القليلة القدر. والكبيرة: العظيمة القدر. ويقطعه: يمر به. والوادي: ما بين الجبلين. ذكر هنا وأريد به كل قطعة من الأرض. وذلك أي: الإنفاق والقطع. وفي بعض المطبوعات: «بذلك عمل صالح». وجزاءه أي: حسنَ جزاء أعمالهم. ط: جزاءهم.

(٢) وبخوا أي: بما في الآيات ٨١-٩٦ و١٠٢-١٠٦ و١١٨. وفيما عدا الأصل وخ: «النبي ﷺ». و«جميعًا» يعني: وتركوا النبي ﷺ وحده في المدينة. وقد كانوا أقسموا ألّا يتخلفوا عن الجهاد أبدًا. الواحدي ص ٢٦٦ وتفاسير البغوي ٢:٣٣٩ والخازن ٣:١٦٧ والنسفي ٢:١٥١ والبحر ٥:١١٤. والمؤمنون: الصادقون في الإيمان الكاملون فيه. وينفر: يخرج بسرعة. والغزو: محاربة المعتدي لردعه أو الانتقام منه. وكافة أي: جميعًا. ويتفقه: يتعلم ويفهم الأحكام والتكاليف. والدين: العقيدة والشريعة. وينذر: يبلغ ويرشد. وقوم الإنسان: الجماعة التي ينتسب إليها أو يعيش فيها. وفيما عدا الأصل والنسختين: «بتعليمهم ما تعلموه». ويحذر: يخاف ويتجنب. والسرايا: جمع سرية. وهي الجيش يبعثه النبي ﷺ لردع المعتدين أو قتالهم. و«التي قبلها» يعني الآيتين ١٢٠ و١٢١. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا». وفيما عدا الأصل وخ وع: «النبي ﷺ». وإذا خرج النبي أي: في الجهاد الذي يشارك فيه النبي ﷺ لردع المعتدين أو لحربهم. وقاتلوهم أي: ابدؤوا بالحرب مَن كان معتديًا. فقد روي في الأثر: «اترُكوا الرّابِضِينَ ما تَرَكُوكُم». ويجب البدء بالقتال لعدو غزا ديارنا، أو اعتدى على حقوق المسلمين في ديارهم، أو كان يستعد قريبًا منا، حتى يكفّ عن ذلك. انظر أحكام القرآن ص ١٠٣٢ والبحر ٥:١٤. ويلونكم: يقربون من بلادكم. والكفار: المشركون وأهل الكتاب والمجوس والملحدون، جمع كافر. وليجدوا أي: ليصادفوا. فالأمر للكافرين والمراد به أمر المؤمنين بالشِّدّة والقسوة عليهم. وهذا من إقامة المسبَّب مَقام السبب للمبالغة. واعلموا أي: استحضروا العلم وتذكروا. والمتقون: الذين يتجنبون سخط الله ويخافون عقابه، فيمتثلون الأمر والنهي طلبًا للرضا. وفي هذا تنبيه على أن يكون القتال والغلظة للتقوى، لا للغنيمة أو الفخر.

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ — ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

١- ﴿**وإذا ما أُنزلَتْ سُورةٌ**﴾ من القُرآن ﴿**فمِنهُم**﴾، أي المُنافقين، ﴿**مَن يَقولُ**﴾ لأصحابه استهزاءً: ﴿**أيُّكُم زادَتهُ هٰذِهِ إيمانًا**﴾: تصديقًا؟ قال تعالى: ﴿**فأمّا الَّذينَ آمَنُوا فزادَتهُم إيمانًا**﴾، لتصديقهم بها، ﴿**وهُم يَستَبشِرُونَ**﴾ ١٢٤: يفرحون بها، ﴿**وأمّا الَّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: ضعفُ اعتقاد ﴿**فزادَتهُم رِجسًا إلى رِجسِهِم**﴾: كُفرًا إلى كُفرهم، لكُفرهم بها، ﴿**وماتُوا وهُم كافِرُونَ**﴾ ١٢٥.

٢- ﴿**أوَلا يَرَونَ**﴾ - بالياء أي: المُنافقون، والتاء أيها المُؤمنون - ﴿**أنَّهُم يُفتَنُونَ**﴾: يُبتلَون ﴿**في كُلِّ عامٍ مَرَّةً أو مَرَّتَينِ**﴾ بالقحط والأمراض، ﴿**ثُمَّ لا يَتُوبُونَ**﴾ من نِفاقهم، ﴿**ولا هُم يَذَّكَّرُونَ**﴾ ١٢٦ يتّعظون؟ ﴿**وإذا ما أُنزِلَتْ سُورةٌ**﴾ فيها ذِكرهم، وقرأها النبيّ، ﴿**نَظَرَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ**﴾ يُريدون الهرب، يقولون: ﴿**هَل يَراكُم مِن أحَدٍ**﴾ إذا قمتم؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وإلّا ثبَتوا، ﴿**ثُمَّ انصَرَفُوا**﴾ على كُفرهم. ﴿**صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم**﴾ عن الهُدى، ﴿**بأنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ**﴾ ١٢٧ الحق لعدم تدبّرهم.

٣- ﴿**لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ مِن أنفُسِكُم**﴾ أي: منكم مُحمّد ﷺ، ﴿**عَزيزٌ**﴾: شديد ﴿**عليهِ ما عَنِتُّم**﴾ أي: عنتُكم، أي: مشقّتكم ولِقاؤكم المكروهَ، ﴿**حَريصٌ عَلَيكُم**﴾ أن تهتدوا، ﴿**بالمُؤمِنينَ رَؤُوفٌ**﴾: شديد الرحمة، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٢٨: يُريد لهم الخير. ﴿**فإن تَوَلَّوا**﴾ عن الإيمان بك ﴿**فقُلْ: حَسبِيَ**﴾: كافِيَّ ﴿**اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ، عليهِ تَوَكَّلتُ**﴾: به وثقت لا بغيره، ﴿**وهُوَ رَبُّ العَرشِ**﴾ الكُرسيّ ﴿**العَظيمِ**﴾ ١٢٩. خصّه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. روى الحاكم في «المستدرك» عن أُبيّ بن كعب قال: آخرُ آية نزلت «لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ» إلى آخر السُّورة.

سورة يُونُس

٤- مكية إلّا «فإن كنت في شك» الآيتين أو الثلاث، أو «ومنهم من يؤمن به» الآية، مِائة وتسعُ أو عشرُ آيات.

---

(١) أنزلت: أوحيت على لسان جبريل. والسورة: القطعة. وأيكم يعني: أيُّ واحد منكم؟ وزادته إيمانًا أي: قوّت إيمانه. والقلوب: جمع قلب. والمرض: الكفر والنفاق. وتفسير السيوطي له بضعف الاعتقاد مردود، لأن النفاق كفر وليس كضعف الإيمان. والرجس: الشيء المستقذر. وزادتهم رجسًا أي: قوّت كفرهم وكثّرته. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وفي هذه الآية تعيين لحالهم، أنهم موصوفون بالشك والنفاق، إذ اكتسبوا من الآيات زيادة كفر، خلافًا لما اكتسبه المؤمنون.

(٢) يرون: يعلمون ويدركون يقينًا. وبالتاء يريد القراءة «أوَلاتَرَونَ»؟ ويفتنون أي: يعذبون بسبب ما في قلوبهم وأعمالهم، من النفاق والعصيان اختيارًا وعزمًا. والعام: السنة الهجرية من أولها إلى آخرها. والمرة: المدة من الزمن. والمراد بورود «مرة ومرتين» مجرد التكثير، لابيان الوقوع بحسب العدد المذكور. تفسير الآلوسي ١١: ٧٣-٧٤. ويتوب: يندم على عمله ويطلب المغفرة. ونظر: وجّه بصره. ونظر بعضهم إلى بعض أي: تغامزوا بالأعين إنكارًا وسخرية. و«ثبتوا» زاد في الوجيز: «مكانهم حتى يفرغ من خطبته». وانصرفوا: ذهبوا. وصرف قلوبهم: منعها وحجبها، لِما هي عليه من الكفر اختيارًا وإصرارًا. وقوم: جماعة من الناس. ولا يفقهون: لا يعلمون ولا يفهمون، أي: لعدم فقههم. يعني: لجهلهم وتعطيل عقولهم عن التفكير.

(٣) الخطاب للعرب، وهو يشمل أيضًا جميع الناس، لأن النبي ﷺ هو من جنسهم. وفي ذلك صفة مؤثرة في التبليغ والفهم عنه والتآنس به، مع الإشعار بالمنّ عليهم والتلطف للاستجابة والإيمان. وجاءكم: بعثه الله إليكم. والرسول: المرسَل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والأنفس: جمع نفس. والحريص: الكثير الرغبة والسعي. وعليكم أي: على هدايتكم وصلاح شأنكم. وبالمؤمنين أي: بالمصدقين منكم قلبًا ولسانًا وعملًا. والرحمة: العطف والشفقة والإحسان. وتولوا أي: أعرض الكفار والمنافقون وامتنعوا بعد هذا كله. والإله: المعبود بحق. وعليه توكلت أي: فوضت كل أمر إليه وحده. والرب: المالك. والعرش: مخلوق عظيم جدًا يضم في حوزته سائر المخلوقات بما فيها الكرسي، لايقدّر قدره ولايعرف كنهه إلّا الله. وتفسيره بالكرسي غير صحيح. والعظيم: الذي لامثيل له. وآخر آية يعني: آخر الآيات نزلت. و«إلى آخر السورة» كذا في الإتقان ١: ٥٨. وهو في تفسير ابن كثير ٢: ٣٨٦، مرويًا عن الإمام أحمد... عن ابن عباس. أما ما في المستدرك ٢: ٣٣٨ فهو: «آخر مانزل من القرآن». وهذا مبني على أن الآيتين المذكورتين مدنيتان أيضًا، والسورة كلها مدنية. انظرالإتقان ١: ٥٧-٦٠ والبرهان في علوم القرآن ١: ٢٠٩-٢١٠ وتفسير الآلوسي ١١: ٧٧.

(٤) الآيتين أي: الآيتين ٩٤ و٩٥ هما مدنيتان. فمجموع المدني إذًا آية واحدة أو اثنتان أو أربع، والمذكور هنا ثلاثة أقوال. انظر تفسير القرطبي ٨: ٣٠٤ والبحر ٥: ١٢١. والثلاث هي الآيات ٩٤-٩٧، مدنية في قول ابن عباس باعتبار ٩٦ و٩٧ آية واحدة. ولهذا الاعتبار كان الخلاف في عدد آيات السورة أيضًا. فمجموع المدني على هذا القول أربع. والآية: يعني ذات الرقم ٤٠ فهي مدنية.

الجزء الحادي عشر سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الر﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾ القُرآن - والإضافة بمعنى: مِن - ﴿الحَكِيمِ﴾ ١: المُحكَم. ﴿أكانَ لِلنّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة، استفهامُ إنكار، والجارّ والمجرور: حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصبِ: خبرُ «كان»، والرفعِ اسمُها، والخبرُ وهو اسمُها على الأُولى: ﴿أن أَوحَينا﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إلى رَجُلٍ مِنهُم﴾ مُحمّدٍ ﷺ: ﴿أن﴾: مُفسّرةٌ ﴿أنذِرِ﴾: خوِّفِ ﴿النّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب، ﴿وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿لَهُم قَدَمَ﴾: سَلَفَ ﴿صِدقٍ عِندَ رَبِّهِم﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدّموا من الأعمال؟ ﴿قالَ الكافِرُونَ: إنَّ هٰذا﴾ القُرآنَ المُشتملَ على ذلك ﴿لَسِحرٌ مُبِينٌ﴾ ٢: بيِّن. وفي قراءة: «لَساحِرٌ»، والمشارُ إليه النبيّ.

٢- ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدْرها، لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر - ولو شاء لخلقهن في لمحة. والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبّتَ - ﴿ثُمَّ استَوَى على العَرشِ﴾ استواءً يليق به، ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ بين الخلائق، ﴿ما مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إلّا مِن بَعدِ إذنِهِ﴾. ردّ لقولهم: إنّ الأصنام تشفع لهم. ﴿ذٰلِكُمُ﴾ الخالِق المُدبّر ﴿اللهُ رَبُّكُم - فاعبُدُوهُ﴾: وحّدوه. ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾ ٣؟ بإدغام التاء في الأصل في الذال - ﴿إلَيهِ﴾ تعالى ﴿مَرجِعُكُم جَمِيعًا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿إنَّهُ﴾ - بالكسرِ استئنافًا والفتحِ على تقدير اللام - ﴿يَبدَأُ الخَلقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث، ﴿لِيَجزِيَ﴾: لِيُثِيبَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ بِالقِسطِ، والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم شَرابٌ مِن حَمِيمٍ﴾: ماء بالغ نهايةَ الحرارة، ﴿وعَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلمٌ ﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾ ٤ أي: بسبب كُفرهم.

٣- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً﴾: ذاتَ ضياء أي: نور، ﴿والقَمَرَ نُورًا، وقَدَّرَهُ﴾ من حيثُ سيرُه ﴿مَنازِلَ﴾ ثمانيةً وعشرين منزلًا في ثمانٍ وعشرين ليلةً من كُلّ شهر، ويستتر ليلتينِ إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿لِتَعلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ. ما خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ﴾ المذكورَ ﴿إلّا بِالحَقِّ﴾ لا عبثًا، تعالى عن ذلك. ﴿يُفَصِّلُ﴾، بالياء والنون، يُبيّن ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ ٥: يتدبّرون. ﴿إنَّ في اختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالذّهاب والمجيء والزيادة والنُّقصان، ﴿وما خَلَقَ اللهُ في السَّماواتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونُجوم وغير ذلك، ﴿و﴾ في ﴿الأرضِ﴾ من حيوان وجِبال وبِحار وأنهار وأشجار وغيرها، ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته - تعالى - ﴿لِقَومٍ يَتَّقُونَ﴾ ٦ه فيُؤمنون. خصّهم بالذكر لأنهم المُنتفعون بها.

---

(١) المحكم: المنظوم نظمًا متقنًا. وانظر سبب النزول في المفصل. والإنكار أي: لايليق بهم أن يتعجبوا من إرساله، وهو معروف بالصدق والصلاح والكرم. وبالرفع يريد القراءة «عَجَبٌ». وهي قراءة ليست شاذة عند السيوطي. انظر الإتقان ١:١٦٨. وأوحينا: أنزلنا على لسان جبريل، ويسّرنا الحفظ والإتقان والتبليغ. وبشرهم: أبلغهم ما يسرهم. والسلف: ما قدمه المؤمنون من عمل. والصدق: الصلاح. وعنده أي: في حكمه وبالمنزلة المقربة. وذلك أي: الإنذار والتبشير. والسحر: تمويه وخداع للعقول والحواس، يخيّل إليها ماليس له وجود في الواقع. والساحر: من يفعل ذلك بخبث ودهاء، فيوهم الأغبياء والسفهاء أنه يأتي بالمعجزات.

(٢) خلقها: أنشأها من العدم. والأيام: جمع يوم. وهو هنا بمعنى الوقت، وليس مرادًا به مقدار أيام الدنيا. فالمراد ستة أوقات غير محددة القدر. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف. ولتعليم خلقه: يعني أنّ الله لم يخلق ذلك في لمحة، وخلقه في أزمان، ليعلّم الناس التمهل في شؤون الحياة. وانظر سبب النزول في المفصل. واستوى: علا وارتفع منزهًا عن التكييف والتحيز والتشبيه والتعطيل. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بسائر المخلوقات. ويليق به أي: يناسب عظمته وجلاله، كما عناه سبحانه، لا كما يتصوره بعض الضالين. ويدبره: يقضيه على الوجه الأكمل. والأمر: شأن الكائنات. والشفيع: من ينصر غيره لدفع البلاء وجلب الخير. والإذن: السماح. وتذكرون: تتعظون لترك الكفر. وإليه أي: إلى ميعاد لقاء حسابه وجزائه. والمرجع: المصير النهائي. والوعد: التعهد وجوبًا. والحق: الثابت فعلًا. و«بفعلهما المقدر» انظر تعليقنا على تفسير الآية ١١١ من سورة التوبة. وبالفتح يريد القراءة «أنَّهُ». ويبدؤه أي: أوجده من العدم. والخلق: المخلوق. ويعيده أي: يردّ الخلق إلى الوجود بعد عدمه. وعمل: اكتسب من نية أو قول أوفعل، بقصد واختيار. والصالحات: الأعمال النافعة في الدنيا والآخرة، حسّنها الشرع وأمر بها. والقسط: العدل.

(٣) جعل: أنشأ من العدم. وقدره: وضع له المقادير المحكمة. والمنازل: مواقعه التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، جمع مَنزل. وهو الموضع الذي يقع فيه القمر بالنسبة إلى الأرض بعد مسيرته يومًا كاملًا. وتعلم: تعرف. والسنون: جمع سنة. والحساب: تقدير الأوقات من فصول وأشهر وأيام وساعات. وخلق: أوجد من العدم. والمذكور أي: ما ذكر قبل في الآيات ٣-٥. والحق: الحكمة البالغة. وبالنون يريد القراءة «نُفَصِّلُ». والآيات: الأحوال والعلامات الدالة على التوحيد. ويتقونه أي: يخافون غضبه ويمتثلون الأمر والنهي طلبًا للرضا.

الجزء الحادي عشر — سورة يونس

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ
خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ربع الحزب ٢١

١- ﴿**إنَّ الَّذينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا**﴾ بالبعث، ﴿**ورَضُوا بالحَياةِ الدُّنيا**﴾ بدلَ الآخرة لإنكارهم لها، ﴿**واطمَأنُّوا بها**﴾: سكنوا إليها، ﴿**والَّذينَ هُم عَن آياتِنا**﴾: دلائل وحدانيّتنا ﴿**غافِلُونَ**﴾ ٧: تاركون للنظر فيها، ﴿**أُولَئِكَ مأواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ٨ من الشِّرك والمعاصي. ﴿**إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهديهِم**﴾: يُرشدهم ﴿**رَبُّهُم بِإيمانِهِم**﴾: به بأن يجعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة، ﴿**تَجري مِن تَحتِهِمُ الأنهارُ في جَنّاتِ النَّعيمِ**﴾ ٩، ﴿**دَعواهُم فِيها**﴾: طلبهم لِما يشتهونه في الجنّة أن يقولوا: ﴿**سُبحانَكَ اللَّهُمَّ**﴾ أي: يا ألله! فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم، ﴿**وتَحِيَّتُهُم**﴾ فيما بينهم ﴿**فِيها سَلامٌ، وآخِرُ دَعواهُم أنِ**﴾ - مُفسِّرة - ﴿**الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ١٠.

٢- ونزل لمّا استعجل المشركون العذاب: ﴿**ولَو يُعَجِّلُ اللهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ استِعجالَهُم**﴾ أي: كاستعجالهم ﴿**بِالخَيرِ لَقُضِيَ**﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل - ﴿**إلَيهِم أجَلُهُم**﴾، بالرفع والنصب، بأن يُهلكهم، ولكن يُمهلهم - ﴿**فنَذَرُ**﴾: نتركُ ﴿**الَّذينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا في طُغيانِهِم يَعمَهُونَ**﴾ ١١: يتردّدون مُتحيّرين - ﴿**وإذا مَسَّ الإنسانَ**﴾: الكافرَ ﴿**الضُّرُّ**﴾: المرض والفقر ﴿**دَعانا لِجَنبِهِ**﴾ أي مُضطجعًا، ﴿**أو قاعِدًا أو قائمًا**﴾ أي: في كُلّ حال، ﴿**فلَمّا كَشَفنا عَنهُ ضُرَّهُ مَرَّ**﴾ على كُفره ﴿**كأنْ**﴾، مُخففةٌ واسمها محذوف، أي: كأنّه ﴿**لَم يَدعُنا إلَى ضُرٍّ مَسَّهُ. كَذَلِكَ**﴾: كما زُيّنَ له الدعاءُ عِند الضرر والإعراضُ عِند الرخاء، ﴿**زُيِّنَ لِلمُسرِفِينَ**﴾: المُشركينَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٢.

٣- ﴿**ولَقَد أهلَكنا القُرُونَ**﴾: الأمم ﴿**مِن قَبلِكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**لَمّا ظَلَمُوا**﴾ بالشرك، ﴿**و**﴾ قد ﴿**جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: الدلالات على صِدقهم، ﴿**وما كانُوا لِيُؤمِنُوا**﴾: عطفٌ على «ظلموا» - ﴿**كَذَلِكَ**﴾: كما أهلكنا أُولئك، ﴿**نَجزي القَومَ المُجرِمِينَ**﴾ ١٣: الكافرين - ﴿**ثُمَّ جَعَلناكُم**﴾، يا أهل مكّة، ﴿**خَلائفَ**﴾: جمع خليفة ﴿**في الأرضِ مِن بَعدِهِم، لِنَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ**﴾ ١٤ فيها؟ وهل تعتبرون بهم فتُصدّقوا رُسلنا؟

---

(١) لا يرجون: لا يتوقعون ولا يخافون. ولقاؤنا أي: لقاء موعدنا للحساب والعقاب. ورضوا بها: قبلوها واكتفوا بها. وتاركون أي: لا يتفكرون في ذلك أصلًا، وإن نُبِّهوا، لانهماكهم بما يشغلهم من الضلال. والمأوى: المكان يُلجأ إليه من البلاء. وكانوا أي: في الحياة الدنيا، وماتوا على ذلك، من دون إيمان وتوبة. ويكسبون أي: يقترفونه باختيار وقصد وإرادة، من نية أو قول أو فعل. والإيمان: التصديق اليقيني القاطع. وتجري: تسيل وتتدفق. وفي الأصل: «من تحتها». والأنهار: جمع نهر. والجنة: الحديقة العظيمة. والنعيم: طيب العيش. وذكر مايشتهون أطال فيه بعض المفسرين بذكر ألوان الطعام والموائد والشهوات. والأَولى أن الدعوى هنا دعاء لله ونداء للذِّكر لا للاستحضار، بدليل قولهم «اللّهم». فهم يبتهجون بتنزيه الله ويتلذذون، ويتعجبون مما تفضل به عليهم. وسلام أي: سلامة من كل مكروه. وآخر دعواهم أي: خاتمة دعائهم في كل مجلس. والحمد: الثناء بالفضيلة. والعالَم: ما يدل على الجنس من المخلوقات.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. ويعجّل الشر: يوقعه قبل أوانه. والناس: البشر. والخير: ما فيه النفع والسعادة. وقضي: نُفِّذ وانتهى. وللفاعل يريد القراءة «لَقَضَى». ولايرجون لقاءنا: انظر الآية ٧. والطغيان: تجاوز الحد بالعصيان وإنكار البعث. ومسه: أصابه. والإنسان: ابن آدم عامة بالغالبية، وليس مرادًا به الكافر وحده، لأن مايذكر هنا هو الغالب على أكثر الناس. فذكر الكفر هنا غير لازم. ودعانا: استغاث بنا. ولجنبه أي: على أحد أطرافه. وكل حال: يعني أن ذكر الجنب والقعود والقيام يفيد شمول أحوال المواقف. وكشفنا: أزلنا. ومر: استمر على ما هو فيه، من الغفلة والانهماك بمتاع الدنيا. وزُين: جُعل محبَّبًا إلى النفس. والمزيِّن هو اللهُ بما خلق في النفوس، ثم شياطينُ الجن والإنس بما يزخرفون، وشهواتُ النفوس بما تتطلب. والمسرف: من يبذل ما يملك من المال لمطامعه. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

(٣) في هذه الآية وعيد وتهديد للمشركين وكل كافر أو مصرّ على العصيان، وإن كان الظاهر أن الخطاب للمشركين في عهد النبوة. وأهلكنا: دمرنا واستأصلنا. والقرون: جمع قرن. ولما ظلموا أي: حين تجاوزوا الحد. وسقط «بالشرك» من خ. وجاءتهم: أتتهم مرسلة إليهم بالتوحيد والبعث والصلاح. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل لتبليغ الدعوة مع العمل. وفيما عدا الأصل وث وع: «الدالات». وما كانوا ليؤمنوا أي: ماصح لهم وما استقام أن يصدّقوا الله والرسل، لعدم استعدادهم لذلك، ولانهماكهم في الكفر والعصيان بإرادة وعزم. ونجزي: نعاقب بالعذاب الشديد. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. والمجرم: من يقترف الجرائم والكبائر بقصد واختيار. وأشنع ذلك هو الكفر. وجعل: صيّر. وخلائف، أي: مستخلَفين. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومن بعدهم أي: من بعد إهلاكهم. وننظر أي: نعلم علم ظهور، بتحقق ما في نفوسكم، فنعاملكم معاملة من يراقب ويحاسب. وكيف تعملون أي: أيَّ عمل تعملون؟ وانظر الآية ١٢. وتصدقوا أي: وتكونوا مؤمنين طائعين صالحين.

سورة يونس الجزء الحادي عشر

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
(١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

١- ﴿**وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا**﴾: القُرآنُ، ﴿**بيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ، ﴿**قالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا**﴾: لا يخافون البعث: ﴿**ائتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هٰذا**﴾ ليس فيه عيب آلهتنا، ﴿**أو بَدِّلْهُ**﴾ من تِلقاء نفسك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**ما يَكُونُ**﴾: ينبغي ﴿**لِيَ أن أُبدِّلَهُ مِن تِلقاءِ**﴾: قِبَلِ ﴿**نَفسِي. إن**﴾: ما ﴿**أتَّبعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ. إنِّيَ أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي**﴾ بتبديله، ﴿**عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ ١٥ هو يوم القيامة. ﴿**قُلْ: لَو شاءَ اللهُ ما تَلَوتُهُ علَيكُم، ولا أدراكُم**﴾: أَعلَمَكم ﴿**بِهِ**﴾. ولا: نافية، عطفٌ على ما قبله. وفي قراءة بلامٍ جوابَ «لو»، أي: لأعلمكم به على لسان غيري. ﴿**فقَد لَبِثتُ**﴾: مَكَثتُ ﴿**فِيكُم عُمُرًا**﴾ سِنينَ أربعين ﴿**مِن قَبلِهِ**﴾، لا أُحدِّثكم بشيء. ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ١٦ أنه ليس من قِبَلي؟ ﴿**فمَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾ بِنسبة الشريك إليه، ﴿**أو كَذَّبَ بِآياتِهِ**﴾: القُرآنِ؟ ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**لا يُفلِحُ**﴾: يَسعد ﴿**المُجرِمُونَ**﴾ ١٧: المُشركون.

٢- ﴿**ويَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**ما لا يَضُرُّهُم**﴾ - إن لم يعبدوه - ﴿**ولا يَنفَعُهُم**﴾ إن عبدوه، هو الأصنام، ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ عنها: ﴿**هٰؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أتُنَبِّئُونَ اللهَ**﴾: تُخبرونه ﴿**بِما لا يَعلَمُ في السَّماواتِ ولا في الأرضِ**﴾؟ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك لعلمه، إذ لا يخفى عليه شيء. ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له، ﴿**وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ١٨ه معه! ﴿**وما كانَ النّاسُ إلّا أُمَّةً واحِدةً**﴾: على دِينٍ واحد - وهو الإسلام - من لدُن آدمَ إلى نُوح، وقيل: من عهد إبراهيمَ إلى عمرِو بنِ لُحَيّ، ﴿**فاختَلَفُوا**﴾ بأن ثبَتَ بعض وكفر بعض، ﴿**ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ**﴾، بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة، ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ أي: الناسِ في الدنيا، ﴿**فِيما فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ١٩ من الدِّين، بتعذيب الكافرين.

٣- ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ أي: أهل مكّة: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ علَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾، كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد - ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّما الغَيبُ**﴾: ما غاب عن العِباد أي: أمرُه ﴿**لِلّهِ**﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلّا هو، وإنّما عليَّ التبليغ. ﴿**فانتَظِرُوا**﴾ العذاب، إن لم تُؤمنوا. ﴿**إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ**﴾ ٢٠ - **وإذا أذَقنا النّاسَ**﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿**رَحمةً**﴾: مطرًا وخِصبًا، ﴿**مِن بَعدِ ضَرّاءَ**﴾: بُؤس وجدب ﴿**مَسَّتهُم، إذا لَهُم مَكرٌ في آياتِنا**﴾ بالاستهزاء والتكذيب. ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**اللهُ أسرَعُ مَكرًا**﴾: مُجازاةً. ﴿**إنَّ رُسُلَنا**﴾: الحَفَظَةَ ﴿**يَكتُبُونَ ما تَمكُرُونَ**﴾ ٢١، بالتاء والياء.

---

(١) تتلى: ترتل للدعوة والتبليغ. ولايرجون لقاءنا: انظر الآية ٧. وائت به أي: اخترعه واصنعه. انظر «المفصل». وأتبع: أطيع. ويوحى إلي: يُنزل إليّ على لسان جبريل، محاطًا بالحفظ والرعاية، وأُومرُ بتبليغه والإيمان به. وأخاف: أتوقع. وعصيته: خرجت عن طاعته. واليوم: الوقت. والعظيم: الذي لا مثيل له. وشاء أي: أراد ألّا أتلوه. و«لا: نافية» سهو، لأنها زائدة لتوكيد النفي. وبلام يريد القراءة «لَأدراكُم»، أي: لأعلمكم. وفيكم أي: بينكم وفي بلادكم. وفيما عدا الأصل وقرة العينين والمنحة: «سنينًا». وهي لغة لبعض العرب. انظر التصريح على التوضيح ١:٧٦-٧٧. وتعقلون: تتدبرون الوقائع وتستدلون بها على الحق. وافترى: اختلق. وكذّب بها: أنكرها. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وقصد. (٢) يعبدون: يؤلهون بالتقديس والطاعة. ويضرهم: يُلحق بهم الأذى. وينفعهم: يوصل إليهم الخير. والشفعاء: جمع شفيع. وهو الذي ينصر غيره لدفع البلاء وجلب المنفعة. وعند الله أي: في الدنيا ليصلح معاشنا. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وفيما عدا الأصل والنسخ: «إذ لو كان». وتعالى: ترفّع وتبارك وتعظم. ويشرك: يعبد مع الله بعضَ المخلوقات. والأمة: الجماعة يربط بعضها ببعض دين واحد. وعمرو بن لحيّ كان يلي حجابة البيت الحرام، ولما زار بعض بلاد الأردن ورأى فيها عبادة الأصنام نقل ذلك إلى مكة. واختلفوا: تفرقوا في اعتقادات متباينة واختصموا. والكلمة: تقدير القضاء بما يناسب الحكمة البالغة. وسبقت أي: مضت وثبَتت في أم الكتاب. ومنه أي: من حكمه وتقديره. وقُضي بينهم: نُفِّذ فيهم ما يستحقه كل منهم. (٣) أنزل عليه آية أي: أعطي القدرة على معجزة نراها بأعيننا. ومن ربه أي: من عنده. والناقة هي معجزة النبي صالح. والعصا واليد معجزتا موسى. وأمره: يعني أمر الغيب وعلمه وتحقيق ما يتضمنه. ومنه أي: من الغيب. وانتظروا أي: ترقبوا. ومن المنتظرين أي: من المترقبين لِما يفعل الله بكم. وكان أهل مكة قد أصابهم القحط سبع سنين متوالية، لدعاء النبي ﷺ عليهم، فجاءه أبو سفيان قائلًا: ادع لنا بالخصب. فإن أخصبنا صدّقنا. فسأل اللهَ لهم فجاءهم الغيث، واستمروا على الكيد والعصيان، فنزلت الآية تصف أباطيلهم. وأذقناهم أي: يسّرنا لهم. والرحمة: العطف بالنعم. ومن بعدها أي: من بعد نزولها بهم. والضراء: شدة الضرر. ومستهم: لمستهم لمسًا خفيفًا. والمكر: إخفاء الحيل والمكايد مع التضليل والتشويه. والآيات: آيات القرآن والأدلة على التوحيد. خ: «أو التكذيب». وأسرع أي: أعجل تحقيقًا وأنفذ مما يفعلون. والتفضيل في «أسرع» يشير إلى مفاجأة مكرهم للنعم، وأن انتقام الله أعجل من سرعة مكرهم. ومكر الله: مقابلة الخداع والحيل بأدق من ذلك كيدًا وخفاء، بالاستدراج والإمهال، مع تقدير إيصال العقاب في حينه خفية. ورسلنا أي: رسل ربنا، جمع رسول. وهو الملَك المرسل لتسجيل أعمال الناس وأقوالهم. والجمع مضموم السين، سكنت للتخفيف. ويكتب: يسجل ويدون. وتمكرون: تبدون من الكيد والخداع والحيل. وفي كتابة ما يمكرون تحقيق للانتقام، وتنبيه على أن ما يدبرونه مسجل عليهم، وسينالهم جزاؤه بأسرع مما يعتقدون. وبالياء يريد القراءة «يَمكُرُونَ».

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ
ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

١- ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُم**﴾ - وفي قراءة: «يَنشُرُكُم» - ﴿**في البَرِّ والبَحرِ. حَتَّى إذا كُنتُم في الفُلْكِ**﴾: السُّفن، ﴿**وجَرَينَ بِهِم**﴾ - فيه التفات عن الخطاب - ﴿**بِريحٍ طَيِّبةٍ**﴾: ليّنة ﴿**وفَرِحُوا بها، جاءَتها رِيحٌ عاصِفٌ**﴾: شديدةُ الهُبوب تكسِر كُلّ شيء، ﴿**وجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مكانٍ، وظَنُّوا أنَّهُم أُحِيطَ بِهِم**﴾ أي: أهلكوا، ﴿**دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾: الدُّعاء ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**أنجَيتَنا مِن هٰذِهِ**﴾ الأهوالِ ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ**﴾ ٢٢: المُوحّدين. ﴿**فلَمّا أنجاهُم إذا هُم يَبغُونَ في الأرضِ، بِغَيرِ الحَقِّ**﴾: بالشِّرك. ﴿**يا أيُّها النّاسُ، إنَّما بَغيُكُم**﴾: ظُلمكم ﴿**على أنفُسِكُم**﴾ لأنّ إثمه عليها. هو ﴿**مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ تُمتّعون فيها قليلًا، ﴿**ثُمَّ إلَينا مَرجِعُكُم**﴾ بعد الموت، ﴿**فنُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٢٣، فنُجازيكم عليه. وفي قراءة بنصب: «متاعَ» أي: تتمتّعون.

٢- ﴿**إنّما مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ**﴾: مطر، ﴿**أنزَلناهُ مِنَ السَّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ**﴾: بسببه ﴿**نَباتُ الأرضِ**﴾ واشتبك بعضه ببعض، ﴿**مِمّا يأكُلُ النّاسُ**﴾ من البُرّ والشعير وغيرهما ﴿**والأنعامُ**﴾ من الكلأ. ﴿**حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخرُفَها**﴾: بهجتها من النبات، ﴿**وازَّيَّنَتْ**﴾ بالزهر - وأصله «تَزَيَّنَتْ» أُبدلت التاء زايًا وأُدغمت في الزاي - ﴿**وظَنَّ أهلُها أنَّهُم قادِرُونَ علَيها**﴾: مُتمكّنون من تحصيل ثمارها، ﴿**أتاها أمرُنا**﴾: قضاؤنا أي: عذابُنا ﴿**لَيلًا أو نَهارًا، فجَعَلناها**﴾ أي: زرعَها ﴿**حَصِيدًا**﴾ كالمحصود بالمَناجِل، ﴿**كأنْ**﴾ - مُخفّفة - أي: كأنّها ﴿**لَم تَغنَ**﴾: تكنْ ﴿**بالأمسِ. كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ**﴾: نُبيّنُ ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ٢٤.

٣- ﴿**واللهُ يَدعُو إلَى دارِ السَّلامِ**﴾ أي: السلامة - وهي الجنّة - بالدعاء إلى الإيمان، ﴿**ويَهدِي مَن يَشاءُ**﴾ هِدايتَه ﴿**إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾ ٢٥: دِين

---

(١) يسيّركم: يجعلكم في البر راكبين ومشاة، وفي البحر راكبين وسابحين. وينشركم: يفرّقكم لقضاء حوائجكم. وكنتم أي: صار بعضكم. والفلك: مفرده فُلْك أيضًا. وجرين: اندفعن. والريح: الدفعة من الهواء المتحرك. والطيبة: المواتية للقصد والمنافع. وفرحوا: سُرّوا. وجاءتها أي: توجهت إلى الفلك وضربتها. وجاءهم أي: أقبل عليهم بقوة. والموج: ما ارتفع من الماء وتدافع. والمكان: الجهة. وظنوا: علموا بيقين. وأحيط بهم أي: أحاط بهم الهلاك. ودعوا الله: استغاثوا به. ومخلصين: متجردين من كل شرك ونفاق. و«لام قسم» الصواب أنها اللام الموطئة لجواب القسم، وهي حرف اعتراض أيضًا. والتقدير: واللهِ - لئن أنجيتنا نكنْ من الشاكرين - لنكوننّ منهم. وأنجيتنا: أنقذتنا. ويبغون: يفسدون ويؤذون. والحق: العدل الثابت. و«بالشرك» تفسير لـ «بغير حق». والناس: أهل مكة. ويشمل أيضًا كل ظالم كافر بنعم الله. والمراد بالإثم هنا عقاب الذنب. والمتاع: ما يُنتفع به ويُتمتع. وإلينا أي: إلى لقاء موعدنا بعد الموت. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. وننبئ: نخبر ونعلم. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل.

(٢) المَثل: الصفة العجيبة تذكر للوعظ والاعتبار. وكماء أي: كنبات ماء. وأنزلناه: أسقطناه وخلقناه. والسماء: السحاب. واختلط: تداخل بعضه في بعض. وبسببه أي: بسبب الماء. والنبات: ما ينبت من شجر وغيره. ويأكل أي: يتغذى به طعامًا أو شرابًا. والبر: القمح. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. وأخذت: استكملت. وازينت: اكتست وتجملت بأنواع الألوان والإشكال والروائح الطيبة. وظن: حسب وعلم. وأهلها: أصحابها. وأتاها: أصابها. وفي الأصل والنسختين: «قضاؤنا عذابنا». وفي المطبوعات: «قضاؤنا أو عذابنا». وهما تفسيران للأمر، الأول من التلخيص، والثاني من الوجيز. وفي بعض النسخ: «قضاؤنا وعذابنا». انظر الفتوحات ٢:٣٤٢. والليل: ما بين غروب الشمس وشروقها. والنهار: عكسه. وجعلنا: صيّرنا. والمناجل: جمع مِنجَل. و«تكن» كذا من البغوي وابن كثير. والمراد: لم يكن زرعها، أي: لم ينبت ولم يحصل منه شيء. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مَقامه، كما في قوله «فجعلناها». وبالأمس أي: فيما قبلَ مجيء أمرنا بزمن قريب. والآيات: آيات القرآن والأدلة الموجبة للإيمان والتوحيد. والقوم: الجماعة من الناس ذكورًا وإناثًا. ويتفكرون: يتدبرون الأدلة ويدركون ما تثبته وتوجبه، فيتعظون فينصرفون عن الباطل إلى الإيمان والطاعة.

(٣) يدعو: يحث الناس جميعًا ويرغبهم. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. ويهدي: يرشد ويوفق برحمته وفضله. ويشاء: يريد. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المؤدي إلى الحق والخير في الدنيا والآخرة. وأحسنوا أي: جعلوا مايكتسبونه خالصًا لوجه الله في النية والقول والعمل. وزيادة أي: مضاعفة وإضافات على الحسنى. و«مسلم» يعني الحديثين ٢٩٧ و٢٩٨ في ص ١٦٣ من صحيح مسلم. وزعم الزمخشري في الكشاف ٢:٣٤٢ أن الحديث مرقوع، أي: مرقَّع مفترى، فتعقبه العلماء واصفين له بالجهل والافتراء. والوجوه: جمع وجه. وإنما كني بها عن الأجسام كلها، لأن أثر السرور والحزن أظهر ما يكون على الوجوه. والذلة: الهوان. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لايفارقه. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. والخالد: المقيم أبدًا. والنفي هنا يفيد أن الوجوه تطفح بنضرة النعيم والعزة والكرامة، لأن نفي الشيء يدل على عكسه مؤكدًا. وعملوا أي: تحملوا باختيار وقصد. والسيئة: المعصية الشنيعة. والجزاء: المكافأة والعقاب. والمثل: المماثل في القدر والقيمة. ومن الله أي: من جهته وعنده. يعني: من غضبه وعذابه. وزائدة: يعني أن «مِن»: حرف جر زائد معناه التنصيص على عموم النفي. والقِطَع: جمع قِطْعة. وبإسكانها يريد القراءة «قِطْعًا»، وفسرها بقوله: أي جزءًا. أما القراءة الأولى فتفسيرها: أجزاء. والليل: ما بين غروب الشمس والفجر. والمراد بالليل هو ظلمته. والمظلم: الشديد السواد. والنار: نار جهنم.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ
الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

الإسلام. ﴿**لِلَّذِينَ أحسَنُوا**﴾ بالإيمان ﴿**الحُسنَى**﴾: الجنّةُ، ﴿**وزيادةٌ**﴾ هي النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم، ﴿**ولا يرهَقُ**﴾: يغشَى ﴿**وُجُوهَهُم قَترٌ**﴾: سواد، ﴿**ولا ذِلّةٌ**﴾: كآبة - ﴿**أُولٰئِكَ أصحابُ الجنّةِ، هُم فِيها خالِدُون**﴾ ٢٦ - ﴿**والّذِينَ**﴾: عطف على «للّذِينَ أحسَنُوا» أي: وللذين ﴿**كَسَبُوا السَّيِّئاتِ**﴾: عملوا الشِّرك ﴿**جَزاءُ سَيِّئةٍ بِمِثلِها، وترهَقُهُم ذِلّةٌ، مالَهُم مِنَ اللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**عاصِمٍ**﴾: مانع، ﴿**كأنّما أُغشِيَتْ**﴾: أُلبِستْ ﴿**وُجُوهُهُم قِطَعًا**﴾، بفتح الطاء: جمع قطعة، وإسكانها أي: جُزءًا ﴿**مِنَ اللَّيلِ مُظلِمًا. أُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢٧.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يومَ نَحشُرُهُم**﴾ أي: الخلقَ ﴿**جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلّذِينَ أشرَكُوا: مَكانَكُم**﴾ - نصبٌ بـ «الزموا» مُقدّرًا - ﴿**أنتُم**﴾: تأكيد للضمير المُستتر في الفعل المُقدّر، ليُعطف عليه ﴿**وشُرَكاؤُكُم**﴾ أي: الأصنامُ. ﴿**فزَيَّلْنا**﴾: ميّزنا ﴿**بَينَهُم**﴾ وبين المُؤمنين، كما في آيةِ «وامتازُوا اليومَ، أيُّها المُجرِمُونَ». ﴿**وقالَ**﴾ لهم ﴿**شُرَكاؤُهُم: ما كُنتُم إيّانا تعبُدُونَ**﴾ ٢٨ ما: نافية. وقُدّم المفعول للفاصلة. ﴿**فكَفَى باللهِ شَهِيدًا بَينَنا وبَينَكُم! إنْ**﴾: مُخفّفة أي: إنّا ﴿**كُنّا عَن عِبادَتِكُم لَغافِلِينَ**﴾ ٢٩. ﴿**هُنالِكَ**﴾ أي: ذلك اليومَ ﴿**تبلُو**﴾ - مِن البلوَى. وفي قراءة بتاءين من التلاوة - ﴿**كُلُّ نَفسٍ ما أسلَفَتْ**﴾: قدّمتْ من العمل، ﴿**ورُدُّوا إلَى اللهِ مَولاهُمُ الحَقِّ**﴾: الثابت الدائم، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ٣٠ عليه من الشُّركاء.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ**﴾ بالمطر ﴿**والأرضِ**﴾ بالنبات؟ ﴿**أم مَن يَملِكُ السَّمعَ**﴾ بمعنى الأسماع أي: خَلْقَها ﴿**والأبصارَ؟ ومَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، ويُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ؟ ومَن يُدَبِّرُ الأمرَ**﴾ بين الخلائق؟ ﴿**فسَيَقُولُونَ**﴾: هو ﴿**اللهُ. فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**أفَلا تَتَّقُونَ**﴾ ٣١ـه فتُؤمنون؟ ﴿**فذٰلِكُمُ**﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿**اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ**﴾: الثابت. ﴿**فماذا بَعدَ الحَقِّ إلّا الضَّلالُ**﴾؟ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره. فمن أخطأ الحقّ - وهو عبادة الله - وقع في الضلال. ﴿**فأنَّى**﴾: كيف ﴿**تُصرَفُونَ**﴾ ٣٢ عن الإيمان، مع قِيام البرهان؟ ﴿**كذٰلِكَ**﴾: كما صُرف هؤلاء عن الإيمان، ﴿**حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ عَلَى الّذِينَ فَسَقُوا**﴾: كفروا، وهي «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، أو هي ﴿**أنَّهُم لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٣٣.

---

(١) اليوم: الوقت. ونحشرهم: نجمعهم بالبعث للحساب. ونقول أي: على لسان ملائكة العذاب. وأشركوا: ألّهوا بعض المخلوقات. و«المستتر» كذا، والضمير في المقدر ظاهر متصل لا مستتر. وعبارة السيوطي هي من البيضاوي بتصرف أخلّ بالمراد، وفيه: «للضمير المنتقل إليه من عامله». وهذا يعني أن «مكان»: مفعول به للفعل المقدر، كما هو قول الحوفي. وخير من هذا أن مكانكم: اسمُ فعلِ أمرٍ مبني على السكون معناه: اثبتوا، والفاعل ضمير مستتر، وأنتم: توكيد لفظي للفاعل المستتر. وشركاء: معطوف على الفاعل مرفوع ومضاف. انظر الكشاف ٢:٣٤٣ والبحر ٥:١٥٢ والدر المصون ٦:١٨٩-١٩٠ وتفسير الآلوسي ١١:١٥٤-١٥٥. والشركاء: جمع شريك. وهو ما جعله الكافرون مشاركًا في الألوهية. وذكر الأصنام يعني أيضًا: كل ما عبد من دون الله. وميزنا: فرّقنا. والآية المذكورة هي ذات الرقم ٥٩ من سورة يس. والمراد بما نفاه الشركاء: أن المشركين كانوا في الحقيقة يعبدون أهواءهم وشهواتهم التي أمرتهم بالشرك. وللفاصلة أي: ليوافق آخر الآية في اللفظ سائر الآيات من السورة. والشهيد: من الشهادة. وهي الخبر القاطع للخلاف. والعبادة: الطاعة والانقياد. والغافل: الساهي عن الشيء لا يعلمه. والبلوى: الاختبار، أي: تَخبُر وتعلم. وبتاءين يريد القراءة «تَتلُو» أي: تقرأ في صحائف أعمالها. وردوا: أُعيد المشركون وأُرجعوا، بعدما كانوا منصرفين إلى شهواتهم. وإلى الله: إلى حسابه وعقابه. والمولى: من يتولى أمورهم ويجازيهم. ويفترون: يدّعونه.

(٢) يرزقكم: يقدّر لكم ما تنتفعون به. والسماء: السحاب. ويملكه أي: يحوزه ويتصرف فيه. وخلقها أي: وتسويتَها وحفظَها والتصرفَ فيها. والأبصار: جمع بصر. ويخرجه: يخلقه، أي: الكائنَ الحي من النطفةِ والبيضةِ - وكل منهما غير قادرة على النمو - والكائنَ الميت من الكائن الحي. والمعنى: من يتفرد بالقدرة على الإحياء والإماتة؟ ويدبر الأمر: يتولى تقدير الشؤون بحكمة ورحمة. وتتقونه أي: تتجنبون غضبه وتلزمون طاعته. والثابت أي: الصادق في ربوبيته. والحقّ: التوحيد في عبادة الله. والضلال: الضياع في الباطل. وبعد الحق أي: غيره. والتقرير: التثبيت بالنفي. وتصرفون: تنحرف قلوبكم. وحقت: وجبتْ. والكلمة: القول. وهو الحكم بعذاب المصرّين على الكفر. وفسق: خرج عن الإيمان. و«هي» ضمير يعود على الكلمة، وذكر لها السيوطي تفسيرين: الأول هو مافي الآية المشار إليها - يعني الآيات ١٨ من سورة الأعراف و١١٩من سورة هود و١٣ من سورة السجدة و٨٥ من سورة ص - والثاني هو نهاية هذه الآية. ولا يؤمنون أي: لا يصدّقون الله ورسوله، لأنهم اختاروا الكفر بإرادة وعزم.

الجزء الحادي عشر — سورة يونس

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا۟ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

١- ﴿**قُلْ**: **هَل مِن شُرَكائكم مَن يَبدَأُ الخلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ**؟ **قُلِ**: **اللهُ يَبدَأُ الخلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ**. **فأنّى تُؤفَكونَ**﴾ ٣٤: تُصرفون عن عِبادته، مع قيام الدليل؟ ﴿**قُلْ**: **هَل مِن شُركائكم مَن يَهدِي إلى الحقِّ**﴾ بنصب الحُجج وخلقِ الاهتداء؟ ﴿**قُلِ**: **اللهُ يَهدِي لِلحَقِّ**. **أفمَن يَهدِي إلى الحقِّ**﴾ - وهو الله - ﴿**أَحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ أم مَنْ لا يَهَدِّي**﴾: يهتدي ﴿**إلّا أن يُهدَى**﴾ أحقُّ أن يُتّبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ. أي: الأولُ أحقّ. ﴿**فما لَكُم**؟ **كَيفَ تَحكُمُونَ**﴾ ٣٥ هذا الحُكمَ الفاسد، من اتّباع ما لا يحقّ اتّباعه؟ ﴿**وما يَتَّبِـعُ أكثَرُهُم**﴾ في عِبادة الأصنام ﴿**إلّا ظَنًّا**﴾، حيثُ قلّدوا فيه آباءهم. ﴿**إنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئًا**﴾، فيما المطلوبُ منه العِلمُ! ﴿**إنَّ اللهَ عَليمٌ بِما يَفعَلُونَ**﴾ ٣٦، فيُجازيهم عليه.

٢- ﴿**وما كانَ هٰذا القُرآنُ أن يُفتَرَى**﴾ أي: افتراءً ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه، ﴿**ولٰكِنْ**﴾ أُنزل ﴿**تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ**﴾ من الكُتب، ﴿**وتَفصِيلَ الكِتابِ**﴾: تبيينَ ما كتب الله من الأحكام وغيرها، ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيهِ، مِن رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ٣٧: متعلق بـ «تصديق» أو بـ «أُنزل» المحذوف. وقُرئ برفع «تَصديقُ، وتَفصيلُ» بتقدير: هو.

٣- ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَقُولُونَ**: **افتَراهُ**﴾: اختلقه مُحمّد؟ ﴿**قُلْ**: **فائتُوا بِسُورةٍ مِثلِهِ**﴾، في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء - فإنكم عربيّون فُصحاء مثلي - ﴿**وادعُوا**﴾ للإعانة عليه ﴿**مَنِ استَطَعتُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٣٨ في أنه افتراء. فلم يقدروا على ذلك. قال تعالى: ﴿**بَل كَذَّبُوا بِما لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ولم يتدبّروه، ﴿**ولَمّا**﴾: لم ﴿**يأتِهِم تأوِيلُهُ**﴾: عاقبة ما فيه من الوعيد. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ التكذيبِ ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ رُسلَهم. ﴿**فانظُرْ**: **كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ**﴾ ٣٩ بتكذيب الرسل أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فكذلك يَهلِك هؤلاء.

٤- ﴿**ومِنهُم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**مَن يُؤمِنُ بِهِ**﴾ لعِلم الله ذلك منه، ﴿**ومِنهُم مَن لا يُؤمِنُ بِهِ**﴾ أبدًا - ﴿**ورَبُّكَ أعلَمُ بِالمُفسِدِينَ**﴾ ٤٠. تهديد لهم. ﴿**وإن كَذَّبُوكَ فَقُلْ**﴾ لهم: ﴿**لي عَمَلِي ولَكُم عَمَلُكُم**﴾ أي: لُكلٍّ جزاءُ عمله، ﴿**أنتُم بَرِيئُونَ مِمّا أعمَلُ، وأنا بَرِيءٌ مِمّا تَعمَلُونَ**﴾ ٤١. وهذا منسوخ بآية السيف - ﴿**ومِنهُم مَن يَستَمِعُونَ إلَيكَ**﴾، إذا قرأتَ القرآن. ﴿**أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ**﴾ - شبّههم بهم في عدم الانتفاع بما يُتلى عليهم - ﴿**ولَو كانُوا**﴾ مع الصَّمم ﴿**لا يَعقِلُونَ**﴾ ٤٢: يتدبّرون؟ ﴿**ومِنهُم مَن يَنظُرُ إلَيكَ. أفأنتَ تَهدِي العُميَ، ولَو كانُوا لا يُبصِرُونَ**﴾ ٤٣؟ شبّههم بهم في عدم الاهتداء. بل أعظَمُ «فإنّها لا تَعمَى الأبصارُ، ولكِنْ تَعمَى القُلُوبُ الّتي في الصُّدُورِ».

---

(١) شركاؤكم أي: المخلوقات التي جعلتموها شركاء لله، تقديسًا وطاعة. ويبدأ الخلق: ينشئ المخلوقات من العدم. ويعيده: يرد المخلوقات الميتة إلى الحياة بالبعث. وأنى: كيف. والحق: الصواب من الاعتقاد والعمل. وخلقِ الاهتداء أي: التوفيق للنظر والتدبر والاتعاظ. وقوله «هو الله» يفسر «مَن» المتصلة بالفاء، أي: الله الذي يهدي إلى الحق. يعني: يرشد من صلَح استعداده وضميره، ويوفقه في الرشاد. وأحق أي: حقيق وجدير. ويتبع: يطاع ويعبد. ويَهَدّي: يسترشد ويتحرك. ث و ط: «يَهِدِّي». ويُهدَى: يحرَّك، كما هو شأن الأصنام. وتحكمون: تُشرّعون الأحكام وتعملون بها. ويتّبعه: يهتدي به. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات المعبودة. والظن: التخيل الوهمي. ويغني: ينفع. والحق: العلم الثابت. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة بدقائق الأمور وخفياتها. ويفعلون: يكتسبونه من النيات والأقوال والأعمال القبيحة والتوجه الشنيع.

(٢) يفترى: يصطنع، أي: لا يصح لهذا الكتاب الكريم أن يفتعله مخلوق. والتصديق: الموافقة والتوثيق. وبين يديه أي: ما كان قبله فيما مضى. والكتاب: المكتوب. وكتب الله أي: أمر بكتبه. ومن رب العالمين أي: من عنده وبأمره. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق.

(٣) ائتوا بسورة أي: اصنعوها وأحضروها. والسورة: المجموعة من الآيات أقلها ثلاث. والمثل: المماثل لغيره في الكيفية والحقيقة. وادعوه: استعينوا به. واستطعتم أي: قدرتم على الاستعانة به. والصادق: من يقول الحق. وعلى ذلك أي: على شيء يماثل القرآن الكريم. وكذبوا به: أنكروا أن يكون وحيًا من عند الله. ولم يحيطوا بعلمه أي: لم يتدبروا ما يتضمنه من الحق. و«القرآن» تفسير لـ «ما»، أي: سارَعوا إلى تكذيبه، من غير أن يطلعوا على ما فيه من الشواهد والأدلة القاطعة. ولما يأتهم أي: لم ينزل بهم، وهو متوقع قريبًا. وتأويله: وقوع ما يتضمنه. وانظر: تأمل واعتبر. والظالم: من يتجاوز الحق. وهو هنا الكافر لأن الكفر أشنع صور الظلم. و«آخر أمرهم» تفسير للعاقبة. ويهلك هؤلاء أي: إن استمروا على التكذيب والعصيان.

(٤) يؤمن به أي: سيعتقد صدق القرآن. ولايؤمن: يصرّ على الكفر. وأعلم أي: محيط بالحقائق الخفية. والمفسدون: المصرون على الكفر. وكذبوك أي: تمادَوا في تكذيبك. والبريء: المتبرئ. وهذا: يعني أن حكم المسالمة منسوخ بالآيات ١-١٥ من سورة التوبة. انظر «المفصل». ويستمعون: يصغون ويدّعون أنهم يدركون. وتُسمع الصم أي: تقدر على الهداية لمن لايدرك. والصم: جمع أصم. ويعقل: يفهم بالتفكر الواعي. وتهدي: ترشد إلى الحق. والعمي: جمع أعمى، أي: من عطل بصيرته. ولايبصر: لايدرك حقيقة ما يرى لفقد التنبه والبصيرة. وانظر آخر الآية ٤٦ من سورة الحج.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع الحزب ٢٢

١- ﴿إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا! ولٰكِنَّ النّاسَ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ ٤٤. ﴿ويومَ يَحشُرُهُم كأنْ﴾ أي: كأنّهم ﴿لَم يَلبَثُوا﴾، في الدنيا أو القُبور، ﴿إلّا ساعةً مِنَ النَّهارِ﴾ لهول ما رأوا - وجملة التشبيه حال من الضمير - ﴿يَتعارَفُونَ بَينَهُم﴾: يعرف بعضهم بعضًا إذا بُعثوا، ثم ينقطع التعارف لِشِدّة الأهوال. والجملة حالٌ مقدرة، أو مُتعلَّقُ الظرف. ﴿قد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ﴾: بالبعث، ﴿وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾ ٤٥!

٢- ﴿وإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾ به من العذاب، في حياتك - وجواب الشرط محذوف أي: فذاك - ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم، ﴿فإلَينا مَرجِعُهُم، ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾: مُطّلع ﴿عَلى ما يَفعَلُونَ﴾ ٤٦ من تكذيبهم وكُفرهم، فيُعذّبهم أشدّ العذاب، ﴿ولِكُلِّ أُمّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ. فإذا جاءَ رَسُولُهُم﴾ إليهم فكذّبوه ﴿قُضِيَ بَينَهُم بالقِسطِ﴾: بالعدل، فيُعذّبون ويُنجّى الرسول ومَن صدّقه، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ ٤٧ بتعذيبهم بغير جُرم. فكذلك نفعل بهؤلاء.

٣- ﴿ويَقُولُونَ: مَتى هٰذا الوَعدُ﴾ بالعذاب، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ٤٨ فيه؟ ﴿قُل: لا أملِكُ لِنَفسِي ضَرًّا﴾ أدفعه، ﴿ولا نَفعًا﴾ أجلِبُه، ﴿إلّا ما شاءَ اللهُ﴾ أن يُقدّرني عليه. فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمّةٍ أجَلٌ﴾: مُدّة معلومة لهلاكهم، ﴿إذا جاءَ أجَلُهُم فلا يَستأخِرُونَ﴾: يتأخّرون عنه ﴿ساعةً، ولا يَستَقدِمُونَ﴾ ٤٩ يتقدّمون عليه. ﴿قُل: أرَأيتُم﴾: أخبِروني، ﴿إن أتاكُم عَذابُهُ﴾ أي: اللهِ ﴿بَياتًا﴾: ليلًا ﴿أو نَهارًا، ماذا﴾: أيُّ شيء ﴿يَستَعجِلُ مِنهُ﴾ أي: العذابِ ﴿المُجرِمُونَ﴾ ٥٠: المُشركون؟ فيه وضع الظاهر موضع المُضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط، كقولك: إنْ أتيتُكَ ماذا تُعطيني؟ والمُراد به التهويل أي: ما أعظَمَ ما استعجلوه! ﴿أثُمَّ إذا ما وَقَعَ﴾: حلّ بكم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي: اللهِ، أو العذابِ عند نزوله؟ والهمزة لإنكار التأخير. فلا يُقبل منكم، ويقال لكم: ﴿آلآنَ﴾ تُؤمنون، ﴿وقَد كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ﴾ ٥١ استهزاءً؟ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: ذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه. ﴿هَل﴾: ما ﴿تُجزَونَ إلّا﴾ جزاءَ ﴿بِما كُنتُم تَكسِبُونَ﴾ ٥٢؟

٤- ﴿ويَستَنبِئُونَكَ﴾: يستخبرونك: ﴿أحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قُلْ: إيْ﴾: نَعَمْ ﴿ورَبِّي إنَّهُ لَحَقٌّ، وما أنتُم

---

(١) لا يظلمهم: لاينقصهم مما قدموا. والناس: البشر. ويظلمون أنفسهم أي: يسببون لها الهلاك. واليوم: الوقت. ويحشرهم: يبعثهم للحساب والجزاء. ولم يلبثوا أي: لم يقيموا. والساعة: المدة القصيرة. وفي الأصل: «من نهارٍ لعظم». و«كأنْ» هنا معناها توكيد الظن لا التشبه، إذ المراد أن المحشورين هنا يَظنون ظنًا ولا يشبّهون. ومتعلق الظرف: يعني أن «يوم» متعلق بالفعل: يتعارف. وخسر: ضيع ماكان ينتظر من الربح. وكذّب به أي: أنكره ولم يصدقه. ولقاء الله: المصير إلى بعثِه الموتى والحسابِ. والمهتدي: المسترشد إلى الحق والخير.

(٢) زيادة «ما» لتوكيد الشرط. ونرينك أي: نبصّرنك عِيانًا. ونعدهم: نتوعدهم به. وحذف الجواب مردود، لأن جواب الشرطين سيكون بعد. ونتوفاك: نستوفي روحك الشريفة. وإلينا أي: إلى لقاء موعدنا لهم بالبعث. والمرجع: المصير للحساب والجزاء. والترديد في الشرط يعني التعميم، أي: مهما كان من رؤيتك بعضَ عذابهم أو توفِّيك قبلُ فنحن نريك عذابهم العظيم يوم القيامة. والأمة: الجماعة من الناس. وجاء: أرسل بالتوحيد والشرع. وكذبوه أي: كذبه بعضهم وآمن به البعض. وقضي: حُكم ونُفِّذ. وبينهم أي: بين الرسول ومن أرسل إليهم. ولايظلمون: لايجار عليهم.

(٣) يقولون أي: قال مشركو قريش ومن تابعهم ، حين تلي عليهم: «وإما نرينك» الآية، انظر «المفصل». يعني: عجّل تحقيق ما تعدنا. ولا أملك أي: ليس باستطاعتي. والضر: ما يؤلم ويؤذي. والنفع: ما يسر ويسعد في الدنيا والآخرة. وشاء: أراد وقدّر. ولكل أمة أجل أي: إن عذابكم له وقت محدد أيضًا عند الله. وجاء: حان. وفي الأصل: «فإذا جاء». والساعة: المدة اليسيرة. وفي نفي التقدم بعد نفي التأخر مبالغة، لأنه إذا كان التأخر محالًا فقد ثبَتَ أن التقدم نهاية في الاستحالة، وإن أمكن في نفسه قبل. وأتاكم: أصابكم. والعذاب: التعذيب. والبيات: قضاء الليل في غفلة الناس. والمراد: وقتَ البيات. والنهار: وقت الانشغال بالمصالح. ويستعجله: يطلب تعجيل وقوعه. والمجرم: الذي يقترف الإجرام باختيار وقصد. وآمنتم به أي: تيقنتم أنه حق. ولإنكار التأخير يعني: لإنكار تأخير إيمانهم إلى ما بعد وقوع العذاب. والآن: الوقت الحاصل فيه الإيمان. وظلموا أي: كفروا. وذوقوا أي: تناولوا وقاسوا. والخلد: البقاء الأبدي. وتجزون: تعاقبون. وتكسبون أي: تجلبونه لأنفسكم بالاختيار والإرادة.

(٤) الحق: الثابت الواقع لامحالة. انظر «المفصل». وربي أي: أقسمُ بربي. والمعجز: الذي لا يقدر عليه أحد. وفائتين العذاب أي: هاربين منه أو ناجين. والنفس: الإنسان المكلف. وظلمت: وضعت الكفر موضع الإيمان. وفيما عدا الأصل والنسخ: «جميعًا من الأموال». وافتدت به: بذلته لتنجو. ورأوا: عاينوا حقيقة. والعذاب أي: ما سيكون في النار من التعذيب. وأخفاها رؤساؤهم: تفسير لـ «أسروا». يعني: الندامة. وهي الأسفُ للذنب وكرهُه. وقضي: فُصل. ويظلم: يجار عليه بنقص حسناته أو زيادة سيئاته.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

بِمُعجِزينَ﴾ ٥٣: بفائتينَ العذابَ، **﴿ولو أنَّ لِكُلِّ نفسٍ ظَلَمَتْ﴾**: كفرتْ **﴿ما في الأرضِ﴾**، من الأموال، **﴿لَافتدَتْ بِهِ﴾** من العذاب يوم القيامة، **﴿وأسَرُّوا النَّدامةَ﴾** على ترك الإيمان، **﴿لَمّا رأوُا العَذابَ﴾** أي: أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافةَ التعيير، **﴿وقُضِيَ بَينَهُم﴾**: بين الخلائق **﴿بِالقِسطِ﴾**: بالعدل، **﴿وهُم لا يُظلَمونَ﴾** ٥٤ شيئًا!

١ - **﴿ألا إنَّ للهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ. ألا إنَّ وَعدَ اللهِ﴾** بالبعث والجزاء **﴿حَقٌّ﴾**: ثابت، **﴿ولٰكِنَّ أكثرَهُم﴾** أي: الناس **﴿لا يَعلَمونَ﴾** ٥٥ ذلك. **﴿هُوَ يُحيي ويُميتُ، وإليهِ تُرجَعُونَ﴾** ٥٦ في الآخِرة، فيُجازيكم بأعمالكم. **﴿يا أيُّها النّاسُ﴾** أي: أهلَ مكّة، **﴿قد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم﴾**: كتابٌ فيه مالكم وعليكم - وهو القُرآن - **﴿وشِفاءٌ﴾**: دواء **﴿لِما في الصُّدورِ﴾** من العقائد الفاسدة والشكوك، **﴿وهُدًى﴾** من الضلال، **﴿ورَحمةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾** ٥٧ به. **﴿قُلْ: بِفَضلِ اللهِ﴾**: الإسلام **﴿وبِرَحمتِهِ﴾**: القرآنِ، **﴿فبِذٰلِكَ﴾** الفضل والرحمة **﴿فلْيَفرَحُوا. هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ﴾** ٥٨ من الدنيا، بالياء والتاء.

٢ - **﴿قُلْ: أرَأيتُم﴾**: أخبروني **﴿ما أنزَلَ اللهُ﴾**: خلقَ **﴿لَكُم مِن رِزقٍ، فجَعَلتُم مِنهُ حَرامًا وحَلالًا﴾** كالبَحيرة والسائبة والميتة؟ **﴿قُلْ: آللهُ أذِنَ لَكُم﴾** في ذلك التحريم والتحليل؟ لا. **﴿أم﴾**: بل **﴿علَى اللهِ تَفتَرُونَ﴾** ٥٩: تكذبون بنسبة ذلك إليه؟ **﴿وما ظَنُّ الَّذينَ يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ﴾** أي: أيُّ شيء ظنّهم به، **﴿يَومَ القِيامةِ﴾**؟ أيحسبون أنه لا يُعاقبهم؟ لا. **﴿إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ﴾** بإمهالهم والإنعام عليهم، **﴿ولٰكِنَّ أكثرَهُم لا يَشكُرُونَ﴾** ٦٠.

٣ - **﴿وما تَكُونُ﴾** - يا مُحمّد - **﴿في شأنٍ﴾**: أمر، **﴿وما تَتلُو مِنهُ﴾** أي: من الشأنِ، أو اللهِ **﴿مِن قُرآنٍ﴾** أنزله عليك، **﴿ولا تَعمَلُونَ﴾** - خاطبَهُ وأُمّتَه - **﴿مِن عَمَلٍ، إلّا كُنّا عَلَيكُم شُهُودًا﴾**: رُقباءَ، **﴿إذ تُفِيضُونَ﴾**: تأخذون **﴿فيهِ﴾** أي: العمل، **﴿وما يَعزُبُ﴾**: يغيب **﴿عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ﴾**: وزنِ **﴿ذَرّةٍ﴾**: أصغرِ نملةٍ، **﴿في الأرضِ ولا في السَّماءِ، ولا أصغَرَ مِن ذٰلِكَ ولا أكبَرَ إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ﴾** ٦١: بيِّنٍ، هو اللوح المحفوظ. **﴿ألا إنَّ أولِياءَ اللهِ لا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾** ٦٢ في الآخِرة. هم **﴿الَّذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾** ٦٣ اللهَ بامتثال أمره ونهيه، **﴿لَهُمُ البُشرَى في**

(١) ما في السماوت والأرض أي: وما بينهما وما في الكون كله من الخلق. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والوعد: التعهد بما سيكون. ولايعلم: لايعرف. ويحيي ويميت أي: يخلق الحياةَ في الأموات والموتَ في الأحياء. وإليه أي: إلى لقاء موعده. وترجعون :تصيرون بالبعث للحساب والجزاء. وأهل مكة: الصواب أن جميع البشر مخاطب بهذا. وجاءتكم: وصلت إليكم. والموعظة: الإرشاد إلى ما ينفع من الأعمال. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب وما يعيه. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف والرفق للإنقاذ من الضلال. والفضل: التفضل بزيادة الخير. ويفرح: يَسعد. و«هو» أي: ما أشير إليه بـ «ذلك». وخير أي: أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. ويجمعون أي: يحصّلونه ويتملكونه. وبالتاء يريد القراءة «تَجمَعُونَ». والخطاب للناس جميعًا.

(٢) قل أي: للمشركين. والرزق: ما ييسَّر للإنسان من متاع الدنيا وزينتها. وجعلتم أي: حكمتم عليه. والحرام: المحرَّم. والحلال: المحلَّل. والبحيرة والسائبة وردتا في الآية ١٠٣ من سورة المائدة. وأذن لكم أي: أعلمكم. والظن: التوهم والتخيل. وتفترون أي :تصطنعون. والكذب: ماليس له أصل في الواقع. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب. وذو فضل أي: صاحب الإحسان بزيادة النعم، مختص به دون غيره. ويشكر: يستحضر النعم ويثني على معطيها بالقلب واللسان والعمل.

(٣) الشأن: الشيء المقصود. وتتلو: تقرأ. وقوله «أو الله» تفسير آخر للضمير في «منه». يعني: من عند الله. وتعملون: تفعلون من نية أو قول أو علاج. والشهود: جمع شاهد. و«العمل» أي: والشأن والتلاوة. انظر «المفصل». وعن ربك أي: عن علمه. والذرة: أصغر جزء مما يكوّن المادة. وفي الأرض والسماء أي: وفي الوجود كله والإمكان أيضًا. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والكتاب: السِّجِلّ. واللوح المحفوظ سجلّ، فيه ما كان وما سيكون في الدنيا والآخرة من محتم ومحتمل، وقد يطلع عليه بعض الملائكة والأنبياء، بخلاف ما في أم الكتاب، لايطلع عليه مخلوق. والأولياء مفرده وليّ. وهو الذي يتقرب إلى الله بالطاعة، ويتقرب إليه الله بالرحمة والإكرام. ولاخوف عليهم أي: لايعتريهم ما يوجب الفزع مما سيكون. ويحزن: يغتم لما مضى. ويتقونه: يتجنبون غضبه ويلتزمون طاعته ورضاه. و«بالجنة والثواب» كذا. والجر بالباء ورد في المستدرك ٤:٣٩١ من دون تفسير ما في الآخرة. وانظر «المفصل» أيضًا. والتبديل: التغيير. والكلمات: الأحكام والمواعيد. وهي مما تضمنه سِجِلّ أُمّ الكتاب. والمذكور أي: كون البشرى لهم. والفوز: الظفر بالخير والسعادة. والعظيم: الذي لا مثيل له.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠

الحَياةِ الدُّنيا﴾ - فُسّرتْ في حديث صحّحه الحاكم، بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له - **﴿وفي الآخِرةِ﴾** بالجنّة والثواب. **﴿لا تَبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾**: لا خُلف لمواعيده. **﴿ذٰلِكَ﴾** المذكور **﴿هُوَ الفوزُ العَظِيمُ﴾** ٦٤.

١- **﴿ولا يَحزُنْكَ قَولُهُم﴾** لك: لستَ مُرسَلًا، وغيرَه. **﴿إنَّ﴾** - استئناف - **﴿العِزّةَ﴾**: القُوّة **﴿لِلهِ جَمِيعًا. هُوَ السَّمِيعُ﴾** للقول **﴿العَلِيمُ﴾** ٦٥ بالفعل، فيُجازيهم وينصرك. **﴿ألا إنَّ لِلهِ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ﴾**، عبيدًا ومُلكًا وخلقًا، **﴿وما يَتَّبعُ الَّذِينَ يَدعُونَ﴾**: يعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه أصنامًا **﴿شُرَكاءَ﴾** له على الحقيقة. تعالى عن ذلك. **﴿إنْ﴾**: ما **﴿يَتَّبِعُونَ﴾** في ذلك **﴿إلّا الظَّنَّ﴾** أي: ظنَّهم أنها آلهة تشفع لهم، **﴿وإنْ﴾**: ما **﴿هُم إلّا يَخرُصُونَ﴾** ٦٦: يكذبون في ذلك. **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ، والنَّهارَ مُبصِرًا﴾**. إسناد الإبصار إليه مجاز، لأنه مُبصَرٌ فيه. **﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾**: دلالاتٍ على وحدانيّته - تعالى - **﴿لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾** ٦٧ سماعَ تدبّر واتّعاظ.

٢- **﴿قالُوا﴾**: أي اليهودُ والنصارى، ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله: **﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾**. قال تعالى لهم: **﴿سُبحانَهُ﴾**: تنزيهًا له عن الولد! **﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾** عن كُلّ أحد، وإنّما يطلب الولدَ مَن يحتاج إليه، **﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾** مُلكًا وخلقًا وعبيدًا. **﴿إنْ﴾**: ما **﴿عِندَكُم مِن سُلطانٍ﴾**: حُجّةٍ **﴿بِهٰذا﴾** الذي تقولونه. **﴿أتَقُولُونَ علَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾** ٦٨؟ استفهام توبيخ. **﴿قُلْ: إنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ﴾**، بنِسبة الولد إليه، **﴿لا يُفلِحُونَ﴾** ٦٩: لا يَسعدون. لهم **﴿مَتاعٌ﴾** قليل **﴿في الدُّنيا﴾**، يتمتّعون به مُدّة حياتهم، **﴿ثُمَّ إلَينا مَرجِعُهُم﴾** بالموت، **﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذابَ الشَّدِيدَ﴾** بعدَ الموت، **﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾** ٧٠.

---

(١) الآيتان ٦٥ و٦٦ متصلتان بما مضى في الآيات ٤١-٦٠، من ذكر لكفر المشركين وأكاذيبهم والتهديد لهم. وفي هذا تسلية للنبي - عليه السلام - وتبشير بالنصر وهزيمة الكفر. ويحزن: يغم ويؤلم. وقولهم أي: ادعاؤهم عليك من الأباطيل. و«لست مرسلًا» انظر الآية ٤٣ من سورة الرعد. وغير: معطوف على محل «لست مرسلًا» منصوب بالعطف، أي: وغير ذلك من الاتهامات الباطلة. والقوة: القدرة والغلبة دائمًا وأبدًا. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجميعًا أي: مجموعة بكامل أشكالها وأنواعها. والسميع: من السمع. وهو إدراك المسموعات وما دونها وما فوقها. والعليم: المحيط علمه بدقائق الأمور وخفاياها. وينصرك أي: في الدنيا والآخرة. والمراد بـ «مَن» الناس والملائكة والجن. والسماء: مايحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويتبعه: ينقاد إليه ويطيعه. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في التقديس والطاعة بزعم الكافرين. وعلى الحقيقة: يعني أن ادعاء الشرك باطل ومحال، بدليل النفي في «مايتبع الذين يدعون». و«ما» يعني أنّ «إنْ» هي للنفي. وكذلك هي فيما بعد. ويتبعونه: ينقادون إليه ويطيعونه. وذلك أي: عبادة الأصنام والشركاء. والظن: التوهم والتخيل للباطل. ويكذبون أي: في اتباع الظن. وجعل: خلق وأبدع من العدم. والليل: ما بين غروب الشمس وشروقها. والنهار عكسه. وتسكنوا أي: تستريحوا من تعب النهار. ومبصَر فيه: يعني أن «مبصِرًا»: اسم فاعل يفيد أن النهار هو الذي يُبصِر، والمراد أنه مضيء يُبصِر الخلق فيه ما يحتاجون إليه. وحذف ما يقابله لليل أي: «مظلمًا»، كما حذف للنهار «لتسعوا فيه» بدلالة «لتسكنوا فيه». وفيما عدا الأصل وث وع: «لأنه يبصر فيه». وذلك: إشارة إلى جعل الليل والنهار كما ذكر. والآيات: جمع آية. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. ويسمع: يدرك ما يُسمع ويعي ما فيه من الحق.

(٢) قالوا أي: صرحوا بالقول جهارًا. واليهود جعلوا عُزيرًا ابن الله. والنصارى جعل بعضهم عيسى ابن الله أيضًا. وبعض العرب زعموا أن الملائكة بنات الله. واتخذ ولدًا: أنجبه وصنعه وتبناه. والولد هنا: الأولاد. وعن الولد أي: وعما يزعمه المشركون والكافرون والملحدون من الصفات الباطلة. وتنزيهًا أي: وتعجبًا مما يقوله هؤلاء الحُمق. والغني: المستغني بذاته عمن سواه لايحتاج إلى شيء، كل الخلائق فقراء إليه. وما في السماوات: انظر الآية ٦٦. وتقولون عليه: تكذبون وتختلقون. وما لا تعلمون أي: ما لم يأتكم بعلم يقيني ثابت من وحي أو دليل يقيني، وإنما هو تقليد واتباع للظن والأوهام. والتوبيخ: التعنيف والنهي عما يكون من الباطل والأكاذيب. وقل أي: خاطبهم بالقول جهارًا. وهذا يعني أنه رسول مكلف بالتبليغ، لا كما يزعم الكافرون. وتكرار ذلك قبلُ وبعدُ يفيد المبالغة في التوكيد. ويفترون: يختلقون ويكذبون. والكذب: ما يخالف الواقع من الأمور والأحوال. وبنسبة الولد إليه أي: وادّعاء الصفات والأحكام والشرائع والأقوال. ويفلح: يفوز بمطلوبه وينجو من البلاء. والمتاع: ما يكون للانتفاع أوالتلذذ أو التفاخر ثم يزول. وسقط «قليل» من خ. وإلينا أي: إلى لقاء موعدنا يوم القيامة. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. ونذيقهم: ننزل بهم ونحمّلهم. والشديد: الفظيع. ويكفرون: يكذّبون الله ورسوله ويفترون الأباطيل.

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم
مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ
أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

نصف الحزب ٢٢

١- ﴿واتلُ﴾ - يا مُحمّد - ﴿عليهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّةَ ﴿نبأَ﴾: خبرَ ﴿نُوحٍ﴾، ويُبدل منه: ﴿إذْ قالَ لِقَومِهِ: يا قَومِ، إن كانَ كَبُرَ﴾: شقَّ ﴿عليكُم مَقامِي﴾: لُبثي فيكم، ﴿وتَذكِيرِي﴾: وعظي إيّاكم ﴿بِآياتِ اللهِ، فعلَى اللهِ تَوَكَّلتُ، فأجمِعُوا أمرَكُم﴾: اعزِموا على أمر تفعلونه بي ﴿وشُركاءَكُم﴾، الواو بمعنى: مع، ﴿ثُمَّ لا يَكُن أمرُكُم علَيكُم غُمّةً﴾: مستورًا، بل أظهروه وجاهروني به، ﴿ثُمَّ اقضُوا إلَيَّ﴾: أمضُوا فيَّ ما أردتموه، ﴿ولا تُنظِرُونِ﴾ ٧١: تُمهلونِ. فإني لست مُباليًا بكم، ﴿فإن تَوَلَّيتُم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتُكُم مِن أجرٍ﴾: ثواب عليه فتتولّوا. ﴿إن﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾ ثوابي ﴿إلّا على اللهِ، وأُمِرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ﴾ ٧٢.

٢- ﴿فكَذَّبُوهُ، فنَجَّيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ﴾ السفينة، ﴿وجَعَلْناهُم﴾ أي: من معه ﴿خَلائفَ﴾ في الأرض، ﴿وأغرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ بالطوفان - ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُنذَرِينَ﴾ ٧٣ من إهلاكهم؟ فكذلك نفعل بمن كذَّبك - ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِ﴾ أي: نُوحٍ ﴿رُسُلًا إلَى قَومِهِم﴾، كإبراهيمَ وهُودٍ وصالح، ﴿فجاؤُوهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات، ﴿فما كانُوا لِيُؤمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ بعثِ الرُّسلِ إليهم. ﴿كَذٰلِكَ نَطبَعُ﴾: نَختِمُ ﴿على قُلُوبِ المُعتَدِينَ﴾ ٧٤، فلا تَقبل الإيمانَ، كما طبعنا على قلوب أُولئك.

٣- ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِم مُوسَى وهارُونَ إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾: قومِه، ﴿بِآياتِنا﴾ التسع، ﴿فاستَكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها، ﴿وكانُوا قَومًا مُجرِمِينَ ٧٥، فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِن عِندِنا قالُوا: إنَّ هٰذا لَسِحرٌ مُبِينٌ﴾ ٧٦: بيِّنٌ ظاهر. ﴿قالَ مُوسَى: أتَقُولُونَ لِلحَقِّ لَمّا جاءَكُم﴾: إنه لسحر؟ ﴿أسِحرٌ هٰذا﴾، وقد أفلح من أتى به وأبطل سِحرَ السحرة، ﴿ولا يُفلِحُ السّاحِرُونَ﴾ ٧٧؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار. ﴿قالُوا: أجِئتَنا لِتَلفِتَنا﴾: لتردّنا ﴿عَمّا وَجَدْنا علَيهِ آباءَنا، وتَكُونَ لَكُما الكِبرِياءُ﴾: المُلك ﴿في الأرضِ﴾ أرض مصر؟ ﴿وما نَحنُ لَكُما بِمُؤمِنِينَ﴾ ٧٨: مُصدّقين. ﴿وقالَ فِرعَونُ: ائتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ٧٩: فائق في عِلم السِّحر.

---

(١) اتل: اقرأ واسرد. وكفار مكة أي: وعلى الصحابة تسلية عما يلقون، وبشارة بالنصر. ونوح: النبي الرابع بعد آدم وشيث وإدريس ، فيما نعلم. والقوم: جماعة الإنسان هو منها ويعيش فيها. و«لبثي فيكم» تفسير لقراءة «مُقامي» مصدر: أقام. وهذه القراءة لم يذكرها السيوطي هنا. أما المَقام فهو مصدر: قامَ، أي: طول قيامي فيكم للدعوة. والآيات: ما أوحي إلى نوح من كلام الله، والأدلةُ التي كان يبينها لقومه. وعلى الله توكلت أي: فوضت أمري إليه وحده. وأمركم أي: شأنكم وإرادتكم. والشركاء: جمع شريك. وهو ماكان يعبده قوم نوح من الأصنام وغيرها. ولا يكن: لايصبح. وأمركم أي: قصدكم في شأني. وأمضوا أي: نفِّذوا. وفيما عدا الأصل والنسخ والفتوحات: «امضوا فيما». وتنظرون أي: تنظروني، حذفت من آخره ياء المتكلم للتخفيف. وتوليتم: استمررتم في الإعراض. وسألتكم: طلبت منكم. و«فتتولوا»: فتنصرفوا عني. وفيما عدا خ وع: «فتولوا». وعلى الله أي: حاصل بفضله. وأمرت: فُرض عليّ. والمسلم: المنقاد لحكم الله. والمراد أنه مكلف بتبلغ نفسه أيضًا.

(٢) كذبوه أي: أصرّوا على تكذيبه. ونجيناه: أنقذناه. ومن معه أي: المؤمنون والمؤمنات. وجعلنا: صيّرنا. والخلائف: جمع خليفة. وهو الذي يرث غيره في التملك. وأغرقناه: أهلكناه اختناقًا. والآيات: ما أوحاه الله وما ذكّر به نوح. وانظر أي: تأمل وتدبر. والعاقبة: النهاية. والمنذَر: الذي بلغه الوعيد بالعذاب. وبعثناهم: أرسلناهم ليبلّغوا. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل. وقوم الإنسان: جماعته التي هو منها أو يعيش بين أفرادها. وهود وصالح: نبيان عربيان. وجاؤوهم أي: أتوهم. وما كانوا ليؤمنوا أي: لِما هم عليه من الاستعداد الخبيث، والانهماك في الكفر. وكذلك: مثلَ ذلك الطبع المحكم الذي كان على قلوب الأقوام الماضية. والقلوب: جمع قلب. والمعتدي: الذي تجاوز الحدود المعهودة بكفره.

(٣) من بعدهم أي: من بعد إبراهيم وهود وصالح. وهارون: أخو موسى بعث معه للدعوة أيضًا. وفرعون: ملك مصر في زمن موسى. والملأ: أشراف الناس الذين يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم. والآيات: المعجزات. والتسع: انظر الآية ١٠١ من سورة الإسراء. وبها أي: بالآيات. واستكبروا: ادّعوا التعالي بغير حق. والمجرم: الذي يقترف الإجرام اختيارًا وإصرارًا. وجاءهم: أتاهم عِيانًا. والحق: الثابت من المعجزات. ومن عندنا أي: بأمرنا وتقديرنا. والسحر: ما يوهم الأبصار والإدراك فيُتخيل على غير حقيقته. وهو باطل بحت، يظنه السفهاء حقيقة واقعة. وللحق أي: عن الحق. ولما جاءكم أي: حين مجيئه إليكم. ولا يفلح: لايظفر بمطلوب فيه خير. والساحر: من يقوم بالسحر والتضليل وخداع العقول والحواس. وللإنكار: يعني أن الهمزة قبل «تقولون» استفهامية للإنكار التوبيخي والتجهيل لهم لِما يزعمون، أي: دعوا هذا التعنت واستجيبوا للإيمان. والهمزة قبل «سحر» كذلك مع التقريع والتعجيب من أمرهم، أي: كيف يكون هذا الإعجاز كما زعمتم وقد كان منه ما كان؟ وما وجدنا عليه آباءنا أي: ما رأيناهم عليه من عبادة الأصنام وتأليه فرعون. والآباء: جمع أب. وهو يطلق على الوالد والجد. وتكون: تصير. والكبرياء: التكبر والترفع. وائتوني بهم: جيئوا بهم إليّ وأحضروهم. والخطاب لخدمته والمتصرفين بين يديه. والفائق: الماهر المتميز يفوق أقرانه ويعلوهم في عمله.

الجزء الحادي عشر — سورة يونس

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

١- ﴿فلَمّا جاءَ السَّحَرةُ قالَ لَهُم مُوسَى﴾، بعد ما قالوا له: «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ ٨٠. فلَمّا ألقَوا﴾ حِبالهم وعِصيّهم ﴿قالَ مُوسَى: ما﴾: استفهاميّة مبتدأ خبرُه: ﴿جِئتُم بِهِ؟ آلسِّحرُ﴾؟ بدل. وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار. فما: موصول مبتدأ. ﴿إنَّ اللهَ سَيُبطِلُهُ﴾: سيمحقه - ﴿إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِينَ ٨١ - ويُحِقُّ﴾: يُثبتُ ويُظهر ﴿اللهُ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾: بمواعيده، ﴿ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ ٨٢. فما آمَنَ لِمُوسَى إلّا ذُرِّيّةٌ﴾: طائفة ﴿مِن﴾ أولاد ﴿قومِهِ﴾ أي: فرعونَ، ﴿علَى خَوفٍ مِن فِرعَونَ ومَلَئِهِم، أن يَفتِنَهُم﴾: يصرفهم عن دِينه بتعذيبه. ﴿وإنَّ فِرعَونَ لَعالٍ﴾: مُتكبّرٌ ﴿في الأرضِ﴾ أرض مصر، ﴿وإنَّهُ لَمِنَ المُسرِفِينَ﴾ ٨٣ المُتجاوزين الحدَّ بادّعاء الربوبيّة.

٢- ﴿وقالَ مُوسَى: يا قَومِ، إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ فعَلَيهِ تَوَكَّلُوا، إن كُنتُم مُسلِمِينَ ٨٤. فقالُوا: علَى اللهِ تَوَكَّلنا. رَبَّنا، لا تَجعَلْنا فِتْنَةً لِلقَومِ الظّالِمِينَ﴾ ٨٥ أي: لا تُظهرهم علينا، فيظنّوا أنهم على الحقّ فيُفتَتَنوا بنا، ﴿ونَجِّنا بِرَحمتِكَ مِنَ القَومِ الكافِرِينَ﴾ ٨٦.

٣- ﴿وأَوحَينا إلَى مُوسَى وأخِيهِ أن تبَوَّآ﴾: اتّخِذا ﴿لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيُوتًا، واجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبْلَةً﴾: مُصلًّى تُصلّون فيه لتأمنوا من الخوف - وكان فِرعَون منعهم من الصلاة - ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾: أتمّوها، ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ ٨٧ بالنصر والجنّة.

٤- ﴿وقالَ مُوسَى: رَبَّنا، إنَّكَ آتَيتَ فِرعَونَ ومَلَأَهُ زِينَةً وأموالًا في الحَياةِ الدُّنيا، رَبَّنا،﴾ آتيتَهم ذلك ﴿لِيَضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: دِينك. ﴿رَبَّنا، اطمِسْ على أموالِهِم﴾: امسَخْها، ﴿واشدُدْ علَى قُلُوبِهِم﴾: اطبعْ عليها واستوثقْ، ﴿فلا يُؤمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الأليمَ﴾ ٨٨: المُؤلم. دعا عليهم وأمّنَ هارونُ على دعائه. ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿قَد أُجِيبَتْ دَعوَتُكُما﴾ فمُسخت أموالُهم حِجارةً، ولم يُؤمن فرعون حتّى أدركه الغرق. ﴿فاستَقِيما﴾ على الرسالة والدعوة، إلى أن يأتيهم العذاب، ﴿ولا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ ٨٩ في استعجال قضائي. رُوي أنه مكث بعدها أربعين سنة.

---

(١) جاؤوا أي: وصلوا إلى المكان المتفق عليه. والسحرة: جمع ساحر. وما قالوا يعني ماورد في الآية ١١٥ من سورة الأعراف. وألقوا أي: اطرحوا على الأرض ما معكم. وجئتم به: فعلتموه. و«آلسحر» أصله «أالسحر» بهمزة استفهام للتحقير والتوبيخ بعدها همزة الوصل، أبدلت الثانية ألفًا. خ وث: «اا السحر». وفي ط والمطبوعات: «السحر». وفي قرة العينين: «ألسحر». وبدل: يعني أن «السحر»: بدل من «ما» الاستفهامية. وبهمزة واحدة يعني: بهمزة الوصل وحدها. وبإخبار أي: ليس في الكلام استفهام. ط: «أخبار». ولايصلحه أي: لايثبته ولا يجعل فيه نفعًا. والعمل: ما يُكتسب من النية والقول والفعل. والمفسد: المقترف للشر يُشيعه باختيار وقصد. والحق: الأمر الواقع كما يجب. وكره: أبغض وأبى. والمجرم: الذي يقترف الجريمة والكفر بقصد وعزم. وآمن له: صدّقه واتبعه. والذرية: القليل من الرجال والنساء. وقومه أي: قوم فرعون، السحرة وبعض أبناء القبط. والخوف: توقع الشر. والملأ: رؤساء الذرية وأسيادهم. ودينه أي: دين موسى، وهو الإسلام والتوحيد.

(٢) قوم أي: قومي. وآمنتم: عرفتْ قلوبكم وحدانيه الله وأن ما سواه مخلوق تحت سلطانه وتدبيره. وعليه توكلوا أي: فوضوا أمركم إليه وحده ولا تخافوا غيره. والمسلمون: المستسلمون المنقادون لحكمه. وربنا أي: يا ربنا. حذف حرف النداء للمبالغة في التوكيد والتعظيم، وتأدبًا لما فيه من إشعار بمعنى الأمر والتنبيه. ولاتجعلنا فتنة أي: لاتمتحنّا وتصيّرنا موضع امتحان وإضلال. والظالم: المتجاوز للحد بالكفر والعصيان. وفي النسخ: «فيفتنوا بنا». ونجنا: أنقذنا. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن القوم أي: من أيديهم وظلمهم. والكافر: من كذّب الله ورسوله.

(٣) أوحينا إليه أي: أمرناه على لسان جبريل. ومصر: البلد الكبير المعروف جنوب غربي فلسطين. انظر البحر ٥:١٨٥. والبيوت: جمع بيت. وهو بعض الدار كالغرفة مثلًا. أي: ليتخذ كل منكم مسجدًا من داره للعبادة. وبيوتكم أي: التي اتخذت من دوركم، اختاروها مما يكون موجهًا نحو القبلة. وهي القدس حينذاك. واجعلوا: صيّروا. والمصلى: مكان الصلاة. وأتموها أي: حافظوا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. وبشره: أخبره بما يَسره ويسعده. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله يقينًا.

(٤) ربنا: انظر الآية ٨٥. وآتيت: أعطيت. والزينة: ما يُتزين به من اللباس والأثاث والمراكب. والأموال: جمع مال. وهو ما زاد على الزينة من الذهب والفضة والمتاع. ويضل: يعدل وينحرف. وفي عاقبته أي: في نتيجة الإيتاء. يعني أن اللام قبل «يضلوا» هي للعاقبة والمآل، وليست للتعليل، أي: آتيتهم ذلك ليشكروه ويؤمنوا، فصارت النتيجة وعاقبة أمرهم أنهم كفروا وضلوا عن سبيلك. واطمس عليها أي: أهلكها وامحقها. واطبع عليها أي: بثبوت الكفر والعصيان. والقلوب: جمع قلب. ولا يؤمن أي: لا يصدّق اللهَ ورسوله ولا يعترف قلبه بالتوحيد. ويروا العذاب أي: ينزل بهم فيبصروه عِيانًا ويعانوا ما فيه. وأجيبت: قُبلتْ. والدعوة: طلب عقاب الكافرين. والراجح أن الأموال مُحقت فلم يكن فيها خير أو نفع. واستقيما: دوما على الصلاح، ولا تستعجلا العقاب. وتتبع: تسلك. والسبيل: الطريق والتوجه. والذين لايعلمون: الجهال لايدركون حكمة القضاء. ومكث بعدها أي: «بقيَ فرعون بعد الدعوة، وأنواعُ العذاب تتوالى عليه»، كما جاء عن ابن عباس في الدر المنثور ٣:٣١٥ ومصادر أُخرى. وليس المراد أنه «تأخّرَ نزولُ العذاب بعد الدعوة» كما في الفتوحات ٢:٣٧٠ والصاوي ٢:٢٠١ وقرة العينين والمنحة ص ٢٨٠.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٢

١- ﴿وجاوَزْنا بِبَني إسرائيلَ البَحرَ، فأتبَعَهُم﴾: لَحِقَهم ﴿فِرعَونُ وجُنودُهُ، بَغْيًا وعَدْوًا﴾: مفعول له. ﴿حَتّى إذا أدرَكَهُ الغَرَقُ قالَ: آمَنتُ أنَّهُ﴾ أي: بأنه - وفي قراءة بالكسر استئنافًا - ﴿لا إلَهَ إلّا الَّذي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيلَ، وأنا مِنَ المُسلِمينَ﴾ ٩٠. كرّر ليُقبل منه، فلم يُقبل. ودسّ جبريل في فِيه من حَمْأة البحر مخافةَ أن تناله الرحمة، وقال له: ﴿آلآنَ﴾ تُؤمن، ﴿وقَد عَصَيتَ قَبلُ، وكُنتَ مِنَ المُفسِدينَ﴾ ٩١ بضلالك وإضلالك عن الإيمان؟ ﴿فاليَومَ نُنَجِّيكَ﴾: نُخرجك من البحر، ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جسدِك الذي لا روح فيه، ﴿لِتَكونَ لِمَن خَلفَكَ﴾: بعدَك ﴿آيَةً﴾: عِبرة، فيعرفوا عُبوديّتك ولا يُقدموا على مِثل فِعلك. وعن ابن عبّاس أنّ بعض بني إسرائيل شكّوا في موته، فأُخرج لهم ليروه. ﴿وإنَّ كَثيرًا مِنَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿عَن آياتِنا لَغافِلونَ﴾ ٩٢: لا يعتبرون بها.

٢- ﴿ولَقَد بَوَّأنا﴾: أنزلْنا ﴿بَني إسرائيلَ مُبَوَّأَ صِدقٍ﴾: منزلَ كرامةٍ - وهو الشام ومصر - ﴿ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، فما اختَلَفوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض، ﴿حَتّى جاءَهُمُ العِلمُ. إنَّ رَبَّكَ يَقضي بَينَهُم يَومَ القِيامَةِ فيما كانُوا فيهِ يَختَلِفونَ﴾ ٩٣ من أمر الدِّين، بإنجاء المُؤمنين وتعذيب الكافرين.

٣- ﴿فإن كُنتَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿في شَكٍّ، مِمّا أنزَلْنا إلَيكَ﴾ من القَصص فَرْضًا، ﴿فاسألِ الَّذينَ يَقرَؤُونَ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿مِن قَبلِكَ﴾ - فإنه ثابت عندهم - يخبروك بصدقه. قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسألُ». ﴿لَقَد جاءَكَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ. فلا تَكونَنَّ مِنَ المُمتَرينَ﴾ ٩٤: الشاكّين فيه، ﴿ولا تَكونَنَّ مِنَ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ، فتَكونَ مِنَ الخاسِرينَ﴾ ٩٥.

٤- ﴿إنَّ الَّذينَ حَقَّتْ﴾: وجبتْ ﴿عَلَيهِم كَلِمةُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لا يُؤمِنونَ ٩٦، ولَو جاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ، حَتّى يَرَوُا العَذابَ الأليمَ﴾ ٩٧ فلا ينفعَهم

---

(١) جاوزنا بهم: جعلناهم يتجاوزون، بأن صار لهم أرض يابسة بين الأمواج الخفيض المنشقة. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب من أبنائه. والبحر: بحر القُلزُم المعروف الآن بالأحمر. والجنود: واحده جندي. والبغي: طلب الاستعلاء بالباطل. والعدْو: تجاوز الحد بالظلم. وأدركه: كاد يقضي عليه. والغرق: الاختناق بالماء. وآمنت: عرفتُ بقلبي وحدانية الله. وبالكسر يريد القراءة «إنَّهُ». والإله: المعبود بحق وحده. ودس جبريل: هذا من حديث صححه الترمذي تحت الرقمين ٣١٠٦ و٣١٠٧. انظر «المفصل». وفيه أي: فمه. والحمأة: الطين. والآنَ: في هذه اللحظة. وعصيت: دمت على الخروج من الطاعة. وقبلُ: قبلَ الآنَ. والمفسد: المقترف للشر يُشيعه باختيار وقصد. واليوم: الزمن الذي كان فيه الغرق. والبدن: الجسد الضخم. وتكون: تصير. والتعميم في تفسير الناس هو الصواب. والآيات: الدلائل على وحدانية الله وصفاته العلا.

(٢) الصدق: الصالح المحمود يصدق فيه الظن. ورزقناهم: خلقنا لهم ما ينتفعون به وهيأناه. والطيبات: ما يُستلذ من الطعام والشراب. واختلفوا أي: تنازعوا في الدين. وجاءهم: أتاهم من عند الله وكُلّفوا به. والعلم: علم التوراة. وفي هذا ذم لهم، لأن العلم يجب أن يكون سببًا للاتفاق. وفيه ذم أيضًا لقريش التي اختلفت بعد نزول القرآن الكريم. ويقضي: يحكم بالحق. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث. وكانوا أي: وما زالوا.

(٣) الشك: الارتياب. وأنزلنا: أوحيناه في القرآن. وفرضًا أي: إن سُلِّم أنك وقعت في الشك، مع أن هذا الوقوع مستحيل. إذ المشهور أنّ «إنْ» لا تحتم الوقوع أو الإمكان، بل قد تكون في الشرط المُحال وقوعه عقلًا أو عادة. انظر تفسير الآلوسي ١١:٢٧٨. واسأل: استخبر. ويقرؤون: يتلون. و«فإنه» أي: القصص الذي في الآيات ٧١-٩٣. والحديث مرسل، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٦:١٢٦ والطبري في ١٥:٢٠٢ عن قتادة. انظر الدر المنثور ٣:٣١٧. وجاءك: أتاك بالوحي. والحق: ما ثبَتَ وقوعه. ومن ربك أي: من عنده وبأمره. ولا تكونن من الممترين أي: دم على حالك من اليقين. وهو خطاب للنبي ﷺ، والمراد به مَن يراوده الشك من المؤمنين. وكذلك ما في الآية ٩٥. وكذب: جحد وكفر. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية على التوحيد. وتكونَ: تصير. والخاسر: الذي فسد عمله وأهلك نفسه، فضيع الدنيا والآخرة.

(٤) كلمة ربك: علمه وقضاؤه بما يناسب اختيارَهم واستعدادهم السيئين، وإصرارَهم على الكفر والعصيان. والعذاب أي: في الدنيا أو الآخرة. ولايؤمنون: لاتعرف قلوبهم التوحيد والتصديق لله والرسول. وجاءتهم: أتتهم كما يطلبون. والآية: المعجزة والدلالة على التوحيد. ويروا العذاب: أي: يصيبهم فيقاسوا شدته. ولاينفعهم أي: الإيمان في ذلك الوقت، لأنه إيمان اضطرار بعد نزول العذاب بهم. والمراد بهم هنا مشركو قريش الذين يقترحون نزول الآيات مكابرة وعنادًا، ثم من يكون مثلهم في كل زمان ومكان. والقرية: البلدة. وأريد أهلها: يعني أنه ذكرت القرية والمراد مَن فيها من الناس. وهلّا آمنت أي: لم تؤمن تلك الأمم إلّا مضطرة كما كان من فرعون. ونفعها إيمانها أي: قَبِلَه الله منها، فكشف عنها العذاب وتاب عليها. وقوم يونس: أهل نِينَوَى قرب الموصل من العراق، كانوا يعبدون الأصنام. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله يقينًا. والأمارة: العلامة والدلالة القاطعة. وكشفنا: منعنا. والخزي: الغضب والإذلال. ومتعناهم: هيّأنا لهم ما ينتفعون به من الخيرات. والحين: الوقت. وهو وقت محدّد.

الجزء الحادي عشر　　سورة يونس

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

حينئذ. ﴿فلولا﴾: فهلّا ﴿كانت قريةٌ﴾، أُريد أهلُها، ﴿آمنت﴾ قبل نُزول العذاب بها، ﴿فنفعَها إيمانُها، إلّا﴾ لكن ﴿قومَ يُونُسَ، لمّا آمَنُوا﴾ عِند رؤية أمارة العذاب، ولم يُؤخِّروا إلى حُلوله، ﴿كَشَفْنا عنهُم عَذابَ الخِزيِ في الحَياةِ الدُّنيا، ومَتَّعْناهُم إلى حِينٍ﴾ ٩٨: انقضاءِ آجالهم.

١- ﴿ولو شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُّهُم جميعًا - أفأنتَ تُكرِهُ النّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم، ﴿حَتّى يَكونُوا مُؤمِنِينَ﴾ ٩٩؟ لا - ﴿وما كانَ لِنفسٍ أن تُؤمِنَ إلّا بإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿ويَجعَلُ الرِّجسَ﴾: العذاب ﴿على الَّذِينَ لا يَعقِلُونَ﴾ ١٠٠: يتدبّرون آياتِ الله.

٢- ﴿قُلِ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿انظُرُوا ماذا﴾ أي: الذي ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾، من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله، تعالى. ﴿وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ﴾: جمع نذير أي: الرُّسل ﴿عَن قومٍ لا يُؤمِنُونَ﴾ ١٠١ في عِلم الله، أي: ما تَنفعهم. ﴿فهَل﴾: فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إلّا مِثلَ أيّامِ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِهِم﴾ من الأمم أي: مِثلَ وقائعهم من العذاب؟ ﴿قُلْ: فانتَظِرُوا﴾ ذلك. ﴿إنّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ ١٠٢. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ - المضارع لحكاية الحال الماضية - ﴿رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب. ﴿كَذلِكَ﴾ الإنجاءِ ﴿حَقًّا عَلَينا نُنجِي المُؤمِنِينَ﴾ ١٠٣: النبيَّ وأصحابه، حين تعذيب المُشركين.

٣- ﴿قُلْ: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّةَ، ﴿إن كُنتُم في شَكٍّ مِن دِينِي﴾ أنّه حقّ ﴿فلا أعبُدُ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي غيرَه - وهو الأصنام - لشكِّكُم فيه، ﴿ولكِن أعبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفّاكُم﴾ يقبِضُ أرواحكم، ﴿وأُمِرتُ أن﴾ أي: بأن ﴿أكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ١٠٤، ﴿و﴾ قيل لي: ﴿أن أقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلًا إليه، ﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ ١٠٥، ﴿ولا تَدْعُ﴾: تعبدْ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدتَه، ﴿ولا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده. ﴿فإن فَعَلتَ﴾ ذلك، فَرْضًا، ﴿فإنَّكَ إذًا مِنَ الظّالِمِينَ﴾ ١٠٦، ﴿وإن يَمسَسْكَ﴾: يُصِبْكَ ﴿اللهُ بِضُرٍّ﴾، كفقر ومرض، ﴿فلا كاشِفَ﴾: رافعَ ﴿لَهُ إلّا هُوَ، وإن يُرِدْكَ بِخَيرٍ فلا رادَّ﴾: دافعَ ﴿لِفَضلِهِ﴾ الذي أرادك به. ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ. وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٠٧.

---

(١) روي أن الآية نزلت في أبي طالب، لأنه لم يستجب للدعوة ومات على ملة عبد المطلب. البحر ٥:١٩٣. وشاء: أراد الإيمان للناس. والمعنى: لم يشأ الله ذلك فما آمنوا كلهم جميعًا. وإنما آمن الذين فيهم استعداد طيب واختيار للصلاح. وتُكرههم: تحملهم قسرًا. ويكونوا: يصيروا. و«لا» يعني: ليس إليك ذلك، ولكنه لله وحده. وما كان: ما صح وما استقام. والنفس: الفرد من المخلوقات العاقلة. وتؤمن: يعرف قلبها التوحيد وما يلزمه. والمراد: ما كان لنفس أن تختار إيمانها إلّا ملتبسةً بإرادة الله. فهو يُمدّها بما يناسب استعدادها الطيب واختيارها للحق، عندما تطلبه وتسعى له. ويجعل: يقدّر ويوقع. والرجس: الشيء المؤذي.

(٢) لكفار مكة أي: وغيرها أيضًا. وانظروا: تأملوا بالأبصار والبصائر. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والآيات: البراهين الدالة على التوحيد. وتغني عنه: تكفيه وتنفعه. والنذير: الرسول يهدد بالعذاب من يصرّ على الكفر. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. ولايؤمنون: لاتعرف قلوبهم التوحيد. و«ما تنفعهم» تفسير «ما تغني»، يعني: ما تنفعهم الآيات والنذر لأنهم لايتدبرون، تجاهلًا ومكابرة، فثبَت فيهم الضلال لعلم الله ما في نفوسهم، من الإصرار على الكفر والعناد. وفي الأصل وخ: «ما ينفعهم». وهو تفسير للقراءة الشاذة «وما يُغني». انظر الكشاف ٢:٣٧٣. وينتظر: يتوقع. وبتكذيبك أي: بعد تكذيبك ونتيجة له. والأيام: جمع يوم. وهو زمن الوقيعة التي كانت فيه، استعمل للدلالة على الوقيعة نفسها. وخلوا: هلكوا. والمنتظرين: المتوقعين. وننجي: نُنقذ من العذاب. والرسل: جمع رسول. وحقًّا أي: واجبًا علينا بمقتضى الفضل. و«نُنْجي» كذا بالياء، لبيان القراءة التي اختارها السيوطي.

(٣) التعميم في تفسير الناس أولى، ليشمل جميع من كفر بالإسلام في ذلك الوقت. والشك: التردد بين الإثبات والإنكار. والدين: العقيدة والشريعة. وهو الإسلام دين التوحيد. وأعبده: أقدسه وأطيعه. وأمرت: أُعلمتُ وأُلزمت. ومن المؤمنين أي: الذين أيقنوا بما دل عليه العقل ونطق به الوحي. وأقم وجهك أي: سدّد نفسك للإقبال على ما أُمرت به. وإليه أي: إلى الدين. وتكون: تصير. والمشرك: الذي يدعو مع الله بعض المخلوقات، يقدسها ويطيعها في المعاصي. ودونه أي: غيره. وينفع: يجلب الخير. ويضر: يجلب الضر والإيذاء. وفعلته: اكتسبته. والخطاب للنبي ﷺ، ويشمل أيضًا غيره من الناس. وفرضًا: انظر تفسير الآية ٩٤. والظالم: الكافر تجاوز الحد بالشرك. والضر: الأذى. ويريدك: يقدّر عليك ويقضي. والخير: ما فيه نفع وفائدة. والفضل: التفضل بزيادة النعم. ويصيب به أي: يقضيه ويخص به. و«بالخير» كذا. والصواب: بالمذكور من الضر والخير. ومن يشاء أي: من يريد إصابته. والعباد: جمع عبد. والغفور والرحيم: من المغفرة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، ومن الرحمة. وهي العطف والإحسان بالنعم.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١- ﴿**قُلْ: يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿**قَد جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فَمَنِ اهتَدَى فإنّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ**﴾ لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿**ومَن ضَلَّ فإنّما يَضِلُّ عَلَيها**﴾ لأنّ وبال ضلاله عليها، ﴿**وما أنا عَلَيكُم بِوَكِيلٍ**﴾ ١٠٨، فأُجبِرَكم على الهُدى. ﴿**واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ، واصبِرْ**﴾ على الدعوة وأذاهم، ﴿**حَتَّى يَحكُمَ اللهُ**﴾ فيهم بأمر. ﴿**وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ**﴾ ١٠٩: أعدلُهم. وقد صبر حتّى حُكم على المشركينَ بالقِتال، وأهلِ الكِتاب بالجِزية.

سورة هود

٢- مكية إلّا «وأقم الصلاة» الآية، وإلّا «فلعلك تارك» الآية و«أولئك يؤمنون به» الآية، مِائة وثنتان أو ثلاث وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**الر**﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك. هذا ﴿**كِتابٌ أُحكِمَتْ آياتُهُ**﴾، بعجيب النظم وبديع المعاني، ﴿**ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾: بُيِّنَتْ بالأحكام والقِصص والمواعظ، ﴿**مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ ١ أي: اللهِ، ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**لا تَعبُدُوا إلّا اللهَ - إنَّنِي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ**﴾ بالعذاب إن كفرتم، ﴿**وبَشِيرٌ**﴾ ٢ بالثواب إن آمنتم - ﴿**وأنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم**﴾ من الشِرك، ﴿**ثُمَّ تُوبُوا**﴾: ارجعوا ﴿**إلَيهِ**﴾ بالطاعة، ﴿**يُمَتِّعْكُم**﴾ في الدنيا، ﴿**مَتاعًا حَسَنًا**﴾، بطيب عيش وسَعة رِزق، ﴿**إلَى أجَلٍ مُسَمًّى**﴾ هو الموت، ﴿**ويُؤتِ**﴾ في الآخِرة ﴿**كُلَّ ذِي فَضلٍ**﴾ في العمل ﴿**فَضلَهُ**﴾: جزاءه، ﴿**وإن تَوَلَّوا**﴾ فيه حذف إحدى التاءين، أي: تُعرِضوا ﴿**فإنِّيَ أخافُ عَلَيكُم عذابَ يَومٍ كَبِيرٍ**﴾ ٣، هو يوم القِيامة. ﴿**إلَى اللهِ مَرجِعُكُم، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٤، ومنه الثواب والعذاب.

٤- ونزل كما رواه البخاريّ عن ابن عبّاس، فيمن كان يستحيي أن يتخلّى أو يُجامعَ فيُفضيَ إلى السماء، وقيل: في المنافقين: ﴿**ألا إنَّهُم يَثنُونَ صُدُورَهُم، لِيَستَخْفُوا مِنهُ**﴾ أي: اللهِ. ﴿**ألا حِينَ يَستَغْشُونَ ثِيابَهُم**﴾: يتغطّون بها، ﴿**يَعلَمُ**﴾ تعالى ﴿**ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾، فلا يُغني

---

(١) النداء لأهل مكة، ويعم جميع الناس. وجاءكم: أتاكم وبُلّغتم به. والحق: دين الإسلام. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتكفل بمصلحة الخلق. واهتدى: استجاب لأمر الله ونهيه. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وضل: دام على الانحراف عن طريق الحق. وعليها أي: على نفسه. والوكيل: الحفيظ توكل إليه أمور غيره من الناس، ليتحكم فيهم ويُسأل عن تصرفاتهم. واتبعه أي: دم على العمل به في جميع شؤونك. ويوحى إليك أي: تُبلَّغه على لسان جبريل، وييسَّر لك حفظه وتبليغه. واصبر: تجلد ودم على الثبات. ويحكم: يقضي. (٢) الخلاف في عدد الآيات سببه اختلاف العلماء في تحديد أواخر بعضها. والآية الأولى هي ١١٤وحدها. والثانية والثالثة هما الآيتان ١٢ و١٧. يعني أن الثلاث مدنيات النزول. وفي الأصل وخ وع: «أو إلّا». وفي المنحة أُغفل الاستثناء الأول، وجعل الثاني قولًا واحدًا شاملًا للآيات الثلاث. (٣) الكتاب هو القرآن. وأحكمت: نُظمت نظمًا متقنًا، كأجود ما يكون من البناء المحكم. والآيات: الجملُ والعبارات من السور، المنفصلُ بعضها عن بعض. ولدن: أي: عند. وحكيم خبير أي: أحكمَها حكيمٌ بالغ الإتقان فيما يُصدر، وفصَّلَها خبير عالم بوقائع الأمور. ولاتعبدوا: لاتطيعوا وتقدسوا. ومنه: من جهته وبأمره. والنذير: المهدّد. والبشير: المخبر بما يُسعد. واستغفروه: اطلبوا منه ستر ذنوبكم السالفة وعدم المحاسبة فيها. ويمتعكم: ينعم عليكم بما تنتفعون به وتسعدون. والأجل: الوقت المعين لحياة المخلوق. ومسمى أي: مقدَّر عند الله، تعالى. ويؤتي: يجزي. والفضل: العمل الصالح يزيد على غيره في الخير. وتعرضوا أي: عن الإيمان والطاعة. وأخاف: أتوقع باليقين. واليوم: الزمن. والكبير: العظيم لامثيل له. وإلى الله أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. والقدير: من القدرة. وهي الاستطاعة المطلقة من دون معين أو منازع. ومنه أي: من كل شيء. (٤) ما رواه البخاري هو الحديثان ٤٤٠٤ و٤٤٠٥ في صحيحه. وفيه كما في ابن كثير ٢:٤١٧-٤١٨ أن هذا لتفسير قراءة: «تَثْنَوْنِي صُدُورُهُم»، أي: تبالغ في الثني والستر. فكان على السيوطي أن يذكر هذه القراءة، لئلّا يوهم أن ما رواه البخاري يتضمن القراءة المشهورة، فيقع فيما يشبه التدليس. ويتخلى: يقضي حاجته من البول والغائط. ويجامع: يضاجع حليلته. ويفضي: تنكشف عورته. و«في المنافقين» قول آخر في سبب نزول الآية بعيد من الصواب. فإن الآية مكية، والنفاق إنما حصل في المدينة. فكان على السيوطي أن يقول: «في المشركين». انظر «المفصل». ويثنون صدورهم أي: يطوي أحدهم بعضه على بعض لستر العورة، أو يخفي ما في صدره من الشحناء والعداوة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. ويستخفي: يطلب التستر. والثياب: جمع ثوب. ويُسرّه: يخفيه عن الآخرين. ويعلنه: يظهره مجاهرًا بلسانه أو فعله. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذات الصدور أي: السرائر المصاحبة للصدور، خفية لايطلع عليها أحد. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي، فيشمل الجنس كله. والدابة: الحيوان يمشي. ويشمل كل ذي حياة يتحرك بذاته. ورزقها أي: ما تعيش به من الغذاء وغيره. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة جملة وتفصيلًا، قبل التلقيح وتكوّن الجنين. والمستقر: موضع الوجود والإقامة. والصلب: صلب كل من الوالد والوالدة لهذه الدابة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة الطارق. والمستودع: الموضع في المكان الخفي. وما ذكر أي: الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها. واللوح المحفوظ: الكتاب الذي سجّل فيه ما كان وما سيكون في الوجود، من المحتملات والمحتمات، وهو ظاهر لمن ينظر فيه من بعض الملائكة المقربين.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

استخفاؤهم. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥ أي: بما في القُلوب، ﴿وما مِن﴾ - زائدةٌ - ﴿دابّةٍ في الأرضِ﴾ هي ما دبَّ عليها ﴿إلّا على اللهِ رِزقُها﴾ تكفّل به فضلًا منه، ﴿ويَعلَمُ مُستَقَرَّها﴾: مسكنها في الدنيا أو الصُّلبِ، ﴿ومُستَودَعَها﴾ بعد الموت أو في الرحِم، ﴿كُلٌّ﴾ ممّا ذُكر ﴿في كِتابٍ مُبِينٍ﴾ ٦: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

١- ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيّامٍ﴾ أوّلها الأحد وآخِرها الجمعة، ﴿وكانَ عَرشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿على الماءِ﴾، وهو على متن الرِّيح، ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: مُتعلّق بـ «خلقَ» أي: خلقَهما، وما فيهما من منافع لكم ومصالح، لِيَختبرَكم: ﴿أيُّكُم أحسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوَعُ لِلهِ؟ ﴿ولَئِنْ قُلتَ﴾ - يا مُحمّد - لهم: ﴿إنَّكُم مَبعُوثُونَ مِن بَعدِ المَوتِ، لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ﴾: ما ﴿هٰذا﴾ القُرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إلّا سِحرٌ مُبِينٌ﴾ ٧: بيِّن. وفي قراءةٍ «ساحِرٌ»، والمُشار إليه النبيّ.

٢- ﴿ولَئِنْ أخَّرْنا عَنهُمُ العَذابَ إلَى﴾ مجيء ﴿أُمّةٍ﴾: أوقاتٍ ﴿معدُودةٍ، لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً: ﴿ما يَحبِسُهُ﴾: ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿ألا يومَ يأتِيهِم لَيسَ مَصرُوفًا﴾: مدفوعًا ﴿عَنهُم، وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ٨ من العذاب، ﴿ولَئِنْ أذَقْنا الإنسانَ﴾ الكافر ﴿مِنّا رَحمةً﴾: غِنًى وصِحّة، ﴿ثُمَّ نَزَعْناها مِنهُ، إنَّهُ لَيَؤُوسٌ﴾: قَنوطٌ من رحمة الله، ﴿كَفُورٌ﴾ ٩: شديد الكُفر به، ﴿ولَئِنْ أذَقْناهُ نَعماءَ، بَعدَ ضَرّاءَ﴾: فقرٍ وشِدّة ﴿مَسَّتهُ، لَيَقُولَنَّ، ذَهَبَ السَّيِّئاتُ﴾: المصائب ﴿عَنِّيَ﴾، ولم يتوقّع زوالها ولا شكَرَ عليها. ﴿إنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ فَرَح بطِرٍ، ﴿فَخُورٌ﴾ ١٠ على الناس بما أُوتي، ﴿إلّا﴾: لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضرّاءِ، ﴿وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ في النعماءِ، ﴿أُولٰئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ﴾ ١١ هو الجنّة.

٣- ﴿فلَعَلَّكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿تارِكٌ بَعضَ ما يُوحَى إلَيكَ﴾، فلا تُبلّغهم إيّاه لتهاونهم به، ﴿وضائِقٌ بِهِ صَدرُكَ﴾: بتلاوته عليهم، لأجل ﴿أن يَقُولُوا: لَولا﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ عليهِ كَنزٌ، أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يُصدّقه كما اقترحنا. ﴿إنّما أنتَ نَذِيرٌ﴾، فلا عليك إلّا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه، ﴿واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢: حفيظٌ فيُجازيهم.

---

(١) خلقه: قدّر إيجاده من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: جمع قلة لليوم. وذكر الأحد والجمعة مصدره الإسرائيليات، وأهلُ الإنجيل يجعلون أول الأيام الاثنين وآخرها السبت. انظر البحر ٤:٣٠٧. والصحيح في مسلم ص ٢١٤٩-٢١٥٠ والمسند ٢:٣٢٧ أن أول يوم للخلق هو السبت، وآخر الأيام هو الخميس. وما دون ذلك فهو باطل الأباطيل. واليوم: الزمن مطلقًا، لا المعروف في الحياة الدنيا، خلافًا لما يذكره الجلالان أحيانًا وكثير من المفسرين. فالمراد: ستة أوقات متوالية، أولها يوافق يوم السبت مما سيكون في الدنيا، وكل من هذه الأيام يقابله في عالم السماوات آلاف السنوات. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالخلق كله، ولايعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس هو الكرسي ولا ما تذهب إليه أوهام العامة. وعلى الماء أي: عاليًا فوقه. والمراد أنه لا حائل بينهما، وليس المراد أنه كان موضوعًا على متن الماء. و«هو» أي: الماء. ويختبركم أي: ليمتحنكم فيُظهر حقيقة كل منكم في الواقع، ويكون الحساب على ما ظهر فعلًا. والعمل: يعم كل نية أو قول أو فعل. ومبعوثون أي: مخرجون من القبور أحياء بعد الموت للحساب والجزاء. وسحر أي: كالسحر. وهو تمويهات وتخييلات تخدع سفهاء الناس بالباطل، وتوهم الحواس والإدراك ما ليس له وجود أصلًا. والمبين: البالغ البيان لايخفى على أحد. والساحر: من يفعل ذلك ليخدع السفهاء ويضللهم. **(٢)** انظر سبب النزول في المفصل. وأخرناه: أرجأنا نزوله بهم. والعذاب: التعذيب الذي يهددون به، ويستعجلون نزوله تحديًا ومكابرة. والمعدودة: التي يسهل عدها لقلتها. واليوم: الوقت. ويأتيهم أي: يصيبهم العذاب. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. وأذقناه: أعطيناه ما يتذوق لذّاته. و«الكافر» الظاهر أن المراد جنس الإنسان عامة على سبيل التغليب، لأن اليأس والبطر من سجاياه، إلّا من رحمه الله من المؤمنين. ومنا أي: من عندنا وبتفضلنا. والرحمة: العطف بالإحسان. ونزعناها: أخذناها. وبه أي: بالله تعالى. والنعماء: الحال الحسنة. والضراء: الحال السيئة. ومسته: أصابته. وذهب: مضى ولن يعود. والسيئات: ما كان يسوء الإنسان ويضره. والفخور: المتبجح المتطاول. والصواب أن الاستثناء متصل وأن الصابرين مستثنَون مما وُصف به الإنسان في الآيتين ٩ و١٠. وصبروا: تجلدوا وتحملوا. وعملوا: اكتسبوا نية أو قولًا أو فعلًا. والصالحات: ما استحسنه الشرع. والمغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والأجر: المكافأة. والكبير: العظيم لامثيل له. **(٣)** في الوجيز أن سبب نزول الآية هو ما كان المشركون يقترحونه من المعجزات، ويطلبونه من تبديل القرآن الكريم وموادعة الأصنام، ليستجيبوا للإيمان، وكان النبي ﷺ يكاد يستثقل أن يلقي إليهم ما لايقبلونه، لئلّا يكرروا مقالاتهم المؤذية تلك. والتارك: المهمل. ويوحَى: يُنزَل على لسان جبريل وييسَّر حفظه، ويكلَّف بتبليغه والعمل به. والضائق: العاجز عن التحمل والأداء. والصدر مراد به القلب والضمير. ولأجل أي: بسبب. وأُنزل: أرسل من عند الله. والكنز: المال العظيم. وجاء معه: رافقه في التبليغ والرسالة. والملَك: مخلوق نوراني عظيم معصوم مطهر. والنذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١- ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَقُولُونَ: افتَراهُ**﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿**قُلْ: فائْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ**﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿**مُفتَرَياتٍ**﴾ - فإنكم عربيّون فُصحاءُ مِثلي. تحدّاهم بها أوّلًا ثمُ بسُورة - ﴿**وادعُوا**﴾ للمُعاونة على ذلك ﴿**مَنِ استطَعتُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٣ في أنه افتراء، ﴿**فإنْ لَم يَستَجِيبُوا لَكُم**﴾ أي: مَن دعوتموهم للمُعاونة ﴿**فاعلَمُوا**﴾ - خِطاب للمُشركين - ﴿**أنَّما أُنزِلَ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِعِلمِ اللهِ**﴾ وليس افتراء عليه، ﴿**وأنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿**لا إلَهَ إلّا هُوَ. فهَل أنتُم مُسلِمُونَ**﴾ ١٤ بعد هذه الحُجّة القاطعة؟ أي: أسلموا.

٢- ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنيا وزِينتَها**﴾ بأن أصَرَّ على الشِّرك - وقيل: هي في المُرائينَ - ﴿**نُوَفِّ إلَيهِم أعمالَهُم**﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحِم ﴿**فِيها**﴾، بأن نُوسع عليهم رِزقهم، ﴿**وهُم فِيها**﴾ أي: في الدنيا ﴿**لا يُبخَسُونَ**﴾ ١٥: يُنقَصُونَ شيئًا. ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُم في الآخِرةِ إلّا النّارُ، وحَبِطَ**﴾: بَطَل ﴿**ما صَنَعُو**﴾هُ ﴿**فِيها**﴾ أي: في الآخِرة، فلا ثواب له، ﴿**وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٦.

٣- ﴿**أفمَن كانَ علَى بيِّنةٍ**﴾: بيانٍ ﴿**مِن رَبِّهِ**﴾ - وهو النبيّ، أو المؤمنون - وهي القرآن، ﴿**ويَتلُوهُ**﴾: يتبعه ﴿**شاهِدٌ**﴾ يُصدّقه ﴿**مِنهُ**﴾ أي: من اللهِ - وهو جِبريلُ - ﴿**ومِن قَبلِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**كِتابُ مُوسَى**﴾: التوراة، شاهد له أيضًا ﴿**إمامًا ورَحْمةً**﴾: حالٌ، كمن ليس كذلك؟ لا. ﴿**أُولٰئِكَ**﴾ أي: من كان على بيّنة ﴿**يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾ أي: بالقُرآن فلهم الجنّة، ﴿**ومَن يَكفُرْ بِهِ مِنَ الأحزابِ**﴾: جميع الكُفّار ﴿**فالنّارُ مَوعِدُهُ. فلا تَكُ في مِرْيةٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِنهُ**﴾: من القُرآن. ﴿**إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يُؤمِنُونَ**﴾ ١٧.

٤- ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾، بِنِسبة الشريك والولد إليه؟ ﴿**أُولٰئِكَ يُعرَضُونَ علَى رَبِّهِم**﴾ يوم القِيامة، في جُملة الخلق، ﴿**ويَقُولُ الأشهادُ**﴾: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب: ﴿**هٰؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا علَى رَبِّهِم. ألا لَعنةُ اللهِ علَى الظّالِمِينَ**﴾ ١٨: المُشركين، ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِين الإسلام، ﴿**ويَبغُونَها**﴾: يطلبون السبيل ﴿**عِوَجًا**﴾: مُعوَجّة، ﴿**وهُم بالآخِرةِ هُم**﴾: تأكيد ﴿**كافِرُونَ**﴾ ١٩. **أُولٰئِكَ لَم يَكُونُوا مُعجِزِينَ**﴾ اللهَ ﴿**في الأرضِ، وما كانَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مِن أولِياءَ**﴾:

---

(١) افتراه أي: اختلق محمد ما يوحى إليه. والسور: جمع سُورة. ومفتريات: جمع مفتراة، أي: مختلَقة صنعها البشر. ولم يستيجبوا لكم أي: لم يجيبوكم إلى ما دعوتموهم إليه، لعجزهم عنه. واعلموا أي: أذعنوا بثبوت ما يُعلمكم علم اليقين. وأنزل: أوحي. والملتبس: المصاحب. وعلم الله: إذنه وأمره. ومخففة: يعني أن أصلها «أنّ». والإلٰه: المعبود بحق دون غيره. والمسلمون: التابعون للإسلام. و«أسلموا» يعني أن الاستفهام بـ «هل» معناه الأمر، تلطفًا بالدعوة وتأنيسًا بالاستجابة.

(٢) يريدها: يطلبها وحدها وينهمك فيها. والزينة: ما يُتلذّذ به ويُتفاخر. ونوفيه: نبذله كاملًا. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أوفعل. والآخرة: الحياة البعيدة تكون بالبعث بعد الموت. والنار أي: العذاب في نار جهنم. وصنعوه: عملوه بإتقان مع اختيار وإرادة، دون إيمان أو إخلاص. وفيها أي: بطل فيها. وفيما عدا خ: «أي الآخرة». والباطل: الفاسد لا يعتدّ به. ويعملون أي: يعملونه في الدنيا من البر والإحسان.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. و«هو» أي: من كان على بينة. ومن ربه أي: من عنده وبوحيه وأمره. ويتبعه: يؤيده ويسدده. والشاهد: المؤيد المقوي يشهد بصحة ما جاء به الآخَر. وفيما عدا الأصل والنسخ: «شاهد له يصدقه». والإمام: المقتدَى به في الدين. والرحمة: العطف والإحسان بالنعم. فالبينة هي القرآن، والشاهد هو جبريل، والتوراة شاهد آخر. وحال: يعني أن إمامًا: حال من التوراة، ورحمة: معطوف. و«لا» هو جواب للاستفهام التقريري، أي: لايستويان. والمراد: أفمن كان مصاحبًا للقرآن، ويشهد له جبريل والتوراة مِن قبل، كالمشرك الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها؟ محال أن يكونا سواء، بل بينهما فرق عظيم، يتميز به الأول في الدنيا والآخرة. وتقدير السيوطي «كمن ليس كذلك» غير واف بالمعنى المراد في النظم الكريم. والتوراة بشرت برسالة محمد ﷺ. فهي شاهد أيضًا يؤيده. ويؤمنون به أي: يصدّقونه قلبًا ولسانًا وعملًا. ويكفر به أي: يكذّبه. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة من الناس على دين واحد. والنار: نار جهنم خالدًا فيها. وموعده: مكان وعده الذي يصير إليه. والحق: الصدق الثابت. ومن ربك أي: من عنده وبوحيه وأمره. و«أهل مكة» الصواب أن المراد جميع البشر. ولا يؤمنون أي: لقلة تبصرهم لايتدبرون ما في القرآن فلا يصدقونه.

(٤) أظلم أي: أكثر تجاوزًا للحق. وأفظع التجاوز هو الشرك. وافترى: اختلق. ويُعرَضون: يُحضرون فتنشر أعمالهم. واللعنة: الطرد من رحمة الله. ويصدون: يمتنعون ويمنعون الناس. والسبيل: الطريق الواضح. والكافر: المكذب قلبًا ولسانًا وعملًا. وتأكيد: يعني أنّ «هم»: توكيد لفظي لنظيره قبل. والمعجز هو المتفلّت الهارب لايدركه من يطلبه. والأولياء: جمع وليّ. ويضاعف: يجعل أضعافًا. وبإضلالهم أي: بسبب إضلالهم غيرَهم. ولايستطيعه: لايقدر على استعماله. ولايبصرونه أي: لايدركون دلائله ولايتعظون بها. وخسروا أنفسهم أي: فقدوا سعادتها، وسببوا لها ضياع ما كانت تأمل من خير. ويفترُون أي: يختلقونه من الآلهة التي عبدوها، وزعموا أنها تشفع لهم يوم القيامة. والأخسرون: الأكثر خسارة من غيرهم، أي: ما أعظم خسارتَهم !

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ
وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

أنصارٍ يمنعونهم من عذابه، ﴿**يُضاعَفُ لَهُمُ العَذابُ**﴾ بإضلالهم غيرَهم، ﴿**ما كانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمعَ**﴾ للحقّ، ﴿**وما كانُوا يُبصِرُونَ**﴾ ٢٠هـ، أي: لفَرط كراهتهم له كأنهم لا يستطيعون ذلك. ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾، لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ٢١ على الله، من دعوى الشريك، ﴿**لَا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّهُم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ**﴾ ٢٢.

١ - ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وأخبَتُوا**﴾: سكنوا واطمأنّوا أو أنابوا ﴿**إلَى رَبِّهِم، أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٢٣. ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الفَرِيقَينِ**﴾: الكُفّارِ والمُؤمنين ﴿**كالأعمَى والأصَمِّ**﴾ - هذا مَثل الكافر - ﴿**والبَصِيرِ والسَّمِيعِ**﴾. هذا مَثل المُؤمن. ﴿**هَل يَستَوِيانِ مَثَلًا**﴾؟ لا. ﴿**أفلا تَذَّكَّرُونَ**﴾ ٢٤، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتّعظون؟

ربع الحزب ٢٣

٢ - ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، أنِّي**﴾ أي: بأني - وفي قراءة بالكسر على حذف القول - ﴿**لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٢٥: بيّنُ الإنذارِ، ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**لا تَعبُدُوا إلّا اللهَ. إنِّيَ أخافُ علَيكُم**﴾، إن عبدتم غيره، ﴿**عَذابَ يَوم ألِيمٍ**﴾ ٢٦: مؤلم في الدنيا والآخِرة. ﴿**فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾، وهم الأشرافُ: ﴿**ما نَراكَ إلّا بَشَرًا مِثلَنا**﴾، ولا فضل لك علينا، ﴿**وما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلّا الَّذِينَ هُم أراذِلُنا**﴾: أسافِلُنا كالحاكة والأساكفة ﴿**بادِئَ الرّأيِ**﴾، بالهمز وتركه، أي: ابتداءً من غير تفكّر فيك - ونصبُه على الظرف أي: وقتَ حُدوثِ أوّل رأيهم - ﴿**وما نَرَى لَكُم علَينا مِن فَضلٍ**﴾، فتستحقّون به الاتّباع منّا، ﴿**بَل نَظُنُّكُم كاذِبِينَ**﴾ ٢٧ في دعوى الرسالة. أَدرجوا قومه معه في الخِطاب.

٣- ﴿**قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم**﴾: أخبِروني، ﴿**إن كُنتُ علَى بَيِّنةٍ**﴾: بيان ﴿**مِن رَبِّي، وآتاني رَحْمةً**﴾: نُبوّة ﴿**مِن عِندِهِ، فعَمِيَتْ**﴾: خَفِيَتْ ﴿**علَيكُم**﴾ -

(١) آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا الصالحات: قاموا بالأعمال التي حسنها الشرع نية وقولًا وفعلًا. وإلى ربهم أي: إلى رضاه ورحمته. وأصحاب الجنة: المقيمون فيها كالمالكين. والأصحاب: جمع صاحب. والجنة: الحديقة العظيمة. والخالد: الذي يطيل البقاء فيلزمه أبدًا. والفريق: الجماعة. وكالأعمى أي: كصفة الأعمى. والأصم: الذي فقد السمع. و«لا» يعني: لايستويان، لأن الفرق بينهما كبير جدًا كالمتناقضين. ومثلًا أي: صفة. والتذكر: استحضار الأمور في الذهن، للاستدلال بها على الصواب.

(٢) أرسلناه: بعثناه رسولًا لتبليغ التوحيد. ونوح: رابع نبي كان بعد آدم وشيث وإدريس، فيما نعلم. وقومه: جماعته كانت تعبد الأصنام. وبالكسر يريد القراءة «إنّي». والمحذوف «قائلًا» بعد «نوحًا». والنذير: المخوِّف بالعذاب لمن كفر وعصى. ولاتعبدوا: لاتطيعوا ولاتقدسوا. وأخاف: أتوقع بيقين. واليوم: الوقت. والملأ: الذين يملؤون المجالس بأجسامهم والقلوب مهابة. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله وأشركوا بالله بعض مخلوقاته. ونرى: نبصر عِيانًا. والبشر: الآدمي. ومِثلنا أي: مماثل إيّانا في الصفة والمنزلة. واتبعك: قلدك وأطاعك. والأراذل: جمع أرذَل. وهو أكثر الناس رغبة عنه لرداءة حاله وضعف تفكيره، سريع الاستجابة والانقياد، لا يبالي ما يقول ولا ما يقال له. انظر الآية ١١١ من سورة الشعراء. والحاكة: جمع حائك. وهو الذي ينسج القماش. والأساكفة: جمع إسكاف. وهو صانع الأحذية. والبادئ والبادي: الأول. والرأي: التفكر في مبادئ الأمور، للعلم بما تؤول إليه من الصواب والخطأ. وتركه أي: ترك الهمز. يريد القراءة «بادِيَ». وقومه أي: الذين آمنوا برسالته. والفضل: الزيادة في القدرات والصفات والعمل. وفي قرة العينين: «تستحقون». وفي المنحة: «فتستحقوا». ونظنكم: نتيقنكم. وفي هذه الآية ثلاث شُبَهٍ احتجوا بها. وهي: أن نوحًا إنسان، واتباع الفقراء له على غير يقين وصدق، وعدم التميز بما يجيز الرياسة. وسيجاب عنها في الآيات ٢٨-٣١.

(٣) القوم هنا هم الذين كفروا. ومن ربي أي: من عنده وبوحيه. وآتى: أعطى ومنح. والرحمة: العطف بالإحسان، والنبوةُ مسبَّبة عنه. ومن عنده أي: بفضله وإحسانه. وللمفعول يريد القراءة «فعُمِّيَتْ» أي: أُخفِيتْ. والكاره: المبغض للشيء ينكره. وعلى ذلك أي: على إلزامكم إياها، لأنه مما تفردت به قدرة الله. وإنما نقدر أن ندعوكم وننذركم. وأسألكم: أطلب منكم. والمال: ما يُملك من المتاع والزينة. وفي الأصل: «تعطونه». وعلى الله أي: أوجبه على نفسه تفضلًا. والطارد: المُبعِد لغيره استخفافًا به. فقد كان الملأ الكافرون طلبوا من نوح بالمكابرة والتعنت أن يُبعد المؤمنين عنه، ليجالسوه ويتبعوه، ترفعًا عن مجالسة الفقراء، كما قال زعماء قريش أيضًا عن فقراء الصحابة للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء عنك، ونحن نتبعك. وملاقو ربهم أي: راجعون إليه. وأرى: أعلم بيقين. وتجهلون: لاتفكرون ولاتعلمون. وفيما عدا الأصل وخ وع وبعض النسخ: «فهلّا». فالهمزة: استفهامية للإنكار التوبيخي، ولا: حرف تحضيض ومبالغة في التوبيخ. وهذا من نادر بليغ البيان. انظر الآية ١١ من سورة البلد. والمعنى: أتستمرون على الجهل والعناد، فلا تتذكرون ما يجب أن تفعلوه من الإيمان والطاعة؟ دعوا ما أنتم عليه، وسارعوا إلى الإيمان والصلاح. وعندي أي: في تصرفي. والخزائن: جمع خزانة. وهي مكان الحفظ للمتلكات. وفي هذا رد لقولهم: ما نرى لكم علينا من فضل. وأعلم: أعرف. والغيب: ماغاب عن حواس المخلوقات ومداركهم. وفي هذا رد لاتهامهم المؤمنين بالنفاق. والملَك: واحد الملائكة. وفي هذا رد لاحتجاجهم بأنه بشر. وتزدري أي: تزدريهم. والأعين: جمع عين. ويؤتي: يعطي. وخيرًا أي: توفيقًا وهداية وإيمانًا وأجرًا. وأعلم أي: محيط الإحاطة البالغة. والأنفس: جمع نفس. وقلت ذلك أي: ادّعيت ما نفيت عن نفسي من القول كله. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول - ﴿أَنُلزِمُكُمُوها﴾: أنُجبِركم على قَبولها، ﴿وأنتُم لَها كارِهُونَ﴾ ٢٨؟ لا نقدِرُ على ذلك، ﴿ويا قوم، لا أسألُكُم عليهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مالًا﴾ تُعطونيه - ﴿إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾: ثوابي ﴿إلّا على اللهِ - وما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني - ﴿إنَّهُم مُلاقُو رَبِّهِم﴾ بالبعث فيُجازيهم، ويأخذ لهم ممّن ظلمَهم وطردَهم - ﴿ولٰكِنِّيَ أراكُم قومًا تَجهَلُونَ﴾ ٢٩ عاقبة أمركم، ﴿ويا قوم، مَن يَنصُرُني﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه، ﴿إن طَرَدتُهُم﴾؟ أي: لا ناصر لي. ﴿أفلا﴾: أفهلّا ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ ٣٠، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، تتّعظون؟ ﴿ولا أقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائِنُ اللهِ. ولا﴾ إني ﴿أعلَمُ الغَيبَ، ولا أقُولُ: إنِّي مَلَكٌ﴾. بل أنا بشر مِثلكم. ﴿ولا أقُولُ لِلَّذِينَ تَزدَرِي﴾: تحتقر ﴿أعيُنُكُم: لَن يُؤتِيَهُمُ اللهُ خَيرًا. اللهُ أعلَمُ بِما في أنفُسِهِم﴾: قُلوبهم. ﴿إنِّي إذًا﴾: إن قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾ ٣١.

١ - ﴿قالُوا: يا نُوحُ، قَد جادَلتَنا﴾: خاصمتنا، ﴿فأكثَرتَ جِدالَنا. فائتِنا بِما تَعِدُنا﴾ به من العذاب، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ ٣٢ فيه. ﴿قالَ: إنَّما يأتِيكُم بِهِ اللهُ، إن شاءَ﴾ تعجيلَه لكم، فإنّ أمره إليه لا إليّ، ﴿وما أنتُم بِمُعجِزِينَ﴾ ٣٣: بفائتين اللهَ، ﴿ولا يَنفَعُكُم نُصحِيَ، إن أرَدتُ أن أنصَحَ لَكُم، إن كانَ اللهُ يُرِيدُ أن يُغوِيَكُم﴾ أي: إغواءكم. وجواب الشرط دلّ عليه «ولا يَنفعُكم نُصحي». ﴿هُوَ رَبُّكُم، وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ ٣٤. قال تعالى: ﴿أم﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّار مكّة: ﴿افتَراهُ﴾: اختلق مُحمّد القرآنَ؟ ﴿قُل: إنِ افتَرَيتُهُ فعلَيَّ إجرامِي﴾: أي: عُقوبتُه، ﴿وأنا بَرِيءٌ مِمّا تُجرِمُونَ﴾ ٣٥: من إجرامكم في نِسبة الافتراء إليّ.

٢ - ﴿وأُوحِيَ إلَى نُوحٍ أنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلّا مَن قَد آمَنَ. فلا تَبتَئِسْ﴾: تحزنْ ﴿بِما كانُوا يَفعَلُونَ﴾ ٣٦ من الشِّرك، فدعا عليهم بقوله: «رَبِّ، لا تَذَرْ علَى الأرضِ» إلى آخره، فأجاب الله - تعالى - دُعاءه وقال: ﴿واصنَعِ الفُلكَ﴾: السفينةَ، ﴿بِأعيُنِنا﴾: بمرأًى منّا وحِفظنا ﴿ووَحيِنا﴾: أمرِنا، ﴿ولا تُخاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا بترك إهلاكهم. ﴿إنَّهُم مُغرَقُونَ﴾ ٣٧.

---

(١) أكثرته أي: أطلته وعرضت كثيرًا من أنواعه. وائتنا به أي: استحضره وأنزله بنا. وتعدنا: تُوعدنا به وتخوّفنا. والصادق: من يقول الحق. ويأتيكم به أي: ينزله بكم. وشاء: أراد. وفائتين الله أي: هاربين من عذابه وناجين منه، إذا أراد التعجيل به في الدنيا. وإنما يؤخره لحكمة. وينفع: يفيد ويجدي. والنصح: الإرشاد إلى ما فيه الصلاح. ويغويكم: يضلكم ويثبّت في قلوبكم الضلال، لما أنتم عليه من الإصرار على الكفر والعصيان. وجواب الشرط: يعني جواب الشرط الأول في هذه الآية. أما الثاني فجوابه دل عليه الشرط الأول كله. والتقدير: إن كان الله يريد إغواءكم واستدراجكم فإن أردتُ نصحكم لاينفعْكم نصحي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. وإليه أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة، لا إلى غيره مما تعبدون، ولا إلى الفناء المطلق. وترجعون: تردون بالبعث من القبور بعد الموت، للحساب والعقاب. ويقولون: يجاهرون بالقول. وذكر «كفار مكة» من ابن كثير، وهو قول بعض المفسّرين كما جاء عن مقاتل. وآخرون على أن الضمير لقوم نوح ، كما روي عن ابن عباس، والجواب من نوح نفسه. انظر تفاسير البغوي ٢:٣٨١ والخازن ٣:٢٢٨ وأبي السعود ٤:٢٠٥. ويُضعف قولَ الآخرين ورودُ «قل» و«أوحي إلى نوح» بعدُ، خلافًا لما جاء في تفاسير القرطبي ٩:٢٩ والبحر ٥:٢٢٠ والآلوسي ١٢:٧١. فالراجح ما ذكره السيوطي هنا، يعني أن الآية ٣٥ معترضة في قصة نوح، لبيان أن مشركي مكة هم مثل قوم نوح في التكذيب والمكابرة. وافتريته: اختلقته من تلقاء نفسي كما تزعمون. والإجرام: اكتساب الذنب. وفيما عدا الأصل والنسخ: «إجرامي إثمي أي عقوبته». وعقوبته يعني: عقوبة إجرامي. والبريء: المتبرئ البعيد كل البعد. وتجرم: تتحمل من الذنوب والفساد باختيار وإرادة وعزم.

(٢) أوحي إليه: بُلِّغ على لسان جبريل. ولن يؤمن أي: لن يعترف قلبه بالتوحيد وعبودية الخلق لله. وآمن: توجّه إلى الإيمان باختياره الصالح لِما في نفسه من الفطرة، فوفقه الله فيه. ويفعلون أي: يكتسبونه ويتحملونه اختيارًا وإرادة وعزمًا، بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. و«بقوله» انظر الآية ٢٦ من سورة نوح. وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «فأجاب الله دعاءه». ولفظ الجلالة ليس في ث وع. واصنع الفلك: اعملها متقنة محكمة. والأعين: جمع عين، يراد به التعظيم لا التكثير، مبالغة في الحفظ والحماية. وعين الله صفة وصف نفسه بها، كما يليق بجلاله وعظمته، من دون تمثيل أو تقريب أو تعطيل. ولاتخاطبني فيهم أي: لا تراجعني في شأنهم، ولا تدعُني برفع العذاب عنهم حين يحل بهم. وظلم: تجاوز الحق فوضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أشنع ذلك. والمغرق: الذي يختنق بالماء.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ (٤٥)

١- ﴿**وَيَصنَعُ الفُلكَ**﴾ - حكاية حال ماضية - ﴿**وكُلّما مَرَّ عليهِ مَلأٌ**﴾: جماعة ﴿**مِن قَومِهِ سَخِرُوا مِنهُ**﴾: استهزؤوا به. ﴿**قالَ: إن تَسخَرُوا مِنّا فإنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرُونَ**﴾ ٣٨، إذا نجونا وغرقتم. ﴿**فسَوفَ تعلَمُونَ مَن**﴾: موصولة مفعول العِلم ﴿**يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ**﴾: ينزل ﴿**علَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾ ٣٩: دائم.

نصف الحزب ٢٣

٢- ﴿**حَتّى**﴾: غايةٌ للصنع ﴿**إذا جاءَ أمرُنا**﴾ بإهلاكهم، ﴿**وفارَ التَّنُّورُ**﴾ للخبّاز بالماء - وكان ذلك علامة لنُوح - ﴿**قُلْنا: احمِلْ فِيها**﴾: في السفينة ﴿**مِن كُلِّ زَوجَينِ**﴾ أي: ذكرٍ وأُنثَى، أي: من كُلّ أنواعهما ﴿**اثنَينِ**﴾ ذكرًا وأُنثى، وهو مفعول - وفي القِصّة أنّ الله حشر لنُوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرِب بيده في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذكر واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة - ﴿**وأهلَكَ**﴾ أي: زوجتَه وأولاده، ﴿**إلّا مَن سَبَقَ علَيهِ القَولُ**﴾ أي: منهم بالإهلاك - وهو زوجته واعلةُ وولده كنعانُ، بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ، فحملهم وزوجاتهم ثلاثةً - ﴿**ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلّا قَلِيلٌ**﴾ ٤٠. قيل: كانوا ستّة رجال ونساءهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

٣- ﴿**وقالَ**﴾ نُوح: ﴿**اركَبُوا فِيها، بِاسمِ اللهِ مَجراها ومَرساها**﴾، بفتح الميمين وضمّهما، مصدران أي: جريُها ورُسوُّها، أي: منتهى سيرها. ﴿**إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٤١ حيثُ لم يُهلِكنا. ﴿**وهْيَ تَجرِي بِهِم في مَوجٍ كالجِبالِ**﴾، في الارتفاع والعِظم، ﴿**ونادَى نُوحٌ ابنَهُ**﴾ كنعانَ، ﴿**وكانَ في مَعزِلٍ**﴾ عن السفينة: ﴿**يا بُنَيِّ، اركَبْ مَعَنا، ولا تكُنْ مَعَ الكافِرِينَ**﴾ ٤٢. ﴿**قالَ: سآوِي إلَى جَبَلٍ، يَعصِمُني**﴾: يمنعني ﴿**مِنَ الماءِ. قالَ: لا عاصِمَ اليَومَ مِن أمرِ اللهِ**﴾: عذابِه، ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن رَحِمَ**﴾ اللهُ فهو المعصوم. قال تعالى: ﴿**وحالَ بَينَهُما المَوجُ، فكانَ مِنَ المُغرَقِينَ**﴾ ٤٣.

٤- ﴿**وقِيلَ: يا أرضُ، ابلَعِي ماءَكِ**﴾ الذي نبع منك - فشربَتْه، دُون ما نَزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا - ﴿**ويا سَماءُ، أقلِعِي**﴾: أمسِكي عن المطر. فأمسكتْ، ﴿**وغِيضَ**﴾: نَقَص ﴿**الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ**﴾: تمّ أمر هلاك قوم نُوح، ﴿**واستَوَتْ**﴾: وقفَتِ السفينةُ ﴿**علَى الجُودِيِّ**﴾: جبل بالجزيرة بقرب المَوصل، ﴿**وقِيلَ: بُعْدًا**﴾: هلاكًا ﴿**لِلقَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ٤٤: الكافرين. ﴿**ونادَى نُوحٌ ربَّهُ، فَقالَ: رَبِّ، إنَّ ابنِي**﴾ كنعانَ ﴿**مِن أهلِي**﴾، وقد وعدتَني بنجاتهم، ﴿**وإنَّ وَعدَكَ الحَقُّ**﴾ الذي لا خُلف فيه، ﴿**وأنتَ أحكَمُ الحاكِمِينَ**﴾ ٤٥: أعلمهم وأعدلهم.

---

(١) يصنعها: يعملها بإتقان وإحكام. وحكايتها أي: استحضارها كأنها تحصل الآن. ومر عليه أي: مشى قريبًا منه. وقومه: الناس الذين كذبوه وكفروا. وتعلمون: تعرفون بيقين. ويأتيه: ينزل به. ويخزيه: يفضحه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة.

(٢) غاية للصنع أي: بقي يصنع السفينة حتى أمرْنا بركوبها. وجاء: حلّ وقته. وفار: نبع الماء. وللخباز: يعني أن التنور هو مستوقد النار للخبز. والراجح أن التنور هنا هو وجه الأرض. انظر فتح القدير ٢: ٦٩٥. واحمل أي: ضع. والزوجان: من الحيوان كل فردين يحصل بينهما تزاوج. ومفعول: يعني أن «اثنين»: مفعول به لـ «احمل». والوصف لما كان في السفينة هو من التفصيلات الإسرائيلية المصنوعة المتناقضة. وسبق عليه أي: مضى وتحقق في علم الله. وأم كنعان كافرة. وزوجة نوح الأولى مؤمنة، وهي أم الأولاد المؤمنين، حملها معه في السفينة. وعدد الأولاد قول فيه نظر، لأن من عاش ألف سنة يكون له عدد كبير من الأولاد يتجاوز العشرات أو المئات، خلافًا لِما هو شائع في التاريخ. والحديث الذي تفرد به الترمذي ٤: ٤١٨، في هذا، لم يذكر في الصحاح، فلا يكون دليلًا في الغيبيات. انظر الجامع الصغير ٢: ٤٩ وصحيحه ١: ٦٧٢ والآية ٤٨. و«ثلاثة» كذا بالتاء، وهوجائز صحيح لأن العدد لم يضف إلى المعدود. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والخلاف في عدد الذكور والإناث لا فائدة فيه.

(٣) المَرسى: الثبوت والاستقرار. وبضمهما يريد القراءة «مُجراها ومُرساها». ومُجراها: إجراؤها ودفعها. ومُرساها: إرساؤها وإيقافها. والغفور الرحيم: من المغفرة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، ومن الرحمة، أي: العطف بالإحسان. وتجري: تنطلق بسرعة. والموج: ارتفاع الماء حين اضطرابه. والجبال: جمع جبل. والمعزل: الموضع البعيد. وبُنَيّ: ابني، مصغر «ابن» مضافًا إلى ياء المتكلم. وفي الفتوحات والصاوي: «يا بُنَيَّ». وآوي: ألتجئ وأتحصّن. والعاصم: المنجّي. ورحم: عطف عليه بالنجاة. وحالَ: فصل. وكان: صار. والمغرق: الهالك خنقًا بالماء.

(٤) قول السيوطي «دون ما نزل من السماء» الصواب أن يقال: ما على وجهك من ماء الطوفان. وابلعيه: اشربيه. والنقص وحده لايدل على معنى «غيض»، لأن المراد استمرار النقص حتى نضب الماء وذهب كله. والظالم: من جاوز الحق. وأشنع ذلك هو الكفر. وناداه أي: دعاه متضرعًا. ورب أي: ياربي. حذفت «يا» للمبالغة في توكيد النداء، وفي التعظيم دفعًا لِما تُشعر به من معنى الأمر والتنبيه. ومن أهلي أي: من صُلبي. والوعد: العهد الموثق. والحق: النافذ فعلًا دون شك. والحاكم: القاضي ذو الحكمة والتبصر. وأحكم الحاكمين: أعلمهم وأعدلهم وأكثرهم حكمة.

قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

١- ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا نوحُ، إنَّهُ لَيسَ مِن أهلِكَ﴾ الناجين، أو من أهل دِينك. ﴿إنَّهُ﴾ أي: سُؤالك إيّاي بنجاته ﴿عَمَلٌ غيرُ صالِحٍ﴾. فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين. وفي قراءةٍ بكسر ميم «عَمِلَ»: فعلٌ، ونصبِ «غيرَ» فالضمير لابنه. ﴿فلا تَسألَنِّي﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾ من إنجاء ابنك. ﴿إنِّي أعِظُكَ أن تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾ ٤٦، بسؤالك ما لم تعلم. ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي أعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أن أسألَكَ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ، وإلّا تَغفِرْ لي﴾ ما فَرَط منّي ﴿وتَرحَمْني أكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ ٤٧.

٢- ﴿قِيلَ: يا نُوحُ، اهبِطْ﴾: انزل من السفينة، ﴿بِسَلامٍ﴾: بسلامة أو بتحيّة ﴿مِنّا، وبَرَكاتٍ﴾: خيرات ﴿عَلَيكَ، وعلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذُرّيّتهم - وهم المؤمنون - ﴿وأُمَمٌ﴾، بالرفع، ممّن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُم﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنّا عَذابٌ ألِيمٌ﴾ ٤٨ في الآخرة. وهم الكُفّار. ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ المُتضمّنة قِصّةَ نوح ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبارِ ما غاب عنك، ﴿نُوحِيها إلَيكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿ما كُنتَ تَعلَمُها أنتَ ولا قَومُكَ مِن قَبلِ هٰذا﴾ القُرآنِ. ﴿فاصبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك، كما صبر نُوح. ﴿إنَّ العاقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ ٤٩.

٣- ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى عادٍ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿هُودًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه. ﴿ما لَكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿إلٰهٍ غَيرُهُ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في عِبادتكم الأوثانَ ﴿إلّا مُفتَرُونَ﴾ ٥٠: كاذبون على الله. ﴿يا قَومِ، لا أسألُكُم عَلَيهِ﴾: على التوحيد ﴿أجرًا. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلّا علَى الَّذِي فَطَرَنِيَ﴾: خلقني. ﴿أفلا تَعقِلُونَ ٥١؟ ويا قَومِ، استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة، ﴿يُرسِلِ السَّماءَ﴾: المطرَ - وكانوا قد مُنِعوه - ﴿عَلَيكُم مِدرارًا﴾: كثير الدُّرور، ﴿ويَزِدْكُم قُوَّةً إلَى﴾: معَ ﴿قُوَّتِكُم﴾ بالمال والولد، ﴿ولا تَتَوَلَّوا مُجرِمِينَ﴾ ٥٢: مُشركِينَ.

٤- ﴿قالُوا: يا هُودُ، ما جِئتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرهانٍ على قولك، ﴿وما نَحنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَن قَولِكَ﴾ أي: لقولك، ﴿وما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ ٥٣. إن﴾:

(١) الجمهور على أن المراد، بالضمير في «إنه» في الموضعين، هو كنعان بن نوح، وعملٌ أي: ذو عمل. ويرجِّح تفسيرَ الجمهور قراءةُ «عَمِلَ غيرَ». والعمل: الفعل المكتسب باختيار وإرادة، من نية أو قول أو تصرف. وغيرصالح أي: فاسد بالشهوات. وتسألني: تلتمس مني. وقد حذفت الياء فيما عدا الأصل والنسخ، وإثباتها جائز لبيان لفظ القراءة. وقد كانت القراءات المختلفة المشهورة، بزيادة لايحتملها رسم المصحف الواحد، ثابتة في بعض مصاحف الإمام. الإتقان ٢:٣٧٤. وفي قرة العينين: «فلاتسألَنَّ». وبالتخفيف يريد القراءة «فلا تَسألْني». وما ليس لك به علم أي: ما لا تعلم أصواب هو أم لا؟ والعلم: الإدراك اليقيني. وأعظك: أنصحك. وتكون: تصير. والجاهلون: الذين تَصرِفهم العواطف عن معرفة ما يجب. وأعوذ بك: ألتجئ إليك. وتغفر لي: تصفح عني ولا تؤاخذني. وترحمني: تعطف عليّ فتحسن إليّ بالعفو والهداية. وأكن: أصِرْ. والخاسر: الذي ضيّع ما كان يأمله.

(٢) منا أي: من عندنا وبأمرنا. والأمم: جمع أمة. وممن معك: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤٠. ونمتعهم: نهيئ لهم ما ينتفعون به ويتلذذون، استدراجًا وإغراقًا في الغي والعصيان. ويمسهم: يَنزل بهم. والأليم: المؤلم. والأنباء: جمع نبأ. ونوحيها إليك: نبلغك إياها على لسان جبريل، ونيسر لك حفظها وتبليغ الناس إياها. وتعلمها: تعرفها، أي: ماكنت تعرفها مفصلة كما ذكرناها، وإن كنت تعلم بعض وقائعها مجملة. واصبر أي: تجلد وانتظر بطمأنينة ما سيكون لك ولقومك. والعاقبة: الخاتمة فيما بينه وبين المشركين. والمتقي: من يخاف الله ويتجنب غضبه وعصيانه، ويلزم الامتثال للأمر والنهي.

(٣) عاد: قبيلة من العرب العاربة، مساكنها بين عُمان وحضرموت. وقوم هود: جماعته. وهو أول نبي في الأمم المعروفة بعد نوح. ووحدوه أي: في التقديس والطاعة. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. وأسألكم: أطلب منكم. وعلى التوحيد أي: على تبليغي إياكم به. والأجر: المكافأة. وتعقلون: تستخدمون عقولكم لتعرفوا الصواب من الخطأ. واستغفروه: اطلبوا منه ستر الذنوب والصفح عنها. ويرسل: ينزل. ومُنعوه: حُجب عنهم ولم ينزل بأرضهم. والدرور: النزول والتتابع. ويزدكم: يضاعف عليكم. والقوة: الشدة والبأس. وتتولوا: تعرضوا عن التوحيد. والمجرم: من يقترف الجرائم والفساد باختيار وقصد وتصميم.

(٤) ما جئتنا ببينة أي: ما أحضرتها لنا. يريدون المعجزات القاهرة، استهزاء وتعنتًا. وتاركي آلهتنا أي: متخلين عن عبادة الأصنام. والآلهة: جمع إلٰه. وهو المعبود. والمؤمن: المصدق المتبع. وبعض الآلهة أي: واحد منها أو أكثر. والسوء: ما يؤذي. وخبلك: أفسد عقلك. وتهذي: تتكلم بالكلام الساقط لايقبله أحد. وأُشهِده: أُقرّ أمامه بالحق ليشهد لي ويؤيّدني. واشهدوا أي: اعلموا لكي تعترفوا يوم القيامة وتقرّوا. والبريء: المتبرئ المتباعد. وتشركونه أي: تجعلونه مشاركًا في العبادة والطاعة. ومن دونه أي: غيرَ الله. ولاتنظرون أي: لاتنظروني: حذفت الياء للتخفيف. يعني: اسرعوا في هلاكي إن استطعتم. وتوكلت عليه: اعتمدت عليه وحده واثقًا مطمئنًا. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والنسمة: الكائن الحي فيه الروح. وتدب: تتحرك.=

الجزء الثاني عشر — سورة هود

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ
مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن
نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إلّا: اعتَراكَ﴾: أصابك ﴿بَعضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾، فخَبّلك لِسبّك إياها، فأنت تهذي. ﴿قالَ: إنِّي أُشهِدُ اللهَ﴾ عليَّ، ﴿واشهَدُوا أنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشركونَ﴾ ٥٤ ـ به، ﴿مِن دُونِهِ. فكِيدُونِي﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾، أنتم وأوثانكم، ﴿ثُمَّ لا تُنظِرُونِ﴾ ٥٥: تُمهلُونِ. ﴿إنّي تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ رَبِّي ورَبِّكُم. ما مِن﴾: زائدة ﴿دابّةٍ﴾: نسمة تدِبّ على الأرض ﴿إلّا هُوَ آخِذٌ بناصِيتِها﴾ أي: مالكُها وقاهرها. فلا نفع ولا ضرر إلّا بإذنه. وخَصَّ الناصيةَ بالذكر لأنّ مَن أُخذ بناصيته يكون في غاية الذلّ. ﴿إنَّ رَبِّي عَلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ ٥٦ أي: طريق الحقّ والعدل. ﴿فإن تَوَلَّوا﴾، فيه حذف إحدى التاءين، أي: تُعرِضوا ﴿فَقَد أبلَغتُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ إلَيكُم، ويَستَخلِفُ رَبِّي قَومًا غَيرَكُم، ولا تَضُرُّونَهُ شَيئًا﴾ بإشراككم! ﴿إنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾ ٥٧: رقيب.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

١- ﴿ولَمّا جاءَ أمرُنا﴾: عذابنا ﴿نَجَّينا هُودًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحمةٍ﴾: هِداية ﴿مِنّا، ونَجَّيناهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٨: شديد. ﴿وتِلكَ عادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم. أي: فسيحوا في الأرض وانظروا إليها. ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُوا بآياتِ رَبِّهِم، وعَصَوا رُسُلَهُ﴾ - جَمَعَ، لأنّ من عصى رسولًا عصى جميع الرسل، لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به. وهو التوحيد - ﴿واتَّبَعُوا﴾ أي: السَّفَلَةُ ﴿أمرَ كُلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٥٩: مُعارضٍ للحق من رُؤسائهم، ﴿وأُتبِعُوا في هٰذِهِ الدُّنيا لَعنَةً﴾ من الناس، ﴿ويَومَ القِيامةِ﴾ لعنةً على رُؤوس الخلائق. ﴿ألا إنَّ عادًا كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿رَبَّهُم. ألا بُعدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعادٍ قَومِ هُودٍ﴾ ٦٠.

٢- ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى ثَمُودَ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه. ﴿ما لَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ. هُوَ أنشَأكُم﴾: ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الأرضِ﴾، بخلق أبيكم آدم منها، ﴿واستَعمَرَكُم فِيها﴾: جعلكم عُمّارًا تسكنون بها. ﴿فاستَغفِرُوهُ﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة. ﴿إنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه، ﴿مُجِيبٌ﴾ ٦١ لمن سأله. ﴿قالُوا: يا صالِحُ، قَد كُنتَ فِينا مَرجُوًّا﴾: نرجو أن تكون سيِّدًا، ﴿قَبلَ هٰذا﴾ الذي صدر منك. ﴿أتَنهانا أن نَعبُدَ ما يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأوثان؟ ﴿وإنَّنا لَفِي شَكٍّ، مِمّا تَدعُونا إلَيهِ﴾ من التوحيد، ﴿مُرِيبٍ﴾ ٦٢: مُوقعٍ في الريب.

=والناصية: الشعر في مقدم الرأس. وهي حقيقة في بعض الخلق، واستعارة في بعض. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. وتولوا: تتولوا، أي: تستمروا على الإعراض عما أبلغكم من التوحيد. وأبلغتكم: بينت لكم. وأرسلت به أي: بعثت للدعوة إليه وأمرت باتباعه وبتبليغه. ويستخلف غيركم أي: يستأصلكم بالعذاب المهلك، ويخلق بعدكم من يكون صالحًا للطاعة والتوحيد. ولا تضرونه أي: لايسبب كفركم ضررًا أو نقصًا لمُلكه. ورقيب أي: لاتخفى عليه أعمالكم وأعمالي، فيجازي كلًّا بما هو أهله.

(١) جاء: وقع وحصل. والأمر: الحكم والقضاء. ونجيناه: أنقذناه. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا أي: من عندنا وبأمرنا. والعذاب: التعذيب المهلك بالريح التي سخرت على الكافرين. وتكرار التنجية فيه التوكيد، ودفع لقلق اللفظ إذا وقعت «مِن» بعد «منّا». وجحد: كفر وكذّب ما يعلم أنه حق لاشك فيه. والآيات: دلالة المعجزات على صدق هود في رسالته. وعصوا: أصرّوا على المخالفة والعصيان. والرسل: جمع رسول. وهو من بعث وكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وجمع أي: عَبّر بالجمع لا بالمفرد رسول. واتبعوا أمره: وافقوه وأطاعوه فيما أمرهم به. والسفلة: جمع سافل. وهو الحقير الدنيء. والجبار: من يرغم الناس على ما يريد. والعنيد: من يخالف الحق وهو يعرفه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «معاند للحق». واللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله. وأتبعوها أي: جُعلت ملازمة لهم تصاحبهم. و«من الناس» كذا. والصواب: من الله وعباده المؤمنين، كما في تفسير ابن كثير. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. ط: «ألَا إنّ عادًا». وجحدوه: أنكروا الإيمان به. والبعد: الطرد والهلاك بالعذاب العظيم.

(٢) ثمود هي عاد الثانية قبيلة من العرب العاربة أيضًا، أقدم الأمم التي لها آثار معروفة حتى الآن، كان موطنها في الحِجر، شمال المدينة المنورة. وأخوهم أي: من هو أحد أفرادهم لأنه من ذريتهم ويعيش معهم أيضًا. والإله: المعبود بحق. والأرض: موطن الحياة الدنيا. واستغفروه أي: اطلبوا منه أن يستر ذنوبكم ويصفح عنها. وإليه أي: إلى امتثال أمره ونهيه، وطلب رضاه بترك الكفر واتباع الإيمان. وانظر الآية ٥٠. وبعلمه أي: وبرحمته وسلطانه. فالقرب بالمكانة لا بالمكان. ومجيب أي: يعطي ما سئل بالدعاء والرجاء. وتنهى: تمنع وتحرّم. ونعبد: نقدس ونطيع. والآباء: جمع أب. وهو يطلق على الوالد والجد. والشك: التردّد وعدم الطمأنينة. وتدعونا إليه أي: تبلغنا به وترشدنا إليه. والريب: الحيرة وقلق النفس وانتفاء اليقين.

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَـٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ
ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

١ - ﴿قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم إن كُنتُ علَى بَيِّنةٍ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّي، وآتاني مِنهُ رَحْمةً﴾: نُبوّة، ﴿فمَن يَنصُرُني﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابه، ﴿إن عَصَيتُهُ؟ فما تَزيدُونَني﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيرَ تَخسِيرٍ﴾ ٦٣: تضليل. ﴿ويا قَومِ، هٰذِهِ ناقةُ اللهِ لَكُم آيةً﴾: حالٌ عاملُه الإشارة. ﴿فذَرُوها تأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾: عَقرٍ، ﴿فيأخُذَكُم عَذابٌ قَرِيبٌ﴾ ٦٤ إن عقرتموها. ﴿فعَقَرُوها﴾ عقرها قُدارٌ بأمرهم، ﴿فقالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ﴿في دارِكُم ثَلاثةَ أيّامٍ﴾، ثمّ تَهلِكون. ﴿ذٰلِكَ وَعدٌ غَيرُ مَكذُوبٍ﴾ ٦٥ فيه.

٢- ﴿فلَمّا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّينا صالِحًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ - وهم أربعة آلاف - ﴿بِرَحْمةٍ مِنّا، و﴾ نجّيناهم ﴿مِن خِزْيِ يَومِئذٍ﴾، بكسرِ الميم إعرابًا، وفتحِها بناءً لإضافته إلى مبنيّ - وهو الأكثر. ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ ٦٦: الغالب - ﴿وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحةُ، فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمِينَ﴾ ٦٧: باركين على الرُّكب ميّتينَ، ﴿كأنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمها محذوف أي: كأنّهم ﴿لَم يَغنَوا﴾: يُقيموا ﴿فِيها﴾: في ديارهم. ﴿ألا إنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُم. ألا بُعدًا لِثَمُودٍ﴾ ٦٨، بالصرفِ وتركِه على معنى الحيّ والقبيلة.

٣- ﴿ولَقَد جاءَتْ رُسْلُنا إبراهِيمَ بِالبُشرَى﴾، بإسحاقَ ويعقوبَ بعده، ﴿قالُوا: سَلامًا﴾: مصدر. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ عليكم. ﴿فما لَبِثَ أن جاءَ بِعِجلٍ حَنِيذٍ﴾ ٦٩: مشويّ، ﴿فلَمّا رأَى أيدِيَهُم لا تَصِلُ إلَيهِ نَكِرَهُم﴾ بمعنى: أنكرهم، ﴿وأَوجَسَ﴾: أضمرَ في نفسه ﴿مِنهُم خِيفةً﴾: خوفًا. ﴿قالُوا: لا تَخَفْ. إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومِ لُوطٍ﴾ ٧٠ لنُهلكَهم. ﴿وامرأتُهُ﴾ أي: امرأة إبراهيمَ سارةُ ﴿قائمةٌ﴾ تخدمهم، ﴿فضَحِكَتْ﴾ استبشارًا بهلاكهم، ﴿فبَشَّرْناها بِإسحاقَ، ومِن وَراءِ﴾: بعدِ ﴿إسحاقَ يَعقُوبُ﴾ ٧١ ولدُه تَعيشُ إلى أن تراه.

---

(١) أرأيتم أي: أخبروني. وآتاني: أعطاني. ومنه: من عنده وبأمره. والرحمة: العطف بالإحسان. وعصيته: خالفت أمره. وتزيدونني: تضيفون إلى ما أنا عليه. وتخسير أي: جعلي مضيِّعًا ما منحني الله من الخير. والناقة: الأنثى من الإبل. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٣ من سورة الأعراف. ولكم أي: مختصة بكم. والآية: المعجزة الدالة على صدق النبي صالح. وحال: يعني أن «آيةً»: حال من «ناقة». وذروها أي: اتركوها. وتأكلُ: تتغذى. وتمس: تصيب. والسوء: الأذى. والعقر: قطع إحدى القوائم ليتيسر الذبح. ويأخذكم: يعاقبكم. والعذاب: التعذيب المستأصِل. والقريب: العاجل لايتأخر بعد إساءتكم إلى الناقة. وقدار: ابن سالف من أشقياء بني ثمود، كان جزارًا ذا منعة وسيادة. وداركم: بلدكم. والأيام: جمع يوم. وذلك أي: ما أهدّدكم به من العذاب بعد الأيام المذكورة. والوعد: الوعيد بالهلاك.

(٢) في عدد المؤمنين خلاف كبير، ولا فائدة فيه. انظر تفسير الآلوسي ٨:٢٤٩-٢٥٠. والخزي: الذلة والعار. ويومئذ أي: يوم هلاك الكافرين. وبفتحها يريد القراءة «يَومَئذٍ». ومبني يعني: إذْ. والأكثر: يعني أن بناء «يومَ» على الفتح، في مثل هذا، هو أكثر في الاستعمال لا في القراءات هنا، إذ الفتح والكسر فيها متساويان. الفتوحات ٢:٤٠٨ والصاوي ٢:٢٢١. والخطاب بعدُ هو للنبي ﷺ. والقوي: الكامل القوة بذاته، لا يعجزه شيء بحال من الأحوال. وأخذ: أهلك واستأصل بالقهر والعنف. وظلموا: تجاوزوا الحد بالكفر والعصيان. والصيحة: الصوت العظيم من السماء زُلزلت له الأرض بمن فيها. وأصبحوا: دخلوا في الصباح. والديار: جمع دار. ومخففة: يعني أن «كأنْ» أصلها «كأنّ». وكفروه: جحدوا ألوهيته وتوحيده. والبعد: الهلاك بالعذاب العظيم. وبالصرف... الحي: يعني أن تنوين «ثمود» في الموضعين على إرادة معنى الحي، أي: أبناء الجد الواحد. وتركه: ترك الصرف. يريد القراءة «إنَّ ثَمودَ» و«لِثَمودَ». فعدم التنوين يعني أن الاسم مؤنث على إرادة معنى القبيلة.

(٣) جاءته: أتته وقابلته عِيانًا. والرسل: جمع رسول. وهم هنا ملائكة فيهم جبريل. والمشهور أن إبراهيم كان مقيمًا في نابلس، بعد أن هاجر مع زوجته سارة ولوط. والبشرى: الخبر يَسرّ ويُسعد. وبإسحاق ويعقوب بعده أي: بتبشير الملائكة له أن يكون له ولدٌ اسمه إسحاق، وبعدُ حفيدٌ من إسحاق اسمه يعقوب. وهذه البشارة لم ينقلوها إليه حينذاك، وإنما سترد بعد ضحك سارة، وقبلها سيكون التبشير بنجاة لوط وإهلاك قومه. والسلام: السلامة والأمن. وما لبث: ما أبطأ وما تأخر. وجاء بعجل: أحضر ولد بقرة لم يبلغ الشهر من عمره. ورأى: أبصر إبراهيمُ بعينه. والأيدي: جمع يد. ولا تصل إليه: لاتمتد إلى العِجل للأكل. يعني أنهم امتنعوا من الطعام. وأنكرهم: أنكر حالهم، لأن امتناعهم من الطعام يعني أنهم لم يقبلوا الضيافة، وقد يكونون ممن يُضمرون له الشر، إذ لم يكن يعلم أنهم ملائكة لايأكلون ولايشربون كالبشر. ومنهم: من جهتهم. ولاتخف: اطمئن وائمن. وأُرسلنا: بُعثنا بأمر الله. وقوم لوط: الجماعة التي يعيش بينهاقريبًا من مدينة حمص. ولوط لم يكن من نسل هذه الجماعة، وإنما أرسله الله إليها بعد هجرته مع عمه إبراهيم من العراق. وقائمة: في حالة قيام ونشاط تعمل لإكرام الضيف. وضحكت: انفرجت شفتاها من السرور. وبشرناها: أخبرناها على ألسنة الملائكة ما يَسرّها. وبإسحاق أي: بأن تحمل به وتلده. وكانت عقيمًا لم تحمل قط. ويعقوب: أبو يوسف. وولده أي: ولد إسحاق.

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ
قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا
يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

١ - ﴿**قالَتْ: يا وَيلَتا**﴾ - كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة - ﴿**أألِدُ وأنا عَجوزٌ**﴾ لي تسع وتسعون سنة، ﴿**وهٰذا بَعلي شَيخًا**﴾ له مِائة أو وعشرون سنة؟ ونصبُه على الحال والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة. ﴿**إنَّ هٰذا لَشَيءٌ عَجيبٌ**﴾ ٧٢ أن يُولد ولد لهرِمَين. ﴿**قالُوا: أتعجَبينَ مِن أمرِ اللهِ**﴾: قُدرته؟ ﴿**رَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيكُم**﴾، يا ﴿**أهلَ البَيتِ**﴾: بيت إبراهيم. ﴿**إنَّهُ حَميدٌ**﴾: محمود ﴿**مَجيدٌ**﴾ ٧٣: كريم.

٢ - ﴿**فلَمّا ذَهَبَ عَن إبراهيمَ الرَّوعُ**﴾: الخوف، ﴿**وجاءَتهُ البُشرَى**﴾ بالولد، أخذ ﴿**يُجادِلُنا**﴾: يُجادل رُسلنا ﴿**في**﴾ شأن ﴿**قَومِ لُوطٍ**﴾ ٧٤. ﴿**إنَّ إبراهيمَ لَحَليمٌ**﴾: كثير الأناة، ﴿**أوّاهٌ مُنيبٌ**﴾ ٧٥: رَجّاع. فقال لهم: أتُهلِكون قرية فيها ثلاثُمائةِ مؤمنٍ؟ قالوا: لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها مِائتا مؤمنٍ؟ قالوا؟ لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها أربعةَ عشَرَ مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. «قالَ: إنَّ فِيها لُوطًا. قالُوا: نَحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها» إلى آخره. فلمّا أطال مُجادلتهم قالوا: ﴿**يا إبراهيمُ، أعرِضْ عَن هٰذا**﴾ الجدال. ﴿**إنَّهُ قَد جاءَ أمرُ رَبِّكَ**﴾ بهلاكهم، ﴿**وإنَّهُم آتِيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردُودٍ**﴾ ٧٦.

٣ - ﴿**ولَمّا جاءَت رُسُلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِم**﴾: حَزِنَ بسببهم، ﴿**وضاقَ بِهِم ذَرعًا**﴾ صدرًا، لأنهم حِسان الوجوه في صُورة أضياف، فخاف عليهم قومه، ﴿**وقالَ: هٰذا يَومٌ عَصِيبٌ**﴾ ٧٧: شديد. ﴿**وجاءَهُ قَومُهُ**﴾، لمّا علموا بهم، ﴿**يُهرَعُونَ**﴾: يُسرعون ﴿**إلَيهِ، ومِن قَبلُ**﴾: قبلَ مجيئهم ﴿**كانُوا يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ**﴾. هي إتيان الرجال في الأدبار. ﴿**قالَ**﴾ لوط: ﴿**يا قَوم، هٰؤُلاءِ بَناتي**﴾ فتزوّجوهنّ، ﴿**هُنَّ أطهَرُ لَكُم. فاتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ**﴾: تَفضحوني ﴿**في ضَيفِي**﴾: أضيافي. ﴿**ألَيسَ مِنكُم رَجُلٌ رَشِيدٌ**﴾ ٧٨، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ ﴿**قالُوا: لَقَد عَلِمتَ: ما لَنا في بَناتِكَ مِن حَقٍّ**﴾: حاجة، ﴿**وإنَّكَ لَتَعلَمُ ما نُريدُ**﴾ ٧٩ من إتيان الرجال. ﴿**قالَ: لَو أنَّ لِي بِكُم قُوَّةً**﴾: طاقة، ﴿**أو آوِي إلى رُكنٍ شَدِيدٍ**﴾ ٨٠: عشيرة تنصرني لبطشتُ بكم.

٤ - فلمّا رأتِ الملائكة ذلك ﴿**قالُوا: يا لُوطُ، إنّا رُسُلُ رَبِّكَ. لَن يَصِلُوا إلَيكَ**﴾ بسوء. ﴿**فأسْرِ بِأهلِكَ بِقِطْعٍ**﴾: طائفة ﴿**مِنَ اللَّيلِ، ولا يَلتَفِتْ**﴾

(١) الويلة: الفضيحة، تستعمل في الكلام للتعجب من أمر يدهم النفس. ومبدلة: يعني أن الأصل: يا وَيلَتِي! وألد: أحمل وأضع طفلًا. والعجوز: التي تجاوزت الستين سنة. والبعل: الزوج. والشيخ: من أدرك الشيخوخة. و«أو» المراد: أو مائة وعشرون سنة. والإشارة يعني: مافي «ذا» من معنى الفعل والحدث. انظر الآية ٦٤. والشيء: ما هو موجود. والعجيب: الغريب حصوله يدعو إلى إنكار وقوعه. والرحمة: العطف بالإحسان. والبركة: الفضل الثابت النامي. والأهل: الأصحاب. يعني: أهل بيت النبوة من أزواج وأولاد حاضرين أو قادمين. والحميد: المستحق للحمد والثناء دائمًا. والمجيد: البالغ النهاية في الكرم والعز.

(٢) ذهب: انكشف. والمراد بالخوف ما استشعره منهم في أول الآية ٧٠. وجاءته: أتته. والبشرى: البشارة. ويجادل رسلنا: يعترض عليهم، حرصًا على استجابة قوم لوط للهداية. والأناة: التمهل والترفق في معالجة الأمور. والأوّاه: الكثير التلهف والتضرع إلى الله. والرجّاع: الكثير الرجوع والبعد عما يكرهه الله خوفًا ورجاء. والقول المنسوب إلى إبراهيم هنا أسقط السيوطي منه بعض الجمل اختصارًا. انظر الدر المنثور ٣:٣٤٢. والقرية: المدينة. وإلى آخره: يعني الآية ٣٢ من سورة العنكبوت. وأعرض عنه: اتركه وانصرف عنه. والأمر: ما حكم به. وجاء: حان وقت وقوعه. وآتيهم: واقع بهم ومهلكهم. والعذاب: التعذيب المستأصل. وغير مردود: حاصل لامحالة، ولا مرد له بجدال أو دعاء أو غير ذلك.

(٣) جاءته الرسل: وصلت الملائكة إلى القرية التي يقيم فيها لوط، واسمها سدوم، قريبة من حمص. وسيء: لحقه ما يُحزن. وضاق بهم: لم يقوَ على احتمالهم. والذرع: القدرة. واليوم: الوقت. ويهرعون: يساقون لطلب الفاحشة في الأضياف. ويعملون: يقترفون. والسيئة: المعصية الشنيعة. وإتيان الرجال أي: اللِّواطة بهم. وبناتي أي: بنات قومي، لأن النبي يكون بمنزلة الأب لقومه. واتقوه أي: تجنبوا عصيانه والتزموا الامتثال لأمره. وتُخزونِ أي: تُخزوني، حذفت ياء المتكلم للتخفيف. وفي ضيفي: في شأنهم والإساءة إليهم. والرشيد: المُرشِد إلى الحق. وعلمت: عرَفت معرفة يقينية. والحق: النصيب من الشهوة. ونريد: نطلب. وبكم أي: على دفعكم. وآوي: ألتجئ للاستعانة والاستنصار. والركن: ما يُستنَد إليه ويُمتنع به. والشديد: القوي المنيع.

(٤) الرسل: جمع رسول، ملائكة لإهلاك الكافرين من قومك. وما كان يعلم قبل هذا أنهم ملائكة. فاطمئن. ولن يصلوا إليك أي: لن يقدروا على إيصال ضرر إلينا، ليسببوا ضررًا لك. وأسرِ: سِرْ في الليل. وبأهلك: مع مَن آمن بك مِن أسرتك وقومك. وبقطع: في الجزء الأخير. وهو السَّحَر كما في الآية ٣٤ من سورة القمر. والمراد هو الليل الذي هم فيه. وامرأة لوط اسمها والهة. ولاتسر بها: اتركها مع الكافرين، لأنها كافرة مثلهم. وهذا أحد التفسيرين للاستثناء - وهو مستفاد من قراءة النصب - والآخر هو الالتفات مستفادًا من قراءة الرفع. والمراد: لاتمنعها من الالتفات لتهلك. والراجح أنّ الزوجة لم تخرج مع المؤمنين لأنها ليست منهم، ولاتثق بما كان من تهديد زوجها للكافرين. وعلى هذا فالاستثناء منقطع وهو من النجاة، ولا علاقة للزوجة بالخروج والالتفات. ومصيبها: يعني: لكن امرأتك نازل بها ومهلكها. و«خرجت والتفتت» مبني على ما ذكر قبل. وقولها «واقوماه» تفجُّع وحسرة ونُدبة. وموعدهم: وقت وعيد هلاكهم. والصبح: الفجر. وهو بُعيد السَّحر. وقريب أي: سريع مجيئه.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

مِنكُم أحدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم، **﴿إلّا امرأتُكَ﴾** - بالرفع بدل من «أحدٌ»، وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل، أي: فلا تُسْرِ بها - **﴿إنّهُ مُصِيبُها ما أصابَهُم﴾**. فقيل: لم يخرج بها. وقيل: خرجتْ والتفتت فقالت: واقوماه. فجاءها حجر فقتلها. وسألهم عن وقت هلاكهم، فقالوا: **﴿إنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ﴾**. فقال: أريد أعجَلَ من ذلك. قالوا: **﴿أليسَ الصُّبحُ بِقَريبٍ﴾** ٨١؟

الحزب ٢٤

١- **﴿فلَمّا جاءَ أمرُنا﴾** بإهلاكهم **﴿جَعَلْنا عالِيَها﴾** أي: قُراهم **﴿سافِلَها﴾**، بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، **﴿وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ﴾**: طين طُبخ بالنار **﴿مَنضُودٍ﴾** ٨٢: متتابع، **﴿مُسَوَّمَةً﴾**: مُعلَمة عليها اسمُ من يُرمى بها **﴿عِندَ رَبِّكَ﴾**: ظرف لها. **﴿وما هِيَ﴾**: الحجارةُ أو بلادُهم **﴿مِنَ الظّالِمِينَ﴾** أي: أهلِ مكّة **﴿بِبَعيدٍ﴾** ٨٣.

٢- **﴿و﴾** أرسلنا **﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾**: وحِّدوه، **﴿مالَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ، ولا تَنقُصُوا المِكيالَ والمِيزانَ - إنِّيَ أراكُم بِخَيرٍ﴾**: نِعمة تُغنيكم عن التطفيف، **﴿وإنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾**، إن لم تُؤمنوا، **﴿عَذابَ يَومٍ مُحِيطٍ﴾** ٨٤ بكم يُهلككم. ووصفُ اليوم به مجاز لوقوعه فيه - **﴿ويا قَومِ، أوفُوا المِكيالَ والمِيزانَ﴾**: أتمّوهما، **﴿بِالقِسطِ﴾**: بالعدل، **﴿ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم﴾**: لا تَنقُصوهم من حقّهم شيئًا، **﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾** ٨٥ بالقتل وغيره. من: عَثِيَ، بكسر المُثلَّثة: أفسد. ومفسدين: حال مؤكِّدة لمعنى عاملها: تعثَوا. **﴿بَقِيَّةُ اللهِ﴾**: رزقُه الباقي لكم، بعد إيفاء الكيل والوزن، **﴿خَيرٌ لَكُم﴾** من البخس، **﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ، وما أنا علَيكُم بِحَفِيظٍ﴾** ٨٦: رقيبٍ أُجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثتُ نذيرًا.

٣- **﴿قالُوا﴾** له استهزاء: **﴿يا شُعَيبُ، أصَلَواتُكَ تأمُرُكَ﴾** بتكليفِ **﴿أن نَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا﴾** من الأصنام، **﴿أو﴾** نترك **﴿أن نَفعَلَ في أموالِنا ما نَشاءُ﴾**؟ المعنى: هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داعي خير. **﴿إنّكَ لَأنتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** ٨٧. قالوا ذلك استهزاء.

٤- **﴿قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم إن كُنتُ علَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي، ورَزَقَنِي مِنهُ رِزقًا حَسَنًا﴾**: حلالًا، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ **﴿وما أُرِيدُ أن**

---

(١) جاء أمرنا: قضي ما أمرنا به. وجعل: صيّر. والعالي: ما كان فوق الأرض من المساكن والمصالح. والسافل: ما كان تحت سطح الأرض، أي: وسافلَها عاليَها أيضًا. وأمطر: أسقط. والحجارة: جمع حجر. و«معلمة» الراجح أن المسومة هي التي عليها علامات تدل على أنهاليست من حجارة الأرض. انظر البحر ٥: ٢٥٠. وعند ربك أي: سُوِّمت بأمر الله. والظالم: من تجاوز الحق. والكفر أشنع ذلك. والراجح أن المراد عموم الظالمين.

(٢) مَدْيَن: قبيلة جدها مَدْيَنٌ. ومعناه مُحكِم. وهو ابن إبراهيم من زوجتة قنطورى بنت مقطور، من العرب العاربة، وكان له إخوة أشقاء أقاموا بمكة، ثم تفرقوا فكان منهم قوم شعيب وترك خراسان وما حولها. وأخاهم أي: هو من قبيلتهم. وشعيب نبي عربي كان في عهد موسى وهو أبو زوجته. والإلٰه: المعبود بحق وحده. وتنقصوا: تقللوا. والمكيال: الكيل. والميزان: الوزن. فقد كانوا يقللون حين يبيعون، ويزيدون حين يشترون، والقوي غالب للضعيف في ذلك. وأرى: أعلمُ وأُدركُ. وأخاف: أتوقع بيقين. والعذاب: التعذيب الشديد. واليوم: الوقت. وبه أي: بمحيط. وأوفوه: اجعلوه وافيًا دون نقص أو زيادة. والأشياء: واحدها شيء. والمفسد: الذي يقترف الفساد ويشيعه بين الناس، اختيارًا وقصدًا. والمثلثة: الثاء. وحال مؤكدة: يعني أن «مفسدين»: حال تفيد توكيد الفعل، لأنها تتضمن ما يدل عليه من المعنى، وهو عامل فيها النصب. وفيما عدا الأصل وخ وع وقرة العينين: «بقيّتُ». وجازت مخالفة هذا الرسم الكريم لأن النص هنا في تفسير لا في مصحف شريف. وخير أي: أكثر نفعًا. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله.

(٣) الصلوات: جمع صلاة. وفيما عدا الأصل والنسخ والفتوحات: «أصلاتُكَ». وتأمر: تفرض. ونترك: نهمل. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. ونفعل: نتصرف. والأموال: جمع مال. والحليم: ذو العقل الراجح والرأي السليم. والرشيد: المهتدي إلى الحق والخير. أي: أنت تصطنع الحلم والرشد، ولست من ذلك في شيء، إذ تأمرنا بما يناقضه. فأنت سفيه جاهل.

(٤) أرأيتم: أخبروني. والبينة: البيان. ومن ربي: من عنده وبأمره. ورزقني: أعطاني. ومنه: من عنده وبفضله. وحلالًا أي: طيبًا. و«أفأشوبه» فيه نظر، لأن المشهور في جواب الشرط ألّا تدخل عليه همزة الاستفهام. البحر ٤: ١٢٧. وكان عليه أن يجعل التقدير: فهل أشوبه...؟ وأولى منه أن يقال: فهل يجوز لكم أن تقولوا في شأني ماقلتم من السخرية والاستهزاء؟ انظر فتح القدير ٢: ٧٢٤. وأريد: أقصد. وأخالفكم - يعني أنه لايَخلفهم فيما نهاهم عنه. والإصلاح: إصلاحكم. وما استطعت: مدة اقتداري على ذلك. وتوفيقي: كوني ملهمًا الصواب. ط: «وما توفيقيْ». وبالله أي: بمعونته. وعليه توكلت: فوضت أمري إليه وحده. وأرجع يعني: إلى طاعته ورضاه. والضمير: ضمير المخاطبين. والثاني أي: إصابتَكم. ويصيبكم: ينزل بكم. وانظر الآيات ٢٥-٨٣. واستغفروه: اطلبوا منه ستر ذنوبكم، بعد أن تؤمنوا به وتطيعوه. وتوبوا إليه: ارجعوا إليه بالطاعة وترك العصيان. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

أخالِفَكُم﴾ وأذهبَ **﴿إلَى ما أنهاكُم عَنهُ﴾** فأرتكبَه - **﴿إن﴾**: ما **﴿أُريدُ إلّا الإصلاحَ﴾** لكم بالعدل **﴿ما استَطَعتُ، وما تَوفيقِيَ﴾**: قُدرتي على ذلك وغيره من الطاعات **﴿إلّا باللهِ. علَيهِ تَوَكَّلتُ، وإلَيهِ أُنيبُ﴾** ٨٨: أرجع - **﴿ويا قَومِ، لا يَجرِمَنَّكُم﴾**: يُكسِبَنَّكم **﴿شِقاقِيَ﴾**: خِلافي، فاعل «يَجرِم» والضمير مفعول أوّل، والثاني: **﴿أن يُصيبَكُم مِثلُ ما أصابَ قَومَ نُوحٍ، أو قَومَ هُودٍ أو قَومَ صالِحٍ﴾** من العذاب - **﴿وما قَومُ لُوطٍ﴾** أي: منازلُهم أو زمنُ هلاكهم **﴿مِنكُم بِبَعيدٍ﴾** ٨٩. فاعتبروا - **﴿واستَغفِرُوا رَبَّكُم، ثُمَّ تُوبُوا إلَيهِ، إنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾** بالمُؤمنين، **﴿وَدُودٌ﴾** ٩٠: مُحبٌّ لهم.

١ - **﴿قالُوا﴾** إيذانًا بقِلّة المُبالاة: **﴿يا شُعَيبُ، ما نَفقَهُ﴾**: نفهم **﴿كَثيرًا مِمّا تَقُولُ، وإنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفًا﴾**: ذليلًا، **﴿ولَولا رَهطُكَ﴾**: عشيرتك **﴿لَرَجَمناكَ﴾** بالحِجارة، **﴿وما أنتَ عَلَينا بِعَزيزٍ﴾** ٩١: كريم عن الرجم. وإنما رهطك هم الأعِزّة.

٢ - **﴿قالَ: يا قَومِ، أرَهطِيَ أعَزُّ علَيكُم مِنَ اللهِ﴾**، فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله، **﴿واتَّخَذتُمُوهُ﴾** أي: الله **﴿وَراءَكُم ظِهرِيًّا﴾**: منبوذًا خلف ظُهوركم لا تُراقبونه؟ **﴿إنَّ رَبِّي بِما تَعمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** ٩٢ عِلمًا، فيُجازيكم. **﴿ويا قَومِ، اعمَلُوا على مَكانَتِكُم﴾**: حالتكم - **﴿إنِّي عامِلٌ﴾** على حالتي. **﴿سَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾**: موصولة مفعول العِلم **﴿يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ومَن هُوَ كاذِبٌ - وارتَقِبُوا﴾**: انتظروا عاقبة أمركم. **﴿إنِّي مَعَكُم رَقِيبٌ﴾** ٩٣: منتظر.

٣ - **﴿ولَمّا جاءَ أمرُنا﴾** بإهلاكهم **﴿نَجَّينا شُعَيبًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحمَةٍ مِنّا، وأخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ﴾** صاحَ بهم جبريل، **﴿فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمِينَ﴾** ٩٤ باركين على الرُّكب ميّتينَ، **﴿كأن﴾**: مُخفّفةٌ أي: كأنّهم **﴿لَم يَغنَوا﴾**: يُقيموا **﴿فِيها. ألا بُعدًا لِمَديَنَ كما بَعِدَت ثَمُودُ﴾** ٩٥.

٤ - **﴿ولَقَد أرسَلنا مُوسَى، بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾** ٩٦: برهانٍ بيّنٍ ظاهرٍ، **﴿إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاتَّبَعُوا أمرَ فِرعَونَ، وما أمرُ فِرعَونَ بِرَشِيدٍ﴾** ٩٧: سديد. **﴿يَقدُمُ﴾**: يتقدّم **﴿قَومَهُ يَومَ القِيامَةِ﴾**، فيتّبعونه كما اتّبعوه في الدنيا، **﴿فأورَدَهُمُ﴾**: أدخلَهم **﴿النّارَ، وبِئسَ الوِردُ المَورُودُ﴾** ٩٨ هي! **﴿وأُتبِعُوا في هٰذِهِ﴾** أي: الدنيا **﴿لَعنَةً، ويَومَ القِيامَةِ﴾** لعنةً، **﴿بِئسَ الرِّفدُ﴾**: العونُ **﴿المَرفُودُ﴾** ٩٩ رِفدُهم!

---

(١) الإيذان: الإعلام. والكثير: الكمية الوافرة. وتقول: تتكلم به وتدعو إليه. ونراك فينا: نعلمك فيما بيننا. والضعيف: الذي لاقوة له ينتصر بها. ورجمناك: قتلناك. والعزيز: الممتنع بقوته أن يناله أحد بشرّ. والأعزة: جمع عزيز.

(٢) رهط الإنسان: جماعته من الأقربين. وأعز: أكثر منعة وحماية. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واتخذتم: جعلتم. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ومحيط به أي: كامل العلم بوجوده وأحواله. ويا قوم: توكيد لفظي لنظيره قبل. واعملوا: تصرفوا وتحملوا ما شئتم. وهو أمر تهديد. والمكانة: الجهة. والعامل: المستمر في عمله باختيار وإرادة وعزم. وحالتي: ما أنا عليه من الإسلام والمصابرة والتبليغ. وتعلم: تعرف وتدرك يقينًا. وموصولة مفعول العلم: يعني أن «مَن»: اسم موصول في محل نصب مفعول به لـ «تعلم». ويأتيه: يصيبه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويخزيه: يذله ويفضحه بين الأمم.

(٣) جاء: حان وقت حصوله. والأمر: الحكم والقضاء. ونجيناه: انقذناه. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا أي: من عندنا وبأمرنا. وأخذت: أهلكت. وظلموا أي: تجاوزوا الحد بالكفر والعصيان. والصيحة: الصرخة العظيمة تزلزل الأرض بمن فيها. وأصبحوا: صاروا. والديار: جمع دار. ومخففة: يعني أنه حذفت نونها الثانية للتخفيف. والبعد: الهلاك بالعذاب العظيم. ومدين: القبيلة التي كفرت بشعيب. وبعدت: هَلَكَت وطُرِدَت من رحمة الله. وانظر الآيات ٦٦-٦٨.

(٤) أرسلنا: بعثنا. وموسى: الرسول الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة. والآيات: المعجزات وفيها السلطان المبين الذي يشهد بنبوة موسى، ويحمل الناس على تصديقه. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. والملأ: الرؤساء والسادة الذين يملؤون المجالس بأجسامهم والقلوب مهابة بمظاهرهم. واتبعوه: استمروا على اتباعه وطاعته وتنفيذ ذلك. والأمر: ما أوجبه من المفاسد والمظالم والكفر. ونفي الرشد يعني ثبوت الضلال مؤكدًا. وقومه: الجماعة من أتباعه وجنوده. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. والنار: نار جهنم. وبئس: بلغ الغاية في الشر والضرر والبؤس. والورد: مكان الدخول. وجُعلت النار موردهم للتهكم. والمورود: المدخول. وأتبعوا: ألحقوا. واللعنة: الدعاء بالطرد من رحمة الله، تدعوها عليهم سائرُ الأمم. والمرفود: المُعان به. ورفدهم هنا: اللعنة المزدوجة في الدارين. فالأولى رفد للهلاك بالغرق، والثانية رفد للعذاب في جهنم. والتعبير عنهما بالرفد، الذي هو في الأصل ما يُستند إليه لِيَعمده، تهكم وتقريع.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)

١- ﴿ذٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبرُه: ﴿مِن أنباءِ القُرَى، نَقُصُّهُ علَيكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿مِنها﴾ أي: القُرى ﴿قائمٌ﴾: هَلَكَ أهله دونه، ﴿و﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ ١٠٠: هلَكَ بأهله فلا أثر له، كالزرع المحصود بالمناجل. ﴿وما ظَلَمْناهُم﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿ولٰكِن ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالشِّرك، ﴿فما أغنَتْ﴾: دفعتْ ﴿عَنهُم آلِهَتُهُمُ الَّتي يَدعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه، ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ! لَمّا جاءَ أمرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه، ﴿وما زادُوهُم﴾ بعِبادتهم لها ﴿غيرَ تَتبِيبٍ﴾ ١٠١: تخسير.

٢- ﴿وكَذٰلِكَ﴾: مِثلُ ذلك الأخذِ ﴿أخْذُ رَبِّكَ، إذا أخَذَ القُرَى﴾ - أُريدَ أهلُها - ﴿وهْيَ ظالِمةٌ﴾ بالذنوب. أي: فلا يغني عنهم من أخذِه شيء. ﴿إنَّ أخذَهُ ألِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ١٠٢. روى الشيخان عن أبي مُوسَى الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُملِي لِلظّالِمِ، حَتَّى إذا أخَذَهُ لم يُفلِتْهُ»، ثم قرأ ﷺ: «وكَذٰلِكَ أخذُ رَبِّكَ» الآيَةَ. ﴿إنَّ في ذٰلِكَ﴾ المذكورِ من القِصص ﴿لآيَةً﴾: لعِبرةً، ﴿لِمَن خافَ عَذابَ الآخِرةِ. ذٰلِكَ﴾ أي: يومُ القِيامة ﴿يَومٌ مَجمُوعٌ لَهُ﴾ فيه ﴿النّاسُ، وذٰلِكَ يَومٌ مَشهُودٌ﴾ ١٠٣: يشهده جميع الخلائق، ﴿وما نُؤَخِّرُهُ إلّا لِأجَلٍ مَعدُودٍ﴾ ١٠٤: لوقت معلوم عند الله.

ربع الحزب ٢٤

٣- ﴿يَومَ يأتي﴾ ذلك اليومُ ﴿لا تَكلَّمُ﴾ - فيه حذف إحدى التاءين - ﴿نَفسٌ إلّا بِإذنِهِ﴾ تعالى. ﴿فمِنهُم﴾ أي: الخلقِ ﴿شَقِيٌّ، و﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ ١٠٥، كُتب كُلٌّ في الأزل. ﴿فأمّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في عِلمه - تعالى - ﴿فَفِي النّارِ، لَهُم فِيها زَفِيرٌ﴾: صوت شديد ﴿وشَهِيقٌ﴾ ١٠٦: صوت ضعيف، ﴿خالِدِينَ فِيها، ما دامَتِ السَّماواتُ والأرضُ﴾ أي: مُدّةَ دوامهما في الدنيا، ﴿إلّا﴾: غيرَ ﴿ما شاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مُدّتهما، ممّا لا مُنتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبدًا - ﴿إنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾ ١٠٧ - ﴿وأمّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾، بفتح السين وضمّها، ﴿فَفِي الجَنّةِ خالِدِينَ فِيها، ما دامَتِ السَّماواتُ والأرضُ، إلّا﴾: غيرَ ﴿ما شاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودلّ عليه فيهم قوله ﴿عَطاءً غَيرَ مَجذُوذٍ﴾ ١٠٨: مقطوع. وما تقدّم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خال من التكلف. والله أعلم بمُراده.

---

(١) المذكور أي: في الآيات ٢٥-٩٩. ومبتدأ خبره: يعني أن «من أنباء»: متعلقان بالخبر المحذوف للمبتدأ: ذا. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. والقرى: جمع قرية. وهي المدينة. ونقصه: نسرده. ومنها أي: بعضها. والقائم: ما بقي منه آثار. والحصيد: ما دُمِّر واختفى. والمناجل: جمع مِنجل. وما ظلمناهم: ما تجاوزنا العدل في عقاب تلك الأمم المستأصَلة. وبغير ذنب أي: إنما اقترفوا من الذنوب ما يستوجب الهلاك. وظلموا أنفسهم: جاروا عليها فعرضوها للعذاب. والأنفس: جمع نفس. والآلهة: ما عُبد من المخلوقات، جمع إله. ويعبدون أي: كانوا يعبدونها. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. وجاء: وقع وحصل. والأمر: الحكم والقضاء. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وما زادوهم: ما أضافوا إليهم، يعني: لم تُحدِث الآلهة لعابديها زيادة.

(٢) مثل ذلك أي: ما ذكر في الآيات ٢٥-١٠١. والأخذ: العقوبة قهرًا. وأهلها: يعني أن التقدير: إذا أخذ أهلَ القرى. والظالمة: المتجاوزة للحق بالكفر والعصيان. ولايغني: لايمنع. والأليم: المؤلم. والشديد: العنيف. والشيخان: الإمامان البخاري ومسلم. والمراد بما روياه الحديثان ٤٤٠٩ في البخاري و٢٥٨٣ في مسلم، واللفظ للبخاري بخلاف يسير، لأن النص نقله السيوطي من تفسير ابن كثير ٢:٤٤٠. وأبو موسى الأشعري صحابي مشهور. ويملي له: يطيل عمره ويزيد له متع الحياة استدراجًا. ولم يفلته: لم يتركه حتى يستوفي عقابه. والعبرة: الاعتبار والاتعاظ. وخاف: خشي. والعذاب: التعذيب الشديد. والآخرة: يوم القيامة في الحياة الآخرة. واليوم: الوقت. ومجموع: محشور من القبور للحساب والجزاء. ويشهده: يشهد فيه ويحضر. والخلائق: جمع خليقة من البشر والجن والملائكة. ونؤخره: نؤجل وقوعه. والمعدود: القليل العدد بالنسبة إلى الزمن المطلق.

(٣) يوم أي: حين. ويأتي: يحدث. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يأتِ» بحذف الياء. وجاز إثباتها هنا لتبيين القراءة التي اختارها السيوطي. ولاتكلم: لاتنطق بما ينفع. والنفس: الكائن الحي. والإذن: السماح. والشقي: الذي وجبت له النار، لاختياره الكفرَ وإصراره عليه. والسعيد: الذي ينعم بالجنة، لاختياره الإيمانَ وصلاحه. والأزل: الزمن القديم ليس له ابتداء. فقد علم الله في سابق غيبه أن بعض الناس سيتوجه إلى اختيار الضلال، وبعضًا آخر سيختار الإيمان والطاعة، فأمدّهم بما يناسب اختيارهم وإرادتهم، وأعد لهم المصيرَ الذي تقتضيه الحكمة. انظر «المفصل». وشقوا: تعسوا. والخالد: المقيم أبدًا. ودامت: بقيت. وما شاء: الزمن الذي أراده. وفعال: محقَّق فعلُه. ويريد: يشاؤه. وسعد: نال النعيم الدائم. وبضمها يريد القراءة «سُعِدُوا»، أي: أسعدهم الله. والجنة: الحديقة العظيمة. والعطاء: المنح تكرمًا. وبمراده أي: بحقيقة الاستثناء في الآيتين ١٠٧ و ١٠٨. فقد اختُلف في بيان المراد على عشرين وجهًا، اختار السيوطي منها ماظهر له أنه أقرب إلى الصواب.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١- ﴿**فلا تَكُ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**في مِرْيَةٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِمّا يَعبُدُ هٰؤُلاءِ**﴾ من الأصنام، أنّما نُعذّبهم كما عذّبنا مَن قبلهم. وهذا تسلية للنبيّ. ﴿**ما يَعبُدُونَ إلّا كما يَعبُدُ آباؤُهُم**﴾ أي: كعِبادتهم ﴿**مِن قَبلُ**﴾، وقد عذّبناهم، ﴿**وإنّا لَمُوَفُّوهُم**﴾ مِثلَهم ﴿**نَصِيبَهُم**﴾: حظّهم من العذاب، ﴿**غَيرَ مَنقُوصٍ**﴾ ١٠٩ أي: تامًّا.

٢- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**فاختُلِفَ فِيهِ**﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن - ﴿**ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ**﴾، بتأخير الحِساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة، ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه - ﴿**وإنَّهُم**﴾ أي: المكذّبين به ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنهُ مُرِيبٍ**﴾ ١١٠: مُوقع في الرِّيبة، ﴿**وإنّ**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**كُلًّا**﴾ أي: كُلَّ الخلائق ﴿**لَما**﴾ - ما: زائدة، واللام: مُوطّئةٌ لقسم مُقدّر أو فارقةٌ. وفي قراءة بتشديد «لَمّا» بمعنى: إلّا. فإنْ: نافية - ﴿**لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أعمالَهُم**﴾ أي: جزاءها. ﴿**إنَّهُ بما يَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ١١١: عالم ببواطنه كظواهره.

٣- ﴿**فاستَقِمْ**﴾ على العمل بأمر ربّك والدُّعاء إليه ﴿**كَما أُمِرتَ، وَ**﴾ لْيستقم ﴿**مَن تابَ**﴾: آمن ﴿**مَعَكَ، ولا تَطْغَوا**﴾: تُجاوزوا حُدود الله - ﴿**إنَّهُ بما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ١١٢ فيُجازيكم به - ﴿**ولا تَركَنُوا**﴾: تَميلوا ﴿**إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾، بمودّة أو مُداهنة أو رضًا بأعمالهم، ﴿**فتَمَسَّكُمُ**﴾: تُصيبَكم ﴿**النّارُ، وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**أولِياءَ**﴾ يحفظونكم منه، ﴿**ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾ ١١٣: تُمنعون من عذابه.

٤- ﴿**وأقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ**﴾: الغداةَ والعشيَّ، أي: الصُّبحَ والظهرَ والعصرَ، ﴿**وزُلَفًا**﴾: جمعُ زُلفةٍ أي: طائفةٍ ﴿**مِنَ اللَّيلِ**﴾ أي: المغربَ والعِشاءَ - ﴿**إنَّ الحَسَناتِ**﴾، كالصلوات الخمس، ﴿**يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ**﴾: الذنوبَ الصغائر. نزلتْ فيمن قَبَّلَ أجنبيّة فأخبره ﷺ، فقال أَلِيَ هذا؟ قال: «لِجَمِيعِ أُمّتي كُلِّهِم». رواه الشيخان. ﴿**ذٰلِكَ ذِكرَى لِلذّاكِرِينَ**﴾ ١١٤: عِظةٌ للمُتّعظين - ﴿**واصبِرْ**﴾، يا مُحمّد، على أذى قومك أو على الصلاة. ﴿**فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ**﴾ ١١٥ بالصبر على الطاعة.

٥- ﴿**فلَولا**﴾: فهلّا ﴿**كانَ مِنَ القُرُونِ**﴾: الأمم الماضية ﴿**مِن قَبلِكُم أُولُو بَقِيّةٍ**﴾: أصحابُ دِين وفضل، ﴿**يَنهَونَ عَنِ الفَسادِ في الأرضِ**﴾. المُرادُ به النفيُ أي: ما كان فيهم ذلك، ﴿**إلّا**﴾: لكنْ ﴿**قَلِيلًا مِمَّن أنجَينا مِنهُم**﴾ نهَوا فنجَوا - ومِن: للبيان - ﴿**واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بالفساد وترك النهي ﴿**ما أُترِفُوا**﴾: نَعِموا ﴿**فِيهِ، وكانُوا مُجرِمِينَ**﴾ ١١٦، ﴿**وما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ**﴾ منه لها، ﴿**وأهلُها مُصلِحُونَ**﴾ ١١٧: مُؤمنون.

---

(١) لاتك في مرية أي: دُم على ما تعتقده. ويعبد أي: يقدسه. وهؤلاء أي: المشركون. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات كالملائكة والجن والبشر والحيوان والأوهام. والآباء: جمع أب. والمراد الجدود أيضا. وموفوهم نصيبهم: نعطيهم إياه كاملًا. ومنقوص: مقلّل متروك بعضه.
(٢) آتيناه: أعطيناه وكلفناه بالتبليغ. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. واختلف فيه: كان خلاف وخصام في حقه. والكلمة: الحكم الأزلي من الله فيما عَلِمَه وقدّره. وسبقت: وقع تقديرها ووجب القضاء بها. ومن ربك أي: من عنده وبأمره. وقضي بينهم: فُصل عاجلًا بين المختلفين، أي: بما يستحقه الكافر والمؤمن. وبه أي: بالقرآن الكريم. والمكذبون هم كفار مكة ومن يماثلهم. والشك: التردد بين القبول والإنكار. والريبة أي: التوهم للأباطيل. وبالتخفيف يريد القراءة «إنْ». وزائدة أي: للتوكيد. وموطئة... نافية: انظر «المفصل». والأعمال: جمع عمل.
(٣) استقم: اثبُتْ فيما أنت عليه. وأمرت: فُرض عليك. وتاب: رجع عن الشرك ولزم الإيمان. وتعمل: تكتسب من نية أو قول أو فعل. والبصير: المحيط بدقائق الأمور وعظائمها. وظلموا: كفروا وأشركوا. والمداهنة: المساهلة بالتنازل عن الحق. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. والأولياء: جمع ولي. وهو النصير يعين في الشدائد.
(٤) أقمها: دُم على القيام بها. والطرف: الجانب. والحسنة: ما استحسنه الشرع. ويُذهب: يَمحو. والجملة «إن الحسنات يذهبن السيئات» تفيد أيضًا بالمقابلة واللزوم أنّ السيئاتِ يُذهبن الحسناتِ. والأجنبية: التي يحل للرجل نكاحها بأصول شرعية. انظر «المفصل». ورواه الشيخان: يعني الأحاديث ٥٠٣ و٤٤١٠ في البخاري و٢٧٦٣ في مسلم. وذلك أي: الأمر بالاستقامة وما بعده. والذكرى: ما يدعو إلى الصلاح. واصبر: تجلد وتحمل. ولا يضيع: لايهمل. والأجر: الثواب. والمحسن: من يخلص في نيته وعمله.
(٥) القرون: جمع قرن. وينهى: يمنع ويزجر. والفساد: الإفساد. والنفي: يعني أن «لولا» تتضمن معنى النفي. انظر «المفصل». وأنجينا: أنقذنا. وللبيان أي: لتبيين الإبهام الذي في «قليلًا» قبلها. واتبعوها: استسلموا لها. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وإرادة. ويُهلِك: يدمر بالكوارث والعذاب. والقرى أي: ومَن فيها. وهي جمع قرية، أي: مدينة. والظلم: مجاوزة العدل. والمصلح: من كان يطلب الخير في عمله.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ — ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

١- ﴿**ولو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحِدةً**﴾: أهل دِين واحد، ﴿**ولا يَزالُونَ مُختَلِفِينَ**﴾ ١١٨ في الدِّين، ﴿**إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ**﴾: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه. ﴿**ولِذلِكَ خَلَقَهُم**﴾ أي: أهلَ الاختلاف له وأهلَ الرحمة لها، ﴿**وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ**﴾، وهي ﴿**لَأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ**﴾: الجنّ ﴿**والنّاسِ أجمَعِينَ**﴾ ١١٩. **وكُلًّا**، نُصبَ بـ «نقصّ» وتنوينه عوض من المضاف إليه، أي: كلَّ ما يُحتاج إليه ﴿**نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ، ما**﴾: بدل من «كلًّا» ﴿**نُثَبِّتُ**﴾: نُطمِّنُ ﴿**بِهِ فُؤادَكَ**﴾: قلبك، ﴿**وجاءَكَ في هٰذِهِ**﴾ الأنباءِ أو الآياتِ ﴿**الحَقُّ، ومَوعِظةٌ وذِكرَى لِلمُؤمِنِينَ**﴾ ١٢٠. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكُفّار.

٢- ﴿**وقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ: اعمَلُوا على مَكانَتِكُم**﴾: حالتكم - ﴿**إنّا عامِلُونَ**﴾ ١٢١ على حالتنا، تهديد لهم - ﴿**وانتَظِرُوا**﴾ عاقبة أمركم. ﴿**إنّا مُنتَظِرُونَ**﴾ ١٢٢ ذلك. ﴿**ولِلّهِ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿**وإلَيهِ يَرجِعُ**﴾، بالبناء للفاعل: يعودُ، وللمفعول: يُردّ ﴿**الأمرُ كُلُّهُ**﴾ فينتقم ممّن عصى. ﴿**فاعبُدْهُ**﴾: وحِّدْه، ﴿**وتَوَكَّلْ عليهِ**﴾: ثق به. فإنه كافيك. ﴿**وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ**﴾ ١٢٣، وإنّما يُؤخّرهم لوقتهم. وفي قراءة بالفَوقانيّة.

سورة يُوسُف

مكية، مِائة وإحدى عشْرَةَ آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**الر**﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**تِلكَ**﴾: هذه الآياتُ ﴿**آياتُ الكِتابِ**﴾: القُرآن - والإضافة بمعنى: مِن - ﴿**المُبِينِ**﴾ ١: المُظهر الحقَّ من الباطل. ﴿**إنّا أنزَلْناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا**﴾ بلغة العرب، ﴿**لَعَلَّكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**تَعقِلُونَ**﴾ ٢: تفقهون معانيه. ﴿**نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أحسَنَ القَصَصِ، بِما أوحَينا**﴾: بإيحائنا ﴿**إلَيكَ هٰذا القُرآنَ، وإنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: وإنّه ﴿**كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ**﴾ ٣. اذكرْ ﴿**إذْ قالَ يُوسُفُ لِأبِيهِ**﴾ يعقوبَ: ﴿**يا أبَتِ**﴾ - بالكسرِ دلالةً على ياء الإضافة المحذوفة، والفتحِ دلالةً على ألف محذوفة قُلبت عن الياء - ﴿**إنّي رأيتُ**﴾ في المنام ﴿**أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشَّمسَ والقَمَرَ رأيتُهُم**﴾، تأكيد، ﴿**لِي ساجِدِينَ**﴾ ٤. جُمِع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صِفات العُقلاء.

---

(١) شاء: أراد هداية الناس. وجعلهم: صيّرهم. ولايزالون مختلفين أي: سيبقون أبدًا متنازعين. ورحمهم: عطف عليهم بالإحسان. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى الاختلاف والرحمة. ولام الجر قبلها: للصيرورة. انظر «المفصل». وخلقهم: أنشأهم. وتمت: وجبت. وكلمة ربك: حكمه الأزلي بحسب علمه - عز وجل - ما سيختاره كل مكلف. و«هي» يعني أن تتمة الآية هنا تفسير لـ «كلمة». وأملؤها: أضع فيها ما يَشغلها. ونصب أي: أن «كلًّا»: مفعول به مقدم منصوب. ونقص: نسرد ونتلو. والأنباء: جمع نبأ. وهوالخبر العظيم. والرسل أي: مع أقوامهم، جمع رسول. ونطمن: نُطمئن ونسكّن. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٢٤ من سورة آل عمران. وجاءك: وصل إليك بالوحي. والحق: الصدق من الأنباء، والثابت من الأدلة على التوحيد والعدل والنبوة. والموعظة: ما يَزجر سامعَه ويحمله على الصلاح. والذكرى: التذكير بالحق ووجوب الإيمان.

(٢) اعملوا: استمروا في العمل. وهو أمر تهديد. وحالتكم: الجهة التي أنتم عليها من الكفر. وعاملون: مستمرون على ما نحن فيه من الإيمان والعمل. وانتظروا: ترقبوا. وذلك أي: عاقبة أمركم وأمرنا. وما غاب فيهما أي: وفي غيرهما أيضًا، لأن المراد هو الكون كله. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وإليه: إلى قضائه وحكمته. ويَرجِع أي: في الدنيا والآخرة. وللمفعول يريد القراءة «يُرجَعُ». والأمر: الحكم على الخلائق. وفي الأصل: «وحدَه». والغافل: الساهي لا يدري ما يكون. ويعملون: يكتسبونه اختيارًا وقصدًا. وبالفوقانية يريد القراءة «تَعمَلُونَ».

(٣) نزلت السورة إجابة لطلب قريش ذلك. انظر سبب النزول في المفصل. والآيات: النصوص القرآنية. وبمعنى من: يعني أن التقدير: آيات من الكتاب. وأنزلناه: أوحينا الكتاب إليك على لسان جبريل، ويسّرنا حفظه، لتتّبع ما فيه وتُبلّغه الناس. والقرآن: المقروء. والعربي: المنسوب إلى العرب، بلغتهم المتناهية في البلاغة والبيان. ونقص: نتلو. والأحسن: الأجود لما فيه من بالغ الصدق والعلم والعظة. والقَصص: ما يروى من الوقائع. وأوحينا: بلّغنا على لسان جبريل. ومخففة: يعني أن أصلها «إنّ». انظر «المفصل» أيضًا. والغافل: من لم يكن له علم بما يتضمنه القرآن. ويوسف معناه الضيف. وبالفتح يريد القراءة «يا أبَتَ». ورأيت: حَلَمت. والكوكب: النجم يدور حول الشمس. وتأكيد: يعني أن «رأيتهم»: توكيد لفظي. وساجدين: خاضعين لي داخلين تحت أمري. وبالياء والنون أي: لم يقل: ساجدةً، مع أن الكواكب ليست من العقلاء.

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

١ - ﴿قالَ: يا بُنَيَّ، لا تَقصُصْ رُؤياكَ على إخوَتِكَ، فيَكِيدُوا لَكَ كَيدًا﴾: يحتالوا في هلاكك حسدًا، لعِلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمسَ أُمّك والقمرَ أبوك. ﴿إنَّ الشَّيطانَ لِلإنسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٥: ظاهر العداوة. ﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما رأيتَ، ﴿يَجتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ، ويُعَلِّمُكَ مِن تأويلِ الأحادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا، ﴿ويُتِمُّ نِعمَتَهُ عليكَ﴾ بالنبوّة، ﴿وعلى آلِ يَعقُوبَ﴾: أولاده، ﴿كما أتَمَّها﴾ بالنبوّة ﴿على أبَوَيكَ مِن قَبلُ إبراهِيمَ وإسحاقَ. إنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ ٦ في صُنعه بهم.

نصف الحزب ٢٤

٢ - ﴿لَقد كانَ في﴾ خبرِ ﴿يُوسُفَ وإخوَتِهِ﴾ - وهم أحدَ عشرَ - ﴿آياتٌ﴾: عِبَرٌ ﴿لِلسّائلِينَ﴾ ٧ عن خبرهم، اذكرْ ﴿إذ قالُوا﴾ أي: بعضُ إخوةِ يُوسف لبعضهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾: مبتدأ ﴿وأخُوهُ﴾: شقيقه بنيامينُ ﴿أحَبُّ﴾: خبرٌ ﴿إلى أبِينا مِنّا، ونَحنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة. ﴿إنَّ أبانا لَفِي ضَلالٍ﴾ خطأٍ ﴿مُبِينٍ﴾ ٨: بيّنٍ بإيثارهما علينا. ﴿اقتُلُوا يُوسُفَ، أوِ اطرَحُوهُ أرضًا﴾ أي: بأرض بعيدة، ﴿يَخْلُ لَكُم وَجهُ أبِيكُم﴾ بأن يُقبِلَ عليكم ولا يلتفتَ لغيركم، ﴿وتَكُونُوا مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ قتل يوسفَ أو طرحه ﴿قَومًا صالِحِينَ﴾ ٩ بأن تتوبوا. ﴿قالَ قائلٌ مِنهُم﴾ هو يَهوذَى: ﴿لا تَقتُلُوا يُوسُفَ، وألقُوهُ﴾: اطرحوه ﴿في غَيابَةِ الجُبِّ﴾: مُظلم البئر - وفي قراءة بالجمع - ﴿يَلتَقِطْهُ بَعضُ السَّيّارةِ﴾: المُسافرين، ﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ١٠ ما أردتم من التفريق فاكتفُوا بذلك.

٣ - ﴿قالُوا: يا أبانا، مالَكَ لا تأمَنّا على يُوسُفَ، وإنّا لَهُ لَناصِحُونَ﴾ ١١: لقائمون بمصالحه؟ ﴿أرسِلْهُ مَعَنا غدًا﴾ إلى الصحراء، ﴿نَرتَعْ ونَلعَبْ﴾، بالنون والياء فيهما: ننشط ونتّسع، ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ ١٢. ﴿قالَ: إنِّي لَيَحزُنُنِي أن تَذهَبُوا﴾ أي: ذهابُكم ﴿بِهِ﴾ لِفراقه، ﴿وأخافُ أن يأكُلَهُ الذِّئبُ﴾ - المُراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب - ﴿وأنتُم عَنهُ غافِلُونَ﴾ ١٣: مشغولون. ﴿قالُوا: لَئِنْ﴾ - لام قسم - ﴿أكَلَهُ الذِّئبُ، ونَحنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة، ﴿إنّا إذًا لَخاسِرُونَ﴾ ١٤: عاجزون. فأرسلَه معهم، ﴿فلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وأجمَعُوا﴾: عزموا ﴿أن يَجعَلُوهُ في غَيابَةِ الجُبِّ﴾. وجواب «لمّا» محذوف، أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلَوه - فلمّا وصل إلى نِصف البئر ألقوه ليموت، فسقط في الماء ثمّ أوى إلى صخرة، فنادَوه فأجابهم لِظَنّ رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذَى - ﴿وأوحَينا إلَيهِ﴾ في الجُبِّ وحيَ حقيقة، وله سبعَ عشرةَ سنةً أو دونها، تطمينًا لقلبه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأمرِهِم﴾: بصنيعهم ﴿هٰذا، وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ ١٥ بك حالَ الإنباء.

---

(١) بنيّ: انظرالآية ٤٢ من سورة هود. ولاتقصص: لاتسرد. والرؤيا: ما يُرى في النوم. والإخوة: جمع أخ. يعني أن يعقوب علم من قصة الرؤيا أن الله يصطفي يوسف للرسالة من دون إخوته، وإذا علموا ذلك احتالوا للتخلص منه. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس أو الجن. والعدو: المعادي. والمبين: المُظهِر. ويجتبيك: يخصك بفيض إلٰهي تحصل منه أنواع المكرمات. ويعلمك: يلهمك وييسّر لك. والتأويل: رد الشيء إلى الغاية المقصودة به. والأحاديث: جمع حديث. وهو ما يُتحدث به من رؤيا في المنام. ويتم نعمته: يجعل إحسانه كاملًا. والآل: الأهل. والأبوان هنا: إسحاق جدّه وإبراهيم جدّ أبيه. ويطلق على الجد عند العرب اسم الأب. ومن قبل: من قبلِك. والعليم: المحيط علمُه بالخفايا والظواهر. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحكيم: الذي تكون أقواله وأفعاله مع الحكمة البالغة، يضع الأشياء مواضعها الحقة.

(٢) الخبر: القصة الحقيقية. وإخوة يوسف هنا هم العشرة من زوجات أبيه الثلاث. وأخوه بنيامين: شقيقه من أبيه وأمّه راحيل. والسائل: من يطلب إخبارًا. وأحب: أكثر حبًا وتفضيلًا. ونحن عصبة أي: نحن جماعة أكثر نفعًا لأبينا. فنحن أحق بزيادة المحبة منهما. واطرحوه: ألقوه. ويخلو: يتفرغ ويصفو. وتكونوا: تصيروا. والصالح: من أصلح عمله وجعله كما شرع الله. والغيابة: ما غاب من الشيء لخفائه وظلمته. وبالجمع يريد القراءة «غَيابات». ويلتقطه: يأخذه لُقطة. والسيارة: مفرده سيّار. وهو الكثير الأسفار. وفاعلين: عازمين على التفرقة بينه وبين أبيه.

(٣) لا تأمنا: لا تطمئن إلينا. انظر «المفصل». والناصح لغيره: من يخلص له المودة وإرادة الخير. وأرسله: لا تمنعه من الذهاب. ونلعب: نتسابق ونتدرب على الرمي والمناضلة. وفيهما: في الفعلين. يريد القراءة «يَرتَعْ ويَلعَبْ». والحافظ: الحامي. ويحزنني: يؤلم قلبي. وتذهبوا به: تصطحبوه. هذا هوالظاهر. ويقال: ذهب به، إذا أهلكه أو أبعده. ولعل للعبارة معنيين، أرادهما يعقوب معًا لِما يتوقعه من نياتهم، وما يعلمه من مستقبل ليوسف. وأخاف: أخشى. ويأكله: يقتله ويفترسه. والذئب: حيوان متوحش. وكأنّ يعقوب، بذكره عدوانَ الذئب، لقّنهم بقصد أو بإلهام ما يقولون من العذر بعد. والخاسر: من ضيّع ما يأمله. ويجعلوه: يلقوه. وأدلوه: أنزلوه بحبل. والرضخ: الضرب. والتفصيلات من أقاصيص الإسرائيليات، ولم يتعرض القرآن الكريم ولا الحديث الصحيح لشيء منها. وأوحينا إليه: بلغناه على لسان جبريل. و«سبع عشرة» الراجح أن يوسف كان أصغر من ذلك، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. انظر البحر ٥:٢٨٨ وتفسير الآلوسي ١٢:٢٩٨. وتنبئهم: تعلمهم وتخبرهم. ولا يشعرون: لا يحسون ولا يعلمون.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

١- ﴿**وجاؤوا أباهم عِشاءً**﴾: وقتَ المساء ﴿**يَبكونَ** ١٦، **قالُوا: يا أبانا، إنّا ذَهَبْنا نَستَبِقُ**﴾: نرمي، ﴿**وترَكْنا يُوسُفَ عِندَ مَتاعِنا**﴾: ثيابنا، ﴿**فأكَلَهُ الذِّئبُ. وما أنتَ بِمُؤمِنٍ**﴾: بمُصدِّق ﴿**لَنا، ولَو كُنّا صادِقِينَ**﴾ ١٧ عِندك لاتّهمتنا في هذه القِصّة، لمحبّة يوسف. فكيف وأنت تُسيء الظنّ بنا؟ ﴿**وجاؤوا على قَميصِهِ**﴾ - محلُّه نصب على الظرفيّة - أي: فوقه ﴿**بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ أي: ذي كذِب، بأن ذبحوا سخلة ولطّخوه بدمها، وذَهِلوا عن شَقّه، وقالوا: إنه دمه. ﴿**قالَ**﴾ يعقوب، لمّا رآه صحيحًا وعلم كذِبهم: ﴿**بَل سَوَّلَتْ**﴾: زيّنت ﴿**لَكُم أنفُسُكُم أمرًا**﴾، ففعلتموه به. ﴿**فصَبرٌ جَميلٌ**﴾ لا جزع فيه. وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: أمري. ﴿**واللهُ المُستَعانُ**﴾: المطلوب منه العونُ ﴿**على ما تَصِفُونَ**﴾ ١٨: تذكرون من أمر يُوسف.

٢- ﴿**وجاءَتْ سَيّارةٌ**﴾: مُسافرون من مَدْيَنَ إلى مِصرَ، فنزلوا قريبًا من جُبّ يُوسف، ﴿**فأرسَلُوا وارِدَهُم**﴾ الذي يَرِدُ الماء ليستقي منه، ﴿**فأدلَى**﴾: أرسل ﴿**دَلوَهُ**﴾ في البئر، فتعلّق بها يُوسف فأخرجه. فلمّا رآه ﴿**قالَ: يا بُشْرايَ**﴾ - وفي قراءة: «بُشرى». ونداؤها مَجاز أي: احضُري فهذا وقتُك - ﴿**هٰذا غُلامٌ**﴾. فعلم به إخوته فأتَوهم، ﴿**وأسَرُّوهُ**﴾ أي: أخفَوا أمره جاعليه ﴿**بِضاعةً**﴾، بأن قالوا: هذا عبدُنا أبَقَ. وسكت يوسف خوفًا أن يقتلوه، ﴿**واللهُ عَليمٌ بما يَعمَلُونَ** ١٩، **وشَرَوْهُ**﴾: باعوه منهم ﴿**بِثَمَنٍ بَخسٍ**﴾: ناقص، ﴿**دَراهِمَ مَعدُودةٍ**﴾ عشرين أو اثنين وعشرين، ﴿**وكانُوا**﴾ أي: إخوتُه ﴿**فِيهِ مِنَ الزّاهِدِينَ**﴾ ٢٠. فجاءت به السيّارة إلى مِصرَ، فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارًا وزوجَي نعل وثوبين.

٣- ﴿**وقالَ الَّذي اشتَراهُ مِن مِصرَ**﴾ - وهو قِطفير العزيز - ﴿**لامرأتِهِ**﴾ زَلِيخا: ﴿**أكرِمي مَثْواهُ**﴾: مُقامه عِندنا، ﴿**عَسَى أن يَنفَعَنا، أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾. وكان حَصورًا. ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كما نجّيناه من القتل والجُبّ، وعطّفنا عليه قلب العزيز، ﴿**مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ**﴾: أرض مِصر حتّى بلغ ما بلغ، ﴿**ولِنُعَلِّمَهُ مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ**﴾: تعبير الرؤيا. عطفٌ على مُقدّرٍ مُتعلّقٍ بـ «مكّنّا» أي: لنُملّكه، أو الواو: زائدة - ﴿**واللهُ غالِبٌ على أمرِهِ**﴾، تعالى، لا يُعجزه شيء، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ وهم الكُفّار ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٢١ ذلك - ﴿**ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ**﴾، وهو ثلاثون سنة أو وثلاث، ﴿**آتَيناهُ حُكمًا**﴾: حِكمة ﴿**وعِلمًا**﴾: فِقهًا في الدِّين، قبل أن يُبعث نبيًّا. ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كما جزَيناه ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ**﴾ ٢٢ لأنفُسهم.

---

(١) جاؤوه: رجعوا إليه من دون يوسف. ويبكون أي: يتباكون بتكلّف الحزن والصراخ. وذهبنا: مضينا ورحلنا. وقول السيوطي «نرمي» أي: ونعدو. يعني: نتسابق ونتبارى في رمي السهام والجري. وتركنا: أبقينا وخلّينا. وعنده أي: قربه. وثيابنا: يعني وما كان معنا من طعام وحاجات، لأن المتاع: ما ينتفع به عامة. وأكله: قتله وأكل بعضه. والصادق: من يقول الحق. وقول السيوطي «لاتهمتنا» يعني أن «لو» حرف امتناع لامتناع، فيَنتفي عنهم الصدق والاتّهام. وفي هذا إحالة إذ المعنى: ما كنّا صادقين فما اتّهمتنا. والصواب أن لو: زائدة للتعميم. والمراد: ما أنت بمصدق لنا على كل حال. انظر «المفصل». والقميص: ما يُلبس من الثياب. والكذب: المكذوب المختلق. والسخلة: الوليد من الغنم. وشقُّه: شقُّ القميص لتحقيق ما زعموه من فعل الذئب. وزينته: جعلته محبَّبًا. والنفس: الضمير. والأمر: العمل والصنيع. وانظر تفسير المنار ١١ :٢٦٧-٢٦٩. والصبر: حسن الاحتمال. و«خبر» المراد به «صبرٌ». وأمري: صبري. وعلى ماتصفون: على تحمل ماتصفونه من المزاعم.

(٢) جاءت: وصلت. وسيارة: انظر الآية ١٠. ومدين: قرية على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك. والراجح أن البئر قرب نابلس. انظر «المفصل». وأرسلوا: بعثوا. والدلو: إناء يربط بحبل ويُستقى به الماء من البئر. وببشرى يريد أن القراءة «يابُشرَى». وهي البشارة. ط: «قال يا بُشرَى. وفي قراءة: بُشراي». والغلام: الطفل. وأتوهم: جاؤوا إليهم. والبضاعة: القطعة من المال تجعل للتجارة. وأبق: هرب من سيده. والعليم: المحيط إحاطة بالغة بالخفايا وغيرها. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. وفي البحر ٥ :٢٩١ أن المفسرين والقصاصين «ذكروا أقوالًا متعارضة فيمن اشتراه، وفي الثمن الذي اشتراه به. ولايتوقف تفسير كتاب الله على تلك الأقوال المتعارضة». والثمن: ما يأخذه البائع قيمة لِما باعه. والدراهم: جمع درهم. وهو قطعة فضية من النقد ذات قيمة زهيدة. والمعدودة: القليلة يسهل عدها. والزاهد: الراغب عن الشيء يريد الخلاص منه. وزوجَي نعل أي: فردتَي نعل.

(٣) مصر: البلد المعروف بهذا الاسم الآن. والعزيز: وزير ملك مصر مسؤول عن خزائنها. والمرأة: الزوجة. وأكرمي مثواه: اجعلي مكان إقامته كريمًا، بأحسن معاملة. وينفعنا: يكون فيه خير لنا بقضاء مصالحنا. ونتخذه: نجعله. وولدًا أي: نتبنّاه كولد لنا. وكان أي: العزيز. والحصور: العقيم لاولد له. ومكّنّا له: جعلنا له مكانًا ليكون متحكمًا. ونعلمه: نلهمه ونيسر له المعرفة والتبصر. والأحاديث: انظر الآية ٦. ولا يعلم: لا يدرك ولا يعرف. والغالب: القاهر لغيره. وأمره: ما يريده. وبلغه: أدركه. والأشُدّ: منتهى اشتداد الجسم والقدرات. وآتيناه: أعطيناه. ونجزي: نكافئ. والمحسن: الذي يحسن في عمله بالنية والإخلاص مع مراقبة الله.

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

١- ﴿وراوَدَتْهُ الَّتي هُوَ في بَيتِها﴾ - هي زَليخا - ﴿عَن نَفسِهِ﴾ أي: طلبتْ منه أن يُواقعها، ﴿وغَلَّقَتِ الأبوابَ﴾ للبيت، ﴿وقالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ. واللام: للتبيين. وفي قراءة بكسر الهاء، وأُخرى بضمّ التاء. ﴿قالَ: مَعاذَ اللهِ﴾: أعوذ بالله من ذلك! ﴿إنَّهُ﴾ أي: الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾: سيّدي، ﴿أحسَنَ مَثْوايَ﴾ مُقامي فلا أخونه في أهله. ﴿إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ الظّالِمونَ﴾ ٢٣ الزُّناة. ﴿ولَقَد هَمَّتْ بِهِ﴾: قصدتْ منه الجماع، ﴿وهَمَّ بِها﴾: قصد ذلك، ﴿لَولا أن رأى بُرهانَ رَبِّهِ﴾. قال ابن عبّاس: مُثِّلَ له يعقوب فضرب صدره، فخرجتْ شهوته من أنامله، وجواب «لولا» محذوف. ﴿كَذٰلِكَ﴾ أريناه البُرهان، ﴿لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ﴾: الخيانة ﴿والفَحشاءَ﴾: الزنَى. ﴿إنَّهُ مِن عِبادِنا المُخلِصينَ﴾ ٢٤ في الطاعة. وفي قراءة بفتح اللام أي: المُختارين.

٢- ﴿واستَبَقا البابَ﴾: بادر إليه يُوسف للفِرار وهي للتشبّث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها، ﴿وقَدَّتْ﴾: شقّت ﴿قَميصَهُ مِن دُبُرٍ، وألفَيا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَها﴾: زوجها ﴿لَدَى البابِ﴾. فنزَّهت نفسَها، ثمّ ﴿قالَتْ: ما جَزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ سُوءًا﴾: زنًى ﴿إلّا أن يُسجَنَ﴾: يُحبس أي: سَجنٌ، ﴿أو عَذابٌ أليمٌ﴾ ٢٥: مؤلم بأن يُضرب. ﴿قالَ﴾ يُوسف مُتبرّئًا: ﴿هِيَ راوَدَتْني عَن نَفسي. وشَهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها﴾: ابنُ عمّها - رُوي أنه كان في المهد - فقال: ﴿إن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾: قُدّام ﴿فصَدَقَتْ، وهُوَ مِنَ الكاذِبينَ ٢٦، وإن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: خلفٍ ﴿فكَذَبَتْ، وهُوَ مِنَ الصّادِقينَ﴾ ٢٧.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

٣- ﴿فلَمّا رأى﴾ زوجُها ﴿قَميصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قالَ: إنَّهُ﴾، أي: قولَكِ «ما جَزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ» إلى آخره، ﴿مِن كَيدِكُنَّ. إنَّ كَيدَكُنَّ﴾ - أيها النساء - ﴿عَظيمٌ﴾ ٢٨. ثمّ قال: يا ﴿يُوسُفُ، أعرِضْ عَن هٰذا﴾ الأمر ولا تذكرْه، لئلّا يشيع. ﴿واستَغفِري﴾ - يا زَليخا - ﴿لِذَنبِكِ. إنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطِئينَ﴾ ٢٩: الآثمين. واشتَهر الخبر وشاع، ﴿وقالَ نِسوَةٌ في المَدينَةِ﴾ مدينة مِصر: ﴿امرأةُ العَزيزِ تُراوِدُ فَتاها﴾: عبدها ﴿عَن نَفسِهِ. قَد شَغَفَها حُبًّا﴾: تمييز، أي: دخل حُبّه شغاف قلبها، أي: غِلافه. ﴿إنّا لَنَراها في ضَلالٍ﴾: خطأٍ ﴿مُبينٍ﴾ ٣٠: بيِّن بحُبّها إياه.

(١) راودته: خادعته لتثنيه عن تمنعه. ونفسه: قصده وإباؤه. ويواقعها: يجامعها زنى. والأبواب: جمع باب. وهلم: أقبل. والتبيين أي تقول: أخاطبك والخطاب لك. وفي قراءة: يريد قراءتين «هِيتَ» و«هَيتُ». والقراءات معناها: تعالَ وأسرع. وأحسن مثواي: تعهّدني بالإكرام وأمَرَكِ بذلك. ولايفلح: لايظفر بالخير. ورأى: شاهد ببصيرته مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين. والبرهان: العلم اليقيني والحجة الدالة على تحريم الفواحش. وقد ذكر القصاصون هنا أقوالًا كثيرة متناقضة متكاذبة. ولذا يحسن الوقف هنا على «به»، ليكون التحقيق بـ «لقد» مقصورًا على همها وحدها. وجملة هم بها: معطوفة علة جملة «قال» لا على جملة: همت به. ومحذوف أي: يدل على الجواب المحذوف ما قبله. وانظر المقباس في حاشية الدر المنثور ٢:٣٢٥. وفي التلخيص: «لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. وهذا يؤذن بنفي الهم، أي: أنه لم يهمّ بها». ونفي الهمّ - وهو النية وحديث النفس - أبلغُ من نفي الإرادة أو الفعل نفسه. فيوسف لم يحدِّث نفسه بالفاحشة ولم ينوِها البتة، لأنه عرف البرهان وكان ذلك راسخًا في نفسه. وهذا أولى مما ذكره السيوطي من مزاعم الإسرائيليات. وفي بعض النسخ والمطبوعات: «وجواب لولا لجامعها». وهو تفسير مخالف لما عُرف من كلام العرب، لأن الجواب المحذوف يقدر من لفظ ما دل عليه السياق، لامن لفظ آخر، إذا استقام المعنى والتركيب، وماقبلَ الشرط دليل عليه، ولايحذف الشيء لغير دليل. ونصرف: نمنع. والسوء: ما يقبح من الفعل. والفحشاء: ما عظم قبحه من الأفعال. والعباد: جمع عبد. وهو العابد. والمخلص: مَن جعل عمله مجردًا لله. وبفتح اللام يريد القراءة «المُخلَصِينَ».
(٢) القميص: الثوب. ومن دبُر: من خلفه. ولدى: عند. ونزهت نفسها: ادعت أنها تفرّ من يوسف. وأراد: قصد. وراودتني: خادعتني وأغرتني. وشهد: قال ما يَصلح شهادة. والأهل: الأقرباء الأدنون. وفي المهد أي: رضيع في السرير. وهو قول مستمد من حديث ضعيف. والمشهور بين المفسرين أن الشاهد كان رجلًا حكيمًا. انظر «المفصل». وصدقت: قد صح ما تقوله وثَبَتَ. وكذبت أي: فقد بَطَلَ قولها وثبَتَ كذبها واختلاقها.
(٣) رأى: أبصر عِيانًا. والكيد: المكر والخديعة. والعظيم: لامثيل له. وقد وُصف كيد النساء بالعِظم، وإن كان في الرجال من يكيد أكثر، لأنهن أبعد مكرًا بما جُبلن عليه من التلطف والقدرة على النفوذ. ومكرُ الشيطان ضعيف لأنه وسوسة، وُصف بالضعف لأنه في مقابلة كيد الله، ومكرُهن عظيم لأنه مواجهة وتلعّب بالكلام والعواطف، وُصف بالعِظم في مقابلة كيد الرجال وتداعي أكثرهم أمام إغراء النساء. وأعرِضْ عنه: اكتمه. واستغفري: توبي واطلبي العفو. والذنب: المعصية تقتضي العقاب. والخاطئون: جمع خاطئ، وهم يشملون الرجال والنساء، بخلاف الخاطئات. ومن الآثمين أي: بطلب الفاحشة واتهام يوسف. وإنما اشتهر الخبر لأن امرأة العزيز نفسها أخبرت بعض النساء بما حصل لها، ولايكون سرًّا ماعرفته النساء. وتراوده: تطلب منه أن يضاجعها. والحب: الرغبة القوية والشهوة. ونراها أي: نعلمها بحق.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

١- ﴿فلمّا سَمِعَتْ بِمكرِهِنَّ﴾: غِيبتهنّ لها ﴿أرسَلَتْ إلَيهِنَّ، وأعتَدَتْ﴾: أعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: طعامًا يُقطع بالسكّين للاتّكاء عنده - وهو الأُترُجّ - ﴿وآتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ واحِدةٍ مِنهُنَّ سِكِّينًا، وقالَتِ﴾ لِيُوسفَ: ﴿اخرُجْ عليهِنَّ. فلَمّا رأينَهُ أكبَرْنَهُ﴾: أعظمْنَه، ﴿وقَطَّعْنَ أيدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرْنَ بالألم لشُغل قلوبهنّ بيُوسف، ﴿وقُلْنَ: حاشَ لِلهِ﴾: تنزيهًا له! ﴿ما هٰذا﴾ أي: يُوسف ﴿بَشَرًا، إنْ﴾: ما ﴿هٰذا إلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٣١، لِما حواه من الحُسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشريّة. وفي الحديث أنّه «أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ». ﴿قالَتْ﴾ امرأة العزيز، لمّا رأت ما حلّ بهنّ: ﴿فذٰلِكُنَّ﴾: فهذا هو ﴿الَّذِي لُمتُنَّني فِيهِ﴾: في حُبّه. بيان لعُذرها. ﴿ولَقَد راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ فاستَعصَمَ﴾: امتنع. ﴿ولَئِنْ لَم يَفعَلْ ما آمُرُهُ﴾ به، ﴿لَيُسجَنَنَّ ولَيَكُونَنْ مِنَ الصّاغِرِينَ﴾ ٣٢: الذليلين. فقلن له: أطع مولاتك.

٢- ﴿قالَ: ربِّ، السِّجنُ أحَبُّ إلَيَّ مِمّا يَدعُونَنِيَ إلَيهِ. وإلّا تَصرِفْ عَنِّي كَيدَهُنَّ أصْبُ﴾: أمِلْ ﴿إلَيهِنَّ، وأكُنْ﴾: أصِرْ ﴿مِنَ الجاهِلِينَ﴾ ٣٣: المُذنبين. والقصد بذلك الدعاءُ. فلذا قال تعالى: ﴿فاستَجابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دُعاءه، ﴿فصَرَفَ عَنهُ كَيدَهُنَّ - إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول، ﴿العَلِيمُ﴾ ٣٤ بالفعل - ﴿ثُمَّ بَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم، مِن بَعدِ ما رأَوُا الآياتِ﴾ الدالّات على براءة يُوسف، أن يسجنوه، دلّ على هذا: ﴿لَيَسجُنُنَّهُ حَتّى﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾ ٣٥ ينقطعُ فيه كلام الناس، فسُجن.

٣- ﴿ودَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ﴾: غُلامان للملك، أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه، فرأياه يُعبّر الرؤيا فقالا: لنَختبرَنّه. ﴿قالَ أحَدُهُما﴾ الساقي: ﴿إنِّي أرانِيَ أعصِرُ خمرًا﴾ أي: عِنبًا. ﴿وقالَ الآخَرُ﴾ صاحب الطعام: ﴿إنِّي أرانِيَ أحمِلُ فَوقَ رأسِي خُبزًا، تأكُلُ الطَّيرُ مِنهُ. نَبِّئْنا﴾: خبّرْنا ﴿بِتأوِيلِهِ﴾: بتعبيره. ﴿إنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ ٣٦. قالَ﴾ لهما، مُخبرًا أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لا يأتِيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ﴾ في منامكما، ﴿إلّا نَبَّأتُكُما بتأوِيلِهِ﴾ في اليقظة، ﴿قَبلَ أن يأتِيَكُما﴾ تأويلُه. ﴿ذٰلِكُما مِمّا عَلَّمَني رَبِّي﴾. فيه حثّ على إيمانهما. ثمّ قوّاه بقوله: ﴿إنِّي تَرَكتُ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿قَوم لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ، وهُم بِالآخِرةِ هُم﴾ - تأكيد - ﴿كافِرُونَ ٣٧، واتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائِيَ، إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ. ما كانَ﴾: ينبغي ﴿لَنا أن نُشرِكَ بِاللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾، لِعِصمتنا. ﴿ذٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضلِ

---

(١) المكر: تدبير الأذى. وأرسلت إليهن: دعتهن لزيارتها. وأعتدت: هيأت. والأترج: الكبّاد. واخرج عليهن: فاجئهن بالظهور. ورأينه: أبصرنه عِيانًا. وأعظمنه: دهشْن بجماله وهيبته، ورأين فيه العظمة البالغة. وقطّع: جرّح. والأيدي: جمع يد. وفي الأصل: «حاشا لِلهِ». وحذف الألف للتخفيف على غير قياس، تعبيرًا عن الدهشة والاستعظام. والتنزيه: الإقرار بقدرة الله وعظمته، لخلق هذا الجمال الباهر. والبشر: الإنسان. وما هذا بشرًا أي: مُحال أن يكون هذا من البشر. وكريم أي: شريف مفضل عند الله، إذ منحه هذا الحسن العظيم المفرط. والنسمة: الكائن الحي ذو الروح. والحديث هو تحت الرقم ٢٥٩ في مسلم. والشطر: النصف. يعني أنه وحده حوى نصف الحسن الذي منح اللهُ البشرَ كلهم إياه. ع: «نصف الحسن». وراودت: انظر الآية ٢٣. ولمتنّ: وصفتنّ بالقبيح. واستعصم: اعتصم. وامتنع أي: عَفَّ وتنزَّهَ. ويفعله: ينفّذه دون خلاف أو تقصير. وآمره به: أدعوه إليه وأطلبه منه. ويسجن: يوضع في السجن. ويكوننْ: يصيرنْ. ط: «وليكونا». وفيما عداها وعدا خ: «وليكونًا» اتباعًا لرسم المصاحف. وإنما جاز ما أثبتناه لأن النص في تفسير. والمولاة: السيدة. والحق أنهن راودنه أيضًا، بدليل الآيتين ٣٣ و٥١، ولم يأمرنه بطاعة مولاته فقط. وهذا شأن النساء المترفات، في المجتمعات الفاسدة.

(٢) السجن: مكان الحبس. و«أحب» ليس على معنى التفضيل، وإنما هذان شرّان فضل منهما ما لامعصية فيه. ويدعونني إليه: يأمرنني به. وتصرف: تمنع. والجاهل: السفيه لايميز الخير من الشر. واستجاب: أجاب. والسميع: العظيم الإدراك للمسموعات وما هو أخفى منها. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. وبدا لهم: تحقق للعزيز ومَن حوله وثَبَتَ في نفوسهم ، لئلا يشيع ما كان من زليخا والنساء الماجنات. ورأوا: علموا علم اليقين. والآية: الحجة القاطعة. ويسجنه: يحبسه لإخفاء جريمة النساء. والحين: الوقت.

(٣) دخلا معه أي: صاحباه في الدخول. ونختبره: نمتحنه لنعلم صدق ما يدعيه. وأراني: رأيتني في الحلم. والخمر: ما يُسكِر من عصير العنب وغيره. وأحمل: أضع. وتأكل: تتغذى. والطير: واحده طائر. وتأويله: تأويل ما ذكرنا لك. ونراك: نبصرك عِيانًا. والمحسن: من يعمل الخير لنفسه ولغيره. فقد كان يوسف في السجن يتقن عبادته، ويساعد كل محتاج بما يستطيع. ويأتيكما: يصل إليكما. وترزقانه: تطعمانه. ونبّأ: أخبر. وفي منامكما أي: تحلمان به في المنام. و«قبل... تأويله» يعني أنه يفسر لهما حلم الطعام قبل وصول طعام إليهما في اليقظة. وعلمني: أوحى إليّ. وتركتها: تجنبتها. والدين: العقيدة والشريعة. ولايؤمنون: يكفرون. وتأكيد: يعني أن «هم» الثاني: توكيد لفظي للأول. واتبعتها: آمنت بها. والآباء: جمع أب. وهو يطلق على الوالد والجد. فيعقوب أبو يوسف، وإسحاق جده. وإبراهيم أبو جده. ونشرك بالله: نعبد معه بعض مخلوقاته، ونطيعهم فيما لايرضاه. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والعصمة: الحفظُ من الضلال. والفضل: التفضل بالإحسان والنعم. و«الكفار» تفسير لـ «أكثر الناس». ويشكر: يستحضر النعم ويثني على المنعم بقلبه ولسانه وعمله.

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

اللهِ عَلَينا وعلَى النّاسِ، ولٰكِنَّ أكثرَ النّاسِ - وهم الكُفّار - **﴿لا يَشكُرُونَ﴾** ٣٨ الله فيشركون.

١ - ثمّ صرّح بدعائهما إلى الإيمان، فقال: **﴿يا صاحِبَي﴾** ساكنَي **﴿السِّجنِ، أأربابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيرٌ أم اللهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾** ٣٩ خيرٌ؟ استفهام تقرير. **﴿ما تَعبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾** أي: غيرَه **﴿إلّا أسماءً، سَمَّيتُمُوها﴾**: سمّيتم بها أصنامكم **﴿أنتُم وآباؤُكُم، ما أنزَلَ اللهُ بِها﴾**: بعبادتها **﴿مِن سُلطانٍ﴾**: حُجّةٍ وبُرهان. **﴿إنِ﴾**: ما **﴿الحُكمُ﴾**: القضاء **﴿إلّا لِلّهِ﴾** وحدَه، **﴿أمَرَ ألّا تَعبُدُوا إلّا إيّاهُ. ذٰلِكَ﴾** التوحيد **﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾**: المُستقيم، **﴿ولٰكِنَّ أكثرَ النّاسِ﴾** - وهم الكُفّار - **﴿لا يَعلَمُونَ﴾** ٤٠ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

٢ - **﴿يا صاحِبَيِ السِّجنِ، أمّا أحَدُكُما﴾** أي: الساقي فيخرج بعد ثلاث، **﴿فَيَسقِي رَبَّهُ﴾**: سيّده **﴿خَمرًا﴾** على عادته - هذا تأويل رؤياه - **﴿وأمّا الآخَرُ﴾** فيخرج بعد ثلاث **﴿فيُصلَبُ، فتأكُلُ الطَّيرُ مِن رأسِهِ﴾**. هذا تأويل رُؤياه. فقالا: ما رأينا شيئًا. فقال: **﴿قُضِيَ﴾**: تمّ **﴿الأمرُ الَّذِي فِيهِ تَستَفتِيانِ﴾** ٤١: عنه سألتما، صدقتما أم كذبتما. **﴿وقالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾**: أيقن **﴿أنَّهُ ناجٍ مِنهُما﴾**، وهو الساقي: **﴿اذكُرنِي عِندَ رَبِّكَ﴾**: سيّدك، فقلْ له: إنّ في السجن غُلامًا محبوسًا ظلمًا. فخرج **﴿فأنساهُ﴾** أي: الساقيَ **﴿الشَّيطانُ ذِكرَ﴾** يُوسفَ عند **﴿رَبِّهِ، فلَبِثَ﴾**: مكَثَ يُوسف **﴿في السِّجنِ بِضعَ سِنِينَ﴾** ٤٢ قيل: سبعًا، وقيل: اثنتي عشْرةَ.

٣- **﴿وقالَ المَلِكُ﴾** ملكُ مصرَ الريّانُ بنُ الوليد: **﴿إنِّي أرَى﴾** أي: رأيتُ **﴿سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهُنَّ﴾**: يبتلعهنّ **﴿سَبعٌ﴾** من البقر **﴿عِجافٌ﴾**:

(١) الصاحب: من يلازم الشيء. والأرباب: جمع رب. وهو المعبود. والمتفرقون أي: من بشر وملائكة وجن وحيوان وذهب وفضة وخشب وحجارة. وخير: أجلب للنفع وأدفع للضرر. والواحد: المتفرد بذاته وصفاته وأفعاله. والقهار: الغالب لجميع الخلق بقدرته المطلقة، فيذلون لسلطانه ويستسلمون. وتعبدون: تقدسون وتطيعون - والخطاب هنا صار لأهل السجن كلهم - أي: ما تعبدون إلّا الألفاظ الفارغة التي سميتم بها ما لايستحق العبادة. فهي كلمات أحدثتموها لامسمياتِ لها. والأسماء: جمع اسم. وهو لفظ يطلق على الشيء ليعرف به أو يستدل به عليه. وسميتموها أي: جعلتموها أسماء. وفيما عدا الأصل وث: «سميتم بها أصنامًا». وأنزل: أوحى وأعلم. ووحده يعني: ليس لكم ولا لآلهتكم حكم نافذ دون إرادة الله. وأمر: فرض وأوجب. وتعبدوا: تقدسوا وتطيعوا. والدين: العقيدة بالألوهية وصفاتها. ولايعلمون: لايعرفون لأنهم يقلدون الآباء ويتبعون شهواتهم، ولايستعملون عقولهم. وفي قرة العينين وبعض المطبوعات: فهم يشركون.

(٢) أحدكما: واحد منكما دون تعيين، إذ المراد الإبهام لئلّا يواجَه المقصود بالعذاب. وثلاث: ثلاث ليال. ويسقيه: يخدمه في تقديم الشراب. وتأويل رؤياه: يعني أن يوسف شرع في تعبير الرؤيا، بعد أن مهد لذلك بالدعوة إلى التوحيد. وفيما عدا الأصل وث وع: «على عادته وأما». والآخر: الثاني المغايِر. ويصلب: يعلق ويثبّت على الخشب ليقتل. وفيما عدا الأصل وث وع: «تأويل رؤياكما فقال». وما رأينا شيئًا: يعني أنهما اختلقا قصة الحُلمَين ليختبراه، ولم يريا من ذلك شيئًا في منامهما. والراجح أنهما رأيا الحلمين كما ذكرا قبل. وتم: وجب بإرادة الله. يعني: سيقع حتمًا. والأمر: حكم التأويل. ع: «عنه سألتماه». وفيما عدا الأصل والنسخ: «سألتما عنه». وناج: سيتخلص من السجن. واذكرني عنده: حدثه عما أنا فيه. وأنساه: أذهله بما وسوس له من الهم. والشيطان: من يغري بالباطل من الجن. والذكر: الخبر. وذكر السِّنين يقتضي أن البضع: من الواحدة إلى العشر. وهو قطعة من العدد. والسنون: جمع سنة. وماذكره السيوطي يعنيَ أن المقصود بإحدى المدتين كل ماقضاه في السجن.

(٣) الملك: الحاكم المتصرف حينئذ. وقد حكم مصرَ قبل كثير من الفراعنة العرب وبعدهم أسر عربية أيضًا مالكة، في عدة قرون. وأرى أي: أُبصِر في الحُلم. والسمان: جمع سمينة، أي: كثيرة اللحم والشحم. والعجفاء: الضعيفة. والسنبلة: الجزء الأعلى من نبات القمح وما يشبهه. والخضر: جمع خَضراء. والأُخر: المغايرات، جمع أُخرَى. واليابسة: الجافة بلغت وقت حصادها. والملأ: الكهنة والسحرة. والرؤيا: ما يراه النائم من الخيالات. وتعبرونها: تفسرونها. واعبروها أي: أفتوني. والأضغاث: جمع ضِغث. وهو في اللغة: ماجُمع وحُزم من أخلاط النبات، استعير للرؤيا الكاذبة. والأحلام: جمع حُلم. وهو ما يُرى في النوم من الأخيلة الكاذبة. والتأويل: التفسير والتعبير. والعالم: العارف الدقيق المعرفة. ونجا: تخلص من السجن. و«الدال» كذا في الأصل والمطبوعات. وفي خ وع وقرة العينين وحاشية المنحة: «الذال». وفي إحدي النسخ: «الذال بعد قلبها دالًا». انظر الفتوحات ٢:٤٥٧. وكله وَهَمٌ. والصواب أن الأصل: «اذْتَكَرَ» أبدلت التاء دالًا لأنها تاء «افتعل» بعد ذال: «اذْدَكَرَ»، وأبدلت الذال دالًا أيضًا وأدغمت في الدال الثانية. والأمة: المدة الطويلة. وحال يوسف: ما هو عليه من علمه بتأويل الرؤيا. وأرسلونِ أي: أنا أخبركم بتفسيره عمن عنده علم ذلك. فابعثوا بي إليه في السجن. والخطاب للملك عظّمه بضمير الجماعة. وأفتنا: أعلِمنا وبيِّن لنا. وأرجع: أعود. ويعلمون: يعرفون. وتعبيرها: تفسيرها وما يُقصد بها. وهذا يعني أن الفتيين لم يكذبا فيما ذكرا من حُلميهما. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤١.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

جمع عَجفاءَ، ﴿**وسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ، وأُخَرَ**﴾ أي: سبعَ سُنبلات ﴿**يابساتٍ**﴾ قد التوتْ على الخُضر وعلت عليها. ﴿**يا أيُّها المَلأُ، أفتوني في رُؤيايَ**﴾: بيّنوا لي تعبيرها، ﴿**إن كُنتُم للرُّؤيا تعبُرُونَ**﴾ ٤٣ فاعبُروها. ﴿**قالوا**﴾: هذه ﴿**أضغاثُ**﴾: أخلاطُ ﴿**أحلامٍ، وما نَحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالِمِينَ**﴾ ٤٤. ﴿**وقالَ الَّذي نَجا مِنهُما**﴾ أي: من الفَتيَينِ وهو الساقي، ﴿**وادَّكَرَ**﴾ - فيه إبدال التاء في الأصل دالًا وإدغامها في الدال - أي: تذكّرَ ﴿**بَعدَ أُمَّةٍ**﴾: حينٍ حالَ يُوسفَ: ﴿**أنا أُنَبِّئُكُم بتأويلِهِ. فأرسِلُونِ**﴾ ٤٥. فأرسَلوه فأتى يوسفَ، فقال: يا ﴿**يُوسُفُ - أيُّها الصِّدِّيقُ**﴾: الكثيرُ الصِّدقِ - ﴿**أفتِنا في سَبعِ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ، وسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ، لَعَلّيَ أرجِعُ إلَى النّاسِ**﴾ أي: الملك وأصحابه، ﴿**لَعَلَّهُم يعلَمُونَ**﴾ ٤٦ تعبيرها.

١- ﴿**قالَ: تَزرَعُونَ**﴾ أي ازرَعوا ﴿**سَبعَ سِنِينَ دَأَبًا**﴾: مُتتابعةً. وهي تأويل السبعِ السِّمانِ - ﴿**فما حَصَدتُم فذَرُوهُ**﴾: اتركوه ﴿**في سُنبُلِهِ**﴾، لئلّا يفسد، ﴿**إلّا قَليلًا مِمّا تأكُلُونَ**﴾ ٤٧ فادرُسوه - ﴿**ثُمَّ يأتي، مِن بَعدِ ذَلِكَ**﴾ أي: السبع المُخصبات، ﴿**سَبعٌ شِدادٌ**﴾: مُجدِبات صِعاب - وهي تأويل السبع العجاف - ﴿**يأكُلنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ**﴾ من الحَبّ المزروع في السنينَ المُخصباتِ، أي: تأكلونه فيهنّ ﴿**إلّا قَليلًا مِمّا تُحصِنُونَ**﴾ ٤٨: تدخّرون، ﴿**ثُمَّ يأتي مِن بَعدِ ذَلِكَ**﴾ أي: السبع المُجدبات ﴿**عامٌ، فيهِ يُغاثُ النّاسُ**﴾ بالمطر، ﴿**وفيهِ يَعصِرُونَ**﴾ ٤٩ الأعناب وغيرها لِخِصبه.

٢- ﴿**وقالَ المَلِكُ**﴾، لمّا جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿**ائتُوني بِهِ**﴾ أي: بالذي عبَّرها. ﴿**فلَمّا جاءَهُ**﴾ أي: يُوسفَ ﴿**الرَّسُولُ**﴾، وطلبه للخروج، ﴿**قالَ**﴾ قاصدًا إظهار براءته: ﴿**ارجِعْ إلَى رَبِّكَ، فاسألْهُ**﴾ أن يسأل: ﴿**ما بالُ**﴾: حالُ ﴿**النِّسْوةِ اللّاتي قَطَّعنَ أيدِيَهُنَّ؟ إنَّ رَبّي**﴾: سيّدي ﴿**بكَيدِهِنَّ عَليمٌ**﴾ ٥٠. فرجَع فأخبر الملك فجمعهنّ. ﴿**قالَ: ما خَطبُكُنَّ**﴾: شأنكنّ، ﴿**إذ راوَدتُنَّ يُوسفَ عَن نَفسِهِ**﴾؟ هل وجدتنّ منه مَيلًا إليكنّ؟ ﴿**قُلنَ: حاشَ لِلهِ! ما عَلِمنا عَلَيهِ مِن سُوءٍ. قالَتِ امرأةُ العَزيزِ: الآنَ حَصحَصَ**﴾: وضَحَ ﴿**الحَقُّ. أنا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ، وإنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ٥١ في قوله: «هِيَ راودَتْني عَن نَفسِي». فأُخبر يُوسفُ بذلك، فقال: ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي: طلبُ البراءة ﴿**لِيَعلَمَ**﴾ العزيزُ ﴿**أنّي لَم أخُنْهُ**﴾ في أهله، ﴿**بالغَيبِ**﴾: حالٌ، ﴿**وأنَّ اللهَ لا يَهدِي كَيدَ الخائنينَ**﴾ ٥٢، ثم تواضع لله فقال: ﴿**وما أُبَرِّئُ نَفسِيَ**﴾ من الزلل. ﴿**إنَّ النَّفسَ**﴾ الجنس ﴿**لَأمّارةٌ**﴾: كثيرة الأمر ﴿**بالسُّوءِ، إلّا ما**﴾ بمعنى: مَن ﴿**رَحِمَ رَبِّيَ**﴾ فعصمه. ﴿**إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٥٣.

---

(١) تزرعون: تنثرون الحَبّ في الأرض المعدّة للنبات. والدأب: المداوَمة والمتابَعة. وهي: يعني سبع سنين دأبًا. وحصدتم: قطعتموه مما انعقد حبه. وفي سنبله أي: وفي قصبه ليكون أحفظ له من السوس. وتأكلون: تستهلكونه في الغذاء. وادرسوه: دوسوه لتستخرجوا حبه وتستهلكوه. ويأتي: يقع ويحصل. وسبع أي: سبع سنين. والشداد: جمع شديدة. وهي: يعني «سبع شداد». ويأكلن: يستهلكن، أي: تستهلكون أنتم فيهن. وقدمتم لهن أي: ادخرتموه للاستهلاك فيهن، وللبذار حين الزراعة. وتدخرون: تخزنونه للبذار والاستنبات والغذاء. والعام: السنة. ويغاث: يعان بالغيث. وهو المطر. ويعصرون: يضغطون الحبوب بقوة لإخراج ما فيها من السائل. وغيرها أي: الزيتون والسمسم والحمضيات، لكثرة الخصب والأمطار في ذلك العام.

(٢) قال أي: للسادة الحاضرين في المجلس. والملك: ملك مصر المذكور في الآية ٤٣. وائتوني به: أحضروه. وجاءه: وصل إليه. والرسول: الساقي الذي أُرسل إليه من قبل. وقال أي: يوسف للساقي. وارجع: عُد. وربك: سيدك. وهو الملك. واسأله: التمس منه جواب ماجرى قبلُ لي. وقطعن: انظر الآية ٣١. والرب مراد به الله. والكيد: تدبير الحيل. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة. والشأن: الأمر العظيم. وراودتنّ: خادعتنّ بطلب المضاجعة. وحاش لله: انظر الآية ٣١. وعلمنا: عرفنا. والسوء: فعل الشر. والعزيز: السيد الذي اشترى يوسف في مصر. والحق: الأمر الذي كان. والصادق: من يقول ما لاشك فيه. و«قوله» يعني مافي الآية ٢٦. و«فأُخبر يوسف فقال» هذا مبني على وقوع الهمّ من يوسف، ويحتاج إلى تكلف لربطه بما قبله. وظاهر السياق الكريم أن مضمون الآيتين ٥٢ و٥٣ من قول امرأة العزيز، اعترافًا بالحق. ثم اعتذرت بأن النفس أمارة. انظر «المفصل». ويعلم: يتيقن. ولم أخنه: لم أغدر به. والغيب: غيابه، أي: وهو غائب عني. ولايهديه: لا ينفّذه ولا يمضيه. والكيد: المكر. والخائن: من يغدر بمن ائتمنه. وأبرئها: أصفها بالصفاء. والجنس: يعني كل نفس بشرية عامة. والأمارة بالسوء هي التي تدعو إلى الشهوات. ورحمه: عطف عليه بالإحسان. والغفور: من المغفرة. وهي ستر الذنب وعدم المؤاخذة به. والرحيم: من الرحمة، أي: العطف بتيسير الخير والعصمة.

الجزء الثالث عشر — سورة يوسف

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ
ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

١- ﴿**وقالَ المَلِكُ: ائتُوني بِهِ، أستَخلِصْهُ لِنَفسي**﴾: أجعلْه خالصًا لي دُون شريك. فجاءه الرسول وقال: أجبِ الملكَ. فقام وودّع أهلَ السجن ودعا لهم، ثمّ اغتسل ولبس ثيابًا حِسانًا، ودخل عليه. ﴿**فلَمّا كَلَّمَهُ قالَ**﴾ له: ﴿**إنَّكَ اليومَ لَدَينا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ ٥٤: ذو مكانة وأمانة على أمرنا. فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المُخصبة، وادّخرِ الطعام في سُنبله، فيأتي إليك الخلق ليمتاروا منك. فقال: ومن لي بهذا؟ ﴿**قالَ**﴾ يُوسف: ﴿**اجعلْني على خَزائنِ الأرضِ**﴾ أرض مِصر. ﴿**إنّي حَفيظٌ عَليمٌ**﴾ ٥٥: ذو حِفظ وعِلم بأمرها، وقيل: كاتبٌ حاسب.

٢- ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن، ﴿**مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ**﴾ أرض مِصر، ﴿**يَتَبَوَّأُ**﴾: ينزل ﴿**مِنها حَيثُ يَشاءُ**﴾، بعد الضيق والحبس. وفي القِصّة أنّ الملك توّجَهُ وختّمهُ وولّاه مكان العزيز وعزله. ومات بعدُ، فزوّجه امرأته فوجدها عذراء وولدتْ له ولدين، وأقام العدل بمِصر ودانت له الرقاب. ﴿**نُصيبُ برَحمَتِنا مَن نَشاءُ، ولا نُضيعُ أجرَ المُحسِنينَ**﴾ ٥٦، ﴿**ولَأَجرُ الآخِرةِ خَيرٌ**﴾ من أجر الدنيا، ﴿**لِلَّذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقونَ**﴾ ٥٧.

٣- ودخلت سِنيُّ القحط وأصاب أرضَ كنعانَ والشامَ، ﴿**وجاءَ إخوةُ يُوسُفَ**﴾ إلّا بِنيامِينَ ليمتاروا، لمّا بلغهم أن عزيز مِصر يُعطي الطعام بثمنه، ﴿**فدَخَلُوا عليهِ فعَرَفَهُم**﴾ أنهم إخوته، ﴿**وهُم لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ ٥٨ لا يعرفونه، لبُعدِ عهدهم به وظنّهم هلاكَه. فكلّموه بالعِبرانيّة فقال كالمُنكِر عليهم: ما أقدَمَكم بلادي؟ فقالوا: للميرة. فقال: لعلّكم عُيون. قالوا: معاذَ اللهِ! قال: فمِن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعانَ وأبونا يعقوبُ نبيُّ الله. قال: وله أولادٌ غيرُكم؟ قالوا: نعم كُنّا اثني عشَرَ فذهب أصغرنا هلَكَ في البرّيّة، وكان أحبَّنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلّى به عنه. فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٤- ﴿**ولَمّا جَهَّزَهُم بجَهازِهِم**﴾: وفّى لهم كيلهم ﴿**قالَ: ائتُوني بِأخٍ لَكُم مِن أبِيكُم**﴾ أي: بنيامِين، لأعلم صِدقكم فيما قلتم. ﴿**ألا تَرَونَ أنّي أُوفي الكَيلَ**﴾: أُتمّه من غير بخس، ﴿**وأنا خَيرُ المُنزِلِينَ**﴾ ٥٩؟ ﴿**فإن لَم تَأْتُوني بِهِ فلا كَيلَ لَكُم عِندي**﴾ أي: مِيرةَ، ﴿**ولا تَقرَبُونِ**﴾ ٦٠ - نهيٌ أو عطف على محلّ «فلا كيل» - أي: تُحرموا ولا تقربوا. ﴿**قالُوا: سَنُراوِدُ عَنهُ أباهُ**﴾: سنجتهد في طلبه منه، ﴿**وإنّا لَفاعِلُونَ**﴾ ٦١ ذلك. ﴿**وقالَ لِفِتيَتِهِ**﴾، وفي قراءة: «لِفِتيانِهِ»: غلمانه: ﴿**اجعَلُوا بِضاعتَهُم**﴾ التي أتَوا بها ثمنَ المِيرة - وكانت دراهم - ﴿**في رِحالِهِم**﴾: أوعيتهم، ﴿**لَعَلَّهُم يَعرِفُونَها، إذا انقَلَبُوا إلَى أهلِهِم**﴾ وفرّغوا أَوعيتهم، ﴿**لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ**﴾ ٦٢ إلينا لأنهم لا يستحلّون إمساكها.

٥- ﴿**فلَمّا رَجَعُوا إلَى أبِيهِم قالُوا: يا أبانا، مُنِعَ مِنّا الكَيلُ**﴾، إن لم تُرسل أخانا إليه. ﴿**فأرسِلْ مَعَنا أخانا، نَكتَلْ**﴾ - بالنون والياء - ﴿**وإنّا لَهُ**

---

(١) ائتوني به: أحضروه إليّ. وكلمه أي: حدث يوسفُ الملكَ. وقال أي: أجاب الملكُ. واليوم: منذ الآن. ومن لي أي: من يتكفل لي؟ ويمتار: يأخذ الميرة. وهي ما يصلح للطعام. واجعلني: صيّرني قيمًا ومديرًا. والخزائن: خزائن الأموال والثمار، جمع خزينة. وحفيظ وعليم: من الحفظ والعلم، أي: الحماية والدراية، أو الكتابة والحساب.

(٢) ذلك أي: تمكين يوسف. انظر «المفصل». ومكنا له: جعلناه ذا مكانة. ويشاء: يريد. وعزله: عزل الملكُ وزيرَه العزيز ليقوم يوسف مقامه. ومات يعني: مات العزيز. وعذراء: يعني أن العزيز كان عاجزًا عن النكاح، فبقيت زوجته زليخا عنده عذراء. وبعض هذه التفصيلات مزاعم إسرائيلية. ونصيب برحمتنا: نخص بعطفنا. ونضيعه: نهمله. والمحسن: من يخلص نيته ويتقن عمله بمراقبة الله. وخير: أكثر نفعًا. ويتقي: يتجنب غضب الله ويطلب رضاه.

(٣) سنيُّ القحط: انظر الآيات ٤٣-٤٩. وسنيّ: جمع سنة، كما قالوا: عصًا وعِصِيّ. وأرض كنعان: فلسطين. وكنعان: الكنعانيون العرب. وأصاب أي: القحط. وجاؤوا: أتوا إلى مصر. ودخلوا عليه أي: صاروا في قصره. ويمتار: يأخذ ما يصلح للطعام. وعرف: علم. والمنكِر: الجاهل بحقيقة الأمر. وذكر العبرانية خطأ، لأنها وجدت بعد عودة بني إسرائيل إلى الشام مع موسى، واصطُنعت من لهجات عربية. والعيون: جمع عين. وهو الجاسوس. واحتبسه: احتفظ به.

(٤) الجهاز: ما يُعدّ من المتاع وغيره. وترون: تعلمون. والكيل: التقدير بالمكيال. والبخس: النقص. وخير: أكثر نفعًا. والمُنزِل: المُضيف. ونراوده: نطالبه مرارًا. ولفاعلون ذلك: نحقق ما وعدنا. والفتية: جمع فتى، خَدَمة بين يديه قليلون. والفتيان: الذين يكيلون الميرة. واجعلوها: ضعوها. والبضاعة: القطعة من المال تكون للتجارة. والرحال: جمع رَحْل، يكون فوق الإبل يحمل فيه الزاد وغيره. وانقلبوا: رجعوا.

(٥) منع الكيل: حُكم بمنعه وحجبه في المستقبل. ونكتل: نأخذ من الطعام ما نحتاج إليه. وبالياء يريد القراءة «يَكتَلْ» أي: يأخذ ما يحتاج إليه. وآمنكم: أثق بكم. ومن قبلُ: من قبلِ هذا الوقت. وخير: أكثر نفعًا. والحفظ: الوقاية والحماية. والراحم: من يعطف بالخير. والمراد أن يعقوب استسلم لأمر الله، ونوى أن يرسل بنيامين معهم، واثقًا بالحفظ والرعاية.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

لَحافِظُونَ ٦٣. **قالَ: هَل**﴾: ما ﴿**آمَنُكُم عليهِ إلّا كما أمِنتُكُم على أخِيهِ**﴾ يُوسفَ ﴿**مِن قَبلُ**﴾، وقد فعلتم به ما فعلتم؟ ﴿**فاللهُ خَيرٌ حِفْظًا**﴾، وفي قراءة: «حافِظًا» تمييزٌ، كقولهم: لله درُّه فارسًا! ﴿**وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ**﴾ ٦٤. فأرجو أن يمنّ بحِفظه.

١- ﴿**ولَمّا فَتَحُوا مَتاعَهُم وَجَدُوا بِضاعتَهُم رُدَّتْ إلَيهِم. قالُوا: يا أبانا، ما نَبغِي**﴾؟ ما: استفهاميّة أي: أيَّ شيء نطلبُ من إكرام الملك، أعظمَ من هذا؟ وقُرئ بالفَوقانيّة خِطابًا ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم. ﴿**هٰذِهِ بِضاعتُنا رُدَّتْ إلينا، ونَمِيرُ أهلَنا**﴾: نأتي بالمِيرة لهم - وهي الطعام - ﴿**ونَحفَظُ أخانا، ونَزدادُ كَيلَ بَعِيرٍ**﴾ لأخينا. ﴿**ذٰلِكَ كَيلٌ يَسِيرٌ**﴾ ٦٥: سهل على الملك لسخائه.

٢- ﴿**قالَ: لَن أُرسِلَهُ مَعَكُم حَتَّى تُؤتُونِي مَوثِقًا**﴾: عهدًا، ﴿**مِنَ اللهِ**﴾، بأن تحلفوا ﴿**لَتأتُنَّنِي بِهِ إلّا أن يُحاطَ بِكُم**﴾ أي: تموتوا أو تُغلبوا فلا تُطيقوا الإتيان به. فأجابوه إلى ذلك. ﴿**فلَمّا آتَوهُ مَوثِقَهُم**﴾ بذلك ﴿**قالَ: اللهُ على ما نَقُولُ**﴾ نحن وأنتم ﴿**وَكِيلٌ**﴾ ٦٦: شهيد. وأرسله معهم. ﴿**وقالَ: يا بَنِيَّ، لا تَدخُلُوا**﴾ مِصر ﴿**مِن بابٍ واحِدٍ، وادخُلُوا مِن أبوابٍ مُتَفَرِّقةٍ**﴾، لئلا تُصيبكم العين. ﴿**وما أُغنِي**﴾: أدفعُ ﴿**عَنكُم**﴾، بقولي ذلك، ﴿**مِنَ اللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ**﴾ قدَّره عليكم! وإنّما ذلك شفقةٌ. ﴿**إنِ**﴾: ما ﴿**الحُكمُ إلّا لِلّهِ**﴾ وحدَه، ﴿**علَيهِ تَوَكَّلتُ**﴾: به وثِقتُ، ﴿**وعلَيهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ**﴾ ٦٧.

٣- قال تعالى: ﴿**ولَمّا دَخَلُوا، مِن حَيثُ أمَرَهُم أبُوهُم**﴾ أي: مُتفرّقين، ﴿**ما كانَ يُغنِي عَنهُم مِنَ اللهِ**﴾ أي: قضائه ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ، إلّا**﴾: لكن ﴿**حاجةً في نَفسِ يَعقُوبَ قَضاها**﴾، هي إرادة دفع العين شفقةً، ﴿**وإنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمْناهُ**﴾: لِتعليمنا إياه، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ - وهم الكُفّار - ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٦٨ إلهام الله لأوليائه، ﴿**ولَمّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى**﴾: ضمَّ ﴿**إلَيهِ أخاهُ، قالَ: إنِّي أنا أخُوكَ. فلا تَبتَئِسْ**﴾: تحزنْ ﴿**بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٦٩ من الحسد لنا. وأمره ألّا يُخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يُبقيه عنده.

---

(١) المتاع: الأوعية. ووجد: رأى. والبضاعة: ما كانوا دفعوه ليوسف مقابل الميرة التي أخذوها. وبالفوقانية يريد القراءة «ما تَبغِي». وهي قراءة غير شاذة عند السيوطي. انظر الإتقان ١:١٦٨. ونحفظ أخانا: نحمي بنيامين. والبعير: الجمل البالغ.

(٢) أُرسلُه: أبعثه. وتؤتوني: تقدموا لي. وفيما عدا الأصل والنسخ: «تؤتونِ»، بحذف الياء تبعًا لرسم المصاحف. والموثق: العهد الموثق باليمين. ومن الله: مؤكدًا بذكر الله. ويحاط بكم: تعمّكم الغلبة. ويا بني: يا أولادي. ولاتدخلوا من باب واحد: لا تمشوا في مصر مجتمعين. والأبواب: جمع باب. و«تصيبكم العين» هذا غير ظاهر من سياق النص الكريم. ثم إن للعين أثرها، إذا حُرم صاحبها حقه أو ظُلم، يدعو وليس بينه وبين الله حجاب. والراجح هنا ما رُوي عن إبراهيم النخعي، وهو أن يعقوب قال ذلك لأنه كان يرجو أن يرى بعضُهم يوسفَ، في هذا التفرق، ويحب أن يلقى يوسفُ شقيقَه في خلوة من إخوته. وختام الآية ٦٨ يرجح هذا. وانظر فتح القدير ٣:٦١. فيعقوب كان في نفسه إلهام أن سيلقى بنيامينُ يوسفَ، ويريد أن يكون ذلك على انفراد، كما سيفعل يوسف بعد - وهي الحاجة التي في نفسه، على ما سيُذكر في الآية ٦٨، خلافًا لما فسرها به السيوطي - فأوهم أبناءه ما ذكره المفسرون من خشية الحسد أو ظن التجسس. ومن الله: من قضائه. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والحكم: الأمر النافذ لامحالة. وعليه توكلت: إليه وحده فوضت أمرنا مطمئنًا. والمتوكلون: من يريدون التوكل.

(٣) دخلوا أي: مصر وأسواقها. ومن حيث: من الأبواب المتفرقة. وأمرهم: طلب منهم. وانظر الآية ٦٧. ويغني: يدفع ويمنع. والحاجة: المقصد يُفتقر إليه ويتشبث به. والنفس: الضمير والعقل. وقضاها: أرادها وسعى لها. و«دفع العين» انظر تعليقنا على «تصيبكم العين» في تفسير الآية السابقة. وذو علم: مصاحب فقه وإحاطة واعية. وعلمناه: ألهمناه وأوحينا إليه، من أن قضاء الله لارادّ له، وغير ذلك من الوحي والإلهام. والأكثر: الغالبية العظمى. والناس: البشر. ولا يعلمون: لا يدركون ولا يفقهون. وفيما عدا الأصل وع: «لأصفيائه». انظر الفتوحات ٢:٤٦٨. وفي حاشية ث عن إحدى النسخ: «لأوليائه». ودخلوا عليه: اجتمعوا عنده في قصره. وأخوه: شقيقه بنيامين. وقال أي: يوسف لأخيه. ويعملون: يقترفون بالمكر والخداع والإيذاء، نية أو قولًا أو فعلًا. وتواطأ: توافق. وقول السيوطي «معه» هو من ابن كثير، ومثله شائع في كلام المتأخرين. والصواب خلافًا للكسائي: توطأ وإياه. انظر الارتشاف ٢:٦٣٤. فأفعال المشاركة الواردة، على وزن «تَفاعَلَ» أو «افتَعَلَ»، تقتضي أن الفعل يقع من اثنين أو أكثر، والواو تفيد ذلك بالعطف أو المعية، فلا تحتاج إلى «مع» بين الاثنين المذكورين. وهذا ثابت لها في الاستعمال التركيبي، مالم يكن الفعل المجرد من ذلك يتعدى بـ «مع» أصلًا، كأن تقول: جمعت زيدًا مع عليّ. فبالمطاوعة يجب أن تقول: اجتمع زيد معه.

سورة يوسف — الجزء الثالث عشر

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

١- ﴿فلَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم جَعَلَ السِّقايةَ﴾ - هي صاعٌ من ذهب مُرصّعٌ بالجوهر - ﴿في رَحلِ أخِيهِ﴾ بنيامِينَ، ﴿ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مناد، بعد انفصالهم عن مجلس يُوسف: ﴿أيَّتُها العِيرُ﴾: القافلة، ﴿إنَّكُم لَسارِقُونَ ٧٠. قالُوا، و﴾ قد ﴿أقبَلُوا عَلَيهِم: ماذا﴾: ما الذي ﴿تَفقِدُونَـ﴾ ٧١ ـه؟ ﴿قالُوا: نَفقِدُ صُواعَ﴾: صاعَ ﴿المَلِكِ، ولِمَن جاءَ بِهِ حِملُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام، ﴿وأنا بِهِ﴾: بالحِمل ﴿زَعِيمٌ﴾ ٧٢: كفيل.

٢- ﴿قالُوا: تاللهِ﴾ - قسمٌ فيه معنى التعجّب - ﴿لَقَد عَلِمتُم: ما جِئنا لِنُفسِدَ في الأرضِ. وما كُنّا سارِقِينَ﴾ ٧٣: ما سرقنا قطُّ! ﴿قالُوا﴾ أيِ: المُؤذّنُ وأصحابه: ﴿فما جَزاؤُهُ﴾ أي: السارقِ، ﴿إن كُنتُم كاذِبِينَ﴾ ٧٤ في قولكم «ما كُنّا سارِقِينَ»، ووُجد فيكم؟ ﴿قالُوا: جَزاؤُهُ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿مَن وُجِدَ في رَحلِهِ﴾ يُستَرَقُّ. ثمّ أُكّد بقوله ﴿فهْوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزاؤُهُ﴾ أي: المسروقِ لا غيرُ. وكانت سُنّةَ آلِ يعقوبَ. ﴿كَذٰلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجزِي الظّالِمِينَ﴾ ٧٥ بالسرقة. فصُرفوا إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم.

ربع الحزب ٢٥

٣- ﴿فبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم﴾، ففتّشها ﴿قَبلَ وِعاءِ أخِيهِ﴾ لئلّا يُتّهم، ﴿ثمَّ استَخرَجَها﴾ أي: السقايةَ ﴿مِن وِعاءِ أخِيهِ﴾. قال تعالى: ﴿كَذٰلِكَ﴾ الكيدِ ﴿كِدْنا لِيُوسُفَ﴾: علّمناه الاحتيال في أخذ أخيه. ﴿ما كانَ﴾ يُوسف ﴿لِيأخُذَ أخاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة، ﴿في دِينِ المَلِكِ﴾: حُكم ملك مِصر، لأنّ جزاءه عِنده الضربُ وتغريمُ مِثلَي المسروقِ لا الاسترقاقُ، ﴿إلّا أن يَشاءَ اللهُ﴾ أخْذَه بحُكم أبيه، أي: لم يتمكّن من أخذه إلّا بمشيئة الله - تعالى - بإلهامه سُؤالَ إخوته وجوابِهم بسُنَّتهم. ﴿نرفَعُ دَرَجاتِ مَن نَشاءُ﴾ - بالإضافة والتنوين - في العِلم كيُوسف، ﴿وفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ ٧٦ أعلمُ منه، حتّى ينتهي إلى الله تعالى.

٤- ﴿قالُوا: إن يَسرِقْ فقد سَرَقَ أخٌ لَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: يوسفُ. وكان سرقَ لأبي أُمّه صنمًا من ذهب، فكسره لئلّا يَعبده. ﴿فأسَرَّها يُوسُفُ في نَفسِهِ، ولَم يُبدِها﴾: يُظهرْها ﴿لَهُم﴾. والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿قالَ﴾ في نفسه: ﴿أنتُم شَرٌّ مَكانًا﴾ من يُوسفَ وأخيه، لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظُلمكم له، ﴿واللهُ أعلَمُ﴾: عالمٌ ﴿بِما تَصِفُونَ﴾ ٧٧: تذكرون من أمره. ﴿قالُوا: يا أيُّها العَزِيزُ، إنَّ لَهُ أبًا شَيخًا كَبِيرًا﴾، يُحبّه أكثر منّا، ويتسلّى به عن ولده الهالك، ويُحزنه فِراقه. ﴿فخُذْ أحَدَنا﴾: استعبدْه ﴿مَكانَهُ﴾: بدلًا منه. ﴿إنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾ ٧٨ في أفعالك. ﴿قالَ: معاذَ اللهِ﴾ - نُصِبَ على المصدر حُذف فِعله وأُضيف إلى المفعول - أي: نعوذ بالله من ﴿أن نأخُذَ إلّا مَن وَجَدْنا مَتاعَنا عِندَهُ﴾! لم يقل: «مَن سرق» تحرّزًا من الكذب. ﴿إنّا إذًا﴾: إن أخذنا غيره ﴿لَظالِمُونَ﴾ ٧٩.

(١) جهزهم: أمر من يقوم بذلك. وجعل: وضع. والسقاية: وعاء يُشرب به. والرحل: ما يُحمل فيه الزاد وغيره. وأذّن: أعلم بصوت مرتفع. والمؤذن: رجل ينادي للإعلام. والعير: جمع عَير. وهو ما يُحمل عليه من الحيوان. وأقبلوا عليهم: التفتوا إلى المؤذّن وطالبي السقاية. وتفقدون أي :ضاع منكم. والصواع: المكيال للثمار. وجاء به: حصّله أو دل عليه. وحمل بعير: ما يحمله البعير من الميرة. وبه زعيم: أؤديه إلى من جاء بالصواع.

(٢) علمتم: أيقنتم لِما رأيتم من صلاحنا. ونفسد: نُشيع الشر. والكاذب: من يقول غير الواقع. ووجد فيكم: وجد الصاع عندكم. وجزاؤه: عقوبة سرقة المسروق. ويسترقّ: يستعبده صاحب المسروق سَنةً واحدة. والسُّنّة: الطريقة الشرعية في الحكم. والظالم: المتجاوز للحق. وصرفوا: أعيدوا مرفقين.

(٣) بدأ به: فتحه أول شيء. والأوعية: جمع وعاء. وأخوه: شقيقه من والديه. ويتهم يعني: بوضع السقاية في رحل بنيامين. وكدنا: دبّرنا لاستبقاء بنيامين. ويأخذ أخاه: يستبقيه عنده. ومثلا المسروق: ضعف قيمته. وإلّا أن يشاء الله أي: لكن في مشيئة الله وإذنه. ويأخذه: يحتفظ به. والرقيق: العبد المملوك. وعن السرقة: جزاء السرقة. وبحكم أبيه: بشريعته. ونرفع: نُعلي. والدرجة: المنزلة المقرَّبة. وبالتنوين يريد القراءة «درجاتٍ». وفوقه: في درجات تعلوه. وذو علم: صاحب معرفة. وقوله «حتى ينتهي إلى الله» فيه إشكال. انظر «المفصل».

(٤) قبل: قبلَ هذا الوقت. و«كان سرق» أشهر ما قيل في ذلك أن عمته كانت تربيه ولما أراد أبوه أخْذه دست تحت ثيابه مِنطقة أبيها، وادعت أنها فقدتها ، لتستبقيَه عندها عقوبة. ولم تثبت تلك الإسرائيليات المختلقة، والصحيح أن قول الإخوة هنا افتراء على يوسف، كما كذبوا قبلُ حين ادعوا أن الذئب أكله. وأسرّها: أخفاها عنهم. ونفسه أي: ضميره وقلبه. و«الضمير للكلمة» انظر «المفصل». والصواب أن الضمير يعود على مقولتهم قبل. البحر ٥:٣٣٣-٣٣٤. وشر أي: أكثر شرًا. فيوسف وأخوه اتهما اتهامًا، وهم ثبت عليهم الجرم. فالتفضيل مبني على ما في نفوسهم. والمكان: المنزلة عند الله. وأعلم: محيط بالغَ الإحاطة. والعزيز: القيم على خزائن مصر. وهو يوسف. والشيخ: المسن تجاوز الخمسين. وكبيرًا: في سنه وقدره. والهالك: الميت، أي: يوسف كما يعتقدون. وخذ أحدنا: احتفظ بواحد منا. ونراك: نعلمك يقينًا. والمحسن: من تتصف أقواله وأفعاله بالخير. ونأخذه: نحتفظ به ونستبقيه عندنا. ووجدنا: رأينا عِيانًا. والمتاع: ما يستخدم في الحاجات. وهو هنا السقاية. وعنده: في رحله. والظالم: المجاوز للحق. والمراد أننا نكون ظالمين بحسب فتواكم وشرعكم.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

١- ﴿**فلمّا استَيْئَسُوا**﴾: يئسوا ﴿**مِنهُ خَلَصُوا**﴾: اعتزلوا ﴿**نَجيًّا**﴾ - مصدر يصلح للواحد وغيره - أي: يناجي بعضهم بعضًا، ﴿**قالَ كَبيرُهُم**﴾ سِنًّا رَوبيلُ، أو رأيًا يهوذَى: ﴿**ألَم تَعلَمُوا أنَّ أباكُم قَد أخَذَ علَيكُم مَوثِقًا**﴾: عهدًا ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ في أخيكم؟ ﴿**ومِن قَبلُ ما**﴾: زائدةٌ ﴿**فَرَّطتمْ في يُوسُفَ**﴾. وقيل: ما مصدريّة مبتدأ خبره: من قبل. ﴿**فلَن أبرَحَ**﴾: أُفارقَ ﴿**الأرضَ**﴾ أرض مِصر، ﴿**حَتَّى يأذَنَ ليَ أبيَ**﴾ بالعودة إليه، ﴿**أو يَحكُمَ اللهُ لِي**﴾ بخلاص أخي. ﴿**وهوَ خَيرُ الحاكِمينَ**﴾ ٨٠: أعدلهم. ﴿**ارجِعُوا إلَى أبِيكُم فقُولُوا: يا أبانا، إنَّ ابنَكَ سَرَقَ، وما شَهِدْنا**﴾ عليه ﴿**إلّا بِما عَلِمْنا**﴾: تَيَقّنًا، من مُشاهدة الصاع في رحله، ﴿**وما كُنّا لِلغَيبِ**﴾: لِما غاب عنّا حين إعطاء الموثق ﴿**حافِظِينَ**﴾ ٨١ - ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه - ﴿**واسألِ القَريَةَ الَّتي كُنّا فِيها**﴾ هي مِصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم، ﴿**والعِيرَ**﴾ أي: أصحابَ العير ﴿**الَّتي أقبَلْنا فِيها**﴾ - وهم قوم من كنعان - ﴿**وإنّا لَصادِقُونَ**﴾ ٨٢ في قولنا.

٢- فرجعوا إليه، وقالوا له ذلك. ﴿**قالَ: بَل سَوَّلَتْ**﴾: زيّنت ﴿**لَكُم أنفُسُكُم أمرًا**﴾ ففعلتموه. اتّهمهم لِما سبق منهم من أمر يُوسف. ﴿**فَصَبرٌ جَمِيلٌ**﴾ صبري. ﴿**عَسَى اللهُ أن يأتِيَني بِهِم**﴾ بيُوسفَ وأخويه ﴿**جَميعًا. إنَّهُ هُوَ العَليمُ**﴾ بحالي، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٨٣ في صُنعه. ﴿**وتَوَلَّى عَنهُم**﴾ تاركًا خِطابهم، ﴿**وقالَ: يا أسَفا**﴾ الألف: بدل من ياء الإضافة - أي: يا حُزني ﴿**على يُوسُفَ. وابيَضَّتْ عَيناهُ**﴾: انمحق سوادهما، وبُدّل بياضًا من بكائه ﴿**مِنَ الحُزنِ**﴾ عليه، ﴿**فَهوَ كَظِيمٌ**﴾ ٨٤: مغموم مكروب لا يُظهر كربه.

٣- ﴿**قالُوا: تاللهِ**﴾ لا ﴿**تَفتأُ**﴾: تزال ﴿**تَذكُرُ يُوسُفَ، حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا**﴾: مُشرفًا على الهلاك لطُول مرضك - وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره - ﴿**أو تَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ**﴾ ٨٥ الموتى! ﴿**قالَ**﴾ لهم: ﴿**إنَّما أشكُو بَثِّي**﴾ - هو عظيم الحُزن الذي لا يُصبر عليه حتى يُبثّ إلى الناس - ﴿**وحُزْنِيَ إلَى اللهِ**﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه، ﴿**وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ٨٦، من أنّ رُؤيا يُوسف صِدق وهو حيّ. ثم قال: ﴿**يا بَنِيَّ، اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأخِيهِ**﴾: اطلبوا خبرهما، ﴿**ولا تَيأَسُوا**﴾: تقنطوا ﴿**مِن رَوحِ اللهِ**﴾: رحمته. ﴿**إنَّهُ لا يَيأسُ مِن رَوحِ اللهِ إلّا القَومُ الكافِرُونَ**﴾ ٨٧.

---

(١) استيئس: قطع الرجاء مما يطلب. ومنه: من يوسف أن يجيبهم إلى ما طلبوه. وغيره يعني: للمثنى والجمع. ومتناجين: يتسارّون بصوت خفي. وكبيرهم: أكبرهم. وتعلموا: تذكروا. وأخذ: حصّل. وعهدًا: تعهّدًا مؤكدًا بالأيمان. ومن الله أي: مؤكدًا باسمه في اليمين. وفي أخيكم: في حفظه ورده. انظر الآية ٦٦. وقبل: قبل هذا الموثق العظيم. وزائدة: يعني أن «ما» حرف زائد لتوكيد المعنى وتوثيقه. وفرطتم فيه: ضيّعتموه وظلمتوه. ومصدرية أي: تؤول مع ما بعدها بمصدر. ويأذن: يسمح. ويحكم: يأمر. وهو أي: الله. والحاكم: القاضي يفصل بين المختلفين. وارجعوا: عودوا. وابنك أي: بنيامين. وسرق: أخذ مال غيره خفية. وما شهدنا: ما أقررنا لك وأنبأناك. فهي شهادة بظاهر ماجرى عِيانًا. يريد أنهم لايجزمون بأنه سرق، ولكنهم يقرّرون ما رأوه بأعينهم. وغاب عنّا: خفي على عقولنا ومداركنا. والحافظ: العالم المحيط إحاطة تامة. واسأل: استخبر واستعلم طالبًا ما تريد. والقرية: البلدة. والعير هي الإبل في الأصل. وقول السيوطي «أصحاب العير» من البيضاوي، خلافًا لما مضى في الآية ٧٠، حيث فسر العير بالقافلة، من البيضاوي أيضًا. وأقبلنا: توجهنا وجئنا. وفيها أي: معها. ومن كنعان: من العرب بني كنعان. وهم جيران ليعقوب. والصادق: من يقول الحق.

(٢) الأنفس: جمع نفس. وهي الضمير والعقل. وأمرًا: شأنًا. وهو حمل بنيامين معهم إلى مصر لطلب نفع عاجل، فكان ماكان. خ: «فعلتموه». وصبر جميل: انظر الآية ١٨. وعسى: للترجي. فيعقوب ترجى أن يجمعهم الله، للرؤيا التي رآها يوسف، فكان ينتظر تحقيقها ويحسن الظن بالله، في كل حال. ويأتيني بهم: يعيدهم عليّ. وأخواه هما بنيامين والكبير المعتصم في مصر. وجميعًا: مجتمعين. والعليم: المحيط بما خفي وما ظهر. والحكيم: الذي يضع الأمور في مواضعها بإتقان بالغ. وتولى: أعرض بوجهه وانصرف. والأسف: الحزن الشديد، أي: ياأسفي، هذا زمانك فاحضر. والمراد: يا رَبِّ ارحم شِدّة حزني على يوسف. فهو يشكو إلى الله، بدليل الآية ٨٦. والحزن: الهم. والكظيم: المكظوم الممتلئ من الحزن بدون شكوى.

(٣) تالله: قسم مع التعجب. ولاتزال: ستبقى وتستمرّ. وتذكره: تستحضر ذكره بالقلب واللسان تفجعًا عليه. وتكون: تصير. وأشكو: أنقل ألمي وأذكره. والبث: نشر ما في النفس من الغم. والحزن: الغم الشديد. وأعلم: أعرف باليقين. ومن الله أي: من رحمته وإحسانه. وما لا تعلمون: ما لا تعرفونه. وهو أنه يأتي بالفرج من حيث لانحتسب. وبَنِيّ: أبنائي. واذهبوا: ارحلوا إلى مصر. وتحسسوا: تلمّسوا وتعرّفوا. وأخوه هو بنيامين. وييأس: لايتوقع رحمة ولاينتظر فرجًا لما يناله من البلاء. والروح: الفرج والتنفيس. والكافر: من كذّب الله ورسوله.

يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

١ - فانطلقوا نحو مصر ليوسف. ﴿**فلمّا دَخَلُوا علَيهِ قالُوا: يا أيُّها العَزيزُ، مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ**﴾: الجوع، ﴿**وجِئنا بِبِضاعةٍ مُزجاةٍ**﴾: مدفوعة، يدفعها كُلّ من رآها لرداءتها، وكانت دراهمَ زُيوفًا أو غيرها. ﴿**فأوفِ**﴾: أتِمّ ﴿**لَنا الكَيلَ، وتَصَدَّقْ عَلَينا**﴾ بالمُسامحة عن رداءة بِضاعتنا. ﴿**إنَّ اللهَ يَجزِي المُتَصَدِّقِينَ**﴾ ٨٨: يثيبهم. فرقّ لهم وأدركته الرحمة ورفع الحِجاب بينه وبينهم، ثمّ ﴿**قالَ**﴾ لهم توبيخًا: ﴿**هَل عَلِمتُم ما فَعَلتُم بِيُوسُفَ**﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك، ﴿**وأخِيه**﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه، ﴿**إذ أنتُم جاهِلُونَ**﴾ ٨٩ ما يؤول إليه أمر يوسف؟

٢ - ﴿**قالُوا**﴾، بعد أن عرفوه، لِما ظهر من شمائله، مستثبتِينَ: ﴿**أإنَّكَ**﴾ - بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين - ﴿**لأنتَ يُوسُفُ؟ قالَ: أنا يُوسُفُ، وهٰذا أخِي، قَد مَنَّ**﴾: أنعم ﴿**اللهُ عَلَينا**﴾ بالاجتماع. ﴿**إنَّهُ مَن يَتَّقِ**﴾: يَخَفِ اللهَ، ﴿**ويَصبِرْ**﴾ على ما يناله، ﴿**فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ**﴾ ٩٠. فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر.

٣ - ﴿**قالُوا: تاللهِ لَقَد آثَرَكَ**﴾: فضّلك ﴿**اللهُ عَلَينا**﴾ بالمُلك وغيره، ﴿**وإنْ**﴾ - مُخفّفة - أي: إنّا ﴿**كُنّا لَخاطِئِينَ**﴾ ٩١: آثمين في أمرك، فأذلّنا اللهُ لك! ﴿**قالَ: لا تَثرِيبَ**﴾: عتبَ ﴿**عَلَيكُمُ اليَومَ**﴾. خصّه بالذكر لأنه مَظِنّة التثريب، فغيره أولى. ﴿**يَغفِرُ اللهُ لَكُم، وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ**﴾ ٩٢. وسألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبتْ عيناه. فقال: ﴿**اذهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذا**﴾ - وهو قميص إبراهيمَ الذي لبسه حين أُلقي في النار، كان في عُنقه في الجُبّ وهو من الجنّة، أمره جبريل بإرساله وقال: إنّ فيه رِيحَها، ولا يُلقى على مُبتلًى إلّا عُوفي - ﴿**فألقُوهُ عَلَى وَجهِ أبِي، يأتِ**﴾: يَصِرْ ﴿**بَصِيرًا، وائتُونِي بِأهلِكُم أجمَعِينَ**﴾ ٩٣.

٤ - ﴿**ولَمّا فَصَلَتِ العِيرُ**﴾: خرجتْ من عريش مِصرَ ﴿**قالَ أبُوهُم**﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم: ﴿**إنِّي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾. أوصلَتْه إليه الصَّبا بإذنه - تعالى - من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر، ﴿**لَولا أن تُفَنِّدُونِ**﴾ ٩٤: تُسفّهونِ لصدّقتموني. ﴿**قالُوا**﴾ له: ﴿**تاللهِ إنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ**﴾: خطئك ﴿**القَدِيمِ**﴾ ٩٥: من إفراطِك في محبّته، ورجاءِ لِقائه على بُعد العهد!

---

(١) ليوسف أي: للبحث عنه. ودخلوا أي: القصرَ. والعزيز: الوزير القيّم على خزائن المال والطعام. ومسنا: أصابنا. والضر: سوء الحال. والأهل: من يعولهم الرجل. والبضاعة: القطعة من المال للتجارة. والمدفوعة: المرغوب عنها. والزيوف: جمع زائف. وهو المَعيب. والكيل: التقدير بالمكيال لمواد الغذاء. وتصدق: تفضل بالزيادة. ورقّ لهم: أشفق عليهم. والحجاب: الستر الذي يكلمهم من خلفه. وعلمتم أي: تذكرون. وفعلتم: أوقعتم. وأخوه أي: بنيامين. وجاهلون: طائشون لاتدركون الحقائق. ويؤول: يصير.

(٢) الشمائل: الأخلاق. والمستثبت: الطالب للتثبت والتحقق. فقد أدركوا، مما خاطبهم به، أنه هو يوسف. ولكنهم لم يكونوا على يقين، فاستفهموا لتثبيت ما بدا لهم. وفيما عدا الأصل والنسخ والمنحة: «متثبتِين». وتسهيلها: جعلها بينَ بينٍ. يريد القراءة «أَاِنَّكَ». وعلى الوجهين يريد قراءتين: «آإنَّكَ» و«آاِنَّكَ»؟ ويخاف الله: يتجنب عصيانه ويلزم طاعته ورضاه. ويصبر: يتجلد يتحمل. ولايضيع: لايهمل ولاينقص. والأجر: المكافأة. والمحسن: من كان عمله برقابة الله والإخلاص له.

(٣) تالله: انظر الآية ٧٣. ومخففة يعني: للتوكيد. وفي ط وبعض المطبوعات «أي إن». والخاطئ: المتعمد للسوء والإيذاء. ث: «وإذلالنا لك». وفي ع وط وقرة العينين: «فأذللناك». وفيما عدا ذلك وعدا الأصل: «فأذلنا لك». والتثريب: مبالغة في اللوم والتوبيخ. وغيره أولى يعني أن المراد: لا تثريب عليكم أبدًا. وإنما ذكر «اليوم» لأنه يُظن أن يكون فيه عتب أكثر من غيره. وإذا كان العتب منفيًا هذا اليوم فهو في غيره أولى بالنفي. ويغفر لكم: يستر ذنوبكم ولايؤاخذكم عليها. والأرحم: الأكثر عطفًا بالإحسان. وذهبت عيناه: عمي. واذهبوا بقميصي: ارحلوا إلى أبي مع ثوبي. ووصف القميص هنا ذكره بعض المفسرين وأطالوا فيه، وهو مما لادليل عليه في النصوص الموثقة. قال أبو حيان: الظاهر أنه قميص من ملبوس يوسف بمنزلة قميص كل واحد. البحر ٥:٣٤٤. وألقوه: ضعوه. ويأت بصيرًا: يرجع إليه بصره كما كان. وائتوني بأهلكم: أحضروا معكم ما تعولون من النساء والأولاد والموالي.

(٤) العير: القافلة. وعريش مصر: أول مدينة فيها من جهة الشام. وأجد الريح: أشَمّها. وذكر الصبا فيه نظر. فهي ريح تهب من المشرق. ويعقوب كان في نابلس قرب بيت المقدس. فالصبا لاتهب عليه من مصر، وإنما تهب منها الدَّبور. وهي ريح تكون من جهة الغرب، وغير محمودة عند أهل الشام. ثم إن الريح في الآية هي الرائحة لا الهواء المتحرك. وتفندونِ أي: تفندوني. حذفت ياء المتكلم للتخفيف. وتسفهونني: تصفونني بالسفه، أي: الطيش وضعف الرأي والتفكير. وتالله: انظر الآية ٧٣. والقديم: الذي مضى عليه زمن طويل.

الجزء الثالث عشر — سورة يوسف

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

١- ﴿**فلمّا أن**﴾ - زائدةٌ - ﴿**جاءَ البَشِيرُ**﴾ يَهوذَى بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم فأحبّ أن يُفرحه كما أحزنه، ﴿**ألقاهُ**﴾: طرحَ القميصَ ﴿**على وَجهِهِ، فارتدّ**﴾: رَجَعَ ﴿**بَصِيرًا، قالَ: ألم أقُلْ لكُم: إنِّيَ أعلمُ مِنَ اللهِ ما لا تعلَمُونَ ٩٦؟ قالُوا: يا أبانا، استغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، إنّا كُنّا خاطِئِينَ ٩٧. قالَ: سَوفَ أستَغفِرُ لكُم رَبِّيَ. إنّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ ٩٨. أخّرَ ذلك إلى السَّحر ليكون أقرب إلى الإجابة، وقيل: إلى ليلة الجُمعة.

٢- ثمّ توجّهوا إلى مِصر، وخرج يُوسف والأكابر لتلقّيهم. ﴿**فلمّا دَخلُوا على يُوسُفَ**﴾، في مَضربه، ﴿**آوَى**﴾: ضمّ ﴿**إليهِ أبَوَيهِ**﴾: أباه وأمَّه، أوخالته، ﴿**وقالَ**﴾ لهم: ﴿**ادخُلُوا مِصرَ، إن شاءَ اللهُ، آمِنِينَ**﴾ ٩٩. فدخلوا وجلس يُوسف على سريره. ﴿**ورَفَعَ أبَوَيهِ**﴾: أجلسهما معه ﴿**على العَرشِ**﴾: السرير، ﴿**وخَرُّوا**﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿**لَهُ سُجَّدًا**﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعَ جبهةٍ - وكان تحيّتَهم في ذلك الزمان - ﴿**وقالَ: يا أبَتِ، هٰذا تأويلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ، قد جَعَلَها رَبِّي حَقًّا، وقد أحسَنَ بِيَ**﴾: إليّ ﴿**إذ أخرَجَنِي مِنَ السِّجنِ**﴾ - ولم يقل: «من الجُبّ» تكرّمًا، لئلّا يَخجل إخوتُه - ﴿**وجاءَ بِكُم مِنَ البَدْوِ**﴾: البادية، ﴿**مِن بَعدِ أن نَزَغَ**﴾: أفسد ﴿**الشّيطانُ بَيني وبَينَ إخوَتِيَ. إنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ. إنّهُ هُوَ العَلِيمُ**﴾ بخلقه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ١٠٠ في صُنعه.

نصف الحزب ٢٥

٣- وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبعَ عشْرةَ سنة، وكانت مُدّة فِراقه ثمانيَ عشْرةَ أو أربعين أو ثمانين سنة. وحضره الموت فوصّى يُوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثَمّةَ، ثمّ عاد إلى مصرَ وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة. ولمّا تمّ أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى المُلك الدائم، فقال: ﴿**رَبِّ، قد آتَيتَنِي مِنَ المُلكِ، وعَلَّمتَني مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ**﴾: تعبيرِ الرؤيا. ﴿**فاطِرَ**﴾: خالقَ ﴿**السّماواتِ والأرضِ، أنتَ وَلِيِّي**﴾: مُتولّي مصالحي ﴿**في الدُّنيا والآخِرةِ. تَوَفَّني مُسلِمًا وألحِقْني بالصّالِحِينَ**﴾ ١٠١ من آبائي. فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات، وله مِائة وعشرون سنة. وتشاحَّ المِصريّون في قبره، فجعلوه في صندوقِ مرمرٍ ودفنوه في أعلى النيل، لتعمّ البركة جانبيه. فسُبحان من لا انقضاء لملكه!

٤- ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من أمر يُوسف ﴿**مِن أنباءِ الغَيبِ**﴾: أخبارِ ما غاب عنك - يا مُحمّد - ﴿**نُوحِيهِ إلَيكَ، وما كُنتَ لَدَيهِم**﴾: لدى إخوةِ يُوسفَ، ﴿**إذ أجمَعُوا أمرَهُم**﴾ في كيده أي: عزموا عليه، ﴿**وهُم يَمكُرُونَ**﴾ ١٠٢ به - أي: لم تحضرهم فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها. وإنما حصل لك عِلمها من جهة الوحي - ﴿**وما أكثَرُ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة، ﴿**ولَو حَرَصْتَ**﴾ على إيمانهم، ﴿**بِمُؤمِنِينَ**﴾ ١٠٣.

---

(١) زائدة أي: «أنْ»: حرف زائد للتوكيد. وجاء: وصل إلى يعقوب. والبشير: من يبلّغ ما يسر. وأحزنه: قدّم له القميص الملطخ بدم الذئب قبل. واستغفر لنا: اطلب لنا من الله أن يغفر ذنوبنا. والخاطئ: من اكتسب الإثم عمدًا. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. والسحر: قبيل الفجر.

(٢) المضرب: المكان تُضرب فيه الخيام. وكان يوسف ضرب خيامًا لاستقبال أهله. وخالته: أخت أمه، وهي زوجة أبيه أيضًا. يعني أنه يقال للخالة: أُمّ. وشاء: أراد دخولكم. والآمن: المطمئن إلى سعادته. ورفعهما: جعل لهما المكان الرفيع. وخرّ: حنى ظهره. والسجَّد: جمع ساجد. والتأويل: حصول المضمون الصحيح. وجعلها: صيّرها. والحق: الصدق. وأحسن بي: أكرمني. وجاء بكم: أحضركم. والشيطان: من يوسوس بالشر. والإخوة: جمع أخ. واللطيف: المحسِن إلى عباده في خفاء. ويشاء: يريد حصوله. والعليم: المحيط بالخفي وغيره من الأمور. والحكيم: المتصرف بعلم كامل وحكمة بالغة.

(٣) الخلاف في عدد السنوات هو من أخبار أهل الكتاب، وليس فيه فائدة. وحضره الموت: جاءت أسبابه يعقوبَ. وعند أبيه: في بيت المقدس. وثمة: هناك. والملك الدائم: نعيم الآخرة. وربّ أي: ياربي. وآتيتني: أعطيتني. والملك: السلطان في مصر. وعلمتني: فقهتني بالوحي والإلهام. والأحاديث: انظر الآية ٦. وألحقني بهم: ارفعني إلى درجاتهم. وتشاحوا في قبره: اختصموا في اختيار مكان قبره. وفي أعلى النيل: في جهة الصعيد. ثم حمل جثمانه موسى معه إلى بيت المقدس، حيث قبور آبائه.

(٤) الأنباء: جمع نبأ. والغيب: ما غاب عن الإدراك والعقل. ونوحيه: أنزلنا جبريل به. ولديهم: معهم. ويمكرون: يحتالون للتخلص من يوسف. وفي هذا احتجاج نظري يلزم الخصم الإقرار والموافقة، وفيه أيضًا تهكم بقريش واليهود الذين أرادوا إعنات النبي ﷺ وإحراجه، لأنه لايخفى على أحد أنه لم يكن مع إخوة يوسف. وحرصت: رغبت. والمؤمن: من يصدّق الله ورسوله. وقد توقع النبي ﷺ أن يكون نزول القصة مفصلة سببًا لإسلام الذين سألوا عنها، فخالفوا توقعه وكان منهم عناد ومكابرة، فعزّاه الله بإنزال الآيات ١٠٣-١٠٧. البحر ٥: ٣٥٠.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١- ﴿**وما تسألُهم عليه**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**مِن أجرٍ**﴾ تأخذه - ﴿**إن**﴾: ما ﴿**هُوَ**﴾ أي: القرآن ﴿**إلّا ذِكرٌ**﴾ عِظة ﴿**للعالَمين ١٠٤ - وكأيِّنْ**﴾: وكم ﴿**مِن آيةٍ**﴾ دالّة على وحدانيّة الله، ﴿**في السّماواتِ والأرضِ، يَمُرُّونَ عليها**﴾: يُشاهدونها، ﴿**وهُم عنها مُعرِضُونَ**﴾ ١٠٥: لا يتفكّرون فيها! ﴿**وما يُؤمِنُ أكثَرُهُم بالله**﴾، حيثُ يُقرّون بأنه الخالق الرازق، ﴿**إلّا وهُم مُشرِكُونَ**﴾ ١٠٦ به، بعبادة الأصنام. ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيكَ لا شريكَ لكَ، إلّا شريكًا هو لكَ، تَملِكُه وما مَلَكَ». يعنونها.

٢- ﴿**أفأمِنُوا أن تأتِيَهُم غاشِيَةٌ**﴾: نِقمة تغشاهم، ﴿**مِن عذابِ الله، أو تأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغْتَةً**﴾: فَجأة، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ ١٠٧ بوقت إتيانها قبله؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**هٰذِهِ سَبِيلِيَ**﴾. وفسَّرَها بقوله: ﴿**أدعُو إلَى**﴾ دِينِ ﴿**الله، علَى بَصِيرَةٍ**﴾: حُجّة واضحة ﴿**أنا ومَنِ اتَّبَعَنِي**﴾: آمن بي - عطف على «أنا» المبتدأ المُخبرِ عنه بما قبله - ﴿**وسُبحانَ الله**﴾: تنزيهًا له عن الشُّركاء! ﴿**وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١٠٨. من جُملة سبيله أيضًا.

٣- ﴿**وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلّا رِجالًا، يُوحَى**﴾ - وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - ﴿**إليهِم**﴾، لا ملائكةً، ﴿**مِن أهلِ القُرَى**﴾: الأمصارِ لأنهم أعلم وأحلم، بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم. ﴿**أفلَم يَسِيرُوا**﴾ أهلُ مكّة ﴿**في الأرضِ فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ أي: آخرُ أمرهم، من إهلاكهم بتكذيبهم رسلَهم؟ ﴿**ولَدارُ الآخِرةِ**﴾ أي: الجنّةُ ﴿**خَيرٌ لِلّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الله. ﴿**أفلا يعقِلُونَ**﴾ ١٠٩ بالياء، والتاء: يا أهلَ مكة هذا فتؤمنون؟ ﴿**حتّى**﴾: غايةٌ لِما دلّ عليه «وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلّا رِجالًا» أي: فتراخى نصرهم، حتّى ﴿**إذا استَيأَسَ**﴾: يئس ﴿**الرُّسُلُ، وظَنُّوا**﴾: أيقن الرسل ﴿**أنَّهُم قَد كُذِّبُوا**﴾، بالتشديدِ: تكذيبًا لا إيمان بعده، والتخفيفِ أي: ظنّ الأُمم أنّ الرسل أُخلِفوا ما وُعِدوا به من النصر، ﴿**جاءَهُم نَصرُنا. فنُنجِّي**﴾ - بنونينِ مُشدّدًا ومُخفّفًا، وبنونٍ مُشدّدًا: ماض - ﴿**مَن نَشاءُ، ولا يُرَدُّ بأسُنا**﴾: عذابنا ﴿**عَنِ القَومِ المُجرِمِينَ**﴾ ١١٠: المُشركين.

٤- ﴿**لَقَد كانَ في قَصَصِهِم**﴾ أي: الرسلِ ﴿**عِبرَةٌ لِأُولِي الألبابِ**﴾: أصحاب العقول. ﴿**ما كانَ**﴾ هذا القُرآن ﴿**حَدِيثًا يُفتَرَى**﴾: يُختلق، ﴿**ولٰكِن**﴾ كان ﴿**تَصدِيقَ الّذِي بَينَ يَدَيهِ**﴾: قبله من الكُتب، ﴿**وتَفصِيلَ**﴾: تبيينَ ﴿**كُلِّ شَيءٍ**﴾ يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿**وهُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**ورَحمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ١١١. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

---

(١) تسألهم: تطالبهم. وعليه: لأجل تبليغه. والأجر: المكافأة. والذكر: التذكير. والعالمون: الإنس والجان، مفرده عالَم. وكأين أي: كثير. والآية: الحجة القاطعة. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومعرضون: منصرفون. ويؤمن به: يتيقن وجوده وبعض صفاته. والمشرك: من يقدس ويطيع بعض المخلوقات فيما حرم الله. ويعنونها أي: الأصنام. انظر الحديث ١١٨٥ في مسلم.

(٢) أمن: اطمأن فلم يخف. وتأتيهم: تنزل بهم. وتغشاهم: تغطيهم بالدمار. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والساعة: يوم القيامة. ولايشعرون: لايحسون بها، لانشغالهم وعدم إيمانهم بها. وقبله: قبل إتيانها. والسبيل: الطريق والسُّنّة، أي: هذه الدعوة طريقي التي أسلكها وأنا عليها. وأدعو: أحث الناس وأوجّههم. و«عطف... قبله» يعني أن «على بصيرة»: متعلقان بالخبر المقدم المحذوف للمبتدأ «أنا»، ومَن: معطوف على المبتدأ. والمشرك: الذي يعبد مع الله شيئًا من الخلق، أي: يقدسه ويطيعه في معصية الله. ومن جملة سبيله: يعني أن تتمة الآية هي من تتمة تفسير السبيل، أي: وما كنت ممن أشرك.

(٣) أرسلناهم: بعثناهم للدعوة. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من البشر. ويوحى إليهم: يُبلَّغون. وبكسر الحاء يريد القراءة «نُوحِي»: نبلّغ على لسان جبريل. والأهل: السكان. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. والأمصار: المدن جمع مِصر. والبوادي: جمع بادية. والجفاء: الخشونة والغلظة. ويسير: يمشي ويرحل. وينظر: يتأمل. والذين: المكذبين للرسل. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. وخير: أكثر نفعًا. واتقوه: تجنبوا عصيانه ولزموا طاعته. ويعقلون: يستعملون عقولهم ليعلموا ما هو خير. وبالتاء يريد القراءة «أفلا تَعقِلُونَ»؟ واستيئس: انقطع الرجاء لإيمان الكافرين. والرسل: جمع رسول. وبالتخفيف يريد القراءة «كُذِبُوا». وجاءهم: أتاهم. والنصر: العون على الكافرين بالهلاك. وننجّي: نُنقذ. ومخففًا يريد القراءة «فنُنْجِيْ». وبنون يريد القراءة «فنُجِّيَ». ونشاء: نريد تنجيته. ويُردّ: يمنع. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. والمجرم: من يكتسب الجرائم باختيار وقصد.

(٤) كان أي: وما يزال. والعبرة: الاعتبار والاتعاظ. وأولو: مفرده: ذو. والألباب: جمع لبّ. والمراد باللب القلب السليم من الفساد. والقرآن أي: بما تضمن من القصص وغيره. والحديث: ما يبلغ الناس من الكلام. والتصديق: المصدّق. وهدى: هاديًا ومرشدًا إلى الحق. ورحمة: راحمًا بالإحسان ونعيم الآخرة. ويؤمنون: مستعدون لتقبل الخير باعتقاد، يصدقون الله ورسوله وتعرف قلوبهم التوحيد والإخلاص.

سُورَةُ الرَّعۡدِ — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ
عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ
يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ
وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ
فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤
۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ
فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥

سورة الرعد

١- مكيةٌ إلّا «ولا يزال الذين كفروا» الآيةَ و«ويقول الذين كفروا لستَ مرسلًا» الآيةَ، أو مدنيةٌ إلّا «ولو أنّ قرآنًا» الآيتين، ثلاثٌ أو أربع أو خمس أو ستّ وأربعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿**الٓمٓر**﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**تلكَ**﴾: هذه الآيات ﴿**آياتُ الكِتابِ**﴾: القُرآن - والإضافة بمعنى: مِن - ﴿**والَّذي أُنزِلَ إلَيكَ مِن ربِّكَ**﴾ أي: القُرآنُ، مبتدأ خبرُه: ﴿**الحَقُّ**﴾: لا شكّ فيه، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يُؤمِنونَ**﴾ ١ بأنه من عِنده، تعالى.

٣- ﴿**اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ، بغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها**﴾ أي: العمدَ: جمع عِماد - وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأنْ لا عمد أصلًا - ﴿**ثُمَّ استَوَى على العَرشِ**﴾ استواءً يليق به، ﴿**وسَخَّرَ**﴾: ذلّلَ ﴿**الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ**﴾ منهما ﴿**يَجري**﴾ في فلكه ﴿**لأجَلٍ مُسَمًّى**﴾ يوم القيامة، ﴿**يُدَبِّرُ الأمرَ**﴾: يقضي أمر مُلكه، ﴿**يُفَصِّلُ**﴾: يُبيّن ﴿**الآياتِ**﴾: دلالاتِ قُدرته، ﴿**لَعَلَّكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**بلِقاءِ ربِّكُم**﴾: بالبعث ﴿**توقِنونَ**﴾ ٢، ﴿**وهُوَ الَّذي مَدَّ**﴾: بسَط ﴿**الأرضَ، وجَعَلَ**﴾: خلق ﴿**فيها رَواسِيَ**﴾: جبالًا ثَوابتَ ﴿**وأنهارًا، ومِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوجَينِ اثنَينِ**﴾ من كُلّ نوع، ﴿**يُغشِي**﴾: يُغطّي ﴿**اللَّيلَ**﴾ بظُلمته ﴿**النَّهارَ. إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لَآياتٍ**﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته - تعالى - ﴿**لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ ٣ في صُنع الله.

الحزب ٢٥

٤- ﴿**وفي الأرضِ قِطَعٌ**﴾: بِقاع مُختلفة ﴿**مُتَجاوِراتٌ**﴾: مُتلاصقات، فمنها طيّب وسَبِخ وقليل الرَّيع وكثيرُه، وهو من دلائل قدرته - تعالى - ﴿**وجَنّاتٌ**﴾: بساتينُ ﴿**مِن أعنابٍ وزَرعٌ**﴾، بالرفعِ عطفًا على «جنّاتٌ»، والجرِّ على «أعنابٍ»، وكذا قولُه: ﴿**ونَخيلٌ صِنْوانٌ**﴾: جمع صِنْو - وهي النَّخَلات يجمعها أصل واحد وتتشعّب فُروعها - ﴿**وغَيرُ صِنْوانٍ**﴾: منفردةٌ، ﴿**تُسقَى**﴾، بالتاءِ أي: الجنّاتُ وما فيها، والياءِ أي: المذكورُ، ﴿**بماءٍ واحِدٍ، ونُفَضِّلُ**﴾ - بالنون والياء - ﴿**بَعضَها على بَعضٍ في الأُكُلِ**﴾، بضمّ الكاف وسكونها. فمن حُلو وحامض، وهو من دلائل قُدرته تعالى. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾المذكورِ ﴿**لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ ٤: يتدبّرون.

٥- ﴿**وإن تَعجَبْ**﴾ - يا محمّد - من تكذيبِ الكُفّار لك ﴿**فعَجَبٌ**﴾: حقيق بالعجب ﴿**قَولُهُم**﴾ منكرين للبعث: ﴿**أإذا كُنّا تُرابًا، أإنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ**﴾؟ لأنّ القادرَ على إنشاء الخلق وما تقدّم، على غير مثال، قادر على إعادتهم. وفي الهمزتين في الموضعين التحقيقُ، وتحقيقُ الأُولى وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين وتركُها. وفي قراءة بالاستفهامِ في الأوّل والخبرِ في الثاني، وأُخرى عكسُه. ﴿**أُولٰئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم، وأُولٰئِكَ الأغلالُ في أعناقِهِم، وأُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ٥.

---

(١) سقطت الواو قبل «ويقول» من الأصل والنسخ والمطبوعات. انظر «المفصل». **(٢)** بمعنى من: يعني أن التقدير: آيات من الكتاب. وأُنزل إليك: تُبلَّغ به وحيًا. ومن ربك: من عنده وبأمره. والحق: الصدق. وأهل مكة أي: وغيرها أيضًا. ولايؤمنون: لايصدقون. **(٣)** رفعها: بناها وجعلها عالية. والعماد: ما يُعمد به البناء ليستقر. وترون: تبصرون عِيانًا. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالكون كله، لايعرف كنهه إلّا الله. ويليق به أي: لا يوصف ولا يمثل. وذللهما أي: جعلهما طائعين لِما أراد لهما. والشمس تجري بسرعة هائلة حول مركز مَجَرّتها، ساحبة معها الكواكب السيّارة المعروفة. والأجل: مدة حياة الكائن. ومسمى: معلوم معيّن عند الله. ولقاء ربكم: المصير إلى حضور حسابه. وتوقنون: تعلمون العلم الثابت. وبسطها أي: خلقها ممهدة طولًا وعرضًا تيسّر الحياة. والرواسيَ: جمع الراسي. والأنهار: جمع نهر. والثمر: ماينعقد عن الزهر للغذاء وغيره من دواء وزينة. وزوجين أي: جنسين متقابلين. ويغشيه: يجعله كالغطاء. ويتفكر: يستعمل عقله وبصيرته. **(٤)** القطع: جمع قِطعة. والطيب: الجيد ييسر النماء. والسبخ: المالح لاينبت. والأعناب: جمع عنب. وكذا قوله يريد القراءة «وزَرعٍ ونَخِيلٍ صِنوانٍ وغَيرٍ». والنخيل: شجر ثمره البلح. وتسقى: تروى وتغذّى. وبالياء يريد القراءة «يُسقَى». والمذكور: الجنات وما فيها. ونفضله: نميّزه. وبالياء يريد القراءة «ويُفَضِّلُ» أي: اللهُ. والأكل: ما يؤكل. وبسكونها يريد القراءة «الأُكْلِ». ويعقل: يستعمل عقله. **(٥)** كنا: صرنا. والتراب: ما تفتت من أجسادهم واختلط بالتراب. والخلق: التكوين من العدم. والجديد: الحادث مرة ثانية. وما تقدم أي: في الآيات ٢-٤، من الأدلة القاطعة على التوحيد والقدرة. وذكر السيوطي هنا ست قراءات. فالأولى كما أثبتنا. والثانية: تسهيل الهمزة الثانية، أي: جعلها بين الهمزة والياء: «أإذا... أإنّا». والثالثة والرابعة: إدخال الألف: «آإذا... آإنّا»، و«آإذا... آإنّا». والخامسة: «أإذا... إنّا». والسادسة: «إذا... أإنّا». والوجهين أي: التحقيق والتسهيل. وتركها: ترك الألف وعدم إيجادها بين الهمزتين، كما في القراءتين الأولى والثانية. والأغلال: جمع غُلّ. وهو طوق من حديد تقيد به اليد إلى العنق. والأعناق: جمع عُنُق. والأصحاب: جمع صاحب. والخالد: المقيم أبدًا.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ
مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

١- ونزل في استعجالهم العذابَ استهزاءً: ﴿**ويَستَعجِلُونَكَ بِالسَّيِّئةِ**﴾: العذاب ﴿**قَبلَ الحَسَنةِ**﴾: الرحمة، ﴿**وقَد خَلَت مِن قَبلِهِم المَثُلاتُ**﴾: جمع المَثُلة بوزن السَّمُرة، أي: عُقوباتُ أمثالهم من المُكذّبين. أفلا يعتبرون بها؟ ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرةٍ لِلنّاسِ، علَى**﴾: معَ ﴿**ظُلمِهِم**﴾ - وإلّا لم يترك على ظهرها دابّة - ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٦ لمن عصاه، ﴿**ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ علَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾، كالعصا واليد والناقة. قال تعالى: ﴿**إنَّما أنتَ مُنذِرٌ**﴾: مُخوّف الكافرين، وليس عليك إتيان الآيات، ﴿**ولِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ ٧: نبيٌّ يدعوهم إلى ربّهم، بما يُعطيه من الآيات، لا بما يقترحون.

٢- ﴿**اللهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثَى**﴾، من ذكرٍ وأُنثى وواحدٍ ومتعدّدٍ وغيرِ ذلك، ﴿**وما تَغِيضُ**﴾: تَنقُصُ ﴿**الأرحامُ**﴾، من مُدّة الحمل، ﴿**وما تَزدادُ**﴾ منه، ﴿**وكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾ ٨: بقدْر وحدٍّ لا يتجاوزه، ﴿**عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿**الكَبِيرُ**﴾: العظيم ﴿**المُتَعالِ**﴾ ٩ على خلقه بالقهر، بياءٍ ودونِها، ﴿**سَواءٌ مِنكُم**﴾ في عِلمه - تعالى - ﴿**مَن أسَرَّ القَولَ ومَن جَهَرَ بِهِ، ومَن هُوَ مُستَخْفٍ**﴾: مُستترٌ ﴿**بِاللَّيلِ**﴾: بظلامه ﴿**وسارِبٌ**﴾: ظاهر بذهاب في سَربه، أي: طريقه ﴿**بِالنَّهارِ ١٠، لَهُ**﴾: للإنسان ﴿**مُعَقِّباتٌ**﴾: ملائكة تَعتَقِبه، ﴿**مِن بَينِ يَدَيهِ**﴾: قُدّامِه ﴿**ومِن خَلفِهِ**﴾: ورائه، ﴿**يَحفَظُونَهُ مِن أمرِ اللهِ**﴾ أي: بأمره من الجنّ وغيرهم. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ**﴾: لا يسلبهم نِعمةً، ﴿**حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم**﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية، ﴿**وإذا أرادَ اللهُ بِقَومٍ سُوءًا**﴾: عذابًا ﴿**فلا مَرَدَّ لَهُ**﴾، من المُعقّباتِ ولا غيرها، ﴿**ومالَهُم**﴾ - إن أراد الله بهم سوءًا - ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَ الله ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**والٍ**﴾ ١١ يمنعه عنهم.

٣- ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرقَ خَوفًا**﴾ للمُسافر من الصواعق، ﴿**وطَمَعًا**﴾ للمُقيم في المطر، ﴿**ويُنشِئُ**﴾: يَخلق ﴿**السَّحابَ الثِّقالَ**﴾ ١٢ بالمطر، ﴿**ويُسَبِّحُ الرَّعدُ**﴾ هو مَلَك مُوكل بالسحاب يسوقه، مُلتبسًا ﴿**بِحَمدِهِ**﴾ أي يقول: سُبحان الله وبحمده، ﴿**و**﴾ تُسبّح ﴿**المَلائكةُ مِن خِيفَتِهِ**﴾ أي: اللهِ، ﴿**ويُرسِلُ الصَّواعِقَ**﴾ وهي نار تخرج من السحاب، ﴿**فيُصِيبُ بِها مَن يَشاءُ**﴾ فتُحرقه - نزل في رجل بعث إليه النبيّ ﷺ من يدعوه، فقال: مَن رسولُ الله؟ وما اللهُ؟ أمِن ذهب هو أم فضة أم نحاس؟ فنزلتْ به صاعقة فذهبتْ بِقِحف رأسه - ﴿**وهُم**﴾ أي: الكُفّار ﴿**يُجادِلُونَ**﴾: يُخاصمون النبيّ ﴿**في اللهِ، وهْوَ شَدِيدُ المِحالِ**﴾ ١٣: القُوّة أو الأخذ.

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. ويستعجلونك: يطلبون تعجيل العذاب. والسيئة: ما يسوء الإنسان. والحسنة: ما يَسرّ. وخلت: مضت. وذو مغفرة: صاحبها المختص بستر الذنوب وعدم التعجيل بالعقوبة. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والشديد: القوي. والذين كفروا: المكذبون لك. وأُنزل عليه: أُعطي. والآية: المعجزة تحملهم على الإيمان. ومن ربه: من عند ربه، كما يزعم. والعصا واليد والناقة يعني معجزات موسى وصالح. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. والهادي: المرشد إلى الحق.

(٢) يعلمه: يحيط بدقائقه وخفاياه، حين تكوّنه وقبل ذلك أيضًا وبعده. وتحمل: تحفظ من البويضات والأجنة والقدرة على الإنجاب، في جميع الأحياء. والأرحام: جمع رحم. وهو موضع تكون الجنين. وتزداد: تكثر ليتم خلق الجنين، أو تتجاوز ما هو مألوف في الحمل. ومنه أي: ما ذُكر قبل من مدة الحمل. وعنده بمقدار أي: في حكمه وقضائه علم بالكمية والكيفية، بلا لبس أو إخلال. والعالم: المحيط كاملَ الإحاطة. وغاب: خفي على المخلوقات. وشوهد: أدركته المخلوقات. والمتعالي: المترفع المستعلي بذاته وصفاته وأفعاله. وبياء ودونها يعني قراءتين: «المُتَعالِي» و«المُتَعالِ». وانظر سبب النزول في المفصل. وسواء: متساوٍ. وأسرّ: أخفى في نفسه. وجهر به: أظهره لغيره، أي: أن الله محيط علمه بأقوال المكلفين وتصرفاتهم، لايغيب عنه شيء. والمعقبات: الجماعات تتناوب المهامّ والأعمال لرعاية الخلق. ويحفظونه: يحمونه مما لا يَقدِر عليه. ومن أمر الله: بسبب قضائه. ويغير: يبدّل. ولايسلبهم نعمة أي: وبعكس ذلك لا يخصهم بخير. فالمراد العموم أي: لايبدل بحالهم حالًا مغايرة إلّا حين يبدلون ما في قلوبهم من النيات والمقاصد. وأراد: شاء. وإنما اقتصر على ذكر السوء لأن سياق الكلام في التهديد. والمردّ: المنع. ووال أي: من يتولى أمورهم ويحميهم.

(٣) البرق: اللمعان الذي يظهر من خلال السحب. والخوف: الفزع. وللمسافر أي: وللمقيم. وطمعًا أي: لِما فيه خير. وللمقيم أي: ولغيره أيضًا. والسحاب: الغيم المتحرك. ويسبحه: ينزهه عما يصفه به المشركون. وتفسير الرعد بأنه ملك مردود. وروي عن ابن عباس أن الرعد ريح تختنق بين السحاب. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٩ من سورة البقرة. و«يقول سبحان الله وبحمده» أي: بلسان الحال، يراد به التمثيل والتقريب، لا حقيقة اللفظ والقول. وفي البيضاوي أن الرعد بنفسه يدل على وحدانية الله وكَمال قدرته. والملائكة: جمع مَلَك. والخيفة: الهيبة والإجلال. ويرسلها: يبعثها. والصواعق: جمع صاعقة. وتصيبه: تنزل به. ويشاء: يريد إصابته. وانظر «المفصل». وقحف الرأس: العظم الذي فوق الدماغ. وفي الله أي: في وحدانيته وصفاته الجليلة. والشديد: القوي الذي لايقاوم. والأخذ: الانتقام بالعنف مماحلة ومكايدة.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

١- ﴿**لَهُ**﴾ - تعالى - ﴿**دَعوةُ الحقِّ**﴾ أي: كلمتُه - وهي: لا إلَه إلّا الله - ﴿**والّذِينَ يَدعُونَ**﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿**مِن دُونِه**﴾ أي: غيرَه - وهم الأصنام - ﴿**لا يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ ممّا يطلبونه، ﴿**إلّا**﴾ استجابةً ﴿**كَباسِطِ**﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿**كَفَّيهِ إلَى الماءِ**﴾ على شفير البئر، يدعوه ﴿**لِيَبلُغَ فاهُ**﴾ بارتفاعه من البئر إليه، ﴿**وما هُوَ بِبالِغِهِ**﴾ أي: فاه أبدًا - فكذلك ما هم بمستجيبين لهم - ﴿**وما دُعاءُ الكافِرِينَ**﴾: عِبادتُهم الأصنامَ أو حقيقةُ الدعاء ﴿**إلّا في ضَلالٍ**﴾ ١٤: ضياع، ﴿**ولِلهِ يَسجُدُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ، طَوعًا**﴾ كالمُؤمنين، ﴿**وكَرْهًا**﴾ كالمُنافقين ومَن أُكره بالسيف، ﴿**و**﴾ تسجد ﴿**ظِلالُهُم بِالغُدُوِّ**﴾: البُكَرِ ﴿**والآصالِ**﴾ ١٥: العشايا.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ - يا مُحمّد - لقومك: ﴿**مَن رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ؟ قُلِ: اللهُ**﴾. إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أفاتَّخَذتُم مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**أولِياءَ**﴾: أصنامًا تعبدونها، ﴿**لا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا**﴾، وتركتم مالِكَهما؟ استفهام توبيخ. ﴿**قُلْ: هَل يَستَوِي الأعمَى والبَصِيرُ**﴾: الكافر والمؤمن؟ ﴿**أم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ**﴾: الكفر ﴿**والنُّورُ**﴾: الإيمان؟ لا. ﴿**أم جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلقِهِ، فتَشابَهَ الخَلقُ**﴾ أي: خلقُ الشركاءِ بخلقِ الله ﴿**عَلَيهِم**﴾، فاعتقدوا استحقاق عِبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحقّ العبادةَ إلّا الخالقُ. ﴿**قُلِ: اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ**﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العِبادة، ﴿**وهُوَ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ ١٦ لعِباده.

٣- ثمّ ضرب مثلًا للحق والباطل، فقال: ﴿**أنزَلَ**﴾ - تعالى - ﴿**مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾: مطرًا، ﴿**فسالَتْ أودِيةٌ بِقَدَرِها**﴾: بمِقدار مِلئها، ﴿**فاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا**﴾: عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قذر ونحوه، ﴿**ومِمّا تُوقِدُونَ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**عَلَيهِ في النّارِ**﴾ من جواهر الأرض، كالذهب والفِضّة والنُّحاس، ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**حِليَةٍ**﴾: زينة ﴿**أو مَتاعٍ**﴾ يُنتفع به كالأواني إذا أُذيبت، ﴿**زَبَدٌ مِثلُهُ**﴾ أي: مِثلُ زبد السيل وهو خَبثه الذي ينفيه الكِير - ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**يَضرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ**﴾ أي: مَثَلَهما - ﴿**فأمّا الزَّبَدُ**﴾ من السيل، وما أُوقد عليه من الجواهر، ﴿**فيَذهَبُ جُفاءً**﴾: باطلًا مَرْميًّا به، ﴿**وأمّا ما يَنفَعُ النّاسَ**﴾ من الماء والجواهر ﴿**فيَمكُثُ**﴾: يبقى ﴿**في الأرضِ**﴾ زمانًا. كذلك الباطل يضمحلّ وينمحق، وإن علا على الحقّ في بعض الأوقات، والحق ثابت باق. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**يَضرِبُ**﴾: يُبيِّن ﴿**اللهُ الأمثالَ**﴾ ١٧.

٤- ﴿**لِلَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِم**﴾: أجابوه بالطاعة ﴿**الحُسنَى**﴾: الجنّةُ، ﴿**والَّذِينَ لَم يَستَجِيبُوا لَهُ**﴾ - وهم الكُفّار - ﴿**لَو أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ**﴾ من العذاب، ﴿**أُولٰئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسابِ**﴾ - وهو المُؤاخذة بكُلّ ما عملوه لا يُغفر منه شيء - ﴿**ومَأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ**﴾ ١٨: الفراشُ هي! ونزل في حمزةَ وأبي جهل: ﴿**أفَمَن يَعلَمُ أنَّما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾، فآمن به، ﴿**كَمَن هُوَ أعمَى**﴾ لا يعلمه ولا يُؤمن به؟ لا. ﴿**إنَّما يَتَذَكَّرُ**﴾: يتّعظ ﴿**أُولُو الألبابِ**﴾ ١٩: أصحاب العُقول.

---

(١) الحق: الدعوةُ الصادقةُ. والظاهر أن المراد بالدعوة: الدعاء. وبالتاء يريد القراءة «تَدعُونَ». وشفير البئر: حافَتها. و«هو» أي: الماء. والدعاء: الاستغاثة. ويسجد: يخضع لما خلق له. والطوع: الامتثال برضا. والكَره: الانقياد بقهر. والظلال: جمع ظِلّ، أي: ظلال الناس. والغدوّ: جمع غدوة، أي: أول النهار. والبُكَر: جمع بُكْرة. والآصال: جمع أصيل. وهو مِن بعد العصر إلى الغروب. والعشايا: جمع عَشِيّة.

(٢) الرب: الخالق المالك المتفرد بالتصرف. ولا جواب غيره: يعني أن المشركين يُقِرّون بهذا الجواب. انظر «المفصل». واتخذتم: جعلتم. والأولياء: جمع ولي. وهو المعبود. والنفع: الفائدة. والضر: الأذى. ويستويان: يتماثلان في الحق والصفات. وعُبِّرَ عن الكفر بالعمى والظلمات، وعن الإيمان بالبصر والنور. وجعل: صيّر. والشركاء: جمع شريك، أي: مشارك في الألوهية والعبادة. وخلق الشيء: أوجده من العدم. وتشابه: التبس واختلط. والخلق: المخلوق. وبخلقهم أي: بسبب خلقهم كما خلق اللهُ. والإنكار: النفي. وفيه: في الخلق. والواحد: المتفرد في الألوهية. والقهار: الذي يغلب ما عداه.

(٣) أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والأودية: جمع الوادي. وهو المنفرج بين جبلين. والسيل: ما سال من الماء. والزبد: الرغوة تطفو. وتوقدون: تشعلون. وبالياء يريد القراءة «يُوقِدُونَ». والحلية: ما يُتزين به من الجواهر. والمتاع: ما يستفاد منه. ويضرب: يبيّن. والحق: الثابت، أي: الإيمان. والباطل: ما لا أصل له، أي: الكفر. ويذهب: يفنى. وينفع: يكون فيه فائدة. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الحجة الدامغة.

(٤) افتدوا: أرادوا أن يستنقذوا أنفسهم. وسوء الحساب: الحساب الشديد العقاب. والمأوى: الملجأ. وبئس: بلغَ الغايةَ من السوء والشر والشقاء. وفي حمزة وأبي جهل: انظر «المفصل». ويعلم: يتيقن ويؤمن. وأُنزل: أوحي. ومن ربك: من عنده وبأمره. والحق: الصدق الثابت. وأعمى: فاقد للبصر والبصيرة. وأولو: واحده: ذو. والألباب: جمع لبّ. وهو خالص الشيء وخياره، فُسّر بالعقل لأنه خير ما في الإنسان.

الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
(٢٠) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٢١) وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
(٢٤) وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥) ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ (٢٦) وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ (٢٨)

الحزب ٢٦

١- ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهدِ اللهِ**﴾ المأخوذِ عليهم وهم في عالم الذرّ، أو كُلّ عهد، ﴿**ولا يَنقُضونَ الميثاقَ**﴾ ٢٠ بترك الإيمان أو الفرائض، ﴿**والَّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ**﴾، من الإيمان والرحِم وغير ذلك، ﴿**ويَخشَونَ رَبَّهُم**﴾ أي: وعيدَه، ﴿**ويَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ**﴾ ٢١- تقدّم - ﴿**والَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على الطاعة والبلاء، وعن المعصية، ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**وَجهِ رَبِّهِم**﴾، لا غيره من أعراض الدنيا، ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ، وأنفَقُوا**﴾ في الطاعة ﴿**مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيةً، ويَدرَؤُونَ**﴾: يدفعون ﴿**بالحَسَنةِ السَّيِّئةَ**﴾، كالجهل بالحلم والأذى بالصبر، ﴿**أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ**﴾ ٢٢ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخرة، هي ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ، ﴿**يَدخُلُونَها**﴾ هم ﴿**ومَن صَلَحَ**﴾: آمن، ﴿**مِن آبائِهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم**﴾، وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكرمة لهم، ﴿**والمَلائكةُ يَدخُلُونَ عليهِم مِن كُلِّ بابٍ**﴾ ٢٣ من أبواب الجنّة أو القُصور، أوانَ أوّلِ دُخولهم للتهنئة، يقولون: ﴿**سَلامٌ عَلَيكُم**﴾، هذا الثوابُ ﴿**بِما صَبَرتُم**﴾: بصبركم في الدنيا. ﴿**فنِعمَ عُقبَى الدّارِ**﴾ ٢٤ عقباكم!

٢- ﴿**والَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ مِيثاقِهِ، ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ، ويُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالكُفر والمعاصي، ﴿**أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنةُ**﴾: البُعد من رحمة الله، ﴿**ولَهُم سُوءُ الدّارِ**﴾ ٢٥ أي: العاقبةُ السّيئة في الدار الآخرة. وهي جهنّم. ﴿**اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعه ﴿**لِمَن يَشاءُ، ويَقدِرُ**﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿**وفَرِحُوا**﴾ أي: أهلُ مكّة فرحَ بطر ﴿**بِالحَياةِ الدُّنيا**﴾ أي: بما نالوه فيها، ﴿**وما الحَياةُ الدُّنيا، في**﴾ جنب حياة ﴿**الآخِرةِ، إلّا مَتاعٌ**﴾ ٢٦: شيء قليل يُتمتّع به ويذهب.

٣- ﴿**ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ عَلَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾، كالعصا واليد والناقة. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ**﴾ إضلاله فلا تُغني الآيات عنه شيئًا، ﴿**ويَهدِي**﴾: يُرشد ﴿**إلَيهِ**﴾: إلى دِينه ﴿**مَن أنابَ**﴾ ٢٧: رجَع إليه، ويُبدَل مِن «مَن»: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وتَطمَئِنُّ**﴾: تسكن ﴿**قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ**﴾ أي: وعده. ﴿**ألا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ**﴾ ٢٨ أي: قُلوب المُؤمنين. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿**طُوبَى**﴾ - مصدرٌ من الطِّيب، أو شجرةٌ في الجنّة يسير الراكب في ظِلّها مِائة عام ما يقطعها - ﴿**لَهُم وحُسنُ مآبٍ**﴾ ٢٩: مرجِع.

---

(١) عهد الله: ماعاهدوا الله عليه فوجبت تأديته. وعالم الذر: ما ذكره في تفسير الآية ١٧٢ من سورة الأعراف. وكل عهد أي: ما يوجبه الشرع، وما تقتضيه الفطرة من التوحيد. ولاينقضونه: لايبطلونه. والميثاق: العهد الموثق بيمين. ويصلونه: يعملون به. وأمرَ: فرض. ويخشاه: يهابه للتعظيم والإجلال. ويخافه: يفزع منه. وتقدم أي: في الآية ١٨. وصبروا: تجلدوا. والوجه: صفة وصفِ الله - تعالى - بها نفسه، كما يليق بجلاله وعظمته، من دون تمثيل أو تقريب أو تكييف أو تعطيل. وأقاموا الصلاة: أدّوها كاملة. وأنفقوا: بذلوا المال والصحة والجهد والعلم والعمل والوقت والنفس، فيما هو واجب أو مندوب. ورزقناهم: أعطيناهم. وسرًّا: بكتمان. وعلانية: بالجهر. والحسنة: ما حسّنه الشرع. والسيئة: ماقبّحه. والجنة: الحديقة العظيمة. وآباؤهم: أصولهم من الآباء والأمهات والأجداد والجدات. وأزواجهم: زوجاتهم اللواتي مُتْنَ في عصمتهم. وذريتهم: من كان من سلالتهم. والملائكة: جمع مَلَك. ويدخلون عليهم: يزورونهم. والسلام: دوام السلامة والاطمئنان. ونعم أي: بلغ الغاية في النعيم والخير والسعادة. وعقباكم: ثوابكم. وقد مدح مرتين: في جنسه «عقبى الدار» وفي اختصاصه هنا.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. وينقض العهد: يبطل ما تعهد به أو يخالفه. وميثاقه: توثيقه بالإقرار والأيمان. ويقطع: يبطل ويفسد. وأمر به: فرضه. ويوصل: يتبع. ويفسدون: يشيعون الفساد والشر. وانظر الآية ٢٧ من سورة البقرة. والرزق: ما يخلقه الله من متاع وزينة. ويشاء: يريد رزقه. وفرح: تلذذ وسعد. والآخرة: الحياة يوم القيامة بما فيها من النعيم والخلود. والمتاع: ما ينتفع به أحيانًا.

(٣) كفروا: كذّبوا الله ورسوله. انظر «المفصل». وهلّا يعني أن «لولا» حرف تحضيض. وأُنزل: أوحي. والآية: المعجزة تلجئ إلى الإيمان. ومن ربه: من عنده وبأمره. والعصا واليد والناقة: معجزات موسى وصالح. ويضله: يُمِدّه بحسب اختياره السيئ. ورجع إليه: إلى طاعته. وهذا يعني أن الهداية تكون لمن قصد التوبة وعزم على الصلاح. والقلوب: جمع قلب. وبذكر الله: لذكر وعده بالخير والرحمة والعون والمغفرة والثواب. وعمل: اكتسب باختيار وعزم. والصالحات: الأعمال التي فيها خير. والمبتدأ هو «الذين». ويقطعها أي: يتجاوزها. والحسن: الجمال والخير. وحسن مآب يعني: الرجوع الحَسَن إلى الله يوم القيامة.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

١- ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما أرسلنا الأنبياء قبلك، ﴿**أرسَلْناكَ في أُمّةٍ، قد خلَتْ مِن قبلِها أُممٌ، لِتتلوَ**﴾: تقرأ ﴿**عليهِم الّذي أوحَينا إلَيكَ**﴾ أي: القُرآنَ، ﴿**وهُم يَكفُرونَ بالرّحمٰنِ**﴾، حيثُ قالوا، لمّا أُمروا بالسجود له: «وما الرَّحمٰنُ»؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿**هُوَ رَبّي لا إلَهَ إلّا هُوَ، علَيهِ تَوَكّلْتُ، وإلَيهِ مَتابِ**﴾ ٣٠.

٢- ونزل، لمّا قالوا له: «إن كنتَ نبيًّا فسيِّرْ عنّا جبالَ مكّة، واجعلْ لنا فيها أنهارًا وعُيونًا لنغرس ونزرع، وابعثْ لنا آباءنا الموتى يُكلّمونا أنك نبيّ»: ﴿**ولو أنّ قُرآنًا سُيّرَتْ بِهِ الجِبالُ**﴾: نُقلت عن أماكنها، ﴿**أو قُطّعَتْ**﴾: شُققتْ ﴿**بِهِ الأرضُ، أو كُلّمَ بِهِ المَوتى**﴾ بأن يُحيَوا، لَما آمنوا. ﴿**بَل لِلّهِ الأمرُ جَميعًا**﴾ لا لغيره، فلا يُؤمن إلّا من شاء إيمانَه دون غيره، وإن أُوتوا ما اقترحوا. ونزل، لمّا أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا، طمعًا في إيمانهم: ﴿**أفلَم يَيأسِ**﴾: يَعلم ﴿**الّذينَ آمَنوا أنْ**﴾: مُخففّةٌ أي: أنّه ﴿**لَو يَشاءُ اللهُ لَهَدى النّاسَ جَميعًا**﴾ إلى الإيمان، من غير آية؟

٣- ﴿**ولا يَزالُ الّذينَ كَفَروا**﴾ من أهل مكّة ﴿**تُصيبُهُم، بِما صَنَعوا**﴾: بصنعهم أي: كُفرهم، ﴿**قارِعةٌ**﴾: داهية تقرعهم بصُنوف البلاء، من القتل والأسر والحرب والجدب، ﴿**أو تَحُلُّ**﴾ - يا مُحمّد - بجيشك ﴿**قَريبًا مِن دارِهِم**﴾: مكّة، ﴿**حَتّى يأتيَ وَعدُ اللهِ**﴾ بالنصر عليهم - ﴿**إنّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ**﴾ ٣١. وقد حلَّ بالحُديبية حتّى أتى فتحُ مكّة - ﴿**ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ**﴾ كما استُهزئ بك - وهذا تسلية للنبيّ - ﴿**فأملَيتُ**﴾: أمهلت ﴿**لِلّذينَ كَفَروا، ثُمّ أخَذتُهُم**﴾ بالعُقوبة. ﴿**فكَيفَ كانَ عِقابِ**﴾ ٣٢؟ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

٤- ﴿**أفمَن هُوَ قائمٌ**﴾: رقيب ﴿**علَى كُلِّ نَفسٍ، بِما كَسَبَتْ**﴾: عملتْ من خير وشر - وهو الله - كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا. دلّ على هذا: ﴿**وجَعَلوا لِلّهِ شُرَكاءَ. قُلْ: سَمّوهُم**﴾ له مَن هم؟ ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**تُنَبِّئونَهُ**﴾: تُخبرون الله ﴿**بِما**﴾ أي: بشريك ﴿**لا يَعلَمُـ**﴾ـه ﴿**في الأرضِ**﴾؟ استفهام إنكار. أي: لا شريك له، إذ لو كان لعَلِمَه. تعالى عن ذلك. ﴿**أم**﴾: بل تُسمّونهم شُركاء ﴿**بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ**﴾: بظنّ باطل لا حقيقة له في الباطن.

٥- ﴿**بَل زُيّنَ لِلّذينَ كَفَروا مَكرُهُم**﴾: كُفرهم، ﴿**وصَدّوا عَنِ السّبيلِ**﴾: طريق الهُدى. ﴿**ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ ٣٣. لَهُم عَذابٌ في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ بالقتل والأسر، ﴿**ولَعَذابُ الآخرةِ أشَقُّ**﴾: أشدّ منه، ﴿**وما لَهُم مِنَ اللهِ**﴾ أي: عذابه ﴿**مِن واقٍ**﴾ ٣٤: مانع. ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الجَنّةِ الّتي وُعِدَ المُتّقونَ**﴾: مبتدأ خبرُه محذوف، أي: فيما يُقصُّ عليكم، ﴿**تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ، أُكُلُها**﴾: ما يُؤكل فيها ﴿**دائمٌ**﴾: لا يفنى، ﴿**وظِلُّها**﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها. ﴿**تِلكَ**﴾ أي: الجنّة ﴿**عُقبى**﴾: عاقبةُ ﴿**الّذينَ اتّقَوا**﴾ الشِّركَ، ﴿**وعُقبى الكافِرينَ النّارُ**﴾ ٣٥.

---

(١) أرسل: كلف بالدعوة. والأمة: الجماعة من الناس. وخلت: مضت. وأوحينا: نزّلنا على لسان جبريل ويسّرنا الحفظ والتبليغ. ويكفرون به: ينكرونه. والرحمن: من أسماء الله الحسنى، أي: البليغ العطف بالإحسان إلى خلقه، وإن كانوا كافرين أو عصاة. ولما أمروا: انظر «المفصل». والإله: المعبود بحق. وعليه توكلت: عليه وحده أعتمد. ومتاب: متابي. يعني: توبتي في الدعاء، ورجوعي في النية والعمل. (٢) سيِّر: ادفع وأبعد. ويكلمونا: يكلموننا. حذفت النون الأولى للتخفيف. وقرآنًا: كتابًا منزلًا يُقرأ. والجبال: جمع جبل. وكلم: خوطب فأجاب. والموتى: جمع ميت. والأمر: القدرة على جميع الأشياء. وشاء: أراد الله. وإظهار ما اقترحوا: تحقيق ما طلبه الكافرون. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويشاء أي: أراد إيمان الناس كلهم. وهداهم: أمدّهم وصرف قدراتهم إلى الهداية والصلاح. ومن غير آية: من دون معجزة خارقة. (٣) لايزال: سيبقى ويستمر. وتصيبهم: تنزل بهم. وتحل: تقيم وتستقر. وقريبًا: مكانًا دانيًا. ويأتي: يتحقق. والوعد: البشارة بالخير. ولا يخلف: يفي دائمًا. والميعاد: وعده. واستهزئ به: سخر منه قومه. والرسل: جمع رسول. وأمهلت أي: أطلت المدة بتأخير العقاب استدراجًا. وأخذتهم: أهلكتهم. وعقاب أي: جزائي لهم على كفرهم. (٤) النفس: المخلوق الحي من الناس والملائكة والجن. ودل على هذا أي: دلّ على الخبر المحذوف. انظر الآية ١٩. وجعل: صيّر. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في العبادة والطاعة. وسموهم: صفوهم وبينوا حقيقتهم، لتروا: هل يستحقون العبادة؟ ولا يعلمه أي: ليس في علمه. وما ليس في علمه فهو محال. والظاهر من القول: السطحي، تلفظه الأفواه من غير روية ولا تدبر. والقول: مجرد الكلام. (٥) زُين: جُعل محببًا. والمكر: الكيد. وصَدوا: أعرضوا ومنعوا غيرهم. ويضله: يُمدّه ويصرف قدراته إلى ما يناسب سوءَ اختياره واستعداده. وهادٍ: مرشد يوصل إلى الحق. والآخرة: الحياة المتأخرة بالبعث بعد الموت ليوم القيامة. وأشق أي: لشدته ودوامه. والمَثل: الصفة العجيبة تُذكر للتعظيم والتعجيب. والجنة: الحديقة العظيمة. ووعد أي: وُعِدَها. يعني: بُشِّرَ بها في الدنيا. والمتقون: الذين يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. وتجري: تسيل بسرعة وتتدفق. ومن تحتها: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والنهر: المجرى العظيم للماء والعسل واللبن والخمر. والظل: ما يرتسم للشخص إذا تعرض للنور. واتقوه أي: تجنبوه وأنكروه. والنار: نار جهنم.

۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ
أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾
يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا
مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٢٦

١- ﴿**والَّذينَ آتيناهُمُ الكِتابَ**﴾، كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود، ﴿**يَفرَحُونَ بما أُنزلَ إليكَ**﴾ لمُوافقته ما عِندهم، ﴿**ومِنَ الأحزابِ**﴾ الذين تحزَّبوا عليك بالمُعاداة من المشركين واليهود ﴿**مَن يُنكِرُ بَعضَهُ**﴾، كذِكر الرحمن وما عدا القَصص. ﴿**قُلْ: إنّما أُمِرتُ**﴾ فيما أُنزل إليّ ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**أعبُدَ اللهَ ولا أُشرِكَ بِهِ. إلَيهِ أدعُو وإلَيهِ مآبِ**﴾ ٣٦: مرجِعي. ﴿**وكَذلِكَ**﴾ الإنزالِ ﴿**أنزَلْناهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**حُكمًا عَرَبيًّا**﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس. ﴿**ولَئِنِ اتَّبَعتَ أهْواءَهُم**﴾ أي: الكُفّار، فيما يدعونك إليه من مِلّتهم فَرْضًا، ﴿**بَعدَ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾ بالتوحيد، ﴿**مالَكَ مِنَ اللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**ولِيٍّ**﴾: ناصرٍ، ﴿**ولا واقٍ**﴾ ٣٧: مانعٍ من عذابه.

٢- ونزل، لمّا عيّروه بكثرة النساء: ﴿**ولَقَد أرسَلْنا رُسُلًا مِن قَبلِكَ، وجَعَلْنا لَهُم أزواجًا وذُرِّيّةً**﴾: أولادًا - وأنت مِثلهم - ﴿**وما كانَ لِرَسُولٍ**﴾ منهم ﴿**أن يأتيَ بآيَةٍ إلّا بإذنِ اللهِ**﴾، لأنهم عبيد مربوبون. ﴿**لِكُلِّ أجَلٍ**﴾: مُدّةٍ ﴿**كِتابٌ**﴾ ٣٨ مكتوب فيه تحديده. ﴿**يَمحُو اللهُ**﴾ منه ﴿**ما يَشاءُ ويُثبِتُ**﴾ - بالتخفيف والتشديد - فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها، ﴿**وعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ**﴾ ٣٩: أصلُه الذي لا يَتغيّر منه شيء. وهو ما كتبه في الأزل.

٣- ﴿**وإمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿**نُرِيَنَّكَ بَعضَ الّذي نَعِدُهُم**﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك، ﴿**أو نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ قبل تعذيبهم، ﴿**فإنّما علَيكَ البَلاغُ**﴾: ما عليك إلّا التبليغ، ﴿**وعلَينا الحِسابُ**﴾ ٤٠ إذا صاروا إلينا فنُجازيهم. ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**أنّا نأتي الأرضَ**﴾: نقصِد أرضهم، ﴿**نَنقُصُها مِن أطرافِها**﴾ بالفتح على النبيّ؟ ﴿**واللهُ يَحكُمُ**﴾ في خلقه بما يشاء، ﴿**لا مُعَقِّبَ**﴾: لا رادَّ ﴿**لِحُكمِهِ، وهُوَ سَريعُ الحِسابِ**﴾ ٤١.

٤- ﴿**وقَد مَكَرَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم**﴾، من الأُمم بأنبيائهم، كما مكروا بك. ﴿**فلِلّهِ المَكرُ جَميعًا**﴾، وليس مكرهم كمكره، لأنه تعالى ﴿**يَعلَمُ ما تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ**﴾، فيُعِدّ لها جزاءه. وهذا هو المكر كُلّه، لأنه يأتيهم به من حيثُ لا يشعرون. ﴿**وسَيَعلَمُ الكافِرُ**﴾ - المُراد به الجِنس. وفي قراءة: «الكُفّار» - ﴿**لِمَن عُقبَى الدّارِ**﴾ ٤٢ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخِرة؟ ألهم أم للنبيّ وأصحابه؟

---

(١) آتيناهم: أعطيناهم. والكتاب: التوراة والإنجيل، اسم جنس يدل على الواحد والأكثر. فهو هنا بمعنى المثنى. وعبد الله بن سلام: من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه. ومؤمني اليهود أي: والنصارى من نجران والحبشة. وأنزل: أوحي على لسان جبريل، مضمونًا له الحفظ والتبليغ. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة من الناس تشاكلت أهواؤهم. وينكر: يكذّب. وأمرت: فُرض علي. وأعبده: أقدسه وأطيعه. ولا أشرك به أي: أوحّده في العبادة. وأدعو: أحض الناس. وإليه مآب أي: إلى لقاء موعده بالبعث بعد الموت. وأنزلنا: أوحينا. وحكمًا: حاكمًا. واتبعت: وافقت. والتقدير: أقسمُ - لئن اتبعت أهواءهم فما لك من واق - مالك ذلك. وفي هذا إيجاز وتوكيد. والأهواء: جمع هوى، أي: ما تميل إليه النفس من الشهوة. وفرضًا: على سبيل الافتراض، لأن اتباعه لهم مُحال. وجاءك: أتاك وكُلّفت به. والعلم: المعرفة اليقينية. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. (٢) انظر سبب النزول في المفصل. والنساء: الزوجات. وأرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول. وجعلنا: خلقنا ويسرنا. والأزواج: جمع زوج، أي: امرأة الرجل. وكان ليعقوب زوجتان وجاريتان، ولسليمان مئات الزوجات والسراري، ولداود مائة. وما كان: لا يصح. ويأتي بآية: يجيء بمعجزة. والإذن: الأمر والإرادة. والكتاب: السجلّ، وهو صحف الملائكة بما عندهم من العلم عن المخلوقات. وتحديده أي: تحديد الوقت المعين. والمحو والإثبات عامّان لكل شيء في الخلق، أي: في القدر غير المحتوم، وما كان غير ذي أهمية في الحساب والجزاء. انظر تفسير القرطبي ٩:٣٢٩-٣٣٠ وفتح القدير ٣:١٢٤-١٢٥. ويمحوه: يزيله. ويثبت أي: يُبقيه لوقته المحدد. وقد سُجل تقدير ذلك في القضاء المُبرَم، أي: في أمّ الكتاب. وبالتشديد يريد القراءة «ويُثَبِّتُ». وعنده: في علمه. وأمّ الكتاب: السّجل الذي فيه القضاء المُبرَم ، مع تعيين ما هو غير محتوم محددًا ما يكون منه. فالحق أنه لاتبديل لقضاء الله. أما المحو والإثبات فممّا سبق به القضاء المحتوم أيضًا وثبت في أمّ الكتاب. انظر «المفصل». والكتاب هنا هو صحف الملائكة، أي: كتبهم. وما كتبه في الأزل أي: عِلمه القديم أمر بتسجيله، قبل وجود العالم. (٣) نريك: نبصّرك عِيانًا. ونعدهم: نتوعدهم به. و«فذاك» أي: فذاك هو المراد. انظر تعليقنا تفسير الآية ٤٦ من سورة يونس. ونتوفاك: نستوفي روحك الشريفة. والبلاغ: تبليغ العقيدة والشريعة. وعلينا أي: بمقتضى الوعد والحق. والحساب: حسابهم. ويروا: يعلموا. ونأتيها: بالإرادة والأمر. وننقصها: نزيل بعضها من حكمهم. والأطراف: جمع طرف. ويحكم: يقضي. والسريع: العاجل جدًا. والحساب: المحاسبة. (٤) مكرَ: دبر المكروه خفية. ومكره تعالى: تدبيره القضاء كيدًا وخدعًا بعقوبته للكافرين من حيث لايشعرون. ومكر الخلق لايخفى على الله علمه، وهو يقضيه أو يمنعه دون منازع، فلا يكون لهم مطلق التصرف. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وتكسب: تعمل بالقلب واللسان وسائر الجوارح. والنفس: المخلوق الحي من المكلفين. وسيعلم: سيدرك ويعاين. والجنس: جنس الكافرين، يعني: كل كافر. والكفار: جمع كافر. والعقبى: ما تنتهي إليه أمور المخلوق. والدار: مكان الإقامة.

الجزء الثالث عشر سورة إبراهيم

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

١- ﴿**ويقولُ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ لك: ﴿**لَسْتَ مُرسَلًا. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيني وبَينَكُم**﴾ على صِدقي، ﴿**ومَن عِندَهُ عِلمُ الكِتابِ**﴾ ٤٣ من مُؤمني اليهود والنصارى!

سورة إبراهيم

٢- مكية إلّا «ألم تر إلى الذين بدّلوا» الآيتين، إحدى أو ثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**الٓر**﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. هذا القُرآن ﴿**كِتابٌ أنزَلْناهُ إليكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكُفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان، ﴿**بِإذنِ**﴾: بأمر ﴿**رَبِّهِم**﴾، ويُبدل من «إلى النور»: ﴿**إلَى صِراطِ**﴾: طريقِ ﴿**العَزيزِ**﴾: الغالب ﴿**الحَمِيدِ**﴾ ١: المحمود، ﴿**اللهِ**﴾ بالجرّ: بدل أو عطف بيان وما بعده صِفة، والرفع: مبتدأ خبرُه: ﴿**الَّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**ووَيلٌ لِلكافِرِينَ مِن عَذابٍ شَدِيدٍ**﴾ ٢، ﴿**الَّذينَ**﴾: نعت ﴿**يَستَحِبُّونَ**﴾: يختارون ﴿**الحَياةَ الدُّنيا علَى الآخِرةِ، ويَصُدُّونَ**﴾ الناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِين الإسلام، ﴿**ويَبغُونَها**﴾ أي: السبيلَ ﴿**عِوَجًا**﴾: مُعْوَجّة. ﴿**أُولئِكَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ**﴾ ٣ عن الحقّ.

٤- ﴿**وما أرسَلْنا مِن رَسُولٍ إلّا بِلِسانِ**﴾: بلغةِ ﴿**قَومِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُم**﴾ ليُفهّمهم ما أتى به، ﴿**فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ - وهُوَ العَزيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٤ في صُنعه - ﴿**ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا**﴾ التسع، وقلنا له: ﴿**أنْ أخرِجْ قَومَكَ**﴾ بني إسرائيلَ، ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكُفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان، ﴿**وذَكِّرْهُم بِأيّامِ اللهِ**﴾: بنِعَمِه. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ التذكير ﴿**لآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ**﴾ على الطاعة، ﴿**شَكُورٍ**﴾ ٥ للنِّعَم.

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وكفروا أي: كذّبوك وكذّبوا الله. ومرسلًا: مبعوثًا من عند الله لدعوة الناس إلى دين أو شريعة. وقل لهم: خاطبهم بالقول جهارًا. وكفى: يغني نهاية الإغناء عن دليل آخر. والشهيد: الشاهد يؤيد الحقيقة بالأدلة والبراهين. ومَن أي: الذي. وعنده أي: في معرفته. والعلم: ما في التوراة والإنجيل من حقائق.

(٢) سبب الخلاف في عدد الآيات هو اختلاف العلماء في تعيين أواخر بعضها. والآيتين: يعني الآيات ٢٨-٣٠. فهي ثلاث، وعند بعض العلماء اثنتان. وفي المنحة: ٢٨ و٢٩.

(٣) أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. وتخرجهم: تنقلهم. والظُّلْمة: السواد الشديد تغيب فيه معالم الخير والشر. ولتخرجهم... إلى الإيمان أي: لتدعوهم للخروج من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ولأن للكفر سبلًا كثيرة، وللإيمان سبيلًا واحدة، عُبِّرَ عن الأول بالجمع، وعن الثاني بالمفرد. وبدل: يعني أن لفظ الجلالة بدل من «العزيز». وعطف بيان أي: لتوضيح المراد مع التوكيد. وبأمره أي: وتيسيره وتوفيقه. وبالرفع يريد القراءة «اللهُ». والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وانظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والويل: الهلاك والدمار. والكافر: من كذّب الله ورسوله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي الذي لامثيل له. ونعت: يعني أن «الذين»: صفة لـ «الكافرين». والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة وما فيها من المتع واللذات. والآخرة: الحياة المتأخرة إلى يوم القيامة، وما فيها من النعيم الدائم والخلود. ويصد: يمنع ويرد. والسبيل: الطريق الواضحة. ويبغي: يطلب، أي: يريدونها معوجة منحرفة عن الحق، لتوافق شهواتهم ومنافعهم، وليقدحوا في العقيدة والشريعة ويسخروا منهما. وأولئك أي: الموصوفون بالكفر وما بعده. والضلال: الخطأ والضياع والانحراف. والبعيد: المتناهي في الانحراف.

(٤) روي أن المشركين من قريش قالوا: مابال الكتب كلّها بالأعجمية، وهذا عربي؟ فنزلت الآيتان ٤ و٥. البحر٥:٤٠٥ وتفسير الآلوسي ١٣:٢٦٨. وأرسلنا: بعثنا بوحي لتبليغ التوحيد وما يلزمه. وقوم الإنسان: الجماعة التي يعيش بينها. والمراد: ما أرسلنا قبلك رسولًا إلّا متكلمًا بلغة الذين هو منهم، وأنت أرسلناك للناس كافة بلغة قومك، وهم يترجمون لغيرهم ويعلمونهم. خ: «لتفهيمهم». ويضله: يُمدّه بالأسباب والتيسير، ويصرف قدراته إلى مايناسب اختياره الفاسد والخروج على الحق. ويشاء: يريد ضلاله أو هدايته. ويهديه: يرشده إلى الإيمان ويُمدّه بما يناسب اختياره للحق ويوفقه فيه. وهو أي: الله عز وجل. والعزيز: الغالب يقهر كل الخلق وتذل له المخلوقات. والحكيم: البالغ الإتقان بوضع كل شيء في موضعه الأمثل. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل، نزلت عليه التوراة. والآيات: المعجزات القاهرة تحمل على الإيمان. والتسع: انظر تفسير الآية ١٠١ من سورة الإسراء. وأخرجهم: انقلهم بالدعوة إلى التوحيد. والظلمات والنور: انظر الآية ١. وذكّرهم: أعِدْ عليهم ذكر ما مضى وعِظْهم به، ليستجيبوا للإيمان والطاعة. والأيام: جمع يوم، أي: ماكان من نعم ونقم، هيأها الله للأمم الكافرة ولبني إسرائيل أيضًا. فذكر النعم ههنا لايكفي. خ: «في ذلك التذكر». والآيات: الدلالات والبراهين القاطعة. والصبار: الشديد التجلد والتحمل لما يكلّف به أو يصيبه. والشكور: الكثير الشكر. وهو استحضارُ الفضل والإحسان في النفس، والثناءُ على صاحبهما بالقلب والعمل واللسان.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُم، إذ أنجاكُم مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذابِ، ويُذَبِّحُونَ أبناءَكُم﴾ المولودين، ﴿ويَستَحيُونَ﴾: يَستبْقون ﴿نِساءَكُم﴾، لقول بعض الكهنة: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيلَ، يكون سببَ ذهابِ مُلكِ فِرعونَ - ﴿وفي ذٰلِكُم﴾ الإنجاءِ أو العذابِ ﴿بَلاءٌ﴾: إنعام أو ابتلاء، ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ﴾ ٦ - ﴿وإذ تأذَّنَ﴾: أعلمَ ﴿رَبُّكُم: لَئِنْ شَكَرتُم﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأزِيدَنَّكُم، ولَئِنْ كَفَرتُم﴾: جحدتم النِّعمة بالكُفر والمعصية لأُعذِّبنّكم، دلّ عليه: ﴿إنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧.

٢- ﴿وقالَ مُوسَى﴾ لقومه: ﴿إن تكفُرُوا، أنتُم ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، فإنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾ ٨: محمود في صُنعه بهم. ﴿ألَم يأتِكُم﴾ - استفهام تقرير - ﴿نَبأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِكُم، قَومِ نُوحٍ وعادٍ﴾: قوم هودٍ ﴿وثَمُودَ﴾: قوم صالح، ﴿والَّذِينَ مِن بَعدِهِم، لا يَعلَمُهُم إلّا اللهُ﴾ لكثرتهم؟ ﴿جاءَتْهُم رُسْلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج الواضحة على صِدقهم، ﴿فرَدُّوا﴾ أي: الأُممُ ﴿أيدِيَهُم في أفواهِهِم﴾ أي: إليها، ليعضّوا عليها من شِدّة الغيظ، ﴿وقالُوا: إنّا كَفَرْنا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾، على زعمكم، ﴿وإنّا لَفِي شَكٍّ مِمّا تَدعُونَنا إلَيهِ مُرِيبٍ﴾ ٩: مُوقعٍ للريبة.

نصف الحزب ٢٦

٣- ﴿قالَتْ رُسْلُهُم: أفِي اللهِ شَكٌّ﴾، استفهام إنكار، أي: لا شكَّ في توحيده للدلائل الظاهرة عليه، ﴿فاطِرِ﴾: خالقِ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، يَدعُوكُم﴾ إلى طاعته، ﴿لِيَغفِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ - من: زائدةٌ، فإنّ الإسلام يُغفر به ما قبلَه، أو تبعيضيةٌ لإخراج حُقوق العباد - ﴿ويُؤَخِّرَكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجل الموت؟ ﴿قالُوا: إن﴾: ما ﴿أنتُم إلّا بَشَرٌ مِثلُنا، تُرِيدُونَ أن تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام. ﴿فائتُونا بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾ ١٠: حُجّة ظاهرة على صِدقكم.

---

(١) اذكر أي: لقومك تهديدًا بما كان من استئصال الكافرين، وتبشيرًا لنفسك والمؤمنين. وقوم الإنسان: الجماعة التي هو منها. واذكروا: استحضروا في أذهانكم. والنعمة: الإنعام بأنواع الخير والمنافع. وأنجاكم: أنقذكم. وآل فرعون: أتباعه وأصحاب دينه. وفرعون: ملك مصر في زمن موسى. ويسومونكم: يذيقونكم. وسوء العذاب: التعذيب السيئ. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد الذكر. ويستبقونهن أي: على الحياة للإذلال والاستخدام. والنساء: واحدته امرأة. والبلاء: الامتحان ليَظهر الشكور من الكفور. والظاهر أن «أو» هنا بمعنى الواو، لأن المعنيين معًا مقصودان، تذكيرًا بالنعم والعذاب. ومن ربكم: من عنده وبقدره. وعظيم: ضخم جدًا لامثيل له. وفي «تأذن» مع الإعلام معنى القسم، أي: أوجب على نفسه بالفضل وأقسم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. وشكرَ النعمة: استحضرها في نفسه وأظهر آثارها للناس، وأثنى على المنعم بالقلب واللسان والعمل. وأزيدكم: أضاعف لكم النعم. والتقدير: أقسمُ - لئن شكرتكم أزدْكم - لأزيدنكم. فالزيادة حاصلة أولًا بالقسم وجوابه لمن لم يشكر، ومضاعفة ثانيًا بتكرار الجواب لمن شكر. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي لامثيل له. ودل عليه: يعني أن هذه الجملة الأخيرة دلت على الجملة المعطوفة على «لأزيدنكم». ولم يُصرَّح هنا بأن العذاب من الله «لأعذبنّكم»، كما صرّح بذلك في «لأزيدنكم»، لأن الخير ينسب إليه - تعالى - وإذا ذكر العذاب بعده عُدِل عن نسبته إليه، إشارة إلى الرحمة والفضل.

(٢) الغني: المستغني عن كل شيء. والحميد: المستوجب للثناء على كل حال. ويأتيكم: يبلغكم فتعلمونه. وتقرير أي: تحقيق لأن الهمزة تفيد النفي، ولم: للنفي أيضًا، ونفي النفي تحقيق، أي: قد بلغكم ذلك حقًا. وقد مضت أخبار هذه الأقوام في سورتَي الأعراف وهود. ونوح وهود وصالح: رسل ثلاثة. ولايعلمهم أي: لايعرف حقيقة أخبارهم وتفصيلاتها. وجاءتهم رسلهم: أتاهم الذين أُرسلوا إليهم وبلّغوهم دعوة التوحيد. والرسل: جمع رسول. وردوا: دفعوا. والأيدي: جمع يد. والمراد هنا رؤوس الأصابع. والأفواه: جمع فم. وكفرنا: كذّبنا. وما أرسلتم به: البينات وما ادعيتم أنكم بعثتم مكلفين بتبليغه. وعلى زعمكم أي: بناء على ما زعمتم من أنكم مرسلون. والشك: التردد بين القبول والإنكار. وما تدعوننا إليه أي: التوحيد الذي تحثّوننا على تقبله واعتقاده. وموقع للريبة أي: يُحدث القلق وعدم الطمأنينة.

(٣) إنكار أي: أن الهمزة حرف استفهام للإنكار الإبطالي. وهو النفي والاستبعاد. والخالق: الموجد للأشياء من العدم. ويدعوكم: يحثكم. ويغفر الذنوب: يسترها ولا يؤاخذ عليها. والذنوب: جمع ذنب. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. وتبعيضية يعني: للتبعيض. والتقدير: ليغفر لكم شيئًا كائنًا من ذنوبكم. وبذلك تبقى الذنوب المتعلقة بحقوق العباد، للمحاسبة عليها يوم القيامة. والتبعيضية هنا أصح من الزيادة. ويؤخركم بلا عذاب: لايعذبكم، وإن أصررتم على الكفر عاجلكم بالهلاك. والأجل: المدة المحددة لحياة المخلوق. والمسمى: المعلوم المعيّن عند الله. ومِثلُنا أي: من جنسنا لافضل لكم علينا. فلِمَ تكونون أنبياء؟ ولو أراد الله بعث رسل لكانوا من جنسٍ أفضل منا. وتريدون: تقصدون. وتصدونا: تردونا. ويعبد: يقدس ويطيع. والآباء: جمع أب. وهو يطلق على الوالد والجد. وائتونا: أحضروا لنا وأوجدوا.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١ - ﴿**قالَتْ لَهُم رُسُلُهُم: إن**﴾: ما ﴿**نحنُ إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُم**﴾، كما قلتم، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ**﴾ بالنُّبوّة، ﴿**وما كانَ**﴾: ما ينبغي ﴿**لنا أن نأتِيَكُم بسُلطانٍ إلّا بإذنِ اللهِ**﴾: بأمره، لأنّا عبيد مربوبون. ﴿**وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنونَ**﴾ ١١: يثقوا به. ﴿**وما لنا ألّا نَتَوَكَّلَ على اللهِ**﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك، ﴿**وقد هَدانا سُبُلَنا؟ ولَنَصبِرَنَّ على ما آذَيْتُمونا**﴾: على أذاكم. ﴿**وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلونَ**﴾ ١٢.

٢ - ﴿**وقالَ الَّذينَ كَفَروا لِرُسُلِهِم: لَنُخرِجَنَّكُم مِن أرضِنا، أو لَتَعُودُنَّ**﴾: لتصيرُنّ ﴿**في مِلَّتِنا**﴾: دِيننا. ﴿**فأوحَى إليهِم رَبُّهُم: لَنُهلِكَنَّ الظّالِمينَ**﴾ ١٣: الكافرين، ﴿**ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ**﴾: أرضهم، ﴿**مِن بَعدِهِم**﴾: بعدِ هلاكهم. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿**لِمَن خافَ مَقامي**﴾ أي: مَقامَه بين يديَّ، ﴿**وخافَ وَعيدِ**﴾ ١٤ بالعذاب.

٣ - ﴿**واستَفتَحوا**﴾: استنصر الرسل بالله على قومهم، ﴿**وخابَ**﴾: خسر ﴿**كُلُّ جَبّارٍ**﴾: مُتكبّر عن طاعة الله، ﴿**عَنيدٍ**﴾ ١٥: مُعاند للحقّ، ﴿**مِن وَرائِهِ**﴾ أي: أمامهِ ﴿**جَهَنَّمُ**﴾ يدخلها، ﴿**ويُسقَى**﴾ فيها ﴿**مِن ماءٍ صَديدٍ**﴾ ١٦ - هو ما يَسيل من جَوف أهل النار، مُختلطًا بالقَيح والدم - ﴿**يَتَجَرَّعُهُ**﴾: يبتلعه مرّة بعد مرّة لمرارته، ﴿**ولا يَكادُ يُسيغُهُ**﴾: يزدرده لقُبحه وكراهته، ﴿**ويأتِيهِ المَوتُ**﴾ أي: أسبابه المُقتضية له، من أنواع العذاب ﴿**مِن كُلِّ مَكانٍ، وما هُوَ بمَيِّتٍ، ومِن وَرائِهِ**﴾: بعدِ ذلك العذابِ ﴿**عَذابٌ غَليظٌ**﴾ ١٧: قويّ مُتّصل.

٤ - ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الَّذينَ كَفَروا برَبِّهِم**﴾: مبتدأ، ويُبدَل منه: ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحة، كصِلةٍ وصدقة في عدم الانتفاع بها، ﴿**كَرَمادٍ اشتَدَّتْ بهِ الرِّيحُ في يَومٍ عاصِفٍ**﴾: شديدِ هُبوبِ الريح، فجعلتْه هباءً منثورًا لا يُقدر عليه. والمجرور خبر المبتدأ. ﴿**لا يَقدِرونَ**﴾ أي: الكُفّار، ﴿**مِمّا كَسَبوا**﴾: عملوا في الدنيا، ﴿**على شَيءٍ**﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا، لعدم شرطه. ﴿**ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ**﴾: الهلاك ﴿**البَعيدُ**﴾ ١٨.

---

(١) الرسل: جمع رسول. ويمن: ينعم ويتفضل. ويشاء: يريد نبوته. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك الخاضع للطاعة والعبادة. فقد سلّم الرسل لأقوامهم أنهم يماثلونهم بالبشرية وحدها. ثم ذكروا ما خُصوا به من الصفات، مبيّنين أنه من فضل الله، ويكون لمن يريده بفضله. ونأتي به: نحضره. والسلطان: الحجة والمعجزة. وعلى الله يتوكل: عليه وحده يعتمد وإليه دون غيره يفوض أمره. والمؤمنون: الرسل وأتباعهم، أي: نحن ومن آمن. ولا مانع لنا: يعني أن الاستفهام معناه النفي، والمراد: أيُّ شيءٍ حاصلٌ لنا في عدم التوكل؟ أي: لاشيء في ذلك إطلاقًا، وفي التوكل جميع الخير. وهدانا: أمدّنا بالعون على ما يناسب اختيارنا للحق، وصرف قدراتنا إلى ما يوافق استعدادنا الطيب للرشاد والصلاح. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق المستقيم في الدين. والباء حركتها الضم في الجمع، سكنت للتخفيف. ونصبر: نحتمل ونتجلد. وآذيتمونا: أنزلتم بنا من الشر والضرر. والتوكل الأخير تثبيت لما جاء في آخر الآية ١١، أي: فليدوموا وليستمروا في التوكل على الله وحده.

(٢) كفروا: كذبوا وأنكروا. ونخرجكم: نطردكم ونبعدكم. والأرض: مكان الإقامة والاستيطان. و«تصيرن» يعني أن «تعود» هنا لايعني: ترجع، لأنه فعل ناقص بمعنى التحول والصيرورة. وأوحى إليهم: بلّغهم على لسان جبريل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ونُهلك: ندمر ونستأصل بالعذاب في الدنيا. والظالم: من تجاوز الحد بوضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أشنع الظلم. ونسكنكم الأرض: نجعلكم مستقرين فيها وارثين لها بدلًا من الكافرين. وخافه: خشيه وتجنب بالطاعة ما يكون فيه من البلاء. والمقام: مكان القيام للحساب. ووعيد أي: وعيدي. حذفت الياء الثانية للتخفيف. والوعيد: التهديد بالانتقام من العصاة.

(٣) إنما استنصر الرسل بالله لأنهم يئسوا من إيمان أقوامهم، وعجزوا عن دفع العدوان. وجهنم: اسم علم لنار الله الموقدة. ويسقى أي: يُضطرّ إلى الشرب لقسوة العطش. والماء: السائل الذي يشرب للارتواء. وفي ذكره هنا تهكم وتبكيت. ومرة بعد مرة أي: جرعة بعد جرعة، لايناولُه كما يحتاج رغم عطشه الشديد، لِما يثيره من التقزز والغَثيان. ويكاد: يقارب، أي: لايقارب إساغتَه وتقبُّلَه. فكيف يتقبّله؟ ولكنه مع هذا يتناوله متقززًا مضطرًا. ويأتيه: يقع فيه. والموت أي: موته. والمكان: الموضع والجهة. وكل مكان: جميع جهات جسمه وما حوله. والميّت: الصائر إلى الهلاك. والعذاب: التعذيب والإهانة. ومتصل أي: لاينقطع ولاينتهي أبدًا.

(٤) مَثلهم: حالهم التي تشبه الأمثال في الغرابة والعجب. وكفروا به: كذّبوا وحدانيته ورسله. ويبدل منه: يعني أن «أعمالُ»: بدل من المبتدأ: مَثَلُ. والأعمال: جمع عمل. وهي ما اكتسبوه من نية وقول وفعل. وصلة أي: صلة الأقرباء بالمعونة. والرماد: ما يتخلف من احتراق المواد. واشتدت به: حملته ونثرته في الفضاء. والريح: الهواء الثائر. فكفرهم مِثلُ الريح للرماد، يُبطل الأعمال ويُحبطها، فتتلاشى دون أثر. والمجرور أي: رماد. انظر «المفصل». ولا يقدرون عليه: لايستطيعونه، أي: لايصلون إليه ولا يظفرون به يوم القيامة، لأن شرط ثواب الأعمال هو الإيمان والتوحيد. والإشارة بـ «ذلك» هي إلى ما دل عليه التمثيل من كفرهم وظنهم الفلاحَ. والبعيد أي: الغاية في التطرف عن طريق الحق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ
فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

١- ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ يا مُخاطَبًا - استفهام تقرير - ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾: متعلق بـ «خلقَ»؟ ﴿إن يَشَأْ يُذهِبْكُم﴾ - أيُّها الناس - ﴿ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ﴾ ١٩ بدلَكم، ﴿وما ذٰلِكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ ٢٠: شديد.

٢- ﴿وبَرَزُوا﴾ أي: الخلائق - والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقّق وقوعه - ﴿لِلهِ جَمِيعًا، فقالَ الضُّعَفاءُ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ استكبَرُوا﴾: المتبوعين: ﴿إنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا﴾: جمعِ تابع. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا مِن عَذابِ اللهِ مِن شَيءٍ﴾؟ مِن الأُولى: للتبيين، والثانية: للتبعيض. ﴿قالُوا﴾ أي: المتبوعون: ﴿لَو هَدانا اللهُ لَهَدَيناكُم﴾: لدعوناكم إلى الهُدى. ﴿سَواءٌ علَينا أجَزِعْنا أم صَبَرْنا. مالَنا مِن﴾: زائدةٌ ﴿مَحِيصٍ﴾ ٢١: ملجأ.

٣- ﴿وقالَ الشَّيطانُ﴾ إبليس، ﴿لَمّا قُضِيَ الأمرُ﴾، وأُدخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأهلُ النار النارَ، واجتمعوا عليه: ﴿إنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعدَ الحَقِّ﴾، بالبعث والجزاء فصدقكم، ﴿ووَعَدتُكُم﴾ أنه غير كائن ﴿فأخلَفتُكُم، وما كانَ لِي علَيكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿سُلطانٍ﴾: قُوّة وقُدرة أقهركم على متابعتي، ﴿إلّا﴾: لكن ﴿أن دَعَوتُكُم فاستَجَبتُم لِي. فلا تَلُومُوني ولُومُوا أنفُسَكُم﴾ على إجابتي. ﴿ما أنا بِمُصرِخِكُم﴾: بمُغيثكم، ﴿وما أنتُم بِمُصرِخِيَّ﴾، بفتح الياء وكسرها. ﴿إنِّي كَفَرتُ بِما أشرَكتُمُوني﴾: بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا - قال تعالى: ﴿إنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾ ٢٢: مُؤلم - ﴿وأُدخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة ﴿فِيها بِإذنِ رَبِّهِم، تَحِيَّتُهُم فِيها﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلامٌ﴾ ٢٣.

٤- ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ: ﴿كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾، ويُبدل منه ﴿كَلِمةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إلَهَ إلّا اللهُ، ﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة، ﴿أصلُها ثابِتٌ﴾ في الأرض، ﴿وفَرعُها﴾: غُصنها ﴿في السَّماءِ ٢٤، تُؤتِي﴾: تُعطي ﴿أُكُلَها﴾: ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ، بِإذنِ رَبِّها﴾: بإرادته؟ كذلك كلمة الإيمان ثابتة في

---

(١) النظر هنا بمعنى التدبر والعلم. والمخاطب: كل سامع أو قارئ. وفيما عدا الأصل والنسختين: «يا مخاطب». وتقرير: يعني أن الهمزة حرف استفهام معناه التحقيق، أي: لقد رأيتَ وعلمتَ حقًا. فلماذا لم تعتبر؟ وخلقه: أوجده من العدم. ويشاء: يريد استبدالكم. ويذهبكم: يهلككم جميعًا. ويأتي به: يوجده. والخلق: المخلوقات. وجديد أي: آخَر مستحدث لم يكن من قبل. وبعزيز أي: وما إهلاككم مع إنشاء الخلق الجديد بمتعذر أو متعسر على الله، وإنما هو أمر يسير يكون بطرفة عين.

(٢) برزوا: خرجوا وظهروا من قبورهم يوم القيامة. والخلائق: جمع خليقة. وهي الناس. ولله أي: لحساب الله وجزائه. والضعفاء: جمع ضعيف، أي: ضعفاؤهم. واستكبروا: امتنعوا عن قبول الإيمان، لِما هم عليه من الرياسة. والتبع: المقلِّدون بطاعة عمياء. وسقط «أي» من المنحة وبعض المطبوعات. وهدانا: أرشدنا إلى الإيمان ووفقنا فيه. والسواء: التساوي بقدر واحد. وجزعنا: ضعفنا عن التحمل. وصبرنا: تحمّلنا. وملجأ: مهرب مما نحن فيه. والمعنى: لانجاة لنا مما نحن فيه.

(٣) الشيطان: من يغري بالشر من الجن. وقضي الأمر: انتهى الحساب. ووعدكم: بلّغكم مبشّرًا ومهدِّدًا. والحق: الثابت الواقع. ووعدتكم: منَّيتكم بالفناء النهائي بعد الموت. وغير كائن أي: أن ما ذكر من البعث والجزاء غيرُ حاصل. وأخلفت: كنت كاذبًا. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. ودعوتكم: حضضتكم على الكفر. واستجبتم: استسلمتم. وتلومون: توبخون. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان حقيقته بروحه وجسده. وبكسرها يريد القراءة «بِمُصرِخِيِّ». والتقدير: «مصرِخِيْيِ»، وحركت الياء الثانية بالكسر، وأدغمت فيها الياء الأولى. انظر «المفصل». وفي القراءة الأولى حركت الياء بالفتح. وكفرت به: تبرأت منه. وأشركتموني: أطعتموني فجعلمتوني مشاركًا الله في التقديس والطاعة. وفيما عدا الأصل وخ وع: «أشركتمونِ»، بحذف ياء المتكلم للتخفيف. وهو واجب تبعًا لرسم المصاحف. وإنما جاز إثباتها بيانًا للقراءة التي اختارها السيوطي. ومن قبلُ: من قبلِ هذا الوقت. ومؤلم: شديد الألم. وأدخلوا: ساقتهم الملائكة برفق حتى دخلوا. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا الصالحات: اكتسبوا باختيارهم وإرادتهم في الدنيا ما حسّنه الشرع. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها: من تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم للماء والعسل واللبن والخمر. والخالد: المقيم أبدًا. ومقدَّرة أي: أن الله قدّر لهم ذلك. والإذن: الأمر. والتحية: ما يقال أول المقابلة من دعاء بالخير. والسلام: السلامة من كل ضر وسوء مع الاطمئنان الدائم.

(٤) الرؤية والنظر هنا بالقلب والبصيرة. والخطاب لكل قارئ أو سامع. وضرب: أوضح. والمَثَل: الأمر العجيب يبيِّن مايشبهه أوضح ما يكون. ويبدل منه: يعني أن «كلمة»: بدل من «مثلًا». والكلمة: ما يقال. والطيبة: المباركة العميمة الخير. وهي السحر الحلال. والطيبة تكون مباركة خيّرة، إذا جعلت في منبِت كريم ورعاية صالحة. وأصلها: أسفلها بجذوره. والثابت: المستقر المتمكن. وفي السماء أي: متطاول متفرع في الأعالي. والأكل: مايؤكل. والحين: الزمن المحدَّد لنضج ثمار الشجرة المذكورة. وكل وقت: يعني أن ما تقدِّمه النخلة من ثمار يؤكل في كل وقت، وإن كان لجناها أجل معين. والأمثال: جمع مَثَل. ويتذكر: يستحضر في نفسه ما تفيده الأمثال العجيبة، ليستدل به على وجوب الإيمان والتوحيد.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

قلب المؤمن، وعملُه يصعد إلى السماء وينالُه بركته وثوابه كُلَّ وقت. ﴿**ويَضرِبُ**﴾: يُبيّن ﴿**اللهُ الأمثالَ لِلناسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ٢٥: يتّعظون فيؤمنون.

١- ﴿**ومَثَلُ كَلِمةٍ خَبيثةٍ**﴾ هي كلمة الكُفر ﴿**كَشَجَرةٍ خَبيثةٍ**﴾ هي الحنظل، ﴿**اجتُثَّتْ**﴾: استؤصلت ﴿**مِن فَوقِ الأرضِ، مالَها مِن قَرارٍ**﴾ ٢٦: مُستقَرّ وثبات. كذلك كلمة الكُفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة. ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا، بالقَولِ الثّابِتِ**﴾ هو كلمة التوحيد، ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ**﴾ أي: في القبر، لمّا يسألُهم الملَكانِ عن ربِّهم ودِينهم ونبيِّهم، فيُجيبون بالصواب - كما في حديث الشيخين - ﴿**ويُضِلُّ اللهُ الظّالِمينَ**﴾: الكُفّار فلا يهتدون إلى الجواب بالصواب - بل يقولون: «لا ندري». كما في الحديث - ﴿**ويَفعَلُ اللهُ ما يَشاءُ**﴾ ٢٧.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

٢- ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلى الَّذينَ بَدَّلُوا نِعمةَ اللهِ**﴾ أي: شُكرَها ﴿**كُفرًا**﴾، هم كُفّار قريش، ﴿**وأَحَلُّوا**﴾: أنزَلوا ﴿**قَومَهُم**﴾، بإضلالهم إياهم، ﴿**دارَ البَوارِ**﴾ ٢٨: الهلاكِ، ﴿**جَهَنَّمَ**﴾: عطفُ بيان ﴿**يَصلَونَها**﴾ يدخلونها، ﴿**وبِئسَ القَرارُ**﴾ ٢٩ المَقرُّ هي! ﴿**وجَعَلُوا للهِ أندادًا**﴾: شُركاء ﴿**لِيَضِلُّوا**﴾ - بفتح الياء وضمّها - ﴿**عَن سَبيلِهِ**﴾: دين الإسلام؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**تَمَتَّعُوا**﴾ بدنياكم قليلًا. ﴿**فإنَّ مَصيرَكُم**﴾: مرجعكم ﴿**إلى النّارِ**﴾ ٣٠.

٣- ﴿**قُلْ لِعِبادِيَ الَّذينَ آمَنُوا، يُقيمُوا الصَّلاةَ، ويُنفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانيةً، مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ، لا بَيعَ**﴾: فِداءَ ﴿**فيهِ ولا خِلالَ**﴾ ٣١: مُخالّة أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة. ﴿**اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم، وسَخَّرَ لَكُم الفُلكَ**﴾: السُّفن، ﴿**لِتَجرِيَ في البَحرِ**﴾ بالركوب والحمل ﴿**بأمرِهِ**﴾: بإذنه، ﴿**وسَخَّرَ لَكُمُ الأنهارَ ٣٢، وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمسَ والقَمَرَ دائِبَينِ**﴾: جاريين في فلكهما لا يفتران، ﴿**وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ**﴾ لتسكنوا فيه، ﴿**والنَّهارَ**﴾ ٣٣ لتبتغوا فيه من فضله، ﴿**وآتاكُم مِن كُلِّ ما سألتُمُوهُ**﴾، على حسَب

---

(١) مثل كلمة أي: صفتها وحالها. والخبيثة: الشنيعة. وكلمة الكفر أي: كل ما دل على الكفر. والحنظل: ثمرته بحجم البرتقالة، ولبها شديد المرارة. واجتثت من فوق الأرض: كأنها اقتُلعت، لأنها غير ثابتة أصلًا، وملقاة على التربة بلا جذر أو عروق. ويثبت: يقوّي بالاستقرار. والقول: الكلام في النفس أو باللسان. والثابت: المتمكن في القلوب والألسنة بالبراهين القاطعة. والدنيا: القريبة قبل الموت، أي: فلا تزلزلهم الفتن والمصائب. و«لما يسألهم» انظر تفسير الآية ١٥٩ من سورة النساء. والملكان هما مُنكر ونكير. والشيخان: البخاري ومسلم. انظر الأحاديث ١٣٠٣ و٤٤٢٢ في البخاري و٢٨٧١ في مسلم. ويضلهم: يُمدّهم بما يناسب اختيارهم السيئ واستعدادهم للباطل. والظالم: من يجاوز الحق فيضع الأمور في غير مواضعها. وفيما عدا الأصل: «للجواب». ويفعل: يخلق. وما يشاء: ما يريده من التثبيت والإضلال بما يناسب اختيار الإنسان واستعداده.

(٢) تنظر: تعلم. والمراد: لقد نظرتَ إليهم، وعلمتَ ما انتهوا إليه. وبدّلوا كفرًا أي: جعلوا إنكار الفضل بدلًا. والنعمة: الإحسان بالخير. وكفار قريش أي: أن الآيات ٢٨-٣٠ مدنية نزلت فيهم بعد غزوة بدر. فقد أكرمهم الله بالحَرَم، ووسّع عليهم الرزق، وشرّفهم بالنبوة والإسلام، فقابلوا ذلك كله بالكفر والإنكار. وأنزلوهم: سببوا لهم النزول. ودار البوار: التي فيها الهلاك. وعطف بيان أي: فيه توضيح للإبهام قبله، مع التوكيد والتهويل. ويدخلونها أي: ليقاسوا عذابها. وجعلوا: صيّروا. والأنداد: جمع ند. وهو النظير المشابه في الصفات والعمل. والمراد بذلك ما يعبدون من المخلوقات. ويَضلوا: ينحرفوا. وبضمها يريد القراءة «لِيُضِلُّوا» أي: يصرفوا الناس. والسبيل: الطريق الواضح. وتمتعوا: تنعموا وتلذذوا. والنار: نار جهنم.

(٣) العباد: العابدون المطيعون لله، جمع عبد. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد واليقين. ويقيم الصلاة: يؤديها بشروطها وأركانها وآدابها. وينفق: يبذل في وجوه الخير. ورزقناهم إياه: خلقناه لهم متاعًا وزينة. وسرًا: دون إطلاع أحد. وعلانية: جِهارًا بعلم الآخرين. ويأتي: يحصل. واليوم: الزمن. والبيع: المعاوضة. وهنا يراد به الشراء. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات والأرض. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وأخرج: أنبت. والثمرات: ما ينعقد من جنى النبات ليكون للطعام أوالشراب أو اللباس والزينة. والرزق: ما يُمنح من ألوان المتاع والزينة. وسخره: يسّره وهيّأه للغاية التي وجد لها. ولكم: لقضاء حاجاتكم ومصالحكم. والفلك: اسم جمع مفرده من لفظه. وتجري: تسير فوق الماء. والبحر: المكان الجامع للماء الكثير، ومنه البحيرات والأنهار. والشمس والقمر: الكوكبان المعروفان. والشمس نجم. فالتثنية كوكبان للتغليب. وكذلك الشأن في كثير من النصوص. وهما يجريان مع مجرتهما بسرعة عظيمة. ولكل منهما جريان خاص أيضًا ضمن المجرة. ودائب: مستمر. ولايفتر: لايضعف ولايقف. ومن فضله أي: بالسعي والعمل والعبادة. وآتاكم: أعطاكم. وما سألتم أي: ما من شأنه أن تطلبوه أو تحتاجوا إليه. وتعدوا: تُحصوا. وعدّ النعم: عدّ أنواعها لامفرداتها، لأن المفردات غير متناهية. والنعمة: التفضل بالخير. والإنسان: الفرد من البشر. انظر «المفصل». والظلم: مجاوزة الحق والعدل. والكفر: الجحود وعدم الشكر للمنعم.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

مصالحكم. ﴿**وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ**﴾ بمعنى إنعامه ﴿**لا تُحصُوها**﴾: لا تُطيقوا عدّها. ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾: الكافرَ ﴿**لَظَلُومٌ كفّارٌ**﴾ ٣٤: كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكُفر لِنعمة ربه.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ إبراهيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هٰذا البَلَدَ**﴾ مكّة ﴿**آمِنًا**﴾: ذا أمنٍ - وقد أجاب الله دُعاءَه فجعله حَرَمًا لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده ولا يُختلى خلاه - ﴿**واجنُبْني**﴾: بعِّدْني ﴿**وبَنِيَّ**﴾ عن ﴿**أن نَعبُدَ الأصنامَ**﴾ ٣٥. ﴿**رَبِّ، إنّهُنَّ**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**أضلَلْنَ كَثيرًا مِنَ النّاسِ**﴾ بعبادتهم لها. ﴿**فمَن تَبِعَني**﴾ على التوحيد ﴿**فإنَّهُ مِنِّي**﴾: من أهل دِيني، ﴿**ومَن عَصاني فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٣٦. هذا قبل عِلمه أنه - تعالى - لا يَغفِر الشِّرك.

٢- ﴿**رَبَّنا، إنِّي أسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي**﴾ أي: بعضَها - وهو إسماعيل مع أمّه هاجَرَ - ﴿**بِوادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ**﴾، هو مكّة، ﴿**عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ**﴾ الذي كان قبل الطوفان، ﴿**رَبَّنا، لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ. فاجعَلْ أفئِدةً**﴾: قُلوبًا ﴿**مِنَ النّاسِ تَهوِي**﴾: تَميلُ وتَحِنّ ﴿**إليهِم**﴾ - قال ابن عبّاس: لو قال «أفئدةَ الناسِ» لحنّتْ إليه فارسُ والروم والناس كُلّهم - ﴿**وارزُقْهُم مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ**﴾ ٣٧. وقد فعَلَ بنقل الطائف إليه.

٣- ﴿**رَبَّنا، إنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفِي**﴾: نُسِرّ ﴿**وما نُعلِنُ، وما يَخفَى عَلَى اللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ**﴾ ٣٨. يحتمل أن يكون من كلامه - تعالى - أو كلام إبراهيم. ﴿**الحَمدُ للهِ الَّذي وَهَبَ لي**﴾: أعطاني ﴿**عَلَى**﴾: مَعَ ﴿**الكِبَرِ إسماعِيلَ**﴾ - وُلِدَ وله تسعٌ وتسعون سنةً - ﴿**وإسحاقَ**﴾. وُلد وله مِائة وثِنتا عَشْرةَ سنةً. ﴿**إنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ**﴾ ٣٩ ﴿**رَبِّ، اجعَلْني مُقِيمَ الصَّلاةِ، و**﴾ اجعل ﴿**مِن ذُرِّيَّتي**﴾ من يُقيمها - وأتى بـ «مِن» لإعلام الله تعالى له أنّ منهم كُفّارًا - ﴿**رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعائي**﴾ ٤٠ المذكورَ. ﴿**رَبَّنا، اغفِرْ لي ولِوالِدَيَّ**﴾ - هذا قبل أن يتبيّن له عداوتهما لله، عزّ وجلّ. وقيل: أسلمتْ أُمّه. وقُرِئَ: «والِدِي» مُفردًا و«وَلَدَيَّ» - ﴿**ولِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ**﴾: يَثبُتُ ﴿**الحِسابُ**﴾ ٤١.

٤- قال تعالى: ﴿**ولا تَحسَبَنَّ اللهَ غافِلًا عَمّا يَعمَلُ الظّالِمُونَ**﴾: الكافرون من أهل مكّة. ﴿**إنّما يُؤَخِّرُهُم**﴾، بلا عذاب، ﴿**لِيَومٍ تَشخَصُ فِيهِ الأبصارُ**﴾ ٤٢ لهول ما ترى - يقال: شَخَصَ بصرُ فُلان، أي: فتحه فلم يُغمضه - ﴿**مُهطِعِينَ**﴾: مُسرِعِينَ حالٌ، ﴿**مُقنِعِي**﴾: رافعي ﴿**رُؤُوسِهِم**﴾

(١) رب أي: ياربي. واجعله: صيّره. والأمن: السلامة من كل أذى. ويختلى: يقطع. والخلى: الحشائش. وبنيّ: أولادي. ونعبد: نقدس ونطيع. والأصنام: جمع صنم. وهو تمثال مصنوع يزعم المشركون أن عبادته تقربهم إلى الله. وأضللنه: سبّبْنَ له اعتقادَ الشرك. وتبعني: أطاعني. وعصاني: رفض دعوتي. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: الكثير العطف بالتفضل. و«هذا» يعني أن «ومن. رحيم» قاله قبل علمه عدم مغفرة الشرك، كما استغفر لأبويه في الآية ٤١.

(٢) أسكنتهم: أنزلتهم للإقامة. والذرية: النسل. والمراد إسماعيل وإخوته المستعربون ومَن يكون مِن نسلهم. والوادي: المنخفض بين جبلين. وغير ذي زرع: لايصلح للزراعة. والمحرم: الممنّع من العدوان والانتهاك. فقد نقل إبراهيمُ زوجته هاجرَ وابنَه إسماعيلَ من الشام، للإقامة قرب ما سيُبنى فيه البيت الحرام، فكان ذلك سببًا لتعرُّب إسماعيل وذريته. ثم تزوج أيضًا امرأة عربية كان له منها أولاد تعربوا، منهم «مَدْيَنٌ» جد النبي شُعيب. و«قبل الطوفان» هذا قول مردود. انظرالصواب في تفسير الآية ٩٦ من سورة آل عمران. ويقيم الصلاة: يؤديها كما يجب. واجعل: صيّر. والأفئدة: جمع فؤاد. وإليهم أي: لزيارة بيتك. وارزقهم: هيئ لهم ما ينتفعون به. والثمر: ما ينعقد من زهر النبات. ويشكر: يستحضر النعم ويثني على المنعم بالقلب واللسان والعمل. ونقل الطائف قول مردود أيضًا ليس له سند شرعي. انظر تعليقنا على تفسيرالآية ١٢٦ من سورة البقرة.

(٣) تعلمه: تحيط بدقائقه وتفصيلاته. ونعلنه: نظهره للآخرين. ويخفى: يغيب. وزائدة: يعني أن «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والحمد: الثناء لأجل النعم. والكبر: بلوغ السن العالية. وله: لإبراهيم. وذكر السيوطي في تفسير الآية ٧٢ من سورة هود ما يخالف عدد السنين المذكور هنا. والسميع: المجيب. والدعاء: الطلب بالتذلل. واجعلني مقيم الصلاة: ثبّتني على أدائها كاملة. والذرية: النسل من الأولاد والحفدة. وتقبله: يسر إجابته. ودعائي: طلبي متضرعًا. وفيما عدا الأصل والنسخ وط والفتوحات والصاوي: «دعاءِ» بحذف ياء المتكلم للتخفيف. والدعاء أي: فيما سألتك كله في الآيات ٣٥-٤٠. واغفر: استر الذنوب ولاتؤاخذ عليها. والوالدان: الأب والأم. و«ولديّ »أي: إسماعيل وإسحاق. ويثبت: يحصل ويتحقق. والحساب: محاسبة الناس.

(٤) تحسب: تظن أي: دم على يقينك القاطع. والغافل: الساهي. ويعمل: يكتسب بنياته أو قوله أو فعله. والظالم: من يتجاوز الحق. وأهل مكة أي: وغيرها. ويؤخرهم: يؤجل عقابهم. وليوم: إلى وقت محدّد. والأبصار: جمع بصر. والرؤوس: جمع رأس. ولايرتد أي: لايملكون التصرف بأبصارهم. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب.

الجُزءُ الثَّالِثَ عَشَرَ — سُورَةُ إِبرَاهِيمَ

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ
هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟
بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾

إلى السماء، ﴿**لا يَرتَدُّ إليهِم طَرفُهُم**﴾: بصرهم، ﴿**وأفئِدتُهُم**﴾: قُلوبهم ﴿**هَواءٌ**﴾ ٤٣: خالية من العقل لفزعهم.

١- ﴿**وأنذِرِ**﴾: خوِّفْ - يا مُحمّد - ﴿**النّاسَ**﴾: الكُفّار ﴿**يومَ يأتيهم العَذابُ**﴾، هو يوم القيامة، ﴿**فيَقولُ الّذينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا ﴿: **ربَّنا، أخِّرنا**﴾ بأن تردّنا إلى الدنيا ﴿**إلى أجَلٍ قَريبٍ، نُجِبْ دَعوَتَكَ**﴾ بالتوحيد، ﴿**ونتّبِعِ الرُّسُلَ**﴾. فيقال لهم توبيخًا: ﴿**أوَلَم تكُونوا أقسمتُم**﴾: حلفتم، ﴿**مِن قَبلُ**﴾ في الدنيا، ﴿**ما لَكُم مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**زَوالٍ**﴾ ٤٤ عنها إلى الآخرة، ﴿**وسَكَنتُم**﴾ فيها ﴿**في مَساكِنِ الّذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بالكُفر، من الأُمم السابقة، ﴿**وتَبَيَّنَ لَكُم كَيفَ فَعَلْنا بِهِم**﴾ من العُقوبة؟ فلم تنزجروا، ﴿**وضَرَبْنا**﴾: بيّنّا ﴿**لَكُمُ الأمثالَ**﴾ ٤٥ في القُرآن، فلم تعتبروا؟

٢- ﴿**وقَد مَكَروا**﴾ بالنبيّ ﴿**مَكرَهُم**﴾، حيثُ أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه، ﴿**وعِندَ اللهِ مَكرُهُم**﴾ أي: عِلمُه أو جزاؤه، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**كانَ مَكرُهُم**﴾، وإن عظُم، ﴿**لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُ**﴾ ٤٦. المعنى: لا يُعبأ به ولا يضرّ إلّا أنفُسَهم. والمُراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائعُ الإسلام المُشبّهةُ بها في القرار والثبات. وفي قراءة بفتح لام «لَتَزُولُ» ورفع الفعل. فإنْ: مُخفّفة. والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المُراد بالمكر كُفرهم. ويُناسبه على الثانية: «تكادُ السَّماواتُ يَنفطِرْنَ مِنهُ وتَنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا»، وعلى الأُولى ما قُرئ: «وما كانَ». ﴿**فلا تَحسِبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وَعدِهِ رُسُلَهُ**﴾ بالنصر. ﴿**إنّ اللهَ عَزيزٌ**﴾: غالب لا يُعجزه شيء، ﴿**ذُو انتِقامٍ**﴾ ٤٧ ممّن عصاه.

٣- اذكرْ ﴿**يَومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ والسَّماواتُ**﴾، هو يوم القيامة، فيُحشر الناس على أرض بيضاء نقيّة، كما في حديث الصحيحين، وروى مسلم حديثَ: سُئل النبيّ ﷺ: أينَ الناسُ يومَئذٍ؟ قالَ: «علَى الصِّراطِ»، ﴿**وبَرَزُوا**﴾: خرجوا من القُبور ﴿**للهِ الواحِدِ القَهّارِ**﴾ ٤٨ - ﴿**وتَرَى**﴾ يا مُحمّد: تُبصِر ﴿**المُجرِمِينَ**﴾: الكافرين، ﴿**يَومَئذٍ مُقَرَّنينَ**﴾: مشدودينَ مع شياطينهم ﴿**في الأصفادِ**﴾ ٤٩: القُيود أو الأغلال، ﴿**سَرابِيلُهُم**﴾: قُمصُهم ﴿**مِن قَطِرانٍ**﴾، لأنه أبلغ لاشتعال النار، ﴿**وتَغشَى**﴾: تعلو ﴿**وُجُوهَهُمُ النّارُ**﴾ ٥٠ - ﴿**لِيَجزِيَ**﴾: مُتعلّق بـ «برزوا» ﴿**اللهُ كُلَّ نفسٍ ما كَسَبَتْ**﴾، من خير وشرّ. ﴿**إنّ اللهَ سَريعُ الحِسابِ**﴾ ٥١: يحاسِبُ جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث بذلك. ﴿**هذا**﴾ القُرآن ﴿**بَلاغٌ لِلنّاسِ**﴾ أي: أُنزل لتبليغهم، ﴿**ولِيُنذَروا بِهِ، ولِيَعلَموا**﴾ بما فيه من الحُجج ﴿**أنَّما هُوَ**﴾ أي: اللهُ ﴿**إلهٌ واحِدٌ، ولِيَذَّكَّرَ**﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظَ ﴿**أُولُو الألبابِ**﴾ ٥٢: أصحابُ العقول.

---

(١) يأتيهم: ينزل بهم. وظلم: تجاوز الحق. والكفر أقبح ذلك. وأخّرنا: أجّل عذابنا، لنتدارك ما فرطنا من الإيمان. والأجل: المدة المحدودة من الزمن. والقريب: اليسير. ونجب دعوتك: نؤمن كما أمرت. ونتبعهم: نعمل بما بلّغوا. والرسل: جمع رسول. وزائدة: يعني أنّ «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والزوال: الانتقال. وسكنتم: أقمتم. وفيها: في الدنيا. والمساكن: جمع مسكن. وظلموا أنفسهم: جاروا عليها وسببوا لها عذاب الدنيا والآخرة. وتبين: اتضح يقينًا. والأمثال: جمع مَثَل. وهو قصة قوم مضوا تشبه حال المخاطبين، وفيها من الهول والعجب ما يشبه الأمثال السائرة.

(٢) مكروا: دبّر كفار مكة المكايد للإيذاء. انظر الآية ٣٠ من سورة الأنفال. وعند الله أي: ثابت ومسجل. يعني أن مكرهم امتنع ما يريدون به، ولن يتحقق منه شيء. وتزول: تنقلع وتتصدع. والجبال: جمع جبل. وبفتح اللام الأولى يكون المعنى: قد كان مكرهم شديدًا يَهدّ الجبال. وعلى القراءة الأولى فالمعنى: مُحال أن تزول لكيدهم الجبال. فكيف بأصول التوحيد والشرائع، وهي أشد رسوخًا بإرادة الله؟ و«تكاد. . . هدًّا» هو الآية ٩٠ من سورة مريم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يتفطّرن». وماكان يعني: أن هذه القراءة تناسب ذلك التفسير على قراءة: «لَتَزُولَ». وتحسب: تظن. والمخلف للوعد: من لايفي بما تعهد. والرسل: جمع رسول. وذو انتقام: مالك العقاب الشديد لمن أصرّ على العصيان.

(٣) تبدل: تزول ليكون غيرها. والسماوات أي: تبدل سماواتٍ أُخرى. وحديث الصحيحين: الحديثان ٦١٥٦ في البخاري و٢٧٩٠ في مسلم. والصراط: جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس. وحديث مسلم هو ذو الرقم ٢٧٩١ في صحيحه. وبرزوا: بالبعث. ولله: للقاء حكمه ومجازاته. والواحد: المتفرد بالألوهية. والقهار: الغلّاب لكل شيء. والمجرم: من يقترف الشر باختيار وإرادة. ويومئذ أي: يومَ إذْ تبدل الأرض. والأصفاد: جمع صَفَد. والأغلال: جمع غُلّ. وهو الطوق تُشد به اليدان إلى العنق. والسرابيل: جمع سِربال. والقمص: جمع قميص. وهو الثوب. والقطران: ما يُطلَى بها الإبل الجربى. والوجوه: جمع وجه. ويجزي: يكافئ. والنفس: المخلوق المكلف. وكسبت: عملته اختيارًا وقصدًا. والسريع: العظيم السرعة. والحساب: المحاسبة. و«من أيام الدنيا» كذا، والتوجيه للحديث غير صحيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة. والبلاغ: التبليغ. وينذَر: يخوَّف. ويَعلم: يتيقن. والإله: المعبود بحق. ويتذكر: يستحضر ما يوجبه ذلك التبليغ. وأولو: واحده ذو. والألباب: جمع لب.

سُورَةُ الحِجر — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحِجْر

مكية، تسع وتسعون آية.

(الجزء ١٤ الحزب ٢٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ - والإضافة بمعنى: مِن - ﴿وقُرآنٍ مُبينٍ﴾ ١: مُظهِرٍ للحقّ من الباطل. عطفٌ بزيادة صِفة. ﴿رُبَما﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنّى ﴿الَّذينَ كَفَروا﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، ﴿لَو كانُوا مُسلِمينَ﴾ ٢. ورُبَّ: للتكثير. فإنه يكثر منهم تمنّي ذلك. وقيل: للتقليل. فإنّ الأهوال تُدهشهم فلا يُفيقون حتى يتمنّوا ذلك إلّا في أحيان قليلة.

٢- ﴿ذَرهُم﴾: اترُكِ الكُفّارَ - يا مُحمّد - ﴿يأكُلوا ويَتَمَتَّعوا﴾ بدنياهم، ﴿ويُلهِهِم﴾: يَشغلْهُم ﴿الأمَلُ﴾ بطُول العُمر وغيره، عن الإيمان. ﴿فَسوفَ يَعلَمُونَ﴾ ٣ عاقبة أمرهم. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿وما أهلَكنا مِن﴾: زائدةٌ ﴿قَريَةٍ﴾، أُريدَ أهلُها، ﴿إلّا ولَها كِتابٌ﴾: أجل ﴿مَعلُومٌ﴾ ٤: محدود لهلاكها، ﴿ما تَسبِقُ مِن﴾: زائدةٌ ﴿أُمَّةٍ أجَلَها، وما يَستأخِرُونَ﴾ ٥: يتأخّرون عنه.

٣- ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: ﴿يا أيُّها الَّذي نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكرُ﴾: القرآنُ، في زعمه، ﴿إنَّكَ لَمَجنُونٌ﴾ ٦. ﴿لَو ما﴾: هلّا ﴿تأتينا بالمَلائكةِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ﴾ ٧ في قولك: إنك نبيّ، وإنّ هذا القُرآن من عند الله. قال تعالى: ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ - فيه حذف إحدى التاءين - ﴿المَلائكةُ إلّا بالحَقِّ﴾: بالعذاب، ﴿وما كانُوا إذًا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنظَرينَ﴾ ٨: مُؤخّرين. ﴿إنّا نَحنُ﴾: تأكيدٌ لاسم «إن» أو فَصْلٌ ﴿نَزَّلنا الذِّكرَ﴾: القُرآن، ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ ٩ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

٤- ﴿ولَقَد أرسَلنا مِن قَبلِكَ﴾ رُسلًا، ﴿في شِيَعِ﴾: فِرَقِ ﴿الأوَّلينَ ١٠، وما﴾ كان ﴿يأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلّا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ١١، كاستهزاء قومك بك. وهذا تسلية له ﷺ. ﴿كَذلِكَ نَسلُكُهُ﴾ أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ، في قُلوب أُولئك، نُدخله ﴿في قُلُوبِ المُجرِمينَ﴾ ١٢ أي: كُفّارِ مكة، ﴿لا يُؤمِنُونَ بِهِ﴾: بالنبيّ، ﴿وقَد خَلَتْ سُنَّةُ الأوَّلينَ﴾ ١٣ أي سُنّة الله فيهم، من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم - وهؤلاء مِثلهم - ﴿ولَو فَتَحنا عَلَيهِم بابًا مِنَ السَّماءِ، فظَلُّوا فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعرُجُونَ﴾ ١٤: يصعدون، ﴿لَقالُوا: إنَّما سُكِّرَتْ﴾: سُدّت ﴿أبصارُنا، بَل نَحنُ قَومٌ مَسحُورُونَ﴾ ١٥: يُخيّل إلينا ذلك.

---

(١) أعلم بمراده أي: حروف مقطعة، هي سره المكنون في كتابه العزيز. والآيات: النصوص القرآنية. وبمعنى من: يعني أن التقدير: آيات من الكتاب. وانظر الآية ١ من سورة الرعد. وبزيادة صفة أي: الوصف بالإبانة والتوضيح. وبالتخفيف يريد القراءة: «رُبَما». وكفروا أي: بالقرآن ومافيه. ولو كانوا مسلمين: لو استسلموا في الدنيا لأمر الله، وآمنوا به وبرسوله. والتكثير أي: تكثير مضمون الفعل. وللتقليل يعني أن «رب»: تحتمل المعنيين المختلفين. وقد جمع بينهما بعضهم، على أنّ التكثيرَ بالنظر إلى مَرّات التمني، والتقليلَ بالنظر إلى زمان هذا التمني. وحتى يتمنوا أي: ليتيسر لهم التمني. (٢) ذرهم أي: لاتتعرض لخصامهم. ويأكل: يتغذى بالطعام والشراب. ويتمتع: يتنعم ويتلذذ. والأمل: التوقع والتمني. وسوف: لتحقيق حصول الفعل ولو تأخر ذلك. ويعلمون: يعرفون باليقين عِيانًا. و«هذا» يعني أن الموادعة للمشركين العرب نسختها آيات الأمر بقتالهم. وهي الآيات ٦-٣٠ من سورة التوبة. وأهلكنا: أفنينا بالعذاب. وزائدة: يعني أنّ «مِن»: للتنصيص على عموم النفي. والقرية: البلدة. والكتاب: المكتوب المسجل، أي: وقت مدوّن. ومحدود أي: هو في علم الله معيّن أجله لا يتغير. وما تسبقه: لا يتقدم هلاكها على أجلها المحتوم. والأمة: الجماعة يؤلف بينها دين أو عقيدة. وأجلها: المدة المعينة لنهاية حياتها. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. ونُزّل عليه: أوحي إليه. والذكر: التذكير. والمجنون: الفاقد للتفكير السوي. وتأتينا بهم: تحضرهم ليشهدوا بصدق نبوتك. والملائكة: جمع مَلَك. والصادق: من يقول الحق. والحق: الثابت بالقدْر المُحكَم. وما كانوا: ما أصبح المصرّون على الكفر. ومؤخرين: مؤخَّرًا هلاكُهم. و«فصل» معناه التوكيد أيضًا. ونزلناه: أوحيناه. والحافظ: الواقي والحامي. وحفظ القرآن يعني حفظ العربية والعرب والإسلام والمسلمين. وهي أمور خمسة متلازمة كما يقتضي مدلول الآية. (٤) أرسلنا: بعثنا للتبليغ والعمل. والشيع: جمع شِيعة. وهي الجماعة تتعصب لسيد أو توجّه في الدين. والفرق: جمع فِرقة. والأولون: الماضون من الأمم. ويأتيهم: يجيء الأولين مبلغًا وداعيًا. والرسول: المرسَل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ونسلكه أي: الاستهزاء والتكذيب. والقلوب: جمع قلب. وكفار مكة أي: وغيرها. ويؤمن به: يصدّقه ويتّبعه. وخلت: مضت نافذة محقَّقة. والسُّنّة: الطريقة المحكمة. والأولين: الأقوام الماضية المستأصلة. وفتحنا عليهم بابًا: هيّأنا لهم سبيلًا ومكّناهم من الصعود فيه. وظلوا: استمروا. ويصعدون: في ملكوت السماء تحقيقًا لصدق الرسالة. والأبصار: جمع بصر. والمسحور: من خُدع بتخييلات لا حقيقة لها.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

١- ﴿**ولقد جعَلْنا في السَّماءِ بُروجًا**﴾ اثنَي عَشَرَ: الحَمَل والثَّور والجَوزاء والسَّرطان والأسَد والسُّنبلة والمِيزان والعَقرب والقَوس والجَدْي والدَّلْو والحُوت - هي منازل الكواكبِ السبعةِ السيّارةِ: المِرّيخ وله الحَمَل والعَقرب، والزُّهَرة ولها الثَّور والمِيزان، وعُطارِدٌ وله الجَوزاء والسُّنبلة، والقمر وله السَّرَطان، والشمس ولها الأسَد، والمُشتري وله القَوس والحُوت، وزُحَلُ وله الجَدْي والدَّلْو - ﴿**وزيَّنّاها**﴾ بالكواكب ﴿**للنّاظِرِينَ**﴾ ١٦، ﴿**وحَفِظْناها**﴾ بالشُّهب ﴿**مِن كُلِّ شيطانٍ رَجِيمٍ**﴾ ١٧: مرجوم، ﴿**إلّا**﴾ لكن ﴿**مَنِ استرَقَ السَّمعَ**﴾: خَطِفَه، ﴿**فأتبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ**﴾ ١٨: كوكب يُضيء، يُحرقه أو يَثقبه أو يُخبِّله.

٢- ﴿**والأرضَ مَدَدْناها**﴾: بسطناها، ﴿**وألقَينا فِيها رَواسِيَ**﴾: جبالًا ثوابتَ لئلّا تتحرّك بأهلها، ﴿**وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزُونٍ**﴾ ١٩: معلوم مُقدّر، ﴿**وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ**﴾ - بالياء - من الثمار والحبوب، ﴿**وَ**﴾ جعلنا لكم ﴿**مَن لَستُم لَهُ بِرازِقِينَ**﴾ ٢٠ من العبيد والدوابّ والأنعام. فإنما يرزقهم الله.

٣- ﴿**وإن**﴾: ما ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ إلّا عِندَنا خَزائِنُهُ**﴾: مَفاتيحُ خزائنه، ﴿**وما نُنَزِّلُهُ إلّا بِقَدَرٍ مَعلُومٍ**﴾ ٢١ على حسَبِ المصالح، ﴿**وأرسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ**﴾: تُلقِح السحاب فيمتلئ ماء، ﴿**فأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ**﴾: السحابِ ﴿**ماءً**﴾: مطرًا ﴿**فأسقَيناكُمُوهُ، وما أنتُم لَهُ بِخازِنِينَ**﴾ ٢٢ أي: ليست خزائنه بأيديكم، ﴿**وإنّا لَنَحنُ نُحيِي ونُمِيتُ، ونَحنُ الوارِثُونَ**﴾ ٢٣: الباقون نَرِثُ جميعَ الخلق.

٤- ﴿**ولَقَد عَلِمْنا المُستَقدِمِينَ مِنكُم**﴾ أي: من تقدّم من الخلق من لدن آدم، ﴿**ولَقَد عَلِمْنا المُستأخِرِينَ**﴾ ٢٤: المتأخّرين إلى يوم القيامة، ﴿**وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحشُرُهُم - إنَّهُ حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢٥ بخلقه - ﴿**ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ**﴾: آدمَ ﴿**مِن صَلصالٍ**﴾: طين يابس، يُسمَع له صلصلة إذا نُقر، ﴿**مِن حَمَأٍ**﴾: طين أسود ﴿**مَسنُونٍ**﴾ ٢٦: متغيّر، ﴿**والجانَّ**﴾ أبا الجِنّ - وهو إبليس - ﴿**خَلَقْناهُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ خلقِ آدمَ ﴿**مِن نارِ السَّمُومِ**﴾ ٢٧، هي نار لا دخان لها تنفذ من المَسامّ.

٥- ﴿**وَ**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكَةِ: إنِّي خالِقٌ بَشَرًا مِن صَلصالٍ مِن حَمَأٍ مَسنُونٍ ٢٨. فإذا سَوَّيتُهُ**﴾: أتممتُه، ﴿**ونَفَختُ**﴾: أجرَيتُ ﴿**فِيهِ مِن رُوحِي**﴾ فصار حيًّا - وإضافةُ الروح إليه تشريف لآدم - ﴿**فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾ ٢٩ سجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿**فسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ**﴾ ٣٠ - فيه تأكيدان - ﴿**إلّا إبلِيسَ**﴾ هو أبو الجنّ، كان بين الملائكة، ﴿**أبَى**﴾: امتنع من ﴿**أن يَكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ**﴾ ٣١.

---

(١) جعلنا: خلقنا. والبروج: جمع برج. وهو محل نزول أحد الكواكب السبعة وسيره المحكم. وزيناها: خلقنا فيها ما يجملها. والناظرون: المبصرون المتأملون استدلالًا على قدرة الخالق. وحفظناها: حميناها ومنعنا الدخول. والشيطان: مخلوق من النار. والمرجوم: المطرود من الرحمة. والسمع: ما يُسمع من الكلام. وأتبعه: طارده. والمبين: الظاهر للعِيان. ويخبّله أي: يفسده ويضلله. (٢) بسطناها: جعلناها مبسوطة غير محدّبة، ولا مقعّرة ولا مائعة رجراجة، لتيسير حياة البشر. وألقينا: جعلنا. والرواسي: جمع الراسي. وتتحرك: تزلزل وتميد. وأنبتنا: أوجدنا وأظهرنا أنواع المعادن والنبات والحيوان. ومقدر: له قدْر مُحكَم بما يكون لمصلحة الخلق. وجعلنا: خلقنا. والمعايش: جمع مَعيشة. وهي ما يعيش به الأحياء من الحاجات. وبالياء: يعني أن القراءة بدون همز. والرازق: من يهيئ لغيره ما ينتفع به. والدواب: ما يُركب من الحيوان، مفرده دابّة. والأنعام: الإبل والبقر والضأن والمعز، جمع نَعَم. (٣) زائدة: يعني أن «مِن» :للتنصيص على عموم النفي. وعندنا: في علمنا وتصرفنا. والخزائن: جمع خزانة. وهي ما تخزن فيه الأشياء. وننزّله: نوجده في الدنيا. والقدر: المقدار المعيَّن. والمعلوم: المحسوب بما تقتضيه مصالح الخلق. وأرسلنا: بعثنا. والرياح: جمع ريح. وهي الهواء المتحرك. واللواقح: جمع لاقِح، أي: حاملة للماء. وأنزلنا: أسقطنا. وأسقيناكموه: جعلناه لكم مُعَدًّا لسقي أنفسكم والأرض والمواشي. والخازن: من يجمع الشيء، ليخرجه في الوقت المناسب. ونحيي: نوجد الحياة في فاقدها. ونميت: نزيل الحياة ممن هي فيه. ونرثهم: نبقى بعد فنائهم، ويزول ملكهم لِما كان مجازًا في حوزتهم، ليعود إلينا كما هو حقيقة. (٤) انظر سبب النزول في المفصل. وعلمناهم: أحطنا بأحوالهم. ويحشرهم: يجمعهم للحساب. والحكيم: من يتقن كل ما يصدر عنه بما فيه مصلحة الوجود. والعليم: المحيط بدقائق الأمور وخفاياها. وخلقنا: أوجدنا من العدم. ومتغير: تغيرت رائحته بعد زمن. و«أبا الجن» صوابه: «أبا شياطين الجن». انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. والجن: خلق مستورون عن أعين البشر، منهم المؤمنون ومنهم الشياطين يغرون بالشر. والنار: اللهيب يبدو من الاشتعال. والسموم: السريعة الاختراق. والمسام: المنافذ الخفية بين الأشياء، كمسام الجسد - وهي مجاري العرَق - جمع مفرده مَسَمّ. (٥) الملائكة: جمع مَلَك. والخالق: الموجد للشيء من العدم. والبشر: آدم. وأتممته: فعلت فيه مايصير به مستويًا معتدلًا مستعدًا لفيضان الروح. ونفخت فيه من روحي: أحييته وخلقت فيه الحياة والقدرات الإنسانية. وتشريف: يعني أن الروح من خلق الله، أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا. وقعوا: انحنوا مسرعين. وسجد: حنى ظهره وطأطأ رأسه احترامًا. وأجمعون: مجتمعون في وقت واحد. وتأكيدان: يعني أن «كل» توكيد للملائكة، و«أجمعون» توكيد ثان فيه دلالة على الاجتماع في السجود معًا، لدفع توهم أن كل واحد سجد على حِدة. ويكون: يصير. ومعهم أي: في استجابتهم وفعلهم.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٣٣) قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٣٩)
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٤٣)
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ (٤٤) إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦)
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
(٤٧) لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ (٤٨)
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ (٥١)

١- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يا إبليسُ، مالَكَ﴾: ما منعك ﴿ألّا﴾: زائدةٌ ﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣٢؟ قالَ: لَمْ أكُنْ لِأسجُدَ﴾: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ، خَلَقْتَهُ مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٣٣.

٢- ﴿قالَ: فاخرُجْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿فإنَّكَ رَجيمٌ﴾ ٣٤: مطرود، ﴿وإنَّ عليكَ اللَّعْنَةَ إلى يومِ الدِّينِ﴾ ٣٥: الجزاءِ. ﴿قالَ: رَبِّ، فأنظِرْني إلى يومِ يُبعَثونَ﴾ ٣٦ أي: الناسُ.

٣- ﴿قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرينَ ٣٧، إلى يومِ الوَقتِ المَعلُومِ﴾ ٣٨: وقت النفخة الأولى. ﴿قالَ: رَبِّ، بما أغوَيتَني﴾ أي: بإغوائك لي، والباء: للقسم وجوابه: ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُم في الأرضِ﴾ المعاصيَ ﴿ولأُغوِيَنَّهُم أجمعينَ ٣٩، إلا عِبادَكَ منهُمُ المُخلَصِينَ﴾ ٤٠ أي: المُؤمنين.

٤- ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿هٰذا صِراطٌ عليَّ مُستَقيمٌ﴾ ٤١، وهو ﴿إنَّ عِبادِي﴾ أي: المُؤمنين ﴿ليسَ لكَ عليهِم سُلطانٌ﴾: قُوّة، ﴿إلّا﴾: لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوينَ﴾ ٤٢: الكافرين، ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَموعِدُهُم أجمَعِينَ﴾ ٤٣ أي: مَن اتّبعك معك، ﴿لها سَبْعَةُ أبوابٍ﴾: أطباقٍ، ﴿لِكُلِّ بابٍ﴾ منها ﴿مِنهُم جُزءٌ﴾: نصيب ﴿مَقسُومٌ﴾ ٤٤.

ربع الحزب ٢٧

٥- ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ، ﴿وعُيُونٍ﴾ ٤٥ تجري فيها، ويقال لهم: ﴿ادخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مَخُوف، أو مع سلام أي سَلّموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ ٤٦ من كُلّ فزع. ﴿ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ﴾: حِقد، ﴿إخوانًا﴾: حالٌ من «هم» ﴿على سُرُرٍ مُتَقابِلينَ﴾ ٤٧: حالٌ أيضًا، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم، ﴿لا يَمَسُّهُم فيها نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿وما هُم مِنها بِمُخرَجِينَ﴾ ٤٨ أبدًا.

٦- ﴿نَبِّئْ﴾: خبّر - يا مُحمّد - ﴿عِبادِيَ أنّي أنا الغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٤٩ بهم، ﴿وأنَّ عَذابِي﴾ للعُصاة ﴿هُوَ العَذابُ الأليمُ﴾ ٥٠:

---

(١) زائدة: الصواب أنّ «لا»: حرف نفي، والتقدير: أيُّ غرضٍ ثابتٌ لك في عدم كونك مع الساجدين؟ انظر الآية ٢٤٦ من سورة البقرة. وتكون: تصير. ومعهم أي: منهم. وبشر أي: إنسان. وخلقته: أوجدته. وحمأ مسنون أي: وخلقتني من نار، وهي أشرف من الطين. فهي نيرة وهو مظلم.

(٢) اخرج منها: فارقها وابتعد عنها. ومطرود أي: من الرحمة. واللعنة: التعذيب الأبدي. واليوم: الوقت. وأنظرني: أخّر وفاتي ولاتُمِتني. ويبعثون: يخرجون من قبورهم للحساب والجزاء. فهو يطلب هذا لئلّا يكون ممن يموت، لأن الموت بالنفخة الأولى ينتهي ويكون البعث بالنفخة الثانية.

(٣) المُنظَر: المؤخَّرة وفاتُه من الجن والملائكة. والوقت: الزمن. والمعلوم: الذي هو في علم الله محدد لنهاية الأحياء. والنفخة الأولى أي: في الصور حين يفنى جميع المخلوقات الحية. وأغويتني: أعنتني على استحسان العصيان والضلال. وأزيّن: أحبّب. ولهم: للناس. وهم المذكورون في قوله «يبعثون». والأرض: مكان الحياة الدنيا. ولم يذكر ما في الجنة لئلّا يَحذر آدمُ فيها إغراءه بعد. وأُغويهم: أحملهم على الضلال والعصيان. وأجمعين: كلّهم. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والمخلص: من آمن وجعل نيته وقوله وعمله لله وحده.

(٤) هذا أي: إغواؤك للضالين، وعجزك عن إغواء المخلصين. يعني أنه واقع متحقق بمقتضى حكم الله وإرادته، لا بطلب إبليس اللعين. وفي ذلك تصديقٌ له فيما ادعاه، وتعظيمٌ لشأن المخلصين. والصراط: الطريق الواضح. ومستقيم: معتدل. واتبعك: أطاعك. والغاوي: من أُغرِيَ بالكفر. وانظر «المفصل». والموعد: موضع تحقق الوعد. ولها أي: لجهنم. والأبواب: جمع باب. وهو المدخل. والأطباق: جمع طَبَق أي: طبقة. فجهنم طبقات لأنواع من العذاب متفاوتة. والنصيب المقسوم أي: الجزء المفروق.

(٥) انظر سبب النزول في المفصل. والمتقي: مَن تجنب عصيان الله ولزم الصلاح وطلب الرضا. والجنة: البستان العظيم. والعيون: جمع عين. والسلام: النجاة والاطمئنان. وسلّموا أي: ليسلّم بعضكم على بعض. والآمن: المطمئن. ونزع: محا وأزال. والصدور: جمع صدر. وهو القلب. وإخوانًا: جمع أخ، أي: متصافين. و«مِن هم» أي: من الضمير في «صدورهم». وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «منهم». والسرر: جمع سرير. و«لا ينظر بعضهم» قول مستنبط من حديث ضعيف مرفوع. والراجح أن التقابل هنا التساوي في التواصل والتزاور. ويمس: يصيب وينال بخفة. فنفي الشِّدة أولى. وفيها أي: في الجنات. والمخرج: المبعد بزوال أو فناء.

(٦) انظر سبب النزول في المفصل. والعباد: جمع عبد. والغفور: الكثير المغفرة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والرحيم: المبالغ في العطف بالإحسان. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وأرسل الله هؤلاء الملائكة، بصورة الغلمان الحسان، ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط. والضيف: مَن ينزل على غيره لينال معروفه. وجُعلوا ضيفًا لإبراهيم لأنهم في صورة من كان ينزل عنده من الضيوف. ودخلوا أي: صاروا داخل داره. واللفظ: يعني لفظ «سلامًا»، والمراد به التحية بالأمان والطمأنينة. وخائفون أي: لأن الضيف إذا لم يأكل مما يُقدّم إليه يكون في نيته شر للمضيف. ونبشرك: نبلّغك ما يَسرّك. والغلام: الشاب البالغ. وإنما ذكر هذا مع العلم الكثير، باعتبار ما سيكون عليه المولود حين يشب. وهود: يعني الآية ٧١ من تلك السورة.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن
مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

المُؤلم، ﴿ونبِّئْهم عَن ضَيفِ إبراهِيمَ﴾ ٥١ وهم ملائكة اثنا عشَرَ أو عشَرةٌ أو ثلاثةٌ، منهم جِبريل، ﴿إذ دَخَلُوا علَيهِ فَقالُوا: سَلامًا﴾ أي: هذا اللفظَ. ﴿قالَ﴾ إبراهيم، لمّا عرض عليهِم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إنّا مِنكُم وَجِلُونَ﴾ ٥٢: خائفون. ﴿قالُوا: لا توجَلْ﴾: تَخَفْ. ﴿إنّا﴾ رُسل ربّك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ ٥٣: ذي عِلم كثير، هو إسحاق، كما ذُكر في سورة «هود».

١- ﴿قالَ: أبَشَّرتُمُوني﴾ بالولد، ﴿علَى أن مَسَّنيَ الكِبَرُ﴾: حالٌ أي: مع مسّه إياي؟ ﴿فَبِمَ﴾: فبأيّ شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ ٥٤؟ استفهام تعجّب. ﴿قالُوا: بَشَّرْناكَ بالحَقِّ﴾: بالصِّدق. ﴿فلا تكُنْ مِنَ القانِطِينَ﴾ ٥٥: الآيسينَ. ﴿قالَ: ومَن﴾ أي: لا ﴿يَقنِطُ﴾ - بكسر النون وفتحها - ﴿مِن رَحْمةِ رَبِّهِ إلّا الضّالُّونَ﴾ ٥٦: الكافرون؟

٢- ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾: شأنكم؟ ﴿أيُّها المُرسَلُونَ ٥٧. قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومٍ مُجرِمِينَ﴾ ٥٨: كافرين، أي: قوم لوط لإهلاكهم، ﴿إلّا آلَ لُوطٍ. إنّا لَمُنَجُّوهُم أجمَعِينَ﴾ ٥٩ لإيمانهم، ﴿إلّا امرأتَهُ قَدَّرْنا إنَّها لَمِنَ الغابِرِينَ﴾ ٦٠: الباقين في العذاب لكُفرها.

٣- ﴿فلَمّا جاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: لوطًا ﴿المُرسَلُونَ ٦١ قالَ﴾ لهم: ﴿إنَّكُم قَومٌ مُنكَرُونَ﴾ ٦٢: لا أعرِفكم. ﴿قالُوا: بَل جِئناكَ بِما كانُوا﴾ أي: قومُك ﴿فِيهِ يَمتَرُونَ﴾ ٦٣: يشكّون - وهو العذاب - ﴿وأتَيناكَ بالحَقِّ وإنّا لَصادِقُونَ﴾ ٦٤ في قولنا. ﴿فأسْرِ بِأهلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ، واتَّبِعْ أدبارَهُم﴾: امشِ خلفهم، ﴿ولا يَلتَفِتْ مِنكُم أحَدٌ﴾ لئلّا يرى عظيم ما ينزل بهم، ﴿وامضُوا حَيثُ تُؤمَرُونَ﴾ ٦٥ وهو الشام.

٤- ﴿وقَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَيهِ ذلِكَ الأمرَ﴾، وهو ﴿أنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقطُوعٌ مُصبِحِينَ﴾ ٦٦: حالٌ أي: يتمّ استئصالهم في الصباح، ﴿وجاءَ أهلُ المَدِينةِ﴾ مدينةِ سَدُومَ - وهم قوم لوط - لمّا أُخبروا أنّ في بيت لوط مُردًا حِسانًا وهم الملائكة، ﴿يَستَبشِرُونَ﴾ ٦٧: حالٌ طمعًا في فِعل الفاحشة بهم. ﴿قالَ﴾ لوط: ﴿إنَّ هؤُلاءِ ضَيفِي. فلا تَفضَحُونِ ٦٨، واتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ﴾ ٦٩ بقصدكم إياهم بفِعل الفاحشة. ﴿قالُوا: أوَلَم نَنهَكَ عَنِ العالَمِينَ﴾ ٧٠: عن إضافتهم؟ ﴿قالَ: هؤُلاءِ بَناتِي، إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ٧١ ما تُريدون من قضاء الشهوة فتزوّجوهنّ.

(١) مسني: أصابني. والكبر: الشيخوخة. فقد تجاوز المائة من العمر. وحال: يعني أن «على أن» متعلقان بحال محذوفة عن مفعول: بشّر. ط: «فِيمَ». واستفهام: يعني مافي «ما» الاستفهامية التي حذفت ألفها لدخول «الباء» عليها. وإنما تعجب لأنه لم يكن يعلم أنهم ملائكة. والصدق: ماهو واقع. ولاتكن: لاتصِرْ. والآيسين: من رحمة الله. وبفتحها يريد القراءة «يَقنَطُ»، أي: ييأسُ. والرحمة: العطف بالإحسان. والضالون: المخطئون لسبيل الإيمان، لا يعرفون سعة رحمة الله، وكمال علمه وقدرته.

(٢) الخطب: القصد العظيم. والمرسل: الذي بعثه الله إلى الناس لأمر مهمّ. والمراد هنا هو الملائكة. وأُرسِلنا: بَعثَنا الله. والقوم: الجماعة من الناس. والمجرم: الذي يقترف الشر باختيار وقصد. والآل: الأهل، أي: أتباع لوط كأسرته ومن آمن به. ولوط: ابن أخي إبراهيم نبي كان في مدينة سدوم وما حولها قرب حمص. والمنجي: المنقذ من العذاب. وأجمعين: كلّهم لا يتخلف منهم أحد. وامرأته أي: لأنها كانت من القوم الكافرين، تحرضهم على زوجها. وقدرنا: قضينا ونفذنا. وجازت نسبة ذلك إلى الملائكة لأنهم رسل الله. فهم يتكلمون بما لهم أمر.

(٣) جاءه: وصل إلى بلده ودخل داره. و«أي لوطًا» كذا، للزعم بأن «آل» زائدة. وليس هذا بلازم، لأن الملائكة إنما جاءت لوطًا في داره، وآله ممن في الدار. والآل هنا هم أهل البيت من زوجة وأبناء. والمرسلون: الملائكة أنفسهم. ولا أعرفكم: يعني أنهم غرباء في زيّهم وجمالهم. انظر الآية ٧٧ من سورة هود. وجئناك به: أتينا لتنفيذه. والحق: الأمر المتيقّن. ويشكون: في وقوعه بهم. وأتيناك: حضرنا بيتك. والصادق: من يتكلم بما هو واقع فعلًا. وأسر: سر في الليل. والقطع: الجزء. واتبعهم أي: سر وراءهم. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. ويلتفت: يوجه نظره إلى الخلف. وتؤمرون: يطلب منكم. والشام أي: مكان إقامة الخليل من فلسطين. والظاهر أن المراد بالمضي الانطلاق والنفوذ.

(٤) أوحينا: على لسان جبريل. وإليه: إلى لوط. والأمر: الحكم. ودابر القوم: آخر من يبقى منهم على قيد الحياة. والمقطوع: المقضيّ عليه بالهلاك. والمصبح: الذي صار في الصباح. وجاؤوا: أتوا إلى دار لوط. وأهل المدينة: سكانها وكانوا منغمسين في اللِّواطة. ويستبشرون: يغمرهم الفرح والسرور بما سيلقون. وحال: يعني أن جملة «يستبشرون»: في محل نصب حال من: أهل. وضيفي: نازلون في ضيافتي وحمايتي. ولاتفضحونِ: لاتفضحوني، أي: لاتفعلوا ما يَلزمني العار منه في حق ضيفي. واتقوا الله: تجنبوا عصيانه وغضبه والزموا طاعته. ولا تخزونِ: لاتخزوني، أي: لاتُذلّوني بظلم ضيوفي. وننهى: نمنع. والعالمون هنا هم الناس. وننهاك عنهم أي: نأمرك بالكف عنهم وتركهم. وبناتي أي: بنات قومي فتزوجوهن.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ
ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

١- قال تعالى: ﴿**لَعَمرُكَ**﴾ - خِطاب للنبيّ ﷺ - أي: وحياتِك ﴿**إنّهم لَفِي سَكْرتِهِم يعمَهُونَ**﴾ ٧٢: يتردّدون. ﴿**فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ**﴾ صيحة جِبريلَ ﴿**مُشرقِينَ**﴾ ٧٣: وقتَ شُروق الشمس، ﴿**فجعَلْنا عالِيَها**﴾ أي: قُراهم ﴿**سافِلَها**﴾، بأن رفعها جِبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، ﴿**وأمطَرْنا عليهِم حجارةً مِن سِجِّيلٍ**﴾ ٧٤: طِين طُبِخ بالنار.

٢- ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لَآياتٍ**﴾: دلالاتٍ على وحدانيّة الله، ﴿**لِلمُتَوَسِّمِينَ**﴾ ٧٥: للناظرين المُعتبرين، ﴿**وإنَّها**﴾ أي: قُرى قوم لوط ﴿**لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ**﴾ ٧٦: طريقِ قُريش إلى الشام لم تندرس. أفلا يعتبرون بهم؟ ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً**﴾: لعِبرة ﴿**لِلمُؤمِنِينَ ٧٧، وإنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: إنّه ﴿**كانَ أصحابُ الأيكةِ**﴾ هي غَيضة شجر بقُرب مَدْيَن - وهم قوم شُعيب - ﴿**لَظالِمِينَ**﴾ ٧٨ بتكذيبهم شعيبًا، ﴿**فانتَقَمْنا مِنهُم**﴾ بأن أهلكناهم بشِدة الحرّ، ﴿**وإنَّهُما**﴾ أي: قُرى قوم لُوط والأيكة ﴿**لَبِإمامٍ**﴾: طريقٍ ﴿**مُبِينٍ**﴾ ٧٩: واضح. أفلا يعتبر بهم أهل مكّة؟

٣- ﴿**ولقَد كَذَّبَ أصحابُ الحِجرِ**﴾: وادٍ بين المدينة والشام - وهم ثمودُ - ﴿**المُرسَلِينَ**﴾ ٨٠ بتكذيبهم صالحًا، لأنه تكذيب لباقي الرُّسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، ﴿**وآتيناهُم آياتِنا**﴾ في الناقة، ﴿**فكانُوا عنها مُعرِضِينَ**﴾ ٨١: لا يتفكّرون فيها، ﴿**وكانُوا يَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ٨٢، فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ مُصبِحِينَ**﴾ ٨٣: وقتَ الصباح، ﴿**فما أغنَى**﴾: دَفَعَ ﴿**عَنهُم**﴾ العذابَ ﴿**ما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ٨٤، من بناء الحُصون وجمع الأموال. ﴿**وما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلّا بالحَقِّ. وإنَّ السّاعةَ لَآتيةٌ**﴾ - لا محالةَ - فيُجازَى كُلّ أحد بعمله. ﴿**فاصفَحِ**﴾ - يا مُحمّد - عن قومك ﴿**الصَّفحَ الجَمِيلَ**﴾ ٨٥: أعرِضْ عنهم إعراضًا لا جزعَ فيه. وهذا منسوخ بآية السيف. ﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلّاقُ**﴾ لكُلّ شيء، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٨٦ بكُلّ شيء.

٤- ﴿**ولقَد آتيناكَ سَبعًا مِنَ المَثانِي**﴾ قال ﷺ: «هِيَ الفاتِحةُ». رواه الشيخان. لأنها تُثنَى في كُلّ ركعة، ﴿**والقُرآنَ العَظِيمَ ٨٧ - لا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إلَى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجًا**﴾: أصنافًا ﴿**مِنهُم، ولا تَحزَنْ عليهِم**﴾ إن لم يؤمنوا، ﴿**واخفِضْ جَناحَكَ**﴾: ألِنْ جانبك ﴿**لِلمُؤمِنِينَ ٨٨، وقُلْ: إنِّيَ أنا النَّذِيرُ**﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم، ﴿**المُبِينُ**﴾ ٨٩: البيّن الإنذار - ﴿**كَما أنزَلْنا**﴾ العذاب ﴿**عَلَى المُقتَسِمِينَ**﴾ ٩٠ اليهودِ والنصارى، ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ**﴾: أي: كُتبهم المُنزلة عليهم ﴿**عِضِينَ**﴾ ٩١: أجزاء، حيثُ آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقيل: المُراد بهم الذين اقتسموا طُرق مكّة يصدّون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سِحر، وبعضهم: كِهانة، وبعضهم: شِعر.

---

(١) السكرة: شدة الغُلمة والشهوة. وأخذتهم: أهلكتهم. والصيحة: الصرخة تدمر. والمشرق: الداخل في وقت الشروق. وجعلنا: صيّرنا. وعاليها: ما هو فوق وجه أرضها تلك. وسافلها: ما كان تحت أرضها. أي: وجعلنا سافلها عاليها أيضًا. وأمطر: أسقط. والحجارة: جمع حجر.

(٢) المذكور: ما ورد في الآيات ٤٩-٧٤. والسبيل: الطريق السهل. والمقيم: الباقي. وأصحابها: المقيمون فيها. وغيضة الشجر: الموضع يكثر فيه الشجر. ومدين: مدينة تحاذي تبوك على ساحل البحر الأحمر. وشعيب: نبي عربي من ذرية مدين بن إبراهيم، كان في عهد موسى وزوجه ابنته. والظالم: من تجاوز الحق. وانتقمنا منهم: عاقبناهم.

(٣) كذبوه: جحدوا ما جاء به. والوادي: وادي القرى، كانت فيه بلدة الحِجر موطن ثمود. والمدينة: المدينة المنوّرة. والمرسل: من أرسله الله بالهداية. وآتيناهم: أعطيناهم. والآيات: الأدلة القاطعة بصدق صالح، ومنها الناقة المذكورة هنا. وانظر الآيات ٦١-٦٨ من سورة هود وتعليقنا على تفسيرها. والمعرض: المنصرف. وينحت: يحفر. والجبال: جمع جبل. والبيوت: جمع بيت. والآمن: المحفوظ من الشدائد. وأخذتهم: أهلكتهم. والصيحة: الصاعقة من السماء. والمصبح: الذي دخل في وقت الصباح. ويكسبون: يعملونه ويجمعونه. وخلقناها: أوجدناها من العدم. والحق: الحكمة ومصلحة الكون. والساعة: يوم القيامة. وآتية: حاصلة. والجميل: اللطيف بدون عتاب. وأعرض عنهم أي: لاتؤاخذهم بما يعملون. وآية السيف: آيات قتال المشركين. انظر «المفصل». والخلاق: الموجد من العدم. والعليم: المحيط بخفايا الأمور.

(٤) آتيناك: أعطيناك. والسبع: الآيات السبع في تلك السورة. والمثاني: جمع مَثْناة. وهي ما يعاد مرة بعد أُخرى. انظر «المفصل». و«رواه الشيخان» كذا، وعبارة «هي الفاتحة» ليست في الصحيحين. انظر فتح الباري ٨: ٢٠٠ وتنوير الحوالك ١: ١٠٠. والعظيم: الفخم لامثيل له. ولاتمدن عينيك: لاتطمح ببصرك راغبًا. ومتعناه: هيأنا له ما ينتفع به. والأزواج: جمع زوج. وهو الرجل وامرأته. والخطاب يشمل المسلمين كلهم أيضًا. ومنهم: من الكافرين. وتحزن: تتألم. وعليهم: بسببهم. والنذير: المهدّد المفزّع. وأنزلنا: أوحينا. والمقتسمون: المقسّمون للشيء تبعًا للشهوات. وجعلوا: صيّروا. والقرآن: ما يُقرأ في الكتب السماوية.

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ — ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

١- ﴿**فوربّكَ لنسألنَّهم أجمَعِينَ**﴾ ٩٢ سُؤالَ توبيخ، ﴿**عَمّا كانُوا يعمَلُونَ**﴾ ٩٣. ﴿**فاصدَعْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**بما تُؤمَرُ**﴾ به أي: اجهر به وأمضِهِ، ﴿**وأعرِضْ عَنِ المُشرِكِينَ**﴾ ٩٤. هذا قبل الأمر بالجهاد. ﴿**إنّا كَفَيناكَ المُستهزئِينَ**﴾ ٩٥ بك، بأن أهلكنا كُلًّا منهم بآفة - وهم: الوليدُ بن المُغيرة والعاصِ بنُ وائلٍ وعديُّ بن قيسٍ والأسْودُ بن المُطّلب والأسودُ بن عبدِ يغوثَ - ﴿**الّذِينَ يَجعَلُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ**﴾: صفةٌ، وقيل مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿**فسوفَ يَعلَمُونَ**﴾ ٩٦ عاقبة أمرهم.

٢- ﴿**ولَقَد**﴾: للتحقيق ﴿**نَعلَمُ أنّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ بما يَقُولُونَ**﴾ ٩٧، من الاستهزاء والتكذيب. ﴿**فسَبِّحْ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِحمدِ رَبِّكَ**﴾ أي: قل: سُبحانَ الله وبحمده، ﴿**وكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ**﴾ ٩٨: المُصلّين، ﴿**واعبُدْ رَبَّكَ حَتّى يأتِيَكَ اليَقِينُ**﴾ ٩٩: الموت.

نصف الحزب ٢٧

سورة النحل

مكية إلّا «وإن عاقبتم» إلى آخرها، مِائة وثمان وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- لمّا استبطأ المُشركون العذاب نزل: ﴿**أتى أمرُ اللهِ**﴾ أي: الساعةُ - و«أتى» بصيغة الماضي لتحقّق وُقوعه - أي: قَرُبَ. ﴿**فلا تَستعجِلُوهُ**﴾: تطلبوه قبل حِينه. فإنه واقع لا محالة. ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له، ﴿**وتَعالَى عَمّا يُشركُونَ**﴾ ١ به غيرَه! ﴿**يُنَزِّلُ المَلائكةَ**﴾ أي: جبريلَ، ﴿**بالرُّوحِ**﴾: بالوحي ﴿**مِن أمرِهِ**﴾: بإرادته، ﴿**عَلَى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ**﴾ - وهم الأنبياء - ﴿**أن**﴾: مُفسّرةٌ ﴿**أنذِرُوا**﴾: خوّفوا الكافرين بالعذاب، وأعلموهم ﴿**أنّهُ لا إلَهَ إلّا أنا. فاتّقُونِ**﴾ ٢: خافونِ. ﴿**خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بالحَقِّ**﴾ أي: مُحقًّا. ﴿**تَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ٣ به من الأصنام!

٤- ﴿**خَلَقَ الإنسانَ مِن نُطفَةٍ**﴾: مَنِيّ إلى أن صيّره قويًّا شديدًا، ﴿**فإذا هُوَ خَصِيمٌ**﴾: شديد الخُصومة، ﴿**مُبِينٌ**﴾ ٤: بيّنُها في نفي البعث، قائلًا: «مَن يُحيِي العِظامَ، وهْيَ رَمِيمٌ»؟ ﴿**والأنعامَ**﴾: الإبل والبقر والغنم، ونَصبُه بفعل يُفسّره: ﴿**خَلَقَها لَكُم**﴾ في جُملة الناس، ﴿**فِيها دِفءٌ**﴾: ما

---

(١) نسألهم: نذكّرهم على لسان ملائكة العذاب. ويعملون أي: يكتسبونه من التفرقة بين الآيات والتكذيب ومنع الإيمان. وما تؤمر: ما أوحي إليك. واجهر: بلّغ الناس جِهارًا. وأعرض عنهم: لاتخاصمهم. والمشرك: الذي يقدس بعض المخلوقات ويطيعه في معصية الله. فالإعراض عن المشركين العرب نسخته آيات الأمر بالقتال في سورة براءة. وكفيناك إياهم: تولينا أمرهم. والمستهزئ: الساخر. والآفة: ما يصيب الشيء فيتلفه ويهلكه. انظر «المفصل». ويجعلون: يصيّرون. والإله: المعبود المقدس. وآخر أي: مغايرًا لله. وسوف: لتحقيق حصول الفعل في المستقبل، وإن تأخر ذلك. ويعلمون: يدركون باليقين.

(٢) نعلم أي: علِمْنا. ويضيق: يحزن ويعجز عن التحمل. والصدر هنا: القلب. وسبح: نَزِّهِ الله عما يصفون. والحمد: الثناء على النعم. والساجد: من يحني ظهره ويطأطئ رأسه ليضع وجهه على الأرض. واعبده: قدسه وادعه للعون. ويأتيك: يصيبك، أي: لا تَشغل نفسك عن العبادة بالهموم. واليقين: التحقق والثبوت. والموت لاشك فيه.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. والأمر: الحكم. والساعة أي: يوم القيامة. و«قرب» كذا، وقُربُ الوقوعِ غيرُ تحققه الذي يعني: سيأتي حتمًا وإن تأخر حصوله. وتعالى: ترفّع وتعظّم. ويشركون: يجعلون لله بعض مخلوقاته مشاركًا في الألوهية. وينزل: يرسل للتبليغ. والملائكة: جمع ملَك. ويشاء: يريد إرساله. والعباد: جمع عبد. ومفسرة: حرف تفسير. والأله: المعبود بحق وحده. وخافون: خافوني والزموا الطاعة. وخلقها: أوجدها من العدم. والسماوات والأرض أي: ومافيهما أيضًا. والحق: الواجب اللائق بمن هو صاحب الحياة والعلم والإرادة والقدرة. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات.

(٤) روي أن أُبيَّ بن خلف جاء بعظم رميم إلى الرسول ﷺ وقال: يامحمد، أترى اللهَ يحيي هذا، بعدما قد رَمَّ؟ فنزلت هذه الآيات والآيات ٧٧-٨٣ من سورة يس. الواحدي ص ٢٨٤. وخلق: أوجد وكوّن. والإنسان هنا: البشر عدا آدم وحواء وعيسى. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًا، لاحس لها ولا قدرة على النمو. والمنيّ: ماء الرجل المُخصِب في تكوين الجنين. وخُصّ بالذِّكر، دون البُيَيضة النِّسوية، لأنه هو عنصر الإخصاب وبه تصبح البييضة منجبة. والرميم: البالي المتلاشي. وقائلًا يعني: ما في الآية ٧٨ من سورة يس. والأنعام: جمع نَعَم. ويفسره: يعني أنّ الأنعام: مفعول به لفعل محذوف يفسره الفعل التالي، أي: وخلق الأنعام. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بفعل مقدر يفسره». وفي قرة العينين وبعض المطبوعات: «من جملة الناس». والأكسية: جمع كساء. والأردية: جمع رداء. والمنافع: جمع منفعة. والنسل: ما يكون من أولاد الأنعام. والدر: ما يكون من اللبن. وتأكلون: تتغذون وتتمتعون. وللفاصلة يعني: ليجانس لفظَ الفاصلة هذه لفظَ الفواصل التي حولها من الآيات. والمُراح: المكان تأوي إليه الأنعام. وبالغداة: في الصباح. وتحمل أي: الأنعام. والأثقال: جمع ثِقْل. وهو الإنسان وما يحتاج إليه. والرؤوف: المتعطف بالفضل. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ
شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي
سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ
مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

تستدفئون به، من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها، ﴿**وَمنافِعُ**﴾ من النسل والدرّ والركوب، ﴿**ومنها تأكُلُونَ**﴾ ٥ - قدّم الظرف للفاصلة - ﴿**ولَكُم فِيها جَمالٌ**﴾: زينة، ﴿**حِينَ تُرِيحُونَ**﴾ تردّونها إلى مُراحها بالعشيّ، ﴿**وحِينَ تَسرَحُونَ**﴾ ٦: تُخرجونها إلى المرعى بالغداة، ﴿**وتَحمِلُ أثقالَكُم**﴾: أحمالكم ﴿**إلَى بَلَدٍ، لَم تَكُونُوا بالِغيهِ**﴾: واصلين إليه على غير الإبل ﴿**إلّا بِشِقِّ الأنفُسِ**﴾: بجهدها. ﴿**إنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ٧ بكم، حيثُ خلقها لكم.

١ - ﴿**و**﴾ خلقَ ﴿**الخَيلَ والبِغالَ والحَمِيرَ، لِتَركَبُوها وزِينَةً**﴾: مفعول له - والتعليل بهما لتعريف النِّعم لا يُنافي خلقها لغير ذلك، كالأكلِ في الخيل الثابتِ في حديث الصحيحين - ﴿**ويَخلُقُ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ ٨ من الأشياء العجيبة الغريبة، ﴿**وعلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ أي: بيانُ الطريقِ المستقيم، ﴿**ومِنها**﴾ أي: السبيلِ ﴿**جائِرٌ**﴾: حائد عن الاستقامة، ﴿**ولَو شاءَ**﴾ هِدايتكم ﴿**لَهَداكُم**﴾ إلى قصد السبيل ﴿**أجمَعِينَ**﴾ ٩، فتهتدون إليه باختيار منكم.

٢ - ﴿**هُوَ الَّذِي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، لَكُم مِنهُ شَرابٌ**﴾ تشربونه، ﴿**ومِنهُ شَجَرٌ**﴾ ينبتُ بسببه، ﴿**فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾ ١٠: ترعَون دوابّكم، ﴿**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ والزَّيتُونَ والنَّخِيلَ والأعنابَ، ومِن كُلِّ الثَّمراتِ. إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لآيَةً**﴾ دالّة على وحدانيّة الله - تعالى - ﴿**لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ١١ في صُنعه فيؤمنون.

٣ - ﴿**وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ**﴾ - بالنصبِ عطفًا على ما قبله، والرفع مبتدأ - ﴿**والقَمَرَ والنُّجُومَ**﴾، بالوجهين، ﴿**مُسَخَّراتٍ**﴾، بالنصبِ حالٌ والرفع خبرٌ، ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بإرادته - ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ١٢: يتدبّرون - ﴿**و**﴾ سخّر لكم ﴿**ما ذَرَأ**﴾: خلق ﴿**لَكُم في الأرضِ**﴾، من الحيوان والنبات وغير ذلك، ﴿**مُختَلِفًا ألوانُهُ**﴾ كأحمر وأخضر وأصفر وغيرها. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ ١٣ يتّعظون.

٤ - ﴿**وهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحرَ**﴾: ذلّله لرُكوبه والغوص فيه، ﴿**لِتأكُلُوا مِنهُ لَحمًا طَرِيًّا**﴾ هو السمك، ﴿**وتَستَخرِجُوا مِنهُ حِليَةً تَلبَسُونَها**﴾ هي اللؤلؤ والمَرجان - ﴿**وتَرَى**﴾: تُبصرُ ﴿**الفُلْكَ**﴾ السُّفنَ ﴿**مَواخِرَ فِيهِ**﴾: تمخر الماء أي: تشقّه، بجريها فيه مُقبلةً ومُدبرةً بريح واحدة - ﴿**ولِتَبتَغُوا**﴾ عطفٌ على «لتأكلوا»: تطلبوا ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾ - تعالى - بالتجارة، ﴿**ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ١٤ الله على ذلك.

---

(١) الخيل: واحده فرس. والبغال: جمع بغل. وهو ابن الفرس من الحمار. والحمير: جمع حمار. والصحيحين: يعني الأحاديث ٥١٩١ و٥١٩٣ و٥٢٠٠ و٥٢٠١ و٥٢٠٤ في البخاري و١٩٤١ و١٩٤٢ في مسلم. ويخلق: ينشئ من العدم. ولاتعلمون: لاتعرفونه. وعليه أي: بيان ذلك ثابت بفضله. والسبيل: الطريق الواضح. فالسبيل قسمان: قصد - وهي طريق الحق أي: دين الإسلام - وجائرة. وهي طريق الكفر من يهودية ونصرانية ومجوسية وشرك وإلحاد. وشاء: أراد. وهداكم: وجّهكم إلى الحق وأوصلكم إليه. وأجمعين: كلكم. وباختيار منكم: بدون حاجة إلى أدلة ورسل. يعني: بل قضى بيان الطريق والدلالة عليه، ليحمل كل إنسان مسؤولية ما يختاره قصدًا باستعداداته وتدبره.

(٢) أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء أي: والثلج والبرَد والندى. والشجر: النبات. وينبت: يخرج. والزرع: ما زُرع لقوت الناس والحيوان والزينة والدواء. والزيتون: شجر يؤكل ثمره مملّحًا ويعصر منه الزيت. والنخيل: جمع نخل، شجر يثمر البلح والتمر. والأعناب: جمع عنب، شجر الكرم. والثمر: ما انعقد ونضِج من نتاج الشجر. والآية: البرهان والدلالة القاطعة. ويتفكرون: يستدلون بما يرون على كمال الألوهية، والقدرة على الخلق والإبداع.

(٣) سخرة: جعله مهيّأ لما خُلق له من الفائدة. وبالرفع يريد القراءة «والشّمسُ». والنجوم: جمع نجم. وهو الكوكب يظهر ليلًا ببريقه. وبالوجهين يعني: بالنصب كما أثبتنا، عطفًا على «الليلَ»، وبقراءة الرفع أيضًا «والقَمَرُ والنُّجُومُ»، عطفًا على «الشّمسُ». والمسخرات: الميسرات. وبالرفع يريد القراءة «مُسَخَّراتٌ». والآيات: البراهين القاطعة. ويتدبرون أي: بعقولهم هذه الآثار الدالة على وجود الصانع وتفرده. وذرأ أي: ذرأه. والألوان: جمع لون. وهو النوع والهيئة والمنظر والشكل. وفيما عدا الأصل والنسخ :كأحمر وأصفر وأخضر.

(٤) البحر: ما اجتمع من الماء الكثير. وتأكل: تتغذى وتتلذذ. واللحم: المادة العضلية الرخوة بين الجلد والعظم. والطري: الغض. وتستخرجون: تخرجون. والحلية: ما يُتزين به. وتلبسونها: تتزينون بها، خطابًا للرجال لأن أكثر ما تتزين به النساء من حليّ البحر يكون من أجلهم، فكأنها زينتهم. ثم إن بعض الرجال يتزين بذلك. والفلك: واحده بلفظه نفسه. والمواخر: جمع ماخرة. والفضل: الإحسان بتيسير المخلوقات وما فيها من قدرة على العلم والعمل والجهاد وغير ذلك. ولعلكم أي: ليُترجّي لكم. وتشكرون: تُظهرون نعم الله وتستحضرونها في نفوسكم، وتثنون عليه بالقلب واللسان والعمل. و«ذلك» يعني: تسخير البحر وما فيه ليتمكن الإنسان من الانتفاع به في مصالحه.

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١- ﴿**وألقى في الأرض رواسِيَ**﴾: جبالًا ثوابتَ، لِـ ﴿**أن**﴾ لا ﴿**تَميدَ**﴾: تتحرّك ﴿**بكُم، و**﴾ جعل فيها ﴿**أنهارًا**﴾ كالنيل، ﴿**وسُبُلًا**﴾: طُرقًا، ﴿**لعَلّكُم تهتَدُونَ**﴾ ١٥ إلى مقاصدكم، ﴿**وعَلاماتٍ**﴾ تستدلّون بها على الطرق، كالجبال بالنهار. ﴿**وبالنَّجم**﴾ بمعنى النجوم ﴿**هُم يهتَدُونَ**﴾ ١٦ إلى الطُّرق والقِبلة بالليل. ﴿**أفمَن يَخلُقُ**﴾ - وهو اللهُ - ﴿**كَمَن لا يَخلُقُ**﴾. وهو الأصنام، حتى تُشركونها معه في العبادة؟ لا. ﴿**أفلا تَذَكَّرُونَ**﴾ ١٧ هذا فتُؤمنون؟ ﴿**وإن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللهِ لا تُحصُوها**﴾ تضبطوها، فضلًا أن تُطيقوا شُكرها. ﴿**إنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ١٨، حيثُ يُنعم عليكم، مع تقصيركم وعِصيانكم.

٢- ﴿**واللهُ يَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ ١٩، والَّذِينَ تَدعُونَ**﴾، بالتاء والياء: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ - وهم الأصنام - ﴿**لا يَخلُقُونَ شَيئًا، وهُم يُخلَقُونَ**﴾ ٢٠: يُصوَّرون من الحِجارة وغيرها، ﴿**أمْواتٌ**﴾: لا روح فيهم خبرٌ ثانٍ ﴿**غيرُ أحياءٍ**﴾: تأكيد، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ أي: الأصنامُ ﴿**أيّانَ**﴾: وقتَ ﴿**يُبعَثُونَ**﴾ ٢١ أي: الخلقُ. فكيف يُعبَدون، إذ لا يكون إلٰهًا إلّا الخالقُ الحيّ العالم بالغيب؟

٣- ﴿**إلٰهُكُم**﴾: المُستحقّ للعبادة منكم ﴿**إلٰهٌ واحِدٌ**﴾: لا نظير له في ذاته ولا صِفاته. وهو الله، تعالى. ﴿**فالَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ قُلُوبُهُم مُنكِرةٌ**﴾: جاحدة للوحدانيّة، ﴿**وهُم مُستَكبِرُونَ**﴾ ٢٢: مُتكبّرون عن الإيمان بها. ﴿**لا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾، فيُجازيهم بذلك. ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ المُستَكبِرِينَ**﴾ ٢٣ بمعنى أنه يُعاقبهم.

٤- ونزل في النضر بن الحارث: ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: ما**﴾: استفهاميّة ﴿**ذا**﴾: موصولة ﴿**أنزَلَ رَبُّكُم**﴾ على مُحمّد؟ ﴿**قالُوا**﴾: هو ﴿**أساطِيرُ**﴾: أكاذيبُ ﴿**الأوَّلِينَ**﴾ ٢٤. إضلالًا للناس. ﴿**لِيَحمِلُوا**﴾ في عاقبة الأمر ﴿**أوزارَهُم**﴾: ذُنوبهم، ﴿**كامِلةً**﴾: لم يُكفَّر منها شيء ﴿**يَومَ القِيامةِ، ومِن**﴾: بعضِ ﴿**أوزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيرِ عِلمٍ**﴾، لأنهم دعَوهم إلى الضلال، فاتّبعوهم فاشتركوا في الإثم. ﴿**ألا ساءَ**﴾: بئس ﴿**ما يَزِرُونَ**﴾ ٢٥: يحملونه حِملُهم هذا!

٥- ﴿**قَد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ وهو نُمروذُ، بنَى صرحًا طويلًا ليصعد منه إلى السماء ليُقاتل أهلها، ﴿**فأتَى اللهُ**﴾: قصد ﴿**بُنيانَهُم مِنَ القَواعِدِ**﴾:

---

(١) ألقى: وضع. والرواسي: جمع الراسي. وتتحرك أي: لئلّا تضطرب أجزاؤها أو تخسف أو تزلزل. والأنهار: جمع نهر. والنيل هو النهر المشهور في مصر والسودان. والسبل: جمع سبيل. وتهتدون: تتوجهون. والعلامة: الدليل الواضح. والنجم: الكوكب يظهر في الليل ببريقه. وهم: الناس. و«تشركونها» كذا. والصواب: تشركوها. انظر «المفصل». ويخلق: يبدع الأشياء من العدم. وتذّكّرون: تستحضرون الجهل في الشرك، والنعم والأدلة، لتعرفوا الحق. وفي المطبوعات: «تَذَكَّرُونَ». والغفور: الكثيرالسترِ للذنب وعدمِ المؤاخذة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

(٢) يعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وتُسرّون: تخفونه في أنفسكم. وتعلنون: تظهرونه للناس. والمراد: يستوي في علمه ما خفي وما ظهر. وبالياء يريد القراءة «يَدْعُونَ» أي: يعبدونهم. ومن دونه: من غيره. ولايخلقونه: لايوجدونه من العدم. ويُخلقون أي: هم ذواتٌ مفتقرة إلى التخليق. والأموات: جمع ميْت. والأحياء: جمع حيّ. ولايشعرون: لايحسون. ويبعثون: يخرجون من القبور للحساب والجزاء. والضميران في الفعلين مختلفان: أولهما للأصنام والثاني للمشركين. ط: إذًا لايكون.

(٣) إلهٌ أي: معبود بحق وحده. وواحد: صفة للاسم قبلها فيها معنى التوكيد. ولا يؤمن: يكذّب ولايعترف. والقلوب: جمع قلب. وللوحدانية: لتوحيد الألوهية الثابت بما مضى من الأدلة القاطعة. والمستكبر: من يطلب من الأمور ما ليس له، فيتعالى عن الحق ويخالفه. ويجازيهم: انظر الآية ١٩. ولايحبهم: لايودهم كما يليق بذاته من الصفات، أي: يكرههم ويمقتهم.

(٤) انظر الآية ٣٢ من سورة الأنفال وسبب النزول في المفصل. وأنزل: أوحى وأمر بالتبليغ والعمل. والأساطير: جمع أسطورة. والأولون: الأمم الماضية. والناس: المقيمون في مكة والوافدون عليها. ويحملوا: يتحملوا للحساب والعقاب. والأوزار: جمع وِزر. والكاملة: التامة كما هي من دون نقص أو زيادة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب. وبعض: يعني أن «مِن»: للتبعيض. والظاهر أن «مِن» هنا: للسببية، والتقدير: وشيئًا كائنًا بسبب أوزارهم. انظر «المفصل». ويضلونهم: يسببون لهم الكفر. وبغير علم أي: جهلًا من الأتباع أن الداعين ضالون. وساء: بلغ الغاية في السوء والشر والفساد. وحملهم: مذموم مرتين.

(٥) مكر: دبر المكايد ليضل الناس. ونمروذ: ابن كنعان أحد الجبابرة في بابل، كان في عهد إبراهيم. والصرح: ما كان منه بُرج بابل. والبنيان: ما يُبنَى. والقواعد: جمع قاعدة. وهي الأصل يعتمد عليه البناء. والإساس: جمع أُسّ. وهو أصل البناء ومستقرّه. وفي ع وط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «الأساس». وخر: سقط سريعًا. والسقف: غِطاء البناء يرفع على الجدران. وأتاهم: نزل بهم. ولايشعرون: لايحتسبون ولا يتوقعون، أي: جاءهم من مكان ظنّهم الأمانَ وتجنُّبَ البلاء.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

الإساس، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته، ﴿فخَرَّ عليهِم السَّقفُ مِن فَوقِهِم﴾ أي: وهم تحته، ﴿وأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾ ٢٦: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

١- ﴿ثُمَّ يومَ القِيامةِ يُخزيهِم﴾: يُذِلّهم، ﴿ويَقُولُ﴾ لهم الله على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿أينَ شُرَكائيَ﴾ - بزعمكم - ﴿الَّذِينَ كُنتُم تُشاقُّونَ﴾: تُخالفون المؤمنين ﴿فِيهِم﴾: في شأنهم؟ ﴿قالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾، من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إنَّ الخِزيَ اليَومَ والسُّوءَ علَى الكافِرِينَ﴾ ٢٧ - يقولونه شماتةً بهم - ﴿الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ﴾، بالتاء والياء، ﴿المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾ بالكفر. ﴿فألقَوُا السَّلَمَ﴾: انقادوا واستسلموا عِند الموت قائلين: ﴿ما كُنّا نَعمَلُ مِن سُوءٍ﴾: شِرك. فتقول الملائكة: ﴿بَلَى إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ٢٨، فيُجازيكم به. ويقال لهم: ﴿فادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ فِيها. فَلَبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾ ٢٩!

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

٢- ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ: ﴿ماذا أنزَلَ رَبُّكُم؟ قالُوا: خَيرًا، لِلَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿في هٰذِهِ الدُّنيا حَسَنةٌ﴾: حياة طيّبة، ﴿ولَدارُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ﴾ من الدنيا وما فيها. قال تعالى فيها: ﴿ولَنِعمَ دارُ المُتَّقِينَ﴾ ٣٠ هي! ﴿جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامةٍ، مبتدأٌ خبرُه: ﴿يَدخُلُونَها، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ. كَذٰلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿يَجزِي اللهُ المُتَّقِينَ ٣١، الَّذِينَ﴾: نعت ﴿تَتَوَفّاهُمُ المَلائكةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الكُفر، ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلامٌ عَلَيكُمُ﴾، ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادخُلُوا الجَنّةَ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ٣٢.

٣- ﴿هَل﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الكُفّار ﴿إلّا أن تأتِيَهُمُ﴾ - بالتاء والياء - ﴿المَلائكةُ﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتِيَ أمرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ أو القيامة المشتملة عليه؟ ﴿كَذٰلِكَ﴾: كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، كذّبوا رُسلهم فأُهلكوا، ﴿وما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿ولٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ ٣٣ بالكُفر، ﴿فأصابَهُم سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ٣٤ أي: العذابُ.

---

(١) اليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «ويقول الله لهم». والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في الألوهية والطاعة. وفي شأنهم: في شأن المعبودات. والمعنى: مالهم لم يحضروا معكم ليدفعوا عنكم، كما كنتم تزعمون؟ وقال أي: في موقف الحساب. وأوتوا: أعطوا. والعلم: المعرفة اليقينية. والخزي: الهوان. والسوء: مايغم ويؤذي. واليوم: هذا الوقت. وتتوفاهم: تقبض أرواحهم. وبالياء يريد القراءة «يَتَوَفّاهُمُ» في هذه الآية. وتجب مع نظيرتها من الآية ٣٢ أيضًا. والملائكة: مَلَك الموت وأعوانه. والظالم: المتجاوز للحق يسبب لنفسه عذاب جهنم. والأنفس: جمع نفس. وألقوه: قدموه بالطوع. والسلم: الخضوع. و«عند الموت» الراجح أن قولهم هنا هو في يوم القيامة. ونعمل: نكسب ونجني. والعليم: المحيط إحاطة تامة. والأبواب: المداخل، جمع باب. والخالد: المقيم أبدًا. وفيها: في جهنم. وبئس: بلغ الغاية في السوء والبؤس والشقاء. والمتكبر: من تكلف العظمة وتشبع بذلك، وترفع أن يكون من المؤمنين الطائعين.

(٢) قيل أي: قال الذين أراد المشركون منعهم من الإيمان، ولم يستجيبوا لهم وجاؤوا يسألون المؤمنين. واتقوه: تجنبوه بالإيمان والطاعة. وأنزل: أوحى. والخير: ما فيه نفع في الدنيا والآخرة. وأحسنوا: اكتسبوا الأعمال المَرْضية إيمانًا واحتسابًا. والحسنة: البهيجة. وفُسّرت بالحياة الطيبة مكافأة على الإحسان. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. وخير: أكثر نفعًا. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم والسعادة. و«هي» يعود على الجنة قبله، وممدوح مرتين: الأولى في جنسه «دار المتقين»، والثانية في اختصاصه هنا. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل بسرعة وتتدفق. وتحتها أي: تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم من الماء والعسل واللبن والخمر. ويشاؤون: يريدونه من النعم. ويجزي: يكافئ. وتتوفاهم: انظر الآية ٢٨. وطاهرين من الكفر أي: ومن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، ومتحلِّين بالعلم والإيمان والصلاح والإحسان. و«عند الموت» الظاهر أن القول هذا وما بعده حاصل في الآخرة. والسلام: السلامةُ من كل سوء مع الأمان. وتعملون: تكتسبونه من الصالحات بالقلب أو اللسان أو سائر الجوارح.

(٣) تأتيهم: تقصدهم. وبالياء يريدالقراءة «يأتِيَهُمُ». ع: «بالياء والتاء». ويأتي: يحصل ويُقضى. وأمره: حكمه وقضاؤه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعذاب: التعذيب في الدنيا عقوبة بنصر المؤمنين أو استئصال الكافرين. وفعل أي: اكتسب بالاختيار والقصد، من نية أو قول أو عمل. وما ظلمهم أي: عاقبهم بما يستحقون، دون تجاوز للعدل. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. ويظلمونها: يعتدون عليها فيسببون لها العذاب والخسارة الأبدية. وبالكفر أي: فاستحقوا العذاب أو الاستئصال. وقبض أرواح الكفار فيه عذاب شديد أيضًا، بخلاف ما يكون للمؤمنين من طمأنينة وسعادة حين ذلك. وأصابهم: نالهم. والسيئة: ما قبح من القول والفعل، وكان فيه الشر والفساد. وعملوا: اكتسبوه قصدًا واختيارًا، من نية أو قول أو فعل. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ويستهزئ: يسخر. والعذاب تفسير لـ «ما»، أي: عذاب الدنيا بالهلاك والاستئصال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

١- ﴿**وقالَ الَّذِينَ أشرَكُوا**﴾ من أهل مكّة: ﴿**لو شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ نَحنُ ولا آباؤُنا، ولا حَرَّمْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ**﴾ من البحائر والسوائب. فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راضٍ به. قال تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ أي: كذّبوا رُسلهم فيما جاؤوا به. ﴿**فَهَل**﴾: فما ﴿**علَى الرُّسُلِ إلّا البَلاغُ المُبِينُ**﴾ ٣٥: الإبلاغ البيّن؟ وليس عليهم هداية.

٢- ﴿**ولَقَد بَعَثْنا في كُلِّ أُمّةٍ رَسُولًا**﴾، كما بعثناك في هؤلاء، ﴿**أنِ**﴾ أي: بأنِ ﴿**اعبُدُوا اللهَ**﴾: وحّدوه، ﴿**واجتَنِبُوا الطّاغُوتَ**﴾: الأوثان أن تعبدوها، ﴿**فمِنهُم مَن هَدَى اللهُ**﴾ فآمن، ﴿**ومِنهُم مَن حَقَّتْ**﴾: وَجبَتْ ﴿**عليهِ الضَّلالةُ**﴾ في علم الله، فلم يُؤمن. ﴿**فسِيرُوا**﴾ - يا كُفّار مكّة - ﴿**في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبِينَ**﴾ ٣٦ رسلَهم من الهلاك؟ ﴿**إن تَحرِصْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**علَى هُداهُم**﴾، وقد أضلّهم الله، لا تقدِرْ على ذلك ﴿**فإنَّ اللهَ لا يُهدَى**﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل - ﴿**مَن يُضِلُّ**﴾: من يُريد إضلاله، ﴿**وما لَهُم مِن ناصِرِينَ**﴾ ٣٧: مانعين من عذاب الله.

٣- ﴿**وأقسَمُوا باللهِ جَهدَ أيمانِهِم**﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها، ﴿**لا يَبعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ**﴾. قال تعالى: ﴿**بَلَى**﴾ يبعثهم، ﴿**وَعدًا عليهِ حَقًّا**﴾: مصدران مؤكّدان منصوبان بفعلهما المُقدّر، أي: وَعَدَ ذلك وحقّه حقًّا - ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٣٨ ذلك - ﴿**لِيُبَيِّنَ**﴾: مُتعلّق بـ «يبعثهم» المُقدّر، ﴿**لَهُمُ الَّذِي يَختَلِفُونَ**﴾ مع المؤمنين ﴿**فيهِ**﴾ من أمر الدِّين، بتعذيبهم وإثابة المؤمنين، ﴿**ولِيَعلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّهُم كانُوا كاذِبِينَ**﴾ ٣٩ في إنكار البعث. ﴿**إنَّما قَولُنا لِشَيءٍ، إذا أرَدْناهُ**﴾ أي: أردنا إيجاده، وقولُنا: مبتدأ خبره: ﴿**أن نَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ**﴾ ٤٠ أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفًا على «نقولَ». والآية لتقرير القُدرة على البعث.

٤- ﴿**والَّذِينَ هاجَرُوا في اللهِ**﴾: لإقامة دِينه، ﴿**مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا**﴾ بالأذى من أهل مكّة - وهم النبيّ وأصحابه - ﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُم**﴾: نُنزلنّهم ﴿**في الدُّنيا**﴾ دارًا ﴿**حَسَنةً**﴾ هي المدينة، ﴿**ولَأجرُ الآخِرةِ**﴾ أي: الجنّةُ ﴿**أكبَرُ**﴾: أعظم. ﴿**لو كانُوا يَعلَمُونَ**﴾ ٤١ أي: الكُفّار، أو المُتخلّفون عن الهِجرة، ما للمُهاجرين من الكرامة لوافقوهم. هم ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على أذى المُشركِينَ والهِجرة لإظهار الدِّين، ﴿**وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**﴾ ٤٢، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون.

---

(١) أشرك: جعل بعض المخلوقات شريكًا لله في التقديس والطاعة. وشاء: أراد مَنْعَ إشراكنا وتحريمِنا. وعبدنا: قدسنا وأطعنا. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. ومن دونه أي: بغير إرادته. والبحائر والسوائب: انظر الآية ١٠٣ من سورة المائدة. والاحتجاج بالمشيئة تهرب من المسؤولية وإنكار للإصلاح، وما زال يتردد على ألسنة كثير من المسلمين جهلًا أو مكابرة أو مغالطة. والرسل: جمع رسول.

(٢) بعثناه: أرسلناه بالوحي للتبليغ والعمل. والأمة: الجماعة من الناس. واجتنبوها: اتركوا عبادتها والزموا التوحيد. والطاغوت: كل ما يُعبد من المخلوقات. وهداه: صرف قدراته إلى ما يناسب استعداده الطيب واختياره الحسن. ووجبت: ثَبَتَت لِما في نفسه من الإصرار على الكفر. والضلالة: الانصراف إلى التكذيب والشرك. وفي علم الله أي: في علمه القديم أن هذا الإنسان لن يصغي إلى الحق، ويصرُّ على المكابرة. وسيروا: تنقلوا للنظر والاعتبار. وانظروا: تفكروا. والعاقبة: النهاية. والهلاك: بالطوفان والزلازل والريح العقيم. وتحرص: ترغب وتجتهد. والهدى: الرشاد إلى الإيمان والتوفيق فيه. وأضلهم: أمدّهم بما يناسب اختيارهم الخبيث واستعدادهم السيئ. و«لا تقدر على ذلك» انظر «المفصل». وللفاعل يريد القراءة «لايَهدِي». والإضلال: إمداد الإنسان بالبعد عن الإيمان، وصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره.

(٣) الأيمان: جمع يمين. وهو القسم. انظر سبب النزول في المفصل. ولايبعثه: لايحييه بعد موته. وحقَّ: أوجب عليه حِكمةً وعدلًا. وأهل مكة أي: وغيرها. ولايعلمون: يجهلون لعدم تفكّرهم بالأدلة القاطعة. ويبين: يوضح. والمقدر: المحذوف بعد «بلى». و«مع المؤمنين» و«بتعذيبهم» الصواب إسقاطُ «مع المؤمنين»، وقولُ: «بتعذيب الكافرين»، ليستقيم المراد. ويعلم: يدرك يقينًا. والكاذب: من يقول الباطل. وأردنا: شئنا. ونقول له أي: نقضي خلقه. وليس هناك قول ولامقول له، ولا مأمور يطلب وجوده حتى يوجه إليه الأمر. إنما هو إرادة وحصول معًا. وكن أي: احدُثْ. ويكون: يحدث. انظر الآية ١٧ من سورة البقرة. وفي هذا كناية عن سرعة الخلق بمحض المشيئة والقدرة. وبالنصب يريد القراءة «فيَكُونَ».

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. وذكر السيوطي للنبي ﷺ يشعر أن الآيتين مدنيتان نزلتا بعد هجرته، خلافًا لما ذكره في مستهل تفسير السورة. وهاجروا: انتقلوا من مكة إلى غيرها. وفي الله: لأجل رضاه وإظهار دينه. وظلموا: أصابهم العدوان. والحسنة: التي فيها الخير والسيادة. والأجر: الثواب. وأكبر أي: من الأجر في الدنيا. ويعلمون: يدركون باليقين. وصبروا: تحملوا. وعليه يتوكلون: يفوّضون أمرهم إليه وحده.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ
اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

١- **﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا يوحى إليهم﴾** لا ملائكةً - **﴿فاسألوا أهل الذكر﴾**: العلماء بالتوراة والإنجيل، **﴿إن كنتم لا تعلمون﴾** ٤٣ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المُؤمنين بمُحمّد - **﴿بالبيّنات﴾**: مُتعلّق بمحذوف أي: أرسلناهم بالحُجج الواضحة، **﴿والزُّبُر﴾**: الكُتب، **﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾**: القرآن، **﴿لِتُبيِّن للنّاس ما نُزِّل إليهم﴾** فيه من الحلال والحرام، **﴿ولعلّهم يتفكّرون﴾** ٤٤ في ذلك فيعتبرون.

٢- **﴿أفأمِن الّذين مكروا﴾** المَكراتِ **﴿السّيّئات﴾** بالنبيّ في دار الندوة، من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذُكر في «الأنفال»، **﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾** كقارونَ، **﴿أو يأتيهم العذابُ من حيثُ لا يشعُرون﴾** ٤٥ أي: من جهةٍ لا تخطر ببالهم، وقد أُهلكوا ببدر ولم يكونوا يُقدّروا ذلك، **﴿أو يأخُذهم في تقلُّبهم﴾** في أسفارهم للتجارة - **﴿فما هُم بمُعجِزين﴾** ٤٦: بفائتين العذابَ - **﴿أو يأخُذهُم على تخوُّفٍ﴾**: تنقّصٍ شيئًا فشيئًا حتّى يَهلِكَ الجميعُ؟ حال من الفاعل أو المفعول. **﴿فإنّ ربّكُم لرؤوفٌ رحيمٌ﴾** ٤٧، حيثُ لم يُعاجلهم بالعُقوبة.

الحزب ٢٨ سجدة

٣- **﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيءٍ﴾**، له ظِلّ كشجرة وجبل، **﴿تتفيّأُ﴾**: تتميّلُ **﴿ظِلالُهُ عن اليمين والشّمائل﴾**: جمع شِمال، أي: عن جانبيها أوّلَ النهار وآخِره، **﴿سُجّدًا لله﴾**: حالٌ أي: خاضعين بما يُراد منهم، **﴿وهُم﴾** أي: الظّلال **﴿داخِرون﴾** ٤٨ صاغرون؟ نُزّلوا منزلة العُقلاء. **﴿ولله يَسجُدُ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ، من دابّةٍ﴾** أي: نسمة تدبّ عليها، أي: يخضع له بما يراد منه - وغُلّب في الإتيان بـ «ما» ما لا يعقل لكثرته - **﴿والمَلائكةُ﴾**، خصّهم بالذكر تفضيلًا، **﴿وهُم لا يستكبِرُونَ﴾** ٤٩: يتكبّرون عن عِبادته، **﴿يَخافُونَ﴾** أي: الملائكةُ: حالٌ من ضمير "يستكبرون" **﴿ربَّهُم مِن فوقِهِم﴾**: حالٌ منهم، أي عاليًا عليهم بالقهر، **﴿ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ﴾** ٥٠ به.

٤- **﴿وقالَ الله: لا تتّخذوا إلٰهينِ اثنينِ﴾**: تأكيد. **﴿إنّما هوَ إلٰهٌ واحدٌ﴾** - أتى به لإثبات الإلٰهيّة والوحدانيّة. **﴿فإيّايَ فارهَبُونِ﴾** ٥١: خافونِ دُون غيري. وفيه التفات عن الغَيبة - **﴿ولهُ ما في السّماواتِ والأرضِ﴾** مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، **﴿ولهُ الدِّينُ﴾**: الطاعةُ **﴿واصِبًا﴾** دائمًا: حالٌ من «الدِّين» والعاملُ فيه معنى الظرف. **﴿أفغيرَ اللهِ تتّقُونَ﴾** ٥٢، وهو الإلٰه الحقّ ولا إلٰه غيره؟ والاستفهام للإنكار أو للتوبيخ.

٥- **﴿وما بِكُم مِن نِعمةٍ فمِنَ اللهِ﴾** لا يأتي بها غيره - وما: شرطيّة أو موصولة - **﴿ثُمّ إذا مسّكُمُ﴾**: أصابكم **﴿الضُّرُّ﴾**: الفقرِ والمرض **﴿فإليهِ تجأرُونَ﴾** ٥٣: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تَدْعُون غيره، **﴿ثُمّ إذا كشفَ الضُّرَّ عنكُم إذا فريقٌ مِنكُم بِربِّهِم يُشرِكُونَ﴾** ٥٤، **لِيَكفُرُوا بِما**

---

(١) كان مشركو مكة ينكرون النبوة، ويقولون تعنتًا ومكابرة: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا. فهلّا بعث إلينا ملَكًا. فنزلت الآيات ٤٣-٤٧. الواحدي ص ٢٨٤. وانظر الآية ١٠٩ من سورة يوسف. وأرسلناه: بعثناه ليبلغ العقيدة والشريعة مع العمل. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من الناس. ويوحى إليهم: يبلّغهم جبريل أمر الله. وفيما عدا الأصل والنسخ: «نُوحِي». واسألوهم: اطلبوا منهم أن يعلموكم الحقيقة. والخطاب لمشركي مكة. والذكر: الكتب السماوية المتقدمة. ولا تعلمون: تجهلون حقائق النبوة. والزبر: جمع زَبور. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. وتبين: توضّح. ونُزِّل: أوحي على دفعات. ويتفكرون: يتدبرون الوحي ليدركوا دلالته على التوحيد. (٢) أمن: سلم ولم يخف. ومكر: احتال. والأنفال: يعني الآية ٣٠ من تلك السورة. ويخسف الأرض: يزلزلها ويغيبهم فيها. ولايشعرون: لايحسون خطرًا ولايتوقعون. و«يقدروا» كذا بحذف النون. انظر «المفصل». ويأخذهم: يهلكهم عقوبة. والتقلب: التنقل. والرؤوف: الكثير الرأفة. والرحيم: الكثير الرحمة. وهي العطف بالإحسان. (٣) يروا: ينظروا. وخلق: أوجد من العدم. وتتميل أي: وتتنقل من جانب إلى آخر. والظلال: جمع ظِلّ. واليمين: يمين الظل. والشمال: شماله. والمراد جميع الجهات. والسجد: جمع ساجد. وهو الخاضع للإرادة والتسيير. والصاغر: الذليل. والنسمة: ما فيه حياة من المخلوقات. وتدب: تتحرك. والظاهر أن المراد ما في السماوات والأرض معًا. تفسير الراز ي ٧: ٢١٧ و٩: ٢٩٩. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. ويخافونه: يعظمونه ويطلبون رضاه. ويفعل: ينفّذ. (٤) قال أي: أمر وفرض. وتتخذوا: تعبدوا وتقدسوا. وواحد أي: متفرد لامثيل له. ومعنى الظرف أي: الاستقرار المفهوم من «له»، وهو «استقرَّ». وتتقونه: تخافونه وتطلبون رضاه. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «والتوبيخ»، وهو الصواب. فالمعنيان واحد فقط، هو الإنكار التوبيخي للتقريع والتبكيت على ما يقوم به الكفرة من الشرك، بعد ما عرفوا من تفرد الله بالملك والطاعة. (٥) النعمة: الحال الحسنة من متاع أو زينة. ومن الله: من عنده وبتفضله. فالتوبيخ يزداد تحققه بوجود هذا الإنعام وما بعده من الاستغاثة حين البلاء. والضر: ما يؤذي ويؤلم، ومنه الفقر والمرض. وفي الفتوحات عن إحدى النسخ: «ولا تدعون لغيره»، وأنه على تضمين «تدعون» معنى: تلجؤون. وفيه أيضًا أن اللام بمعنى: إلى. وكشفه: رفعه وأزاله. والفريق: الجماعة. ويشركون به: يعبدون معه بعض مخلوقاته تقديسًا وطاعة. ويكفر بها: يجحدها وينكر أنها من عند الله، ويعبد بعض المخلوقات شكرًا عليها. وآتيناهم: أعطيناهم إياه. وتمتعوا: انتفعوا وتلذذوا. وتعلمون: تدركون باليقين والمعاينة.

لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

آتيناهم﴾ من النِّعمة. ﴿**فتمتَّعوا**﴾ باجتماعكم على عِبادة الأصنام. أمر تهديد. ﴿**فسوف تعلمونَ**﴾ ٥٥ عاقبة ذلك.

١- ﴿**ويجعلُونَ**﴾ أي: المُشركون ﴿**لِما لا يعلَمُونَ**﴾ أنها تضرّ ولا تنفع - وهي الأصنام - ﴿**نَصيبًا مِمّا رَزَقْناهُم**﴾ من الحرث والأنعام، بقولهم: «هٰذا لِلّهِ... وهٰذا لِشُركائنا». ﴿**تاللهِ لَتُسألُنَّ**﴾ سُؤالَ توبيخ، وفيه التفات عن الغَيبة، ﴿**عَمّا كُنتُم تفترُونَ**﴾ ٥٦ على الله، من أنه أمركم بذلك! ﴿**ويَجعلُونَ للهِ البَناتِ**﴾ بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله - ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عمّا زعموا - ﴿**ولَهُم ما يَشتَهُونَ**﴾ ٥٧ أي: البنون. والجُملة في محلّ رفع، أو نصب بـ «يجعل». المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء التي يختارونها فيختصّون بالأسنى، كقوله: «فاستفتِهِم: أَلِرَبِّكَ البَناتُ ولَهُمُ البَنُونَ»؟

٢- ﴿**وإذا بُشِّرَ أحَدُهُم بالأنثَى**﴾ تُولد له ﴿**ظَلَّ**﴾: صار ﴿**وَجهُهُ مُسوَدًّا**﴾: مُتغيّرًا تغيّر مُغتمّ، ﴿**وهُوَ كَظِيمٌ**﴾ ٥٨: ممتلئ غمًّا. فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ ﴿**يَتوارَى**﴾: يختفي ﴿**مِنَ القَومِ**﴾ أي: قومه، ﴿**مِن سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ**﴾، خوفًا من التعيير مُتردّدًا فيما يفعل به، ﴿**أيُمسِكُهُ**﴾: يتركه بلا قتل ﴿**على هُونٍ**﴾: هوانٍ وذُلّ، ﴿**أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ**﴾ بأن يئدَه؟ ﴿**ألا ساءَ**﴾: بئس ﴿**ما يَحكُمُونَ**﴾ ٥٩ حُكمُهم هذا، حيثُ نسبوا لخالقهم البنات اللّاتي هي عِندهم بهذا المحلّ!

٣- ﴿**لِلَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ**﴾ أي: الكفّار ﴿**مَثَلُ السَّوءِ**﴾ أي الصفةُ السَّوءَى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البناتِ مع احتياجهم إليهنّ للنكاح، ﴿**ولِلهِ المَثَلُ الأعلَى**﴾ الصفةُ العُليا - وهو أنه لا إلٰه إلّا هو - ﴿**وهُوَ العَزيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٦٠ في خلقه، ﴿**ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلْمِهِم**﴾: بالمعاصي ﴿**ما تَرَكَ عَلَيها**﴾ أي: الأرضِ ﴿**مِن دابّةٍ**﴾: نسمةٍ تدِبّ عليها، ﴿**ولٰكِن يُؤَخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسَمًّى، فإذا جاءَ أجَلُهُم لا يَستأخِرُونَ**﴾ عنه ﴿**ساعةً ولا يَستقدِمُونَ**﴾ ٦١ عليه. ﴿**ويَجعلُونَ للهِ ما يَكرَهُونَ**﴾ لأنفُسهم من البناتِ والشريكِ في الرياسة وإهانةِ الرسل، ﴿**وتَصِفُ**﴾: تقول ﴿**ألسِنَتُهُمُ**﴾ مع ذلك ﴿**الكَذِبَ**﴾، وهو ﴿**أنَّ لَهُمُ الحُسنَى**﴾ عِند الله أي: الجنّةَ، كقوله: «ولَئِنْ رُجِعتُ إلى رَبِّي إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنَى». قال تعالى: ﴿**لا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّ لَهُمُ النّارَ، وأنَّهُم مُفرَطُونَ**﴾ ٦٢: متروكون فيها أو مُقدّمون إليها. وفي قراءة بكسر الراء أي: مُتجاوِزون الحدَّ.

٤- ﴿**تاللهِ لَقَد أرسَلنا إلى أُمَمٍ مِن قَبلِكَ**﴾ رُسلًا، ﴿**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم**﴾ السيّئة، فرأوها حسنة فكذّبوا الرسل! ﴿**فهُوَ وَلِيُّهُم**﴾: مُتولّي أُمورهم ﴿**اليَومَ**﴾ أي: في الدنيا، ﴿**ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٦٣: مُؤلم في الآخِرة. وقيل: المُراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي: لا

---

(١) يجعلون: يصيّرون. ولايعلمون أي: ليس عندهم علم يقيني. والنصيب: القدر المعيّن. ورزقناهم: أعطيناهم. والحرث: ثمار الزرع وحبوبه. والأنعام: جمع نَعَم. وهو الإبل والبقر والغنم. وبقولهم يعني: الآية ١٣٦ من سورة الأنعام. وتُسألون: يطلب منكم يوم القيامة استحضار ما فعلتم. وتفترون أي: تختلقونه وتكذبونه. ويجعلون له: ينسبون إليه الأبوة. والبنات أي: الملائكة. وما يشتهون: ما تميل إليه نفوسهم. والأسنى: الأرفع أي: الذكور. وفي النسختين: «فيختصون بالأبناء». وكقوله يعني: الآية ١٩٤ من سورة الصافات. (٢) بُشّر: أُخبر. وفي هذا تهكم واستهزاء. والكظيم: الحابس للغيظ والغضب. والسوء: القبح والأذى. ويمسكه: يبقيه حيًّا. ويدس: يطمر. ويئده: يدفنه وهو حي. وقد كانت بعض القبائل في الجاهلية تئد ما يولد لها من البنات، خوف العار والفقر، وتخلصًا مما لايستطيع الدفاع عن نفسه. وساء: بلغ الغاية في السوء والفساد والشر. ويحكمون أي: يختلقونه من الأحكام ويعملون به. والمحل أي: المنزلة من المهانة. (٣) العليا: التي تفوق كل صفة كريمة. والعزيز: الغالب القهار لما سواه. والحكيم: البالغ الإتقان بوضع الأشياء في مواضعها. ويؤاخذ: يعاقب ويهلك. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه كالكفر والمعصية. وما تركها: أفناها. والنسمة: مافيه حياة من الخلق. وتدب: تمشي أو تتحرك. ويؤخرهم: يرجئ عقابهم. والأجل: الوقت المحدد لنهاية الشيء. والمسمى: المعين عند الله. وجاء: أتى وقتُ حصوله. ويستأخرون: يتأخرون. والساعة: القليل من الزمن. ويستقدمون: يتقدمون. وانظر آخر الآية ٣٤ من سورة الأعراف. ويجعلون لله: ينسبون إليه ويصفونه. ويكرهون أي: يبغضونه. والألسنة: جمع لسان. والكذب: ما هو مختلق. وكقوله يعني: ما في الآية ٥٠ من سورة فصلت. وفي النسخ: «مُترَكون». وبكسر الراء يريد القراءة «مُفرِطُونَ». (٤) تالله: قسم وتعجب مما فعل الكافرون بأنفسهم. وأرسلناهم: بعثناهم على لسان جبريل لتبليغ التوحيد والشريعة والعمل بهما. والأمم: جمع أمة. وهي الجماعة من الناس على دين واحد. وزينها لهم: حسّنها وجعلها محبوبة لديهم. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجن أو الإنس. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. واليوم: الوقت. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. وهو أي: الشيطان. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل، مع التكفل بالحفظ وتيسير التبليغ. وتبين: توضح وتفسر بالقول والعمل. واختلفوا: تنازعوا وتخاصموا. والهدى: الإرشاد إلى الحق والخير. وعطف: يعني أن «هدى»: معطوف على محل الجار والمجرور في «التبين»، ومحلهما النصب. فهو منصوب بالفتحة المقدرة على الألف المحذوفة لفظًا لالتقائها بسكون التنوين. والرحمة: العطف بالإحسان والخير والنعم. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدّقون ويتيقنون. وبه أي: بالقرآن أنه حق من عند الله.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وليّ لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟ ﴿وما أنزَلْنا علَيكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿**الكِتابَ**﴾: القُرآن ﴿**إلّا لِتُبيِّنَ لَهُمُ**﴾: للناس ﴿**الَّذِي اختَلَفُوا فِيهِ**﴾، من أمر الدِّين، ﴿**وهُدًى**﴾ - عطف على «لتبيّن» - ﴿**ورَحْمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٦٤ به.

١- ﴿**واللهُ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحْيا بِهِ الأرضَ**﴾ بالنبات ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾: يُبسِها. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآيَةً**﴾ دالّة على البعث، ﴿**لِقَومٍ يَسمَعُونَ**﴾ ٦٥ سماعَ تدبّر، ﴿**وإنَّ لَكُم في الأنعامِ لَعِبْرةً**﴾: اعتبارًا، ﴿**نُسقِيكُم**﴾ - بيانٌ للعِبرة - ﴿**مِمّا في بُطُونِهِ**﴾ أي: الأنعامِ، ﴿**مِن**﴾: للابتداء مُتعلّقة بـ «نُسقيكم» ﴿**بَينِ فَرْثٍ**﴾: ثُفل الكَرِش ﴿**ودَمٍ، لَبَنًا خالِصًا**﴾: لا يشوبه شيء من الفرث والدم، من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما، ﴿**سائغًا لِلشّارِبِينَ**﴾ ٦٦: سهلَ المُرُور في حلقهم لا يُغَصّ به، ﴿**ومِن ثَمَراتِ النَّخِيلِ والأعنابِ**﴾ ثمرٌ، ﴿**تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا**﴾: خمرًا يُسكِر، سُمّيتْ بالمصدر - وهذا قبل تحريمها - ﴿**ورِزقًا حَسَنًا**﴾ كالتمر والزَّبيب والخلّ والدِّبْس. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآيَةً**﴾ دالّة على قُدرته - تعالى - ﴿**لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ٦٧: يتدبّرون.

٢- ﴿**وأَوحَى رَبُّكَ إلَى النَّحلِ**﴾، وحْيَ إلهام، ﴿**أنِ**﴾: مُفسّرةٌ أو مصدرية ﴿**اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا**﴾، تأوين إليها، ﴿**ومِنَ الشَّجَرِ**﴾ بُيوتًا، ﴿**ومِمّا يَعرِشُونَ**﴾ ٦٨ أي: الناسُ يبنون لكِ من الأماكن - وإلّا لم تأوِ إليها - ﴿**ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، فاسلُكِي**﴾: ادخلي ﴿**سُبُلَ رَبِّكِ**﴾: طُرقَه في طلب المرعى، ﴿**ذُلُلًا**﴾: جمع ذلولٍ، حالٌ من السبل أي: مُسخّرةً لكِ، فلا تعسُرَ عليكِ وإن توعّرتْ، ولا تضلّي عن العود منها وإن بعدتْ. وقيل: من الضمير في «اسلكي» أي مُنقادةً لِما يُراد منكِ. ﴿**يَخرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ**﴾ هو العسل، ﴿**مُختَلِفٌ ألوانُهُ، فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ**﴾ من الأوجاع، قيل: لبعضها كما دلّ عليه تنكير «شفاء»، أو لكُلّها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بِنيّته. وقد أمر به ﷺ مَن استُطلِقَ بطنُه. رواه الشيخانِ. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ٦٩ في صُنعه، تعالى.

٣- ﴿**واللهُ خَلَقَكُم**﴾ ولم تكونوا شيئًا، ﴿**ثُمَّ يَتَوَفّاكُم**﴾ عِند انقضاء آجالكم، ﴿**ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلَى أرذَلِ العُمُرِ**﴾ أي: أخسّه من الهرم والخرف، ﴿**لِكَيلا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئًا**﴾. قال عِكرِمة: مَن قرأ القرآن لم يصِر بهذه الحالة - ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ**﴾ بتدبير خلقه، ﴿**قَدِيرٌ**﴾ ٧٠ على ما يُريده - ﴿**واللهُ فَضَّلَ بَعضَكُم على بَعضٍ في الرِّزقِ**﴾، فمنكم غنيّ وفقير ومالك ومملوك، ﴿**فما الَّذِينَ فُضِّلُوا**﴾ أي: الموالي ﴿**بِرادِّي رِزقِهِم على ما مَلَكَت أيمانُهُم**﴾، أي: بجاعلي ما رزقناهم من الأموالِ وغيرِها شركةً بينهم وبين مماليكهم، ﴿**فهُم**﴾ أي: المماليك والموالي ﴿**فِيهِ سَواءٌ**﴾: شُركاءُ.

---

(١) أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والآية: البرهان. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. والعبرة: ما يكون به الاتعاظ. ونسقيكم إياه: نهيئه لتشربوه. والبطون: جمع بطن. وهو يحوي ماتكرهه النفوس من أخلاط مستقذرة. ومن بين فرث ودم أي: من بين أجزاء الفرث فأجزاء الدم. أعني ما يستخلص من تلك الأجزاء في باطن الحيوان. فاللبن خلق متميز تولد من بعض تلك الأجزاء. انظر ماقاله الرازي في تفسيره ٧: ٢٣٢-٢٣٤. وثُفل الكرش: ما يتبقى من الطعام، بعد امتصاص ما فيه. والخالص: الصافي الطاهر المعقَّم. والثمرات: جمع ثمرة. والنخيل: شجر البلح. والأعناب: جمع عنب. وتتخذون: تحصّلون. والرزق: ما يخلقه الله غذاء ومتاعًا. والحَسن: ما يَسُرّ. ويعقلون: يستعملون عقولهم . **(٢)** النحل: واحدته نحلة. ووحي إلهام أي: قدّر في نفسها وفطرتها ما سُخّرت له من العمل. واتخذي: اجعلي. والجبال: جمع جبل. والبيوت: جمع بيت. والشجر: واحدته شجرة. والسبل: جمع سبيل. والمسخرة: الميسّرة. ويخرج: يظهر. والبطون: جمع بطن. والشراب: ما يُشرب. ومختلف أي: متفرقة متفاوتة. والألوان: جمع لون. وهو الشكل والصفات. وفيه: في تناوله. والشفاء: البرء من المرض. وبضميمته: بمزجه. وبدونها أي: بدون مزج. وبنيته: مع نية الشفاء. واستطلق بطنه: أصابه إسهال شديد. والشيخان أي: الأحاديث ٥٣٦٠ و٥٣٨٦ في البخاري و٢٢١٧ في مسلم، ويتفكرون: يتدبرون تلك النعم ، ليعلمواحقيقة الألوهية. **(٣)** خلقكم: أوجدكم وأوجد فيكم الحياة. ويتوفاكم: يقبض أرواحكم. ويُردّ: يُنقل ويحول. وأرذله: آخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل النطق والفكر والحركة والإرادة، وليس هذا مقيَّدًا بسنّ معينة. فقد يكون بسنوات أو عقود أو قرون، كما كان في الأمم القديمة. ويعلم: يدرك. وللتركيب هذا معنيان: الأول هو الكناية عن سرعة النسيان، إذ يصير الإنسان ضعيف الذاكرة، بحيث إذا اكتسب علمًا بشيء لم يلبث أن ينساه. والثاني هوالعجز عن الإدراك والفهم، بعد ما كان من تعلّم كثير. والمعنيان مقصودان معًا في النظم الكريم، لا يفضل أحدهما على الآخر، وهما حاصلان بكثرة في حياة الناس، كما هو معلوم. انظر الآية ٥ من سورة الحج. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة بدقائق الأمور وعظائمها. والقدير: البالغ القدرة والتمكن. وفضلهم: ميّزهم بشيء من الصحة أو القدرات أو الغنى والجاه. والبعض: الواحد أو الأكثر. والرزق: مايهيّأ للإنسان من النعم. والموالي: جمع مولى. وهوالسيد المالك لغيره. والراد: المحوّل. والأيمان: جمع يمين. وهي اليد اليمنى. والسواء: المتساوون. والنعمة: الإنعام بما ينفع. وجعل: خلق. ومن أنفسكم أي: من جنسكم. والأزواج: جمع زوج. وهي المرأة. وكون حواء من ضلع آدم قول ضعيف غير ثابت. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١ من سورة النساء. وسائر الناس: بقيتهم عدا آدم وعيسى. والبنون: جمع ابن. والحفدة: جمع حافد. ويشمل الذكر والأنثى. ورزقكم: هيأ لكم. والطيب: ما يُستلذ من الطعام وغيره. والباطل: ما بُني على الكذب والوهم. ويؤمن: يعتقد ويصدق. ويكفر: يكذّب، أي: ينسبون النعم إلى الآلهة المزعومة، وينكرون أن الفضل لله وحده.

الجزء الرابع عشر سورة النحل

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

المعنى: ليس لهم شُركاء من مماليكهم في أموالهم. فكيف يجعلون بعض مماليك الله شُركاءَ له؟ ﴿أفبِنِعْمةِ اللهِ يَجحَدُونَ﴾ ٧١: يكفرونَ، حيثُ يجعلون له شُركاء؟ ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا﴾، فخلق حوّاءَ من ضِلَع آدمَ، وسائرَ الناس من نُطف الرجال والنساء، ﴿وجَعَلَ لَكُم مِن أزواجِكُم بَنِينَ وحَفَدةً﴾ أولادَ الأولادِ، ﴿ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ﴾، من أنواع الثمار والحُبوب والحيوان. ﴿أفبِالباطِلِ﴾: الصنمِ ﴿يُؤمِنُونَ، وبِنِعْمةِ اللهِ هُم يَكفُرُونَ﴾ ٧٢ بإشراكهم؟

ربع الحزب ٢٨

١- ﴿ويَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَملِكُ لَهُم رِزقًا، مِنَ السَّماواتِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات، ﴿شَيئًا﴾: بدل من «رزقًا»، ﴿ولا يَستَطِيعُونَ﴾ ٧٣: يقدرون على شيء. وهم الأصنام. ﴿فلا تَضرِبُوا لِلهِ الأمثالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أشباهًا، تُشركوهم به. ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ﴾ أنْ لا مِثلَ له، ﴿وأنتُم لا تعلَمُونَ﴾ ٧٤ ذلك.

٢- ﴿ضَرَب اللهُ مَثَلًا﴾، ويُبدل منه: ﴿عَبدًا مَملُوكًا﴾: صفةٌ تُميّزه من الحُرّ فإنه عبدُ الله، ﴿لا يَقدِرُ علَى شَيءٍ﴾ لعدم مُلكه، ﴿ومَن﴾: نكرةٌ موصوفة أي: حُرًّا ﴿رَزَقْناهُ مِنّا رِزقًا حَسَنًا، فهْوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وجَهْرًا﴾ أي: يتصرّف فيه كيف يشاء؟ والأوّل مَثَل الأصنام والثاني مَثَله تعالى - ﴿هَل يَستَوُونَ﴾ أي: العبيد العَجَزة والحُرّ المُتصرّف؟ لا. ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ وحده. ﴿بَل أكثَرُهُم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ٧٥ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون - ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾، ويُبدل منه: ﴿رَجُلَينِ، أحَدُهُما أبكَمُ﴾ وُلدَ أخرسَ، ﴿لا يَقدِرُ علَى شَيءٍ﴾ لأنه لا يَفهَم ولا يُفهِم، ﴿وهْوَ كَلٌّ﴾: ثقيل ﴿علَى مَولاهُ﴾: وليّ أمره، ﴿أينَما يُوَجِّهْهُ﴾: يُصرّفه ﴿لا يأتِ﴾ منه ﴿بِخَيرٍ﴾: بنُجح - وهذا مَثَل الكافر - ﴿هَل يَستَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكمُ المذكور ﴿ومَن يأمُرُ بِالعَدلِ﴾ أي: ومَن هو ناطق، نافع للناس حيثُ يأمر به ويحثّ عليه، ﴿وهْوَ علَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾ ٧٦، وهو الثاني المؤمن؟ لا. وقيل: هذا مَثَلٌ لله والأبكمُ للأصنام، والذي قبله للكافر والمُؤمن.

٣- ﴿ولِلهِ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿وما أمرُ السّاعةِ إلّا كَلَمحِ البَصَرِ، أو هُوَ أقرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ «كُنْ، فيَكُونُ» - ﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ٧٧- واللهُ أخرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُم، لا تَعلَمُونَ شَيئًا﴾ - الجملة: حال - ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع، ﴿والأبصارَ والأفئِدةَ﴾: القلوب، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ٧٨ه على ذلك فتُؤمنون.

٤- ﴿ألَم يَرَوا إلَى الطَّيرِ مُسَخَّراتٍ﴾: مُذلَّلاتٍ للطيران، ﴿في جَوِّ السَّماءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض، ﴿ما يُمسِكُهُنَّ﴾ عند قبض

---

(١) يعبد: يقدس ويطيع في المعاصي. ويملكه: ينفرد بحيازته والتصرف فيه. والرزق: ما يهيأ من المتاع والزينة. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمطر بعض رزق السماء، والنبات بعض رزق الأرض. ومعهما نعم كثيرة لا تحصى. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده أو متوهم. و«هم» هذا تفسير لـ «ما». والأمثال: جمع مِثل. وهو الشبيه والمثيل. والمراد: لاتجعلوا معي إلٰهًا آخر، فإنه لا إلٰه غيري. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة بدقائق الأمور وخفاياها. ولا تعلمون: لاتدركون ولاتعرفون.

(٢) ضرب: وضّح وبيّن. والمَثَل: ما يُذكر لبيان شيء يشبهه. والعبد: المخلوق من البشر. والمملوك: من يملكه إنسان آخر فهو سيده. ولا يقدر: لايستطيع بدون إذن سيده. ونكرة موصوفة: يعني أن التقدير: إنسانًا ما مرزوقًا. ورزقناه: أعطيناه. ومنا أي: بفضلنا. والحَسن: انظر الآية ٦٧. وينفق: يبذل. وسرًّا: من دون أن يطلع أحدًا. وجهرًا: بإطلاع الناس. ويستوون: يكونون متساوين في القدرة والعمل والمنزلة. والحمد: الثناء على الفضل والإنعام. وأهل مكة أي: وغيرها أيضًا. ولايعلمون: يجهلون. والبَكَم أيضًا: عمى بالولادة وعجز عن الإبانة وبلاهة. ويصرّفه: يرسله في حاجة. ولايأتي به: لايرجع به. والنجح: النجاح. ويأمر بالعدل: يحكم بالحق ويوجّه الناس. والمستقيم: المعتدل.

(٣) السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وما غاب فيهما يعني: ما اختفى عن حواس المخلوقات وإدراكها. والأمر: الشأن والحال. والساعة: وقت إماتة الأحياء أو إحياء جميع الأموات. وأمرها أي: شأن حدوثها عند الله. ولمح البصر: فتح العين للإبصار. وهو: أمر الساعة. وأقرب منه: أسرع من لمح البصر. وبلفظ: يعني أن المراد يحصل فور إرادة الله قضاءه. انظر الآية ٤٠. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والقدير: البالغ القدرة. وأخرجكم: قدّر إخراجكم. والبطون: جمع بطن. والمراد به الرَّحِم. والأمهات: جمع أم. ولا تعلمونه: تجهلونه كل الجهل. وجعل: خلق. والأبصار: جمع بصر. والأفئدة: جمع فؤاد. والمراد هو قدرات الإدراك والتفهم والإرادة. وتشكرونه: تستحضرون النعم وتذكرونها بالثناء عليه.

(٤) الطير: مفرده طائر. وهو الحيوان الذي له جناحان. والجو: الفضاء الواسع. ويمسكهن: يحفظهن حين الطيران. وأن يقعن أي: لمنعهن من الوقوع. والآية: البرهان القاطع. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. ويؤمنون: يصدّقون الحق ويقرون به.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

أجنحتهنّ وبسطها أن يَقَعْنَ ﴿**إلّا اللهُ**﴾ بقُدرته؟ ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لَقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٧٩، هي خلقُها بحيثُ يُمكنها الطيران، وخلقُ الجوّ بحيثُ يُمكن الطيرانُ فيه، وإمساكُها.

١ - ﴿**واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيُوتِكُم سَكَنًا**﴾: موضعًا تسكنون فيه، ﴿**وجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتًا**﴾، كالخيام والقِباب، ﴿**تَستَخِفُّونَها**﴾ للحمل ﴿**يومَ ظَعنِكُم**﴾: سفركم ﴿**ويومَ إقامَتِكُم، ومِن أصوافِها**﴾ أي: الغنم، ﴿**وأوبارِها**﴾ أي: الإبلِ، ﴿**وأشعارِها**﴾ أي: المعزِ ﴿**أثاثًا**﴾: متاعًا لبيوتكم، كبُسط وأكسية، ﴿**ومَتاعًا**﴾ تتمتّعون به ﴿**إلى حِينٍ**﴾ ٨٠ يبلى فيه، ﴿**واللهُ جَعَلَ لَكُم مِمّا خَلَقَ**﴾، من البُيوت والشجر والغمام، ﴿**ظِلالًا**﴾: جمع ظِلّ، تقيكم حرّ الشمس، ﴿**وجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبالِ أكنانًا**﴾: جمع كِنّ - وهو ما يُستكنّ فيه كالغار والسَّرَب - ﴿**وجَعَلَ لَكُم سَرابِيلَ**﴾: قُمصًا ﴿**تَقِيكُمُ الحَرَّ**﴾ أي: والبردَ، ﴿**وسَرابِيلَ تَقِيكُم بأسَكُم**﴾: حربكم، أي: الطعن والضرب فيها، كالدروع والجواشن. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما خلق هذه الأشياء، ﴿**يُتِمُّ نِعمَتَهُ**﴾ في الدنيا ﴿**عَلَيكُم**﴾، بخلق ما تحتاجون إليه، ﴿**لَعَلَّكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**تُسلِمُونَ**﴾ ٨١: تُوحّدونه.

٢ - ﴿**فإن تَوَلَّوا**﴾: أعرضوا عن الإسلام ﴿**فإنّما عَلَيكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**البَلاغُ المُبِينُ**﴾ ٨٢: الإبلاغ البيّن. وهذا قبلَ الأمر بالقتال. ﴿**يَعرِفُونَ نِعمَةَ اللهِ**﴾ أي: يُقرّون بأنها من عِنده، ﴿**ثُمَّ يُنكِرُونَها**﴾ بإشراكهم، ﴿**وأكثَرُهُمُ الكافِرُونَ ٨٣. و**﴾ اذكرْ ﴿**يومَ نَبعَثُ مِن كُلِّ أُمّةٍ شَهِيدًا**﴾، هو نبيّها يشهد عليها ولها - وهو يوم القيامة - ﴿**ثُمَّ لا يُؤذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ في الاعتذار، ﴿**ولا هُم يُستَعتَبُونَ**﴾ ٨٤: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوع إلى ما يُرضي الله.

٣- ﴿**وإذا رأى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا ﴿**العَذابَ**﴾: النار ﴿**فلا يُخَفَّفُ عَنهُم**﴾ العذاب، ﴿**ولا هُم يُنظَرُونَ**﴾ ٨٥: يُمهَلون عنه إذا رأوه، ﴿**وإذا رأى الَّذِينَ أشرَكُوا شُرَكاءَهُم**﴾، من الشياطين وغيرها، ﴿**قالُوا: رَبَّنا، هٰؤُلاءِ شُرَكاؤُنا الَّذِينَ كُنّا نَدعُو**﴾: نعبدهم ﴿**مِن دُونِكَ. فألقَوا إلَيهِمِ القَولَ**﴾ أي: قالوا لهم: ﴿**إنَّكُم لَكاذِبُونَ**﴾ ٨٦ في قولكم: «إنكم عبدتمونا» كما في آية أُخرى «ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ»، «سَيَكفُرُونَ بِعِبادَتِهِم». ﴿**وألقَوا إلى اللهِ يَومَئِذٍ السَّلَمَ**﴾ أي: استسلموا لحُكمه، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ٨٧، من أنّ آلهتهم تشفع لهم. ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا، وصَدُّوا**﴾ الناسَ ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينه ﴿**زِدناهُم عَذابًا فَوقَ العَذابِ**﴾ الذي استحقّوه بكُفرهم - قال ابن مسعود: عقاربُ أنيابها كالنخل الطوال - ﴿**بِما كانُوا يُفسِدُونَ**﴾ ٨٨ بصدّهم الناسَ عن الإيمان.

---

(١) جعل: صيّر. والبيوت: جمع بيت. والجلود: جمع جلد. وهو غشاء الجسم. والأنعام: جمع نَعَم. وهو الإبل والبقر والشاء. والخيام: جمع خيمة. والقباب: جمع قبة. وهي أصغر من الخيمة. وتستخفونها: تجدونها يسيرة الاستعمال والنقل. واليوم: الوقت. والإقامة: الاستيطان. والأصواف: جمع صوف. وهو الشعر يغطي جلد الضأن. والأوبار: جمع وَبَر. والأثاث: ماكثُر من آلات البيت وحوائجه، واحدته أثاثة. والمتاع: ما ينتفع به في البيت. والبسط: جمع بساط. والأكسية: جمع كساء. والحين: الوقت المؤجل. وخلق: أوجد من العدم. والظل: ما يرتسم عن الشيء إذا تعرض للشمس. والجبال: جمع جبل. والغار: ما انخفض في الجبل كالبيت. والسرب: الحفرة تحت الأرض لامنفذ لها. وجعل: خلق. والسرابيل: جمع سِربال. والقمص: الثياب، جمع قميص. وتقيكم الحر: تحفظكم من حرارة الشمس. والدروع: جمع درع. وهي لباس من الزرد كالقميص. والجواشن: جمع جَوشن. وهو الدرع القصيرة. ويتمها: يجعلها وافية بالحاجات. والنعمة: الإنعام بما فيه الخير. ويا أهل مكة أي: وغيرها من البلاد.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. وأعرضوا أي: بعد هذه الأدلة القاطعة. و«هذا» يعني أن التبليغ وحده منسوخ بآيات القتال للمشركين العرب في أوائل سورة التوبة. وهو قول فيه نظر، لأن الإبلاغ لاينسخ بالقتال. وينكرونها: يكفرونها بزعمهم أنها بشفاعة آلهتهم. والكافر: المكذّب لله ورسوله. واليوم: الوقت. ونبعثه: نحييه ونحضره. والأمة: الجماعة من الناس. والشهيد: الشاهد يؤدي ما يعلمه يقينًا. ويشهد عليها أي: على بعضها بالكفر والعصيان. ويشهد لها أي: على بعضها الآخر بالإيمان والطاعة. ولا يؤذن: لا يباح ولا يسمح، أي: لايكون لهم اعتذار عما أجرموا، بعد شهادة الأنبياء عليهم، لأن الاعتذار يكون لمن آمن وأطاع في الدنيا، وكان منه بعض الذنوب.

(٣) رآه: أدركه وصار فيه. ولايخفف: لا يقلل ولايهوّن. ويمهل: يؤخَّر. ورأوهم: أبصروهم. وأشركوا: عبدوا مع الله بعض مخلوقاته. والشركاء: جمع شريك لله في التقديس والطاعة. وألقوه إليهم: قدمه المعبودون إلى العابدين. والكاذب: من يقول غير الواقع. يعني أنهم كانوا يعبدون شهواتهم ومصالحهم، وتسيّرهم الأهواء ومكاسب الدنيا. والآيتان المذكورتان هما ٦٣ من سورة القصص و٨٢ من سورة مريم. وألقوه: قدمه الذين أشركوا طائعين. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. والسلم: الاستسلام. وغاب: لم يكن له ما يتوهمه المشركون. ويفترون: يختلقونه. وصدوا: منعوا. والسبيل: الطريق الواضح. وزدناهم: أضفنا عليهم. وعبد الله بن مسعود صحابي جليل. ويفسدون: يقترفون الشر ويشيعونه بالاختيار والقصد.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ
ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى
وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ
وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ
غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

١- ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿يومَ نَبعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عليهِم مِن أنفُسِهِم﴾، هو نبيّهم، ﴿وجِئْنا بِكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿شَهيدًا علَى هٰؤُلاءِ﴾ أي: قومك. ﴿ونزَّلْنا علَيكَ الكِتابَ﴾: القُرآن، ﴿تِبيانًا﴾: بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾، يَحتاج إليه الناسُ من أمر الشريعة، ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿ورَحْمةً وبُشرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلمُسلِمِينَ﴾ ٨٩ المُوحّدين.

نصف الحزب ٢٨

٢- ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدلِ﴾: التوحيدِ أو الإنصافِ، ﴿والإحسانِ﴾: أداء الفرائض، أو «أن تَعبُدَ اللهَ كأنّكَ تَراهُ» كما في الحديث، ﴿وإيتاءِ﴾: إعطاءِ ﴿ذِي القُربَى﴾: القرابةِ - خصّه بالذكر اهتمامًا به - ﴿ويَنهَى عَنِ الفَحشاءِ﴾: الزِّنى، ﴿والمُنكَرِ﴾ شرعًا من الكُفر والمعاصي، ﴿والبَغْيِ﴾: الظلم للناس - خصّه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك - ﴿يَعِظُكُم﴾ بالأمر والنهي، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ ٩٠: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال. وفي «المستدرك» عن ابن مسعود: «هذه أجمعُ آيةٍ في القُرآن للخير والشرّ».

٣- ﴿وأوفُوا بِعَهدِ اللهِ﴾ من البيَع والأيمانِ وغيرها، ﴿إذا عاهَدتُم، ولا تَنقُضُوا الأيمانَ بَعدَ تَوكِيدِها﴾: توثيقها، ﴿وقَد جَعَلتُمُ اللهَ علَيكُم كَفِيلًا﴾ بالوفاء، حيثُ حلفتم به - والجُملة: حال. ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما تَفعَلُونَ﴾ ٩١ تهديد لهم - ﴿ولا تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ﴿غَزْلَها﴾: ما غزلتْه، ﴿مِن بَعدِ قُوَّةٍ﴾: إحكام له وبرم، ﴿أنكاثًا﴾: حالٌ جمع نِكث - وهو ما يُنكث أي: يُحَلّ إحكامه. وهي امرأة حمقاء من مكّة، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه - ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حالٌ من ضمير «تكونوا» أي: لا تكونوا مثلها في اتّخاذكم ﴿أيمانَكُم دَخَلًا﴾، هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: فسادًا وخديعة ﴿بَينَكُم﴾، بأن تنقضوها، ﴿أن﴾ أي: لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿هِيَ أربَى﴾: أكثر ﴿مِن أُمَّةٍ﴾. وكانوا يحالفون الحُلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزّ نقضوا حلف أُولئك وحالفوهم.

٤- ﴿إنَّما يَبلُوكُمُ﴾: يختبركم ﴿اللهُ بِهِ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المُطيع منكم والعاصي، أو بكون أُمّة هي أربى لينظر: أتَفُونَ أم لا؟ ﴿ولَيُبَيِّنَنَّ لَكُم يَومَ القِيامةِ ما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ ٩٢ في الدنيا، من أمر العهد وغيره، بأن يُعذِّبَ الناكث ويُثيبَ الوافي، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدةً﴾: أهلَ دِين واحد، ﴿ولٰكِن يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ، ولَتُسألُنَّ﴾ يوم القيامة سُؤالَ تبكيت ﴿عَمّا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ٩٣ لتُجازَوا عليه.

---

(١) انظر الآية ٨٤. ومن أنفسهم أي: منهم عاش بينهم ويشهد لهم بما يعلمه حقًا. وجئنا بك: أحضرناك بعد البعث. وقومك: قريش وغيرها من الأمة الإسلامية. ونزلنا: أوحينا على لسان جبريل في مراحل متعددة. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وكون القرآن تبيانًا لكل ذلك هو بالنظر إلى أن فيه نصّا على الكثير الكثير، وإحالةً بالباقي على السُّنّة الشريفة. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالفضل والصلاح. والبشرى: التبشير السارّ. والمسلم: من انقاد لله واستسلم لأمره ونهيه.

(٢) يأمر به: يفرضه. والأصل في العدل هو التوسط في كل شيء، والتوحيد أساس لذلك. وكأنك تراه: مراقبًا الحضرة الإلٰهية بإخلاص فيما تفعل. وانظر الأحاديث ٥٠ في البخاري و٨ و٩ و١٠ في مسلم. وينهى عنه: يأمر بالكف عنه وعدم حصوله. والفحشاء: ما اشتد قبحه. والمنكر: ما قبّحه الشرع. ويعظكم: يذكركم بفعل الخير وترك الشر. وتذكرون: تمتثلون بالاتعاظ والطاعة. و«أجمع آية» كذا. وانظر المستدرك ٢:٣٥٦. وقد كان نزول هذه الآية سببًا لإيمان عثمان بن مظعون. المسند ٤:٣٣٠ ومجمع الزوائد ٧:٤٨-٤٩.

(٣) أوفوا به: أدّوه تامًا. وعهد الله: ما يلتزمه الإنسان مع القسم مما يوافق الشريعة. والبِيَع: جمع بِيعة. وهي المبايعة للأمير المسلم على الطاعة والنصرة. انظر «المفصل». والأيمان: جمع يمين. وهو القَسم. وعاهد: وعد بالالتزام. ولاتنقضوها: لاتُخِلّوا بها ولا تخالفوها. وجعلتم: صيّرتم. والكفيل: الشاهد. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. وتفعلون: تكتسبونه من النيات والأقوال والأعمال. ولاتكونوا: لاتصيروا. ونقضته: نقّشته وخلخلته. والبرم: التشديد والتقوية. وتنقضه أي: تنقض ما غزلت وتفسده. وتتخذ: تجعل. وضمير تكونوا أي: الضمير المتصل. وتنقضوها أي: الأيمانَ والعهود. وتكون: تحصل. وأكثر: أوفر عددًا وعُدة ومالًا. وحالفوهم أي: وحالفوا الأقوياء على الضعفاء، بنقض العهود الموثقة قبل.

(٤) يختبركم: يعاملكم معاملة من يمتحن، ليظهر كل إنسان على حقيقته. وينظر أي: يعلم علم حدوث، ويُظهر لكم ولغيركم. ويبينه: يكشف حقيقته. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء. وتختلفون: تختصمون وتتنازعون. وشاء: أراد إيمانَ جميع الناس أو كفرَهم. وجعل: صيّر. وواحدة أي: متوحدة متفقة في العقيدة والشريعة والأخلاق والعمل. ويضله: يصرف قدراته ويُوفقه فيما يناسب اختياره السيئ واستعداداته الفاسدة. ويهديه: يُمدّه ويوجّه قدراته إلى ما يناسب اختياره الطيب واستعداده لقبول الخير. ويشاء: يريد إضلاله أو هدايته، لما فيه نفسه. وفي هذا اختبار وابتلاء ليذهب كل إلى ما يُسّر له، بما في ضميره من الرغبة في الخير أو الشر. وتعملون: تقترفون من الكفر وتكتسبون من الإيمان، بنية أو قول أو فعل.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ
أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا
سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ
١٠٠ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢

١ - ﴿**ولا تَتَّخِذُوا أيمانَكُم دَخَلًا بَينكُم**﴾ - كرّره تأكيدًا - ﴿**فتَزِلَّ قَدَمٌ**﴾ أي: أقدامكم عن محجّة الإسلام، ﴿**بَعدَ ثُبوتِها**﴾: استقامتها عليها، ﴿**وتَذُوقُوا السُّوءَ**﴾: العذاب ﴿**بما صَدَدْتُم عَن سَبيلِ اللهِ**﴾ أي: بصدّكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدّكم غيرَكم عنه لأنه يَستَنُّ بكم، ﴿**ولَكُم عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ٩٤ في الآخرة، ﴿**ولا تَشتَرُوا بِعَهدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدنيا، بأن تنقضوه لأجله. ﴿**إنَّ ما عِندَ اللهِ**﴾، من الثواب، ﴿**هُوَ خَيرٌ لَكُم**﴾ ممّا في الدنيا، ﴿**إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٩٥ ذلك فلا تنقضوا.

٢ - ﴿**ما عِندَكُم**﴾ من الدنيا ﴿**يَنفَدُ**﴾: يفنى، ﴿**وما عِندَ اللهِ باقٍ**﴾: دائم، ﴿**ولَيَجزِيَنَّ**﴾ - بالياء والنون - ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على الوفاء بالعهود ﴿**أجرَهُم، بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٩٦: أحسن بمعنى: حَسَن. ﴿**مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً**﴾ قيل: هي حياة الجنّة، وقيل: في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال، ﴿**ولَنَجزِيَنَّهُم أجرَهُم بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٩٧.

٣ - ﴿**فإذا قَرَأتَ القُرآنَ**﴾، أي: أردتَ قراءته، ﴿**فاستَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ**﴾ ٩٨، أي: قل: «أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم». ﴿**إنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطانٌ**﴾: تسلّط ﴿**عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**﴾ ٩٩. ﴿**إنَّما سُلطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّونَهُ**﴾ بطاعته، ﴿**والَّذِينَ هُم بِهِ**﴾ أي: الله ﴿**مُشرِكُونَ**﴾ ١٠٠.

٤ - ﴿**وإذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ**﴾ بنَسخِها، وإنزال غيرها لمصلحة العباد - ﴿**واللهُ أعلَمُ بِما يُنَزِّلُ - قالُوا**﴾ أي: الكُفّار للنبيّ: ﴿**إنَّما أنتَ مُفتَرٍ**﴾: كذّابٌ، تقولُه من عندك. ﴿**بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٠١ حقيقةَ القُرآن وفائدةَ النَّسخ. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ**﴾ جبريلُ، ﴿**مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «نزّل»، ﴿**لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بإيمانهم به، ﴿**وهُدًى وبُشرَى لِلمُسلِمِينَ**﴾ ١٠٢.

---

(١) كرره: يعني ما في الآية ٩٢، وجاء النهي هنا صريحًا للتوكيد والمبالغة، مع شيء خاص، هو عامّ يشمل الحلف والمبايعة والحقوق كلها، ويترتب عليه الوعيد والتهديد. وتزل: تنزلق وتنحرف. والقدم: ما يطأ الإنسان به الأرض. ذكرت القدم والمراد صاحبها نفسه. والمحجة: الطريق الواضح. والثبوت: الاستقرار والاطمئنان. وتذوقوه: تنالوه وتقاسوا أهواله. والعذاب: عذاب الدنيا بالمحن والبلاء. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أي العذاب»، كما في الوجيز. وصددتم: امتنعتم ومنعتم. وسبيل الله: دين الإسلام بما فيه من العقيدة والشريعة والوفاء. ويَستن بكم: تصيرون قدوة في الغدر، فيَقتدى بكم غيركم. وفي الأصل: «فيُستنّ». والعظيم: الضخم لامثيل له. وتشتروا: تستبدلوا. والثمن: ما يكون عوضًا في بيع أو مبادلة. والقليل: اليسير لأنه مهما عظم ثمن الغدر فهو قليل جدًا، لايسوّغ نقض العهد. وعنده: في حكمه وتفضله. والثواب: المكافأة في الدنيا والآخرة. وخير: أكثر نفعًا. وتعلمون: تعرفون معرفة يقينية.

(٢) عندكم: في حوزتكم وتصرفكم. ومن الدنيا أي: متاعها وزينتها. ويجزي: يكافئ ويثيب. وبالنون يريد القراءة «لَنَجزِيَنَّ». والفاعل هو ضمير العظمة: نحن. وصبروا: تجلدوا وتحملوا. والعهود: ما عاهدوا به الله أو الناس. والأجر: الثواب. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والصالح: كل عمل حسّنه الشرع والعقل السليم. والذكر: الرجل المكلّف. والأنثى: المرأة المكلّفة. والمؤمن: الذي صدّق قلبه التوحيد وما يتعلق به. وإنما قيّد العمل بالإيمان لأن عمل الكافر لايُعتدّ به في الآخرة، وصاحبه في الدنيا مع الوساوس والقلق الدائمين. ونحييه: نجعله يعيش بروحه وجسده. والطيبة: السعيدة المطمئنة الراضية. وانظر آخر الآية ٩٦.

(٣) قرأت: تلوت سرًا أو جهرًا. والخطاب للنبي ﷺ ولكل مسلم أو مسلمة. وذكرت القراءة مكان إرادتها لأنها مترتبة عليها. واستعذ به: اسأله أن يحميك من الوساوس والانصراف عن تفهم الآيات. والشيطان: إبليس وأعوانه من الجن والإنس. والعموم للمسلمين، وخصوص الإنس للنبي ﷺ، لأنه معصوم من الجن إطلاقًا. والرجيم: الملعون المطرود من رحمة الله. و«أعوذ» هذا النص ورد في السُّنّة الشريفة، ويجوز أن يقال بصيغة أُخرى من صيغ الاستعاذة. فعن ابن مسعود أن الرسول ﷺ أمره بهذا القول، وقال له: «هكذا أقرأنِيهِ جِبريلُ، عَنِ القَلَمِ عَنِ اللَّوحِ المَحفُوظِ». انظر الكافي الشاف في حاشية الكشاف ٢: ٦٣٤ وتفسير الآلوسي ١٤: ٣٣٧-٣٣٨. وله: للشيطان. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وصدّقوا الله والرسول. وعليه يتوكلون: إليه وحده يفوّضون أمورهم إيمانًا واحتسابًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويتولونه: يجعلونه وليّ أمورهم ويطيعون وساوسه. وبه مشركون أي: جاعلون له شركاء بعضَ خلقه في الألوهية والطاعة.

(٤) بدلناها: جعلناها في مكانِ غيرها. وهو النسخ أي: رفع اللفظ والمعنى معًا، أو تبديل الحكم وإبقاء اللفظ. وأعلم بما ينزّل أي: محيط كامل الإحاطة بما يوحيه من أحكام لمصلحة العباد. انظر «المفصل». ولايعلمون: لايدركون ولايعرفون، فيلقون الاتهام تقليدًا لزعمائهم من المعاندين. ونزله أي: نزل به وجاء به وحيًا للإبلاغ وإيجاب العمل. والقدس: الطهارة من الأدناس. والأصل: الروح المقدّس فأضيف الموصوف إلى صفته للمبالغة. ومن ربك: من عنده وبأمره. وأضيف الرب إلى النبي ﷺ تشريفًا للمخاطب وإعراضًا عن المشركين. والحق: الواقع الثابت لاشك فيه. ويثبت: يقوي ويرسخ. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والبشرى: التبشير والتبليغ بما فيه الخير والسعادة. والمسلم: من استسلم لحكم الله وفوّض أموره إليه.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١- ﴿**ولَقَد**﴾: للتحقيق ﴿**نَعلَمُ أنَّهُم يَقُولُونَ: إنَّما يُعَلِّمُهُ**﴾ القُرآنَ ﴿**بَشَرٌ**﴾. وهو قَين نصرانيّ، كان النبيّ ﷺ يدخل عليه. قال تعالى: ﴿**لِسانُ**﴾: لغةُ ﴿**الَّذي يُلحِدُونَ**﴾: يُميلون ﴿**إلَيهِ**﴾ أنه يُعلّمه ﴿**أعجَمِيٌّ، وهٰذا**﴾ القُرآن ﴿**لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ**﴾ ١٠٣: ذو بيان وفصاحة. فكيف يُعلّمه أعجميّ؟ ﴿**إنَّ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهدِيهِم اللهُ، ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١٠٤: مُؤلم. ﴿**إنَّما يَفتَري الكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ**﴾: القُرآن - بقولهم: هذا من قول البشر - ﴿**وأُولٰئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ**﴾ ١٠٥. والتأكيد بالتكرارِ و«إنّ» وغيرِهما ردٌّ لقولهم: «إنَّما أنتَ مُفْتَرٍ».

٢- ﴿**مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعدِ إيمانِهِ، إلّا مَن أُكرِهَ**﴾ على التلفظ بالكُفر فتلفظ به، ﴿**وقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإيمانِ**﴾ - ومَن: مبتدأ أو شرطيّة والخبرُ أو الجواب: لهم وعيد شديد - دلّ على هذا: ﴿**ولٰكِنْ مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا**﴾ له، أي: فَتَحه ووَسّعَه، بمعنى: طابت به نفسُه، ﴿**فعلَيهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ، ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٠٦. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الوعيد لهم ﴿**بِأنَّهُمُ استَحَبُّوا الحَياةَ الدُّنيا**﴾: اختاروها ﴿**علَى الآخِرةِ، وأنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرينَ ١٠٧. أُولٰئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِم وسَمعِهِم وأبصارِهِم، وأُولٰئِكَ هُمُ الغافِلُونَ**﴾ ١٠٨ عمّا يُراد بهم، ﴿**لا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّهُم في الآخِرةِ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ١٠٩ لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم.

٣- ﴿**ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذينَ هاجَرُوا**﴾ إلى المدينة، ﴿**مِن بَعدِ ما فُتِنُوا**﴾: عُذّبوا وتلفّظوا بالكُفر - وفي قراءة بالبناء للفاعل، أي: كفروا أو فَتنوا الناسَ عن الإيمان - ﴿**ثُمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا**﴾ على الطاعة، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: الفِتنةِ ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١١٠ بهم. وخبر «إنّ» الأُولى دلّ عليه خبرُ الثانية. اذكرْ ﴿**يومَ تأتِي كُلُّ نَفسٍ، تُجادِلُ**﴾: تُحاجُّ ﴿**عَن نَفْسِها**﴾، لا يُهمّها غيرُها - وهو

---

(١) التحقيق: التثبيت والتوثيق. ونعلم أي: علمنا ونحيط إحاطة تامة. ويعلّمه: ينقل إليه ويلقّنه. والبشر: الإنسان. وهذا يعني أن بعض المشركين يزعمون أن القرآن من عند الرومي المذكور، واسمه جبر أو يسار. والقين: الحداد يصنع السلاح. ويدخل عليه أي: يزوره فيسمع بعض ما يقرأ من كتب النصارى باللغة الرومية. وقد زعم المشركون أن هذا النصراني الرومي كان يعلم النبي ﷺ آيات القرآن الكريم، فنزلت الآية بتكذيبهم وبالحجة القاطعة لمزاعمهم. سيرة ابن هشام ٢:٣٣ والواحدي ص ٢٨٧-٢٨٨. واللسان: اللغة أي: الكلام المنطوق. ويميلون إليه: يحرفون إليه أقوالهم فينسبون إليه ما يزعمون. والأعجمي: منسوب إلى الأعجم. وهو مَن كان مِن غير العرب. والعربي: المنسوب إلى العرب، أي: بلغتهم الفصحى. ولايؤمنون: يكذّبون مكابرة وعنادًا. والآيات: آيات القرآن والمعجزات بالبراهين القاهرة. ولايهديهم: لايرشدهم إلى الحق لِما يعلم من سوء استعدادهم، ويتركهم على ما اختاروه، من الضلال والانهماك في العصيان ويمدهم في ذلك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويفتري: يختلق. والكذب: ما لا أصل له في الواقع. والمراد به هنا ما اتهم المشركون به النبي ﷺ. وقولهم مضمن في الآية ١٠٣. والكاذبون: البالغون حد النهاية في الكذب. وقول السيوطي «إنّ» الصواب أن «إنّما» كلها للحصر أي: التوكيد المحقق. ولقولهم يعني: ما في الآية ١٠١.

(٢) كفر: أنكر التوحيد. فقد روي أن الآيات ١٠٦-١١٠ نزلت في عمّار بن ياسر وأصحابه الذين عذبهم المشركون في مكة، ليرتدوا عن الإسلام، فأبوا وقتل بعضهم على ذلك، واضطُرّ عمّار أن يلفظ كلمة الكفر لينجو. ثم جاء إلى النبي ﷺ باكيًا، فمسح له عينيه وهو يقول: «إن عادُوا لكَ فعُدْ لهُم بِما قُلتَ». الواحدي ص ٢٨٨ والمستدرك ٢: ٣٥٧. والإيمان: التصديق بالتوحيد والنبوة. وأُكره: أُجبر بالقوة. وقلبه مطمئن بالإيمان: لم تتغير عقيدته. ودل على هذا يعني: دل على الجواب أو الخبر المحذوف ما يلي من جواب الشرط الثاني في الآية: فعليهم غضب. وصدرًا له أي: صدره وما فيه من ضمير واعتقاد. والغضب: السخط الشديد. ومن الله: من عنده وبتقديره. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الضخم الذي لامثيل له. والحياة أي: حياتهم. ولايهديهم: لايرشدهم إلى الحق لِما يعلم من سوء استعدادهم، ويمدهم بما هم فيه من الضلال. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وطبع عليها: أغلقها وختم عليها، فلاتستجيب للخير. والقلوب: جمع قلب. والسمع: حاسة الإدراك للمسموعات. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. والغافل: الساهي لايتدبر العواقب. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والخاسر: من ضيع كل شيء مما بذله وينتظره، فصرف حياته فيما يوصله إلى عذاب الخلد.

(٣) الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. وهاجروا: غادروا ديارهم هربًا بدينهم. وإلى المدينة أي: قبل هجرة النبي ﷺ، وكذلك الهجرة إلى الحبشة. فقد روي أن هذه الآية نزلت في أمثال عمار وصهيب وخباب وبلال والمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة. وللفاعل يريد القراءة «فَتَنُوا»، أي: فتنوا أنفسهم أو غيرهم. وجاهدوا: بذلوا جهدهم بأنفسهم وأموالهم وأوطانهم وأهلهم وكل ما يملكون. وصبروا: تجلدوا وتحملوا. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان والعفو. واذكر أي: لقومك لعلهم يعتبرون ويتعظون، ولنفسك وأصحابك تأنيسًا وتسلية. فهو ترهيب وتَرغيب. وتأتي: تحضر بعد البعث من القبور. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والنفس: المخلوق المكلف من البشر. وهو الإنسان بروحه وكيانه. وتحاج: تخاصم بالحجج والأدلة وتسعى في النجاة من العذاب إلى النعيم. ونفسها: ذاتها وحقيقتها. وتُوفاه: تُعطاه وافيًا تامًا لانقص فيه ولا زيادة. وعملت: اكتسبته في الدنيا بالاختيار والقصد، من نية أو قول أو فعل. وهم أي: جميع البشر. ولايظلمون: يجزون ما يوجبه العدل والحق، بلا نقص أو إهمال. ونفي الظلم يعني إثبات العدل المطلق مؤكدًا.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٨

يوم القيامة - ﴿**وتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ**﴾ جزاءَ ﴿**ما عَمِلَتْ، وهُم لا يُظْلَمُونَ**﴾ ١١١ شيئًا.

١- ﴿**وضَرَبَ اللهُ مَثَلًا**﴾، ويُبدل منه: ﴿**قَرْيَةً**﴾، هي مكّة والمراد أهلها، ﴿**كانَت آمِنَةً**﴾ من الغارات لا تُهاج، ﴿**مُطْمَئِنَّةً**﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف، ﴿**يأتيها رِزقُها رَغَدًا**﴾: واسعًا ﴿**مِن كُلِّ مَكانٍ، فكَفَرَتْ بأنعُمِ اللهِ**﴾، بتكذيب النبيّ، ﴿**فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ**﴾: فقُحطوا سبعَ سنين، ﴿**والخَوفِ**﴾ بسرايا النبيّ، ﴿**بِما كانُوا يَصنَعُونَ ١١٢، ولَقد جاءَهُم رَسُولٌ مِنهُم**﴾ مُحمّد ﷺ، ﴿**فكَذَّبُوهُ، فأخَذَهُمُ العَذابُ**﴾: الجوع والخوف، ﴿**وهُم ظالِمُونَ**﴾ ١١٣.

٢- ﴿**فكُلُوا**﴾ - أيها المُؤمنون - ﴿**مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالًا طَيِّبًا، واشكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ، إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ ١١٤ - إنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحمَ الخِنزِيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ. فمَنِ اضطُرَّ غَيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١٥ - ولا تَقُولُوا، لِما تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ**﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿**الكَذِبَ: هٰذا حَلالٌ وهٰذا حَرامٌ**﴾، لِما لم يُحِلَّه الله ولم يُحرّمْه، ﴿**لِتَفتَرُوا على اللهِ الكَذِبَ**﴾ بنسبة ذلك إليه. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ**﴾ ١١٦، لهم ﴿**مَتاعٌ قَلِيلٌ**﴾ في الدنيا، ﴿**ولَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١١٧: مُؤلم.

٣- ﴿**وعلَى الَّذِينَ هادُوا**﴾ أي: اليهودِ ﴿**حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيكَ مِن قَبلُ**﴾، في آيةِ: «وعلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» إلى آخرها، ﴿**وما ظَلَمْناهُم**﴾ بتحريم ذلك، ﴿**ولٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ١١٨ بارتكاب المعاصي المُوجبةِ لذلك، ﴿**ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ**﴾: الشِّرك ﴿**بِجَهالةٍ، ثُمَّ تابُوا**﴾: رجَعوا ﴿**مِن بَعدِ ذٰلِكَ وأصلَحُوا**﴾ عَمَلَهم، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: الجهالةِ أو التَّوبة ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١١٩ بهم.

---

(١) ضرب: أوضح وبيّن. والمثل: قول فيه ما يشبه حوادث أُخرى، يُذكر لِما فيه من العجب والعظة بيانًا واعتبارًا. ويبدل منه: يعني أن «قرية»: بدل من «مثلًا» منصوب، يفيد البيان والتوكيد. والقرية: المدينة العامرة بالسكان. والآمنة: المحفوظة المَحميّة. والمطمئنة: الهادئة المستقرة بأهلها، لايزعجها بلاء أو عدوان. ويأتيها: يصل إليها. والرزق: ما يحصل عليه الإنسان من متاع وزينة. وكفرت: جحدت وكذّبت. والأنعم: جمع نعمة. وهي الإنعام بالرزق والحال الحسنة من الأمن والطمأنينة والسيادة. وبتكذيب النبي أي: بسبب تكذيبه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «النبي ﷺ». وأذاقها لباس الجوع: خصها بالقحط والحاجة إلى الغذاء، حتى عمّاها من كل جانب ولازماها كالثوب اللاصق بالجسد. والخوف: الفزع من العدوان والمصائب. وذكر السرايا من الوجيز، وهو مبني على أن الآية مدنية كما ذكر مقاتل. معاني الفراء ٢:١١٤ وتفسير الخازن ٤:١١٩-١٢٠ والفتوحات ٢:٦٥٦. وهذا ما لم يشر إليه السيوطي في مستهل تفسير السورة. والراجح أنها مكية بدليل ما في الآية التالية. البحر ٥:٥٤٢. وعليه يكون معنى «ضرب» في الآية: جعل وصيّر. والمراد: جعلكم - يا أهل مكة - مثلًا يُضرب للناس، لِما أنتم عليه من الكفر والعصيان وتلقي الانتقام. ويصنعون: يُتقنونه ويتفننون فيه من الشرك والعناد والظلم والجبروت. وجاءهم: أُرسل إليهم وبلّغهم ما كُلّف به. والرسول: المرسَل بوحي من الله لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ومنهم: من جنسهم وقومهم، ليكون أقرب إليهم وأدعى إلى التبيين والإقناع. وكذبوه: أنكروا أنه رسول وأن ماجاء به هو من عند الله. وأخذهم: نزل بهم عقوبة وترهيبًا فآذاهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وظالمون أي: كافرون، لأن الكفر أشنع الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه.

(٢) كلوا: تناولوا الطعام والشراب. ورزقكم: أعطاكموه وهيأه لكم من أنواع الغذاء المباح. والحلال: الذي أباحه الله فكان عليه أجر وثواب. والطيب: ما تستلذه الأذواق السليمة والنفوس الخالصة من الفساد. واشكروها: استحضروها في قلوبكم، وأثنوا على خالقها باللسان والعمل، توحيدًا وطاعة. والنعمة: الإنعام بالخير والإكرام. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وإياه تعبدون: تقدسونه وحده وتطيعونه دون غيره. وانظر الآية ١٧٣ من سورة البقرة. والخطاب للمسلمين أيضًا، وفيه تعريض بالمشركين. وتصف: تذكر. والألسنة: جمع لسان يراد به الأفواه. والكذب: ما لا أصل له في الواقع من شرع أو حكمة. والحرام: ما هو ممنوع شرعًا. وتفتروا: تختلقوا وتكذبوا. ولايفلحون: لا يفوزون بخير في الدنيا والآخرة. والمتاع: ما يتمتع به الإنسان من منافع زائلة. والقليل: اليسير بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم. والعذاب: التعذيب والتنكيل عقوبة وإهانة.

(٣) هادوا: تحرّوا طريقة اليهود في الدين. وحرمناه: جعلناه ممنوعًا لايجوز أكله. وقصصنا: حكيناه بالوحي. و«في آية» يعني الآية ١٤٦ من سورة الأنعام. وما ظلمناهم: لم نعاقبهم بما لايستحقون. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. ويظلمونها: يسببون لها العقوبة والعذاب. وعملوا: اقترفوا واكتسبوا باختيار وقصد. والسوء: ما يَشين صاحبه ويقبحه. والجهالة: عدم المعرفة للفساد والصلاح. ورجعوا: تركوا ماكانوا يقترفون. وذلك: إشارة إلى عمل السوء. وأصلحوه: جعلوه صالحًا موافقًا لأمر الله. والغفور: العظيم السترِ للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثير العطف بالعفو والإحسان. وليس المعنى أن المغفرة هي للمسيء بجهالة فقط، ولا يُغفر لمن عملَه بغير جهالة. بل المرادُ أن جميع من تاب فهذا سبيله، وإنما خص الجاهلون لأن أكثر المذنبين يأتون ذلك بقلة فكر في عاقبة، أو عند شهوة غالبة، أو في جهالة شباب. فذُكر الأكثر هنا، على عادة العرب في مثل هذا، تعبيرًا بالغالبية.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١- ﴿**إنّ إبراهِيمَ كانَ أُمّةً**﴾: إمامًا قُدوة جامعًا لخِصال الخير، ﴿**قانِتًا**﴾: مُطيعًا ﴿**لله حَنِيفًا**﴾: مائلًا إلى الدِّين القيِّم، ﴿**ولَم يَكُ مِنَ المُشرِكينَ ١٢٠، شاكِرًا لأنعُمِهِ، اجتَباهُ**﴾: اصطفاه ﴿**وهَداهُ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ ١٢١، وآتَيناهُ**﴾ - فيه التفات عن الغَيبة - ﴿**في الدُّنيا حَسَنَةً**﴾ هي الثناء الحسن، في كُلّ أهل الأديان، ﴿**وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ١٢٢ الذين لهم الدرجات العُلى، ﴿**ثُمَّ أوحَينا إلَيكَ**﴾ - يا مُحمّد -: ﴿**أنِ اتَّبِعْ مِلّةَ**﴾: دِينَ ﴿**إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ١٢٣. كُرّر ردًّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دِينه.

٢- ﴿**إنّما جُعِلَ السَّبتُ**﴾: فُرِض تعظيمه ﴿**علَى الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ**﴾ على نبيِّهم - وهم اليهود، أُمروا أن يتفرّغوا للعبادة يومَ الجُمعة، فقالوا: لا نُريده. واختاروا السبتَ، فشُدِّد عليهم فيه - ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَيَحكُمُ بَينَهُم يومَ القِيامةِ، فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ١٢٤ من أمره، بأن يُثيب الطائع ويُعذّب العاصي بانتهاك حُرمته.

٣- ﴿**ادعُ**﴾ الناسَ - يا مُحمّد - ﴿**إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾: دِينه، ﴿**بالحِكمةِ**﴾: بالقُرآن، ﴿**والمَوعِظةِ الحَسَنةِ**﴾: مَواعظِ القرآن أو القولِ الرقيق، ﴿**وجادِلْهُم بالَّتِي**﴾ أي: بالمُجادلة التي ﴿**هِيَ أحسَنُ**﴾، كالدعاء إلى الله بآياته، والدعاء إلى حُججه. ﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ**﴾ أي: عالمٌ ﴿**بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بالمُهتَدِينَ**﴾ ١٢٥ فيُجازيهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٤- ونزل، لمّا قُتِلَ حمزةُ ومُثِّلَ به، فقال ﷺ وقد رآه: «لأُمَثِّلَنَّ بِسَبعِينَ مِنهُم مَكانَكَ»: ﴿**وإن عاقَبتُم فعاقِبُوا بِمِثلِ ما عُوقِبتُم بِهِ - ولَئِن صَبَرتُم**﴾ عن الانتقام ﴿**لَهُوَ**﴾ أي: الصبرُ ﴿**خَيرٌ لِلصّابِرِينَ**﴾ ١٢٦. فكَفَّ ﷺ وكَفَّر عن يمينه. رواه البزّار - ﴿**واصبِرْ، وما صَبرُكَ إلّا باللهِ**﴾: بتوفيقه، ﴿**ولا تَحزَنْ علَيهِم**﴾ أي: الكُفّارِ، إن لم يُؤمنوا لحِرصك على إيمانهم، ﴿**ولا تَكُ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ**﴾ ١٢٧ أي: لا تهتمَّ بمكرهم. فأنا ناصرك عليهم. ﴿**إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الكُفرَ والمعاصيَ، ﴿**والَّذِينَ هُم مُحسِنُونَ**﴾ ١٢٨ بالطاعة والصبر، بالعون والنصر.

---

(١) المشرك: الذي يعبد مع الله بعض المخلوقات. والشاكر للنعم: من يستحضرها في ذهنه ويثني على صانعها بقلبه ولسانه وعمله. والأنعم: جمع نعمة. وهي الإكرام بالحال الحسنة. واصطفاه: اختاره نبيًا وخليلًا. وهداه: أرشده ووفقه فيما يناسب استعداده الطيب. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. وهو دين التوحيد. وآتيناه: أعطيناه. والصالح: من صلَحت جميع أعماله خالصة لوجه الله. وأوحينا: أنزلنا على لسان جبريل، ويسّرنا الحفظ والتبليغ. واتَّبعها: اعمل بما فيها. والنصارى أي: ومشركي العرب. وأهل الكتاب نُسب إليهم الشرك في أكثر من آية، لعبادة غير الله.

(٢) اختلفوا فيه: خالفوا الأمر في تعيين اليوم للعبادة. وانظر الآية ١٦٣ من سورة الأعراف. وشدد عليهم أي: من شأن يوم السبت، في التعظيم والتفرغ للعبادة فيه، بترك الصيد وما أشبهه من الأعمال. وقد زعم اليهود أن تعظيم هذا اليوم هو من شرع إبراهيم، وهم يتبعونه، فجاءت الآية تبين أن فرض تعظيمه كان في عهد موسى، بعد إبراهيم الذي كان يعظم يوم الجمعة، كما في الإسلام. ويحكم: يقضي بالحق والعدل. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء.

(٣) ادعهم: حضّهم على الاستجابة. والسبيل: الطريق الواضح. والحكمة: القول المحكم الصحيح، والدليل الموضّح للحق والمُزيل للشُّبه. والموعظة: النصح والأمر بالطاعة، مع بيان العواقب. والحسنة: اللطيفة بالترغيب والترهيب. وجادلهم: حاورهم وحدثهم. والأحسن: الأكثر رفقًا ولينًا، بإيثار الوجه الأيسر والمقدمات المرغبة. وإنما خُص الاسم الموصول وصلته بالذكر، بدلًا من «الحسنى»، للإشارة إلى وجوب التلطف والموادعة، مع الصبر وطول الأمل والرجاء للخير. وأعلم: محيط بما خفي أو ظهر. وضل عنه: انحرف عنه وخرج عليه. والمهتدين: المسترشدين إلى الحق والطاعة. وهذا: يعني أن حكم التلطف منسوخ بآيات قتال المشركين العرب، في أوائل سورة التوبة. والراجح أن الآية محكمة، ولا تُعارِض الأمر بقتال المعتدي. الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٧.

(٤) الحديث في المستدرك ٣: ١٩٧وفي إسناده ضعف. انظر مجمع الزوائد ٢: ١١٩ وتفسير ابن كثير ٢: ٥٧٣. والراجح أن الأنصار هم الذين هددوا بالانتقام المضاعف، فنزلت الآية توجه إلى الصبر والاعتدال. انظر الحديث ٣١٢٨ في الترمذي و٢: ٣٥٩ و٤٤٦ في المستدرك. ومُثّل به: شُوّه بقطع أعضائه. ومكانك أي: ثأرًا بما فعلوه بك. وكان ذلك يوم غزوة أحد. وروي أن الآية هذه نزلت ثلاث مرات. انظر «المفصل». وعاقبتم: أردتم المجازاة. وبمثله: بما يماثله دون زيادة للتشفي. وعوقبتم به: ما صُنع بكم من السوء. وصبرتم: تجلدتم وتحملتم. وخير: أكثر نفعًا من الانتقام. وكف: رجع عما أقسم عليه. وكفّر عن يمينه: أدّى كفّارة قسمه. والصبر: حبس النفس وتحمل الشدائد. ولاتحزن: لاتغتم وتتألم. والضيق: احتباس النفس بالهم والحسرة. ويمكرون: يكيدون ويدبرون العدوان. واتقَوها: تجنبوها وحفظوا أنفسهم منها بامتثال طاعة الله. والمحسن: الذي: يعبد الله مستحضرًا رقابته وجلاله.

سورة الإسراء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ
إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ
هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢
ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣

سورة الإسراء

مكية إلّا «وإن كادوا ليفتنونك» الآياتِ الثمانَ، مِائةٌ وعشرُ آيات أو إحدى عشرةَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿سُبحانَ﴾ أي: تنزيهَ ﴿الَّذي أسرَى بِعَبدِهِ﴾ مُحمّد ﴿لَيلًا﴾ - نصبٌ على الظرف. والإسراء: سير الليل، وفائدةُ ذكره الإشارةُ بتنكيره إلى تقليل مُدّته - ﴿مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: مكّةَ ﴿إلَى المَسجِدِ الأقصَى﴾: بيت المقدس لبُعده منه، ﴿الَّذي بارَكْنا حَولَهُ﴾ بالثمار والأنهار، ﴿لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا﴾: عجائب قُدرتنا! ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ١ أي: العالِمُ بأقوال النبيّ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء المُشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعُروجه إلى السماء، ورؤيةِ عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى. فإنه ﷺ قال:

٢- «أُتيتُ بالبُراق - وهو دابّةٌ أبيضُ فَوقَ الحِمارِ ودُونَ البَغلِ، يَضعُ حافِرَهُ عِندَ مُنتهَى طَرْفِهِ - فرَكِبتُهُ فسارَ بِي حَتّى أَتَيتُ بَيتَ المَقدِسِ، فرَبَطتُ الدابّةَ بالحَلقةِ الَّتي تَربِطُ فِيها الأنبياءُ، ثُمّ دَخَلتُ فصَلَّيتُ فِيهِ رَكعتَينِ، ثُمّ خَرَجتُ فجاءَني جِبرِيلُ بإناءٍ مِن خَمرٍ وإناءٍ مِن لَبَنٍ، فاختَرتُ اللَّبنَ. قالَ جِبريلُ: أصَبتَ الفِطرةَ.

٣- قالَ: ثُمّ عَرَجَ بي إلى السَّماءِ الدُّنيا، فاستَفتحَ جِبرِيلُ. قِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيل: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بآدَمَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الثّانِيةِ فاستَفتَح جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقال: جِبرِيلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بابنَي الخالةِ: يحيَى وعِيسَى، فرَحّبا بي ودَعَوَا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الثّالِثةِ فاستَفتَحَ جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بيُوسُفَ، وإذا هُو قَد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الرّابعةِ فاستَفتحَ جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإدرِيسَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الخامِسةِ فاستَفتَح جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقيل: وقَد أرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بهارُونَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ السّادِسةِ فاستَفتَح جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقَد بُعِثَ إليه؟ قالَ: قد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بمُوسَى، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ السّابِعةِ فاستَفتَح جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قال: قَد بُعِثَ إليه. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهِيمَ، فإذا هو مُستَنِدٌ إلى البَيتِ المَعمُورِ، وإذا هو يَدخُلُه كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ، ثُمّ لا يَعُودُونَ إلَيهِ.

٤- ثُمّ ذَهَبَ بي إلى سِدرةِ المُنتهَى، فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيَلةِ، وإذا ثَمرُها كالقِلالِ. فلَمّا غَشِيَها مِن أمرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغيَّرتْ، فما أحَدٌ مِن خَلقِ اللهِ - تعالَى - يَستَطِيعُ أن يَصِفَها مِن حُسنها. قال: فأوحَى اللهُ إليَّ ما أوحَى، وفَرَضَ عليَّ في كُلِّ يَومٍ ولَيلةٍ خَمسِينَ صَلاةً.

(١) التنزيه: التبعيد من السوء. وبعبده أي: بالشخص الكريم روحًا وجسدًا. وروي أنه لما وصل النبي ﷺ إلى المراتب الرفيعة في المعراج أوحى الله إليه: «يامُحَمّدُ، بِمَ أُشَرِّفُكَ»؟ قال: «يا رَبِّ، بِنِسبَتِي إلَيكَ بالعُبُودِيّةِ». فأنزل الله هذه الآية. البحر ٦:٥. وذكره أي: ذكر «ليلًا». والحرام: المحرّم يمنع فيه كثير مما يجوز في غيره. والأقصى: البعيد جدًا. وباركنا حوله: أدمنا خيرات ما يحيط به. ونريه: نبصّره يقينًا. وإنه أي: الله تعالى. والسميع: البالغ السمع لما له صوت، مهما خفي. والبصير: البالغ العلم والإحاطة بالغيب والشهادة.
(٢) الحديث منقول من تفسير الطبري ٣:٥. والعروج: الصعود. وأُتيت بالبراق: أتاني به جبريل. والدابة: الحيوان. والبغل: ابن الفرس من الحمار. والطرْف: البصر، أي: يصل حافره إلى نهاية ما يدركه بصره. وذلك في الخطوة الواحدة. والحلقة: التي في باب المسجد. وأصبت الفطرة: اخترت ما هو علامة الإسلام والاستقامة، وهو ما فُطر عليه الخلق بحسب الخلقة الخالصة من الشوائب.
(٣) عرج بي: أصعدني البراق. والدنيا: التي هي أقرب السماوات إلى الأرض. واستفتح: طرق ليُفتح له الباب. وقيل أي: قال المَلَك الموكّل على الباب. وأُرسِل إليه: أُوحي إليه بالصعود والدخول. وعُرج بنا أي: بي وبجبريل. وابنا الخالة أي: كلاهما ابن خالة الآخر. وعيسى هو ابن بنت خالة يحيى. وشطر الحسن: نصف حقيقة الحسن من حيث هي. والبيت المعمور: بيت عظيم هو كعبة السماء، يزوره الملائكة للطواف والصلاة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤ من سورة الطور.
(٤) ذهب بي: أوصلني جبريل. وسدرة المنتهى: شجرة عظيمة، ينتهي عندها عِلم الملائكة ، ولايستطيعون تجاوزها. انظر الآية ١٤ من سورة النجم. والقلال: جمع قُلّة. وهي الجرّة. وغشيها: حل فيها وجللها. وأمره أي: قضاؤه. وقال أي: قال النبي ﷺ. فلفظ «قال» زيادة من الراوي. وهو أنس بن مالك. وما أوحى أي: من الأسرار العجيبة التي لاتعرفها الملائكة والأنبياء، وبعضها لم يؤذن لي بإظهاره للناس. وعليّ أي: وعلى أمتي.

وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا
عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ
وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ
وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦
إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧

١- فنزَلتُ حتّى انتَهيتُ إلى مُوسَى، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ على أُمّتِكَ؟ قلتُ: خَمسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَومٍ ولَيلةٍ. قالَ: ارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطيقُ ذلِكَ، وإنّي قَد بَلَوتُ بَنِي إسرائيلَ وخَبَرتُهُم. قالَ: فرَجَعتُ إلى رَبّي فقُلتُ: أيْ رَبِّ، خَفِّفْ عَن أُمّتِي. فحطَّ عَنّي خمسًا. فرَجَعتُ إلى مُوسَى. قالَ: ما فَعَلتَ؟ فقُلتُ: قَد حَطَّ عَنّي خَمسًا. قالَ: إنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ لأمّتِكَ. قالَ: فلَم أزَلْ أرجِعُ بَينَ رَبِّي وبَينَ مُوسَى، ويَحُطُّ عَنّي خَمسًا خَمسًا، حتَّى قالَ: يا مُحمّدُ، هِيَ خمسُ صَلَواتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيلةٍ، بكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ. فتلكَ خَمسُونَ صلاةً. ومَن هَمَّ بحَسَنةٍ فلَم يَعمَلْها كُتِبتْ لَهُ حَسَنةً، فإنْ عَمِلَها كُتبَتْ لَهُ عَشْرًا. ومَن هَمَّ بسَيّئةٍ ولَم يَعمَلْها لَم تُكتَبْ، فإنْ عَمِلَها كُتبَتْ سَيّئةً واحِدةً.

٢- فنزَلتُ حَتّى انتَهيتُ إلى مُوسَى، فأخبَرتُهُ فقالَ: ارجِعْ إلى رَبّكَ، فاسألْهُ التَّخفِيفَ لأُمّتِكَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فقُلتُ: قَد رجَعتُ إلى ربِّي حَتَّى استَحْيَيتُ». رواه الشيخان واللفظ لمسلم. وروى الحاكم في «المُستدرك» عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ رَبِّي، عَزَّ وجَلَّ».

٣- قال تعالى: ﴿وآتينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿وجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسرائيلَ﴾، لِـ ﴿ألّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ ٢: يُفوّضون إليه أمرهم - وفي قراءة: «تَتَّخِذُوا» بالفَوقانيّة التفاتًا. فـ«أن» زائدة والقول مضمر. يا ﴿ذُرِّيّةَ مَن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة. ﴿إنَّهُ كانَ عَبدًا شَكُورًا﴾ ٣: كثيرَ الشكر لنا، حامدًا في جميع أحواله - ﴿وقَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَى بَنِي إسرائيلَ، في الكِتابِ﴾: التوراةِ، ﴿لَتُفسِدُنَّ في الأرضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرّتَينِ، ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٤: تبغُونَ بغيًا عظيمًا.

٤- ﴿فإذا جاءَ وَعدُ أُولاهُما﴾: أُولى مَرّتَي الفسادِ ﴿بَعَثْنا علَيكُم عِبادًا لَنا، أُولِي بأسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابَ قُوّةٍ في الحرب وبطشٍ، ﴿فجاسُوا﴾: تردّدوا لطلبكم ﴿خِلالَ الدِّيارِ﴾: وسْطَ دياركم ليقتلوكم أو يَسبُوكم، ﴿وكانَ وَعدًا مَفعُولًا﴾ ٥. وقد أفسدوا الأُولى بقتلِ زكرياءَ، فبُعث عليهم جالوتُ وجنوده، فقتلوهم وسبَوا أولادهم وخرّبوا بيت المقدس. ﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرّةَ﴾: الدَّولة والغَلَبة ﴿علَيهِم﴾، بعد مِائَة سنة بقتل جالوت، ﴿وأمدَدْناكُم بِأموالٍ وبَنِينَ، وجَعَلْناكُم أكثَرَ نَفِيرًا﴾ ٦: عشيرة.

٥- وقلنا: ﴿إن أحسَنتُم﴾ بالطاعة ﴿أحسَنتُم لِأنفُسِكُم﴾، لأنّ ثوابه لها، ﴿وإن أسأتُم﴾ بالفساد ﴿فلَها﴾ إساءتُكم. ﴿فإذا جاءَ وَعدُ﴾ المرّةِ ﴿الآخِرةِ﴾ بعثناهم، ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم﴾: يحزنوكم بالقتل والسبي حُزنًا، يظهر في وجوهكم، ﴿ولِيَدخُلُوا المَسجِدَ﴾ بيتَ المقدس فيُخرّبوه، ﴿كما دَخَلُوهُ﴾ وخرّبوه ﴿أوّلَ مَرّةٍ، ولِيُتَبِّرُوا﴾: يُهلِكوا ﴿ما عَلَوا﴾: غلبوا عليه ﴿تتبِيرًا﴾ ٧: إهلاكًا. وقد أفسدوا ثانيًا بقتل يحيى، فبُعث عليهم بُختَنَصَّرُ، فقتل منهم ألوفًا وسبَى ذرّيّتهم وخرّب بيت المقدس. وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَى رَبُّكُم أن يَرحَمَكُم﴾، بعد المرّة الثانية إن تُبتم، ﴿وإن

(١) نزلت أي: إلى السماء السادسة. وبلوتهم: اختبرتهم فلم يطيقوا ذلك. وحط: أسقط. و«حتى قال» القولُ بعده إلى آخر الفقرة هو حديث قدسي، من كلام الله - تعالى - في غير القرآن الكريم. وهمّ بحسنة: نواها وعزم أن يفعلها. وهمّ بسيئة: نواها وحدث نفسه بها. (٢) الصواب أن لفظ الحديث هو لابن كثير عن المسند ٣:١٤٨-١٤٩، بخلاف يسير، والخلاف لروايات الشيخين كثير جدًا. انظر «المفصل». وقد روى هذا الحديث عشرون من الصحابة، وهو من المتواتر في المسانيد عنهم ومعروف في كل أقطار الإسلام. وحديث ابن عباس في المستدرك ٢:٣٦٢ و٤٦٩. وفي طبيعة هذه الرؤية خلاف. فقد روي عن ابن عباس أنها كانت بالقلب، والثابت عن السيدة عائشة أنها قالت: «مَن حدّثكَ أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب». تعني الرؤية بالعين. الأحاديث ٤٥٧٤ و٦٩٤٥ في البخاري و٢٨٧ في مسلم. وقد سئل النبي ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ فقال: «رأيتُه بِفُؤادِي، ولَم أرَهُ بِعَينِي». وقال أيضًا بصيغة الإنكار: «نُورٌ، أنّى أراهُ»؟ (٣) آتيناه الكتاب: أعطيناه إياه في ألواح. وجعلناه: صيّرنا التوراة. والهدى: المرشد إلى الحق. وبنو إسرائيل: قوم موسى وهم اليهود من ذرية يعقوب. ويتخذوا: يجعلوا. والفوقانية: التاء. والذرية: النسل والسلالة. وحملناه: للنجاة من الغرق. ومن كان مع نوح: أهله والمؤمنون. فالذرية هي من سلالة أولئك جميعًا، لا من أبناء نوح وحدهم. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤٠ من سورة هود. وما جاء في الآية ٧٧ من الصافات، والحديث ٣٢٢٨-٣٢٢٩ في الترمذي وغيره، فيه بحث يؤيد ما ذهبنا إليه. المحرر ٤:٤٧٧ والبحر ٧:٣٦٤ والكشاف ٤:٤٨ وفتح القدير ٤:٥٦١ وتفسيرا القرطبي ٢٥:٨٩ والآلوسي ٢٣:١٤٥ ومروج الذهب ١:٥١-٥٢. والشكر: استحضار النعم والثناء على المنعم. والراجح أن المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ. وقضينا: أنفذنا في القضاء المحتوم. وتفسد: تشيع الشر. والعدد هنا ليس مرادًا به تحديد إفسادين فحسب - انظر تعليقنا على الآية ١٠٤ - وإنما هو مثال سريع لإفساد اليهود المتكرر، لأنهم شياطين البشر في العالم. والأرض: الأرض كلها حيثما وجد يهودي صِهيَوني. (٤) جاء: حان. والوعد: وقت ما أُوعدوا به. وبعثنا: سلطنا. والعباد: جمع عبد. والديار: جمع دار. وكان أي: وعدُ أولاهما. ومفعولًا: مقضيًا لابد منه. وجالوت: أحد ملوك العماليق العرب. ورددنا: نعيد. وقد قتل داودُ جالوتَ في الحرب. وأمددناكم: أعنّاكم. والأموال: جمع مال. والبنون: جمع ابن. وجعلنا: صيّرنا. والنفير: جمع نَفْر. وهم القوم يسرعون إلى العون. (٥) أحسنتم: جعلتم أعمالكم مع الشرع. وأسأتم: خالفتم الأمر والنهي. والآخرة: المرة الثانية من الفساد. ويسوءه: يُلحق به ما يُقبّحه. والوجوه: جمع وجه. ويدخلوه: يقتحموه بالقوة. وبُختنصَّر: ملك من البابليين العرب كان قبل عيسى. ومقتل يحيى كان بعد رفع عيسى. فالصواب أن المقتول في عهد بختنصر هو شعياء. ويرحمكم: يعطف عليكم بالنجاة من العدو والعذاب. والكتاب: اللوح المحفوظ. وعدتم: رجعتم مرة أُخرى. وعدنا: رجعنا نكافئكم. وقُريظة والنَّضير من اليهود ، غدروا بالمسلمين ونقضوا العهود. وعليهم: على من بقي من اليهود في حماية المسلمين. وجعل: صيّر. وحصيرًا: ذات حَصر وحَبس. يعني: مكان ذلك لاخلاص منه ولا مهرب.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

عُدتُم﴾ إلى الفساد **﴿عُدْنا﴾** إلى العُقوبة. وقد عادوا بتكذيب مُحمّد ﷺ، فسُلّط عليهم بقتل قُريظةَ، ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم، **﴿وجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرِينَ حَصِيرًا﴾** ٨: مَحبِسًا وسِجنًا.

١- **﴿إنَّ هٰذا القُرآنَ يَهدِي لِلَّتي﴾** أي: للطريقة التي **﴿هِيَ أقوَمُ﴾**: أعدَلُ وأصوَبُ، **﴿ويُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا كَبِيرًا ٩، و﴾** يُخبرُ **﴿أنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ أعتَدْنا﴾**: أعددنا **﴿لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾** ١٠: مُؤلمًا، هو النار، **﴿ويَدْعُ الإنسانُ بالشَّرِّ﴾** على نفسه وأهله، إذا ضَجِرَ، **﴿دُعاءَهُ﴾** أي: كدُعائه له **﴿بالخيرِ، وكانَ الإنسانُ﴾**، الجنس، **﴿عَجُولًا﴾** ١١ بالدُّعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته.

٢- **﴿وجَعَلْنا اللَّيلَ والنَّهارَ آيتَينِ﴾** دالّتين على قُدرتنا، **﴿فَمَحَونا آيةَ اللَّيلِ﴾**: طمسْنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه - والإضافة للبيان - **﴿وجَعَلْنا آيةَ النَّهارِ مُبصِرةً﴾** أي: مُبصَرًا فيها بالضوء، **﴿لِتَبتَغُوا﴾** فيه **﴿فَضلًا مِن رَبِّكُم﴾** بالكسب، **﴿ولِتَعلَمُوا﴾** بهما **﴿عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ﴾** للأوقات، **﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾** يُحتاج إليه **﴿فَصَّلْناهُ تَفصِيلًا﴾** ١٢: بيّنّاه تبيينًا، **﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزَمْناهُ طائرَهُ﴾**: عمله **﴿في عُنُقِهِ﴾**. خُصّ بالذكر لأنّ اللزوم فيه أشدّ. وقال مُجاهد: ما من مولود يُولد إلّا وفي عُنقه ورقة، مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. **﴿ونُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامةِ كِتابًا﴾** مكتوبًا فيه عمله، **﴿يَلقاهُ مَنشُورًا﴾** ١٣: صفتان لـ «كتابًا»، ويقال له: **﴿اقرَأْ كِتابَكَ، كَفَى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا﴾** ١٤: مُحاسِبًا!

٣- **﴿مَنِ اهتَدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ﴾**، لأنّ ثواب اهتدائه له، **﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَلَيها﴾**، لأنّ إثمه عليها، **﴿ولا تَزِرُ﴾** نفسٌ **﴿وازِرةٌ﴾**: آثمةٌ، أي: لا تحملُ **﴿وِزرَ﴾** نفسٍ **﴿أُخرَى، وما كُنّا مُعَذِّبِينَ﴾** أحدًا **﴿حَتَّى نَبعَثَ رَسُولًا﴾** ١٥، يُبيّنُ له ما يجب عليه، **﴿وإذا أرَدْنا أن نُهلِكَ قَريةً أمَرْنا مُترَفِيها﴾**: مُنعَّميها بمعنى رؤسائها، بالطاعة على لسان رسلنا، **﴿فَفَسَقُوا فِيها﴾**: فخرجوا عن أمرنا، **﴿فَحَقَّ عَلَيها القَولُ﴾** بالعذاب، **﴿فَدَمَّرْناها تَدمِيرًا﴾** ١٦: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها. **﴿وكَم﴾** أي: كثيرًا **﴿أهلَكْنا مِنَ القُرُونِ﴾**: الأُممِ، **﴿مِن بَعدِ نُوحٍ! وكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** ١٧: عالمًا ببواطنها وظواهرها! وبه يتعلّق: بذنوب.

---

(١) القرآن: الكتاب الذي أوحي على محمد ﷺ. ويهدي: يرشد من بلغهم. ويبشّر: يخبر بما يُسعِد. ويعمل: يكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الشرع. والأجر: الثواب. ولايؤمن: ينكر. والآخرة: الحياة بالبعث للحساب. ونزلت الآية ١١، كما قال ابن عباس وآخرون، تذم ما يفعله الناس من الدعاء بالشر حين الغضب. البحر ٦: ١٣. وانظر «المفصل». ويدع: يدعو، حذفت الواو في الرسم تخفيفًا. ويدعو به: يطلب حصوله بإلحاح. والإنسان: كل إنسان. عُبِّرَ عن الجميع بما هو الغالب في الناس. والشر: ما يضر. وضجر: اضطرب من الغم. وله أي: لنفسه. والخير: ما ينفع. والجنس: جنس الناس، إذ لايخلو أحد من العجلة. والعجول: الذي يسارع إلى ما يخطر بباله أو يريده. وعاقبته: ما يترتب على الدعاء.

(٢) جعل: صيّر. وآيتين: علامتين بما فيهما من الانتظام والتعاقب والاختلاف والتناقض والخير، تحملان على الاعتبار للإيمان. ومحوناها: خلقناها على حال الظلام. وللبيان أي: للتبيين. والمبصِرة: المضيئة يكون مَن فيها مدركًا للمرئيات. وتبتغوا: تتوصلوا إلى استبانة تصرفكم. والفضل: التفضل بالنعم. ومن ربكم: من عنده وبأمره. وتعلم: تدرك بالاستدلال. والعدد: ما يُعدّ. وألزمناه: ألصقنا به. وعمله: ما صدر عنه لا يفارقه. والعنق: الرقبة. وقول مجاهد هنا تفسير آخر للطائر، والمراد به ما قُدّر على الإنسان من عمل في حياته، يختاره بحسب ما لديه من استعداد فيحاسب عليه، أو يكون على غير اختياره فيغتفر له. ونخرج: نُظهِر. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويلقاه: يراه بعينيه. والمنشور: المفتوح. واقرأه: تتبع ما فيه قراءة ووعيًا. وكتابك: سِجلّ أعمالك أُحصيتْ لك. وكفى: أغنى عن غيره وجاء بما هو واف لا زيادة فيه ولا نقصان. واليوم: هذا اليوم الذي هو زمن الآخرة.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. واهتدى: استرشد إلى الخير. وضل: انحرف عن الخير إلى الكفر. والوزر: ثقل الذنوب. والأُخرى: المغايرة. وما كنا أي: وما نزال بدون قيد زماني. ومعذبين: منتقمين بعذاب استئصال ودمار، كما جرى للأمم المكذبة الغابرة. ونبعثه: نكلفه بتبليغ الدين ولزوم الطاعة. وأردنا: شئنا. ونهلك قرية: ندمر مدينة ومن فيها من الكافرين. وأمرناهم: بلّغناهم وأوجبنا عليهم. وحق: وجب. والقول: وعيدُ الله وتهديده، أي: قولنا. والقرون: جمع قرن. وخُصّ نوح بالذكر لأنه أول رسول كذبه قومه. والذنوب: جمع ذنب. والعباد: جمع عبد. والعلم بالبواطن تفسير للخبير، وبالظواهر تفسير للبصير. وبه أي: بـ «خبيرًا» لقربه. وعبارة السيوطي على خلاف ذلك. انظر «المفصل».

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

١- ﴿مَن كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿العاجِلةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ، لِمَن نُرِيدُ﴾ التعجيلَ له: بدلٌ من «له» بإعادة الجارّ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ﴾ في الآخِرة ﴿جَهَنَّمَ، يَصلاها﴾: يدخلها ﴿مَذمُومًا﴾: ملومًا، ﴿مَدحُورًا﴾ ١٨: مطرودًا عن الرحمة، ﴿ومَن أرادَ الآخِرةَ، وسَعَى لَها سَعيَها﴾: عمل عملها اللائق بها، ﴿وهْوَ مُؤمِنٌ﴾: حالٌ، ﴿فأُولٰئِكَ كانَ سَعيُهُم مَشكُورًا﴾ ١٩ عند الله، أي: مقبولًا مُثابًا عليه. ﴿كُلًّا﴾ من الفريقينِ ﴿نُمِدُّ﴾: نُعطي، ﴿هٰؤُلاءِ وهٰؤُلاءِ﴾: بدلٌ، ﴿مِن﴾: متعلّقٌ بـ «نُمدّ» ﴿عَطاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا، ﴿وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحظُورًا﴾ ٢٠: ممنوعًا عن أحد. ﴿انظُرْ: كَيفَ فَضَّلْنا بَعضَهُم علَى بَعضٍ﴾ في الرِّزق والجاه؟ ﴿ولَلآخِرةُ أكبَرُ﴾: أعظم ﴿دَرَجاتٍ، وأكبَرُ تَفضِيلًا﴾ ٢١ من الدنيا. فينبغي الاعتناء بها دونها. ﴿لا تَجعَلْ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ، فتَقعُدَ مَذمُومًا مَخذُولًا﴾ ٢٢: لا ناصر لك.

ربع الحزب ٢٩

٢- ﴿وقَضَى﴾: أمَرَ ﴿رَبُّكَ أن﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلّا إيّاهُ، و﴾ أن تُحسنوا ﴿بِالوالِدَينِ إحسانًا﴾ بأن تبَرُّوهما. ﴿إمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما﴾: فاعل ﴿أو كِلاهُما﴾ - وفي قراءة: «يَبلُغانِّ» فأحدهما: بدل من ألفه - ﴿فلا تَقُلْ لَهُما: أُفَّ﴾، بفتح الفاء، وكسرِها مُنوّنًا وغيرَ منوّن: مصدرٌ بمعنى تَبًّا وقُبحًا، ﴿ولا تَنهَرْهُما﴾: تَزجُرْهما، ﴿وقُلْ لَهُما قَولًا كَرِيمًا﴾ ٢٣: جميلًا ليّنًا، ﴿واخفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ﴾: أَلِن لهما جانبَكَ الذليلَ ﴿مِنَ الرَّحْمةِ﴾ أي: لرقّتك عليهما، ﴿وقُلْ: رَبِّ، ارحَمْهُما كَما﴾ رحِماني حين ﴿رَبَّياني صَغِيرًا ٢٤. رَبُّكُم أعلَمُ بِما في نُفُوسِكُم﴾، من إضمار البرّ والعُقوق. ﴿إن تكُونُوا صالِحِينَ﴾: طائعِينَ لله ﴿فإنَّهُ كانَ لِلأوّابِينَ﴾: الرجّاعِينَ إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ ٢٥، لِما صدر منهم في حقّ الوالدَينِ من بادرة، وهم لا يُضمرون عقوقًا.

٣- ﴿وآتِ﴾: أعطِ ﴿ذا القُربَى﴾: القرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾، من البِرّ والصِّلة، ﴿والمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ، ولا تُبَذِّرْ تَبذِيرًا﴾ ٢٦ بالإنفاق في غير طاعة الله -

---

(١) في الآيتين ١٨ و١٩ دليل على إرادة الإنسان واختياره، وأن الله - تعالى - يُمدّ كلًّا في توجّهه لينال حسابه بعد، كما سيرد في الآية ٢٠. ويريد العاجلة: يطلب باختياره وعمله متاع الحياة القريبة، ويؤثره على نعيم الحياة الآخرة. وعجلناه فيها: حققناه في الدنيا. وما نشاء أي: ما نريد حصوله. وبدل: يعني أن «لمن»: بدل من «له». وجعلنا: صيّرنا. وجهنم: اسم علم للنار التي أعدت للكافرين. ويدخلها أي: ويقاسي أهوالها. وأراد الآخرة: طلب ثواب الدار الآخرة وآثره على متاع الدنيا. ولها: لأجلها. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزم عنه. والفريقان: من يطلب العاجلة ومن يطلب الآخرة. والعطاء: ماقدّر ويُسّر من الرزق. وانظر: تفكّر وتدبّر. وفضلناه: ميّزناه وجعلناه أكثر مُلكًا. والدرجات: التفاوت في نيل الجزاء. وبها دونها أي: بالآخرة من دون الدنيا. يعني أن يكون ما يُقصد في الدنيا، من عمل ومتاع وزينة، مرتبطًا بالإيمان وخالصًا لثواب الاخرة. ولا تجعل: لاتتخذ. والإله: المعبود المطاع. وآخر: ثانيًا مغايرًا للمولى، تعالى. وتقعد: تصير في الدنيا والآخرة. والمذموم: من يلومه الصالحون. والمخذول: المُهمَل تُرك بلا عون. **(٢)** الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. وتعبد: تقدس وتطيع. والوالدان: الأب والأم. وكذلك الجد والجدة. ويبلغه: يصل إليه. وعندك: في رعايتك أو حياتك. والكبر: السن العالية من الكهولة وغيرها. وإنما ذكر قيدا العندية والكبر على سبيل الغالب، من أحوال الناس في التهاون بالوالدين، إذا كانا عندهم أو صارا في عجز. والمراد عموم النهي في كل حال. وأحدهما: الواحد منهما. ومن ألفه أي: من الألف قبل النون. ولهما: لكليهما معًا أو لواحد منهما. وذكر السيوطي هنا ثلاث قراءات: ما أثبتنا، و«أُفٌ»، و«أُفِّ». والنهي عن التضجر يستلزم النهي عن غيره، مما يكون فيه عدم الاحترام أوالبرّ، أي: لا تقل لهما هذه الكلمة، فضلًا عما يزيد عليها. وتبًا: خسرانًا. والنهر والزجر: الصياح بشدة وغلظة. ورب أي: ياربي. وارحمهما: اعطف عليهما بالعون والإكرام. وربّاني: غذاني وعطف عليّ. والصغير: العاجز بجسمه وعقله وقدراته. وأعلم: أكثر اطلاعًا منكم. والنفوس: جمع نفس، أي: ما يحوي الأحاسيس والعواطف والنيات. وتكونوا: في حال المعاملة للأبوين والمتابعة لشؤونهما. والصالح: من كان عمله كما أمر الله. وكان أي: وما يزال دون حد من الزمان. وإلى طاعته: بالتوبة والاستغفار. والغفور: الكثير الستر للذنوب والصفح عنها. خ: «في حقوق الوالدين». والبادرة: الزلة عند الغضب. **(٣)** ذو القربى: الملازم للقرابة بالنسب أو الرحم. وحقه: ما يتعيّن له شرعًا عليك من الحقوق. والمسكين: من لايملك شيئًا. وابن السبيل: المسافر البعيد عن بلده، وهو في حاجة إلى المساعدة. والتبذير: إتلاف المال في الترف والكماليات والمعاصي والمفاخر والمباهاة. والإخوان: جمع أخ. وهو المصاحب والمقارن في الدنيا والآخرة. والشياطين: جمع شيطان. وهو إبليس وذريته من الجن، ومن يوسوس بالشر من الناس. والكفر: التكذيب والجحود، أي: عدم الشكر على النعم. وتعرض: تنصرف بوجهك إلى شيء آخر. انظر سبب النزول في المفصل. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. وترجوها: تتأمل حصولها. وتجعل: تصيّر. ومغلولة: كالمشدودة تمنعك من التصرف والعطاء. والعنق: الرقبة. وفيما عدا الأصل: «كل المسك». وتبسطها: تمدها وتفتحها. والإنفاق: بذل المال. وتقعد: تصير. والملوم: الذي يذمه الخلق والخالق. وراجع للثاني: يعني أن الثاني - وهو البسط كل البسط - سبب لكون الإنسان محسورًا، والأول - وهو جعل اليد مغلولة - سبب لكونه ملومًا. والخير في الاقتصاد والاعتدال. والرزق: ما يُعطاه المخلوقُ من المتاع والزينة. ويشاء: يريد التوسعة عليه أو التضييق. وكان أي: ومايزال دون قيد بالزمان. والعباد: جمع عبد.

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا
مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا
كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ
خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ
سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن
قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي
ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي
هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ
مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ
إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ
ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

﴿**إنَّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخْوانَ الشَّياطِينِ**﴾ أي: على طريقتهم، ﴿**وكانَ الشَّيطانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ ٢٧: شديد الكُفر لنِعمه. فكذلك أخوه المُبذِّر - ﴿**وإمّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ**﴾ أي: المذكورِينَ، من ذِي القُربَى ومَن بعدَه، فلم تُعطهم، ﴿**ابتِغاءَ رَحْمةٍ مِن رَبِّكَ تَرجُوها**﴾ أي: لطلب رِزق تنتظره، يأتيك فتُعطيهم منه، ﴿**فقُلْ لَهُم قَولًا مَيسُورًا**﴾ ٢٨: ليِّنًا سهلًا، بأن تَعِدَهم بالإعطاء عند مجيء الرزق، ﴿**ولا تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولةً إلَى عُنُقِكَ**﴾ أي: لا تُمسكها عن الإنفاق كُلّ الإمساك، ﴿**ولا تَبسُطْها**﴾ في الإنفاق ﴿**كُلَّ البَسطِ، فتَقعُدَ مَلُومًا**﴾ - راجعٌ للأوّل - ﴿**مَحسُورًا**﴾ ٢٩: مُنقطعًا لا شيء عندك. راجعٌ للثاني. ﴿**إنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعه ﴿**لِمَن يَشاءُ، ويَقْدِرُ**﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿**إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ ٣٠: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم، فيرزقهم على حسَب مصالحهم.

١- ﴿**ولا تَقتُلُوا أولادَكُم**﴾ بالوأد ﴿**خَشْيَةَ**﴾: مخافةَ ﴿**إملاقٍ**﴾: فقر - ﴿**نَحنُ نَرزُقُهُم وإيّاكُم. إنَّ قَتلَهُم كانَ خِطْئًا**﴾: إثمًا ﴿**كَبِيرًا**﴾ ٣١: عظيمًا - ﴿**ولا تَقرَبُوا الزِّنَى**﴾. أبلغُ مِن: لا تأتوه. ﴿**إنَّهُ كانَ فاحِشةً**﴾: قبيحًا ﴿**وساءَ**﴾: بئسَ ﴿**سَبِيلًا**﴾ ٣٢: طريقًا هو! ﴿**ولا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالحَقِّ - ومَن قُتِلَ مَظلُومًا فقَد جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ**﴾: لوارثه ﴿**سُلطانًا**﴾: تسلّطًا على القاتل. ﴿**فلا يُسرِفْ**﴾: يتجاوزِ الحدَّ ﴿**في القَتلِ**﴾، بأن يقتل غيرَ قاتله، أو بغير ما قَتل به. ﴿**إنَّهُ كانَ مَنصورًا ٣٣ - ولا تَقرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلّا بِالَّتِي هِيَ أحسَنُ، حَتَّى يَبلُغَ أشُدَّهُ، وأَوفُوا بِالعَهدِ**﴾، إذا عاهدتم الله أو الناس - ﴿**إنَّ العَهدَ كانَ مَسؤُولًا**﴾ ٣٤ عنه - ﴿**وأَوفُوا الكَيلَ**﴾: أتِمُّوه ﴿**إذا كِلتُم، وزِنُوا بِالقِسطاسِ المُستَقِيمِ**﴾: الميزان السويّ. ﴿**ذٰلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تأوِيلًا**﴾ ٣٥: مآلًا.

٢- ﴿**ولا تَقْفُ**﴾: تَتّبعْ ﴿**ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ. إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ**﴾: القلب ﴿**كُلُّ أُولٰئِكَ كانَ عَنهُ مَسؤُولًا**﴾ ٣٦ صاحبُه: ماذا فَعل به؟ ﴿**ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا**﴾ أي: ذا مرح بالكِبْر والخُيلاء - ﴿**إنَّكَ لَن تَخرِقَ الأرضَ**﴾: تثقُبَها حتّى تبلغَ آخِرها بكِبرك، ﴿**ولَن تَبلُغَ الجِبالَ طُولًا**﴾ ٣٧. المعنى: إنك لا تبلغ هذا المبلغ. فكيف تختال؟ ﴿**كُلُّ ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**كانَ سَيِّئةً عِندَ رَبِّكَ مَكرُوهًا ٣٨. ذٰلِكَ مِمّا أوحَى إلَيكَ**﴾، يا مُحمّد، ﴿**رَبُّكَ مِنَ الحِكْمةِ**﴾: المواعظ - ﴿**ولا تَجعَلْ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ، فتُلقَى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدحُورًا**﴾ ٣٩: مطرودًا عن رحمة الله.

---

(١) انظر الآية ١٥١ من سورة الأنعام. والأولاد: الأبناء والبنات، جمع ولد. والوأد: دفن الولد وهو حي. ونرزقهم: نيسر ما يحتاجون إليه في حياتهم. وفي الأصل والنسختين وقرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «خطأ». ولاتقربوه: تجنبوا مقدماته، كالخلوة والتغزل واللمس والنظر والقبلة. والزنى: مجامعة المرأة بدون عقد شرعي. وكان أي: وما يزال. وساء: بلغ الغاية في القبح والسوء والشر. وسبيلًا: طريقًا واضحًا إلى الفساد وعذاب النار. والنفس: الإنسان الحي. وحرم: منع قتلها. والحق: العدل الذي يوجب القتل، لأمثال المرتد والزاني المحصَن والقاتل للمؤمن المعصوم عمدًا. والمظلوم: الذي لايحق قتله. وجعل: صيّر. والحد: ما بيّنه الشرع من الحكم. وغير قاتله: غير من قَتل المظلوم. وإنه أي: الولي الوارث للقتيل. والمنصور: المؤيَّد بالشرع والتيسير عند الحكام. والنهي عن القرب هو لأولياء اليتيم. والمال: ما اجتمع في المُلك من متاع وزينة. واليتيم: الطفل توفي والده. والتي هي أحسن: تنميةُ المال والإنفاقُ على صاحبه بالمعروف. ويبلغ: يدرك. والأشُد: مرحلة الرشد واكتمال العقل. وأوفوا به: أدّوه تامًّا. والعهد: ما يتعهد الإنسان بالتزامه. ومسؤولًا: محاسَبًا صاحِبه. والكيل: تحديد ما يقاس مقداره بالمكيال من المبيعات. والسوي: القويم العادل. وذلك: إتمامُ الكيل والوزنُ العادل. وخير: أكثر نفعًا من مكاسب الظلم في الكيل والوزن. وأحسن: أجمل وأهنأ. ومآلًا: عاقبةً في الدنيا والآخرة.

(٢) العلم: الإدراك والمعرفة. والفؤاد: العقل الذي يدرك. وهو القلب يمدّ الدماغ بماء الحياة. انظر البحر ٦ :٣٧٨. ومسؤولًا أي: للحساب والجزاء. يعني: كل أولئك عنه تُسأل أنت. وتمشي: تسير وتتنقل حيث كنت. والمرح: شدة السرور. وتبلغ: تدرك. والجبال: جمع جبل. والمذكور: ما ورد في الآيات ٢٢-٣٧، مما نُهي عنه أو أُمر بتركه. وهو أربع وعشرون خصلة. وكان أي: وما يزال. والسيئة: العمل القبيح، أي: ما حرمه الله. وفي ث وط والمنحة والمطبوعات: «سَيِّئُهُ». وعند ربك: في حكمه وشرعه. والمكروه: البغيض يعاقَب فاعله. والإشارة بـ «ذلك» إلى الآيات ٢٢-٣٨. وأوحى: أنزله إليك على لسان جبريل ويسر حفظه وتبليغه. والحكمة: معرفةُ الحق لذاته والخير للعمل به، والإتقانُ لوضع الأمور في مواضعها. وتلقى: ترمى بالقهر والهوان. وعن ابن عباس أن الآيات الثماني عشرة ٢٢-٣٩ كانت في ألواح موسى، عشر آيات من التوراة. تفسير الآلوسي ١٥ :١١٠. ومطرودًا: انظر الآيتين ١٨ و٢٢. وقد كرر هنا للدلالة على أن التوحيد هو مبدأ الأمر ومنتهاه، وبدونه لا يصح عمل، وليبنى عليه ما يلي من الإنكار والتوبيخ.

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم
بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا
﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

١- ﴿**أفأصفاكُم**﴾: أخلصكم - يا أهل مكّة - ﴿**رَبُّكُم بالبَنِينَ، واتَّخَذَ مِنَ المَلائكةِ إناثًا**﴾: بناتًا لنفسه بزعمكم؟ ﴿**إنَّكُم لَتَقُولُونَ**﴾ بذلكَ ﴿**قَولًا عَظِيمًا**﴾ ٤٠. **ولَقَد صَرَّفْنا**﴾: بيّنّا ﴿**في هٰذا القُرآنِ**﴾، من الأمثال والوعد والوعيد، ﴿**لِيَذَّكَّرُوا**﴾: يتّعظوا، ﴿**وما يَزيدُهُم**﴾ ذلك ﴿**إلّا نُفُورًا**﴾ ٤١ عن الحقّ.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لو كانَ مَعَهُ**﴾ أي: اللهِ ﴿**آلِهةٌ، كَما تَقُولُونَ، إذًا لابتَغَوا**﴾: طلبُوا ﴿**إلى ذِي العَرشِ**﴾ أي: اللهِ ﴿**سَبِيلًا**﴾ ٤٢ ليُقاتلوه. ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له، ﴿**وتَعالَى عَمّا يَقُولُونَ**﴾، من الشّركاء، ﴿**عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ ٤٣! ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ**﴾: تُنزّهُه ﴿**السَّماواتُ السَّبعُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ، وإن**﴾: ما ﴿**مِن شَيءٍ**﴾ من المخلوقات ﴿**إلّا يُسَبِّحُ**﴾، مُلتبسًا ﴿**بِحَمدِهِ**﴾ أي يقول: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿**ولٰكِن لا تَفقَهُونَ**﴾: لا تفهمون ﴿**تَسبِيحَهُم**﴾، لأنه ليس بلُغتكم. ﴿**إنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ ٤٤، حيثُ لم يُعاجلكم بالعُقوبة.

٣- ﴿**وإذا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَينَكَ وبَينَ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ حِجابًا مَستُورًا**﴾ ٤٥ أي: ساترًا لك عنهم، فلا يرونك - نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ - ﴿**وجَعَلْنا على قُلُوبِهِم أكِنَّةً**﴾: أغطية، ﴿**أن يَفقَهُوهُ**﴾: من أن يفهموا القُرآن، أي: فلا يفهمونه، ﴿**وفي آذانِهِم وَقْرًا**﴾: ثِقَلًا فلا يسمعونه، ﴿**وإذا ذَكَرتَ رَبَّكَ في القُرآنِ وَحدَهُ وَلَّوا، على أدبارِهِم نُفُورًا**﴾ ٤٦ عنه. ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِما يَستَمِعُونَ بِهِ**﴾: بسببه من الهُزء، ﴿**إذ يَستَمِعُونَ إلَيكَ**﴾: إلى قراءتك، ﴿**وإذ هُم نَجوَى**﴾: يتناجَون بينهم أي: يتحدّثون، ﴿**إذ**﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿**يَقُولُ الظّالِمُونَ**﴾ في تناجيهم: ﴿**إن**﴾: ما ﴿**تَتَّبِعُونَ إلّا رَجُلًا مَسحُورًا**﴾ ٤٧: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

٤- قال تعالى: ﴿**انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثالَ**﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر، ﴿**فضَلُّوا**﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿**فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾ ٤٨:

---

(١) الصواب أن هذه الآية نزلت فيمن قال من المشركين: «الملائكة بنات الله»، وهم عدة قبائل منهم بعض قريش. فقد جعلوا الملائكة إناثًا، وزعموا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم أيضًا. فكانوا في ضلال مركب. والبنون: الذكور من الأولاد، جمع ابن. واتخذ: صنع. والملائكة: جمع ملَك. والإناث: جمع أنثى. و«بناتًا» أجاز الكوفيون نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة، على لغة قليلة لبعض العرب. الارتشاف ١:٤١٩. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بناتٍ». وذلك أي: الاعتقادُ بنسبة الأولاد إلى الله، وتأليهُ الملائكة. وعظيمًا: مبالِغًا في القبح. وبيّنّا: أوضحنا مرارًا. ويزيدهم: يضيف إليهم. وذلك أي: التصريف والتبيين. والنفور: البعد والفرار.

(٢) الآلهة: جمع إله. وهو المعبود المطاع بحق. وتقولون: تزعمون. وذو العرش: صاحبه متفردًا به. والعرش هنا: الملك والسلطان والربوبية. والسبيل: الطريق والوسيلة. ويقاتلوه أي: ويفسدوا حكمه، كما يكون بين الملوك. وتعالى: تعظم وتنزه. ويقولون: يزعمونه. ومن الشركاء أي: من وجودهم. والكبير: العظيم لاحد له. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ومن فيهن أي: من في السماوات والأرض وبينهما من المخلوقات. والحمد: الثناء على الفضل والإحسان. والصواب، كما في الوجيز، أن المراد بالتسبيح هنا الدلالة على حكمته وتنزُّهه من الأسواء، وأن المخلوقات كلها تدل على ذلك بما فيها من العجائب، ولكن المشركين لا يستدلون ولايعتبرون. فالتسبيح لغير العاقلين هو بلسان الحال لابلسان المقال. وكان أي: ولايزال بدون قيد من الزمان. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنب، والمتأني عند الغضب مع قدرة وقوة وتمكن. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والصفح عنها.

(٣) قرأت: تلوت. والقرآن أي: بعض آياته. وجعل: صيّر. ولايؤمنون: ينكرون. والآخرة: الحياة بالبعث للحساب والجزاء. والحجاب: الحاجز يخفي ما وراءه. ونزل: يعني أن الآيات ٤٥-٤٨ نزلت فيهم. وفي البيضاوي أن الحجاب هنا معنوي، يحول دون فهم المشركين لِما في الآيات من الحق والهداية. انظر «المفصل». والقلوب: جمع قلب. والأكنة: جمع كِنان. وهو الغِطاء. والآذان: جمع أذن. وذكرتَ ربك: تلوت آيات التوحيد. ووحده: متفردًا متوحّدًا. وولوا: ابتعدوا. والأدبار: الظهور، جمع دبر. يعني: مدبرين منقلبين. والنفور: جمع نافر. وهو المبتعد الهارب. انظر الآية ٥ من سورة فصلت. وروي أن المشركين كانوا في دعوة للطعام، وقرأ عليهم النبي ﷺ بعض الآيات، ودعاهم إلى الإسلام، فصاروا يتهامسون أنه مجنون أو مسحور أو شاعر. فنزلت الآيتان، لفضح أسرارهم ووعيدهم بما يستحقون. الوجيز ١:٤٨٠. وأعلم: أدرى وأكثر إحاطة. وبما يستمعون به أي: بالطريقة التي ينصتون بها إلى القرآن. والنجوى: المتحدثون سرًا بينهم، جمع نجيّ. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. وأشنع ذلك هو الكفر. وتتبعون: توافقون وتطيعون، أي: إن اتبعتموه فإنما تطيعون من فَقَدَ عقله.

(٤) انظر أي: تفكر وتأمل. وضربوا: جعلوا. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الشَّبَه. وضلوا: ضاعوا وانحرفوا. ولايستطيعونه: لايقدرون عليه لِما هم عليه من الحيرة والجهل. وقالوا: انظرالآية ٥ من سورة الرعد. وكنا: صرنا. والعظام: جمع عظم. وهو القصب في الجسم يكون عليه اللحم. والرفات: الأجزاء المفتتة كالتراب. والمبعوث: الذي يحييه الله للحساب والجزاء. والخلق: المخلوق. والجديد: المستحدث مرة ثانية. وكونوا: صيروا. والحجارة: جمع حجر. والحديد: المعدن الصلب المعروف. أي: ولو كنتم أبعد عن الاتصال بالبشرية، حجارة أوحديدًا، لرّد الله إليكم الأرواح وجدّد فيكم الحياة حين=

۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ
يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)
وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)

نصف الحزب ٢٩

طريقًا إليه؟ ﴿وقالوا﴾ منكرينَ للبعث: ﴿أإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا أإنّا لَمبعُوثُونَ خلْقًا جَدِيدًا ٤٩؟ قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونوا حِجارةً أو حَدِيدًا ٥٠، أو خَلْقًا مِمّا يَكبُرُ في صُدُورِكُم﴾: يعظم عن قَبول الحياة، فضلًا عن العِظام والرُّفات. فلا بُدّ من إيجاد الروح فيكم. ﴿فسَيَقُولُونَ: مَن يُعِيدُنا﴾ إلى الحياة؟ ﴿قُلِ: الّذِي فَطَرَكُم﴾: خلقكم ﴿أوّلَ مَرّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا، لأنّ القادر على البدء قادر على الإعادة. بل هي أهون. ﴿فسَيُنغِضُونَ﴾: يُحرّكون ﴿إلَيكَ رُؤُوسَهُم﴾ تعجّبًا، ﴿ويَقُولُونَ﴾ استهزاءً: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعثُ؟ ﴿قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ قَرِيبًا ٥١، يومَ يَدعُوكُم﴾: يُناديكم من القُبور، على لسان إسرافيل، ﴿فتستَجِيبُونَ﴾: فتجيبون دعوته من القُبور، ﴿بِحَمدِهِ﴾: بأمره - وقيل: وله الحمد - ﴿وتَظُنُّونَ: إن﴾ ما ﴿لَبِثْتُم﴾ في الدنيا ﴿إلّا قَلِيلًا﴾ ٥٢، لهول ما ترون.

١- ﴿وقُلْ لِعِبادِي﴾ المُؤمنين، ﴿يَقُولُوا﴾ للكُفّار الكلمةَ ﴿الّتِي هِيَ أحسَنُ - إنّ الشّيطانَ يَنزَغُ﴾: يُفسد ﴿بَينَهُم. إنّ الشّيطانَ كانَ لِلإنسانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ٥٣: بيِّنَ العداوة - والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِكُم. إن يَشَأْ يَرحَمْكُم﴾ بالتوبة والإيمان، ﴿أو إن يَشَأْ﴾ تعذيبَكم ﴿يُعَذِّبْكُم﴾ بالموت على الكفر. ﴿وما أرسَلْناكَ عَلَيهِم وَكِيلًا﴾ ٥٤، فتُجبرَهم على الإيمان - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿ورَبُّكَ أعلَمُ بِمَن في السّماواتِ والأرضِ﴾، فيخصّهم بما شاء على قدر أحوالهم، ﴿ولَقَد فَضَّلْنا بَعضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعضٍ﴾، بتخصيص كُلّ منهم بفضيلة، كمُوسى بالكلام وإبراهيمَ بالخِلّة ومُحمّدٍ بالإسراء، ﴿وآتَينا داوُدَ زَبُورًا﴾ ٥٥.

٢- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ادعُوا الّذِينَ زَعَمتُم﴾ أنهم آلهةٌ ﴿مِن دُونِه﴾، كالملائكة وعِيسى وعُزير. ﴿فلا يَملِكُونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم، ولا تَحوِيلًا﴾ ٥٦ له إلى غيركم. ﴿أُولئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَـ﴾ ـهم آلهةً ﴿يَبتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿إلَى رَبِّهِمِ الوَسِيلَةَ﴾: القُربة بالطاعة، ﴿أيُّهُم﴾: بدل من واو «يبتغون»، أي: يبتغيها الذي هو ﴿أقرَبُ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿ويَرجُونَ رَحمَتَهُ، ويَخافُونَ عَذابَهُ﴾ كغيرهم. فكيف يدْعونهم آلهة؟ ﴿إنّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذُورًا ٥٧، وإن﴾: ما ﴿مِن قَريةٍ﴾ - أُريدَ أهلُها - ﴿إلّا نَحنُ مُهلِكُوها، قَبلَ يَومِ القِيامةِ﴾ بالموت، ﴿أو مُعَذِّبُوها عَذابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره - ﴿كانَ ذلِكَ في الكِتابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مَسطُورًا﴾ ٥٨: مكتوبًا - ﴿وما مَنَعَنا أن نُرسِلَ بالآياتِ﴾، التي اقترحها أهل مكّة، ﴿إلّا أن كَذَّبَ بِها الأوّلُونَ﴾، لمّا أرسلناها، فأهلكناهم. ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذّبوا بها واستحقّوا الإهلاك. وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر مُحمّد، ﴿وآتَينا ثَمُودَ النّاقةَ﴾ آيةً ﴿مُبصِرةً﴾: بيّنة واضحة، ﴿فظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿بِها﴾ فأُهلكوا. ﴿وما نُرسِلُ بالآياتِ﴾: بالمُعجزات ﴿إلّا تَخوِيفًا﴾ ٥٩ للعباد ليُؤمنوا.

=يشاء. والخلق: المخلوق. والصدور أي: القلوب التي تدرك وتعي، جمع صدر. ويعيدنا: يقدر أن يبعثنا. وأول مرة: في أول زمن خلقتم فيه. وهي: يعني الإعادة. والرؤوس: جمع رأس. وعسى: وجب وتحقق. ويكون: يحصل ويقع. وإسرافيل: ملَك عظيم، ينفخ في الصور للبعث. والأصح أن المنادي هو جبريل، مع نفخ إسرافيل في الصور. والحمد: الثناء الجميل على الفضل. و«له الحمد» الراجح في الحمد هنا أن المخاطَبين - وهم المشركون المنكرون للبعث - يوافقون طلب الداعي ويلبون نداءه، فيُبعثون من قبورهم، حامدين الله على كمال قدرته، يثنون عليه وحده بإيمان وصدق، حين لاينفعهم ذلك لأنهم ماتوا على الكفر. وتظنون: تتيقّنون. ولبثتم: أقمتم ومكثتم. وفي الدنيا أي: أحياء وأمواتًا في القبور.

(١) حكم الآية يعم كل كلام وزمان ومكان فيه حكومات غير إسلامية. والعباد: جمع عبد. انظر سبب النزول في المفصل. والأحسن: الأنفع. والشيطان: إبليس وأعوانه من الجن والإنس. والعدو: المعادي. والكلمة أي: المجموعة من الكلام. وأعلم بكم: أدرى منكم. ويشاء: يريد رحمتكم أو تعذيبكم. ويرحمكم: يعطف عليكم بالإحسان. وأرسلناك: بعثناك للعمل والتبليغ. ووكيلًا: كفيلًا بهدايتهم. وفضلناه: ميزناه بما ليس في غيره من النعم. والخلة: المودة الخالصة. وآتى: أعطى. وداود: من أنبياء بني إسرائيل. والزبور: كتاب أوحاه الله، فيه مائة وخمسون سورة، كلها دعاء وتمجيد ومواعظ.

(٢) انظر أسباب النزول في المفصل. وادعوهم: استغيثوا بهم. وزعمتم: ادعيتم. ومن دونه: من غير الله. ولايملك: لايستطيع بنفسه. والكشف: الإزالة. والضر: ما كان من الأذى. والتحويل: التبديل. ويدعونهم: يسميهم المشركون كذبًا. والقربة: التقرب، أي: فهم يتضرعون إليه في طلب الرضا. وأقرب إليه: إلى طاعته. والمراد بهؤلاء هم الملائكة. ويرجون: يتمنون. والرحمة: العطف بالإحسان. ومحذورًا: مخوفًا. والقرية: البلدة. ومهلكوها: نفني أهلها حتف الأنف. ومعذبوها: نعذب أهلها. وذلك: ما ذكر من الإهلاك والتعذيب. ومكتوبًا: مسجلًا بقدَر. ومنعنا أي: كان سبب تركنا. ونرسل بها: نحققها. والآية: المعجزة. وكذب بها: أنكرها. والأولون: الأمم المستأصَلة بالعذاب. وآتينا: أعطينا. وثمود: من العرب العاربة قوم النبي صالح. والناقة: الأنثى من الإبل. انظر الآيات ٦١-٦٨ من سورة هود. والآية: المعجزة. والظلم: مجاوزة الحد. وكفروا بها أي: أنكروها بسبب عقرها. والتخويف: التهديد بالعذاب.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ
فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**إذ قُلْنا لَكَ: إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بِالنّاسِ**﴾ علمًا وقُدرة، فهم في قبضته. فبلّغْهم ولا تخف أحدًا، فهو يعصمك منهم. ﴿**وما جَعَلْنا الرُّؤيا الَّتي أرَيناكَ**﴾ عِيانًا، ليلة الإسراء، ﴿**إلّا فِتْنةً لِلنّاسِ**﴾: أهل مكّة، إذ كذّبوا بها وارتدّ بعضهم لمّا أخبرهم بها، ﴿**والشَّجَرةَ المَلعُونةَ في القُرآنِ**﴾ - وهي الزقّوم التي تنبت في أصل الجحيم - جعلناها فتنة لهم، إذ قالوا: النار تُحرق الشجر. فكيف تُنبته؟ ﴿**ونُخَوِّفُهُم، فما يَزِيدُهُم**﴾ تخويفنا ﴿**إلّا طُغيانًا كَبِيرًا**﴾ ٦٠.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ**﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿**فسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ، قالَ: أأَسجُدُ لِمَن خَلَقتَ طِينًا**﴾ ٦١؟ نصبٌ بنزع الخافض أي: من طين. ﴿**قالَ: أرَأيتَكَ**﴾ أي: أخبِرْني ﴿**هٰذا الَّذِي كَرَّمتَ**﴾: فضّلت ﴿**عليَّ**﴾ بالأمر بالسجود له، «وأنا خيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نارٍ». ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**أخَّرتَنِي إلى يَومِ القِيامةِ، لَأحتَنِكَنَّ**﴾: لأستأصلنّ ﴿**ذُرِّيّتَهُ**﴾ بالإغواء، ﴿**إلّا قَلِيلًا**﴾ ٦٢ منهم ممّن عصمتَه.

٣- ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**اذهَبْ**﴾ مُنظَرًا إلى وقت النفخة الأُولى - ﴿**فمَن تَبِعَكَ مِنهُم فإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُم**﴾ أنت وهم ﴿**جَزاءً مَوفُورًا**﴾ ٦٣: وافرًا كاملًا - ﴿**واستَفزِزْ**﴾: استخِفَّ ﴿**مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ**﴾: بدُعائك، بالغِناء والمزامير وكُلّ داع إلى المعصية، ﴿**وأجلِبْ**﴾: صِحْ ﴿**علَيهِم بِخَيلِكَ ورَجْلِكَ**﴾ - وهم الرُّكّاب والمُشاة في المعاصي - ﴿**وشارِكْهُم في الأموالِ**﴾ المُحرّمة كالربا والغصب ﴿**والأولادِ**﴾ من الزنى، ﴿**وعِدْهُم**﴾ أن لا بعث ولا جزاء - ﴿**وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ**﴾ بذلك ﴿**إلّا غُرُورًا**﴾ ٦٤: باطلًا - ﴿**إنَّ عِبادِي**﴾ المُؤمنين ﴿**لَيسَ لَكَ علَيهِم سُلطانٌ**﴾: تسلّط وقُوّة، ﴿**وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾ ٦٥: حافظًا لهم منك!

٤- ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزجِي**﴾: يُجري ﴿**لَكُمُ الفُلكَ**﴾: السُّفن ﴿**في البَحرِ، لِتَبتَغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾ تعالى بالتجارة - ﴿**إنَّهُ كانَ بِكُم رَحِيمًا**﴾ ٦٦ في تسخيرها لكم - ﴿**وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ**﴾: الشِّدّة ﴿**في البَحرِ**﴾، خوفَ الغرق، ﴿**ضَلَّ**﴾: غاب عنكم ﴿**مَن تَدعُونَ**﴾: تعبدون من الآلهة فلا تدعونه، ﴿**إلّا إيّاهُ**﴾ تعالى - فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شِدّة لا يكشفها إلّا هو - ﴿**فلَمّا نَجّاكُم**﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿**إلَى البَرِّ أعرَضتُم**﴾ عن التوحيد. ﴿**وكانَ الإنسانُ كَفُورًا**﴾ ٦٧: جَحودًا للنِّعم.

---

(١) قلنا لك: بلّغناك بالوحي. وأحاط بهم أي: هو قاهرهم على ما يريد. وجعلنا: صيّرنا. والرؤيا: ما يُرى بالعين. وأريناك: جعلناك تنظر بعينيك. والفتنة: الامتحان لتمييز الصالح من الفاسد. والملعونة: المطرود من رحمة الله آكلُ ثمارها. ورُوي أن المشركين، لما خوفهم الله في بعض الآيات بشجر الزقوم في جهنم، سخروا وقال أبو جهل: إن الزقوم هو الثريد بالزُّبد. أما والله لئن أمكننا منه لنتزقَّمَنّه تزقُّمًا. فنزلت الآية تسجل ذلك عليهم. الواحدي ص ٢٩٦. ونخوفهم: نهددهم. ويزيدهم: يضيف إليهم. والطغيان: التمادي في العصيان. والكبير: الضخم جدًا.

(٢) الملائكة: جمع ملَك. وإبليس: أبو شياطين الجن. وخلقت: أوجدت. وأخبِر: أعلم. فالاستفهام معناه الدعاء. و«أنا خير» هذا في الآيتين ١٢ من سورة الأعراف و٧٦ من سورة ص. وأخرتني: أجلت موتي. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أخَّرتَنِ» بحذف ياء المتكلم للتخفيف، وهو واجب في رسم المصاحف. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور للحساب. وأستأصِل: أُهلِكُ. والذرية: ما يكون من النسل.

(٣) اذهب: امض لشأنك الذي اخترتَه. والمُنظَر: المؤخَّر. والنفخة الأولى يكون بها نهاية الحياة الدنيا. وتبعك: أطاعك. واستطعت: تتمكن من إضلاله. وداع: سبب. وصح عليهم: تصرّف فيهم بكل ما تقدر عليه. والخيل: واحده الفرس. والمراد من يركبها. والرَّجْل: واحده راجل. وهو الماشي. وذكرُ الراكبين والمشاة يراد به جميع المضلِّلين من الإنس والجان. وشاركهم فيها: كن لهم مشاركًا. فأنت مماثل لهم في ذلك. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من المتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وعدهم: وسوسْ لهم واحملْهم على الاعتقاد الكاذب. والشيطان: إبليس. والغرور: تزيين الخطأ. والعباد: جمع عبد. وكفى: يكفي ويغني عن غيره، يمنع إبليس من إغواء الصالحين المخلصين.

(٤) يجريها: ييسّر جريانها. والفلك: مفرده من لفظه. والبحر: ما كان فيه ماء كثير، كالنهر والبحيرة وغيرهما. والفضل: التفضل بالنعم. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان والإنعام. ومسكم: أصابكم. وغاب عنكم: ذهب عن خواطركم ولم يبق له في نفوسكم ذكر. وتدعون: تدعونه بالتقديس والطاعة والاستعانة. ونجاكم: أنقذكم وخلصكم. والبر: الأرض اليابسة. وأعرضتم: ولَّيتم وانصرفتم إلى تقديس المخلوقات وعبادة غير الله. والإنسان: جنس البشر، لأن كل واحد لايكاد يؤدي شكر النعم. وجحودًا أي: هذه سجيته المتأصلة، ينسى النعم ويجحدها.

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

١- ﴿**أفأمِنتُم أن نَخسِفَ بكُم جانبَ البَرِّ**﴾ أي: الأرضِ كقارونَ، ﴿**أو نُرسِلَ عليكُم حاصِبًا**﴾ أي: نرميَكم بالحصباء كقوم لُوط، ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لكُم وكِيلًا**﴾ ٦٨: حافظًا منه؟ ﴿**أم أمِنتُم أن نُعيدَكُم فِيهِ**﴾ أي: في البحر ﴿**تارةً**﴾: مرّة ﴿**أخرَى، فنُرسِلَ عليكُم قاصِفًا مِنَ الرِّيحِ**﴾ أي: ريحًا شديدة لا تمرّ بشيءٍ إلّا قصفته فتكسِرَ فُلكَكُم، ﴿**فنُغرِقَكُم بما كَفَرتُم**﴾: بكفركم، ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم علَينا بِهِ تَبِيعًا**﴾ ٦٩: ناصرًا وتابعًا، يُطالبنا بما فعلنا بكم؟

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

٢- ﴿**ولَقَد كَرَّمْنا**﴾: فضّلنا ﴿**بَني آدَمَ**﴾، بالعِلم والنُّطق واعتدال الخَلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت، ﴿**وحَمَلْناهُم في البَرِّ**﴾ على الدوابّ، ﴿**والبَحرِ**﴾ على السُّفن، ﴿**ورزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، وفَضَّلْناهُم على كَثيرٍ مِمَّن خَلَقْنا**﴾ كالبهائم والوحوش ﴿**تفضِيلًا**﴾ ٧٠. فـ «مَن» بمعنى: ما، أو على بابها وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده إذ هم أفضل من البشر غيرَ الأنبياء.

٣- اذكرْ ﴿**يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم**﴾: بنبيّهم، فيقال: يا أُمّةَ فُلانٍ. أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشرّ - وهو يوم القيامة - ﴿**فمَن أُوتِيَ**﴾ منهم ﴿**كِتابَهُ بيَمِينِهِ**﴾، وهم السُّعداء أولو البصائر في الدنيا، ﴿**فأُولئِكَ يَقرَؤُونَ كِتابَهُم، ولا يُظلَمُونَ**﴾: يُنقصون من أعمالهم ﴿**فَتِيلًا**﴾ ٧١: قدر قِشرة النواة، ﴿**ومَن كانَ في هٰذِهِ**﴾ أي: الدنيا ﴿**أعمَى**﴾ عن الحقّ ﴿**فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى**﴾ عن طريقِ النجاة وقراءةِ الكتاب، ﴿**وأضَلُّ سَبِيلًا**﴾ ٧٢: أبعدُ طريقًا عنه.

٤- ونزل في ثقيفٍ، وقد سألوه ﷺ أن يُحرّم واديهم وألحّوا عليه: ﴿**وإنْ**﴾: مُخفّفةٌ ﴿**كادُوا**﴾: قاربوا ﴿**لَيَفتِنُونَكَ**﴾: لَيَستزلّونكَ ﴿**عَنِ الَّذِي أوحَينا إلَيكَ، لِتَفتَرِيَ علَينا غَيرَهُ، وإذًا**﴾ لو فعلتَ ذلك ﴿**لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا**﴾ ٧٣، ﴿**ولَولا أن ثَبَّتْناكَ**﴾، على الحقّ بالعِصمة، ﴿**لَقَد كِدتَ**﴾: قاربتَ ﴿**تَركَنُ**﴾: تميل ﴿**إلَيهِم شَيئًا**﴾: رُكونًا ﴿**قلِيلًا**﴾ ٧٤، لشِدّة احتيالهم وإلحاحهم. وهو صريح في أنه ﷺ لم يركَن ولا قارب. ﴿**إذًا**﴾ لو ركنتَ ﴿**لأَذَقْناكَ ضِعفَ**﴾ عذابِ ﴿**الحَياةِ، وضِعفَ**﴾ عذابِ ﴿**المَماتِ**﴾ أي: مِثلَي ما يُعذَّب به غيرُك في الدنيا والآخِرة، ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ علَينا نَصِيرًا**﴾ ٧٥: مانعًا منه.

---

(١) أمنتم: سلمتم وزال خوفكم. ونخسفه: نصيّره تحت الصخور والتراب أو الماء. وجانب البر: الجزء الذي أنتم فيه. وقارون: من قوم موسى، أهلكه الله بالخسف. ونرسل: نوجّه. والحاصب: الريح ترمي بالحجارة الصغار. وتجد: ترى. ونعيدكم: نجعلكم. والتارة: المدة. والأُخرى: المغايرة. والريح: الهواء المتحرك. ونغرقكم: نميتكم خنقًا بالماء. وفي الأصل: «فتُغرِقَكُم». وفيما عداه وعدا خ وع والفتوحات: «أن يُعِيدَكُم... فيُرسِلَ... فيُغرِقَكُم ». والكفر: الجحود للنعم والتكذيب لله ورسوله.

(٢) كرمناهم: جعلناهم أصحاب شرف ومحاسن. وبنو آدم: البشر. والطهارة بعد الموت تعني أن نجاسة الكافرين معنوية. وهذا مذهب الشافعي. وحملناهم: جعلنا لهم مايُحملون عليه. ورزقناهم: خلقنا لهم. والطيب: ما يُستلذ من الطعام والمتاع. وفضلناهم: ميزناهم بمنزلة أظهر وأرفع. وخلقناه: أوجدناه من العدم. و«هم» يعني الملائكة. وغير الأنبياء: يعني أن تفضيل جنس البشر على أجناس المخلوقات لايلزم عنه تفضيل كل إنسان على الملائكة، لأنه لايفضلهم غيرُ الأنبياء. وهذا إن كانت «مَن» للعاقل مع تغليبه على غيره. وإن كانت بمعنى «ما» فهي لغير العاقل، ولاتشمل الملائكة أيضًا. وبه يكون جنس البشر مفضلًا على كثير من البهائم والوحوش، لاعلى جميعها.

(٣) ندعوهم: نناديهم للحساب والجزاء. وأناس: واحده إنسان. وكل أناس أي: كل أمة. والإمام: من يُقتدى به. وبنبيهم أي: باسم نبيهم. وأوتيه: أعطيه، أي: استطاع أخذه. وكتابه: الصحائف التي سُجلت فيها أعماله. واليمين: اليد اليمنى، وهي رمز الكرامة. ويقرؤونه: يتلون ما فيه. وفتيلًا أي: ظلمًا بقدر الفتيل في الدقة. و«قشرة النواة» كذا. وهو سهو. انظر تفسير الآية ٤٩ من سورة النساء. وأعمى: فاقد البصيرة والرشد. وهو الضال يصرّ على العصيان حتى الموت. فهو لايقرؤه قراءة سرور، ويغتم به ويتمنى ألّا يكون. وأضل أي: من نفسه في الدنيا. وعنه: عن طريق النجاة .

(٤) ثقيف: قبيلة من هوازن هزمت في غزوة حنين، وأسلمت بعد ذلك. انظر سبب النزول في المفصل. ومخففة أي: حذفت نونها الثانية. وقاربوا أي: في زعمهم وتوهمهم، حين رجوا أن توافقهم في ضلالهم. ويستزلّونك: يضلونك ويجعلونك تنزلق. وفيما عدا الأصل وخ: «ليستنزلونك». والذي أوحينا: ما أنزلناه في القرآن ويسرنا حفظه وتبليغه. وتفتري: تختلق. وإذًا أي: حين ذلك. ولاتخذوك خليلًا أي: واللهِ ليجعلُنّك صديقًا مصافيًا. وثبتناك: رسّخناك. والمعنى: امتنع قربك ذلك لوجود تثبيتنا. وأذقناك: أنزلنا بك. ولاتجد: انظر الآية ٦٨. وفي حديث مرفوع، أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية صار يقول بعد ذلك: «اللّٰهمَّ، لاتَكِلني إلى نَفسِي طَرْفةَ عَينٍ». حاشية الكشاف ٢: ٦٨٥.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ
قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن
لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ
إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

١- ونزل، لمّا قال له اليهود: «إن كنتَ نبيًّا فالحقْ بالشام، فإنها أرضُ الأنبياء»: ﴿**وإنْ**﴾: مُخففةٌ ﴿**كادُوا لَيَستفِزُّونَكَ مِنَ الأرضِ**﴾ أرض المدينة، ﴿**لِيُخرجُوكَ منها، وإذًا**﴾ لو أخرجوك ﴿**لا يَلبَثُونَ خَلفكَ**﴾ فيها ﴿**إلّا قَليلًا**﴾ ٧٦، ثمّ يُهلكون، ﴿**سُنّةَ مَن قَد أرسَلنا قَبلَكَ، مِن رُسُلِنا**﴾ أي: كسُنّتنا فيهم، من إهلاك من أخرجهم، ﴿**ولا تَجِدُ لِسُنّتِنا تَحويلًا**﴾ ٧٧: تبديلًا.

٢- ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ**﴾ أي: من وقت زوالها، ﴿**إلَى غَسَقِ اللَّيلِ**﴾: إقبال ظُلمته أي: الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ، ﴿**وقُرآنَ الفَجرِ**﴾: صلاةَ الصُّبح - ﴿**إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهُودًا**﴾ ٧٨: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار - ﴿**ومِنَ اللَّيلِ فتَهَجَّدْ**﴾: فصَلِّ ﴿**بِهِ**﴾: بالقُرآن، ﴿**نافِلةً لَكَ**﴾: فريضةً زائدة لك دُون أُمّتك، أو فضيلةً على الصلوات المفروضة. ﴿**عَسَى أن يَبعَثَكَ**﴾: يُقيمَك ﴿**رَبُّكَ**﴾ في الآخرة ﴿**مَقامًا مَحمُودًا**﴾ ٧٩: يحمَدك فيه الأوّلون والآخِرون. وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

٣- ونزل لمّا أُمر بالهجرة: ﴿**وقُلْ: رَبِّ، أدخِلْني**﴾ المدينةَ ﴿**مُدخَلَ صِدقٍ**﴾: إدخالًا مَرْضيًّا، لا أرى فيه ما أكره، ﴿**وأخرِجْني**﴾ من مكّةَ ﴿**مُخرَجَ صِدقٍ**﴾: إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها، ﴿**واجعَلْ لي مِن لَدُنكَ سُلطانًا نَصيرًا**﴾ ٨٠: قُوّة تنصرني بها على أعدائك. ﴿**وقُلْ**﴾ عِند دُخولك مكّة: ﴿**جاءَ الحَقُّ**﴾: الإسلامُ، ﴿**وزَهَقَ الباطِلُ**﴾: بَطَلَ الكُفر. ﴿**إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا**﴾ ٨١: مُضمحلًا زائلًا. وقد دَخلَها ﷺ، «وحَولَ البَيتِ ثلثُمِائَةٍ وسِتُّونَ صَنَمًا، فجَعَلَ يَطعُنُها بعُودٍ في يَدِهِ، ويَقُولُ» ذلك، حَتّى سَقَطَتْ. رواه الشيخان.

٤- ﴿**ونُنَزِّلُ مِنَ**﴾: للبيان ﴿**القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ**﴾ من الضلالة، ﴿**ورَحمةٌ لِلمُؤمِنينَ**﴾ به، ﴿**ولا يَزِيدُ الظّالِمينَ**﴾: الكافرين ﴿**إلّا خَسارًا**﴾ ٨٢ لكُفرهم به، ﴿**وإذا أنعَمْنا على الإنسانِ**﴾ الكافر ﴿**أعرَضَ**﴾ عن الشُّكر، ﴿**ونَأَى بِجانِبِهِ**﴾: ثنى عِطفه مُتبختِرًا، ﴿**وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ**﴾: الفقر والشِّدّة ﴿**كانَ يَؤُوسًا**﴾ ٨٣: قَنوطًا من رحمة الله. ﴿**قُلْ: كُلٌّ**﴾ منّا ومنكم ﴿**يَعمَلُ على شاكِلَتِهِ**﴾: طريقته. ﴿**فرَبُّكُم أعلَمُ بِمَن هُوَ أهدَى سَبِيلًا**﴾ ٨٤: طريقًا فيُثيبه.

٥- ﴿**ويَسألُونَكَ**﴾ أي: اليهودُ ﴿**عَنِ الرُّوحِ**﴾ الذي يحيا به البدن. ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**الرُّوحُ مِن أمرِ رَبِّي**﴾ أي: عِلمِه لا تعلمونه، ﴿**وما أُوتِيتُم مِنَ**

---

(١) الحق به: توجه إليه. والراجح أن الآيات ٧٦-٨٠ مكية، وكانت قريش تحاول إخراج النبي ﷺ بالقوة. انظر لباب النقول وتعليقنا على تفسير الآية ٨٠. ويستفزونك: يزعجونك. ويلبث: يبقى. وفي قرة العينين والمنحة والمطبوعات: «خِلافَكَ». والسُّنّة: الطريقة المستقرة. والرسل: جمع رسول. ولاتجد: لاترى. ونفي الوِجدان يعني: ليس لسُنّتنا تغيير لتجده، إذ لكل شيء قدر محدد وزمن معين.

(٢) أقم الصلاة: أدّها كما فُرضتْ. والمراد بذلك هو الاستمرار. والدلوك: التحول من وسط السماء. والغسق: سواد الليل. والفجر: انكشاف ظلمة الليل. وتشهده أي: لأنهم يتعاقبون على الإنسان وقت صلاة الصبح فيحضرونها جميعًا. وتهجد: اسهر للصلاة. وبالقرآن أي: بتلاوته في الصلاة. والفريضة: ما يلزم القيام به. والفضيلة: المندوب إليه زيادة. وعسى: وجب وتحقق. والمقام: القيام. والمحمود: الذي يذكر بالشكر. والقضاء يعني: وقت الفصل بين الناس.

(٣) روي أنه لما عزم كفار قريش، على إخراج النبي ﷺ من مكة ، أراد الله ألّا يكون منهم ذلك، فأمره بالهجرة، وأنزل الآية. الواحدي ص ٢٩٩. وهذا يعني أن الآية مكية، خلافًا لِما نص عليه السيوطي في مستهل تفسير السورة. ورب أي: ياربي. والمرضي: الذي يرضاه الله ويطمئن فاعله. و«لا ألتفت بقلبي» فيه نظر، لأن النبي ﷺ بقي متشوقًا إلى مكة وما فيها. انظر «المفصل». واجعل: صيّر. ومن لدنك: من عندك وبأمرك. والنصير: من النصر. وجاء: ظهر. و«الشيخان» كذا، ولفظ الحديث هو من تفسير الخازن ٤:١٧٩، خلافًا لما جاء في الأحاديث ٢٣٤٦ و٤٠٣٦ و٤٤٤٣ في البخاري و١٧٨١ في مسلم.

(٤) ننزل: نوحي. والشفاء: الشافي، أي: يكشف علل القلوب في العقيدة والفكر والخُلق. والرحمة: العطف بالهداية. ويزيدهم: يضيف إليهم. والخسار: ضياع مكاسب الدنيا والآخرة. وأنعم: تفضل بالخير. والإنسان: جنس البشر ، لأنه قلّ أن يقدّر أحد نعمَ الله حق قدرها. وأعرض: امتنع. وعِطف الإنسان: أحد طرفيه. والمتبختر: المتكبر. ومسه: نزل به. والشر: ما فيه ضرر. وكان: صار. ويعمل: يتصرف باختيار. وشاكلته: مُشابِهته من الاستعداد، وما ألفه من الأخلاق. وأعلم: أكثر دراية به من نفسه. وأهدى: أكثر رشادًا إلى الحق .

(٥) انظر سبب النزول في المفصل. ويسأل: يطلب الجواب. والروح: حقيقةٌ ماتقوم به حياة البدن. وفي تفسير الروح سبعون قولًا. والواجب التزام ما جاء في الآية هذه، أن حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه ولا تدركه العقول. وأوتيتم: أعطيتم. والعلم: المعرفة للحقائق. وشئنا : أردنا إذهابه، كما فعلنا بالكتب=

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

العلمِ إلّا قليلًا﴾ ٨٥ بالنسبة إلى عِلمه تعالى. ﴿**ولئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**شِئْنا لَنَذهَبَنَّ بالّذي أوحَينا إليكَ**﴾ أي: من القُرآنِ، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُ لكَ بِهِ علَينا وَكِيلًا**﴾ ٨٦. ﴿**إلّا**﴾ لكن أبقيناه ﴿**رَحْمةً مِن رَبِّكَ. إنَّ فَضلَهُ كانَ علَيكَ كَبِيرًا**﴾ ٨٧: عظيمًا، حيثُ أنزله عليك، وأعطاك المَقام المحمود وغير ذلك من الفضائل. ﴿**قُلْ: لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بِمِثلِ هٰذا القُرآنِ**﴾، في الفصاحة والبلاغة، ﴿**لا يأتُونَ بِمِثلِهِ، ولَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرًا**﴾ ٨٨: مُعينًا. نزل ردًّا لقولهم: «لَو نَشاءُ لَقُلنا مِثلَ هٰذا».

١ - ﴿**ولَقد صَرَّفْنا**﴾: بيّنّا ﴿**لِلنّاسِ، في هٰذا القُرآنِ، مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾: صفةٌ لمحذوف، أي: مَثَلًا من جِنس كُلِّ مَثَل ليتعظوا، ﴿**فأبى أكثَرُ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**إلّا كُفُورًا**﴾ ٨٩: جُحودًا للحقّ، ﴿**وقالُوا**﴾ عطفٌ على «أبى»: ﴿**لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّى تُفجِّرَ لَنا مِنَ الأرضِ يَنبُوعًا**﴾ ٩٠: عينًا ينبَعُ منها الماء، ﴿**أو تَكُونَ لَكَ جَنّةٌ**﴾: بُستانٌ ﴿**مِن نَخِيلٍ وعِنَبٍ، فتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَها**﴾: وَسْطَها ﴿**تفجيرًا**﴾ ٩١، **أو تُسقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمتَ علَينا كِسَفًا**﴾: قِطَعًا، ﴿**أو تأتِيَ باللهِ والمَلائكةِ قَبِيلًا**﴾ ٩٢: مُقابَلةً وعِيانًا فنراهم، ﴿**أو يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ**﴾: ذهب، ﴿**أو تَرقَى**﴾: تصعدَ ﴿**في السَّماءِ**﴾ بسلّم، ﴿**ولَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ**﴾ - لو رقيتَ فيها - ﴿**حَتّى تُنْزِلَ علَينا**﴾ منها ﴿**كِتابًا**﴾، فيه تصديقك ﴿**نَقرَؤُهُ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**سُبحانَ رَبِّي**﴾! تعجّبٌ. ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**كُنتُ إلّا بَشَرًا رَسُولًا**﴾ ٩٣ كسائر الرسل؟ ولم يكونوا يأتون بآية إلّا بإذن الله.

٢ - ﴿**وما مَنَعَ النّاسَ أن يُؤمِنُوا، إذ جاءَهُمُ الهُدَى، إلّا أن قالُوا**﴾ أي: قولُهم منكرين: ﴿**أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا**﴾ ٩٤، ولم يَبعث ملَكًا؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَو كانَ في الأرضِ**﴾ بدلَ البشر ﴿**مَلائكةٌ، يَمشُونَ مُطمَئِنِّينَ، لَنَزَّلنا علَيهِم مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسُولًا**﴾ ٩٥، إذ لا يُرسَل إلى قوم رسول إلّا من جِنسهم، ليُمكِنَهم مُخاطبتُه والفهم عنه. ﴿**قُلْ: كَفَى باللهِ شَهِيدًا بَيني وبَينَكُم**﴾ على صِدقي! ﴿**إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ ٩٦: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم.

=المنزلة قبلك. وأوحينا: أنزلناه على لسان جبريل للتبليغ والعمل، ويسرنا حفظه. ولا تجد: لا تلقى. والوكيل: المتسلط تُوكل الأمور إليه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. والفضل: التفضل بالخير. واجتمعت: اتفقت. والإنس والجن أي: وسائر المخلوقات. ويأتون به: يصنعونه. ومثله: شبيهه. وكان: صار. وقولهم في الآية ٣١ من سورة الأنفال.

(١) الناس: البشر. ومَثَل أي: معنى بديع يشبه الأمثال في غرابته. وصفة: يعني أن «من كل»: متعلقان بصفة مقدرة للمفعول المحذوف. وأبى: أنكر ولم يقبل. و«أهل مكة» الظاهر تعميم الحكم ليشمل الكافرين في ذلك الوقت، ويُلحَق بهم مَن يكون من الكافرين إعلامًا بما يحصل من المستقبل. وعن ابن عباس أن رؤساء قريش عاتبوا النبي ﷺ، لتسفيه عقائدهم وشتم آلهتهم، وأغروه بالمُلك والمال والجاه، فأجابهم أنه رسول يبلغ الدعوة ولا يحيد عنها. فطلبوا منه أن يأتيهم بالمعجزات: تفجير الينابيع، وجعل الجبال ذهبًا، وخلق الحدائق والبساتين، وإحضار الملائكة تشهد له بالصدق، وإنزال كتب تقرأ وفيها تصديقه... وإلّا فلْيُسقط عليهم السماء انتقامًا وعقابًا. فنزلت هذه الآيات ردًّا لمطالبهم، وبيانًا أن الرسول ليس له مثل ذلك، لأنه مكلف بالتبليغ والإرشاد. الواحدي ص ٣٠٠-٣٠٣ ولباب النقول. ونؤمن لك: نصدّقك فيما تدعو إليه. وتفجر: تشقق وتجري. والأرض: أرض مكة. وتكون: تصير. والنخيل: الشجر ثمره التمر. والعنب: شجر ثمره الكرمة. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم للماء. وفي الأصل وع: «وسَطها». وتسقط: تُلقي. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وكما زعمت: كما ادعيت بتهديدك لنا من قبل. والكسف: واحدته كِسْفة. ط: «كِسْفًا». وتأتي به: تحضره. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. وقبيلًا: مقابِلًا ومواجِهًا لنا. ويكون: يصير. والبيت: ما يبنى للإقامة. وفي السماء: في معارجها والسبل التي تؤدي إليها. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «على السلم». ونؤمن: نصدّق نبوتك. والرقي: الصعود. وتنزل علينا: تلقي إلينا. والكتاب: الصحف فيها كتابة. ونقرؤه: نتلو ما كُتب فيه. وسبحانه: تنزيهًا له وتقديسًا عما لا يليق به مما تقترحون وتتصورون. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والبشر: الإنسان. والرسول: المرسَل للعمل والتبليغ، لاسلطان له فيما يتعنتون ويعاندون ويقترحون. وسائر الرسل: جميع باقيهم. وهم الذين مضوا قبله.

(٢) منعهم: كفّهم وصرفهم. والناس: كفار مكة. ويؤمنوا: تعترف قلوبهم بالتوحيد وما يتصل به. وجاءهم: أتاهم ووصل إليهم بالوحي من عند الله. والهدى: الإرشاد إلى الحق والخير في الدنيا والآخرة. وقالوا: تكلموا بألسنتهم معتقدين جازمين. وأبعثَه: أأرسلَه مكلَّفًا بالعمل والتبليغ. أي: محال أن يكون الرسول من البشر. وقل لهم أي: أجبهم من قِبَلنا عما أنكروه من إرسال البشر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويمشون: يتصرفون كما تتصرفون في الأرض. ومطمئنين: مقيمين ومستقرين، يلزمهم ما يلزم المكلفين من عبادات وأحكام، وليس لهم صعود إلى السماء، ليعلموا ما يجب علمه. ونزلنا: أرسلنا. وفي قرة العينين وبعض المطبوعات: «يمكنهم». وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والاستغناء عما سواه. والشهيد: الشاهد والمُثبِت أني رسول بلّغتكم ما كُلّفت به، وأنكم تعاندون وتكابرون. وكان أي: وما يزال دائمًا أبدًا. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا (١٠٠) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)

الحزب ٣٠

١- ﴿**ومَن يَهدِ اللهُ فهْوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُم أَولِياءَ**﴾ يهدونهم ﴿**مِن دُونِهِ. ونَحشُرُهُم يومَ القِيامةِ**﴾ ماشين ﴿**علَى وُجُوهِهِم، عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، مأواهُم جَهَنَّمُ، كُلَّما خَبَتْ**﴾: سكن لهبها ﴿**زِدْناهُم سَعِيرًا**﴾ ٩٧: تلهّبًا واشتعالًا. ﴿**ذٰلِكَ جَزاؤُهُم بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِآياتِنا، وقالُوا**﴾ منكرين للبعث: ﴿**أَإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا، أَإنا لَمَبعُوثُونَ خَلقًا جَدِيدًا ٩٨؟ أَوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا ﴿**أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ**﴾، مع عِظمهما، ﴿**قادِرٌ علَى أن يَخلُقَ مِثلَهُم**﴾ أي: الأناسيّ في الصِّغر؟ ﴿**وجَعَلَ لَهُم أجَلًا**﴾ للموت والبعث ﴿**لا رَيبَ فِيهِ، فأَبَى الظّالِمُونَ إلّا كُفُورًا**﴾ ٩٩: جُحودًا له. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَو أنتُم تَملِكُونَ خَزائِنَ رَحْمةِ رَبِّيَ**﴾، من الرِّزق والمطر، ﴿**إذًا لَأمسَكتُم**﴾: لبخلتم ﴿**خَشْيةَ الإنفاقِ**﴾: خوفَ نفادها بالإنفاق فتفتقروا. ﴿**وكانَ الإنسانُ قَتُورًا**﴾ ١٠٠: بخيلًا.

٢- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى تِسعَ آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾: واضحات. وهي اليد والعصا والطوفان، والجراد والقُمّل والضفادع، والدم أو الطمس، والسِّنينُ ونقص الثمرات. ﴿**فاسألْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**بَنِي إسرائيلَ**﴾ عنه سُؤالَ تقريرٍ للمُشركين على صِدقك - أو فقلنا له: اسألْ. وفي قراءة بلفظ الماضي - ﴿**إذ جاءَهُم، فقالَ لَهُ فِرعَونُ: إنِّي لَأظُنُّكَ - يا مُوسَى - مَسحُورًا**﴾ ١٠١: مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

٣- ﴿**قالَ: لَقَد عَلِمتَ: ما أنزَلَ هٰؤُلاءِ**﴾ الآياتِ ﴿**إلّا رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ بَصائرَ**﴾: عِبَرًا، ولكنّك تعاند، وفي قراءة بضمّ التاء، ﴿**وإنِّي لَأظُنُّكَ - يا فِرعَونُ - مَثبُورًا**﴾ ١٠٢: هالكًا، أو مصروفًا عن الخير. ﴿**فأرادَ**﴾ فرعون ﴿**أن يَستَفِزَّهُم**﴾: يُخرجَ مُوسى وقومَه ﴿**مِنَ الأرضِ**﴾ أرض مصر، ﴿**فأغرَقْناهُ ومَن مَعَهُ جَمِيعًا ١٠٣، وقُلنا مِن بَعدِهِ لِبَنِي إسرائيلَ: اسكُنُوا الأرضَ. فإذا جاءَ وَعدُ الآخِرةِ**﴾ أي: الساعةِ ﴿**جِئنا بِكُم لَفِيفًا**﴾ ١٠٤: جميعًا أنتم وهم.

---

(١) يهديه: يوجّه قدراته إلى الإيمان، لأنه يعلم ما في استعداده من الخير وتقبل الصلاح. والمهتدي: المسترشد للحق، لاتستطيع المخلوقات أن تضله. وفيما عدا الأصل وخ وع: «المُهتَدِ» بحذف الياء، وهو واجب تبعًا لرسم المصاحف. ويضله: يصرف قدراته إلى عدم قبول الإيمان، تحققًا لاختياره السيئ وما لديه من استعداد للشر والعصيان. وتجد: ترى. والأولياء: جمع ولي. وهو الذي يتولى الأمور ويرعى المصالح. ومن دونه: من غير الله. ونحشرهم: نبعثهم للحساب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث. والوجوه: جمع وجه. وماشين على وجوههم أي: يُسحبون مقلوبين عليها. والعمي: جمع أعمى. والبكم: جمع أبكم. وهو الذي لاينطق. والصم: جمع أصم. والمأوى: مكان الالتجاء. وجهنم: اسم علم للنار أُعدت للكافرين. وزدناهم: أضفنا إليهم. والجزاء: العقاب. وكفروا: كذّبوا. والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلة على التوحيد والبعث. وكنا: صرنا. والعظام: جمع عظم. وهو اللوح الذي عليه اللحم من الجسد. والرفات: الحطام المتفتت كالتراب. انظر الآية ٥ من سورة الرعد. والمبعوث: الذي يعود إلى الحياة بعد الموت. والخلق: الإيجاد من العدم. والجديد: المستحدث مرة ثانية. وخلقها: أوجدها من العدم. وقادر عليه: متمكن منه. ومثلهم أي: أنفُسَهم. والمراد أن يعيد خلقهم بأنفسهم بعد الموت. والأناسيّ: الناس، جمع إنسيّ. وجعل: صيّر. ولهم أي: لموتهم هم وغيرهم، ولبعثهم من القبور. والأجل: الوقت المعيّن المقدّر. والريب: الشك. وأبى: امتنع. والظالم: من يتجاوز الحق. ولو أنتم أي: لو تملكون، يعني: تنفردون بالتصرف. والخزائن: جمع خزانة. والرحمة: العطف بالإحسان. والإنفاق: بذل المال في الدنيا على النفس والغير. والنفاد: الفناء. وتفتقروا: يضيق عيشكم.

(٢) آتيناه: أعطيناه تأييدًا له وإعجازًا لقومه. والآيات: الخوارق المعجزة تحمل الناس على الإيمان. والواضحات: الظاهرات الدلالة على صدقه. والقمّل: السوس ينخر الحبوب والثمار. والضفادع: جمع ضِفدِع. والدم أي: سيلان الدماء في مياههم أو بالرُّعاف. والطمس: محق الأموال. والسنين: الجدب في سنوات متوالية، جمع سَنة، على لغة من يعرب الجمع بالحركات. انظر الآيات ١٣٠-١٣٣ من سورة الأعراف. واسألْهم: اطلب منهم الجواب. وإسرائيل: لقب يعقوب. وبنوه: ذريته من أبنائه اليهود. وللمشركين أي: لأجل المشركين. و«اسأل» المخاطَب هو موسى، أي: فقلنا: اسأل فرعونَ السماح ببني إسرائيل. وبلفظ الماضي يريد القراءة: «فسالَ» بمعنى: فسألَ. والمراد: فسألَ موسى فرعونَ بني اسرائيل، أي: طلبهم منه لينقذهم من الظلم، ويذهب بهم إلى الشام. انظر الآية ١٠٥ من سورة الأعراف. وهذه قراءة عند السيوطي غير شاذة كما في الإتقان ١:١٦٨. وجاءهم: أتاهم للتبليغ والدعوة. وفرعون ملك مصر في عهد موسى. وأظن: أعلم. ومغلوبًا أي: سُحرتَ فتغلّب السحر على عقلك، واختل كلامك.

(٣) أنزل: خلق. والبصائر: جمع بصيرة، أي: ما يكون حجة قاطعة. خ: «تعاندني». وبضم التاء يريد قراءة «عَلِمتُ» أي: تحقّقتُ. وضمير المتكلم لموسى. وأظن: أعلم باليقين. وأراد: قصد وعزم. ويخرجهم: يشردهم بالقتل والطرد. وأغرقناه: أمتناه خنقًا بماء البحر. ومن معه أي: قومه من القبط العرب الذين يعبدونه. وبعده أي: بعد إغراقه. والأرض: أرض الشام ومصر. واسكنوها: اتخذوها موطنًا. وجاء: حصل. والوعد: وقت ما وُعد الناس به من البعث. والظاهر أن الآخرة هنا هي آخر مرة مما ذكر في الآية ٤. وجئنا بكم: أحضرناكم إلى فلسطين لتكون نهاية مفاسدكم بجهاد المسلمين.

الجزء الخامس عشر سورة الإسراء

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

١- ﴿وبالحقِّ أنزلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿وبِالحَقِّ﴾ المُشتمل عليه ﴿نزَلَ﴾ كما أُنزل، لم يعتره تبديل، ﴿وما أرسلْناكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿إلّا مُبشِّرًا﴾ مَن آمن بالجنة، ﴿ونَذيرًا﴾ ١٠٥ مَن كفر بالنار، ﴿وقُرآنًا﴾: منصوب بفعل يُفسّره: ﴿فَرَقْناهُ﴾: نزّلناه مُفرّقًا في عشرين سنة أو وثلاثٍ، ﴿لِتقرأَهُ على النّاسِ علَى مُكثٍ﴾: مهل وتُؤدةٍ ليفهموه، ﴿ونزَّلْناهُ تنزيلًا﴾ ١٠٦ شيئًا بعد شيء على حسَب المصالح.

٢- ﴿قُلْ﴾ لكفّار مكّة: ﴿آمِنوا بِهِ أو لا تُؤمِنوا﴾. تهديد لهم. ﴿إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ﴾: قبل نُزوله - وهم مُؤمنو أهل الكِتاب - ﴿إذا يُتلَى عليهِم يَخِرُّونَ لِلأذقانِ سُجَّدًا﴾ ١٠٧، ﴿ويَقُولُونَ: سُبحانَ رَبِّنا﴾: تنزيهًا له عن خُلف الوعد! ﴿إنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كانَ وَعدُ رَبِّنا﴾ بنزوله وبعث النبيّ ﴿لَمفعُولًا﴾ ١٠٨. ﴿ويَخِرُّونَ لِلأذقانِ، يَبكُونَ﴾: عطف بزيادة صفة، ﴿ويَزِيدُهُم﴾ القُرآن ﴿خُشُوعًا﴾ ١٠٩: تواضعًا لله.

٣- وكان ﷺ يقول: «يا أللهُ يا رَحمٰنُ». فقالوا: ينهانا أن نعبد إلَهين، وهو يدعو إلَهًا آخَر معه. فنزلَ: ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادعُوا اللهَ، أوِ ادعُوا الرَّحمٰنَ﴾ أي: سمّوه بأيّهما، أو نادُوه بأن تقولوا: يا أللهُ يا رحمن. ﴿أيًّا﴾: شرطيّةٌ ﴿ما﴾: زائدة أي: أيَّ هذَين ﴿تدعُوا﴾ فهو حسنٌ، دلّ على هذا: ﴿فلَهُ﴾ أي: فلمُسمّاهما ﴿الأسماءُ الحُسنَى﴾ وهذان منها. فإنها كما في الحديث: «اللهُ الَّذِي لا إلَهَ إلّا هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ، العَزِيزُ الجَبّارُ المُتكبِّرُ الخالِقُ البارِئُ المُصوِّرُ، الغَفّارُ القَهّارُ الوَهّابُ الرَّزّاقُ الفَتّاحُ العَلِيمُ، القابِضُ الباسِطُ الخافِضُ الرّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ، السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدلُ، اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ، العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ، الواسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ، الباعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ، المُحصِي المُبدِئُ المُعِيدُ المُحيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ، الواجِدُ الماجِدُ الواحِدُ الأحَدُ الصَّمَدُ، القادِرُ المُقتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، الأوّلُ الآخِرُ الظاهِرُ الباطِنُ الوالِي المُتعالِي، البَرُّ التَّوّابُ المُنتَقِمُ العَفُوُّ الرَّؤُوفُ، مالِكُ المُلكِ ذُو الجَلالِ والإكرام، المُقسِطُ الجامِعُ الغَنِيُّ المُغنِي المانِعُ الضّارُّ النّافِعُ، النُّورُ الهادِي البَدِيعُ الباقِي الوارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ». رواه التِّرمذيّ. قال تعالى: ﴿ولا تَجهَرْ بِصَلاتِكَ﴾: بقِراءتك فيها فيسمعَك المُشركون، فيسبّوك ويسبّوا القُرآن ومَن أنزله، ﴿ولا تُخافِتْ﴾: تُسِرَّ ﴿بِها﴾ لينتفع أصحابك، ﴿وابتَغِ﴾: اقصِدْ ﴿بَينَ ذٰلِكَ﴾ الجهرِ والمُخافتةِ ﴿سَبِيلًا﴾ ١١٠: طريقًا وسَطًا.

٤- ﴿وقُلِ: الحَمدُ لِلّهِ الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ﴾: في الألوهيّة، ﴿ولَم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى ناصر. ﴿وكَبِّرْهُ تكبِيرًا﴾ ١١١: عظّمه عظمة تامّة، عن اتّخاذ الولد والشريك والذلّ وكُلّ ما لا يليق به. وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المُستحقّ لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرّده في صِفاته. وروى الإمام أحمد في «مُسنده» عن مُعاذ الجُهنيّ عن رسول الله

(١) الحق الأول: الحكمة المقتضية للتبليغ. وأنزلنا: أوحينا. والحق الثاني: ما يتضمنه القرآن. وأرسلناك: بعثناك. والمبشر: المبلغ بالخير. والنذير: المنذر المهدد. وتقرؤه: تتلوه وتبلّغ مافيه. والناس: البشر. ونزّلناه أي: مفرَّقًا لا دُفعة واحدة. (٢) آمنوا: صدّقوا ما جئت به. انظر «المفصل». وأوتوه: أُعطُوه. والعلم: المعرفة اليقينية. ويخر: يسقط بسرعة. الأذقان: جمع ذَقَن. والسُّجَّد: جمع ساجد. وخلف الوعد: الإخلال به. والوعد: التعهد بما سيكون. ومفعولًا: محقَّقًا. والصفة هي البكاء. ويزيدهم: يضيف إليهم. (٣) انظر سبب النزول في المفصل وتفسير الآية ١٨٠ من سورة الأعراف. وزائدة يعني: لتوكيد الجملة الشرطية. ومسماهما أي: من دعي بهما. والأسماء: جمع اسم. والحسنى: أحسن الأسماء وأفضلها. وهذان أي: أن هذين الاسمين من تلك الأسماء الحسنى. والملك: المالك لكل الخلق. والقدوس: الكامل التنزه. والمؤمن: الذي يُطمْئن عبادَه. والمهيمن: الرقيب. والبارئ: المنشئ لما يريد. والمصور: المسوّي لصور المخلوقات. والفتاح: الذي ييسر النعم. والقابض: المضيّق للرزق. والباسط: الموسّع له. والحَكَم: الذي لامرد لقضائه. واللطيف: العليم بخفيات الأمور. والشكور: المعطي الثوابَ الجزيل. والمُقيت: المتكفل بأقوات الخلق. والواسع: الذي لايُحَدّ غناه. والشهيد: الدائم الحضور والعلم. والحق: الثابت وجودُه. والمعيد: الخالق للأشياء بعد فنائها. والقيُّوم: الدائم القيام بتدبير الخلق. والواجد: العالم بكل شيء. والماجد: الكامل الشرف والفعل. والصمد: السيد يُقصد في الحوائج. والأول: القديم بلا ابتداء. والآخِر: الباقي بلا انتهاء. والظاهر: الذي يظهر وجوده بآياته. والباطن: المستتر عن العيون والبصائر. والبَرّ: المحسن. وذو الجلال والإكرام: المستحق للإجلال والإعظام وحده. والمقسط: الكامل العدل. والجامع: الذي يحشر الخلق. والبديع: المنفرد بخلق الكون على غير مثال سابق. والحديث ٣٥٠٢ في الترمذي بلفظ مخالف لبعض ما ههنا. وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته، وكلما سمع المشركون القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت الآية. الأحاديث ٤٤٤٥ و٧٠٥٢ و٧٠٨٧ و٧١٠٨ في البخاري و٤٤٦ في مسلم. وتجهر: تُظهر صوتك عاليًا. (٤) الحمد: الثناء على الفضل والإحسان. ولم يتخذ ولدًا أي: لاولد له. والشريك: المشارك في الألوهية. والولي: الناصر المعين. ومن أجله: بسبب حدوث شيء منه. والنفي في المواضع الثلاثة يفيد الاستمرار. انظر «المفصل». والتكبير أبلغ لفظة عند العرب في معنى التعظيم والإجلال. وترتيب الحمد على ذلك: جعلُ الحمدِ مترتبًا على نفي النقائص الثلاث المذكورة في الآية. وروى أي: في المسند ٤٣٩:٣-٤٤٠. واللفظ هنا تلفيق بين حديثين، وهو حديث ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٥٢:٧ وضعيف الجامع تحت الرقم ١٩. ومعاذ الجهني صحابي جليل. والحديث رواه ابنه سهل عنه، وسهل هذا كان لَيِّن الحديث. وآية العز: الآية التي يترتب عزّ القارئ ورفعته على قراءتها والمواظبة عليها.

ﷺ أنه كان يقول: «آيةُ العِزِّ: الحَمدُ لِلهِ الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ» إلى آخر السورة. والله - تعالى - أعلم.

* * *

١- قال مُؤلّفه: هذا آخِر ما كمّلتُ به تفسير القُرآن الكريم الذي ألّفه الشيخ الإمام العلّامة المُحقّق جلال الدين المحلّيّ الشافعيّ. رضي اللهُ عنه. وقد أفرغتُ فيه جُهدي وبذلت فكري فيه، في نفائس أراها - إن شاء الله تعالى - تُجدي، وألّفتُه في مُدّةِ قدرِ مِيعاد الكليم، وجعلتُه وسيلة للفوز بجنّات النعيم. وهو في الحقيقة مُستفاد من الكتاب المُكمَّل، وعليه في الآيِ المُتشابهة الاعتمادُ والمُعوَّل. فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه. وقد قلتُ:

حَمِدتُ اللهَ رَبِّي، إذْ هَداني ... لِما أبدَيتُ، مَعْ عَجزي وضَعفِي
فمَن لِي بالخَطا، فأُرَدَّ عَنهُ؟ ... ومَن لِي بالقَبُولِ، ولَو بِحَرفِ؟

هذا، ولم يكن قطّ في خَلَدي أن أتعرّض لذلك، لعِلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك. وعسى الله أن ينفع به نفعًا جمًّا، ويفتح به قُلوبًا غُلْفًا وأعيُنًا عُميًا وآذانًا صُمًّا. وكأنّي بمن اعتاد بالمطوّلات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسمًا، وعدل إلى صريح العِناد ولم يوجّه إلى دقائقها فهمًا: «ومَن كانَ في هٰذِهِ أعمَى فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى». رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحقّ وتوفيقًا، واطّلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به «مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ علَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصّالِحِينَ. وحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا»!

٢- وفُرِغ من تأليفه يومَ الأحد عاشر شوّال سنة سبعين وثمانيمِائَة، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مُستهلّ رمضان من السنة المذكورة. وفُرِغ من تبييضه يومَ الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانيمِائَة، على يد مؤلفه العلّامة جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٣- [قال الشيخ الإمام العالم العلّامة المحقّق المدقّق، جلال الدين المحلّيّ، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

سورة الكهف

سورة الكهف

سُورَةُ الكَهْف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٤- مكية إلّا «واصبر نفسك» الآية، مِائةٌ وعشرُ آيات أو خمسَ عشْرةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٥- ﴿الحَمدُ﴾، هو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلهِ﴾ تعالى - وهل المُراد الإعلامُ بذلك للإيمانِ به، أو الثناءِ به، أو هما؟ احتمالاتٌ، أفيَدُها

(١) مؤلفه أي: جلال الدين السيوطي. و«من كان» في الآية ٧٢ من سورة الإسراء. و«مع الذين» في الآية ٦٩ من سورة النساء. (٢) زاد بعد هذه الفقرة في بعض النسخ والمطبوعات: (قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي العلامة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الإمام جلال الدين المحلي - رحمهما الله - أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنّف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده، وتصفّحها وقال لمصنّفها المذكور: أيُّهما أحسنُ، وضعي أو وضعُك؟ فقال: وضعي. فقال: انظر. وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض عليه فيها بلطف، ومصنّف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه، والشيخ يبتسم ويضحك.
قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - في قِطعته أحسنُ من وضعي أنا بطبقات كثيرة. كيف، وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه، ومستفاد منه؟ لامِرية عندي في ذلك. وأما الذي رُئي، في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفتُ وضعه فيها لنكتة، وهي يسيرة جدًا، ما أظنها تبلغ عشَرة مواضع، منها أنّ الشيخ قال في سورة ص: «والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه». وكنت تبعته أوّلًا، فذكرت هذا الحدّ في سورة «الحِجر»، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: «ويَسألُونَكَ عَنِ الرُّوحِ. قُلِ: الرُّوحُ مِن أمرِ رَبِّي» الآيَةَ. فهي صريحة أو كالصريحة، في أن الروح من علم الله - تعالى - لانعلمه. فالإمساك عن تعريفها أولى. ولذا قال الشيخ تاجُ الدين بن السبكي في جمع الجوامع: «والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ. فنُمسك عنها». ومنها أنّ الشيخ قال في سورة الحج: «الصابئون: فرقة من اليهود». فذكرت ذلك في سورة «البقرة»، وزدت: «أو النصارى» بيانًا لقول ثان. فإنه المعروف خصوصًا عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: «وإن خالفَتِ السامرةُ اليهودَ، والصابئون النصارى، في أصل دينهم حَرُمْنَ». وفي شرحه: أنّ الشافعي - رضي الله عنه - نص على «أن الصابئين فرقة من النصارى». ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثًا. فلعل الشيخ - رحمه الله تعالى - يشير إلى مثل هذا. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب). وحَرُمْنَ أي: حَرُمَت نساء السامرة والصابئة وذبائحهم على المسلمين. (٣) سقط «قال الشيخ... جنته» من الأصل، ومع بعض السطرين التاليين من ط والفتوحات والصاوي والمنحة والمطبوعات. (٤) اصبر نفسك يعني: الآية ٢٨. وسقط «أو خمس عشرة» من خ. (٥) روي أن بعض أهل الكتاب تدارسوا أمر الدعوة وقرئ عليهم شيء من القرآن، فخشعوا وقالوا: «هذا وقت نبوة المذكور في التوراة، وهذه صفته ووعدُ الله به واقع لا محالة»، فنزلت هذه الآيات. البحر ٦:٨٨. وأنزله: أوحاه على لسان جبريل. ويجعل: يصيّر. والشديد: القوي العنيف. ومن لدنه: من عنده وبأمره.=

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الثالث - ﴿**الَّذِي أنزَلَ على عَبدِهِ**﴾ مُحمّد ﴿**الكِتابَ**﴾: القُرآن، ﴿**ولَم يَجعَلْ لَهُ**﴾ أي: فيه ﴿**عِوَجًا**﴾ ١: اختلافًا وتناقُضًا - والجملة: حال من الكتاب - ﴿**قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا، حالٌ ثانية مؤكّدة، ﴿**لِيُنذِرَ**﴾: يُخوّفَ الكتابُ الكافرين ﴿**بأسًا**﴾: عذابًا ﴿**شَدِيدًا مِن لَدُنهُ**﴾: من قِبَلِ الله، ﴿**ويُبَشِّرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا حَسَنًا ٢، ماكِثِينَ فِيهِ أبَدًا**﴾ ٣ - هو الجنة - ﴿**ويُنذِرَ**﴾ مِن جُملة الكافرين ﴿**الَّذِينَ قالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ٤. ما لَهُم بِهِ**﴾: بهذا القول ﴿**مِن عِلمٍ، ولا لِآبائِهِم**﴾ من قبلهم القائلين له. ﴿**كَبُرَتْ**﴾: عظُمت ﴿**كَلِمةً، تَخرُجُ مِن أفواهِهِم**﴾! كلمة: تمييز مُفسِّر للضمير المُبهم، والمخصوصُ بالذمّ محذوف، أي: مقالتُهم المذكورةُ. ﴿**إن**﴾: ما ﴿**يَقُولُونَ**﴾ في ذلك ﴿**إلّا**﴾ مقولًا ﴿**كَذِبًا**﴾ ٥.

١- ﴿**فلَعَلَّكَ باخِعٌ**﴾: مُهلِكٌ ﴿**نَفسَكَ على آثارِهِم**﴾: بعدَهم أي: بعدَ تولّيهم عنك، ﴿**إن لَم يُؤمِنُوا بِهٰذا الحَدِيثِ**﴾: القُرآنِ، ﴿**أسَفًا**﴾ ٦: غيظًا وحُزنًا منك، لحِرصك على إيمانهم. ونصبُه على المفعول له. ﴿**إنّا جَعَلْنا ما علَى الأرضِ**﴾، من الحيوان والنبات والشجر والأنهار، وغير ذلك ﴿**زِينةً لَها، لِنَبلُوَهُم**﴾: لنختبرَ الناس ناظِرِينَ إلى ذلك: ﴿**أيُّهُم أحسَنُ عَمَلًا**﴾ ٧ فيه أي: أزهدُ له؟ ﴿**وإنّا لَجاعِلُونَ ما علَيها صَعِيدًا**﴾: فُتاتًا ﴿**جُرُزًا**﴾ ٨: يابسًا لا يُنبِتُ.

٢- ﴿**أم حَسِبتَ**﴾ أي: أظَننتَ ﴿**أنَّ أصحابَ الكَهفِ**﴾: الغار في الجبل، ﴿**والرَّقِيمِ**﴾: اللوحِ المكتوبِ فيه أسماؤهم وأنسابُهم - وقد سئل ﷺ عن قِصّتهم - ﴿**كانُوا**﴾ في قِصّتهم ﴿**مِن**﴾ جُملة ﴿**آياتِنا عَجَبًا**﴾ ٩: خبرُ «كان» وما قبله حال، أي: كانوا عجبًا دُون باقي الآيات، أو أعجبَها؟ ليس الأمر كذلك. اذكرْ ﴿**إذ أوَى الفِتْيةُ إلَى الكَهفِ**﴾: جمعُ فتًى - وهو الشابّ الكامل - خائفين على إيمانهم من قومهم الكُفّار، ﴿**فقالُوا: رَبَّنا، آتِنا مِن لَدُنكَ**﴾: من قِبَلِك ﴿**رَحمةً، وهَيِّئْ**﴾: أصلحْ ﴿**لَنا مِن أمرِنا رَشَدًا**﴾ ١٠: هِداية. ﴿**فضَرَبْنا على آذانِهِم**﴾ أي: أنَمْناهم، ﴿**في الكَهفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ ١١: معدودة، ﴿**ثُمَّ بَعَثْناهُم**﴾: أيقظناهم، ﴿**لِنَعلَمَ**﴾ عِلمَ مُشاهَدة: ﴿**أيُّ الحِزبَينِ**﴾: الفريقين المُختلفين في مُدّة لَبثهم ﴿**أحصَى**﴾: فعلٌ بمعنى ضَبَطَ، ﴿**لِما لَبِثُوا**﴾: للَبثهم: مُتعلّق بما بعده، ﴿**أمَدًا**﴾ ١٢: غاية؟

٣- ﴿**نَحنُ نَقُصُّ علَيكَ نَبأَهُم بِالحَقِّ**﴾: بالصِّدق. ﴿**إنَّهُم فِتْيةٌ، آمَنُوا بِرَبِّهِم وزِدْناهُم هُدًى ١٣، ورَبَطْنا علَى قُلُوبِهِم**﴾: قوّيناها على قول الحقّ،

=ويبشرهم: يبلغهم الخبر السار. ويعمل: يكتسب. والصالحات: الأعمال حسنها الشرع. والأجر: الثواب. والحسن: الجميل. والماكث: المقيم. والأبد: الزمن غير المتناهي. والمنذَرون: اليهود والنصارى، لِما زعموا في عُزير والمسيح. واتخذه: صنعه لنفسه. والعلم: المعرفة اليقينية. أي: يقولون ذلك افتراء. والآباء: جمع أب. والمراد هم الآباء والأجداد. والقائلين أي: «اتخذ الله ولدًا». والمراد بالكلمة هنا كلام مركب. وتخرج: تلفظ. والأفواه: مفرده فُوهٌ. وهو الفم. ومقالتهم المذكورة يعني أن التقدير: كبرت الكلمةُ كلمةً، أي: ما أكبرها كلمة مكذوبة مختلقة، ليس لها مثيل في الأكاذيب! وفي ذلك أي: في إشراكهم وادعائهم أن الله اتخذ ولدًا. والمقول هنا: القول. والكذب: المكذوب. (١) الآثار: جمع أثر. والمراد: على أثر إعراضهم. ويؤمن: يصدّق ويستجيب. والمفعول له: يعني أن «أسفًا»: مفعول لأجله. وجعلنا: صيّرنا. والزينة: التجميل بما يرغب الناس. والاختبار هنا ليظهر المحسن من المسيء. وناظرين إليه أي: ملتفتين إلى ما على الأرض للاعتبار أو الاغترار. وأحسن: أجود. والعمل: ما يكون في القلب واللسان والجوارح. وفيه: في الاستفادة منه والاعتبار به. وأزهد له: أقل اغترارًا بما على الأرض، لاستخدامه في سبيل الخير. وجاعلون: مصيّرون. وعليها: على الأرض. والفتات: ما يضمحل بالريح ويتلاشى. (٢) الأصحاب: جمع صاحب. والآيات: المعجزات تخالف سنن الكون. والعجب: المُعجِب. و«ليس» يعني أن الاستفهام المضمن في «بل» للإنكار، مع النهي للنبي ﷺ عن التعجب ولمن سأله. أي: لاتظن أن قصتهم عجيبة بالنسبة إلى غيرها من الآيات العظيمة. وأوى إليه: التجأ إليه. والفتية: جمع قلة للفتى. وكانوا سبعة بعد عيسى، هربوا بدينهم من مدينتهم، للنجاة من الشرك. وللقصاصين أخبار مضطربة في تفصيلات ذلك، ولم يرد في الحديث الصحيح شيء منها. فلاحاجة إلى الرجم بالغيب وتقبل الأساطير. وآتنا: أعطنا. والرحمة: العطف بالإحسان. وهيئ: يسّر. وأمرنا: شأننا الذي صرنا إليه. وهداية: تثبيتًا على الإيمان والأعمال الصالحة. وضربنا: أوجدنا حجابًا. والمراد: استجبنا دعاءهم وقضينا عليهم النوم، وسبيناه بضرب الحجاب على أسماعهم. والآذان: جمع أذن. ومعدودة: كثيرة. وعلم المشاهدة أي: لنُظهر لهم ويشاهَد ويحصل لهم ما علمناه، من ضبطهم مدة لبثهم في النوم. والفريقان: القسمان من أهل الكهف. انظر الآية ١٩. وضبط أي: أتقن الحسبة وأحكمها وحفظها حفظًا بليغًا. وفي الأصل والصاوي وقرة العينين: «فعل بمعنى أضبط». وصوابه: «أفعَل بمعنى أضبَط». وهذا تفسير آخر، يعني أنه اسم تفضيل: أيهم أكثر ضبطًا وحفظًا؟ ولبثوا: أقاموا في الكهف نائمين. ومتعلق بما بعده أي: من حيث المعنى. انظر «المفصل». والغاية: مدة الزمن. (٣) نقص: نسرد بالتفصيل. وفي ط والصاوي وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «نقص نقرأ عليك ». والنبأ: الخبر العظيم. وآمنوا به: اعتقدوا وحدانيته. وزدناهم: أضفنا إليهم. والهدى: الإرشاد إلى الحق. وقاموا أي: انتصبوا على أقدامهم ولم يسجدوا للأصنام. وندعوه: نعبده ونطيعه. والإلٰه: المعبود بحق وحده. وفرضًا: افتراضًا ذهنيًا لافعلًا. وقومهم: الجماعة التي يعيشون معها. واتخذوا: صيّروا. ويأتون به: يحضرونه حقيقة. وأظلم: أكثر تجاوزًا للحق. وافترى: اختلق وكذب. واعتزلتموهم: خالفتم ما هم عليه من الكفر.=

الجزء الخامس عشر · سورة الكهف

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

﴿**إذ قامُوا**﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسُّجود للأصنام، ﴿**فقالُوا: رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ، لَن نَدعُوَ مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**إلَهًا. لَقَد قُلْنا إذًا شَطَطًا**﴾ ١٤ أي: قولًا ذا شططٍ أي: إفراطٍ في الكُفر، إن دعونا إلَهًا غير الله - تعالى - فَرْضًا. ﴿**هؤُلاءِ**﴾: مبتدأ ﴿**قومُنا**﴾: عطف بيان ﴿**اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهةً. لَولا**﴾: هلّا ﴿**يأتُونَ عليهِم**﴾: على عِبادتهم ﴿**بِسُلطانٍ بَيِّنٍ**﴾: بحُجّة ظاهرة. ﴿**فمَن أظلَمُ**﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿**مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا**﴾ ١٥ بنسبة الشريك إليه، تعالى؟ قال بعض الفِتية لبعض: ﴿**وإذِ اعتَزَلتُمُوهُم وما يَعبُدُونَ إلّا اللهَ فأْوُوا إلَى الكَهفِ، يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِن رَحْمتِهِ، ويُهَيِّئْ لَكُم مِن أمرِكُم مِرفَقًا**﴾ ١٦، بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس: ما ترتفقون به من غَداء وعَشاء.

ربع الحزب ٣٠

١- ﴿**وتَرَى الشَّمسَ إذا طَلَعَت تزّاوَرُ**﴾: بالتشديد والتخفيف: تميل ﴿**عَن كَهفِهِم ذاتَ اليَمِينِ**﴾: ناحيتَه، ﴿**وإذا غَرَبَتْ تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمالِ**﴾: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تُصيبهم البتّةَ، ﴿**وهُم في فَجْوَةٍ مِنهُ**﴾: مُتّسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها. ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور ﴿**مِن آياتِ اللهِ**﴾: دلائل قُدرته. ﴿**مَن يَهدِ اللهُ فهْوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدًا**﴾ ١٧. وتَحسِبُهُم﴾ - لو رأيتَهم - ﴿**أيقاظًا**﴾ أي: منتبهينَ، لأنّ أعيُنهم مُفتّحة، جمع يَقِظ بكسر القاف، ﴿**وهُم رُقُودٌ**﴾: نيام جمعُ راقد، ﴿**ونُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمِينِ وذاتَ الشِّمالِ**﴾، لئلّا تأكل الأرض لُحومهم، ﴿**وكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بالوَصِيدِ**﴾: بفِناء الكهف - وكانوا إذا انقلبوا انقلب معهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة - ﴿**لَوِ اطَّلَعتَ علَيهِم لَوَلَّيتَ مِنهُم فِرارًا، ولَمُلِئتَ**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**مِنهُم رُعْبًا**﴾ ١٨، بسُكون العين وضمّها. منعهم الله بالرعب من دُخول أحد عليهم.

٢- ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما فعلنا بهم ما ذكرنا، ﴿**بَعَثْناهُم**﴾: أيقظناهم، ﴿**لِيَتَساءَلُوا بَينَهُم**﴾ عن حالهم ومُدّة لَبثهم. ﴿**قالَ قائلٌ مِنهُم: كَم لَبِثتُم؟ قالُوا: لَبِثْنا يَومًا أو بَعضَ يَومٍ**﴾. لأنهم دخلوا الكهف عِند طُلوع الشمس وبُعِثوا عِند غُروبها، فظنّوا أنه غُروب يوم الدخول. ثمّ ﴿**قالُوا**﴾ مُتوقِّفين في ذلك: ﴿**رَبُّكُم أعلَمُ بِما لَبِثتُم. فابعَثُوا أحَدَكُم بِوَرْقِكُم**﴾، بسكون الراء وكسرها: بفِضّتكم ﴿**هٰذِهِ إلَى المَدِينةِ**﴾ - يقال: إنها المُسمّاة الآن طَرَسُوسَ بفتح الراء - ﴿**فلْيَنظُرْ: أيُّها أزكَى طَعامًا**﴾: أيُّ أطعمة المدينة أحلّ؟ ﴿**فلْيأتِكُم بِرِزقٍ مِنهُ، ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشعِرَنَّ بِكُم أحَدًا**﴾ ١٩. ﴿**إنَّهُم إن**

=ويعبدون: يقدسون ويطيعون من الأصنام والمخلوقات. وائووا إليه: التجئوا إليه واستقروا فيه. وينشر: يبسط ويوسع. والرحمة: العطف بالإحسان. ويهيئ: ييسر. والأمر: الشأن والحال. وبالعكس يريد القراءة: «مَرفِقًا». وترتفقون به أي: تنتفعون به. **(١)** ترى: تبصر عِيانًا، أي: لو راقبت أحوالهم لرأيت. وطلعتْ: ظهرت. وبالتخفيف يريد القراءة: «تَزاوَرُ». فالأصل «تَتَزاوَرُ» سكنت التاء الثانية وأبدلت زايًا وأدغمت في الزاي بعدها، في القراءة الأولى، وفي القراءة الثانية حذفت التاء للتخفيف. وذات اليمين أي: نحو يمين الكهف. وغربت: دنت الشمس من المغيب. وذات الشمال أي: نحو شمال الكهف. والظاهر أن الكهف كان جنوبيًا، فالشمس تصادف يمينه صباحًا وشِماله قبل الغروب، وتدخله ظهرًا دون أن تتوجه إليهم وتنال منهم. هذا ما قلته منذ سنوات تقديرًا. وقد تيسّر لي زيارة الكهف منذ أشهرٍ، فشاهدته كما قلت، وصلّيت في المسجد قربه. والحمد لله. وتصيبهم: تصل إليهم. والبتّة أي: قطعًا. ويهدي أي: يرشده إلى الحق والخير. والمهتدي: المخلص في إيمانه. وفيما عدا النسخ والوجيز والتلخيص: «المهتدِ» بحذف الياء للتخفيف اتّباعًا لرسم المصاحف. وإنما جاز إثبات الياء لبيان القراءة التي اختارها المحلي. ويضلل: يدعْه في الكفر ولايرشده. ولن تجد: لن ترى. والولي: من يتولى أمر الآخرين. والمرشد: الذي يدل على الخير. وتحسب: تتوهم. وأيقاظ: جمع يَقِظ. ومفتحة أي: كالمتنبهين. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «منفتحة». ونقلبهم: نقدّر لهم التقلب. واليمين: يمينهم. والشمال: شمالهم. وباسط ذراعيه: مسترخٍ على الأرض نائمًا. وفيما عدا الأصل وخ: «ذراعيه يديه بالوصيد بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب وهو مثلهم». وفناء الكهف: المكان المتسع أمامه. واطلعت عليهم: نظرت إليهم. ووليت: أعرضت بوجهك وهربت. والفرار: الهرب. وملئت: امتلأت نفسك. وبالتشديد يريد القراءة: «ولَمُلِّئتَ». وبضمها يريد القراءة «رُعُبًا». وإنما ورد عن القرّاء السكونُ والضم مع تخفيف اللام من «مُلِئتَ». **(٢)** كذلك بعثناهم أي: جعلنا بعثهم آيةً مثل جعلنا إنامتَهم هذه المدةَ المتطاولة آيةً. ويتساءلون: يسأل بعضهم بعضًا. وكم لبثتم: كم يومًا بقيتم في النوم؟ وقالوا أي: السّتّة المسؤولون. ودخلوا الكهف: يعني أنهم ناموا يوم دخولهم. والمشهور أنهم مكثوا في الكهف عدة أيام قبل نومهم. فكان على المحلي أن يقول: «ناموا». وقد اضطرب المفسرون في تفاصيل قصة هؤلاء، فأوردوا كثيرًا مما لم يثبت في القرآن أو أقوال الأنبياء. البحر ٦: ١٠٩. وبعض اليوم: قطعة من زمنه. ومتوقفين في ذلك: متلبثين في تقدير المدة، ليردوا الأمر إلى علم الله. وربكم أعلم أي: أنتم لاتعلمون، وإنما العالم هو الله. وابعثوا: أرسلوا. وبكسرها يريد القراءة: «بِوَرِقِكُم». والمراد هنا هو الفضة المضروبة عملة للتداول. وطرسوس: بين مرسين وأضنة قرب ساحل البحر، وكانت في عهدهم تسمى أُفسوس. وينظر: يتدبر ويعلم. وأحل يعني: بالطهارة والتجرد من الظلم والشرك. وفي ط والفتوحات والصاوي والمطبوعات: «أي أيّ أطعمة المدينة أحل». ويأتيكم به: يجيء به إليكم. والرزق: ما يتيسر للإنسان من الحاجات. ويتلطف: يتكلف اللطف في المعاملة. ولايشعر: لايعمل ما يؤدي إلى الشعور. وبكم: بما أنتم عليه من العقيدة. وضمير الغائبين يعود على أهل المدينة. ويظهروا عليكم: يطلعوا على أمركم. والرجم: الرمي بالحجارة. ويعيدوكم: يصيروكم بالقوة. والملة: الدين من عقيدة وشريعة. وتفلحوا: تظفروا بخير.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ
ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
(٢٤) وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا
(٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧)

يظهَرُوا عليكُم يَرجُمُوكُم﴾: يقتلوكم بالرجم، **﴿أو يُعِيدُوكُم في مِلَّتِهِم، ولَن تُفلِحُوا إذًا﴾**، أي: إن عدتم في مِلّتهم، **﴿أبَدًا﴾** ٢٠.

١- **﴿وكَذٰلِكَ﴾**: كما بعثناهم، **﴿أعثَرْنا﴾**: أطلعْنا **﴿عليهِم﴾** قومَهم والمؤمنين، **﴿لِيَعلَمُوا﴾** أي: قومُهم **﴿أنّ وَعدَ اللهِ﴾** بالبعث **﴿حَقٌّ﴾**، بطريق أنّ القادرَ على إقامتهم المُدّة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غِذاء قادرٌ على إحياء الموتى، **﴿وأنّ السّاعةَ لا رَيبَ﴾**: لا شكَّ **﴿فيها، إذ﴾**: معمول لـ «أعثرنا» **﴿يَتَنازَعُونَ﴾** أي: المؤمنون والكُفّار **﴿بَينَهُم أمرَهُم﴾**: أمر الفِتية في البناء حولهم، **﴿فقالُوا﴾** أي: الكُفّار: **﴿ابنُوا عليهِم﴾** أي: حولهم **﴿بُنيانًا﴾** يسترهم. **﴿رَبُّهُم أعلَمُ بِهِم. قالَ الّذِينَ غَلَبُوا على أمرِهِم﴾**: أمر الفتية وهم المؤمنون: **﴿لَنَتَّخِذَنَّ عليهِم﴾**: حولهم **﴿مَسجِدًا﴾** ٢١ يُصلَّى فيه. وفُعل ذلك على باب الكهف.

٢- **﴿سَيَقُولُونَ﴾** أي: المُتنازعون في عدد الفِتية في زمن النبيّ، أي: يقول بعضُهم: هم **﴿ثلاثةٌ رابِعُهُم كَلبُهُم. ويَقُولُونَ﴾** أي: بعضُهم: **﴿خَمسَةٌ سادِسُهُم كَلبُهُم﴾**. والقولان لنصارى نَجرانَ **﴿رَجمًا بالغَيبِ﴾** أي: ظنًّا في الغَيبة عنهم. وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبُه على المفعول له أي لِظنّهم ذلك. **﴿ويَقُولُونَ﴾** أي: المؤمنون: **﴿سَبعَةٌ وثامِنُهُم كَلبُهُم﴾**. الجملة من مبتدأٍ وخبرٍ: صفةُ «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيدًا ودلالةً على لصوق الصفة بالموصوف. ووصفُ الأوّلَين بالرجم دُون الثالث دليلٌ على أنه مرْضيّ وصحيح. **﴿قُلْ: رَبِّيَ أعلَمُ بِعِدّتِهِم، ما يَعلَمُهُم إلّا قَلِيلٌ﴾**. قال ابن عبّاس: «أنا من القليل». وذكرَهم سبعةً. **﴿فلا تُمارِ﴾**: تجادلْ **﴿فِيهِم إلّا مِراءً ظاهِرًا﴾** بما أُنزل عليك، **﴿ولا تستَفْتِ فِيهِم﴾**: تطلبِ الفُتيا **﴿مِنهُم﴾**: من أهلِ الكتاب اليهودِ **﴿أحَدًا﴾** ٢٢.

٣- وسأله أهل مكّة عن خبر أهل الكهف، فقال: «أُخبِرُكُم به غَدًا». ولم يقل: «إن شاءَ اللهُ»، فنزل: **﴿ولا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ﴾** أي: لأجل شيء: **﴿إنّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا﴾** ٢٣ أي: فيما يُستقبل من الزمان. **﴿إلّا أن يَشاءَ اللهُ﴾** أي: إلّا مُلتبسًا بمشيئة الله - تعالى - بأن تقول: **إن شاءَ اللهُ**. **﴿واذكُرْ رَبَّكَ﴾** أي: مشيئته مُعلّقًا بها، **﴿إذا نَسِيتَ﴾** التعليقَ بها، ويكون ذِكرها بعد النِّسيان كذِكرها مع القول. قال الحسن وغيره: ما دامَ في المجلِس. **﴿وقُلْ: عَسَى أن يَهدِيَنِ رَبِّي لِأقرَبَ مِن هٰذا﴾**: من خبر أهل الكهف، في الدلالة على نُبوّتي، **﴿رَشَدًا﴾** ٢٤: هِداية. وقد فعل الله - تعالى - ذلك.

٤- **﴿ولَبِثُوا في كَهفِهِم ثَلاثَمِائَةٍ﴾**، بالتنوين، **﴿سِنِينَ﴾**: عطف بيان لِـ«ثلاثمِائَة» - وهذه السنون الثلاثمِائَة عِند أهل الكتاب شمسيّة، وتزيد القمريّة عليها عِند العرب تسعَ سنين - وقد ذُكرتْ في قوله **﴿وازدادُوا تِسعًا﴾** ٢٥ أي: تسع سِنينَ. فالثلاثمِائَة الشمسيّة: ثلاثمِائَة وتسع قمريّة. **﴿قُلِ: اللهُ أعلَمُ بما لَبِثُوا﴾** ممّن اختلفوا فيه - وهو ما تقدّم ذكره - **﴿لَهُ غَيبُ السّماواتِ والأرضِ﴾** أي: عِلمُه، **﴿أبصِرْ بِهِ﴾** أي: بالله - هي صِيغة تعجّب - **﴿وأسمِعْ﴾** به كذلك، بمعنى: ما أبصَرَهُ وما أسمَعَهُ! وهما على جِهة المجاز، والمُرادُ أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء، **﴿ما لَهُم﴾**: لأهل السماوات والأرض **﴿مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾**: ناصر، **﴿ولا يُشرِكُ في حُكمِهِ أحَدًا﴾** ٢٦ لأنه غنيّ عن الشريك.

٥- **﴿واتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن كِتابِ رَبِّكَ، لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ، ولَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَدًا﴾** ٢٧: ملجأ، **﴿واصبِرْ نَفسَكَ﴾**: احبِسها **﴿مَعَ الّذِينَ﴾**

(١) كما بعثناهم أي: جعلنا عثور الناس عليهم لحكمة، كما جعلنا نومهم ويقظتهم. وقومهم: الكافرون حينذاك. ويعلم: يدرك باليقين. والوعد: التعهد بما سيكون. والحق: الصدق الثابت. و«إقامتهم» كذا في الأصل والنسخ، أي: إدامتهم على الحال المذكورة قبل بعثهم. وفيما عداها: «إنامتهم». والساعة: القيامة. ويتنازعون: يختصمون. وقالوا أي: بعد موت الفتية. وغلبوا: تغلبوا. ونتخذ: نبني. وابنوا: شيّدوا. والمسجد: المكان للصلاة. (٢) نجران: موضع بين الحجاز واليمن، كان فيه بعض النصارى. ورجمًا: رميًا للرأي دون علم. ومفعول له أي: مفعول لأجله. ولصوق الصفة أي: ثبوت الصفة بالموصوف. وزيادة الواو تعني توكيد الجملة كلها، وبيان أن العدد المذكور هنا هو الحق وحده. وأعلم: أقوى علمًا. والعدة: المعدود. ويعلمهم: يعرف حقيقة عددهم. وظاهرًا أي: من غير تجهيل ولا تعنيف. والفتيا: الحكم فيما يشكِل. واليهود: هذا خلاف ما ذكره المحلي في تفسير الآية قبل، أنهم نصارى. (٣) الشيء: ما يمكن وقوعه. وفاعله: منفذه. ويشاء: يريد وقوعه. وذكر المشيئة: التلفظ بها عن قصد. ومعلقًا بها: جاعلًا تنفيذ الأمور مقيدًا بها، لايحصل إلّا بسببها. ويهدين: يرشدني. وحذفتْ تخفيفًا ياء المتكلم. وفي النسخ: «يهديني». وأقرب: أدنى وأعظم وأدلّ. وقد فعل أي: آتاه الهداية إلى التوحيد والشريعة، وشيء من أخبار الغيب. وفي الآيتين تأديب للنبي ﷺ وأمته بوجوب رد الأمور إلى مشيئة الله. (٤) لبث: بقي. وازدادوا: أضافوا إلى الثلاثمائة. والسنون: جمع سنة. وعطف بيان يعني: لتوضيح المراد مع التوكيد. وروي أنه لما نزل قوله «ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة» قيل: يارسول الله، أيامًا أم شهورًا أم سنين؟ فنزلت بقية الآية. الدر المنثور ٤:٢١٨. وقمرية أي: ما ذكر من مدة لبثهم نيامًا. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. وعلمه: علم الغيب. وما أبصره وما أسمعه أي: أمره في الإدراك عظيم عجيب، خارج عن حد ما عليه إدراك المخلوقات كلها. والمجاز هنا مراد به أن الصيغة إنشائية للتعجب، وحقيقتها خبرية للإعلام والتقرير، والتعجبُ فيها من حيث إنه استعظام أمر خفيَ على الخلق سببه. ومن دونه: من غير الله. ويشركه: يجعله مشاركًا له في الملك والتصرف. والحكم: الأمر والقضاء. (٥) اتل: اقرأ وبلّغ. وأوحي: أنزل على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. والمبدل: القادر على=

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم **﴿وَجهَهُ﴾** - تعالى - لا شيئًا من أعراض الدنيا وهم الفقراء، **﴿ولا تَعْدُ﴾**: تنصرفْ **﴿عَيناكَ عَنهُم﴾** - عُبّر بهما عن صاحبهما - **﴿تُريدُ زِينةَ الحَياةِ الدُّنيا، ولا تُطِعْ مَن أغفَلْنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا﴾** أي: القرآن - هو عُيينة بن حِصن وأصحابه - **﴿واتَّبَعَ هَواهُ﴾** في الشِّرك، **﴿وكانَ أمرُهُ فُرُطًا﴾** ٢٨: إسرافًا، **﴿وقُلِ﴾** له ولأصحابه: هذا القُرآن **﴿الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فمَن شاءَ فليُؤمِنْ، ومَن شاءَ فليَكفُرْ﴾**. تهديد لهم. **﴿إنّا أعتَدْنا للظّالِمينَ﴾** أي: الكافرين **﴿نارًا، أحاطَ بِهِم سُرادِقُها﴾**: ما أحاط بها، **﴿وإن يَستَغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهلِ﴾**: كعكر الزيت، **﴿يَشوي الوُجوهَ﴾** من حرّه إذا قُرّب إليها. **﴿بِئسَ الشَّرابُ﴾** هو! **﴿وساءَتْ﴾** أي: النارُ **﴿مُرتَفَقًا﴾** ٢٩: متكأ! تمييز منقول من الفاعل أي: قَبُح مُرتفقُها. وهو مُقابِل لقوله الآتي في الجنّة: «وحَسُنَتْ مُرتَفَقًا»! وإلّا فأيّ ارتفاق في النار؟

نصف الحزب ٣٠

١- **﴿إنَّ الَّذينَ آمَنوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ إنّا لا نُضيعُ أجرَ مَن أحسَنَ عَمَلًا﴾** ٣٠. الجملة: خبرُ «إنّ»، وفيها إقامة الظاهر مَقام المُضمر - والمعنى: أجرَهم، أي: نُثيبهم بما تضمّنه - **﴿أُولئِكَ لَهُم جَنّاتُ عَدنٍ﴾**: إقامةٍ، **﴿تَجري مِن تَحتِهِمِ الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ﴾** - قيل: مِن: زائدة، وقيل: للتبعيض - وهي جمع أَسْوِرةٍ كأحمِرة جمع سِوار **﴿مِن ذَهَبٍ، ويَلبَسُونَ ثِيابًا خُضرًا مِن سُندُسٍ﴾**: ما رقّ من الدِّيباج، **﴿وإستَبرَقٍ﴾**: ما غلُظ منه - وفي آية «الرحمن»: «بَطائنُها مِن إستَبرَقٍ» - **﴿مُتَّكِئينَ فِيها علَى الأرائِكِ﴾**: جمع أريكة. وهي السرير في الحَجَلة. وهي بيت يُزيّن بالثياب والستور للعروس. **﴿نِعمَ الثَّوابُ﴾**: الجزاءُ الجنّةُ! **﴿وحَسُنَتْ مُرتَفَقًا﴾** ٣١!

٢- **﴿واضرِبْ﴾**: اجعلْ **﴿لَهُم﴾**: للكفّار مع المؤمنين **﴿مَثَلًا رَجُلَينِ﴾**: بدلٌ، وهو وما بعده تفسير للمَثل، **﴿جَعَلْنا لِأحَدِهِما﴾** الكافرِ **﴿جَنَّتَينِ﴾**: بُستانَين **﴿مِن أعنابٍ، وحَفَفْناهُما بِنَخلٍ، وجَعَلْنا بَينَهُما زَرعًا﴾** ٣٢ يُقتات به، **﴿كِلتا الجَنَّتَينِ﴾** كلتا: مُفرد يدلّ على التثنية مبتدأ **﴿آتَتْ﴾**: خبرُه **﴿أُكُلَها﴾**: ثمرها، **﴿ولَم تَظلِمْ﴾**: تَنقُص **﴿مِنهُ شَيئًا، وفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا﴾** ٣٣ يجري بينهما، **﴿وكانَ لَهُ﴾** مع الجنّتين **﴿ثَمَرٌ﴾** - بفتح الثاء والميم، وبضمّهما، وبضمّ الأوّل وسكون الثاني. وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب، وبَدَنة وبُدْن - **﴿فقالَ لِصاحِبِهِ﴾** المؤمنِ، **﴿وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾**: يُفاخره: **﴿أنا أكثَرُ مِنكَ مالًا وأعَزُّ نَفَرًا﴾** ٣٤ عشيرةً. **﴿ودَخَلَ جَنَّتَهُ﴾** بصاحبه، يطوف به فيها ويُريه آثارها - ولم يقل «جنّتيه»

=التبديل من الخلق. والكلمات: الآيات وما فيها. ولن تجد: لن ترى. ومن دونه: من عند غيره. انظر سبب النزول في المفصل. ويدعونه: يعبدونه. والغداة: أول النهار. والعشي: آخره. يعني عموم الوقت. وتريد: تطلب. والزينة: ما يُتزين به. ولاتطعه: لا تقبل رأيه. وأغفلنا قلبه: شغلناه بالضلال. واتبع هواه: انقاد لما تشتهيه نفسه. والأمر: الشأن. وله: لعُيينة بن حصن. والحق: الصدق الثابت. ومن ربك: من عنده. وشاء: أراد الإيمان. و«شاء» الثاني: أراد الكفر. ويؤمن: يصدّق الله ورسوله ويعرف قلبه التوحيد. وعكسه: يكفر. وأعتدنا: هيأنا. والسرادق: جدار من النار والدخان. ويستغيث: يطلب الإنقاذ. والوجوه: جمع وجه. وبئس: بلغ الغاية في السوء والبؤس والشقاء. والمتكأ: الاتكاء للراحة والانتفاع. (١) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزم عنه. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالحات: الأعمال التي حسنها الشرع. ولانضيعه: نؤدي ثوابه كاملًا. والأجر: المكافأة. وأحسنه: جاء به على ما يرضاه الله. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتهم: من تحت مساكنهم. والأنهار: جمع نهر من ماء أو لبن أو عسل أو خمر. ويحلون: يزينون. والثياب: جمع ثوب. والخضر: جمع أخضر. والديباج: الحرير. وآية الرحمن: الآية ٥٤ من تلك السورة. والمتكئ: المضطجع بارتياح. وحسنت: بلغت الغاية في الجمال والنعمة. (٢) المثل: الشَّبَه تُبيَّن به حال شيء خفية بحالِ آخر واضحة. والرجلان روي أنهما من بني إسرائيل، أحدهما كافر والآخر مؤمن، وقد ورد وصفهما في الآيات ٥١-٦٠ من سورة الصافات. فتح القدير ٣:٤٠٤. وجعلنا: صيّرنا. والأعناب: جمع عنب. وحففناهما بنخل: جعلنا النخل محيطًا بكل منهما. والنخل ثمره التمر بأنواعه. والزرع: ما يزرع للغذاء والزينة. وكلتاهما: كل واحدة منهما. وآتت: أعطت. والأكل: ما يؤكل. وفجرنا: شققنا. والثمر: ما يزيد وينمو من المال، كالنقد والمواشي. و«بفتح... الثاني» يريد ثلاث قراءات، أولاها ما أثبتنا، والثانية: «ثُمُرٌ»، والثالثة: «ثُمْرٌ». وصاحبه: الرجل الثاني. ويحاوره: يجاوبه. وعُبِّر عن ذلك بالمفاخرة، لما كان من تبجح هذا الثاني وتكبره. وأعز: أقوى. والنفر: من ينفر مع الرجل لعونه. والظاهر أن المراد به هنا الأولاد. انظر الآية ٣٩. وآثارها: ما فيها من البهجة والحسن. وفيما عدا الأصل وخ وع: «أثمارها». وإرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحدة: يعني أن الروضة تشمل الجنتين، أو أن ذكر واحدة منهما يغني عن الثانية، لأن الداخل في شيء لايكون في اثنين معًا. وظالم لنفسه: معرّض أياها لغضب الله ونقمته. وهذا من أكبر الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه. وما أظن: ما أتردد وما أشك. والأبد: ما لاينتهي من الزمن. والمراد هنا: مدة حياة المتكلم. والساعة: القيامة بالبعث للحساب والجزاء. وقائمة: كائنة وحاصلة. ورددت: رجعت بعد الموت. وإلى ربي: إلى لقاء موعد حسابه وجزائه. وأجد: أرى. وخيرًا: أكثر انتفاعًا وفضلًا. ومنها أي: من جنة الدنيا. والتقدير: واللهِ - لئن رُددتُ أجدْ خيرًا - لأجدنّه. وفي هذا الحذف إيجاز واحتباك وتوكيد. ومرجعًا: عاقبة ومآلًا لِما أنا عليه من الكرامة، والاستحقاق للنعم في كل حين.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
(٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١)
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥)

إرادةً للروضة. وقيل: اكتفاءً بالواحدة - ﴿**وهْوَ ظالِمٌ لِنَفسِهِ**﴾ بالكُفر، ﴿**قالَ: ما أظُنُّ أن تَبِيدَ**﴾: تنعدم ﴿**هٰذِهِ أبَدًا ٣٥، وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ رُدِدْتُ إلَى رَبِّي**﴾ في الآخرة، على زعمك، ﴿**لَأَجِدَنَّ خَيرًا مِنها مُنقَلَبًا**﴾ ٣٦: مَرجِعًا.

١- ﴿**قالَ لَهُ صاحِبُهُ، وهْوَ يُحاوِرُهُ**﴾: يُجاوبه: ﴿**أكَفَرتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ**﴾، لأنّ آدم خُلق منه، ﴿**ثُمَّ مِن نُطْفةٍ**﴾: مَنِيٍّ ﴿**ثُمَّ سَوّاكَ**﴾: عَدَلَكَ وصيّرك ﴿**رَجُلًا ٣٧؟ لٰكِنّا**﴾ - أصله: لكنْ أنا. نُقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حُذفت الهمزة، ثم أُدغمت النون في مثلها - ﴿**هُوَ**﴾: ضمير الشأن تُفسّره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول، ﴿**اللهُ رَبِّي، ولا أُشرِكُ بِرَبِّيَ أحَدًا ٣٨، ولَولا**﴾: هلّا، ﴿**إذ دَخَلتَ جَنّتَكَ، قُلتَ**﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿**ما شاءَ اللهُ، لا قُوّةَ إلّا بِاللهِ**﴾. في الحديث «مَن أُعطِيَ خَيرًا، مِن أهلٍ أو مالٍ، فيَقُولَ عِندَ ذلِكَ: ما شاءَ اللهُ لا قُوّةَ إلّا باللهِ، لم يَرَ فِيهِ مَكرُوهًا». ﴿**إن تَرَنِيَ أنا**﴾ - ضمير فصل بين المفعولين - ﴿**أقَلَّ مِنكَ مالًا ووَلَدًا ٣٩ فعَسَى رَبِّيَ أن يُؤتِيَنِي خَيرًا مِن جَنّتِكَ**﴾: جوابُ الشرط، ﴿**ويُرسِلَ علَيها حُسبانًا**﴾: جمع حُسبانة، أي: صواعقَ ﴿**مِنَ السَّماءِ، فتُصبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا**﴾ ٤٠: أرضًا ملساء لا يثبتُ عليها قدمٌ، ﴿**أو يُصبِحَ ماؤُها غَورًا**﴾ بمعنى: غائرًا، عطفٌ على «يرسلَ» دُون «تصبحَ»، لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق، ﴿**فلَن تَستَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾ ٤١: حِيلة تدركه بها.

٢- ﴿**وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ**﴾ - بأوجه الضبط السابقة - مع جنّته بالهلاك فهلكت، ﴿**فأصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ**﴾ ندَمًا وتحسّرًا، ﴿**علَى ما أنفَقَ فِيها**﴾ في عمارة جنّته، ﴿**وهْيَ خاوِيةٌ**﴾: ساقطة ﴿**علَى عُرُوشِها**﴾: دعائمها للكرْم بأن سقطت ثم سقط الكرْمُ، ﴿**ويَقُولُ: يا**﴾: للتنبيه ﴿**لَيتَني لم أُشرِكْ بِرَبِّيَ أحَدًا ٤٢. ولَم تكُنْ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**لَهُ فِئةٌ**﴾: جماعة ﴿**يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ**﴾ عِند هلاكها، ﴿**وما كانَ مُنتَصِرًا**﴾ ٤٣ - عند هلاكها بنفسه. ﴿**هُنالِكَ**﴾ أي: يومَ القيامة ﴿**الوَلايةُ**﴾ بفتح الواو: النُّصرةُ، وبكسرها: المُلكُ ﴿**لِلهِ الحَقُّ**﴾ بالرفع: صفة الولاية، وبالجرّ: صفة الجلالة. ﴿**هُوَ خَيرٌ ثَوابًا**﴾ من ثواب غيره - لو كان يُثيب - ﴿**وخَيرٌ عُقُبًا**﴾ ٤٤ بضم القاف وسكونها: عاقبةً للمؤمنين. ونصبُهما على التمييز.

٣- ﴿**واضرِبْ**﴾: صيّر ﴿**لَهُم**﴾: لقومك ﴿**مَثَلَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾: مفعولٌ أول ﴿**كَماءٍ**﴾: مفعولٌ ثان، ﴿**أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ**﴾: تكاثفَ بسبب نزول الماء ﴿**نَباتُ الأرضِ**﴾، أو امتزج الماء بالنبات فرَوِيَ وحَسُن، ﴿**فأصبَحَ**﴾: صار النبات ﴿**هَشِيمًا**﴾: يابسًا متفرّقة أجزاؤه، ﴿**تَذرُوهُ**﴾: تنثره وتُفرّقه ﴿**الرِّياحُ**﴾ فتذهب به. المعنى: شَبِّهِ الدنيا بنبات حسُنَ، فيبس فتكسّر، ففرّقته الرياح. وفي قراءة «الرِّيحُ». ﴿**وكانَ اللهُ**

---

(١) كفرت به: أنكرت ألوهيته. وخلق: أوجد. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والنطفة: القطرة الدقيقة من ماء الرجل والمرأة في الجماع. و«نقلت... أدغمت» كذا، وفيه نظر في الحالتين. انظر «المفصل». والشأن: الأمر الذي يعرض له الحديث هنا. ولا أشرك به: أوحّده ولا أجعل معه شريكًا. وشاءه: أراده. والقوة: القدرة على كل العمل. والحديث رواه البيهقي في الشعب عن أنس بلفظ آخر. الدر المنثور ٤:٢٢٣. وانظر تفسير ابن كثير ٣:٨٢. ونصب «يقول» بـ «أن» مضمرة. وترني: تعلمني. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ترنِ»، بحذف الياء تبعًا لرسم المصاحف. وإثبات الياء جائز لبيان القراءة المختارة. والولد: الأولاد. ويؤتيني: يعطيني. وإثبات الياء الأخيرة كما في «ترني». والمراد بجواب الشرط: جملة «عسى». ويرسل: يبعث. والحسبانة: الصاعقة يقضي بها الله حسابًا وعقابًا. وتصبح: تصير. وماؤها: النهر الذي يجري فيها. وتستطيعه: تقدر عليه. والطلب: الإدراك والتحصيل. **(٢)** أحيط به: أصابه من كل جانب الدمارُ. والثمر: ما ذكر في الآيات ٣٢-٣٤. والسابقة: يريد القراءات الثلاث في «ثمر». وأصبح: صار. ويقلب كفيه: يحركهما وجهًا لظهر، ويضرب إحداهما على الأُخرى. وأنفق أي: بذله من الجهد والمال والعناية. والعروش: جمع عَرش. وهو ما ينصب من القصب وغيره مدعَّمًا بالعمد كالسقف، لتمتد عليه فروع الأشجار. والكرم: شجر العنب. ولم أشرك به: لم أعبد ولم أعتز بغيره. وبالياء يريد القراءة «ولَم يَكُنْ». وينصرونه: يدفعون عنه العذاب. ومن دونه: من غيره. ومنتصرًا: قادرًا على ما عجزت عنه عشيرته. والملك: القهر والتسلط. وبكسرها يريد القراءة «الوِلايةُ». والحقُّ: الثابتة لاشك فيها. وبالجر يريد القراءة «الحَقِّ». والكسر والضم وارد كل منهما، مع كلتا القراءتين السابقتين، فالقراءات هنا أربع. والحقِّ: المتحقق الثابت وجوده أزلًا وأبدًا. وهو أي: الله. وخير: أكثر نفعًا وأدوم. والثواب: المكافأة. وبسكونها يريد القراءة «عُقْبًا». **(٣)** مثل الحياة: صفتها وحالها. وكماء أي: شِبهَ صفةِ ماءٍ وحالِه. وأنزلناه: أسقطناه. والسماء: السحاب. والنبات: ما ينبت من شجر وغيره. والرياح: جمع ريح. وهو الهواء المتحرك بشدة. والمشبَّه في الآية هو الدنيا، والمشبَّه به هو حالُ النبات الحاصلةُ من النماء والاخضرار فالتحطم والضياع. وكان أي: وما زال. وفي الآية ٤٦ توكيد لما في الآية الماضية. والمال: ما يملك من النقد والذهب والفضة والعقار والحيوان والنبات والسلاح. والبنون: الأبناء. والزينة: ما يُتزين به ويفاخَر. والباقية: الثابتة أبدًا. والصالحات: التي يرضاها الله. وهي أعمال الخير، إذا أريد بها وجه الله. وما ذكره المحلي هنا، في تفسير الصالحات، هو من أحاديث في المسند ٣:٧٥ والمستدرك ١:٥١٢ و٥٤١. وانظر ٩٢٨ في ضعيف الجامع، و٣٢١٤ في صحيحه. وخير: أكثر وأعظم. وعنده أي: في حكمه وقضائه. والأمل: الرجاء والترقب.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

على كُلِّ شَيءٍ مُقتَدِرًا﴾ ٤٥ : قادرًا. ﴿**المالُ والبَنُونَ زِينةُ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ يُتجمّل بهما فيها، ﴿**والباقِياتُ الصّالِحاتُ**﴾ هي «سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلَهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ»، وزاد بعضهم «ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ»، ﴿**خيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوابًا، وخَيرٌ أمَلًا**﴾ ٤٦ أي: ما يأمُله الإنسان ويرجوه عِند الله، تعالى.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ تُسَيَّرُ الجِبالُ**﴾: يُذهب بها عن وجه الأرض، فتصير هباء مُنبثًّا - وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب «الجِبالَ» - ﴿**وتَرَى الأرضَ بارِزَةً**﴾: ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره، ﴿**وحَشَرْناهُم**﴾ المؤمنين والكافرين، ﴿**فلَم نُغادِرْ**﴾: نترك ﴿**مِنهُم أحَدًا ٤٧، وعُرِضُوا على رَبِّكَ صَفًّا**﴾: حالٌ أي: مُصطفّين كُلّ أُمّة صفّ، ويقال لهم: ﴿**لَقَد جِئتُمُونا، كَما خَلَقْناكُم أوَّلَ مَرّةٍ**﴾ أي: فُرادَى «حُفاةً عُراةً غُرْلًا»، ويقال لمُنكري البعث: ﴿**بَل زَعَمتُم أنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة أي: أنّه ﴿**لَن نَجعَلَ لَكُم مَوعِدًا**﴾ ٤٨ للبعث. ﴿**وَوُضِعَ الكِتابُ**﴾: كتاب كل امرئ، في يَمينه من المؤمنين، وفي شِماله من الكافرين، ﴿**فتَرَى المُجرِمِينَ**﴾: الكافرينَ ﴿**مُشفِقِينَ**﴾: خائفينَ ﴿**مِمّا فِيهِ، ويَقُولُونَ**﴾ عند مُعاينتهم ما فيه من السيّئات: ﴿**يا**﴾: للتنبيه ﴿**وَيلتَنا**﴾: هَلْكتَنا. وهو مصدر لا فعلَ له من لفظه. ﴿**مالِهٰذا الكِتابِ، لا يُغادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً**﴾ من ذُنوبنا ﴿**إلّا أحصاها**﴾: عدّها وأثبتها؟ تعجّبوا منه في ذلك. ﴿**ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا**﴾: مُثبتًا في كِتابهم. ﴿**ولا يَظلِمُ رَبُّكَ أحَدًا**﴾ ٤٩: لا يُعاقبه بغير جُرم، ولا يَنقُص من ثواب مُؤمن.

٢- ﴿**وإذ**﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿**قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ**﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعِ جبهةٍ، تحيّةً له. ﴿**فَسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ، كانَ مِنَ الجِنِّ**﴾ - قيل: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء مُتّصل. وقيل: هو منقطع، وإبليس أبو الجنّ فله ذُرّيّة، ذُكرت معه بعدُ. والملائكة لا ذُرّيّة لهم - ﴿**ففَسَقَ عَن أمرِ رَبِّهِ**﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السُّجود. ﴿**أفتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيّتَهُ**﴾ - الخِطاب لآدم وذُرّيّته، والهاء في الموضعين لإبليس - ﴿**أولياءَ مِن دُوني**﴾ تُطيعونهم، ﴿**وهُم لَكُم عَدُوٌّ**﴾ أي: أعداء؟ حال. ﴿**بِئسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ ٥٠ إبليسُ وذُرّيّته، في طاعتهم بدلَ طاعة الله! ﴿**ما أشهَدتُهُم**﴾ أي: إبليسَ وذُرّيّته ﴿**خَلقَ السَّماواتِ والأرضِ، ولا خَلقَ أنفُسِهِم**﴾ أي: لم أُحضِر بعضَهم خلقَ بعض، ﴿**وما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ**﴾: الشياطينِ ﴿**عَضُدًا**﴾ ٥١ أعوانًا في الخلق. فكيف تُطيعونهم؟

٣- ﴿**ويَومَ**﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿**يَقُولُ**﴾، بالياء والنون: ﴿**نادُوا شُرَكائيَ**﴾ الأوثانَ ﴿**الَّذِينَ زَعَمتُم**﴾، ليشفعوا لكم بزعمكم. ﴿**فدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم**﴾: لم يجيبوهم، ﴿**وجَعَلْنا بَينَهُم**﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿**مَوبِقًا**﴾ ٥٢: واديًا من أودية جهّنم يَهلِكون فيه جميعًا - وهو من: وَبَقَ بالفتح: هَلَكَ - ﴿**ورأى المُجرِمُونَ النّارَ، فظَنُّوا**﴾ أي: أيقنوا ﴿**أنَّهُم مُواقِعُوها**﴾ أي: واقعون فيها، ﴿**ولَم يَجِدُوا عَنها مَصرِفًا**﴾ ٥٣: معدِلًا.

---

(١) الجبال: جمع جبل. وبالنون يريد القراءة «نُسَيِّرُ الجِبالَ»، أي: نَذهب بها وننسفها. وترى: تبصر عِيانًا. وحشرناهم: أخرجناهم من القبور بالبعث. وعرضوا: أوقفوا للحساب. والصف: الصفوف. وجئتم: حضرتم حقيقة. وخلقناكم: أوجدناكم من العدم. والمرة: الجزء من الزمن. وأول مرة: في زمن الخلقة الأولى. والغرل: جمع أغرل. وهو الذي لم يُختن. وما بين قوسين من حديث صحيح. انظر الأحاديث ٣١٧١ و٦١٦١ في البخاري و٢٨٥٩ ٢٨٦٠ في مسلم. وزعمتم: ادعيتم. ونجعل: نصيّر. والموعد: مكان الوعد وزمانه للحشر والحساب. والكتاب: ما كتب عن البشر في الدنيا. ووضع: أُحضر في أيدي أصحابه. وترى: تبصر عِيانًا. والمجرم: الذي اقترف الجرائم باختيار وقصد. ويغادر: يهمل ويترك. ووجدوه: رأوه بأعينهم. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. ولايظلم: لا يجور بل يضع كل حكم موضعه من العدل.

(٢) انظر الآية ٣٤ من سورة البقرة. و«أبو الجن» الصواب أن إبليس هو أبو الكافرين من الجن، كما تنص هذه الآية، وهم الشياطين. وهذا يعني أنه ليس من الملائكة. وإلّا إبليس أي: لم يسجد. وتتخذون: تجعلون. والذرية: الأبناء والأعوان. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق يتولى أمور غيره ويطاع. ومن دوني: بدلّا مني. والعدو: المعادون. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والشقاء. والظالم: المجاوز للحق. وما أشهدتهم: ما أحضرتهم. والخلق: الإيجاد من عدم. والأنفس: جمع نفس. وما كنت أي: ومأزال. والمتخذ: الجاعل والمصيّر. والمضل: الداعي إلى عصيان الله. والعضد: مابين المرفق إلى الكتف، تستعار للدلالة على العون.

(٣) بالنون يريد القراءة «نَقُولُ». والمراد أن القول على لسان الملائكة. ونادُوهم: استغيثوا بهم. والشركاء: جمع شريك. وهو من يشارك غيره في صفاته وأفعاله. والأوثان: ما يعبد من المخلوقات. وزعمتم: جعلتموهم شركاء. وجعلنا: صيّرنا. والموبق: مكان الهلاك. وجميعًا: يعني العابدين والمعبودين. ولا بد من تخصيص المعبودين بمن كان راضيًا أن يُعبد. ورأوها: صاروا قِبالتها. والمجرم: المقترف للجريمة باختيار وقصد. ويجد: يرى. ومعدلًا: موضع انصراف وهرب.

الجزء الخامس عشر سورة الكهف

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِالْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

١- ﴿ولَقَد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿في هٰذا القُرآنِ لِلنّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صِفةٌ لمحذوف، أي مَثَلًا من جِنس كُلّ مَثل ليتّعظوا، ﴿وكانَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ﴿أكثَرَ شَيءٍ جَدَلًا﴾ **٥٤**: خُصومة في الباطل. وهو تمييز منقول من اسم «كان» - المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه - ﴿وما مَنَعَ النّاسَ﴾ أي: كفّارَ مكّة ﴿أن يُؤمِنُوا﴾: مفعول ثان، ﴿إذ جاءَهُمُ الهُدَى﴾: القُرآنُ، ﴿ويَستَغفِرُوا رَبَّهُم إلّا أن تأتِيَهُم سُنّةُ الأوَّلِينَ﴾: فاعل أي: سُنّتُنا فيهم، وهي الإهلاك المُقدّر عليهم، ﴿أو يأتِيَهُمُ العَذابُ قِبَلًا﴾ **٥٥**: مقابَلةً وعِيانًا - وهو القتل يوم بدر. وفي قراءة بضمّتينِ: جمع قَبيل أي: أنواعًا - ﴿وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿ومُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفينَ للكافرين، ﴿ويُجادِلُ الّذِينَ كَفَرُوا بِالباطِلِ﴾ بقولهم: «أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا»؟ ونحوَه، ﴿لِيُدحِضُوا بِهِ﴾: ليُبطلوا بجِدالهم ﴿الحَقَّ﴾: القُرآنَ، ﴿واتَّخَذُوا آياتِي﴾ أي: القُرآنَ ﴿وما أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هُزُوًّا﴾ **٥٦** سُخريّة.

٢- ﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ، فأعرَضَ عَنها، ونَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾: ماعمل من الكُفر والمعاصي؟ ﴿إنّا جَعَلْنا على قُلُوبِهِم أكِنّةً﴾: أغطِية، ﴿أن يَفقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القُرآن أي: فلا يفهمونه، ﴿وفي آذانِهِم وَقْرًا﴾: ثِقَلًا فلا يسمعونه، ﴿وإن تَدْعُهُم إلَى الهُدَى فلَن يَهتَدُوا إذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أبَدًا **٥٧**. ورَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمةِ، لَو يُؤاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذابَ﴾ فيها. ﴿بَل لَهُم مَوعِدٌ﴾ - وهو يوم القيامة - ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوئِلًا﴾ **٥٨**: منجًى، من وأَلَ: نجا. ﴿وتِلكَ القُرَى﴾ أي: أهلُها، كعادٍ وثمودَ وغيرِهما، ﴿أهلَكْناهُم لَمّا ظَلَمُوا﴾: كفروا، ﴿وجَعَلْنا لِمُهلَكِهِم﴾: لإهلاكهم - وفي قراءة بفتح الميم أي: لهلاكهم - ﴿مَوعِدًا﴾ **٥٩**.

٣- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى﴾، هو ابنُ عِمرانَ، ﴿لِفَتاهُ﴾ يُوشَعَ بنِ نونٍ، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العِلم: ﴿لا أبرَحُ﴾ لا أزال أسيرُ، ﴿حَتَّى أبلُغَ مَجمَعَ البَحرَينِ﴾: مُلتقى بحرِ الروم وبحر فارس، ممّا يلي المشرقَ، أي: المكانَ الجامعَ لذلك، ﴿أو أَمضِيَ حُقُبًا﴾ **٦٠**: دهرًا طويلًا في بُلوغه، إن بعُدَ. ﴿فلَمّا بَلَغا مَجمَعَ بَينِهِما﴾ بينِ البحرَينِ ﴿نَسِيا حُوتَهُما﴾ نسيَ يُوشَعُ حملَه عند الرحيل، ونسيَ موسى تذكيره، ﴿فاتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ﴾ أي: جَعَلَه بجَعلِ اللهِ ﴿سَرَبًا﴾ **٦١** أي: مِثلَ السَّرَب. وهو الشقّ الطويل لا نفاذَ له. وذلك أنّ الله أمسك عن الحوت جريَ الماء، فانجابَ عنه، فبقيَ كالكُوّة لم يلتئم، وجَمَدَ ما تحته منه.

---

(١) المثل: المعنى الغريب يشبه الأمثال المضروبة للاتعاظ. والإنسان هو البشري إطلاقًا، لأن كل من يعقل يجادل، والإنسان أكثر العاقلين في ذلك. والشيء: المخلوقات التي يكون منها مجادلة. ومنعهم: أبعدهم. وجاءهم: أُنزل إليهم. ويستغفر: يطلب ستر الذنوب والعفو عنها. وتأتيهم: تنزل بهم. والسُّنّة: العادة المتبعة. والأولون: الأمم المستأصلة بالعذاب. ويأتيهم: يصادفونه. وبضمتين يريد القراءة «قُبُلًا». ونرسلهم: نكلفهم بالدعوة والعمل. ومبشرين: بالنعيم. ومنذرين: بالانتقام. ويجادل: يخاصم. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله. والباطل: المختلق لا أصل له. وقولهم في الآية ٩٤ من سورة الإسراء. واتخذ: جعل. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: هزوًا.

(٢) أظلم: أكثر تجاوزًا للحق. وذُكِّر: وُعظ. والآيات: نصوص القرآن والأدلة على التوحيد. وأعرض عنها: انصرف عنها ولم يدرك ما تدل عليه. ونسي: تجاهل. وقدمت: اكتسبت. وجعلنا: صيّرنا. ولايسمعونه أي: سماع انتفاع. وتدعوهم: تحضهم. والهدى: الرشاد. ويهتدي: يصلح. والجعل المذكور أي: للأكنة والوقر، بسبب ذلك الجعل. والأبد: مدة حياتهم. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. وذو الرحمة: المتصف بالعطف والإحسان. ويؤاخذهم: يريد عقابهم. وكسبوا: اقترفوه من الكفر. وعجله: أوقعه سريعًا. والموعد: زمن الوعد. ويجد: يرى. ومن دونه: قبل العذاب. والمنجى: النجاة. والقرى: جمع قرية، وهي المدن. وأهلكناهم: استأصلناهم بالعذاب. وظلموا أي: كما ظلم أهل مكة بالكفر. وجعلنا: عيّنّا. وبفتح الميم تكون قراءتان: «لِمَهلَكِهِم» و«لِمَهلِكِهِم».

(٣) عِمران من سِبط لاوى بن يعقوب. والفتى: الشاب يطلق على الخادم. ويوشع: ابن أخت موسى، نبّأه الله بعد موسى. وأبلُغه: أصل إليه. وبحر الروم هنا هو بحر العرب. فلعله كان يسمى بذلك، لسلطان الروم قبل الإسلام. وبحر فارس: في شرق الجزيرة. وملتقاهما في جنوبي العراق عند مصب الفرات ودجلة. وأمضي: أسير. وبعد: بعد عني مجمعهما ولم أدركه. والبين: الافتراق. ومجمع بينهما: مكان افتراق البحرين. ونسيه: ذهل عنه بالنوم. والحوت: السمكة الكبيرة. والمراد أنهما نسيا تفقُّد أمره، عند مجمع البحرين. و«حمله عند الرحيل» سيورد المحلي في الحديث الصحيح أن الفتى نسي إخبار موسى بذهاب الحوت في البحر. وسبب هذا الاضطراب أنه نقل من التلخيص وابن كثير ٣:٩١ بدون تحقيق. واتخذه: شرع فيه. والسبيل: الطريق الواضح. والحوت سلك ما تيسر له. ولا نفاذ له: مسدود الآخر. وفي الأصل والنسختين والمنحة وبعض المطبوعات: «لانفاد». وانجاب: انشق. وبقي: صار. وهذا معجزة لموسى، وآية له بقرب لقائه للخَضِر. انظر «المفصل».

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ

١- ﴿فلَمّا جاوَزا﴾ ذلك المكان، بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم، ﴿قالَ﴾ موسى ﴿لِفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا﴾ هو ما يُؤكل أوّل النهار. ﴿لَقد لَقِينا مِن سَفَرِنا هٰذا نَصَبًا﴾ ٦٢: تعبًا. وحصوله بعد المُجاوزة. ﴿قالَ: أرَأيتَ﴾ أي: تنبّهْ ﴿إذ أوَينا إلَى الصَّخرةِ﴾ بذلك المكان. ﴿فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ - وما أنسانِيهِ إلّا الشَّيطانُ﴾، يُبدل من الهاء: ﴿أن أذكُرَهُ﴾ بدل اشتمال أي: أنساني ذِكرَه - ﴿واتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا﴾ ٦٣ مفعول ثان، أي يَتعجّب منه موسى وفتاه، لِما تقدّم في بيانه.

٢- ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: فقدُنا الحوتَ ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كُنّا نَبغي﴾: نطلبه. فإنه علامة لنا على وُجود من نطلبه. ﴿فارتَدّا﴾: رجَعا ﴿علَى آثارِهِما﴾ يقُصّانها ﴿قَصَصًا﴾ ٦٤، فأتيا الصخرة، ﴿فوَجَدا عَبدًا مِن عِبادِنا﴾ هو الخَضِر، ﴿آتيناهُ رَحْمةً مِن عِندِنا﴾ نُبوّةً في قولٍ، وولايةً في آخَرَ وعليه أكثر العلماء، ﴿وعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا﴾: من قِبَلِنا ﴿عِلمًا﴾ ٦٥: مفعولٌ ثان، أي: معلومًا من المُغيّبات.

٣- روى البخاريّ حديثَ «أنّ مُوسى قامَ خَطِيبًا في بَنِي إسرائيلَ فسُئِلَ: أيُّ النّاسِ أعلَمُ؟ فقالَ: أنا. فعتَبَ اللهُ علَيهِ إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه، فأوحَى اللهُ إلَيهِ: إنّ لِي عَبدًا بِمَجمَعِ البَحرَينِ، هُوَ أعلَمُ مِنكَ. قالَ مُوسَى: يا رَبِّ، فكَيفَ لِي بِهِ؟ قالَ: تأخُذُ مَعَكَ حُوتًا فتَجعَلُهُ في مِكتَلٍ. فحَيثُما فَقَدتَ الحُوتَ فهوَ ثَمَّ. فأخَذَ حُوتًا فجَعَلَهُ في مِكتَلٍ، ثُمّ انطَلَقَ وانطَلَقَ مَعَهُ فَتاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ حَتّى أتَيا الصَّخرةَ ووَضَعا رُؤوسَهُما فناما.

٤- واضطَرَبَ الحُوتُ في المِكتَلِ، فخَرَجَ مِنهُ، فسَقَطَ في البَحرِ فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحرِ سَرَبًا. وأمسَكَ اللهُ عَنِ الحُوتِ جِريةَ الماءِ، فصارَ علَيهِ مِثلَ الطّاقِ. فلمّا استَيقَظَ نَسِيَ صاحِبُه أن يُخبِرَهُ بالحُوتِ، فانطَلَقا بَقِيّةَ يَومِهِما ولَيلَتِهِما. حَتّى إذا كانا مِنَ الغَداةِ قالَ مُوسَى لِفَتاهُ: آتِنا غَداءنا، إلى قوله: واتّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا. قالَ: وكانَ لِلحُوتِ سَرَبًا، ولِمُوسَى ولفَتاهُ عَجَبًا». إلى آخره.

٥- ﴿قالَ لَهُ مُوسَى: هَل أتَّبِعُكَ، علَى أن تُعَلِّمَني مِمّا عُلِّمتَ رَشَدًا﴾ ٦٦ أي: صوابًا أُرشَدُ به؟ وفي قراءة بضمّ الراء وسكون الشين. وسأله ذلك

---

(١) جاوزه: غادره وانصرف عنه. وفتاه: الغلام يوشع بن نون. وآتنا: أعطنا وقدم لنا. ولقينا: تحملنا وعانينا. والسفر: الرحيل والتنقل. وبعد المغادرة: يعني أن التعب حصل لهما بعد مغادرة مجمع البحرين، وكأنهما لم يجدا تعبًا في السفر الطويل قبل. وتنبه: انتبه واستمع لِما أحدثك به من شأن الحوت. وتفسير «أرأيت» بـ «تنبه» قول الأخفش - انظر معاني القرآن له ص ٢٧٥ والدر المصون ٥٢١:٧-وهو بعيد وغير مناسب، لأنه لايحسن بالخادم مثل هذا الخطاب. والراجح أن يكون التقدير: أعلمتَ ما جرى؟ أي: أتذكر إذ أوينا؟ فالهمزة هنا استفهامية لطلب التصديق معناه التعجب، أو يكون التقدير: أرأيت أمرَنا ما عاقبته؟ انظر النهر الماد في حاشية البحر ١٤٢:٦ والفتوحات ٣٤:٣ والآيتين ٤٠ و٤٦ من سورة الأنعام. ونسيتُه: نسيت ذكر الحوت وما جرى فيه لك. وأنسانيه: شغلني بالوسوسة عنه فلم أذكره لك. وفي ط والمطبوعات: «وما أنسانيهُ». بضم الهاء على لغة بعض العرب. والشيطان: من نسل إبليس يغري بالشر ويشغل عن الخير. وبدل اشتمال: يعني أن المصدر المؤول من «أن أذكره» هو لبيان المنسيّ وتوكيده لأنه مما اشتمل عليه. وبيانه: يعني ما ذكره من إنجاء الله الحوت، وما جرى له في البحر.

(٢) نبغي: نقصده. وفيما عدا الأصل والنسخ: «نَبغِ» بحذف الياء للتخفيف، تبعًا لرسم المصاحف. وإثبات الياء جائز، كما ذكرنا في الآية ١٧. والآثار: جمع أثر، أي: ما تركاه من تأثير في الأرض بمشيهما، يعني: رجعا على أدراجهما من حيث جاءا. ويقص: يتبع. والقصص: الاتباع. ووجد: لقي. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتصرفًا وتعبدًا. وهو الخضر، نبي من بني إسرائيل، واسمه إيليا بن ملكان والخضر لقب له. والرحمة: العطف بالإحسان. وعلمناه: أوحينا إليه وألهمناه. ومن لدنا: مما يختص بنا ولايعلمه أحد إلّا بتوقيفنا.

(٣) الرواية هنا ببعض الخلاف لما أخرجه الشيخان. انظر الحديثين ٤٤٤٨ في البخاري و٢٣٨٠ في مسلم وتفسير ابن كثير. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب من اليهود في ذلك الوقت. وهم قوم موسى. وعتب عليه: لامه وخاطبه بالإدلال والتنبيه. وكيف لي به: كيف لي الظفر به؟ والحوت: السمكة. والمكتل: سلة من خوص النخل. وثَمّ أي: فالعبد المذكور يكون هناك في ذاك المكان. ووضعا أي: على الأرض. ورؤوسهما: رأسيهما. وجاز التعبير بالجمع عن المثنى، كما جاز في نحو «صغت قلوبكما» من الآية ٤ في سورة التحريم.

(٤) اضطرب: تحرك ودب فيه النشاط. والظاهر أنه كان ما يزال فيه بقية من حياة. والجرية: هيئة الجريان. والطاق: ماتقوس كالقنطرة. وهو هنا مسدود الآخر لا منفذ له. وصاحبه: فتاه يوشع. وبالحوت: بما كان من ذهابه في البحر. والغداة: الصباح. وقال أي: قال النبي ﷺ، في تفسير الآية. وإلى آخره أي: إلى آخر الحديث.

(٥) هل أتبعك أي: هل تسمح لي أن أصحبك. وفي هذا حسن تأدب وتلطف في طلب العلم. وتعلمني: تجعلني أتعلم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «تعلمنِ»، بحذف ياء المتكلم للتخفيف، اتباعًا لرسم المصاحف. وإثباتها جائز كما ذكرنا في الآية ١٧. وعُلّمتَ أي: عُلِّمته. وأرشد: أهدَى إلى الخير.=

سورة الكهف — الجزء الخامس عشر

سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

لأنّ الزيادة في العِلم مطلوبة. ﴿قالَ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا﴾ ٦٧. ﴿وكَيفَ تَصبِرُ علَى ما لَم تُحِطْ بِهِ خُبرًا﴾ ٦٨؟ في الحديث السابق، عقِبَ هذه الآيةِ: «يا مُوسَى. إنّي علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ علّمَنِيهِ لا تَعلَمُه، وأنتَ علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ علّمَكَهُ اللهُ لا أعلَمُهُ». وقوله «خُبرًا» مصدر، لمعنى «لم تُحط» أي: لَم تَخبُر حقيقته.

١- ﴿قالَ: ستَجِدُنِيَ، إن شاءَ اللهُ، صابِرًا ولا أعصِي﴾ أي: وغيرَ عاصٍ ﴿لَكَ أمرًا﴾ ٦٩ تأمرني به. وقيّد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثِقة من نفسه فيما التزمَ. وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألّا يثقوا إلى أنفسهم طَرْفةَ عين. ﴿قالَ: فإنِ اتَّبَعتَني فلا تَسألْني﴾ - وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون - ﴿عَن شَيءٍ﴾ تُنكره منّي في عِلمك، واصبرْ ﴿حَتَّى أُحدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكرًا﴾ ٧٠ أي: أذكرَه لك بعِلّته. فقبل مُوسَى شرطه، رعايةً لأدب التعلّم من العالِم.

٢- ﴿فانطَلَقا﴾ أي: يمشيانِ على ساحل البحر. ﴿حَتَّى إذا رَكِبا في السَّفِينةِ﴾ التي مرّت بهما ﴿خَرَقَها﴾ الخَضِرُ، بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها، من جِهة البحر بفأس، لمّا بلغَتِ اللُّجَّ. ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أخَرَقتَها لِتُغرِقَ أهلَها﴾؟ وفي قراءة بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع «أهلُها». ﴿لَقَد جِئتَ شَيئًا إمرًا﴾ ٧١ أي: عظيمًا مُنكرًا. رُوي أنّ الماء لم يدخلها. ﴿قالَ: ألَم أقُلْ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا ٧٢؟ قالَ: لا تُؤاخِذْني بِما نَسِيتُ﴾ أي: غفَلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك، ﴿ولا تُرهِقْني﴾: تُكلّفني ﴿مِن أمرِي عُسْرًا﴾ ٧٣: مشقّة في صُحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليُسر.

٣- ﴿فانطَلَقا﴾ بعد خُروجهما من السفينة يمشيان. ﴿حَتَّى إذا لَقِيا غُلامًا﴾ لم يبلغ الحِنثَ، يلعبُ مع الصِّبيان أحسنَهم وجهًا، ﴿فقَتَلَهُ﴾ الخَضِر بأن ذبحه بالسكّين مُضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوالٌ - وأتَى هنا بالفاء العاطفة لأنّ القتل عقب اللُّقيّ - وجواب «إذا»: ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أقَتَلتَ نَفسًا زاكِيةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حدّ التكليف - وفي قراءة «زَكِيّةً» بتشديد الياء بلا ألف - ﴿بِغَيرِ نَفسٍ﴾ أي: لم تقتلْ نفسًا؟ ﴿لَقَد جِئتَ شَيئًا نُكْرًا﴾ ٧٤ بسكونِ الكاف وضمّها أي: منكرًا. ﴿قالَ: ألَم أقُلْ لَكَ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا﴾ ٧٥؟ زاد «لك»

=وبالضم يريد القراءة «رُشْدًا». وهو الهداية. وتستطيع: تقدر وتحتمل. أي: لن تصبر معي، لأنك سترى أمورًا ظاهرُها ينكرها الرجل الصالح. فكيف بالنبي، لا يشمئز ويبادر بالإنكار؟ والصبر: التحمل بدون اعتراض. وتحيط به: تعلم حقيقته. والخُبر: العلم اليقيني. والسابق: يعني الحديث الذي رواه في تفسير الآية ٦٥ عن البخاري. ومن علم الله أي: مما يختص بالله، ولايعلمه أحد إلّا بوحي أو توقيف رباني. وفيما عدا الأصل: بمعنى لم تحط .

(١) تجدني: تبصرني وتراني. وشاء: أراد لي الصبر والطاعة. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وفي هذا الشرط تقييد بمشيئة الله - عز وجل - وتعليم لآداب التوكل والاستعانة. انظر الآية ٢٣. والتقدير: إن شاء الله فستجدني صابرًا وغير عاص. وإذا جعلت جملة «لا أعصي» معطوفة، على جملة «ستجدني» فالتقييد للوجدان والطاعة معًا. وأعصي: أخالف ولا أنفّذ. والأمر: التكليف بشيء مهما كان. والتزم: تعهد وتكفل. و«إلى أنفسهم» كذا من التلخيص، جعل «يثق» بمعنى: يميل ويركن، فعدّاه بـ «إلى»، وعدى «ثقة» أيضًا بـ «من» و«في». والصحيح أن تكون التعدية بالباء، فيقول: ألا يثقوا بأنفسهم. وطرفة العين: الزمن الحاصل في فتح العين وإغلاقها. واتبعتني: صحبتني وسرت معي. ولاتسألني: لاتفاتحني بالاستعلام عن سبب، فضلًا عن المناقشة والاعتراض. وبفتح اللام وتشديد النون يريد القراءة «فلا تَسألَنّي». والنون هذه تفيد المبالغة في توكيد النهي. والشيء: ما يحصل من قول أو فعل. وأحدثه: آتي به وأفعله بنفسي. و«حتى» هنا: استثنائية للاستدراك والتحقيق، بمعنى: لكن، أي: «لكن أنا أفاتحك بذكر ما يبين الأمر». وعلته أي: سببه الذي يبين وجه الحق فيه. وفيما عدا الأصل والنسخ: المتعلم مع العالم. (٢) انطلق: ذهب وتابع السفر. وركبها: علاها وصار فيها. والسفينة: سفينةٌ ما. وخرقها: ثقبها. واللج: موج الماء ومعظمه. يعني وسط البحر. خ: «بلغ اللج». وفي ط والصاوي والمنحة والمطبوعات: «بلغت اللجج». وتغرقهم: تميتهم خنقًا بالماء. وأهلها: أصحابها الراكبون فيها. وبفتح التحتانية والراء يريد القراءة «لِيَغرَقَ أهلُها». والتحتانية: الياء بدلًا من التاء، لأن النقطتين من تحتها. وجئته: أتيت به وفعلته. والشيء: ما هو حاصل بالفعل. و«لم يدخلها» كذا من التلخيص، وزاد فيه: «رقعها الخضر بقَدَح زجاج». والظاهر أن الخرق كان من أعلى السفينة، لا يدركه ماء البحر، هو يفسدها ولا يسبب دخول الماء إليها. وألم أقل أي: لقد قلت لك حقًا. وتؤاخذ: تعاقب وتجزي. والأمر: الشأن والحال.

(٣) لقي: صادف ورأى. والغلام هنا: الشاب من أبناء إحدى القرى. والحنث: العصيان للتكليف. ولم يبلغ الحنث: لم يبلغ سن التكليف، ليؤمر فيعصي ويجرم. وهذا التفسير للغلام من التلخيص وقول جمهور المفسرين، وهو مشكِل مع قوله تعالى «بغير نفس»، إذ يدل على كبَره، ليؤاخذ بجريمة عملها. ولوكان طفلًا لم يجب قتله بنفس أو بغير نفس. البحر ١٥٠:٦. وقد روي أنه كان بالغًا كافرًا، أو قاطعًا للطريق. فتح القدير ٤٣٠:٣. وانظر الآية ٨٠. ومع ذلك فإن هذه التفصيلات أخبار إسرائيلية مصنوعة، ليس لها سند موثق. فلا اعتداد بها. والمضطجع هو الغلام، أي: ذبحه بعد أن أضجعه. وقتله: أزهق روحه. وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «اللقاء». والنفس: الإنسان. والزاكية: التي لم تذنب. وذلك لأن موسى لم ير للغلام ذنبًا يوجب قتله. والزكية: أبلغ في الطهارة والصفاء. وبضم الكاف يريد القراءة «نُكُرًا». خ: «أي منكرًا بسكون الكاف وضمها»، كما في الوجيز والتلخيص. وبغير نفس: بدون قتل نفس أُخرى مظلومة. و«زاد لك» يعني: سببُ ورود «لك » في هذه الآية، دون الآية ٧٢، هو أن عذر موسى بالنسيان ليس له هنا قَبول، بعد تذكيره بوجوب الصبر وعدم الإنكار. وهذه الزيادة تعني تحاملًا في الخطاب وتقريعًا وزجرًا، مع وسم بقلة الصبر، لتكرر الاعتراض والإنكار. خ: «ههنا». وسألتك: بادرتك بسؤال أو اعتراض. وشيء: عمل أو قول تقوم به. وبلغتَ عذرًا أي: وجدتَ بالغ الحجة والدليل القاطع. وبالتخفيف يريد القراءة «لَدُنِي».

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

على ما قبله لعدم العذر هنا. ولهذا ﴿**قالَ: إن سألتُكَ عَن شَيءٍ بَعدَها**﴾، أي: بعد هذه المرّة، ﴿**فلا تُصاحِبْني**﴾: لا تتركْني أتبعُك. ﴿**قَد بَلَغتَ مِن لَدُنِّي**﴾، بالتشديد والتخفيف: من قِبَلي ﴿**عُذْرًا**﴾ ٧٦ في مُفارقتك لي.

١- ﴿**فانطَلَقا. حتَّى إذا أتَيا أهلَ قَرْيةٍ**﴾ هي أنطاكيةُ ﴿**استطعَما أهلَها**﴾: طلبا منهم الطعام ضيافةً، ﴿**فأبَوا أن يُضَيِّفُوهُما، فوَجَدا فِيها جِدارًا**﴾ ارتفاعُه مِائَة ذراع، ﴿**يُرِيدُ أن يَنقَضَّ**﴾ أي: يقرُبُ أن يسقط لميلانه، ﴿**فأقامَهُ**﴾ الخَضِر بيده. ﴿**قالَ**﴾ له مُوسَى: ﴿**لَو شِئتَ لَتَخِذْتَ**﴾ - وفي قراءة: «لاتَّخَذتَ» - ﴿**علَيهِ أجرًا**﴾ ٧٧: جُعْلًا حيثُ لم يضيّفونا، مع حاجتنا إلى الطعام. ﴿**قالَ**﴾ له الخَضِر: ﴿**هٰذا فِراقُ**﴾ أي: وقتُ فراقِ ﴿**بيني وبَينِكَ**﴾. فيه إضافة «بين» إلى غير متعدّد، سوّغها تكريره بالعطف بالواو. ﴿**سأُنَبِّئُكَ**﴾ قبل فراقي لك، ﴿**بِتأوِيلِ ما لَم تستَطِعْ علَيهِ صَبرًا**﴾ ٧٨.

٢- ﴿**أمّا السَّفِينةُ فكانَتْ لِمَساكِينَ**﴾ عشَرةٍ، ﴿**يَعمَلُونَ في البَحرِ**﴾ بها مُؤاجرةً لها طلبًا للكسب، ﴿**فأرَدتُ أن أعِيبَها، وكانَ وَراءَهُم**﴾ إذا رجَعوا، أو أمامَهم الآنَ ﴿**مَلِكٌ**﴾ كافر، ﴿**يأخُذُ كُلَّ سَفِينةٍ**﴾ صالحةٍ ﴿**غَصْبًا**﴾ ٧٩. نصبُه على المصدر المُبيّن لنوع الأخذ. ﴿**وأمّا الغُلامُ فكانَ أبَواهُ مُؤمِنَينِ، فخَشِينا أن يُرهِقَهُما طُغْيانًا وكُفرًا**﴾ ٨٠. فإنه، كما في حديث مُسلم، طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهقهما ذلك، لمحبّتهما له يتبعانه في ذلك. ﴿**فأرَدْنا أن يُبَدِّلَهُما**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**رَبُّهُما خيرًا مِنهُ زَكاةً**﴾ أي: صلاحًا وتُقًى، ﴿**وأقرَبَ**﴾ منه ﴿**رُحْمًا**﴾ ٨١، بسكون الحاء وضمّها، أي: رحمةً. وهي البرّ بوالديه. فأبدلهما تعالى جارية تزوّجتْ نبيًّا، فولدتْ نبيًّا فهدى الله - تعالى - به أُمّةً. ﴿**وأمّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ في المَدِينةِ، وكانَ تَحتَهُ كَنزٌ**﴾: مال مدفون من ذهب وفضّة ﴿**لَهُما، وكانَ أبُوهُما صالِحًا**﴾، فحُفِظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما، ﴿**فأرادَ رَبُّكَ أن يَبلُغا أشُدَّهُما**﴾ أي: إيناسَ رُشدهما، ﴿**ويَستَخرِجا كَنزَهُما، رَحْمةً مِن رَبِّكَ**﴾: مفعول له عامله «أراد». ﴿**وما فَعَلْتُهُ**﴾ أي: ما ذُكر، من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ﴿**عَن أمرِي**﴾ أي: اختياري، بل بأمر إلهام من الله. ﴿**ذٰلِكَ تأوِيلُ ما لَم تَسطِعْ علَيهِ صَبرًا**﴾ ٨٢. يقال: اسطاعَ واستطاعَ بمعنى: أطاقَ. ففي هذا وما قبله جمعٌ بين اللغتين. ونُوِّعَتِ العبارةُ في: فأردتُ، فأردنا، فأرادَ رَبُّكَ.

٣- ﴿**ويَسألُونَكَ**﴾ أي: اليهودُ ﴿**عَن ذِي القَرنَينِ**﴾ اسمه الإسكندر، ولم يكن نبيًّا. ﴿**قُلْ: سأتلُو**﴾: سأقُصُّ ﴿**عليكُم مِنهُ**﴾: من حاله ﴿**ذِكرًا**﴾ ٨٣: خبرًا. ﴿**إنّا مَكَّنّا لَهُ في الأرضِ**﴾ بتسهيل السير فيها، ﴿**وآتَيناهُ مِن كُلِّ شَيءٍ**﴾ يَحتاج إليه ﴿**سَبَبًا**﴾ ٨٤: طريقًا يُوصله إلى مُراده، ﴿**فأتبَعَ سَبَبًا**﴾ ٨٥: سلك طريقًا نحو المَغرِب. ﴿**حتَّى إذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ**﴾: موضع غُروبها ﴿**وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئةٍ**﴾: ذات حمْأة وهي

---

(١) أتياهم: دخلا بلدهم. وقرية أي: بلدة. وأهلَها: جميع أهلها واحدًا واحدًا. وأبى: امتنع. ويضيفه: ينزله عنده ضيفًا. ووجد: رأى. والجدار: الحائط. و«مائة ذراع» قد تبارى القصاصون في المبالغات لوصف الجدار، وكل ذلك من خرافات الإسرائيليات التي لايدركها الخيال. وأقامه: رده قائمًا كما كان. وشئت: أردت أخذ الأجر. وتخذت: تناولت. فهو اعتراض ملطَّف. والفراق: ترك الصحبة. وأنبئك: أعلمك وأبيّن لك. والتأويل: إظهار ما كان خفيًا ببيان حقيقته.

(٢) المساكين: جمع مسكين. وهو الذي يملك ما لايكفيه. ويعملون: يشتغلون بأجر. وبها: بالسفينة. والمؤاجرة: أخذ الأجر. وأردت: قصدت. وأعيبها: أجعلها ذات نقص. و«إذا رجعوا» يعني أن الملك خلفهم، فهم يخشونه إذا رجعوا. وأمامهم أي: أن «وراء» يراد به: أمام، لأنه جهة تقابل أُخرى، فكل منهما وراء الثانية. والملك: الحاكم المستبد. ويأخذ: ينتزع. والغصب: القهر والظلم. ونصبه: يعني أن «غصبًا»: مفعول مطلق. وأبواه: أبوه وأمه. وخشينا: خفنا. فقد أعلم اللهُ الخَضِرَ بما عليه الغلام من الشر، وهو شابّ قاطع طريق. ويرهقهما: يكلفهما بشدة. والطغيان: مجاوزة الحد بالفساد والشر. وطبع على الكفر: كان مجبولًا عليه في أخلاقه وعمله. وأردنا: قصدنا. وبالتخفيف يريد القراءة «يُبْدِلَهُما» أي: يرزقهما بديلًا. وخيرًا منه: ولدًا نفعه أكثر. وأقرب رحمًا: رحمته أشد. وبضمها يريد القراءة «رُحُمًا». والغلام هنا: الطفل الصغير. واليتيم: الذي فقد أباه. والصالح: من كان في نيته وقوله وفعله ما يرضي الله وينفع الناس. وأراد: قضى. ويبلغه: يصير فيه. والأشُد: كمال القوة والاقتدار. وإيناس رشدهما أي: علمه لدى الناس. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبفضله. وفعلته: قمت به. وحذفت التاء من «تستطع» للتخفيف. وفي تنويع العبارة ضرب من البيان بأنواع التبليغ.

(٣) يسألونك: يطلبون الجواب. والإسكندر: ملك أعجمي من الصالحين، هو غير المقدوني عاش قبل موسى، وكان الخضر وزيره، وله سدّ عظيم مشهور. ومكنا: ثبّتنا ملكه. وآتيناه: أعطيناه. واتّبعه: سار فيه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فأ تْبَعَ». وتغرب: تغيب. وعين: ينبوع ماء. يعني البحر غرب إفريقية. وفي العين أي: في ذلك الينبوع المنصب في البحر. ورأي عين أي: عين الإنسان. وتتخذ: تجعل. والحُسن: العمل فيه الخير. وبالأسر أي: مع الإرشاد. وظلم: أصرّ على الظلم. ويرد: يصير في الآخرة. وبضم الكاف يريد القراءة «نُكُرًا». والتفسير: التمييز. وللنسبة أي: التمييز لنسبة الخبر إلى المبتدأ في الجملة، إذ التقدير: فالحسنى كائنة له جزاءً.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

الطين الأسود - وغروبها في العَين في رأي العين. وإلّا فهي أعظم من الدنيا - ﴿**ووَجَدَ عِندَها**﴾ أي: العينِ ﴿**قومًا**﴾ كافرين. ﴿**قُلنا: يا ذا القرنَين**﴾ بإلهام، ﴿**إمّا أن تُعذِّبَ**﴾ القومَ بالقتل، ﴿**وإمّا أن تتّخذَ فيهِم حُسنًا**﴾ ٨٦ بالأسر. ﴿**قالَ: أمّا مَن ظَلَمَ**﴾ بالشِّرك ﴿**فسوفَ نُعذِّبُهُ**﴾: نقتله، ﴿**ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبِّه، فيُعَذِّبُهُ عَذابًا نُكرًا**﴾ ٨٧، بسكون الكاف وضمّها أي: شديدًا في النار. ﴿**وأمّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فلَهُ جزاءُ الحُسنَى**﴾ أي الجنّةُ - والإضافةُ للبيان. وفي قراءة بنصبِ «جَزاءً» وتنوينِه. قال الفراء: نصبُه على التفسير أي: لجهة النِّسبة - ﴿**وسَنَقُولُ لَهُ مِن أمرِنا يُسْرًا**﴾ ٨٨ أي: نأمره بما يسهُل عليه.

١- ﴿**ثُمَّ اتّبَعَ سَبَبًا**﴾ ٨٩ نحو المَشرق. ﴿**حتَّى إذا بَلَغَ مَطلِعَ الشَّمسِ**﴾: موضعَ طُلوعها ﴿**وَجَدَها تَطلُعُ على قَوم**﴾ هم الزَّنج، ﴿**لم نَجعَلْ لَهُم مِن دُونِها**﴾ أي: الشمسِ ﴿**سِترًا**﴾ ٩٠ من لباس ولا سقف، لأنّ أرضهم لا تحمل بناء، ولهم سُروب يغيبون فيها عِند طُلوع الشمس، ويظهرون عِند ارتفاعها. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: الأمرُ كما قلنا. ﴿**وقد أحطْنا بما لَدَيهِ**﴾ أي: عِندَ ذي القرنين، من الآلات والجُند وغيرهما، ﴿**خُبْرًا**﴾ ٩١: عِلمًا.

٢- ﴿**ثُمَّ اتّبَعَ سَبَبًا ٩٢. حتَّى إذا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ**﴾، بفتح السين وضمّها هنا وبعدُ: هما جبلان بمُنقطَع بلاد الترك، سدّ الإسكندر ما بينهما كما سيأتي، ﴿**وَجَدَ مِن دُونِهما**﴾ أي: أمامَهما ﴿**قَومًا، لا يكادُونَ يَفقَهُونَ قَولًا**﴾ ٩٣ أي: لا يَفهمونه إلّا بعد بُطء. وفي قراءة بضمّ الياء وكسر القاف. ﴿**قالُوا: يا ذا القرنَينِ، إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ**﴾ - بالهمز وتركه: هما اسمان أعجميّان لقبيلتين، فلم ينصرفا - ﴿**مُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالنهب والبغي، عند خُروجهم إلينا. ﴿**فهَل نَجعَلُ لَكَ خَرْجًا**﴾: جُعلًا من المال - وفي قراءة: «خَراجًا» - ﴿**على أن تَجعَلَ بَينَنا وبَينَهُم سَدًّا**﴾ ٩٤ حاجزًا، فلا يَصِلون إلينا؟

٣- ﴿**قالَ: ما مَكَّنّي**﴾ - وفي قراءة بنونين من غير إدغام - ﴿**فِيهِ رَبِّي**﴾، من المال وغيره، ﴿**خَيرٌ**﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي. فلا حاجة بي إليه، وأجعلُ لكم السدّ تبرّعًا. ﴿**فأعِينُوني بِقُوّةٍ**﴾: لِما أطلبه منكم، ﴿**أجعَلْ بَينَكُم وبَينَهُم رَدمًا**﴾ ٩٥: حاجزًا حصينًا. ﴿**آتُوني زُبَرَ الحَدِيدِ**﴾: قِطَعه على قَدْر الحِجارة التي يُبنى بها. فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم. ﴿**حَتَّى إذا ساوَى بَينَ الصُّدُفَينِ**﴾ - بضمِّ الحرفين وفتحِهما، وضمِّ الأول وسكونِ الثاني - أي: جانبَيِ الجبلين بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك، ﴿**قالَ: انفُخُوا**﴾. فنفخوا. ﴿**حَتَّى إذا جَعَلَهُ**﴾ أي: الحديدَ

---

(١) المشرق: جهة الشروق. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ثم أَتْبَعَ». وموضع طلوعها: البلاد التي تشرق الشمس عليها أولًا من الهند وما حولها. والمراد بالزنج: الأقوام السود يعيشون في الشرق. ونجعل: نصيّر. ومن دونها أي: بينها وبينهم. ولاتحمل البناء أي: لكثرة الزلازل. والسروب: جمع سَرَب. وهو السِّرداب. وارتفاع الشمس: غيابها عنهم. وفي تفسير الرازي: «ويظهرون عند غيبوبتها». وأحطنا به أي: علمنا كل شيء فيه.

(٢) اتبع سببًا: سلك طريقًا نحو الشرق شماليّ إيران. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ثم أَتْبَعَ سببًا». وبين السدين: ما يفصل كلًّا من الجبلين عن الآخر. وبضمها يريد قراءة «السُّدَّينِ» في هذه الآية، و«سُدًّا» في الآية ٩٤. وبمنقطعه: في مكان انتهائه. والمراد: بعد بلاد قدماء الترك من جهة الشمال الشرقي. والسد المذكور قيل: هو في الصين. وقيل: بين أرمينية وأذْرِبيجان. ومن أمامهما أي: من جهة القوم المذكورين. وبكسر القاف يريد القراءة «يُفقِهُونَ» أي: لايُفهِمون غيرَهم قولًا. ويأجوج ومأجوج هما هنا قومان حقيقيان، مشهوران بالبدائية والعدوان والخِلقة الشوهاء، وذكرت في أوصافهما أساطير تفوق الخيال. وبتركه يريد القراءة «ياجُوجَ وماجُوجَ». ولم ينصرفا: مُنعا من التنوين للعلمية والعجمة. والمفسد: الذي عمله الشر ومجانبة الصواب ويشيع ذلك. ونجعل: نصيّر. وفي المنحة: فلا يصلوا إلينا.

(٣) بنونين يريد القراءة «ما مَكَّنَني» أي: ما بسط لي ويسر. وخير: أكثر فائدة. وأعينوني: ساعدوني. والقوة: ما يُتقوى به من عمال وآلات ومواد. وما ذُكر عن رجل من المدينة أنه رأى هذا الردم في عهد النبوة، ثم وصفه للنبي ﷺ، هو حديث مرسل والرجل مجهول لا يحتج به في مثل هذا المقام. انظر تفسير ابن كثير ٣:١٠١-١٠٢ والدر المنثور ٤:٢٥٠-٢٥١ والكشاف ٢:٧٤٧-٧٤٨ وحاشية ابن حجر عليه. وآتوني: أحضروا لي. وساواه: ملأه وجعله مساويًا للجبلين. وما ذكره المحلي هنا يريد به ثلاث قراءات: ما أثبتناه و«الصَّدَفَينِ» و«الصُّدْفَينِ». وجانبا الجبلين: طرفاهما المتقابلان. وجعل: صيّر. والمنافخ: جمع مِنفَخ. وأفرغ: أصبّ. ولإعمال الثاني يعني أن «قطرًا»: مفعول به للفعل الثاني: أُفرِغْ، وحذف المفعول الثاني للفعل الأول «آتوا». واسطاع واستطاع: أطاق. وحذفت التاء في الأول للتخفيف. وجاء: قضي. والوعد الأول: وقت المقدَّر الموعود به. والثاني: ما وُعد الخلق به مما سيكون. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربي: من عنده وبأمره. وجعله: صيّره. وكان أي: وما يزال دائمًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «دَكّاءَ». وكائنًا أي: واقعًا لاشك فيه.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

ربع الحزب ٣١

﴿نارًا﴾ أي: كالنار ﴿قالَ: آتوني، أُفرغْ عليه قِطرًا﴾ ٩٦. هو النحاس المُذاب، تنازعَ فيه الفعلان، وحُذف من الأوّل لإعمال الثاني. فأفرَغَ النحاسَ المُذاب على الحديد المُحمى، فدخل بين زُبره فصارا شيئًا واحدًا - ﴿فما اسطاعوا﴾ أي: يأجوجُ ومأجوج ﴿أن يَظهَرُوهُ﴾: يعلوا ظهره، لارتفاعه وملاسته، ﴿وما استطاعوا لَهُ نَقْبًا﴾ ٩٧: خرقًا، لصلابته وسُمكه - ﴿قالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هٰذا﴾ أي السدُّ، أي: الإقدارُ عليه ﴿رَحْمةٌ مِن رَبِّي﴾: نعمةٌ، لأنه مانع من خُروجهم. ﴿فإذا جاءَ وَعدُ رَبِّي﴾. بخُروجهم القريبِ من البعثِ، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مدكوكًا مبسوطًا. ﴿وكانَ وَعدُ رَبِّي﴾ بخُروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ ٩٨: كائنًا.

١ - قال تعالى: ﴿وتَرَكْنا بعضَهُم يومَئذٍ﴾: يومَ خُروجهم ﴿يَمُوجُ في بَعضٍ﴾: يختلط به لكثرتهم، ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ أي: القرنِ للبعث، ﴿فجَمَعْناهُم﴾ أي: الخلائقَ في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمعًا ٩٩، وعَرَضْنا﴾: قرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يومَئذٍ لِلكافِرِينَ عَرضًا ١٠٠، الَّذِينَ كانَتْ أعيُنُهم﴾: بدلٌ من «الكافرين» ﴿في غِطاءٍ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ - فهم عُميٌ لا يهتدون به - ﴿وكانُوا لا يَستَطِيعُونَ سَمعًا﴾ ١٠١ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبيّ ما يتلو عليهم، بُغضًا له، فلا يؤمنون به. ﴿أفحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أن يَتَّخِذُوا عِبادِي﴾، أي: ملائكتي وعِيسى وعُزيرًا، ﴿مِن دُونِيَ أولياءَ﴾: أربابًا؟ مفعول ثان لـ «يتّخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف. المعنى: أظنّوا أنّ الاتّخاذ المذكور لا يُغضِبني ولا أُعاقبهم عليه؟ كلّا. ﴿إنّا أعتَدْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ ١٠٢، أي: هي مُعدّة لهم كالمَنزلِ المُعدّ للضيف.

٢ - ﴿قُلْ: هَل نُنَبِّئُكُم بِالأخسَرِينَ أعمالًا﴾ ١٠٣: تمييزٌ طابَقَ المُميّزَ، وبيّنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾: بَطَلَ عملهم، ﴿وهُم يَحسِبُونَ﴾: يظنّون ﴿أنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾ ١٠٤: عملًا، يُجازَون عليه؟ ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبِّهِم﴾: بدلائل توحيده، من القُرآن وغيره، ﴿ولِقائهِ﴾ أي: وبالبعث والحِساب والثواب والعِقاب، ﴿فحَبِطَتْ أعمالُهُم﴾: بَطَلَتْ، ﴿فلا نُقيمُ لَهُم يَومَ القِيامةِ وَزنًا﴾ ١٠٥، أي: لا نجعل لهم قدرًا - ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرتُ من حُبوطِ أعمالهم وغيره - وابتدأ: ﴿جَزاؤُهُم جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا، واتَّخَذُوا آياتي ورُسُلي هُزُوًا﴾ ١٠٦ أي: مهزوءًا بهما. ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُم﴾، في عِلم الله، ﴿جَنّاتُ الفِردَوسِ﴾ هو وسَط الجنّة وأعلاها - والإضافة إليه للبيان - ﴿نُزُلًا﴾ ١٠٧ منزلًا، ﴿خالِدِينَ فِيها، لا يَبغُونَ﴾: يطلبون ﴿عَنها حِوَلًا﴾ ١٠٨ تحوّلًا إلى غيرها.

٣ - ﴿قُلْ: لَو كانَ البَحرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِدادًا﴾، هو ما يُكتب به، ﴿لِكَلِماتِ رَبِّي﴾ الدالّة على حِكَمه وعجائبه بأن تُكتب به، ﴿لَنَفِدَ البَحرُ﴾ في كتابتها، ﴿قَبلَ أن تَنفَدَ﴾، بالتاء والياء: تَفرُغَ ﴿كَلِماتُ رَبِّي، ولَو جِئنا بِمِثلِهِ﴾ أي: البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ ١٠٩ زيادةً فيه لنفِدَ إذًا، ولم تَفرُغ هي. ونصبُه على التمييز. ﴿قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ﴾ آدميّ ﴿مِثلُكُم، يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ﴾. أنّ: المكفوفة بـ «ما» باقيةٌ على مصدريّتها. والمعنى: يُوحَى إليّ وحدانيّةُ الإلٰه. ﴿فمَن كانَ يَرجُو﴾: يأمُلُ ﴿لِقاءَ رَبِّهِ﴾، بالبعث والجزاء، ﴿فليَعمَلْ عَمَلًا صالِحًا، ولا يُشرِكْ بِعِبادةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يُرائيَ ﴿أحَدًا﴾ ١١٠.

---

(١) تركنا: جعلنا. وبعضهم: بعض الناس. وخروجهم: تجاوزهم السد ودكه. ويختلط أي: ويصطدم، لتنتهي الحياة الدنيا. ونفخ: دُفع الهواء ليكون صوت يبعث الموتى. وهي النفخة الثانية. وجمعناهم: حشرناهم. والخلائق: الإنس والجن والملائكة. وقربناها: أبرزناها مع أنها قريبة. والأعين: جمع عين. وبدل: يعني أن «الذين»: بدل من: الكافرين. والغطاء: الحجاب. والسمع: إدراك المسموعات. وحسب: ظن. ويتخذ: يجعل. والعباد: جمع عبد. وعُزير: زعمت يهود أنه ابن الله وسموه عزَرَى. ودوني: غيري. والأولياء: جمع ولي. وحذف المفعول الثاني يقتضي إسقاط «أنّ». وأعتدنا: هيأنا.

(٢) ننبئكم: نخبركم. وفي الأصل: «أُنبّئكم». والأخسر: الأشد خسارة. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان. وطابق المميز: جاء مطابقًا لـ «الأخسرين» في الجمع. ويحسن: يتقن. وكفروا بها: كذّبوها. والقيامة: قيام الناس بالبعث. والجزاء: العقاب. واتخذ: جعل. والآيات: دلائل التوحيد. والرسل: جمع رسول. والهزء: السخرية. وفيما عدا الأصل والنسخ: «هزوًا». وعمل الصالحات: اكتسب ماحسنه الشرع. وكانت: قُدّرت. وفي علم الله: بحسب علمه الأزلي. والجنة: الحديقة العظيمة. وخالدين: مقيمين دائمًا وأبدًا.

(٣) كان: صار. والبحر: ما يجتمع فيه الماء، من ينابيع وبحيرات وغيرها. ونفد: فني. انظر «المفصل». وبالياء يريد القراءة «يَنفَدَ». وجئنا به: خلقناه. ويوحى: ينزل على لسان جبريل. والإلٰه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد لامثيل له. ويعمل: يكتسب. والصالح: ما رضيه الشرع. ويشرك: يجعل أحد مخلوقات الله شريكًا له. ويرائي أي: بالعبادة والطاعة في معصية.

الجزء السادس عشر — سورة مريم

سُورَةُ مَرْيَمَ — ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مَرْيَم

١- مكية أو إلّا سجدتها فمدنية، أو إلّا «فخلف من بعدهم خلف» الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**كهيعص**﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. هذا ﴿**ذِكرُ رَحمةِ رَبِّكَ عَبدَهُ**﴾: مفعولُ «رحمة» ﴿**زكَريّا**﴾ ٢: بيانٌ له، ﴿**إذ**﴾: مُتعلّق بـ «رحمة» ﴿**نادى رَبَّهُ نِداءً**﴾، مُشتملًا على دعاء، ﴿**خَفيًا**﴾ ٣: سَرًا جوفَ الليل، لأنه أسرعُ للإجابة، ﴿**قالَ: رَبِّ، إنّي وَهَنَ**﴾: ضعُفَ ﴿**العَظمُ**﴾ جميعه ﴿**مِنّي، واشتَعَلَ الرّأسُ**﴾ منّي ﴿**شَيبًا**﴾: تمييزٌ محوّل من الفاعل، أي: انتشر الشيب في شعري، كما ينتشر شُعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوَك، ﴿**ولَم أكُن بِدُعائكَ**﴾ أي: بدعائي إياك - ﴿**رَبِّ - شَقِيًّا**﴾ ٤ أي: خائبًا فيما مضى. فلا تُخيِّبْني فيما يأتي. ﴿**وإنّي خِفتُ المَواليَ**﴾ أي: الذين يلونني في النسب كبني العمّ، ﴿**مِن وَرائي**﴾ أي: بعدِ موتي، على الدِّين أن يُضيِّعوه، كما شاهدته في بني إسرائيلَ من تبديل الدِّين، ﴿**وكانَتِ امرأتي عاقِرًا**﴾: لا تلدُ. ﴿**فهَبْ لِي مِن لَدُنكَ**﴾: من عندِك ﴿**وَليًّا**﴾ ٥: ابنًا، ﴿**يَرِثُني**﴾ - بالجزم: جوابُ الأمر، وبالرفع: صفةُ «وليًّا» - ﴿**ويَرِثُ**﴾، بالوجهين، ﴿**مِن آلِ يَعقُوبَ**﴾ جَدّي العلمَ والنبوّة، ﴿**واجعَلهُ - رَبِّ - رَضِيًّا**﴾ ٦ أي: مَرْضيًّا عِندك.

٣- قال تعالى، في إجابة طلبه الابنَ الحاصلَ به رحمتُه: ﴿**يا زكَريّاءُ، إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ**﴾ يَرِثُ كما سألتَ، ﴿**اسمُهُ يَحيَى، لَم نَجعَل لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا**﴾ ٧ أي: مُسمًّى يحيى. ﴿**قالَ: رَبِّ، أنّى**﴾: كيفَ ﴿**يَكُونُ لِي غُلامٌ، وكانَتِ امرأتي عاقِرًا، وقَد بَلَغتُ مِنَ الكِبَرِ عُتِيًّا**﴾ ٨؟ من عتا: يَبِسَ، أي: نهايةَ السنّ مِائةً وعشرين سنة، وقد بلغتِ امرأتُه ثمانيَ وتسعين سنة. وأصل عُتِيّ «عُتُوْوٌ» كُسرت التاء تخفيفًا، وقُلبت الواو الأُولى ياء لمُناسبة الكسرة، والثانية ياء لتُدغم فيها الياء. ﴿**قالَ**﴾: الأمرُ ﴿**كَذلِكَ**﴾ من خلق غلام منكما. ﴿**قالَ رَبُّكَ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**﴾ أي: بأن أردّ عليك قُوّة الجِماع، وافتق رَحِم امرأتك للعُلوق. ﴿**وقَد خَلَقتُكَ مِن قَبلُ، ولَم تَكُ شَيئًا**﴾ ٩ قبلَ خلقك. ولإظهار الله هذه القُدرة العظيمة، ألهمه السؤال، ليُجاب بما يدلّ عليها.

٤- ولمّا تاقت نفسه إلى سُرعة المُبشَّر به ﴿**قالَ: رَبِّ، اجعَل لِيَ آيةً**﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي. ﴿**قالَ: آيَتُكَ**﴾ عليه ﴿**ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ**﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم، بخِلاف ذكر الله - تعالى - ﴿**ثَلاثَ لَيالٍ**﴾ أي: بأيامها، كما في آل عمران «ثلاثةَ أيّام»، ﴿**سَوِيًّا**﴾ ١٠: حالٌ من فاعل «تُكلّم» أي: بلا عِلّة. ﴿**فخَرَجَ عَلى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ**﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليُصلّوا فيه بأمره، على العادة، ﴿**فأوحَى**﴾: أشار ﴿**إلَيهِم: أن سَبِّحُوا**﴾: صلّوا ﴿**بُكرةً وعَشِيًّا**﴾ ١١: أوائلَ النهار وأواخرَه على العادة. فعَلم بمنعه من كلامهم حَمْلَها بيحيى.

---

(١) سجدتها أي: الآية ٥٨. والآيتين: يعني ٥٩ و٦٠، وفيه نظر لأن ما بعدهما متصل بهما أكثر مما قبلهما. وانظر الإتقان ١: ٢٩.

(٢) الذكر: الإيراد. والرحمة: العطف بالإحسان. وزكريا: أحد أنبياء بني إسرائيل، وهم قتلوه أيضًا. والمراد ذكر قصته. وبيان أي: توضيح وتوكيد وتفخيم. وناداه: دعاه باسمه. ورب: ياربي. والعظم: عظام جسمه. وهو القصب الذي عليه اللحم. والرأس: رأسي. والدعاء: طلب العون بِذِلّة. وخفتهم: خشيت الشر منهم. والموالي: العَصَبة بنو العم والقرابة، جمع مولى. وامرأته هي أشاعُ خالةُ مريم. وهب لي: ارزقني بفضلك. وبالرفع يريد القراءة «يَرِثُني». وبالوجهين: بالجزم، والرفع: «يَرِثُ» عطفًا على ما قبله. وآل يعقوب: ذريته من أبنائه اليهود. واجعل: صيّر.

(٣) نبشرك: نبلغك الخبر السار. والغلام: الولد الذكر. ويحيى هو ابن خالة مريم، قتله ملك بني إسرائيل مهرًا للزواج. ونجعل: نصيّر. ويكون: يصير. وقال أي: الملَك جبريل. والأمر: الشأن، أي: شأن خلق الغلام. و«هو» أي: خلق الغلام منكما. والهين: اليسير لا عجب فيه ولا استبعاد له. والعلوق: اتصال البُييضة بنُطفة الزوج لتكوّن الجنين. وخلقتك: أوجدتك من العدم.

(٤) المبشر به: بدء حمل زوجته. واجعل: صيّر. وذكرُ الله: ترداد اسمه باللسان، مع الحمد والتسبيح والتمجيد والتضرع. والليالي: جمع ليلة. وآل عمران أي: في الآية ٤١ من تلك السورة. وبلا علة يعني: أنه سليم الأعضاء لامرض فيه، وإنما منع من الكلام بقدرة الله. وخرج عليهم: فاجأهم وظهر لهم. وقومه: بنو إسرائيل من اليهود. وكان المحراب عندهم اسمًا للمسجد. وبأمره: بإذنه. فهم لايدخلون المسجد إلّا بسماح منه، لأنه كان يسكن فيه، ولايفتحه إلّا وقت الصلاة. وصلوا أي: وادعوا مع الحمد والتعظيم. والبكرة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والعشي: ما بعد العصر إلى غروب الشمس. وبيحيى أي: حمل زوجة زكرياء به.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

١- وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له: ﴿**يا يَحيى، خُذِ الكِتابَ**﴾ أي: التوراةَ ﴿**بِقُوّةٍ**﴾: بجدّ. ﴿**وآتيناهُ الحُكمَ**﴾: النبوّة ﴿**صَبِيًّا**﴾ ١٢ ابن ثلاث سنين، ﴿**وحَنانًا**﴾: رحمة للناس ﴿**مِن لَدُنّا**﴾: من عِندِنا ﴿**وزَكاةً**﴾: صدقة عليهم، ﴿**وكانَ تَقِيًّا**﴾ ١٣ - رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها - ﴿**وبَرًّا بِوالِدَيهِ**﴾ أي: مُحسنًا إليهما، ﴿**ولَم يَكُنْ جَبّارًا**﴾: مُتكبّرًا ﴿**عَصِيًّا**﴾ ١٤ عاصيًا لربّه. ﴿**وسَلامٌ**﴾ منّا ﴿**عَلَيهِ يَومَ وُلِدَ، ويَومَ يَموتُ، ويَومَ يُبعَثُ حَيًّا**﴾ ١٥ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمِنٌ فيها.

٢- ﴿**واذكُرْ في الكِتابِ**﴾: القرآنِ ﴿**مَريَمَ**﴾ أي: خبَرَها، ﴿**إذِ**﴾: حينَ ﴿**انتَبَذَتْ مِن أهلِها مَكانًا شَرقِيًّا**﴾ ١٦ أي: اعتزلتْ، في مكانٍ نحو الشرق من الدار، ﴿**فاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجابًا**﴾: أرسلتْ سِترًا تَستتر به، لتَفليَ رأسها أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها، ﴿**فأرسَلْنا إلَيها رُوحَنا**﴾ جبريل، ﴿**فتَمَثَّلَ لَها**﴾ بعد لُبسها ثيابها ﴿**بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ ١٧: تامّ الخلق. ﴿**قالَتْ: إنّي أعوذُ بالرَّحمٰنِ مِنكَ، إن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ ١٨ فتنتهي عنّي بتعوّذي. ﴿**قالَ: إنّما أنا رَسولُ رَبِّكِ، لِيَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا**﴾ ١٩ بالنبوّة.

ربع الحزب ٣١

٣- ﴿**قالَتْ: أنّى يَكونُ لي غُلامٌ، ولَم يَمسَسْني بَشَرٌ**﴾ بتزوّج، ﴿**ولَم أكُ بَغِيًّا**﴾ ٢٠: زانية؟ ﴿**قالَ**﴾: الأمرُ ﴿**كَذٰلِكِ**﴾، من خلق غُلام منكِ من غير أب. ﴿**قالَ رَبُّكِ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريلُ فيكِ فتحملي به، ولكونِ ما ذُكر في معنى العِلّة، عُطف عليه: ﴿**ولِنَجعَلَهُ آيةً لِلنّاسِ**﴾ على قُدرتنا، ﴿**ورَحمةً مِنّا**﴾ لمَن آمن به. ﴿**وكانَ**﴾ خلقه ﴿**أمرًا مَقضِيًّا**﴾ ٢١ به في عِلمي.

٤- فنفخ جِبريل في جيب دِرعها، فأحسّت بالحمل في بطنها مُصوّرًا، ﴿**فحَمَلَتْهُ، فانتَبَذَتْ**﴾: تَنَحّت ﴿**بِهِ مَكانًا قَصِيًّا**﴾ ٢٢: بعيدًا من أهلها، ﴿**فأجاءَها**﴾: جاءَ بها ﴿**المَخاضُ**﴾: وجعُ الوِلادة ﴿**إلى جِذعِ النَّخلةِ**﴾ لتعتمد عليه، فولدتْ والحمل والتصوير والولادة في ساعة. ﴿**قالَتْ: يا**﴾ للتنبيه ﴿**لَيتَني مُتُّ قَبلَ هٰذا**﴾ الأمرِ، ﴿**وكُنتُ نَسيًا مَنسِيًّا**﴾ ٢٣: شيئًا متروكًا، لا يُعرف ولا يُذكر.

٥- ﴿**فناداها مَن تَحتَها**﴾ أي: جِبريلُ، وكان أسفل منها: ﴿**أن لا تَحزَني - قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا**﴾ ٢٤: نهرَ ماءٍ كان انقطع - ﴿**وهُزّي إلَيكِ بِجِذعِ النَّخلةِ**﴾ كانت يابسة - والباء: زائدة - ﴿**تَساقَطْ**﴾، أصله بتاءين قُلبت الثانية سِينًا وأُدغمت في السين، وفي قراءة تركُها، ﴿**عَلَيكِ رُطَبًا**﴾: تمييزٌ ﴿**جَنِيًّا**﴾ ٢٥: صفته. ﴿**فكُلي**﴾ من الرُّطب، ﴿**واشرَبي**﴾ من السريّ، ﴿**وقَرّي عَينًا**﴾ بالولد: تمييزٌ مُحوّل من الفاعل، أي: لِتَقرَّ عينُك به أي: تسكنْ، فلا تطمحْ إلى غيره. ﴿**فإمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إنْ» الشرطية في «ما» الزائدة - ﴿**تَرَيِنَّ**﴾، حُذفت منه لام الفعل وعينه وأُلقيت حركتها على الراء وكُسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين، ﴿**مِنَ البَشَرِ أحَدًا**﴾ فيسألْكِ عن ولدك، ﴿**فقُولي: إنّي نَذَرتُ لِلرَّحمٰنِ صَومًا**﴾ أي: إمساكًا عن

---

(١) خطاب الله ليحيى كان على لسان الملَك. وخذه: اشتغل به حفظًا وفهمًا وعملًا. وآتيناه: وهبنا له. والصبي: الشاب. وذكر السنتين والثلاث غير محقق. والزكاة: الطهارةُ من الآثام والزيادةُ في الخير. والتقي: من يطلب رضا الله بامتثال الأمر والنهي. والوالدان: الأم والأب. والسلام: الأمان والطمأنينة من الشر. ومقتله شهادة له تقربه من ربه، ولا يناقض الأمان والطمأنينة. وولد: وضعته أمه. ويموت: يفارق الحياة. ويبعث: يقوم من قبره حيًا. وفيها أي: وفيما بينها أيضًا. (٢) اذكر: اقرأ على قومك ومن بعثت إليهم. ومريم: ابنة عمران. وأهلها: الذين تعيش بينهم من اليهود الأقرباء والمتعبدين. واتخذت: جعلت. ومن دونهم: بينها وبينهم. وتفليه: تنظفه بالغسل والتنقية. وأرسلنا: بعثنا. وتمثل: تحول وتصور. والبشر: الإنسان. وأعوذ به: التجئ إليه. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وتنتهي عني أي: لأن التقي يخاف الله وتردعه الاستعاذة. والرسول: المرسل بمُهِمّة. ويهب: يرزق. وفي المنحة: «لأهب». والغلام: الصبي. والزكي: الصالح الطاهر من الآثام والذنوب. (٣) أنَّى أي: كيف. ولم يمسس: لم ينكِح. وبشر: رجل. والأمر: شأن الغلام. وكذلك: كما ذكرتُ. وهو أي: خلقه. وانظر الآية ٩. وعطف عليه أي: من قبيل العطف على المعنى. انظر فتح القدير٣: ٤٦٤ والمفصل. ونجعله: نصيّره. والآية: الحجة القاهرة. فخلقُه من غير أب معجزة ربانية تدل على القدرة والوحدانية. ورحمة أي: عطفًا بالتكرم وطريق هداية لبشر كثير. والأمر: الشيء المأمور به. والمقضي: المحقَّق. (٤) جيب الدرع: طوق القميص يدخل منه الرأس. وحملته: علِقت به في رحمها ليتكوّن جنينًا. وانتبذت: انظر الآية ١٦. والجذع: الساق. و«في ساعة» وقيل: تسعة أشهر. وذكر المفسرون في هذا أقوالًا مضطربة متناقضة ليس لها سند علمي موثق، فيجب الإعراض عنها اكتفاء بما جاء في القرآن الكريم والسنّة الشريفة من دون تفصيل. انظر البحر ٦: ١٨١. وكنت: صرت. والنَّسي: ما يُنسى لأنه لاقيمة له. (٥) لا تحزني: لاتغتمي. وجعل: صيّر. وتحتك: قربك في أسفل من مكانك. وانقطع أي: الماء من قبلُ وجفَّ النهر. وهزيه إليك: حركيه وقربيه منك. وتساقط: تسقط بكثرة. وبتركها يريد قراءة «تَساقَطْ». والرطب: ثمر النخل إذا لان وحلا. والجني: الطري طاب واستحق أن يُجنى. وقري عينًا: طيّبي نفسَك ودعي ما يُحزن. وترين: تصادفِنّ. و«حذفت... الساكنين»: انظر «المفصل». وقولي أي: في نفسك. ونذرت: أوجبت على نفسي. والأناسي: الناس.

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا
فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ
وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨

الكلام، في شأنه وغيره، مع الأناسيّ، بدليل ﴿**فلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إنسيًّا**﴾ ٢٦ أي: بعد ذلك.

١- ﴿**فأتَتْ بِهِ قَومَها تحمِلُهُ**﴾: حالٌ، فرأوه. ﴿**قالُوا: يا مَريَمُ، لَقَد جِئتِ شَيئًا فَرِيًّا**﴾ ٢٧: عظيمًا، حيثُ أتيتِ بولد من غير أب. ﴿**يا أُختَ هارُونَ**﴾ هو رجل صالح، أي: يا شَبيهتَه في العِفّة، ﴿**ما كانَ أبوكِ امرَأَ سَوءٍ**﴾ أي: زانيًا، ﴿**وما كانَت أُمُّكِ بَغيًّا**﴾ ٢٨ أي: زانية. فمِن أين لكِ هذا الولدُ؟ ﴿**فأشارَتْ**﴾ لهم ﴿**إلَيهِ**﴾: أن كلّموه. ﴿**قالُوا: كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ**﴾ أي: وُجِد ﴿**في المَهدِ صَبِيًّا**﴾ ٢٩؟

٢- ﴿**قالَ: إنِّي عَبدُ اللهِ، آتانِيَ الكِتابَ**﴾ أي: الإنجيل، ﴿**وجَعَلَني نَبِيًّا ٣٠، وجَعَلَني مُبارَكًا، أينَما كُنتُ**﴾ أي: نفّاعًا للناس - إخبارٌ بما كُتب له - ﴿**وأوصاني بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ**﴾: أمرني بهما، ﴿**ما دُمتُ حَيًّا ٣١، وبَرًّا بِوالِدَتي**﴾: منصوبٌ بـ «جعلني» مُقدّرًا، ﴿**ولَم يَجعَلْني جَبّارًا**﴾: مُتعاظمًا ﴿**شَقِيًّا**﴾ ٣٢: عاصيًا لربّه، ﴿**والسَّلامُ**﴾ من الله ﴿**عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ، ويَومَ أَمُوتُ، ويَومَ أُبعَثُ حَيًّا**﴾ ٣٣. يقال فيه ما تقدّم في السيد يحيى.

٣- قال تعالى: ﴿**ذٰلِكَ عِيسَى بنُ مَريَمَ، قَولُ الحَقِّ**﴾ - بالرفع: خبرُ مبتدأ مُقدّر أي: قولُ ابن مريم، وبالنصب بتقدير: قلتُ - والمعنى: القولُ الحقّ ﴿**الَّذي فِيهِ يَمتَرُونَ**﴾ ٣٤ من المِرية أي: يشكّون. وهم النصارى، قالوا: إنّ عيسى ابنُ الله. كذبوا. ﴿**ما كانَ للهِ أن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ، سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عن ذلك! ﴿**إذا قَضَى أمرًا**﴾ أي: أراد أن يُحدثه ﴿**فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فَيَكونُ**﴾ ٣٥، بالرفع بتقدير: هو، وبالنصب بتقدير: أنْ. ومن ذلك خلقُ عيسى من غير أب. ﴿**وأنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم، فاعبُدُوهُ**﴾. بفتح «أنّ» بتقدير: اذكرْ، وبكسرها بتقدير: قلْ. بدليل «ما قُلتُ لَهُم إلّا ما أمَرتَني بِهِ، أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم». ﴿**هٰذا**﴾ المذكور ﴿**صِراطٌ**﴾: طريق، ﴿**مُستَقِيمٌ**﴾ ٣٦: مُؤدٍّ إلى الجنّة.

٤- ﴿**فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم**﴾ أي: النصارى، في عيسى: أهو ابن الله، أو إلٰه معه، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿**فوَيلٌ**﴾: فشِدّةُ عذاب ﴿**لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بما ذُكر أو غيره، ﴿**مِن مَشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ ٣٧ أي: حُضورِ يوم القيامة وأهواله. ﴿**أسمِعْ بِهِم وأبصِرْ**﴾ بهم: صِيغتا تعجّب بمعنى: ما أسمعَهم! وما أبصرَهم، ﴿**يَومَ يأتُونَنا**﴾ في الآخرة! ﴿**لٰكِنِ الظّالِمُونَ**﴾ - من إقامة الظاهر مَقام المُضمَر - ﴿**اليَومَ**﴾ أي: في الدنيا ﴿**في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٣٨ أي: بيّن، به صمّوا عن سماع الحقّ وعمُوا عن إبصاره. أي: اعجَبْ منهم - يا مُخاطب - في سمعهم وإبصارهم في الآخرة، بعد أن كانوا في الدنيا صُمًّا عُميًا. ﴿**وأنذِرْهُم**﴾: خوِّفْ - يا مُحمّد - كُفّارَ مكّة ﴿**يَومَ الحَسْرَةِ**﴾، هو يوم القيامة، يتحسّر فيه المُسيء على ترك الإحسان في

---

(١) جئتِ: ارتكبت. وهارون :إسرائيلي يُضرب به المثل في العفاف. وامرؤ السوء: مصاحبُه وفاعله. والسوء: الشر والفحش. وأشارت أي: بيدها أو برأسها. ووجد: حصل واستقر. والمهد: ما يمهد كالسرير للطفل. والصبي: الطفل الذي لم يفطم.

(٢) العبد: المملوك خلقًا وتصرفًا وتعبدًا. وآتاني: سيعطيني. وجعل: صيّر. والنبي: من كلف بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. وكنت: وجدت. وإخبار أي: نبوءة بما قُدّر عليه. والصلاة: العبادة المعروفة مع الدعاء. والزكاة: تطهير النفس والمال من كل حرام. ودمت: بقيت. وحيًا أي: في الدنيا. والوالدة: الأم. وما تقدم: يعني ماذكر في الآية ١٥.

(٣) الإشارة بـ «ذا» إلى المولود، كما وصف نفسه حقيقة. و«ابن مريم» يعني ثبوتَ بُنوّته منها خاصة دون أب. والحق: الصدق الثابت. وقولُ ابن مريم أي: كلامه الذي تقدم في الآيات ٣٠-٣٣. فالتقدير اللفظي: قولُه القولُ الحقُّ. وبالنصب يريد القراءة «قَولَ». وما كان: لا يصح. ويتخذ: يصنع لنفسه بحمل أنثى أو غيرها. وذلك: ما زعموه من اتخاذ الولد. والأمر: الشيء. ويقول له أي: يأمره أمر تكوين بلا كلام. وكن فيكون أي: احدُث فيحدث. وبالنصب يريد القراءة «فيَكُونَ». انظر الآية ١١٧ من سورة البقرة. واعبدوه: خصوه وحده بالتقديس. وبالكسر يريد القراءة «إنَّ». والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل.

(٤) اختلفوا: اختصموا واقتتلوا. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة على مذهب. وذكر المحلي أقوالًا ثلاثة: النسطورية، واليعقوبية - قولهم أنه الله نفسُه لا إلٰهٌ معه - والإسرائيلية ملوك النصارى. وهناك فرقة رابعة قالت: المسيح عبدُ الله وكلمتُه وروحٌ منه. فالذين كفروا هم الأحزاب الثلاثة. واليوم: الوقت. والعظيم: لامثيل له في الشدة. ويأتوننا: يحضرون للحساب. والظالم: من يتجاوز الحق. والضلال: الضياع والانحراف. والحسرة: الندامة. وقضي الأمر: انتهى الحساب. والغفلة: الانشغال بالدنيا. ولايؤمن: لايصدق. ونرثها: نتفرد بملكها ظاهرًا وحقيقة. وإلينا: إلى لقاء حسابنا. ويرجعون: يرد جميع الناس.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
٣٩ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٤٠ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ٤٢ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ٤٦ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥١

الدنيا، ﴿**إذ قُضِيَ الأمرُ**﴾ لهم فيه بالعذاب، ﴿**وهُم**﴾ في الدنيا ﴿**في غَفْلةٍ**﴾ عنه، ﴿**وهُم لا يُؤمِنونَ**﴾ ٣٩ به. ﴿**إنّا نحنُ**﴾: تأكيدٌ ﴿**نَرِثُ الأرضَ ومَن عليها**﴾، من العُقلاء وغيرهم بإهلاكهم، ﴿**وإلَينا يُرجَعُونَ**﴾ ٤٠ فيه للجزاء.

١- ﴿**واذكُرْ**﴾ لهم ﴿**في الكِتابِ إبراهيمَ**﴾ أي: خَبَرَه - ﴿**إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا**﴾: مُبالِغًا في الصدق ﴿**نَبِيًّا**﴾ ٤١ - ويبدل مِن «خبره»: ﴿**إذ قالَ لأبيهِ**﴾ آزر: ﴿**يا أبَتِ**﴾ - التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يُجمع بينهما. وكان يعبد الأصنام - ﴿**لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ ولا يُبصِرُ، ولا يُغني عَنكَ**﴾: لا يكفيك ﴿**شَيئًا**﴾ ٤٢ من نفع أو ضُرّ؟ ﴿**يا أبَتِ، إنّي قد جاءَني مِنَ العِلمِ ما لَم يأتِكَ. فاتَّبِعْني، أهدِكَ صِراطًا**﴾: طريقًا ﴿**سَوِيًّا**﴾ ٤٣: مستقيمًا. ﴿**يا أبَتِ، لا تَعبُدِ الشَّيطانَ**﴾ بطاعتك إياه، في عبادة الأصنام. ﴿**إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمٰنِ عَصِيًّا**﴾ ٤٤: كثير العِصيان. ﴿**يا أبَتِ، إنِّيَ أخافُ أن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمٰنِ**﴾، إن لم تتب، ﴿**فتَكُونَ للشَّيطانِ وَلِيًّا**﴾ ٤٥: ناصرًا وقرينًا في النار.

٢- ﴿**قالَ: أراغِبٌ أنتَ عَن آلِهتِي، يا إبراهِيمُ**﴾، فتعيبها؟ ﴿**لَئِن لَم تَنتَهِ**﴾ عن التعرّض لها ﴿**لأَرجُمَنَّكَ**﴾ بالحِجارة، أو بالكلام القبيح. فاحذرْني ﴿**واهجُرْني مَلِيًّا**﴾ ٤٦: دهرًا طويلًا. ﴿**قالَ: سَلامٌ عليكَ**﴾ منّي أي: لا أُصيبك بمكروه. ﴿**سأستَغفِرُ لَكَ رَبّي - إنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا**﴾ ٤٧، من: حَفِيَ، أي: بارًّا فيُجيب دُعائي. وقد وفى بوعده، بقوله المذكور في الشعراء «واغفِرْ لأبِيَ». وهذا قبل أن يتبيّنَ له أنه عدوّ لله، كما ذُكر في «براءة» - ﴿**وأعتَزِلُكُم وما تَدعُونَ**﴾: تعبدون، ﴿**مِن دُونِ اللهِ، وأدعُو**﴾: أعبدُ ﴿**رَبِّي. عَسَى ألّا أكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي**﴾: بعبادته ﴿**شَقِيًّا**﴾ ٤٨، كما شقيتم بعبادة الأصنام.

٣- ﴿**فلَمّا اعتزَلَهُم وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾، بأن ذهب إلى الأرض المُقدّسة، ﴿**وَهَبْنا لَهُ**﴾ ابنَين يأنس بهما ﴿**إسحاقَ ويَعقُوبَ، وكُلًّا**﴾ منهما ﴿**جَعَلْنا نَبِيًّا ٤٩، ووَهَبْنا لَهُم**﴾: للثلاثة ﴿**مِن رَحمتِنا**﴾ المالَ والولد، ﴿**وجَعَلْنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ عَلِيًّا**﴾ ٥٠: رفيعًا، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

٤- ﴿**واذكُرْ في الكِتابِ مُوسَى. إنَّهُ كانَ مُخلِصًا**﴾ - بكسر اللام وفتحها من: أخلص في عبادته، وأخلصه الله من الدنس - ﴿**وكانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١، ونادَيناهُ**﴾ بقول: «يا مُوسَى إنِّيَ أنا اللهُ»، ﴿**مِن جانِبِ الطُّورِ**﴾ اسمُ جبلٍ ﴿**الأيمَنِ**﴾ أي: الذي يلي يمين مُوسَى، حين أقبل من مَدْيَنَ، ﴿**وقَرَّبْناهُ نَجِيًّا**﴾ ٥٢: مناجيًا بأن أسمعه الله - تعالى - كلامه، ﴿**ووَهَبْنا لَهُ، مِن رَحمتِنا**﴾: نعمتِنا، ﴿**أخاهُ هارُونَ**﴾: بدلٌ أو عطف بيان، ﴿**نَبِيًّا**﴾ ٥٣: حال. هي المقصودة بالهبة إجابةً لسُؤاله أن يُرسل أخاه معه. وكان أسنَّ منه.

---

(١) اذكر: اقرأ للتذكير. والكتاب: القرآن. وإبراهيم: أبو الأنبياء، كان في كوثَى من العراق. ويبدل أي «إذ»: بدل من «خبرَ». وتعبد: تقدس. وجاءني: أوحي إليّ. والعلم: المعرفة اليقينية. ولم يأتك: لم تعلمه. واتبعني: وافقني بالتوحيد. وأهديك: أرشدك. والشيطان: إبليس وأتباعه. وكان أي: ولايزال. والرحمن: الكثيرالعطف بالإحسان. والعصيان: مخالفة الأمر والنهي. وأخاف: أتوقع. ويمسّك :ينزل بك. ومن الرحمن: من عنده وبأمره.

(٢) راغب عنها: تارك عبادتها. والآلهة: الأصنام المعبودة، جمع إلٰه. وتنتهي: تسكت. وأرجمك: أقذفك. واهجرني: فارقني. والسلام: الوعد بالموادعة. وكان أي: وما يزال. وفي الشعراء: الآية ٨٦ من سورة الشعراء. وفي براءة: في سورة التوبة. انظر الآية ١١٤ منها. وأعتزلكم: أفارقكم بترك بلدكم. ودونه: غيره مما خلق. وعسى أي: أترجّى. وأكون: أصير. والشقي: الضائع السعي.

(٣) الأرض المقدسة: فلسطين. ووهبنا: يسرنا. ويعقوب: ابن إسحاق حفيدٌ لإبراهيم. وجعلنا: صيّرنا. والرحمة: العطف بالإحسان. واللسان: ما يصدر عنه من الذكر الحميد والخير. والصدق: الفضل ظاهرًا وباطنًا. والأديان أي: السماوية.

(٤) بفتحها يريدالقراءة «مُخلَصًا». وأخلص: توجّه إلى الله وحده. وأخلصه: طهره. والرسول: من أرسله الله وأوحى إليه كتابًا. والنبي: من يخبر عن الله التزام التوحيد والشريعة. وناديناه: دعوناه باسمه تشريفًا وتنبيهًا. و«بقول» يعني الآية ٣٠ من سورة القصص. والجانب: الطرف. وجبل الطور في سيناء. والأيمن: المبارك. انظر «المفصل». ومدين: بلدة على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك، أقبل منها عائدًا إلى مصر. انظر الآيات ٢٩-٣٥ من سورة القصص. وقربناه: رفعنا منزلته. والمناجاة: المسارة في الكلام. وفي الأصل وع: «مناجًى». ووهبنا له: أعنّاه ونصرناه. و«بدل أو عطف البيان» يعني أن «هارون»: بدل من «أخا» أو عطف بيان له، للتبيين مع التوكيد والتعظيم. وأسن أي: هارون أكبر سنًا.

وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

١- ﴿**واذكُرْ في الكِتابِ إسماعِيلَ - إنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعدِ**﴾ لم يَعِد شيئًا إلّا وفى به، وانتظر مَن وعده ثلاثة أيام أو حولًا، حتّى رجَع إليه في مكانه، ﴿**وكانَ رَسُولًا**﴾ إلى جُرهُمَ ﴿**نَبِيًّا ٥٤، وكانَ يأمُرُ أهلَهُ**﴾ أي: قومه ﴿**بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ، وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾ ٥٥. أصله «مَرضُوْوٌ» قُلبت الواوان ياءين والضمّة كسرة - ﴿**واذكُرْ في الكِتابِ إدرِيسَ**﴾، هو جدّ أبي نُوح. ﴿**إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦، ورَفَعْناهُ مَكانًا عَلِيًّا**﴾ ٥٧، هو حيّ في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنّة، أُدخلَها بعد أن أُذيق الموت وأُحيي، ولم يخرج منها.

ثلاثة أرباع الحزب ٣١

سجدة

٢- ﴿**أُولٰئِكَ**﴾: مبتدأ ﴿**الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم**﴾: صِفةٌ له ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ**﴾: بيانٌ لهم - وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة لـ «النبيين» - فقوله ﴿**مِن ذُرِّيّةِ آدَمَ**﴾ أي: إدريسُ، ﴿**ومِمَّن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ**﴾ في السفينة أي: إبراهيمُ ابنُ ابنه سام، ﴿**ومِن ذُرِّيّةِ إبراهِيمَ**﴾ أي: إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ﴿**و**﴾ مِن ذُرّيّة ﴿**إسرائيلَ**﴾ - وهو يعقوب - أي: موسى وهارونُ وزكرياءُ ويحيى وعيسى، ﴿**ومِمَّن هَدَينا واجتَبَينا**﴾ أي: من جُملتهم، وخبر «أولئك»: ﴿**إذا تُتلَى عليهِم آياتُ الرَّحمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا**﴾ ٥٨: جمع ساجد وباك. أي: فكونوا مِثلهم. وأصل بُكيّ «بُكُوْيٌ» قُلبت الواو ياء والضمة كسرة.

٣- ﴿**فخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، أضاعُوا الصَّلاةَ**﴾ بتركها، كاليهود والنصارى، ﴿**واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ**﴾ من المعاصي، ﴿**فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا**﴾ ٥٩ هو وادٍ في جهنّم، أي: يقعون فيه، ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحًا. فأُولٰئِكَ يُدخَلُونَ الجنّةَ، ولا يُظلَمُونَ**﴾: يُنقَصون ﴿**شَيئًا**﴾ ٦٠ من ثوابهم، ﴿**جَنّاتِ عَدْنٍ**﴾: إقامةٍ، بدلٌ من «الجنّةَ» ﴿**الّتي وَعَدَ الرَّحمٰنُ عِبادَهُ بِالغَيبِ**﴾: حالٌ، أي: غائبين عنها - ﴿**إنَّهُ كانَ وَعدُهُ**﴾ أي: موعوده ﴿**مأتِيًّا**﴾ ٦١ بمعنى: آتيًا، وأصله «مأتُوْي»، أو موعودُه هنا الجنّةُ يأتيه أهله - ﴿**لا يَسمَعُونَ فِيها لَغْوًا**﴾ من الكلام، ﴿**إلّا**﴾ لكن يسمعون ﴿**سَلامًا**﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض، ﴿**ولَهُم رِزقُهُم فِيها بُكْرَةً وعَشِيًّا**﴾ ٦٢ أي: على قدرهما في الدنيا. وليس في الجنّة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا. ﴿**تِلكَ الجنّةُ الّتي نُورِثُ**﴾: نُعطي ونُنزِل، ﴿**مِن عِبادِنا، مَن كانَ تَقِيًّا**﴾ ٦٣ بطاعته.

٤- ونزل، لمّا تأخّر الوحي أيامًا، وقال النبيّ لجبريل: «ما يَمنعُكَ أن تَزُورَنا أكثَرَ مِمّا تَزُورُنا»؟: ﴿**وما نَتَنَزَّلُ إلّا بِأمرِ رَبِّكَ، لَهُ ما بَينَ أيدِينا**﴾ أي: أمامَنا من أُمور الآخرة، ﴿**وما خَلفَنا**﴾ من أُمور الدنيا، ﴿**وما بَينَ ذٰلِكَ**﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعِه، ﴿**وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ ٦٤ بمعنى: ناسيًا، أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك. هو ﴿**رَبُّ**﴾: مالكُ ﴿**السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما. فاعبُدْهُ واصطَبِرْ لِعِبادتِهِ**﴾ أي: اصبر عليها. ﴿**هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ ٦٥ أي مُسمًّى بذلك؟ لا.

---

(١) اذكر: انظر الآية ١٦. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته هاجر، تركه مع أمه في وادي مكة. ورسولًا: مكلفًا بتبليغ شريعة أبيه. وجرهم: قبيلة من عرب اليمن، عاش بينها إسماعيل وتزوج فيها فتعرب. ويأمرهم: يحضهم. والصلاة والزكاة: المفروضتان شرعًا في جميع الأديان السماوية. والمرضي: المقبول سعيُه وعمله. وعند ربه: في حكمه ورحمته. وإدريس: من ذرية شيث بن آدم، اسمه أُخنُوخ، وهو أول رسول جاءه جبريل بالوحي، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة. والصديق: المبالغ في الصدق. ورفعناه: أعلينا منزلته بالرسالة. والقصص عن إدريس غفيرة جدًا، وهي من الإسرائيليات المنكرة.

(٢) أنعم: تفضل بالإكرام. والذرية: النسل والسلالة. وهدينا أي: أرشدناه إلى الحق ووفقناه فيه. واجتبينا: اخترناه للنبوة. وتتلى: تقرأ. والآيات: آيات الكتب المنزلة. والرحمن: الكثيرالعطف بالإحسان. وخروا: سقطوا سراعًا. والساجد: من يضع جبهته على الأرض ذلة وانكسارًا. والضمة أي: الضمة الثانية.

(٣) خلف من بعدهم: جاء عقبَ موتهم. وأضاعوها: شُغلوا عن أوقاتها وأهملوها. واتبعوها: انصرفوا إليها. ويقعون فيه أي: يوم القيامة. وتاب: اعترف بذنبه وطلب المغفرة. وعمل صالحًا: قام بالأعمال التي حسّنها الشرع. ويُدخلون: يقضى لهم الدخول. والجنة: الحديقة العظيمة. وفسر المحليُّ المأتيَّ بأنه: واقع فعلًا. وبمعنى: يَحضره مَن وُعد به. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والعباد: جمع عبد. والغيب: الغياب. واللغو: ما لا يفيد. والسلام: التحية بالأمان ودوام النعيم. وبكرة وعشيًا: صباحا ومساء، أي: على الدوام أبدًا. والتقي: من يخاف الله فيلزم الطاعة.

(٤) قول النبي هو في الحديث ٣٠٤٦ من البخاري. والآيتان أمرَ الله جبريل أن يقولهما جوابًا. ونتنزل: ننزل دون مواصلة. والأمر: الإرادة. والأيدي: جمع يد. واعبده: أخلص له التقديس. واصبر: دم وتحمل. وتعلم: تعرف. والسمي: مَن له اسمُ غيرِه. و«لا» أي: ليس له شريك في هذا الاسم، لتعلمه أنت أو غيرك.

رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

١- ﴿**ويقولُ الإنسانُ**﴾ المُنكِر للبعث، هو أُبيُّ بن خلف أو الوليدُ بن المغيرة، النازلُ فيه الآيةُ: ﴿**أإذا**﴾ - بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأُخرى - ﴿**ما مُتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا**﴾ ٦٦ من القبر، كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي أي: لا أحيا بعد الموت. وما: زائدة للتأكيد، وكذا اللام. ورُدّ عليه بقوله تعالى: ﴿**أَوَلايَذَّكَّرُ الإنسانُ**﴾ - أصله «يَتَذَكَّرُ» أُبدلت التاء ذالًا وأُدغمت في الذال. وفي قراءة تركُها وسكونُ الذال وضمُّ الكاف - ﴿**أنّا خَلَقْناهُ مِن قَبلُ، ولَم يَكُ شَيئًا**﴾ ٦٧، فيستدلَّ بالابتداء على الإعادة؟

٢- ﴿**فوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُم**﴾ أي: المُنكرينَ للبعث ﴿**والشَّياطِينَ**﴾ أي: نجمعُ كُلًّا منهم وشيطانَه في سلسلة، ﴿**ثُمَّ لَنُحضِرَنَّهُم حَولَ جَهَنَّمَ**﴾ من خارجها، ﴿**جُثِيًّا**﴾ ٦٨ على الرُّكَب جمعُ جاثٍ - وأصله «جُثوُوٌ» أو «جُثُويٌ» من: جَثا يَجثُو ويَجثي، لغتان - ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعةٍ**﴾: فِرقةٍ منهم ﴿**أيُّهم أشَدُّ على الرَّحمٰنِ عُتِيًّا**﴾ ٦٩: جراءةً، ﴿**ثُمَّ لَنَحنُ أعلَمُ بالَّذِينَ هُم أَولَى بِها**﴾: أحقُّ بجهنَّم، الأشدِّ وغيرِه منهم، ﴿**صُلِيًّا**﴾ ٧٠: دخولًا واحتراقًا، فنبدأ بهم - وأصله «صُلُوْيٌ» من: صَلي، بكسر اللام وفتحها - ﴿**وإن**﴾ أي: ما ﴿**مِنكُم**﴾ أحدٌ ﴿**إلّا وارِدُها**﴾ أي: داخلُ جهنّمَ - ﴿**كانَ على رَبِّكَ حَتمًا مَقضِيًّا**﴾ ٧١: حتَمَه وقضى به لا يتركه - ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي**﴾، مُشدّدًا ومُخفّفًا، ﴿**الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الشِّرك والكُفر منها، ﴿**ونَذَرُ الظّالِمِينَ**﴾ بالشِّرك والكُفر ﴿**فِيها جُثِيًّا**﴾ ٧٢ على الرُّكَب.

٣- ﴿**وإذا تُتلَى علَيهِم**﴾، أي: المؤمنين والكافرين، ﴿**آياتُنا**﴾ من القُرآن، ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: واضحاتٍ حالٌ ﴿**قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أيُّ الفَرِيقَينِ**﴾ نحن وأنتم ﴿**خَيرٌ مَقامًا**﴾: منزلًا ومسكنًا، بالفتح مِن: قامَ، وبالضم مِن: أقامَ، ﴿**وأحسَنُ نَدِيًّا**﴾ ٧٣ بمعنى النادي؟ وهو مجتمع القوم يتحدّثون فيه. يعنون: نحن، فنكون خيرًا منكم. قال تعالى: ﴿**وكَم**﴾ أي: كثيرًا ﴿**أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ**﴾ أي: أُمّة، من الأُمم الماضية، ﴿**هُم أحسَنُ أثاثًا**﴾: مالًا ومتاعًا ﴿**ورِئيًا**﴾ ٧٤ مَنظرًا! من الرؤية. فكما أهلكناهم لكُفرهم نُهلِكُ هؤلاء.

٤- ﴿**قُلْ: مَن كانَ في الضَّلالةِ**﴾: شرطٌ جوابه: ﴿**فلْيَمدُدْ**﴾، بمعنى الخبر، أي: يَمُدُّ ﴿**لَهُ الرَّحمٰنُ مَدًّا**﴾ في الدنيا يستدرجه - ﴿**حَتّى إذا رأوا ما يُوعَدُونَ، إمّا العَذابَ**﴾ كالقتل والأسر، ﴿**وإمّا السّاعةَ**﴾ المُشتملةَ على جهنّم فيدخلونها، ﴿**فسَيَعلَمُونَ: مَن هُوَ شَرٌّ مَكانًا وأضعَفُ جُندًا**﴾ ٧٥: أعوانًا هم أم المؤمنون؟ وجُندهم الشياطينُ وجُند المؤمنين عليهم الملائكةُ - ﴿**ويَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهتَدَوا**﴾ بالإيمان ﴿**هُدًى**﴾، بما يُنزّل عليهم من الآيات. ﴿**والباقِياتُ الصّالِحاتُ**﴾، هي الطاعة تبقى لصاحبها، ﴿**خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوابًا، وخَيرٌ مَرَدًّا**﴾ ٧٦ أي: ما يُرَدُّ إليه ويُرجع، بخلاف أعمال الكُفّار. والخيريّة هنا في مُقابلة قولهم: «أيُّ الفريقَينِ خيرٌ مَقامًا»؟

---

(١) أُبيّ والوليد: من جبابرة قريش. انظر «المفصل». وبتحقيق. . . والأُخرى: انظر الآية ٥ من سورة الرعد. وأخرج: أبعث من القبر. وكذا اللام: يعني أن اللام: زائدة أيضًا للمبالغة في التوكيد. والتذكر: استحضار الأمر للاستدلال. وتركها: يريد القراءة «أَوَلايَذْكُرُ». وخلقنا: أوجدنا من العدم. والإعادة أي: إلى الحياة بالبعث.

(٢) نحشر: نجمع بعد الموت. والشياطين: جمع شيطان. وهو من سلالة إبليس. ونحضرهم: نأتي بهم. والجاثي: القائم على ركبتيه. ولغتان: يعني أن لام الكلمة واو أو ياء، لهجتان عند العرب. وننزع: نقتلع ثم نطرح في النار. وأشد: أكثر شِدة. وأعلم: أكثر إحاطة. والأشدِّ تفسير لـ «الذين». وبكسر اللام وفتحها يعني: صَلِيَ وصَلَى. والضمير في «منكم» للناس عدا الأنبياء والرسل. فالمؤمن الصالح تكون جهنم بردًا وسلامًا عليه، ثم يُنجّى منها. فدخوله مرور بها. وكان أي: ولايزال الورود. ومخففًا يريد القراءة «نُنْجي» أي: ننقذ من جهنم. واتقوه: تجنبوه بالتوحيد والصلاح. ونذرهم: نتركهم.

(٣) الكافرون: مشركو مكة. والفريق: الجماعة. وخير: أفضل. وبالضم يريد القراءة «مُقامًا». وهو موضع الإقامة. وأحسن: أجمل. يعني أنهم لجؤوا إلى الافتخار بالمال والمظهر، مدعين أن ذلك يدل على كرامتهم. وأهلكنا: استأصلنا بالعذاب. وأحسن أي: أفضل من مشركي مكة وأجمل. ومنظرًا: صورة وهيئة يراهما الناظر عِيانًا.

(٤) الضلالة: الكفر. ويمده: يزيده مُتعًا ويمهله. والرحمن: العظيم العطف بالإحسان. ورأوه: أبصروه عِيانًا. وما يوعدون: ما هددوا به. والساعة: يوم القيامة. ويعلم: يدري باليقين. وشر: أحقر. والمكان: المنزلة. وأضعف: أقل قدرة. والجند: واحده جندي. وعليهم: على المشركين. ويزيدهم: يضيف إليهم. واهتدوا: اتبعوا الحق. والهدى: البصيرة. والباقيات: انظر الآية ٤٦ من سورة الكهف. وخير أي: أفضل. والثواب: الأجر. وعنده: في حكمه وقضائه. ويرجع: إلى الجنة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

١- ﴿**أفرأيتَ الَّذي كَفَرَ بآياتِنا**﴾ القائل - هو العاصِ بنُ وائل - ﴿**وقالَ**﴾ لخبّابِ بنِ الأرتّ القائلِ له: «تُبعَثُ بَعدَ المَوتِ» والمطالبِ له بمال: ﴿**لأُوتَيَنَّ**﴾، على تقدير البعث، ﴿**مالًا وولَدًا**﴾ ٧٧ فأقضيَنَّكَ؟ قال تعالى: ﴿**أطَّلَعَ الغَيبَ**﴾ أي: أعلِمَه وأن يُؤتى ما قاله - واستُغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحُذفت - ﴿**أم اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمٰنِ عَهدًا**﴾ ٧٨ بأن يُؤتى ما قاله؟ ﴿**كَلّا**﴾ أي: لا يُؤتى ذلك، ﴿**سَنكتُبُ**﴾: نأمر بكتب ﴿**ما يَقولُ، ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذابِ مَدًّا**﴾ ٧٩: نزيده بذلك عذابًا فوق عذاب كُفره، ﴿**ونَرِثُهُ ما يَقولُ**﴾ من المال والولد، ﴿**ويأتِينا**﴾ يوم القيامة ﴿**فَردًا**﴾ ٨٠ لا مال له ولا ولد.

٢- ﴿**واتَّخَذوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾، الأوثانَ ﴿**آلِهَةً**﴾ يعبدونهم، ﴿**لِيَكونُوا لَهُم عِزًّا**﴾ ٨١: شُفعاءَ عند الله بألّا يُعذَّبوا. ﴿**كَلّا**﴾ أي: لا مانعَ من عذابهم، ﴿**سَيَكفُرونَ**﴾ أي: الآلهةُ ﴿**بِعِبادَتِهِم**﴾ أي: ينفونها، كما في آية أُخرى: «ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ»، ﴿**ويَكونونَ عَلَيهِم ضِدًّا**﴾ ٨٢: أعوانًا أو أعداء. ﴿**ألَم تَرَ أنّا أرسَلْنا الشَّياطِينَ**﴾: سَلّطناهم ﴿**عَلى الكافِرِينَ، تَؤُزُّهُم**﴾: تُهيّجهم إلى المعاصي ﴿**أزًّا**﴾ ٨٣؟ ﴿**فلا تَعجَلْ عَلَيهِم**﴾ بطلب العذاب. ﴿**إنَّما نَعُدُّ لَهُم**﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿**عَدًّا**﴾ ٨٤ إلى وقت عذابهم.

٣- اذكرْ ﴿**يَومَ نَحشُرُ المُتَّقِينَ**﴾ بإيمانهم، ﴿**إلَى الرَّحمٰنِ وَفدًا**﴾ ٨٥: جمع وافد بمعنى: راكب، ﴿**ونَسُوقُ المُجرِمِينَ**﴾ بكُفرهم، ﴿**إلَى جَهَنَّمَ وِردًا**﴾ ٨٦: جمع وارد بمعنى: ماش عطشان، ﴿**لا يَملِكُونَ**﴾ أي: الناسُ ﴿**الشَّفاعةَ، إلّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمٰنِ عَهدًا**﴾ ٨٧ أي: شهادةَ أنْ لا إلٰه إلّا الله، ولا حول ولا قُوّة إلّا بالله.

٤- ﴿**وقالُوا**﴾ أي: اليهودُ والنصارى ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله: ﴿**اتَّخَذَ الرَّحمٰنُ وَلَدًا**﴾ ٨٨. قال تعالى لهم: ﴿**لَقَد جِئتُم شَيئًا إدًّا**﴾ ٨٩ أي: مُنكرًا عظيمًا، ﴿**تَكادُ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ**﴾ - بالنون. وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء - بالانشقاق ﴿**مِنهُ، وتَنشَقُّ الأرضُ، وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا**﴾ ٩٠ أي: تنطبق عليهم، من أجل ﴿**أن دَعَوا لِلرَّحمٰنِ وَلَدًا**﴾ ٩١. قال تعالى: ﴿**وما يَنبَغِي لِلرَّحمٰنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ ٩٢ أي: ما يليق به ذلك. ﴿**إن**﴾ أي: ما ﴿**كُلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ إلّا آتِي الرَّحمٰنِ عَبدًا**﴾ ٩٣ ذليلًا خاضعًا يوم القيامة، منهم عُزير وعيسى. ﴿**لَقَد أحصاهُم وعَدَّهُم عَدًّا**﴾ ٩٤، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، ولا واحد منهم، ﴿**وكُلُّهُم آتِيهِ يَومَ القِيامةِ فَردًا**﴾ ٩٥: بلا مال ولا نصير يمنعه.

---

(١) أرأيت: أخبرني. وكفر: كذّب. والآيات: دلائل التوحيد والعبودية والبعث. والعاص: بالكسر محذوف الياء. انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢: ٣٠. وهو أحد حكام الجاهلية، مات على الشرك. انظر الأحاديث ١٩٨٥و ٤٤٥٥-٤٤٥٧ في البخاري. وأوتَى: أُعطَى. والمال: ما يملك من المتاع والزينة. والولد بمعنى الأولاد. وأقضينك أي: أردّنّ إليك مالك. واطّلَعَه: أدركه. والغيب: ماكان في علم الله. واتخذ: نال. والعهد: الوعد المؤكد. وكلّا: حرف ردع وزجر وإنكار وتنبيه على الخطأ فيما تصور وتمنى. والكتب: التسجيل في صحيفة العمل. ونمد له: نطوّل له. ونرثه: نكون كالوارث له، ولايكون له ما زعم. ويأتينا: يحضر للحساب. وفردًا: وحيدًا.

(٢) اتخذوا: جعلوا. والآلهة: جمع إلٰه. وعزّا: عونًا به يتنصرون في الشفاعة. ولا مانع أي: لاعز لهم ولا شفيع. والعبادة: التقديس والطاعة. وينفونها: ينكرون يوم القيامة أنها كانت لأجلهم، ويثبتون كونها تلبية لأطماع العابدين في المستلذات. وفي آية: يعني الآية ٦٣ من سورة القصص. والضد: المضاد المعادي. وترى أي: أنت تعلم حقّا. والشياطين: جمع شيطان. وهو من يغري بالشر من الإنس والجن. وتؤزهم أي: بالوسوسة وتزيين الكفر والشهوات. ولاتعجل: لاتطلب التعجيل. ونعد: نحسبه فلا يزيد ولا ينقص. والأيام: جمع يوم. وهو النهار. والأنفاس: جمع نفَس.

(٣) نحشر: نجمع من القبور. والمتقي: من يخاف الله فيمتثل الأمر والنهي. والوفد: القادمون على من يكرمهم ويُعزهم. انظر «المفصل». ونسوق: ندفع بالذلة. والمجرم: من يقترف الشر. ولايملكون الشفاعة: لايستطيع أحد طلب العفو عنه أو عن غيره. واتخذ: جعل لنفسه. وعنده: في حكمه وقضائه. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والعهد: الوعد المؤكد. وتفسير العهد بالشهادة يعني التوحيد.

(٤) من زعم أي: بعض العرب من المشركين. واتخذ ولدًا: صنع لنفسه أولادًا. وجئتم: قلتم. وبالياء يريد القراءة «يَكادُ» أي: يقارب. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وينفطرن: يتفتتن. وبالتاء يريد القراءة «يَتَفَطَّرْنَ». وهي واردة مع «يَكادُ» فقط. ومنه: من القول المزعوم. وتنشق: تتزلزل وتتفسخ. وتخر: تسقط وتتداعى. والجبال: جمع جبل. وهو ما علا وصلب من الأرض. وهدًا أي: مهدَّمة. ومن أجل أي: بسبب. ودعوا: سمَّوا. ومايليق أي: لايمكن، لأن التوالد لايكون إلّا فيما هو مخلوق ومن جنس واحد، والله ليس كذلك. و«ما» يعني أن «إن»: حرف نفي. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمراد بـ «مَن» الإنس والجن والملائكة. والآتي: الحاضر بالبعث. وعزير: ألّهه اليهود. وعيسى: ألّهه بعض النصارى. وأحصاهم: أحاط علمه بهم وبكل شيء منهم. وعدهم: علم عددهم وأعمالهم وأنفاسهم. وانظر آخر الآية ٨٠.

الجزء السادس عشر — سورة طه

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه — ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

١- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمٰنُ وُدًّا**﴾ ٩٦ فيما بينهم، يتوادّون ويتحابّون، ويُحبّهم الله، تعالى. ﴿**فإنَّما يَسَّرْناهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**بلِسانِكَ**﴾ العربيّ، ﴿**لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ**﴾ النارَ بالإيمان، ﴿**وتُنذِرَ**﴾: تُخوّفَ ﴿**بِهِ قومًا لُدًّا**﴾ ٩٧: جمعُ أَلَدَّ، أي: جَدِلٍ بالباطل. وهم كُفّار مكّة. ﴿**وكَم**﴾ أي: كثيرًا ﴿**أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ**﴾ أي: أُمّةٍ من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل! ﴿**هَل تُحِسُّ**﴾: تَجِدُ ﴿**مِنهُم مِن أحَدٍ، أو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا**﴾ ٩٨: صوتًا خفيًّا؟ لا. فكما أهلكنا أُولئك نُهلك هؤلاء.

الحزب ٣٢

سورة طه

مكية، مِائة وخمس وثلاثون، أو وأربعون، أو وثنتان [وثلاثون] آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**طه**﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**ما أنزَلْنا عليكَ القُرآنَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**لِتَشقَى**﴾ ٢: لتتعب بما فعلتَ بعد نُزوله، من طُول قِيامك بصلاة الليل، أي: خفّفْ عن نفسك. ﴿**إلّا**﴾: لكن أنزلناه ﴿**تَذكِرةً**﴾ به ﴿**لِمَن يَخشَى**﴾ ٣: يخافُ الله، ﴿**تَنزيلًا**﴾: بدلٌ من اللفظ بفعله الناصبِ له، ﴿**مِمَّن خَلَقَ الأرضَ والسَّماواتِ العُلَى**﴾ ٤: جمعُ عُليا، ككُبرَى وكُبَر.

٣- هو ﴿**الرَّحمٰنُ على العَرشِ**﴾، وهو في اللغة سرير المُلك، ﴿**استَوَى**﴾ ٥ استواءً يليق به، ﴿**لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وما بَينَهُما**﴾ من المخلوقات، ﴿**وما تَحتَ الثَّرَى**﴾ ٦ هو التراب النديّ - والمراد الأرَضُونَ السبعُ لأنها تحته - ﴿**وإن تَجهَرْ بالقَولِ**﴾، في ذِكرٍ أو دُعاء، فالله غنيّ عن الجهر به، ﴿**فإنَّهُ يَعلَمُ السِّرَّ وأخفَى**﴾ ٧ منه، أي: ما حدّثتَ به النفس وما خطر ولم تُحدِّث به - فلا تُجهد نفسك بالجهر - ﴿**اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى**﴾ ٨ التسعةُ والتسعونَ الواردُ بها الحديثُ. والحسنى: مُؤنّث الأحسن.

٤- ﴿**وهَل**﴾: قد ﴿**أتاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٩، إذ رأَى نارًا، فقالَ لِأهلِهِ**﴾ لامرأته: ﴿**امكُثُوا**﴾ هنا. وذلك في مسيره من مَدْيَنَ طالبًا مِصرَ. ﴿**إنِّي آنَستُ**﴾: أبصرت ﴿**نارًا، لَعَلِّي آتِيكُم مِنها بِقَبَسٍ**﴾: شعلة في رأس فتيلةٍ أو عودٍ، ﴿**أو أجِدُ على النّارِ هُدًى**﴾ ١٠ أي: هاديًا يدلّني على الطريق؟ وكان أخطأها لظُلمة الليل. وقال «لعلّ» لعدم الجزم بوفاء الوعد.

٥- ﴿**فلَمّا أتاها**﴾، وهي شجرةُ عَوسَجٍ، ﴿**نُودِيَ: يا مُوسَى ١١، إنِّيَ**﴾ - بكسر الهمزة بتأويل «نودي» بـ«قيل»، وبفتحها بتقدير الباء - ﴿**أنا**﴾: تأكيدٌ لياء المُتكلّم ﴿**رَبُّكَ - فاخلَعْ نَعلَيكَ، إنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ**﴾: المُطهّر أو المُبارك ﴿**طُوًى**﴾ ١٢: بدل أو عطف بيان. بالتنوين وتركه، مصروفٌ باعتبار المكان، وغيرُ مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العَلَميّة - ﴿**وأنا اختَرْتُكَ**﴾ من قومك. ﴿**فاستَمِعْ لِما يُوحَى**﴾ ١٣ إليك منّي،

---

(١) آمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الله. ويجعل: يخلق. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والود: المحبة. ويسرناه: جعلناه سهلًا ميسَّرًا للعرب وغيرهم، بخلاف الكتب التي قبله، كانت خاصة بمن نزلت عليهم. واللسان: اللغة. وتبشرهم: تبلغهم ما يَسرّهم. والمتقي: الذي يتجنب الشيء. والقوم: الجماعة من الناس. وكفار مكة أي: وكل من تلقاه من الناس. وأهلكنا: أفنينا بالعذاب. وتسمع: تدرك وتتلقى. و«لا» أي: لم يبق من الكافرين أحد ولا أثر مفيد. (٢) أنزلنا: أوحينا. ونزلت هذه الآيات بيانًا للغاية من التكليف بالرسالة، ودفعًا لما يعانيه النبي ﷺ والمؤمنون من تعنت المشركين. الدر المنثور ٤:٢٨٨. والتذكرة: التذكير بالحق. والتنزيل: الوحي. وخلقها: أوجدها من العدم. والأرض والسماوات: انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والعليا: العظيمة الارتفاع. (٣) الرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالكون كله لا يعرف حقيقته إلّا الله. ويليق به أي: يناسب عظمته وجلاله من دون تمثيل أو تعطيل. و«السبع» مستفاد من أحاديث، روى بعضها ابن كثير في تفسيره ٣:١٣٩، وقال عنه: «هذا حديث غريب جدًا، وسياق عجيب». انظر تعليقنا على الآية ١٢ من سورة الطلاق. والصواب أن ما تحت الثرى هو ما في باطن الأرض. وتجهر به: تظهره بصوت مسموع. ويعلمه: يحيط به. ولم تحدث به أي: نفسك. وهذا تفسير لـ«أخفى». والحديث: انظر تفسير الآية ١١٠ من سورة الإسراء. (٤) أتاك: وصل إليك. وحديث موسى: قصته مع فرعون. ورأى: أبصر عِيانًا. والنار: شجرة خضراء تتقد بنور رباني. وامكثوا: أقيموا. والخطاب لامرأته وولديه والخادم أيضًا. ومدين: موطن شعيب، بلدة على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك. والإيناس: إبصار بيّن واضح. وآتيكم: أُحضر لكم. وأجد: أرى. وعلى النار: قربها. (٥) أتاها: دنا منها. والعوسج: شجر ثمره أحمر مدور كالخرز العقيق. ونودي أي: قيل. وبفتحها أي: الهمزة، يريد القراءة «أنّيَ». والواد: الوادي. وطوى: اسم مكان بين مَدْيَنَ ومصر. وتركه يريد القراءة «طُوَى». واخترتك: خصصتك بالرسالة. ويوحى: يلقى. والإلٰه: المعبود بحق وحده. واعبد: قدّس وأطع. وأقم الصلاة: أدّها كاملة. ولذكري: لتذكرني وتسبحني. والساعة: يوم القيامة. وآتية: حاصلة لامحالة. وأكاد أخفيها: أقارب سترها. وتُجزى: تكافأ. والنفس: المخلوق المكلف من البشر والجن. وتسعى: تعمل من نية أو قول أو فعل. واتبع هواه: أطاع ما تزينه له نفسه.

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

﴿**إنَّنِي أنا اللهُ، لا إلَهَ إلّا أنا. فاعبُدْني، وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكرِيَ**﴾ ١٤ فيها. ﴿**إنَّ السّاعةَ آتِيةٌ، أكادُ أُخفيها**﴾ عن الناس ويَظهر لهم قربُها بعلاماتها، ﴿**لِتُجزَى**﴾ فيها ﴿**كُلُّ نفسٍ بِما تَسعَى**﴾ ١٥ به، من خير وشرّ. ﴿**فلا يَصُدَّنَّكَ**﴾: يصرفَنَّكَ ﴿**عَنها**﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿**مَن لا يُؤمِنُ بِها، واتَّبَعَ هَواهُ**﴾ في إنكارها، ﴿**فتَرْدَى**﴾ ١٦: فتَهلِكَ إن صددتَ عنها.

١- ﴿**وما تِلكَ**﴾ كائنةً ﴿**بِيَمِينِكَ؟ يا مُوسَى**﴾ ١٧. الاستفهام للتقرير، ليرتّب عليه المُعجزةَ فيها. ﴿**قالَ: هِيَ عَصايَ، أتَوَكَّأُ**﴾: أعتمد ﴿**علَيها**﴾ عِند الوُثوب والمشي، ﴿**وأهُشُّ**﴾: أخبِطُ ورق الشجر ﴿**بِها**﴾، ليسقطَ ﴿**على غَنَمِي**﴾ فتأكلَه، ﴿**ولِيَ فِيها مآرِبُ**﴾: جمع مأربة، مُثلَّث الراء، أي: حوائجُ ﴿**أُخرَى**﴾ ١٨، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوامّ. زاد في الجواب بيان حاجاته بها. ﴿**قالَ: ألقِها، يا مُوسَى**﴾ ١٩. ﴿**فألقاها، فإذا هِيَ حَيَّةٌ**﴾: ثعبان عظيم، ﴿**تَسعَى**﴾ ٢٠: تمشي على بطنها سريعًا، كسُرعة الثُّعبان الصغير المُسمَّى بالجانِّ، المُعبَّر به فيها في آية أُخرى.

٢- ﴿**قالَ: خُذْها ولا تَخَفْ**﴾ منها - ﴿**سَنُعِيدُها سِيرَتَها**﴾: منصوبٌ بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿**الأُولَى**﴾ ٢١. فأدخلَ يده في فمها فعادت عصًا، وتبيّنَ أنّ موضعَ الإدخال موضعُ مسكها بين شُعبتيها. وأُرِيَ ذلك السيّدُ مُوسَى، لئلّا يجزع إذا انقلبتْ حيّةً لدى فِرعَونَ - ﴿**واضمُمْ يَدَكَ**﴾اليُمنى، بمعنى الكفّ، ﴿**إلَى جَناحِكَ**﴾ أي: جنبك الأيسر، تحت العضُد إلى الإبط، وأخرجْها ﴿**تَخرُجْ**﴾ خلافَ ما كانت عليه من الأُدمة ﴿**بَيضاءَ، مِن غَيرِ سُوءٍ**﴾ أي: بَرَص، تُضيء كشُعاع الشمس تُعشي البصر، ﴿**آيةً أُخرَى**﴾ ٢٢ - وهي و«بيضاءَ» حالان من ضمير «تَخرجْ» - ﴿**لِنُرِيَكَ**﴾ بها، إذا فعلتَ ذلك لإظهارها، ﴿**مِن آياتِنا**﴾ الآيةَ ﴿**الكُبرَى**﴾ ٢٣ أي: العُظمى على رِسالتك. وإذا أراد عَودَها إلى حالتها الأُولى ضمّها إلى جناحه، كما تقدّم، وأخرجها. ﴿**اذهَبْ**﴾ رسولًا ﴿**إلَى فِرعَونَ**﴾، ومن معه. ﴿**إنَّهُ طَغَى**﴾ ٢٤: جاوزَ الحدّ، في كُفره، إلى ادّعاء الإلَهيّة.

٣- ﴿**قالَ: رَبِّ، اشرَحْ لِي صَدرِي**﴾ ٢٥: وَسِّعْه لتحمّلِ الرسالة، ﴿**ويَسِّرْ**﴾: سَهِّل ﴿**لِيَ أمرِي**﴾ ٢٦ لأُبلّغها، ﴿**واحلُلْ عُقْدةً مِن لِسانِي**﴾ ٢٧، حدَثَتْ من احتراقه بجمرة وضعها، وهو صغير، بفيه ﴿**يَفقَهُوا**﴾: يفهموا ﴿**قَولِي**﴾ ٢٨ عِند تبليغ الرسالة، ﴿**واجعَلْ لِي وَزِيرًا**﴾: مُعِينًا عليها ﴿**مِن أهلِي ٢٩، هارُونَ**﴾: مفعولٌ ثان ﴿**أخِي**﴾ ٣٠: عطفُ بيان. ﴿**اشْدُدْ بِهِ أزرِي**﴾ ٣١: ظهري، ﴿**وأشرِكْهُ في أمرِي**﴾ ٣٢ أي: الرسالة - والفِعلان بصيغتَي الأمر والمضارع المجزوم، وهو جواب للطلب - ﴿**كَي نُسَبِّحَكَ**﴾ تسبيحًا ﴿**كَثِيرًا ٣٣، ونَذكُرَكَ**﴾ ذِكرًا ﴿**كَثِيرًا ٣٤. إنَّكَ كُنتَ بِنا بَصِيرًا**﴾ ٣٥: عالمًا، فأنعمتَ بالرسالة.

٤- ﴿**قالَ: قَد أُوتِيتَ سُؤْلَكَ - يا مُوسَى**﴾ ٣٦ - مَنًّا عليك، ﴿**ولَقَد مَنَنّا علَيكَ مَرّةً أُخرَى ٣٧، إذ**﴾: للتعليل ﴿**أوحَينا إلَى أُمِّكَ**﴾ منامًا أو إلهامًا،

(١) اليمين: اليد اليمنى. وتكرار النداء هنا بعد الآية ١١ وما سيلي في الآيات ١٩ و٣٦ و٤٠ للإيناس والتلطف. وليرتب أي: إنما يقرره ليعترف بأنها عصا، ويتنبه إلى ما سيكون، ولايعتريه شك إذا انقلبت ثعبانًا، لتحقُّقه أن ذلك معجزة. والوثوب: القفز والنهوض للقيام. والغنم: القطيع من المعز والضأن. والأُخرى: المغايرة. والهوام: جمع هامّة. وهي الحشرة المؤذية. وألقها: اطرحها في الأرض. والثعبان: ذكر الأفاعي. والجانّ: الصغير منها. وآية: يعني الآيتين ١٠ من سورة النمل و٣١ من سورة القصص.

(٢) خذها: أمسكها. ونعيدها سيرتها: نرد هيئتها ونصيّرها سيرتها الأولى، بوضع يدك في فمها. وعادت: رجعت وصارت. وتبين: علم موسى. واضممها: أدخلها من فتحة العنق من القميص. وأخرجها: اسحبها. وتخرج: تظهر. والأدمة: السُّمرة. وبيضاء: مُبيَضّة. ومن غير: بدون. والسوء: القبح والأذى. وتُعشي البصر: تضعفه عن الرؤية. وآية: معجزة بينة. ونريك: نطلعك عِيانًا. و«الآية» الراجح أن العصا واليد هما بعض الآيات العظمى. البحر ٦: ٢٣٧.

(٣) رب: ياربي. وأمري: ما كلفتني به. واحلل: ارفع. والعقدة: الثقل عن التعبير. وبفيه: في فمه. انظر «المفصل». واجعل: صيّر. وأهل الإنسان: أسرته والأقربون من عشيرته. واشدد: ادعمْ وثبّتْ. وأشركه أي: اجعله مشاركًا في العمل. وبالمضارع المجزوم يريد القراءة «أَشدُدْ. . . وأُشْرِكْهُ». ونسبحك: ننزهك عما لايليق بجلالك. وكنت أي: ولاتزال.

(٤) أوتيت: أعطيت. والسؤل: المطلوب. ومننا: أنعمنا. ومرة أُخرى: منّة غير ما أنت عليه الآن. وأوحينا إليها: أعلمناها. انظر «المفصل». وأمرك: شأنك. والتابوت: صندوق من الخشب. ويلقيه: يضعه. وألقيت: جعلت. ومني: من عندي. وعلى عيني: على مرأى مني رعايتي. والعين صفة وصف الله بها نفسه كما يليق بجلاله.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

لمّا ولدتك وخافت أن يقتلك فِرعون، في جُملة من يُولد، ﴿ما يُوحَى﴾ ٣٨ في أمرك، ويُبدل منه: ﴿أنِ اقذِفيهِ﴾: ألقيه ﴿في التابُوتِ، فاقذِفيهِ﴾ بالتابوت ﴿في اليَمِّ﴾: بحر النيل، ﴿فليُلْقِهِ اليَمُّ بالسّاحِلِ﴾ أي: شاطئه - والأمر بمعنى الخبر - ﴿يأخُذْهُ عَدُوٌّ لي وعَدُوٌّ لَهُ﴾. وهو فِرعون. ﴿وألقيتُ﴾، بعد أن أخذَكَ، ﴿عليكَ مَحبّةً مِنّي﴾، لتُحبّ في الناس، فأحبّك فِرعونُ وكُلّ من رآك، ﴿ولِتُصنَعَ على عَيني﴾ ٣٩: تُربّى على رِعايتي وحِفظي لك.

١- ﴿إذ﴾: للتعليل ﴿تَمشِي أُختُكَ﴾ مريم، لتتعرّف خبرَك، وقد أحضروا مَراضِعَ، وأنتَ لا تقبل ثديَ واحدةٍ منها، ﴿فتقولُ: هَل أدُلُّكم على مَن يَكفُلُهُ﴾؟ فأُجيبتْ فجاءت بأمّه، فقبل ثديها، ﴿فرَجَعْناكَ إلى أُمِّكَ، كَي تَقَرَّ عَينُها﴾ بلقائك، ﴿ولا تَحزَنَ﴾ حينئذٍ. ﴿وقتَلتَ نَفسًا﴾، هو القِبطيّ بمِصر، فاغتممتَ لقتله من جهة فِرعون، ﴿فنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ، وفَتَنّاكَ فُتُونًا﴾: اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك، وخلّصناك منه، ﴿فلَبِثتَ سِنينَ﴾ عشرًا ﴿في أهلِ مَديَنَ﴾، بعد مجيئك إليها من مصر عِند شُعيبٍ النبيّ وتزوُّجك بابنته، ﴿ثُمّ جِئتَ على قَدَرٍ﴾ في عِلمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عُمرك - ﴿يا مُوسَى ٤٠ - واصطَنَعتُكَ﴾: اخترتك ﴿لِنَفسِيَ﴾ ٤١ بالرسالة.

٢- ﴿اذهَبْ أنتَ وأخُوكَ﴾ إلى الناس، ﴿بآياتي﴾ التسع، ﴿ولا تَنِيا﴾: تفتُرا ﴿في ذِكرِيَ﴾ ٤٢ بتسبيح وغيره. ﴿اذهَبا إلى فِرعَونَ - إنّهُ طَغَى﴾ ٤٣ بادعائه الربوبية - ﴿فقُولا لَهُ قَولًا لَيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ، ﴿أو يَخشَى﴾ ٤٤ اللهَ فيرجِعَ. والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا يرجع. ﴿قالا: رَبَّنا، إنَّنا نَخافُ أن يَفرُطَ علَينا﴾ أي: يَعجل بالعُقوبة، ﴿أو أن يَطغَى﴾ ٤٥ علينا أي: يتكبّر. ﴿قالَ: لا تَخافا، إنَّني مَعَكُما﴾ بعوني، ﴿أسمَعُ﴾ ما يقول، ﴿وأرَى﴾ ٤٦ ما يفعل، ﴿فأتِياهُ فقُولا: إنّا رَسُولا رَبِّكَ - فأرسِلْ مَعَنا بَني إسرائيلَ﴾ إلى الشام، ﴿ولا تُعَذِّبهُم﴾ أي: خلِّ عنهم، من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقّة، كالحفر والبناء وحمل الثقيل - ﴿قد جِئناكَ بآيَةٍ﴾: بِحُجّة ﴿مِن رَبِّكَ﴾، على صِدقنا بالرسالة. ﴿والسَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ ٤٧ أي: السلامة له من العذاب. ﴿إنّا قَد أُوحِيَ إلَينا أنَّ العَذابَ على مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به، ﴿وتَوَلَّى﴾ ٤٨ أعرض عنه.

٣- فأتَياه وقالا جميع ما ذُكر. ﴿قالَ: فمَن رَبُّكُما، يا مُوسَى﴾ ٤٩؟ اقتصر عليه لأنه الأصل، ولإدلاله عليه بالتربية. ﴿قالَ: رَبُّنا الّذِي أعطَى كُلَّ شَيءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُ﴾ الذي هو عليه، فتميّز به عن غيره، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ الحيوانَ منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه، وغير ذلك.

٤- ﴿قالَ﴾ فِرعون: ﴿فما بالُ﴾: حالُ ﴿القُرُونِ﴾: الأُمم ﴿الأُولَى﴾ ٥١، كقوم نوح وهود ولوط وصالح، في عبادتهم الأوثانَ؟ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿عِلمُها﴾ أي: عِلم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي في كِتابٍ﴾، هو اللوح المحفوظ، يُجازيهم عليها يوم القِيامة. ﴿لا يَضِلُّ﴾: يغيبُ ﴿رَبِّي﴾ عن شيء، ﴿ولا يَنسَى﴾ ٥٢ ربّي شيئًا. هو ﴿الّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جُملة الخلق ﴿الأرضَ مِهادًا﴾: فِراشًا، ﴿وسَلَكَ﴾: سهّل ﴿لَكُم فِيها سُبُلًا﴾: طُرُقًا، ﴿وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾: مطرًا.

---

(١) تمشي: تتنقل بين المنازل. ومريم هذه ليست أم عيسى. وهل أدلكم: هل تريدون أن أرشدكم. ويكفله: يرضعه ويربيه. ورجعناك: أعدناك. وتقر عينها: تطمئن ويهدأ قلبها. ولاتحزن: يزول عنها الغم. والقبطي قصته في الآية ١٥ من سورة القصص. ونجيناك: انقذناك. والغم: الحزن. والفتون: المحن الشديدة. ولبثت: أقمت. ومدين: مدينة النبي شُعيب. وقدر: وقت معين قدّرناه. ولنفسي أي: موضع الصنيعة، ومقر الإكمال والإحسان وتبليغ رسالتي وإقامة حججي.

(٢) الناس: فرعون ومن حوله. والآيات: المعجزات. والتسع: يعني ما ورد في الآية ١٠١ من سورة الإسراء. وما أرسلا به في هذه المناجاة كان العصا واليد فقط، وليس التسع. وطغى: تجاوز الحد. ويخشى: يتهيب. ونخاف: نخشى. ولاتخافا: كونا مطمئنَّين. وأسمع وأرى أي: وأحفظكما. وائتياه: احضُرا مجلسه. وأرسلهم: أطلقهم من التحكم ودعْهم يذهبون. والشام: بيت المقدس. وجئناك بآية: أتيناك ومعنا حجة. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واتبع الهدى: استجاب للحق وأسلم. وأوحي إلينا: أعلمَنا الله وأمرنا بالتبليغ. وكذب: أنكر وجحد.

(٣) اقتصر عليه أي: أن فرعون خص موسى بالتوجّه والنداء، لأنه الأصل في الرسالة، وليمنّ عليه بنشأته في قصره. وأعطاه: جعل فيه. وخلْقه: تكوينه وما يناسبه من الإتقان. وهدى: عرّفه كيف ينتفع بما أعطاه. والحيوان: مافيه حياة من المخلوقات.

(٤) القرون: جمع قرن. وفي عبادتهم أي: إن كان الحق ما وصفتَ فلِمَ كانت تلك الأمم على عبادة الأوثان؟ وماذا تقول في ذلك؟ وعند ربي: في علمه. واللوح المحفوظ: السجل فيه كل ما كان وماسيكون في الوجود. ولاينسى: لايذهل عن شيء. وجعل: صيّر. والسبل: جمع سبيل. وأنزل: أسقط إلى الأرض. والسماء: السحاب.

الجزء السادس عشر — سورة طه

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

١- قال تعالى، تتميمًا لما وصفه به مُوسَى، وخِطابًا لأهل مكّة: ﴿**فأخرَجْنا بِهِ أزواجًا**﴾: أصنافًا ﴿**مِن نَباتٍ شَتَّى**﴾ ٥٣: صفةُ «أزواجًا» أي: مُختلفةَ الألوانِ والطعوم وغيرِهما - وشتّى: جمع شَتيت كمريض ومرضَى، من: شَتَّ الأمرُ: تفرّقَ - ﴿**كُلُوا**﴾ منها، ﴿**وارعَوا أنعامَكُم**﴾ فيها: جمع نَعَم. هي الإبل والبقر والغنم. يقال: رَعَتِ الأنعامُ ورَعَيتُها. والأمر للإباحة وتذكيرِ النعمة. والجملة حال من ضمير «أخرجنا»، أي: مبيحين لكم الأكلَ ورعي الأنعام.

ربع الحزب ٣٢

﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ منّا ﴿**لَآياتٍ**﴾: لَعِبَرًا ﴿**لِأُولِي النُّهَى**﴾ ٥٤: لأصحاب العُقول، جمع نُهيةٍ كغُرفة وغُرَف، سُمّي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. ﴿**مِنها**﴾ أي: الأرض ﴿**خَلَقْناكُم**﴾ بخلق أبيكم آدم منها، ﴿**وفِيها نُعِيدُكُم**﴾ مقبورين بعد الموت، ﴿**ومِنها نُخرِجُكُم**﴾ عند البعث ﴿**تارةً**﴾: مرّة ﴿**أُخرَى**﴾ ٥٥، كما أخرجناكم عِند ابتداء خلقكم. ﴿**ولَقَد أرَيناهُ**﴾ أي: أبصرْنا فِرعونَ ﴿**آياتِنا كُلَّها**﴾ التسعَ، ﴿**فكَذَّبَ**﴾ بها وزعم أنها سِحر، ﴿**وأبَى**﴾ ٥٦ أن يُوحّد الله، تعالى.

٢- ﴿**قالَ: أجِئتَنا لِتُخرِجَنا مِن أرضِنا**﴾ مِصرَ، ويكونَ لك المُلك فيها، ﴿**بِسِحرِكَ، يا مُوسَى**﴾ ٥٧؟ ﴿**فلَنأتِيَنَّكَ بِسحرٍ مِثلِهِ**﴾ يُعارضُه. ﴿**فاجعَلْ بَينَنا وبَينَكَ مَوعِدًا**﴾ لذلك، ﴿**لا نُخلِفُهُ نَحنُ ولا أنتَ، مَكانًا**﴾: منصوبٌ بنزع الخافض «في»، ﴿**سِوًى**﴾ ٥٨ بكسر أوله وضمّه، أي: وَسَطًا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفينِ. ﴿**قالَ**﴾ موسى: ﴿**مَوعِدُكُم يَومُ الزِّينةِ**﴾: يوم عِيد لهم يتزيّنون فيه ويجتمعون، ﴿**وأن يُحشَرَ النّاسُ**﴾: يُجمعَ أهل مِصر ﴿**ضُحًى**﴾ ٥٩ وقّتَه للنظر فيما يقع. ﴿**فتَوَلَّى فِرعَونُ**﴾: أدبر، ﴿**فجَمَعَ كَيدَهُ**﴾ أي: ذوي كيده من السَّحَرَة، ﴿**ثُمَّ أتَى**﴾ ٦٠ بهم الموعدَ. ﴿**قالَ لَهُم مُوسَى**﴾، وهم اثنان وسبعون مع كُلّ واحد حبلٌ وعصًا: ﴿**وَيلَكُم**﴾ أي: ألزمَكُمُ اللهُ الويلَ. ﴿**لا تَفتَرُوا علَى اللهِ كَذِبًا**﴾ بإشراك أحد معه، ﴿**فيُسحِتَكُم**﴾ - بضمّ الياء وكسر الحاء وبفتحهما - أي: يُهلِكَكم ﴿**بِعذابٍ**﴾ من عِنده، ﴿**وقَد خابَ**﴾: خسر ﴿**مَنِ افتَرَى**﴾ ٦١: كذب على الله.

٣- ﴿**فتَنازَعُوا أمرَهُم بَينَهُم**﴾ في مُوسَى وأخيه، ﴿**وأسَرُّوا النَّجوَى**﴾ ٦٢ أي: الكلامَ بينهم فيهما، ﴿**قالُوا**﴾ لأنفسهم: ﴿**إنَّ هٰذَينِ**﴾ - لأبي عَمرو. ولغيرِه: «هٰذانِ»، وهو مُوافق للغة مَن يأتي في المُثنّى بالألف في أحواله الثلاث - ﴿**لَساحِرانِ، يُرِيدانِ أن يُخرِجاكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِما، ويَذهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى**﴾ ٦٣: مُؤنّث أمثل بمعنى أشرف أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما. ﴿**فاجمَعُوا كَيدَكُم**﴾ من السِّحر - بهمزة وصلٍ وفتح الميم، من: جَمَعَ أي: لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم مِن: أجمَعَ: أحكَمَ - ﴿**ثُمَّ ائتُوا صَفًّا**﴾: حالٌ أي: مصطفِّين، ﴿**وقَد أفلَحَ**﴾: فاز ﴿**اليَومَ مَنِ استَعلَى**﴾ ٦٤: غلب.

---

(١) الظاهر أن حكاية كلام موسى تمت في آخر الآية ٥٢، خلافًا لما ذكر المحلي هنا، والخطاب بعدُ للناس جميعًا. البحر ٦:٢٥١. وأخرجنا: أبرزنا من الأرض. وبه: بسبب الماء. والأزواج: جمع زوج. وتفرق: تنوع. وارعوها: دعوها تسرح لتتغذى. وأنعامكم أي: وغيرها من الحيوانات، كالخيل والحمير. والنعمة أي: بالنعمة. والجملة أي: كلوا. انظر «المفصل». والقبائح: الأعمال الفاسدة. وخلقنا: أوجدنا. والأرض أي: ترابها. ونعيدكم: نردكم ونرجعكم. ونخرجكم: نبرزكم ونخلقكم. والتارة الأُخرى: الإخراجة الثانية المغايرة. وفي إيراد الآية ٥٦ ما ييسر الرجوع إلى قصة موسى مع فرعون، بعد الاعتراض بالآيات ٥٣-٥٥. والآيات: المعجزات الدالة على صدق موسى. والتسع: انظر تفسير الآية ٤٢. وكذب بها: أنكر أنها من عندنا. وأبى: رفض وامتنع.

(٢) قال أي: فرعون بعد مارأى آيَتَيِ العصا واليد. وتخرجنا أي: توهم الناس أنك نبي، فتخرجني مع أتباعي. والسحر: ما يخدع الحواس والعقول الساذجة، ويخيل لها غير الواقع. ومثله: مماثل إياه في الخصائص والتأثير. واجعل: صيّر. وموعدًا: مكان وعد نتعهد بحضوره. ولانخلفه: لانخل الوفاء به. وبضمه يريد القراءة «سُوًى». والجائي: الآتي. ومن الطرفين أي: على الذين يأتون إليه من طرفيه. وموعدكم: وقت لقائكم. والزينة: التزين. وأدبر: انصرف من المجلس. والكيد: الاحتيال بما يخدع الناس. وأتى: جاء. واثنان وسبعون أي: ساحرًا، وأكثرهم من بني إسرائيل، أحدهم السامري اللعين. والويل: العذاب والهلاك. وألزمكم: أوجب عليكم. ولاتفتروا: لاتكذبوا. وبفتحهما يريد القراءة «فيَسحَتَكُم». والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة.

(٣) تنازعوا: تشاوروا فكان لهم آراء مختلفة، قبل أن يتفقوا على قولهم في الآيتين التاليتين. وأسر: أخفى وكتم. والنجوى: الكلام الخفي. ولأنفسهم أي: بعضهم لبعض سرًا. ولغيره هذان أي: أن هذه القراءة الثانية هي لغير أبي عمرو بن العلاء، والأُولى هي لأبي عمرو. انظر «المفصل». والساحر: من يخدع الحواسّ والعقول الساذجة، ويخيِّل إليها غير الواقع. ويريد: يطلب. ويذهب: يغادر مصر. والمثلى: الأكثر جودة من غيرها. وبهمزة قطع يريد القراءة «فأجمِعُوا». والمراد إحكام السحر وإتقانه، لتكون له الغلبة. وغلب: تغلب على خصمه في المقابلة والمعارضة.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

١- **﴿قالُوا: يا مُوسَى﴾**، اخترْ **﴿إمّا أن تُلقِيَ﴾** عصاك أي: أوّلًا، **﴿وإمّا أن نكونَ أوّلَ مَن ألقى﴾** ٦٥ عصاه. **﴿قالَ: بَل ألقوا﴾**. فألقوا، **﴿فإذا حِبالُهُم وعِصِيُّهُم﴾** - أصله «عُصُوْوٌ» قُلبَتِ الواوان ياءين، وكُسرَتِ العينُ والصاد - **﴿يُخَيَّلُ إلَيهِ مِن سِحرِهِم أنّها﴾** حيّاتٌ **﴿تسعَى﴾** ٦٦ على بُطونها، **﴿فأوجَسَ﴾**: أحسّ **﴿في نَفسِهِ خِيفةً مُوسَى﴾** ٦٧ أي: خاف، من جِهة أنّ سِحرهم يكون من جِنس مُعجزته، أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به.

٢- **﴿قُلنا﴾** له: **﴿لا تَخَفْ. إنَّكَ أنتَ الأعلَى﴾** ٦٨ عليهم بالغلبة. **﴿وألقِ ما في يَمِينِكَ﴾** - وهي عصاه - **﴿تَلَقَّفْ﴾**: تبتلعْ **﴿ما صَنَعُوا. إنَّ ما صَنَعُوا كَيدُ ساحِرٍ﴾** أي: جِنسُه، **﴿ولا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أتى﴾** ٦٩ بسِحره. فألقى مُوسَى عصاه فتلقّفتْ كُلّ ما صنعوه، **﴿فأُلقِيَ السَّحَرةُ سُجَّدًا﴾**: خرّوا، ساجدين لله - تعالى - **﴿قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ ومُوسَى﴾** ٧٠.

٣- **﴿قالَ﴾** فِرعون: **﴿آمَنتُم﴾** - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا - **﴿لَهُ قَبلَ أن آذَنَ﴾** أنا **﴿لَكُم؟ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾**: مُعلّمُكم **﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ. فلَأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ﴾**: حالٌ بمعنى: مُختلِفةً، أي: الأيديَ اليُمنى والأرجُلَ اليُسرى، **﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذُوعِ النَّخلِ﴾** أي: عليها، **﴿ولَتَعلَمُنَّ: أيُّنا﴾** - يعني نفسَه وربَّ مُوسَى - **﴿أشَدُّ عَذابًا وأبقَى﴾** ٧١: أدوَمُ، على مخالفته؟

٤- **﴿قالُوا: لَن نُؤثِرَكَ﴾**: نختارك **﴿عَلَى ما جاءَنا مِنَ البَيِّناتِ﴾** الدالّة على صِدق مُوسَى، **﴿والَّذِي فَطَرَنا﴾**: خلقنا. قسمٌ أو عطفٌ على «ما». **﴿فاقضِ ما أنتَ قاضٍ﴾** أي: اصنعْ ما قلتَه. **﴿إنَّما تَقضِي هٰذِهِ الحَياةَ الدُّنيا﴾** ٧٢ - النصبُ على الاتّساع - أي: فيها، ونُجزَى عليه في الآخرة. **﴿إنّا آمَنّا بِرَبِّنا، لِيَغفِرَ لَنا خَطايانا﴾**، من الإشراك وغيره، **﴿وما أكرَهتَنا عَلَيهِ مِنَ السِّحرِ﴾** تعلّمًا، وعملًا لمُعارضة موسى. **﴿واللهُ خَيرٌ﴾** منك ثوابًا إذا أُطيع، **﴿وأبقَى﴾** ٧٣ منك عذابًا إذا عُصي.

٥- قال تعالى **﴿: إنَّهُ مَن يأتِ رَبَّهُ مُجرِمًا﴾**: كافرًا، كفِرعَونَ، **﴿فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ، لا يَمُوتُ فِيها﴾** فيستريحَ، **﴿ولا يَحيا﴾** ٧٤ حياة تنفعه، **﴿ومَن يأتِهِ مُؤمِنًا، قَد عَمِلَ الصّالِحاتِ﴾**: الفرائض والنوافل، **﴿فأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى﴾** ٧٥: جمع عُليا مُؤنّث أعلى، **﴿جَنّاتُ عَدنٍ﴾** أي: إقامةٍ، بيانٌ له، **﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها. وذٰلِكَ جَزاءُ مَن تَزَكَّى﴾** ٧٦: تطهَّر من الذنوب.

---

(١) قالوا أي: السحرة. وتلقي: تُسقط على الأرض. والأول: الأسبق. والحبال: جمع حبل. والعصي: جمع عصا. ويخيل: يصوّر. وتسعى: تتحرك وتنتقل بسرعة. والنفس: الضمير. والخيفة: خوف شديد مفاجئ. ويلتبس أمره: يختلط شأن معجزته بما ظهر من سحرهم، لأن ظاهر الأمرين أنهما أفاعٍ متوثبة من جنس واحد.

(٢) لا تخف: اطمئن. والأعلى: الأكثر ظهورًا. وصنعوا: أتقنوه ممالا حقيقة له. والكيد: الحيلة بما يخدع. واليمين: اليد اليمنى. وتبلعه: تمحقه وتبطله. والساحر: من يقوم بالسحر. ويفلح: يظفر ببغيته. وأتى بسحره أي: فَعله. والسحرة: جمع ساحر. والسجّد: جمع ساجد خضوعًا. وآمن به: صدّقه وعرف قلبه التوحيد له.

(٣) آمنتم له: صدّقتموه. وفي المنحة: «أأمنتم». وبالإبدال يريد القراءة: «آمَنْتُم» بمد مطول. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٢٣ من سورة الأعراف. وآذن: أسمح. وأقطع: أمزق. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. والخلاف: مخالفة العضو لغيره في الجهة. وأصلبنكم: أجعلنكم مصلوبين. والجذوع: جمع جذع. وهو الساق. والنخل: الشجر ثمره البلح. وتعلم: تتيقن. والأشد: الأقوى. والعذاب: التعذيب. وعلى أي: بسبب.

(٤) جاءنا: أتانا ورأيناهُ عِيانًا. وقسم أو عطف: يعني أن الواو: حرف جر معناه القسم، أو حرف عطف. وقاض: حاكم. وتقضي: تصنع. وعلى الاتساع: انظر «المفصل». والدنيا: القريبة من البشر لأنهم فيها. ونجزى: نكافأ. وآمنا به: اعتقدنا وحدانيته. ويغفرها: يسترها ولايؤاخذ بها. والخطايا: جمع خطيئة. وهي ما كان من الذنب عن عمد. وأكرهتنا: أجبرتنا. وخير: أفضل وأنفع. وأبقى: أدوَم وأثبت.

(٥) يأتي ربه: يحضر حسابه يوم القيامة. وجهنم: التعذيب الذي فيها. ولايموت: لايكون فيه الموت. ولايحيا: لاتكون فيه الحياة. والمراد أنه يقارب الموت، ولا يُجهَز عليه. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب وتحمل. والدرجة: الرتبة والمنزلة. والجنّة: الحديقة فيها الشجر والقصور والنعيم. وبيان له: يعني أن «جنات»: عطف بيان لقوله تعالى «الدرجات»، يفيد التوضيح مع التوكيد والتعظيم. انظر فتح القدير ٣:٥٣٣. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا بلا تعرض للفساد. وذلك: ماذكر من الثواب. والجزاء: المكافأة. ومن الذنوب يعني: بالتوبة والصلاح والتقوى.

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

١- ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى: أنْ أسْرِ بعِبادِي**﴾ - بهمزة قطع من: أسرَى، وبهمزة وصل وكسر النون من: سَرَى. لُغتانِ - أي: سِر بهم ليلًا من أرض مِصر، ﴿**فاضربْ**﴾: اجعل ﴿**لهم**﴾، بالضرب بعصاك، ﴿**طريقًا في البحرِ يَبَسًا**﴾ أي: يابسًا - فامتثلَ ما أمر به وأيبسَ الله الأرض فمرّوا فيها - ﴿**لا تخافُ دَرَكًا**﴾ أي: أن يُدرِكك فِرعون ﴿**ولا تخشَى**﴾ ٧٧ غرقًا. ﴿**فأتبعَهُم فِرعَونُ بجُنودِهِ**﴾، وهو معهم، ﴿**فغشِيَهُم مِنَ اليَمِّ**﴾ أي: البحر ﴿**ما غشِيَهُم**﴾ ٧٨ فأغرقهم! ﴿**وأضَلَّ فِرعَونُ قَومَهُ**﴾، بدُعائهم إلى عِبادته، ﴿**وما هَدَى**﴾ ٧٩، بل أوقعهم في الهلاك، خِلافَ قوله «وما أهدِيكُم إلّا سَبِيلَ الرَّشاد».

الحزب ٣٢

٢- ﴿**يا بَني إسرائيلَ، قد أنجيناكُم مِن عَدُوِّكُم**﴾ فِرعَونَ بإغراقه، ﴿**ووَعَدْناكُم جانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ**﴾، فنُؤتي مُوسَى التوراةَ للعمل بها، ﴿**ونزَّلْنا عليكُمُ المَنَّ والسَّلوَى**﴾ ٨٠ هما التُّرَنْجبِينُ والطيرُ السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر. والمُنادى مَن وُجِد من اليهود، زمنَ النبيّ ﷺ. وخُوطِبوا بما أنعم الله به على أجدادهم، زمنَ النبيّ مُوسَى - عليه السلام - توطِئةً لقوله تعالى لهم: ﴿**كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رزَقْناكُم**﴾ أي: المُنعَم به عليكم، ﴿**ولا تطغَوا فِيهِ**﴾ بأن تكفروا النِّعمة به، ﴿**فيَحِلّ عليكُم غَضَبي**﴾، بكسر الحاء أي: يَجِبَ، وبضمّها أي: ينزلَ. ﴿**ومَن يَحلِلْ عليهِ غَضَبي**﴾ - بكسرِ اللام وضمِّها - ﴿**فقد هَوَى**﴾ ٨١: سقط في النار. ﴿**وإنّي لَغفّارٌ لِمَن تابَ**﴾ من الشِّرك، ﴿**وآمَنَ**﴾: وحّد الله، ﴿**وعَمِلَ صالِحًا**﴾ يَصدُق بالفرض والنفل، ﴿**ثُمّ اهتَدَى**﴾ ٨٢ باستمراره على ما ذُكر إلى موته.

٣- ﴿**وما أعجلَكَ عَن قَومِكَ**﴾، لمجيء مِيعاد أخذ التوراة؟ ﴿**يا مُوسَى**﴾ ٨٣. **قالَ: هُم أولاءِ**﴾ أي: بالقرب منّي يأتون ﴿**على أثَري، وعَجِلتُ إلَيكَ - رَبِّ - لِتَرضَى**﴾ ٨٤ عنّي أي: زيادةً على رضاك. وقبلَ الجوابِ أتى بالاعتذار بحسَب ظنّه، وتخلّفَ المظنون لِما ﴿**قالَ**﴾ تعالى: ﴿**فإنّا قد فتَنّا قَومَكَ مِن بَعدِكَ**﴾ أي: بعدِ فراقك لهم، ﴿**وأضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ**﴾ ٨٥ فعبدوا العِجلَ.

٤- ﴿**فرَجَعَ مُوسَى إلى قَومِهِ غَضبانَ**﴾ من جِهتهم، ﴿**أسِفًا**﴾: شديد الحُزن. ﴿**قالَ: يا قَوم، ألَم يَعِدْكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا**﴾ أي: صِدقًا أنه يُعطيكم التوراة؟ ﴿**أفطالَ علَيكُمُ العَهدُ**﴾: مُدّةُ مُفارقتي إياكم؟ ﴿**أم أرَدتُم أن يَحِلّ**﴾: يجبَ ﴿**عليكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم**﴾ بعبادتكم العجلَ، ﴿**فأخلَفتُم مَوعِدي**﴾ ٨٦ وتركتم المجيء بعدي. ﴿**قالُوا: ما أخلَفْنا مَوعِدَكَ بِملكِنا**﴾، مُثلّث الميم أي: بقُدرتنا أو أمرنا، ﴿**ولٰكِنّا حَمَلْنا**﴾ - بفتح الحاء مُخفّفًا وبضمّها وكسر الميم مُشدّدًا - ﴿**أوزارًا**﴾: أثقالًا ﴿**مِن زينةِ القَومِ**﴾ أي: حُليّ قوم فِرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعِلّة عُرس فبقيتْ عندهم، ﴿**فقذَفْناها**﴾: طرحناها في النار بأمر السامريّ. ﴿**فكَذٰلِكَ**﴾: كما ألقينا ﴿**ألقَى السّامِرِيُّ**﴾ ٨٧ ما معه من حُليّهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جِبريل، على الوجه الآتي:

(١) أوحينا إليه: أمرناه. والعباد: جمع عبد. وبهمزة وصل يريد القراءة: «أنِ اسْرِ». والطريق: المسلك تطؤه الأقدام. انظر تعليقنا على الآية ٦٣ من سورة الشعراء. والبحر معروف الآن باسم الأحمر. وتخاف: تتوقع. وتخشى: ترهب. وأتبعهم: أرسل وراءهم. والجنود: واحده جندي. وغشيهم: طمرهم. وأغرقهم أي: البحر. وقومه: الأقباط العرب. وما هدى: ما أرشدهم إلى الصواب. وقوله في الآية ٢٩ من سورة غافر.

(٢) بنو إسرائيل: سلالته اليهود من ذريته. وأنجينا: أنقذنا. ووعدناكم: حددنا لكم وقتًا. وفيما عدا الأصل وخ: «وواعَدْناكُم». والجانب: الطرف. والطور: جبل في سيناء. والأيمن: ما فيه الخير والبركة. ونزلنا: أسقطنا. والترنجبين: نوع من الحلوى كالثلج. والتوطئة: التمهيد. والطيب: الحلال المستلذ. ورزقناكم: أنعمنا به عليكم. ولاتطغوا: لاتتجاوزوا بالإسراف ومنع الحقوق وعدم الشكر. والغضب: السخط العظيم. وبضمها يريد القراءة «فيَحُلَّ». وبضمها أيضًا يريد القراءة «يَحْلُلْ». والغفار: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والصالح: ما شرعه الله. واهتدى: استقام على الحق.

(٣) أعجلك: أوجب سبقك. وعجلت: سبقتهم. ورب: ياربي. حذف حرفُ النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه، وياءُ المتكلم للتخفيف. ولما قال تعالى أي: لقول الله. يعني أن هذه الآية دليل على تخلف المظنون. وفتناهم: ابتليناهم بما يمتحن إخلاصهم. والسامري: صائغ منافق من بني إسرائيل اسمه موسى بن ظفر، أحد سحرة فرعون.

(٤) رجع: عاد من موقف المناجاة. والغضبان: الشديد السخط. ويعدكم: يؤمّلكم خيرًا. ومن ربكم: من عنده. وأخلفتم موعدي: نقضتم ما تعهدتم به. ومثلث الميم يعني قراءات ثلاثًا، بتحريك الميم ثلاث حركات: إحداها ما أثبتنا، و«بِمَلكِنا»، و«بمُلكِنا»، أي: ونحن مالكون لزمام أمرنا. ومشددًا يريد القراءة «حُمِّلْنا». والأوزار: جمع وِزر. والزينة: ما يُتزين به من مصوغات. وبعلة عرس أي: بادعاء أنهم يحتفلون بعرس، استعاروا تلك الحلي. وألقى: رماه في النار. وذكر حافر فرس جبريل كلام باطل لا أصل له. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٩٦.

الجزء السادس عشر سورة طه

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

١ - ﴿**فأخرجَ لَهُم عِجلًا**﴾، صاغه من الحُليّ، ﴿**جَسَدًا**﴾ لحمًا ودمًا ﴿**لَهُ خُوارٌ**﴾ أي: صوت يُسمع، أي: انقلبَ كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياةُ فيما يُوضع فيه، ووضعَه بعد صوغه في فمه، ﴿**فقالُوا**﴾ أي: السامريّ وأتباعه: ﴿**هٰذا إلٰهُكُم وإلٰهُ مُوسَى، فنَسِيَ**﴾ ٨٨ مُوسَى ربّه هنا وذهب يطلبه.

٢ - قال تعالى: ﴿**أفلا يَرونَ أنْ**﴾ - مُخففةٌ من الثقيلة واسمها محذوف - أي: أنّه ﴿**لا يَرجِعُ**﴾ العجلُ ﴿**إليهِم قَولًا**﴾ أي: لا يردّ لهم جوابًا، ﴿**ولا يَملِكُ لَهُم ضَرًّا**﴾ أي: دَفْعَه ﴿**ولا نفعًا**﴾ ٨٩ أي: جَلْبَه؟ أي: فكيف يُتّخذ إلٰهًا؟ ﴿**ولَقد قالَ لَهُم هارُونُ، مِن قَبلُ**﴾ أي: من قبلِ أن يرجع مُوسَى: ﴿**يا قَومِ، إنّما فُتِنتُم بِهِ، وإنَّ رَبّكُمُ الرَّحمٰنُ. فاتَّبِعُوني**﴾ في عِبادته، ﴿**وأطِيعُوا أمري**﴾ ٩٠ فيها. ﴿**قالُوا: لَن نَبرَحَ**﴾: نزالَ ﴿**عليهِ عاكِفِينَ**﴾: على عِبادته مُقيمين، ﴿**حَتَّى يَرجِعَ إلَينا مُوسَى**﴾ ٩١.

٣ - ﴿**قالَ**﴾ موسى بعد رُجوعه: ﴿**يا هارُونُ، ما مَنَعَكَ، إذ رأيتَهُم ضَلُّوا**﴾ ٩٢ بعِبادته، ﴿**ألّا تَتَّبِعَني**﴾؟ لا: زائدة. ﴿**أفعَصَيتَ أمري**﴾ ٩٣ بإقامتك بين مَن يعبد غير الله؟ ﴿**قالَ**﴾ هارون: ﴿**يا بنَ أُمَّ**﴾، بكسر الميم وفتحها أراد: أُمّي. وذِكرها أعطفُ لقلبه. ﴿**لا تأخُذْ بلِحيَتي**﴾، وكان أخذها بشِماله، ﴿**ولا برأسِيَ**﴾. وكان أخذ شعره بيمينه غضبًا. ﴿**إنّي خَشِيتُ**﴾ - لو اتّبعتك، ولا بُدّ أن يتبعني جمع ممّن لم يعبد العِجل - ﴿**أن تَقُولَ: فَرَّقتَ بَينَ بَني إسرائيلَ**﴾، وتغضبَ عليَّ، ﴿**ولَم تَرقُبْ**﴾: تنتظر ﴿**قَولي**﴾ ٩٤ فيما رأيتُه في ذلك.

٤ - ﴿**قالَ: فما خَطبُكَ**﴾: شأنك الداعي إلى ما صنعت؟ ﴿**يا سامِرِيُّ ٩٥. قالَ: بَصُرتُ بِما لَم يَبصُرُوا بِهِ**﴾ - بالياء والتاء - أي: علمتُ ما لم يعلموه، ﴿**فقَبَضتُ قَبضةً مِن**﴾ تُرابِ ﴿**أثَرِ**﴾ حافرِ فرسِ ﴿**الرَّسُولِ**﴾ جبريلَ، ﴿**فنَبَذتُها**﴾: ألقيتها في صورة العجل المصوغ. ﴿**وكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ**﴾: زيّنت ﴿**لي نَفسِي**﴾ ٩٦، وأُلقي فيها أن آخذَ قبضة من تُراب ما ذُكر، وأُلقيَها على ما لا روح له، فيصير له روح. ورأيتُ قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلٰهًا، فحدّثتْني نفسي أن يكون ذلك العِجل إلٰههم. ﴿**قالَ**﴾ له مُوسَى: ﴿**فاذهَبْ**﴾ من بيننا. ﴿**فإنَّ لَكَ في الحَياةِ**﴾ أي: مُدّةِ حياتك ﴿**أن تَقُولَ**﴾ لمن رأيته: ﴿**لا مِساسَ**﴾ أي: لا تقربْني - فكان يهيم في البرّيّة، وإذا مسّ أحدًا أو مسّه أحد حُمّا جميعًا - ﴿**وإنَّ لَكَ مَوعِدًا**﴾ لعذابك ﴿**لَن تُخلَفَهُ**﴾، بكسر اللام، أي: لن تَغيبَ عنه، وبفتحها أي: بل تُبعَث إليه. ﴿**وانظُرْ إلى إلٰهِكَ الّذي ظَلْتَ**﴾ - أصله «ظَلِلْت» بلامين أولاهما مكسورة حُذفت تخفيفًا - أي: دُمت ﴿**عليهِ عاكِفًا**﴾ أي: مُقيمًا تعبده. ﴿**لَنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ بالنار، ﴿**ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسفًا**﴾ ٩٧ نُذريَنّه في هواء البحر. وفعلَ مُوسَى بعد ذبحه ما ذَكره. ﴿**إنَّما إلٰهُكُمُ اللهُ الّذي لا إلٰهَ إلّا هُوَ، وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا**﴾ ٩٨: تمييز مُحوّل من الفاعل، أي: وسع علمُه كُلّ شيء.

---

(١) عجلًا: صنمًا في صورة العجل. وهو ولد البقرة، جثة جامدة من المعادن، وكانت الريح تجري في جوفه، فيصدر ما يشبه الخوار. وانظر تعليقنا على الآية ٩٦ وعلى تفسير الآية ١٤٨ من سورة الأعراف. والإلٰه: المعبود بحق. ونسي: نسيه، أي: غفل عنه وتركه.

(٢) يرون: يعلمون. ولايملك: لايقدر. والضر: الأذى. والنفع: ما فيه الخير. وفتنتم: ابتليتم بمحنة تصرفكم عن الإيمان. وبه: بالعجل وعبادته. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. واتبعوني: استجيبوا لي. وأطيعوا أمري: امتثلوا ما آمركم به. ويرجع: يعود من المناجاة.

(٣) منعك: صدك. ورأيتهم: بصرت بهم. وضلوا: خرجوا عن الإيمان. وتتبعني: تلحقني إلى الجبل لتخبرني بما حصل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «تَتَّبِعَنِ»، بحذف ياء المتكلم تبعًا لرسم المصاحف. وزيادة «لا» في «ألّا»: للتوكيد. وعصيت: خالفت. والأمر: الطلب بما يجب. وبفتحها يريد القراءة «يا بنَ أُمَّ». انظر الآية ١٥٠ من سورة الأعراف. وأعطفُ: أدخل في الرقة. وتأخذ بها: تمسكها وتجرها. وخشيت: خفت. وفرقت بينهم: جعلتهم يختصمون. ورأيته: اجتهدتُه من البقاء بينهم.

(٤) بالتاء يريد القراءة «لَم تَبصُرُوا بِهِ». والقبضة: ما يملأ الكف. والأثر: ما يَتركه المشي على التراب. وبنو إسرائيل اليهود يكفرون بجبريل، ولايقبلون منه شيئًا. فكيف يؤمنون بتراب حافر فرسه؟ وجبريل مخلوق نوراني، لا يحتاج إلى فرس. والرسول هنا هو موسى - عليه السلام - خاطبه السامري بذلك، كما يخاطب الإنسان صاحبه بقوله: ما يقول الأخ في كذا؟ البحر ٦:٢٧٤ والمفصل. ولم يكن للعجل روح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٨٨. والمِساس: اللمس باليد أو غيرها، أي: لا تَمَسَّني ولا أَمَسَّك. وحُم: أصابته الحمّى. وبفتحها يريد القراءة «لَن تُخلَفَهُ». والذبح والإحراق بالنار مبنيان على أن العجل له لحم ودم. وقد ذكرنا أن هذا من أساطير الإسرائيليات، وأن العجل ليس كذلك، وهو جماد مصوغ من الحلي. ونحرّقنّه: نَبرُدَنّه بالمِبرد بردًا نمحقه به. البحر ٦:٢٧٦. وإلٰهك: معبودك. ونذريه: نلقيه بتفرقة وتشتيت. والإلٰه: المعبود بحق وحده. ووسعه: احتواه وحفظه. والعلم: الإحاطة المطلقة.

سورة طه الجزء السادس عشر

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

١- ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: كما قصصنا عليك - يا مُحمّد - هذه القِصّة ﴿**نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ**﴾: أخبارِ ﴿**ما قد سَبَقَ**﴾ من الأمم، ﴿**وقد آتيناكَ**﴾: أعطيناك ﴿**مِن لَدُنّا**﴾: من عِندنا ﴿**ذِكرًا**﴾ ٩٩: قرآنًا، ﴿**مَن أعرَضَ عَنهُ**﴾ فلم يُؤمن به ﴿**فإنَّهُ يَحمِلُ يومَ القيامةِ وِزْرًا**﴾ ١٠٠: حِملًا ثقيلًا من الإثم، ﴿**خالِدِينَ فِيهِ**﴾ أي: في عذاب الوزر، ﴿**وساءَ لَهُم يَومَ القيامةِ حِملًا**﴾ ١٠١! تمييزٌ مُفسِّر للضمير في «ساء» - والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: وِزرُهم. واللام: للبيان - ويبدل من «يومَ القيامة»: ﴿**يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الثانية، ﴿**ونَحشُرُ المُجرِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**يَومَئذٍ زُرقًا**﴾ ١٠٢ عيونُهم، مع سواد وجوههم، ﴿**يَتخافَتُونَ بَينَهُم**﴾: يتسارّون ﴿**إن**﴾: ما ﴿**لَبِثتُم**﴾ في الدنيا ﴿**إلّا عَشْرًا**﴾ ١٠٣ من الليالي بأيامها. ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولُونَ**﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا، ﴿**إذ يَقُولُ أمثَلُهُم**﴾: أعدلُهم ﴿**طَرِيقَةً**﴾ فيه: ﴿**إن لَبِثتُم إلّا يَومًا**﴾ ١٠٤. يستقلّون لَبثهم في الدنيا جِدًّا، لما يُعاينونه في الآخرة من أهوالها.

٢- ﴿**ويَسألُونَكَ عَنِ الجِبالِ**﴾: كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**يَنسِفُها رَبِّي نَسفًا**﴾ ١٠٥، بأن يُفتّتها كالرمل السائل ثمّ يُطيّرَها بالرياح، ﴿**فيَذَرُها قاعًا**﴾: مُنبسطًا ﴿**صَفصَفًا**﴾ ١٠٦: مُستويًا، ﴿**لا تَرَى فِيها عِوَجًا**﴾: انخفاضًا، ﴿**ولا أمْتًا**﴾ ١٠٧: ارتفاعًا.

٣- ﴿**يَومَئذٍ**﴾ أي: يوم إذ نُسفتِ الجبالُ، ﴿**يَتّبِعُونَ**﴾ أي: الناسُ، بعد القِيام من القُبور، ﴿**الدّاعِيَ**﴾ إلى المحشر بصوته - وهو إسرافيل يقول: هلمّوا إلى عرض الرحمن - ﴿**لا عِوَجَ لَهُ**﴾ أي: لاتّباعهم، أي: لا يقدرون ألّا يتّبعوا، ﴿**وخَشَعَتِ**﴾: سَكنَتِ ﴿**الأصواتُ لِلرَّحمٰنِ، فلا تَسمَعُ إلّا هَمسًا**﴾ ١٠٨: صوتَ وطء الأقدام، في نقلها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها، ﴿**يَومَئذٍ لا تَنفَعُ الشَّفاعةُ**﴾ أحدًا ﴿**إلّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ**﴾، أن يُشفع له، ﴿**ورَضِيَ لَهُ قَولًا**﴾ ١٠٩ بأن يقول: لا إله إلّا الله، ﴿**يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم**﴾ من أمور الآخرة، ﴿**وما خَلفَهُم**﴾ من أُمور الدنيا، ﴿**ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا**﴾ ١١٠ لا يعلمون ذلك، ﴿**وعَنَتِ الوُجُوهُ**﴾: خضعتْ ﴿**لِلحَيِّ القَيُّومِ**﴾ أي: الله، ﴿**وقَد خابَ**﴾: خسر ﴿**مَن حَمَلَ ظُلمًا**﴾ ١١١ أي: شِركًا، ﴿**ومَن يَعمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ**﴾: الطاعات، ﴿**وهُوَ مُؤمِنٌ، فلا يَخافُ ظُلمًا**﴾ بزيادة في سيّئاته، ﴿**ولا هَضمًا**﴾ ١١٢ بنقص من حسناته.

٤- ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾ معطوف على «كَذٰلِكَ نَقُصّ»، أي: مثلَ إنزال ما ذُكر ﴿**أنزَلناهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا، وصَرَّفنا**﴾: كرّرنا ﴿**فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ الشِّرك، ﴿**أو يُحدِثُ لَهُم**﴾ القُرآنُ ﴿**ذِكرًا**﴾ ١١٣، بهلاكِ مَن تقدّمهم من الأُمم، فيعتبرون. ﴿**فتَعالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ**﴾ عمّا يقول المُشركون! ﴿**ولا تَعجَلْ بالقُرآنِ**﴾ أي: بقراءته، ﴿**مِن قَبلِ أن يُقضَى إلَيكَ وَحيُهُ**﴾ أي: يَفرغَ جبريل من إبلاغه، ﴿**وقُلْ: رَبِّ، زِدْني عِلمًا**﴾ ١١٤

---

(١) نقص: نسرد. والأنباء: جمع نبأ. وسبق: مضى. والذكر: مافيه تذكير ووعظ. وأعرض: انصرف. ويحمل: يكلف بالحمل ونيل الجزاء. واليوم: الوقت. والقيامة: بعث الناس للحساب. والمراد بالوزر: عقوبته. والخالد: المقيم أبدًا. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح. والضمير: الفاعل، أي: الحملُ. والمخصوص: المبتدأ خبره جملة «ساء». وللبيان أي: لبيان الموجّه إليه الذم والتشنيع. وينفخ: يدفع الريح من فم إسرافيل. ونحشر: نُخرج من القبور. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وقصد. والزرق: جمع أزرق. والمراد زرقة الجلود، لا العيون، من مكابدة الشدائد. ولبثتم: أقمتم. وأعلم: أكثر إحاطة منهم. والطريقة: الرأي. واليوم: ليل ونهار. (٢) يسأل: يطلب جوابًا. انظر «المفصل». والجبال: جمع جبل. وهو ما علا وصلب من الأرض. وينسفها: يدكّها ويفجّرها. والرب: الخالق المالك المتصرف يرعى مصالح ملكه. ويذرها: يجعلها. ولا ترى: لاتبصر. والخطاب لكل سامع أو قارئ. يعني: لايكون فيها شيء من ذلك لتراه أنت أو غيرك. (٣) يتبعونه: يتوجهون إليه. والداعي: جبريل لا إسرافيل. والنافخ في الصور: إسرافيل. وعرض الرحمن: العرض عليه للحساب. والعوج: الزيغ. وللرحمن: لهيبته وجلاله. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والأصوات: جمع صوت. والهمس: الصوت الخفي. وتنفع: تفيد. والشفاعة: طلب التجاوز عن الذنب. وأذن: سمح. وله: لأجله. ورضي: قبل. والقول المذكور هو عبارة التوحيد التي كان يقولها في الدنيا. ويعلمه: يحيط به بالغَ الإحاطة. وما بين أيديهم: ما سيحصل لهم. وما خلفهم: ما مضى قبل. ويحيط به: يدركه. والعلم: الدراية اليقينية. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والوجوه: جمع وجه. وللحي: لعظمته وجلاله. وهو الدائم الوجود. والقيوم: الدائم القيام بتدبير الخلق. وحمل: اكتسب بالنية والقول والعمل. (٤) ما ذكر أي: القصص المتقدمة. وأنزلناه: أوحيناه. وعربيًا: بلغة المخاطبين. والوعيد: التهديد بالانتقام. ويتقون: يتجنبون العصيان ويلزمون الطاعة. ويحدثه: يوجده. والذكر: الاتعاظ. وتعالى: تعظم وتنزه. والملك: المالك للخلق. والحق: الثابت في ذاته وصفاته. ولا تعجل: تمهل في التلاوة والحفظ. والوحي: التنزيل. وفي لباب النقول أن النبي ﷺ كان، إذا نزل عليه جبريل بالوحي، يُتعب نفسه في ترداده وحفظه، قبل أن ينتهي جبريل. فنزلت الآية. ورب أي: ياربي. وزدني: أضف إليّ. والعلم: المعرفة. ومن قبلُ: من قبلِ أن نعهد إليك بما ذكرنا، لا كما ذكر المحلي. انظر «المفصل». ونجد: نعلم، أي: لم يكن له في علمنا عزم. وعما نهيناه أي: قبل نبوته.

أي: بالقُرآن. فكُلّما نزل عليه شيء منه زاد به علمه. ﴿ولَقَد عَهِدْنا إلَى آدَمَ﴾: وصّيناه ألّا يأكل من الشجرة، ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ أكله منها، ﴿فنَسِيَ﴾: ترك عهدنا، ﴿ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا﴾ ١١٥ حزمًا وصبرًا عمّا نهيناه عنه.

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ. فسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ﴾ - وهو أبو الجِنّ، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم - ﴿أبَى﴾ ١١٦ عن السجود لآدم، «قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ»، ﴿فقُلْنا: يا آدَمُ، إنَّ هٰذا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوجِكَ﴾: حوّاءَ بالمد. ﴿فلا يُخرِجَنَّكُما مِنَ الجَنّةِ، فتَشقَى﴾ ١١٧: تتعبَ بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك. واقتُصر على شقاه، لأنّ الرجل يسعى على زوجته. ﴿إنَّ لَكَ ألّا تَجُوعَ فِيها ولا تَعرَى ١١٨، وأنَّكَ﴾ - بفتحِ الهمزة وكسرِها، عطفٌ على اسمِ «إنّ» وجملتِها - ﴿لا تَظمَأُ فِيها﴾: تعطشُ ﴿ولا تَضحَى﴾ ١١٩: لا يحصُلُ لك حرّ شمس الضُّحى، لانتفاء الشمس في الجنّة.

٢- ﴿فوَسوَسَ إلَيهِ الشَّيطانُ، قالَ: يا آدَمُ، هَل أدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلدِ﴾ أي التي يَخلد من يأكل منها، ﴿ومُلْكٍ لا يَبلَى﴾ ١٢٠: لا يفنى. وهو لازم الخلود؟ ﴿فأكَلا﴾ أي: آدمُ وحواءُ ﴿مِنها، فبَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾ أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخرِ ودُبُرُه - وسُمّيَ كُلٌّ منهما سَوءةً لأنّ انكشافه يسوء صاحبه - ﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾: أخذا يُلزِقان ﴿علَيهِما مِن وَرَقِ الجَنّةِ﴾ ليستترا به، ﴿وعَصَى آدمُ رَبَّهُ فغَوَى﴾ ١٢١ بالأكل من الشجرة.

سُورَةُ طه ١ الجزء السادس عشر

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

٣- ﴿ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ﴾: قرّبه، ﴿فتابَ علَيهِ﴾: قَبِلَ توبتَه، ﴿وهَدَى﴾ ١٢٢ أي: هداه إلى المُداومة على التوبة. ﴿قالَ: اهبِطا﴾ - أي آدمُ وحوّاء - بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿مِنها﴾: من الجنّة ﴿جَمِيعًا، بَعضُكُم﴾: بعضُ الذرّيّة ﴿لِبعضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظُلم بعضهم بعضًا. ﴿فإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿يأتِيَنَّكُم مِنّي هُدًى فمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿فلا يَضِلُّ﴾ في الدنيا، ﴿ولا يَشقَى﴾ ١٢٣ في الآخرة، ﴿ومَن أعرَضَ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ، فلم يُؤمن به، ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشةً ضَنْكًا﴾، بالتنوين مصدرٌ بمعنى: ضَيّقة - وفُسّرت في حديث بعذاب الكافر في قبره - ﴿ونَحشُرُهُ﴾ أي: المُعرِضَ عن القُرآن ﴿يَومَ القِيامةِ أعمَى﴾ ١٢٤ أي: أعمى البصر. ﴿قالَ: رَبِّ، لِمَ حَشَرتَنِيَ أعمَى، وقَد كُنتُ بَصِيرًا﴾ ١٢٥ في الدنيا وعِند البعث؟ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذٰلِكَ، أتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها﴾: تركتها، ولم تُؤمن بها، ﴿وكَذٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ نِسيانك آياتِنا ﴿اليَومَ تُنسَى﴾ ١٢٦: تُتركُ في النار.

---

(١) قلنا لهم: أمرناهم. والملائكة: جمع ملَك. واسجدوا أي: سجود انحناء للإكرام. و«أبو الجن» الصواب أن إبليس واحد من الجن، وهو أب للشياطين منهم، لا لجميع الجن. انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. وأبى: امتنع. و«قال» في الآية ١٢ من سورة الأعراف. والعدو: المعادي. والزوج: الزوجة. ولايخرجنكما أي: لاتفعلا أسباب الخروج بطاعته. والجنة: الحديقة العظيمة. والشقا: الشدة والعسر. وفيما عدا الأصل والنسخ والفتوحات: «شقائه». وعلى زوجته: لأجلها. يعني أن الرجل مكلف بالسعي لتأمين حاجات الزوجة والأسرة، والمرأة راعية في بيت زوجها. وتجوع: تشعر بالحاجة إلى الطعام. وفيها: في الجنة. وتعرى: تكون بدون ما يقي بدنك من الضرر. وبكسرها يريد القراءة «وإنّكَ». فالعطف على جملة «إنّ» في الآية ١١٨، كما قال «جملتها». وعطف: يعني أن المصدر المؤول من «أنّ» معطوف على المصدر المؤول من «ألّا تجوع».

(٢) وسوس إليه: أسرّ إليه إغراء بالعصيان. والشيطان: إبليس. وأدلك: أُرشدك. والشجرة: ما ينبت مما له ساق وجذور وثمر. والخلد: البقاء وعدم الموت. والملك: التملك والتصرف. والخلود أي: أن الملك الذي لايبلى مسبَّب عن الخلود الذي أعرضه عليك. فأنت تخلد ويكون لك ما يصحب ذلك. وفيماعدا الأصل والنسخ: «وهو لازم الخلد». ومنها: من ثمر الشجرة. وبدت: انكشفت لسقوط ما كان يسترها. والقبل: الفرج من الذكر والأنثى. وورق الجنة: ورق أشجارها. وعصاه: خالف أمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. وغوى: ضل عن الحق. وكان هذا كله قبل نبوته.

(٣) قربه أي: إلى رحمته، واختاره للنبوة. وهداه: أرشده. واهبط: اخرج وانزل. والعدو: المعادي. وزيادة «ما» لتوكيد الشرط. ويأتيكم: يصل إليكم. ومني: من عندي وبأمري. والهدى: ما يرشد إلى التوحيد. وهو أعم من أن يكون بالقرآن وحده، خلافًا لما ذكر المحلي. واتبعه: أطاع أمره ونهيه. ويضل: يخرج عن الحق. ويشقى: تسوء حاله. وعن ابن عباس أن الآية ١٢٤ نزلت في الأسود بن عبد الأسد المخزومي. وهو من كبار مشركي مكة، قتله حمزة يوم بدر. وهذا يعني أنها نزلت قبل الهجرة. البحر ٦: ٢٨٦ والمعارف ص ١٥٦. وأعرض: انصرف. والمعيشة: العيش والحياة. والحديث أخرجه الحاكم في مسنده ٢: ٣٨١ وصححه. ونحشره: نخرجه من مقره. واليوم: الوقت. والقيامة: بعث الناس للحساب. ورب: ياربي. والبصير: ذو البصر. والأمر: شأنك في العمى. وأتتك: جاءت إليك وكُلّفت باتباعها. والآيات: الأدلة على التوحيد من الوحي على الرسل. وتُنسى أي: نُسيت. وتترك أي: وتكون أعمى.

سورة طه　　الجزء السادس عشر

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١- ﴿**وكَذلِكَ**﴾: ومثلَ جزائنا مَن أعرض عن القُرآن، ﴿**نَجزي مَن أسرَفَ**﴾: أشرك، ﴿**ولَم يُؤمِنْ بآياتِ رَبِّهِ. ولَعَذابُ الآخِرةِ أشَدُّ**﴾ من عذابِ الدنيا وعذابِ القبر، ﴿**وأبقى**﴾ ١٢٧: أدوَم. ﴿**أفلَم يَهدِ**﴾: يَتبيّنْ ﴿**لَهُم**﴾: لكُفّار مكّة ﴿**كَم**﴾: خبريّةٌ مفعول ﴿**أهلَكنا**﴾ أي: كثيرًا، إهلاكُنا ﴿**قَبلَهُم مِنَ القُرونِ**﴾ أي: الأُمم الماضية بتكذيب الرسل، ﴿**يَمشُونَ**﴾: حالٌ من ضمير «لهم» ﴿**في مَساكِنِهِم**﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا؟! وما ذُكر، من أخذ «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدريّ لرعاية المعنى، لا مانع منه - ﴿**إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ**﴾: لَعِبَرًا ﴿**لأُولِي النُّهى**﴾ ١٢٨: لذوي العُقول - ﴿**ولَولا كَلِمةٌ، سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ**﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة، ﴿**لَكانَ**﴾ الإهلاك ﴿**لِزامًا**﴾: لازمًا لهم في الدنيا، ﴿**وأجَلٌ مُسَمًّى**﴾ ١٢٩: مضروبٌ لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد.

٢- ﴿**فاصبِرْ على ما يَقُولُونَ**﴾ - منسوخ بآية القتال - ﴿**وسَبِّحْ**﴾: صلِّ ﴿**بِحَمدِ رَبِّكَ**﴾: حالٌ، أي: ملتبسًا به، ﴿**قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ**﴾ صلاةَ الصُّبح، ﴿**وقَبلَ غُرُوبِها**﴾ صلاةَ العصر، ﴿**ومِن آناءِ اللَّيلِ**﴾: ساعاته ﴿**فسَبِّحْ**﴾ صلِّ المغربَ والعِشاءَ، ﴿**وأطرافَ النَّهارِ**﴾: عطفٌ على محلّ «من آناء» المنصوب، أي: صلِّ الظُّهرَ، لأنّ وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرفُ النصف الأوّل وطرف النصف الثاني، ﴿**لَعَلَّكَ تَرضَى**﴾ ١٣٠ بما تُعطَى من الثواب، ﴿**ولا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجًا**﴾: أصنافًا ﴿**مِنهُم زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾: زينَتها وبهجتها، ﴿**لِنَفتِنَهُم فِيهِ**﴾ بأن يطغَوا - ﴿**ورِزقُ رَبِّكَ**﴾ في الجنّة ﴿**خَيرٌ**﴾ ممّا أُوتوه في الدنيا، ﴿**وأبقى**﴾ ١٣١: أدوَم - ﴿**وأْمُرْ أهلَكَ بالصَّلاةِ، واصطَبِرْ**﴾: اصبر ﴿**عَلَيها. لا نَسألُكَ**﴾: نُكلّفك ﴿**رِزقًا**﴾ لنفسك ولا لغيرك. ﴿**نَحنُ نَرزُقُكَ، والعاقِبةُ**﴾: الجنّة ﴿**لِلتَّقوى**﴾ ١٣٢: لأهلها.

٣- ﴿**وقالُوا**﴾ أي: المشركون: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**يأتِينا**﴾ مُحمّد ﴿**بآيةٍ مِن رَبِّهِ**﴾، ممّا يقترحونه. ﴿**أوَلَم تأتِهِم**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**بَيِّنةُ**﴾: بيانُ ﴿**ما في الصُّحُفِ الأُولى**﴾ ١٣٣ المُشتمِلُ عليه القُرآنُ، من أنباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل؟ ﴿**ولَو أنّا أهلَكناهُم بِعَذابٍ، مِن قَبلِهِ**﴾: قبلَ مُحمّد الرسول، ﴿**لَقالُوا**﴾ يوم القِيامة: ﴿**رَبَّنا، لَولا**﴾: هلّا ﴿**أرسَلتَ إلَينا رَسُولًا، فنَتَّبِعَ آياتِكَ**﴾ المُرسَل بها، ﴿**مِن قَبلِ أن نَذِلَّ**﴾ في القِيامة، ﴿**ونَخزَى**﴾ ١٣٤ في جهنّم. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**كُلٌّ**﴾ منّا ومنكم ﴿**مُتَرَبِّصٌ**﴾: مُنتظر ما يؤول إليه الأمر. ﴿**فتَرَبَّصُوا. فستَعلَمُونَ**﴾ في القِيامة: ﴿**مَن أصحابُ الصِّراطِ**﴾: الطريق ﴿**السَّوِيِّ**﴾: المُستقيم، ﴿**ومَنِ اهتَدَى**﴾ ١٣٥ من الضلالة؟ أنحن أم أنتم؟

---

(١) نجزي: نعاقب. وأسرف: جاوز الحد بالعصيان. وأشد: أقوى. وأهلك: أفنى. وإهلاكنا: تفسير لفاعل «يهد» المضمن في: أهلكنا. والقرون: جمع قرن. ويمشي: يسير ويتنقل. وحال: يعني أن جملة «يمشون»: في محل نصب حال. ومساكنهم أي: مساكن الأمم الماضية. والمفرد مَسكَن. ولا مانع منه: يعني أنه جائز، وإن لم يكن معه حرف مصدري سابك. وأولو: واحده ذو. والنهى: جمع نُهية. وهو العقل. وكلمة أي: حكم أزلي، أن أمة محمد ﷺ يؤخر عذابها. وسبقت: تحققت. ومنه: من عنده وبعلمه. والأجل: زمن حدوث الشيء. ومضروب لهم: محدد للكافرين بعذاب جهنم. و«على الضمير»: الصواب أن العطف على «كلمة». انظر «المفصل».

(٢) اصبر: احبس نفسك وتجلد. والأمر بالصبر على قول العدو، مع التسبيح بالحمد، ليس مما يلزمه النسخ. والحمد: الثناء بالجميل للهداية والتوفيق. وحال أي: «بحمد»: متعلقان بحال محذوفة عن فاعل: سبح. وطلوع الشمس: شروقها. وغروبها: غيابها. والآناء: جمع إنًى. والساعة: القطعة من الزمن. والأطراف: جمع طرَف. وهو من الشيء جانبه. وزوال الشمس: في الظهيرة. وترضى: تطمئن. ولاتمدن عينيك: لا تُطِلِ النظر إعجابًا. والخطاب ظاهره للنبي ﷺ، والمراد به أمته. ومتعناهم: أعطيناهم استدراجًا. والأزواج: جمع زوج. وهو الفرد من الناس. ونفتنهم: نعاملهم معاملة من يختبر. والرزق: ما يتفضل به الله. وخير: أفضل. واؤمرهم: دم على مطالبتهم. وأهلك: أهل بيتك وملتك. والعاقبة: النتيجة المحمودة. والتقوى: خشية الله وتجنب غضبه وطلب رضاه بالامتثال للأمر والنهي.

(٣) يأتينا: يُحضر لنا. والآية: المعجزة. ومن ربه: من عند ربه. وتأتيهم: تصل إليهم. وبالياء يريد القراءة «يأتِهم». والصحف: جمع صحيفة، أي: الكتب الإلٰهية. والمشتمل: صفة لبيان. انظر «المفصل». وأهلكناهم: أفنيناهم. والعذاب: التعذيب بالكوارث والجائحات. وأرسلتَه: بعثته بالعقيدة والشريعة. ونتّبعها: نؤمن بها. والآيات: الأدلة من الكتاب الإلٰهي والمعجزات. ونذل: نُحتقر. ونخزى: نَفتضح. وتربصوا: انتظروا. وستعلمون: سترون باليقين. والأصحاب: جمع صاحب. واهتدى: توجه إلى الصواب والحق.

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ — ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

مكية، وهي مِائة وإحدى أو اثنتا عشرةَ آيةً.

الحزب ١٧ — الجزء ٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**اقتَرَبَ**﴾: قرُب ﴿**لِلنَّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة مُنكري البعث ﴿**حِسابُهُم**﴾: يومُ القيامة، ﴿**وهُم في غَفْلةٍ**﴾ عنه، ﴿**مُعرِضُونَ**﴾ ١ عن التأهّب له بالإيمان، ﴿**ما يأتيهِم مِن ذِكرٍ مِن ربِّهِم، مُحدَثٍ**﴾: شيئًا فشيئًا أي: لفظِ قرآنٍ ﴿**إلّا استَمَعُوهُ، وهُم يَلعَبُونَ**﴾ ٢: يستهزئون، ﴿**لاهِيَةً**﴾: غافلة ﴿**قُلُوبُهُم**﴾ عن معناه، ﴿**وأسَرُّوا النَّجوَى**﴾ أي: الكلامَ، ﴿**الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: بدلٌ من واو «أسرّوا النجوى»: ﴿**هَل هٰذا**﴾ أي: مُحمّد ﴿**إلّا بَشَرٌ مِثلُكُم**﴾؟ فما يأتي به سِحرٌ. ﴿**أفتَأتُونَ السِّحرَ**﴾: تتبّعونه، ﴿**وأنتُم تُبصِرُونَ**﴾ ٣: تعلمون أنه سِحر؟ ﴿**قُل**﴾ لهم: ﴿**رَبِّي يَعلَمُ القَولَ**﴾، كائنًا ﴿**في السَّماءِ والأرضِ، وهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لما أسرّوه، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٤ به.

٢- ﴿**بَل**﴾: للانتقال من غرض إلى آخر، في المواضع الثلاثة، ﴿**قالُوا**﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿**أضغاثُ أحلامٍ**﴾: أخلاطٌ رآها في النوم، ﴿**بَلِ افتَراهُ**﴾: اختلقه، ﴿**بَل هُوَ شاعِرٌ**﴾، فما أتى به شِعر. ﴿**فليَأتِنا بآيةٍ، كما أُرسِلَ الأوَّلُونَ**﴾ ٥ كالناقة والعصا واليد. قال تعالى: ﴿**وما آمَنَت قَبلَهُم مِن قَريةٍ**﴾ أي: أهلُها، ﴿**أهلَكناها**﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات. ﴿**أفهُم يُؤمِنُونَ**﴾ ٦؟ لا.

٣- ﴿**وما أرسَلنا قَبلَكَ إلّا رِجالًا، يُوحَى**﴾ - وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - ﴿**إليهِم**﴾، لا ملائكةً - ﴿**فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ**﴾: العُلماءَ بالتوراة والإنجيل، ﴿**إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ**﴾ ٧ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديق المؤمنين بمُحمّد - ﴿**وما جَعَلناهُم**﴾ أي: الرسلَ ﴿**جَسَدًا**﴾ بمعنى أجسادًا، ﴿**لا يأكُلُونَ الطَّعامَ**﴾، بل يأكلونه، ﴿**وما كانُوا خالِدِينَ**﴾ ٨ في الدنيا، ﴿**ثُمَّ صَدَقناهُمُ الوَعدَ**﴾ بإنجائهم، ﴿**فأنجَيناهُم ومَن نَشاءُ**﴾ أي: المُصدِّقين لهم، ﴿**وأهلَكنا المُسرِفِينَ**﴾ ٩: المُكذّبين لهم.

٤- ﴿**لَقَد أنزَلنا إلَيكُم**﴾ - يا معشر قُريش - ﴿**كِتابًا، فيهِ ذِكرُكُم**﴾ لأنه بلُغتكم. ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ١٠ فتؤمنونَ به؟ ﴿**وكَم قَصَمنا**﴾: أهلكْنا ﴿**مِن قَريةٍ**﴾ أي: أهلَها، ﴿**كانَت ظالِمةً**﴾: كافرة، ﴿**وأنشأنا بَعدَها قَومًا آخَرِينَ ١١! فلَمّا أحَسُّوا بأسَنا**﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿**إذا هُم مِنها**﴾

---

(١) الناس: البشر. وتخصيص أهل مكة هنا لمناسبة سبب النزول - انظر «المفصل» - مع أن الحساب المذكور اقترابه هو لجميع الخلق. وحسابهم: وقت محاسبتهم. والغفلة: السهو لعدم التفكير. والمعرض: من لايبالي إذا ذكّر. ويأتيهم: يُتلى عليهم. والذكر: النص القرآني. ومن ربهم: من عنده وبأمره. ومحدث: يتجدد وقتًا بعد آخر. واستمعه: أصغى إليه. والقلوب: جمع قلب. وأسر: أخفى. والنجوى: الكلام الخفي. وبدل: يعني أن «الذين»: بدل، للتشنيع على فعلهم بصفة الظلم. وبشرٌ أي: إنسان لاملَك ولاجني. والسحر: ما يوهم الحواس والعقول السفيهة، ويخيل إليها غير الواقع. وفي المنحة: «قال». ويعلمه: يحيط به. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة.

(٢) للانتقال: لبيان انتهاء المعنى الأول، والانتقال إلى معنى آخر. والأضغاث: جمع ضِغث. وهو المجموعة من الأمور المختلطة. والأحلام: جمع حُلم. وهو الأكاذيب والأوهام مما يُرى في المنام. واختلقه أي: ليس من عند الله. وشاعر أي: كذاب لأن الشعر عندهم مقر الكذب. ويأتينا: يُحضر لنا. والآية: المعجزة. انظر «المفصل». وأرسل: بعث بالدعوة. والأولون: الرسل المتقدمون. وآمنت: صدّقت. وقرية: مدينة طلب أهلها من رسولهم المعجزات. وأهلكناها: قضينا تدميرها. و«لا» أي: لايؤمنون إذا جئتَهم بالمعجزات، فيكون مصيرهم كمصير الأمم المكذبة قبلهم.

(٣) أرسلنا: كلفنا بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. والرجال: جمع رجل. ويوحى إليهم: يبلَّغون على لسان جبريل. وبالنون يريد القراءة «نُوحِي». واسألوهم: اطلبوا المعرفة منهم عن رسلهم: أبشرًا كانوا أم ملائكة؟ والذكر: الكتب المقدسة. ولاتعلمون: لاتدرون حقيقة الرسل. وجعل: صيّر. والجسد: الجسم. وصدقناهم الوعد: حققناه كاملًا. وأنجيناهم: أنقذناهم. ونشاء: نريد. وأهلك: أفنى بالاستئصال. والمسرف: المفرط في تكذيبه.

(٤) أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل، مع التكفل بالحفظ والتبليغ. والكتاب: القرآن الكريم. وذكركم أي: وصفكم الحميد بين الأمم. وتعقلون: تستعملون عقولكم بترك التعنت والمكابرة بالباطل. والقرية هنا، على ما سيذكر المحلي من الإبادة بالسيوف، مدينة يمنية اسمها حضوراء. انظر «المفصل». والظالم: المجاوز للحق. وأنشأناهم: أوجدناهم بدلًا ممن استؤصلوا. والبأس: البطش. ومنها: من القرية. ولاتركضوا: لاتهربوا. والمساكن: جمع مسكن. وتُسألون: يطلب منكم. وما زالت: استمرت. والدعوى: الدعاء. وجعلنا: صيّرنا. والخامد: الساكن بلا حياة ولا حركة.

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

وَكَم قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿يَرْكُضُونَ﴾ ١٢: يهربون مسرعين، فقالت لهم الملائكة استهزاء: **﴿لا تَرْكُضُوا، وارجِعُوا إلى ما أُترِفْتُم﴾**: نَعِمتم **﴿فِيهِ ومَساكِنِكُم، لَعَلَّكُم تُسأَلُونَ﴾** ١٣ شيئًا من دنياكم على العادة. **﴿قالُوا: يا﴾**: للتنبيه **﴿وَيلَنا﴾**: هلاكَنا. **﴿إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾** ١٤ بالكُفر. **﴿فما زالَتْ تِلكَ﴾** الكلماتُ **﴿دَعْواهُم﴾**، يدعون بها ويردّدونها، **﴿حَتّى جَعَلْناهُم حَصِيدًا﴾** أي: كالزرع المحصود بالمناجل، بأن قُتلوا بالسيوف، **﴿خامِدِينَ﴾** ١٥: ميّتين كخُمود النار إذا طَفِئتْ.

١- **﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾** ١٦: عابثين، بل دالّينَ على قُدرتنا ونافعين عِبادَنا. **﴿لَو أرَدْنا أن نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾** أي: ما يُلهى به، من زوجة أو ولد، **﴿لاتَّخَذْناهُ مِن لَدُنّا﴾**: من عِندنا من الحُور العِين [والولدان] والملائكة، **﴿إن كُنّا فاعِلِينَ﴾** ١٧ ذلك. لكنّا لم نفعله، فلم نُرده. **﴿بَل نَقذِفُ﴾**: نرمي **﴿بِالحَقِّ﴾**: الإيمانِ **﴿على الباطِلِ﴾**: الكُفرِ، **﴿فَيَدمَغُهُ﴾**: يُذهبه، **﴿فإذا هُوَ زاهِقٌ﴾**: ذاهب. و«دَمَغَه» في الأصل: أصابَ دِماغه بالضرب. وهو مَقتَلٌ. **﴿ولَكُمُ﴾** - يا كُفّار مكّة - **﴿الوَيلُ﴾**: العذاب الشديد، **﴿مِمّا تَصِفُونَ﴾** ١٨ اللهَ به، من الزوجة والولد. **﴿ولَهُ﴾** - تعالى - **﴿مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾** مُلكًا، **﴿ومَن عِندَهُ﴾** أي: الملائكةُ مبتدأ خبرُه: **﴿لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِهِ، ولا يَستَحسِرُونَ﴾** ١٩: لا يَعيَون، **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ والنَّهارَ، لا يَفتُرُونَ﴾** ٢٠ عنه. فهو منهم كالنفس منّا، لا يَشغلنا عنه شاغل.

٢- **﴿أم﴾** بمعنى «بل» للانتقال وهمزة الإنكار **﴿اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾** كائنة **﴿مِنَ الأرضِ﴾** كحجر وذهب وفِضّة؟ أ**﴿هُم﴾** أي: الآلهةُ **﴿يُنشِرُونَ﴾** ٢١ أي: يُحيُون الموتى؟ لا. ولا يكون إلَهًا إلّا من يُحيي الموتى. **﴿لَو كانَ فِيهِما﴾** أي: السماواتِ والأرض **﴿آلِهَةٌ إلّا اللهُ﴾** أي: غيرُه **﴿لَفَسَدَتا﴾**: خرجتا عن نظامهما المُشاهَد، لوجود التمانع بينهم على وَفق العادة، عِند تعدّد الحاكم، من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه. **﴿فَسُبحانَ﴾**: تنزيهَ **﴿اللهِ، رَبِّ﴾**: خالقِ **﴿العَرشِ﴾**: الكرسيّ، **﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾** ٢٢ أي: الكُفّارُ اللهَ به من الشريكِ له وغيره! **﴿لا يُسأَلُ عَمّا يَفعَلُ، وهُم يُسأَلُونَ﴾** ٢٣ عن أفعالهم.

٣- **﴿أمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾** - تعالى - أي: سواه **﴿آلِهَةً﴾**؟ فيه استفهامُ توبيخ. **﴿قُلْ: هاتُوا بُرهانَكُم﴾** على ذلك. ولا سبيل إليه. **﴿هٰذا ذِكرُ مَن مَعِي﴾** أي: أُمّتي، وهو القُرآنُ، **﴿وذِكرُ مَن قَبلِي﴾** من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أنّ مع الله إلَهًا ممّا قالوا. تعالى عن ذلك. **﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ الحَقَّ﴾** أي: توحيد الله، **﴿فَهُم مُعرِضُونَ﴾** ٢٤ عن النظر المُوصِّل إليه. **﴿وما أرسَلْنا، مِن قَبلِكَ، مِن رَسُولٍ إلّا يُوحَى﴾** - وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - **﴿إلَيهِ أنَّهُ لا إلَهَ إلّا أنا. فاعبُدُونِ﴾** ٢٥ أي: وحِّدونِ.

---

(١) خلقنا: أوجدنا من العدم. والسماء أي: السماوات. انظر الآية ٤. ودالين ونافعين: يعني أن خلق الكائنات هو لحكمة بالغة، ومقاصد مقدَّرة محكمة. وأردنا: شئنا. ونتخذ: نصنع لأنفسنا. واللهو: ماتسرع إليه الشهوة. وهو مما يناقض الألوهية. واتخذنا: جعلنا. ومن عندنا أي: ممّن عندنا. وما بين معقوفتين تتمة من التلخيص. وفاعلين: يعني قائمين باللهو، أي: لاهين وعابثين. والحق: ما هو ثابت. ومنه الإيمان والجِدّ الذي ضد اللهو. والباطل: ما لا أصل له في الحقيقة. ومنه الكفر واللهو اللذان في نفوس كفار مكة وأهل الكتاب وأمثالهم. ويذهبه: يبطله. وذاهب: لاوجود له. وتصفون: تصفونه به مما لايليق به. والمراد بـ «عنده»: شرف المكانة وعلو المنزلة. ويستكبر: يتعظم. والعبادة: الطاعة والتقديس. ويسبحون: ينزهون الله عما لايليق به. والليل والنهار أي: دائمًا في كل وقت. ويفتر: يضعف وينقطع. وهو منهم أي: التسبيح ضروري فيهم سجيةً وطبيعة.

(٢) الانتقال: الاستئناف لخبر آخر من دون إضراب. واتخذ: صنع لنفسه. وسقطت الهمزه قبل «هم» مما عدا الأصل وخ. وذكرُ السماوات والأرض ليس قيدًا، وإنما عُبِّرَ به تبعًا لفهم المخاطبين، لأنهم لايعرفون غيرهما. وإلّا فالمراد هو الكائنات المخلوقة كلها. والآلهة: جمع إلٰه. وذكر الجمع هنا لمشاكلة لفظه في الآية السابقة، والمراد هو التعدد المطلق، أي: إلٰه آخر مع الله أو أكثر. وغيره: يعني أن «إلّا»: وصفية للمغايرة بمعنى: غير. وفسد: تدمّر وهلك من فيه. والتمانع: تعذر الاتفاق على أمر، لأن ما يصدر عن اثنين أو أكثر يستحيل أن يكون على نظام دائم. والمشهور، كما جاء في الحديث، أن «فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة»، وهو مخلوق عظيم لا يعرف حقيقته إلّا الله. انظر تفسير القرطبي ٣:٢٧٨. ولايُسأل أي: لعظمته وتفرده وكمال قدرته ونهاية حكمته. ويفعل: يريد ويقول ويقضي في الخلق كله.

(٣) اتخذ: جعل. وهاتوا: أحضروا. والبرهان: الدليل اليقيني. ولاسبيل إليه أي: ما زعمتموه من الشرك محالٌ البرهانُ عليه. والذكر: ما يذكر فيه الحق. وذكر مَن معي أي: متمسّك المسلمين على التوحيد. ولايعلمون الحق: يدرون أباطيل وأوهامًا، ولا يميزون الصواب من الباطل. والمعرض: المنصرف استهانة وتقصيرًا. وأرسلنا: بعثنا بالتوحيد والتبليغ والعمل. ويوحى إليه: يبلّغ على لسان جبريل. وبالنون يريد القراءة «نُوحِي». والإلٰه: المعبود بحق وحده. ووحدونِ أي: في الألوهية والتقديس والطاعة. والخطاب للرسول الموحَى إليه وللناس الذين يرسل إليهم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

١- ﴿**وقالوا: اتَّخَذَ الرَّحمٰنُ وَلَدًا**﴾ من الملائكة. ﴿**سُبحانَهُ! بَل**﴾هم ﴿**عِبادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ ٢٦ عِنده - والعُبودية تُنافي الولادة - ﴿**لا يَسبِقُونَهُ بالقَولِ**﴾: لا يأتون بقولهم إلّا بعد قوله، ﴿**وهُم بأمرِهِ يَعمَلُونَ**﴾ ٢٧ أي: بعده، ﴿**يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم**﴾ أي: ما عملوا وما هم عاملون، ﴿**ولا يَشفَعُونَ إلّا لِمَنِ ارتَضَى**﴾ - تعالى - أن يُشفع له، ﴿**وهُم مِن خَشْيَتِهِ**﴾ - تعالى - ﴿**مُشفِقُونَ**﴾ ٢٨ أي: خائفون، ﴿**ومَن يَقُلْ مِنهُم: إنِّي إلٰهٌ مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ أي: غيره - وهو إبليس دعا إلى عِبادة نفسه وأمر بطاعتها - ﴿**فذٰلِكَ نَجزِيهِ جهنَّمَ. كَذٰلِكَ**﴾: كما نجزيه ﴿**نَجزِي الظّالِمِينَ**﴾ ٢٩ أي: المشركين.

ربع الحزب ٣٣

٢- ﴿**أوَلَم**﴾ - بواو وتركها - ﴿**يَرَ**﴾: يعلم ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانَتا رَتْقًا**﴾ أي: سدًّا بمعنى مسدودة، ﴿**فَفَتَقْناهُما**﴾ أي: جعلنا السماء سبعًا والأرض سبعًا، أو فتقُ السماء: أن كانت لا تُمطر فأمطرت، وفتقُ الأرض: أن كانت لا تُنبت فأنبتت، ﴿**وجَعَلْنا مِنَ الماءِ**﴾ النازلِ من السماء والنابع من الأرض ﴿**كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ**﴾: نباتٍ وغيره، أي: فالماء سبب لحياته؟ ﴿**أفَلا يُؤمِنُونَ**﴾ ٣٠ بتوحيدي؟

٣- ﴿**وجَعَلْنا في الأرضِ رَواسِيَ**﴾: جبالًا ثَوابتَ، لِـ ﴿**أن**﴾ لا ﴿**تَمِيدَ**﴾: تتحرّكَ ﴿**بِهِم، وجَعَلْنا فِيها**﴾ أي: الرواسي ﴿**فِجاجًا**﴾: مَسالكَ ﴿**سُبُلًا**﴾: بدلٌ أي: طُرقًا نافذة واسعة، ﴿**لَعَلَّهُم يَهتَدُونَ**﴾ ٣١ إلى مقاصدهم في الأسفار، ﴿**وجَعَلْنا السَّماءَ سَقفًا**﴾ للأرض كالسقف للبيت، ﴿**مَحفُوظًا**﴾ عن الوقوع. ﴿**وهُم عَن آياتِها**﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿**مُعرِضُونَ**﴾ ٣٢: لا يتفكّرون فيها، فيعلمون أنّ خالقها لا شريك له. ﴿**وهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ**﴾ - تنوينه عوضٌ من المضاف إليه، أي: كلٌّ من الشمس والقمرِ وتابعِه. وهو النجوم - ﴿**في فَلَكٍ**﴾ أي: مُستدير كالطاحونة في السماء ﴿**يَسبَحُونَ**﴾ ٣٣: يسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وللتشبيه به أتى بضمير جمع مَن يعقل.

٤- ونزل، لمّا قال الكُفّار: «إنّ مُحمّدًا سيموتُ»: ﴿**وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قَبلِكَ الخُلدَ**﴾ أي: البقاء في الدنيا. ﴿**أفإن مُتَّ فهُمُ الخالِدُونَ**﴾ ٣٤ فيها؟ لا. فالجملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاري. ﴿**كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ**﴾ في الدنيا، ﴿**ونَبلُوكُم**﴾: نختبركم ﴿**بالشَّرِّ والخَيرِ**﴾، كفقر وغنى وسقم وصِحّة، ﴿**فِتْنَةً**﴾: مفعول له، أي: لننظر: أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿**وإلَينا تُرجَعُونَ**﴾ ٣٥ فنُجازيكم. ﴿**وإذا رآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إن**﴾: ما

---

(١) قالوا أي: بعض العرب زعموا أن الملائكة بنات الله. واتخذ: صنع لنفسه. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وسبحانه: انظر الآية ١ من سورة الإسراء. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك المقهور. والمكرم: المفضَّل. وتنافي الولادة: تعارضها فلا تجتمعان أبدًا. ولايسبقونه: يتّبعون قوله. وبأمره أي: بما يأمرهم به. ويعملون: يتصرفون. ويعلمه: يحيط به جملة وتفصيلًا. وما بين أيديهم: ما تقدم من أعمالهم. وما خلفهم: ما تأخر من ذلك. ويشفع: يتوسل بالرجاء لدفع الشر والعقاب. وارتضى أي: قَبِلَه. والخشية: الخوف. ويقل: يزعم. ونجزيه: نعاقبه. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها.

(٢) تركها أي: بدون واو، يريد القراءة «أَلَم يَرَ» أي: ألم يتفكروا ليعلموا؟ وكفر: كذّب الله ورسوله. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والرتق كما قال البيضاوي «هو الضم والالتحام، أي: كانتا شيئًا واحدًا وحقيقة متحدة. ففتقناهما بالتنويع والتمييز». فالفتق: فصل بين الأشياء وتمييز بعضها من بعض. وكون الأرض سبعًا ذكرنا معناه في تفسير الآية ٦ من سورة طه والآية ١٢ من سورة الطلاق. وجعل: صيّر. والشيء: ما يعرفه البشر، عدا الملائكة والجن. ويؤمن: يعتقد يقينًا جازمًا.

(٣) جعلنا: خلقنا. والرواسي: جمع الراسي. والفجاج: جمع فج. وهو الطريق الواسع بين جبلين. والسبل: جمع سبيل. ويهتدي: يتجه بوضوح. وجعل: صيّر. وهم: المشركون والكافرون. وآياتها: ما فيها من الأدلة والعبر، تحقِّق وجودَ الصانع ووحدته وكمال حكمته. والمعرض: المنصرف. وخلقه: أوجده من العدم. ومن المضاف إليه أي: بدل من القول «كلٌّ واحدٍ منهما». وتابعه: ما يتبع ذلك الواحد منهما. انظر «المفصل». وفلك أي: أفلاك. وللتشبيه به: يعني أن التعبير عن الشمس والقمر والنجوم، بضمير العقلاء، هو لذكر السباحة التي يعرفها الناس لهم في الماء.

(٤) قول الكافرين يريدون به الشماتةَ وإنكار النبوة، لأنه بشر يأكل ويشرب ويموت، فكيف يصح إرساله؟ البحر ٦:٣١٠. وجعل: صيّر. والبشر: الإنسان. والنفس: المخلوق الحي بروحه وتكوينه. وذائقة الموت: ينالها وينزل بها. وهو مفارقة الروح للمخلوق. والشر: ما يغم المخلوق ويضره. والخير: ما ينفعه ويسره. والفتنة: الامتحان. ومفعول له: مفعول لأجله. وإلينا: إلى موعد لقاء حسابنا. وترجعون: تُردون للحساب والجزاء. ورآك: أبصرك. وكفروا: كذبوا الله وكذبوك. انظر «المفصل». ويتخذ: يجعل. وهزؤًا أي: مهزوءًا بك لا «به». والهزء: السخرية. وفي المنحة: «هزوًا». والآلهة: جمع إلٰه. وهي الأصنام. والكافر: الجاحد المكذب.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ
لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿**يَتَّخِذُونَكَ إِلّا هُزُوًا**﴾ أي: مهزوءًا به، يقولون: ﴿**أَهٰذا الَّذِي يَذكُرُ آلِهَتَكُم**﴾ أي: يَعيبها؟ ﴿**وهُم بِذِكرِ الرَّحمٰنِ**﴾ لهم ﴿**هُم**﴾: تأكيد ﴿**كافِرُونَ**﴾ ٣٦ به، إذ قالوا: ما نعرفه.

١- ونزل في استعجالهم العذابَ: ﴿**خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلٍ**﴾ أي: أنه، لكثرة عَجَلَتِهِ في أحواله، كأنه خُلق منه. ﴿**سأُرِيكُم آياتِي**﴾: مواعيدي بالعذاب. ﴿**فلا تَستعجِلُونِ**﴾ ٣٧ فيه. فأراهم القتل ببدر. ﴿**ويَقُولُونَ: مَتَى هٰذا الوَعدُ**﴾ بالقيامة، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٣٨ فيه؟

٢- قال تعالى: ﴿**لَو يَعلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ**﴾: يدفعون ﴿**عَن وُجُوهِهِم النّارَ ولا عَن ظُهُورِهِم، ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾ ٣٩: يُمنعون منها في القيامة - وجواب لو: ما قالوا ذلك - ﴿**بَل تأتِيهِم**﴾ القيامةُ ﴿**بَغتَةً، فتَبهَتُهُم**﴾: تُحيّرهم، ﴿**فلا يَستَطِيعُونَ رَدَّها، ولا هُم يُنظَرُونَ**﴾ ٤٠: يُمهَلون لتوبة أو مَعذِرة. ﴿**ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ**﴾ - فيه تسلية للنبيّ ﷺ - ﴿**فحاقَ**﴾: نزل ﴿**بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٤١. وهو العذاب. فكذا يَحيق بمن استهزأ بك.

٣- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَن يَكلَؤُكُم**﴾: يحفظكم ﴿**بِاللَّيلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحمٰنِ**﴾: من عذابه، إن نزل بكم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك. والمُخاطَبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له، ﴿**بَل هُم عَن ذِكرِ رَبِّهِم**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**مُعرِضُونَ**﴾ ٤٢: لا يتفكّرون فيه. ﴿**أم**﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار، أي: أ ﴿**لَهُم آلِهَةٌ تَمنَعُهُم**﴾ ممّا يسوءُهم ﴿**مِن دُونِنا**﴾، أي: أَلَهم من يمنعهم منه غيرُنا؟ لا. ﴿**لا يَستَطِيعُونَ**﴾ أي: الآلهةُ ﴿**نَصرَ أنفُسِهِم**﴾، فلا ينصرونهم، ﴿**ولا هُم**﴾ أي: الكُفّارُ ﴿**مِنّا**﴾: من عذابنا ﴿**يُصحَبُونَ**﴾ ٤٣: يُجارُون. يقال: صَحِبَكَ اللهُ، أي حفظك وأجارك. ﴿**بَل مَتَّعْنا هٰؤُلاءِ وآباءَهُم**﴾ بما أنعمنا عليهم، ﴿**حَتَّى طالَ عَلَيهِمِ العُمُرُ**﴾ فاغترّوا بذلك. ﴿**أفلا يَرَونَ أنّا نأتِي الأرضَ**﴾: نقصِدُ أرضَهم، ﴿**نَنقُصُها مِن أطرافِها**﴾ بالفتح على النبيّ؟ ﴿**أفَهُمُ الغالِبُونَ**﴾ ٤٤؟ لا، بل النبيّ وأصحابه.

---

(١) روي أن هذا نزل في النضر بن الحارث، حين طلب نزول العذاب، إن كان القرآن من عند الله. انظر الآية ٣٢ من سورة الأنفال. وخلق: أنشئ ولم يكن له وجود. والإنسان: آدم وحواء وذريتهما من رجال ونساء. والعجل: طلب الأمور قبل أوانها خوف ضياعها. والمراد المبالغة في الوصف للإنسان، حتى كأن العجلة أصله ومادته. ومثل ذلك ماذكر عن المرأة أنها خلقت من ضلع. وفيما عدا الأصل والنسختين: «عجله». وأريكم: أخصكم وأُنزل بكم فترون عِيانًا باليقين. والآيات: جمع آية. والمواعيد: جمع موعود. وهو التهديد. يعني ما في الآيات القرآنية من الوعيد بالعذاب أو الاستئصال. ولاتستعجلون: لاتستعجلوني في رؤية العذاب، لأنه واقع حتمًا إذا أصررتم على الكفر والعصيان. ويقولون أي: تعجيزًا وتهكمًا. ومتى يعني: أيُّ زمن؟ والوعد: وقت حصول ما نوعد به ونهدد. والصادق: من يقول الحق.

(٢) يعلم: يدري يقينًا. وكفر: كذّب التوحيد والبعث. والوجوه: جمع وجه. والنار: نار جهنم. والظهور: جمع ظهر. وذكر الوجوه والظهور يعني أن العذاب يحيط بهم من كل جانب. و«ما قالوا» يعني أن هذه الجملة هي الجواب المحذوف لـ «لو». وذلك أي: قولهم: متى هذا الوعد؟ وتأتيهم: تلقاهم وتنزل بهم. وبغتة: مفاجئة. ويستطيعه: يقدر عليه ويتمكن منه. والرد: المنع والدفع. واللام: حرف توكيد. وقد: حرف تحقيق. واستهزئ به: قابله قومه بالسخرية والتهكم. والرسل: جمع رسول. وهو من بعث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ومنهم أي: من أقوام الرسل. وسخر: استهزأ وتهكم.

(٣) قل لهم أي: خاطبهم بالقول جهارًا. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وتكرار ذلك من قبل ومن بعدُ يكون للمبالغة في التوكيد. وبالليل والنهار أي: في جميع أوقاتكم. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان على جميع خلقه. وذلك أي: الحفظ من العذاب. وهم أي: الكافرون. والذكر: انظر الآية ٣٦. والمعرض: الذي ينصرف عن الأمر ولايتنبه ولا يستجيب استهانة وإنكارًا، مهما نبهته أو ذكّرته. والإنكار: النفي والاستبعاد. والآلهة: جمع قلة للإله. وهو المعبود. وحصر الجمع في القلة مراد به الاحتقار والتهكم. وتمنع: تحفظ وتحمي. ومن دوننا: من غيرنا نحن. ويستطيع: يقدر. والنصر: العون والإنقاذ. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات المخلوق بحقيقته. ومتعناهم: يسرنا لهم ما يتلذذون به. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجد. وطال امتد دون عذاب. والعمر: مدة الحياة. ويرى: يتبصر ويعلم باليقين. ونقصدها: نريدها بالأمر والإرادة. وننقصها: نزيل بعض أجزائها من تسلطهم. والأطراف: جمع طرف. وهو الجانب. وذكر الفتح يخالف النص قبلُ على مكية السورة. والمناسب هنا أن المراد هو نصر الأولياء على الأمم المكذبة، وتمليكهم بلادها. و«لا» يعني أن الاستفهام بالهمزة قبل الفاء هو للنفي والتقريع، أي: كيف يتوهمون أنهم على حق، وأن لهم الغلبة؟ وفي هذا معنى القصر أيضًا، أي: لن يكون النصر إلّا للمسلمين. والغالبون أي: المتغلبون على أعدائهم.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

١- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنّما أُنذِرُكُم بالوَحيِ**﴾ من الله، لا من قِبل نفسي. ﴿**ولا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا**﴾ - بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء - ﴿**ما يُنذَرُونَ**﴾ ٤٥ أي: هم، لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار، كالصُّمّ. ﴿**ولَئِنْ مَسَّتْهُم نَفحةٌ**﴾: وقعة خفيفة، ﴿**مِن عَذابِ رَبِّكَ، لَيَقُولُنَّ: يا**﴾ للتنبيه ﴿**وَيلَنا**﴾: هلاكنا. ﴿**إنّا كُنّا ظالِمِينَ**﴾ ٤٦ بالإشراك وتكذيب مُحمّد. ﴿**ونَضَعُ المَوازِينَ القِسطَ**﴾: ذواتِ العدل ﴿**لِيَومِ القِيامةِ**﴾ أي: فيه، ﴿**فلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا**﴾، من نقص حسنة أو زيادة سيّئة، ﴿**وإن كانَ**﴾ العملُ ﴿**مِثقالَ**﴾: زِنةَ ﴿**حَبّةٍ مِن خَردَلٍ أَتَينا بِها**﴾: بموزونها، ﴿**وكَفَى بِنا حاسِبِينَ**﴾ ٤٧: مُحصِين في كل شيء!

٢- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى وهارُونَ الفُرقانَ**﴾، أي: التوراة الفارقة بين الحقّ والباطل، والحلالِ والحرام، ﴿**وضِياءً**﴾ بها ﴿**وذِكرًا**﴾ أي: عِظة بها ﴿**لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٤٨، ﴿**الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم، بالغَيبِ**﴾ عن الناس أي: في الخلاء عنهم، ﴿**وهُم مِنَ السّاعةِ**﴾ أي: أهوالها ﴿**مُشفِقُونَ**﴾ ٤٩ أي: خائفون. ﴿**وهٰذا**﴾ أي: القُرآن ﴿**ذِكرٌ مُبارَكٌ أنزَلناهُ. أفأنتُم لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ ٥٠؟ الاستفهام فيه للتوبيخ.

نصف الحزب ٣٣

٣- ﴿**ولَقَد آتَينا إبراهِيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ**﴾، أي: هُداه قبل بُلوغه، ﴿**وكُنّا بِهِ عالِمِينَ**﴾ ٥١ بأنه أهل لذلك، ﴿**إذ قالَ لِأبِيهِ وقَومِهِ: ما هٰذِهِ التَّماثِيلُ**﴾: الأصنام ﴿**الَّتي أنتُم لَها عاكِفُونَ**﴾ ٥٢ أي: على عبادتها مُقيمون؟ ﴿**قالُوا: وَجَدنا آباءَنا لَها عابِدِينَ**﴾ ٥٣، فاقتدينا بهم. ﴿**قالَ**﴾ لهم: ﴿**لَقَد كُنتُم أنتُم وآباؤُكُم**﴾ بعبادتها ﴿**في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٥٤: بيّن.

٤- ﴿**قالُوا: أجِئتَنا بالحَقِّ**﴾ في قولك هذا، ﴿**أم أنتَ مِنَ اللّاعِبِينَ**﴾ ٥٥ فيه؟ ﴿**قالَ: بَل رَبُّكُم**﴾ المُستحقّ للعبادة ﴿**رَبُّ**﴾: مالكُ ﴿**السَّماواتِ والأرضِ، الَّذي فَطَرَهُنَّ**﴾: خلقهنّ على غير مِثال سبق، ﴿**وأنا على ذٰلِكُم**﴾ الذي قلته ﴿**مِنَ الشّاهِدِينَ**﴾ ٥٦ به، ﴿**وتاللهِ لَأكِيدَنَّ أصنامَكُم، بَعدَ أن تُوَلُّوا مُدبِرِينَ**﴾ ٥٧! ﴿**فجَعَلَهُم**﴾ بعد ذَهابهم إلى مُجتمعهم في يوم عِيد لهم ﴿**جُذاذًا**﴾، بضمّ الجيم وكسرها: فُتاتًا بفأس، ﴿**إلّا كَبِيرًا لَهُم**﴾ علّق الفأس في عُنقه، ﴿**لَعَلَّهُم إلَيهِ**﴾ أي: الكبيرِ ﴿**يَرجِعُونَ**﴾ ٥٨ فيرَون ما فُعِلَ بغيره.

---

(١) قل: خاطب بالقول جهارًا يامحمد. وأنذركم: أخوفكم وأهددكم بما تستعجلون من العذاب. وبالوحي: بما يبلغني ربي، أي: بالقرآن الكريم. ويسمع: يدرك الأصوات والكلام. والصم: جمع أصم. وهو الذي فقد حاسة السمع. والدعاء: المناداة بالاسم للتبليغ. وبتسهيل الثانية يريد القراءة «الدُّعاءَ إذا». وينذرون: يخوَّفون ويهددون بالانتقام. وسمعوه: بُلّغوا به وأدركوه بسمعهم. خ: «يستمعون». ومستهم: نزلت بهم. والعذاب: التعذيب. وللتنبيه أي: حرف تنبيه وليس للنداء، دعوا على أنفسهم بالهلاك مقرين بالظلم. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها، والشرك أفظع ذلك. ونضع: نُحضر ونهيئ. والموازين: جمع ميزان، للمبالغة والتهويل. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الأموات بالبعث للحساب والجزاء. وتظلم: تُنقص ويجار عليها. والنفس: الفرد من الإنس والجن والملائكة. والزنة: مقدار الوزن. والحبة: الواحدة من البزر. والخردل: نبات يضرب به المثل في الصغر. وأتينا بها: أحضرناها. وكفى بنا: بلغنا الغاية في الكفاية والاقتدار.

(٢) آتيناه: أعطيناه وأوحينا إليه، مكلفين له بالعمل والتبليغ. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وهارون: أخوه. والضياء: النور والهداية إلى الحق والخير. وذكرًا: تذكرة بما هو مصلحة الخلق. وفي الأصل: «وذِكرَى». انظر الآية ٥٤ من سورة غافر. والمتقي: من يتجنب غضب الله فيمتثل الأمر والنهي طلبًا للرضا. ويخشون ربهم: يخافون عقابه ويرغبون في رضاه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعنهم: عن الناس. وهم أي: المتقون. والساعة: يوم القيامة. وسقط «أي» من قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات. وذكر أي: تخليد لذكر العرب بين الناس، وعظة لمن اتعظ به. والمبارك: الكثير المنافع والخير. وأنزلناه: أوحيناه إلى الرسول. والمنكِر: المكذب الجاحد.

(٣) آتيناه: وهبناه وخلقنا فيه. وإبراهيم: أبو الأنبياء، كان في كوثَى من العراق. والرشد: الهداية إلى وجوه الخير والصلاح، له ولمن حوله. والبلوغ: الرشد نفسه. وهو إدراك سن الحلم والرشاد. يعني: وهبناه إدراك البالغين الراشدين، قبل أوانه. وبه عالمين: محيطين بما لديه، من أحوال عجيبة وأسرار بديعة، تؤهله للنبوة والإصلاح. وللقصاصين في ذلك أخبار كثيرة مختلفة، ذكر ابن كثير أنها من الإسرائيليات المشتملة على الكذب. وقومه: جماعته التي هو منها. والتماثيل: جمع تمثال. وهو الشكل المصنوع على صورة مخلوق. ووجدنا: أبصرنا بأعيننا. وكنتم أي: وما تزالون. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والعابد: المقدس. والضلال: الخروج عن الهداية.

(٤) الحق: الصدق والجِدّ. أي: أأنت جادّ فيما تقول؟ واللاعب: الهازل. والشاهد: العالم بالحقيقة الثابتة. وأكيدها: أجتهد في كسرها. والأصنام: جمع صنم. وهو ما يصنع من حجر وغيره للعبادة. وتولوا: تذهبوا. والمدبر: المنصرف يوجّه ظهره للمكان الذي غادره. وجعلهم: صيّر الأصنام. والمجتمع: مكان الاجتماع. وبكسرها يريد القراءة «جِذاذًا»: جمع جَذيذ، أي: مكسَّر محطَّم. وكبيرًا لهم: الأكبر فيهم. والكبير هو الأكبر. ولعلهم: لعل القوم، أي: لِيُتوقَّعَ منهم. وإليه يرجعون: يعودون إلى هذا الصنم يسألونه. وفي قرة العينين والمنحة: فيروا.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

١- ﴿**قالوا**﴾ بعد رُجوعهم، ورُؤيتهم ما فُعِل: ﴿**مَن فَعَلَ هٰذا بِآلِهتِنا؟ إنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ**﴾ ٥٩ فيه. ﴿**قالُوا**﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿**سَمِعْنا فَتًى يَذكُرُهُم**﴾ أي يَعيبهم، ﴿**يُقالُ لَهُ إبراهِيمُ** ٦٠. **قالوا: فائتُوا بِهِ على أعيُنِ النّاسِ**﴾ أي: ظاهرًا، ﴿**لَعَلَّهُم يَشهَدُونَ**﴾ ٦١ عليه أنه الفاعل.

٢- ﴿**قالُوا**﴾ له بعد إتيانه: ﴿**أأنتَ**﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه - ﴿**فَعَلتَ هٰذا بِآلِهتِنا؟ يا إبراهِيمُ** ٦٢. **قالَ**﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿**بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هٰذا. فاسألُوهُم**﴾ عن فاعله، ﴿**إن كانُوا يَنطِقُونَ**﴾ ٦٣. فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تعريض لهم بأنّ الصنم المعلومَ عجزُه عن الفعل لا يكون إلٰهًا.

٣- ﴿**فَرَجَعُوا إلَى أنفُسِهِم**﴾ بالتفكّر، ﴿**فقالُوا**﴾ لأنفُسهم: ﴿**إنّكُم أنتُمُ الظّالِمُونَ**﴾ ٦٤ أي: بعِبادتكم من لا ينطق. ﴿**ثُمّ نُكِسُوا**﴾ من الله ﴿**عَلَى رُؤُوسِهِم**﴾ أي: رُدّوا إلى كُفرهم، وقالوا: والله ﴿**لَقَد عَلِمتَ ما هٰؤُلاءِ يَنطِقُونَ**﴾ ٦٥، أي: فكيف تأمرنا بسُؤالهم؟ ﴿**قالَ: أفتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا**﴾، من رزق وغيره، ﴿**ولا يَضُرُّكُم**﴾ ٦٦ شيئًا، إن لم تعبدوه؟ ﴿**أُفٍّ**﴾ - بكسر الفاء وفتحها - بمعنى مصدر أي: نتنًا وقُبحًا ﴿**لَكُم ولِما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه. ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ٦٧ أنّ هذه الأصنام لا تستحقّ العِبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقّها الله تعالى؟ ﴿**قالُوا: حَرِّقُوهُ**﴾ أي: إبراهيمَ ﴿**وانصُرُوا آلِهَتَكُم**﴾ أي: بتحريقه، ﴿**إن كُنتُم فاعِلِينَ**﴾ ٦٨ نُصرتَها.

٤- فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في مَنجَنيق ورمَوه في النار. قال الله تعالى: ﴿**قُلنا: يا نارُ، كُونِي بَردًا وسَلامًا على إبراهِيمَ**﴾ ٦٩. فلم تُحرق منه غيرَ وِثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها. وبقوله «سلامًا» سلم من الموت ببردها. ﴿**وأرادُوا بِهِ كَيدًا**﴾ - وهو التحريق - ﴿**فجَعَلناهُمُ الأخسَرِينَ**﴾ ٧٠ في مُرادهم، ﴿**ونَجَّيناهُ ولُوطًا**﴾ ابنَ أخيه هارانَ من العِراق، ﴿**إلَى الأرضِ الَّتي بارَكنا فِيها لِلعالَمِينَ**﴾ ٧١ بكثرة الأنهار والأشجار - وهي الشام. نزل إبراهيمُ بِفلَسطينَ، ولوطٌ بالمؤتفكة، وبينهما يوم - ﴿**ووَهَبنا لَهُ**﴾: لإبراهيم - وكان سأل ولدًا كما ذُكر في «الصافات» - ﴿**إسحاقَ، ويَعقُوبَ نافِلَةً**﴾ أي: زيادةً على المسؤول، أو هو ولد الولد، ﴿**وكُلًّا**﴾ أي: هو وولداه ﴿**جَعَلنا صالِحِينَ**﴾ ٧٢ أي: أنبياءَ، ﴿**وجَعَلناهُم أئمّةً**﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدى بهم في الخير، ﴿**يَهدُونَ**﴾ الناس ﴿**بِأمرِنا**﴾ إلى دِيننا، ﴿**وأوحَينا إلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وإقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ**﴾، أي: أن تُفعل وتُقام وتُؤتى منهم ومن أتباعهم. وحذفُ هاء

---

(١) فعله: قام به. والظالم: المتجاوز للحد بجرأته. وسمعنا: أدركنا بأسماعنا. وفتى: شابًا. ويقال له: يطلق عليه. وقالوا أي: النمروذ وأصحابه. وائتوا به: أحضِروه. وعلى أعينهم أي: معايَنًا بمرأى منهم. والأعين: جمع عين. ولعلهم: ليكون لهم. ويشهدون: يذكر بعضهم ما سمعوا منه، أو ما رأوا من تكسيره. (٢) تركه: ترك الألف وعدم إدخالها. فالمحلي يريد قراءات أربعًا. وهي بالترتيب: التي أثبتناها و«آنتَ» و«آانتَ» و«أاَنتَ». وفعلته: قمت به. واسألوهم: استخبروهم. وينطقون أي: ممن ينطق. والظاهر أن قول إبراهيم من المعاريض، أي: التورية ليفهم منه السامع غير مراد المتكلم. وتسميته أحيانًا بالكذب هو لتشابه الصورتين ظاهرًا. (٣) الأنفس: جمع نفس. وهي العقل. ونكسوا: انقلبوا. وعلى رؤوسهم أي: كان رجوعهم إلى الحِجاج كمن قُلب رأسًا على عقب. وعلمت: درَيت يقينًا. وتعبدونه: تقدسونه. وينفع: يفيد. ويضر: يقوم بما هو مكروه. وبفتحها يريد القراءة «أُفَّ». فالمذكور هنا قراءتان، خلافًا لما ذكر في الآية ٢٣ من سورة الإسراء. انظر تعليقنا على تفسير الآية المذكورة. ونتنًا: كراهة رائحة وخبثًا. وفي النسخ: «تبًا». انظر «المفصل». و«غيره» تفسير لـ «من دون الله». وتعقلون: تفكرون وتتدبرون لتعلموا. وقالوا أي: النمروذ وأصحابه للقوم. وحرقوه: أهلكوه تحريقًا بالنار. وانصروها: أعينوها بالانتقام ممن آذاها. وفاعلين: مريدين وقاصدين. (٤) قلنا: أمرنا بالإرادة أمر خلق. وكوني: صيري. وبردًا: ذات بُرود، أي: ابردي بردًا غير ضار. والسلام: السلامة والنجاة. والوِثاق: ما أوثق به. قال أبو حيان: «وقد أكثر الناس في حكاية ما جرى لإبراهيم. والذي صح هو ما ذكره - تعالى - من أنه ألقي في النار، فجعلها الله بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا، فكانت أعظم آية». البحر ٦:٣٢٨. وأرادوا: قصدوا. والكيد: تدبير الهلاك. وجعلنا: صيّرنا. والأخسرين: المبالغين في الخسران. ونجيناه: انقذناه وأخرجناه. وهاران هو الأصغر أخو إبراهيم. والأكبر هو عم إبراهيم أبو سارة. والعراق يعني: مدينة كوثى من العراق وفيها نمروذ. وباركنا: جعلنا الخير دائمًا. والعالم: الجنس من المخلوقات. والمؤتفكة: مدن قرب حمص، كذّب أهلها لوطًا فدُمرت. ويوم أي: مسيرة يوم. ووهبنا: منحنا إجابة لدعائه. والصافات أي: الآية ١٠٠ من تلك السورة. وإسحاق: ابن إبراهيم، ويعقوب: ابن إسحاق. والصالح: من كانت أعماله على ما يرضي الله. والأئمة: جمع إمام. وهو الذي يأتم الناس بعمله. وبإبدال الثانية يريد القراءة «أيِمّةً». ويهدونهم: يرشدونهم. والأمر: الوحي والتكليف. وأوحينا إليهم: بلّغناهم على لسان جبريل. والفعل: العمل. والخيرات: الشرائع المنزلة. وإقام الصلاة: أداؤها كاملة. وإيتاء الزكاة: دفعها لمن يستحقها. وتخفيف أي: لإضافته إلى الصلاة خُفّف بحذف التاء. والعابد: المقدّس المطيع.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

«إقامة» تخفيف. ﴿**وكانوا لنا عابِدِينَ**﴾ ٧٣.

١- ﴿**ولُوطًا آتيناهُ حُكمًا**﴾: فصلًا بين الخُصوم ﴿**وعِلمًا، ونجّيناهُ مِنَ القَرْيَةِ الّتي كانَتْ تعمَلُ**﴾ أي: أهلُها الأعمالَ ﴿**الخَبائثَ**﴾، من اللّواط والرمي بالبُندق واللعب بالطيور وغير ذلك - ﴿**إنَّهم كانوا قومَ سَوءٍ**﴾: مصدرُ: ساءَه، نقيضِ: سرَّه ﴿**فاسِقِينَ**﴾ ٧٤ - ﴿**وأدخَلْناهُ في رَحْمتِنا**﴾، بأن أنجيناه من قومه. ﴿**إنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٧٥.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**نُوحًا**﴾ - وما بعده بدل منه - ﴿**إذ نادَى**﴾: دعا على قومه، بقوله «ربِّ لا تَذَرْ» إلى آخره، ﴿**مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ، ﴿**فاستَجَبْنا لَهُ، فنَجّيناهُ وأهلَهُ**﴾ الذين في سفينته ﴿**مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾ ٧٦، أي: الغرقِ وتكذيب قومه له، ﴿**ونَصَرْناهُ**﴾: منعناه ﴿**مِنَ القَومِ الّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا**﴾ الدالّة على رسالته، ألّا يَصِلوا إليه بسُوء. ﴿**إنَّهم كانُوا قومَ سَوءٍ، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ**﴾ ٧٧.

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**داوُدَ وسُلَيمانَ**﴾ أي: قِصّتَهما، ويُبدل منهما: ﴿**إذ يَحكُمانِ في الحَرْثِ**﴾ هو زرع أو كرم، ﴿**إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَومِ**﴾ أي: رعته ليلًا، بلا راعٍ بأن انفلتت، ﴿**وكُنّا لِحُكمِهِم شاهِدِينَ**﴾ ٧٨. فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحبِ الحرث رقابُ الغنم. وقال سُليمان: يَنتفع بدَرّها ونسلها وصوفها، إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها، فيردّها إليه. ﴿**ففَهَّمْناها**﴾ أي: الحُكومةَ ﴿**سُلَيمانَ**﴾ - وحكمُهما باجتهادٍ ورجَعَ داود إلى سليمان، وقيل: بوحيٍ والثاني ناسخ للأول - ﴿**وكُلًّا**﴾ منهما ﴿**آتَينا**﴾هُ ﴿**حُكمًا**﴾: نُبوّة ﴿**وعِلمًا**﴾ بأمور الدِّين.

٤- ﴿**وسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الجِبالَ، يُسَبِّحْنَ، والطَّيرَ**﴾ كذلك، سُخِّرا للتسبيح معه، لأمره به إذا وَجدَ فترة لينشط له، ﴿**وكُنّا فاعِلِينَ**﴾ ٧٩ تسخير تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندكم، أي: مجاوبةً للسيد داود، ﴿**وعَلَّمْناهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ**﴾ وهي الدِّرع لأنها تُلبس - وهو أوّل مَن صنعها وكان قبلها صفائحُ - ﴿**لَكُم**﴾ في جملة الناس، ﴿**لِنُحصِنَكُم**﴾ بالنون لله، وبالتحتانيّة لداود، وبالفوقانيّة للبوس، ﴿**مِن بأسِكُم**﴾: حربكم مع أعدائكم. ﴿**فَهَل أنتُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**شاكِرُونَ**﴾ ٨٠ نِعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

٥- ﴿**و**﴾ سخّرنا ﴿**لِسُلَيمانَ الرِّيحَ عاصِفةً**﴾ - وفي آية أُخرى: «رُخاءً» - أي: شديدة الهبوب وخفيفته بحسَب إرادته، ﴿**تَجرِي بأمرِهِ إلَى الأرضِ الّتي بارَكْنا فِيها**﴾ وهي الشام، ﴿**وكُنّا بِكُلِّ شَيءٍ عالِمِينَ**﴾ ٨١. من ذلك علمه - تعالى - بأنّ ما يُعطيه سليمانَ يدعوه إلى الخضوع لربّه. ففعلَه - تعالى - على مُقتضى علمه، ﴿**و**﴾ سخّرنا ﴿**مِنَ الشَّياطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ**﴾: يدخلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسُليمان، ﴿**ويَعمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ**﴾ أي: سِوى الغَوص من البناء وغيره، ﴿**وكُنّا لَهُم حافِظِينَ**﴾ ٨٢ من أن يُفسدوا ما عملوا، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه، إن لم يشتغلوا بغيره.

---

(١) آتينا: أعطينا. والعلم: الفقه اللائق بالنبوة. ونجينا: أنقذنا. والقرية: مدينته التي كان فيها واسمها سدوم. والخبائث: جمع خبيثة. وهي البالغة القبح. واللواط: فعل الفاحشة في الذكور. والبندق: واحدته بندقة. وهي هنا كرة من الحجر يُقذف بها المارّة. والسوء: الشر. والفاسق: الخارج عن طاعة الله. وأدخلناه: قدّرنا له الدخول. ورحمتنا أي: من يستحق عطفنا بالإحسان.

(٢) نوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس. وبدل: يعني أن «إذ»: بدل من «نوحًا»، والتقدير: وقتَ ندائه. وآخره أي: آخر قوله في الآية ٢٦ من سورة نوح. واستجبنا له: حققنا ما طلبه. وأهله: أصحاب دينه من أسرته وقومه. والكرب: أقصى الغم. والعظيم: لامثيل له. وكذبوها: أنكروها. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالطوفان. (٣) داود وسليمان: من أنبياء بني إسرائيل. ويحكم: يقضي بين المتخاصمين. والغنم: الماعز والضأن. انظر «المفصل». والقوم أي: بعضهم. وشاهدين: حاضرين بعلم ومرأى. ورقاب الغنم: مُلكها. والإصلاح: العناية. وصاحبها: صاحب الغنم. وفهّمناها سليمان: خصصناه بفضل من الفهم، فأدرك به الصواب. وآتيناه: أعطيناه. وفي النسختين: «آتينا». (٤) سخرناه: ذلّلناه وكلّفناه العمل. والجبال: جمع جبل. ويسبح: ينزه الله ويقدسه. والتسبيح هنا بلسان الحال، يفهمه من أوتي القدرة على ذلك. والطير: واحده طائر. و«لأمره به. . .» أي: لأن يأمره داود بالتسبيح، حين يجد في نفسه فتورًا. وكنا أي: وما نزال دون قيد بزمان. وفاعلين: قادرين على الفعل. وتسخير تسبيحهما: تكليفهما حصوله. ومجاوبة أي: لأجل مجاوبة داود حين يأمرهما. وعلمنا: ألهمنا. والصنعة: العمل المتقن. واللبوس: ما يلبس. ونحصن: نحمي. وبالنون. . . للبوس يريد القراءة التي أثبتناها ضمير العظمة فيها لله، وقراءة «لِيُحصِنَكُم» بالتحتانية ضمير الفاعل لداود، وقراءة «لِتُحصِنَكُم» بالفوقانية ضمير الفاعل للبوس. (٥) الريح: الهواء المتحرك. وتجري: تسير. والأمر: الإرادة. وباركنا: جعلنا الخير. وعالمين: محيطين علمًا بالخفايا والظواهر. والشياطين: جمع شيطان، أي: الكافر من الجن. قال أبوحيان: «وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان. ولا ينبغي أن يعتمد إلّا على ما قصه الله في كتابه، وفي حديث رسول الله». البحر ٦: ٣٣٣. ويعمل: ينفذ. والحافظ: المانع من الشر.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿أيُوبَ﴾، ويبدل منه: ﴿إذ نادَى ربَّهُ﴾، لمّا ابتُلي بفقدِ جميع ماله وولده، وتمزيقِ جسده، وهجرِ جميع الناس له إلّا زوجتَه، سنين ثلاثًا أو سبعًا أو ثمانيَ عشْرةَ، وضُيِّق عيشُه: ﴿أنّي﴾ - بفتح الهمزة بتقدير الباء - ﴿مَسَّنيَ الضُرُّ﴾ أي: الشِّدّة، ﴿وأنتَ أرحمُ الرّاحِمينَ﴾ ٨٣. ﴿فاستَجَبْنا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فكَشَفْنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ، وآتيناهُ أهلَهُ﴾: أولادَه الذكور والإناث، بأن أُحيُوا له، وكُلّ من الصِّنفين ثلاث أو سبع، ﴿ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ من زوجته، وزِيدَ في شبابها. «وكانَ لهُ أندرٌ للقمح وأندرٌ للشَّعيرِ، فبعَثَ اللهُ سحابتَينِ، أفرَغَتْ إحداهُما على أندَرِ القَمحِ الذَّهَبَ، وأفرَغَتِ الأُخرَى على أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ، حتَّى فاضَ». ﴿رَحْمَةً﴾: مفعولٌ له ﴿مِن عِندِنا﴾: صفةٌ، ﴿وذِكرَى لِلعابِدِينَ﴾ ٨٤، ليصبروا فيُثابوا.

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إسماعِيلَ وإدرِيسَ وذا الكِفلِ، كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ﴾ ٨٥ على طاعة الله وعن معاصيه، ﴿وأدخَلْناهُم في رَحمتِنا﴾ من النُبوّة. ﴿إنَّهُم مِنَ الصّالِحِينَ﴾ ٨٦ لها. وسُمّي ذا الكِفل لأنه تكفّل بصيام جميع نهاره وقِيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بذلك. وقيل: لم يكن نبيًّا.

٣- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿ذا النُّونِ﴾: صاحبَ الحُوت وهو يُونسُ بن متَّى، ويُبدل منه: ﴿إذ ذَهَبَ مُغاضِبًا﴾ لقومه أي: غضبان عليهم ممّا قاسى منهم، ولم يُؤذَن له في ذلك، ﴿فظَنَّ أن لَن نَقدِرَ علَيهِ﴾ أي: نقضيَ عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحُوت، أو نضيّق عليه بذلك، ﴿فنادَى في الظُّلُماتِ﴾: ظُلمة الليل وظُلمة البحر وظُلمة بطن الحُوت: ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا إلَهَ إلّا أنتَ، سُبحانَكَ! إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾ ٨٧ في ذَهابي من بين قومي بلا إذن. ﴿فاستَجَبْنا لَهُ، ونَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ﴾ بتلك الظلمات. ﴿وكَذٰلِكَ﴾ كما أنجيناه ﴿نُنْجِي المُؤمِنِينَ﴾ ٨٨ من كربهم، إذا استغاثوا بنا داعين.

٤- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿زَكَرِيّاءَ﴾، ويُبدل منه: ﴿إذ نادَى رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ، لا تَذَرْنِي فَردًا﴾ أي: بلا ولد يرثني. ﴿وأنتَ خَيرُ الوارِثِينَ﴾ ٨٩ الباقي بعد فناء خلقك. ﴿فاستَجَبْنا لَهُ﴾ نِداءه، ﴿ووَهَبْنا لَهُ يَحيَى﴾ ولدًا، ﴿وأصلَحْنا لَهُ زَوجَهُ﴾ فأتت بالولد بعد عُقمها. ﴿إنَّهُم﴾ أي: مَن ذُكر من الأنبياء ﴿كانُوا يُسارِعُونَ﴾: يُبادرون ﴿في الخَيراتِ﴾: الطاعات، ﴿ويَدعُونَنا رَغَبًا﴾ في رحمتنا، ﴿ورَهَبًا﴾ من عذابنا، ﴿وكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾ ٩٠: متواضعين في عِبادتهم.

---

(١) أيوب: نبي من ذرية إسحاق. ويبدل: انظر الآية ٧٨. وناداه: استغاث به لينقذه من البلاء. وزوجته اسمها رحمة وهي حفيدة يوسف. وللمفسرين في بيان سبب الدعاء بضعة عشر قولًا، أمثلها أنه نهض ليصلي فلم يقدر، فقال: «مسني الضر» إخبارًا عن حاله مع التضرع، لاشكوى لبلائه. البحر ٦: ٣٣٤. ومسني: أصابني. والراحم: المتفضل بالعطف. واستجبنا: انظر الآية ٧٦. وكشفنا: أزلنا. وآتينا: أعطينا. و«أولاده... أو سبع» روي أنه قيل لأيوب: «إن أهلك في الجنة. فإن شئت أتيناك بهم، وإن شئت تركناهم لك في الجنة، وعوضناك مثلهم». فقال: لا بل اتركهم في الجنة. وعُوّض مثلَهم في الدنيا. تفسير ابن كثير ٣: ١٨٥. وقد طول الأخباريون في قصة أيوب، بدسائس إسرائيلية لايصح أكثرها. والأندر: البيدر. والورق: الفضة. وفاض: امتلأ كل من الأندرين. وهذا النص من حديث صحيح، أخرجه ابن حِبّان في ٤: ٢٤٤. والرحمة: العطف بالإحسان. والذكرى: التذكير. والعابد: المقدِّس المطيع لله.

(٢) إسماعيل: ابن إبراهيم. وإدريس: جد لنوح أوحيت إليه ثلاثون صحيفة. وذو الكفل قيل: هو بِشر بن أيوب. والصابر: المتجلد. وأدخلناه: جعلناه. والرحمة: العطف بالإحسان. والصالح لها: المستحق للنبوة. وقال أبو حيان: «وقيل في تسمية ذا الكفل أقوال مضطربة لاتصح». البحر ٦: ٣٣٤.

(٣) النون: الحوت. وذو النون كان نبيًا من بني إسرائيل في نِينَوَى قرب الموصل. ويبدل: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٨. وذهب: غادر القوم في نينوى. وغضبان عليهم أي: وهم غِضاب عليه. وظن: حسب. ونقدر: نُقدّر ونَحكم. ونادى: دعا اللهَ باسمه الأعظم. والظُّلْمة: السواد الشديد. والإلٰه: المعبود بحق وحده. وسبحانك: انظر الآية ١ من سورة الإسراء. والظالم: المخطئ. واستجبنا: انظر الآية ٧٦. والغم: الحزن. والظلمات هي المذكورة في الآية ٨٧. وأنجيناه: أنقذناه. والمؤمن: المصدق لله ورسوله قد اعترف قلبه بالتوحيد وما يتعلق به.

(٤) زكرياء: نبي من بني إسرائيل قتلوه، وهو زوج خالة مريم. انظر الآيات ٢-١١ من سورة مريم. وفيما عدا الأصل وخ: «زكريا». وربِّ أي: ياربّي. ولاتذرني: لاتتركني وتَدَعْني. والفرد: الوحيد لانسل له. أي: ارزقني الولد الذي يرث النبوة والعلم، ليدعو الناس إليك. وخيرهم: أفضلهم، لأن عاقبة الأمور كلها إليك. فهو يفوض أمره إلى الله، أي: وإن لم ترزقني وارثًا فإنك الوارث خير وارث، أي: من يملك الأشياء بعد فناء أصحابها. واستجبنا له: انظر الآية ٧٦. ووهبنا له: أعطيناه. ويحيى: نبي قتله اليهود مهرًا لزواج الملك. وأصلحناها: جعلناها صالحة للحمل. والزوج: المرأة. و«من ذكر» أي: في الآيات ٤٨-٩٠. وفي الخيرات: في عملها والدعوة لها. ويدعون: يرجون الخير متذللين. ورغبًا: راغبين ومؤملين. ورهبًا: راهبين وفزعين.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

١- ﴿و﴾ اذكرْ مريم ﴿الَّتِي أحصَنَتْ فَرْجَها﴾: حفظتْه من أن يُنال، ﴿فنَفَخْنا فِيها مِن رُوحِنا﴾ أي: جِبريلَ، حيث نفخ في جيب دِرعها فحملت بعيسَى، ﴿وجَعَلْناها وابنَها آيةً لِلعالَمِينَ﴾ ٩١: الإنسِ والجنّ والملائكة، حيثُ ولدتْه من غير فحل - ﴿إنَّ هٰذِهِ﴾ أي: مِلّةَ الإسلام ﴿أُمّتُكُم﴾: دِينكم، أيها المُخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها، ﴿أُمّةً واحِدةً﴾: حالٌ لازمة، ﴿وأنا رَبُّكُم. فاعبُدُونِ﴾ ٩٢ وحِّدُونِ - ﴿وتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعضُ المخاطبين ﴿أمرَهُم بَيْنَهُم﴾ أي: تفرّقوا أمر دِينهم مُتخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى. قال تعالى: ﴿كُلٌّ إلَينا راجِعُونَ﴾ ٩٣ أي: فنُجازيه بعمله. ﴿فمَن يَعمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ، وهْوَ مُؤمِنٌ، فلا كُفْرانَ﴾ أي: جحودَ ﴿لِسَعيِهِ، وإنّا لَهُ كاتِبُونَ﴾ ٩٤ بأن نأمر الحَفَظة بكتبه، فنُجازيه عليه.

٢- ﴿وحَرامٌ علَى قَرْيةٍ، أهلَكْناها﴾ أُريدَ أهلُها، ﴿أنَّهُم لا﴾: زائدةٌ ﴿يَرجِعُونَ﴾ ٩٥ أي: مُمتنع رُجوعُهم إلى الدنيا. ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ لامتناع رُجوعهم ﴿إذا فُتِحَتْ﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿يأجُوجُ ومأجُوجُ﴾، بالهمز وتركه: اسمان أعجميّان لقبيلتين، ويقدَّر قبله مضاف أي: سدُّهما - وذلك قربَ القيامة - ﴿وهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مرتفعٍ من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾ ٩٦: يُسرعون، ﴿واقتَرَبَ الوَعدُ الحَقُّ﴾ أي: يومُ القيامة، ﴿فإذا هِيَ﴾ أي: القِصّة ﴿شاخِصةٌ أبصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشِدّته، يقولون: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكنا. ﴿قَد كُنّا﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هٰذا﴾ اليوم، ﴿بَل كُنّا ظالِمِينَ﴾ ٩٧ أنفُسَنا بتكذيبنا الرسلَ.

٣- ﴿إنَّكُم﴾ - يا أهلَ مكّة - ﴿وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وَقودها، ﴿أنتُم لَها وارِدُونَ﴾ ٩٨: داخلون فيها. ﴿لَو كانَ هٰؤُلاءِ﴾ الأوثانُ ﴿آلِهةً﴾، كما زعمتم، ﴿ما وَرَدُوها﴾: دخلوها، ﴿وكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيها خالِدُونَ ٩٩، لَهُم﴾: للعابدين ﴿فِيها زَفِيرٌ، وهُم فِيها لا يَسمَعُونَ﴾ ١٠٠ شيئًا لشِدّة غليانها.

٤- ونزل، لمّا قال ابن الزِّبَعرَى: «عُبِدَ عُزيرٌ والمسيحُ والملائكةُ، فهم في النار» على مُقتضى ما تقدّم: ﴿إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنّا﴾ المنزلةُ ﴿الحُسنَى﴾، ومنهم من ذُكر، ﴿أُولٰئِكَ عَنها مُبعَدُونَ ١٠١، لا يَسمَعُونَ حَسِيسَها﴾: صوتها، ﴿وهُم فِيما اشتَهَتْ أنفُسُهُم﴾ من النعيم ﴿خالِدُونَ ١٠٢، لا يَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكبَرُ﴾ - وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار - ﴿وتَتَلَقّاهُمُ﴾: تستقبلهم ﴿المَلائكةُ﴾ عِند خُروجهم من القُبور، يقولون لهم: ﴿هٰذا يَومُكُمُ الَّذِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾ ١٠٣ في الدنيا.

---

(١) مريم: ابنة عمران، وهي أم عيسى. والفرج: مكان الجماع. وينال: يصل إليه أحد بحلال أو حرام. ونفخنا: أجرينا الهواء بنفخ جبريل. وفيها: في تكوين ابنها من جيب درعها. ومن روحنا: من جهة جبريل، لأنه هو الذي أُرسل إليها بذلك. وجيب الدرع: الفُرجة في القميص يدخل منها الرأس. وجعل: صيّر. والآية: المعجزة. والعالم: مجموع الجنس من الخلق. وفحل أي: ماءِ رجلٍ تحمل منه. والمِلّة: العقيدة. يعني أن الإسلام هو الدين الذي كان عليه جميع الرسل والأنبياء. ووحدون أي: في التقديس. وتقطعوه: اقتسموه، فكل قوم آمن بشيء منه وكفر بغيره. والأمر: ما أُمروا به من العقيدة والشرائع. وإلينا: إلى لقاء حسابنا. والراجع: العائد من قبره بالبعث. ويعمل: يكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما شرع من الفرائض والنوافل. والسعي: العمل بقصد. وكاتبون: مسجلون وحافظون ليوم القيامة.

(٢) حرام أي: لايكون أبدًا. والقرية: البلدة. وأهلكناها: قضينا على أهلها بالاستئصال لكفرهم. ويرجعون: يعودون. وإلى الدنيا: إلى الحياة الدنيا. و«حتى» هنا لمجرد الاستئناف والسببية، وليس فيها معنى للغاية أصلًا. وفتحت: أزيل ما يمنع انتشارها في العالم. وبالتشديد يريد القراءة «فُتِّحَتْ». وتركه يعني القراءة «ياجُوجُ وماجُوجُ». والراجح أن المراد بيأجوج ومأجوج هنا الغالبية العظمى من البشر، وما يخرج اليوم أو مستقبلًا بعمليات الاستنساخ أو الاستنسال. انظر «المفصل». واقترب: قرب. والحق: الثابت. والقصة: الموضوع والأمر. والشاخصة: المرتفعة لاتكاد تطرف. والأبصار: جمع بصر. والغفلة: السهو.

(٣) تعبدون: تقدسون. والأوثان أي: وما عُبد من المخلوقات برضاهم، كإبليس والطغاة المتألهين من البشر. والحصب: مايرمى به ويقذف. والآلهة: جمع إلٰه. والخالد: المقيم أبدًا. وللعابدين أي: والمعبودين من الإنس والجن. والزفير: الأنين مع التنفس الشديد. وغليانها أي: وماهم فيه من الصراخ والغم.

(٤) عبد الله بن الزِّبَعرَى كان مشركًا، ثم أسلم وحسن إسلامه. انظر «المفصل». وتقدم أي: في الآية ٩٨. وسبقت: قضي بها. ومنّا: من عندنا. والحسنى: التي هي أحسن ما يكون. ومن ذكر أي: عزير والمسيح والملائكة. وعنها مبعدون: لايدخلونها ولايردونها. واشتهته: طلبته. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح والجسد معًا. والخالد: من يقيم أبدًا. ويَحزُن: يؤلم. والفزع: الخوف. والأكبر: الأضخم من كل عذاب. والملائكة: جمع مَلَك. وهم مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. واليوم: الوقت. وتوعدون: تبشرون به.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا
لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ — آياتها ٧٨ — ترتيبها ٢٢

١- ﴿يومَ﴾: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا قبله ﴿نطوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾: اسمُ ملَكٍ ﴿لِلكِتابِ﴾: صحيفةِ ابن آدم عِند موته - واللام: زائدة. أو السِّجِلُّ: الصحيفة، والكتابُ بمعنى المكتوب، واللام بمعنى: على. وفي قراءة: «لِلكُتُبِ» جمعًا - ﴿كَما بَدَأْنا أوَّلَ خَلقٍ﴾ عن عدم ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه - فالكاف: مُتعلّقة بـ «نُعيد» وضميره عائد إلى «أوّل» وما: مصدريّة - ﴿وَعدًا عَلَينا﴾: منصوب بـ «وعَدْنا» مُقدّرًا قبله، وهو مؤكِّد لمضمون ما قبله. ﴿إنّا كُنّا فاعِلِينَ﴾ ١٠٤ ما وعدْنا. ﴿ولَقَد كَتَبْنا في الزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب، أي: كُتبِ الله المُنزّلة، ﴿مِن بَعدِ الذِّكرِ﴾ بمعنى أُمّ الكِتاب الذي عِند الله، ﴿أنَّ الأرضَ﴾ أرض الجنّة ﴿يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾ ١٠٥ عامٌّ في كُلّ صالح.

٢- ﴿إنَّ في هٰذا﴾ القُرآنِ ﴿لَبَلاغًا﴾: كفايةً في دُخول الجنّة، ﴿لِقَومٍ عابِدِينَ﴾ ١٠٦ عاملين به، ﴿وما أرسَلْناكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿إلّا رَحْمةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلعالَمِينَ﴾ ١٠٧ الإنسِ والجنّ بك.

٣- ﴿قُلْ: إنَّما يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلٰهُكُم إلٰـهٌ واحِدٌ﴾ أي: ما يُوحى إليَّ في أمر الإلٰه إلّا وحدانيّتُه. ﴿فهَل أنتُم مُسلِمُونَ﴾ ١٠٨: مُنقادون لما يُوحَى إليَّ من وحدانيّة الإلٰه؟ والاستفهام بمعنى الأمر. ﴿فإن تَوَلَّوا﴾ عن ذلك ﴿فقُلْ: آذَنتُكُم﴾: أعلمتكم بالحرب، ﴿علَى سَواءٍ﴾: حالٌ من الفاعل والمفعول، أي: مُستَوِينَ في عِلمه لا أستبدّ به دُونكم لتتأهبوا، ﴿وإن﴾: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ أم بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ﴾ ١٠٩ من العذاب أو القيامة المُشتملة عليه؟ وإنما يعلمه الله - ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعلَمُ الجَهرَ مِنَ القَولِ﴾ والفعل منكم ومن غيرِكم، ﴿ويَعلَمُ ما تكتُمُونَ﴾ ١١٠ أنتم وغيركم من السرّ - ﴿وإن﴾: ما ﴿أدرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: ما أعلمتكم به، ولم يُعلَم وقتُه، ﴿فِتْنةٌ﴾: اختبار ﴿لَكُم﴾، ليَرى كيف صُنعكم؟ ﴿ومَتاعٌ﴾: تمتّعٌ به ﴿إلَى حِينٍ﴾ ١١١ أي: انقضاءِ آجالكم. وهذا مُقابِل للأوّل المُترجَّى بـ «لعلّ»، وليس الثاني محلًّا للترجّي. ﴿قُلْ﴾ - وفي قراءة: «قالَ» -: ﴿رَبِّ، احكُمْ﴾ بيني وبين مُكذّبِيَّ ﴿بِالحَقِّ﴾: بالعذاب لهم أو النصر عليهم. فعُذّبوا ببدر وأُحد والأحزاب وحُنين والخندق، ونُصر عليهم. ﴿ورَبُّنا الرَّحمٰنُ المُستَعانُ علَى ما تَصِفُونَ﴾ ١١٢ من كذبكم على الله، في قولكم: «اتَّخَذَ وَلَدًا»، وعليَّ في قولكم: ساحرٌ، وعلى القرآن في قولكم: شِعرٌ.

سورة الحَجّ

٤- مكية إلّا «ومن الناس من يعبد الله» الآيتين، أو إلّا «هذان خصمان» الستّ آيات فمدنيات، وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية.

---

(١) منصوب أي: هو مفعول به للفعل المقدر. ونطويها: نُدرجها ونُخفيها. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والصحيفة: ما يسجل بها العمل كله. وزائدة أي: للتقوية والتوكيد. وبدأناه: أنشأناه ولم يكن له وجود. وأول خلق: الخلق الأول للبشر والجن والملائكة. ونعيده: نخلقه مرة ثانية. وضميره: ضمير المفعول به في «نعيده». أي: نعيد خلقه. والوعد: التعهد. وعلينا أي: ثابت علينا إنجازه. وكنا أي: ولانزال دون قيد زمني. وفاعلين: محققين وقادرين على الفعل. وكتبنا: أوحينا وأمرنا بالكتابة. وأم الكتاب: مخلوق عظيم مسجل فيه ما كان وما سيكون، من الأقدار المبرمة محققة والمحتملة مطلقة، لا يعلم ما فيه إلّا الله. ويرثها :ينزل فيها كأنه مالك لها. والعباد: جمع عبد. وصالح أي: من عمل ما يرضاه الله مع الإيمان والتوحيد.

(٢) القوم: الجماعة من الإنس أو الجن. والعابد: المقدس لله. وأرسلنا: بعثنا بالدعوة للتوحيد مع العمل. والرحمة: الإحسان بالنعم. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وبك: بسبب إرسالك. فمَن آمن بك سَعد، ومن كفر أُخر عنه العقاب المستأصل.

(٣) قل أي: للمشركين. ويوحى: يَنزل به جبريل للتبليغ، وييسّر حفظه وتفسيره. انظر الآية ١١٠ من سورة الكهف. وإنما: للمبالغة في التوكيد، وأنما: للحصر الحقيقي. وبمعنى الأمر يعني: أسلموا لله مخلصين. وتولوا: أصرّوا على الإعراض. والسواء: المساواة والعدل. وعلمه: العلم بالحرب. وتذكيرها جائز. و«ما» يعني أن «إن» حرف نفي. وأدري: أعلم. والقريب: العاجل حصوله. والبعيد: المتأخر. وما توعدون: الذي تهدَّدون به وتنذَرون. ويعلمه: يحيط به. والجهر: ما يظهر للغير. وتكتم: تخفي. والاختبار: الامتحان. والحين: الوقت المحدد. و«ليس الثاني» يعني أن الثاني - وهوتمتيع المشركين بما هم فيه - محقَّق وليس معطوفًا على خبر «لعلّ». ورب: ياربي. والحق: الحكم العادل. والخندق: غزوة الخندق، ويقال لها أيضًا: غزوة الأحزاب. فذكر «الخندق» هنا تكرار سهوًا. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والمستعان: المطلوب منه العون. وما تصفون: وصفكم الحقائق بما لايصح فيها. و«اتخذ» هو من آيات كثيرة في القرآن الكريم.

(٤) المراد بالآيتين هو الآيات ١١-١٣، وهي آيتان لدى بعض العلماء، لاختلافهم في تحديد نهاية الفواصل. والست قول آخر في الاستثناء. يعني الآيات ١٩-٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٣٤

١- ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة وغيرَهم، ﴿اتَّقوا رَبَّكُم﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه. ﴿إنَّ زَلزَلَةَ السّاعةِ﴾ أي: الحركةَ الشديدة للأرض، التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قُرب الساعة، ﴿شَيءٌ عَظِيمٌ﴾ ١ في إزعاج الناس، الذي هو نوع من العِقاب، ﴿يومَ تَرَونها تَذهَلُ﴾، بسببها، ﴿كُلُّ مُرضِعةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمّا أرضَعَتْ﴾ أي: تنساه، ﴿وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ﴾ أي: حُبلى ﴿حَملَها، وتَرَى النّاسَ سُكارَى﴾ من شِدّة الخوف، ﴿وما هُم بِسُكارَى﴾ من الشراب، ﴿ولكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ ٢ فهم يخافونه.

٢- ونزل في النضر بن الحارث وجماعة: ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ﴾، قالوا: «الملائكة بنات الله، والقُرآن أساطيرُ الأوّلين»، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابًا، ﴿ويَتَّبِعُ﴾ في جِداله ﴿كُلَّ شَيطانٍ مَرِيدٍ﴾ ٣ أي: مُتمرِّد، ﴿كُتِبَ عَلَيهِ﴾: قُضي على الشيطان ﴿أنَّهُ مَن تَوَلّاهُ﴾ أي: اتّبعه ﴿فأنَّهُ يُضِلُّهُ، ويَهدِيهِ﴾: يدعوه ﴿إلَى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ ٤ أي: النار.

٣- ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿إن كُنتُم في رَيبٍ﴾: شكٍّ ﴿مِنَ البَعثِ فإنّا خَلَقْناكُم﴾ أي: أصلَكم آدمَ ﴿مِن تُرابٍ، ثُمَّ﴾ خلقنا ذُرّيّته ﴿مِن نُطْفةٍ﴾ منيٍّ، ﴿ثُمَّ مِن عَلَقةٍ﴾ وهي الدم الجامد، ﴿ثُمَّ مِن مُضْغةٍ﴾ وهي لحمة قدرُ ما يُمضغ، ﴿مُخَلَّقةٍ﴾: مُصوّرة تامّة الخَلق، ﴿وغَيرِ مُخَلَّقةٍ﴾ أي: غير تامّة الخلق، ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُم﴾ كمال قُدرتنا، لتستدلّوا بها في ابتداء الخلق على إعادته، ﴿ونُقِرُّ﴾ - مُستأنف - ﴿في الأرحام ما نَشاءُ، إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقتِ خُروجه، ﴿ثُمَّ نُخرِجُكُم﴾ من بطون أُمّهاتكم ﴿طِفلًا﴾ بمعنى: أطفالًا، ﴿ثُمَّ﴾ نُعمِّركم ﴿لِتَبلُغوا أشُدَّكُم﴾ أي: الكمال والقُوّة - وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة - ﴿ومِنكُم مَن يُتَوَفَّى﴾: يموتُ قبل بلوغ الأشُدّ، ﴿ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلَى أرذَلِ العُمُرِ﴾: أخسّه من الهرم والخرف، ﴿لِكَيلا يَعلَمَ مِن بَعدِ عِلمٍ شَيئًا﴾ - قال عِكرمة: مَن قرأ القرآن لم يصِر بهذه الحالة - ﴿وتَرَى الأرضَ هامِدةً﴾: يابسة، ﴿فإذا أنزَلْنا عَلَيها الماءَ اهتَزَّتْ﴾: تحرّكت، ﴿ورَبَتْ﴾: ارتفعت وزادت، ﴿وأنبَتَتْ مِن﴾: زائدةٌ ﴿كُلِّ زَوجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ ٥: حسن.

---

(١) الناس: البشر عامة. وأي: حرف نداء وتنبيه للقريب، لأن الناس كلهم في علم الله حاضرون أقرب من القريب. واتقوه: تجنبوا عذابه واطلبوا رضاه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والزلزلة: الاضطراب العظيم، يكون عند الفزع. وهي من علامات قرب نهاية الحياة. والساعة: يوم القيامة. والعظيم: الذي لامثيل له. واليوم: الوقت. وترونها: تبصرون الزلزلة عِيانًا. وتذهل: تنشغل دهشة وفزعًا. والمرضعة: التي تُلقِم الرضيع ثديها. وبالفعل أي: هي تباشر الإرضاع فعلًا. وأرضعت: ألقمتْ ابنها ثديها ليَمَص اللبن الحليب. وتضع: تلقي. والحمل: الجنين في بطن أمه. وذات الحمل: صاحبته. والسكارى: جمع سكران. وهو الفاقد العقل والإدراك. والشديد: القوي الفظيع.

(٢) النضر بن الحارث صاحب لواء المشركين ببدر، قرأ تاريخ الفرس وغيرهم، وكان يحدث الناس بذلك، ويدعي أنه أحسن حديثًا مما في القرآن الكريم. وما نزل فيه هو الآيات ٣-٧، وما ذكره المحلي هنا هو بعض أقواله. وحكم الآيات، مع هذا، عامّ يشمل كل من تعاطى الجدال فيما يجوز وما لايجوز على المولى، سبحانه. ويجادل: يخاصم. وفي الله: في شأنه وصفاته. وبغير: بدون. والعلم: الدراية اليقينية. ويتبعه: يتولاه ويطيعه. والشيطان: من يغري بالشر من الجن أو البشر. ومتمرد: مصرّ على العصيان. ويضله: يسبب له الخروج عن الحق. وهاء الضميرفي «عليه وأنه وتولاه وأنه» للشيطان، وفي «يضله ويهديه» للإنسان.

(٣) الخطاب أيضًا لأهل مكة وغيرهم. والبعث: خروج الناس من قبورهم أحياء للحساب. وخلقه: أوجده ولم يكن من قبل. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًا. والمني: ماء الرجل. وإنما خص هنا دون ما يكون من بُويضة المرأة، لأنه مصدر الخصوبة وأصل فيها. وغير المخلقة: التي تسقط من الرحم قبل تمام التكوين. وظاهر الترتيب هنا أن الإنسان الكامل خُلق من هذه الأربعة المذكورة، والمراد أن آدم من التراب، وأبناءه من النطفة ثم خلقت النطفة علقة... كما في الآية ١٤ من سورة المؤمنون. ونبين: نوضح ونفصل. ونقر: نُثبت. و«مستأنف» كذا. وانظر «المفصل». والأرحام: جمع رحم. وهو موضع استقرار الجنين ونموه في بطن المرأة. ونشاء أي: نريد إقراره وتثبيته. والأجل: الوقت الخاص للشيء. والمسمى: المقدر تعيينه. ونخرجكم: نقدر لكم الخروج ونيسره. والطفل: واحده من لفظه أيضًا. وهو الوليد هنا، يكون ضعيفًا في بدنه وقدراته. وتبلغه: تصل إليه. والأشُدّ: جمع شِدّة. ويتوفى: تستوفي الملائكة روحه. ويرد: يترك في الحياة. والعمر: مدة الحياة. ويعلم: يعقل ويدرك. وعلم أي: علمه ومعرفته. والشيء: ما هو موجود أو ممكن وجوده. وانظر تعلقنا على تفسير الآية ٧٠ من سورة النحل. وتراها: تبصرها عِيانًا. والأرض أي: جزء منها. وأنزلنا: أسقطنا. والماء: ماء المطر والبَرَد والثلج والأنهار والينابيع والوديان. وأنبتت: أخرجت النبات بأمر الله. وعدم زيادة «من» أصح، والتقدير: أنبتت شيئًا كائنًا من كل زوج.

الجزء السابع عشر — سورة الحج

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
(٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ (٨) ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ
فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ (١١) يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ (١٢) يَدۡعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ (١٣)
إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ (١٥)

١- ﴿**ذٰلِكَ**﴾ المذكور، من بدء الخلق للإنسان إلى آخر إحياء الأرض، ﴿**بِأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**اللهَ هُوَ الحَقُّ**﴾: الثابت الدائم، ﴿**وأنَّهُ يُحيِي المَوتَى، وأنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٦، ﴿**وأنَّ السّاعةَ آتِيَةٌ، لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن في القُبُورِ**﴾ ٧.

٢- ونزل في أبي جهل: ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ، ولا هُدًى**﴾ معه، ﴿**ولا كِتابٍ مُنِيرٍ**﴾ ٨: له نور معه، ﴿**ثانِيَ عِطفِهِ**﴾: حالٌ أي: لاوِيَ عُنقِه تكبّرًا عن الإيمان - والعِطف: الجانب عن يمين أو شِمال - ﴿**لِيَضِلَّ**﴾، بفتح الياء وضمِّها، ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: دِينه. ﴿**لَهُ في الدُّنيا خِزيٌ**﴾: عذاب فقُتل يوم بدر، ﴿**ونُذِيقُهُ يَومَ القِيامةِ عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ ٩ أي: الإحراقِ بالنار، ويقال له: ﴿**ذٰلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ**﴾ أي: قدّمته - عُبِّرَ عنه بهما دُون غيرهما، لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما - ﴿**وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ**﴾ أي: بذي ظُلم ﴿**لِلعَبِيدِ**﴾ ١٠، فيُعذّبَهم بغير ذنب.

٣- ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَعبُدُ اللهَ، عَلَى حَرفٍ**﴾ أي: شكٍّ في عِبادته - شُبّه بالحالِّ على حرف جبل، في عدم ثباته - ﴿**فإن أصابَهُ خَيرٌ**﴾: صِحّة وسلامة في نفسه وماله ﴿**اطمأنَّ بِهِ، وإن أصابَتهُ فِتنةٌ**﴾: مِحنة وسقم في نفسه وماله ﴿**انقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ**﴾ أي: رجَعَ إلى الكُفر، ﴿**خَسِرَ الدُّنيا**﴾ بفوات ما أمّله منها ﴿**والآخِرةَ**﴾ بالكُفر - ﴿**ذٰلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ**﴾ ١١: البيِّن - ﴿**يَدعُو**﴾: يعبد، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾، من الصنم ﴿**ما لا يَضُرُّهُ**﴾، إن لم يعبده، ﴿**وما لا يَنفَعُهُ**﴾. إن عَبَدَه - ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الدعاء ﴿**هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ**﴾ ١٢ عن الحقّ - ﴿**يَدعُو لَمَن**﴾، اللام: زائدة، ﴿**ضَرُّهُ**﴾ بعبادته ﴿**أقرَبُ مِن نَفعِهِ**﴾، إن نفع بتخيّله. ﴿**لَبِئسَ المَولَى**﴾ هو أي: الناصرُ! ﴿**ولَبِئسَ العَشِيرُ**﴾ ١٣: الصاحبُ هو!

٤- وعُقّبَ ذِكرُ الشاكِّ بالخسران، بذِكر المؤمنين في الثواب في: ﴿**إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا، وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾، من الفُروض والنوافل ﴿**جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ**﴾ ١٤، من إكرام من يُطيعه، وإهانة من يَعصِيه. ﴿**مَن كانَ يَظُنُّ أن لَن يَنصُرَهُ اللهُ**﴾ أي: مُحمّدًا نبيّه، ﴿**في الدُّنيا والآخِرةِ، فَليَمدُدْ بِسَبَبٍ**﴾: بحبل ﴿**إلَى السَّماءِ**﴾ أي: سقف بيته، يشدّه فيه وفي عُنقه، ﴿**ثُمَّ لْيَقطَعْ**﴾ أي: ليختنق به، بأن يقطع نفَسه من الأرض، كما في «الصِّحاح»، ﴿**فَليَنظُرْ: هَل يُذهِبَنَّ كَيدُهُ**﴾ في عدم نُصرة النبيّ ﴿**ما يَغِيظُ**﴾ ١٥هُ منها؟ المعنى: فليختنق غيظًا منها فلا بُدّ منها. ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إنزالنا الآياتِ السابقةَ، ﴿**أنزَلناهُ**﴾ أي: القُرآنَ الباقيَ، ﴿**آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ، ﴿**وأنَّ اللهَ يَهدِي مَن يُرِيدُ**﴾ ١٦ هُداه، معطوف على هاء «أنزلناه».

---

(١) الخلق للإنسان مع ما بعده في الآية ٥. و«بسبب» أولى منه أن يكون التقدير: شاهد بوجود الله. ويحييها: يخلق فيها الحياة. والموتى: جمع ميت. والقدير: البالغ الاقتدار. والساعة: يوم القيامة. وآتية: واقعة حتمًا. ويبعثهم: يخرجهم أحياء ويسيّرهم للحساب والجزاء. والقبور: جمع قبر، الموضع يكون فيه الميت، أينما كان.

(٢) أبو جهل هو عمرو بن هشام المخزومي، أشد الناس عداوة للإسلام، وقتل في غزوة بدر. والعلم هنا: المعرفة الفطرية للإنسان. والهدى: الاستدلال يرشد إلى المعرفة اليقينية. والكتاب: ما أنزل الله من وحي مسجل. وثَنْي الطرف مراد به الانصراف والمعارضة. وبفتح الياء يكون المعنى: ليستمر في الضلال. وبضمها يريد القراءة «لِيُضِلَّ»، أي: ليُخرج الناس عن طريق الحق. والسبيل: الطريق الواضح. ونذيقه: نُنزل به. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الموتى من القبور بالبعث. وذلك: ما ذكر من الخزي والعذاب. وقدمته: اكتسبتْه لك مقدمًا. والظلم: الجور ووضع الشيء في غير موضعه. والعبيد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وظلام: منسوب إلى الظلم للمبالغة. ونفي المبالغة يستلزم ثبوت المبالغة في الضد، أي: العدل والإنصاف.

(٣) روي أن بعض الأعراب كان يأتي إلى المدينة مسلمًا، فإذا كثر ماله وعياله رضي واطمأن، وإذا أصابه شر في نفسه أو ماله أو عياله ارتد إلى الشرك. فنزلت الآيات. الحديث ٤٤٦٥ في البخاري. والآية تعم من كان كذلك. ويعبده: يوحده ويطيعه. وحرف الجبل: جانبه الأقصى. وأصابه: نزل به. والخير: ما ينفع ويسر. واطمأن به: سكن إلى الإيمان واستقر فيه. والفتنة: الاختبار بما تكرهه النفس. وعلى وجهه أي: مرتدًا إلى الشرك. وخسره: ضيعه. والآخرة أي: ما فيها من النعيم. ويضره: يُلحق به المكروه. وينفعه: يُلحق به ما يَسر. والضلال: الذهاب عن الصواب. وزيادة اللام للتوكيد. والمراد ببعد النفع نفيُه، لأن العرب تقول عما لايكون: هو بعيد. وبئس: بلغ الغاية في الشقاء والشر.

(٤) يدخلهم: يقضي لهم بالدخول. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها: من تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر، من ماء أو عسل أو لبن أوخمر. ويفعل: يخلق. ويريده: يقضي به. ويظن: يتوهم. وينصره: يعينه على الكفر. و«محمدًا» تفسير للمفعول في «ينصره». ويمد: يعلي. ويشده أي: يشد الحبل. ويقطع نفَسه أي: بحبس مجاريه. والصحاح هو كتاب «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري. ولينظر أي: ليتصوّر في نفْسه. ويذهب: يمنع. وكيده: ما فعل بنفسه لمنع النصر. وما يغيظه منها: الشيء الذي يغضبه من نصرة الله. وأنزلناه: أوحيناه ونوحيه. ويهديه: يوجّه قدراته إلى الصلاح. ويريد: يشاء. أي: ويضل من يريد إضلاله. فلكل إنسان ما يناسب اختياره واستعداده ومقاصده، ييسره ذلك بالحكمة.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

١- ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا**﴾ هم اليهود، ﴿**والصّابِئِينَ**﴾: طائفة منهم، ﴿**والنَّصارَى والمَجُوسَ والَّذِينَ أشرَكُوا، إنَّ اللهَ يَفصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ**﴾، بإدخال المُؤمنين الجنّةَ، وإدخال غيرهم النارَ. ﴿**إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ**﴾ من عملهم ﴿**شَهِيدٌ**﴾ ١٧: عالمٌ به عِلمَ مُشاهدة.

٢- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّ اللهَ يَسجُدُ لَهُ مَن في السَّماواتِ، ومَن في الأرضِ، والشَّمسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ**﴾، أي: تخضع له بما يُراد منها، ﴿**وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ**﴾؟ وهم المُؤمنون، بزيادة على الخضوع في سُجود الصلاة، ﴿**وكَثِيرٌ حَقَّ علَيهِ العَذابُ**﴾. وهم الكافرون، لأنهم أبَوُا السجود المُتوقّف على الإيمان. ﴿**ومَن يُهِنِ اللهُ**﴾: يُشْقِه ﴿**فما لَهُ مِن مُكرِمٍ**﴾: مُسعدٍ. ﴿**إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يَشاءُ**﴾ ١٨ من الإهانة والإكرام.

ربع الحزب ٣٤

سجدة

٣- ﴿**هٰذانِ خَصمانِ**﴾ أي: المُؤمنون خصم، والكُفّار الخمسة خصم - وهو يُطلق على الواحد والجماعة - ﴿**اختَصَمُوا في رَبِّهِم**﴾ أي: في دِينه، ﴿**فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُم ثِيابٌ مِن نارٍ**﴾، يلبسونها، يعني أحيطت بهم النار، ﴿**يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِم الحَمِيمُ**﴾ ١٩: الماء البالغُ نِهايةَ الحرارة، ﴿**يُصهَرُ**﴾: يُذاب ﴿**بِهِ ما في بُطُونِهِم**﴾ من شُحوم وغيرها، ﴿**و**﴾ تُشوى به ﴿**الجُلُودُ ٢٠، ولَهُم مَقامِعُ مِن حَدِيدٍ**﴾ ٢١ لضرب رُؤوسهم، ﴿**كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها**﴾ أي: النارِ، ﴿**مِن غَمٍّ**﴾ يلحقهم بها، ﴿**أُعِيدُوا فِيها**﴾: رُدّوا إليها بالمقامع، ﴿**و**﴾ قيل لهم: ﴿**ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ ٢٢ أي: البالغِ نِهايةَ الإحراق.

٤- وقال في المُؤمنين: ﴿**إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ**﴾ - بالجرِّ أي: منهما بأن يُرصّع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصبِ عطفًا على محلّ «من أساور» - ﴿**ولِباسُهُم فِيها حَرِيرٌ**﴾ ٢٣، هو المُحرَّم لُبسه على الرجال في الدنيا، ﴿**وهُدُوا**﴾، في الدنيا، ﴿**إلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَولِ**﴾ - وهو: لا إلَه إلّا الله - ﴿**وهُدُوا إلَى صِراطِ الحَمِيدِ**﴾ ٢٤ أي: طريقِ الله المحمود ودينِه.

---

(١) طائفة منهم أي: جماعة من اليهود. وفي هذا خلاف. انظر تعليقنا على تفسير الآيتين ٦٢ من سورة البقرة و٦٩ من سورة المائدة. والنصارى: جمع نصران. وهو الذي يتبع النصرانية. والمجوس: العابدون للنار. وأشركوا: جعلوا لله من المخلوقات شريكًا في التقديس والطاعة. ويفصل: يحكم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الموتى من قبورهم بالبعث. والمؤمنون: من الذكور والإناث. وغيرهم أي: الفِرَق الخمس المذكورة بعدهم، إلّا من آمن منها بالله ورسوله. وعلم مشاهدة: علم تحقق واقع، عرفه صاحب العمل ومن معه من الناس والملائكة .

(٢) فسر الرؤية بالعلم لأن سجود ما ذكر وصل إلينا بالعقل والتدبر، لابالمشهادة الحسية. والسماء: ما حول الأرض من عوالم عُلوية. والنجوم: جمع نجم. والجبال: جمع جبل. والشجر: واحدته شجرة، أي: النبات عامة. والدواب: جمع دابة. وهو ما يمشي أو يتحرك من الحيوانات، يطلق على المذكر والمؤنث. والناس: البشر. وبزيادة يعني أنهم يزيدون سجود الصلاة، على سجود الخضوع أيضًا. فسجودهم نوعان حقيقي ومجازي. وحق: وجب لكفره. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويشقه: يهنه ويذله بالشقاوة. ويفعل أي: قادر على الفعل والتحقيق، لا رادّ له ولا مانع. ويشاء: يريده ويقضيه.

(٣) الخصم: المخاصم والمعادي. وخصمان: فريقان مختلفان. والخمسة: ما ذكر في الآية ١٧ من طوائف الكفار بعد «الذين آمنوا». وهو قول بعض المفسرين. انظر «المفصل». واختصموا: اختلفوا وتجادلوا. وكفر: كذّب الله ورسوله. وقطعت لهم: فصّلت على مقدار أجسامهم وأعمالهم. والثياب: جمع ثوب. والنار: نيران جهنم. وأحيطت بهم النار: جُعلت محيطة بهم من كل جانب. وعبارة المحلي فيها قلب للتركيب دلالتها عكس المراد، لأن النار صارت هي المحاطة بالكافرين. والصواب: أحاطت بهم النار. ويصبّ: يراق ويلقى من أعلى. والرؤوس: جمع رأس. وخص بالذكر هنا إهانة وتشنيعًا. والبالغ نهاية الحرارة لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها. والبطون: جمع بطن. والجلود: جمع جِلد. وهو غشاء الجسم. والمقامع: جمع مِقمعة. وهي المطرقة. وأرادوا: قصدوا. والنار أي: المخصصة لهم. والغم: الكرب وشدة الحزن. وفيها: في المواضع المعدة لتعذيبهم في النار. والذوق: مماسة يكون معها إدراك الطعم. والمراد به هنا إدراك الألم.

(٤) في المؤمنين أي: في شأن ثوابهم، وهم مَن ذكر في الآية ١٧. وانظر الآية ٣١ من سورة الكهف. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. والجنة: الحديقة العظيمة. ويحلون: يُلبَسون الحُلِيّ. والأساور: جمع أسوِرة. والأسوِرة: جمع سِوار. وهو ما يوضع في المعصم من المصوغات. ويرصع: يحلّى ويركب فيه. وعبارة المحلي مستقاة من البيضاوي بتصرف، وفيها قلب للتركيب، لأن المراد: بأن يرصع الذهب باللؤلؤ. وبالنصب يريد القراءة: «ولُؤلُؤًا». واللباس: ما يلبس من الثياب. والحرير: ما نسج من الخيوط التي تفرزها دودة القَزّ. والمحرم لبسه: يعني أنه يكون في الآخرة حلالًا للذكور والإناث. وهدوا: ألهموا، أي: ألهمهم الله وأرشدهم. والطيب: الصالح الدائم الخير. والمحمود: المستحق لجميع الثناء بذاته وصفاته وأفعاله. وفي خ وط والصاوي والمنحة: المحمودة.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُواْ
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

١ - ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، ويَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طاعتِه، ﴿و﴾ عن ﴿المَسجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ﴾ مَنسَكًا ومُتعبَّدًا ﴿لِلنّاسِ، سَواءٌ العاكِفُ﴾: المُقيمُ ﴿فِيهِ والبادِي﴾: الطارئُ، ﴿ومَن يُرِدْ فِيهِ بِإلحادٍ﴾ - الباء: زائدة - ﴿بِظُلْم﴾ أي: بسببه، بأن ارتكب مَنهيًّا، ولو بشتم الخادم، ﴿نُذِقْهُ مِن عَذابٍ ألِيمٍ﴾ ٢٥: مُؤلمٍ أي: بعضَه. ومن هذا يُؤخذ خبر «إنّ» أي: نذيقُهم من عذاب أليم.

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ بَوّأْنا﴾: بيَّنّا ﴿لإبراهِيمَ مَكانَ البَيتِ﴾ ليبنيَه، وكان قد رُفع من زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أن لا تُشرِكْ بِي شَيئًا، وطَهِّرْ بَيتِي﴾ من الأوثان، ﴿لِلطّائِفِينَ والقائِمِينَ﴾: المُقيمين به، ﴿والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ٢٦: جمع راكع وساجد: المُصلّين، ﴿وأذِّنْ﴾: نادِ ﴿في النّاسِ بِالحَجِّ﴾ - فنادى على جبل أبي قُبيس: «يا أيُّها النّاسُ، إنّ رَبَّكُم بَنَى بَيتًا، وأوجَبَ علَيكُمُ الحَجَّ إلَيهِ. فأجِيبُوا رَبَّكُم». والتفتَ بوجهه يمينًا وشِمالًا وشرقًا وغربًا، فأجابه كُلّ مَن كُتب له أن يحجّ، من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبَّيكَ اللّهُمَّ لبَّيكَ - وجوابُ الأمر: ﴿يأتُوكَ رِجالًا﴾: مُشاةً جمع راجِلٍ كقائم وقيام، ﴿و﴾ رُكبانًا ﴿عَلَى كُلِّ ضامِرٍ﴾ أي: بعيرٍ مهزول - وهو يُطلق على الذكر والأُنثى - ﴿يأتِينَ﴾ أي: الضوامرُ حملًا على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ٢٧: طريق بعيد، ﴿لِيَشهَدُوا﴾ أي: ليحضُروا ﴿مَنافِعَ لَهُم﴾، في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما - أقوالٌ - ﴿ويَذكُرُوا اسمَ اللهِ في أيّامٍ مَعلُوماتٍ﴾ أي: عَشرِ ذي الحِجّة، أو يومِ عرفةَ أو يومِ النحر إلى آخر أيام التشريق - أقوالٌ - ﴿عَلَى ما رَزَقَهُم، مِن بَهِيمةِ الأنعامِ﴾: الإبل والبقر والغنم التي تُنحر في يوم العيد، وما بعده من الهدايا والضحايا. ﴿فكُلُوا مِنها﴾ إذ كانت مُستحبّة، ﴿وأطعِمُوا البائسَ الفَقِيرَ﴾ ٢٨ أي: الشديد الفقر، ﴿ثُمَّ لْيَقضُوا تَفَثَهُم﴾ أي: يُزيلوا أوساخَهم وشَعَثَهم كطول الظُّفر، ﴿ولْيُوفُوا﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿نُذُورَهُم﴾ من الهدايا والضحايا، ﴿ولْيَطَّوَّفُوا﴾ طوافَ الإفاضة، ﴿بِالبَيتِ العَتِيقِ﴾ ٢٩ أي: القديم، لأنه أوّل بيت وُضع للناس.

٣- ﴿ذلِكَ﴾ خبر مبتدأ مُقدّر، أي: الأمر أو الشأن ذلك المذكور، ﴿ومَن يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ﴾، هي ما لا يَحِلّ انتهاكه، ﴿فهُوَ﴾ أي: تعظيمُها ﴿خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة. ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأنعامُ﴾ أكلًا بعدَ الذبح، ﴿إلّا ما يُتلَى علَيكُم﴾ تحريمُه في «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ» الآيَة. فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون متّصلًا، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه. ﴿فاجتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأوثانِ﴾ من: للبيانِ، أي: الذي هو الأوثان، ﴿واجتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ ٣٠ أي: الشِّركَ بالله في تلبيتهم، أو شهادةَ الزور، ﴿حُنَفاءَ للهِ﴾: مُسلمين عادلين عن كُلّ دِين سِوى دِينه، ﴿غَيرَ مُشرِكِينَ بِهِ﴾: تأكيدٌ لما قبله، وهما حالان من الواو. ﴿ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فكَأنَّما خَرَّ﴾: سقطَ ﴿مِنَ السَّماءِ، فتَخطَفُهُ الطَّيرُ﴾ أي: تأخذُه بسُرعة، ﴿أو تَهوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تُسقطه ﴿في مَكانٍ سَحِيقٍ﴾ ٣١: بعيد. فهو لا يُرجَى خلاصُه.

---

(١) يصدّ: يردّ. وعن المسجد أي: عن التوحيد في الكعبة. والحرام: المحرم. وجعل: صيّر. وسواء أي: مستويان في حق النزول والعبادة. والمقيم: في مكة. والبادي: البدوي القادم للعبادة. وفيما عدا الأصل وخ وع: «والبادِ» بحذف الياء تبعًا لرسم المصاحف. ويريد: يفعل. والإلحاد: العدول عن الحق. وزائدة أي: للتوكيد. ونذيقه: نُنزل به. (٢) البيت: الكعبة المشرفة. ورفع أي: إلى السماء واختفى أثره. والكعبة لم تُنشأ قبل إبراهيم. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٩٦ من سورة آل عمران. وتشركه: تجعله شريكًا في التقديس والطاعة. وطهره: انزع ما يكون فيه. والطائف: من يطوف حول الكعبة عبادة. وأذن فيهم: أعلمهم بصوت عال. وبالحج: بالدعوة إليه. وأبو قبيس: جبل مشرف على الكعبة المشرَّفة. وبنى بيتًا: أمر ببنائه. وأجيبوه: استجيبوا لأمره. والقول المذكور من التلخيص، وفيه زيادات وهمية من أصحاب القصص. ويأتوك: يجيئوا إلى البيت الحرام. وليحضروا: ليكونوا حاضرين. والمنافع: جمع منفعة. وأقوال أي: للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال. والأيام: جمع يوم. والمعلوم: المعيّن شرعًا. وعرفة: الوقوف في جبل عرفة. وهو التاسع من ذي الحجة. والتشريق: تقديد اللحم وبسطه. وأيامه ثلاثة بعد يوم النحر. ورزقَهم: أعطاهم. والبهيمة: ذات الأربع من الدواب عدا الوحوش. والأنعام: جمع نَعَم. والهدايا: جمع هدية. وهي ما يساق إلى الحرم للذبح. والضحايا: جمع ضحية. وهي ما يذبح من الأضاحي. وكلوا منها أي: من لحومها. ومستحبة: يعني أنها للتطوع. وهذا مذهب الشافعي. ويقضي: يقطع ويفصل. والظفر أي: وغيره كشعر الرأس والعانة، مما يُحِلّ به المُحرِم. والتشديد يريد القراءة «ولْيُوَفُّوا»، أي: يحقّقوا الأداء تامًا. والنذور: جمع نذر. وهو ما أوجبه الإنسان على نفسه شرعًا. وطواف الإفاضة: الدوران حول الكعبة المشرّفة سبعة أشواط، بعد النزول من عرفات. (٣) الأمر: الموضوع العظيم القدر. والمذكور أي: ما ورد في الآيات ٢٦-٢٩. ويعظمها: يجلّها بالمراعاة والامتثال. والحُرْمة: ماحُرّم شرعًا. وعند ربه أي: في حكمه. وتحريمه: آية تحريمه. يعني الآية ٣ من سورة المائدة. واجتنبوه: ابتعدوا عنه. والرجس: القذر. والأوثان: جمع وثن. وهو تمثال يعبد. والتلبية: ما كان المشركون يذكرونه في الحج. والحنفاء: جمع حنيف. وغير مشركين به أي: غير عابدين أو مطيعين في المعصية شيئًا من الأشياء. والسماء: ماكان عاليًا فوق الأرض. وتخطفه: تسلبه وتتوزعه. وفي الفتوحات: «فتَخَطَّفُهُ». والطير: واحده طائر. والريح: الهواء الشديد الحركة.

الجزء السابع عشر سُورَةُ الحج

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

نصف الحزب ٣٤

١ - ﴿**ذٰلِكَ**﴾ يُقدَّر قبله «الأمرُ»: مبتدأ، ﴿**ومَن يُعظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنّها**﴾ أي: فإنّ تعظيمها - وهي البُدن التي تُهدى للحرم - بأن تُستَحسنَ وتُستسمنَ ﴿**مِن تقوى القُلوبِ**﴾ ٣٢ منهم. وسُمّيتْ شعائر لإشعارها بما تُعرف به أنها هدي، كطعن حديدة بسنامها. ﴿**لكُم فيها مَنافِعُ**﴾، كركوبها والحمل عليها ما لا يضرّها، ﴿**إلى أجَلٍ مُسَمًّى**﴾: وقتِ نحرها، ﴿**ثُمَّ مَحِلُّها**﴾ أي: مكان حِلّ نحرها ﴿**إلى البَيتِ العَتيقِ**﴾ ٣٣ أي: عِنده. والمراد الحَرَم جميعه.

٢ - ﴿**ولِكُلِّ أُمّةٍ**﴾ أي: جماعة مؤمنة، سلفتْ قبلكم، ﴿**جَعَلْنا مَنسَكًا**﴾ - بفتح السين: مصدر، وبكسرها: اسم مكان - أي: ذَبحًا قُربانًا أو مكانه، ﴿**لِيَذكُروا اسمَ اللهِ على ما رَزَقَهُم مِن بَهيمةِ الأنعامِ**﴾ عند ذبحها. ﴿**فإلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ. فلَهُ أسلِمُوا**﴾: انقادوا، ﴿**وبَشِّرِ المُخبِتينَ**﴾ ٣٤: المُطيعين المُتواضعين، ﴿**الّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ**﴾: خافت ﴿**قُلُوبُهُم، والصّابِرِينَ على ما أصابَهُم**﴾ من البلايا، ﴿**والمُقيمي الصَّلاةِ**﴾ في أوقاتها، ﴿**ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ**﴾ ٣٥: يتصدّقون.

٣ - ﴿**والبُدْنَ**﴾: جمع بَدَنة - وهي الإبل - ﴿**جَعَلْناها لَكُم مِن شَعائرِ اللهِ**﴾: أعلام دِينه، ﴿**لكُم فيها خَيرٌ**﴾: نفع في الدنيا كما تقدّم، وآخر في العُقبى. ﴿**فاذكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيها**﴾ عِند نحرها ﴿**صَوافَّ**﴾: قائمة على ثلاث معقولةَ اليد اليُسرى، ﴿**فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها**﴾: سقطت إلى الأرض بعد النحر - وهو وقت الأكل منها - ﴿**فكُلُوا مِنها**﴾ إن شئتم، ﴿**وأطعِمُوا القانِعَ**﴾ الذي يقنع بما يُعطَى ولا يَسأل ولا يتعرّض، ﴿**والمُعتَرَّ**﴾: السائل أو المتعرّض. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ ذلك التسخير ﴿**سَخَّرْناها لَكُم**﴾، بأن تُنحر وتُركب - وإلّا لم تُطَق - ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٣٦ إنعامي عليكم. ﴿**لَن يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها**﴾ أي: لا يُرفعان إليه، ﴿**ولٰكِن يَنالُهُ التَّقوَى مِنكُم**﴾ أي: يُرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان. ﴿**كَذٰلِكَ سَخَّرَها لَكُم، لِتُكَبِّرُوا اللهَ على ما هَداكُم**﴾: أرشدكم لمعالم دِينه ومناسك حجّه. ﴿**وبَشِّرِ المُحسِنِينَ**﴾ ٣٧ أي: المُوحّدين.

٤ - ﴿**إنَّ اللهَ يَدفَعُ عَنِ الّذينَ آمَنُوا**﴾ غوائلَ المُشركين. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ**﴾ في أمانته ﴿**كَفُورٍ**﴾ ٣٨ لنعمته، وهم المشركون. المعنى أنه يُعاقبهم. ﴿**أُذِنَ لِلَّذينَ يُقاتَلُونَ**﴾ أي: للمؤمنين أن يُقاتِلوا - وهذه أول آية نزلتْ في الجِهاد - ﴿**بِأنَّهُم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**ظُلِمُوا**﴾ بظُلم الكافرين إيّاهم، ﴿**وإنَّ اللهَ على نَصرِهِم لَقَديرٌ**﴾ ٣٩.

(١) يعظمها: يجلّها بالالتزام والعمل. والشعائر: جمع شعيرة. وهي عبادات الحج المشروعة، ومنها البُدن أي: ما ينحر بمكة تقربًا إلى الله. وتقوى القلوب: أفعال قلوبهم التقية. والتقوى: خشية الله وتجنب غضبه بالامتثال للأمر والنهي. والقلوب: جمع قلب. والإشعار: وضع علامة للشيء. ومنهم: من المعظمين. وفيها: في الشعائر. والمنافع: جمع منفعة. وهي خير الدنيا والآخرة. والأجل: الوقت المحدد. والمسمى: المعلوم شرعًا. والبيت: الكعبة المشرفة. والعتيق: القديم الكريم. وجميعه يعني مكة كلها.

(٢) كل: لاستغراق أفراد النكرة. وجعل: فرض. وبكسرها يريد القراءة «مَنسِكًا». وذبحًا قربانًا أي: أن يذبحوا ما يتقربون به إلى الله. وهو تفسير للقراءة الأولى. وتفسير الثانية: «مكانه»، أي: مكان الذبح. وإلٰهكم: المعبود بحق وحده. وواحد: متفرد بالألوهية ليس كمثله شيء. وانقادوا أي: بالإيمان والطاعة. وبشرهم: بلغهم ما يَسرهم. وذكر الله أي: ذكر اسمه أو وعده ووعيده وأحكامه. وخافت: إجلالًا له. والصابر: المتجلد يتحمل. وأصابهم: نزل بهم. وإقامة الصلاة: تأديتها بشروطها وأركانها وآدابها. ورزقَ: أعطى. ويتصدقون أي: صدقة التطوع فوق ما يجب عليهم من الإنفاق والزكاة، ويبذلون ما يملكون في وجوه الخير.

(٣) سميت البدنة كذلك لأنهم كانوا يسمّنونها. وهي الإبل خاصة عند الشافعي، والإبل والبقر عند أبي حنيفة. وجعل: صيّر. وآخر أي: نفع مغاير. والعقبى: الآخرة. واذكروا اسم الله أي: قولوا: «الله أكبر، لا إله إلّا الله، والله أكبر، اللّهمّ منك وإليك». والصوافّ: جمع صافّة، أي: قائمة تصفّ رجليها ويدها اليمنى. والمعقولة: المقيدة بالحبل. والجنوب: جمع جنب. وهو جانب الحيوان. وسخرناها: هيأناها لما خلقت له. وتشكرونها: تُثنون على مسخرها بالقلب واللسان والعمل. وكان الجاهليون يضعون شرائح لحم البُدن حول الكعبة المشرّفة، ويضمخونها بالدماء، وأراد المسلمون فعل ذلك، فنزلت الآية تبين وجه الصواب. انظر لباب النقول. والمراد أن الله لايقبل نحر الهدي، ولايثيب عليه، إلّا إذا وقع موقعًا من وجوه الخير. واللحوم: جمع لحم. وهو العضل الرخو بين الجلد والعظم. والدماء: جمع دم. وتكبروه: تعظموه وتشكروه وحده.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. ويدفع عنهم: يمنع عنهم ويحميهم. وفي الفتوحات والصاوي والمطبوعات: «يُدافِعُ». والغوائل: الأمور العظيمة، جمع غائلة. ولا يحبه: يكرهه. والخوان: الكثير الغدر. والكفور: الكثير الإنكار، يزعم أن النعم من الأصنام. وأذن: أبيح. ويقاتلون: يصلحون للقتال. وظلموا: اعتُدي عليهم. والنصر: العون على المشركين. والقدير: المبالغ في الاقتدار.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾
وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

١- هم ﴿**الّذينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ**﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿**إلّا أن يَقُولُوا**﴾ أي: بقولهم: ﴿**رَبُّنا اللهُ**﴾ وحده. وهذا القول حقّ، فالإخراج به إخراج بغير حقّ. ﴿**ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم**﴾: بدلُ بعضٍ من «الناس»، ﴿**بِبَعضٍ لَهُدِّمَتْ**﴾ - بالتشديد للتكثير وبالتخفيف - ﴿**صَوامِعُ**﴾ للرهبان، ﴿**وبِيَعٌ**﴾: كنائسُ للنصارى، ﴿**وصَلَواتٌ**﴾: كنائسُ لليهود بالعِبرانيّة، ﴿**ومَساجِدُ**﴾ للمُسلمين، ﴿**يُذكَرُ فِيها**﴾ أي: المواضع المذكورة ﴿**اسمُ اللهِ كَثِيرًا**﴾، وتنقطعُ العبادات بخرابها. ﴿**ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ أي: ينصرُ دِينَه - ﴿**إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ**﴾ على خلقه، ﴿**عَزِيزٌ**﴾ ٤٠: منيع في سُلطانه وقُدرته - ﴿**الّذِينَ إن مَكَّنّاهُم في الأرضِ**﴾، بنصرهم على عدوّهم، ﴿**أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، وأمَرُوا بِالمَعرُوفِ ونَهَوا عَنِ المُنكَرِ**﴾: جوابُ الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول. ويُقدّر قبله «هم»: مبتدأ. ﴿**ولِلهِ عاقِبةُ الأُمُورِ**﴾ ٤١ أي: إليه مَرجِعها في الآخرة.

٢- ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ إلى آخره - فيه تسلية للنبيّ ﷺ - ﴿**فقد كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ**﴾، تأنيثُ «قوم» باعتبار المعنى، ﴿**وعادٌ**﴾: قومُ هود ﴿**وثَمُودُ**﴾ ٤٢: قوم صالح، ﴿**وقَومُ إبراهِيمَ وقَومُ لُوطٍ**﴾ ٤٣، ﴿**وأصحابُ مَديَنَ**﴾ قومُ شُعيب، ﴿**وكُذِّبَ مُوسَى**﴾ كذّبه القِبط لا قومه بنو إسرائيل - أي: كذّب هؤلاء رُسلَهم، فلك أُسوة بهم - ﴿**فأملَيتُ لِلكافِرِينَ**﴾: أمهلتهم بتأخير العِقاب لهم، ﴿**ثُمَّ أخَذتُهُم**﴾ بالعذاب. ﴿**فكَيفَ كانَ نَكِيرِ**﴾ ٤٤ أي: إنكاري عليهم تكذيبَهم بإهلاكهم؟ والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعَه.

٣- ﴿**فكَأيِّن**﴾ أي: كم ﴿**مِن قَريةٍ أهلَكتُها**﴾ - وفي قراءة: «أهلَكْناها» - ﴿**وهيَ ظالِمةٌ**﴾ أي: أهلُها بكفرهم، ﴿**فهيَ خاوِيةٌ**﴾: ساقطة ﴿**على عُرُوشِها**﴾: سقوفها، ﴿**و**﴾ كم من ﴿**بِئرٍ مُعَطَّلةٍ**﴾: متروكة بموت أهلها ﴿**وقَصرٍ مَشِيدٍ**﴾ ٤٥ رفيع، خال بموت أهله! ﴿**أفلَم يَسِيرُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿**في الأرضِ، فتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلُونَ بِها**﴾ ما نزل بالمكذّبين قبلهم، ﴿**أو آذانٌ يَسمَعُونَ بِها**﴾ أخبارَهم بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا؟ ﴿**فإنَّها**﴾ أي: القِصّةَ ﴿**لا تَعمَى الأبصارُ، ولٰكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتي في الصُّدُورِ**﴾ ٤٦: تأكيد.

---

(١) أخرجوا: ألجئوا إلى الهجرة. والديار: جمع دار، موضع الإقامة. والحق: السبب الموجب للإخراج. والدفع: الردع بقوة. وبعضهم ببعض أي: تسليط المؤمنين على الكافرين. فلولا الجهاد لعطل المشركون والكافرون والملحدون العبادات في كل زمان. وبالتخفيف يريد قراءة «لَهُدِمَتْ»، أي: نُقضت من أساسها. والصوامع: جمع صَومعة. وهي متعبد لخواص النصارى. والبيع: جمع بِيعة. وهي للنصارى عامة. والصلوات: بمعنى المُصلّى أو مكان الصلاة. والمساجد: جمع مسجد. وهو موضع صلاة المسلمين. ويذكر: يقدس بالدعاء والعبادة. وينصره الله: يقويه ليغلب أعداءه. وقد يتأخر النصر لأسباب: عدم البذل الكامل، وعدم النضج الإسلامي، وعدم وضوح الثقة بالله، وضعف التوكل عليه، وعجز البيئة عن تقبل الحق... انظر في ظلال القرآن ٥:٦٠٣-٦٠٦. وينصر دينه: يجاهد للدفاع عنه وإعلاء شأنه. ومنيع: غالب على أمره. ومكناهم: جعلنا لهم السلطان. وأقاموا الصلاة: أدّوها كما فرضت. وآتوا الزكاة: دفعوها لمن يستحقها. وأمروا به: حثوا عليه. والمعروف: ما استحسنه الشرع والعقل السليم. والمنكر: عكسه. والنهي: طلب الكف عن الفعل. وجواب الشرط يعني: جملة «أقاموا». وهو أي: الشرط. وقبله أي: قبل الاسم الموصول «الذين». وانظر «المفصل». وفي الآخرة يعني: للثواب والعقاب.

(٢) يكذبوك: ينكروا دعوة التوحيد. وإلى آخره أي: إلى آخر نص الآية ٤٤. وكذبت: أنكرت دعوات أنبيائها. ونوح: النبي بعد آدم وشيث وإدريس، كان قومه مشركين. وتأنيث قوم: يعني وصل الفعل قبله بتاء التأنيث. وعاد وثمود من العرب العاربة المشركين أيضًا. والأصحاب: جمع صاحب. ومدين: مدينة في حذاء تبوك على ساحل البحر الأحمر. وشعيب نبي عربي من ذرية مَديَنِ بن إبراهيم. والقبط: أهل مصر من العرب القدماء. وأسوة يعني: فلا تحزن لأن لك أسوة بهم، والتكذيب ليس لك ولا لهم، وإنما هو للتوحيد الذي يهدم مطامع الكافرين. وأخذتهم: أهلكتهم. والإنكار: جعل الموت والخراب مكان الحياة والعمارة. وموقعه يعني: من الجزاء العادل الحكيم.

(٣) قرية: بلدة عامرة بأهلها. وأهلكتها: دمرتها واستأصلت أصحابها. والظلم: مجاوزة الحد. وبكفرهم: بسبب تكذيبهم الرسل. والعروش: جمع عرش. وهو ما يكون فوق الجدران من سقف ونحوه. فالسقوف سقطت وتداعت فوقها الجدران. والبئر: ما يحفر في الأرض لاستخراج الماء. والقصر: البناء الضخم المحصن. والرفيع: المرتفع البناء. انظر سبب النزول في المفصل. ويسير: يسعى للارتحال أو التجارة. والقلوب: جمع قلب. وإسناد الإدراك إلى القلب يعني أنه محله. ولاينكر أن للدماغ بالقلب اتصالًا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ. انظر البحر ٦:٣٧٨ وتفسير الآلوسي ١٧:٢٥٠-٢٥١. ويعقل: يتدبر ويعتبر. والآذان: جمع أذن. والقصة: الشأن والموضوع. وتعمى: تفقد القدرة. والأبصار: جمع بصر. ولكن: للاستدراك تؤكد ماقبلها وتحقق مابعدها. والصدور: جمع صدر. وتأكيد: يعني أن «التي»: صفة لـ «القلوب» تفيد معنى المبالغة في التوكيد.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

١- ﴿**ويَستَعجِلُونَك بِالعَذابِ، ولَن يُخلِفَ اللهُ وَعدَهُ**﴾ بإنزال العذاب - فأنزله يوم بدر - ﴿**وإنَّ يومًا عِندَ رَبِّكَ**﴾، من أيّام الآخرة بالعذاب، ﴿**كألفِ سَنةٍ مِمّا تَعُدُّونَ**﴾ ٤٧ - بالتاء والياء - في الدنيا، ﴿**وكَأيِّن مِن قَريةٍ أملَيتُ لَها، وهْيَ ظالِمةٌ، ثُمَّ أخَذتُها**﴾ المرادُ أهلُها! ﴿**وإلَيَّ المَصِيرُ**﴾ ٤٨: المَرجِعُ.

٢- ﴿**قُلْ: يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿**إنَّما أنا لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٤٩: بيِّن الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين. ﴿**فالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ**﴾ من الذنوب، ﴿**ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ ٥٠ هو الجنّة، ﴿**والَّذِينَ سَعَوا في آياتِنا**﴾: القُرآن بإبطالها، ﴿**مُعجِّزِينَ**﴾ مَن اتّبع النبيّ، أي: ينسبونهم إلى العجز ويُثبّطونهم عن الإيمان، أو مقدِّرين عجْزَنا عنهم - وفي قراءة: «مُعاجِزِينَ»: مُسابِقينَ لنا، يظنّون أن يفوتونا بإنكارهم البعثَ والعِقاب - ﴿**أُولٰئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ**﴾ ٥١: النار.

٣- ﴿**وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ**﴾ هو نبيّ أُمر بالتبليغ، ﴿**ولا نَبِيٍّ**﴾ أي: لم يُؤمر بالتبليغ، ﴿**إلّا إذا تَمَنَّى**﴾: قرأ ﴿**ألقَى الشَّيطانُ في أُمنِيّتِهِ**﴾: قراءتِه ما ليس من القُرآن، ممّا يرضاه المُرسَلُ إليهم - وقد قرأ النبيّ ﷺ في سورة «النجم» بمجلس من قريش بعدَ: «أفرَأَيتُمُ اللّاتَ والعُزَّى، ومَناةَ الثّالِثةَ الأُخرَى»، بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه به: «تِلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفاعتَهُنَّ لَتُرتَجَى»، ففرحوا بذلك، ثمّ أخبره جِبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن فسُلِّي بهذه الآية ليطمئنّ - ﴿**فَيَنسَخُ اللهُ**﴾: يُبطل ﴿**ما يُلقِي الشَّيطانُ، ثُمَّ يُحكِمُ اللهُ آياتِهِ**﴾: يُثبتها. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بإلقاء الشيطان ما ذُكر، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٥٢ في تمكينه منه، يفعل ما يشاء.

٤- ﴿**لِيَجعَلَ ما يُلقِي الشَّيطانُ فِتْنةً**﴾: مِحنة ﴿**لِلَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: شَكّ ونفاق، ﴿**والقاسِيةِ قُلُوبُهُم**﴾ أي: المُشركين، عن قبول الحقّ - ﴿**وإنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ**﴾ ٥٣: خِلافٍ طويل مع النبيّ والمُؤمنين، حيثُ جرى على لسانه ذِكر آلهتهم بما يُرضيهم، ثمّ أُبطل ذلك - ﴿**ولِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ**﴾: التوحيدَ والقُرآن ﴿**أنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**الحَقُّ مِن رَبِّكَ، فيُؤمِنُوا بِهِ فتُخبِتَ**﴾: تطمئنّ ﴿**لَهُ قُلُوبُهُم. وإنَّ اللهَ لَهادِي الَّذِينَ آمَنُوا إلَى صِراطٍ**﴾: طريقٍ ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ ٥٤ أي: دِين الإسلام. ﴿**ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا في مِرْيةٍ**﴾: شكّ ﴿**مِنهُ**﴾ أي: القُرآنِ، بما ألقاه

---

(١) يستعجلونك بالعذاب: يطلبون تعجيله. ويخلفه: يخل به. وعنده أي: في لقاء حسابه. يعني أن مقدار اليوم الواحد كمقدار مدة ألف سنة. وتعدون: تحسبونه. وبالياء يريد القراءة «يَعُدُّونَ». وأمليت لها: أمهلت أهلها. والظلم: مجاوزة الحد. وأخذتها: عاقبت أهلها. وإليّ: إلى لقاء حسابي يوم القيامة. والمرجع أي: النهائي.

(٢) النذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر. وبشير: يعني أنه ليس بيده تعجيل عذاب ولا ثواب. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والمغفرة: الستر وعدم المؤاخذة. والرزق: ما يعطى. والكريم: ماكان جامعًا للفضائل والكمالات. وسعوا: اجتهدوا بكل ما لديهم مختارين قاصدين. ومقدرين أي: معتقدين. ويفوته: يسبقه وينجو منه. والأصحاب: جمع صاحب.

(٣) أرسلناه: كلفناه بالدعوة للتوحيد مع العمل. ولم يؤمر أي: لم يكلف برسالة. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس أو الجن. والتمني هو نهاية التقدير والرغبة، لا القراءة، خلافًا لما ذكر المحلي وبعض المفسرين. والصحيح الثابت، في هذا الموضوع المروي هنا، أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم في مكة، فسجد من معه من المؤمنين، وسجد المشركون لذكر آلهتهم إلّا واحدًا منهم. والآية هنا تتضمن ذكر من كان قبل النبي ﷺ، وليس فيها شيء عنه أو عن سورة النجم. فذكرها هنا مع ذكر القرآن إقحام لا داعي له. والأمة مجمعة على عصمته ﷺ من الشيطان وكفايته منه، في جسمه بأنواع الأذى، وعلى خواطره بالوساوس. وألقى في أمنيته: دس بين أقواله شُبَهًا، في نفوس الناس، يثبطهم بها عن الإيمان. وعلى لسانه أي: ألقى إبليس، في سكتة النبي ﷺ بين الآيتين ٢٠ و٢١ من سورة النجم، الجملتين المذكورتين بعدُ. وهذا أَولى ما يقال، على فرض التسليم بأنّ التمني هنا معناه القراءة. والذي عليه المحققون أن القصة موضوعة، لم يصح لها سند، وجاءت في أشكال متناقضة، صنعها بعض الزنادقة من دسائس الإسرائيليات، للطعن في عصمة الأنبياء. انظر «المفصل». والغرانيق: جمع غُرانِق. وهو طائر مائي. وقد استعارها المشركون لأصنامهم. وترتجى: تؤمل. ويبطل: يزيل. والآيات: الأدلة على التوحيد. والعليم: المحيط بخفايا الأمور وظواهرها. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وتمكينه أي: تمكين شيطان الإنس والجن من الدس والافتراء.

(٤) يجعل: يصيّر. والقلوب: جمع قلب. والقاسية: المتصلبة لايدخلها صلاح. و«مع النبي» خطأ. انظر «المفصل». وقوله «جرى... أبطل ذلك» مردود مع ما قبله من قصة الغرانيق كلها. ويعلم: يدري دراية يقينية. وأوتي: أعطي. والحق: الصدق الثابت. ومن ربك: من عنده وبأمره. ويؤمن به: يَثْبُت ويستمر على تصديقه. والهادي: المرشد الموفّق. وفيما عدا الأصل والنسخ: «لَهادِ» بحذف الياء للتخفيف تبعًا لرسم المصاحف. والمستقيم: القويم الواضح. ولا يزال: سيبقى. وتأتيهم: تنزل بهم. واليوم: الوقت. والعقيم: الذي لا خير فيه، بل الشر كله.

الجزء السابع عشر | سورة الحج

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ
لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ
مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

الشيطان على لسان النبيّ ثمّ أُبطل، ﴿**حَتَّى تأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغْتَةً**﴾ أي: ساعةُ موتهم أو القيامةُ فجأةً، ﴿**أو يأتِيَهُم عَذابُ يَومٍ عَقِيمٍ**﴾ ٥٥. هو يوم بدر لا خير فيه للكُفّار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له.

١- ﴿**المُلكُ يومَئذٍ**﴾ أي: يومَ القِيامة ﴿**لِلّهِ**﴾ وحده - وما تضمّنه من الاستقرار ناصب للظرف - ﴿**يَحكُمُ بَينَهُم**﴾ بالمجازاة بين المُؤمنين والكافرين بما بَيّن بعده. ﴿**فالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ في جَنّاتِ النَّعِيمِ**﴾ ٥٦ فضلًا من الله، ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا فأُولٰئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ ٥٧: شديدٌ بسبب كُفرهم، ﴿**والَّذِينَ هاجَرُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: طاعته من مكّة إلى المدينة، ﴿**ثُمَّ قُتِلُوا أو ماتُوا، لَيَرزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزقًا حَسَنًا**﴾ هو رِزق الجنّة - ﴿**وإنَّ اللهَ لَهْوَ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾ ٥٨: أفضل المُعطين - ﴿**لَيُدخِلَنَّهُم مُدخَلًا**﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: إدخالًا أو موضعًا، ﴿**يَرضَونَهُ**﴾ وهو الجنّة. ﴿**وإنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ**﴾ بنيّاتهم، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ ٥٩ عن عِقابهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

٢- الأمر ﴿**ذٰلِكَ**﴾ الذي قصصناه عليك. ﴿**ومَن عاقَبَ**﴾: جازى، من المؤمنين، ﴿**بِمِثلِ ما عُوقِبَ بِهِ**﴾ ظُلمًا من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في شهر المحرّم، ﴿**ثُمَّ بُغِيَ عليهِ**﴾ منهم أي: ظُلم بإخراجه من منزله، ﴿**لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ. إنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ**﴾ عن المؤمنين، ﴿**غَفُورٌ**﴾ ٦٠ لهم عن قِتالهم في الشهر الحرام. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ النصر ﴿**بِأنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ**﴾ أي: يُدخل كلًّا منهما في الآخَر بأن يزيد به، وذلك من أثر قُدرته التي بها النصرُ، ﴿**وأنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ دُعاءَ المؤمنين، ﴿**بَصِيرٌ**﴾ ٦١ بهم حيثُ جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ النصر أيضًا ﴿**بِأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ**﴾: الثابت، ﴿**وأنَّ ما يَدعُونَ**﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ - وهو الأصنام - ﴿**هُوَ الباطِلُ**﴾: الزائل، ﴿**وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ**﴾ أي: العالي على كُلّ شيء بقُدرته، ﴿**الكَبِيرُ**﴾ ٦٢ الذي يصغُر كُلّ شيء سواه.

٣- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾: مطرًا، ﴿**فتُصبِحُ الأرضُ مُخضَرّةً**﴾ بالنبات، وهذا من أثر قُدرته؟ ﴿**إنَّ اللهَ لَطِيفٌ**﴾ بعِباده، في إخراج النبات بالماء، ﴿**خَبِيرٌ**﴾ ٦٣ بما في قُلوبهم عِند تأخير المطر، ﴿**لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ على جِهة المُلك، ﴿**وإنَّ اللهَ لَهُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن عِباده، ﴿**الحَمِيدُ**﴾ ٦٤ لأوليائه.

---

(١) الملك: التملك الحقيقي والتصرف المطلق بلا منازع أو شريك. والاستقرار: الخبر المحذوف الذي يتعلق به الجار والمجرور: لله. ويحكم: يقضي. والمجازاة: الجزاء ثوابًا أو عقابًا. وسقط «بالمجازاة» مما عدا خ. والجنة: الحديقة فيها الشجر والقصور والرضا. والنعيم: المبالغة في طيب العيش. وكفر: جحد التوحيد والرسالة. وكذبوا بها: أنكروها. والآيات: نصوص القرآن والأدلة على التوحيد وصدق الرسول. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والمهين: الذي يُهين من ينزل به. ونزلت الآيتان ٥٨ و٥٩ في جماعة من المسلمين، هاجروا فلحقهم المشركون وقاتلوهم. وفيهما تسوية بين من يُقتل ومن يموت حتف أنفه من المؤمنين، وحكم عام لكل مهاجر. البحر ٦: ٣٨٣. وهاجر: فارق وطنه وأهله لينجو من ظلم الكافرين. وفي سبيله: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وقُتل: قَتله العدو. والحسن: المبهج تستلذه النفس. ويرضونه: يرغبون فيه ويطمئنون. والعليم: المحيط إحاطة مطلقة. والحليم: ذو العفو المطلق لايستخفه عصيان ولايعجل الانتقام.

(٢) الأمر: الشأن المقرر الثابت. والذي قصصناه أي: في الآيتين ٥٨ و٥٩. ومثله: مماثلٌ إياه دون تجاوز للحق. وعوقب: اعتُدِي عليه. وشهر المحرم هو الشهر الأول من السنة. ث وع: «الشهر الحرام». وفي ط والفتوحات والصاوي وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «الشهر المحرم»، أي: أحد الأشهر الأربعة الحُرم. وبغي: اعتُدِي. وينصره: يعينه ويقويه للتغلب على عدوه. والعفوّ: الكثير الترك للمؤاخذة على الذنوب. والغفار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. والشهر الحرام: انظر «المفصل». ويزيد به أي: يجعل كلًّا منهما يزيد فيه ما ينقص من الآخر. و«دعاء المؤمنين... وبهم» الظاهر أن التعميم أولى، إذ المراد أن الله سميع أقوال عباده كلهم، بصير بما يبطنون وما يظهرون، لاتخفى عليه خافية، من أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم. والحق: الذي يستحق العبادة وحده. وبالتاء يريد القراءة «ما تَدعُونَ». ومن دونه: غيره من المخلوقات كالأصنام والحيوان والملائكة والبشر. والكبير: العظيم فاق مدح المادحين، وعجزت عن إدراكه العقول والحواس.

(٣) أنزل: أسقط وأطلق. والسماء: السحاب. وتصبح تصير. والأرض: موطن الحياة الدنيا، ما دون البحار والأنهار وما شابهها. ولطيف: واصل فضله إلى كل شيء. والخبير: العليم ببواطن الأمور ودقائقها. والسماوات: مايحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. وما في السماوات وما في الأرض أي: وما بينهما وما في غيرهما أيضًا. وإنما خصهما بالذكر لأنهما منتهى علم المخاطبين. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والغني: المستغني بذاته وصفاته عما سواه لا يحتاج إلى شيء. ولأوليائه أي: الكثير الثناء عليهم والرضا عنهم، وتقدير أعمالهم بالفضل والكرم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

١- ﴿**أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في الأرضِ**﴾ من البهائم، ﴿**والفُلكَ**﴾: السُّفن، ﴿**تجرِي في البَحرِ**﴾ للركوب والحمل ﴿**بأمرِهِ**﴾: بإذنه، ﴿**ويُمسِكُ السَّماءَ**﴾ من ﴿**أن**﴾ أو لئلّا ﴿**تقَعَ على الأرضِ إلّا بإذنِهِ**﴾ فتهلِكوا؟ ﴿**إنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ٦٥، في التسخير والإمساك. ﴿**وهْوَ الَّذِي أحياكُم**﴾ بالإنشاء، ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُم**﴾ عِند البعث. ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ أي: المُشركَ ﴿**لَكفُورٌ**﴾ ٦٦ لنِعم الله، بتركه توحيدَه.

٢- ﴿**لِكُلِّ أُمّةٍ جَعَلْنا مَنسَكًا**﴾، بفتح السين وكسرها: شريعة، ﴿**هُم ناسِكُوهُ**﴾: عاملون به. ﴿**فلا يُنازِعُنَّكَ**﴾ يُراد به: لا تُنازعْهم ﴿**في الأمرِ**﴾ أمر الذبيحة، إذ قالوا: «ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممّا قتلتُم»، ﴿**وادعُ إلَى رَبِّكَ**﴾: إلى دِينه - ﴿**إنَّكَ لَعَلَى هُدًى**﴾: دِينٍ ﴿**مُستَقِيم ٦٧ - وإن جادَلُوكَ**﴾ في أمر الدِّين ﴿**فقُلِ: اللهُ أعلَمُ بِما تعمَلُونَ**﴾ ٦٨ من التكذيب، فيُجازيكم عليه. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

٣- ﴿**اللهُ يَحكُمُ بينكُمُ**﴾ - أيها المؤمنون والكافرون - ﴿**يَومَ القِيامةِ، فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ ٦٩، بأن يقول كُلّ من الفريقين خِلاف قول الآخر. ﴿**ألَم تعلَمْ**﴾ - الاستفهام فيه للتقرير - ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماءِ والأرضِ؟ إنَّ ذٰلِكَ**﴾ أي: ما ذُكر ﴿**في كِتابٍ**﴾ هو اللوح المحفوظ، ﴿**إنَّ ذٰلِكَ**﴾ أي: عِلمَ ما ذُكر ﴿**على اللهِ يَسِيرٌ**﴾ ٧٠: سهل.

٤- ﴿**ويَعبُدُونَ**﴾ أي: المُشركون ﴿**مِن دُونِ اللهِ ما لَم يُنْزِل بِهِ**﴾، هو الأصنام، ﴿**سُلطانًا**﴾: حُجّة، ﴿**وما لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ**﴾ أنها آلهة، ﴿**وما لِلظّالِمِينَ**﴾ بالإشراك ﴿**مِن نَصِيرٍ**﴾ ٧١ يمنع عنهم عذاب الله، ﴿**وإذا تُتلَى عَلَيهِم آياتُنا**﴾ من القرآن ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿**تَعرِفُ في وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا المُنكَرَ**﴾ أي: الإنكار لها، أي: أثره من الكراهة والعُبوس، ﴿**يَكادُونَ يَسطُونَ بِالَّذِينَ يَتلُونَ علَيهِم آياتِنا**﴾ من القرآن أي: يقعون فيهم بالبطش. ﴿**قُلْ: أفأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ من ذٰلِكُمُ**﴾ أي: بأكرهَ إليكم من القُرآن المتلوّ عليكم؟ هو ﴿**النّارُ، وعَدَها اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، بأنّ مصيرهم إليها، ﴿**وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٧٢ هي!

---

(١) ألم تر: انظر الآيتين ١٨ و٦٣. وزاد هنا فيما عدا الأصل والنسختين: «تعلم». وسخره: ذلّله ويسره لما خلق له من المقاصد. والفُلك: واحده فُلك أيضًا. وتجري: تسير وتندفع. والبحر: ما اجتمع فيه الماء الكثير، كالنهر والبحيرة وأمثالهما. ويمسكها: يمنعها. والسماء: ما يقابل الأرض من الأجرام، والعوالم التي لانهاية لها. وهي كسائر الأجسام قابلة للميل إلى الهبوط والتداعي، خلقَها الله متماسكة بنظام محكم. وتقع: تسقط وتتداعى. والرؤوف: الكثير التعطف على خلقه بالتوبة والإحسان. والرحيم: العظيم العطف بالفضل. وأحياكم أي: بعد أن كنتم جمادًا وترابًا. ويميتكم: بنزع الأرواح. والمشرك أي: وغيره. والكفور: الكثير الإنكار. وبتركه توحيده يعني: ما يزعمه المشركون، من نسبة النعم إلى معبوداتهم، كالأصنام والبشر والملائكة.

(٢) أمة: جماعة من أصحاب الأديان المشروعة. وجعلنا: وضعنا. وبكسرها يريد القراءة «مَنسِكًا». و«قالوا» روي أن بني خزاعة قالوا هذا للمؤمنين جدالًا، يسخرون بتحريم الأكل من لحم الميتة، فنزلت الآيات ٦٧-٦٩. انظر تفسير القرطبي ١٢: ٩٣ والآية ١١٧ من سورة الأنعام. وينازع: يجادل ويخاصم. ولا تنازعهم: يعني أن النهي مراد به نهي النبي ﷺ، عن الالتفات إلى منازعتهم، لأن أمر الدين أظهر من أن يقبل النزاع. والذبيحة: ما يذبح شرعًا. وما قتل الله أي: ما أماته. وما قتلتم: ما ذبحتم بشرعكم. وادع: بلّغ الناس. والهدى: الرشاد إلى الحق. والمستقيم: السوي يؤدي إلى رضا الله وثوابه. وجادلوك: خاصموك. يعني: فادفعهم بردّ الحكم إليّ، مترفقًا ومتلطفًا. وأعلم: أكثر إحاطة وشمولًا. وتعملون: تقترفونه نية أو قولًا أو فعلًا. و«هذا» يعني أن الموادعةَ وردَّ أمر المخاصمين إلى الله نسختهما آيات الجهاد، في أول سورة التوبة. وليس ماذكره لازمًا، لأن موادعة المجادلين وتفويض الأمر إلى الله باقيان بعد مشروعية القتال، لعدم المنافاة.

(٣) يحكم: يبين الحق من الباطل، ويجازي كلًّا بما يستحق. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور للحساب والجزاء. وللتقرير: للتحقيق. والمراد: قد علمتَ ذلك حقًا. ويعلمه: يحيط بخفاياه ودقائقه. واللوح المحفوظ: مخلوق عظيم لايعلم كنهه إلّا الله، وقد سُجّل فيه ما كان وما سيكون في الوجود كله، مما هو قضاء محتوم أو محتمل، ولا يطلع عليه إلّا بعض الملائكة المقربين. وما ذكر أي: ما في السماوات والأرض والكون كله. وعلم ما ذكر أي: جملة وتفصيلًا.

(٤) يعبدون: يقدسون ويطيعون في المعاصي. ومن دونه أي: غيره. ولم ينزل: لم يوحِ. والحجة: الدليل الموحَى. والعلم: المعرفة العقلية اليقينية. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والنصير: المعين. وتتلى: تقرأ. وبينات أي: في رفض الشرك والضلال. وتعرف: تدرك. والوجوه: جمع وجه. وإنما خصت الوجوه بالذكر لأنها أوضح ما يبدو فيه القبول والإنكار. وكفروا: ستروا الحق وغطّوه، وهو واضح بيّن. ويكاد: يقترب. ويسطو به: يبطش به ويقضي عليه. وسقط «من القرآن» مما عدا الأصل وخ. وقل أي: للمشركين. وأنبئكم: أخاطبكم وأخبركم. وشر: أكثر سوءًا إليكم وإيذاءً. وسقط «أي» مما عدا الأصل والنسخ. ووعدها: تعهد لها وقضى. لكأنّ النار وعدت بالكفار لتنال منهم. وبئس: بلغ الغاية في الشقاء والبؤس. والمصير: مكان النهاية والعاقبة. و«هي» عائد على النار، في محل رفع مبتدأ خبره الجملة قبله، وهو مذموم مرتين: في جنسه «المصير»، وفي اختصاصه هنا.

الجزء السابع عشر — سورة الحج

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ — ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

١- ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿**ضُرِبَ مَثَلٌ. فاستَمِعُوا لَهُ**﴾. هو ﴿**إنَّ الّذِينَ تَدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه - وهم الأصنام - ﴿**لَن يَخلُقُوا ذُبابًا**﴾ - اسم جنس، واحده ذبابة يقع على المُذكّر والمُؤنّث - ﴿**ولَوِ اجتَمَعُوا لَهُ**﴾: لخلقه، ﴿**وإن يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا**﴾ ممّا عليهم، من الطِّيبِ والزعفرانِ الملطَّخون به، ﴿**لا يَستَنقِذُوهُ**﴾: لا يستردوه ﴿**مِنهُ**﴾ لعجزهم. فكيف يُعبدون شركاءَ لِلّهِ تعالى؟ هذا أمر مستغرب، عُبّر عنه بـ «ضُرِبَ مَثَلٌ». ﴿**ضَعُفَ الطّالِبُ**﴾: العابد ﴿**والمَطلُوبُ**﴾ ٧٣: المعبود! ﴿**ما قَدَرُوا اللهَ**﴾: عظّموه ﴿**حَقَّ قَدْرِهِ**﴾: عظمتِه، أن أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه. ﴿**إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ ٧٤: غالب.

سجدة عند الشافعي

٢- ﴿**اللهُ يَصطَفِي مِنَ المَلائكةِ رُسُلًا، ومِنَ النّاسِ**﴾ رُسلًا. نزل لمّا قال المشركون: «أأُنزِلَ علَيهِ الذِّكرُ مِن بَينِنا»؟ ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ لمقالتهم، ﴿**بَصِيرٌ**﴾ ٧٥ بمن يتّخذه رسولًا، كجِبريلَ وميكائيلَ، وإبراهيمَ ومُحمّدٍ وغيرهم - صلّى الله عليهم وسلّم - ﴿**يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم**﴾، أي: ما قدّموا وما خلّفوا، أو ما عملوا وما هم عاملون بعدُ، ﴿**وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ**﴾ ٧٦.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اركَعُوا واسجُدُوا**﴾ أي: صلّوا، ﴿**واعبُدُوا رَبَّكُم**﴾: وحّدوه، ﴿**وافعَلُوا الخَيرَ**﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ٧٧: تفوزون بالبقاء في الجنّة، ﴿**وجاهِدُوا في اللهِ**﴾ لإقامة دِينه ﴿**حَقَّ جِهادِهِ**﴾، باستفراغ الطاقة فيه. ونُصب «حقَّ» على المصدر. ﴿**هُوَ اجتَباكُم**﴾: اختاركم لدِينه، ﴿**وما جَعَلَ علَيكُم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ**﴾ أي: ضيقٍ، بأن سهّله عِند الضرورات، كالقصر والتيمّم وأكل الميتة، والفِطر للمرض والسفر، ﴿**مِلّةَ أبِيكُم**﴾ - منصوبٌ بنزع الخافض الكاف - ﴿**إبراهِيمَ**﴾: عطفُ بيان.

٤- ﴿**هُوَ**﴾ أي: الله ﴿**سَمّاكُمُ المُسلِمِينَ مِن قَبلُ**﴾، أي: قبلِ هذا الكتاب، ﴿**وفي هٰذا**﴾ أي: القُرآنِ، ﴿**لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا علَيكُم**﴾ يوم القيامة أنه بلّغكم، ﴿**وتكُونُوا**﴾ أنتم ﴿**شُهَداءَ علَى النّاسِ**﴾ أنّ رسلهم بلّغتْهم. ﴿**فأقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾: داوموا عليها ﴿**وآتُوا الزَّكاةَ، واعتَصِمُوا بِاللهِ**﴾: ثقوا به. ﴿**هُوَ مَولاكُم**﴾: ناصركم ومُتولّي أُموركم. ﴿**فنِعمَ المَولَى**﴾ هو! ﴿**ونِعمَ النَّصِيرُ**﴾ ٧٨ أي: الناصر هو لكم!

سورة المؤمنون

مكية، وهي مِائَة وثماني أو تسعَ عشْرةَ آية.

---

(١) الخطاب في الآية يعم كل مشرك. وأي: حرف نداء وتنبه للقريب. وضرب: وُضّح. والمثل: قصة عجيبة فيها العظة والاعتبار. وفي بيان العجز تدرُّج من عدم القدرة على الخلق، إلى القصور عن حماية النفس، فنيل المراد من أضعف المخلوقات. واستمعوا له: تنبهوا له وتدبروه. ويخلق: ينشئ من العدم. والذباب: حشرات معروفة. واجتمعوا: احتشدوا وتعاونوا. ويسلب: يختطف بسرعة. و«الملطخون به» الصواب: «الملطخين بهما». وكان المشركون يطلون الأصنام بالطيب والعسل. وضعف: بلغ الغاية في العجز والقصور. والمعبود أي: المطلوب منه إيصال الخير ودفع الشر. وحق قدره: ما يستحقه من التقدير والإجلال. وأن أشركوا أي: بإشراكهم. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والقوي: الكامل القوة والمتمكن من كل شيء. وغالب أي: قاهر لجميع الخلق.

(٢) يصطفي: يختار. ومن الملائكة أي: بعضهم كجبريل وميكائيل. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والرسل: جمع رسول. وهو من يكلف بعمل. والقائل لما ذكر هو الوليد بن المغيرة، ووافقه بعض المشركين حسدًا منهم، أي: قالوا عن النبي ﷺ: «ليس بأكبرنا ولا أشرفنا». والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: الخبير بكل شيء، فاختياره عن حكمة وتقدير لمصالح الكون. ويتخذه: يجعله. ويعلمه: يحيط به. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. وترجع: تردّ في تقديرها وقضائها. والحساب أي: في الدنيا والآخرة، فلا يُسأل عما يفعل. والأمور: جمع أمر. وهي شؤون الخلق كلهم.

(٣) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعُبِّر بالركوع والسجود عن الصلاة لأنهما أظهر مافيها. وافعلوه: قوموا به بنية أو قول أو عمل. والخير: ما حسنه الشرع. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وجاهدوا: ابذلوا الجهد من كل ما تملكون. وحق جهاده: جهاده الصادق بنية خالصة. واستفراغ الطاقة: بذل القدرة كلها. والنصب على المصدر أي: مفعول مطلق لتوكيد فعل مقدر من لفظه. وجعل: وضع. والدين: العقيدة والشريعة. وأكل الميتة: عند الاضطرار. والملة: عقيدة التوحيد. وإبراهيم: أبو الأنبياء انتقل من العراق إلى القدس ومصر ومكة. وعطف البيان يكون لتوضيح المراد مع التوكيد.

(٤) سماكم أي: فضلكم واختار لكم اسمًا تتميزون به. والمسلم: المنقاد لأمر الله في جميع شؤونه. وتكون: تصير. والشهيد: الشاهد يبلّغ ماعلمه بحق. وشهادة المسلمين على غيرهم لِما أعلمهم الله، بنصوص القرآن والسُّنّة. وبلّغتْهم: أعلمتْهم وأخبرتهم بوجوب التوحيد والامتثال بالطاعة لله. وأقيموها: أدّوها. وداوموا عليها أي: بشروطها وأركانها وآدابها. وآتوها: أعطوها مستحقيها. والزكاة: ما فرض على المال لتطهيره وتطهير صاحبه. ونِعم أي: بلغ الغاية في الخير والفضل والإنعام. وهو: يعود على «مولى»، وممدوح مرتين في الموضعين.

الجزء الثامن عشر سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قَد﴾: للتحقيق ﴿أفلَحَ﴾: فاز ﴿المُؤمِنُونَ١، الَّذِينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ﴾ ٢: متواضعون، ﴿والَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعرِضُونَ٣، والَّذِينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ٤: مُؤدّون، ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ﴾ ٥ عن الحرام، ﴿إلّا على أزواجِهِم﴾ أي: من زوجاتهم، ﴿أو ما مَلَكَت أَيمانُهُم﴾ أي: السراريّ - ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ٦ في إتيانهنّ. ﴿فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراريّ، كالاستمناء بيده، ﴿فأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾ ٧: المُتجاوزون إلى ما لا يحلّ لهم - ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، جمعًا ومفردًا، ﴿وعَهدِهِم﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿راعُونَ﴾ ٨: حافظون، ﴿والَّذِينَ هُم على صَلَواتِهِم﴾، جمعًا ومفردًا، ﴿يُحافِظُونَ﴾ ٩: يُقيمونها في أوقاتها. ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الوارِثُونَ﴾ ١٠ لا غيرهم، ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِردَوسَ﴾، هو جنّة أعلى الجِنان، ﴿هُم فِيها خالِدُونَ﴾ ١١. في ذلك إشارة إلى المَعاد، ويُناسبه ذِكر المبدأ بعده.

٢- ﴿و﴾ اللهِ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ آدمَ ﴿مِن سُلالةٍ﴾، هي من: سللتُ الشيء من الشيء، أي: استخرجتُه منه - وهو خُلاصته - ﴿مِن طِينٍ﴾ ١٢: مُتعلّقٌ بـ «سلالة»، ﴿ثُمَّ جَعَلْناهُ﴾ أي: الإنسانَ نسلَ آدمَ ﴿نُطْفَةً﴾: مَنِيًّا، ﴿في قَرارٍ مَكِينٍ﴾ ١٣ هو الرَّحِم، ﴿ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دمًا جامدًا، ﴿فخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغةً﴾: لحمة قدرَ ما يُمضغ، ﴿فخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظامًا، فكَسَونا العِظامَ لَحمًا﴾، وفي قراءة: «عَظْمًا» و«العَظْمَ» في الموضعين، و«خلقنا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيّرنا، ﴿ثُمَّ أنشأْناهُ خَلقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه - ﴿فتَبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالِقِينَ﴾ ١٤ أي: المُقدِّرين. ومميِّز «أحسَنُ» محذوف للعِلم به، أي: خَلقًا - ﴿ثُمَّ إنَّكُم بَعدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥، ثُمَّ إنَّكُم يَومَ القِيامةِ تُبعَثُونَ﴾ ١٦ للحِساب والجزاء.

٣- ﴿ولَقَد خَلَقْنا فَوقَكُم سَبعَ طَرائِقَ﴾ أي: سماواتٍ: جمع طريقة لأنها طُرق الملائكة، ﴿وما كُنّا عَنِ الخَلقِ﴾ تحتها ﴿غافِلِينَ﴾ ١٧ أن تسقط عليهم فتُهلكهم - بل نُمسكها كآيةِ: «ويُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلَى الأرضِ» - ﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾ من كِفايتهم، ﴿فأسكَنّاهُ في الأرضِ، وإنّا على ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾ ١٨، فيموتون مع دوابهم عطشًا، ﴿فأنشأْنا لَكُم بِهِ جَنّاتٍ مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ﴾، هما أكثر فواكه العرب، ﴿لَكُم فِيها

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. والمؤمن: من صدق الله ورسوله، وعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وهو يشمل الذكور والإناث. والصلاة: العبادة المكتوبة كل يوم خمس مرات. واللغو: ماكان حرامًا أو مكروهًا، أو مباحًا ولم تدعُ إليه حاجة. والمعرض عن الشيء: من يتجنبه ويبتعد عنه وينكره. والزكاة: مايجب على المال لتطهيره وتطهير صاحبه. والفروج: جمع فرج. وهو عورة ما بين الرِّجلين من أمام. والحافظ للشيء: من يمنعه. والأزواج: جمع زوج. وهو المرأة المتزوجة أو الرجل المتزوج. وملكته: حازته تملكًا شرعيًا. والأيمان: جمع يمين. وهي اليد اليمنى. والسراري: جمع سُرّيّة. وهي المملوكة تُنكح سِرًا. وحكم التسرّي خاص بالرجال. والملوم: المؤاخذ بمعصية. وإتيانهن: مضاجعة الزوجة والسُّرّيّة. وابتغى: قصد بشهوته. ووراء ذلك: غير ما استُثني. والاستمناء باليد: استخراج المني عبثًا باليد. والأمانة: ما تعهد الإنسان برعايته أو القيام به، مع ربه أومع الناس. ومفردًا يريد القراءة «لِأمانتِهم». والعهد: ما وُعد به الغيرُ. والحفظ: الوفاء والأداء. ومفردًا يريد القراءة «صَلاتِهم». وأولئك أي: الموصوفون في الآيات ١-٦ و٨ و٩. والوارثون: المستحقون أن يسمَّوا وارثين لنعيم الآخرة. والخالد: المقيم أبدًا. والمعاد: العودة إلى الحياة بعد الموت.

(٢) خلقنا: أنشأناه من العدم. وجعلناه: صيّرناه. والطين: التراب المجبول بالماء. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًا. والقرار: المستقَرّ. والمكين: المتمكن المحوط بالوقاية. وكسوناه: غطيناه. وفي الموضعين أي: من الآية هذه. وآخر أي: مغاير يمتاز به البشر. وتبارك: تعالى شأنه في جميع ما يقدر وما يخلق. وأحسن: أعظم لامثيل له. واليوم: الوقت. والقيامة: القيام من القبور، أي: حيثما كانت بقايا الجسد. وتبعثون: تخرجون أحياء بالبعث.

(٣) فوقكم: فوق أرضكم. وما كنا أي: ولانزال من دون قيد زماني. والخلق: المخلوقات. والغافل: الساهي لايتنبه للأمور ولايرعاها. وكآية: يعني الآية ٦٥ من سورة الحج. وأنزلنا: أسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبرَد والندى. والقدر: المقدار المعين بحسب مصلحة الكون. وأسكناه: جعلناه يستقر أو يجري من مكان إلى آخر. والذهاب: الإفناء والإبادة. والقادر: المتمكن مما يريد. وأنشأ: خلق وأوجد. والجنة: الحديقة فيها النبات. والنخيل: شجر ثمره التمر. والأعناب: جمع عنب. وفيها: في الجنات. والفواكه: جمع فاكهة. وهي الثمار المستلذة. وتأكل: تتناول طعامًا وشرابا للتغذية والمتعة. وتخرج: تنبت. وسيناء: مِنطقة في جنوب غربي فلسطين. وبفتحها يريد القراءة «سَيناءَ». والرباعي: أنبَتَ. انظر «المفصل». والثلاثي: نَبَتَ، والقراءة به «تَنبُتُ» أي: تنمو وتُثمر. والدهن: عصارة كل شيء دسم. وزائدة أي: للتقوية والتوكيد. ومعدية أي: تتعلق بالفعل. والصبغ: ما يؤتدم به.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فواكِهُ كَثِيرةٌ، ومِنها تأكُلُونَ﴾ ١٩ صيفًا وشتاء، ﴿**و**﴾ أنشأنا ﴿**شَجَرةً، تَخرُجُ مِن طُورِ سِيناءَ**﴾ جبل، بكسر السين وفتحها ومنعُ الصرفِ للعلميّةِ والتأنيثِ للبقعة، ﴿**تُنبِتُ**﴾ - من الرباعيّ والثلاثيّ - ﴿**بِالدُّهنِ**﴾ الباء: زائدة على الأوّل، ومُعدّية على الثاني، وهي شجرة الزيتون، ﴿**وصِبغٍ لِلآكِلِينَ**﴾ ٢٠: عطف على «الدهن» أي: إدامٍ يَصبغ اللُّقمة بغمسها فيه. وهو الزيت.

١- ﴿**وإنَّ لَكُم في الأنعامِ**﴾: الإبلِ والبقرِ والغنم ﴿**لَعِبْرةً**﴾: عِظة تعتبرون بها، ﴿**نَسقِيكُم**﴾ - بفتح النون وضمّها - ﴿**مِمّا في بُطُونِها**﴾ أي: اللبنَ، ﴿**ولَكُم فِيها مَنافِعُ كَثِيرةٌ**﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك، ﴿**ومِنها تأكُلُونَ ٢١، وعلَيها**﴾ أي: الإبلِ ﴿**وعلَى الفُلْكِ**﴾ أي: السُّفنِ ﴿**تُحمَلُونَ**﴾ ٢٢.

٢- ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ**﴾: أطيعوه ووحّدوه. ﴿**مالَكُم مِن إلَهٍ غَيرُهُ**﴾. وهو اسم «ما»، وما قبله: الخبر، ومِن: زائدة. ﴿**أفلا تَتَّقُونَ**﴾ ٢٣: تخافون عُقوبته بعبادتكم غيرَه؟ ﴿**فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ لأتباعهم: ﴿**ما هٰذا إلّا بَشَرٌ مِثلُكُم، يُرِيدُ أن يَتَفَضَّلَ**﴾: يتشرّف ﴿**علَيكُم**﴾، بأن يكون متبوعًا وأنتم أتباعه. ﴿**ولَو شاءَ اللهُ**﴾ ألّا يُعبَدَ غيرُه ﴿**لَأنزَلَ مَلائكةً**﴾ بذلك لا بشرًا. ﴿**ما سَمِعْنا بِهٰذا**﴾ الذي دعانا إليه نوح من التوحيد، ﴿**في آبائنا الأوَّلِينَ**﴾ ٢٤ أي: الأمم الماضية. ﴿**إن هُوَ**﴾: ما نوحٌ ﴿**إلّا رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ**﴾: حالة جُنون. ﴿**فتَرَبَّصُوا بِهِ**﴾: انتظروه، ﴿**حَتَّى حِينٍ**﴾ ٢٥: إلى زمن موته. ﴿**قالَ**﴾ نوح: ﴿**رَبِّ، انصُرْنِي**﴾ عليهم ﴿**بِما كَذَّبُونِ**﴾ ٢٦ أي: بسبب تكذيبهم إياي، بأن تُهلكهم.

٣- قال تعالى مُجيبًا دُعاءه: ﴿**فأَوحَينا إلَيهِ: أنِ اصنَعِ الفُلْكَ**﴾ السفينة، ﴿**بِأعيُنِنا**﴾: بمرأى منّا وحِفظنا ﴿**ووَحيِنا**﴾: أمرنا، ﴿**فإذا جاءَ أمرُنا**﴾ بإهلاكهم، ﴿**وفارَ التَّنُّورُ**﴾ للخبّاز بالماء - وكان ذلك علامة لنوح - ﴿**فاسلُكْ فِيها**﴾ أي: أدخِلْ في السفينة ﴿**مِن كُلٍّ زَوجَينِ**﴾، أي: ذكرٍ وأُنثى أي: من كُلّ أنواعهما، ﴿**اثنَينِ**﴾: ذكرٌ وأنثى - وهو مفعول، ومِن: متعلّقة بـ«اسلُكْ». وفي القِصّة أن الله - تعالى - حشر لنوح السِّباع والطّير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذكر، واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة. وفي قراءةٍ: «كُلِّ» بالتنوين، فزوجين: مفعول، واثنين: تأكيد له - ﴿**وأهلَكَ**﴾ أي: زوجته وأولاده، ﴿**إلّا مَن سَبَقَ علَيهِ القَولُ مِنهُم**﴾ بالإهلاك - وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة. وفي سورة هود: «ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلّا قَلِيلٌ». قيل: كانوا سِتّةَ رِجال ونساءَهم. وقيل: جميع مَن كان في السفينة ثمانية وسبعون، نِصفهم رِجال، ونِصفهم نِساء - ﴿**ولا تُخاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا: بترك إهلاكهم. ﴿**إنَّهُم مُغرَقُونَ**﴾ ٢٧.

---

(١) تعتبرون بها: للاستدلال على عظمة الخالق ووحدانيته. وبضمها يريد القراءة «نُسقِيكُم»، أي: نيَسّر الشرب. والمنافع: جمع منفعة. وهو ما يفيد. وتأكلون: تتناولون الطعام والشراب. وخص الإبل بالضمير في «عليها»، لأنها غالبًا ما تركب، وتناسب ذكر الفُلك. وتحملون: تُرفعون للركوب في السفر والانتقال.

(٢) نوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس. وأرسلناه: بعثناه وكلفناه بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. والقوم: الجماعة يعيش فيها الإنسان. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «أطيعوا الله». والإله: المعبود بحق وحده. و«هو» أي: إله. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. والملأ: الأشراف والزعماء. وكفر: كذّب الله ورسوله. وبشر: إنسان. ومثلكم أي: في الصفات. ويريد: يطلب. وشاء: أراد. وأنزل: أرسل. والملائكة: جمع مَلَك. وسمعنا: علمنا. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. والحين: الوقت. ورب أي: ياربي. وانصرني: أعِنّي. وكذبون: أنكروا رسالتي.

(٣) أوحينا أي: على لسان جبريل. واصنعها: اعملها متقنة محكمة. والأعين: جمع عين للتعظيم. وجاء: ابتدأ ظهوره. وفار: نبع الماء. والمراد بالتنور هنا وجه الأرض. انظر تعليقنا على تفسير الآيات ٣٦-٤٧ من سورة هود. والتفصيلات التي هنا في تفسير قصة نوح أكثرها من الإسرائيليات التي لاسند لها. والزوج: ما له مقابل من جنسه للتزاوج. والأهل: الأسرة، أي: من يعولهم الرجل. وسبق عليه القول: وقع عليه حكم الله من الأزل، لإصراره على الكفر والعصيان. ومنهم: مِن أهلك. وزوجته أي: الكافرة. وكنعان هذا كافر أيضًا، وهو غير جد الكنعانيين العرب. و«ثلاثة» كذا في الأصل وخ وع وبعض النسخ والمطبوعات. ث: «الثلاثة». والتأنيث بالتاء صحيح فصيح، لأن العدد لم يضف إلى المعدود، خلافًا لما جاء في قرة العينين ص ٤٤٨. انظر حاشية الخضري ٢: ١٣٥. والأمم المعروفة في العالم هي ذرية أبناء نوح والرجالِ المذكورين أيضًا، خلافًا لما هو شائع في التاريخ. انظر تعليقنا على تفسير الآيتين ٤٠ من سورة هود - وهي الآية التي ذكرها المحلي هنا - و٣ من سورة الإسراء. وتخاطبني: تراجعني في الكلام داعيًا لهم بعدم الإهلاك. وظلم: تجاوز الحد. والكفر أفظع ذلك. والمغرق: الذي يختنق غرقًا بالماء.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

١- ﴿**فإذا استوَيتَ**﴾: اعتدلتَ ﴿**أنتَ ومَن مَعَكَ على الفُلكِ فقُل: الحَمدُ للهِ الَّذي نَجّانا مِنَ القومِ الظّالِمينَ**﴾ ٢٨: الكافرين وإهلاكهم. ﴿**وقُلْ**﴾ عِند نزولك من الفُلك: ﴿**رَبِّ، أنزِلْني مُنزَلًا**﴾، بضمّ الميم وفتح الزاي: مصدرٌ أو اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي: مكانُ النزول ﴿**مُبارَكًا**﴾ ذلك الإنزالُ أو المكان، ﴿**وأنتَ خَيرُ المُنزِلِينَ**﴾ ٢٩ ما ذُكر.

٢- ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ، من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكُفّار، ﴿**لَآياتٍ**﴾: دلالات على قُدرة الله - تعالى - ﴿**وإنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿**كُنّا لَمُبتَلِينَ**﴾ ٣٠: مُختبرين قومَ نُوح، بإرساله إليهم ووعظه. ﴿**ثُمَّ أنشأنا مِن بَعدِهِم قَرنًا**﴾: قومًا ﴿**آخَرينَ**﴾ ٣١ هم عاد، ﴿**فأرسَلنا فيهِم رَسُولًا مِنهُم**﴾ هُودًا: ﴿**أنِ**﴾ أي: بأنِ ﴿**اعبُدُوا اللهَ، مالكُم مِن إلٰهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ**﴾ ٣٢ عِقابه فتؤمنون؟

ربع الحزب ٣٥

٣- ﴿**وقالَ المَلأُ مِن قَومِهِ، الَّذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرةِ**﴾ أي: بالمصير إليها، ﴿**وأترَفناهُم**﴾: نعّمناهم ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا: ما هٰذا إلّا بَشَرٌ مِثلُكُم، يأكُلُ مِمّا تأكُلُونَ مِنهُ، ويَشرَبُ مِمّا تَشرَبُونَ**﴾ ٣٣، و﴿ اللهِ ﴿**لَئِن أطَعتُم بَشَرًا مِثلَكُم**﴾ - فيه قسم وشرط، والجواب لأوّلهما وهو مُغنٍ عن جواب الثاني - ﴿**إنّكُم إذًا**﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿**لَخاسِرُونَ**﴾ ٣٤ أي: مَغبونون. ﴿**أيَعِدُكُم أنّكُم إذا مُتُّم، وكُنتُم تُرابًا وعِظامًا، أنّكُم مُخرَجُونَ**﴾ ٣٥؟ هو خبر «أنكم» الأُولى، و«أنكم» الثانية تأكيد لها لمّا طال الفصل. ﴿**هَيهاتَ هَيهاتَ**﴾: اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى مصدر، أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿**لِما تُوعَدُونَ**﴾ ٣٦ من الإخراج من القُبور! واللام: زائدة للبيان. ﴿**إن هِيَ**﴾ أي: ما الحياة ﴿**إلّا حَياتُنا الدُّنيا، نَمُوتُ ونَحيا**﴾ بحياة أبنائنا، ﴿**وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ**﴾ ٣٧. ﴿**إن هُوَ**﴾ أي: ما الرسول ﴿**إلّا رَجُلٌ، افتَرَى على اللهِ كَذِبًا، وما نَحنُ لَهُ بِمُؤمِنِينَ**﴾ ٣٨: مُصدِّقين في البعث بعد الموت.

٤- ﴿**قالَ: رَبِّ، انصُرْني بِما كَذَّبُونِ**﴾ ٣٩. ﴿**قالَ: عَمّا قَلِيلٍ**﴾ من الزمان - وما: زائدة - ﴿**لَيُصبِحُنَّ**﴾: لَيَصِيرُنَّ ﴿**نادِمِينَ**﴾ ٤٠ على كُفرهم وتكذيبهم. ﴿**فأخَذَتهُمُ الصَّيحةُ**﴾: صيحة العذاب والإهلاك، كائنةً ﴿**بالحَقِّ**﴾ فماتوا، ﴿**فجَعَلناهُم غُثاءً**﴾ وهو نبت يَبِس، أي: صيّرناهم مِثله في اليُبس. ﴿**فبُعدًا**﴾ من الرحمة ﴿**لِلقَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ٤١: المُكذبين.

٥- ﴿**ثُمَّ أنشأنا مِن بَعدِهِم قُرُونًا**﴾ أي: أُممًا ﴿**آخَرِينَ**﴾ ٤٢، ﴿**ما تَسبِقُ مِن أُمّةٍ أجَلَها**﴾ بأن تموت قبله، ﴿**وما يَستأخِرُونَ**﴾ ٤٣ عنه - ذُكِّر الضمير بعد

---

(١) الفلك: السفينة. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل والإنعام. ونجانا: أنقذنا. والظالم: من يتجاوز الحق ويُغرِق في الباطل. ورب: ياربي. حذف حرف النداء مبالغة في التوكيد، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وأنزلني: هيئ لي النزول ويسره لي. وبكسر الزاي يريد القراءة «مَنزِلًا». وخير المنزلين: أفضلهم في التقدير والتوفيق. وما ذكر أي: منزلًا مباركًا.

(٢) مخففة: يعني أنها للتوكيد. والشأن: القصة والموضوع. وانظر «المفصل». وكنا أي: ولانزال. وقوم نوح أي: وغيرهم. وأنشأنا: أوجدنا. وآخرين: غير قوم نوح، أناسًا من ذريته وذرية المؤمنين الذين كانوا معه. وعاد: من العرب العاربة. والرسول: من يكلّف بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. انظر الآية ٢٣. وفي المنحة والمطبوعات: فتؤمنوا.

(٣) انظر الآية ٢٤. وكذب: أنكر. ويأكل: يتغذى بالطعام. ويشرب: يرتوي بالشراب. وأطعتموه: استجبتم لدعوته. والجواب لأولهما: يعني أن جواب الشرط محذوف، و«إنكم إذًا لخاسرون» هو جواب القسم يدل على المحذوف، والتقدير: نُقسم - لئن أطعتموه فإنكم إذًا لخاسرون - إنكم إذًا لخاسرون. ويعدكم: يهددكم. وكنتم: صرتم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والعظام: جمع عظم. ومخرجون أي: بالبعث للحساب. والاستبعاد: الاستحالة. وما توعدون: ما تهدَّدون به. وبحياة أبنائنا أي: يخلُفنا أبناؤنا في الحياة، وتستمر بدون نهاية. وفي النسخ: «بحياة آبائنا». والمبعوث: المخرج من قبره حيًا. وافترى: كذب. والبعث أي: وغير ذلك من التوحيد والإيمان.

(٤) انظر الآية ٢٦. والنادم: من يتحسر على ما فات دون جدوى. وأخذتهم: تناولتهم بالعقاب. والصيحة: الصوت الهائل يدمر ويقتل. والحق: الوجوب، لأنهم استحقوا العذاب بكفرهم. وجعلنا: صيّرنا. والبعد: النفي والطرد، كما نَفَوا البعث والحساب. والقوم: الجماعة من الناس. والظالم: المجاوز للحق بتكذيبه وتعنته.

(٥) أنشأنا: خلقنا وأوجدنا. والقرون: جمع قرن. وهو الأمة. والآخرون: المغايرون، أي: أمم غير التي مضت بالهلاك، يعني أقوام لوط وشُعيب وأيوب ويونس... وتسبقه: تتقدمه. والأجل: المدة المحددة لنهاية حياة المخلوق. ويستأخر: يتأخر فيكون بعد الموعد المعيّن. وانظر الآية ٥ من سورة الحِجر. والرسل: جمع رسول. وفيما عدا الأصل والنسخ: «تَتْرًا». وبعدمه يريد القراءة «تَتْرَى». والأمة: الجماعة من الناس. وجاءها أي: أتاها. وبتسهيل الثانية يريد القراءة «جاءَ أُمّةٌ». وكذبوه: أنكروا ما جاء به. وأتبعنا بعضهم بعضًا: ألحقنا المتأخرين بالمتقدمين وجعلناهم مثلهم. وجعلنا: صيّرنا. وأحاديث: جمع أُحدوثة. وهي ما يُتحدث به عجبًا. وانظر آخر الآية ٤١.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

تأنيثه رِعاية للمعنى - ﴿**ثُمَّ أرسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى**﴾، بالتنوين وعدمِه أي: مُتتابعين، بين كُلّ اثنين زمان طويل، ﴿**كُلّما جاءَ أُمّةً**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الواو - ﴿**رَسُولُها كَذَّبُوهُ، فأتبَعْنا بَعضَهُم بَعضًا**﴾ في الهلاك، ﴿**وجَعَلْناهُم أحادِيثَ. فبُعدًا لِقَوم لا يُؤمِنونَ**﴾ ٤٤.

١- ﴿**ثُمَّ أرسَلْنا مُوسَى وأخاهُ هارُونَ، بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ**﴾ ٤٥: حُجّة بيّنة - وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات - ﴿**إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاستَكبَرُوا**﴾ عن الإيمان بها وبالله - ﴿**وكانُوا قومًا عالِينَ**﴾ ٤٦: قاهرين بني إسرائيل بالظلم - ﴿**فقالُوا: أنُؤمِنُ لِبَشَرينِ مِثلِنا، وقومُهُما لَنا عابِدُونَ**﴾ ٤٧: مطيعون خاضعون؟ ﴿**فكَذَّبُوهُما فكانُوا مِنَ المُهلَكِينَ**﴾ ٤٨. ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**لَعَلَّهُم**﴾ أي: قومَه بني إسرائيل ﴿**يَهتَدُونَ**﴾ ٤٩ به من الضلالة - وأُوتيها بعد هلاك فِرعونَ وقومِه، جُملةً واحدة - ﴿**وجَعَلْنا ابنَ مَريَمَ**﴾ عِيسى ﴿**وأُمَّهُ آيَةً**﴾ - لم يقل «آيتين» لأنّ الآية فيهما واحدة: وِلادته من غير فحل - ﴿**وآوَيناهُما إلَى رُبْوةٍ**﴾: مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دِمشق أو فِلسطين، أقوال، ﴿**ذاتِ قَرارٍ**﴾ أي: مُستوية يستقرّ عليها ساكنوها، ﴿**ومَعِينٍ**﴾ ٥٠ أي: ماء جار ظاهر تراه العُيون.

٢- ﴿**يا أيُّها الرُّسُلُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾: الحلالات، ﴿**واعمَلُوا صالِحًا**﴾ من فرض ونفل - ﴿**إنِّي بِما تعمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ ٥١، فأُجازيكم عليه - ﴿**و**﴾ اعلموا ﴿**أنَّ هٰذِهِ**﴾ أي: مِلّةَ الإسلام ﴿**أُمّتُكُم**﴾: دِينكم، أيها المُخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿**أُمّةً واحِدةً**﴾: حالٌ لازمة - وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أُخرى بكسر همزة «إنّ» مُشدّدة استئنافًا - ﴿**وأنا رَبُّكُم فاتَّقُونِ**﴾ ٥٢: فاحذرونِ. ﴿**فتَقَطَّعُوا**﴾ أي: الأتباعُ ﴿**أمرَهُم**﴾: دِينَهم ﴿**بَينَهُم زُبُرًا**﴾: حالٌ من فاعل «تقطّعوا»، أي: أحزابًا مُتخالفين كاليهود والنصارى وغيرهما، ﴿**كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيهِم**﴾ أي: عِندَهم من الدِّين ﴿**فَرِحُونَ**﴾ ٥٣: مسرورون.

٣- ﴿**فذَرْهُم**﴾: اتركْ كُفّار مكّة، ﴿**في غَمْرتِهِم**﴾: ضلالتهم، ﴿**حَتَّى حِينٍ**﴾ ٥٤ أي: حين موتهم. ﴿**أيَحسبُونَ أنَّ ما نُمِدُّهُم بِهِ**﴾: نُعطيهم، ﴿**مِن مالٍ وبَنِينَ**﴾ ٥٥ في الدنيا، ﴿**نُسارِعُ**﴾: نُعجّل ﴿**لَهُم في الخَيراتِ**﴾؟ لا ﴿**بَل لا يَشعُرُونَ**﴾ ٥٦ أنّ ذلك استدراج لهم.

٤- ﴿**إنَّ الَّذِينَ هُم مِن خَشيَةِ رَبِّهِم**﴾: خوفهم منه ﴿**مُشفِقُونَ**﴾ ٥٧: خائفون من عذابه، ﴿**والَّذِينَ هُم بِآياتِ رَبِّهِم**﴾: القُرآن ﴿**يُؤمِنُونَ**﴾ ٥٨: يُصدّقون، ﴿**والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لا يُشرِكُونَ**﴾ ٥٩ معه غيره، ﴿**والَّذِينَ يُؤتُونَ**﴾: يُعطُون ﴿**ما آتَوا**﴾: أعطَوا، من الصدقة والأعمال الصالحة، ﴿**وقُلُوبُهُم وَجِلةٌ**﴾: خائفة ألّا تُقبل منهم، ﴿**أنَّهُم**﴾ - يُقدّر قبله لام الجرّ - ﴿**إلَى رَبِّهِم راجِعُونَ**﴾ ٦٠، ﴿**أُولٰئِكَ يُسارِعُونَ في الخَيراتِ، وهُم لَها سابِقُونَ**﴾ ٦١ في عِلم الله.

---

(١) موسى: من أعظم أنبياء بني إسرائيل. وهارون: أخوه. والسلطان: التسلط يحمل على التصديق. والملأ: السادة الأشراف يملؤون المجالس بأجسامهم والنفوس مهابة. واستكبر: تكلف ما ليس له من التعالي. والعالون: المتطاولون على الناس. ونؤمن له: نصدّقه. والبشر: الإنسان. انظر الآية ٢٤. وقومهما هم بنو إسرائيل. والمهلكين: المحكوم عليهم بالإهلاك. وآتيناه: كلفناه بالدعوة والعمل. ويهتدون: يسترشدون إلى الحق. وجملة واحدة أي: دُفعة واحدة. وجعلنا: صيّرنا. وعيسى: من أعظم أنبياء بني إسرائيل أيضًا، زعموا أنهم صلبوه. والآية: المعجزة الخارقة للعادة. وآويناه: ألجأناه، أي: يسّرنا له ذلك. والقرار: الاستقرار والوقاية من العدوان.

(٢) النداء خطاب لجميع الرسل، وُجّه إلى كل منهم في حينه. وكلوا: تغذَّوا وتمتعوا. والحلال: ما أحله الشرع. واعملوا: اكتسبوا بالنية والقول والفعل. والصالح: ما يرضاه الله. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وملة الإسلام: ملتكم جميعًا على مر الزمن والشرائع المنزلة. وحال: يعني أن «أمةً»: حال من أمتكم. ويريد بتخفيف النون قراءة «أنْ». وتقطعوه: قطعوه وجزؤوه. والأتباع: أتباع الرسل. وأمرهم: أمر دينهم الواحد. والزبر: جمع زُبْرة. وهي الفئة. وغيرهما: غير الفئتين المذكورتين. والحزب: الجماعة من الناس يؤلف بينهم دين أو زعامة. وفرحون أي: مغتبطون بما هم فيه، ويسفّهون ماعليه غيرهم.

(٣) الغمرة: الماء يغمر القامة، استعيرت للجهالة والضلال. انظر آخر الآية ٢٥. ويحسبون: يظنون. ونمدهم به: نجعله لهم متاعًا وزينة. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والبنون: الأولاد. والخيرات: ما ينفع. و«لا» يعني: ليس الأمر كما يزعمون، ولسنا نسارع لهم بذلك إكرامًا. ولايشعرون: لايحسون ولا يستفيدون من حواسهم لمعرفة الخير من الشر. فهم أحط من البهائم التي تستخدم حواسها في شؤونها.

(٤) الخوف: الفزع. والإشفاق يتضمن مع الخشية والفزع زيادة رقة وحذر وضعف. ومعه غيره أي: في العبادة والتقديس والطاعة. يعني أنهم يوحدونه ويخلصون له. والقلوب: جمع قلب. وألّا تقبل أي: الأعمال الصالحة. وراجعون: مردودون بالبعث للحساب والجزاء، وهو يعلم ما يخفى عليهم من مفسدات الأعمال. والخيرات: الأعمال الصالحة يرضاها الله مع النية الخالصة. ويسارعون فيها: يرغبون فيها أشد الرغبة فيبادرونها. ولها سابقون أي: إلى نيلها يتقدمون غيرهم من الناس. وفي علم الله يعني: ماعلمه منذ الأزل قبل وقوعه، لما لديهم من إيمان وصلاح.

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

١- ﴿**ولا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلّا وُسعَها**﴾ أي: طاقتها، فمن لم يستطع أن يُصلّي قائمًا فليصلّ جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل، ﴿**ولَدَينا**﴾: عِندنا ﴿**كتابٌ، يَنطِقُ بالحَقِّ**﴾ بما عملتْه - وهو اللوح المحفوظ تُسطّر فيه الأعمال - ﴿**وهُم**﴾ أي: النُّفوس العاملة ﴿**لا يُظلَمُونَ**﴾ ٦٢ شيئًا منها، فلا يُنقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يُزاد في السيّئات. ﴿**بَل قُلوبُهُم**﴾ أي: الكُفّار ﴿**في غَمْرةٍ**﴾: جهالة ﴿**مِن هٰذا**﴾ القُرآن، ﴿**ولَهُم أعمالٌ مِن دُونِ ذٰلِكَ**﴾ المذكور للمُؤمنين، ﴿**هُم لَها عامِلُونَ**﴾ ٦٣ فيُعذّبون عليها.

٢- ﴿**حَتَّى**﴾: ابتدائيّةٌ ﴿**إذا أخَذْنا مُترَفِيهِم**﴾: أغنياءهم ورُؤساءهم، ﴿**بالعَذابِ**﴾: أي: السيف يوم بدر، ﴿**إذا هُم يَجأَرُونَ**﴾ ٦٤: يضِجّون، ويقال لهم: ﴿**لا تَجأَرُوا اليَومَ. إنَّكُم مِنّا لا تُنصَرُونَ**﴾ ٦٥: لا تُمنعون. ﴿**قَد كانَت آياتي**﴾ من القُرآن ﴿**تُتلى علَيكُم، فكُنتُم على أعقابِكُم تَنكِصُونَ**﴾ ٦٦: ترجِعون القَهقَرى، ﴿**مُستَكبِرينَ**﴾ عن الإيمان، ﴿**بِهِ**﴾ أي: بالبيت أو الحَرَم، بأنهم أهله في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم، ﴿**سامِرًا**﴾: حالٌ أي: جماعةً، تتحدثون في الليل حول البيت ﴿**تَهجُرُونَ**﴾ ٦٧، من الثلاثيّ: تتركون القرآن، ومن الرباعيّ أي: تقولون غير الحقّ في النبيّ والقُرآن.

٣- قال تعالى: ﴿**أفلَم يَدَّبَّرُوا**﴾ - أصله «يتدبّروا» فأُدغمت التاء في الدال - ﴿**القَولَ**﴾ أي: القُرآن الدالّ على صِدق النبيّ؟ ﴿**أم جاءَهُم ما لَم يأتِ آباءَهُمُ الأوَّلِينَ**﴾ ٦٨؟ ﴿**أم لَم يَعرِفُوا رَسُولَهُم، فهُم لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ ٦٩؟ ﴿**أم يَقُولُونَ: بِهِ جِنَّةٌ**﴾؟ الاستفهام فيه للتقرير بالحقّ، من صِدق النبيّ، ومجيء الرسل للأُمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصِّدق والأمانة، وأن لا جنون به.

٤- ﴿**بَل**﴾: للانتقال ﴿**جاءَهُم بالحَقِّ**﴾ أي: القُرآنِ المُشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام، ﴿**وأكثَرُهُم لِلحَقِّ كارِهُونَ**﴾ ٧٠ - ﴿**ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ**﴾ أي: القُرآنُ ﴿**أهواءَهُم**﴾، بأن جاء بما يهوَونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿**لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ**﴾ أي: خرجتْ عن نِظامها المُشاهَد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدّد الحاكم - ﴿**بَل أتَيناهُم بِذِكرِهِم**﴾ أي: بالقُرآن الذي فيه ذِكرهم وشرفهم، ﴿**فهُم عَن ذِكرِهِم مُعرِضُونَ**﴾ ٧١.

٥- ﴿**أم تَسأَلُهُم خَرْجًا**﴾: أجرًا على ما جئتهم به من الإيمان؟ ﴿**فخَراجُ رَبِّكَ**﴾: أجره وثوابه ورزقه ﴿**خَيرٌ**﴾ - وفي قراءة: «خَرْجًا» في الموضعين، وفي قراءة أُخرى، «خَراجًا» فيهما - ﴿**وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾ ٧٢: أفضل من أعطى وآجَرَ. ﴿**وإنَّكَ لَتَدعُوهُم إلى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقيمٍ**﴾ ٧٣ أي: دِين الإسلام، ﴿**وإنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ**﴾: بالبعث والثواب والعقاب ﴿**عَنِ الصِّراطِ**﴾ أي: الطريق ﴿**لَناكِبُونَ**﴾ ٧٤: عادلون.

---

(١) نكلف: نلزم ونحمّل. والنفس: الإنسان. وطاقتها: ما تطيق القيام به دون مشقة. وذكر الصلاة والصوم تمثيل للبيان. وينطق: يبين ويظهر. والحق: الصدق والعدل مما حصل. واللوح المحفوظ كتاب عظيم فيه ما كان وما يكون في الوجود. ويظلم: يجار عليه في الحكم والحساب. والقلوب: جمع قلب. والغمرة: مايغمر ويمنع من التدبر، كالموج الطاغي. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان بالقلب أو اللسان أو الجوارح. ودونه أي: مضاد له. ولها عاملون أي: لها معتادون ولايُفطمون عنها. (٢) أخذناهم: عاقبناهم. وكان على المحلي أن يفسر العذاب بما في الآخرة لا بالسيف، لأن الآية مكية. ويضجون أي: بالدعاء والاستغاثة. انظر تعليقنا على تفسير الآيات ٩٥-٩٧. واليوم: هذا الوقت. وتتلى: تقرأ. والأعقاب: جمع عَقِب. وهو الدبر. والقهقرى: المشي إلى جهة الخلف. والمستكبر: من يظهر ماليس له من الترفع. وسامرًا أي: سامرين. وتهجرون: تُعرِضون عنه وتكذبونه. والرباعي: أهجَرَ. يريد القراءة «تُهجِرُونَ». انظر «المفصل». (٣) يتدبره: يفكر فيه ليستدل على صحته وصدق ناقله. وجاءهم: بلغهم من الوحي. ويأتيه: يصل إليه ويكلف به. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. والأولون: الأقدمون من العرب. فقد روي أن بعض القدماء، من مثل عدنان ومعد وربيعة ومضر وخُزيمة وأسد وتُبّع، كانوا مسلمين على مِلّة إبراهيم. فتح الباري ٧:٢٠٨. ولم يعرفوه: لايعلمون مكانته فيهم وصدقه وأمانته. والمنكِر: المكذب. والجِنة: حالة من الجنون. (٤) الانتقال أي: من جملة إلى أُخرى من دون إبطال لما قبل. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. واتبعها: وافقها واستجاب لها في مزاعمها. والأهواء: جمع هوى. وهو ميل النفس إلى الشهوة. وفسدت: اضطربت وتدمرت. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمراد جميع عوالم الكون. ومن فيهن: المخلوقات كلها، غُلّب فيه العاقل على غيره. وأتيناهم: أنزلنا إليهم الوحي والتكليف. والمعرض: المتولي نفورًا وعداوة. (٥) تسألهم: تطلب منهم وتريد. والخراج أبلغ من الخرج، لأنه يلزم دفعه مرارًا، في حين أن الخرج يدفع مرة واحدة. وخير: أكثر نفعًا. وفي الموضعين يعني: بسكون الراء، أي: القراءة «خَرْجًا. فخَرْجُ». وفي قراءة أُخرى يعني: بألف بعد الراء، أي: «خَراجًا. فخَراجُ». وهو أي: الله تعالى. والرازق: من يعطي غيره. وتدعوهم: تحثهم وتحضهم. والمستقيم: المعتدل لا اضطراب فيه ولا زيغ. ولايؤمن: يكذّب وينكر. وعادلون: خارجون عن الطريق المستقيم الذي هو الإسلام، لأن إنكار البعث كفر صراح.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

نصف الحزب ٣٥

١ - ﴿**ولو رَحِمْناهُم، وكَشَفْنا ما بِهِم مِن ضُرٍّ**﴾ أي: جُوع أصابهم بمكّة سبعَ سنين، ﴿**لَلَجُوا**﴾: تمادَوا ﴿**في طُغيانِهِم**﴾: ضلالتهم ﴿**يَعمَهُونَ**﴾ ٧٥: يتردّدون. ﴿**ولَقَد أخَذْناهُم بالعَذابِ**﴾: الجُوع، ﴿**فما استكانُوا**﴾: تواضعوا ﴿**لِربِّهِم، وما يَتَضَرَّعُونَ**﴾ ٧٦: يرغبون إلى الله بالدعاء. ﴿**حتّى**﴾: ابتدائيّةٌ ﴿**إذا فَتَحْنا عليهِم بابًا ذا**﴾: صاحبَ ﴿**عَذابٍ شَديدٍ**﴾، هو يوم بدر بالقتل، ﴿**إذا هُم فِيهِ مُبلِسُونَ**﴾ ٧٧: آيسون من كُلّ خير.

٢ - ﴿**وهوَ الَّذي أنشأ**﴾: خلق ﴿**لَكُمُ السَّمعَ**﴾ بمعنى الأسماع، ﴿**والأبصارَ والأفئِدةَ**﴾: القُلوب - ﴿**قَليلًا ما**﴾: تأكيد للقِلّة ﴿**تشكُرُونَ**﴾ ٧٨ - **وهُوَ الَّذي ذَرَأكُم**﴾: خلقكم ﴿**في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ ٧٩: تُبعثون، ﴿**وهُوَ الَّذي يُحيي**﴾ بنفخ الروح في المُضغة ﴿**ويُمِيتُ، ولَهُ اختِلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ بالسوادِ والبياض، والزيادةِ والنُّقصان. ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ٨٠ صُنعه تعالى فتعتبرون؟

٣ - ﴿**بَل قالُوا مِثلَما قالَ الأوَّلُونَ**﴾ ٨١، **قالُوا**﴾ أي: الأوّلون: ﴿**أإذا مُتْنا، وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا لَمَبعُوثُونَ**﴾ ٨٢؟ لا. وفي الهمزتين التحقيقُ في الموضعين، وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين. ﴿**لَقَد وُعِدْنا نَحنُ وآباؤُنا هٰذا**﴾ أي: البعثَ بعد الموت، ﴿**مِن قَبلُ. إن**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا أساطِيرُ**﴾: أكاذيبُ ﴿**الأوَّلِينَ**﴾ ٨٣ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أُسطورة بالضمّ.

٤ - ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لِمَنِ الأرضُ ومَن فِيها**﴾ من الخلق، ﴿**إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٨٤ خالقها ومالكها؟ ﴿**سَيَقُولُونَ: لِلّٰهِ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أفلا تَذَّكَّرُونَ**﴾ ٨٥، بإدغام التاء في الذال: تتّعظون، فتعلمون أنّ القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الإحياء بعد الموت؟ ﴿**قُلْ: مَن رَبُّ السَّماواتِ السَّبعِ، ورَبُّ العَرشِ العَظِيمِ**﴾ ٨٦: الكرسيّ؟ ﴿**سَيَقُولُونَ: اللهُ. قُلْ: أفلا تَتَّقُونَ**﴾ ٨٧: تحذرون عِبادة غيره؟ ﴿**قُلْ: مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ**﴾: مُلكُ ﴿**كُلِّ شَيءٍ**﴾ - والتاء للمُبالغة - ﴿**وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ عليهِ**﴾: يَحمي ولا يُحمَى عليه، ﴿**إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٨٨؟ **سَيَقُولُونَ: اللهُ**﴾. وفي قراءة: «**لِلّٰهِ**» بلام الجرّ في الموضعين، نظرًا إلى أنّ المعنى: مَن له ما ذُكر؟ ﴿**قُلْ: فأنّى تُسحَرُونَ**﴾ ٨٩: تُخدَعون وتُصرَفُون عن الحقّ، عِبادةِ الله وحده؟ أي: كيف يُخيّل لكم أنه باطل؟

---

(١) رحمناهم: عطفنا عليهم فأكرمناهم. وكشف: أزال. والضر: ما يؤذي. وجوع: انظر «المفصل». والمناسب لكون الآيات مكية أن يراد بالضر عذاب الآخرة، أي: لو رحمناهم يوم القيامة، ورددناهم إلى الدنيا ليتوبوا، لعادوا إلى شدة لجاجهم. والعَمَه: تردُّد مع حيرة واضطراب. وأخذناهم: عاقبناهم. وفتحنا الباب: أزلنا إغلاقه وأطلقنا ما وراءه. والشديد: القوي الفظيع. وذكر يوم بدر هنا يشبه ماعلقنا عليه في الآية ٦٤. فالمناسب لكون الآية مكية أن يكون هذا العذاب الشديد في الآخرة. انظر الفتح القدير ٣:٦٩٢-٦٩٨ وتفسير الآلوسي ١٨:٨٢-٨٤.

(٢) السمع: الحاسة التي تدرك الأصوات. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. والأفئدة: جمع فؤاد. وقليلًا ما تشكرون أي: ما أقلّ شكرَكم له ! وتشكر: تستحضر النعمة في نفسك وتُظهرها وتُثني على منعمها بالقلب واللسان والعمل. وإليه: إلى لقاء حسابه. والاختلاف: التعاقب والتباين والتضاد. وتعقل: تستعمل عقلك للاستدلال والإيمان.

(٣) الأولون: آباؤهم وأجدادهم من الأمم المهلكة. وكنا: صرنا. وانظر الآية ٣٦. والمبعوث: الذي أحيي بعد الموت للحساب والجزاء. و«لا» أي: هذا محال لايكون. والموضعان أي: «أإذا» و«أإنّا». والثانية: همزة «إذا» وهمزة «إن». وعلى الوجهين أي: على تحقيق الثانية وعلى تسهيلها بين الهمزة والياء. فالقراءات هنا أربع في الموضعين، وكل منها في الأول تكون مع نظيرتها في الثاني. وانظر الآية ٥ من سورة الرعد. ووُعدنا هذا: هُدِّدنا به وأُنذرنا، ولم يتحقق ما فيه، لأن من مضى لم يعد إلى الحياة. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. والأسطورة: ما يُسطر في الكتب أو الأذهان من الترهات والأباطيل.

(٤) الاستفهام في الآيات ٨٤ و٨٦ و٨٨ لتقرير الكافرين، والإجابات الثلاث إخبار من الله بما سيقع منهم قبل حصوله. والخلق: المخلوقات. وتعلمون: تدرون يقينًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والسماوات: جمع سماء. وهي مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والعرش غير الكرسي وأعظم منه، مخلوق كريم يحيط بالسماوات والأرض وسائر الخلق، ولا يعلم حقيقته إلّا الله، عز وجل. والعظيم: الكبير الفخم لامثيل له. وتحذرون عبادة غيره أي: وتخلصون العبادة له وحده. وبيده أي: في قبضته تحت تصرفه وقدرته وأمره وحده. واليد صفة من صفات المولى - تعالى - وصف بها نفسه كما يليق بعظمته وجلاله، نذكرها من دون تمثيل أو تقريب أو تعطيل. والشيء: ما هو موجود أو محتمل الوجود. وفي الأصل وع وقرة العينين: «ولا يحمى عنه». وفي الموضعين أي: الآيتين ٨٧ و٨٩. وأنه أي: الإيمان بالتوحيد والبعث.

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

١- ﴿**بَل أتيناهُم بالحَقِّ**﴾: بالصِّدق، ﴿**وإنَّهم لَكاذِبونَ**﴾ ٩٠ في نفيه. وهو: ﴿**ما اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ، وما كانَ مَعَهُ مِن إلَهٍ. إذًا**﴾ أي: لو كان معه إله ﴿**لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بما خَلَقَ**﴾: انفرد به، ومنعَ الآخَرَ من الاستيلاء عليه، ﴿**ولَعَلا بَعضُهُم على بَعضٍ**﴾ مُغالبةً، كفعل مُلوكِ الدنيا. ﴿**سُبحانَ اللهِ**﴾: تنزيهًا له ﴿**عَمّا يَصِفونَ**﴾ ٩١ه به ممّا ذُكر! ﴿**عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد. بالجرِّ: صفةٌ، والرفعِ: خبرُ «هو» مُقدّرًا. ﴿**فتَعالَى**﴾: تعظَّم ﴿**عَمّا يُشرِكونَ**﴾ ٩٢ه معه.

٢- ﴿**قُلْ: رَبِّ، إمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة - ﴿**تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ**﴾ ٩٣ه من العذاب - هو صادق بالقتل ببدر - ﴿**رَبِّ، فلا تجعَلْني في القومِ الظّالِمينَ**﴾ ٩٤ فأهلِكَ بهلاكهم. ﴿**وإنّا على أن نُرِيَكَ ما نَعِدُهُم لَقادِرونَ**﴾ ٩٥.

٣- ﴿**ادفَعْ بالَّتي هِيَ أحسَنُ**﴾ أي: الخَلّةِ، من الصفح والإعراض عنهم، ﴿**السَّيِّئةَ**﴾ أذاهم إياك. وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿**نحنُ أعلَمُ بما يَصِفُونَ**﴾ ٩٦ أي: يكذبون ويقولون، فنُجازيهم عليه - ﴿**وقُلْ: رَبِّ، أعوذُ**﴾: أعتصم ﴿**بكَ مِن هَمَزاتِ الشَّياطينِ**﴾ ٩٧: نزَغاتهم ممّا يُوَسْوِسون به، ﴿**وأعوذُ بكَ - رَبِّ - أن يَحضُرُونِ**﴾ ٩٨ في أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٤- ﴿**حَتَّى**﴾: ابتدائيّةٌ ﴿**إذا جاءَ أحَدَهُمُ المَوتُ**﴾، ورأى مقعدَه من النار، ومقعدَه من الجنّة لو آمن، ﴿**قالَ: رَبِّ، ارجِعُونِ**﴾ ٩٩ - الجمعُ للتعظيم - ﴿**لَعَلِّي أعمَلُ صالِحًا**﴾، بأن أشهد أن لا إلّه إلّا الله، يكونُ ﴿**فيما تَرَكْتُ**﴾: ضيّعتُ من عُمري، أي: في مُقابلته. قال تعالى: ﴿**كَلّا**﴾ أي: لا رُجوعَ، ﴿**إنَّها**﴾ أي «رَبِّ ارجِعُونِ» ﴿**كَلِمةٌ هُوَ قائلُها**﴾، ولا فائدة له فيها، ﴿**ومِن وَرائهِم**﴾: أمامِهم ﴿**بَرزَخٌ**﴾: حاجز يصدّهم عن الرجوع ﴿**إلَى يَومِ يُبعَثونَ**﴾ ١٠٠، ولا رُجوع بعده.

٥- ﴿**فإذا نُفِخَ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى أو الثانيةَ ﴿**فلا أنسابَ بَينَهُم يَومَئذٍ**﴾ يتفاخرون بها، ﴿**ولا يَتَساءَلُونَ**﴾ ١٠١ عنها، خِلافَ حالهم في الدنيا، لما يَشغلهم من عِظم الأمر عن ذلك، في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يُفيقون، وفي آية «وأقبَلَ بَعضُهُم على بَعضٍ يَتَساءَلُونَ».

٦- ﴿**فمَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ**﴾ بالحسنات ﴿**فأُولئكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ١٠٢: الفائزون، ﴿**ومَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ**﴾ بالسيّئات ﴿**فأُولئكَ الَّذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾، فهم ﴿**في جَهَنَّمَ خالِدُونَ**﴾ ١٠٣، ﴿**تَلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ**﴾: تُحرقها، ﴿**وهُم فيها كالِحُونَ**﴾ ١٠٤: شُمِّرتْ شِفاههم العُليا والسُّفلى عن أسنانهم، ويقال لهم: ﴿**ألَم تَكُنْ آياتي**﴾، من القرآن، ﴿**تُتلَى علَيكُم**﴾ تُخوَّفون بها، ﴿**فكُنتُم بها تُكَذِّبُونَ**﴾ ١٠٥؟ ﴿**قالوا: رَبَّنا، غَلَبَتْ علَينا شِقوَتُنا**﴾

---

(١) أتيناهم: بلّغناهم. انظر الآية ٧١. وهو أي: التوحيد والبعث. واتخذ: صنع لنفسه. والولد: الذكر أو الأنثى. انظر «المفصل». والإله: المعبود بحق. وخلق أي: أنشأه من العدم. وعلا: تسلط. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. وما يصفونه: ما يذكرونه من الصفات الباطلة. والعالم: المحيط بالشيء. وما شوهد: ماتدركه الحواس أو العقول. وبالرفع يريد القراءة «عالِمُ». ويشركونه معه: يجعلونه ندًا في العبادة والطاعة.

(٢) رب أي: ياربي. وتريَنّي: تبصّرَنّي عِيانًا. وما يوعدون: ما يهددون به. ورب: توكيد لفظي لنظيره قبل. وتجعل: تصيّر. والظالم: الكافر. وقادرون: متمكنون من ذلك ولايمنعنا منه أحد.

(٣) ادفعها: قابلها وجازها. والأحسن: أفضل المعاملة. والنسخ المذكور بالقتال ليس لازمًا لأن المداراة محثوث عليها دائمًا، ما لم يكن فيها ثلم لمروءة أو دين أو حق للأمة. وأعلم: أكثر إحاطة ودراية من جميع الخلق. والهمْزة: الدفعة، أي: الإغراء بالشر. والشيطان: من يغري بالباطل من الإنس والجن. ويحضرونِ: يجيئوني ويحوموا حولي.

(٤) جاءه: لابسه برؤية ملك الموت. وارجعون: أعيدوني إلى الحياة. وللتعظيم: يعني أن الواو في «ارجعون» هو ضمير العظمة. ولعلي أي: ليكون لي. وأعمل: أكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. ومقابلته: مقابل الكفر الذي ضيعت عمري به. والكلمة: العبارة الكاملة. ويبعثون: يخرجون من القبور للحساب والجزاء.

(٥) نفخ: دفع الهواء ليكون صوت عظيم. والأولى حين يفنى الخلق، والثانية حين يبعثون للحساب. والأنساب: جمع نسب. وهو القرابة. وفي آية: يعني الآيتين ٢٧ من سورة الصافات و٢٥ من سورة الطور. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فأقبل»، وهو في الآية ٥٠ من سورة الصافات.

(٦) ثقلت: كان لها وزن يرجح على السيئات. والموازين: جمع موزون. وهو ما يكون له قدر من النية والقول والفعل. وخفت: ضعُفت بتغلب السيئات. وخسروها: ضيعوها بعدم الإيمان. والخالد: المقيم أبدًا. وفيها: في جهنم. وتتلى: تقرأ وتبين. وتكذب بها: تنكرها. وغلبت علينا: استبدت بنا. والشقوة والشقاوة: التعاسة وسوء العاقبة. والضال: الخارج المنصرف. وأخرجْنا: أنقذنا. ومنها: من جهنم. وعدنا: رجعنا. وظالمون: متجاوزون الحد في العدوان، حيث نكرر العصيان ونظلم أنفسنا ثانية.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ — ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

- وفي قراءةٍ: «شَقاوتُنا» بفتح أوله وألفٍ، وهما مصدران بمعنًى - ﴿**وكُنّا قومًا ضالِّينَ**﴾ ١٠٦ عن الهِداية. ﴿**ربَّنا، أخرِجْنا مِنها. فإن عُدْنا**﴾ إلى المُخالفة ﴿**فإنّا ظالِمُونَ**﴾ ١٠٧.

١ - ﴿**قالَ**﴾ لهم بلسان مالكٍ، بعد قَدْر الدنيا مرّتين: ﴿**اخسَؤُوا فِيها**﴾: ابعُدوا في النار أذلّاء، ﴿**ولا تُكلِّمُونِ**﴾ ١٠٨ في رفع العذاب عنكم. فينقطع رجاؤهم. ﴿**إنَّهُ كانَ فَريقٌ مِن عِبادِي**﴾ - هم المهاجرون - ﴿**يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا. فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا. وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ**﴾ ١٠٩. ﴿**فاتَّخَذْتُمُوهُم سُخرِيًّا**﴾، بضمّ السين وكسرها: مصدرٌ بمعنى الهُزء، منهم: بلال وصُهيب وعمّار وسلمان، ﴿**حَتّى أنسَوكُم ذِكرِي**﴾، فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم - فهم سبب الإنساء فنُسب إليهم - ﴿**وكُنتُم مِنهُم تَضحَكُونَ**﴾ ١١٠. ﴿**إنِّي جَزَيتُهُمُ اليَومَ**﴾ النعيمَ المُقيم، ﴿**بِما صَبَرُوا**﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم. ﴿**إنَّهُم**﴾ - بكسرِ الهمزة - ﴿**هُمُ الفائِزُونَ**﴾ ١١١ بمطلوبهم. استئناف، وبفتحِها: مفعول ثان لـ «جزيتهم».

٢ - ﴿**قالَ**﴾ تعالى لهم بلسان مالكٍ، وفي قراءةِ «قُلْ»: ﴿**كَم لَبِثتُم في الأرضِ**﴾: في الدنيا وفي قُبوركم، ﴿**عَدَدَ سِنِينَ**﴾ ١١٢؟ تمييز. ﴿**قالُوا: لَبِثْنا يَومًا أو بَعضَ يَومٍ**﴾. شَكّوا في ذلك واستقصروه، لعِظم ما هم فيه من العذاب. ﴿**فاسألِ العادِّينَ**﴾ ١١٣ أي: الملائكةَ المُحصِينَ أعمالَ الخلق. ﴿**قالَ**﴾ تعالى بلسان مالك، وفي قراءة «قُلْ»: ﴿**إن**﴾ أي: ما ﴿**لَبِثتُم إلّا قَلِيلًا. لَو أنَّكُم كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ١١٤ مِقدار لَبثكم، من الطول، كان قليلًا بالنسبة إلى لَبثكم في النار. ﴿**أفحَسِبتُم أنَّما خَلَقْناكُم عَبَثًا**﴾ لا لحِكمة، ﴿**وأنَّكُم إلَينا لا تَرجِعُونَ**﴾ ١١٥ بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا بل لِنتعبّدَكم بالأمر والنهي، وتَرجِعوا إلينا، ونُجازيَ على ذلك: «وما خَلقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعبُدُونِ».

٣- ﴿**فتَعالَى اللهُ**﴾ عن العبث وغيره، ممّا لا يليق به، ﴿**المَلِكُ الحَقُّ، لا إلَهَ إلّا هُوَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ**﴾ ١١٦: الكرسيّ، هو السرير الحَسَن، ﴿**ومَن يَدعُ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ، لا بُرهانَ لَهُ بِهِ**﴾: صفةٌ كاشفة لا مفهوم لها، ﴿**فإنَّما حِسابُهُ**﴾: جزاؤه ﴿**عِندَ رَبِّهِ. إنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ**﴾ ١١٧: لا يَسعدون. ﴿**وقُلْ: رَبِّ، اغفِرْ وارحَمْ**﴾ المؤمنين. في الرحمة زيادة على المغفرة. ﴿**وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ**﴾ ١١٨: أفضلُ رحمةً راحمٍ.

سورة النُّور

مدنيّة، وهي ثنتان أو أربع وستون آية.

---

(١) مالك: اسم خازن جهنم. ولاتكلمون: لا تعودوا إلى سؤالي. والفريق: الجماعة. والعباد: جمع عبد. والمهاجرون أي: قبل هجرتهم حين كانوا في مكة. واغفر لنا: استر ذنوبنا ولاتؤاخذنا بها. وارحمنا: اعطف علينا بالعفو. وخيرهم: أفضلهم لأن رحمتك واسعة ودائمة. واتخذ: جعل. وبكسرها يريد القراءة «سِخريًّا». وذكرُ سلمان سهو، لأنه أسلم في المدينة، ولايناسب ذكره بين المهاجرين. وأنسوكم: شغلكم الاستهزاء بهم. وذكري: أن تذكروني وتخافوني في أوليائي. وتضحك: تستهزئ. وجزاه: قابل عمله وأثابه. واليوم: في هذا الوقت. وصبر: تحمل. وبفتحها يريد القراءة «أنَّهم».

(٢) الأمر بـ «قل» هنا وفي الآية ١١٤ موجه إلى مالك، أي: سلهم. وفي المنحة: «وفي قراءة أيضًا قل لهم». ولبث: بقي. والعدد: مايعد. والتمييز هو «عددَ». وبعض اليوم: جزء منه. واسأل: استخبر واستفهم. والعاد: الذي يضبط الحِسبة. وتعلمون: تدرون باليقين. وحسب: ظن. وخلق: أنشأ من العدم. والعبث: اللهو بما لاغرض له. وإلينا: إلى ما هدّدناكم به. وللمفعول يريد القراءة «لا تُرجَعُونَ» أي: لا تعادون بالبعث. ونتعبدكم أي: نكلفكم العمل. وما خلقت: انظر الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٣) تعالى: تعاظم في ذاته وصفاته وأفعاله. والملك: المالك لكل الخلق. والحق: الثابت أزلًا وأبدًا في تملكه، لأن غيره مملوك له ومالك لبعض الأمور عرَضًا. والكريم: المكرّم المعظّم. والعرش أعظم من الكرسي وأشمل. انظر الآية ٨٦. ويدعو: يعبد ويطيع. والإله: المعبود المطاع. والآخر: المغاير. والبرهان: الدليل القطعي. ولا مفهوم لها أي: ليست للاحتراز من أن يكون هناك إله آخر يقوم عليه برهان. بل المراد: لا يكون الإله، المدعو من دون الله، إلّا بدون برهان. فمحال وجود الشريك. والكافر: من كذّب الله ورسوله بقلبه أو قوله أو عمله. ورب أي: ياربي. حذف حرفُ النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه، وياءُ المتكلم للتخفيف. واغفر: امح الذنوب ولاتؤاخذ عليها. وارحم: أوصل العطف بالتسديد، والتوفيق في القول والعمل. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «زيادة عن المغفرة». وفي الأصل: «أفضل رحمةٍ». ث: «أفضل رحمةً». وسقط «رحمة» من ع وقرة العينين والمنحة والمطبوعات.

الجزء الثامن عشر — سورة النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- هذه ﴿**سُورةٌ، أنزَلْناها وفرَضْناها**﴾ - مُخفّفًا، ومُشدّدًا لكثرة المفروض فيها - ﴿**وأنزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾: واضحاتِ الدلالة، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ ١، بإدغام التاء الثانية في الذال، أي: تتّعظون. ﴿**الزّانيةُ والزّاني**﴾ أي: غيرُ المحصَنَينِ لرجمهما بالسُّنّة، «وأل» فيما ذُكر: موصولة، وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿**فاجلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهُما مِائَةَ جَلْدةٍ**﴾ أي: ضربةٍ - يقال: جَلَدَه: ضَرَبَ جِلدَه. ويُزاد على ذلك بالسُّنّةِ تغريبُ عام، والرقيقُ على النِّصف ممّا ذُكر - ﴿**ولا تأخُذْكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ**﴾ أي: حُكمِه، بأن تتركوا شيئًا من حدّهما، ﴿**إن كُنتُم تُؤمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ أي: يوم البعث - في هذا تحريض على ما قبلَ الشرط، وهو جوابه أو دالٌّ على جوابه - ﴿**ولْيَشهَدْ عذابَهُما**﴾ أي: الجلدَ ﴿**طائفةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ٢. قيل: ثلاثةٌ، وقيل: أربعةٌ عددُ شهود الزنى.

٢- ﴿**الزّاني لا يَنكِحُ**﴾: يتزوّجُ ﴿**إلّا زانيةً أو مُشرِكةً، والزّانيةُ لا يَنكِحُهاإلّا زانٍ أو مُشرِكٌ**﴾ أي: المناسبُ لكُلّ منهما ما ذُكر. ﴿**وحُرِّمَ ذٰلِكَ**﴾ أي: نِكاحُ الزواني ﴿**على المُؤمِنِينَ**﴾ ٣ الأخيار. نزل ذلك، لمّا همَّ فُقراء المُهاجرين أن يتزوّجوا بَغايا المشركين، وهنّ مُوسرات، ليُنفِقْنَ عليهم. فقيل: التحريم خاصّ بهم، وقيل: عامّ ونُسخ بقوله: «وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم».

٣- ﴿**والَّذِينَ يَرمُونَ المُحصَناتِ**﴾: العفيفات بالزنى، ﴿**ثُمَّ لَم يأتُوا بأربَعةِ شُهَداءَ**﴾ على زناهنّ برؤيتهم، ﴿**فاجلِدُوهُم**﴾ أي: كُلَّ واحد منهم ﴿**ثَمانِينَ جَلْدةً، ولا تَقبَلُوا لَهُم شَهادةً**﴾ في شيء ﴿**أبَدًا، وأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ٤ لإتيانهم كبيرةً، ﴿**إلّا الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذٰلِكَ وأصلَحُوا**﴾ عملهم. ﴿**فإنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لهم قذفَهم، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٥ بهم بإلهامهم التوبةَ. فبها ينتهي فِسقهم، وتُقبل شهادتهم. وقيل: لا تُقبل، رُجوعًا بالاستثناء إلى الجُملة الأخيرة.

٤- ﴿**والَّذِينَ يَرمُونَ أزواجَهُم**﴾ بالزنى، ﴿**ولَم يَكُن لَهُم شُهَداءُ**﴾ عليه ﴿**إلّا أنفُسُهُم**﴾ - وقع ذلك لجماعة من الصحابة - ﴿**فَشَهادةُ أحَدِهِم**﴾: مبتدأ ﴿**أربَعَ شَهاداتٍ**﴾: نصبٌ على المصدر ﴿**باللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ٦ فيما رمى به زوجته من الزنى، ﴿**والخامِسةُ أنَّ لَعْنةَ اللهِ عليهِ، إن كانَ مِنَ الكاذِبِينَ**﴾ ٧ في ذلك - وخبر المبتدأ: تدفع عنه حدَّ القذف - ﴿**ويَدْرأُ**﴾: يدفع ﴿**عَنها العَذابَ**﴾، أي: حدَّ الزنى الذي ثَبَتَ بشهاداته، ﴿**أن تَشهَدَ أربَعَ شَهاداتٍ باللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ**﴾ ٨ فيما رماها به من الزنى، ﴿**والخامِسةُ أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها، إن كانَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ٩ في ذلك.

---

(١) السورة: آيات لها بدء وختام محددة بالسُّنّة. وأنزلناها: أوحيناها على لسان جبريل إلى النبي ليبلغكم إياها. وفرضناها: أوجبنا ما فيها من أحكام إيجابًا قطعيًا. ومشددًا يريد القراءة «وفرَّضْناها». والآيات: آيات القرآن. وتكرار الإنزال، مع استلزام نزول السورة لنزول آياتها، هو لكمال العناية بشأنها. والدلالة: البيان. وفي المطبوعات: «الدلالات». والزانية: التي ترتكب فاحشة الزنى برضا. والمحصن: المتزوج. يعني أن السُّنّة ميّزت حكم الزاني المتزوج، بأنه الرجم حتى الموت. ولشبهه بالشرط أي: لشبه الموصول بالشرط في معنى العموم والترتب. وخبره أي: جملة «اجلدوا»: في محل رفع خبر للمبتدأ. ومنهما: من الزاني والزانية. وعلى ذلك: على الجلد. وتغريب عام: إبعاد عن البلد مدة عام. والرقيق: المملوك من الذكور أو الإناث. ومما ذكر أي: من الجلد والتغريب. وتأخذكم: تؤثر فيكم. والرأفة: الرحمة. أي: لاتعطلوا الحدود، ولا تتهاونوا في إقامتها كاملة. وتؤمن به: تصدّقه وتقر بقلبك ما يوجبه. واليوم: الزمن. ويشهده: يراه عيانًا. والطائفة: الجماعة ما فوق الاثنين. **(٢)** المشرك: الذي يقدس ويطيع غير الله. والمناسب لكل منهما ما ذكر: يعني أن المراد بالحصر هنا هو الحكم الأعم الأغلب، لأن الزاني غالبًا ما لايرغب في نكاح الصالحة، وإنما يرغب في نكاح من هي مثله. وكذلك شأن الزانية. وحرم: جعل محرمًا تحريمًا قطعيًا. ونزل: انظر الواحدي ص ٣٢٦-٣٢٧ والدر المنثور ٥:١٩. وبقوله يعني: الآية ٣٢. والأيامى: جمع أيّم. ويطلق على الرجل والمرأة غير المتزوجَين. **(٣)** يرميها: يشتمها بنحو: يازانية. والمحصنة: الأنثى المسلمة المكلفة الحرة العفيفة. ويأتي به: يحضره. والشهداء: جمع شهيد. وبرؤيتهم أي: بأنهم رأوا الزنى بالمعاينة البليغة. وتقبل: ترضى. والشهادة: الخبر والقول للقضاء في الأمور. وأبدًا: مدة حياة المذكور أو مدة إصراره على عدم التوبة. والفاسق: الخارج عن الشرع. وتاب: أقر بذنبه واستغفر وتعهد ألّا يعود إليه. وذلك أي: الرمي بالزنى. وأصلحه: جعله كما أمر الله. والغفور: الكثير الستر والعفو. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وبها أي: بالتوبة. والجملة الأخيرة أي: أولئك هم الفاسقون. **(٤)** الأزواج: جمع زوج. والمراد هنا الزوجة. أما المرأة التي تَقذف زوجها فحكمها في الآيتين ٤ و٥. ويرميها: يقول عنها: زنتْ، أو رأيتها تزني، أو هذا الولد ليس مني. وشهداء أي: أربعة. وعليه: على الرمي بالزنى. وإلّا أي: غير. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات الإنسان وحقيقته. و«لجماعة» كذا. والمشهور أن ذلك كان مرة واحدة. انظر «المفصل». والشهادة: الإقرار المؤكد. و«نصب» يعني أن «أربع»: مفعول مطلق للمصدر: شهادة. والصادق: من يقول الحق. والخامسة: الشهادة الخامسة. واللعنة: الطرد من الرحمة. وعنها: عن الزوجة المتهمة، زوجة «أحدهم». والكاذب: من يقول خلاف الواقع. والغضب: السخط الشديد مع إرادة الانتقام. والفضل: التفضل بالخير. والرحمة: العطف بالإحسان. والتواب: الكثير المغفرة والعفو. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وبيَّن: أظهر وأوضح.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

﴿ولولا فَضلُ اللهِ علَيكُم، ورَحْمتُهُ﴾ بالسَّتر في ذلك، ﴿وأنَّ اللهَ توّابٌ﴾ بقَبوله التوبةَ في ذلك وفي غيره، ﴿حَكِيمٌ﴾ ١٠ فيما حكم به في ذلك وغيره، لبَيّنَ الحقّ في ذلك وعاجل بالعُقوبة من يستحقّها.

١- ﴿إنَّ الَّذِينَ جاؤُوا بالإفكِ﴾: أسوأِ الكذب، على عائشةَ أُمِّ المؤمنين بقذفها، ﴿عُصْبةٌ مِنكُم﴾: جماعة من المؤمنين. قالتْ: حسّانُ بن ثابتٍ، وعبدُ الله بنُ أُبيٍّ، ومِسطحٌ، وحَمنةُ بنتُ جحشٍ. ﴿لا تَحسِبُوهُ﴾ - أيّها المؤمنون غيرَ العُصبة - ﴿شَرًّا لَكُم. بَلْ هُوَ خَيرٌ لَكُم﴾ يأجركم الله به، ويُظهِرُ براءة عائشة ومَن أتى معها، منه. وهو صفوانُ. فإنها قالت:

٢- «كنتُ معَ النبيّ ﷺ في غزوةٍ، بعدَ ما أُنزلَ الحِجابُ، ففَرَغَ منها ورجَعَ ودَنا من المَدينةِ، وآذَنَ بالرَّحِيلِ ليلةً فمشَيتُ وقضَيتُ شأني، وأقبلتُ إلى الرَّحلِ فإذا عِقدي انقطعَ - هو بكسر المهملة: القِلادة - فرجَعتُ ألتمِسُه، وحَملوا هَودَجي - هو ما يُركب فيه - على بعيرِي يَحسِبونني فيه، وكانتِ النساءُ خِفافًا إنّما يأكلْنَ العُلقةَ - هو بضمّ المُهملة وسكون اللام - من الطعام أي: القليلَ، ووجدتُ عِقدي وجئتُ بعدَ ما ساروا، فجلستُ في المنزلِ الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنّ القوم سيَفقِدونني، فيرجِعون إليَّ. فغَلَبَتْني عيناي فنِمتُ، وكان صفوانُ قد عرّسَ من وراء الجيش فادّلجَ - هما بتشديد الراء والدال، أي: نزلَ من آخِرِ الليل للاستراحة، فسار منه - فأصبحَ في منزِله فرأى سَوادَ إنسانٍ نائم، أي: شخصَه، فعرَفني حينَ رآني - وكان يَراني قبلَ الحِجابِ - فاستيقظتُ باسترجاعِه حينَ عرَفني، أي: قولِه: إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُونَ. فخمّرتُ وجهي بجِلبابي، أي غطّيتُه بالمُلاءة. واللهِ ما كلّمني بكلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه، حين أناخَ راحلته ووطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلقَ يقودُ بي الراحلة حتّى أتَينا الجيشَ بعد ما نزلوا مُوغِرينَ في نحرِ الظهيرة، أي مِن: أوغرَ، واقعِينَ في مكانٍ وغْر، في شِدّة الحرّ، فهَلَكَ من هَلَكَ فيَّ. وكان الذي تَوَلّى كِبْرَه منهم عبدُاللهِ بنُ أُبيِّ بنِ سَلُولَ». انتهى قولها، رواه الشيخانِ.

٣- قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم﴾ أي: عليه ﴿ما اكتَسَبَ مِنَ الإثمِ﴾ في ذلك، ﴿والَّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنهُم﴾ أي: تحمّل مُعظمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه - وهو عبدالله بن أُبيّ - ﴿لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١، هو النار في الآخرة. ﴿لَولا﴾: هلّا، ﴿إذ﴾: حينَ ﴿سَمِعتُمُوهُ، ظَنَّ المُؤمِنُونَ

(١) جاء به: اختلقه وافتراه. وعلى عائشة أي: المكذوب عليها. وزاد فيما عدا الأصل والنسختين: «رضي الله عنها». والقذف: الشتم والرمي بالفاحشة. والعصبة: من الثلاثة إلى العشرة، أي: هم مجموعة لا واحد ولا اثنان. ومن المؤمنين أي: ولو ظاهرًا. فإنّ منهم من كان صادقَ الإيمان، كحسان بن ثابت الشاعر المشهور، ومنهم رأس النفاق عبد الله بن أُبيّ. وقالت أي: عائشة في تعيين أهل الإفك. انظر الحديث ٤٤٧٩ في البخاري. وفي النسختين: «قال». ع: «قالت أي عائشة». والمذكورون في نص الحديث هنا هم رؤوس الفتنة الأربعة، ساعدهم بعض المنافقين بنشر الافتراء. ومسطح: عوف بن أُثاثة بن عبّاد ابن المطلب القرشي. وحمنة: أخت زوجة النبي ﷺ زينب. ولاتحسبوه: لاتظنوا الإفك وتتوهموه. والشر: مازاد ضره على نفعه. والخير: مازاد نفعه على ضره. ومنه هنا نزول الآيات ١١-٢٦. فهي ١٦ آية، يجعلها بعض المفسرين ١٨ آية للاختلاف في تحديد موضع الفواصل. ومنه: من الإفك. وأتى معها: رجع مع عائشة يومذاك. وفيما عدا الأصل: «ومن جاء معها منه». وصفوان: ابن المعطَّل صحابي جليل استُشهد في خلافة معاوية. وكان في الغزوات يتخلف بعد الصحابة، ليلتقط لهم ما سقط منهم.

(٢) الغزوة: خروج جيش المسلمين بقيادة النبي ﷺ، لردع المعتدين من الكافرين أو قتالهم. وهي هنا غزوة بني المصطلق، كانت سنة ست من الهجرة. وتعني بالحجاب الآية ٥٣ من سورة الأحزاب. وفي إحدى النسخ: «بعدما نزلت آية الحجاب». وآذن بالرحيل: أعلم به وأمر بعد استراحة. والشأن: الحاجة كالتبوّل. والرحل: ما يوضع على ظهر البعير، ويكون فوقه الهودج، وليس المنزلَ خلافًا لِما جاء في الفتوحات ٣:٢١١ والمنحة. فهي تعني أنها تريد دخول الهودج. والمهملة هنا هي العين. وألتمسه: أطلبه وأفتش عليه. ويحسبونني: يظنونني. وفي الأصل: «يحسبوني» بحذف نون الإعراب للتخفيف. والمنزل: مكان النزول في تلك الليلة. ويفقدونني: يطلبونني فلا يجدونني. وواقعين: نازلين. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «واقفين». وفي شدة الحر: تفسير لـ «في مكان وغر». وفيما عدا الأصل والنسخ والقرة: «من شدة الحر». وهلك: تكلم بما هو سبب لهلاكه. وفيّ أي: في شأني وبسببي. وكبره: معظم الإفك. وسلول: جدة عبد الله لأبيه وليست أمه. وكان يعيَّر بها فيقال له: ابن سلول. و«الشيخان» كذا، والنص مختصر من ابن كثير ٣:٢٦٠ مع زيادات بتفسير الغريب. ورواه ابن كثير عن المسند ٦:١٩٥-١٩٧. واللفظ يخالف كثيرًا ما رواه الشيخان. انظر الأحاديث ٢٥١٨ و٤٤٧٣ من البخاري و٢٧٧٠ من مسلم و٣١٧٩ من الترمذي وص ١٤٥-١٥٠ في الصحيح المسند من أسباب النزول. وما أحيل عليه في المنحة ص ٤٥٨، أي: الأول مما ذكرنا عن البخاري، هو أكثر مخالفة. فليُتنبّه. خ: «رواه البخاري ومسلم». ع: «رواه البخاري». وفي ط والمطبوعات: اهـ قولها رواه الشيخان.

(٣) المرء: الإنسان. ومنهم أي: من العصبة. عُبِّرَ عنها بضمير جماعة الذكور نظرًا إلى معناها. وما اكتسب أي: جزاء ما اقترف وتحمل بقصد وتصميم. والإثم: ما يستحق العقوبة من القول والعمل. ومعظمه: معظم الإفك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الكبير لامثيل له. وفي الآخرة أي: مع العقاب والهوان في الدنيا. والمخاطبون هنا مَن نقلوا خبر الإفك وأشاعوه، وهم غير من في الآية ١١. و«هلّا» يعني أن «لولا»: حرف توبيخ وزجر. وسمعتموه أي: بلغ أسماعكم. وظن: اعتقد وتيقن، أي: دام ظنه واعتقاده. والخير: الاستقامة والصلاح والتقوى. والمراد: كان ينبغي لكم عند سماع الإفك أن تستمروا على حسن الظن في أمّ المؤمنين وصفوان، فضلًا عن التمادي في السماع والنقل. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه من الصلاح. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وهذا أي: ما يشاع وينقل من التهم. وفيه: في فاعلي «ظن وقال»، لعدم المواجهة بتوبيخ المخاطبين وزجرهم، مع وصفهم بالإيمان.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

والمؤمِناتُ بِأنفُسِهِم﴾ أي: ظنّ بعضهم ببعض ﴿خَيرًا، وقالُوا: هٰذا إفكٌ مُبِينٌ﴾ ١٢: كذبٌ بيِّن. فيه التفات عن الخِطاب، أي: ظننتم - أيها العُصبةُ - وقلتم.

١- ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿جاؤُوا﴾ أي: العُصبة ﴿علَيهِ بِأربَعةِ شُهَداءَ﴾ شاهدوه. ﴿فإذ لَم يأتُوا بِالشُّهَداءِ، فأُولٰئِكَ عِندَ اللهِ﴾ أي: في حُكمه ﴿هُمُ الكاذِبُونَ﴾ ١٣ فيه. ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحْمتُهُ، في الدُّنيا والآخِرةِ، لَمَسَّكُم فِيما أفَضتُم فِيهِ﴾ - أيها العُصبة - أي: خُضتم ﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٤ في الآخرة، ﴿إذ تَلَقَّونَهُ بِألسِنتِكُم﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض - وحُذف من الفعل إحدى التاءين. وإذ منصوب بـ «مسّكم» أو بـ «أفضتم» - ﴿وتَقُولُونَ بِأفواهِكُم ما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ، وتَحسِبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه، ﴿وهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ ١٥ في الإثم.

٢- ﴿ولَولا﴾: هلّا، ﴿إذ﴾: حينَ ﴿سَمِعتُمُوهُ، قُلتُم: ما يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لَنا أن نَتَكَلَّمَ بِهٰذا - سُبحانَكَ﴾! هو للتعجب هنا - ﴿هٰذا بُهتانٌ﴾: كذبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ ١٦. ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ﴾: ينهاكم ﴿أن تَعُودُوا لِمِثلِهِ أبَدًا، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ ١٧ تتعظون بذلك، ﴿ويُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ في الأمر والنهي، ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه، ﴿حَكِيمٌ﴾ ١٨ فيه.

٣- ﴿إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفاحِشةُ﴾ باللسان، ﴿في الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بنِسبتها إليهم - وهم العُصبة - ﴿لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ في الدُّنيا﴾ بالحدّ للقذف، ﴿والآخِرةِ﴾ بالنار لحقّ الله. ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ انتفاءها عنهم، ﴿وأنتُم﴾ - أيها العُصبة - ﴿لا تَعلَمُونَ﴾ ١٩ وجودها فيهم، ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم﴾ - أيها العُصبة - ﴿ورَحْمتُهُ، وأنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٠ بكم، لعاجلكم بالعُقوبة.

(١) لولا: حرف توبيخ وزجر أيضًا. وجاء به: أتى به وأحضره عِيانًا. وشاهدوه: عاينوه حقًا. ويأتي به: يحضره عِيانًا. وإذ: حرف سببية، أي: لأنهم لم يأتوا بالشهداء. وأولئك أي: القائلون للإفك. وفي حكمه: في شرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة، لافي علمه الذي لايقبل المحال. فلو جاؤوا بالبيّنة المعتبرة كان الحكم أنهم صادقون ظاهرًا، وإن كانت الشهادة زورًا. وفي هذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك، ولم ينكروه. والكاذب: من يقول الكذب الذي لا أصل له. وفيه: فيما زعموا من القذف. وانظر الآية ١٠. والدنيا: الحياة القريبة من الناس وهم فيها. والآخرة: الحياة المتأخرة تكون بالبعث يوم القيامة. ومسكم: خصكم ونزل بكم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فيما أفضتم أيها العصبة أي خضتم فيه». والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الضخم القظيع لا مثيل له. و«في الآخرة» كذا من التلخيص. وكان على المحلي أن يزيد بعده: «وفي الدنيا يستحقر دونه اللوم والجلد»، كما تفيد عبارة البيضاوي، ليصح له تعليق «إذ» بعد. والألسنة: جمع لسان. والمراد باللسان هنا جهاز النطق كله. والتلقي باللسان يعني القول للكلام نقلًا، دون صدور عن علم أو تدبر بالقلب والتقوى. وحذف: يعني أن أصل التركيب: «تَتَلَقْقَيُونَ» حذفت التاء الثانية للتخفيف، وأدغمت القاف الأولى في الثانية، وقلبت الياء ألفًا: تَلَقَّى. ولما اتصل بواو الجماعة حذفت الألف لالتقاء الساكنين. والأفواه: جمع قلة للفُوه، أي: الفم، مراد به الكثرة لإضافته إلى ضمير الجماعة. والعلم: الدراية اليقينية. وتحسب: تظن وتتوهم. والهين: السهل اليسير من الذنب. وعند الله أي: في حكمه وعلمه. والعظيم: الخطير من الكبائر. والإثم: ما يكون عليه عقوبة.

(٢) روي أن زوجة أبي أيوبَ الأنصاري أخبرته بقول أهل الإفك، فقال: «مايكون لنا أن نتكلم بهذا - سبحانك - هذا بهتان عظيم»، فنزل لفظ الآية بمثل قوله. الواحدي ص ٣٣٥ وتفسير القرطبي ١٢:٢٠٢. ولولا: حرف توبيخ وزجر أيضًا. وسمعتموه: بلغ سمعكم. ونتكلم: نلفظ بألسنتنا. وللتعجب أي: من عظم الأمر. والأصل في التسبيح تنزيه الله عما لايليق به، ويذكر غالبًا عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل أمر متعجب منه. فهنا يلاحظ تنزيهه - تعالى - عن أن يكون لحُرمة نبيه مايفترون. وانظر الآية ١ من سورة الإسراء. ث وط: «للتعجيب». والبهتان: ما يَبهت سامعَه ويُدهشه لفظاعته. وعظيم أي: لعظمة من تقوّلوا عليه، واستحالة صحته. وتعودوا له: تقعوا فيه مرة ثانية وتكرروه. ومثله: مماثل إياه وشبيه في تلقي القذف للمحصنات وغيرها. وأبدًا أي: مدة حياتكم. والمؤمن: من صدق الله ورسوله، وعرف قلبه التوحيد وما يلزمه من الصلاح. وبذلك أي: الوعظ وما كان معه من الزجر والتبكيت. يعني أن الاتعاظ ثمرة الإيمان، وأن ما في الشرط من إشعار بالنفي موجَّه إلى هذه الثمرة، لا إلى الإيمان نفسه. وفي هذا حث على الامتثال وتهييج. انظر الآية ٢. وفي الأصل: «تتعظوا بذلك». ويبين: يوضح ويفصل. والآيات: النصوص القرآنية الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وفيه أي: فيما يأمر به وينهى عنه. والتعميم هنا أولى، أي: في الأحوال كلها.

(٣) تخصيص المحلي الآية بالعصبة والإفك من التلخيص، وهو قول بعض المفسرين. والظاهر أنها تعم كل قاذف ومروّج للفواحش باللسان وغيره من وسائل الإغراء والضغط والإعلانات، والخطابُ لكل مكلف. فلا حاجة إلى تقييد الشيوعِ باللسان، والبراءةِ بمن اتهم بالإفك، والعلم بانتفاء التهمة. وتعليق الوعيد على محبة الشيوع دليل على أن محبة الفسق فسق أيضًا. ويحب: يريد ويتمنى. وتَشيع: تنتشر وتفشو. والفاحشة: الزنى ومايشبهه من الفساد أو اتهام الناس بذلك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة وردعًا للغير. والأليم: المؤلم. والدنيا: الحياة التي هم فيها لقربها إليهم. والحد للقذف هو جلد كل قاذف ثمانين جلدة. وقد روي أن الأربعة الآفكين جُلِدوا جميعًا. وفيما عدا الأصل والنسختين: «بحد القذف». والآخرة: الحياة يوم القيامة. وحق الله لايكفّره إلّا قبول التوبة. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. ولا تعلمون: تجهلون ما يعلمه المولى، سبحانه. ووجودها فيهم أي: وجود الفاحشة في عائشة وصفوان، بل تعلمون براءتهما والصلاح فيهما يقينًا. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أيها العصبة بما قلتم من الإفك لاتعلمون وجودها فيهم». وانظر آخر الآية ١٠. والرؤوف: الكثيرالتعطف بالتوبة والعصمة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان والمغفرة. و«لعاجلكم بالعقوبة» هذه الجملة جواب «لولا».

الجزء الثامن عشر سورة النور

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى
مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الحزب ٣٦

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ**﴾ أي: طُرقَ تزيينه. ﴿**ومَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيطانِ فإنَّهُ**﴾ أي: المتَّبعَ ﴿**يأمُرُ بِالفَحشاءِ**﴾ أي القبيح، ﴿**والمُنكَرِ**﴾ شرعًا، باتباعهما، ﴿**ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحْمتُهُ ما زَكا مِنكُم**﴾ - أيها العُصبةُ - بما قلتم من الإفك ﴿**مِن أحَدٍ أبَدًا**﴾، أي: ما صلَحَ وطَهُرَ من هذا الذنب بالتوبة منه، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي**﴾: يُطهّرُ ﴿**مَن يَشاءُ**﴾ من الذنب، بقَبول توبته منه، ﴿**واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لِما قلتم، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٢١ بما قصدتم.

٢- ﴿**ولا يأتَلِ**﴾: يَحلفْ ﴿**أُولُو الفَضلِ**﴾ أي: أصحاب الغِنى ﴿**مِنكُم والسَّعةِ، أن**﴾ لا ﴿**يُؤتُوا أُولِي القُربَى والمَساكِينَ، والمُهاجِرِينَ في سَبِيلِ اللهِ**﴾ - نزلتْ في أبي بكر، حلفَ ألّا يُنفقَ على مِسطح، وهو ابن خالته مِسكين مُهاجر بدريّ، لمّا خاض في الإفك بعد أن كان يُنفق عليه، وناسٍ من الصحابة أقسموا ألّا يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك - ﴿**ولْيَعفُوا ولْيَصفَحُوا**﴾ عنهم في ذلك. ﴿**ألا تُحِبُّونَ أن يَغفِرَ اللهُ لَكُم؟ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٢٢ للمؤمنين. قال أبو بكر: «بلَى أنا أُحبُّ أن يغفر الله لي». ورَجَعَ إلى مِسطح ما كان يُنفقه عليه.

٣- ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَرمُونَ**﴾ بالزنى ﴿**المُحصَناتِ**﴾: العفائفَ، ﴿**الغافِلاتِ**﴾ عن الفواحش بألّا يقع في قلوبهن فِعلُها، ﴿**المُؤمِناتِ**﴾ بالله ورسوله، ﴿**لُعِنُوا في الدُّنيا والآخِرةِ، ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ ٢٣، يومَ**﴾ - ناصبُه الاستقرارُ الذي تعلق به «لهم» - ﴿**تَشهَدُ**﴾، بالفَوقانيّة والتحتانيّة، ﴿**علَيهِم ألسِنتُهُم وأيدِيهِم وأرجُلُهُم، بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٢٤ من قول وفعل - وهو يوم القيامة - ﴿**يَومَئذٍ يُوَفِّيهِم اللهُ دِينَهُم الحَقَّ**﴾: يُجازيهم جزاءه الواجب عليهم، ﴿**ويَعلَمُونَ أنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ**﴾ ٢٥، حيثُ حقّق لهم جزاءه الذي كانوا يشكّون فيه. ومنهم عبدالله بن أُبيّ. والمحصناتُ هنا أزواج النبيّ ﷺ، لم يُذكر في قذفهنّ توبةٌ، ومَن ذُكر في قذفهنّ أولَ السورة التوبةُ غيرُهنّ.

٤- ﴿**الخَبِيثاتُ**﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿**لِلخَبِيثِينَ**﴾ من الناس، ﴿**والخَبِيثُونَ**﴾ من الناس ﴿**لِلخَبِيثاتِ**﴾ ممّا ذُكر، ﴿**والطَّيِّباتُ**﴾ ممّا ذُكر ﴿**لِلطَّيِّبِينَ**﴾ من الناس، ﴿**والطَّيِّبُونَ**﴾ منهم ﴿**لِلطَّيِّباتِ**﴾ ممّا ذُكر، أي: اللائق بالخبيث مِثلُه، وبالطيّب مِثلُه. ﴿**أُولٰئِكَ**﴾ الطيّبون والطيّبات من النساء والرجال، ومنهم عائشة وصفوان، ﴿**مُبَرَّؤُونَ مِمّا يَقُولُونَ**﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم، ﴿**لَهُم**﴾: للطيّبين والطيّبات من النساء ﴿**مَغفِرةٌ، ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ ٢٦ في الجنّة. وقد افتخرت عائشة بأشياءَ، منها أنها «خُلقتْ طيّبةً، ووُعِدَتْ مغفرةً ورِزقًا كريمًا».

٥- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ بُيُوتِكُم، حَتَّى تَستَأنِسُوا**﴾ أي: تستأذنوا، ﴿**وتُسَلِّمُوا على أهلِها**﴾، فيقولَ الواحد: «السَّلامُ

---

(١) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتتبعها: تأتمر بها. والخطوات: جمع خُطْوة. والشيطان: من يوسوس بالشر والضلال من الإنس والجن. ويأمر: يغري ويحبب. و«المتبع» يعني أن الضمير في «إنه» يعود على «مَن». والمنكر: مانهى عنه الشرع والعقل السليم. واتباعهما أي: الفحشاء والمنكر. وفيما عدا الأصل: «باتباعها». والتعميم بالخطاب للمؤمنين أولى من تخصيصه بالعصبة أيضًا. وأبدًا: آخر الدهر. ويشاء: يريد تزكيته. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المحيط بالغ الإحاطة. (٢) الفضل: التفضل والسخاء. والسعة: الرفاهية بالمال. ويؤتي: يعطي. والقربى: القرابة. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والمهاجر: الذي هاجر بدينه من مكة إلى المدينة. وسبيل الله: دينه. والبدري: من حضر غزوة بدر من المسلمين. ويعفو: يتجاوز عن الذنب ويستره. ويصفح: يُعرض عن اللوم ويتناسى الجرم. وتحب: تتمنى. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ عليه. والرحيم: الكثير العطف بالعصمة والإكرام. ورجع إلى مسطح أي: ردّ إليه العطاء. (٣) في «الذين» تغليب للذكور على الإناث، إذ المراد هو الرجال والنساء. ويرمي: يشتم. والمحصنات: الأنفس المحصنة من ذكور وإناث. والغافلة: السليمة الصدر المشغولة بالتقى والصلاح. ولعن: أُبعد عن رحمة الله. والعظيم: لامثيل له. والاستقرار أي: الخبر المقدم المحذوف للمبتدأ: عذاب. وتشهد: تعترف بما علمته يقينًا. والفوقانية: التاء. وبالتحتانية يريد القراءة «يَشهَدُ». والألسنة: جمع لسان. والأيدي والأرجل: مفردهما يد ورِجل. ويعملون: يكتسبونه اختيارًا وقصدًا. ويومئذ أي: يوم إذْ تشهد عليهم ألسنتهم. ويوفيه: يؤديه كاملًا. والجزاء: تفسير للدين. والواجب عليهم: تفسير للحق. ويعلم: يدرك باليقين. والحقُّ: الثابت الذي يحق أن يثبت في ذاته وصفاته وأفعاله. والمبين: المظهر للأشياء كما هي حقيقة. وغيرهن: انظر «المفصل». (٤) الخبيث: الخسيس الحقير. والطيب: المتحلي بالخير والصلاح. ومما ذكر أي: من النساء والكلمات. والمبرأ: الطاهر المنزَّه. والمغفرة: السترُ للذنوب، مما لايخلو عنه البشر، والعفوُ عنها. والرزق: ما يعطيه الله عباده. والكريم: العظيم لامثيل له. وقول عائشة هو من حديث لها، أخرجه ابن مردويه. الدر المنثور ٥:٣٧. (٥) روي أن امرأة من الأنصار قالت: يارسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي. فنزلت الآيتان ٢٧ و٢٨. الواحدي ص ٣٣٧. وآمن: صدّق الله ورسوله. وتدخله: تبدأ الدخول فيه. والبيوت: جمع بيت. وتسلم: تدعو بالسلامة. وأهلها يعني: المقيمين فيها. وحديث: انظر الأحاديث ١٠٨١ في الأدب المفرد و٥١٧٦-٥١٧٩ في سنن أبي داود و٢٧١١ في الترمذي. وخير: أفضل وأنفع. ولم تجدوا فيها أي: لم يكن فيها فلم تروا. ويؤذن: يسمح. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والجناح: الإثم. والاستكنان: الالتجاء طلبًا لستر أو حفظ من الحر والبرد. والربط: جمع رباط. وهو مكان المرابطة=

الجزء الثامن عشر سورة النور

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

عليكم. أأدخلُ»؟ كما ورد في حديث - **﴿ذٰلِكُم خَيرٌ لَكُم﴾** من الدخول بغير استئذان، **﴿لَعَلَّكُم تَذَّكَّرُونَ﴾** ٢٧، بإدغام التاء الثانية في الذال: خيريّته فتعملون به - **﴿فإن لم تَجِدُوا فيها أحَدًا﴾**، يأذنُ لكم، **﴿فلا تدخُلُوها حَتَّى يُؤذَنَ لكُم، وإن قِيلَ لكُمُ﴾** بعد الاستئذان: **﴿ارجِعُوا. فارجِعُوا. هُوَ﴾** أي: الرجوع **﴿أزكَى﴾** أي: خيرٌ **﴿لَكُم﴾** من القُعود على الباب، **﴿واللهُ بما تَعمَلُونَ﴾** من الدخول بإذنٍ وغيرِ إذن **﴿عَلِيمٌ﴾** ٢٨، فيُجازيكم عليه. **﴿لَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ أن تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ مَسكُونةٍ، فِيها مَتاعٌ﴾** أي: منفعة **﴿لَكُم﴾**، باستكنان وغيره، كبيوت الرُّبط والخانات المُسبَّلة. **﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ﴾**: تُظهِرون، **﴿وما تكتُمُونَ﴾** ٢٩: تُخفون، في دُخول غير بُيوتكم من قصد صلاح أو غيره. وسيأتي أنه إذا دخلوا بُيوتهم يُسلّمون على أنفُسهم.

١- **﴿قُلْ لِلمُؤمِنِينَ، يَغُضُّوا مِن أبصارِهِم﴾** عمّا لا يحِلُّ لهم نظره - ومِن: زائدةٌ - **﴿ويَحفَظُوا فُرُوجَهُم﴾** عمّا لا يحلّ لهم فِعله بها. **﴿ذٰلِكَ أزكَى﴾** أي: خيرٌ **﴿لَهُم. إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بما يَصنَعُونَ﴾** ٣٠ بالأبصار والفُروج، فيُجازيهم عليه.

٢- **﴿وقُلْ لِلمُؤمِناتِ، يَغضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ﴾** عمّا لا يحِلّ لهنّ نظره، **﴿ويَحفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** عمّا لا يحِلّ لهنّ فعله بها، **﴿ولا يُبدِينَ﴾**: يُظهِرن **﴿زِينَتَهُنَّ إلّا ما ظَهَرَ مِنها﴾** - وهو الوجه والكفّانِ. فيجوز نظره لأجنبيّ إن لم يَخف فِتنةً في أحد وجهين، والثاني يَحرمُ لأنه مَظِنّة الفِتنة، ورُجّح حسمًا للباب - **﴿ولْيَضرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ﴾** أي: يَستُرْنَ الرؤوس والأعناق والصدور بالمَقانع، **﴿ولا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾** الخفيّة - وهي ما عدا الوجهَ والكفّينِ - **﴿إلّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾**: جمع بعل أي: زوج، **﴿أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ، أو أبنائِهِنَّ أو أبناءِ بُعُولَتِهِنَّ، أو إخوانِهِنَّ أو بَنِي إخوانِهِنَّ أو بَنِي أخَواتِهِنَّ، أو نِسائِهِنَّ أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾**، فيجوز لهم نظره إلّا ما بين السُّرّة والرُّكبة فيحرم نظره لغير الأزواج - وخرج بـ«نِسائهِنّ» الكافراتُ فلا يجوز للمسلمات التكشّف لهنّ، وشمل «ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ» العبيدَ - **﴿أوِ التّابِعِينَ﴾** في فُضول الطعام **﴿غَيرِ﴾**، بالجرّ: صفةً، والنصبِ: استثناءً، **﴿أُولِي الإربَةِ﴾**: أصحاب الحاجة إلى النساء **﴿مِنَ الرِّجالِ﴾** بأن لم ينتشر ذَكَرُ كُلٍّ، **﴿أوِ الطِّفلِ﴾** بمعنى: الأطفال **﴿الَّذِينَ لَم يَظهَرُوا﴾**: يطّلعوا **﴿عَلى عَوراتِ النِّساءِ﴾** للجماع، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرّة والركبة، **﴿ولا يَضرِبنَ بِأرجُلِهِنَّ، لِيُعلَمَ ما يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾** من خلخال يتقعقع. **﴿وتُوبُوا إلَى اللهِ جَمِيعًا - أيُّها المُؤمِنُونَ﴾**، ممّا وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره - **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾** ٣١: تنجون من ذلك بقَبول التوبة منه. وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

=لجهاد العدو. والخان: الفندق. والمسبلة: التي أعدت للمسافرين وأبناء السبيل. ويعلمه: يحيط به بالغ الإحاطة. وسيأتي أي: في الآية ٦١. **(١)** يغض من بصره: يحجبه ويخفض جفنه ليمنع الرؤية. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. و«زائدة» الصواب أن «من»: للتبعيض تتعلق بصفة محذوفة للمفعول المقدر، أي: يغضوا شيئًا كائنًا من أبصارهم. ويحفظه: يمنعه ويستره. والفروج: جمع فرج. وهو السوءة، أي: الذّكر وما حوله. والخبير: العالم ببواطن الأمور ودقائقها. ويصنع: يتصرف بقصد واهتمام. **(٢)** في لباب النقول أن أسماء بنت مرثد الحارثية دخلت عليها بعض النساء، باديةً صدورُهن وذوائبُهن وبعضُ أرجلهن، فقالت: ما أقبحَ هذا! فنزلت الآية، تفصل أمر الحجاب. والزينة: البدن يكون محل الزينة والفتنة. وما ظهر: ما جرت الحال على ظهوره ضرورة في التصرف. والوجه أي: غير المزيَّن بما عدا الكحل. وكذلك الكفان غير المزيّنتين بما عدا الخضاب. ونظره: رؤية الغير له. والثاني أي: من قولَي الشافعي. وهو مذهب مالك أيضًا. ويحرم أي: إظهار الوجه والكفين. وحسمًا للباب: سدًا للذرائع في حصول الفجور. ويضرب: يلقي. والخُمر: جمع خِمار. وهو ما تُقنّع به المرأة رأسها. والجيوب: جمع جيب. وهو العنق والخفيّة: التي يسترها الخمار والجلباب. والآباء: جمع أب. وهو الوالد ومن قبله من الجدود. والأبناء جمع ابن. وهو الذكر من الأولاد والحفدة. والإخوان: جمع أخ. وهو الشقيق وغيره. والأخوات: جمع أخت. وهي الشقيقة وغيرها. ويضاف إليها الأعمام والأخوال كسائر المحارم. ثم تختلف مراتب المذكورين في الحرمة، إذ للأب والأخ مثلًا ما لا يجوز لابن الزوج. انظر المحرر ٤:١٧٩ والبحر ٦:٤٤٨. والتكشف: إظهار ما دون الوجه والكفين. ونساؤهن أي: الإناث من المسلمات، ومن في صحبتهن للخدمة من الكتابيات والكافرات. وملكته: كان لها ملك شرعي له. والأيمان: جمع يمين. عُبّر باليد اليمنى عن المرأة نفسها صاحبة اليد، أي: ما ملكْنَ. والكافرات: غير المسلمات من المملوكات والملازمات. ولهم: للأصناف الاثني عشر المستثناة في الآية. ويضاف إليها الأعمام والأخوال كسائر المحارم. والعبيد أي: مع الإماء، مسلمين وغيرهم. وأبو حنيفة وآخرون يرون أن العبيد ليسوا من المحارم، وإن كانوا خصيانًا. وهذا هو الصحيح. البحر ٦:٤٤٨. والتابع: من يكون مرافقًا للمرأة كالأجير. وبالنصب يريد القراءة «غَيرَ». وكل أي: كل من التابعين. والطفل: واحده طفل أيضًا. وهو مَن دون البلوغ. ولم يطلعوا أي: لعدم تمييزهم وبلوغهم حد الشهوة. والعورة: ما يجب ستره من المرأة. والنساء: واحدته امرأة. ويضربن: يخبطن الأرض وما يمشين عليه. والأرجل: جمع رِجل. وعُبِّرَ به عن الأحذية ونحوها. ويعلم: يلحظ ويرى بالتنبه والمراقبة. والنهي عن الضرب واجب، وإن لم يُرَد به الإعلام. فذكر الإعلام من باب الأغلبية. ويخفين: يسترن. والزينة: ما يُتحلى به من ثياب ومصوغات وأصباغ. وتوبوا: ارجعوا إلى الطاعة في الأمر والنهي، مقرين بالخطأ وطالبين للمغفرة، ولاتعودوا إلى ما كنتم عليه. وغيره أي: كالتكشف وضرب الأرض بالأرجل، وكل ما نهيتم عنه في الآيات الماضية من السورة. و«في الآية تغليب» كذا. والمراد: في قوله «توبوا» فقط.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

١ - ﴿**وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم**﴾: جمع أيِّم - وهي من ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثيِّبًا، ومن ليس له زوج. وهذا في الأحرار والحرائر - ﴿**والصّالِحِينَ**﴾ أي: المؤمنين ﴿**مِن عِبادِكُم وإمائكُم**﴾ - وعِباد من جُموع عبد. ﴿**إن يَكُونُوا**﴾ أي: الأحرارُ ﴿**فُقَراءَ يُغنِهِم اللهُ**﴾ بالتزوّج ﴿**مِن فَضلِهِ. واللهُ واسِعٌ**﴾ لخلقه ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٣٢ بهم - ﴿**ولْيَستَعفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحًا**﴾ أي: ما يَنكِحون به من مَهر ونفقة، عن الزنى ﴿**حَتّى يُغنِيَهُمُ اللهُ**﴾: يُوسعَ عليهم ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾، فينكِحون.

٢ - ﴿**والَّذِينَ يَبتَغُونَ الكِتابَ**﴾ بمعنى: المُكاتبة، ﴿**مِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من العبيد والإماء، ﴿**فكاتِبُوهُم، إن عَلِمتُم فِيهِم خَيرًا**﴾ أي: أمانة، وقُدرة على الكسب لأداء مال الكِتابة - وصيغتها مثلًا: كاتبتُك على ألفين في شهرين، كُلَّ شهر ألف. فإذا أدَّيتها فأنت حُرّ. فيقول: قبلتُ ذلك - ﴿**وآتُوهُم**﴾ أمر للسادة، ﴿**مِن مالِ اللهِ الَّذِي آتاكُم**﴾، ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم - وفي معنى الإيتاء حطُّ شيء ممّا التزموه - ﴿**ولا تُكرِهُوا فَتَياتِكُم**﴾ أي: إماءكم ﴿**على البِغاءِ**﴾ أي: الزنى، ﴿**إن أرَدْنَ تَحَصُّنًا**﴾: تعففًا عنه - وهذه الإرادة محلّ الإكراه فلا مفهوم للشرط - ﴿**لِتَبتَغُوا**﴾ بالإكراه ﴿**عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾. نزلتْ في عبدالله بن أُبيٍّ، كان يُكرِهُ جواريَ له على الكسب بالزنى. ﴿**ومَن يُكرِهْهُنَّ فإنَّ اللهَ، مِن بَعدِ إكراهِهِنَّ، غَفُورٌ**﴾ لهنّ ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٣٣ بهنّ.

ربع الحزب ٣٦

٣ - ﴿**ولَقَد أنزَلْنا إلَيكُم آياتٍ مُبَيَّناتٍ**﴾ - بفتح الياء وكسرها - في هذه السورة، بُيِّن فيها ما ذُكر أو بيِّنتُه، ﴿**ومَثَلًا**﴾: خبرًا عجيبًا وهو خبر عائشة ﴿**مِنَ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم**﴾ أي: من جنس أمثالهم، أي: أخبارهم العجيبة، كخبر يُوسفَ ومريمَ، ﴿**ومَوعِظةً لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٣٤ في قوله تعالى «ولا تأخُذْكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ»، «لَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤمِنُونَ» إلى آخره، «ولَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ قُلتُم» إلى آخره، «يَعِظُكُمُ اللهُ أن تَعُودُوا» إلى آخره. وتخصيصها بالمتّقين لأنهم المنتفعون بها.

٤ - ﴿**اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾، أي: مُنوِّرهما بالشمس والقمر. ﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾ أي: صِفتُهُ في قلب المؤمن ﴿**كَمِشكاةٍ فِيها مِصباحٌ، المِصباحُ في زُجاجةٍ**﴾ هي القِنديل - والمصباح: السِّراج أي: الفتيلة الموقودة، والمِشكاة: الطاقة غير النافذة أي: الأنبوبة في القِنديل - ﴿**الزُّجاجةُ كأنَّها**﴾ والنور فيها ﴿**كَوكَبٌ دِرِّيءٌ**﴾ أي: مُضيءٌ - بكسرِ الدال وضمِّها: من الدرء بمعنى الدفع، لدفعه الظلامَ، وبضمِّها وتشديد الياء: منسوب إلى الدُّرّ: اللؤلؤ - ﴿**تَوَقَّدَ**﴾ المِصباحُ بالماضي، وفي قراءة بمضارع «أوقَدَ» مبنيًّا للمفعول بالتحتانيّة، وفي أخرى بالفَوقانيّة، أي: الزجاجةُ، ﴿**مِن**﴾ زيتِ ﴿**شَجَرةٍ مُبارَكةٍ زَيتُونةٍ، لا شَرقِيّةٍ ولا غَربِيّةٍ**﴾ بل بينهما، فلا يتمكّن منها حرّ ولا برد مُضِرَّين، ﴿**يَكادُ زَيتُها يُضِيءُ، ولَو لَم تَمسَسْهُ نارٌ**﴾ لصفائه. ﴿**نُورٌ**﴾ به ﴿**عَلى نُورٍ**﴾ بالنار، ونور الله أي: هُداه للمؤمن نُور على نُور الإيمان، ﴿**يَهدِي اللهُ لِنُورِهِ**﴾ أي: دِينِ الإسلام ﴿**مَن يَشاءُ، ويَضرِبُ**﴾: يُبيِّنُ ﴿**اللهُ الأمثالَ لِلنّاسِ**﴾ تقريبًا لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا. ﴿**واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٣٥، منه ضربُ الأمثال.

٥ - ﴿**في بُيُوتٍ**﴾: مُتعلّق بـ «يسبّح» الآتي، ﴿**أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ**﴾: تُعظّم، ﴿**ويُذكَرَ فِيها اسمُهُ**﴾ بتوحيده، ﴿**يُسَبِّحُ**﴾ - بفتحِ المُوحَّدة وكسرِها -

---

(١) أنكحوا: زوِّجوا. ومنكم: من المسلمين. ومن ليس له زوج: الرجل غير المتزوج. والعباد: العبيد. والعبد: المملوك. والإماء: جمع أمة، أي: المملوكة. والفقير: من يحتاج إلى المساعدة المالية. ويغنيه: يوسع عليه. وبالتزوج: يعني أن الزواج يكون سببًا للغنى لما في الزواج من بركة. والفضل: التفضل بالنعم. ولخلقه أي: هو ذو غنى لاحدّ له، يبسط منه للخلق ما يشاء. ويستعفّ: يجتهد في صون النفس. ويجدُه: يملكه. وينكحون: انظر «المفصل». **(٢)** انظر سبب النزول في المفصل. ويبتغي: يطلب. ومال الله يعني: أن ما يملكه الإنسان هو ملك الله. وآتى: أعطى. وحطُّ شيء: إسقاط بعض المال بالمسامحة. وتكرهها: تَضطرها. وأردن: طلبن. ولا مفهوم للشرط: يعني أن الشرط لايراد به جواز الحمل على البغاء، إذا لم يردن التعفف ،بل المراد هو المبالغة في النهي أصلًا. وتبتغي: تطلب. والعرض: ما يزول. وابن أُبيّ هو رأس المنافقين. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. **(٣)** أنزلنا: أوحينا. وبكسرها يريد القراءة «مُبَيِّناتٍ». وخلوا: مضوا. والموعظة: ما يزجر عن المحرمات. والمتقي: الذي يلزم الامتثال للأمر والنهي. و«قوله تعالى» انظر الآيات ٢ و١٢ و١٦ و١٧. **(٤)** السماوات والأرض أي: وغيرهما وما في ذلك كله. وتنويرهما بالشمس والقمر أي: وما أفاضه المولى - تعالى - في الوجود من كواكب، وآيات تكوينية وتنزيلية دالة على الصفات العظمى، مع النعم التي هيأها للخلق، وإحكام أمور الكون، وتيسير كل لِما خلق له، وإمداده بما يساعده على الحياة. فهذا بعض من نوره، عز وجل. والمثل: الصفة العجيبة الشأن. وكمشكاة: مِثلُ نور مشكاة. والزجاجة: وعاء صاف شفاف. والموقودة: التي توقد باللهب. والطاقة: الكوّة. والأنبوبة: حديدة يكون فيها الفتيلة. والكوكب: النجم النيِّر. وبضمها يريد القراءة «دُرِّيءٌ». وبتشديد الياء «دُرِّيٌّ»، أي: كالدر. وبالتحتانية يريد القراءة «يُوقَدُ». وبالفوقانية «تُوقَدُ». والمباركة: العميمة النفع. والشرقية: التي تصيبها الشمس إذا شرقت. والغربية عكسها. ويكاد: يقارب. ويضيء: يتوقد. وتمسه: تتقرب منه. وبه: في الزيت وحده. ويهدي: يرشد. ويشاء: يريد هدايته. والأمثال: جمع مَثَل، أي: الأمر العجيب. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. **(٥)** البيوت: جمع بيت. وهو هنا المسجد. وأذن: أمر. وتعظم أي: بالتطهير=

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

أي: يُصلِّى ﴿**لَهُ فِيها، بِالغُدُوِّ**﴾: مصدرٌ بمعنى: الغُدوات أي: البُكَر، ﴿**والآصالِ**﴾ ٣٦: العشايا من بعد الزوال، ﴿**رِجالٌ**﴾: فاعلُ «يسبّح» بكسر الباء، وعلى فتحها نائبُ الفاعل «له»، ورجالٌ: فاعلُ فعل مُقدّر جواب سؤال مُقدّر، كأنه قيل: مَن يُسبِّحُه؟ ﴿**لا تُلهِيهِم تِجارةٌ**﴾ أي: شِراء ﴿**ولا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ**﴾ - حذفُ هاء «إقامة» تخفيفٌ - ﴿**وإيتاءِ الزّكاةِ، يَخافُونَ يَومًا تَتَقلّبُ**﴾: تضطرب ﴿**فِيهِ القُلوبُ والأبصارُ**﴾ ٣٧ من الخوف - القلوبُ بين النجاة والهلاك، والأبصارُ بين ناحيتَي اليمين والشِّمال - وهو يوم القيامة، ﴿**لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما عَمِلُوا**﴾ أي: ثوابَه - وأحسنُ بمعنى: حَسَن - ﴿**ويَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ٣٨. يقال: فُلان يُنفق بغير حساب، أي: يُوسع كأنه لا يحسُب ما يُنفقه.

١- ﴿**والّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهُم كَسَرابٍ بِقِيعةٍ**﴾: جمع قاع أي: في فلاة - وهو شُعاع يُرى فيها نصفَ النهار في شِدّة الحرّ، يُشبه الماء الجاري - ﴿**يَحسَبُهُ**﴾: يظنّه ﴿**الظَّمآنُ**﴾ أي: العطشان ﴿**ماءً - حَتّى إذا جاءَهُ لَم يَجِدْهُ شَيئًا**﴾ ممّا حسِبه، كذلك الكافر يحسب أنّ عمله كصدقة ينفعه، حتّى إذا مات وقدِم على ربّه لم يجد عمله أي: لم ينفعه، ﴿**ووَجَدَ اللهَ عِندَهُ**﴾ أي: عِند عمله، ﴿**فَوَفّاهُ حِسابَهُ**﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا. ﴿**واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ ٣٩ أي: المُجازاة - ﴿**أو**﴾ الذين كفروا أعمالهم السيّئة ﴿**كَظُلُماتٍ، في بَحرٍ لُجِّيٍّ**﴾: عميق، ﴿**يَغشاهُ مَوجٌ مِن فَوقِهِ**﴾ أي: الموجِ ﴿**مَوجٌ، مِن فَوقِهِ**﴾ أي: الموج الثاني ﴿**سَحابٌ**﴾ أي: غيم. هذه ﴿**ظُلُماتٌ بَعضُها فَوقَ بَعضٍ**﴾: ظُلمةُ البحر، وظُلمةُ الموج الأوّل، وظُلمةُ الثاني، وظُلمةُ السحاب، ﴿**إذا أخرَجَ**﴾ الناظر ﴿**يَدَهُ**﴾ في هذه الظلمات ﴿**لَم يَكَدْ يَراها**﴾ أي لم: يقرُب من رؤيتها. ﴿**ومَن لَم يَجعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فما لَهُ مِن نُورٍ**﴾ ٤٠ أي: مَن لم يَهدِه الله لم يَهتدِ.

٢- ﴿**ألَم تَرَ أنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ**﴾، ومن التسبيح صلاة، ﴿**والطَّيرُ**﴾: جمع طائر بين السماء والأرض ﴿**صافّاتٍ**﴾: حالٌ، باسطاتٍ أجنحتَهنّ، ﴿**كُلٌّ قَد عَلِمَ**﴾ اللهُ ﴿**صَلاتَهُ وتَسبِيحَهُ. واللهُ عَلِيمٌ بِما يَفعَلُونَ**﴾ ٤١. فيه تغليب العاقل، ﴿**وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: خزائن المطر والرزق والنبات، ﴿**وإلَى اللهِ المَصِيرُ**﴾ ٤٢: المَرجِعُ.

٣- ﴿**ألَم تَرَ أنَّ اللهَ يُزجِي سَحابًا**﴾: يسوقُه برفق، ﴿**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَينَهُ**﴾: يضمّ بعضه إلى بعض، فيجعل القِطع المُتفرّقة قِطعة واحدة، ﴿**ثُمَّ يَجعَلُهُ رُكامًا**﴾: بعضَه فوق بعض - ﴿**فَتَرَى الوَدْقَ**﴾: المطر ﴿**يَخرُجُ مِن خِلالِهِ**﴾: مخارجِه - ﴿**ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**جِبالٍ فِيها**﴾: في السماء، بدلٌ بإعادة الجارّ، ﴿**مِن بَرَدٍ**﴾ أي: بعضَه، ﴿**فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ ويَصرِفُهُ عَمَّن يَشاءُ، يَكادُ**﴾: يقرُب ﴿**سَنا بَرقِهِ**﴾: لمعانُه ﴿**يَذهَبُ بِالأبصارِ**﴾ ٤٣ الناظرةِ له، أي: يَخطَفُها.

=والعبادة. ويذكر: يردد في القلوب والألسنة والأعمال. واسمه: أسماؤه الحسنى. والموحدة: الباء. وبكسرها يريد القراءة «يُسَبِّحُ». والبُكَر: جمع بُكْرة، مابين الفجر وطلوع الشمس، يكون فيه صلاة الصبح. والآصال: جمع أصيل، والعشايا: جمع عَشيّة. وتكون فيها صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء. والزوال: تحول الشمس في منتصف النهار. والرجال: جمع رَجل. وفتحها أي: قراءة «يُسَبَّحُ»، فيكون «له» في محل رفع نائب فاعل. وتلهي: تَشغل. وإقام الصلاة: أداء الصلوات. والهاء: التاء المربوطة. وإيتاء الزكاة: أداء مافرض على المال لتطهيره وتطهير صاحبه. واليوم: الزمن. والقلوب: جمع قلب. والأبصار: جمع بصر. ويجزي: يكافئ. ويزيدهم: يضيف إلى ثوابهم. والفضل: التفضل. ويرزقه: يعطيه. وبغير حساب أي: من غير أن يكون الرزق على قدر الاستحقاق.

(١) الأعمال: جمع عمل. وجاءه أي: أتى الكافر إلى موضع عمله يوم القيامة. ووجد الله أي: رأى حكمه بالمرصاد. ووفاه حسابه: أعطاه جزاء عمله كاملًا. والسريع: المعجِّل. والظلْمة: السواد الدامس. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. واللجي: المنسوب إلى اللج. وهو الماء الغزير. ويغشاه: يغمره. والموج: ما يعلو من الماء ويضطرب. وأخرجها: رفعها. ويرى: يبصر بعينه. ويجعل: يخلق ويقدّر. والنور: الهداية والتوفيق فيها.

(٢) ترى: تعلم بالوحي والاستدلال. ويسبح له: ينزهه بخضوعه للسلطان. والسماوات والأرض: انظر الآية ٥ من سورة آل عمران. والطير: ما يطير بجناحين. وعَلِمها: أحاط بها بالغَ الإحاطة. والصلاة: الدعاء. ويفعل: يكتسبه في الحياة. وتغليب العاقل يعني التعبير بضمير جماعة العقلاء، وفيما ذكر مخلوقات لاتعقل. والمُلك: الحيازة والتصرف. وإلى الله أي: إلى حكمه يوم القيامة. والمرجع: رجوع الإنس والجن والملائكة.

(٣) ألم تر: انظر الآية ٤١. والسحاب: واحدته سحابة. وبينه أي: بين أجزائه. ويجعل: يصيّر. وركامًا: متراكمًا. وترى: تبصر عِيانًا. ويخرج: يظهر ويسقط. والخلال: جمع خَلَل. وهو الشَّقّ. وينزل: يُسقط. والسماء: السحاب. وزائدة وبدل: انظر «المفصل». والجبال: جمع جبل. وهو الكتلة الضخمة كجبال الدنيا. والبَرَد: حبات الماء الجامد. ويشاء: يريد إصابته به. ويصرفه: يبعده. والسنا: اللمعان. وبرقه: برق السحاب. والأبصار: جمع بصر.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ
أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

١- ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيلَ والنَّهارَ**﴾ أي: يأتي بكُلٍّ منهما بدلَ الآخَر - ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ التقليبِ ﴿**لَعِبْرَةً**﴾: دلالة ﴿**لأولي الأبصار**﴾ ٤٤: لأصحاب البصائر، على قُدرة الله تعالى - ﴿**واللهُ خَلَقَ كُلَّ دابّةٍ**﴾ أي: حيوانٍ ﴿**مِن ماءٍ**﴾ أي: نُطفة، ﴿**فمِنهُم مَن يَمشي على بَطنِهِ**﴾ كالحيّات والهوامّ، ﴿**ومِنهُم مَن يَمشي على رِجلَينِ**﴾ كالإنسان والطير، ﴿**ومِنهُم مَن يَمشي على أربَعٍ**﴾ كالبهائم والأنعام. ﴿**يَخلُقُ اللهُ ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ ٤٥. ﴿**لَقَد أنزَلنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ**﴾ أي: بيّنات هي القُرآن، ﴿**واللهُ يَهدي مَن يَشاءُ إلى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقيم**﴾ ٤٦ أي: دِين الإسلام.

٢- ﴿**ويَقُولونَ**﴾ أي: المنافقون: ﴿**آمَنّا**﴾: صدَّقنا ﴿**باللهِ**﴾: بتوحيده، ﴿**وبالرَّسُولِ**﴾ مُحمّد، ﴿**وأطَعْنا**﴾ هما فيما حكما به. ﴿**ثُمَّ يَتَوَلّى**﴾: يُعرِضُ ﴿**فَريقٌ مِنهُم مِن بَعدِ ذٰلِكَ**﴾ عنه، ﴿**وما أُولٰئِكَ**﴾ المُعرِضون ﴿**بالمُؤمِنينَ**﴾ ٤٧ المعهودين المُوافِق قُلوبُهم لألسنتهم، ﴿**وإذا دُعُوا إلى اللهِ ورَسُولِهِ**﴾ المُبلِّغ عنه، ﴿**لِيَحكُمَ بَينَهُم، إذا فَريقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ**﴾ ٤٨ عن المجيء إليه، ﴿**وإن يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يأتُوا إلَيهِ مُذعِنينَ**﴾ ٤٩: مُسرعين طائعين.

نصف الحزب ٣٦

٣- ﴿**أفي قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: كُفر؟ ﴿**أم ارتابُوا**﴾ أي: شكّوا في نُبوّته؟ ﴿**أم يَخافُونَ أن يَحيفَ اللهُ عليهِم ورَسُولُهُ**﴾ في الحُكم أي: يُظلَموا فيه؟ لا. ﴿**بَل أُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ ٥٠ بالإعراض عنه. ﴿**إنَّما كانَ قَولَ المُؤمِنينَ، إذا دُعُوا إلى اللهِ ورَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم،**﴾ أي: القولَ اللائق بهم ﴿**أن يَقُولُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا**﴾ بالإجابة. ﴿**وأُولٰئِكَ**﴾ حينئذ ﴿**هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٥١: الناجُون. ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ، ويَخشَ اللهَ**﴾: يخافُهُ ﴿**ويَتَّقهْ**﴾ - بسكون الهاء وكسرها - بأن يُطيعه، ﴿**فأُولٰئِكَ هُمُ الفائزُونَ**﴾ ٥٢ بالجنّة.

٤- ﴿**وأقسَمُوا باللهِ جَهدَ أيمانِهِم**﴾: غايتَها، ﴿**لَئِنْ أمَرتَهُم**﴾ بالجهاد ﴿**لَيَخرُجُنَّ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا تُقسِمُوا. طاعةٌ مَعرُوفةٌ**﴾ للنبيّ خيرٌ من قسمكم الذي لا تصدُقون فيه. ﴿**إنَّ اللهَ خَبيرٌ بما تَعمَلُونَ**﴾ ٥٣، من طاعتكم بالقول، ومُخالفتكم بالفعل. ﴿**قُلْ: أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّوا**﴾ عن طاعته - بحذف إحدى التاءين خطابٌ لهم - ﴿**فإنَّما عليهِ ما حُمِّلَ**﴾ من التبليغ، ﴿**وعلَيكُم ما حُمِّلتُم**﴾ من طاعته، ﴿**وإن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا، وما علَى الرَّسُولِ إلّا البَلاغُ المُبينُ**﴾ ٥٤ أي: التبليغ البيِّن.

---

(١) الأبصار: جمع بصر، أي: قوة الإدراك والتدبر للدلائل. وخلقه: أوجده من العدم. والدابة: من يمشي أو يتحرك في الأرض أو الجو. وحيوان: حي فيه روح. والظاهر أن الماء هنا هو الجنس خُلقتْ منه الأحياء المذكورة. ويمشي: ينتقل. والبطن: ما يقابل الظهر. والأربع: القوائم. ولم يُذكر من يمشي على أكثر لقلته، فالندرة مشمولة بما فُصّل أمره. ويشاء: يريد خلقه. والقدير: المبالغ في التمكن مما يريد. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. ويهدي: يرشد ويوفق. ويشاء: يريد هدايته. والمستقيم: المعتدل.

(٢) اختصم منافق اسمه بِشر ويهودي، وأراد اليهودي الاحتكام إلى النبي ﷺ، وبِشر يطلب الاحتكام إلى كعب بن الأشرف، فنزلت الآيات ٤٧-٥٤. البحر ٦:٤٦٧. ويقول أي: بلسانه خلاف ما في قلبه. وأطعناهما: امتثلنا الأمر والنهي. والفريق: الجماعة. وعنه: عن النبي ﷺ، لأنه المباشر للحكم. ودُعوا: طلب منهم الذهاب. ويحكم: يقضي. والمعرض: الممتنع. ويكن: يثبت. والحق: الحكم على الخصم. وإليه: إلى النبي ﷺ.

(٣) القلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والاتعاظ. والمرض هو الرذائل النفسية، وأشنعها النفاق. ويخاف: يتوقع. ويظلموا: يجار عليهم. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فيظلموا». ويعني بـ «لا» إبطال خوفِهم من الحيف، أي: مضمونِ الجملة الأخيرة. فالمراد: لايخافون ظلمًا، ولكنهم منافقون. والظالم: الواضع للشيء في غير موضعه. فهم ظلموا الحقيقة وأنفسهم بالكفر والنفاق. وعنه: عن الحكم الشرعي. وسمعنا: أدركنا وفهمنا. والإجابة: العمل بالأمر والنهي. والناجون أي: من العذاب إلى رحمة الله. ويطيعه: يجيبه إلى ما أمر ونهى. ويخافه: انظر «المفصل». ويتقيه: يخشى غضبه ويطلب رضاه بالطاعة. وبكسرها يريد القراءة «ويَتَّقِهِ». والهاء في القراءتين: ضمير متصل في محل نصب مفعول به. وإنما سكنت في الأولى على نية الوقف.

(٤) روي أن المنافقين كانوا يقولون للرسول ﷺ: أينما كنت نكن معك، ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. فجاءت الآيتان توجهانهم إلى العمل مع القول. تفسير البغوي ٣:٣٥٣. وأقسم: حلف. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم. انظر الآية ١٠٩ من سورة الأنعام. وأمرتهم: ألزمتهم. ويخرجون أي: يغادرون ديارهم للقاء العدو. والطاعة: الاستجابة والانقياد. والمعروفة: المعلومة لاشك فيها ولا تردُّد، كطاعة المخلصين الصادقين. والخبير: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. وتعملون: تكتسبونه وتتحملونه من نية أو قول أوفعل. وتَولوا: تُعرضوا وتمتنعوا. وخطاب لهم أي: أن الفعل مضارع لاماض. خ: «خطابًا لهم». وحمل: كلف به وأمر. وحملتم: كلفتم به وأمرتم بعمله. وتهتدوا: تصيبوا الحق والرشد في طاعته. والرسول: المرسل بالوحي لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل.

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

١- ﴿**وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا مِنكم وعَمِلوا الصَّالِحاتِ، لَيَستخلِفَنَّهُم في الأرضِ**﴾ بدلًا عن الكُفّار، ﴿**كما استخلَفَ**﴾ - بالبناء للفاعل والمفعول - ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِهم**﴾ من بني إسرائيل بدلًا عن الجبابرة، ﴿**وليُمَكِّنَنَّ لَهم دِينَهُمُ الَّذي ارتَضَى لَهم**﴾ - وهو الإسلام - بأن يُظهره على جميع الأديان، ويُوسّع لهم في البلاد فيملكوها، ﴿**ولَيُبدِلَنَّهم**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**مِن بَعدِ خوفِهم**﴾ من الكُفّار ﴿**أمنًا**﴾. وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكره، وأثنى عليهم بقوله: ﴿**يَعبُدونَني لا يُشرِكُونَ بِي شَيئًا**﴾. هو مستأنف في حُكم التعليل. ﴿**ومَن كَفَرَ، بَعدَ ذٰلِكَ**﴾ الإنعام منهم، به ﴿**فأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾ ٥٥. وأوّل من كفر به قَتَلةُ عُثمانَ - رضي الله عنه - فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

٢- ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ ٥٦ أي: رجاءَ الرحمة. ﴿**لا تَحسبَنَّ**﴾ - بالفَوقانيّة، والتحتانيّة والفاعل الرسول - ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مُعجزِينَ**﴾ لنا ﴿**في الأرضِ**﴾ بأن يفوتونا، ﴿**ومأواهُمُ**﴾: مرجعهم ﴿**النّارُ، ولَبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٥٧: المرجعُ هي!

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِيَستأذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من العبيد والإماء، ﴿**والَّذِينَ لَم يَبلُغوا الحُلُمَ مِنكُم**﴾ من الأحرار وعرَفوا أمر النساء، ﴿**ثَلاثَ مَرّاتٍ**﴾: في ثلاثة أوقات، ﴿**مِن قَبلِ صَلاةِ الفجرِ، وحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُم مِنَ الظَّهِيرةِ**﴾ أي: وقتَ الظهر، ﴿**ومِن بَعدِ صَلاةِ العِشاءِ. ثلاثُ عَوراتٍ لَكُم**﴾ - بالرفع: خبرُ مبتدأٍ مُقدّرٍ، بعده مُضافٌ، وقام المُضاف إليه مَقامه أي: هي أوقاتُ، وبالنصب بتقدير «أوقاتَ» منصوبًا بدلًا من محلّ ما قبله، قام المُضاف إليه مَقامه - وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات، ﴿**لَيسَ علَيكُم ولا علَيهِم**﴾ أي: المماليكِ والصِّبيانِ ﴿**جُناحٌ**﴾، في الدخول عليكم بغير استئذان، ﴿**بَعدَهُنَّ**﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة. هم ﴿**طَوّافُونَ عليكم**﴾ للخدمة، ﴿**بَعضُكُم**﴾ طائف ﴿**على بَعضٍ**﴾. والجملة مُؤكّدة لما قبلها. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾: كما بيّن ما ذكَرَ، ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ**﴾ أي: الأحكامَ، ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بأمور خلقه، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٥٨ بما دبّره لهم. وآيةُ الاستئذان قيلَ: منسوخة، وقيل: لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

---

(١) كان بعض الصحابة شكَوا، في المدينة، ما يلقون من عداوة المشركين وأهل الكتاب، ومن دوام الحروب وحمل السلاح، فنزلت الآية. المستدرك ٢:٤٠١ والواحدي ص ٣٤١-٣٤٢. ووعدهم: تعهد لهم بخير. وعمل: اكتسب بالنية أو اللسان أو الفعل. والصالحات: ما شرع من الفروض والسنن. ويستخلفهم: يجعلهم خلفاء بالحكم والتصرف. والأرض: بلاد العرب والعجم. وبالمفعول يريد القراءة «استُخلِفَ». والجبابرة: العرب من العماليق والفراعنة. ويمكّنه: يقويه ويجعل له مكانًا مستقرًا. وارتضاه: اختاره وقبله. وبالتشديد يريد القراءة «ولَيُبَدِّلَنَّهم». والتبديل والإبدال فيهما معنى إزالة الخوف، وتثبيت الأمن مكانه. والخوف: الفزع. وبما ذكره أي: الاستخلاف والتمكين والطمأنة. وفيما عدا الأصل والنسختين: «بما ذكر». ويعبد: يقدس ويطيع. ولايشركون أي: يوحدون ويخلصون. والشيء: ما هو موجود أو محتمل الوجود أو متخيل. وكفر: جحد النعمة ولم يقم بحقها من الشكر والإخلاص والطاعة. وبه أي: بالإنعام المذكور. والفاسق: المخل بأحكام الشريعة. وقتلة عثمان أي: الفتنة بمقتل عثمان، رضي الله عنه. وفي الأصل: قتلةُ عثمانُ.

(٢) إقامة الصلاة: أداؤها كاملة. وإيتاء الزكاة: تأديتها إلى مستحقيها. وأطيعوه: استجيبوا لأمره ونهيه. وترحمون: يُعطف عليكم بالتوفيق والنعم. ولعلّ: للترجي والتعليل. وتحسب: تظن. والفوقانية: التاء. وبالتحتانية يريد القراءة «لايَحسِبَنَّ». ولايلزم من النهي وقوع المنهي عنه قبل، لأنه يراد به طلب عدم وقوعه أصلًا. وكون الضمير للرسول ﷺ يعني شمول الناس أيضًا، لأن النهي لكل سامع أو قارئ. وكفر: كذّب الله ورسوله. والمعجز: السابق لايلحقه العذاب ولايدركه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويفوتونا: يهربوا ويفروا من عذابنا. والمأوى: المكان الذي يلتجأ إليه. والنار: نار جهنم. وفي هذا تهكم وسخرية. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والشر والضرر. و«هي» يعود على النار، مذموم مرتين: في جنسه «المصير»، وفي اختصاصه هنا.

(٣) روي أن النبي ﷺ بعث غلامًا إلى عمر، وقت الظهيرة، فرآى من عورته ما لايجوز، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا، عن الدخول علينا في هذه الساعات، إلّا بإذن. ثم انطلق إلى الرسول ﷺ، فوجد الآيات ٥٨-٦٠ قد نزلت، فخرّ ساجدًا. الواحدي ص ٣٤٢. ويستأذنكم: يطلب السماح بالدخول عليكم. وملكت أيمانكم: حازتها أيديكم من العبيد والجواري. والأيمان: جمع يمين. وهي اليد اليمنى. ويبلغه: يصل إليه. والحُلم: القدرة على الجماع. وأمر النساء أي: ما يميز الجميلة من غيرها. انظر الآية ٣١. والمرة: المدة من الوقت. والفجر أي: الصبح. وتضعونها: تنزعونها عنكم. والثياب: جمع ثوب، أي: بعضها. والعشاء: مابعد صلاة المغرب. والعورة: اختلال التستر. وبعده أي: بعد المبتدأ. والتقدير: هي أوقاتُ ثلاثِ عورات. وبالنصب يريد القراءة «ثَلاثَ». فالتقدير: أوقاتَ ثلاثِ عورات. وليس عليكم أي: في تمكينهم من الدخول. ولا عليهم أي: في الدخول. والجناح: الذنب. والطوّاف: الذي يمضي ويجيء. ويبين: يوضح ويفصل. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. و«قيل» يعني أن في نَسخ حكم الاستئذان قولين: أحدهما يقرّره ويثبته، والثاني ينفيه ويبين سبب عدم التزامه. وهو الراجح.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

١- ﴿وإذا بَلَغَ الأطفالُ مِنكُمُ﴾ - أيها الأحرار - ﴿**الحُلُمَ فلْيَستأذِنوا**﴾ في جميع الأوقات، ﴿**كما استأذَنَ الَّذينَ مِن قَبلِهم**﴾ أي: الأحرارُ الكبار - ﴿**كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ** ٥٩ - **والقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ**﴾: قعدنَ عن الحَيض والولد لكِبَرهنّ، ﴿**اللاتي لا يَرجُونَ نِكاحًا**﴾، لذلك، ﴿**فلَيسَ عليهِنَّ جُناحٌ أن يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ**﴾ من الجلباب والرداء والقِناع فوق الخِمار، ﴿**غَيرَ مُتَبَرِّجاتٍ**﴾: مُظهرات ﴿**بزينةٍ**﴾ خفيّة كقِلادة وسِوار وخلخال، ﴿**وأن يَستَعفِفْنَ**﴾ بألّا يضعنها ﴿**خيرٌ لَهُنَّ. واللهُ سَميعٌ**﴾ لقولكم، ﴿**عَليمٌ**﴾ ٦٠ بما في قُلوبكم.

٢- ﴿**لَيسَ على الأعمى حَرَجٌ، ولا على الأعرَجِ حَرَجٌ ولا على المَريضِ حَرَجٌ**﴾، في مُؤاكلة مُقابليهم، ﴿**ولا**﴾ حرجَ ﴿**على أنفُسِكُم أن تأكُلوا مِن بُيُوتِكُم**﴾ أي: بُيوت أولادكم، ﴿**أو بُيُوتِ آبائكُم أو بُيُوتِ أُمَّهاتِكُم، أو بُيُوتِ إخوانِكُم أو بُيُوتِ أخَواتِكُم، أو بُيُوتِ أعمامِكُم أو بُيُوتِ عَمّاتِكُم، أو بُيُوتِ أخوالِكُم أو بُيُوتِ خالاتِكُم، أو ما مَلَكتُم مَفاتِحَهُ**﴾ أي: خزنتموه لغيركم، ﴿**أو صَديقِكُم**﴾ وهو مَن صَدَقكم في مودّته - المعنى: يجوز الأكل من بُيوت من ذُكر، وإن لم يحضروا، أي: إذا عُلم رضاهم به - ﴿**لَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ أن تأكُلوا جَميعًا**﴾ أي: مُجتمعين، ﴿**أو أشتاتًا**﴾ أي: مُتفرّقين جمع شتّ. نزل فيمن تحرّج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يُؤاكله يترك الأكل.

٣- ﴿**فإذا دَخَلتُم بُيوتًا**﴾ لكم، لا أهل فيها، ﴿**فسَلِّموا على أنفُسِكُم**﴾ أي: قولوا: «السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالِحينَ» - فإن الملائكة تردّ عليكم - وإن كان بها أهل فسلّموا عليهم ﴿**تَحيّةً**﴾: مصدرُ: حيّا، ﴿**مِن عِندِ اللهِ مُباركةً طَيِّبَةً**﴾ يُثاب عليها. ﴿**كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ**﴾ أي: يُفصّل لكم معالمَ دِينكم، ﴿**لَعَلَّكُم تعقِلُونَ**﴾ ٦١: لكي تفهموا ذلك.

---

(١) بلغه: أدركه وصار فيه. والأطفال: جمع طفل. وهو الصبي الصغير. وفي جميع الأوقات أي: دائمًا، لافي الأوقات الثلاثة المذكورة في تلك الآية. والذين من قبلهم: الذين كانوا بالغين قبلهم، وتبيَّن حكمهم في الآيات ٢٧-٢٩. ويبين: انظر آخر الآية ٥٨. والقواعد: جمع قاعد، أي :المرأة انقطعت عن الحيض والحمل. ولم تؤنث بالتاء لأنها صفة خاصة بالإناث. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. ويرجون: يرغبن. والنكاح: المضاجعة. ولذلك أي: لكبرهن. ويضعن: يخلعن. والجلباب: المِلحفة تستر البدن كله. والزينة: ما يُتزين به. ويستعفف: يطلب العفة بفعل ما هو أجمل. ولايضعنها أي: لاينزعن بعض الثياب. وخير: أفضل. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. وفي هذا تهديد وحث على الصلاح. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة دائمًا.

(٢) روي أن بعض المسلمين كانوا بعد نزول الآية ٢٩ من سورة النساء يتحرجون من مؤاكلة المرضى، والمرضى يتنزهون عن مؤاكلتهم، وأن آخرين كانوا إذا خرجوا من ديارهم، وتركوا مفاتيحها مع أقاربهم، تحرج الأقارب أن يأكلوا مما فيها، فنزلت الآية. تفاسير الطبري ١٨ :١٢٨-١٢٩ والبغوي ٣:٣٥٧ وابن كثير ٣:٢٩٤-٢٩٥ والخازن ٥ :٧٤ والقرطبي ١٢ :٣١٢ والواحدي ص ٣٤٣-٣٤٤ ولباب النقول. والأعمى: الذي لايبصر. والحرج: الإثم. والأعرج: من في رجله عرج. والمريض: من فسدت صحته بعلة. ومقابليهم: الذين يأكلون معهم وهم من الأصحاء. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. وعلى أنفسكم: عليكم أنتم وأمثالكم. والخطاب للمسلمين. وتأكلوا أي: طعامًا أو شرابًا. والبيوت: جمع بيت. وهو مكان الإقامة والسكن. ومن بيوتكم: مما في بيوتكم من الطعام. وفسّرها ببيوت الأولاد لأن بيوتهم من بيوت آبائهم. ويدخل فيها أيضًا بيوت الحفدة. وسقط «أي» مما عدا الأصل والنسخ، في أكثر ما ورد هنا. والآباء: جمع أب. وهو الوالد ومن فوقه من الجدود. والأمهات: جمع أمهة. وهي الوالدة ومن فوقها من الجدات. والإخوان: جمع أخ. وهو الشقيق وغيره. والأخوات: جمع أخت. وهي الشقيقة وغيرها. والأعمام: جمع عم. وهو أخو الأب. والعمات: جمع عمة. وهي أخت الأب. والأخوال: جمع خال. وهو أخو الأم. والخالات: جمع خالة. وهي أخت الأم. وملكته: صار في حوزتك حق التصرف فيه. والمفاتح: جمع مِفتح. وهو الآلة لفتح مايغلق. وخزنته: حفظته من بيت ومال بتكليف أو توكيل. وصديقكم أي: بيوت أصدقائكم. والصديق: واحده صديق أيضًا. ومن ذكر أي: الأصناف الأحد عشر. والجناح: الانصراف عن الحق. والشت: المنفرد. ونزل أي: الحكم الأخير «ليس عليكم جناح». فهو اعتراض لبيان حكم آخر، من جنس ماقبله. وفي الوجيز أن الحكم متصل بما قبله، رخصة بالتفرق والاجتماع، وإن كان ثمة مريض وغيره فالجملة بدل من نظيرتها قبل. وفي النسختين: نزلت.

(٣) دخلتم: بدأتم بالدخول. وجعل المحلي «بيوتًا» للمخاطبين بقوله «لكم»، لأن بيوت الغير وردت في الآية ٢٧. والتعميم هنا أَولى - وهو ما عليه جمهور المفسرين - لورود ذكر بيوت الآخرين في الآية هذه. ولا أهل فيها أي: خالية من السكان. وفيما عدا الأصل وخ: «لاأهل بها». وسلموا: ادعوا بالسلامة من كل بلاء وضرر. وتحية: دعاء بالخير. ومن عنده أي: بأمره وحكمته. و«يثاب عليها»: تفسير لِـ«مباركة» أي: التي يرجى بها دوام الخير والثواب. والطيبة: التي تطيب بها نفس السامع وتطمئن.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

١- ﴿**إنّما المُؤمِنونَ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، وإذا كانُوا مَعَهُ**﴾ أي: الرسولِ ﴿**على أمرٍ جامِعٍ**﴾، كخطبة الجُمعة، ﴿**لَم يَذهَبُوا**﴾ لعُروض عُذر لهم ﴿**حَتّى يَستأذِنُوهُ. إنَّ الّذِينَ يَستأذِنُونَكَ أُولئكَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ باللهِ ورَسُولِهِ. فإذا استأذَنُوك لِبَعضِ شأنِهِم**﴾: أمرهم ﴿**فائذَنْ لِمَن شِئتَ مِنهُم**﴾ بالانصراف، ﴿**واستَغفِرْ لَهُمُ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٦٢.

٢- ﴿**لا تَجعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَينَكُم كَدُعاءِ بَعضِكُم بَعضًا**﴾، بأن تقولوا: يا مُحمّد. بل قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله. في لِينٍ وتواضعٍ وخفض صوت. ﴿**قد يَعلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسلَّلُونَ مِنكُم لِواذًا**﴾ أي: يخرجون من المسجد، في الخُطبة من غير استئذان خُفيةً مستترين بشيء. وقد: للتحقيق. ﴿**فلْيَحذَرِ الّذِينَ يُخالِفُونَ عَن أمرِهِ**﴾ أي: اللهِ أو رسوله ﴿**أن تُصِيبَهُم فِتنةٌ**﴾: بلاء، ﴿**أو يُصِيبَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٦٣ في الآخرة.

٣- ﴿**ألا إنَّ للهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ مُلكًا وعبيدًا وخلقًا. ﴿**قد يَعلَمُ ما أنتُم**﴾ - أيها المُكلّفون - ﴿**عَلَيهِ**﴾ من الإيمان والنفاق. ﴿**و**﴾ يعلم ﴿**يومَ يُرجَعُونَ إلَيهِ**﴾ - فيه التفات عن الخِطاب - أي: متى يكون، ﴿**فيُنَبِّئُهُم**﴾ فيه ﴿**بما عَمِلُوا**﴾، من الخير والشرّ. ﴿**واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ**﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٦٤.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

سورة الفُرقان

٤- مكية إلّا «والذين لا يدعون مع الله إلَهًا آخر» إلى «رحيمًا» فمدني، وهي سبع وسبعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٥- ﴿**تَبارَكَ**﴾: تعالى ﴿**الّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ**﴾: القرآن، لأنه فرق بين الحقّ والباطل، ﴿**على عَبدِهِ**﴾: مُحمّد، ﴿**لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ**﴾ أي: الإنس والجنّ ﴿**نَذِيرًا**﴾ ١: مُخوّفًا من عذاب الله، ﴿**الّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ولَم يَتَّخِذْ وَلَدًا ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ، وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ**﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿**فقَدَّرَهُ تَقدِيرًا**﴾ ٢: سوّاه تسوية، ﴿**واتَّخَذُوا**﴾ أي: الكُفّار ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿**آلِهةً**﴾ هي الأصنام، ﴿**لا يَخلُقُونَ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ، ولا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم ضَرًّا**﴾ أي: دَفْعَه ﴿**ولا نَفعًا**﴾ أي: جَرَّه، ﴿**ولا يَملِكُونَ مَوتًا ولا حَياةً**﴾ أي: إماتة لأحد وإحياء لأحد، ﴿**ولا نُشُورًا**﴾ ٣ أي: بعثًا للأموات.

---

(١) في لباب النقول أن المنافقين كانوا يتسللون، بدون إذن في غزوة الخندق، وبعضَ المسلمين يستأذن للضرورة القصوى، يقضيها ويعود، وآخرين ينادون النبي ﷺ باسمه أو كنيته، فنزلت الآيات ٦٢-٦٤. والمؤمن: الكامل الإيمان. والأمر: الشأن والحال. وجامع أي: سبَّبَ جمعهم. ويذهب: يغادر مكان الاجتماع. ويستأذن: يطلب السماح بالذهاب. وشئت: أردت الإذن له. واستغفر: اطلب ستر الذنوب والعفو عنها، لأن الخروج باستئذان أيضًا تقصير عن حضور الجماعة. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة للمؤمنين. (٢) تجعلوا: تصيّروا. ودعاؤه: نداؤه. وبعضكم: الواحد منكم أو الأكثر. ويَعلمهم: علمهم، أي: أحاط بأمرهم وعملهم. ومنكم: من جماعتكم. وفي الخطبة أي: وغيرها مما تجتمعون له. و«مستترين»: تفسير لـ «لواذًا». خ: «متسترين». وكون «قد»: للتحقيق، في الآيتين، يقتضي أن المضارع بعدها بمعنى الماضي، وعُبِّرَ عنه بالمضارع للدلالة على الاستمرار حينذاك. ويحذر: يتوقَّى. وهو في الظاهر لتجنب الفتنة والعذاب، وحقيقته لتجنب العصيان المسبِّب لهما. ويخالف: يُعرِض ويصد. والأمر: طلب الفعل. وتصيبه: تنزل به. وفي الآخرة أي: والدنيا أيضًا. (٣) السماوات والأرض أي: وما بينهما. وخُصا بالذكر لأنهما منتهى ما يعرفه المخاطبون. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وإيراد المحلي «عبيدًا» بين الملك والخلق، بخلاف ما أُلف من تعبيره، إشعار بأن «ما» هي للعاقل وغير العاقل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ملكًا وخلقًا وعبيدًا». واليوم: الوقت. ويرجع: يرد بالبعث للحساب والجزاء. وإليه: إلى قضائه وحكمه. والتفات أي: إلى الغَيبة في «يُرجعون» وما بعد، ليشمل المعنى جميع البشر. وينبئهم: يخبرهم ليكون الجزاء بعد التذكير والإقرار، أي: يخبرهم بأعمالهم يوم رجوعهم إلى حسابه. والفاء: حرف زائد لتوكيد تعلق الفعل بمعموله «يوم» قبله. وهذا أولى مما ذكره المحلي جريًا على قول المعربين، وأنسب للوقف التام بعد «عليه» الوارد في ص ٨٠٢ من إيضاح الوقف والابتداء. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. وفي هذا تهديد ووعيد للردع، والحث على الطاعة والإخلاص. (٤) مدني: يعني الآيات ٦٨-٧٠. (٥) تعالى: ترفع وتسامى عما سواه، في ذاته وصفاته وأفعاله. ونزله: أوحى به مفرَّقًا مفصَّلًا. وصيغة الماضي هنا تفيد ما مضى، وما سيكون من التنزيل أيضًا بعد هذه الآية، حتى يكتمل القرآن الكريم. والعبد: المخلوق المملوك بالقهر والرعاية والتعبد. ويكون: يصير. والعالم: مجموع الجنس من المخلوقات. والمخوّف: المفزّع. والمُلك: الحيازة والقهر والتصرف. والسماوات والأرض أي: وما فيهما وما بينهما وما في غيرهما من مخلوق. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ولم يتخذ: لم يصنع لنفسه ولن يُنزِل أحدًا تلك المنزلة. والشريك: المشارك والمماثل. وخلق: أوجد من العدم. وسواه تسوية: جعله مستويًا تبعًا لما خُلق وميسَّرًا له. واتخذ: جعل. والآلهة: جمع إله. وهو المعبود تقديسًا وطاعة. ويُخلقون: يُصنعون بأيدي الناس. ويملك: يستطيع. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات الشيء وحقيقته. والضر: ما فيه الأذى. ودفعه: منعه. والنفع: ما فيه الخير. وجرّه: جلبه. والإماتة: خلق الموت في الحي. والإحياء: خلق الحياة في الميت.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا
وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ
ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ
عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ
لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ
إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
سَبِيلٗا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ
كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

١- ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ هٰذا﴾ أي: ما القرآنُ ﴿إلّا إفكٌ﴾: كذِبٌ ﴿افتَراهُ﴾ مُحمّد، ﴿وأعانَهُ عليهِ قَومٌ آخَرُونَ﴾. وهم من أهل الكتاب - قال تعالى: ﴿فقَد جاؤُوا ظُلمًا وزُورًا﴾ ٤: كُفرًا وكذبًا، أي: بهما - ﴿وقالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم، جمع أُسطورة بالضم، ﴿اكتَتَبَها﴾: انتسخها من ذلك القوم بغيره. ﴿فهْيَ تُملَى﴾: تُقرأ ﴿علَيهِ﴾ ليحفظها، ﴿بُكْرةً وأصِيلًا﴾ ٥: غُدوة وعشيًّا. قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿قُلْ: أنزَلَهُ الَّذِي يَعلَمُ السِّرَّ﴾: الغيب، ﴿في السَّماواتِ والأرضِ. إنَّهُ كانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين، ﴿رَحِيمًا﴾ ٦ بهم.

٢- ﴿وقالُوا: مالِهٰذا الرَّسُولِ، يأكُلُ الطَّعامَ، ويَمشِي في الأسواقِ؟ لَولا﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ إلَيهِ مَلَكٌ، فيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ٧: يُصدّقه، ﴿أو يُلقَى إلَيهِ كَنزٌ﴾ من السماء يُنفقه، ولا يحتاجُ إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش، ﴿أو تكُونُ لَهُ جَنّةٌ﴾: بُستان، ﴿يأكُلُ مِنها﴾ أي: من ثِمارها فيكتفي بها. وفي قراءة: «نأكُلُ» بالنون أي: نحن، فيكون له مزيّةٌ علينا بها. ﴿وقالَ الظّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين: ﴿إن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إلّا رَجُلًا مَسحُورًا﴾ ٨: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

٣- قال تعالى: ﴿انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثالَ﴾ بالمسحور، والمُحتاج إلى ما يُنفقه وإلى ملَك يقوم معه بالأمر، ﴿فضَلُّوا﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ٩: طريقًا إليه؟ ﴿تبارَكَ﴾: تكاثر خيرُ ﴿الَّذِي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيرًا مِن ذٰلِكَ﴾ الذي قالوه، من الكنز والبُستان، ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يُعطيه إيّاها في الآخرة، ﴿ويَجعَلْ﴾ - بالجزم - ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ ١٠ أيضًا. وفي قراءة بالرفع استئنافًا.

٤- ﴿بَل كَذَّبُوا بالسّاعةِ﴾: القيامة، ﴿وأعتَدْنا لِمَن كَذَّبَ بِالسّاعةِ سَعِيرًا﴾ ١١: نارًا مُستعرة أي مُشتدّة، ﴿إذا رأتْهُم مِن مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظًا﴾: غليانًا كالغضبان، إذا غلى صدره من الغضب، ﴿وزَفِيرًا﴾ ١٢: صوتًا شديدًا، وسماعُ التغيّظ: رؤيته وعِلمه، ﴿وإذا أُلقُوا مِنها مَكانًا ضَيِّقًا﴾ - بالتشديد والتخفيف، بأن يُضيّق عليهم، ومنها: حال من «مكانًا» لأنه في الأصل صفة له - ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مُصفّدين قد قُرنت، أي:

---

(١) كفر: كذّب الله ورسوله. وافتراه: اختلقه وليس وحيًا من عند الله. وأعانه: قدّم له أخبار الأمم وبعض شرائعهم. والآخرون: المغايرون للنبي ﷺ. وأهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. فقد روي أن النضر بن الحارث وآخرين اتهموا النبي ﷺ باقتباس القرآن الكريم من أقوالهم. تفسير القرطبي ١٣:٣. وأيضًا: يعني أن القائلين هم مشركو قريش. وهو أي: القرآن الكريم. والأولون: الأمم الماضية. وانتسخها: طلب كتابتها له. وبغيره أي: بوساطة من يكتب. وغدوة وعشيًا أي: في الأوقات المختلفة. وأنزله: أوحاه وأمر باتباعه. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة. والغيب: ما غاب عن إدراك المخلوقات وحواسهم. وفي السماوات والأرض أي: وفيما سواهما من الكون. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وكان أي: وما يزال دون قيد زماني. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالصفح عن المؤمنين.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. والطعام: ما يؤكل. والأسواق: جمع سوق. وهي ما يكون فيه اجتماع للبيع والشراء. وأنزل: أرسل. والمَلَك: مخلوق نوراني يوليه الله شيئًا من السياسات في الخلق. ويكون: يصير. والنذير: المهدِّد بالانتقام من العاصي. ويلقى: يسقط. والكنز: ما كثر من مال ومعادن ثمينة. ويأكل: يتغذى. والظالم: من يتجاوز الحد. والكفر أشنعه. وتتبعون: تطيعون. ومغلوبًا أي: غلبته الجن وخبلته.

(٣) انظر: تدبّر وتأمل. وضرب: جعل. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الأمر العجيب المخالف للمعقول يذكر للتنادر. وضل: خرج عن الحق. ولايستطيعون سبيلًا: لايجدون وسيلة يهتدون بها إلى التكذيب. وإليه: إلى الطعن في الهدى، وهو يقتضي احتجاجًا معتبرًا، لا اقتراحات شاذة متوهمة. وشاء: أراد عطاءك في الدنيا. وجعل: وهب. والخير: الأفضل. والجنة: الحديقة فيها أشجار ومنازل. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت منازلها. والأنهار: جمع نهر. ولأنه أي: الله تعالى. وإياها أي: الجنات. وفي الأصل: «أن يعطيها له». والقصور: جمع قصر. وهو البيت الرفيع الفخم. وتبارك: انظر الآية ١. وبالرفع يريد القراءة «ويَجعَلُ».

(٤) بل: حرف استئناف معناه الإضراب الإبطالي، لإنكار ما زعموه، أي: ما منعهم من الإيمان أنك بشر تتصرف مثلهم، بل منعهم تكذيبهم بالساعة لما سيلقون فيها. وكذبوا بها: أنكروا مجيئها. وأعتد: هيأ. وفيما عدا الأصل وث: «مسعّرة». ورأتهم أي: رأوها عِيانًا. والمكان: الموضع. وبعيد أي: أقصى ما يمكن أن يُرى منه الشيء. والتغيظ: إظهار الغضب بحركات وأصوات. وألقوا: قذفوا. والضيق: المنضم بعضه إلى بعض. وبالتخفيف يريد القراءة «ضَيْقًا». وحال أي: الجار والمجرور متعلقان بحال مقدمة محذوفة. والمصفد: المشدود الرجلين بالقيد. والأغلال: جمع غُلّ. والتشديد: التضعيف في: مقرّنين. ودعَوه: نادَوه مستغيثين، أي: يا ثبوراه احضر. فهذا أوانك، وأنت أهون علينا مما نحن فيه. وهنالك: في ذلك المكان. واليوم: في هذا الوقت. وادعُوا: اطلبوا. ولعذابكم أي: لأن عذابكم أنواع كثيرة، يحتاج إلى ثبور كثير، فيكون دعاؤكم موافقًا لقدره. وفيما عدا الأصل: «كعذابكم». والصواب من التلخيص والبيضاوي.

سورة الفرقان | الجزء الثامن عشر

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

جُمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال - والتشديد للتكثير - ﴿**دَعَوا هُنالِكَ ثُبورًا**﴾ ١٣ هلاكًا، فيقال لهم: ﴿**لا تدعُوا اليومَ ثُبورًا واحِدًا، وادعُوا ثُبورًا كَثِيرًا**﴾ ١٤ لعذابكم.

١- ﴿**قُلْ: أَذٰلِكَ**﴾ المذكورُ، من الوعيد وصِفة النار، ﴿**خَيرٌ أم جَنَّةُ الخُلدِ الَّتي وُعِدَ**﴾ها ﴿**المُتَّقُونَ، كانَتْ لَهُم**﴾ في عِلمه - تعالى - ﴿**جَزاءً**﴾: ثوابًا ﴿**وَمَصِيرًا**﴾ ١٥: مرجِعًا، ﴿**لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ خالِدِينَ**﴾؟ حالٌ لازمة. ﴿**كانَ**﴾ وعدهم ما ذُكر ﴿**على رَبِّكَ وَعدًا مَسؤُولًا**﴾ ١٦ يسأله مَن وُعد به: «رَبَّنا، وآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ»، أو تسأله لهم الملائكة: «رَبَّنا، وأدخِلْهُم جَنّاتِ عَدنٍ الَّتي وَعَدْتَهُم».

٢- ﴿**ويَومَ نَحشُرُهُم**﴾ - بالنون والتحتانيّة - ﴿**وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه من الملائكة وعِيسى وعُزير والجِنّ، ﴿**فَيَقُولُ**﴾ تعالى - بالتحتانيّة والنون - للمعبودين إثباتًا للحُجّة على العابدين: ﴿**ءَأَنتُم**﴾، بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأخرى وتركِه، ﴿**أضلَلتُم عِبادِي هٰؤُلاءِ**﴾: أوقعتموهم في الضلال، بأمركم إيّاهم بعبادتكم، ﴿**أم هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ**﴾ ١٧: طريقَ الحقّ بأنفسهم؟ ﴿**قالُوا: سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك! ﴿**ما كانَ يَنبَغِي**﴾: يستقيم ﴿**لَنا أن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ**﴾ أي: غيرَك ﴿**مِن أولِياءَ**﴾: مفعولٌ أوّل، ومن: زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني، فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿**ولٰكِن مَتَّعتَهُم وآباءَهُم**﴾ مِن قبلهم، بإطالة العُمر وسَعة الرزق، ﴿**حَتَّى نَسُوا الذِّكرَ**﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقُرآن، ﴿**وكانُوا قَومًا بُورًا**﴾ ١٨: هَلكَى.

٣- قال تعالى: ﴿**فَقَد كَذَّبُوكُم**﴾ أي: كذّب المعبودون العابدين ﴿**بِما تَقُولُونَ**﴾ - بالفَوقانية - أنهم آلهة، ﴿**فما يَستَطِيعُونَ**﴾ - بالتحتانيّة والفَوقانيّة - أي: لا هم ولا أنتم ﴿**صَرفًا**﴾: دفعًا للعذاب عنكم، ﴿**ولا نَصرًا**﴾: منعًا لكم منه. ﴿**ومَن يَظلِمْ**﴾: يُشركْ ﴿**مِنكُم نُذِقْهُ عَذابًا كَبِيرًا**﴾ ١٩: شديدًا في الآخرة.

٤- ﴿**وما أرسَلْنا قَبلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ إلا إنَّهُم لَيَأكُلُونَ الطَّعامَ، ويَمشُونَ في الأسواقِ**﴾ - فأنت مِثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مِثلُ ما قيل لك - ﴿**وجَعَلْنا بَعضَكُم لِبَعضٍ فِتنَةً**﴾: بليّة ابتُلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كُلّ: مالي لا أكون كالأوّل في كلّ - ﴿**أتَصبِرُونَ**﴾ على ما تسمعون ممّن ابتُليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا - ﴿**وكانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ ٢٠ بمن يصبر وبمن يجزع.

---

(١) خير: أفضل. والجنة: الحديقة العظيمة. والخلد: البقاء أبدًا. ووعدها: بُشِّرَ بها. والمتقي: الذي يخاف الله ويطلب رضاه بالامتثال للأمر والنهي. وفي علمه أي: هي مقدرة محققة. والمرجع: المسكن والمستقر. وما يشاء: ما يريد من النعيم. ولازمة: ثابتة فيهم. وعلى ربك: بسبب الوعد أوجبه على نفسه. والمسؤول: المطلوب تحقيقه.

(٢) اليوم: الوقت. ونحشرهم: نخرج المشركين والنصارى واليهود من قبورهم، ونجمعهم للحساب. والتحتانية يريد القراءة «يَحشُرُهم». وكذلك فيما يلي قراءة «فيَقُولُ» و«فنَقُولُ». فهي قراءات ثلاث: بالياء في الأول والثاني، وبالنون فيهما، وبالنون في الأول مع الياء في الثاني. ويعبدون: يقدسون ويطيعون. وإثباتًا للحجة: تقريرًا للمعبودين، ليقرّوا بكذب المشركين، ويثبتوا عليهم الافتراء بحجة صريحة، ويبرؤوا أنفسهم مما ادُّعي عليهم. وتركه أي: ترك الألف وعدم إدخالها بين المسهلة والمحققة. وهو يعني أربع قراءات: التي أثبتناها، و«آنتم» بإبدال الثانية ألفًا، و«ءَآنتم» بجعل الهمزة الثانية بينَ بينِ مع ألف زائدة قبلها، و«أَأنتم» بدون ألف مزيدة. والضلال: الخروج عن طريق الإيمان. والعباد: جمع عبد. وفي قولهم «سبحانك» تعجب مما نُسب إليهم واتُّهموا به. ونتخذ: نجعل. والأولياء: جمع ولي. وهو المعبود. وزيادة «من» هنا للتنصيص على عموم النفي مع تأكيد النفي. وما قبله الثاني: يعني مايتعلق به «من دون» هو المفعول الثاني. ومتعتهم: أنعمت عليهم بلذائذ الحياة. والآباء: جمع أب. وهو الوالد ومافوقه من الجدود. والذكر: تذكر أدلة التوحيد للعظة والإيمان. وكانوا: صاروا. والبور: الهلاك.

(٣) كذبوكم: أنكروا عليكم ادعاءكم. وبما تقولون أي: في قولكم. ويستطيعه: يقدر عليه. والتحتانية: الياء. والفوقانية يريد القراءة «فما تَستَطِيعُونَ». والخطاب للعابدين المشركين. ويظلم: يضع الشيء في غير موضعه بعبادة المخلوقات. والخطاب فيه للمكلفين جميعًا. ونذيقه: نُنزل به. وفي الآخرة أي: وفي الدنيا أيضًا.

(٤) انظر الآية ٧. وأرسلناه: بعثناه بالعقيدة والشريعة للعمل والتبليغ. وجعل: صيّر. وفتنة أي: امتحانًا، ليظهر المصلح من المفسد. وتصبر: تحبس نفسك عن الضجر. وكان أي: ولايزال دون قيد زماني. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والبصير: العالم المحيط بكل شيء.

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

١- ﴿وقالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾: لا يخافون البعث: ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ علَينا المَلائكةُ﴾، فكانوا رُسلًا إلينا، ﴿أو نَرَى رَبَّنا﴾ فيُخبِرَنا بأنّ مُحمّدًا رسوله. قال تعالى: ﴿لَقَدِ استَكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿في﴾ شأن ﴿أنفُسِهِم، وعَتَوا﴾: طغَوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ٢١ بطلبهم رُؤية الله - تعالى - في الدنيا. و«عُتُوًّا» بالواو على أصله، بخِلاف «عُتِيّ» بالإبدال في «مريم». ﴿يَومَ يَرَونَ المَلائكةَ﴾ في جُملة الخلائق - هو يوم القيامة ونصبُه بـ «اذكرْ» مُقدّرًا - ﴿لا بُشرَى يَومَئذٍ لِلمُجرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخِلاف المؤمنين فلهم البُشرى بالجنّة، ﴿ويَقُولُونَ: حِجرًا مَحجُورًا﴾ ٢٢، على عادتهم في الدنيا، إذا نزلت بهم شِدّة، أي: عَوذًا مُعاذًا، يستعيذون من الملائكة.

٢- قال تعالى: ﴿وقَدِمْنا﴾: عمَدنا ﴿إلَى ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ﴾ من الخير، كصدقة وصِلة رحم وقِرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا، ﴿فجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا﴾ ٢٣ - هو ما يُرى في الكُوَى التي عليها الشمس كالغُبار المُفرّق - أي: مِثلَه في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويُجازَون عليه في الدنيا. ﴿أصحابُ الجَنّةِ يَومَئذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿خَيرٌ مُستَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا، ﴿وأحسَنُ مَقِيلًا﴾ ٢٤ منهم، أي: موضعَ قائلة فيها. وهي الاستراحة نِصف النهار في الحرّ. وأُخذ من ذلك انقضاءُ الحِساب في نِصف نهار، كما ورد في حديث.

٣- ﴿ويَومَ تَشَقَّقُ السَّماءُ﴾ أي: كُلّ سماء، ﴿بِالغَمامِ﴾ أي معه - وهو غيم أبيض - ﴿ونُزِّلَ المَلائكةُ﴾ من كُلّ سماء ﴿تنزِيلًا﴾ ٢٥ هو يوم القيامة - ونصبُه بـ «اذكرْ» مُقدّرًا. وفي قراءة بتشديد شين «تَشَّقَّقُ» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أُخرى: «نُنْزِلُ» بنونينِ الثانيةُ ساكنة وضمِّ اللام ونصبِ «الملائكةَ» - ﴿المُلكُ يَومَئذٍ الحَقُّ لِلرَّحمٰنِ﴾ لا يَشركه فيه أحد، ﴿وكانَ﴾ اليومُ ﴿يَومًا علَى الكافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ٢٦: شديدًا بخلاف المؤمنين.

٤- ﴿ويَومَ يَعَضُّ الظّالِمُ﴾ المُشرك: عُقبة بن أبي مُعيط، كان نطق بالشهادتين ثمّ رجع إرضاءً لأُبَيّ بن خلف، ﴿علَى يَدَيهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا في يوم القيامة، ﴿يَقُولُ: يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ مُحمّدٍ ﴿سَبِيلًا﴾ ٢٧: طريقًا إلى الهُدى. ﴿يا وَيلَتا﴾ - ألِفُه عِوض عن ياء الإضافة - أي: ويلتي ومعناه: هَلكتي، ﴿لَيتَنِي لَم أتَّخِذْ فُلانًا﴾ أي: أُبيًّا ﴿خَلِيلًا﴾ ٢٨. ﴿لَقَد أضَلَّنِي عَنِ الذِّكرِ﴾ أي: القُرآنِ، ﴿بعدَ إذ جاءَنِي﴾ بأن ردّني عن الإيمان به. قال تعالى: ﴿وكانَ الشَّيطانُ لِلإنسانِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ ٢٩، بأن يتركه ويتبرّأ منه عِند البلاء.

٥- ﴿وقالَ الرَّسُولُ﴾ مُحمّد: ﴿يا رَبِّ، إنَّ قَومِيَ﴾ قُريشًا ﴿اتَّخَذُوا هٰذا القُرآنَ مَهجُورًا﴾ ٣٠: متروكًا. قال تعالى: ﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدوًّا من مُشركي قومك، ﴿جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلَك ﴿عَدُوًّا مِنَ المُجرِمِينَ﴾: المُشركين - فاصبر كما صبروا - ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ هادِيًا﴾ لك، ﴿ونَصِيرًا﴾ ٣١: ناصرًا لك على أعدائك!

٦- ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا﴾: هلّا ﴿نُزِّلَ علَيهِ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً﴾، كالتوراة والإنجيل والزبور. قال تعالى: نزّلناه ﴿كَذٰلِكَ﴾ مُتفرّقًا،

---

(١) لقاؤنا: الوصول إلى حسابنا بالبعث. وأُنزل: أُرسل. والملائكة: جمع مَلَك. ونرى: نبصر عِيانًا. والأنفس: جمع نفس، أي: حقيقة الإنسان وذاته. والكبير: العظيم المبالَغ فيه. وفي مريم أي: في الآيتين ٨ و٦٩. والبشرى: التبليغ بالخير. ويومئذ: يوم إذْ يرون الملائكة. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وعزم. ويقولون أي: المجرمون. والحِجر: الاستعاذة والامتناع من الشر. والمعنى: حرامًا عليكم التعرضُ لنا، اتركونا. (٢) عمدنا: قصدنا. وعمل: اكتسب وتحمل. والعمل: ما كان من نية أو قول أو فعل. وجعل: صيّر. والكوى: جمع كوة. وهي النافذة الصغيرة. وعليها الشمس أي: يمر منها ضوءُها. ولعدم شرطه أي: لأنه لم يرافق شرط نفع العمل في الآخرة. وهو الإيمان والتوحيد. والأصحاب: جمع صاحب. والجنة: الحديقة العظيمة. ويومئذ: يوم إذْ يستقرون فيها. وخير: أفضل. والمستقر: مكان الاستقرار. وأحسن: أكثر جمالًا. ونصف نهار: انظر «المفصل». (٣) اليوم: الوقت. وتشقق: تتقطع. والسماء: مايحيط بالأرض من الأكوان العليا. ونزلوا: أُنزل بعضهم وراء بعض. والمُلك: الحيازة والتصرف في الأمور. ويومئذ: يوم إذْ تشقق السماء. والحق: الثابت. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وكان أي: سيكون. والكافر: المكذب لله ورسوله. (٤) يعض: يضغط بأسنانه. وقُتل عقبة يوم بدر، وقَتل النبي ﷺ أُبيَّ بن خلف مبارزة يوم أحد. واتخذت: سلكت. وأتخذ: أجعل. والخليل: الصديق المطاع. وأضلني: كان سبب انصرافي. وجاءني: وصل إليّ الذكر. وكان أي: ومايزال. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس والجن. والإنسان: البشر. والخذول: مَن يتخلى عن غيره . (٥) اتخذوا: جعلوا. وجعل: صيّر. والنبي: من بعثه الله للهداية إلى التوحيد والشريعة مع العمل. والعدو: المعادي. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والإغناء عن معونة الآخرين. والهادي: المرشد إلى الحق. والنصير: المؤيد والمعين. (٦) انظر سبب النزول في المفصل. ونُزل: أُوحي. وجملة: دُفعة مجتمعة الأجزاء. وذلك أي: التفريق. ويأتونك: يجابهونك. والمثل: العجيب من الأسئلة والاعتراضات. وجئناك به: أوحيناه إليك. والحق: القول الثابت الصادق. والأحسن: الأكثر وضوحًا وكمالًا. والوجوه: جمع وجه. وشر: أكثر ضررًا. والمكان: موضع الإقامة الاستقرار.

الجزء التاسع عشر سورة الفرقان

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾: نُقوّيَ قلبك، ﴿**ورَتَّلْناهُ تَرتيلًا**﴾ ٣٢ أي: أتينا به شيئًا بعد شيء بتمهّل وتُؤدة، لتيسير فهمه وحفظه، ﴿**ولا يأتُونَكَ بِمَثَلٍ**﴾، في إبطال أمرك، ﴿**إلّا جِئناكَ بالحَقِّ**﴾ الدافع له، ﴿**وأحسَنَ تفسيرًا**﴾ ٣٣: بيانًا. هم ﴿**الّذِينَ يُحشَرُونَ على وُجُوهِهِم**﴾ أي: يُساقون ﴿**إلى جَهَنَّمَ. أُولئِكَ شَرٌّ مَكانًا**﴾، هو جهنّم، ﴿**وأضَلُّ سَبِيلًا**﴾ ٣٤: أخطأُ طريقًا من غيرهم. وهو كُفرهم.

١- ﴿**ولَقد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**وجَعَلْنا مَعَهُ أخاهُ هارُونَ وَزِيرًا**﴾ ٣٥: مُعينًا، ﴿**فَقُلنا: اذهَبا إلَى القَومِ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا**﴾، أي: القِبطِ فِرعونَ وقومِه. فذهبا إليهم بالرسالة فكذّبوهما، ﴿**فدَمَّرْناهُم تدميرًا**﴾ ٣٦: أهلكناهم إهلاكًا.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**قَومَ نُوحٍ، لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ**﴾، بتكذيبهم نوحًا لطول لَبثه فيهم، فكأنه رُسل، أو لأنّ تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، ﴿**أغرَقْناهُم**﴾: جواب «لمّا»، ﴿**وجَعَلْناهُم لِلنّاسِ**﴾ بعدهم ﴿**آيَةً**﴾: عِبرة، ﴿**وأعتَدْنا**﴾ في الآخرة ﴿**لِلظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**عَذابًا ألِيمًا**﴾ ٣٧: مُؤلمًا، سِوى ما يحُلّ بهم في الدنيا، ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**عادًا**﴾ قومَ هودٍ، ﴿**وثَمُودًا**﴾ قومَ صالح، ﴿**وأصحابَ الرَّسِّ**﴾ اسمُ بئر - ونبيّهم قيل: شُعيب، وقيل: غيره - كانوا قُعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، ﴿**وقُرُونًا**﴾: أقوامًا ﴿**بَينَ ذلِكَ كَثِيرًا**﴾ ٣٨ أي: بين عاد وأصحاب الرسّ.

٣- ﴿**وكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الأمثالَ**﴾، في إقامة الحُجّة عليهم، فلم نُهلكهم إلّا بعد الإنذار، ﴿**وكُلًّا تَبَّرْنا تَتبِيرًا**﴾ ٣٩: أهلكنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم. ﴿**ولَقد أتَوا**﴾ أي: مرَّ كُفّار مكّة ﴿**على القَرْيَةِ الّتي أُمطِرَتْ مَطَرَ السَّوءِ**﴾: مصدرُ ساءَ، أي: بالحجارةِ. وهي عُظمَى قُرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها لفِعلهم الفاحشة. ﴿**أفلَم يَكُونُوا يَرَونَها**﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير. ﴿**بَل كانُوا لا يَرجُونَ**﴾: يخافونَ ﴿**نُشُورًا**﴾ ٤٠: بعثًا فلا يُؤمنون.

٤- ﴿**وإذا رأوكَ إنْ**﴾: ما ﴿**يَتّخِذُونَكَ إلّا هُزُوًا**﴾: مهزوءًا به، يقولون: ﴿**أهٰذا الّذي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا**﴾ ٤١ في دعواه، محتقرين له عن الرسالة؟ ﴿**إنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿**كادَ لَيُضِلُّنا**﴾: ليَصرفنا ﴿**عَن آلِهتِنا، لَولا أن صَبَرْنا علَيها**﴾ لصرفَنا عنها. قال تعالى: ﴿**وسَوفَ يَعلَمُونَ، حِينَ يَرَونَ العَذابَ**﴾ عِيانًا في الآخرة: ﴿**مَن أضَلُّ سَبِيلًا**﴾ ٤٢: أخطأُ طريقًا؟ أهم أم المؤمنون؟

٥- ﴿**أرَأيتَ**﴾: أخبِرْني ﴿**مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَواهُ**﴾ أي: مَهوِيَّه؟ قُدّم المفعول الثاني لأنه أهمّ، وجملة من اتخذ: مفعول أول لـ «رأيت»، والثاني:

---

(١) آتيناه: أعطيناه. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وجعلنا: صيرنا. وكان هارون نبيًّا أيضًا. واذهبا إليهم: اقصداهم في مجالسهم. والقوم: الجماعة من الناس يعيش المرء بينهم. وكذّبوا بها: أنكروها ولم يعتبروا بها. والآية: ماخلقه الله وفيه الدلالة على التوحيد والبعث. والقبط: سكان مصر من العرب حينذاك.

(٢) نوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس. والرسل: جمع رسول. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالماء. وجعلناهم: صيّرنا إغراقهم. وأعتدنا: هيأنا. والعذاب: التعذيب. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه. وعاد وثمود من العرب العاربة قبل الميلاد بآلاف السنين والآلاف. وفيما عدا الأصل والنسخ والفتوحات والصاوي: «وثَمُودَ». وأصحابه: أهله المقيمون حوله. وشُعيب: نبي من العرب كان في مَدْيَنَ وما حولها أيام موسى. والقعود: جمع قاعد. والقرون: جمع قرن. وهو مائة سنة. فالمراد: أهل تلك القرون. وكثيرًا انظر «المفصل».

(٣) كلًّا: كلَّ مَن مضى من المهلَكين. وضربنا: أوضحنا. والأمثال: جمع مَثَل. وهوالقصة العجيبة تشبه حال من تُذكر له عظة وإرشادًا. والتتبير: التفتيت. والقرية: البلدة. وأمطرت مطر السوء أي: جُزيتْ رميَ حجارة من سجِّيل. والسوء: ما يُكرَه ويَضر. والعظمى: الأكثر ضخامة وسعة. وهي مدينة سدوم، كان لقوم لوط معها أربع مدن قرب حمص. ولوط: نبي في عهد عمه إبراهيم. والفاحشة: العمل الشنيع. وهو اللِّواط. ويرونها: يبصرون آثارها عِيانًا. وكانوا أي: ومازالوا.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. ورأوك: أبصروك. ويتخذ: يجعل. والهزء: السخرية. وفي المنحة: «هزوًا». وبعث: أرسله ليبلغ دعوته. وكاد: قارب. وليصرفنا: ليصدنا. وفيما عدا خ: «يصرفنا». والآلهة: جمع إله. وهو ما يعبد ويطاع. وصبرنا: تجلدنا وتحملنا. وعليها: على عبادتها. ويعلم: يدري باليقين.

(٥) قيل: إن الآية نزلت في الحارث بن قيس السهمي، كان يعبد ما تهواه نفسه. البحر ٦:٥٠١. واتخذ: جعل. وإلٰه هو المعبود المطاع. والمهويّ: ما يهواه الإنسان. وقول المحلي «وجملة من اتخذ» سهو، كأنه توهم أن «من» اسم استفهام مبتدأ خبره جملة: اتخذ. ومن: اسم موصول. وهو المفعول. و«لا» يعني أن التقدير: لستَ وكيلًا عليه. ففوّض أمره إلينا، ولا يَحزنك كفره. وتحسب: تظن. وأكثرهم: أكثر من اتخذك هزوًّا وعبد هواه. وإنما خُص الأكثر لأن البعض آمَنَ، وآخرين كانوا يعقلون الحق، ولايتبعونه مكابرة وخوفًا على الرياسة. ويعقل: يدرك ويتدبر. والأنعام: جمع نعم. وهو الإبل والبقر والغنم.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿أفأنتَ تكونُ عليهِ وَكيلًا﴾ ٤٣: حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا. **﴿أم تَحسِبُ أنَّ أكثرَهم يسمعُونَ﴾** سماعَ تفهّم، **﴿أو يعقِلُونَ﴾** ما تقول لهم؟ **﴿إنْ﴾**: ما **﴿هُم إلّا كالأنعام، بَل هُم أضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٤**: أخطأُ طريقًا منها، لأنها تنقاد لمن يتعهّدها، وهم لا يُطيعون مولاهم المُنعِمَ عليهم.

١ - **﴿ألَم تَرَ﴾**: تنظرْ **﴿إلى﴾** فِعلِ **﴿رَبِّكَ، كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾** من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس، **﴿ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا﴾**: مُقيمًا لا يزول بطلوع الشمس، **﴿ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمسَ عليه﴾** أي: الظلّ **﴿دَلِيلًا﴾ ٤٥** - فلولا الشمس ما عُرف الظلّ - **﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ﴾** أي: الظلَّ الممدود **﴿إلينا قَبضًا يَسِيرًا﴾ ٤٦**: خفيًّا بطُلوع الشمس؟ **﴿وهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِباسًا﴾**: ساترًا كاللباس، **﴿والنَّومَ سُباتًا﴾**: راحة للأبدان بقطع الأعمال، **﴿وجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا﴾ ٤٧**: منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

ربع الحزب ٣٧

٢ - **﴿وهُوَ الَّذي أرسَلَ الرِّياحَ﴾**، وفي قراءة: «الرِّيحَ»، **﴿نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحمتِهِ﴾**: مُتفرقةً قُدّامَ المطر - وفي قراءة بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحّدة بدلَ النون أي: مُبشّراتٍ. ومُفرد الأولى: نَشُورٌ كرسول، والأخيرة: بَشيرٌ - **﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا﴾ ٤٨**: مُطهِّرًا، **﴿لِنُحيِيَ بِهِ بَلْدةً مَيْتًا﴾** - بالتخفيف يستوي فيه المُذكّر والمُؤنّث - **﴿ونُسقِيَهُ﴾** أي: الماءَ **﴿مِمّا خَلَقْنا أنعامًا﴾**: إبلًا وبقرًا وغنمًا، **﴿وأناسِيَّ كَثيرًا﴾ ٤٩**: جمع إنسان. وأصله «أناسِينُ» فأُبدلت النون ياء وأُدغمت فيها الياء. أو جمع إنسيّ.

٣- **﴿ولَقَد صَرَّفْناهُ﴾** أي: الماءَ **﴿بَينَهُم لِيَذَّكَّرُوا﴾** - أصله «يَتَذَكَّرُوا» أُدغمت التاء في الذال. وفي قراءة: «لِيَذْكُرُوا» بسكون الذال وضمّ الكاف - أي: نعمةَ الله به، **﴿فأبَى أكثَرُ النّاسِ إلّا كُفُورًا﴾ ٥٠**: جُحودًا للنعمة، حيثُ قالوا: مُطرنا بنَوء كذا. **﴿ولَو شِئنا لَبَعَثْنا في كُلِّ قَريةٍ نَذيرًا﴾ ٥١** يُخوِّف أهلها. ولكن بعثناك إلى أهل القُرى كُلّها نذيرًا، ليعظُم أجرك. **﴿فلا تُطِعِ الكافِرِينَ﴾** في هواهم، **﴿وجاهِدْهُم بِهِ﴾** أي: بالقُرآنِ **﴿جِهادًا كَبيرًا﴾ ٥٢**.

٤- **﴿وهُوَ الَّذي مَرَجَ البَحرَينِ﴾**: أرسلهما مُتجاورين، **﴿هٰذا عَذبٌ فُراتٌ﴾**: شديد العُذوبة، **﴿وهٰذا مِلحٌ أُجاجٌ﴾**: شديد المُلوحة، **﴿وجَعَلَ بَينَهُما بَرزَخًا﴾**: حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر، **﴿وحِجرًا مَحجُورًا﴾ ٥٣** أي: سِترًا ممنوعًا به اختلاطهما، **﴿وهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرًا﴾**: من المنيّ إنسانًا، **﴿فجَعَلَهُ نَسَبًا﴾**: ذا نسب **﴿وصِهرًا﴾**: ذا صِهر، بأن يتزوّج ذكرًا كان أو أُنثى طلبًا للتناسل. **﴿وكانَ رَبُّكَ قَديرًا﴾ ٥٤**: قادرًا على ما يشاء. **﴿ويَعبُدُونَ﴾** أي: الكُفّارُ **﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُهُم﴾** بِعبادته، **﴿ولا يَضُرُّهُم﴾** بتركها - وهو الأصنام - **﴿وكانَ الكافِرُ على رَبِّهِ ظَهيرًا﴾ ٥٥**: مُعينًا للشيطان بطاعته.

---

(١) الظل: ما كان بين الظلمة والنور وقت صلاة الصبح. ومده: وسّعه. وشاء: أراد تثبيته. وجعل: صيّر. والدليل: المرشد. وقبضناه: محوناه. وخفيًا أي: ببطء تبعًا لتدرج طلوع الشمس. والنوم: راحة البدن والعقل بغياب الإرادة والوعي. والسبات: القطع، أي: السكون به تكون راحة النفوس والأبدان. والنشور: الإحياء واليقظة.

(٢) أرسل: أطلق. والرياح: جمع ريح. وهي الهواء المتحرك. وبين يديها: أمامها وقبلها. والرحمة: العطف بالإحسان. والموحدة: الباء. يريد قراءات ثلاثًا غير ما أثبتناه، أُولاها «نُشْرًا»، والثانية «نَشْرًا»، والثالثة «بُشْرًا». وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والبلدة: الأرض. والميت :الهامدة لانبات فيها. والتخفيف: عدم تشديد الياء. ونسقيه: نروّي به. وخلقنا أي: أنشأناه. والأناسي: البشر.

(٣) صرفناه: فرّقناه في البلاد والأوقات والأحوال المختلفة. ويذّكّروا: يستحضروا النعمة في أنفسهم، ويشكروا منعمها على رحمته بالقلب واللسان والعمل. وأبى: امتنع. ومُطرنا أي: أن نزول المطر سببه نوءٌ معيَّن، لا أمرُ الله ورحمته. والنوء: يكون كلَّ ثلاثةَ عشرَ يومًا، حين يسقط نجم في المغرب مع الفجر، ويطلع رقيبه - وهو نجم آخر يقابله - في المشرق. وشئنا: أردنا بعث النذر في جميع القرى. وبعثناهم: أرسلناهم في زمانك، ليكونوا معاونين لك. والقرية: البلدة. والنذير: المهدد بالعذاب للكافرين. ولاتطعهم: تصبّر واثبُت على مخالفتهم والدعوة المكلف بها. وجاهد: ابذل أقصى قدرتك. والكبير: العظيم لامثيل له.

(٤) البحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. وأرسلهما: خلّى بينهما. وعذب: ماؤه مستلذ. وملح: ماؤه مالح. وجعل: خلق. وحاجزًا: فاصلًا ملموسًا من الأرض. والحجر: التنافر كالستر الحائل بين الشيئين. وهو غير ملموس، نحو ما في بحر واحد يفصل بين نوعين متدافعين من المياه. وخلق: أنشأ. وجعل: صيّر. وذو النسب: الذكر تُنسب إليه القرابة. وذو الصهر: الأنثى ذات الصهر تكون قرابتها لذات مَحرم أو ذي مَحرم. والقدير: البالغ القدرة على مايشاء. ويعبد: يقدس ويطيع. وعلى ربه: على عصيان الله.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

١- ﴿**وما أرسلناكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**إلّا مُبشّرًا**﴾ بالجنّة، ﴿**ونَذيرًا**﴾ ٥٦: مُخوّفًا من النار. ﴿**قُلْ: ما أسألُكم عليهِ**﴾: على تبليغ ما أُرسلت به ﴿**مِن أجرٍ. إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن شاءَ أن يَتّخِذَ إلى ربِّهِ سَبيلًا**﴾ ٥٧: طريقًا بإنفاق ماله في مرضاته - تعالى - فلا أمنعه من ذلك. ﴿**وتَوَكَّلْ على الحيِّ الّذي لا يَموتُ، وسَبِّحْ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بحمدِهِ**﴾ أي قل: سُبحان الله والحمد لله. ﴿**وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبيرًا**﴾ ٥٨: عالمًا! تعلّق به «بذنوب».

سجدة

٢- هو ﴿**الّذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ وما بينَهُما، في سِتّةِ أيّامٍ**﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر - ولو شاء لَخلقهنّ في لمحة. والعُدول عنه لتعليم خلقه التثبّتَ - ﴿**ثُمّ استوَى على العَرشِ**﴾ هو في اللغة سرير الملك، ﴿**الرَّحمٰنُ**﴾: بدل من ضمير «استوى» أي: استواءً يليق به. ﴿**فاسألْ**﴾ - أيها الإنسان - ﴿**بِهِ**﴾: بالرحمن ﴿**خَبيرًا**﴾ ٥٩ يُخبرك بصفاته. ﴿**وإذا قيلَ لَهُمُ**﴾ لكفّار مكّة: ﴿**اسجُدُوا للرَّحمٰنِ. قالُوا: وما الرَّحمٰنُ؟ أنَسجُدُ لِما تأمُرُنا**﴾ - بالفوقانيّة والتحتانيّة والآمرُ مُحمّد - ولا نعرفه؟ لا. ﴿**وزادَهُم**﴾ هذا القول لهم ﴿**نُفُورًا**﴾ ٦٠ عن الإيمان.

٣- قال تعالى: ﴿**تَبارَكَ**﴾: تعظّم ﴿**الّذي جَعَلَ في السَّماءِ بُرُوجًا**﴾ اثني عشر: الحَمَلَ والثّور والجَوزاء والسَّرطان، والأسد والسُّنبلة والمِيزان والعقرب، والقَوس والجَدْي والدّلو والحُوت - وهي منازل الكواكبِ السبعةِ السيّارة: المِرّيخ وله الحمل والعقرب، والزُّهَرةِ ولها الثور والميزان، وعُطاردٍ وله الجوزاء والسنبلة، والقمرِ وله السرطان، والشمسِ ولها الأسد، والمُشتري وله القوس والحوت، وزُحَلَ وله الجدي والدلو - ﴿**وَجَعَلَ فيها**﴾ أيضًا ﴿**سِراجًا**﴾ هو الشمس، ﴿**وقَمَرًا مُنيرًا**﴾ ٦١ - وفي قراءة: «سُرُجًا» بالجمع، أي: نيراتٍ، وخُصّ القمر منها بالذكر لنوع فضيلة - ﴿**وهُوَ الّذي جَعَلَ اللّيلَ والنّهارَ خِلْفَةً**﴾ أي: يخلف كُلّ منهما الآخَر، ﴿**لِمَن أرادَ أن يَذَّكَّرَ**﴾، بالتشديد والتخفيف كما تقدّم: ما فاته في أحدهما من خير فيفعلَه في الآخَر، ﴿**أو أرادَ شُكُورًا**﴾ ٦٢ أي: شُكرًا لنعمة ربّه عليه فيهما.

٤- ﴿**وعِبادُ الرَّحمٰنِ**﴾ - مُبتدأ ومابعده صِفاتٌ له إلى «أُولئكَ يُجزَونَ الغُرفةَ»، غيرَ المُعترض فيه - ﴿**الّذينَ يَمشُونَ على الأرضِ هَونًا**﴾ أي: بسكينة وتواضع، ﴿**وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ**﴾ بما يكرهونه ﴿**قالُوا سَلامًا**﴾ ٦٣ أي: قولًا يَسلمون فيه من الإثم، ﴿**والّذينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدًا**﴾: جمع ساجد، ﴿**وقِيامًا**﴾ ٦٤ بمعنى: قائمين أي: يُصلّون بالليل، ﴿**والّذينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، اصرِفْ عنّا عَذابَ جَهَنَّمَ. إنَّ عَذابَها كانَ غَرامًا**﴾ ٦٥

(١) أرسلناك: بعثناك بالعقيدة والشريعة مع العمل. والمبشر: المبلغ بالخير. وأسأل: أطلب. وأجر: مكافأة بمال أو جاه. و«لكن» يعني أن الاستثناء منقطع، لأن مشيئة الإنسان ليست من جنس الأجر. وشاء: أراد. ويتخذ: يسلك. وإلى ربه: إلى طاعته. وتوكل عليه: استمر في اعتماد قلبك عليه وحده. والحي: الدائم الوجود. وسبح: نزهْه عن النقصان في ذاته وصفاته وأفعاله. والحمد: الثناء على الفضل بأوصاف الكمال. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والإغناء عما سواه. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية عليها عقاب. والعباد: جمع عبد. وبه أي: بـ «خبيرًا».

(٢) خلق: أوجد من العدم. والسماوات: مايحيط بالأرض من الأكوان العُلوية. وذكر أيام الدنيا غير صحيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف. وثَم أي: في ذلك الوقت. وعنه: عن خلقه ذلك في لمحة. والتثبت: التأني في الأمور. واستوى: علا وارتفع من دون تكييف أو تمثيل أو تعطيل، يدبر ويخلق بقدرته. والعرش: كائن عظيم يحيط بالخلق كله. وهو غير السرير. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. ومن ضمير «استوى» يعني: من الضمير المستتر فيه. ويليق به أي: يخالف ما يعرفه الخلق ويناسب عظمته وجبروته. واسأل: اطلب العلم. وبه أي: عنه. والخبير: العالم باليقين. واسجدوا: خُرّوا على جباهكم ذلة وتقديسًا. انظر «المفصل». وتأمرنا: توجب علينا. والفوقانية: التاء. وبالتحتانية يريد القراءة «يأمُرُنا». و«لا» يعني أن الاستفهام بالهمزة معناه النفي والاستبعاد. وزادهم: أضاف إليهم. والنفور: الابتعاد.

(٣) جعل: خلق. والبروج: جمع بُرج. وهو فلك الكوكب السيّار يدور فيه. والسراج: ما يضيء بنفسه. والمنير: ما يكون له نور منعكس عن غيره. والنيرات: المنيرات. وهي الكواكب السبعة المذكورة قبل، والقمر واحد منها. وذكر الشمس فيها للتغليب. وأراد: قصد. وقراءة التخفيف هنا «يَذْكُرَ». وما تقدم أي: الآية ٥٠. وفيهما أي: في الليل والنهار.

(٤) العباد: جمع عبد. وما بعده أي: الأسماء الموصولة «الذين» الثمانية، في الآيات ٦٢-٧٤، صفات لـ «عباد». والمعترض: الجمل الاعتراضية «ومن يفعل... متابًا». ويمشي: يسير. وخاطبهم: كلمهم. والجاهل: الأحمق المؤذي. ويبيت: يدركه الليل. والقيام: جمع قائم. واصرفه: أبعده. والعذاب: التعذيب. وساءت: بلغت الغاية في الضرر والبؤس. وأنفق: بذل المال. وعلى عيالهم أي: وعلى غيرهم أيضًا. ويسرف: يبذر. ط: «يَقتُرُوا». وبضمه يريد القراءة «يُقْتِرُوا». ووسطًا: مقتصدًا معتدلًا. انظر سبب النزول في المفصل. ويدعون: يعبدون. والآخر: المغاير. والنفس: الإنسان الحي. وحرّمه: جعله محرمًا. والحق: العدل. ويزنون: يستحلون الفروج بدون نكاح مشروع.

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ
أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ
مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا
صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي
لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

أي: لازمًا، ﴿**إنّها ساءَتْ**﴾: بئستْ ﴿**مُستَقَرًّا ومُقامًا**﴾ ٦٦ هي، أي: موضعَ استقرار وإقامة! ﴿**والَّذِينَ إذا أنفَقُوا**﴾ على عِيالهم ﴿**لَم يُسرِفُوا ولَم يَقتِرُوا**﴾ - بفتح أوله وضمّه - أي: لم يُضيّقوا، ﴿**وكانَ**﴾ إنفاقهم ﴿**بَينَ ذٰلِكَ**﴾ الإسرافِ والإقتارِ ﴿**قَوامًا**﴾ ٦٧: وسطًا، ﴿**والَّذِينَ لا يَدعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ، ولا يَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ**﴾ قتلها ﴿**إلّا بالحَقِّ، ولا يَزنُونَ**﴾.

١- ﴿**ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ**﴾ أي: ما ذُكر من الثلاثة ﴿**يَلقَ أثامًا**﴾ ٦٨ أي: عُقوبة، ﴿**يُضاعَفْ**﴾ - وفي قراءة: «يُضعَّفْ» بالتشديد - ﴿**لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامةِ ويَخلُدْ فِيهِ**﴾، بجزم الفعلين بدلًا، وبرفعهما استئنافًا، ﴿**مُهانًا**﴾ ٦٩: حالٌ. ﴿**إلّا مَن تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلًا صالِحًا**﴾ منهم ﴿**فأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِم**﴾ المذكورةَ ﴿**حَسَناتٍ**﴾ في الآخرة - ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ ٧٠ أي: لم يزل مُتصفًا بذلك - ﴿**ومَن تابَ**﴾ من ذُنوبه، غيرَ مَن ذُكر، ﴿**وعَمِلَ صالِحًا فإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللهِ مَتابًا**﴾ ٧١ أي: يرجع إليه رجوعًا، فيُجازيه خيرًا.

٢- ﴿**والَّذِينَ لا يَشهَدُونَ الزُّورَ**﴾ أي: الكذب والباطل، ﴿**وإذا مَرُّوا باللَّغوِ**﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿**مَرُّوا كِرامًا**﴾ ٧٢: مُعرضين عنه، ﴿**والَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا**﴾: وُعظوا، ﴿**بآياتِ رَبِّهِم**﴾ أي: القرآن، ﴿**لَم يَخِرُّوا**﴾: يسقطوا ﴿**علَيها صُمًّا وعُميانًا**﴾ ٧٣، بل خرّوا سامعين ناظرين منتفعين، ﴿**والَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، هَبْ لَنا مِن أزواجِنا وذُرِّيّاتِنا**﴾ - بالجمع والإفراد - ﴿**قُرَّةَ أعيُنٍ**﴾ لنا بأن نراهم مُطيعين لك، ﴿**واجعَلْنا لِلمُتَّقِينَ إمامًا**﴾ ٧٤ في الخير. ﴿**أُولٰئِكَ يُجزَونَ الغُرْفةَ**﴾: الدرجةَ في الجنّة ﴿**بما صَبَرُوا**﴾ على طاعة الله، ﴿**ويُلَقَّونَ**﴾ - بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء - ﴿**فِيها**﴾: في الغُرفة ﴿**تَحِيّةً وسَلامًا**﴾ ٧٥ من الملائكة، ﴿**خالِدِينَ فِيها، حَسُنَتْ مُستَقَرًّا ومُقامًا**﴾ ٧٦: موضعَ إقامة لهم! «وأولئك» وما بعده: خبر «عبادُ الرحمن» المبتدأ.

٣- ﴿**قُلْ**﴾ - يا مُحمّد - لأهل مكّة: ﴿**ما**﴾: نافية ﴿**يَعبأُ**﴾: يكترث ﴿**بِكُم رَبِّي، لَولا دُعاؤُكُم**﴾ إياه في الشدائد، فيكشفها. ﴿**فقَد**﴾ أي: فكيف يعبأ بكم، وقد ﴿**كَذَّبتُم**﴾ الرسول والقرآن؟ ﴿**فسَوفَ يَكُونُ**﴾ العذاب ﴿**لِزامًا**﴾ ٧٧: مُلازمًا لكم في الآخرة، بعد ما يحُلّ بكم في الدنيا. فقُتل منهم يوم بدر سبعون. وجواب «لولا» دلَّ عليه ما قبلها.

سورة الشُّعَراء

٤- مكيّة إلّا «والشعراء» إلى آخرها فمدني، وهي مِائتان وسبع وعشرون آية.

---

(١) يلقى: يصادف وينال. ويضاعف: يكرر ويغلظ. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويخلد: يستقر أبدًا أو مدة طويلة، بحسب ما يستحق. وبرفعهما يريد القراءة «يُضاعَفُ... ويَخلُدُ». واستئنافًا: انظر «المفصل». والمهان: المحتقر. وتاب: اعترف بذنبه وندم على فعله وتعهد بتركه وأصلح ما أفسد وطلب العفو. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: مايرضاه الله. ويبدلها حسنة: يمحوها ويثبت مكانها عملًا صالحًا. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وغير من ذكر أي: غير من ورد في الآيات ٦٨-٧٠. ويتوب: يرجع. وإلى الله أي: إلى طاعته.

(٢) يشهد: يقيم الشهادة، أي: الاعتراف والإقرار. ومروا به أي: صادفوه. وباللغو أي: بأهله. وغيره أي: الفعل القبيح. وكرامًا: جمع كريم، أي: مكرِمين أنفسهم عن الخوض في اللغو أو متابعته. والصم: جمع أصم. والعميان: جمع أعمى. ومنتفعين: يعني أنهم يتوجهون إلى ما يستلزمه التدبر والوعي والاتعاظ. وربنا أي: ياربنا. وهب لنا: ارزقنا. والأزواج: جمع زوج. وهو المرأة لزوجها، والرجل لامرأته. والذرية: النسل من البنين والبنات. وبالإفراد يريد القراءة «وذُرِّيَّتِنا». والقرة: ما يُقَرُّ به، أي يكون سببًا للبرودة والطمأنينة. والأعين: جمع عين. وقرة الأعين كناية عن السرور والفرح. واجعل: صيّر. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب رضاه. وإمامًا: قدوة. والإشارة بـ «أولئك» هي إلى المتصفين بما جاء في حيز الموصولات الثمانية: الذين. ويجزى: يكافأ. والغرفة: أشرف الأماكن. والدرجة: المنزلة المتميزة. وصبروا: تجلدوا. ويلقَّون: يُعطَون. وبالتخفيف يريد القراءة «يَلْقَونَ» أي: يجدون. والتحية: الدعاء بالبقاء الطيب الدائم. والسلام: الدعاء بالسلامة من كل سوء. والخالد: المقيم أبدًا. وحسنت: بلغت الغاية في الخير والنعيم والبركة. وخبر: انظر «المفصل».

(٣) الدعاء: التضرع. وكيف يعبأ بكم أي: محال أن يدوم اعتناؤه بكم. ودل عليه ما قبله: يعني أن التقدير: لولا دعاؤكم لما عَبأ بكم. والمعنى أن الله لم ينتقم منهم عاجلًا بما يستحقون، ودفع عنهم كثيرًا من الشدائد والعذاب، بسبب دعائهم إياه.

(٤) إلى آخرها أي: إلى آخر السورة. فالآيات المدنية هي ذوات الأرقام ٢٢٤-٢٢٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٣٧

١- ﴿طسٓمٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآن - والإضافة بمعنى: مِن - ﴿المُبِينِ﴾ ٢: المُظهرِ الحقَّ من الباطل.

٢- ﴿لَعَلَّكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿باخِعٌ نَفسَكَ﴾: قاتلُها غمًّا، من أجل ﴿ألّا يَكُونُوا﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿مُؤمِنِينَ﴾ ٣. ولعلّ هنا: للإشفاق، أي: أشفِقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ - ﴿إن نَشَأْ نُنْزِلْ عليهِم مِنَ السَّماءِ آيةً، فظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع أي تَظلَلْ، أي: تدومُ ﴿أعناقُهُم لَها خاضِعِينَ﴾ ٤ فيُؤمنون. ولمّا وُصفَتِ الأعناقُ بالخُضوع الذي هو لأربابها جُمعَتِ الصفةُ منه جمعَ العُقلاء - ﴿وما يأتِيهِم مِن ذِكرٍ﴾: قُرآنٍ، ﴿مِنَ الرَّحمٰنِ مُحدَثٍ﴾: صفةٌ كاشفة، ﴿إلّا كانُوا عَنهُ مُعرِضِينَ﴾ ٥. ﴿فقَد كَذَّبُوا﴾ به، ﴿فسَيأتِيهِم أنباءُ﴾: عواقبُ ﴿ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ٦.

٣- ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: ينظروا ﴿إلَى الأرضِ، كَم أنبَتْنا فِيها﴾ أي: كثيرًا، ﴿مِن كُلِّ زَوجٍ كَرِيمٍ﴾ ٧: نوع حسن؟! ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآيةً﴾: دلالة على كمال قُدرته - تعالى - ﴿وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ ٨ في عِلم الله، تعالى - و«كان» قال سيبويه: زائدة - ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾: ذو العِزّة ينتقم من الكافرين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٩ يرحم المؤمنين.

٤- ﴿و﴾ اذكرْ - يا مُحمّد - لقومك ﴿إذ نادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾، ليلة رأى النار والشجرة، ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿ائتِ القَومَ الظّالِمِينَ﴾ ١٠ رسولًا، ﴿قَومَ فِرعَونَ﴾ معه ظلموا أنفُسهم بالكُفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم، ﴿ألا﴾ - الهمزة: للاستفهام الإنكاريّ - ﴿يَتَّقُونَ﴾ ١١ الله بطاعته فيوحّدونه؟ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبِّ، إنِّي أخافُ أن يُكَذِّبُونِ ١٢، ويَضِيقُ صَدرِي﴾ من تكذيبهم لي، ﴿ولا يَنطَلِقُ لِساني﴾ بأداء الرسالة، للعُقدة التي فيه - ﴿فأرسِلْ إلَى﴾ أخي ﴿هارُونَ﴾ ١٣ معي - ﴿ولَهُم عَلَيَّ ذَنبٌ﴾، بقتل القِبطيّ منهم، ﴿فأخافُ أن يَقتُلُونِ﴾ ١٤ به.

٥- ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿كَلّا﴾ أي: لا يقتلونك، ﴿فاذهَبا﴾ أي: أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب، ﴿بِآياتِنا - إنّا مَعَكُم مُستَمِعُونَ﴾ ١٥ ما تقولون وما يقال لكم. أُجريا مُجرى الجماعة - ﴿فأتِيا فِرعَونَ، فقُولا: إنّا﴾ كُلًّا منّا ﴿رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ١٦ إليك، ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿أرسِلْ مَعَنا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾ ١٧. فأتَياه فقالا له ما ذُكر.

٦- فـ ﴿ـقالَ﴾ فِرعون لمُوسَى: ﴿ألَم نُرَبِّكَ فِينا﴾ أي: في منازلنا، ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا، قريبًا من الوِلادة بعد فِطامه، ﴿ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ

---

(١) الآيات: النصوص القرآنية. وبمعنى «من» يعني أن التقدير: آياتٌ من الكتاب.

(٢) يكونوا: يصيروا. والمؤمن: من يصدّق الله ورسوله. وأشفقْ: يعني أن الترجي هنا بمعنى الأمر، أي: ارحم نفسك، ولا تحمّلها ما لا تطيق. والغم: الحزن الشديد. ونشاء: نريد تأييدك بمعجزة. وننزل: نسقط. وتدوم: انظر «المفصل». والأعناق: جمع عنق. والخاضع: المستجيب بذلة. ويأتيهم: يُتلى عليهم. والذكر: ما يذكّر بالإيمان. ومن الرحمن: من عنده وبأمره. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والمحدث: المتجدد نزولُه. والكاشفة: المفسرة تكشف عن ماهية الموصوف. أي: أن الآيات يتجدد نزولها لا وجودها، لأن كلام الله غير مخلوق. وعنه: عن الإيمان به. والمعرض: المنصرف استصغارًا. وكذبوا به: أنكروه. ويأتيهم: ينزل بهم. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. ويستهزئ: يسخر.

(٣) أنبت: أخرج. والمؤمن: من يصدّق الله ورسوله. و«زائدة» كذا، وليس في كتاب سيبويه ما ذكر، مع أنه منسوب إليه في بعض كتب التفسير. وانظر الكتاب ١: ٢٨٩-٢٩٠. والمراد أن التقدير: ما أكثرُهم مؤمنين، أي: لن يؤمن أكثرهم. والعزة: الغلبة. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان.

(٤) ناداه: دعاه ونبهه. وموسى: الرسول الذي أنزلت عليه التوراة. وائتهم: اذهب إليهم لتبليغ التوحيد. والظالم: المجاوز للحد بالكفر والعدوان. وقوم فرعون هم العرب الأقباط. ويتقي: يتجنب غضب الله. ورب أي: ياربي. وأخاف: أخشى. ويكذبونِ: ينكروا رسالتي. ويضيق صدري: يعجز قلبي عن الاحتمال. ولاينطلق: يحتبس ويتلجلج فلا يفصح عن المقصود. والعقدة قيل: هي أثر حرقة بالنار في صِغره. وأرسل إليه: ابعث إليه من يبلّغه أنه رسول. وذنب: عقوبة ذنب. ويقتلونِ: يزهقوا روحي. وبه: بسببه.

(٥) تغليب الحاضر أي: كان هارون في مصر، فغُلّب موسى في الخطاب وجعل الضمير له ولأخيه الغائب. والآية: الدلالة على الرسالة. ومستمعون أي: بحضورنا. ومجرى الجماعة أي: للتعظيم. وائتِياه: احضرا مجلسه. والرسول: المرسل بالتوحيد وتحرير بني إسرائيل. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وأرسلهم: اسمح لهم بالذهاب. والشام أي: فلسطين. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب.

(٦) نربيك: ننشئك بالرعاية والعطف. ولبثت: أقمت واطمأننت. وفينا: بيننا. والعمر: مدة الحياة. وفعلت: جنيت. والضال: البعيد الجهل. وفر: هرب. ووهب: أعطى. وخفتكم: خشيت انتقامكم. وجعل: صيّر. والمرسل: المكلف بالدعوة والعمل. وتلك: إشارة إلى تعبُّد بني إسرائيل. والنعمة: ما يكون من الإحسان. وتمن بها: تذكرها بالفخر. و«بيان لتلك» يعني أن المصدر المؤول من «أن عبدتَ» بيان لاسم الإشارة، في «تلك». وأول الكلام أي: قبل «وتلك». والإنكار: النفي.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

سِنِينَ﴾ ١٨ ثلاثين سنة، يلبَس من ملابس فِرعون، ويركب من مراكبه، وكان يُسمّى ابنه، **﴿وفَعَلتَ فعلَتَكَ الَّتي فَعَلتَ﴾** - هي قتلُه القِبطيَّ - **﴿وأنتَ مِنَ الكافِرينَ﴾** ١٩: الجاحدين لنِعمتي عليك بالتربيةِ وعدمِ الاستعباد؟ **﴿قالَ﴾** مُوسَى: **﴿فَعَلتُها إذًا﴾** أي: حينئذ، **﴿وأنا مِنَ الضّالِّينَ﴾** ٢٠ عمّا آتاني اللهُ بعدها، من العلم والرسالة، **﴿ففَرَرتُ مِنكُم لَمّا خِفتُكُم، فوَهَبَ لِي رَبِّي حُكمًا﴾**: عِلمًا، **﴿وجَعَلَني مِنَ المُرسَلِينَ ٢١. وتِلكَ نِعْمةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ﴾** - أصله: تمنُّ بها عليَّ - **﴿أن عَبَّدْتَ بَني إسرائيلَ﴾** ٢٢: بيانٌ لـ«تلك» أي اتّخذتَهم عبيدًا، ولم تستعبدني؟ لا نعمةَ لك بذلك لظُلمك باستعبادهم. وقدّر بعضهم أوّلَ الكلام همزة استفهام للإنكار.

١- **﴿قالَ فِرعَونُ﴾** لمُوسَى: **﴿وما رَبُّ العالَمِينَ﴾** ٢٣ الذي قلتَ: إنك رسوله، أي: أيّ شيء هو؟ ولمّا لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته - تعالى - وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه مُوسى - عليه الصلاة والسلام - ببعضها، **﴿قالَ: رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾** أي: خالقُ ذلك، **﴿إن كُنتُم مُوقِنِينَ﴾** ٢٤ بأنه - تعالى - خالقُه فآمنوا به وحده. **﴿قالَ﴾** فِرعون **﴿لِمَن حَولَهُ﴾**، من أشراف قومه: **﴿ألا تَستَمِعُونَ﴾** ٢٥ جوابه الذي لم يُطابقِ السؤالَ؟

٢- **﴿قالَ﴾** مُوسى: **﴿رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ﴾** ٢٦. وهذا، وإن كان داخلًا فيما قبله، يغيظ فرعون. ولذلك **﴿قالَ: إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرسِلَ إلَيكُم لَمَجنُونٌ ٢٧. قالَ﴾** مُوسى: **﴿رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِبِ وما بَينَهُما، إن كُنتُم تَعقِلُونَ﴾** ٢٨ أنه كذلك فآمنوا به وحده. **﴿قالَ﴾** فِرعون لمُوسى: **﴿لَئِنِ اتَّخَذتَ إلَهًا غَيرِي لأجعَلَنَّكَ مِنَ المَسجُونِينَ﴾** ٢٩. كان سِجنه شديدًا، يَحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يُبصِر ولا يَسمع فيه أحدًا. **﴿قالَ﴾** له مُوسى **﴿: أوَلَو﴾** أي: أتفعل ذلك ولو **﴿جِئتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ﴾** ٣٠ أي: برهان بيِّن على رسالتي؟ **﴿قالَ﴾** فِرعون له: **﴿فائتِ بِهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾** ٣١ فيه.

٣- **﴿فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبِينٌ﴾** ٣٢: حيّة عظيمة، **﴿ونَزَعَ يَدَهُ﴾**: أخرجها من جيبه، **﴿فإذا هِيَ بَيضاءُ﴾** ذات شُعاع **﴿لِلنّاظِرِينَ﴾** ٣٣، خِلافَ ما كانت عليه من الأدمة. **﴿قالَ﴾** فِرعون **﴿لِلمَلأ حَولَهُ: إنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾** ٣٤ فائق في عِلم السِّحر، **﴿يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِ. فماذا تأمُرُونَ ٣٥؟ قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ﴾**: أخِّرْ أمرهما، **﴿وابعَثْ فِي المَدائنِ حاشِرِينَ﴾** ٣٦: جامعين، **﴿يأتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾** ٣٧، يفضُل مُوسى في عِلم السِّحر.

٤- **﴿فجُمِعَ السَّحَرةُ لِمِيقاتِ يَومٍ مَعلُومٍ﴾** ٣٨ - وهو وقت الضُّحى من يوم الزينة - **﴿وقِيلَ لِلنّاسِ: هَل أنتُم مُجتَمِعُونَ ٣٩، لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرةَ، إن كانُوا هُمُ الغالِبِينَ﴾** ٤٠؟ الاستفهام للحثّ على الاجتماع، والترجّي على تقدير غلبتهم، ليستمّروا على دِينهم فلا يتبعوا مُوسى.

---

(١) السماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والموقن: من يؤمن ويعتقد. وتستمعون: تصغون إلى كلامه، وتتنبّهون إلى إخلاله بالجواب. ولم يطابق أي: أن السؤال كان بـ «ما»، وجوابه جاء بذكر الصفة.

(٢) الآباء: جمع أب. ويطلق على الجد أيضًا. والأول: القديم. ورسولكم: من يزعم أنه مرسل إليكم. ومجنون: لايعقل السؤال، فيجيب عن غيره. والمشرق: مكان الشروق. والمغرب: مكان الغروب. وتعقل: تدرك. واتخذ: جعل. والإله: المعبود المطاع. وأجعل: أصيّر. وجئتك به: أريتك إياه. وائت به: أحضره. والصادق: من يقول الحق.

(٣) ألقاها: رماها. والمبين: الظاهر حقيقة. وأخرجها أي: بعد أن وضعها تحت إبطه. والجيب: فتحة في الثوب يدخل منها الرأس. والناظر: من يبصر. والأدمة: السُّمرة التي كان عليها لون موسى. والملأ: السادة والأشراف. والساحر: من يخيل للحواس والعقول بالتمويه ما هو غير حقيقي. ويريد: يقصد. ويخرجكم: يبعدكم ليكون له السيادة. وتأمرون: تطلبون في شأنه. وفيما عدا الأصل وخ وع وط: «ارجِهْ». وابعث: أرسل. والمدائن: جمع مدينة. وجامعين أي: للسحرة. ويأتوك بهم: يُحضروهم لطاعتك. والسحار: العظيم السحر. ويفضل موسى أي: يتفوق عليه ويبطل سحره.

(٤) جُمعوا: جعلوا في مكان واحد. والسحرة: جمع ساحر. والميقات: الوقت المحدد. والمعلوم: المعيَّن بين موسى وفرعون. ويوم الزينة: عيد لهم. ونتبعهم: نستمر على موافقتهم في تأليه فرعون. وكانوا: صاروا. والغالبين: القاهرين لموسى والمستعلين بما يصنعونه من سحر. والحث: التحريض بإزعاج وأمر، أي: اجتمعوا. والترجي يعني: بـ «لعلّ».

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

١- ﴿**فلمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفرعَونَ: أإنَّ**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿**لَنا لأجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ**﴾ ٤١؟ **قالَ: نَعَم، وإنَّكُم إذًا**﴾ أي: حينئذ ﴿**لَمِنَ المُقَرَّبينَ**﴾ ٤٢.

٢- ﴿**قالَ لَهُم مُوسَى**﴾، بعد ما قالوا له «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿**ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ**﴾ ٤٣. فالأمر منه للإذن بتقديم إلقائهم، توسّلًا به إلى إظهار الحق. ﴿**فألقَوا حِبالَهُم وعِصِيَّهُم، وقالُوا: بِعِزَّةِ فِرعَونَ إنّا لَنَحنُ الغالِبُونَ**﴾ ٤٤. **فألقى مُوسَى عَصاهُ، فإذا هِيَ تَلَقَّفُ**﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل: تبتلعُ ﴿**ما يأفِكُونَ**﴾ ٤٥: يقلبونه بتمويههم فيُخيّلون أنّ حبالهم وعصيّهم حيّاتٌ تسعى، ﴿**فأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ**﴾ ٤٦، **قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ** ٤٧، **رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾ ٤٨. لعلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

٣- ﴿**قالَ**﴾ فِرعون. ﴿**آمَنتُم**﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا - ﴿**لَهُ**﴾: لِمُوسى ﴿**قَبلَ أن آذَنَ**﴾ أنا ﴿**لَكُم؟ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ**﴾، فعلّمكم شيئًا منه وغلبكم بآخر. ﴿**فلَسَوفَ تعلَمُونَ**﴾ ما ينالكم منّي، ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ**﴾ أي: يدَ كُلِّ واحد اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿**ولأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ**﴾ ٤٩. **قالُوا: لا ضَيرَ**﴾: لا ضرر علينا في ذلك. ﴿**إنّا إلَى رَبِّنا**﴾ بعد موتنا، بأيّ وجه كان، ﴿**مُنقَلِبُونَ**﴾ ٥٠: راجعون في الآخرة. ﴿**إنّا نَطمَعُ**﴾: نرجو ﴿**أن يَغفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا، أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**كُنّا أوَّلَ المُؤمِنِينَ**﴾ ٥١ في زماننا.

٤- ﴿**وأوحَينا إلَى مُوسَى**﴾، بعد سنين أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحقّ، فلم يزيدوا إلّا عُتوًّا: ﴿**أنْ أسرِ بِعِبادِيَ**﴾ بني إسرائيل - وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة «اسرِ» من سَرَى: لغة في أسرَى - أي: سِرْ بهم ليلًا إلى البحر. ﴿**إنَّكُم مُتَّبَعُونَ**﴾ ٥٢: يتبعكم فِرعون وجُنوده، فيَلِجُون وراءكم البحر، فأُنجيكم وأُغرِقُهم. ﴿**فأرسَلَ فِرعَونُ**﴾، حين أُخبر بسيرهم، ﴿**في المَدائِنِ**﴾ - قيل: كان له ألفُ مدينةٍ واثنا عشَرَ ألفَ قريةٍ - ﴿**حاشِرِينَ**﴾ ٥٣: جامعين الجيش، قائلًا: ﴿**إنَّ هؤُلاءِ لَشِرذِمَةٌ**﴾: طائفة ﴿**قَلِيلُونَ**﴾ ٥٤ - قيل: كانوا ستّمِائَةِ ألفٍ وسبعين ألفًا، ومُقدّمةُ جيشه سبعُمِائَةِ ألفٍ، فقلّلهم بالنظر إلى كثرة جيشه - ﴿**وإنَّهُم لَنا لَغائِظُونَ**﴾ ٥٥: فاعلون ما يغيظنا، ﴿**وإنّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ**﴾ ٥٦: مُتيقّظون. وفي قراءة: «حاذِرُونَ»: مُستعدّون.

٥- قال تعالى: ﴿**فأخرَجناهُم**﴾ أي: فِرعونَ وجنوده من مصرَ، ليلحقوا مُوسى وقومَه، ﴿**مِن جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ كانت على جانبَي النيل، ﴿**وعُيُونٍ**﴾ ٥٧: أنهار جارية في الدُّور من النيل، ﴿**وكُنُوزٍ**﴾: أموال ظاهرة من الذهب والفِضّة - وسُمّيت كنوزًا لأنه لم يُعطَ حقُّ الله تعالى منها - ﴿**ومَقامٍ كَرِيمٍ**﴾ ٥٨: مجلس حسن للأُمراء والوُزراء، يحفّه أتباعهم - ﴿**كَذلِكَ**﴾ أي: إخراجُنا كما وصفنا. ﴿**وأورَثناها بَنِي إسرائِيلَ**﴾ ٥٩ بعد إغراق فِرعونَ وقومه - ﴿**فأتبَعُوهُم**﴾: لحِقوهم ﴿**مُشرِقِينَ**﴾ ٦٠: وقتَ شُروق الشمس.

---

(١) بتحقيق... الوجهين: يريد قراءات أربعًا: التي أثبتناها، و«أإنَّ»، و«أاِنَّ»، و«آاِنَّ». والأجر: المكافأة. والغالبين: المتغلبين. والمقرب: المفضل في حسن المعاملة.

(٢) ما قالوا هو في الآية ١١٥ من سورة الأعراف. وألقوا: ارموا. والحبال: جمع حبل. والعصي: جمع عصا. والعزة: العظمة. وتسعى: تجري وتتواثب. وأُلقي: طُرح على وجهه. وآمنّا به: عرفت قلوبنا توحيده. والعالَم: الجنس الخلق. ويتأتى: يكون.

(٣) آمنتم: صدّقتم. وبإبدال الثانية يريد القراءة «آمَنتُم». مع مدّ مطوّل. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٢٣ من سورة الأعراف. وآذن: أسمح. وعلمكم: منحكم الخبرة. وتعلمون: تدركون يقينًا. وأقطع: آمر بالتقطيع. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. وأصلبكم: أشد أصلابكم على الشجر بالمسامير والحبال. وإلى ربنا: إلى لقائه وثوابه. ويغفره: يستره ويعفو عنه. والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب المتعمَّد. والمؤمن: الذي يصدّق الله ورسوله.

(٤) أوحينا: بلّغنا على لسان جبريل. والعباد: جمع عبد. وبوصل الهمزة يريد القراءة «أنِ اسْرِ». وفيما عدا الأصل والنسختين: «أسر». وأرسل: بعث. والأعداد المذكورة هنا من خرافات الإسرائيليات. ويغيظ: يغضب. وجميع: جماعة مؤتلفة. ومستعدون أي: للّحاق بهم وإهلاكهم.

(٥) جنوده: المسلحون للقتال. والعيون: جمع عين. والكنوز: جمع كنز. وزعم بعض القصاصين أن تلك الكنوز مدفونة في جبل المقطم. فالمصريون المتأخرون مفتونون بالبحث عنها، بالحفر والجهد والمال ومتابعة الطلاسم والشعبذة. البحر ٧: ١٨-١٩. وأورثناها بني إسرائيل أي: جعلنا ماذكر من النعم ملكًا لهم. والمُشرِق: من صار في وقت الشروق.

الجزء التاسع عشر سورة الشعراء

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

١- ﴿**فلمّا تَراءَى الجَمعانِ**﴾: رأى كُلّ منهما الآخر ﴿**قالَ أصحابُ مُوسَى: إنّا لَمُدرَكُونَ**﴾ ٦١: يُدرِكنا جمع فِرعون، ولا طاقة لنا به. ﴿**قالَ**﴾ مُوسى: ﴿**كَلّا**﴾ أي: لن يُدرِكونا. ﴿**إنَّ مَعِي رَبِّي**﴾ بنصره، ﴿**سَيَهدِينِ**﴾ ٦٢ طريقَ النجاة.

٢- قال تعالى: ﴿**فأوحَينا إلَى مُوسَى: أنِ اضرِبْ بِعَصاكَ البَحرَ**﴾. فضربه ﴿**فانفَلَقَ**﴾: انشقّ اثني عشرَ فِرقًا، ﴿**فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العَظِيمِ**﴾ ٦٣: الجبل الضخم، بينها مسالك سلكوها، لم يبتلّ منها سرجُ الراكب ولا لِبْدُه. ﴿**وأزلَفْنا**﴾: قرّبنا ﴿**ثَمَّ**﴾: هناك ﴿**الآخَرينَ**﴾ ٦٤ فِرعونَ وقومه، حتّى سلكوا مسالكهم، ﴿**وأنجَينا مُوسَى ومَن مَعَهُ أجمَعِينَ**﴾ ٦٥، بإخراجهم من البحر على الهيئة المذكورة، ﴿**ثُمّ أغرَقْنا الآخَرينَ**﴾ ٦٦ فِرعونَ وقومه، بإطباق البحر عليهم، لمّا تمّ دُخولُهم البحرَ وخُروجُ بني إسرائيل منه.

٣- ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ أي: إغراقِ فِرعونَ وقومه ﴿**لآيَةً**﴾: عِبرةً لِمَن بعدَهم، ﴿**وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٦٧ بالله تعالى - لم يُؤمن منهم غيرُ آسيةَ امرأةِ فِرعون، وحِزقيلَ مؤمنِ آلِ فِرعون، ومريمَ بنتِ ناموسَى التي دلّت على عِظام يوسف. عليه السلام - ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزيزُ**﴾، فانتقم من الكافرين بإغراقهم، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ ٦٨ بالمؤمنين، فأنجاهم من الغرق.

٤- ﴿**واتلُ عليهِم**﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿**نَبَأَ**﴾: خبرَ ﴿**إبراهِيمَ**﴾ ٦٩، ويبدل منه: ﴿**إذ قالَ لأبِيهِ وقَومِهِ: ما تَعبُدُونَ ٧٠؟ قالُوا: نَعبُدُ أصنامًا**﴾، صرّحوا بالفِعل ليعطفوا عليه: ﴿**فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ**﴾ ٧١ أي: نقيم نهارًا على عِبادتها. زادوه في الجواب افتخارًا به. ﴿**قالَ: هَل يَسمَعُونَكُم إذ**﴾: حينَ ﴿**تدعُونَ ٧٢، أو يَنفَعُونَكُم**﴾ إن عبدتموهم، ﴿**أو يَضُرُّونَ**﴾ ٧٣ ـكم إن لم تعبدوهم؟ ﴿**قالُوا: بَل وَجَدْنا آباءَنا كَذٰلِكَ يَفعَلُونَ**﴾ ٧٤ أي: مِثلَ فِعلنا.

٥- ﴿**قالَ: أفرَأيتُم ما كُنتُم تَعبُدُونَ ٧٥ أنتُم وآباؤُكُم الأقدَمُونَ ٧٦؟ فإنَّهُم عَدُوٌّ لِيَ**﴾ لا أعبدهم، ﴿**إلّا**﴾: لكنْ ﴿**رَبَّ العالَمِينَ**﴾ ٧٧ فإني أعبده، ﴿**الَّذي خَلَقَني فهُوَ يَهدِينِ**﴾ ٧٨ إلى الدِّين، ﴿**والَّذي هُوَ يُطعِمُني ويَسقِينِ ٧٩، وإذا مَرِضتُ فهُوَ يَشفِينِ ٨٠، والَّذي يُمِيتُني ثُمّ يُحيِينِ ٨١، والَّذي أطمَعُ**﴾: أرجو ﴿**أن يَغفِرَ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ**﴾ ٨٢: الجزاء.

٦- ﴿**رَبِّ، هَبْ لي حُكمًا**﴾: عِلمًا ﴿**وألحِقْني بالصّالِحِينَ**﴾ ٨٣ أي: النبيّين، ﴿**واجعَلْ لي لِسانَ صِدقٍ**﴾: ثناءً حسنًا ﴿**في الآخِرينَ**﴾ ٨٤ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، ﴿**واجعَلْني مِن وَرَثةِ جَنّةِ النَّعِيمِ**﴾ ٨٥ أي: ممّن يُعطاها، ﴿**واغفِرْ لأبِي - إنَّهُ كانَ مِنَ الضّالِّينَ**﴾ ٨٦، بأن تتوب عليه فتغفر له. وهذا قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله، كما ذُكر في سورة «براءة» - ﴿**ولا تُخزِني**﴾: تَفضحْني ﴿**يَومَ يُبعَثُونَ**﴾ ٨٧ أي: الناسُ.

---

(١) في المنحة: «تراء». والجمع: الفئة المجتمعة. والأصحاب: جمع صاحب. وهم المرافقون. ويدركنا: يصل إلينا وينال ما يريد. ويهدين: يرشدني إلى الخلاص منهم. (٢) انظر الآية ٥٢. واضرب: اصدم. والبحر: ماء البحرالأحمر. واثني عشر أي: بِعَدَد أسباط بني أسرائيل. والفرق: الطريق، كما قال ابن عباس. تفسير ابن كثير ٣:٣٢٥. وقول المحلي «بينها مسالك» يفيد أن الفِرق هو القطعة العالية المنفصلة من الماء. وفيه نظر، لأن اثنتي عشرة قطعة يكون بينها أحد عشر طريقًا لا اثنا عشر. فالفِرق هو المسلك نفسه، مرتفع كالطود العظيم، انشق عنه الماء وانحسر بانخفاض ييسّر ارتفاع المسالك المذكورة. واللبد: ما يوضع تحت السرج. وأنجيناهم: أنقذناهم. والهيئة المذكورة: الصفة التي ذُكرتْ لانفلاق البحر. وأغرقناهم: أهلكناهم خنقًا بالماء. (٣) العبرة: العظة تنبّه من يفكر. ومَن بعدهم أي: مِن الأمم. وأكثرهم: الغالبية العظمى من قوم فرعون. وهم الأقباط العرب. ومؤمن آل فرعون ذكر في الآية ٢٨ من سورة غافر. ومريم هذه غير مريم بنت عمران. وأغفل المحلي السَّحَرة الذين آمنوا، ومنهم أقباط وفيهم السامري اللعين. والعزيز: الغلاب يذلّ لعزته من عداه. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. ومن الغرق أي: وجعل لهم مُلكًا وسيادة، بعد ذلة وهوان، ولكنهم لم يتعظوا فضلوا وأضلوا الناس. (٤) اتل: اقصص. ويبدل منه: يعني أن «إذ»: بدل من: نبأ. وقوم المرء: الجماعة يعيش بينها. وتعبدها: تقدسها وتستعين بها. والأصنام: جمع صنم. ونظل: نبقى. ويسمعونكم: يدركون المسموعات. وتدعون: تنادونهم وتستعينون بهم. وينفع: يوصل الخير. ويضر: يوصل الشر. ووجد: أبصر. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدود. ويفعلون: يعملون. (٥) أفرأيتم ماتعبدون أي: فهل أبصرتم وتفكرتم، فعرفتم أن ماتقدسونه باطل، وأنكم على ضلال؟ والعدو: المعادي. والعالَم: الجنس من الخلق. وخلقني: أنشأني من العدم. ويهدي: يرشد ويوفق. ويطعم ويسقي ويشفي ويميت ويحيي أي: يقدّر لي ذلك وييسره. وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية للتخفيف في المواضع الأربعة. والإحياء: البعث يوم القيامة. ومرضت: أصابني مرض. ويغفرها: يسترها ويعفو عنها. والخطيئة: المعصية والذنب. واليوم: الوقت . (٦) رب أي: يا ربي. وهب لي: أعطني. وألحقني بهم أي: في العمل الصالح. واجعل: صيّر. والورثة: جمع وارث. وهو الذي يملك الشيء. والجنة: الحديقة العظيمة. والنعيم: الحالة الحسنة. واغفر له: استر ذنبه ولا تؤاخذه. والضال: الخارج عن الهداية. وبراءة: يعني الآية ١١٤ من سورة التوبة. واليوم: الوقت. ويبعث: يخرج للحساب.

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

١- قال تعالى فيه: ﴿**يومَ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ**﴾ ٨٨ أحدًا، ﴿**إلّا**﴾، لكنْ ﴿**مَن أتَى الله بِقَلبٍ سَلِيمٍ**﴾ ٨٩ من الشِّرك والنِّفاق - وهو قلب المؤمن - فإنه ينفعه ذلك، ﴿**وأُزلِفَتِ الجَنّةُ**﴾: قُرِّبتْ ﴿**لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٩٠ فيرونها، ﴿**وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ**﴾: أُظهِرتْ ﴿**لِلغاوِينَ**﴾ ٩١: الكافرين، ﴿**وقِيلَ لَهُم: أينَ ما كُنتُم تَعبُدُونَ ٩٢، مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه من الأصنام؟ ﴿**هَل يَنصُرُونَكُم**﴾ بدفع العذاب عنكم، ﴿**أو يَنتَصِرُونَ**﴾ ٩٣ بدفعه عن أنفسهم؟ لا. ﴿**فكُبكِبُوا**﴾: أُلقُوا ﴿**فِيها هُم والغاوُونَ ٩٤، وجُنُودُ إبلِيسَ**﴾: أتباعُه ومن أطاعه من الجِنّ والإنس ﴿**أجمَعُونَ**﴾ ٩٥.

٢- ﴿**قالُوا**﴾ أي: الغاوون، ﴿**وهُم فِيها يَختَصِمُونَ**﴾ ٩٦ مع معبوديهم: ﴿**تاللهِ، إنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿**كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٩٧: بيّن، ﴿**إذ**﴾: حيثُ ﴿**نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العالَمِينَ**﴾ ٩٨ في العِبادة، ﴿**وما أضَلَّنا**﴾ عن الهُدى ﴿**إلّا المُجرِمُونَ**﴾ ٩٩ أي: الشياطينُ، أو أوّلونا الذين اقتدَينا بهم! ﴿**فما لَنا مِن شافِعِينَ**﴾ ١٠٠ كما للمؤمنين، من الملائكة والنبيّين والمؤمنين، ﴿**ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ ١٠١ أي: يُهمّه أمرنا. ﴿**فلَو أنَّ لَنا كَرّةً**﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿**فنكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ١٠٢. «لو» هنا: للتمني، ونكون: جوابه. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ من قِصّة إبراهيم وقومه ﴿**لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ ١٠٣، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٠٤.

الحزب ٣٨

٣- ﴿**كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ المُرسَلِينَ**﴾ ١٠٥ بتكذيبهم له، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطُول لَبثه فيهم كأنه رُسُلٌ - وتأنيثُ «قوم» باعتبار معناه وتذكيرُه باعتبار لفظه - ﴿**إذ قالَ لَهُم أخُوهُم**﴾ نَسَبًا ﴿**نُوحٌ: ألا تَتَّقُونَ**﴾ ١٠٦ اللهَ. ﴿**إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ**﴾ ١٠٧ على تبليغ ما أُرسلت به. ﴿**فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ**﴾ ١٠٨ فيما آمركم به، من توحيد الله وطاعته - ﴿**وما أسألُكُم علَيهِ**﴾: على تبليغه ﴿**مِن أجرٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**أجرِيَ**﴾ أي: ثوابي ﴿**إلّا على رَبِّ العالَمِينَ ١٠٩ - فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ**﴾ ١١٠: كرّره تأكيدًا.

٤- ﴿**قالُوا: أنُؤمِنُ**﴾: نُصدّق ﴿**لَكَ**﴾: لقولك، ﴿**واتَّبَعَكَ**﴾ - وفي قراءة: «وأتباعُك»: جمع تابع مبتدأ - ﴿**الأرذَلُونَ**﴾ ١١١: السَّفَلة كالحاكة

(١) ينفع: يوصل خيرًا. والمال: ما يملك من النقد والزينة والمتاع. والبنون: جمع ابن. والمراد بهم هنا الذكور والإناث من الأولاد والحفدة. وأتاه: جاء للقائه وحسابه. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والسليم: الصحيح الصافي المخلص. و«ذلك» إشارة إلى سلامة القلب من الشرك والنفاق. وقربت أي: أظهرت وهي قريبة. والمتقي: من يتجنب غضب الله وعقابه ويلزم الطاعة، بالامتثال للأمر والنهي. والجحيم: نار جهنم المتأججة. وقيل لهم أي: خاطبتهم ملائكة العذاب. والاستفهام بـ «أين» للتوبيخ والتبكيت. وتعبده: تقدسه وتستعين به. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات. وينصر: يعين ويساعد. وينتصر: يحمي نفسه. وفيها: في الجحيم. وهم أي: المعبودون من الخلق كانوا كالآلهة يقدسون. والغاوي: الضالّ المشرك. والجنود: جمع جُند. والجند: واحده جندي. وإبليس: أبو الشياطين من الجن. وأجمعون أي: كلهم دون استثناء.

(٢) يختصمون: يتجادلون ويتنازعون. ومع معبوديهم أي: ومعبوديهم من الأصنام وغيرها وإيراد «مع» هنا لحن خلافًا للكسائي، لأن الفعل لايحتاج إليها، وإنما يحتاج إلى الواو بدلًا منها. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٤٣ من سورة البقرة. والضلال: الخروج عن الحق. ونسويكم به: نجعلكم آلهة مثله فنقدسكم ونطيعكم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأضلنا: أخرجنا ومنعنا. والمجرم: من يقترف الجرائم والمعاصي باختيار وعزم. والشافع: الذي يطلب برُفعة مكانته دفع الأذى والضرر عن غيره. والصديق: الصادق المودة ينصر عند الشدائد. ونكون: نصير. والمؤمن: من يصدّق الله ورسوله ويعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وجوابه أي: جواب التمني. وانظر الآيتين ٦٧ و٦٨.

(٣) كذبته: أنكرت رسالته وجحدتها. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء. ونوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس، كان قومه يعبدون الأصنام. والمرسَل: من بعثه الله لتبليغ الدعوة مع العمل. وبتكذيبهم له: يعني أن تكذيب نوح وحده كتكذيب الرسل كلهم. وطول لبثه: طول إقامته للدعوة، إذ لبث فيها ألف سنة إلّا خمسين. وتأنيث قوم: يعني اتصال فعله «كذب» بتاء التأنيث. وفي القوم معنى الجماعة، ولفظه مذكر. وأخوهم أي: هو من قبيلتهم. وتتقونه: تتجنبون غضبه فتطيعونه. والأمين: المؤتمن لما عُرف به من الصدق والوفاء. وأطيعونِ: أطيعوني، أي: استجيبوا لما أطلبه منكم ونفذوه. وأسألكم: أطلب منكم. والأجر: المكافأة. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وتأكيدًا أي: لتأكيد المعنى، وللتنبيه على أمانته وزهده منفردَين ومجتمعَين.

(٤) اتبعك: وافقك وأطاعك. والأرذلون: جمع أرذل. وهو الأقل جاهًا ونسبًا ومالًا وفكرًا، سريع الانقياد، لا يبالي ما يقول وما يقال له. والحاكة: مع حائك. وهو ناسج القماش. والأساكفة: جمع إسكاف. وهو صانع الأحذية ومصلحها. يعنون: أن إيمان أتباعه لم يكن عن تدبر ونظر صحيح، لِما هم عليه من السذاجة والضعف. وإنما كان طمعًا في الغنى والسيادة. فمحال أن يتساووا وإياهم. والعلم: المعرفة اليقينية. وكانوا أي: ومازالوا. ويعملون: يكتسبونه من إيمان صادق وغيره. وحسابهم: محاسبتهم وجزاء ما في نفوسهم. وذلك أي: أن حسابهم على الله وحده، وأن السرائر خفية لايعلمها غيره. خ: «عيّبتموهم». وفيما عداها وعدا الأصل وع: «عبتموهم». وما أنا بطارد المؤمنين أي: لا أبعدهم عني. انظر الآيات ٢٧-٣٠ من سورة هود. والنذير: المنذر المهدد بعذاب الكافرين. أي: ولست محاسِبًا لأحد ولا مجازيًا له.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

والأساكفة؟ ﴿**قالَ: وما عِلمِي**﴾: أيُّ عِلمٍ لي ﴿**بِما كانُوا يَعمَلُونَ ١١٢؟ إنْ**﴾: ما ﴿**حِسابُهُم إلّا على رَبِّي**﴾ فيُجازيهم - ﴿**لَو تَشعُرُونَ**﴾ ١١٣: تعلمون ذلك ما عيَّرتموهم - ﴿**وما أنا بِطارِدِ المُؤمِنِينَ ١١٤. إنْ**﴾: ما ﴿**أنا إلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ١١٥: بيِّن الإنذار.

١- ﴿**قالُوا: لَئِنْ لَم تَنتَهِ - يا نُوحُ**﴾ عمّا تقول لنا - ﴿**لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرجُومِينَ**﴾ ١١٦ بالحجارة أو بالشتم. ﴿**قالَ**﴾ نوح: ﴿**رَبِّ، إنَّ قَومِي كَذَّبُونِ ١١٧. فافتَحْ بَينِي وبَينَهُم فَتحًا**﴾ أي: احكم، ﴿**ونَجِّني ومَن مَعِي مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ١١٨.

٢- قال تعالى: ﴿**فأنجَيناهُ ومَن مَعَهُ، في الفُلكِ المَشحُونِ**﴾ ١١٩: المملوء من الناس والحيوان والطير، ﴿**ثُمَّ أغرَقْنا بَعدُ**﴾: بعدَ إنجائهم ﴿**الباقِينَ**﴾ ١٢٠ من قومه. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ ١٢١، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٢٢.

٣- ﴿**كَذَّبَتْ عادٌ المُرسَلِينَ ١٢٣، إذ قالَ لَهُم أخُوهُم هُودٌ: ألا تَتَّقُونَ ١٢٤. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ ١٢٥. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ ١٢٦. وما أسألُكُم عَلَيهِ مِن أجرٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**أجرِيَ إلّا على رَبِّ العالَمِينَ ١٢٧. أتَبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ**﴾: مكانٍ مُرتفع ﴿**آيَةً**﴾: بناء عَلَمًا للمارّة، ﴿**تَعبَثُونَ**﴾ ١٢٨ بمن يمرّ بكم، وتسخرون منهم - والجملة: حال من ضمير «تبنون» - ﴿**وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ**﴾ للماء تحت الأرض، ﴿**لَعَلَّكُم**﴾ كأنكم ﴿**تَخلُدُونَ**﴾ ١٢٩ فيها لا تموتون، ﴿**وإذا بَطَشتُم**﴾ بضربٍ أو قتلٍ ﴿**بَطَشتُم جَبّارِينَ**﴾ ١٣٠ من غير رأفة؟ ﴿**فاتَّقُوا اللهَ**﴾ في ذلك، ﴿**وأطِيعُونِ**﴾ ١٣١ فيما أمرتكم به، ﴿**واتَّقُوا الَّذِي أمَدَّكُم**﴾: أنعم عليكم ﴿**بِما تَعلَمُونَ ١٣٢، أمَدَّكُم بِأنعامٍ وبَنِينَ ١٣٣، وجَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**وعُيُونٍ**﴾ ١٣٤: أنهار. ﴿**إنِّي أخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ ١٣٥، في الدنيا والآخرة، إن عصيتموني.

٤- ﴿**قالُوا: سَواءٌ عَلَينا**﴾: مُستوٍ عندنا ﴿**أوَعَظتَ أم لَم تَكُن مِنَ الواعِظِينَ**﴾ ١٣٦ أصلًا أي: لا نرعوي لوعظك. ﴿**إنْ**﴾ ما ﴿**هٰذا**﴾ الذي خوّفتنا

(١) قالوا أي: قوم نوح. وتنتهي: ترجع وتبتعد وتشاركنا في عبادة الأصنام. وتكون: تصير. والمرجوم: المقذوف حتى الموت أو المشتوم. و«لئن... من المرجومين» تقدير التركيب فيه: نُقسمُ - لئن لم تنته تكنْ من المرجومين - لتكوننّ كذلك. ورب أي: ياربي. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم لِما يتضمنه من معنى الأمر والتنبيه. وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. وكذبون: كذبوني، أي: أصرّوا على تكذيبي وجحد ماجئت به من التوحيد. وإنما ذكر هذا ليبين أن دعاءه عليهم لإصرارهم على الكفر، لا لتهديده بالرجم. وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية أيضًا للتخفيف. وافتح بيننا أي: افصل بيننا بِعَدلك، بما يستحقه كل منا. يعني: أنزل العقوبة والهلاك بهم. ونجني: أنقذني بالخلاص من الهلاك الذي استحقه المشركون. فقد صبرنا كثيرًا على الكفر والعصيان، ولا أمل في استجابتهم. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد ومايلزمه.

(٢) أنجينا: أنقذنا وخلصنا. ومن معه أي: من المؤمنين. انظر الآية ١١٨. والفلك: السفينة العظيمة التي صنعها نوح مع أصحابه. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالماء. والباقين أي: من بقي من قومه على الكفر. وانظر الآيتين ٦٧ و٦٨.

(٣) انظر الآيات ١٠٥-١٠٩. وعاد: من العرب العاربة، وهي الجيل الرابع بعد نوح، أقدم الأمم التي عرفت لها آثار حتى الآن، وكانت بلادها بين حضرموت وعُمان. والمرسل: من بعث لتبليغ التوحيد والبعث مع العمل. وتكذيب الرسول الواحد يعني تكذيب الجميع، لأن دعوتهم واحدة. وهود: نبي من العرب، ومن عاد أيضًا. وتتقون: تتجنبون غضب الله وتطلبون رضاه بالطاعة. وانظر الآيات ١٠٨-١١٠. وتبنون: تشيدون وترفعون. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والعَلَم: البناء العالي كالقصور والقلاع. وتعبث: تلعب وتتلهى بما فيه الشر والإيذاء. وحال يعني: في محل نصب. وضمير «تبنون» هو واو الجماعة. وتتخذ: تبني وتعمل. والمصانع: جمع مصنع، اسم مكان لخزن الماء. وهي الصهاريج. ولعلكم أي: ليكون لكم الترجي. وتخلد: تعيش أبدًا. وإذا بطشتم: إذا أردتم تعذيب الناس. والجبار: المتفرد بالعلو يستهين بالجميع. وما تعلمون أي: ماتعرفونه من أنواع النعم لديكم. والأنعام: جمع نَعَم. وهي الإبل والبقر والغنم. والبنون: جمع ابن. وهم الأولاد من الذكور، خُصوا هنا بالذكر لأنهم سبب عزة المخاطَبين ومفاخرهم. والعيون: جمع عين. وأخاف: أتوقع وأخشى. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. واليوم: الوقت والزمن. والعظيم: الفظيع لامثيل له. وإنما وصف اليوم بهذا لما يكون فيه من العذاب المستأصل. وعصيتموني: خالفتموني بالكفر والشرك وجحود النعم.

(٤) قالوا أي: قوم هود. وسواء: مستويان لا فرق بينهما. والواعظ: الناصح يبين عاقبة المخالفة. جعلوا دعوته وعظًا لارسالة، إذ لم يؤمنوا بصحة ما جاء به. وفي ذلك استخفاف وتهكم. ولوعظك أي: لا نرتدع ولا نكف عما نحن فيه بسبب وعظك لنا. و«ما» يعني أن «إن»: حرف نفي. وخوفتنا به: ذكرتَه من اليوم العظيم، وخِفتَه علينا. انظر الآية ١٣٥. وفي الأصل: «خوفتنا منه». وفي قرة العينين والمنحة: «خُلُقُ». والأولون: الماضون من الكَذَبة. وبالضم يريد القراءة «خُلُقُ». يعني: العادة الظاهرة، من أنهم يعيشون ثم يموتون ولايبعثون. وما بعدُ هو تفسير لهذه القراءة. و«من أن لا نبعث» يعني: من اعتقاد أنه لا نبعث. والمراد: لا نبعث بعد الموت ولا نعذب، كما زعمت. وفيه نفي المسبَّب للدلالة على نفي السبب للمبالغة. وكذبوه: أصرّوا على تكذيبه وإنكار ما قاله. وبالعذاب أي: فيما توعّدهم من التعذيب. وأهلكنا: أفنينا واستأصلنا. والريح أي: التي أبادتهم واستأصلتهم جميعًا. وانظر الآيتين ٦٧ و٦٨.

الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

به ﴿**إلّا خَلْقُ الأوّلينَ**﴾ ١٣٧ أي: اختلاقهم وكذبهم - وفي قراءة بضمّ الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه، من أنْ لا نُبعثُ، إلّا خُلق الأوّلين أي: طبيعتهم وعادتهم - ﴿**وما نحنُ بمُعَذَّبينَ** ١٣٨ **فكَذَّبُوهُ**﴾ بالعذاب، ﴿**فأهلَكْناهُم**﴾ في الدنيا بالريح. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ** ١٣٩، **وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٤٠.

١- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرسَلِينَ** ١٤١، **إذ قالَ لَهُم أخُوهُم صالحٌ: ألا تَتَّقُونَ** ١٤٢. **إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ** ١٤٣. **فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ** ١٤٤. **وما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ - إن**﴾: ما ﴿**أجرِيَ إلّا على رَبِّ العالَمِينَ** ١٤٥. **أتُترَكُونَ فِيما هٰهُنا**﴾ من الخيرات ﴿**آمِنِينَ** ١٤٦، **في جَنّاتٍ وعُيُونٍ** ١٤٧، **وزُرُوعٍ ونَخلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ**﴾ ١٤٨: لطيف لين، ﴿**وتَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ**﴾ ١٤٩: بَطِرين؟ وفي قراءة: «فارِهِينَ»: حاذقين - ﴿**فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ**﴾ ١٥٠ فيما آمرُكم به، ﴿**ولا تُطِيعُوا أمرَ المُسرِفِينَ** ١٥١، **الَّذِينَ يُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالمعاصي، ﴿**ولا يُصلِحُونَ**﴾ ١٥٢ بطاعة الله.

٢- ﴿**قالُوا: إنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ**﴾ ١٥٣ الذين سُحِّروا كثيرًا، حتّى غُلب على عقلهم. ﴿**ما أنتَ**﴾ أيضًا ﴿**إلّا بَشَرٌ مِثلُنا. فائتِ بآيةٍ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ١٥٤ في رِسالتك. ﴿**قالَ: هٰذِهِ ناقَةٌ، لَها شِربٌ**﴾: نصيب من الماء، ﴿**ولَكُم شِربُ يَومٍ مَعلُومٍ** ١٥٥. **ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ، فيأخُذَكُم عَذابُ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ ١٥٦ بِعِظَم العذاب. ﴿**فعَقَرُوها**﴾ أي: عقرها بعضهم برضاهم، ﴿**فأصبَحُوا نادِمِينَ**﴾ ١٥٧ على عقرها، ﴿**فأخَذَهُمُ العَذابُ**﴾ الموعود به فهلكوا. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ** ١٥٨، **وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٥٩.

---

(١) ثمود: من العرب العاربة أيضًا، اشتهرت باسم أبيها، وهي من العماليق الجبارين، أقدم الأمم التي عرف لها آثار حتى الآن، وكانت منازلها في الحِجر بوادي القرى بين الشام والحجاز. أخبار عبيد بن شرية ص ٣٧٠-٣٩٦. وانظر الآيات ١٠٥-١٠٩. والمرسل: من بعث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وقال لهم أي: خاطبهم بالقول جهارًا، وكان تكذيبهم له فورًا من دون تفهم لما يدعو إليه، أو تأمل لما يقول. وذلك لخشية أن تتهدم مصالحم وما يطلبون من الشهوات. وأخوهم أي: هو من قبيلتهم ويعيش بينهم. وصالح: نبي عربي. وتتركون: تُهملون دون موت وحساب وجزاء. وههنا: هذا المكان. والآمن: المطمئن الهانئ. والجنة: البستان الكثير الشجر والنبات والمياه. والعيون: جمع عين. وهي النهر واليَنبوع. والزروع: جمع زرع. وهو ما يزرع من النبات لحاجات البشر والحيوانات. والنخل: واحدته نخلة ثمرها الرُّطب والتمر. وخُص بالذكر بعد التعميم، لما هو عليه من الخير والفضل. والطلع: أول ما يظهر من الثمر كنصل السيف، قبل أن يصير خُلالًا ثم بَلحًا ثم بُسرًا ثم رُطبًا ثم تمرًا. وتنحت: تحفر وتبري. والجبال: جمع جبل. وهو ما علا من الأرض وصلب. والبيوت: جمع بيت. وهو مكان الإقامة والاستقرار. وكانت هذه البيوت للإقامة في الشتاء، وهنالك بيوت عادية للصيف. والحاذق: الماهر المتقن لما يعمل. وفيما عدا الأصل وخ والمنحة: «فيما أمرتكم به». وانظر الآيات ١٠٨-١١٠. ولاتطيعوهم أي: لاتوافقوهم ولاتنقادوا لهم، يعني: خالفوهم وامتثلوا أمر الله في الإيمان والطاعة والصلاح. والأمر: ما يوجب عليهم ويفرض بالإغراء أوالتهديد والقوة. والمسرفون: المفرطون في العناد والكفر والطغيان، وهم كبار المشركين ورؤساؤهم. والمراد: لاتطيعوهم فيما يأمرون. ويفسد: يصنع الفساد والشر لنفسه وللآخرين باختيار وقصد. والأرض: المكان الذي يعيشون فيه. ويصلح: يعمل ما يرضاه الله. وفي هذا توكيد لمعنى الإفساد، وإصرار على ذلك.

(٢) قالوا أي: أجابوه أيضًا خلال تكذيبهم له. والبشر: الإنسان العادي. ومثلنا: مماثل إيانا في البشرية تأكل وتشرب وتسعى لرزقك. فكيف تكون رسولًا؟ كأنهم يظنون أن يكون الرسول جنيًا أو من الملائكة. وائت بها: اصنعها وأحضرها. والآية: المعجزة الدالة على صحة دعواك، ترغم الناس على الخضوع والامتثال. والصادق: من يقول الحق. والناقة: الأنثى من الإبل. ولها شرب أي: في يوم خاص بها لا تزاحمونها فيه. والشرب: مايشرب. والمعلوم: المحدد تعلمونه ولا تزاحمكم فيه أيضًا. ولاتمسوها بسوء: لاتسببوا لها ضررًا، كالضرب والعقر والإيذاء. ويأخذكم: ينزل بكم ويهلككم جميعًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الشديد لامثيل له. وبعظم العذاب أي: بسبب عظم العذاب الذي يقع فيه، لأنه فظيع مستأصِل، يكون وصف اليوم المذكور. انظر آخر الآية ١٣٥. خ: «معظم العذاب». ع: «العظم العذاب». وقد لزم القوم قسمة الماء هذه مدة من الزمن، ثم ضاقوا بها وبما يتطلبه الإيمان، من توحيد وصلاح وأحكام، فنبذوا ذلك وحرض بعضهم بعضًا على العصيان والتحدي للنبي صالح. وعقرها: ضرب ساقها بالسيف لتقع إلى الأرض فتذبح. والذي فعل ذلك هو قدار بن سالف، أحد الجزارين الأشقياء حينذاك. وساعده آخرون من أمثاله، برضا القبيلة الكافرة. وأصبح: صار. ونادمين: آسفين كارهين ما جرى خوف العذاب، لاتوبةً وطلبًا للمغفرة. وعلى عقرها: بسبب ذبحها. خ: «بعقرها». وأخذهم: عاقبهم وأهلكهم. والموعود به: الذي هددهم به النبي صالح. وانظر الآيتين ٦٧ و٦٨.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

١ - ﴿**كَذَّبَتْ قومُ لُوطٍ المُرسَلِينَ** ١٦٠، **إذ قالَ لَهُم أخُوهُم لُوطٌ: ألا تَتَّقُونَ** ١٦١. **إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ** ١٦٢. **فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ** ١٦٣. **وما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ. إن**﴾: ما ﴿**أجرِيَ إلّا على رَبِّ العالَمِينَ** ١٦٤. **أتأتُونَ الذُّكرانَ مِنَ العالَمِينَ**﴾ ١٦٥ أي: الناس، ﴿**وتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُم رَبُّكُم مِن أزواجِكُم**﴾ أي: أقبالَهنّ؟ ﴿**بَل أنتُم قَومٌ عادُونَ**﴾ ١٦٦: مُتجاوزون الحلال إلى الحرام.

٢ - ﴿**قالُوا: لَئِنْ لَم تَنتَهِ - يا لُوطُ**﴾ - عن إنكارك علينا ﴿**لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخرَجِينَ**﴾ ١٦٧ من بلدتنا. ﴿**قالَ**﴾ لوط: ﴿**إنِّي لِعَمَلِكُم مِنَ القالِينَ**﴾ ١٦٨: المُبغِضين. ﴿**رَبِّ، نَجِّني وأهلِي مِمّا يَعمَلُونَ**﴾ ١٦٩ أي: من عذابه.

٣ - ﴿**فنَجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ** ١٧٠، **إلّا عَجُوزًا**﴾ امرأتَه ﴿**في الغابِرِينَ**﴾ ١٧١: الباقين أهلكناها، ﴿**ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ**﴾ ١٧٢: أهلكناهم، ﴿**وأمطَرْنا عليهِم مَطَرًا**﴾: حِجارة، من جُملة الإهلاك، ﴿**فساءَ مَطَرُ المُنذَرِينَ**﴾ ١٧٣ مطرُهم! ﴿**إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ** ١٧٤، **وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٧٥.

ربع الحزب ٣٨

٤ - ﴿**كَذَّبَ أصحابُ الأيْكَةِ**﴾ - وفي قراءة بحذفِ الهمزة وإلقاءِ حركتها على اللام وفتح الهاء - هي غَيضة شجرة قربَ مَدْيَنَ ﴿**المُرسَلِينَ** ١٧٦، **إذ قالَ لَهُم شُعَيبٌ**﴾، لم يقل «أخوهم» لأنه لم يكن منهم: ﴿**ألا تَتَّقُونَ** ١٧٧. **إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ** ١٧٨. **فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ** ١٧٩. **وما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**أجرِيَ إلّا على رَبِّ العالَمِينَ** ١٨٠. **أوفُوا الكَيلَ**﴾: أتِمُّوه، ﴿**ولا تَكُونُوا مِنَ المُخسِرِينَ**﴾ ١٨١: الناقصين، ﴿**وزِنُوا بِالقِسطاسِ المُستَقِيمِ**﴾ ١٨٢: الميزان السويّ، ﴿**ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم**﴾: لا تَنقُصوهُم من حقّهم شيئًا، ﴿**ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ**﴾ ١٨٣ بالقتل وغيره - من «عَثِيَ» بكسر المُثلَّثة: أفسدَ. ومفسدين: حال مُؤكِّدة لمعنى عاملها «تعثوا» - ﴿**واتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم والجِبِلَّةَ**﴾: الخليقة ﴿**الأوَّلِينَ**﴾ ١٨٤.

---

(١) القوم: الجماعة التي يقيم بينها لوط. وهو ابن أخي إبراهيم، جاء معه من العراق إلى فلسطين، ثم انتقل إلى مدينة سدوم قرب حمص للدعوة. وأخوهم أي: مجاورهم في البلد وصهرهم وليس من نسبهم. وانظر الآيات ١٠٥-١٠٩. وتأتونهم: تزنُون بأدبارهم وتُفحشون. والذكران: جمع ذَكَر. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق، عُبِّر عنه بالجمع للمبالغة. وتذر: تهمل. وخلق: أوجد. والرب: السيد يرعى مصالح عبيده. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. والأقبال: جمع قُبُل. وهو الفرج. والقوم: الجماعة من الناس.

(٢) المخرج: المطرود المبعد. والتقدير: نُقسِم - لئن لم تنته تكنْ من المخرجين - لتكونن منهم. والبلدة هي سدوم. ث: «بلدنا». وانظر الآيتين ٢٩ و١١٦. والعمل: ما يقوم به الإنسان من قول أو فعل. والمراد هو اللِّواطة، وما يلازم ذلك من الكفر والفساد، ويتصل به من الفواحش. والمبغضين أي: والمنكِرين المحاربين. ورب أي: ياربي. ونجني: أنقذني. وأهله: زوجته المؤمنه وابنتاه والمؤمنون. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ومن عذابه يعني: مايستحقه عملهم من العقاب.

(٣) نجيناه: أنقذناه. وأجمعين أي: كلهم. والعجوز: التي بلغت سنًا عالية من العمر. وامرأته هذه كانت من المشركين، تبلغهم أخبار زوجها. والباقين أي: في العذاب. والآخرون: المغايرون للذين نجَوا. وهم المشركون. وأمطر: أسقط وأنزل. وساء: بلغ الغاية في السوء والضرر. والمنذر: المهدَّد بالانتقام لعصيانه. وانظر الآيتين ٦٧ و٦٨.

(٤) كذبه: أنكر قوله وجحده. والأصحاب: جمع صاحب. و«في قراءة... الهاء» فيه تلفيق بين قراءتين من عبارة البيضاوي، هما: «الَيْكَةِ» و«لَيْكَةَ». فالأولى حذفت منها الهمزة ونقلت حركتها إلى لام التعريف. و«هي غيضة شجر» تفسير لهذه القراءة. والثانية - وهي التي يريدها المحلي - اسم عَلَم للبلدة التي فيها القوم المذكورون. وعَبَّر المحلي عن التاء بالهاء تجوزًا. والغيضة: المكان شجره كثير ملتف بعضه على بعض. ومَدْيَن: بلدة على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك. والمرسلون: كل الرسل. وشُعيب: نبي من العرب من ذرية مدينِ بن إبرهيم. ومنهم: من قبيلتهم أو صهرهم، وهو من أهل مدين. وانظر الآيات ١٠٥-١٠٩ و١٦١، والآيات ٨٥ من سورة الأعراف و٨٤ من سورة هود و٣٦ من سورة العنكبوت. والكيل: التقدير بالمكيال. وأتموه: اجعلوه تامًا إذا كلتم لغيركم. والناقصين أي: للكيل وغيره من الحقوق. وزنوا: أدّوا حقوق غيركم. والأشياء: جمع شيء. وهو ما وجد أو ما يحتمل وجوده. والأرض أي: البلاد. والمفسد: الذي يرتكب الشر بقصد وعزم. ومن عثي أي: مثل: رَضِيَ. وحال مؤكدة: يعني أن مفسدين: حال من الفاعل في «تعثوا»، وتفيد توكيدًا لمعنى هذا الفعل. وسقط «تعثوا» مما عدا الأصل والنسخ. واتقوه: تجنبوا غضبه والزموا الطاعة. وخلقكم: أنشأكم من نطفة. فإعدامكم أهون عليه. والأولين: الماضين قبلكم من الأمم، صفة لـ «الجبلة» وصفت بما يوصف به العقلاء، لأنها بمعنى: الكثيرين من الناس.

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١ - ﴿قالُوا: إِنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ١٨٥، وما أنتَ إلّا بَشَرٌ مِثْلُنا، وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه **﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ ١٨٦. فأسقِطْ علَينا كِسْفًا﴾**، بسكون السين وفتحها: قطعةً **﴿مِنَ السَّماءِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ ١٨٧** في رِسالتك. **﴿قالَ: رَبِّيَ أعلَمُ بِما تَعمَلُونَ﴾ ١٨٨**، فيُجازيكم به. **﴿فكَذَّبُوهُ فأخَذَهُم عَذابُ يَومِ الظُّلّةِ﴾**. هي سحابة، أظلّتهم بعد حرّ شديد أصابهم، فأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا. **﴿إنَّهُ كانَ عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ ١٨٩**.

٢ - ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ ١٩٠، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٩١، وإنَّهُ﴾ أي: القرآن **﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ ١٩٢، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ﴾ ١٩٣**: جِبريل، **﴿علَى قَلبِكَ، لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ ١٩٤. بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ١٩٥**: بيّنٍ - وفي قراءة بتشديد «نَزَّلَ» ونصبِ «الرُّوحَ» والفاعلُ الله - **﴿وإنَّهُ﴾** أي: ذِكرَ القُرآن المُنزّل على مُحمّد **﴿لَفِي زُبُرِ﴾**: كُتبِ **﴿الأوَّلِينَ﴾ ١٩٦**، كالتوراة والإنجيل.

٣ - ﴿أوَلَم يَكُن لَهُم﴾: لكُفّار مكّة **﴿آيَةً﴾** على ذلك **﴿أن يَعلَمَهُ عُلَماءُ بَني إسرائيلَ﴾ ١٩٧**، كعبد الله بن سلام وأصحابه ممّن آمنوا؟ فإنهم يُخبِرون بذلك - «ويكن» بالتحتانيّة ونصب «آيةً»، وبالفَوقانيّة ورفع «آيةٌ» - **﴿ولَو نَزَّلْناهُ علَى بَعضِ الأعجَمِينَ﴾ ١٩٨**: جمع أعجم، **﴿فقَرَأهُ علَيهِم﴾** أي: كُفّارِ مكّة، **﴿ما كانُوا بِهِ مُؤمِنِينَ﴾ ١٩٩** آنفةً من اتّباعه. **﴿كَذٰلِكَ﴾** أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ به بقراءة الأعجم، **﴿سَلَكْناهُ﴾**: أدخلنا التكذيب به **﴿في قُلُوبِ المُجرِمِينَ﴾ ٢٠٠** أي: كُفّارِ مكّة، بقراءة النبيّ. **﴿لا يُؤمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الألِيمَ﴾ ٢٠١** المُلجِئَ لهم - قيل: هو الموت - **﴿فيَأتِيَهُم بَغْتَةً وهُم لا يَشعُرُونَ ٢٠٢، فيَقُولُوا: هَل نَحنُ مُنظَرُونَ﴾ ٢٠٣**: مُمهَلون لنُؤمن؟ فيقال لهم: لا.

٤ - قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى: **﴿أفبِعَذابِنا يَستَعجِلُونَ ٢٠٤؟ أفرَأيتَ﴾**: أخبِرني، **﴿إن مَتَّعْناهُم سِنِينَ ٢٠٥، ثُمَّ جاءَهُم ما كانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٢٠٦** من العذاب، **﴿ما﴾** استفهامية بمعنى: أيّ شيء **﴿أغنَى عَنهُم ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ٢٠٧**، في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يُغنِ. **﴿وما أهلَكْنا مِن قَريَةٍ إلّا لَها مُنذِرُونَ﴾ ٢٠٨**: رُسل تُنذر أهلها، **﴿ذِكرَى﴾**: عظةً لهم، **﴿وما كُنّا ظالِمِينَ﴾ ٢٠٩** في إهلاكهم بعد إنذارهم.

---

(١) قالوا: انظر الآيتين ١٥٣و ١٥٤. واسمها محذوف أي: ضمير الشأن. ونظن: نعتقد. والكاذب: من يدعي غير الحق. وأسقط أي: ادعُ الذي أرسلك أن يسقط. وبفتحها يريد القراءة «كِسَفًا» أي: قِطَعًا. وهي جمع: كِسْفة. والصادق: من يقول الحق. وأعلم: أكثر إحاطة من الجميع. وتعملون: تكتسبونه وتتحملون عقابه. وكذبوه أي: استمروا في تكذيبه. وأخذهم: عاقبهم وأهلكهم. وقد ذكر المفسرون ليوم الظلة أخبارًا مطولة، وقال في ذلك ابن عباس: من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب. البحر ٣٨:٧. واليوم: الوقت. والعظيم: الفظيع لامثيل له.

(٢) انظر الآيتين ٦٧ و٦٨. والتنزيل: الوحي المنزَّل. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. ونَزَل: جاء مكلفًا بالتبليغ. والأمين: المؤتمن. وعلى قلبك أي: عليك. وإنما خُص القلب بالذكر لأنه موضع الوعي والتثبيت والتمييز والاختيار. والمنذرون العرب: هود وصالح والشُّعَيبانِ - انظر المحبر ص ١٣١- وإسماعيل. واللسان: الكلام. والعربي: المنسوب إلى العرب. والفاعل الله يعني: نَزَّل اللهُ به الروحَ ومعه ما أُوحي إليك. والزبر: جمع زَبُور. وهو الكتاب. والأولون: الأمم المتقدمة.

(٣) الآية: العلامة والدلالة القاطعة. ويعلمه: يدريه يقينًا. والعلماء: جمع عالم بحقائق الكتب المنزلة. وعن ابن عباس أن أهل مكة بعثوا إلى الأحبار، يسألونهم عن النبي ﷺ، فأجابوهم: «هذا زمانه»، ووصفوا ما يكون عليه، فخلطوا في أمره، فنزلت الآية في ذلك. البحر ٤١:٧. وبنو إسرائيل: سلالة يعقوب من أولاده. وعبد الله بن سلام كان من أحبار اليهود ثم أسلم. وأصحابه: أسد وأُسيد وثعلبة وابن يامين. وبالفوقانية يريد القراءة «أوَلَم تَكُنْ لَهُم آيةٌ». ونزلناه: أوحيناه. والأعجم: الذي لايحسن العربية. وقرأ: تلا. ويؤمن به: يصدّقه. والأعجم هو المذكور في الآية ١٩٨. وفيما عدا الأصل والنسخ: «الأعجمي». والقلوب: جمع قلب. والمجرم: من يقترف الفساد باختيار وعزم. ويرى: يبصر عِيانًا. والملجئ لهم: الذي يضطرهم إلى الإيمان. ويأتيهم: ينزل بهم. وبغتة: مفاجئًا. ولايشعرون أي: يتلهَّون بما يصرفهم عن العذاب. و«لا» أي: لا تأخير ولا إمهال.

(٤) يستعجل به: يطلب وقوعه سريعًا. انظر «المفصل». والخطاب في «أرأيت» للنبي ﷺ وكل قارئ وسامع، أي: أخبرني: أيَّ غَناء يغني عنهم تمتعُهم؟ ومتعناه: منحناه ما يتلذذ به. وسنين: عدة سنوات. وجاءه: حلّ به. ويوعدون: يهدَّدون به. ولم يغن: لم ينفعهم قط. يعني أن الاستفهام بـ «ما» معناه النفي. وأهلك: أفنى. وقرية: مدينة. والمراد من فيها. وتنذر: تهدد بالانتقام ممن كفر. ولهم أي: لأهل القرية. وماكنا أي: ولانزال دون قيد زمني. والظالم: من يتجاوز الحق والعدل، أي: ليس من شأننا الظلم أبدًا. بل العدل المطلق.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ ٢٧ آياتها ٩٣

١- ونزل، ردًّا لقول المشركين، ﴿**وما تنزّلت به**﴾: بالقُرآن ﴿**الشَّياطِينُ**﴾ ٢١٠، ﴿**وما ينبَغِي**﴾: يصلح ﴿**لَهُم**﴾ أن يَنزلوا به، ﴿**وما يَستَطِيعُونَ**﴾ ٢١١ ذلك. ﴿**إنَّهُم عَنِ السَّمعِ**﴾ لكلام الملائكة ﴿**لَمَعزُولُونَ**﴾ ٢١٢: محجوبون بالشُّهب.

٢- ﴿**فلا تَدعُ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ، فتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ**﴾ ٢١٣، إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه، ﴿**وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ**﴾ ٢١٤ - وهم بنو هاشم وبنو المُطّلب. وقد أنذرَهُم جِهارًا. رواه البخاريّ ومسلم - ﴿**واخفِضْ جَناحَكَ**﴾: ألِنْ جانبك، ﴿**لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ٢١٥: الموحّدين، ﴿**فإن عَصَوكَ**﴾ أي: عشيرتُك ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنّي بَرِيءٌ مِمّا تعمَلُونَ**﴾ ٢١٦ من عِبادة غير الله. ﴿**وتَوَكَّلْ**﴾ - بالواو والفاء - ﴿**على العَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ ٢١٧: فوّضْ إليه جميع أمرك، ﴿**الّذي يَراكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ ٢١٨ إلى الصلاة، ﴿**وتَقَلُّبَكَ**﴾ في أركان الصلاة، قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿**في السّاجِدِينَ**﴾ ٢١٩ أي: المُصلّين. ﴿**إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ ٢٢٠.

٣- ﴿**هَل أُنَبِّئُكُم**﴾ - أي كُفّارَ مكّة - ﴿**على مَن تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ**﴾ ٢٢١؟ بحذف إحدى التاءين من الأصل. ﴿**تَنَزَّلُ على كُلِّ أفّاكٍ**﴾: كذّاب ﴿**أثِيمٍ**﴾ ٢٢٢: فاجر، مِثل مُسيلِمةَ وغيره من الكهنة. ﴿**يُلقُونَ**﴾ أي: الشياطينُ ﴿**السَّمعَ**﴾ أي: ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة، ﴿**وأكثَرُهُم كاذِبُونَ**﴾ ٢٢٣ يضمّون إلى المسموع كذبًا كثيرًا. وكان هذا قبل أن حُجِبَتِ الشياطين عن السماء.

٤- ﴿**والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ**﴾ ٢٢٤ في شِعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم. فهم مذمومون. ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّهُم في كُلِّ وادٍ**﴾ من أودية الكلام وفُنونه ﴿**يَهِيمُونَ**﴾ ٢٢٥: يمضون، فيُجاوزون الحدّ مدحًا وهجوًا، ﴿**وأنَّهُم يَقُولُونَ**﴾: فَعَلْنا ﴿**ما لا يَفعَلُونَ**﴾ ٢٢٦ أي: يكذبون؟ ﴿**إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ من الشعراء، ﴿**وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا**﴾ أي: لم يَشغلهم الشعر عن الذكر، ﴿**وانتَصَرُوا**﴾ بهجوهم الكُفّارَ ﴿**مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا**﴾ بهجو الكُفّار لهم في جُملة المؤمنين، فليسوا مذمومين. قال الله تعالى: «لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلّا مَن ظُلِمَ»، «فمَنِ اعتدَى علَيكُم فاعتدُوا علَيهِ بمِثلِما اعتدَى علَيكُم». ﴿**وسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿**أيَّ مُنقَلَبٍ**﴾: مَرجع ﴿**يَنقَلِبُونَ**﴾ ٢٢٧: يرجعون بعد الموت!

سورة النمل

مكية، وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية.

---

(١) قولهم أي: إن الشياطين يُلقون القرآن إلى الرسول، كما يأتون الكهنةَ بأخبار السماء في الجاهلية. فالمراد بالنفي أن القرآن وحي من عند الله، لا كما زعموا. وتنزلت به: حملته وبلّغته. والشياطين: جمع شيطان، جنّي من سلالة إبليس يغري بالشر والضلال. ولا يستطيعون: لا يقدرون. والسمع: الإنصات. وكلام الملائكة: ما يكون بينهم من أسرار. وبالشهب أي: لأنها تحرق من دنا لاستراق السمع. انظر الآية ١٨ من سورة الحِجر.

(٢) تدعو: تعبد وتطيع. والإله: المعبود. وتكون: تصير. والمعذب: المستحق للعذاب. وأنذرهم: هددهم. والعشيرة: أهل الرجل الذين يستعين بهم. والأقرب: كالأبناء والأعمام والعمات وأبنائهم. ورواه: انظر الأحاديث ٢٦٠٢ و٣٣٣٦ و٤٤٩٣ في البخاري و٣٤٨-٣٥٢ في مسلم. وألن جانبك: تواضع وتلطف. واتبعك: استجاب لك. وعصوك: خالفوك، من المؤمنين عامة لا من العشيرة وحدها. والبريء: المتبرئ. وتعملون: تكتسبون وتتحملون. وتوكل أي: دم على توكلكَ. وروي أنه لما نزلت الآية ٢١٤ عظم ذلك على الصحابة، فنزلت الآية ٢١٥ تطمئنهم. انظر لباب النقول. وبالفاء يريد القراءة «فتَوَكَّلْ». والعزيز: الغلاب يذل لعزته ما عداه. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة. ويراك: يكون معك فيبصرك ويرعاك. وإلى الصلاة أي: وغيرها. والتقلب: التصرف. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة.

(٣) أنبئ: أُخبر. وتنزل: تفتري وتوسوس إيهامًا وتضليلًا. والشياطين: جمع شيطان. وهو مخلوق ناري يوسوس بالشر. ومسيلِمة من بني حنيفة، تنبأ في الجاهلية وتلقب برحمن اليمامة. ويلقي: يوسوس. وأكثرهم أي: أكثر الشياطين والكهنة. والكاذب: من يقول غير الواقع.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. والشعراء: جمع شاعر. وهو الذي ينظم الشعر ويتقنه. ويتبعه: ينقاد إليه. والغاوي: الضال. ويمضون: يعتسفون في كل طريق على غير هداية. ويفعلون: يكتسبونه ويعملونه. وآمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب بقلبه ولسانه وفعله. والصالحات: ما رضيه الله. وذكروه: استحضروا عظمته في قلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. وانتصر: ردّ العدوان. وظلموا: اعتُدي عليهم. وقوله تعالى هو في الآيتين ١٤٨ من سورة النساء و١٩٤ من سورة البقرة. ويعلم: يدرك عِيانًا. وظلم: تجاوز حد الحق. وينقلب: ينتكس. ويرجعون يعني: ما سيصيرون إليه من ذلة وعذاب، خلاف ما هم عليه في الدنيا من متاع وزينه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ٣٨

١- ﴿**طسٓ**﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**تلكَ**﴾ أي: هذه الآيات ﴿**آياتُ القُرآنِ**﴾: آياتٌ منه، ﴿**وكِتابٍ مُبِينٍ**﴾١: مُظهِر للحقّ من الباطل - عطف بزيادة صفة - هو ﴿**هُدًى**﴾ أي: هادٍ من الضلالة، ﴿**وبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ**﴾٢: المُصدِّقين به بالجنّة، ﴿**الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ**﴾: يأتون بها على وجهها، ﴿**ويُؤتُونَ**﴾: يُعطُون ﴿**الزّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ**﴾٣: يعلمونها بالاستدلال. وأُعيد «هم» لمّا فُصل بينه وبين الخبر.

٢- ﴿**إنَّ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ زَيّنّا لَهُم أعمالَهُم**﴾ القبيحةَ، بتركيب الشهوة، حتّى رأوها حسنة - ﴿**فهُم يَعمَهُونَ**﴾٤: يتحيّرون فيها، لقُبحها عِندنا - ﴿**أُولٰئِكَ الّذِينَ لَهُم سُوءُ العَذابِ**﴾: أشدُّه في الدنيا القتلُ والأسر، ﴿**وهُم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ**﴾٥، لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، ﴿**وإنّكَ**﴾ - خِطابٌ للنبيّ - ﴿**لَتُلَقَّى القُرآنَ**﴾: يُلقَى عليك بشِدّة، ﴿**مِن لَدُنْ**﴾: من عِند ﴿**حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾٦ في ذلك.

٣- اذكرْ ﴿**إذ قالَ مُوسَى لِأهلِهِ**﴾ زوجته، عِند مسيره من مَدْيَنَ إلى مِصرَ: ﴿**إنّي آنَستُ**﴾: أبصرت من بعيدٍ ﴿**نارًا، سآتِيكُم مِنها بِخَبَرٍ**﴾ عن حال الطريق - وكان قد ضلّها - ﴿**أو آتِيكُم بِشِهابٍ قَبَسٍ**﴾، بالإضافةِ للبيان وتركِها، أي: شُعلةِ نار في رأس فتيلةٍ أو عُودٍ، ﴿**لَعَلّكُم تَصطَلُونَ**﴾٧: تستدفئون من البرد. والطاء بدل من تاء الافتعال، من: صَلِي بالنار، بكسر اللام وفتحها. ﴿**فلَمّا جاءَها نُودِيَ أنْ**﴾ أي: بأنْ ﴿**بُورِكَ**﴾ أي: باركَ اللهُ ﴿**مَن في النّارِ**﴾ أي: مُوسَى، ﴿**ومَن حَولَها**﴾ أي: الملائكةُ، أو العكس - وباركَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ويُقدَّر بعدَ «في»: «مكانِ» - ﴿**وسُبحانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾٨ من جُملة ما نُودي، ومعناه: تنزيهَ اللهِ من السوء! ﴿**يا مُوسَى، إنّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾٩. ﴿**وألقِ عَصاكَ**﴾. فألقاها ﴿**فلَمّا رآها تَهتَزُّ**﴾: تتحرّك، ﴿**كأنّها جانٌّ**﴾: حيّة خفيفة، ﴿**وَلّى مُدبِرًا ولَم يُعَقِّبْ**﴾: يَرجِعْ.

٤- قال تعالى: ﴿**يا مُوسَى، لا تَخَفْ**﴾ منها - ﴿**إنّي لا يَخافُ لَدَيَّ**﴾: عِندي ﴿**المُرسَلُونَ**﴾١٠ من حيّة أو غيرها. ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن ظَلَمَ**﴾ نفسَه، ﴿**ثُمّ بَدّلَ حُسنًا**﴾ أتاه ﴿**بَعدَ سُوءٍ**﴾ أي: تاب، ﴿**فإنّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾١١: أقبلُ التوبةَ وأغفر له - ﴿**وأدخِلْ يَدَكَ في جَيبِكَ**﴾: طوق قميصك، ﴿**تَخرُجْ**﴾ خِلافَ لونها من الأُدمة، ﴿**بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ**﴾: برصٍ، لها شُعاع يُغشّي البصر، آيةً ﴿**في تِسعِ آياتٍ**﴾ مُرسَلًا بها ﴿**إلَى فِرعَونَ وقَومِهِ. إنّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ**﴾١٢.

٥- ﴿**فلَمّا جاءَتهُم آياتُنا مُبصِرةً**﴾ أي: مُضيئة واضحة ﴿**قالُوا: هٰذا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾١٣: بيِّن ظاهر. ﴿**وجَحَدُوا بِها**﴾ أي: لم يُقِرُّوا، ﴿**و**﴾ قد ﴿**استَيقَنَتها أنفُسُهُم**﴾ أي: تيقّنوا أنها من عِند الله، ﴿**ظُلمًا وعُلُوًّا**﴾: تكبّرًا عن الإيمان بما جاء به مُوسَى. راجعٌ إلى الجحد. ﴿**فانظُرْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ**﴾١٤ التي علمتَها من إهلاكهم؟

---

(١) هاد: مرشد وموجّه. والبشرى: البشارة. ويعطونها: يؤدونها إلى مستحقيها. والآخرة: الحياة بالبعث للحساب. ويعلمونها بالاستدلال أي: يدركونها بتدبر ما جاء في القرآن والسُّنّة، وما في الكون من أدلة قاطعة. و«لما فصل» يعني أن «هم» الثاني أعيد توكيدًا للأول، يصل جملة الخبر بالمبتدأ، ويؤكد مضمون الجملة الكبرى. (٢) زين: جمّل. والأعمال: جمع عمل. وتركيب الشهوة: ما جُعل في نفوسهم بالطبع، من رغبة جامحة. ويتحيرون: يترددون في الاستمرار والترك. انظر «المفصل». والسوء: السيئ. والأخسرون: أشد الناس خسارة. وتلقاه: يوحَى إليك. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال الإحسان للفعل وإتقان الأشياء. والعليم: المبالغ في الإحاطة. (٣) موسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والنار: النور الوضاح. ومدين: انظر الآية ٨٤ من سورة هود. وآتيكم: أُحضر لكم. والشهاب: الشُّعلة. والقبس: النار. وبتركها يريد القراءة «بِشِهابٍ قَبَسٍ». وبكسر اللام وفتحها: انظر «المفصل». وبورك: قُدّس وطهر. ويتعدى بنفسه أي: ينصب المفعول به. وسبحان: انظر الآية ١ من سورة الإسراء. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. والشأن: الأمر والموضوع. والعزيز: الغلاب لايعجزه شيء. والحكيم: انظر الآية ٦. وألقها: اطرحها على الأرض. والخفيفة: السريعة بتوثب. وولى: هرب. (٤) لاتخف أي: لا تفزع واطمئن. وعندي أي: في موقف المناجاة. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة للمؤمنين. وأدخلها: ضعها. وطوق القميص: الفتحة يدخل منها الرأس. وتخرج أي: تظهر حين تسحبها. والأدمة: السُّمرة. ويغشّي البصر: يغطيه بنوره. والآية: المعجزة تحمل على التصديق. والتسع: انظر الآية ١٠١ من سورة الإسراء. والفاسق: الخارج على الحق. (٥) الآيات: المعجزات والأدلة القاطعة. والسحر: ما يخيل للحواس والعقول الساذجة بالشعبذة، ويوهمها خلاف الواقع. وبها: بالآيات المعجزة التي زعموا أنها سحر. واستيقن: أدرك إدراكًا قاطعًا. والنفس: القلب والعقل، أي: علموا في أنفسهم. والظلم: مجاوزة حد المعقول. وراجع إلى الجحد: يعني أن الظلم والعلو علاقتهما بالجحد لا بالاستيقان. وانظر: تفكر وتدبر عظة واعتبارًا. والخطاب لكل سامع أو قارئ. والعاقبة: النهاية والنتيجة. والمفسد: المقترف للفساد باختيار وعزم.

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١- ﴿**ولَقد آتينا داوُدَ وسُلَيمانَ**﴾ ابنه ﴿**عِلمًا**﴾، بالقضاء بين الناس، ومنطقِ الطير وغير ذلك، ﴿**وقالا**﴾ شكرًا لله: ﴿**الحمدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنا**﴾، بالنبوّة وتسخير الجنّ والإنس والشياطينِ، ﴿**على كَثيرٍ مِن عِبادِهِ المُؤمِنِينَ**﴾ ١٥ . ﴿**ووَرِثَ سُلَيمانُ داوُدَ**﴾ النبوّةَ والعِلم، ﴿**وقالَ: يا أيُها النّاسُ، عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيرِ**﴾ أي: فهمَ أصواته، ﴿**وأُوتِينا مِن كُلِّ شَيءٍ**﴾، يُؤتاه الأنبياءُ والمُلوك. ﴿**إنَّ هٰذا**﴾ المُؤتَى ﴿**لَهُوَ الفَضلُ المُبِينُ**﴾ ١٦ : البيِّن الظاهر. ﴿**وحُشِرَ**﴾: جُمع ﴿**لِسُلَيمانَ جُنودُهُ، مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ**﴾ في مسير له، ﴿**فهُم يُوزَعُونَ**﴾ ١٧ : يُجمعون ثمّ يُساقون.

٢- ﴿**حتَّى إذا أتَوا على وادِ النَّملِ**﴾ - هو بالطائف أو بالشام، نمله صِغار أو كِبار - ﴿**قالَتْ نَملَةٌ**﴾ ملِكة النمل، وقد رأت جُند سليمان: ﴿**يا أيُّها النَّملُ، ادخُلُوا مَساكِنَكُم، لا يَحطِمَنَّكُم**﴾: يكسِرنّكم ﴿**سُلَيمانُ وجُنُودُهُ، وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ ١٨ بهلاككم. ونُزّل النمل منزلة العُقلاء في الخِطاب بخطابهم. ﴿**فتَبَسَّمَ**﴾ سُليمان ابتداء، ﴿**ضاحِكًا**﴾ انتهاء، ﴿**مِن قولِها**﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح، فحبس جُنده حين أشرف على واديهم حتّى دخلوا بُيوتهم، وكان جنده رُكبانًا ومُشاة في هذا المسير، ﴿**وقالَ: رَبِّ، أوزِعْنِيَ**﴾: ألهِمني ﴿**أن أشكُرَ نِعمتَكَ الَّتِي أنعَمتَ**﴾ بها ﴿**عَلَيَّ وعلى والِدَيَّ، وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ، وأدخِلْنِي بِرَحْمتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحِينَ**﴾ ١٩ : الأنبياء والأولياء.

٣- ﴿**وتَفَقَّدَ الطَّيرَ**﴾، ليرى الهُدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدلُّ عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿**فقالَ: ماليَ لا أرَى الهُدهُدَ**﴾ أي: أعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته، ﴿**أم كانَ مِنَ الغائِبِينَ**﴾ ٢٠، فلم أره لغَيبته؟ فلمّا تحقّقها. قال: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا**﴾ أي: تعذيبًا ﴿**شَدِيدًا**﴾، بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس فلا يمتنع على الهوامّ، ﴿**أو لَأذبَحَنَّهُ**﴾ بقطع حُلقومه، ﴿**أو لَيأتِيَنِّي**﴾ - بنون شديدة مكسورةٍ، أو مفتوحةٍ يليها نون مكسورة - ﴿**بِسُلطانٍ مُبِينٍ**﴾ ٢١ : برهان بيّن ظاهر على عُذره. ﴿**فمَكُثَ**﴾ - بضمّ الكاف وفتحها - ﴿**غَيرَ بَعِيدٍ**﴾ أي: يسيرًا من الزمان، وحضر لسُليمان مُتواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عمّا لقي في غيبته، ﴿**فقالَ: أحَطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ**﴾: أي: اطّلعت على ما لم تطّلع عليه، ﴿**وجِئتُكَ مِن سَبَأٍ**﴾ - بالصرف وتركه: قبيلة باليمن سُمّيت باسم جدٍّ لهم باعتباره صُرِفَ - ﴿**بِنَبَإٍ**﴾: بخبر ﴿**يَقِينٍ**﴾ ٢٢ . ﴿**إنِّي وَجَدْتُ امرأةً تَملِكُهُم**﴾ أي: هي ملِكة لهم اسمها بِلقيس، ﴿**وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيءٍ**﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعُدّة، ﴿**ولَها عَرشٌ**﴾: سرير ﴿**عَظِيمٌ**﴾ ٢٣ طوله ثمانون ذِراعًا وعرضه أربعون ذِراعًا وارتفاعه ثلاثون ذِراعًا، مضروب من الذهب والفضّة، مُكلّل بالدّرّ والياقوت الأحمر والزَّبرجَد الأخضر والزُّمرّد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزَّبرجَد الأخضر والزُّمرّد، عليه سبعة أبواب، على كُلّ بيت باب مغلق.

---

(١) آتينا: أعطينا. وداود وسليمان: نبيان من يهود بني إسرائيل. والعلم: الدراية اليقينية. والحمد: الثناء على النعم. وفضلّنا: رفع منزلتنا. والعباد: جمع عبد. وورثه النبوة: صارت له بعد وفاته. وعُلّمنا: عَلّمني الله. والمنطق: النطق. والطير: واحده طائر. وقد أورد القصاصون، من الأعاجيب عن سليمان، ما الله أعلم بصحته، وكثير منه يحتاج إلى نقل موثق. البحر ٧:٥٩-٦٠. ومن كل شيء أي: مما يصلح لنا ونتمناه. ويؤتاه: يعطاه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «تؤتاه». والفضل: الزيادة في الإنعام. والجنود: واحده جندي. والجن: مخلوقات نارية، واحدها جنيّ. (٢) أتوا: أشرفوا. والنمل: واحدته نملة. ع وط: «وادِي النّملِ». وتحديد المكان بالطائف هو الراجح لأن سليمان كان حينئذ في مسيره إلى الحج. والطائف: بلدة قريبة من مكة. وادخلوا: أسرعوا إلى الدخول. والمساكن: جمع مسكن. وبخطابهم: بسبب مخاطبتهم كما يخاطَب العقلاء. وقولها: ماقالته. وذكر الأميال والحبس فيه نظر. وربِّ أي: ياربّي. حذف حرف النداء وياء المتكلم. وأشكرها: أستحضرها في نفسي، وأقابلها بالثناء والطاعة. وأنعمت: تكرمت. والوالدان: الأب والأم. وأعمل: أكتسب وأتحمل. والصالح: ما أقره الشرع. وترضاه: تقبله وتثيب عليه. وأدخلني فيهم: اجعلني في جملتهم. والرحمة: العطف بالإحسان. والعباد: جمع عبد. (٣) تفقدها: طلب ما فُقد منها. والهدهد: طائر يشبه الحمام، وفي رأسه قُنزُعة. وما ذكر من رؤيته للماء لم يرد به نص موثق. وكذلك كثير من التفصيلات التي أوردها المحلي، في تفسير هذه الآية، هي خرافات إسرائيلية لايعتد بها. وما ذكره المحلي من النتف تمثيل لبعض العذاب، وهو من الأقوال المتعارضة التي أوردها القصاصون والمفسرون ولا صحة لأكثرها. البحر٧:٦٥. والهوام: الحشرات تدب على الأرض. ويأتيني: يُحضر لي. وبالشديدة يريد القراءة «لَيأتِيَنّني». وبفتحها يريد القراءة «فمَكَثَ» أي: بقي الهدهد في غيابه. وجئتك: أحضرت لك. وبتركه يريد القراءة «سَبَأَ». وصُرف أي: نوّن لأنه اسم علم لمذكر. واليقين: الثابت. وبلقيس: بنت شُرَحبِيل أحدِ ملوك العرب اليمانية. وأوتيت: انظر الآية ١٦. وسرير أي: سرير الملك. وباب مغلق يعني أن العرش داخل سبعة بيوت متوالية في الصغر، ولكل منها باب يغلق ويقفل. ولذا قال «عليه سبعة أبواب». وروي: «عليه سبعة مغاليق». وكلاهما صواب في التعبير. انظر ما بين الآيتين ٣٧ و٣٨ والبحر ٧:٦٧ وتفسير القرطبي ١٣ : ١٨٤.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ — سجدة

١- ﴿وجَدتُها وقَومَها يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللهِ، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم، فصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ، ﴿فهُم لا يَهتَدُونَ ٢٤ ألّا يَسجُدُوا لِلهِ﴾ أي: أن يسجدوا له - فزيدتْ «لا» وأُدغم فيها نون «أن» كما في قوله تعالى: «لِئَلّا يَعلَمَ أهلُ الكِتابِ». والجملة في موضع مفعول «يهتدون» بإسقاط «إلى» - ﴿الّذِي يُخرِجُ الخَبْءَ﴾: مصدرٌ بمعنى المخبوء من المطر والنبات، ﴿في السَّماواتِ والأرض، ويَعلَمُ ما يُخفُونَ﴾ في قُلوبهم، ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ ٢٥ بألسنتهم. ﴿اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ، رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾ ٢٦. استئناف جملة ثناءٍ مُشتملٍ على عرش الرحمن، في مُقابلة عرش بِلقيس، وبينهما بون عظيم.

٢- ﴿قالَ﴾ سُليمان للهُدهد: ﴿سَنَنظُرُ: أصَدَقتَ﴾ فيما أخبرتَنا به، ﴿أم كُنتَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ ٢٧ أي: من هذا النوع؟ فهو أبلغ من: أم كذبتَ فيه. ثمّ دلّهم على الماء فاستُخرج، وارتوَوا وتوضّؤوا وصلّوا. ثمّ كتب سُليمان كِتابًا صُورته: «مِن عَبدِاللهِ سُلَيمانَ بن داوُدَ، إلى بِلقِيسَ مَلِكةِ سَبأ. بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم. السَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بَعدُ فلا تَعلُوا علَيَّ، وائتُوني مُسلِمِينَ». ثمّ طبعه بالمِسك وختمه بخاتَمه، ثمّ قال للهُدهد: ﴿اذهَبْ بِكتابِي هٰذا، فألقِهْ إلَيهِم﴾: إلى بِلقيس وقومها، ﴿ثُمّ تَوَلَّ﴾: انصرِفْ ﴿عَنهُم﴾ وقفْ قريبًا منهم، ﴿فانظُرْ: ماذا يَرجِعُونَ﴾ ٢٨ يردّون من الجواب؟

٣- فأخذه وأتاها، وحولها جُندها، فألقاه في حَجرها. فلما رأته أُرعِدَت وخضعت خوفًا، ثمّ وقفت على ما فيه، ثمّ ﴿قالَتْ﴾ لأشراف قومها: ﴿يا أيُّها المَلأُ، إنِّيَ﴾ - بتحقيق الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا - ﴿أُلقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾ ٢٩: مختوم. ﴿إنَّهُ مِن سُلَيمانَ، وإنَّهُ﴾ أي: مضمونَه ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ ٣٠. أنْ لا تَعلُوا علَيَّ، وائتُوني مُسلِمِينَ ٣١. قالَتْ: يا أيُّها المَلأُ، أفتُونِي﴾ - بتحقيق الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا - أي: أشيروا عليَّ ﴿في أمرِي. ما كُنتُ قاطِعةً أمرًا﴾: قاضيتَه، ﴿حَتّى تَشهَدُونِ﴾ ٣٢: تَحضُرونِ. ﴿قالُوا: نَحنُ أُولُو قُوّةٍ، وأُولُو بأسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحاب شِدّة في الحرب، ﴿والأمرُ إلَيكِ. فانظُرِي ماذا تأمُرِينَ﴾ ٣٣نا؟ نُطِعْك. ﴿قالَتْ: إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَريةً أفسَدُوها﴾ بالتخريب، ﴿وجَعَلُوا أعِزّةَ أهلِها أذِلّةً، وكَذٰلِكَ يَفعَلُونَ﴾ ٣٤ أي: مُرسلو الكتاب، ﴿وإنِّي مُرسِلةٌ إلَيهِم بِهَدِيّةٍ، فناظِرةٌ: بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُونَ﴾ ٣٥ من قَبول الهديّة أو ردّها؟ إن كان ملِكًا قبلها، أو نبيًّا لم يقبلها.

٤- فأرسلت خَدَمًا ذكورًا وإناثًا ألفًا بالسويّة، وخمسمِائة لَبِنة من الذهب، وتاجًا مُكلّلًا بالجواهر، ومِسكًا وعنبرًا وغير ذلك، مع رسول بكتاب. فأسرع الهُدهد إلى سُليمان يُخبره الخبر، فأمر أن تُضرب لَبِنات الذهب والفِضّة، وأن تُبسط من موضعه إلى تسعة فراسخَ ميدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مُشرفًا من الذهب والفِضّة، وأن يُؤتى بأحسن دوابّ البرّ والبحر، مع أولاد الجِنّ، عن يمين المَيدان وشِماله.

---

(١) يسجد: يخرّ على جبهته عبادة. وزينها: أغرى بها. والشيطان: من يغري بالباطل والشر من الإنس والجن. والأعمال: جمع عمل، مايقومون به من الشرك والضلال. وصد: منع. ويهتدي: يسترشد. وزيادة «لا» تفيد التوكيد، كأن الجملة التي هي فيها كُرّرتْ مرتين. وقوله تعالى هو في الآية ٢٩ من سورة الحديد. والجملة في موضع مفعول: انظر «المفصل». ويخرجه: ينشئه. ويعلمه: يحيط به. ويخفون: يضمرونه. ويعلنون: يجاهرون به. والإله: المعبود بحق. وعرش الله هو غير الكرسي وأعظم منه بما لايوصف. انظر الآية ٢٢ من سورة الأنبياء. والبون: الفرق.

(٢) ننظر: نتعرف لنعلم. واذهب: انطلق. وألقه: ارمه. وإلى بِلقيس أي: في مكان يخصّها. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أي بلقيس». وانظره: تعرّفه واستحضره في ذهنك لتنقله إلينا.

(٣) أرعدت: أصابها الاضطراب. ووقفت: اطلعت. والملأ: الأسياد يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم. وبقلبها واوًا يريد القراءة «المَلأُ وِنِّيَ». وألقي: رمي. وكريم: مكرّم معظّم لأنه مختوم. ومضمونه: المكتوب فيه. ولاتعلوا: لاتتكبروا كالجبابرة. وائتوني: جيئوني. ومسلمين: طائعين مؤمنين بالتوحيد. وبقلبها واوًا يريد القراءة «المَلأُ وَفْتُوني». والأمر: الشأن المهم. وتحضرونِ: تكونوا معي وتقرّوا تنفيذه. فلا أستبد بموضوع خطير دون رأيكم. والبأس: الشجاعة. والأمر: الحكم والرأي. وانظري: تدبري. والملوك: جمع ملك. ودخلوا قرية أي: افتتحوا مدينة قهرًا. وأفسدوها: اشاعوا فيها الضرر. وجعل: صيّر. والأعزة: جمع عزيز. وأهلها: المقيمون فيها. والأذلة: جمع ذليل.

(٤) التفصيلات المذكورة هنا، وفي تفسير الآيات ٣٧-٤٤، هي مما لايلتفت إليه لأنه لم يرد في نص معتبر. قال ابن كثير: «الله أعلم أكان ذلك أم لا. وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات»، وقال أيضًا: «الصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب». وبالسوية أي: نصفهم ذكور والنصف إناث. وتُضرب: تصنع. وتبسط: ترصف في الأرض كالبلاط. والفراسخ: جمع فرسخ. وهو مايكون فيه مسيرة يوم وثمن اليوم.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى
عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

١- **﴿فلَمّا جاءَ﴾** الرسول بالهديّة، ومعه أتباعه، **﴿سُلَيمانَ قالَ: أتُمِدُّونَني بِمالٍ؟ فَما آتانِيَ اللهُ﴾** من النبوّة والمُلك **﴿خَيرٌ مِمّا آتاكُم﴾** من الدنيا. **﴿بَل أنتُم بِهَدِيَّتِكُم تَفرَحُونَ﴾** ٣٦، لفخركم بزخارف الدنيا. **﴿ارجِعْ إلَيهِم﴾** بما أتَيتَ به من الهديّة. **﴿فَلَنأتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ﴾**: لا طاقة **﴿لَهُم بِها، ولَنُخرِجَنَّهُم مِنها﴾** من بلدهم سبأ - سُمّيت باسم أبي قبيلتهم - **﴿أذِلّةً وهُم صاغِرُونَ﴾** ٣٧، إن لم يأتوني مُسلمين.

٢- فلمّا رَجَعَ إليها الرسول بالهديّة جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرُها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسًا، وتجهّزت للمسير إلى سُليمان، لتنظر ما يأمرها به. فارتحلت في اثني عشرَ ألفَ قَيلٍ، مع كل قَيل ألوف كثيرة، إلى أن قرُبت منه على فرسخ شعر بها. **﴿قالَ: يا أيُّها المَلأُ، أيُّكُم﴾** - في الهمزتين ما تقدّم - **﴿يأتِيني بِعَرشِها قَبلَ أن يأتُوني مُسلِمِينَ﴾** ٣٨ أي: منقادين طائعين؟ فلي أخذُه قبل ذلك لا بعده. **﴿قالَ عِفرِيتٌ مِنَ الجِنِّ﴾** هو القويّ الشديد: **﴿أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن تَقُومَ مِن مَقامِكَ﴾** الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار، **﴿وإنّي علَيهِ لَقَوِيٌّ﴾** أي: على حمله **﴿أمِينٌ﴾** ٣٩ على ما فيه من الجواهر وغيرها.

٣- قال سُليمان: أريد أسرع من ذلك. **﴿قالَ الَّذي عِندَهُ عِلمٌ مِنَ الكِتابِ﴾** المُنزَل، وهو آصِفُ بنُ بَرْخَيا، كان صِدّيقًا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب: **﴿أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن يَرتَدَّ إلَيكَ طَرْفُكَ﴾**، إذا نظرت به إلى شيء ما. قال له: انظر إلى السماء. فنظر إليها ثمّ ردّ بطرفه، فوجده موضوعًا بين يديه. ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به، فحصل بأن جرى تحت الأرض، حتى ارتفع عند كرسيّ سليمان. **﴿فلَمّا رآهُ مُستَقِرًّا﴾** أي: ساكنًا **﴿عِندَهُ قالَ: هٰذا﴾** أي: الإتيان لي به **﴿مِن فَضلِ رَبّي، لِيَبلُوَني﴾**: ليختبرني **﴿أأشكُرُ﴾** - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى، وتركِه - **﴿أم أكفُرُ﴾** النِّعمة؟ **﴿ومَن شَكَرَ فإنَّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾** أي: لأجلها، لأنّ ثواب شُكره له، **﴿ومَن كَفَرَ﴾** النِّعمة **﴿فإنَّ رَبّي غَنِيٌّ﴾** عن شُكرِه، **﴿كَرِيمٌ﴾** ٤٠ بالإفضال على من يكفرها.

٤- **﴿قالَ: نَكِّرُوا لَها عَرشَها﴾** أي: غيّروه إلى حال تُنكره إذا رأته، **﴿نَنظُرْ: أتَهتَدِي﴾** إلى معرفته، **﴿أم تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهتَدُونَ﴾** ٤١ إلى معرفة ما يُغيّر عليهم؟ قصد بذلك اختبار عقلها، لِما قيل له: إن فيه شيئًا. فغيّروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك. **﴿فلَمّا جاءَتْ قِيلَ﴾** لها: **﴿أهٰكَذا عَرشُكِ﴾** أي: أمِثلُ هذا عرشك؟ **﴿قالَتْ: كأنَّهُ هُوَ﴾** أي: فعرفته، وشَبّهت عليهم كما شبّهوا عليها، إذ لم يُقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل «هذا» قالت: نعم. قال سُليمان، لمّا رأى لها معرفة وعِلمًا: **﴿وأُوتِينا العِلمَ مِن قَبلِها وكُنّا مُسلِمِينَ﴾** ٤٢. **﴿وصَدَّها﴾** عن عِبادة الله **﴿ما كانَتْ تَعبُدُ، مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه. **﴿إنَّها كانَت مِن قَومٍ كافِرِينَ﴾** ٤٣.

٥- **﴿قِيلَ لَها﴾** أيضًا: **﴿ادخُلِي الصَّرحَ﴾**. هو سطح من زُجاج أبيض شفّاف، تحته ماء جارٍ، فيه سمك اصطنعه سُليمان، لِما قيل له: إنّ ساقيها ورجليها كقدمي حِمار. **﴿فلَمّارأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً﴾** من الماء، **﴿وكَشَفَتْ عَن ساقَيها﴾** لتخوضه. وكان سُليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى

---

(١) تمدونني: تساعدونني وتداهنونني. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أتُمِدُّونَنِ» بحذف ياء المتكلم، تبعًا لرسم المصاحف. وآتاني: أعطانيه. وخير: أفضل. وبهديتكم: بما يُهدى إليكم. وتفرحون: تُسرّون. وارجع: انصرف. ونأتيهم به: ندخله بلدهم. والجنود: واحده جندي. ونخرجهم: نطردهم وننفيهم. والصاغر: المستعبد المهان. (٢) سبعة أبواب: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٣. والقَيل: القائد من اليمن. والملأ: مَن عند سليمان من الإنس والجن. وما تقدم: يعني ما ذكر في تفسير الآية ٣٢. وقلب الثانية واوًا يعني «المَلأُ وَيُّكُم». ويأتيني: يجيئني. ويأتوا: يحضروا. والجن: واحده جنّيّ. وآتيك به: أُحضره إلى مجلسك. والقوي: المستطيع للشيء. والأمين: الحافظ للأمانة. (٣) العلم: الدراية اليقينية. وآصف أحد بني إسرائيل. والصديق: المبالغ في الصدق. ودُعي به: استغيث به. ويرتد: يرجع. والطرف: الجفن الأعلى. ورد بطرفه أي: رده. فالباء زائدة. وأسقط صاحب قرة العينين «حتى ارتفع عند كرسي سليمان». والحق أن الانتقال كان بإذن الله. أما كيف حصل فالصحيح عدم التعيين، لأنه لم يرد خبر شرعي بذلك. وفضله: إحسانه وإكرامه. وأشكر: أقوم بحق ذلك من الثناء بالقلب واللسان والعمل. والمحلي يريد أربع قراءات: التي أثبتناها، و«آشكُرُ»، و«أاَشكُرُ»، و«آاشكُرُ». وأكفرها: أقصّر في الحمد. ويشكر لنفسه أي: يكون مردود شكره لنفسه. والغني: المستغني عما سواه. والكريم: الكثير الجود بالخير . (٤) ننظر: نعلم. وتهتدي: تستدل. وشيئًا أي: من الضعف. وأوتي: أُعطي. والعلم: معرفة الصواب. والمسلم: من استسلم لأمر الله. وصد: منع. وتعبده: تسجد له وتقدسه. (٥) حسبت: توهمت. واللجة: الأمواج المضطربة. وكشفت: شمرت ثوبها. والساق: ما بين الركبة والكعب. والقوارير: جمع قارورة. ورب أي: ياربّي. وظلمتها: سببت لها ارتكاب العصيان. وأسلمتُ: استسلمت. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. والنورة: مسحوق يستعمل لإزالة الشعر. وماذكر من التفصيلات هنا قال عن مثله ابن كثير: «هو منكر وغريب جدًا... والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم». وانظر فتح القدير ٤:٢٠٠.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

ساقيها وقدميها حِسانًا. ﴿قالَ﴾ لها: ﴿إنَّهُ صَرحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مُملّس، ﴿مِن قَوارِيرَ﴾ أي: زجاج. ودعاها إلى الإسلام. ﴿قالَتْ: رَبِّ، إنِّي ظَلَمتُ نَفسِي﴾ بعِبادة غيرك، ﴿وأسلَمتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيمانَ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ٤٤. وأراد تزوّجها فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النُّورة فأزالته بها، فتزوجها وأحبّها وأقرّها على مُلكها، وكان يزورها في كلّ شهر مرّة، ويُقيم عِندها ثلاثة أيام. وانقضى مُلكها بانقضاء مُلك سُليمان. رُوي أنه ملك وهو ابن ثلاثَ عشْرةَ سنةً، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فسُبحان مَن لا انقضاء لدوام مُلكه.

١- ﴿ولَقَد أرسَلْنا إلَى ثَمُودَ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صالِحًا، أنِ﴾ أي: بأن ﴿اعبُدُوا اللهَ﴾: وحّدوه، ﴿فإذا هُم فَرِيقانِ يَختَصِمُونَ﴾ ٤٥ في الدِّين: فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون. ﴿قالَ﴾ للمُكذّبين: ﴿يا قَومِ، لِمَ تَستَعجِلُونَ بِالسَّيِّئةِ قَبلَ الحَسَنةِ﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة، حيثُ قلتم: إن كان ما أتيتَنا به حقًّا فائتِنا بالعذاب؟ ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿تَستَغفِرُونَ اللهَ﴾ من الشِّرك، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ٤٦ فلا تُعذَّبون. ﴿قالُوا: اطَّيَّرْنا﴾ – أصله «تَطَيَّرنا» أُدغمت التاء في الطاء واجتُلبت همزة وصل – أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وبِمَن مَعَكَ﴾ أي: المؤمنين، حيثُ قُحطوا المطرَ وجاعوا. ﴿قالَ: طائِرُكُم﴾: شُؤمكم ﴿عِندَ اللهِ﴾ أتاكم به. ﴿بَل أنتُم قَومٌ تُفتَنُونَ﴾ ٤٧: تختبرون بالخير والشرّ.

٢- ﴿وكانَ في المَدِينةِ﴾ مدينةِ ثمودَ ﴿تِسْعةُ رَهطٍ﴾ أي: رجالٍ، ﴿يُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانيرَ والدراهم، ﴿ولا يُصلِحُونَ﴾ ٤٨ بالطاعة. ﴿قالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقاسَمُوا﴾ أي: احلِفوا ﴿بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ – بالنونِ، والتاءِ وضمّ التاء الثانية – ﴿وأهلَهُ﴾ أي: مَن آمن به أي نقتلُهم ليلًا، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ – بالنونِ، والتاءِ وضمّ اللام الثانية – ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: وليّ دمه: ﴿ما شَهِدْنا﴾: حضرنا ﴿مُهلَكَ أهلِهِ﴾، بضمِّ الميم وفتحِها، أي: إهلاكَهم أو هلاكَهم. فلا ندري من قتلهم، ﴿وإنّا لَصادِقُونَ﴾ ٤٩. ﴿ومَكَرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكرًا، ومَكَرْنا مَكرًا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عُقوبتهم، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ ٥٠. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ مَكرِهِم؟ إنّا دَمَّرْناهُم﴾: أهلكناهم ﴿وقَومَهُم أجمَعِينَ﴾ ٥١، بصيحة جِبريل، أو برمي الملائكة بحِجارة يرونها ولا يرونهم – ﴿فتِلكَ بُيُوتُهُم خاوِيةً﴾: خالية، ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة، ﴿بِما ظَلَمُوا﴾: بظُلمهم أي: كُفرهم. ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعِبرةً، ﴿لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ ٥٢ قُدرتنا فيتّعظون – ﴿وأنجَينا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف، ﴿وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٣ الشِّرك.

٣- ﴿ولُوطًا﴾: منصوب بـ «اذكر» مُقدّرًا قبله، ويُبدل منه: ﴿إذ قالَ لِقَومِهِ: أتأتُونَ الفاحِشةَ﴾ أي: اللِّواطَ، ﴿وأنتُم تُبصِرُونَ﴾ ٥٤ أي: يُبصر

---

(١) أرسلناه: بعثناه مكلفًا بالعمل والتبليغ. وثمود: القبيلة التي كان منها قوم النبي صالح، سميت باسم جدها الأول. وهي عاد الثانية من العرب العاربة، أقدم الأمم التي عرفت لها آثار في التاريخ. وأخاهم أي: واحدًا منهم. وفريقان: جماعتان مختلفتان. ويختصمون: يتنازعون. وتستعجلون بها: تطلبون تعجيل وقوعها تحديًا ومكابرة. وتستغفر: تطلب ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه، بالتوبة والتوحيد والطاعة. وترحمون: يَعطف عليكم الله بإحسانه وعفوه. وهمزة وصل أي: همزة يتوصل بها إلى النطق بالساكن هو الطاء الأولى. وتسقط هنا لفظًا في درج الكلام. وتشاءمنا: أصابنا الشؤم والضرر والشِّدّة. وقحطوا المطر: حبس عنهم ومنع. والطائر: العمل الذي يصدر عن الإنسان. وهو هنا شؤم لما فيه من الشرك والضلال. وعند الله أي: في علمه وحسابه. وبه: بما يترتب عليه من الجزاء. والقوم: الجماعة من الناس رجالًا ونساء.

(٢) المدينة هي في الحِجر، بوادي القرى بين المدينة والشام. والرهط: الرجال دون العشرة. ويفسد: يشيع الشر والضرر والجرائم باختيار وعزم. والأرض: البلاد التي كانوا فيها وما حولها. وقرض الدنانير: قرض جوانبها الذهبية لتكون أنقص من قيمتها. ويصلح: يفعل الخير. ونبيته: نغدر به في وقت البيات، أي: ليلًا. وبالتاء يريد القراءة «لَتُبَيِّتُنَّهُ» بتاء الخطاب للجماعة. وفيه نون الرفع محذوفة لتوالي النونات، وواو الجماعة محذوفة أيضًا بعد التاء الثانية لالتقاء الساكنين. وبضم اللام يريد القراءة «لَتَقُولُنَّ» بالخطاب للجماعة أيضًا. وبفتح الميم يريد قراءتين «مَهلِكَ»، فسّرهما بقوله: هلاكَهم. ومكروا: دبروا الغدر. ولايشعرون: لايعلمون ما قدّرنا. وانظر: تأمل. والعاقبة: النهاية. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أنّا». و«أو برمي... ولا يرونهم» فيه تلفيق. انظر «المفصل». والبيوت: جمع بيت أي: آثارها. ويعلمون: يدركون. وأنجيناهم: أنقذناهم من الدمار والهلاك. وقد رحلوا إلى حضرموت، ثم أقاموا مع أبناء عمهم مملكة في اليمن، ونقلوا ذلك إلى مصر أيضًا في مملكة لهم قبل كثير من الفراعنة.

(٣) كان قوم لوط في سدوم وماحولها قرب حمص. وتأتون: تقترفون. والفاحشة: الشنيع من الذنوب والآثام. وبالوجهين يريد القراءات: «أإِنَّكُم» و«آإِنَّكُم» و«آإِنَّكُم». وتأتون الرجال: تستحلون الزنى في أدبارهم. والرجال: جمع رجل. والشهوة: ميل النفس إلى ما تريده. ودون أي: غير. والنساء أي: نكاح فُروجهن كما أباح الشرع. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وتجهلون: لا تعلمون ولا تدبرون.

الجزء العشرون سورة النمل

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل
لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴿٥٦﴾ فأنجيناه
وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ﴿٥٧﴾ وأمطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴿٥٨﴾ قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ﴿٥٩﴾
أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء
ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم
أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴿٦٠﴾
أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها
رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل
أكثرهم لا يعلمون ﴿٦١﴾ أمن يجيب المضطر إذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله
مع الله قليلا ما تذكرون ﴿٦٢﴾ أمن يهديكم في
ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴿٦٣﴾

بعضكم بعضًا انهماكًا في المعصية؟ ﴿أَإِنَّكُم﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿لَتأتُونَ الرِّجالَ شَهْوةً، مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتم قومٌ تجهَلُونَ﴾ ٥٥ عاقبة فِعلكم.

١- ﴿فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلّا أن قالُوا: أخرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾: أهلَه، ﴿مِن قَرْيتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ٥٦ من أدبار الرجال. ﴿فأنجَيناهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ، قَدَّرْناها﴾: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الغابِرِينَ﴾ ٥٧ الباقين في العذاب. ﴿وأمطَرْنا عليهِم مَطَرًا﴾، هو حجارة السِّجّيل أهلكتْهم، ﴿فساءَ﴾: بئس ﴿مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ ٥٨ بالعذاب مطرُهم!

٢- ﴿قُلْ﴾ يا مُحمّد: ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ على هلاك كُفّار الأُمم الخالية، ﴿وسَلامٌ على عِبادِهِ الَّذِينَ اصطفَا﴾ هم. ﴿آللهُ﴾ - بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه - ﴿خَيرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أم ما يُشرِكُونَ﴾ ٥٩، بالياء والتاء، أي: أهل مكّة به الآلهةَ، خير لعابديها؟

٣- ﴿أم مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنزَلَ لَكُم مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبَتْنا﴾ - فيه التفات من الغَيبة إلى التكلّم - ﴿بِهِ حَدائقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان المُحوّط، ﴿ذاتَ بَهْجةٍ﴾: حُسنٍ، ﴿ما كانَ لَكُم أن تُنبِتُوا شَجَرَها﴾ لعدم قُدرتكم عليه؟ ﴿أَإِلٰهٌ﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، في مواضعه السبعة - ﴿مَعَ اللهِ﴾ أعانه على ذلك؟ أي: ليس معه إلٰه. ﴿بَل هُم قَومٌ يَعدِلُونَ﴾ ٦٠: يُشركون بالله غيره. ﴿أم مَن جَعَلَ الأرضَ قرارًا﴾ أي: لا تميد بأهلها، ﴿وجَعَلَ خِلالَها﴾ فيما بينها ﴿أنهارًا، وجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾: جبالًا أثبتَ بها الأرض، ﴿وجَعَلَ بَينَ البَحرَينِ حاجِزًا﴾ بين العذب والمِلح، لا يختلط أحدهما بالآخر؟ ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ؟ بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ٦١ توحيده.

٤- ﴿أم مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ﴾: المكروب الذي مسّه الضُّرّ ﴿إذا دَعاهُ، ويَكشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره، ﴿ويَجعَلُكُم خُلَفاءَ الأرضِ﴾ - الإضافةُ بمعنى «في» - أي: يَخلُفُ كُلّ قرن القرنَ الذي قبله؟ ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ؟ قَلِيلًا ما تَذَّكَّرُونَ﴾ ٦٢: تتّعظون. بالفَوقانيّة والتحتانيّة، وفيه إدغام التاء في الذال، وما: زائدة لتقليل القليل. ﴿أم مَن يَهدِيكُم﴾: يُرشدُكم إلى مقاصدكم، ﴿في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾، بالنجوم ليلًا وبعلامات الأرض نهارًا، ﴿ومَن يُرسِلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ﴾ أي: قُدّامَ المطر؟ ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ؟ تَعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ ٦٣ به غيرَه!

---

(١) قالوا أي: بعضهم لبعض. وأخرجوهم: اطردوهم. والقرية هي مدينة سدوم. والأناس: الناس. ويتطهرون: يتنزهون عن اللِّواطة. وأنجيناه: أنقذناه. وأهله: زوجتاه وبنتاه. وامرأته المذكورة هنا هي الكافرة. وأمطرنا: أنزلنا. والسجيل: الطين المحروق. وساء: بلغ النهاية في السوء والشر. والمنذر: المهدَّد بالانتقام.

(٢) الحمد: الثناء بالجميل على الفضل. والسلام: التحية بدوام الخير. والعباد: جمع عبد. واصطفاهم: خصهم بتبليغ التوحيد والشرائع. وتسهيل الهمزة: جعلها بين الهمزة والفتحة. وتركه: ترك إدخال الألف. وفي قول المحلي خطآن. فهو يذكر أربعة أوجه: «أأللهُ» كما جاء في ط، و«آللهُ» كما أثبتنا، و«أاَللهُ»، و«آآللهُ». والصحيح منها هو الثاني والثالث لأنهما قراءتان ثابتتان. أما الأول والرابع فلا أصل لهما في القراءات، لأنه قد أجمع القراء على عدم تحقيق همزة الوصل في مثل هذا الموقع، وعلى عدم زيادة ألف بين المحققة والمسهلة هذه أيضًا. انظر «المفصل». وخير: أكثر نفعًا وأدومه. ويشركون: يجعلونه شريكًا في الألوهية والتقديس والطاعة. وبالتاء يريد القراءة «تُشرِكُونَ» خطابًا للكافرين.

(٣) خلقها: أوجدها. والسماء: ماحول الأرض من عوالم عُلوية. وأنزل: أمطر. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه من البَرَد والثلج والندى. وأنبت: أخرج. وذات أي: صاحبة. وما كان لكم: ليس بمقدوركم. والشجر: واحدته شجرة. والإلٰه: المعبود بحق. و«السبعة»: الصواب: «الخمسة»، كما جاء في إحدى النسخ، لأن المواضع هي خمسة في الآيات ٦١-٦٤. ويريد هنا أربع قراءات: الأولى هي التي أثبتناها، و«أإِلٰهٌ» و«آإِلٰهٌ» و«آاِلٰهٌ». وهم أي: المشركون. ويعدلون: يُسوُّون به غيره في الألوهية. وجعل: صيّر. وقرارًا: مستقرة. والأرض: اليابسة من الكرة الأرضية. وجعل: خلق، في المواضع الثلاثة الأخيرة. والخلال: جمع خَلَل. وهو المنفرج بين شيئين. والأنهار: جمع نهر. والرواسي: جمع الراسي. وهو ما استقر وكان مثبِّتًا لغيره. والبحر: موضع اجتماع الماء الكثير. والحاجز: ما فصل من أرض يابسة أو تنافر يمنع الامتزاج. انظر الآية ٥٣ من سورة الفرقان .

(٤) يجيبه: يستجيب له ويعينه. والمضطر: الإنسان يصيبه ضرر يحمله على الاستغاثة. ودعاه: تضرع إليه يطلب عونه. ويكشف: يزيل. والسوء: ما يحزن ويؤلم. ويجعل: يصيّر. والإضافة بمعنى «في» أي: خلفاء في الأرض. والفوقانية: التاء. وبالتحتانية يريد القراءة «يَذَّكَّرُونَ». والظُّلْمة: فقدُ النور. ويرسل: يحرك. والرياح: جمع ريح. والنُّشُر: جمع نَشُور. وهي التي تثير السحاب. وفيما عدا الأصل وخ وع وط: «بُشرًا». والرحمة: العطف بالإحسان. وتعالى: ترفع وتعاظم.

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤
قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ
أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ
فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا
هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
٦٩ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦

١- ﴿**أم مَن يَبدأُ الخلقَ**﴾ في الأرحام من نُطفة، ﴿**ثُمّ يُعيدُهُ**﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها، ﴿**وَمَن يَرزُقُكُم مِنَ السّماءِ**﴾ بالمطر، ﴿**والأرضِ**﴾ بالنبات؟ ﴿**أإلَهٌ مَعَ اللهِ**﴾؟ أي: لا يفعل شيئًا ممّا ذُكر إلّا الله، ولا إلَه معه. ﴿**قُلْ**﴾ يا مُحمّد: ﴿**هاتُوا بُرهانَكُم**﴾: حُجّتكم، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٦٤ أن معي إلَهًا فعل شيئًا ممّا ذُكر.

٢- وسألوه عن وقت قيام الساعة، فنزل: ﴿**قُلْ: لا يَعلَمُ مَن في السّماواتِ والأرضِ**﴾، من الملائكة والناس، ﴿**الغيبَ**﴾ أي: ما غاب عنهم، ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**اللهُ**﴾ يعلمه، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ أي: الكُفّار كغيرهم: ﴿**أيّانَ**﴾: وقتَ ﴿**يُبعَثُونَ**﴾ ٦٥. ﴿**بَلْ**﴾ بمعنى: هل ﴿**أدرَكَ**﴾ – وزن «أكرَمَ». وفي قراءة أُخرى: «ادّارَكَ» بتشديد الدال وأصله «تَدارَكَ» أُبدلت التاء دالًا وأُدغمت في الدال واجتُلبت همزة الوصل – أي: بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿**عِلمُهُم في الآخِرةِ**﴾ أي: بها، حتّى سألوا عن وقت مجيئها؟ ليس الأمر كذلك، ﴿**بَلْ هُم في شَكٍّ مِنها، بَلْ هُم مِنها عَمُونَ**﴾ ٦٦: من عَمَى القلبِ، وهو أبلغ ممّا قبله. والأصل «عَمِيُونَ» استُثقلت الضمّة على الياء، فنُقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٣- ﴿**وقالَ الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أيضًا، في إنكار البعث: ﴿**أإذا كُنّا تُرابًا وآباؤُنا، أإنّا لَمُخرَجُونَ**﴾ ٦٧ من القبور؟ ﴿**لَقَد وُعِدْنا هٰذا نَحنُ وآباؤُنا مِن قَبلُ. إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا أساطِيرُ الأوّلِينَ**﴾ ٦٨: جمع أُسطورة بالضمّ، أي: ما سُطر من الكذب. ﴿**قُلْ: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُجرِمِينَ**﴾ ٦٩ بإنكارهم، وهي هلاكهم بالعذاب؟ ﴿**ولا تَحزَنْ عَلَيهِم، ولا تَكُنْ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ**﴾ ٧٠ – تسلية للنبيّ – أي: لا تهتمَّ بمكرهم عليك، فأنا ناصرُك عليهم.

٤- ﴿**ويَقُولُونَ: مَتَى هٰذا الوَعدُ**﴾ بالعذاب، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٧١ فيه؟ ﴿**قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ رَدِفَ**﴾: قَرُبَ ﴿**لَكُم بَعضُ الّذِي تَستَعجِلُونَ**﴾ ٧٢. فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت. ﴿**وإنّ رَبَّكَ لَذُو فَضلٍ على النّاسِ**﴾، ومنه تأخير العذاب عن الكُفّار، ﴿**ولٰكِنّ أكثَرَهُم لا يَشكُرُونَ**﴾ ٧٣ – فالكُفّار لا يشكرون تأخير العذاب، لإنكارهم وقوعَه – ﴿**وإنّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم**﴾: تُخفيه، ﴿**وما يُعلِنُونَ**﴾ ٧٤ بألسنتهم، ﴿**وما مِن غائبةٍ، في السّماءِ والأرضِ**﴾ – الهاء: للمُبالغة – أي: شيءٍ في غاية الخفاء على الناس، ﴿**إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ**﴾ ٧٥: بَيِّن، هو اللوحُ المحفوظُ ومكنونُ عِلمه – تعالى – ومنه تعذيب الكُفّار.

٥- ﴿**إنّ هٰذا القُرآنَ يَقُصُّ على بَنِي إسرائيلَ**﴾، الموجودين في زمان نبيّنا، ﴿**أكثَرَ الّذِي هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ٧٦ أي: ببيانِ ما ذُكر على وجهين، الرافعِ للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا، ﴿**وإنّهُ لَهُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**ورَحمةٌ لِلمُؤمِنِينَ**﴾ ٧٧ من العذاب. ﴿**إنّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم**﴾ كغيرهم، يوم القيامة، ﴿**بِحُكمِهِ**﴾ أي: عدله، ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾: الغالب، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٧٨ بما يحكم به. فلا يُمكن أحدًا مُخالفتُه، كما خالف الكُفّار في الدنيا أنبياءه.

---

(١) يبدأ: ينشئ. والخلق: الناس. ويعيده: يبعثه حيًا. ويرزقكم: يخلق لكم. ومن السماء والأرض أي: من الأرزاق السماوية والأرضية. وقد كرر «أإله مع الله» في الآيات ٦٠-٦٤، على سبيل التوكيد والتقرير، أنه لاإله إلّا هو تعالى. وهاتوا: قدموا لي. و«معي» الصواب: «مع الله». وفي التلخيص: «أن معه آلهة وشركاء». (٢) يعلمه: يحيط به. والغيب: ما لايدركه الخلق. ويبعثون: يعودون إلى الحياة بعد الموت. وذكرُ الإدغام هنا شبيه بما في الآية ٤٧. و«بلغ ولحق» تفسير لقراءة: أدرك. و«تتابع وتلاحق» تفسير لقراءة: ادّارك. والعلم: الدراية اليقينية. والشك: التحير. والعمون: جمع العمي. وهو الذي اختلت بصيرته فلا يتدبر الدلائل كالبهائم. وفي هذا تنزيل لأحوال المشركين: وصفوا أولًا بفقد الشعور حين البعث، ثم بعدم الإيمان بيوم القيامة، ثم بالتخبط في الشك والمراء، ثم بتعطيل البصائر والعقول. (٣) كنا: صرنا. والتراب: ما تفتت وانتثر. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد ومن قبله من الجدود. وإنا أي: نحن وآباءنا. والمخرج: المبعوث حيًا. ووعدنا هذا: أنذرنا بالبعث. ومن قبل: قبل مجيء محمد. والأولون: المتقدمون من المتنبئين. وانظروا: تأملوا. والعاقبة: النتيجة. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وعزم. وتحزن عليهم: تتألم لكفرهم. والضيق: الأمر الشاق. ويمكرون: يدبرون الحيل. (٤) الوعد: وقت الوعيد. وتستعجله: تطلب تعجيله. والفضل: التفضل بالنعم. ولا يشكرون: لايقومون بحق الثناء على المتفضل. ويعلمه: يحيط به. والصدور: جمع صدر. والمراد القلب. والسماء والأرض: انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ويعلن: يظهر. والهاء: تاء التأنيث. واللوح المحفوظ: السجل فيه ما كان وما سيكون في الوجود من محتوم ومحتمل. والمكنون: ما لا يطلع عليه أحد من أُم الكتاب. (٥) يقص: يبيّن. وبنو إسرائيل: أتباع التوراة والإنجيل. انظر «المفصل». وما ذكر على وجهين: ما اختلفوا فيه بمذهبين أو أكثر. والهدى: المرشد إلى الحق. ورحمة: محسن ومنقذ. ويقضي: يفصل. وبينهم: بين اليهود والنصارى. والعليم: المحيط بإتقان وحكمة بالغة.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم
بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن
تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوۡجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ
يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ
صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾

ربع الحزب ٣٩

١- ﴿**فتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثِقْ به. ﴿**إنَّكَ على الحَقِّ المُبِينِ**﴾ ٧٩ أي: الدِّين البيِّن. فالعاقبة لك بالنصر على الكُفّار. ثمّ ضربَ أمثالًا لهم بالموتى والصُّمّ والعُمي، فقال: ﴿**إنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ، إذا**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الياء - ﴿**وَلَّوا مُدبِرِينَ** ٨٠، **وما أنتَ بِهادِي العُميِ عَن ضَلالتِهم. إنْ**﴾: ما ﴿**تُسمِعُ**﴾ سماعَ إفهام وقَبول ﴿**إلّا مَن يُؤمِنُ بِآياتِنا**﴾: القُرآن، ﴿**فهُم مُسلِمُونَ**﴾ ٨١: مُخلصون بتوحيد الله.

٢- ﴿**وإذا وَقَعَ القَولُ عليهِم**﴾: حقَّ العذابُ أن ينزل بهم، في جُملة الكُفّار، ﴿**أخرَجْنا لَهُم دابَّةً مِنَ الأرضِ، تُكَلِّمُهُم**﴾ أي: تُكلّم الموجودين حين خُروجها بالعربيّة، تقول لهم من جُملة كلامها عنّا: ﴿**إنَّ النّاسَ**﴾ أي: كُفّار مكّة - **وعلى** قراءة فتح همزة «أنّ» تُقدّر الباء بعد "تكلّمهم" - ﴿**كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ**﴾ ٨٢ أي: لا يُؤمنون بالقُرآن، المُشتمل على البعث والحِساب والعِقاب. وبخُروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يبقى منيب ولا تائب، ولا يُؤمن كافر كما أوحى الله إلى نُوح: «أنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلّا مَن قَد آمَنَ».

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجًا**﴾: جماعة، ﴿**مِمَّن يُكَذِّبُ بِآياتِنا**﴾ - وهم رُؤساؤهم المتبوعون - ﴿**فهُم يُوزَعُونَ**﴾ ٨٣ أي: يُجمعون بردّ آخرهم إلى أوّلهم ثمّ يُساقون. ﴿**حَتَّى إذا جاؤُوا**﴾ مكانَ الحِساب ﴿**قالَ**﴾ تعالى لهم: ﴿**أكَذَّبتُم**﴾ أنبيائي ﴿**بِآياتي، ولَم تُحِيطُوا**﴾ من جِهة تكذيبكم ﴿**بِها عِلمًا؟ أمْ ما**﴾ - فيه «ما» الاستفهاميّة - ﴿**ذا**﴾: موصول أي: ما الذي ﴿**كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٨٤ ممّا أُمرتم به؟ ﴿**ووَقَعَ القَولُ**﴾: حقَّ العذابُ ﴿**عليهِم بما ظَلَمُوا**﴾ أي: أشركوا، ﴿**فهُم لا يَنطِقُونَ**﴾ ٨٥ إذ لا حُجّة لهم. ﴿**ألَم يَرَوا أنّا جَعَلْنا**﴾: خلقنا ﴿**اللَّيلَ، لِيَسكُنُوا فِيهِ**﴾ كغيرهم، ﴿**والنَّهارَ مُبصِرًا**﴾ بمعنى: يُبصَرُ فيه ليتصرّفوا فيه؟ ﴿**إنَّ في ذَلِكَ لَآياتٍ**﴾: دلالاتٍ على قُدرته - تعالى - ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٨٦: خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخِلاف الكافرين. ﴿**ويَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى من إسرافيل، ﴿**ففَزِعَ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ**﴾ أي: خافوا الخوف المُفضيَ إلى الموت، كما في آية أُخرى: «فصَعِقَ» - والتعبير فيه بالماضي لتحقّق وقوعه - ﴿**إلّا مَن شاءَ اللهُ**﴾ أي: جبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ وملَكَ الموت، وعن ابن عبّاس: هم الشُّهداء إذ هم «أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ»، ﴿**وكُلٌّ**﴾ - تنوينه عوض عن المُضاف إليه - أي: كلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿**أتَوهُ**﴾، بصيغة الفعل واسم الفاعل، ﴿**داخِرِينَ**﴾ ٨٧: صاغرين. والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقّق وقوعه.

٤- ﴿**وتَرَى الجِبالَ**﴾: تُبصرها وقت النفخة، ﴿**تَحسَبُها**﴾: تظنّها ﴿**جامِدةً**﴾: واقفة مكانها لعِظمها، ﴿**وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ**﴾: المطرِ إذا ضربتْه الريح، أي: تسيرُ سيرَه حتّى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوسة، ثمّ تصير كالعِهن، ثمّ تصير هباء منثورًا، ﴿**صُنْعَ اللهِ**﴾ - مصدرٌ مُؤكّد لمضمون الجملة قبله، أُضيف إلى فاعله بعد حذف عامله - أي: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعًا، ﴿**الَّذِي أتقَنَ**﴾: أحكم ﴿**كُلَّ شَيءٍ**﴾ صنعه. ﴿**إنَّهُ خَبِيرٌ بما يَفعَلُونَ**﴾ ٨٨، بالياء والتاء، أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

---

(١) الحق: الأمر الثابت. والموتى: جمع ميت. والصم: جمع أصم. وبالتسهيل يريد القراءة «الدُّعاءَ اِذا». وولوا: انصرفوا. والمدبر: من وجّه ظهره للآخرين استهانة. والهادي: الصارف والمانع. وفي قرة العينين والمنحة والمطبوعات: «بهاد» تبعًا لرسم المصاحف. والعمي: جمع أعمى. وهو الذي فقد البصيرة وأغلق قلبه دون كل توجيه. والضلالة: اتباع الباطل. ويؤمن بها: يصدّقها لأنه على استعداد وتقبل. (٢) وقع: وجب. والمراد قرب وقوع أشراط الساعة. والقول: الوعيد بالعذاب. وأخرجنا: أظهرنا. والدابة: المخلوق يدِبّ ويتحرك. وما ذكره المحلي عنها هو مما اختلف القصاصون فيه اختلافًا يكذب بعضه بعضًا. البحر والنهر الماد ٧: ٩٤-٩٧. والناس: الكافرون عامة. فالمراد هم المخاطبون بكلامها ومن كان قبلهم من الكافرين. وكما أوحى أي: في الآية ٣٦ من سورة هود. (٣) نحشرهم: نجمعهم للحساب. ويكذب بها: ينكرها. وهم: الفوج المحشور. والمتبوعون: الذين حملوا غيرهم على الكفر. وجاؤوه: صاروا فيه. وآياتي: نصوص كتبي والأدلة المصدقة للأنبياء. ولم تحيطوا بها: لم تحاولوا فهم دلالاتها. وتعملون: تكتسبون. وحق: حصل فعلًا. ويروا: يعلموا. ويسكن: يهدأ. وآية الصعق هي ذات الرقم ٦٨ من سورة الزمر. وشاء: أراد ألّا يميته حينذاك. و«جبريل... الموت» تفسير لـ «مَن». انظر الآية ١٦٩ من سورة آل عمران. وباسم الفاعل يريد القراءة «آتُوهُ». (٤) الجبال: جمع جبل. ووقت النفخة: يعني ماجاء في أول الآية ٨٧. والظاهر أنّ المراد بـ «جامد» هو واقع الحال في الحياة الدنيا. فالجبال الآن وفي كل لحظة تمر مر السحاب بدوران الأرض، وتبدو للناظرين دائمًا ثابتة. والدليل على أن الخطاب لكل سامع أو قارئ ثابت بـ «ترى وتحسب»، فهو لايَشعر بتحرك الجبال لأنه يسبح معها. انظر «المفصل». ولعظمها: يعني أن الأجسام العظيمة المتحركة يظنها البصر ثابتة. وتمر: تنتقل. والسحاب: مفرده سحابة. العهن: الصوف. والهباء: الغبار يُرى خلال النور في المكان المظلم. والصنع: الخلق البديع. والجملة المؤكَّد مضمونها «هي تمر». والخبير: العالم بظواهر الأمور وخفاياها. ويفعلون: يكتسبون. وبالتاء يريد القراءة «تَفعَلُونَ».

الجزء العشرون سورة النمل

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَص — ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

١- ﴿**مَن جاءَ بِالحَسَنةِ**﴾ أي: «لا إلَهَ إلّا اللهُ» يوم القيامة ﴿**فلَهُ خَيرٌ**﴾: ثوابٌ ﴿**مِنها**﴾ أي بسببها - وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها. وفي آية أُخرى «عَشرُ أمثالِها» - ﴿**وهُم**﴾ أي: الجاؤون بها ﴿**مِن فَزَعِ يَومِئذٍ**﴾، بالإضافة وكسرِ الميم وفتحِها، و«فَزَعٍ» منوّنًا وفتحِ الميم، ﴿**آمِنُونَ ٨٩، ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ**﴾ أي: الشِّرك ﴿**فكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النّارِ**﴾ بأنْ وَلِيَتْها - وذُكرَتِ الوجوهُ لأنها موضع الشرف من الحواسّ، فغيرها من باب أَولى - ويقال لهم تبكيتًا: ﴿**هَل**﴾ أي: ما ﴿**تُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كُنتُم تعمَلُونَ**﴾ ٩٠ من الشِّرك والمعاصي؟

٢- قل لهم: ﴿**إنَّما أُمِرتُ أن أعبُدَ رَبَّ هٰذِهِ البَلدةِ**﴾، أي: مكّةَ، ﴿**الَّذِي حَرَّمَها**﴾ أي: جعلها حَرَمًا آمنًا، لا يُسفك فيها دم إنسان ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُصاد صيدها ولا يُختلى خلاها - وذلك من النِّعم على قُريش أهلِها، في رفع الله عن بلدهم العذابَ والفتنَ الشائعة، في جميع بلاد العرب - ﴿**ولَهُ**﴾ تعالى ﴿**كُلُّ شَيءٍ**﴾، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿**وأُمِرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ**﴾ ٩١ للهِ بتوحيده، ﴿**وأن أتلُوَ القُرآنَ**﴾ عليكم تِلاوة الدعوة إلى الإيمان. ﴿**فمَنِ اهتَدَى**﴾ له ﴿**فإنَّما يهتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾، أي: لأجلها لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿**ومَن ضَلَّ**﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿**فقُلْ**﴾ له: ﴿**إنَّما أنا مِنَ المُنذِرِينَ**﴾ ٩٢: المُخوِّفين، فليس عليَّ إلّا التبليغ. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿**وقُلِ: الحَمدُ لِلهِ. سَيُرِيكُم آياتِهِ فتَعرِفُونَها**﴾. فأراهم الله يوم بدر القتلَ والسبيَ، وضرْبَ الملائكةِ وُجوهَهم وأدبارَهم، وعجّلهم الله إلى النار. ﴿**وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ**﴾ ٩٣، بالياء والتاء، وإنّما يُمهلهم لوقتهم.

سورة القَصَص

٣- مكية إلّا «إنّ الذي فرض» الآيةَ نزلت بالجُحْفة، وإلّا «الذين آتيناهم الكتاب» إلى «لا نبتغي الجاهلين»، وهي سبع أو ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٤- ﴿**طسَمّ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿**تِلكَ**﴾ أي: هذه الآيات ﴿**آياتُ الكِتابِ**﴾ - الإضافة بمعنى: مِن - ﴿**المُبِينِ**﴾ ٢: المُظهرِ الحقَّ من الباطل، ﴿**نَتلُو**﴾: نقصّ ﴿**علَيكَ مِن نَبَإ**﴾: خبرِ ﴿**مُوسَى وفِرعَونَ بِالحَقِّ**﴾: الصِّدقِ، ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٣: لأجلهم لأنهم المُنتفعون به. ﴿**إنَّ فِرعَونَ عَلا**﴾: تكبّرَ ﴿**في الأرضِ**﴾ أرض مِصرَ، ﴿**وجَعَلَ أهلَها شِيَعًا**﴾: فِرقًا في خِدمته، ﴿**يَستَضعِفُ طائفةً مِنهُم**﴾ هم بنو إسرائيل، ﴿**يُذَبِّحُ أبناءَهُم**﴾ المولودين، ﴿**ويَستَحيِي نِساءَهُم**﴾: يستبقيهنّ أحياء، لقول بعض الكهنة له: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيل يكون سببَ ذهاب مُلكك. ﴿**إنَّهُ كانَ مِنَ المُفسِدِينَ**﴾ ٤ بالقتل وغيره.

٥- ﴿**ونُرِيدُ أن نَمُنَّ على الَّذِينَ استُضعِفُوا في الأرضِ، ونَجعَلَهُم أئمّةً**﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدى بهم في الخير، ﴿**ونَجعَلَهُمُ**

(١) جاء بها: أتى مصاحبًا لها. والحسنة: العمل الصالح. وعبارة التوحيد أصلح الأعمال. وآية يعني: الآية ١٦٠ من سورة الأنعام. والفزع: الخوف والرهبة. ويومئذ أي: يوم إذْ جاؤوا بالحسنة. والمراد قراءات ثلاث: التي أثبتناها، و«فَزَعِ يَومَئِذٍ»، و«فَزَعٍ يَومَئِذٍ». والآمن: المطمئن. والسيئة: العمل القبيح. والشرك أقبح العمل. وكبت: ألقيت. والوجوه: جمع وجه. وباب أولى أي: إذا كان الوجه قد عذب فغير الوجه أحق بذلك. وتجزون: تعاقبون. وتعملون: تقترفونه بنية أو قول أو فعل. (٢) أمرت: فُرض عليّ. وأعبد: أقدس وأطيع. ولايختلى خلاها أي: لايقطع حشيشها. وأكون: أبقى. وأتلو: أقرأ. واهتدى: استرشد واستجاب. والثواب: المكافأة بالخير. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فإن ثواب اهتدائه». والمخوّف أي: بعذاب الله. وهذا: يعني أن الموادعة نسختها آيات القتال في أوائل سورة التوبة. والحمد: الثناء الجميل على الفضل. ويريكم: يبصّركم عِيانًا. والآيات: الوقائع الدالة على صدق التوحيد والتهديد. وتعرفونها: تُضطرون إلى الإقرار بصدقها. والغافل: الساهي يهمل مايكون. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. وبالتاء يريد القراءة «تَعمَلُونَ». (٣) الجُحفة: قرية على طريق مكة من المدينة. والآية المذكورة - وهي ذات الرقم ٨٥ - نزلت في طريق الهجرة، فليست مكية ولا مدنية. والآيات المستثناة بعدُ مدنيةٌ، وهي ذوات الأرقام ٥٢-٥٥. (٤) الكتاب: القرآن الكريم. وبمعنى من: يعني أن التقدير: آيات من الكتاب. ونقص: نقرؤها على لسان جبريل. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ويؤمنون: مستعدون لتصديق أن ما نزل إليك هو الحق. وفي الأصل: «لقوم يوقنون». وتكبر: تعالى على الخلق وادعى الألوهية. وجعل: صيّر. وأهلها: المقيمون فيها. والشيع: جمع شيعة. وهي الجماعة. ويستضعفها: يستذلها. والطائفة: الفرقة. وبنو إسرائيل كانوا في مصر منذ مجيء يعقوب إليها، سلّط عليهم فرعون جنوده والقبط. والأبناء: جمع ابن. وهو المولود الذكر. والنساء: واحدته امرأة، يبقيهن للخدمة والإذلال والفجور. والمفسد: الراسخ في إشاعة الشر باختيار وعزم. (٥) نريد أي: شئنا. ونمنّ: نتفضل. ونجعل: نصيّر. والأئمة: جمع إمام. وبإبدال الثانية يريد القراءة «أَيِمّةً». والوارث: من يمتلك الشيء ويتصرف فيه. ونمكن لهم: نجعل لهم مكانًا يحكمونه. ونريه: نبصّره عِيانًا. وهامان: وزير فرعون. والتحتانية: الياء. والأسماء الثلاثة أي: تكون القراءة «ويَرَى فِرعَونُ وهامانُ وجُنودُهُما».

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
(١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

الوارِثِينَ﴾ ٥ مُلكَ فِرعَون، **﴿ونُمَكِّنَ لَهُم في الأرضِ﴾** أرض مصرَ والشام، **﴿ونُرِيَ فِرعَونَ وهامانَ وجُنُودَهُما﴾** - وفي قراءة: «ويَرَى» بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع الأسماء الثلاثة - **﴿مِنهُم ما كانُوا يَحذَرُونَ﴾** ٦: يخافون، من المولود الذي يَذهب مُلكهم على يده.

١ - **﴿وأوحَينا﴾** وحيَ إلهام أو منام **﴿إلى أُمِّ مُوسَى﴾** - وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غيرُ أُخته - **﴿أنْ أرضِعِيه، فإذا خِفتِ عليه فألقِيهِ في اليَمِّ﴾**: البحر أي: النيل، **﴿ولا تخافِي﴾** غرقه، **﴿ولا تحزنِي﴾** لِفراقه. **﴿إنّا رادُّوهُ إليكِ، وجاعِلُوهُ مِنَ المُرسَلِينَ﴾** ٧. فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه فوضعته في تابوت مطليّ بالقار من داخلٍ، مُمهّدٍ له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النِّيل ليلًا، **﴿فالتَقَطَهُ﴾** بالتابوت صبيحةَ الليل **﴿آلُ﴾**: أعوانُ **﴿فِرعَونَ﴾**، فوضعوه بين يديه، وفُتح وأُخرج موسى منه، وهو يَمَصُّ من إبهامه لبنًا، **﴿لِيَكُونَ لَهُم﴾** في عاقبة الأمر **﴿عَدُوًّا﴾** يقتل رجالهم، **﴿وحَزَنًا﴾** يستعبد نساءهم. وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون الزاي: لغتانِ في المصدر. وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من: حَزَنه كأحزنه. **﴿إنَّ فِرعَونَ وهامانَ﴾**: وزيرَه **﴿وجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ﴾** ٨ - من الخطيئة - أي عاصين، فعُوقبوا على يده.

نصف الحزب ٣٩

٢ - **﴿وقالَتِ امرأةُ فِرعَونَ﴾**، وقد همّ مع أعوانه بقتله: هو **﴿قُرَّةُ عَينٍ لِي ولَكَ. لا تَقتُلُوهُ، عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾**. فأطاعوها، **﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾** ٩ بعاقبة أمرهم معه. **﴿وأصبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسَى﴾**، لمّا علمت بالتقاطه، **﴿فارِغًا﴾** ممّا سواه، **﴿إنْ﴾** - مُخففّةٌ من الثقيلة واسمها محذوف - أي: إنّها **﴿كادَتْ لَتُبدِي بِهِ﴾** أي: بأنه ابنها، **﴿لَولا أن رَبَطْنا على قَلبِها﴾** بالصبر أي: سكّنّاه، **﴿لِتَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾** ١٠: المُصدّقين بوعد الله. وجواب «لولا» محذوف دلّ عليه ما قبلها. **﴿وقالَت لِأُختِهِ﴾** مريمَ: **﴿قُصِّيهِ﴾**: اتبعي أثره، حتّى تعلمي خبره. **﴿فبَصُرَتْ بِهِ﴾**: أبصرتْه، **﴿عَن جُنُبٍ﴾**: من مكان بعيد اختلاسًا، **﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾** ١١ أنها أُخته وأنها ترقبه، **﴿وحَرَّمْنا عليهِ المَراضِعَ مِن قَبلُ﴾** أي: قبلَ ردّه إلى أُمّه، أي: منعناه من قَبول ثدي مُرضعةٍ غيرِ أُمّه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المُحضَرة، **﴿فقالَتْ﴾** أُخته: **﴿هَل أدُلُّكُم على أهلِ بَيتٍ﴾**، لمّا رأت حنوّهم عليه، **﴿يَكفُلُونَهُ لَكُم﴾** بالإرضاع وغيره، **﴿وهُم لَهُ ناصِحُونَ﴾** ١٢؟ وفسّرتْ ضمير «له» بالمَلِك جوابًا لهم، فأُجيبَتْ فجاءت بأُمّه فقبِلَ ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيّبة الريح طيّبة اللبن، فأُذن لها بإرضاعه في بيتها فرجعت به، كما قال تعالى: **﴿فرَدَدْناهُ إلى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَينُها﴾** بلقائه، **﴿ولا تحزَنَ﴾** حينئذ، **﴿ولِتَعلَمَ أنَّ وَعدَ اللهِ﴾** بردّه إليها **﴿حَقٌّ، ولكِنَّ أكثَرَهُم﴾** أي: الناس **﴿لا يَعلَمُونَ﴾** ١٣ بهذا الوعد، ولا بأنّ هذه أُخته وهذه أُمّه. فمكث عندها إلى أن فطمتْه، وأُجريَ عليها أُجرتُها لكلّ يوم دِينار، وأخذتها لأنها مال حربيّ، فأتت به فِرعون فتربّى عِنده، كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: «ألَم نُرَبِّكَ فِينا وَلِيدًا، ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ»؟

(١) أوحينا: ألقينا في قلبها. وأرضعيه: ألقميه ثديك ليرضع. وخفت أي: أن يذبحه جنود فرعون. وألقيه: ضعيه. وتحزني: تغتمي وتتألمي. ورادوه: سنرجعه لترضعيه وتربيه. وجاعلوه: مصيّروه. والمرسل: الرسول. والقار: الزفت. وتفصيلات قصة موسى في التفسير هنا ليس لها مصدر موثق، وهي من الإسرائيليات. فلايلتفت إليها. والتقطه: أخذه من الماء بسرعة. ويكون: يصير. وعاقبة الأمر: نتيجته. والعدو: المعادي. وقتل الرجال كان بالغرق وسببه موسى. والحزن: المسبب للحزن. وبسكونها يريد القراءة «وحُزْنًا». والخاطئ: المذنب عمدًا.

(٢) امرأة فرعون هذه اسمها آسية، وكانت من خير النساء وقد آمنت بعدُ. والقرة: ما يُطمأن به ويكون به الهدوء، كناية عن سرور النفس واطمئنانها. وينفع: يسبب الخير. ونتخذه ولدًا: نجعله ابنًا لنا. ولا يشعرون: لايعلمون. وأصبح: صار. والفؤاد: القلب. وفارغًا أي: طاش لبها وتفرغ. وكادت: قاربت. وتبدي: تصرّح. وتكون: تصير. ومريم هذه غير أم عيسى. ولايشعر: لايحس. والمراضع: جمع مُرضِع. والمحضرة: التي أُحضِرتْ لإرضاعه. وأدلكم: أرشدكم. وأهل بيت: أسرة. ويكفلونه: يتعهدون برعايته. والناصح: المشفق يخلص عمله من كل فساد. وأجيبت: أجيب سؤالها بالموافقة، وأذنوا لها أن تأتي بمرضعة. وقبوله: قبول موسى ثديها. وأذن: سُمح. ورددناه: أرجعناه كما وعدْنا. وتقر: تهدأ وتستقر. انظر الآية ٩. ولقائه: وصوله إليها وتربيتها له في بيتها. ولاتحزن: يزول عنها الغم والاضطراب. وتعلم: تدرك بالمشاهدة والواقع. والوعد: التعهد بما يَسرّ. وحق: صدق واقع لامحالة. ولايعلمون: يجهلون ولايدركون. وبهذا الوعد أي: وبوجوب تحققه لأنه مما قضى به الله. وأجري عليها: جُعل لها ما يستمر مدة الإرضاع. وحربي: محارب لأن فرعون وأعوانه كانوا أعداء لبني إسرائيل. والشعراء: يعني الآية ١٨ من تلك السورة.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١- ﴿**ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ**﴾ - وهو ثلاثون سنةً، أو وثلاثٌ - ﴿**واستَوَى**﴾: بلغ أربعين سنة، ﴿**آتيناهُ حُكمًا**﴾: حِكمة ﴿**وعِلمًا**﴾: فِقهًا في الدِّين، قبل أن يُبعث نبيًّا - ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾: كما جزيناه ﴿**نَجزي المُحسِنينَ**﴾ ١٤ لأنفسهم - ﴿**ودَخَلَ**﴾ مُوسَى ﴿**المَدِينةَ**﴾ مدينة فِرعون - وهي مَنْفُ - بعد أن غاب عنه مُدّة، ﴿**علَى حِينِ غَفلةٍ مِن أهلِها**﴾: وقتَ القيلولة، ﴿**فوَجَدَ فيها رَجُلَينِ يَقتَتِلانِ: هٰذا مِن شِيعتِهِ**﴾ أي: إسرائيليّ، ﴿**وهٰذا مِن عَدُوِّهِ**﴾ أي: قِبطيّ يُسخِّر الإسرائيليَّ، ليحمل حطبًا إلى مطبخ فِرعون، ﴿**فاستغاثَهُ الّذي مِن شِيعتِهِ علَى الّذي مِن عَدُوِّهِ**﴾، فقال له مُوسَى: خلِّ سبيله. فقيل: إنه قال لمُوسَى: لقد هممتُ أن أحمله عليك. ﴿**فوَكَزَهُ مُوسَى**﴾ أي: ضربه بجُمع كفّه، وكان شديد القوة والبطش، ﴿**فقَضَى علَيهِ**﴾ أي: قتله، ولم يكن قَصَدَ قتله، ودفنه في الرمل.

٢- ﴿**قالَ: هٰذا**﴾ أي: قتلُه ﴿**مِن عَمَلِ الشَّيطانِ**﴾ المُهيِّج غضبي. ﴿**إنَّهُ عَدُوٌّ**﴾ لابن آدمَ ﴿**مُضِلٌّ**﴾ له، ﴿**مُبِينٌ**﴾ ١٥: بيّن الإضلال. ﴿**قالَ**﴾ نادمًا: ﴿**رَبِّ، إنّي ظَلَمتُ نَفسي**﴾ بقتله. ﴿**فاغفِرْ لي. فغَفَرَ لَهُ. إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ ١٦ أي: المُتّصف بهما أزلًا وأبدًا. ﴿**قالَ: رَبِّ - بِما أنعَمتَ**﴾: بحقّ إنعامك ﴿**علَيَّ**﴾ بالمغفرة اعصِمْني - ﴿**فلَن أكُونَ ظَهيرًا**﴾: عونًا ﴿**لِلمُجرِمِينَ**﴾ ١٧: الكافرين بعد هذا، إن عصمتني.

٣- ﴿**فأصبَحَ في المَدِينةِ خائفًا، يَتَرَقَّبُ**﴾: ينتظر ما يناله من جهة القتيل، ﴿**فإذا الّذي استَنصَرَهُ بالأمسِ يَستَصرِخُهُ**﴾: يستغيث به على قِبطيّ آخر. ﴿**قالَ لَهُ مُوسَى: إنَّكَ لغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾ ١٨: بيِّن الغَواية لِما فعلتَه أمسِ واليومَ. ﴿**فلَمّا أنْ**﴾: زائدةٌ ﴿**أرادَ أنْ يَبطِشَ بالّذي هُوَ عَدُوٌّ، لَهُما**﴾: لمُوسَى والمُستغيثِ به، ﴿**قالَ**﴾ المستغيثُ، ظانًّا أنه يبطش به لِما قال له «إنك لغويّ مبين»: ﴿**يا مُوسَى، أتُريدُ أن تَقتُلَني كما قَتَلتَ نَفسًا بالأمسِ؟ إنْ**﴾: ما ﴿**تُريدُ إلّا أن تَكُونَ جَبّارًا في الأرضِ، وما تُريدُ أن تَكُونَ مِنَ المُصلِحِينَ**﴾ ١٩. فسمع القِبطيُّ ذلك فعلم أنّ القاتل مُوسَى، فانطلق إلى فِرعون فأخبره بذلك، فأمر فِرعون الذبّاحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه.

٤- ﴿**وجاءَ رَجُلٌ**﴾، هو مؤمن آل فِرعونَ، ﴿**مِن أقصَى المَدِينةِ**﴾: آخِرها، ﴿**يَسعَى**﴾: يُسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، ﴿**قالَ: يا مُوسَى، إنَّ المَلأَ**﴾ من قوم فرعون ﴿**يأتَمِرُونَ بِكَ**﴾: يتشاورون فيك ﴿**لِيَقتُلُوكَ. فاخرُجْ**﴾ من المدينة. ﴿**إنّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ**﴾ ٢٠ في الأمر بالخُروج. ﴿**فخَرَجَ مِنها خائفًا، يَتَرَقَّبُ**﴾ لُحوقَ طالبٍ، أو غوثَ اللهِ إيّاه، ﴿**قالَ: رَبِّ، نَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ٢١ قوم فِرعون.

---

(١) بلغه: صار فيه. والأشد: جمع شِدّة. وأو وثلاث أي: أو هو ثلاثون سنة وثلاث. والظاهر أن الأشد هنا: ما قبل الثلاثين. واستوى: استحكم بنيانه وعقله. والمراد هنا بلوغ الثلاثين. وقوله «أربعين سنة» مخالف لِما ذكره في تفسير الآيتين ٤٠ من سورة طه و١٨ من سورة الشعراء، من أن موسى كان في الأربعين عندما كُلّف بالرسالة. وآتيناه: ألهمناه. والحكمة: الإتقان للقول والعمل. ونجزي: نكافئ. والمحسن: الذي يعمل الخير بنية خالصة وصلاح. ومنف: كانت تتصل بمدينة مصر، وآثارها قريبة من الفسطاط وعين شمس. والغفلة: الانصراف إلى لهو أو راحة. ووجد: لقي. ويقتتلان: يختصمان ويحتربان. وهذا أي: أحدهما. والشيعة: الجماعة يتشايعون على جنس. وإسرائيلي أي: من ذرية أبناء يعقوب. وهذا أي: الآخر. ويسخّره: يستخدمه دون أجر. واستغاثه: طلب منه العون. وخل سبيله: اتركه ولا تكلفه ما لا يريد. وجُمع الكف: الكف المجموعة أصابعها إلى باطنها. ولم يكن يقصد أي: كان القتل خطأً عن غير عمد. لأن الوكزة لاتقتل غالبًا، ويراد بها دفع الظلم. انظر الحديث ٢٩٠٥ في مسلم.

(٢) عمله أي: هو مسببه والدافع إليه. فهو شر وفساد. والشيطان: جنّي يغري بالفساد. والمضل: المسبب لمخالفة الحق. ورب أي: ياربي. وظلمتها: سببت لها الذنب. واغفر لي: استر مافعلت ولاتؤاخذني. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وبهما: بالمغفرة والرحمة. وأنعمت: تفضلت. وأكون: أصير. والعون: المعاون المناصر.

(٣) أصبح: صار. والمدينة هي مَنفُ. والخائف: الفزع يتوقع الشر. واستنصره: طلب منه العون. والأمس: اليوم الماضي. والغوي: الكثير الشر والضرر. وفي المنحة والمطبوعات: «بالأمس واليوم». والمراد بزيادة «أن» أنها تفيد التوكيد. وأراد: قصد. ويبطش به أي: يأخذه بالعنف ويقسو عليه بقوة. وأنه: أنّ موسى. ولما قال له أي: لأنه قال له. وسقط «إنك لغويّ مبين» مما عدا خ. والنفس: الإنسان. والجبار: المتعاظم لاينظر في العواقب. والمصلح: من يعمل الخير ويدعو الناس إليه.

(٤) جاء: أتى إلى موسى. ومؤمن آل فرعون: مَن ذكر في الآية ٢٨ من سورة غافر. والملأ: السادة الذين يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم. واخرج منها: غادرها مهاجرًا إلى مكان آخر. والناصح: المشفق يرشد إلى مافيه الصلاح والخير. ويترقب: ينتظر ويتوقع. والغوث: العون والإنقاذ. ونجّ: خلّص واحفظ. والقوم: الجماعة من الناس. والظالم: من يتجاوز حد الحق فيطغى ويجرم.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

١- ﴿**ولمّا تَوَجَّهَ**﴾: قصَدَ بوجهه ﴿**تلقاءَ مَدْيَنَ**﴾: جهتَها - وهي قريةُ شُعيبٍ مسيرةَ ثمانية أيام من مِصر، سُمّيت بمَدْيَنِ بنِ إبراهيمَ - ولم يكن يَعرف طريقها ﴿**قالَ: عَسَى رَبِّيَ أن يَهدِيَني سَواءَ السَّبِيلِ**﴾ ٢٢ أي: قَصْدَ الطريق، أي: الطريقَ الوسط إليها. فأرسل الله إليه مَلَكًا بيده عَنزةٌ، فانطلق به إليها. ﴿**ولَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ**﴾: بئرٌ فيها، أي: وصل إليها ﴿**وَجَدَ علَيهِ أُمّةً**﴾: جماعة ﴿**مِنَ النّاسِ يَسقُونَ**﴾ مَواشيَهم، ﴿**ووَجَدَ مِن دُونِهِم**﴾ أي: سِواهم ﴿**امرأتَينِ تَذُودانِ**﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء. ﴿**قالَ**﴾ موسى لهما: ﴿**ما خَطبُكُما**﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿**قالَتا: لا نَسقِي حَتَّى يَصدُرَ الرِّعاءُ**﴾: جمع راعٍ، أي يَرجعوا من سقيهم، خوفَ الزحام فنسقي - وفي قراءة: «يُصدِر» من الرباعيّ، أي: يَصرفوا مواشيَهم عن الماء - ﴿**وأبُونا شَيخٌ كَبِيرٌ**﴾ ٢٣ لا يقدر أن يَسقي. ﴿**فسَقَى لَهُما**﴾ من بئر أُخرى بقُربهما، رفع حجرًا عنها لا يرفعه إلّا عشرة أنفس، ﴿**ثُمّ تَوَلَّى**﴾: انصرف ﴿**إلى الظِّلِّ**﴾ لسَمُرةٍ، من شِدّة حرّ الشمس وهو جائع، ﴿**فقالَ: رَبِّ، إنِّي لِما أنزَلتَ إلَيَّ مِن خَيرٍ**﴾: طعام ﴿**فَقِيرٌ**﴾ ٢٤: محتاج.

٢- فرجَعتا إلى أبيهما، في زمنٍ أقلَّ ممّا كانتا ترجِعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي. قال تعالى: ﴿**فجاءَتْهُ إحداهُما، تَمشِي على استِحياءٍ**﴾ أي: واضعةً كُمَّ دِرعها على وجهها حياء منه، ﴿**قالَتْ: إنَّ أبِي يَدعُوكَ، لِيَجزِيَكَ أجرَ ما سَقَيتَ لَنا**﴾. فأجابها مُنكِرًا في نفسه أخْذ الأُجرة، وكأنّها قَصدَتِ المُكافأةَ إن كان ممّن يُريدها، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها، فقال لها: امشي خلفي ودُلّيني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شُعيبٌ - عليه الصلاة والسلام - وعِنده عَشاء. قال له: اجلس فتعشَّ. قال: إني أخاف أن يكون عِوضًا ممّا سقيتُ لهما، وإنّا أهل بيت لا نطلب على عملٍ خيرٍ عِوضًا. قال: لا، عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونُطعم الطعام. فأكل وأخبره بحاله. قال تعالى: ﴿**فلَمّا جاءَهُ وقَصَّ علَيهِ القَصَصَ**﴾: مصدرٌ بمعنى المقصوص، من قتلِه القِبطيَّ وقصدِهم قتلَه وخوفِه من فِرعون، ﴿**قالَ: لا تَخَفْ: نَجَوتَ مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ٢٥، إذ لا سُلطان لفِرعون على مَدينَ.

٣- ﴿**قالَت إحداهُما**﴾، وهي المُرسَلة والكُبرى أو الصُّغرى: ﴿**يا أبَتِ، استأجِرْهُ**﴾: اتخذْه أجيرًا يرعى غنمنا أي: بدَلَنا. ﴿**إنَّ خَيرَ مَنِ استأجَرتَ القَوِيُّ الأمِينُ**﴾ ٢٦ أي: استأجِرْه لقوّته وأمانته. فسألها عنهما فأخبرته بما تقدّم، من رفعه حجرَ البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»، وزيادةِ أنها لمّا جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه. فرغب في إنكاحه. ف﴿**قالَ: إنِّي أُرِيدُ أن أُنكِحَكَ إحدَى ابنَتَيَّ هاتَينِ**﴾، وهي الكُبرى أو الصُّغرى، ﴿**على أن تأجُرَنِي**﴾: تكونَ أجيرًا لي في رعي غنمي ﴿**ثَمانِيَ حِجَجٍ**﴾ أي: سنينَ. ﴿**فإن أتمَمتَ عَشْرًا**﴾ أي: رعيَ عشرِ سنين ﴿**فمِن عِندِكَ**﴾ التمامُ. ﴿**وما أُرِيدُ أن أشُقَّ علَيكَ**﴾ باشتراط العشر. ﴿**سَتَجِدُنِيَ إن شاءَ اللهُ**﴾ - للتبرّك - ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٢٧: الوافين بالعهد. ﴿**قالَ**﴾ مُوسَى: ﴿**ذلِكَ**﴾ الذي قلته ﴿**بَينِي وبَينَكَ، أيَّما الأجَلَينِ**﴾ الثمانَ أو العشرَ - وما: زائدة - أي: رَعْيَه ﴿**قَضَيتُ**﴾ به، أي: فرغتُ منه، ﴿**فلا عُدوانَ عَلَيَّ**﴾ بطلب الزيادة عليه. ﴿**واللهُ على ما نَقُولُ**﴾ أنا وأنت ﴿**وَكِيلٌ**﴾ ٢٨: حفيظ أو شهيد. فتمّ العَقد بذلك، وأمر شُعيب ابنته أن تُعطي مُوسَى عصًا يدفع

(١) شُعيب: نبي عربي من ذرية مَدْيَن بن إبراهيم. وقريته: على الساحل الغربي للبحر الأحمر تحاذي تبوك. ويهدي: يرشد. والعنزة: عصا في رأسها حربة. وقصة إرسال الملَك لم تنقل بنص موثق. وماء مدين: المكان الذي فيه البئر المذكورة. ووجد: لقي. وامرأتان أي: فتاتان. ولانسقي أي: أغنامنا. وذكرُ العشرة من مبالغات القصاصين عن الإسرائيليات المصنوعة. والسمرة: شجرة عظيمة من الطلح. ولِما أنزلت أي: إلى أيِّ شيء تيسره. والخير: النافع. (٢) ادعيه لي: بلغيه دعوتي له. وجاءته: ذهبت إليه. والاستحياء: المبالغة في الحشمة والحياء. والدرع: القميص. ويدعوك: يطلب حضورك إليه. ويجزيك: يكافئك. وأجابها: استجاب لطلبها بالذهاب إلى أبيها. ومنكرًا: غير راض. وبين يديه: أمامه. وساقها: ما بين الركبة والكعب. وجاءه: وصل إليه. وقص: حكى. والخوف: الفزع. ولاتخف أي: اطمئن واهدأ. ونجوت: تخلصت وحُفظت. والظالم: الكافر يعتدي ويجور. (٣) المرسلة: التي ذهبت لاستدعائه واسمها صفوراء. وخير: أكثر نفعًا. واستأجرت أي: تستأجره. والقوي: القادر على العمل العسير. والأمين: من يُطمأن إليه لأنه حافظ لحقوق غيره. وعنهما أي: عن القوة والأمانة. وصوب رأسه: خفضه لئلا ينظر إليها. وإنكاحه: مصاهرته بأن يزوجه إحدى ابنتيه. وأريد: أرغب وأعرض عليك. وأُنكِحك: أزوجك. وعلى أن أي: شريطة أن. والحجج: جمع حِجّة. وأتممت: أكملت. ومن عندك أي: هو تفضل منك لا إلزام مني لك. وما أريد: لا أطلب. وأشق عليك: أحمّلك ما يصعب عليك. وتجدني: تراني. وللتبرك: يعني أن تقييد رؤيته صالحًا، بمشيئة الله، هو للتبرك بذكره وتفويض أمره إلى توفيقه، لاالتعليق ذلك بالمشيئة. والظاهر خلاف هذا، وهو يريد التعليق بالمشيئة، لأن وجدانه كذلك أمر مستقبل معلق بالقضاء. والذي قلته يعني: التخيير بين الثماني والعشر. وبيني وبينك أي: لانخالفه بزيادة أونقص. والأجل: المدة المحددة للرعي. وحذف ياء «ثمان» جائز. وقضيت: أمضيت. والعدوان: التجاوز للحق. وتفصيل أمر العصا هنا من تزيد القصاصين والأخبار الإسرائيلية المصطنعة، مبالغة في التفخيم. انظر قرة العينين ص ٥١٠-٥١١.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ
ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ
بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ
أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا
فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٩

بها السِّباع عن غنمه - وكانت عِصِيُّ الأنبياء عنده - فوقع في يدها عصا آدمَ من آس الجنّة، فأخذها مُوسَى بعِلم شعيب.

١- ﴿**فلمّا قَضَى مُوسَى الأجَلَ**﴾ أي: رعيَه - وهو ثمانُ أو عشرُ سنين وهو المظنون به - ﴿**وسارَ بأهلِهِ**﴾: زوجتِه، بإذن أبيها نحوَ مِصرَ، ﴿**آنَسَ**﴾: أبصرَ من بعيد ﴿**مِن جانِبِ الطُّورِ**﴾: اسم جبل ﴿**نارًا. قالَ لأهلِهِ: امكثُوا**﴾ هنا. ﴿**إنِّي آنستُ نارًا، لعَلِّي آتِيكُم منها بخَبَرٍ**﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها، ﴿**أو جَذْوةٍ**﴾ بتثليث الجيم: قطعةٍ وشعلة ﴿**مِنَ النّارِ، لعَلَّكُم تَصطَلُونَ**﴾ ٢٩ تستدفئون. والطاء بدل من تاء الافتعال من: صَلي بالنار، بكسر اللام وفتحها.

٢- ﴿**فلمّا أتاها نُودِيَ، مِن شاطِئِ**﴾: جانبِ ﴿**الوادِي الأيمَنِ**﴾ لمُوسَى، ﴿**في البُقعةِ المُبارَكةِ**﴾ لمُوسَى، لسماعه كلامَ الله فيها، ﴿**مِنَ الشَّجَرةِ**﴾: بدل من «شاطىء» بإعادة الجارّ، لنباتها فيه، وهي شجرة عُنّاب أو عُلّيق أو عَوسج ﴿**أنْ**﴾: مُفسِّرةٌ لا مُخفّفة ﴿**يا مُوسَى، إنِّيَ أنا اللهُ رَبُّ العالَمينَ ٣٠، وأنْ ألقِ عَصاكَ**﴾. فألقاها ﴿**فلمّا رآها تهتَزُّ**﴾: تتحرّك، ﴿**كأنّها جانٌّ**﴾ - وهي الحيّة الصغيرة - من سُرعة حركتها، ﴿**وَلَّى مُدبِرًا**﴾: هاربًا منها، ﴿**ولَم يُعَقِّبْ**﴾ أي: يرجع.

٣- فنُودي: ﴿**يا مُوسَى، أقبِلْ ولا تخَفْ، إنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ٣١. اسلُكْ**﴾: أدخِلْ ﴿**يَدَكَ**﴾ اليُمنى، بمعنى الكفّ، ﴿**في جَيبِكَ**﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿**تَخرُجْ**﴾ خِلاف ما كانت عليه من الأُدمة ﴿**بَيضاءَ، مِن غَيرِ سُوءٍ**﴾ أي: برص - فأدخلها وأخرجها تُضيء كشُعاع الشمس تُغشّي البصر - ﴿**واضمُمْ إلَيكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهَبِ**﴾، بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمّه، أي: الخوفِ الحاصل من إضاءة اليد، بأن تُدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأُولى. وعُبّر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر. ﴿**فذانِّكَ**﴾، بالتشديد والتخفيف، أي: العصا واليد - وهما مُؤنّثان، وإنما ذُكّر المُشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره - ﴿**بُرهانانِ**﴾ مرسلانِ ﴿**مِن رَبِّكَ إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ. إنَّهُم كانُوا قومًا فاسِقِينَ**﴾ ٣٢.

٤- ﴿**قالَ: رَبِّ، إنِّي قَتَلتُ مِنهُم نَفسًا**﴾ هو القِبطيّ السابق، ﴿**فأخافُ أن يَقتُلُونِ**﴾ ٣٣ به، ﴿**وأخِي هارُونُ هُوَ أفصَحُ مِنِّي لِسانًا**﴾: أبيَنُ. ﴿**فأرسِلْهُ مَعِي رِدْءًا**﴾: مُعينًا - وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة - ﴿**يُصَدِّقُنِي**﴾ بالجزم جواب الدعاء. وفي قراءة بالرفع وجُملته: صفة «ردءًا». ﴿**إنِّيَ أخافُ أن يُكَذِّبُونِ ٣٤. قالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ**﴾: نُقوّيك ﴿**بأخِيكَ، ونَجعَلُ لَكُما سُلطانًا**﴾: غلبة، ﴿**فلا يَصِلُونَ إلَيكُما**﴾ بسُوء. اذهبا ﴿**بآياتِنا، أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُونَ**﴾ ٣٥ لهم.

---

(١) رعيه: الرعي في الأجل المخيَّر فيه. وحُذفت الياء من «ثمان» جوازًا. انظر تفسير الآية ٢ من سورة النساء. وحذف المضاف بعد «ثمان» لدلالة مابعده عليه. وهذا جائز وصحيح. وهو المظنون: يعني أن عشرَ السنين راجح هنا لِما يُعتقد في الأنبياء من حب الزيادة في الوفاء، وإن لم يكن قد صار موسى نبيًّا. وسار بهم: خرج من مَدْيَنَ عائدًا. وزوجته أي: وولده وخادمه. والجانب: الطرف. والجبل المذكور هو في سيناء. والنار: النور الفيّاض. وامكثوا: ابقوا. وتثليث الجيم: يعني قراءات ثلاثًا: التي أثبتناها، و«جَذوة» و«جُذوة». وبكسر اللام: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة النمل.

(٢) الوادي: ما يفصل بين جبلين. وفيما عدا الأصل وخ وع: «الوادِ» بحذف الياء تبعًا لرسم المصاحف، وإثباتها هنا جائز لتبيين القراءة التي اختارها المحلي. والأيمن لموسى أي: ما كان من جهة يمينه. والراجح أن الأيمن هنا من اليُمن والخير. والبقعة: القطعة من الأرض. والمباركة: العميمة الخير. وبدل: يعني أن «من الشجرة»: بدل من «من الشاطئ». والعُنّاب والعُلّيق والعَوسج: أنواع من الأشجار. وذكرها يعني اختلاف المفسرين فيما لا طائل تحته، ولا دليل يرجح. و«مفسرة لا مخففة» هو خلاف ما ذكره في تفسير الآية ٨ من سورة النمل. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالعالَمون: جميع المخلوقات. وانظر الآيات ٨-١٠ من سورة النمل.

(٣) أقبل: تقرّب. ولاتخف: اطمئن. والآمن: المحفوظ من كل خطر. وطوق القميص: الفتحة التي يدخل منها الرأس. والمراد إدخال اليد اليمنى لتصير في الإبط الأيسر. والأدمة: السُّمرة. وهي لون بَشَرة موسى. وتغشي: تغطي. واضمم إليك: أدخل إلى إبطك. والجناح: اليد. ويريد ثلاث قراءات: التي أثبتنا، و«الرَّهْب»، و«الرُّهْب». وبالتخفيف يريد القراءة «فذانِكَ». والبرهان: الدليل القاطع على صدق موسى. ومن ربك: من عنده وبأمره. والملأ: الأعوان من الأشراف يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم. والفاسق: الخارج على الحق والصواب.

(٤) رب: ياربي. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه. والنفس: الإنسان الحي. وأخاف: أتوقع وأخشى. واللسان: الكلام. وأرسله: اجعله رسولًا. وبلا همزة يريدالقراءة «رِدًا». والأصل «ردْءًا» حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها. وبالرفع يريد القراءة «يُصدِّقُني»، أي: يكون مصدِّقًا لي ومؤيدًا. والعضد: ما بين الكتف والمِرفق من اليد. والمراد صاحبها كله. ونجعل: نخلق. والآيات هنا آيتان: العصا واليد، عُبِّرَ عنهما بالجمع لأن كل واحدة تشتمل على عدد من الآيات. واتّبعكما أي: يستجيب لدعوة التوحيد ويؤمن. والغالب: المنتصر القاهر.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي
ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣

١- ﴿**فلَمّا جاءَهُم مُوسَى بِآياتِنا بَيِّناتٍ**﴾: واضحات ﴿**قالُوا: ما هٰذا إلّا سِحرٌ مُفتَرًى**﴾: مُختلق، ﴿**وما سَمِعْنا بِهٰذا**﴾ كائنًا ﴿**في**﴾ أيام ﴿**آبائنا الأوّلِينَ**﴾ ٣٦. **وقالَ** - بواو وبدونها - ﴿**مُوسَى: رَبِّي أعلَمُ**﴾ أي: عالم ﴿**بِمَن جاءَ بالهُدَى مِن عِندِهِ**﴾، الضمير للربّ، ﴿**ومَن**﴾: عطف على «مَن» ﴿**تكُونُ**﴾ - بالفَوقانيّة والتحتانيّة - ﴿**لَهُ عاقِبةُ الدّارِ**﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخرة، أي: وهو أنا في الشِّقَّين، فأنا مُحقّ فيما جئتُ به. ﴿**إنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ**﴾ ٣٧: الكافرون.

٢- ﴿**وقالَ فِرعَونُ: يا أيُّها المَلأُ، ما عَلِمتُ لَكُم مِن إلَهٍ غَيري. فأوقِدْ لي - يا هامانُ - على الطِّينِ**﴾: فاطبخْ لي الآجُرّ، ﴿**فاجعَلْ لي صَرحًا**﴾: قصرًا عاليًا، ﴿**لَعَلّي أطَّلِعُ إلَى إلَهِ مُوسَى**﴾: أنظرُ إليه وأقف عليه. ﴿**وإنّي لأظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ**﴾ ٣٨، في ادعائه إلَهًا آخر وأنه رسوله. ﴿**واستَكبَرَ هُوَ وجُنُودُهُ، في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وظَنُّوا أنَّهُم إلَينا لا يَرجِعُونَ**﴾ ٣٩ - بالبناء للفاعل وللمفعول - ﴿**فأخَذْناهُ وجُنُودَهُ، فنَبَذْناهُم**﴾: طرحناهم ﴿**في اليَمِّ**﴾: البحر المالح فغرقوا. ﴿**فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ**﴾ ٤٠، حينَ صاروا إلى الهلاك؟

٣- ﴿**وجَعَلْناهُم**﴾ في الدنيا ﴿**أئمّةً**﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رُؤساء في الشِّرك، ﴿**يَدعُونَ إلَى النّارِ**﴾ بدُعائهم إلى الشِّرك، ﴿**ويَومَ القِيامةِ لا يُنصَرُونَ**﴾ ٤١ بدفع العذاب عنهم، ﴿**وأتبَعناهُم في هٰذِهِ الدُّنيا لَعنةً**﴾: خِزيًا، ﴿**ويَومَ القِيامةِ هُم مِنَ المَقبُوحِينَ**﴾ ٤٢: المُبعَدِينَ. ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**مِن بَعدِ ما أهلَكْنا القُرُونَ الأُولَى**﴾: قومَ نوح وعادٍ وثمودَ وغيرهم، ﴿**بَصائرَ لِلنّاسِ**﴾: حالٌ من «الكتاب» جمعُ بصيرة - وهي نور القلب - أي: أنوارًا للقلوب، ﴿**وهُدًى**﴾ من الضلالة لمن عمل به، ﴿**ورَحمةً**﴾ لمن آمن به، ﴿**لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ٤٣: يتّعظون بما فيه من المواعظ.

---

(١) جاءهم بها: عرضها عليهم عِيانًا. وواضحات أي: في الدلالة على صحة الرسالة. وفيما عدا الأصل والنسختين: «واضحات حال». يعني أن «بينات»: حال من «آيات» منصوبة بالكسرة عوضًا من الفتحة لأنها جمعُ مؤنثٍ سالمٌ. وهذا أي: ماجئتَ به. والسحر: ما يخدع الحواس والعقول الساذجة، ويخيل لها غير الواقع. والمختلق: الذي اختُرِع للتضليل والإفساد. وماسمعنا بهذا: لم يبلغنا خبر مثله. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدود. والأولون: المتقدمون. وبدونها يريد القراءة «قالَ» بدون واو العطف. والعالم بالشيء: المحيط بخفاياه وحقائقه. وجاء به: أحضره وبلّغ به الآخرين. والهدى: الرشاد إلى الحق والخير في الدنيا والآخرة. والضمير أي: الذي في «عنده». وعلى مَن أي: في قوله «بمن». وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «على من قبلها». وتكون: تصير. والفوقانية: التاء. وبالتحتانية يريد القراءة «يَكُونُ». والعاقبة: النهاية. وفي الشِّقَّين أي: من جاء بالهدى، ومن تكون له عقبى الدار. وسقط «أنا في» من المنحة. ويفلح: يظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة. والكافرون: يعني أن الظلم هنا بمعنى الكفر بالله واليوم الآخر. ذلك لأن الكفر أشنع ما عُرف من الظلم للنفس والحقيقة. والمراد أيضًا: وإنما يفلح المؤمنون المخلصون.

(٢) والملأ: السادة والقادة يملؤون النفوس مهابة والمجالس بأجسامهم. وما علمت: لم يصل إليّ خبر. ونفي العلم مراد به نفي وجود المعلوم، أي: لا إلٰه غيري. وأوقد: أشعل نارًا. وهامان: وزير فرعون ومؤيده في طغيانه. وعلى الطين أي: بعد جعله لَبِناتٍ. واجعل: ابن واصنع. والإلٰه: المعبود بحق. وأقف عليه أي: على صحة ما زعم عنه. وأظن: أعتقد. والكاذب: من يقول غير الواقع. وأنه رسوله أي: في زعمه وجودَ إلٰه، وزعمه أنه أرسله بدعوة. وقول فرعون هذا كان بعد جمع السحرة وإيمانهم بموسى. واستكبر: طلب الكبرياء، فأظهر في نفسه ما ليس فيها من التعالي. والجنود: جمع جند. والجند: اسم جنس جمعي واحده جندي. وغير الحق: الباطل الذي لا أصل له في الواقع. وظن: اعتقد. وإلينا: إلى لقاء حسابنا والعقاب. وللمفعول يريد القراءة «لا يُرجَعُونَ» أي: يكون الموت نهاية أخيرة لهم، فلا يُردّون بالبعث للحساب والجزاء. وأخذناه: قضينا اقتلاعه من مصر إلى البحر، بعدما بلغ في الكفر والعصيان أقصى الغايات. والمالح: ذو الماء المالح، وهو البحر الأحمر. وانظر: تأمل وتدبر بفكرك، خطابًا لكل سامع أو قارئ. وكان أي: صار. والعاقبة: النهاية والختام. والظالم: من يتجاوز الحق. وأشنع ذلك هو الكفر.

(٣) جعل: صيّر. والأئمة: جمع إمام. وهو القائد الرئيس يُقتدى به. وبإبدال الثانية ياء يريد القراءة «أيِمّة». ويدعون: يحثون من عاصرهم أو جاء بعدهم ويدفعونه، لِما سنّوه من الكفر والعصيان. وإلى النار: إلى الخلود في عذابها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء. ويُنصر: يمنع عنه العذاب. وأتبعناهم: ألحقنا بهم لعْنَهم والدعاء عليهم بالطرد من الرحمة، على ألسنة المؤمنين والملائكة. والمبعدين: المطرودين من الرحمة إلى العذاب الأبدي. وآتيناه: أعطيناه على يد جبريل. وأهلكنا: أفنينا بالعذاب. والقرون: جمع قرن. وهو الجيل البشري. والأولى: المتقدمة الماضية. وعاد وثمود: قبيلتان من العرب العاربة، أقدم الأمم التي عرفت لها آثار حتى الآن، وفيها كتابات بالخط المسماري. قصص الأنبياء ص ٥١. وغيرهم أي: سائر الأمم المكذبة، ومنها فرعون وأعوانه. والناس: البشر. والنور هنا: ما ينير ويُستبصَر به طريق الحق. والهدى: الإرشاد والتوجيه. والرحمة: الإحسان والعطف. ويتعظون: يستجيبون فيتركون الشرك ويؤمنون بالتوحيد مخلصين.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

١- ﴿وما كُنتَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿بِجانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿الغَربِيِّ﴾ من مُوسَى، حين المُناجاة، ﴿إذ قَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَى مُوسَى الأمرَ﴾ بالرسالة إلى فِرعون وقومه، ﴿وما كُنتَ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ ٤٤ لذلك، فتعرفَه فتُخبرَ به، ﴿ولٰكِنّا أنشأْنا قُرُونًا﴾: أُممًا بعدَ مُوسَى، ﴿فتَطاوَلَ علَيهِمِ العُمُرُ﴾ أي: طالت أعمارهم، فنسوا العهود واندرسَتِ العلوم وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولًا وأوحَينا إليك خبر مُوسَى وغيرِه، ﴿وما كُنتَ ثاوِيًا﴾: مُقيمًا ﴿في أهلِ مَدْيَنَ، تَتلُو علَيهِم آياتِنا﴾: خبرٌ ثان، فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها، ﴿ولكِنّا كُنّا مُرسِلِينَ﴾ ٤٥ لك وإليك بأخبار المُتقدّمين.

٢- ﴿وما كُنتَ بِجانِبِ الطُّورِ﴾: الجبل، ﴿إذ﴾: حين ﴿نادَينا﴾ مُوسَى: أن «خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ»، ﴿ولٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَحْمةً مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قومًا، ما أتاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ﴾ - وهم أهل مكّة - ﴿لَعَلَّهم يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٦: يتّعظون، ﴿ولَولا أن تُصِيبَهُم مُصِيبةٌ﴾: عُقوبة، ﴿بِما قَدَّمَت أيدِيهِم﴾ من الكُفر وغيره، ﴿فيَقُولُوا: رَبَّنا، لَولا﴾: هلّا ﴿أرسَلتَ إلَينا رَسُولًا، فنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾ المُرسَلَ بها، ﴿ونكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ٤٧. وجواب «لولا» محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى: لولا الإصابةُ المُسبَّبُ عنها قولُهم، أو لولا قولُهم المسبَّبُ عنها، ما أرسلناك إليهم رسولًا.

٣- ﴿فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ مُحمّد ﴿مِن عِندِنا قالُوا: لَولا﴾: هلّا ﴿أُوتيَ مِثلَ ما أُوتيَ مُوسَى﴾ من الآياتِ، كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتابِ جُملةً واحدة. قال تعالى ﴿أوَلَم يَكفُرُوا بِما أُوتيَ مُوسَى مِن قَبلُ﴾، حيثُ ﴿قالُوا﴾ فيه وفي مُحمّد: ﴿ساحِرانِ﴾ - وفي قراءةٍ: «سِحرانِ» أي: التوراة والقُرآن - ﴿تَظاهَرا﴾: تعاونا، ﴿وقالُوا: إنّا بِكُلٍّ﴾ من النبيِّينِ والكتابَينِ ﴿كافِرُونَ﴾ ٤٨؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فائتُوا بِكِتابٍ مِن عِندِ اللهِ، هُوَ أهدَى مِنهُما﴾ أي: من الكتابين، ﴿أتَّبِعْهُ إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ٤٩ في قولكم. ﴿فإن لَم يَستَجِيبُوا لَكَ﴾ دُعاءك، بالإتيان بكتاب، ﴿فاعلَمْ أنَّما يَتَّبِعُونَ أهواءَهُم﴾ في كُفرهم. ﴿ومَن أضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ، بِغَيرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾؟ أي: لا أحد أضلّ منه. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ ٥٠: الكافرين.

---

(١) في الآيات ٤٤-٤٦ امتنانٌ على النبي - صلى الله عليه وسلم - بما خُصّ من أخبار الغيب، وتحقيقٌ لكونها وحيًا من الله. والجانب: الطرف والناحية. ومن موسى أي: حيث كان يناجيه الله. والراجح أن الغربي هو الجانب نفسه. وهو موضع المناجاة، وفيه اليمن والبركة. والأمر: التكليف. والشاهد: الحاضر الذي يرى ويسمع. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فتعلمه». وأنشأنا: خلقنا وأوجدنا. وفيما عدا الأصل والنسخ أيضًا: «من بعد موسى». والعمر: المدة المحددة لحياة المخلوق. واندرست: ضاعت وضل الناس، فاقتضت الحكمة تجديد العقيدة والتشريع. خ: «فاندرست». ومدين: المدينة التي كان فيها شعيب. انظر الآية ٢٣. وتتلو: تقرأ وترتل لتتعلم وتبلغ الناس الآن. والآيات هنا: النصوص القرآنية التي فيها قصة شعيب ومن معه. وخبر ثان: يعني أن جملة «تتلو»: في محل نصب خبر ثان لـ «كان». والمرسِل: المبلِّغ بالوحي للتكليف والدعوة.

(٢) الجبل هو الذي كانت فيه المناجاة والتكليف بالتوراة. انظر الآية ٤٤. وناديناه: خاطبناه باسمه ونبهناه. و«خذ الكتاب بقوة» كذا من التلخيص. وهذه العبارة هي في الآية ١٢ من سورة مريم، موجهة إلى يحيى لا إلى موسى. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. وتنذرهم: تخوفهم غضب الله وانتقامه من العاصين. وما أتاهم: ما جاءهم بتكليف من الله. والنذير: المنذر المخوف بالعذاب لمن كفر. وقبلك أي: في الفترة بينك وبين إسماعيل. وتصيبهم: تنزل بهم. وقدمت أيديهم أي: اكتسبوه وتحملوه. والأيدي: جمع يد. وهلّا: حرف للتمني. وأرسلتَ: كلفت بالدعوة. ونتبعها: نعمل بما فيها. ونكون: نصير. و«جواب لولا» يعني: الأولى. وتقدير المحلي للشرط فيه نظر، لأنه يعني وجود الإصابةِ والقولِ المسبَّب عنها. وكان عليه بيان أن الإصابة والقول هنا افتراضيان لِما يُحتمل أن يكون، كما ذكر صاحب الانتصاف. حاشية الكشاف ٣:٤١٨-٤١٩.

(٣) روي أن اليهود بلّغوا المشركين بوصف النبي في التوراة، فازداد تعنّتهم وأنكروا الرسالتين، وروي أن اليهود اقترحوا على المشركين طلب معجزات كموسى، فجاءت الآيات ترد عليهم، وانظر سبب النزول في المفصل. وجاءهم: أتاهم مبلّغًا ومنذرًا. والحق: الصادق صدق اليقين. ومن عندنا: بأمرنا. وأوتي: أعطي. وجملة واحدة: دُفعة واحدة في ألواح تُقرأ. ويكفروا به: ينكروه. والساحر: الذي يخدع العقول والحواس بتخييل ماليس له وجود. وهو السحر. وتعاونا: عاون كل منهما الآخر. وائتوا به: أحضروه. ومن عنده: بأمره. وأهدى: أوضح في إرشاد الناس إلى الحق. وأتبعه: أُومن بصحته. والصادق: من يقول الحق. ويستجيبوا لك: يفعلوا ما أمرتهم به. واعلم أي: دم على علمك اليقيني. ويتبعونها: يؤثرونها على الحق فينقادون لها. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تزينه النفس وتشتهيه. وأضل: أكثر بعدًا عن الحق. وبغير أي: بدون. والهدى: الرشاد والتوفيق. ومن الله: من عنده وبأمره. ولا يهديه: لا يُمده بتقبل الإيمان لِما في نفسه من الخبث والعناد، ويتركه لِما هو فيه ويزيده. والظالم: من اختار الكفر بقصد وتصميم.

ﱁ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

١ - ﴿ولَقد وَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿لَهُمُ القولَ﴾: القُرآن، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١: يتّعظون فيُؤمنون. ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ، مِن قَبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ، ﴿هُم بِهِ يُؤمِنُونَ﴾ ٥٢ أيضًا - نزل في جماعة أسلموا، من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه، ومن النصارى قدِموا من الحبشة ومن الشام - ﴿وإذا يُتلَى عليهِم﴾ القرآنُ ﴿قالُوا: آمَنّا بِهِ. إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنا. إنّا كُنّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِينَ﴾ ٥٣: مُوحّدين.

٢ - ﴿أُولٰئِكَ يُؤتَونَ أجرَهُم مَرّتَينِ﴾ بإيمانهم بالكتابين، ﴿بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم على العمل بهما، ﴿ويَدرَؤُونَ﴾: يدفعون ﴿بِالحَسَنةِ السَّيِّئةَ﴾ منهم، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾ ٥٤: يتصدّقون، ﴿وإذا سَمِعُوا اللَّغوَ﴾ الشتم والأذى من الكُفّار ﴿أعرَضُوا عَنهُ، وقالُوا: لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم، سَلامٌ عَلَيكُم﴾: سلام مُتاركة، أي: سلمتم منّا من الشتم وغيره. ﴿لا نَبتَغِي الجاهِلِينَ﴾ ٥٥: لا نصحَبهم. ونزل في حِرصه ﷺ على إيمان عمّه أبي طالب: ﴿إنَّكَ لا تَهدِي مَن أحبَبتَ﴾ هِدايتَه، ﴿ولٰكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشاءُ، وهُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِالمُهتَدِينَ﴾ ٥٦.

٣ - ﴿وقالُوا﴾ أي: قومه: ﴿إن نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أرضِنا﴾ أي: نُنتزَعْ منها بسُرعة. قال تعالى: ﴿أوَلَم نُمَكِّنْ لَهُم حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه، من الإغارة والقتل الواقعَين من بعض العرب على بعض، ﴿تُجبَى﴾ - بالفوقانيّة والتحتانيّة - ﴿إلَيهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيءٍ﴾ من كُلّ أوب، ﴿رِزقًا﴾ لهم ﴿مِن لَدُنّا﴾: من عِندنا؟ ﴿ولٰكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ٥٧ أنّ ما نقوله حقّ. ﴿وكَم أهلَكنا مِن قَريةٍ، بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾ أي: في عيشها! وأُريد بالقرية أهلُها - ﴿فتِلكَ مَساكِنُهُم، لَم تُسكَنْ مِن بَعدِهِم إلّا قَلِيلًا﴾ للمارّة يومًا أو بعضه - ﴿وكُنّا نَحنُ الوارِثِينَ﴾ ٥٨ منهم. ﴿وما كانَ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى﴾ بظلم أهلها، ﴿حَتَّى يَبعَثَ في أُمِّها﴾ أي: أعظمِها ﴿رَسُولًا يَتلُو عليهِم آياتِنا، وما كُنّا مُهلِكِي القُرَى إلّا وأهلُها ظالِمُونَ﴾ ٥٩ بتكذيب الرُّسل.

(١) وصَّلناه: تابعنا تنزيله متواصلًا، في المواعظ والعقيدة والشريعة. والتبيين مسبَّب عن ذلك. ولهم: للمشركين وأهل الكتاب، لا للمشركين وحدهم، بدليل الآيات التالية. ويؤمنون أي: ويتركون الشرك والعصيان. وفي ط وبعض المطبوعات: «فيؤمنوا». وآتيناهم: أنزلنا إلى آبائهم الذين بلّغوهم وعلموهم. والكتاب مراد به الكتب التي نزلت على موسى وداود وعيسى. ويؤمنون به: يصدّقون القرآن يقينًا ويتبعونه. ونزل أي: نزلت الآيات ٥١-٥٥، خلافًا لما توهم عبارة المحلي وأقوال بعض المفسرين. وفيما عدا الأصل والنسخ: «نزلت». وأصحابه: الذين أسلموا من مؤمني اليهود. وفيما عدا الأصل: «وغيره». وقد روي أن بعض أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، كانوا على التوحيد وانتظار البعثة النبوية. فلما بلغتهم جاؤوا مؤمنين، من المدينة والحبشة والشام. ويتلى: يقرأ. وآمنا به: أيقنا بأنه كلام الله. والحق: الصدق لاشك فيه. ومن قبله: من قبل تنزيله. وموحدين أي: ومستسلمين لأمر الله، ومصدقين للوحي وللقرآن، لأننا علمنا ذلك مما في أصل كتبنا المنزلة، وننتظر ذلك لنستجيب له. وهذا لايمنع أن يكون للحكم عموم لآخرين من أهل الكتاب أيضًا، وإن كان ثمة خصوص للنزول. انظر تفسير الآلوسي ٢٠:١٣٩.

(٢) يؤتون :يكافؤون في الدنيا والآخرة. ومرتين: في زمانين مختلفين، فيكون الأجر مضاعفًا. وصبر: حبس نفسه على الثبات والتحمل. والحسنة: العمل الصالح. والسيئة: المعصية تكون منهم، أو إيذاء الأعداء لهم. ورزقنا: خلقنا وهيأنا لهم من المتاع والزينة. ويتصدقون أي: ويبذلون في العون والبر والجهاد. وسمعوه: بلغ سمعهم. وأعرض: انصرف. والأعمال: جمع عمل. وهو مايكتسبه الإنسان بقلبه ولسانه وجوارحه. والمراد أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ولايجازى بما فعل غيره. والسلام: التحية بالمسالمة والموادعة. والمتاركة: الإعراض والفراق. والجاهل: الطائش لايحسن التصرف. ولانصحبهم: لانطلب صحبتهم، ولانقابلهم بمثلما يقولون. وإيمان عمه: انظر الأحاديث ١٢٩٤ و٤٤٩٤ من البخاري و٣٩-٤٢ في مسلم و٣١٨٧ في الترمذي، والمسند ٢:٤٤١. ولاتهديه: لاتقدر على خلق الهداية فيه، وإنما ترشده وتنصحه. وأحببتها: رغبت فيها وأردتها. ويشاء: يريد هدايته. وعالم: يعني أن «أعلم» هنا على صيغة اسم التفضيل بمعنى اسم الفاعل للمبالغة. والمهتدي: من يتقبل الهداية لما لديه من استعداد وطيب نفس.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. ونتبع الهدى معك أي: نصاحبك في التوحيد. ونمكنه: نثبته. والحرم: البلد يُحرَّم القتال فيه. وهو مكة المكرمة. والآمن: الذي يأمن أهله ويطمئنون. وتجبى: تجمع وتحمل وتساق. وبالتحتانية يريد القراءة «يُجبَى». والثمر: ما ينعقد من زهر النبات غذاء وزينة ومتاعًا. والأوب: الجهة والمكان. والرزق: ما ييسّر للخلق. ولايعلم: يجهل. فهم يعتقدون أن الأصنام سبب الأمن والنعم. وأهلك: أفنى. وقرية: بلدة. وبطرت: طغت لعدم القيام بحق النعمة. وفي عيشها: يعني أن «عيشة»: منصوب بنزع الخافض. والمساكن: جمع مسكن. أي: ما بقي من آثار التدمير. والوارث: المالك للشيء يتصرف فيه. وما كان: ما صح في القضاء المحكَم. والمهلك: المستأصل. والقرى: جمع قرية. وبظلمهم: بسبب كفرهم. وفيما عدا الأصل: «بظلم منها». ويبعث: يرسل للدعوة والإنذار. ويتلو: يبلّغ ويقرأ. والآيات: النصوص الإلٰهية في العقيدة والتشريع. وأهلها: أصحابها والمقيمون فيها.

الجزء العشرون — سورة القصص

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

١- **﴿وما أُوتيتُم مِن شَيءٍ فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا وزينَتُها﴾** أي: تتمتّعون وتتزيّنون به أيام حياتكم ثمّ يفنى، **﴿وما عِندَ اللهِ﴾** - وهو ثوابه - **﴿خَيرٌ وأبقى. أفلا تَعقِلُونَ﴾** ٦٠ - بالتاء والياء - أنّ الباقي خير من الفاني؟ **﴿أفمَن وَعَدْناهُ وَعدًا حَسَنًا، فهُوَ لاقِيهِ﴾**: مُصيبُهُ - وهو الجنّة - **﴿كَمَن مَتَّعْناهُ مَتاعَ الحَياةِ الدُّنيا﴾** فيزول عن قريب، **﴿ثُمّ هُوَ يَومَ القِيامةِ مِنَ المُحضَرينَ﴾** ٦١ النارَ؟ الأوّل المؤمن والثاني الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

٢- **﴿و﴾** اذكرْ **﴿يَومَ يُنادِيهِم﴾** اللهُ، **﴿فيَقُولُ: أينَ شُرَكائيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ﴾** ٦٢ هم شركائي؟ **﴿قالَ الَّذِينَ حَقَّ علَيهِمِ القَولُ﴾**، بدخول النار، وهم رؤساء الضلالة: **﴿رَبَّنا، هٰؤُلاءِ الَّذِينَ أغوَينا﴾** هم: مبتدأ وصفةٌ **﴿أغوَيناهُم﴾**: خبرُه، فغَوَوا **﴿كما غَوَينا﴾** لم نُكرِهْهم على الغيّ. **﴿تَبَرَّأْنا إلَيكَ﴾** منهم. **﴿ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ﴾** ٦٣. ما: نافية، وقُدِّم المفعول للفاصلة. **﴿وقِيلَ: ادعُوا شُرَكاءَكُم﴾** أي: الأصنام، الذين كنتم تزعمون أنهم شُركاء الله. **﴿فدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم﴾** دُعاءهم، **﴿ورَأَوُا﴾** هم **﴿العَذابَ﴾**: أبصروه. **﴿لَو أنَّهُم كانُوا يَهتَدُونَ﴾** ٦٤ في الدنيا ما رأوه في الأخرى.

٣- **﴿و﴾** اذكرْ **﴿يَومَ يُنادِيهِم فيَقُولُ: ماذا أجَبتُمُ المُرسَلينَ﴾** ٦٥ إليكم؟ **﴿فعَمِيَتْ علَيهِمِ الأنباءُ﴾**: الأخبار المُنجية في الجواب **﴿يَومَئذٍ﴾**، أي: لم يجدوا خبرًا لهم فيه نجاة، **﴿فهُم لا يَتَساءَلُونَ﴾** ٦٦ عنه فيسكتون. **﴿فأمّا مَن تابَ﴾** من الشِّرك، **﴿وآمَنَ﴾**: صدّق بتوحيد الله، **﴿وعَمِلَ صالِحًا﴾**: أدّى الفرائض، **﴿فعَسَى أن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ﴾** ٦٧: الناجين بوعد الله.

٤- **﴿ورَبُّكَ يَخلُقُ ما يَشاءُ ويَختارُ﴾** ما يشاء، **﴿ما كانَ لَهُمُ﴾**: للمشركين **﴿الخِيَرَةُ﴾**: الاختيار في شيء، **﴿سُبحانَ اللهِ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾** ٦٨: عن إشراكهم! **﴿ورَبُّكَ يَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم﴾**: تُسِرُّ قُلوبهم، من الكفر وغيره، **﴿وما يُعلِنُونَ﴾** ٦٩ بألسنتهم من ذلك، **﴿وهُوَ اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ، لَهُ الحَمدُ في الأُولَى﴾**: الدنيا **﴿والآخِرةِ﴾**: الجنّة، **﴿ولَهُ الحُكمُ﴾**: القضاء النافذ في كل شيء، **﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾** ٧٠ بالنُّشور.

---

(١) أوتيتم: أعطيتم. والمتاع: ما يُستلذ به ويفاخَر. والزينة: ما يحسّن به الشيء. وثوابه أي: مكافأة الإيمان والطاعة. وخير: أكثر نفعًا. وأبقى: أكثر دوامًا. ولاتعقلون: لاتستعملون عقولكم، لتدبر الأدلة والاتعاظ بها، لتدَعوا الشرك وتوحدوا. وبالياء يريد القراءة «أفلا يَعقِلُونَ». وفي خ وع والمنحة: «أفلا يعقلون بالياء والتاء». وقيل: إن الآية ٦١ نزلت في حمزة وأبي جهل، أو غيرهما. الواحدي ص ٣٥٣. والراجح أن هذا تمثيل وتقريب، والآية عامة لكل مؤمن وكافر. تفسير الآلوسي ٢٠:١٤٧-١٤٨. ووعدناه: تعهدنا له. والحسن: الجميل يُسعَد به. ومصيبه: مدركه لامحالة. ومتعناه: أمددناه بما يستلذه. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب. والمحضر: الذي جيء به ليُجزى. ولا تساوي أي: في النهاية والعاقبة.

(٢) يناديهم: يدعو المشركين على لسان ملائكة العذاب. وشركائي: الذين جعلتم لهم شركة في استحقاق العبادة، جمع مفرده شريك. وتزعمون: تظنون. وحق: وجب لِما هم عليه من الكفر والعصيان. والقول: ما يقتضيه الوعيد، كالآية ١١٩ من سورة هود. وأغويناهم: زينا لهم الشرك والباطل. ومبتدأ وصفة: يعني أن «أولاء»: في محل رفع مبتدأ، والذين: في محل رفع صفة له. وغوينا: ضللنا. وتبرأنا: تخلصنا. ويعبدون: يقدسون ويطيعون، أي: إنما كانوا يقدسون أهواءهم وشهواتهم. وللفاصلة: يعني أن الأصل «يعبدوننا»، فقدم المفعول به «نا» على الفعل منفصلًا، ليوافق لفظُ رأس الآية هذه رؤوسَ الآيات التي حولها. وادعوهم: استغيثوا بهم. ولم يستجيبوا: لم يجيبوهم بشيء. وهم: المشركون المخاطبون أبصروا العذاب عِيانًا. ويهتدي: يستجيب للتوحيد والطاعة.

(٣) يناديهم: انظر الآية ٦٢. وماذا يعني: أيَّ جواب؟ وأجبتم المرسلين: رددتم على من أرسلناهم لتبليغ التوحيد والإيمان. وعميت: صارت كالعُمْي لاتهتدي. وفي التركيب قلب للمبالغة، والأصل: فعمُوا عن الأنباء ولم يستحضروا منها شيئًا. ويومئذ: يوم إذْ نودوا. ويسكتون أي: بسبب الحَيرة واليأس، فلا يسأل بعضهم بعضًا. وأما: لم يكرر هنا لأن ماقبله أغنى عن ذلك، وهو مراد به المصرّون على الشرك، وهم الفريق المقابل لهؤلاء التائبين. وتاب: اعترف بذنبه وتعهد بعدم العودة إليه وأصلح ما أفسد وطلبَ المغفرة. ويكون: يصير. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. وعسى: وجب. والناجين بوعده: الناجين من العذاب، بسبب وعد الله إياهم بذلك.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. ويخلق: ينشئ. ويشاء: يريد أن يخلقه. ويختار ما يشاء: يصطفي من البشر من يريده للنبوة. وما كان أي: ماصح ولا يجوز. والمعنى: ليس لأحد من خلقه أن يختار شيئًا اختيارًا حقيقيًا قاطعًا، بدون إذن الله وعلمه. وسبحانه أي: تنزيهًا له. انظر الآية ١ من سورة الإسراء. وتعالى: ترفع وتسامى. ويشركون: يزعمون من الشركاء في الألوهية. ويعلمه: يحيط به إحاطة تامة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ولا ينكر أن للدماغ بالقلب اتصالًا، يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ، لأن ذلك ينعكس من القلب أيضًا. انظر البحر ٦:٣٧٨. ويعلنون: يجهرون به. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وإليه: إلى لقاء وعده بالحشر. وترجعون: تُردون للحساب والجزاء.

الجزء العشرون　　سورة القصص

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

١- ﴿**قُلْ**﴾ لأهل مكّة: ﴿**أرَأيتُم**﴾ أي: أخبِروني، ﴿**إن جَعَلَ اللهُ عليكُمُ اللَّيلَ سَرمَدًا**﴾: دائمًا ﴿**إلَى يَومِ القِيامةِ، مَن إلَهٌ غَيرُ اللهِ**﴾ بزعمكم ﴿**يأتِيكُم بِضِياءٍ**﴾: نهار، تطلبون فيه المعيشة؟ ﴿**أفَلا تَسمَعُونَ**﴾ ٧١ ذلك سماعَ تفهّم، فترجعون عن الإشراك؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أرَأَيتُم، إن جَعَلَ اللهُ عليكُمُ النَّهارَ سَرمَدًا إلَى يَومِ القِيامةِ، مَن إلَهٌ غيرُ اللهِ**﴾ بزعمكم ﴿**يأتِيكُم بِلَيلٍ، تَسكُنُونَ**﴾: تستريحون ﴿**فِيهِ**﴾ من التعب؟ ﴿**أفلا تُبصِرُونَ**﴾ ٧٢ ما أنتم عليه، من الخطأ في الإشراك، فترجعون عنه؟ ﴿**ومِن رَحْمتِهِ**﴾ - تعالى - ﴿**جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ، لِتَسكُنُوا فِيهِ**﴾: في الليلِ، ﴿**ولِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ**﴾ في النهار بالكسب، ﴿**ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ٧٣ النّعمة فيهما.

٢- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يُنادِيهِم فيَقُولُ: أينَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ**﴾ ٧٤؟ ذُكِر ثانيًا ليُبنى عليه: ﴿**ونَزَعْنا**﴾: أخرجنا ﴿**مِن كُلِّ أُمّةٍ شَهِيدًا**﴾ - وهو نبيّهم - يشهد عليهم بما قالوه، ﴿**فقُلْنا**﴾ لهم: ﴿**هاتُوا بُرهانكُم**﴾ على ما قلتم من الإشراك. ﴿**فعَلِمُوا أنَّ الحَقَّ**﴾ في الإلَهيّة ﴿**لِلهِ**﴾، لا يُشاركه فيها أحد، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ٧٥ في الدنيا، من أنّ معه شريكًا. تعالى عن ذلك.

ربع الحزب ٤٠

٣- ﴿**إنَّ قارُونَ كانَ مِن قَومِ مُوسَى**﴾ ابنَ عمّه أو ابنَ خالته وآمن به، ﴿**فبَغَى عليهِم**﴾ بالكِبْر والعلوّ وكثرة المال، ﴿**وآتَيناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ**﴾: تَثقُل ﴿**بِالعُصْبةِ**﴾: الجماعة ﴿**أُولِي**﴾: أصحابِ ﴿**القُوّةِ**﴾ أي: تُثقِلُهم - فالباء: للتعدية. وعِدّتهم قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشَرةٌ، وقيل غيرُ ذلك - اذكرْ ﴿**إذ قالَ لَهُ قَومُهُ**﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿**لا تَفرَحْ**﴾ بكثرة المال فرحَ بطر - ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ**﴾ ٧٦ بذلك - ﴿**وابتَغ**﴾: اطلب ﴿**فِيما آتاكَ اللهُ**﴾ من المال ﴿**الدّارَ الآخِرةَ**﴾ بأن تُنفقه في طاعة الله، ﴿**ولا تَنسَ**﴾: تتركْ ﴿**نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا**﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة، ﴿**وأحسِنْ**﴾ للناس بالصدقة ﴿**كَما أحسَنَ اللهُ إلَيكَ، ولا تَبغِ**﴾: تطلبِ ﴿**الفَسادَ في الأرضِ**﴾ بعمل المعاصي. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ**﴾ ٧٧ بمعنى أنه يُعاقبهم.

---

(١) قل لهم: خاطبهم جهارًا للإلزام بالحجة. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. ولأهل مكة أي: ولغيرهم تذكيرًا بدلائل التوحيد. وأخبروني يعني: انظروا في حقائق الكون وتدبروها لتخبروني بالجواب الصحيح. فالهمزة قبل «رأيتم» للأمر والإيجاب. وجعل: صيّر. والليل: مابين الغروب والفجر. ودائمًا يعني: بحجبِ الشمس وعدم شروقها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. والإله: المعبود. ويأتي به: يحضره. وعُبِّرَ عن النهار بالضياء لأن منافع الضياء متكاثرة. وتسمع: تدرك ما يقال. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «فترجعوا» في الموضعين. وعن الإشراك أي: إلى التوحيد والطاعة. وكرر الفعل «قل» لتوكيد ما قبله، وللمبالغة في الإلزام بالحجة والتقريع. والنهار: من الفجر إلى الغروب. وسرمدًا أي: بعدم غروب الشمس. وتبصرون أي: ترون وتعلمون. وانظر الآية ٧١. والرحمة: العطف بالفضل والنعم. وجعل: خلق. وتسكن: تستقر وتستريح. وتبتغي: تطلب. وفضله: تفضّل الله بتيسير متاع الدنيا وزينتها. وبالكسب أي: لأجله. ط: «للكسب». وتشكر النعمة: تذكرها وتثني على منعمها بالقلب واللسان والعمل. وفيهما: في الليل والنهار، لِما في تعاقبهما وما يكون فيهما من نقص وزيادة واختلاف في الصفات، تيسيرًا للسعي والراحة من الجهد.

(٢) ذكر ثانيًا: يعني أن هذه الآية ذكر فيها ما جاء في الآية ٦٢، توكيدًا للتوبيخ والتقريع والإلزام بالحجة، وتمهيدًا لما يلي. والأمة: الجماعة من الناس. والشهيد: من يتكلم بما يعلم للفصل في الحكم. وبما قالوه أي: في الدنيا من تكذيب وتعنت. وفيما عدا الأصل والنسخ والمنحة: «قالوا». ولهم: لأفراد الأمم من الكافرين. وهاتوا: أحضروا وقدموا. والبرهان: الحجة التي كانوا يزعمونها، ويعتقدون أنها تؤيدهم. وعلموا: أدركوا بالعِيان واليقين. والحق: الأمر الثابت بحسب ما يجب دون شك أو إخلال. والإلٰهية: الألوهية. وفي الأصل وث والفتوحات: «الآلهية». وهي مُشكِلة لأن المصدر الصناعي في الجمع لايجوز في حق الله، عز وجل. وفيما عدا الأصل والنسختين: «لايشاركه فيه». ويفتري: يختلق ويصطنع الأكاذيب والأباطيل. وعن ذلك أي: عن الشركة في الألوهية.

(٣) قوم موسى: جماعته بنو إسرائيل، وهم ذرية يعقوب في مصر. وفيما عدا الأصل وخ: «وابن خالته». انظر تفسير الآلوسي ٢٠:١٦٣. وبغى: طلب التعالي والتسلط بماله وسيادته، لأنه نافق وكفر كالسامري. وآتينا: أعطينا ورزقنا. والكنوز: جمع كنز. وهو ما يجمع من المال ولايؤدى حقه. والمفاتح: جمع مِفتح. وهو ما يكون لفتح الأقفال وإغلاقها. وتثقل بهم: لايستطيعون حملها ولا ضبط ما تحفظه. وواحد أولي: ذو. والقوة: القدرة العظيمة. وتثقلهم: تعجزهم فتميل بهم. وللتعدية: يعني أن الفعل «تنوء»: لازم عُدّي بالباء، وهي تتعلق به. قال أبو حيان عن القصاصين: «وذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب أو يقارب الكذب». البحر ٧:١٣٢. ولا تفرح: اترك السرور والتفاخر. ولايحبهم: يكرههم فينتقم منهم. وآتاك: أعطاك إياه. والدار الآخرة هي الجنة. والنصيب: ما يحتاجه الإنسان لحقوقه وواجباته. ومن الدنيا أي: من ضروراتها. وأحسِنْ: قدّم الحسن النافع. وأحسنَ إليك: أنعم عليك. والفساد: إشاعة الضرر والشر. والمفسد: من يقترف الفساد ويشيعه باختيار وقصد.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

١- ﴿**قالَ: إنَّما أُوتيتُهُ**﴾ أي: المالَ ﴿**على عِلمٍ عِندِيَ**﴾ أي: في مُقابلته. وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، بعد مُوسَى وهارون. قال تعالى ﴿**أَوَلَم يَعلَمْ أنَّ اللهَ قد أهلَكَ مِن قَبلِهِ، مِنَ القُرُونِ**﴾: الأُمم، ﴿**مَن هُوَ أشَدُّ مِنهُ قُوّةً وأكثَرُ جَمعًا**﴾ للمال؟ أي: هو عالم بذلك ويُهلكه الله. ﴿**ولا يُسألُ عَن ذُنُوبِهِمِ المُجرِمُونَ**﴾ ٧٨ لِعلمه - تعالى - بها، فيدخلون النار بلا حِساب.

٢- ﴿**فخَرَجَ**﴾ قارون ﴿**علَى قَومِهِ، في زِينتِهِ**﴾: بأتباعه الكثيرين رُكبانًا، مُتحلِّينَ بملابس الذهب والحرير، على خُيول وبغال مُتحلّية. ﴿**قالَ الّذِينَ يُرِيدُونَ الحَياةَ الدُّنيا: يا**﴾ - للتنبيه - ﴿**لَيتَ لَنا مِثلَ ما أُوتِيَ قارُونُ**﴾، في الدنيا. ﴿**إنَّهُ لَذُو حَظٍّ**﴾: نصيب ﴿**عَظِيمٍ**﴾ ٧٩ وافٍ فيها. ﴿**وقالَ**﴾ لهم ﴿**الّذِينَ أُوتُوا العِلمَ**﴾، بما وعد الله في الآخرة: ﴿**وَيلَكُم**﴾: كلمةُ زجرٍ. ﴿**ثَوابُ اللهِ**﴾ في الآخرة بالجنّة ﴿**خَيرٌ، لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا**﴾، ممّا أُوتي قارون في الدنيا، ﴿**ولا يُلَقّاها**﴾ أي: الجنّةَ المُثابَ بها ﴿**إلّا الصّابِرُونَ**﴾ ٨٠ على الطاعة وعن المعصية.

٣- ﴿**فخَسَفْنا بِهِ**﴾: بقارونَ ﴿**وبِدارِهِ الأرضَ، فما كانَ لَهُ مِن فِئةٍ يَنصُرُونَهُ، مِن دُونِ اللهِ**﴾: من غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك، ﴿**وما كانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ**﴾ ٨١ منه، ﴿**وأصبَحَ الّذِينَ تَمَنَّوا مَكانَهُ بالأمسِ**﴾، أي: من قريب، ﴿**يَقُولُونَ: وَي كَأَنَّ اللهَ يَبسُطُ**﴾ يُوسِّع ﴿**الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ويَقدِرُ**﴾: يُضيّق على من يشاء. ووَيْ: اسم فعل بمعنى: أعجبُ أي: أنا. والكاف: بمعنى اللام. ﴿**لَولا أن مَنَّ اللهُ علَينا لَخَسَفَ بِنا**﴾، بالبناء للفاعل والمفعول. ﴿**وَي كَأنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ**﴾ ٨٢ لنِعمة الله كقارونَ.

٤- ﴿**تِلكَ الدّارُ الآخِرةُ**﴾، أي: الجنّة، ﴿**نَجعَلُها لِلّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرضِ**﴾ بالبغي، ﴿**ولا فَسادًا**﴾ بعمل المعاصي، ﴿**والعاقِبةُ**﴾ المحمودة ﴿**لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٨٣ عقابَ الله، بعمل الطاعات. ﴿**مَن جاءَ بِالحَسَنةِ فلَهُ خَيرٌ مِنها**﴾: ثوابٌ بسببها - وهو عشر أمثالها - ﴿**ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ فلا يُجزَى الّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٨٤.

---

(١) أوتيته: أُعطيته. والعلم: الدراية والمعرفة. وفي مقابلته أي: مكافأة باستحقاق، لاتفضلًا وإنعامًا. ويعلمُ: يدري يقينًا. وأهلكه: أفناه. والقرون: جمع قرن. وأشد: أعظم وأبلغ. والجمع: الحشد والكنز. ويهلكه الله أي: إذا أراد إهلاكه لم تنفعه كنوزه. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «ويهلكهم الله». والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية. والمجرم: الذي يقترف الجرائم باختيار وعزم. و«بلا حساب» هذا قول قتادة، والجمهورُ على أن المجرمين يحاسَبون أشد حساب، بدليل آيات كثيرة. وإنما المراد هنا أنهم لايُسألون سؤال استعلام أو عتاب، بل سؤال توبيخ وتقريع وتجريم.

(٢) خرج عليهم: برز من قصوره مفاجئًا. والزينة: ما يُتحلى به ويفاخَر. قال الشوكاني: «وقد روي عن جماعة من التابعين أقوال، في بيان ما خرج به على قومه من الزينة، ولا يصح منها شيء مرفوعًا، بل هي من أخبار أهل الكتاب». فتح القدير ٤:٢٦٦. ويريدونها: يفضلونها على غيرها. والمِثل: الشبيه المقارب في القدر. وأوتي: أعطيَه. ووافٍ فيها: كثير في الدنيا يُحسد عليه. والعلم: الدراية اليقينية. وأوتوا: أُعطوا. وكلمة أي: عبارة. والزجر: الردع والحث على ترك ما لا يُرتضى. والثواب: المكافأة. وخير: أكثر نفعًا. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ماأمر الله به. ويلقَّى: يعطَى. والصابر: من يتجلد ويتحمل.

(٣) روى الإخباريون حكايات لهلاك قارون، نقل بعضها ابن كثير في ٣:٣٨٧، ثم قال: «وذُكِرَ ههنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحًا». وخسفناها: غوّرناها وغمرناها بالأنقاض. وداره: قصوره. والأرض: ما كانت عليه تلك القصور والكنوز. والفئة: الجماعة. وفي الصاوي: «من دن». وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «أي غيره». ويمنعوا: يحجبوا ويدفعوا. خ: «ويمنعوه عند». والمنتصرين منه أي: الممتنعين بأنفسهم من العذاب. وأصبح: صار. وتمنوا: أحبوا. والمكان: المنزلة من الغنى والجاه. والرزق: ما يعطاه المخلوق من المتاع والزينة. ويشاء: يريد أن يبسط رزقه. والعباد: جمع عبد. و«أعجب أي أنا» تسمح في التعبير. والصواب: «نعجب أي نحن»، لأن الكلام هنا لجماعة لا لفرد. وبمعنى اللام أي: حرف جر معناه السببية. والمصدر المؤول من «أنّ الله يبسط» في محل جر. والجار والمجرور متعلقان بـ «وي»، والتقدير: نعجب لبسط الرزق وقدره. ومنّ علينا: تفضل علينا بالإيمان والرحمة. وبالمفعول يريد القراءة «لَخُسِفَ بِنا». والجار والمجرور في محل رفع نائبُ فاعل. ولا يفلح: لا يظفر بالرحمة. والكافر للنعمة: من لا يقوم بواجبها من الشكر. والمعنى: نعجب لعدم فلاح الكافرين، مع غناهم وجبروتهم.

(٤) الدار: مكان الإقامة. والآخرة: الأخيرة. ونجعل: نصيّر. ويريد: يطلب. والعلو: التكبر. والعاقبة: النهاية. والمتقي للعقاب: من يخاف العذاب ويتجنب ما يسببه ويلزم الطاعة. وجاء: حضر يومَ القيامة. والحسنة: ما يحمد فعله شرعًا. وخير: أكثر نفعًا. والمحلي لفق هنا بين تفسيرين، موهمًا أنهما واحد. انظر «المفصل». والسيئة: ما يذم فاعله شرعًا. ويجزي: يعاقب. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. وفي «الذين عملوا السيئات» إقامة للاسم الظاهر مَقام المضمر تهجينًا لحالهم وتبغيضًا للسيئة إلى قلوب السامعين. وفيه أيضًا مراعاة معنى الجمع في «مَن»، بعد أن روعي لفظها بالإفراد. وفيما عدا الأصل والنسخ: ما كانوا يعملون أي مثله.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ — ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

١- ﴿**إنَّ الَّذِي فَرَضَ عليكَ القُرآنَ**﴾: أنزله ﴿**لَرادُّكَ إلَى مَعادٍ**﴾: إلى مكّة. وكان قد اشتاقها. ﴿**قُلْ: رَبِّيَ أعلَمُ مَن جاءَ بِالهُدَى، ومَن هُوَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٨٥. نزل جوابًا، لقول كُفّار مكّة له: «إنّكَ في ضَلالٍ»، أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال. وأعلم بمعنى: عالمٌ. ﴿**وما كُنتَ تَرجُو أن يُلقَى إلَيكَ الكِتابُ**﴾: القُرآن. ﴿**إلّا**﴾ لكن أُلقي إليك ﴿**رَحْمةً مِن رَبِّكَ. فلا تكُونَنَّ ظَهِيرًا**﴾: مُعينًا ﴿**لِلكافِرِينَ**﴾ ٨٦ على دِينهم الذي دعَوك إليه، ﴿**ولا يَصُدُّنَّكَ**﴾ - أصله «يَصُدُّونَنَّكَ» حُذفت نونُ الرفع للجازم، والواوُ الفاعلُ لإتيانها مع النون الساكنة - ﴿**عَن آياتِ اللهِ، بَعدَ إذ أُنزِلَتْ إلَيكَ**﴾ أي: لا تَرجع إليهم في ذلك، ﴿**وادعُ**﴾ الناس ﴿**إلَى رَبِّكَ**﴾ بتوحيده وعبادته، ﴿**ولا تكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ ٨٧ بإعانتهم - ولم يؤثِّر الجازمُ في الفعل لبنائه - ﴿**ولا تَدعُ**﴾: تعبدْ ﴿**مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ لا إلَهَ إلّا هُوَ، كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجهَهُ**﴾: إلّا إياه، ﴿**لَهُ الحُكمُ**﴾: القضاء النافذ، ﴿**وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٨٨ بالنشور من القبور.

نصف الحزب ٤٠

سورة العَنكَبُوت

مكية، وهي تسع وستون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**الٓمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**أحَسِبَ النّاسُ أن يُترَكُوا، أن يَقُولُوا**﴾ أي: بقولهم: ﴿**آمَنّا. وهُم لا يُفتَنُونَ**﴾ ٢: يُختبَرُون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم - نزل في جماعة آمنوا، فآذاهم المشركون - ﴿**ولَقَد فَتَنّا الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ فلَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ في إيمانهم عِلمَ مُشاهدة، ﴿**ولَيَعلَمَنَّ الكاذِبِينَ**﴾ ٣ فيه. ﴿**أم حَسِبَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ**﴾: الشِّركَ والمعاصي ﴿**أن يَسبِقُونا**﴾: يفوتونا، فلا ننتقمَ منهم؟ ﴿**ساءَ**﴾: بئس ﴿**ما**﴾: الذي ﴿**يَحكُمُونَ**﴾ ٤ه حُكمُهم هذا!

٣- ﴿**مَن كانَ يَرجُو**﴾: يخافُ ﴿**لِقاءَ اللهِ فإنَّ أجَلَ اللهِ**﴾ به ﴿**لَآتٍ**﴾، فلْيستعدَّ له، ﴿**وهْوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوال العِباد، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٥ بأفعالهم، ﴿**ومَن جاهَدَ**﴾ جِهادَ حرب أو نفس ﴿**فإنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ**﴾، لأنّ منفعة جِهاده له لا لله. ﴿**إنَّ اللهَ لَغَنيٌّ عَنِ العالَمِينَ**﴾ ٦: الإنسِ والجِنّ والملائكة، وعن

(١) روي أنه لما خرج النبي ﷺ مهاجرًا اشتاق إلى مكة موطنه ومولده، فنزلت الآية تبشره بالعودة إليها منتصرًا على المشركين. فتح القدير ٤:٢٦٧. وانظر الحديث ٤٤٩٥ في البخاري. وأنزله: أوحاه وكلفك تبليغه والعمل به. والراد: مَن يردّ. ومعاد: الموضع الذي خرج منه مهاجرًا. وجاء به: صاحَبَه. والهدى: الهداية إلى الحق. والضلال: الخروج عن الحق إلى الباطل. والمبين: الظاهر لاشك فيه. وفي قول المحلي «نزل جوابًا» ما يوهم أن الآية مكية. انظر «المفصل». والجائي: المصاحب الملابس. وفيما عدا الأصل والنسخ: «في ضلال». وبمعنى عالم أي: اسم فاعل على صيغة اسم التفضيل للمبالغة. والمراد أنه محيط بذلك إحاطة بالغة. وترجو: تطلب قبل تكليفك بالرسالة. ويلقى: يوحى. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. ولاتكونن ظهيرًا لهم أي: اثبت على التوحيد ولا تلتفت إلى ما يقولون. والكافر: من كذّب الله ورسوله. ويصد: يمنع. والصواب في أصل التركيب هو «يَصْدُدُونَنَّكَ» أدغمت النون الثانية في الثالثة، ونقلت حركة الدال الأولى إلى الساكن قبلها وأدغمت الدال في الثانية أيضًا. وإتيانها: مجيئها. وفيما عدا الأصل: «لالتقائها». والنون الساكنة هي النون الثانية المدغمة في الثالثة. وعن آياته: عن تلاوتها وتبليغها والعمل بها. وأنزلت إليك: أوحيت إليك وكلفت العمل بها. وفي ذلك: بسبب ما يريدون. وادعهم: بلغهم الدعوة. وإلى ربك أي: إلى دينه وطاعته. والمشرك: من يقدس ويطيع غير الله. ولبنائه أي: على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والإله: المعبود. والآخر: المغاير. والهالك: الفاني بالعدم. وتفسير الوجه بالذات الإلٰهية قول بعض المفسرين. والأولى أن يفسر اللفظ على ظاهره، دون تكييف أو تمثيل أو تعطيل. وبقاء الوجه يقتضي بقاء الذات أيضًا، من باب ذكر ما يدل عليها. وإليه أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. وترجعون: تردون. (٢) أعلم بمراده أي: هو حروف مقطعة، هي سره المكنون في كتابه العزيز. وفيما عدا الأصل وث وع: «بمراده بذلك». وحسب: ظن. والناس: المؤمنون. ويترك: يهمل. وآمنا: صدّقنا الله ورسوله. خ: «قولهم». وانظر «المفصل». وجماعة: يعني المؤمنين الذين عذبوا. انظر الواحدي ص ٣٥٥. وهذا لايمنع العموم لكل من آمن بعدُ إلى الأبد. وفتنا: امتحنا بالشدائد المختلفة. ويعلمه: يُظهره للعِيان. يعني أنه يتبين ما في النفوس من الإيمان، فيشاهَد بعد أن كان خفيًا في علم الله وقدره. وصدقوا: وافق فعلهم ماقالوا واعتقدوا. والكاذبون: الذين ينافقون. ويعمل: يكتسب بنية أو قول أو فعل. وساء: بلغ الغاية في السوء والشر والقبح. ويحكمون: يظنون ويدّعون. و«حكم» هو المخصوص بالذم محذوف. وهو مذموم مرتين: الأولى ضمن جنسه «ما»، والثانية باختصاصه هنا. (٣) لقاء الله: لقاء حسابه وعقابه. وأجله: الوقت المحدّد للقاء الجزاء. وآت: واقع لامحالة. والسميع: البالغ الإدراك لِما خفي وظهر. والعليم: المحيط إحاطة بالغة. وجاهد: بذل أقصى ما يستطيع، من المال والقدرة والصبر والعلم والعمل. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «فإن منفعة جهاده». والغني: المستغني لايحتاج إلى أحد. والعالَم: الجنس من الخلق. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ماحسنه الشرع. ونكفرها: نسترها ونعفو عنها. والسيئة: مانهى عنه الشرع. ونجزي: نكافئ.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

عِبادتهم. ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم**﴾، بعمل الصالحات، ﴿**ولَنَجزِيَنَّهُم أحسَنَ**﴾ بمعنى: حَسَنَ - ونصبُه بنزع الخافض الباء - ﴿**الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٧. وهو الصالحات.

١- ﴿**ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ حُسنًا**﴾ أي: إيصاءً ذا حُسن بأن يَبَرَّهما. ﴿**وإن جاهَداكَ، لِتُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ**﴾: بإشراكه ﴿**عِلمٌ**﴾ - مُوافقةً للواقع فلا مفهوم له - ﴿**فلا تُطِعْهُما**﴾ في الإشراك. ﴿**إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٨، فأُجازيكم به. ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدخِلَنَّهُم في الصّالِحِينَ**﴾ ٩: الأنبياءِ والأولياءِ، بأن نحشرهم معهم.

٢- ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا بِاللهِ. فإذا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ**﴾ أي: أذاهم له ﴿**كَعَذابِ اللهِ**﴾، في الخوف منه، فيُطيعهم فيُنافق، ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**جاءَ نَصرٌ**﴾ للمؤمنين ﴿**مِن رَبِّكَ**﴾ فغنموا ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾، حُذفت منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: ﴿**إنّا كُنّا مَعَكُم**﴾ في الإيمان. فأشركونا في الغنيمة. قال تعالى: ﴿**أوَلَيسَ اللهُ بِأعلَمَ**﴾ أي: بعالم ﴿**بِما في صُدُورِ العالَمِينَ**﴾ ١٠: قُلوبِهم من الإيمان والنفاق؟ بلى. ﴿**ولَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بقُلوبهم، ﴿**ولَيَعلَمَنَّ المُنافِقِينَ**﴾ ١١، فيجازي الفريقين. واللام في الفعلين: لام قسم.

٣- ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: اتَّبِعُوا سَبِيلَنا**﴾: طريقنا في دِيننا، ﴿**ولْنَحمِلْ خَطاياكُم**﴾ في اتّباعنا، إن كانت. والأمر بمعنى الخبر. قال تعالى: ﴿**وما هُم بِحامِلِينَ مِن خَطاياهُم مِن شَيءٍ - إنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ ١٢ في ذلك - ﴿**ولَيَحمِلُنَّ أثقالَهُم**﴾: أوزارهم، ﴿**وأثقالًا مَعَ أثقالِهِم**﴾ بقولِهم للمؤمنين «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا» وإضلالِهم مُقلّديهم، ﴿**ولَيُسألُنَّ يَومَ القِيامةِ عَمّا كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ ١٣: يكذبون على الله، سُؤالَ توبيخ. واللام في الفعلين: لام قسم. وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع.

٤- ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ**﴾، وعمره أربعون سنة أو أكثر، ﴿**فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنَةٍ إلّا خَمسِينَ عامًا**﴾، يدعوهم إلى توحيد الله فكذّبوه،

---

(١) عندما أسلم سعد بن أبي وقاص أقسمت أمّه الكافرة ألّاتكلمه ولاتأكل ولاتشرب حتى يعود إلى الشرك، وبقيت كذلك ثلاثة أيام، فنزلت الآية ٨. انظر الأحاديث ١٧٤٨ في مسلم و٣١٨٨ في الترمذي وفي المسند ٣:١٢٠ و٢٨٦. ووصيناه به: أمرناه بتعهده ومراعاته. والوالدان: الأب والأم. والحُسن: جمال القول والفعل والمعاملة. وجاهدك: أكرهك وحملك. وتشرك بي: تجعل معي شريكًا في الألوهية. ولا مفهوم له: يعني أن «ما ليس لك به علم» غير مقصود به ما يفهم من ظاهره، والمراد أنه ليس هناك شريك تعلمه أو لا تعلمه. فالنفي للعلم مقصود به نفي المعلومِ، أي: وجودِ الشريك أصلًا. وهذا ما يوافق الواقع الثابت بلا شك. وتطيعه: تستجيب له. وإليّ: إلى لقاء ما وعدت في يوم القيامة. والمرجع: العودة بعد البعث للحساب والجزاء. وأنبئ: أخبر وأذكّر. وندخلهم: نجعلهم. وفي الصالحين: في جملتهم ومنزلتهم. ومعهم أي: في الجنة.

(٢) نزلت الآيتان ١٠ و١١ في بعض المسلمين، آمنوا في مكة، ولما آذاهم المشركون رجعوا إلى الكفر. ولذلك وصفوا بالنفاق. الدر المنثور ٥:٤٢. ومن الناس: بعضهم. وآمنا به: صدّقناه وأقررنا بوحدانيته. وأوذي: عُذب تعذيبًا لا يصبر عليه. وفي الله أي: بسبب دينه. وجعل: صيّر. والفتنة: الامتحان. والناس هنا: الكافرون. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. وجاء: وقع وحصل. والنصر: العون على العدو ليرتدع. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعالم يعني أن «أعلم»: اسم فاعل بلفظ اسم التفضيل، للمبالغة في الإحاطة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب الذي فيه. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالمراد هنا ما كان من المخلوقات التي تعقل. وبلى أي: هو عالم بذلك دون شك. والمنافق: من أظهر الإيمان بلسانه ولم يطمئن به قلبه. و«لام قسم» يعني أنها واقعة في جواب قسم مقدر، جوابية للتوكيد.

(٣) كفر: كذّب الله ورسوله. واتبِعوه: اسلكوه واعملوا به. وسقط «طريقنا» مما عدا الأصل وخ. ونحملها: نتحمل عقابها عنكم. والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب والمعصية. و«إن كانت» يعني: على فرض أنها خطايا، وهي في رأينا ليست كذلك. وكان كبار مشركي مكة يقولون لمن آمن: لا نُبعث نحن ولا أنتم. فإن كان عليكم من الإقامة على دين الآباء شيء فهو علينا. البحر ٧:١٤٣. وبمعنى الخبر: يعني أن «لنحمل» فيه الأمر لأنفسهم مجازًا، عُبِّرَ به كذلك عن معنى الخبر: نحملُ، مبالغة في الالتزام بالحمل. وخطاياهم: خطايا المؤمنين المخاطَبين. والكاذب: من يقول غير الحق. والأثقال: جمع ثقل. وبقولهم: بسبب قولهم. ويسأل: يذكَّر. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب والجزاء. والتوبيخ: التقريع والتعنيف. ولام قسم أي: واقعة في جواب القسم المحذوف. وفاعلهما أي: فاعل «يحمل» ونائب فاعل «يسأل». عُبِّرَ عنهما بالفاعل تغليبًا للأشهر.

(٤) أرسلناه: بعثناه مبلّغًا ومنذرًا. ونوح: النبي بعد آدم وشيث وإدريس. وقومه: الجماعة التي هو من أبنائها. ولبث: أقام وبقي. وتحديد عمره هنا فيه خلاف كثير. قال أبو حيان: «واختُلف في مقدار عمره، حين كان بعث وحين مات، اختلافًا مضطربًا متكاذبًا». ولبث: بقي. والسنة والعام شيء واحد في المدة. وأخذهم: عاقبهم وأهلكهم. والطوفان: الماء الغامر الجارف. وطاف: أحاط من كل جانب. والظالم: من يتجاوز الحق. وأنجيناه: أنقذناه. وأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء كمن يملكه. وجعل: صيّر. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. ورسولهم: من أرسل إليهم بالتوحيد والشريعة والعمل. وفيما عدا الأصل والنسختين وبعض النسخ: «رسلهم».

الجزء العشرون — سورة العنكبوت

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿**فأخَذَهُمُ الطُّوفانُ**﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا، ﴿**وهُم ظالِمونَ**﴾ ١٤: مُشركون، ﴿**فأنجَيناهُ**﴾ أي: نُوحًا ﴿**وأصحابَ السَّفينةِ**﴾ أي: الذين كانوا معه فيها، ﴿**وجَعَلْناها آيةً**﴾: عِبرة ﴿**لِلعالَمِينَ**﴾ ١٥: لمن بعدهم من الناس، إن عصَوا رسولهم. وعاش نُوح بعد الطوفان ستّين سنة أو أكثر حتّى كثر الناسُ.

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إبراهِيمَ، إذ قالَ لِقَومِهِ: اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ**﴾: خافوا عقابه. ﴿**ذٰلِكُم خَيرٌ لَكُم**﴾ ممّا أنتم عليه، من عِبادة الأصنام، ﴿**إن كُنتُم تعلَمُونَ**﴾ ١٦ الخيرَ من غيره. ﴿**إنَّما تعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**أوثانًا، وتَخلُقُونَ إفكًا**﴾: تقولون كذبًا: «إنّ الأوثان شُركاءُ لله». ﴿**إنَّ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لا يَملِكُونَ لَكُم رِزقًا**﴾: لا يقدرون أن يرزقوكم. ﴿**فابتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ**﴾: اطلبوه منه، ﴿**واعبُدُوهُ واشكُرُوا لَهُ. إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ١٧.

٢- ﴿**وإن تُكَذِّبُوا**﴾ أي: تُكذّبوني - يا أهل مكّة - ﴿**فقَد كَذَّبَ أُمَمٌ مِن قَبلِكُم**﴾ مَن قبلي. ﴿**وما عَلَى الرَّسُولِ إلّا البَلاغُ المُبِينُ**﴾ ١٨: الإبلاغ البيِّنُ. في هاتين القصتين تسلية للنبيّ. وقال - تعالى - في قومه: ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾، بالياء والتاء: ينظروا: ﴿**كَيفَ يُبدِئُ اللهُ الخَلقَ**﴾ - بضمّ أوله، وقُرئ بفتحه من: بَدأ وأبدأ بمعنًى - أي: يخلقهم ابتداء؟ ﴿**ثُمَّ**﴾ هو ﴿**يُعِيدُهُ**﴾ أي: الخلقَ كما بدأه. ﴿**إنَّ ذٰلِكَ**﴾ المذكورَ، من الخلق الأوّل والثاني، ﴿**عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ ١٩. فكيف ينكرون الثاني؟

٣- ﴿**قُل: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ بَدأَ الخَلقَ**﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم؟ ﴿**ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشاءَةَ الآخِرةَ**﴾، مدًّا، وقصرًا مع سكون الشين. ﴿**إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٢٠، ومنه البدء والإعادة، ﴿**يُعَذِّبُ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبَه، ﴿**ويَرحَمُ مَن يَشاءُ**﴾ رحمته، ﴿**وإلَيهِ تُقلَبُونَ**﴾ ٢١: تُردّون، ﴿**وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾ ربَّكم، عن إدراككم ﴿**في الأرضِ ولا في السَّماءِ**﴾ - لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه - ﴿**وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مِن وَلِيٍّ**﴾ يمنعكم منه، ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾ ٢٢: ينصركم من عذابه. ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ ولِقائِهِ**﴾، أي: القُرآنِ والبعث، ﴿**أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَحمَتِي**﴾ أي: جنّتي، ﴿**وأُولٰئِكَ لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٢٣: مُؤلم.

---

(١) إبراهيم: أبو الأنبياء بعد نوح وهود وصالح. واعبدوه: قدسوه وحده. والأمر بالتقوى يستلزم الطاعة للأمر والنهي. وخير: أكثر نفعًا. والتفضيل هنا بناء على ما يزعمه المشركون من خير في عبادة الأصنام. وتعلم: تميز. والمراد: إن كنتم تعلمون، وتعملون بما يوجب ذلك، حصل لكم الأفضل. والأوثان: جمع قلة للوثن مراد به الكثرة، عُبِّر عنها بالقلة للتحقير. والوثن: ماجعل معبودًا من خشب أو غير ذلك. وتخلقونه: تصطنعونه من الباطل. وشركاء لله أي: في الألوهية والعبادة. وفي الأصل وقرة العينين والمنحة: «شركاء الله». والرزق: تيسير المتاع والزينة. واشكروا له: استحضروا نعمه في نفوسكم، وأظهروا ما يجوز إظهاره منها، وأثنوا عليه لذلك بالقلب واللسان والطاعة. وإليه: إلى لقاء حسابه وجزائه. وترجعون: تُردون وتصيرون بعد الموت والبعث.

(٢) تكذبونني: تنكرون ما جئت به. وضمير المتكلم للنبي ﷺ. والأمم: جمع أمة. ومن قبلي أي: الرسل الذين بعثوا قبلي. والإبلاغ: إيصال الرسالة. وفيما عدا الأصل والنسخ: «إلّا البلاغ». والقصتين يريد: قصتي نوح وإبراهيم مع قومهما. والرؤية ههنا بالتفكر والتدبر، فيما يحصل من تكوين الإنسان والحيوان والنبات والجماد. وقومه: قوم النبي ﷺ. وبالتاء يريد القراءة «أوَلَم تَرَوا»؟ والخلق: المخلوقات. وبفتحه أي: «يَبدَأُ». والقراءة الأولى مضارع «أبدأ». وبمعنى أي: بمعنًى واحد. وهو الإيجاد للشيء من العدم. ويعيده: يردّ تكوين الأجسام بعد الفناء، ويردّ إليها أرواحها. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بدأهم». واليسير: الهين. والثاني يعني البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

(٣) سيروا: امشوا مسافرين ومتنقلين. وانظروا: تأملوا بالتفكر وتفهم الدلائل. والخلق: الإيجاد من العدم. ولمن كان أي: للأمم الماضية. خ: «أي من كان». فالخلق يكون بمعنى المخلوقين. وينشئ: يكوّن ويُحدث. والآخرة: التالية تكون يوم القيامة. والمد: همزة بعد ألف. وقصرًا يريد القراءة «النَّشْأَةَ» بهمزة دون ألف قبلها، وهو القصر. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. والقدير: المبالغ في الاقتدار لايعجزه شيء. ومنه: من الشيء المذكور. ويعذبه: يخصه بما يسوءه ويشقيه في الدنيا والآخرة. ويشاء: يريد. ويرحمه: يعطف عليه فيحسن إليه بما يسعده في الدارين. وتردون أي: يوم القيامة للحساب والجزاء. والمعجز: القادر على التخلص والنجاة من القهر والسلطان. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والعوالم الغيبية. والولي: من يتولى أمور غيره ويرعى مصالحه. والنصير: من يدفع البلاء وينقذ منه. وكفر بها: جحدها وأنكرها. و«القرآن» تفسير للآيات. و«البعث» تفسير للقاء. وبئس: قطع الأمل والرجاء. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة عقوبة وإهانة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

١- قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿**فما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلّا أن قالُوا: اقتُلُوهُ أو حَرِّقُوهُ. فأنجاهُ اللهُ مِنَ النّارِ**﴾ التي قذفوه فيها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا - ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ أي: إنجائه منها ﴿**لَآياتٍ**﴾، هي عدمُ تأثيرها فيه مع عِظَمِها، وإخمادُها وإنشاءُ روض مكانها في زمنٍ يسير، ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٢٤: يصدّقون بتوحيد الله وقُدرته، لأنهم المنتفعون بها - ﴿**وقالَ**﴾ إبراهيم: ﴿**إنَّ ما اتَّخَذتُم مِن دُونِ اللهِ أوثانًا**﴾ تعبدونها - وما: مصدريّة - ﴿**مَوَدَّةَ بَينِكُم**﴾: خبر «إنّ»، وعلى قراءة النصب مفعول له، وما: كافة. المعنى: توادتم على عِبادتها ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا، ثُمَّ يَومَ القِيامةِ يَكفُرُ بَعضُكُم بِبَعضٍ**﴾: يتبرّأ القادةُ من الأتباع، ﴿**ويَلعَنُ بَعضُكُم بَعضًا**﴾: يلعن الأتباعُ القادةَ، ﴿**ومأواكُمُ**﴾: مصيركم جميعًا ﴿**النّارُ، ومالكُم مِن ناصِرينَ**﴾ ٢٥: مانعين منها.

٢- ﴿**فآمَنَ لَهُ**﴾: صدّق بإبراهيم ﴿**لُوطٌ**﴾، وهو ابن أخيه هارانَ، ﴿**وقالَ**﴾ إبراهيم: ﴿**إنِّي مُهاجِرٌ**﴾ من قومي، ﴿**إلَى رَبِّي**﴾ أي: إلى حيثُ أمرني ربّي. وهجر قومه وهاجر من سواد العِراق إلى الشام. ﴿**إنَّهُ هُوَ العَزيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٢٦ في خلقه. ﴿**ووَهَبْنا لَهُ**﴾ بعد إسماعيل ﴿**إسحاقَ، ويَعقوبَ**﴾ بعد إسحاق، ﴿**وجَعَلْنا في ذُرِّيّتِهِ النُّبوّةَ**﴾ - فكلّ الأنبياء بعد إبراهيم من ذُرّيّته - ﴿**والكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتب، أي: التوراةَ والإنجيل والزبور والقرآن، ﴿**وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنيا**﴾. وهو الثناء الحسن في كُلّ أهل الأديان. ﴿**وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٢٧ الذين لهم الدرجات العُلا.

٣- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**لُوطًا، إذ قالَ لِقَومِهِ: أإنَّكُم**﴾ - بتحقيق الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين في الموضعين - ﴿**لَتأتُونَ الفاحِشَةَ**﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿**ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ**﴾ ٢٨: الإنس والجنّ؟ ﴿**أإنَّكُم لَتأتُونَ الرِّجالَ وتَقطَعُونَ السَّبِيلَ**﴾: طريق المارّة، بفِعلكم الفاحشةَ بمن يمرّ بكم، فترك الناس الممرّ بكم، ﴿**وتأتُونَ في نادِيكُمُ**﴾ أي: مُتحدَّثِكم ﴿**المُنكَرَ**﴾: فِعلَ الفاحشة بعضُكم ببعض؟ ﴿**فما كانَ جَوابَ قومِهِ إلّا أن قالُوا: ائتِنا بِعذابِ اللهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ ٢٩ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه. ﴿**قالَ: رَبِّ، انصُرْني**﴾ بتحقيق قولي، في إنزال العذاب ﴿**علَى القَومِ المُفسِدِينَ**﴾ ٣٠: العاصين بإتيان الرجال. فاستجاب الله دعاءه.

---

(١) جواب قومه: ردهم على حججه من الرؤساء، موجهًا إلى أتباعهم. وحرقوه: ألقوه في نار لتحرقه. وأنجاه: أنقذه وحفظه. انظر الآية ٦٩ من سورة إبراهيم. والآيات: البراهين الدالة على التوحيد والقدرة البالغة. والروض: البستان. وإنشاء الروض ليس له ما يصححه، ضعفه أبو حيان بقوله: «إن صح ما نُقل». البحر ٧:٢٤٨. وبها: بتلك الآيات يتعظون وبأمثالها. واتخذ: جعل وصيّر. والأوثان: انظر الآية ١٧. ومصدرية: يعني أن التقدير: إنّ اتخاذكم الأوثانَ مودة. وهي الألفة والصداقة. وبالنصب: يعني «مَوَدّةَ بَينِكُم»، أي: إنما عبدتم الأوثان لإرضاء بعضكم بعضًا ومودته، لا لاعتقادكم صحة ما تفعلون. فيكون رسم «إن ما» هو «إنما»: للحصر. والدنيا: القريبة منهم لأنهم يعيشون فيها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. ويلعنه: يدعو عليه بالطرد من الرحمة.

(٢) صدق به أي: بنبوته. والمهاجر: الراحل يغادر وطنه وقومه. والشام: فلسطين وما حولها من بلاد الشام. والعزيز: الغالب على أمره لايعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وخلقه: إيجاده ما يريد. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «في صنعه». ووهب: أعطى. ويعقوب هو ابن إسحاق حفيد لإبراهيم. وجعل: صيّر. وذريته: نسل إبراهيم. والنبوة: التكليف بوحي وإلهام للدعوة إلى التوحيد مع العمل. والكتاب هنا يدل على الكثرة. وفيما عدا الأصل وخ: «الفرقان» موضع «القرآن». وآتى: أعطى. والأجر: المكافأة. والدنيا: الحياة القريبة التي يعيش فيها الناس الآن. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والصالح: من كان عمله مما يرضي الله.

(٣) لوط: ابن أخي إبراهيم هاجر معه من العراق إلى الشام، ثم ذهب إلى سدوم قرب حمص. وقومه: الجماعة التي يعيش بينها وصاهرها. و«بتحقيق... في الموضعين» يعني: في الآيتين ٢٨ و٢٩. ففي كل منهما أربع قراءات: ماأثبتنا، و«أإنَّكُم»، و«آإنَّكُم»، و«آإنَّكُم». وتأتون: تفعلون بالوطء. والفاحشة: القبيحة الشنيعة من المنكرات. وما سبقكم بها أي: لم يفعلها قبلكم. والعالَم: الجنس من الخلق. وجمعه يدخل فيه الحيوان أيضًا، مما يجعل قوم لوط أحط من البهائم. وتأتون الرجال: تستحلون أدبارهم باللِّواطة. والرجال: جمع رجل. وتقطعونه: تمنعون الناس من العبور فيه بإيذائهم، والعدوان عليهم وعلى أموالهم وأعراضهم. والممر: المرور. والمنكر: ما قبحه الشرع والعقل والنفس الكريمة. وجوابهم: انظر الآية ٢٤. وائتنا به: أوقعه بنا. والصادق: من يقول الحق. ورب أي: ياربي، حذف حرفُ النداء مبالغة في التعظيم لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه، وياءُ المتكلم للتخفيف. وانصرني: أعنّي للغلبة عليهم.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

١- ﴿**ولمّا جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشرَى**﴾، بإسحاق ويعقوب بعده، ﴿**قالُوا: إنّا مُهلِكُو أهلِ هٰذِهِ القَريَةِ**﴾ أي: قرية لُوط. ﴿**إنَّ أهلَها كانُوا ظالِمينَ**﴾ ٣١: كافرين. ﴿**قالَ**﴾ إبراهيم: ﴿**إنَّ فيها لُوطًا. قالُوا**﴾ أي: الرسل: ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها. لَنُنَجِّيَنَّهُ**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ، كانَت مِنَ الغابِرينَ**﴾ ٣٢: الباقين في العذاب.

٢- ﴿**ولَمّا أن جاءتْ رُسُلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِم**﴾: حَزِنَ بسببهم، ﴿**وضاقَ بِهِم ذَرعًا**﴾: صدرًا، لأنهم حِسانُ الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه بأنهم رُسل ربه، ﴿**وقالُوا: لا تَخَفْ ولا تَحزَنْ. إنّا مُنَجُّوكَ**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**وأهلَكَ إلّا امرأتَكَ، كانَت مِنَ الغابِرينَ**﴾ ٣٣. ونُصِبَ «أهلك» عطفًا على محلّ الكاف. ﴿**إنّا مُنزِلُونَ**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**على أهلِ هٰذِهِ القَريَةِ رِجزًا**﴾: عذابًا ﴿**مِنَ السَّماءِ، بِما**﴾: بالفعل الذي ﴿**كانُوا يَفسُقُونَ**﴾ ٣٤ به، أي بسبب فِسقهم. ﴿**ولَقَد تَرَكْنا مِنها آيَةً بَيِّنَةً**﴾: ظاهرة، هي آثار خرابها، ﴿**لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ٣٥: يتدبّرون.

٣- ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**إلَى مَديَنَ أخاهُم شُعَيبًا، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ وارجُوا اليَومَ الآخِرَ**﴾: اخشَوه - هو يوم القيامة - ﴿**ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ**﴾ ٣٦: حالٌ مُؤكِّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المُثلّثة: أفسدَ. ﴿**فكَذَّبُوهُ فأخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ**﴾: الزلزلة الشديدة، ﴿**فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمينَ**﴾ ٣٧: باركين على الرُّكب ميّتين.

٤- ﴿**و**﴾ أهلكنا ﴿**عادًا وثَمُودًا**﴾ - بصرف «ثمود» وتركه، بمعنى الحيّ والقبيلة، ﴿**وقَد تَبَيَّنَ لَكُم**﴾ إهلاكُهم، ﴿**مِن مَساكِنِهِم**﴾ بالحِجر واليمن - ﴿**وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم**﴾ من الكُفر والمعاصي، ﴿**فصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ**﴾: سبيل الحقّ، ﴿**وكانُوا مُستَبصِرينَ**﴾ ٣٨: ذوي بصائرَ، ﴿**و**﴾ أهلكنا ﴿**قارُونَ وفِرعَونَ وهامانَ، ولَقَد جاءَهُم**﴾ من قبلُ ﴿**مُوسَى بالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿**فاستَكبَرُوا في الأرضِ، وما كانُوا سابِقِينَ**﴾ ٣٩: فائتين عذابنا.

---

(١) جاءته: دخلت بيته. والرسل: جمع رسول. وهم الملائكة هنا وفي الآية ٣٣. والبشرى: البشارة بالخبر السار، وفيها إهلاك قوم لوط، مع ما ذكر المحلي من الولد والحفيد. ومهلكوهم: مفنوهم بالعذاب. وقرية لوط هي مدينة سدوم وحولها مدن أُخرى. وكانوا أي: وما زالوا في واقع أمرهم. والظلم: مجاوزة الحق، فسّره بالكفر لأنه أشنع الظلم. وأعلم: أدرى منك. وننجيه: ننقذه. وبالتشديد يريد القراءة «لَنُنَجِّيَنَّهُ». خ: «بالتشديد والتخفيف». وهو أولى لِما سيلي في الآية ٣٣. والأهل: من يعولهم الرجل من نساء وأولاد. وامرأته: زوجة له كافرة. وكانت أي: في علم الله وحكمه الأزلي. والباقين أي: المنغمسين، لاننجيها لأنها كانت تؤيد قومها، وتنقل إليهم أخبار زوجها. (٢) الذرع: القدرة. وضاق بهم ذرعًا: عجَز عن احتمال حضورهم، إذ لم يكن يعلم أنهم ملائكة. وفيما عدا الأصل والنسخ: «فأعلموه أنهم رسل ربه». ولاتخف: لاتخش أذى لنا أو لك واطمئن. ولاتحزن: لا تجزع. ومنجوك: منقذوك. وبالتخفيف يريد القراءة «مُنْجُوكَ». والأولى أن يعكس ليوافق ما في الآية ٣٢، ويكون إيراد كل من التشديد والتخفيف مع مثله في القراءة. وعطفًا على محل الكاف: يعني أن الكاف محلها النصب تقديرًا، ولذلك عطف «أهل» عليها بالنصب. وفيما عدا الأصل والنسختين: «عطف». ومنزلون: مسقطون. وبالتشديد يريد القراءة «مُنَزِّلُونَ». والرجز: ما يُقلق ويسبب الاضطراب والهلاك. وهو هنا الزلازل والخسف والريح والحجارة المحرقة. ومن السماء أي: أن الأمر بذلك من عند الله ، فعُبِّرَ بالسماء للدلالة على الرفعة والسلطان. ويفسق: يخرج على الحق ويرتكب الفواحش. وترك: جعل. والآية: العظة والدلالة على ما نزل بالكافرين العصاة. ويتدبرون أي: تدبُّرَ ذوي العقول والتفكر والاتعاظ. (٣) وإلى مدين أي: إلى أهلها، من قدماء العرب ذرية مدينِ بن إبراهيم. وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك. وأخاهم أي: أنهم قومه. فهو رسول عربي أيضًا. واعبدوه: وحّدوه بالتقديس والطاعة. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. واخشوه: خافوا جزاءه وتجنبوه بالامتثال للأمر والنهي. والمثلثة: الثاء. وأفسد: يعني أن «عثي» بمعنى: أفسد. ولذلك كانت الحال من الفاعل مؤكِّدة لـ «تعثوا»، أي: تُشيعوا الشر والسوء بين الناس. وكذبوه: أنكروا ما ذكره من التوحيد والحساب. وأخذتهم: أهلكتهم. والزلزلة كانت بالصيحة الشديدة التي دمرت وخسفت. انظر الآية ٩٤ من سورة هود. وأصبحوا: صاروا . (٤) عاد: قوم هود كانوا بين عُمان وحضرموت. والقومان المذكوران أبناء إرم من العرب العاربة، أقدم الأمم بعد نوح عرفت لها آثار. والصرف وتركه هما في عبارة المحلي خاصان بثمود، خلافًا لِما جاء في المنحة ص ٥٢٥. وبتركه يريد القراءة «وثَمُودَ». والترك هو المنع من التنوين. وقوم النبي صالح كانوا بالحِجر، على طريق المدينة إلى الشام. وتبين: ظهر للعِيان. والمساكن: جمع مسكن، أي: ما بقي فيها من آثار الدمار والفناء. وزينها: جملها. والشيطان: من يوسوس بالشر والضلال من الجن والإنس. والأعمال: جمع عمل. وهو مايقوم به الإنسان من تفكير أو تدبير أو تصرف. وصد: منع. والسبيل: الطريق المستقيم. والبصائر: جمع بصيرة. وهي القدرة على معرفة الحق من الباطل. وذوي بصائر أي: عقلاء متمكنين من التدبر والتفكير، لكنهم لم يفعلوا ذلك تعنتًا وإصرارًا على العصيان. وقارون: ابن عم موسى. انظر الآيات ٧٦-٨٢ من سورة القصص. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. وهامان: وزير فرعون. وجاءهم بها من قبل: أحضرها لهم قبل إهلاكهم، يدعوهم إلى التوحيد. وبالحجج أي: بالأدلة والبراهين. وفيما عدا الأصل والنسخ: «الحجج». واستكبروا: طلبوا ماليس لهم، من التعالي على الإيمان والطاعة. وفائتين عذابنا أي: فارّين منه رغم ما هم عليه من الغنى والسلطان.

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
(٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
(٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

١- **﴿فكلًّا﴾** من المذكورين **﴿أخذْنا بِذَنْبِهِ - فمِنهُم مَن أرسَلْنا عليهِ حاصِبًا﴾**: ريحًا عاصفة فيها حصباءُ كقوم لُوط، **﴿ومِنهُم مَن أخَذَتْهُ الصَّيحةُ﴾** كثمود، **﴿ومِنهُم مَن خسَفْنا بِهِ الأرضَ﴾** كقارون، **﴿ومِنهُم مَن أغرَقْنا﴾** كقوم نُوح وفِرعون وقومه - **﴿وما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾** فيُعذّبهم بغير ذنب، **﴿ولٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾** ٤٠ بارتكاب الذنب.

٢- **﴿مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أولياءَ﴾**، أي: أصنامًا يرجون نفعها، **﴿كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾** لنفسها تأوي إليه، **﴿وإنَّ أوهَنَ﴾**: أضعفَ **﴿البُيُوتِ لَبَيتُ العَنكَبُوتِ﴾**، لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا. كذلك الأصنام لا تنفع عابديها. **﴿لو كانُوا يَعلَمُونَ﴾** ٤١ ذلك ما عبدوها. **﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما﴾** بمعنى: الذي **﴿يَدعُونَ﴾**: يعبدون - بالياء والتاء - **﴿مِن دُونِهِ﴾**: غيرَه **﴿مِن شَيءٍ، وهُوَ العَزِيزُ﴾** في مُلكه، **﴿الحَكِيمُ﴾** ٤٢ في صُنعه.

٣- **﴿وتلكَ الأمثالُ﴾** في القُرآن **﴿نَضرِبُها﴾**: نجعلها **﴿لِلنّاسِ، وما يَعقِلُها﴾** أي: يفهمها **﴿إلّا العالِمُونَ﴾** ٤٣: المُتدبِّرون. **﴿خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بالحَقِّ﴾** أي: مُحقًّا. **﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً﴾**: دلالة على قُدرته - تعالى - **﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾** ٤٤. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها، في الإيمان، بخلاف الكافرين.

٤- **﴿اتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِنَ الكِتابِ﴾**: القُرآن، **﴿وأقِمِ الصَّلاةَ - إنَّ الصَّلاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ﴾** شرعًا، أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها، **﴿ولَذِكرُ اللهِ أكبَرُ﴾**

---

(١) أخذنا: عاقبنا وأهلكنا. والذنب: المعصية تقتضي العقاب. وأرسلنا: أطلقنا وبعثنا. والحصباء: الحجارة. والصيحة: الصرخة العظيمة تزلزل الأرض وما فيها. وخسفنا: أغرناها وأخفيناها تحت الأنقاض. والأرض: المكان الذي يعيشون فيه. وأغرقناه: أمتناه خنقًا بالماء. ويظلم: يتجاوز الحق والعدل. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظلمونها: يسببون لها الشر والضرر. فعِقابنا لهم هو الحق والعدل. وبارتكاب الذنب أي: بإصرارهم على الكفر والعصيان.

(٢) المَثل: الصفة والحال. واتخذوا: جعلوا. ومن دونه أي: غيره. والأولياء: جمع ولي. وهو ما يتولاه الإنسان ويعتمد عليه. والعنكبوت: دُوَيْبّة تنسج في الهواء من لعابها بيتًا رقيقًا تسكن فيه وتصيد به ما تأكله. واتخذت: صنعت. والبيوت: جمع بيت. ويعلم: يدرك ويدري. و«ذلك» أي: مثلهم المذكور وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية. ويعلمه: يحيط به بالغَ الإحاطة. وبالتاء يريد القراءة «تَدعُونَ» أي: تدعونه. ومن دونه أي: المخلوقات كالأصنام والجن والملائكة والبشر والحيوانات. والعزيز: الغالب القهار يذل له ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٣) تلك أي: هذا المثال وغيره. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الأمر العجيب يُذكر لبيان ما يشبهه من الأحوال للعظة والاعتبار. ونضربها: نذكرها ونوضحها. والناس: البشر. ويفهمها: يدرك فائدتها. والمتدبرون: الذين يدركون ما يذكره الله، فيعملون بطاعته ويتجنبون سخطه. فقد كان مشركو قريش يقولون: «إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت»! وخلقها: أوجدها من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجرام ومغيبات عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمراد: وغيرهما أيضًا وما في ذلك كله. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والحق: الواجب للخير والصلاح. ومحقًّا: قاصدًا ما يجب بالحكمة، لإفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته، لا عابثًا أو لاعبًا. وذلك أي: الخلق المذكور. ودالة: تدل وتبين. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله وعرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٤) اتل: اقرأ تقربًا إلى الله وتذكرًا للمعاني، وتذكيرًا للمؤمنين بالعمل. وأوحي: أُنزل على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه. وأقم الصلاة: دم على تأديتها كما يجب. والصلاة: العبادة المكتوبة. وتنهى: تصرف وتمنع. والفحشاء: العمل الذي قبحه الشرع. والمنكر: ما أنكره الشرع. وذكر الله: استحضار عظمته وجلاله بالقلب واللسان والعمل. وأكبر: أعظم أثرًا في النهي. ويعلمه: يحيط به إحاطة بالغة. وتصنعون: تكتسبونه من خير وشر. ويجازيكم به أي: في الدنيا والآخرة. ولا تجادلوا: لا تناقشوا. والكتاب: الكتب الإلهية، كالتوراة والإنجيل. والأحسن: الأجمل في الأسلوب والتعبير، ملاطفة للترغيب. وظلموا: اعتدوا عليكم بالكيد والإيذاء. وفي الأصل: «فإن حاربوا». وفي الأصل والنسخ والفتوحات والصاوي وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «فجادلوهم». والتصويب مما في تفسير ابن كثير ٣: ٤٠١. وذكر الحرب والجزية يقتضي أن الآية مدنية. وهذا خلاف ماجاء في مستهل تفسير السورة من أنها مكية. والراجح قول جمهور المفسرين، أي: فإن أفرطوا في المجادلة، ولم يتأدبوا معكم، فلابأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم. فتح القدير ٤: ٢٧٨. والجزية: ما يدفعه المحارب أو المواطن من غير المسلمين، لحمايته بذمة الله ورسوله. وآمنا به: صدقناه. وأنزل: أوحي من عند الله. وإليكم: إلى آبائكم القدماء. ولاتصدقوهم أي: إلّا فيما أقره الإسلام. ولاتكذبوهم أي: إلّا فيما أنكره الإسلام أو الواقع أو العقل السليم. وذلك أي: ما يخبرونكم به من القصص والأحكام، مما لاتعرفونه ولم يكن فيه موافقة أو مخالفة للإسلام أو الحق. فهذا هو الذي لايصدَّق ولا يكذَّب، من جميع الملل والشرائع والمقولات. والإله: المعبود بحق. وواحد: متفرد لا شريك له ولا مثيل.

الجزء الحادي والعشرون سورة العنكبوت

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

(الجزء ٢١ الحزب ٤١)

من غيره من الطاعات، ﴿**واللهُ يَعلَمُ ما تَصنَعُونَ**﴾ ٤٥، فيُجازيكم به - ﴿**ولا تُجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلّا بِالّتي**﴾ أي: بالمُجادلة التي ﴿**هِيَ أحسَنُ**﴾، كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حُججه، ﴿**إلّا الّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم**﴾، بأن حاربوا وأبَوا أن يُقرّوا بالجِزية، فجالِدوهم بالسيف، حتّى يُسلموا أو يُعطوا الجِزية، ﴿**وقُولُوا**﴾ لمن قَبِلَ الإقرار بالجِزية، إذا أخبروكم بشيء ممّا في كُتبهم: ﴿**آمَنّا بِالّذِي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم**﴾ - ولا تُصدّقوهم ولا تُكذّبوهم في ذلك - ﴿**وإلَٰهُنا وإلَٰهُكُم واحِدٌ، ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ**﴾ ٤٦: مُطيعون.

١- ﴿**وكَذٰلِكَ أنزَلْنا إلَيكَ الكِتابَ**﴾: القُرآن، كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها. ﴿**فالّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ**﴾: التوراة، كعبدالله بن سلام وغيره، ﴿**يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾: بالقرآن، ﴿**ومِن هٰؤُلاءِ**﴾ أي: أهل مكّة ﴿**مَن يُؤمِنُ بِهِ، وما يَجحَدُ بِآياتِنا**﴾ بعد ظهورها ﴿**إلّا الكافِرُونَ**﴾ ٤٧ أي: اليهودُ. وظهر لهم أنّ القُرآن حقّ والجائي به مُحِقّ، وجحدوا ذلك. ﴿**وما كُنتَ تَتلُو مِن قَبلِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**مِن كِتابٍ، ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ. إذًا**﴾ أي: لو كنت قارئًا كاتبًا ﴿**لَارتابَ**﴾: شكّ ﴿**المُبطِلُونَ**﴾ ٤٨ اليهودُ فيك، وقالوا: «الذي في التوراة أنه أُمّيّ لا يقرأ ولا يكتب». ﴿**بَل هُوَ**﴾ أي: القُرآن الذي جئتَ به ﴿**آياتٌ بَيِّناتٌ، في صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا العِلمَ**﴾ أي: المؤمنين يحفظونه، ﴿**وما يَجحَدُ بِآياتِنا إلّا الظّالِمُونَ**﴾ ٤٩: اليهودُ. وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٢- ﴿**وقالُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ علَيهِ**﴾: على مُحمّدٍ ﴿**آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾ - وفي قراءةٍ: «آياتٌ» - كناقةِ صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنّما الآياتُ عِندَ اللهِ**﴾ يُنزلها كما يشاء، ﴿**وإنّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٥٠: بيّنُ الإنذار بالنار. ﴿**أوَلَم يَكفِهِم**﴾، فيما طلبوا، ﴿**أنّا أنزَلْنا علَيكَ الكِتابَ**﴾: القُرآن، ﴿**يُتلَى علَيهِم**﴾. فهو آية مُستمرّة لا انقضاء لها، بخِلاف ما ذُكر من الآيات. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ الكتابِ ﴿**لَرَحْمَةً وذِكرَى**﴾: عِظةً، ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ ٥١. ﴿**قُلْ: كَفَى بِاللهِ بَينِي وبَينَكُم شَهِيدًا**﴾ بصدقي، ﴿**يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾، ومنه حالي وحالكم! ﴿**والّذِينَ آمَنُوا بِالباطِلِ**﴾ - وهو ما يُعبد من دون الله - ﴿**وكَفَرُوا بِاللهِ**﴾ منكم، ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ٥٢ في صفقتهم، حيثُ اشتَرَوُا الكُفر بالإيمان.

---

(١) أنزلنا: أوحينا وكلفنا بالدعوة والعمل. وآتينا: أعطينا. والكتاب: الكتب، أي التوراة والإنجيل والزبور. وعبد الله أسلم في المدينة، وذِكره هنا يعني أن الآية مدنية خلافًا لما جاء في مستهل تفسير السورة. والصواب أن المراد من كانوا قبل عصر النبوة يؤمنون بما سيأتي في القرآن. وأهل مكة أي: ومن حولها من أهل الكتاب. ويجحدها: ينكرها مع أنه يعلم صحتها. وظهورها: ثبوت أنها من عند الله. والكافر: من توغل في تكذيب الله ورسوله. وكان بعض النصارى كاليهود أيضًا. وقال مجاهد: «كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يخط بيمينه، ولا يقرأ كتابًا، فنزلت» يعني الآية ٤٨. الدر المنثور ٥:١٤٧-١٤٨. وتتلو: تقرأ. وقبله: قبل نزوله. وتخط: تكتب. واليمين: اليد اليمنى. والمراد: بيدك. فهو لايعرف القراءة والكتابة ولايستطيعهما. والمبطلون: المصرّون على الباطل وإنكار الحق، وهم النصارى أيضًا والمشركون، لأن ماجاء في القرآن من أخبار الأمم والأمور الغيبية والبلاغة أعظم دليل على أنه من عند الله. والآيات: النصوص الإلٰهية. والبينة: الواضحة الإعجاز والدلالة على صدق الرسالة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب يعي ويحتفظ بالعلم. وأوتوه: أُعطوه. والعلم: الدراية اليقينية لما جاء بالوحي والسُّنّة. و«المؤمنين» تفسير لـ «الذين». ويحفظونه أي: عن ظهر قلب. فهو مثبت في الصدور، مع كتابته في الصحف، لايمكن تحريفه خلافًا للتوراة والإنجيل وغيرهما. والظالم: من تجاوز الحق. وإنكارُ الأدلة الظاهرة ظلم كبير للنفس والحق. واليهود أي: والنصارى والمشركون.

(٢) كان بعض اليهود يعلّمون كفار قريش اقتراح المعجزات تعنتًا ومكابرة. فالقول هنا للفئتين، لا لكفار مكة فقط. وأنزل عليه: يوحى إليه. والآية: المعجزة تَحمل على الإيمان. ومن ربه أي: من عند الله. ولم يذكروا لفظ الجلالة تهكمًا واستهزاء. خ: «آيات من ربه وفي قراءة آية». وعنده: في قدرته وقضائه، ولست أملكها لآتيكم بما تقترحون. وكما يشاء أي: من غير تدخل لأحد في ذلك. والنذير: المخوّف لمن عصى. ويكفيهم: يغنيهم عن تطلب المعجزات. ويتلى: يقرأ. والرحمة: العطف بالإحسان. ويؤمنون: يصدقون الحق ويقرّون به. أما المكابرون المتعنتون فلا ينفعهم هذا ولا المعجزات المقترحة. وقل أي: للمشركين وأهل الكتاب الذين يقترحون المعجزات. فقد روي أنهم قالوا أيضًا: يامحمد، من يشهد بأنك رسول الله؟ فنزلت الآية. البحر ٧:١٥٦. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والإغناء عن كل شيء. والشهيد: من يشهد بالعلم اليقيني للفصل في الخلاف. ويعلمه: يحيط به إحاطة بالغة. والسماوات والأرض أي: ومابينهما ومافي غيرهما من العوالم الخفية. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وآمنوا به: اعتقدوا ألوهيته وقدسوه. والباطل: ماليس له أصل في الواقع. وكفروا به: جحدوا وحدانيته. والخاسر: الكامل الخسارة، أضاع ما يطلبه وآذى نفسه وغيره.

الجزء الحادي والعشرون سورة العنكبوت

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

١- **﴿ويَستعجِلُونَكَ بِالعذَابِ، ولَولا أجَلٌ مُسَمًّى﴾** له **﴿لَجاءَهُمُ العَذابُ﴾** عاجلًا، **﴿ولَيأتِيَنَّهُم بَغتَةً، وهُم لا يَشعُرُونَ﴾** ٥٣ بوقت إتيانه. **﴿يَستعجِلُونَكَ بالعَذابِ﴾** في الدنيا، **﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكافِرِينَ﴾** ٥٤، **﴿يَومَ يَغشاهُمُ العَذابُ مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم، ونَقُولُ﴾** فيه، بالنون أي: نأمر بالقول، وبالياء أي: «يَقُولُ» أي: المُوكَّلُ بالعذاب: **﴿ذُوقُوا ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾** ٥٥ أي: جزاءه. فلا تفوتوننا.

٢- **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ أرضِي واسِعةٌ. فإيّايَ فاعبُدُونِ﴾** ٥٦ في أيّ أرض تيسَّرت فيها العِبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسّر فيها. نزل في ضُعفاء مسلمي مكّة، كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها. **﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ، ثُمَّ إلَينا تُرجَعُونَ﴾** ٥٧ - بالتاء والياء - بعد البعث.

٣- **﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾**: نُنزلنّهم - وفي قراءة بالمُثلّثة بعد النون من الثُّويّ: الإقامة. وتعديتُه إلى «غرفًا» بحذف «في» - **﴿مِنَ الجَنّةِ غُرَفًا، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ﴾**: مُقدِّرين الخُلود **﴿فِيها، نِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾** ٥٨ هذا الأجرُ! هم **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾** على أذى المُشركين، والهِجرة لإظهار الدِّين، **﴿وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾** ٥٩، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون. **﴿وكأيِّن﴾**: كم **﴿مِن دابّةٍ لا تَحمِلُ رِزقَها﴾** لضعفها **﴿اللهُ يَرزُقُها وإيّاكُم﴾** - أيها المُهاجرون - إن لم يكن معكم زاد ولا نفقة! **﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾** لقولكم، **﴿العَلِيمُ﴾** ٦٠ بضميركم.

٤- **﴿ولَئِن﴾** - لامُ قسم - **﴿سألتَهُم﴾** أي: الكُفّار: **﴿مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. فأنَّى يُؤفَكُونَ﴾** ٦١: يُصرفون عن توحيده، بعد إقرارهم بذلك؟ **﴿اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾**: يُوسّعه **﴿لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾** امتحانًا، **﴿ويَقدِرُ﴾**: يُضيّقه **﴿لَهُ﴾** بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً. **﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾** ٦٢، ومنه محلّ البسط والتضييق.

٥- **﴿ولَئِن﴾** - لامُ قسم - **﴿سألتَهُم: مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحيا بِهِ الأرضَ مِن بَعدِ مَوتِها؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾**. فكيف يُشركون به؟ **﴿قُلِ﴾** لهم: **﴿الحَمدُ لِلهِ﴾** على ثُبوت الحُجّة عليكم. **﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ﴾** ٦٣ تناقُضهم في ذلك، **﴿وما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنيا إلّا لَهوٌ ولَعِبٌ﴾**، وأمّا القُرَب فمن أُمور الآخرة لظُهور ثمرتها فيها، **﴿وإنَّ الدّارَ الآخِرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾** بمعنى: الحياة. **﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾** ٦٤ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

---

(١) في التلخيص أن هذه الآيات نزلت في المشركين، كانوا يكذّبون مايهددون به من العذاب، في الدنيا والآخرة، ويطلبون تعجيل إنزاله بهم، تعجيزًا واستهزاء. وانظر الآية ٣٢ من سورة الأنفال. ويستعجلونك به: يطلبون إنزاله قبل أوانه. والعذاب: التعذيب المستأصِل. والأجل: وقت وقوع الشيء. والمسمى: المحدد. وجاءهم: نزل بهم. ويأتيهم: يقع بهم. والبغتة: الفجأة. ويشعر: يحس. وجهنم: اسم علم لدار العذاب المهيأة للكافرين. واليوم: الوقت. ويغشى: يغمر. والأرجل: جمع رِجل. وذوقوا: تحسسوا وقاسوا. وتعمل: تكتسب من نية أو قول أو فعل. وتفوتوننا: تتخلصون منّا.

(٢) العباد: جمع عبد. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والواسعة: الفسيحة. واعبدون أي: قدسوني وأطيعوني وحدي. ونزل يعني: الآيات ٥٦-٦٢. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والنفس: المخلوق الحي. وذائقة: مقاسية بجميع جوارحها. وإلينا أي: إلى حسابنا والجزاء. وترجعون: تردون. وبالياء يريد القراءة «يُرجَعُونَ».

(٣) عملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالحات: مايرضاه الله. والمثلثة: الثاء. والمراد «لَنُثوِيَنَّهُم». ونُثوي: نُنزل. والجنة: الحديقة العظيمة. والغرف: جمع غُرفة. وهي القصر. وتجري: تسيل بسرعة. وتحتها: تحت الغرف. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. ومقدرين: معتقدين ما سيكون. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم. والأجر: المكافأة. والعاملون: الذين يكتسبون الصالحات. وصبر: تجلد. ويتوكل: يعتمد في جميع أموره. ولايحتسبون: لايتوقعون. انظر «المفصل». والدابة: ما يدب أويتحرك. وتحمل: تجمع. والرزق: النصيب من الحاجات. ويرزقها: يقدّر لها. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة.

(٤) لام قسم: انظر «المفصل». وخلق: أوجد من العدم. وسخره: ذلّله للمصالح. وأنّى: كيف. ويشاء: يريد أن يوسع له. ويضيقه: يقلّله. ولما قال المشركون لبعض المؤمنين: «لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء» نزلت هذه الآية. فتح القدير ٤:٢٩٦. ومنه أي: من الشيء المذكور.

(٥) نزّل: أسقط. والسماء: السحاب. وأحياها: خلق فيها الحياة. وبه: بالماء. وموتها أي: الجدب والقحط. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. ولايعقلون: لايستخدمون عقولهم للتفكير فيما هم عليه. والحياة أي: مافيها من المتع والزينة. واللهو: الاستمتاع باللذات. واللعب: العبث بما هو باطل. والقُرَب: ما يُتقرَّب به إلى الله، جمع قُربة. والحياة أي: المستمرة لا تنقطع. ويعلمون: يدركون الحق من الباطل بتدبر الأدلة والآيات.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ — ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

١- ﴿**فإذا رَكِبُوا في الفُلكِ دَعَوُا اللهَ، مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ أي: الدعاءَ، أي: لا يدعون معه غيره، لأنهم في شدة لا يكشفها إلّا هو، ﴿**فلمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ إذا هُم يُشرِكُونَ**﴾ ٦٥ به، ﴿**ليَكفُرُوا بما آتيناهُم**﴾ من النِّعمة، ﴿**ولِيَتَمَتَّعُوا**﴾ باجتماعهم على عِبادة الأصنام. وفي قراءة بسكون اللام: أمرُ تهديد. ﴿**فسوفَ يَعلَمُونَ**﴾ ٦٦ عاقبةَ ذلك. ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا ﴿**أنّا جَعَلْنا**﴾ بلدهم مكّة ﴿**حَرَمًا آمِنًا، ويُتَخَطَّفُ النّاسُ مِن حَولِهِم**﴾ قتلًا وسبيًا دونهم؟ ﴿**أفبِالباطِلِ**﴾: الصنم ﴿**يُؤمِنُونَ، وبِنِعْمةِ اللهِ يَكفُرُونَ**﴾ ٦٧ بإشراكهم؟

٢- ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى على اللهِ كَذِبًا**﴾ بأن أشرك به، ﴿**أو كَذَّبَ بالحقِّ**﴾: النبيِّ أو الكتابِ ﴿**لَمّا جاءَهُ؟ ألَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى**﴾: مأوًى ﴿**للكافِرِينَ**﴾ ٦٨؟ أي: فيها ذلك، وهو منهم. ﴿**والَّذِينَ جاهَدُوا، فِينا**﴾: في حقّنا، ﴿**لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا**﴾ أي: طُرق السير إلينا، ﴿**وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحسِنِينَ**﴾ ٦٩: المُؤمنين، بالنصر والعون.

ربع الحزب ٤١

سورة الرُّوم

مكية، وهي ستون أو تسع وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**الٓمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ ٢ - وهم أهل الكِتاب - غلبتْها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كُفّار مكّة بذلك، وقالوا للمُسلمين: «نحن نغلبكم كما غَلبتْ فارسُ الرومَ»، ﴿**في أدنَى الأرضِ**﴾ أي: أقربِ أرض الروم إلى فارسَ بالجزيرة، التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرسُ، ﴿**وهُم**﴾ أي: الروم ﴿**مِن بَعدِ غَلَبِهِم**﴾ - أُضيفَ المصدر إلى المفعول - أي: غلبةِ فارسَ إياهم ﴿**سَيَغلِبُونَ**﴾ ٣ فارسَ، ﴿**في بِضعِ سِنِينَ**﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر. فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغَلبَتِ الرومُ فارسَ - ﴿**للهِ الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ**﴾ أي: من قبلِ غَلَبِ الروم ومن بعده. المعنى: أنّ غلبةَ فارسَ أوّلًا وغلبةَ الروم ثانيًا بأمر الله، أي: إرادته - ﴿**ويَومَئذٍ**﴾ أي: يومَ تغلب الرومُ ﴿**يَفرَحُ المُؤمِنُونَ ٤، بِنَصرِ اللهِ**﴾ إياهم على فارسَ. وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر، بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه. ﴿**يَنصُرُ مَن يَشاءُ، وهُوَ العَزِيزُ**﴾: الغالب، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ ٥ بالمؤمنين.

---

(١) ركب فيها: صار فيها. والفلك: السفن. انظر «المفصل». ودعاه: استغاث به. والمخلص: من يجرد قوله من كل شائبة. ونجاه: أنقذه. والبر: الأرض اليابسة. ويشرك: يعبد بعض المخلوقات ويطيعها. وآتينا: أعطينا. ويتمتع: يتلذذ. وسكون اللام أي: في القراءة «ولْيَتَمَتَّعُوا». ويعلم: يدرك باليقين. وجعل: صيّر. والحرم: ما يمنع فيه كثير مما يحل في غيره. والآمن: ذو الأمن يَطمئن من فيه. ويتخطف: يسلب وينزع بسرعة. ومن حولهم أي: من حول أهل مكة. والباطل: ما لايثبت عند الاختبار، ومنه الأصنام المعبودة. ويؤمن به: يعتقد استحقاقه للعبادة والطاعة ويقدسه. والنعمة: التفضل بالخير. ويكفر: ينكر. وبإشراكهم يعني: يجحدون بإشراكهم، أي: بعبادة المخلوقات، نعمةَ الله.

(٢) أظلم: أكثر مجاوزة للحق. وافترى: اختلق وادعى. والكذب: ما ليس له أصل في الواقع. وكذب به: أنكر صدقه وتنكر له. وجاءه: وصل إليه مبلغًا ونذيرًا. وجهنم: نار الله الموقدة لعقاب المصرين على الكفر والعصيان. والكافر: الجاحد المنكر للتوحيد والبعث والرسالة. وهو منهم أي: المفتري هو من أصحاب جهنم. وجاهدوا: بذلوا أقصى مالديهم من الصحة والمال والعلم والقوة والجاه والوقت والإمكانات. وفي حقنا أي: لأداء حقنا عليهم، من كف للعدو والنفس، ومقاومة الفتن والمنكرات والظلم. ونهديهم: نزيدهم إرشادًا وتوفيقًا. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق المستقيم إلى طاعة الله. ومعهم أي: يؤيدهم ويحفظهم. والمحسن: من أخلص في عمله، وجعله حسنًا كما حدده الشرع، مع الرقابة الدائمة لرضا الله.

(٣) غزا الفرس بلاد الروم وانتصروا عليهم، وحاصروا هرقل في القسطنطينية - والمسلمون في مكة قبل الهجرة - فنزلت الآيات تبشر بقرب تغلب الروم على الفرس. الواحدي ص ٣٦٠. وغلبت: هزمت. والروم: من النصارى. وفارس هم الفرس عبدة النار. وبالجزيرة أي: الجزيرة الفراتية بين النهرين. والغَلَب: التغلب والانتصار. والمفعول: يعني نائب الفاعل في المعنى، لأن الغَلَب هنا مصدر الفعل المبني للمجهول. والسابعة من الالتقاء الأول أي: في السنة السابعة بعد انتصار الفرس على الروم، فكان ذلك بضع سنين. والأمر: الإرادة والقضاء. ومن قبل ومن بعد أي: وبين ذلك أيضًا. والمراد: في جميع الأوقات. ويومئذ أي: يومَ إذْ. ويفرح: يُسَرّ ويَسعد. والمؤمن: من صدق الله ورسوله. والنصر: العون والتقوية للتغلب على العدو. فقد غزا قيصر حينذاك بلاد الفرس وتغلب عليهم وحاصر المدائن. وبنزول جبريل بذلك أي: بتبليغه للنبي ﷺ خبرَ انتصار الروم، وحيًا من عند الله. وفيه: في يوم بدر. ويشاء: يريد نصره. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

١ - ﴿**وَعْدَ اللهِ**﴾: مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهم اللهُ النصرَ، ﴿**لا يُخلِفُ اللهُ وَعدَهُ**﴾ به، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٦ وعده - تعالى - بنصرهم، ﴿**يَعلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ أي: معايشَها، من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك، ﴿**وهُم عَنِ الآخِرةِ هُم غافِلُونَ**﴾ ٧. أعاد «هم» تأكيدًا. ﴿**أوَلَم يَتَفَكَّرُوا في أنفُسِهِم**﴾، ليرجعوا عن غفلتهم: ﴿**ما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلّا بالحَقِّ، وأجَلٍ مُسَمًّى**﴾؟ لذلك تفنى عِند انتهائه، وبعده البعثُ. ﴿**وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ**﴾، أي: كُفّارِ مكّة، ﴿**بِلِقاءِ رَبِّهِم لَكافِرُونَ**﴾ ٨ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٢ - ﴿**أوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ من الأمم، وهي إهلاكهم بتكذيبهم رُسلَهم؟ ﴿**كانُوا أشَدَّ مِنهُم قُوَّةً**﴾ كعادٍ وثمودَ، ﴿**وأثارُوا الأرضَ**﴾: حرثوها، وقلبوها للزرع والغرس، ﴿**وعَمَرُوها أكثَرَ مِمّا عَمَرُوها**﴾ أي: كُفّارُ مكّة، ﴿**وجاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿**فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم**﴾ بإهلاكهم بغير جُرم، ﴿**ولٰكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ ٩ بتكذيبهم رُسلَهم، ﴿**ثُمَّ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ أساؤُوا السُّوءَى**﴾: تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبرُ «كان» على رفع «عاقِبةُ» واسمُ «كان» على نصب «عاقِبةَ»، والمُراد بها جهنّم، وإساءتُهم ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ**﴾: القُرآن، ﴿**وكانُوا بِها يَستَهزِئُونَ**﴾ ١٠.

٣ - ﴿**اللهُ يَبدَأُ الخَلقَ**﴾ أي: يُنشئ خلق الناس، ﴿**ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾ أي: خَلْقَهم بعد موتهم، ﴿**ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ١١ بالتاء والياء، ﴿**ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يُبلِسُ المُجرِمُونَ**﴾ ١٢: يسكتُ المُشركون لانقطاع حُجّتهم، ﴿**ولَم يَكُنْ**﴾ أي: لا يكون ﴿**لَهُم مِن شُرَكائِهِم**﴾ ممّن أشركوهم بالله - وهم الأصنام ليشفعوا لهم - ﴿**شُفَعاءُ، وكانُوا**﴾ أي: يكونون ﴿**بِشُرَكائِهِم كافِرِينَ**﴾ ١٣ أي: مُتبرّئين منهم.

٤ - ﴿**ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يَومَئِذٍ**﴾: تأكيد ﴿**يَتَفَرَّقُونَ**﴾ ١٤ أي: المؤمنون والكافرون، ﴿**فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فهُم في رَوضةٍ**﴾: جنّة ﴿**يُحبَرُونَ**﴾ ١٥: يُسَرّون، ﴿**وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾: القُرآنِ، ﴿**ولِقاءِ الآخِرةِ**﴾: البعث وغيره، ﴿**فأُولٰئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ**﴾ ١٦.

---

(١) الوعد: التعهد والبشارة. وبدل منه أي: مفعول مطلق نائب عنه. والبدل هنا يفيد التوكيد للفعل المحذوف. والتقدير: موعودين وعدَ الله. ويُخلفه: يهمل تحقيقه أو يخل به. وكفار مكة أي: وغيرها أيضًا، هنا وفي الآية ٨. ولايعلمون: يجهلون لعدم إيمانهم وإهمال التفكير السوي. والظاهر: مايبدو لكل طائش، ولا يقتضي التدبر للحقائق. والحياة: العيش بالروح والجسد. والآخرة: الحياة يوم القيامة بعد الموت. والغافل: الذاهل الساهي لايدري ما يحيط به. وفيما عدا الأصل والنسخ: «إعادة هم تأكيد». يعني أن تكرار «هم» توكيد لفظي للأول. ويتفكروا في أنفسهم: يشغلوا قلوبهم وعقولهم بالتدبر والاعتبار. والأنفس: جمع نفس. وهي العقل والضمير. وخلقه: أوجده من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والغيبيات. والحق: الحكمة البالغة. والأجل: مدة بقاء المخلوق. والمسمى: المحدد. وتفنى: تضمحل وتتلاشى. خ وع: «يفنى». والكثير: العدد الوافر. ولقاؤه: الحضور لحسابه وجزائه.

(٢) يسير: يمشي للتنقل والتجارة. وينظر: يتأمل ويفكر. والعاقبة: العقوبة والنهاية العجيبة. والأشد: الأكثر شِدة. والقوة: التمكن من العمل. وعمروها: أقاموا فيها وأنشؤوا العمارات. وجاءتهم: حضرت مجالسهم للتبليغ. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بتبليغ التوحيد والشريعة مع العمل. ويظلمه: يجور عليه ويغبنه حقه. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. وكان أي: يكون يوم القيامة. وأساء: اقترف الشر وقبيح القول والفعل. والسوءى: أقبح العقوبات. والمراد بها أي: بالعاقبة. وكذبوا بها: أنكروها ولم يصدقوها. ويستهزئ: يسخر.

(٣) يبدؤه: يفعله ابتداء على غير مثال سابق. والخلق: الإيجاد من نطفة. ويعيده: يحدثه مرة ثانية. وإليه: إلى موعده يوم القيامة. وترجعون: تردّون وتحضرون للحساب والجزاء. وبالياء يريد القراءة «يُرجَعُونَ»، أي: الناس. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يُرجَعُونَ بالياء والتاء». وتقوم الساعة: يكون يوم القيامة. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وعزم، والشرك أشنع ذلك. ولا يكون: يعني أن معنى الماضي في «لم يكن» مراد به المستقبل، وعُبِّرَ به للدلالة على تحقق الوقوع. وكذلك شأن: كانوا. والشركاء: جمع شريك. وهي الأصنام وغيرها من المخلوقات تقدّس وتطاع. وأضيفت إليهم لأنهم عبدوها مع الله. والشفعاء: جمع شفيع. وهو من يتوسط ليدفع الضرر. وكانوا أي: المشركون. ومنهم: من ألوهيتهم واستحقاقهم العبادة والطاعة.

(٤) يومئذ أي: يوم إذْ تقوم الساعة. فالتنوين عوض من الجملة المحذوفة. وتوكيد: يعني أن «يومئذ»: توكيد لفظي لـ «يوم تقوم الساعة». ويتفرقون: ينفصلون ويمتاز بعضهم من بعض. وآمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. وكفروا: أنكروا الرسالة والتوحيد والبعث. وكذبوا بها: أنكروها. واللقاء: المقابلة والحضور. والآخرة: يوم القيامة. والعذاب: التعذيب في جهنم عقوبة وإهانة. ومحضرون أي: مجموعون لا يغيب أحد منهم.

الجزء الحادي والعشرون سورة الروم

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

١- ﴿**فسُبحانَ اللهِ**﴾ أي: سبِّحوا اللهَ بمعنى: صلُّوا ﴿**حِينَ تُمسُونَ**﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغربُ والعِشاء، ﴿**وحِينَ تُصبِحُونَ**﴾ ١٧ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصُّبح - ﴿**ولَهُ الحَمدُ في السَّماواتِ والأرضِ**﴾: اعتراض ومعناه يحمده أهلهما - ﴿**وعَشِيًّا**﴾: عطف على «حينَ» وفيه صلاة العصر، ﴿**وحِينَ تُظهِرُونَ**﴾ ١٨: تدخلون في الظهيرة. وفيه صلاة الظهر!

٢- ﴿**يُخرجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ**﴾، كالإنسانِ من النُّطفة والطائرِ من البيضة، ﴿**ويُخرجُ المَيْتَ**﴾: النُّطفةَ والبيضة ﴿**مِنَ الحَيِّ، ويُحيي الأرضَ**﴾ بالنبات ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾ أي: يُبسها - ﴿**وكَذٰلِكَ**﴾ الإخراج ﴿**تخرُجُونَ**﴾ ١٩ من القُبور، بالبناء للفاعل والمفعول - ﴿**ومِن آياتِهِ**﴾ - تعالى - الدالّةِ على قُدرته ﴿**أنْ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ**﴾ أي: أصلَكم آدمَ، ﴿**ثُمَّ إذا أنتُم بَشَرٌ**﴾ من دم ولحم، ﴿**تَنتَشِرُونَ**﴾ ٢٠ في الأرض.

٣- ﴿**ومِن آياتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا**﴾، فخُلقت حوّاءُ من ضِلَع آدمَ، وسائرُ الناس من نُطف الرجال والنساء، ﴿**لِتَسكُنُوا إلَيها**﴾ وتألفوها، ﴿**وجَعَلَ بَينَكُم**﴾ جميعًا ﴿**مَودّةً ورحْمةً - إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآياتٍ لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ**﴾ ٢١ في صُنع الله تعالى - ﴿**ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ، واختِلافُ ألسِنَتِكُم**﴾ أي: لُغاتِكم من عربيّة وعجميّة وغيرهما، ﴿**وألوانِكُم**﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ**﴾: دلالاتٍ على قُدرته تعالى ﴿**لِلعالَمِينَ**﴾ ٢٢ - بفتح اللام وكسرِها - أي: ذوي العُقول وأُولي العِلم.

٤- ﴿**ومِن آياتِهِ مَنامُكُم باللَّيلِ والنَّهارِ**﴾، بإرادته راحةً لكم، ﴿**وابتِغاؤُكُم**﴾ بالنهار ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾ أي: تصرّفُكم في طلب المعيشة بإرادته - ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَسمَعُونَ**﴾ ٢٣ سماعَ تدبّر واعتبار - ﴿**ومِن آياتِهِ يُرِيكُم**﴾ أي: إراءتُكم ﴿**البَرقَ، خَوفًا**﴾ للمُسافر من الصواعق، ﴿**وطَمَعًا**﴾ للمُقيم في المطرِ، ﴿**ويُنزِلُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فيُحيي بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها**﴾ أي: يُبسِها، بأن تُنبت. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ٢٤ يتدبّرون.

---

(١) صلوا أي: أن التسبيح هنا مراد به الصلاة المفروضة. والأَولى أن المراد به تنزيه الله عما يصفه البشر من النقص في ذاته أو صفاته أو أفعاله. ويكون ذلك بالقلب واللسان والعمل، فالصلاة بعضه. انظر الآية ١ من سورة الإسراء. وله أي: يحق له ويجب على الخلق. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. واعتراض: يعني أن «له... والأرض»: اعتراض بين المتعاطفين. والعشي: آخر النهار. وعلى حين أي: على الذي قبل «تمسون». وفيه: في ذلك الوقت. خ: وهي صلاة العصر.

(٢) يخرج: يُظهِر ويخلق. والحي: ما فيه حياة. والميت: ما ليس فيه حياة، أي: قدرة على النماء. والمراد: أن الموت والحياة يتعاقبان في الوجود، ويولّد الله أحدهما من الآخر مع أنهما متناقضان. ويحيي الأرض: يخلق فيها الحيوية والنشاط والقدرة على العطاء. وتخرجون: تبعثون وتنشرون أحياء بعد الموت. وبالمفعول يريد القراءة «تُخرَجُونَ». والآية: العلامة والبرهان القاطع. وخلقكم: أوجدكم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. وإذا: حرف مفاجأة، أي: فاجأت البشريةُ والانتشارُ آخرَ تلك الأطوار. وتنتشرون: تتصرفون في أغراضكم، من فكر وتدبر واختيار وإرادة وقول وعمل.

(٣) خلق: أوجد. وأنفسكم أي: جنس ذواتكم البشرية. ونفس الإنسان حقيقته بروحه وجسده. والأزواج: جمع زوج، وهو الذكر والأنثى، تولّدا من الرجل والمرأة، وكان كل منهما سكنًا للآخر. و«خلق حواء من ضلع آدم» قول غير مسلّم به. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١ من سورة النساء. وسائر الناس: بقية البشر عدا آدم وعيسى. والنطف: جمع نطفة. وهي القطرة الدقيقة. وتسكن: تميل وتطمئن. وجعل: خلق. والمودة: ميل النفس. والرحمة: العطف والشفقة. والمذكور أي: في الآيات ١٩-٢١. ويتفكر: يستعمل عقله وتفكيره لمعرفة الحق من الباطل. والسماوات والأرض أي: ومافيهما. والاختلاف: عدم الاتفاق أو التماثل. والألسنة: جمع لسان. والعجمية: المنسوبة إلى العجم. وهم الفرس. وفي الصاوي وقرة العينين وبعض المطبوعات: «وغيرها». والألوان: جمع لون. وهو يكون أيضًا للهيئة المميزة للفرد من غيره. وبكسرها يريد القراءة «لِلعالِمِينَ». وهم أولو العلم. والقراءة الأولى فسرها بذوي العقول.

(٤) المنام: النوم. والابتغاء: الطلب والسعي. والفضل: التفضل بالنعم. ويسمعون: يدركون المسموعات. ويريكم: يبصّركم عِيانًا. والبرق: اللهب الخاطف من اصطدام السحب بعضها ببعض. والخوف: الفزع. وللمسافر أي: والمقيم أيضًا. والطمع: الشهوة وطلب المزيد. والمقيم: المستقر في بلده. خ: «للمقيمين». وينزل: يسقط. وفي الفتوحات والصاوي: «يُنَزِّلُ». والسماء: السحاب. والماء: المطر والبرَد والثلج والندى. وانظر الآية ١٩. والمذكور أي: في هذه الآية. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. ويتدبرون: يعني أن العقل به يكون التدبر، وهو المؤدي إلى العلم والمعرفة.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

١ - ﴿ومِن آياتِهِ أن تَقُومَ السَّماءُ والأرضُ بِأمرِهِ﴾: بإرادته من غير عَمَد، ﴿ثُم إذا دَعاكُم دَعْوةً مِنَ الأرضِ﴾، بأن ينفخ إسرافيل في الصُّور للبعث من القُبور، ﴿إذا أنتُم تَخرُجُونَ﴾ ٢٥ منها أحياء. فخُروجكم منها بدعوة من آياته تعالى، ﴿ولَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾ ٢٦: مُطيعون، ﴿وهْوَ الَّذِي يَبدَأُ الخَلقَ﴾ للناس، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم، ﴿وهْوَ أهوَنُ علَيهِ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عِند المُخاطَبينَ من أنّ إعادة الشيء أسهلُ من ابتدائه - وإلّا فهما عِند الله، تعالى، سواء في السُّهولة - ﴿ولَهُ المَثَلُ الأعلَى في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: الصفةُ العليا، وهي أنه لا إلَه غيره، ﴿وهْوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه، ﴿الحَكِيمُ﴾ ٢٧ في خلقه.

٢- ﴿ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لَكُم﴾ - أيها المُشركون - ﴿مَثَلًا﴾ كائنًا ﴿مِن أنفُسِكُم﴾، وهو ﴿هَل لَكُم مِمّا مَلَكَتْ أَيمانُكُم﴾ أي: من مماليككم ﴿مِن شُرَكاءَ﴾ لكم، ﴿فِيما رَزَقْناكُم﴾ من الأموال وغيرها، ﴿فأنتُم﴾ وهم ﴿فِيهِ سَواءٌ، تَخافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أنفُسَكُم﴾ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي.

نصف الحزب ٤١

المعنى: ليس مماليككم شُركاءَ لكم، إلى آخره، عندكم. فكيف تجعلون بعض مماليك الله شُركاء له؟ ﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نُبيّنها مِثلَ ذلك التفصيل، ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ ٢٨: يتدبّرون. ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أهْواءَهُم، بِغَيرِ عِلمٍ. فَمَن يَهدِي مَن أضَلَّ اللهُ﴾؟ أي: لا هادي لهم، ﴿وما لَهُم من ناصِرِينَ﴾ ٢٩: مانعين من عذاب الله.

٣- ﴿فأقِمْ﴾ - يا مُحمّد - ﴿وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلًا إليه، أي: أخلِصْ دِينك لله أنت ومن تبعك. ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾: خِلقتَه ﴿الَّتِي فَطَرَ النّاسَ علَيها﴾ وهي دِينه، أي: الزموها، ﴿لا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ﴾: لدِينه أي: لا تُبدّلوه بأن تُشركوا - ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المُستقيم توحيدُ الله، ﴿ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ٣٠ توحيد الله - ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إلَيهِ﴾ تعالى، فيما أمر به ونهى عنه، حالٌ من فاعل «أقم» وما أريد به، أي: أقيموا، ﴿واتَّقُوهُ﴾: خافوه، ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ، ولا تكُونُوا مِنَ المُشرِكِينَ ٣١، مِنَ الَّذِينَ﴾: بدلٌ بإعادة الجارّ ﴿فَرَّقُوا دِينَهُم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه، ﴿وكانُوا شِيَعًا﴾: فِرقًا في ذلك، ﴿كُلُّ حِزبٍ﴾ منهم ﴿بِما لَدَيهِم﴾: عِندَهم ﴿فَرِحُونَ﴾ ٣٢: مسرورون. وفي قراءةٍ «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمروا به.

---

(١) تقوم: تدوم ماشاء الله لها ذلك. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام ومغيبات. ودعاكم: ناداكم. وتخرجون: تنطلقون. وفي لباب النقول أن الكافرين كانوا يتعجبون من إحياء الموتى منكرين مكذبين، فنزلت الآية ٢٧ بالحجة عليهم. وكل أي: كل من في السماوات والأرض. ومطيعون أي: طاعة انقياد في تنفيذ إرادته، ومنها الحياة والموت والبعث والحساب والجزاء، وإن كانوا قد يعصُونه في التوحيد والعبادة. ويبدؤه: انظر الآية ١١. والخلق: الإيجاد. وهو أي: إنشاء الخلق ثانية. وأهون: أيسر. والمَثَل: الصفة العجيبة تذكر للاتعاظ. و«لا إله غيره» أي: عبارة التوحيد. والعزيز: الغلّاب لايعجزه شيء ويذل لعزته ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة البالغة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٢) في لباب النقول: كان أهل الشرك يقولون في التلبية: «لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لاشريك لك لبّيك، إلّا شريكًا هو لك، تملكه وماملك»، فنزلت الآية لإثبات الحجة عليهم بالضلال. والمَثَل: الأمر الواضح يذكر لبيان ما يشبهه من الأحوال. والأنفس: جمع نفس. وملكتْه: كان لها حق التسلط عليه. والأيمان: جمع يمين. وهي اليد اليمنى. والشركاء: جمع شريك. وهو من يساوي غيره في حق التسلط. ورزق: يسر وأعطى. وفيه: في تملّكه. وسواء: متساوون. وتخافونهم: تخشون أن ينازعوكم في المال. والآيات: الأدلة وما يوحى من القرآن. واتبعها: انقاد إليها. والظلم: مجاوزة الحق. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تشتهيه النفس. والعلم: الدراية بالدليل اليقيني. ويهدي: يرشد إلى الحق. وأضله: صرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الفاسد. ولهم أي: لمن أضلهم الله.

(٣) أقم وجهك أي: دُم على التوجه والإقبال بالقلب واللسان والعمل. والدين: الإسلام. وخِلقته: ما خَلَق من القابلية للحق والتمكن من إدراكه. وفطر: أنشأ. و«دينه» في الموضعين تفسير آخر للفطرة، ذكره البيضاوي مع الأول، فلفق المحلي بينهما دون بيان. والتبديل للشيء: إزالته ووضع غيره في محله. وخلق الله: ما جبل الناس عليه، من سلامة الفطرة والقابلية للحق، أي: لايقدر أحد أن يغير ذلك الأصل الخَلْقي، وإن كان قد يفسده شياطين الإنس والجن بالتضليل والعدوان، فيما ينشأ الإنسان عليه بعد. والدين: العقيدة والشريعة. وكفار مكة أي: وغيرها أيضًا. ولايعلمون: لايعرفون لأنهم لايميزون الحق من الباطل. وأقيموها: أدوها بشروطها وأركانها وواجباتها. ولاتكونوا أي: لاتصيروا. والمشرك: من جعل مع الله شريكًا، في الألوهية والتقديس والطاعة. وهو يعم كفار مكة وغيرهم من أهل الكتاب والوثنية. وبدل يعني أن «من الذين»: بدل من «من المشركين» للبيان والتوكيد. وفرقوه: جعلوا دين التوحيد أديانًا مختلفة، لاختلاف أهوائهم. والشيع: جمع شيعة. والحزب: الجماعة من الناس تتبع وجهة واحدة.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

١- ﴿**وإذا مَسَّ النّاسَ**﴾، أي: كُفّارَ مكّة، ﴿**ضُرٌّ**﴾: شِدّة ﴿**دَعَوا رَبَّهُم، مُنِيبِينَ**﴾: راجعين ﴿**إلَيهِ**﴾ دُون غيره، ﴿**ثُمَّ إذا أذاقَهُم مِنهُ رَحْمةً**﴾ بالمطر ﴿**إذا فَرِيقٌ مِنهُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ**﴾ ٣٣. ﴿**لِيَكفُرُوا بِما آتَيناهُم**﴾ - أُريد به التهديد - ﴿**فتَمَتَّعُوا. فسَوفَ تَعلَمُونَ**﴾ ٣٤ عاقبة تمتّعكم. فيه التفات عن الغَيبة. ﴿**أم**﴾ - بمعنى همزة الإنكار - ﴿**أنزَلْنا علَيهِم سُلطانًا**﴾: حُجّة وكِتابًا، ﴿**فهْوَ يَتكَلَّمُ**﴾ تكلُّمَ دلالةٍ، ﴿**بِما كانُوا بِهِ يُشرِكُونَ**﴾ ٣٥ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا.

٢- ﴿**وإذا أذَقْنا النّاسَ**﴾: كُفّارَ مكّة وغيرَهم ﴿**رَحْمةً**﴾: نعمةً ﴿**فَرِحُوا بِها**﴾ فَرَحَ بطرٍ، ﴿**وإن تُصِبْهُم سَيِّئةٌ**﴾: شِدّة، ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم، إذا هُم يَقنِطُونَ**﴾ ٣٦: ييأسون من الرحمة. ومن شأن المؤمن أن يشكر عِند النعمة، ويرجو ربّه عِند الشِّدّة. ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا ﴿**أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعُه ﴿**لِمَن يَشاءُ**﴾ امتحانًا، ﴿**ويَقدِرُ**﴾: يُضيّقُه لمن يشاء ابتلاءً؟ ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ، لِقَوم يُؤمِنُونَ**﴾ ٣٧ بها.

٣- ﴿**فآتِ ذا القُربَى**﴾: القرابةِ ﴿**حَقَّهُ**﴾ من البرّ والصِّلة، ﴿**والمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ**﴾: المُسافرَ من الصدقة. وأُمّةُ النبيّ تبعٌ له في ذلك. ﴿**ذٰلِكَ خيرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجهَ اللهِ**﴾ أي: ثوابَه بما يعملون، ﴿**وأُولٰئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٣٨: الفائزون. ﴿**وما آتَيتُم مِن رِبًا**﴾ بأن يُعطِيَ شيئًا هِبةً أو هديّة، ليطلب أكثر منه - فسُمّي باسم المطلوب من الزيادة في المُعاملة - ﴿**لِيَربُوَ في أموالِ النّاسِ**﴾: المُعطَينَ أي: ليزيد، ﴿**فلا يَربُو**﴾: يزكو ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ أي: لا ثواب فيه للمُعطِينَ، ﴿**وما آتَيتُم مِن زَكاةٍ**﴾: صدقة، ﴿**تُرِيدُونَ**﴾ بها ﴿**وَجهَ اللهِ، فأُولٰئِكَ هُمُ المُضعِفُونَ**﴾ ٣٩ ثوابَهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخِطاب. ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم ثُمَّ رَزَقَكُم، ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم - هَل مِن شُرَكائكُم**﴾: ممّن أشركتم بالله ﴿**مَن يَفعَلُ مِن ذٰلِكُم مِن شَيءٍ**﴾؟ لا - ﴿**سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ٤٠ به!

٤- ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ**﴾ أي: القِفارِ بقحط المطر وقلّة النبات، ﴿**والبَحرِ**﴾ أي: البِلادِ التي على الأنهار بقلّة مائها، ﴿**بِما كَسَبَتْ أيدِي النّاسِ**﴾ من المعاصي، ﴿**لِنُذِيقَهُم**﴾ - بالنون والياء - ﴿**بَعضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ أي: عُقوبتَه، ﴿**لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ**﴾ ٤١: يتوبون. ﴿**قُلْ**﴾ لكُفّار مكّة: ﴿**سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلُ؟ كانَ أكثَرُهُم مُشرِكِينَ**﴾ ٤٢ فأُهلكوا بإشراكهم، ومساكنُهم ومنازلهم خاوية.

---

(١) مسهم: نزل بهم. وكفار مكة أي: وغيرهم أيضًا. ودعوه: نادوه استغاثة. وأذاقهم: رزقهم. ومنه: من عنده وبأمره. والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. والمطر بعض ذلك. والفريق: الجماعة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويشركون به: يجعلون له مشاركًا في الألوهية والتقديس، ينسبون إليه كشف الضر. ويكفر: ينكر التوحيد والنبوة. وما آتيناهم: ما أعطيناهم من النعم. وتمتع: انتفع بالنعم وتلذذ. وتعلمون: تدركون باليقين. وأنزلنا: أوحينا. وفي التلخيص: «برهانًا أو كتابًا». وتكلُّم دلالةٍ أي: يدل بما فيه من البيان والبراهين. وبه أي: بالله. و«لا» يعني أن الإنكار المذكور قبلُ معناه النفي، أي: لم ننزل عليهم سلطانًا يأمر بما يزعمون.

(٢) أذقنا: رزقنا. وفرح: سعد وسُرّ. وتصيبهم: تنزلُ بهم. وقدمت: اكتسبته من قبل باختيار وقصد. والأيدي: جمع يد. والرزق: ما يهيأ للخلق وييسر من المتاع والزينة. ولمن يشاء: للذي يريد بسط رزقه. وحذف ما يقابله في الجملة التالية لدلالته عليه. وامتحانًا أي: لاختباره أيشكر أم يطغى؟ وابتلاء أي: لاختباره أيصبر أم ييأس؟ وذلك أي: المذكور من التوسعة والتضييق. والآيات: العلامات القاطعة الدلالة. ويؤمن: يصدق ما يرى من الأدلة اليقينية ويستجيب لما تقتضيه. وبها أي: يستدلون بها على أن الله هو الباسط القابض، فيشكرون ويصبرون مع التوبة، ولايبطرون ولا ييأسون.

(٣) آته: أعطه. وذو القربى: صاحبها. وحقه: ما يحتاج إليه. والمسكين: من يملك ما لايكفي حاجاته. والسبيل: الطريق. وابنه: من كان في سفر واحتاج إلى ما يوصله إلى بلده. وتبع له أي: مكلفة بهذا الأمر. وخير أي: يضاعف الأجر وينمي المال. ويريد: يطلب. والفائزون أي: برضا الله. وآتيتم: أعطيتم. والربا هنا: طلب الزيادة المكروهة. وهو غير الربا المحرم قطعًا. ويعطي أي: يؤتي الطامعُ في الزيادة أحدًا من الناس. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. وعند الله: في حكمه. والزكاة هنا هي ما يدفع بدون قدر معين. والمضعف: المضاعف للشيء بالزيادات. وخلقكم: أوجدكم من العدم. ورزقكم: أعطاكم. والشركاء: جمع شريك. وسبحانه أي: تنزُّهًا له. وتعالى: تعظم وتكبر. ويشركون أي: يجعلون شريكًا من المخلوقات في العبادة والطاعة.

(٤) ظهر: حصل وانتشر بعد أن لم يكن له وجود. والفساد: الشر والأذى. والبر والبحر أي: الأرض كلها. وكسبت: ربحت واستمتعت واقترفت باختيار وقصد. والأيدي: جمع يد. ونذيقهم: ننزل بهم. وبالياء يريد القراءة «لِيُذيقَهُم»، أي: لِيُنزل الله بهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم في الآخرة. وفيما عدا الأصل والنسختين: «ليذيقهم بالياء والنون». وعمل: اقترف واكتسب. وعقوبته: عقوبة بعض الذي عملوا. ويتوبون أي: عما هم فيه من الكفر والعصيان، ويعودون إلى الإيمان والصلاح، فينكشف عنهم ما ظهر من الفساد. وسيروا: امشوا وتنقلوا للتأمل والاعتبار. وانظروا: تفكروا وتدبروا. والعاقبة: النهاية. ومن قبل: من قبلكم. والمشرك: من يجعل مع الله ندًا له في الألوهية والعبادة والطاعة. وأهلكوا أي: المشركون والكافرون.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

١- **﴿فأقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ﴾** دين الإسلام، **﴿مِن قَبلِ أن يأتيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾**، هو يوم القيامة. **﴿يَومَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ ٤٣**، فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد: يتفرّقون بعد الحِساب إلى الجنّة والنار، **﴿مَن كَفَرَ فعَلَيهِ كُفرُهُ﴾**: وبالُ كُفره وهو النار، **﴿ومَن عَمِلَ صالِحًا فلأنفُسِهِم يَمهَدُونَ﴾ ٤٤**: يُوطِّئون منازلهم في الجنّة، **﴿لِيَجزيَ﴾**: مُتعلّق بـ «يصّدّعون» **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِن فَضلِهِ﴾**: يُثيبَهم. **﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾ ٤٥** أي: يُعاقبُهم.

٢- **﴿ومِن آياتِهِ﴾** - تعالى - **﴿أن يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ﴾** بمعنى: لتُبشّركم بالمطر، **﴿ولِيُذِيقَكُم﴾** بها **﴿مِن رَحمَتِهِ﴾**: المطرِ والخِصب، **﴿ولِتَجرِيَ الفُلكُ﴾** السفن بها **﴿بِأمرِهِ﴾**: بإرادته، **﴿ولِتَبتَغُوا﴾**: تطلبوا **﴿مِن فَضلِهِ﴾** الرزقَ بالتجارة في البحر، **﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ٤٦** هذه النِّعمَ - يا أهل مكّة - فتوحدونه. **﴿ولَقَد أرسَلنا مِن قَبلِكَ رُسُلًا إلَى قَومِهِم، فجاؤُوهُم بِالبَيِّناتِ﴾**: بالحُجج الواضحات، على صِدقهم في رِسالتهم إليهم فكذّبوهم، **﴿فانتَقَمنا مِنَ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾**: أهلكنا الذين كذّبوهم. **﴿وكانَ حَقًّا عَلَينا نَصرُ المُؤمِنِينَ﴾ ٤٧** على الكافرين، بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٣- **﴿اللهُ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ، فتُثِيرُ سَحابًا﴾**: تُزعجه، **﴿فيَبسُطُهُ في السَّماءِ كَيفَ يَشاءُ﴾** من قِلّة وكثرة؟ **﴿ويَجعَلُهُ كِسَفًا﴾**، بفتح السين وسكونها: قِطَعًا مُتفرّقة، **﴿فتَرَى الوَدْقَ﴾**: المطر **﴿يَخرُجُ مِن خِلالِهِ﴾** أي: وسْطِه، **﴿فإذا أصابَ بِهِ﴾**: بالودق **﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ إذا هُم يَستَبشِرُونَ﴾ ٤٨**: يفرحون بالمطر، **﴿وإنْ﴾**: وقد **﴿كانُوا، مِن قَبلِ أن يُنَزَّلَ عَلَيهِم مِن قَبلِهِ﴾**: تأكيد، **﴿لَمُبلِسِينَ﴾ ٤٩** آيِسينَ من إنزاله. **﴿فانظُرْ إلَى أثَرِ﴾** - وفي قراءةٍ: «آثارِ» - **﴿رَحمةِ اللهِ﴾** أي: نِعمته بالمطر: **﴿كَيفَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾** أي: يُبسِها بأن تُنبِتَ؟ **﴿إنَّ ذلِكَ﴾** المُحييَ الأرضَ **﴿لَمُحيِي المَوتَى، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥٠**.

---

(١) أقم وجهك للدين القيم: انظر الآية ٣٠. ويأتي: يقع ويحصل. واليوم: الوقت والزمن. والمرد: الرد والمنع. ومن الله: من أمره وقضائه. ويومئذ: يوم إذْ يأتي ذلك اليوم. وذكر الإدغام يقتضي أن الأصل «يَتَصَدْدَعُونَ» سكنت التاء وأبدلت صادًا وأدغمت في الصاد الثانية، وأدغمت الدال الأولى أيضًا في الثانية. والضمير المتصل للناس جميعًا. وكفر: كذّب الله ورسوله. وعمل: اكتسب وتحمل بنية وعزم. والصالح: ما يرضاه الله. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان وذاته. ومتعلق: يعني حرف الجر، وهو لام التعليل. وآمن: صدّق الله ورسوله، وعرف قلبه التوحيد وما يلزمه من الطاعة. والفضل: التفضل والإحسان بالنعم. و«يثيب» تفسير «يجزي». ولايحبه أي: لايوده ويكرهه فلايريد له الخير ولا يرحمه. ويعاقبهم أي: بالعدل والحق، ولايغفر لهم شيئًا، لإصرارهم على الكفر.

(٢) الآية: العلامة والدلالة. يعني الدلالات على بديع قدرته ورحمته. ويرسل: يطلق ويحرك. والرياح: جمع ريح، أنواع الهواء المتحرك من الجهات المختلفة، وفيها منافع المطر وغيره أيضًا. والمبشرة: التي تبلّغ ما فيه الخير والسعادة. ويذيقكم: ييسر لكم ما تنالونه. والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. وتجري: تسير مسرعة. والفلك: اسم جمع واحدته من لفظه. وبها: بسبب الرياح. وتشكرونها: تستحضرونها وتثنون على خالقها، بالقلوب والألسنة والعمل. والخطاب هو لأهل مكة وغيرهم من المكلفين. وتوحدونه أي: وتمتثلون أمره ونهيه. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «فتوحدوه». وفي الآية ٤٧ تسلية للرسول ﷺ ولأصحابه، وتأنيس بالعون والنصر، ووعيد للكافرين بالعذاب، في الدنيا والآخرة. وأرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول. وهو من يكلفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والقوم: الجماعة رجالًا ونساء. وجاؤوهم بها: أتوهم بها وأحضروها لهم عِيانًا. وأجرم: اقترف الجرائم والمعاصي باختيار وعزم. والحق: الثابت. والنصر: العون والتأييد. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله قلبًا وعملًا.

(٣) الله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويرسل: انظر الآية ٤٦. والسحاب: واحدته سحابة. وهو الغيم فيه الماء. ويبسطه: ينشره متواصلًا. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو. ويشاء: يريد أن يبسطه. ويجعل: يصيّر. وبسكونها يريد القراءة «كِسْفًا». وهي مفرد جمعه كِسَف. وترى: تبصر بعينك. والخطاب لكل سامع أو قارئ. ويخرج: يظهر وينفذ. وأصابه به: أنزله في أرضه. ويشاء: يريد إصابته بالمطر. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك تعبدًا وقهرًا. وينزل: يسقط. وتأكيد: يعني أن «من قبله»: توكيد لفظي لـ «من قبل أن ينزل عليهم»، للدلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعُد، فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم، فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك. وآيسين: يائسين من ذلك، لشدة القحط وفقد أدلة المطر وأسبابه. وانظر إليه: تأمله وتفكر فيه باستبصار واعتبار، لِما فيه من دلالات على التوحيد وعجيب القدرة. وأثر الشيء: حصول ما يترتب عليه ويُنتج منه. والآثار: جمع أثر. والرحمة: العطف بالإحسان. ويحييها: يخلق فيها الحياة. والأرض: القسم اليابس من موطن الحياة الدنيا. و«المحيي الأرضَ» تفسير لاسم الإشارة «ذلك»، وسقط التفسير من ط وبعض المطبوعات. والموتى: جمع ميت. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والشيء: ما هو موجود أو ممكن وجوده. والقدير: البالغ القدرة بذاته.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
(٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣) ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ (٥٤)
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

١- ﴿**ولئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**أرسَلْنا ريحًا**﴾ مُضرّةً على نبات، ﴿**فرَأَوهُ مُصفَرًّا، لظَلُّوا**﴾: صاروا - جوابُ القسم - ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ اصفراره ﴿**يَكفُرُونَ**﴾ ٥١: يجحدون النعمة بالمطر. ﴿**فإنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا**﴾ - بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء - ﴿**وَلَّوا مُدبِرينَ**﴾ ٥٢. **وما أنتَ بِهادِي العُميِ عَن ضَلالتِهِم. إنْ**﴾: ما ﴿**تُسمِعُ**﴾ سماعَ إفهام وقبول ﴿**إلّا مَن يُؤمِنُ بآياتِنا**﴾: القرآن، ﴿**فهُم مُسلِمُونَ**﴾ ٥٣: مُخلصون بتوحيد الله، تعالى.

٢- ﴿**اللهُ الَّذي خلَقَكُم مِن ضُعفٍ**﴾: ماء مَهين، ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ ضُعفٍ**﴾ آخَرَ - وهو ضعفُ الطفوليّة - ﴿**قُوَّةً**﴾ أي: قوّة الشباب، ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوّةٍ ضُعفًا وشَيبةً**﴾: ضعفَ الكِبَرِ وشيبَ الهرم - والضعف في الثلاثة بضمّ أوله وفتحه - ﴿**يَخلُقُ ما يَشاءُ**﴾ من الضعف والقُوة، والشباب والشيبة، ﴿**وهُوَ العَلِيمُ**﴾ بتدبير خلقه، ﴿**القَديرُ**﴾ ٥٤ على ما يشاء.

٣- ﴿**ويومَ تَقُومُ السّاعةُ، يُقسِمُ**﴾: يحلف ﴿**المُجرِمُونَ**﴾: الكافرون، ﴿**ما لَبِثُوا**﴾ في القبور ﴿**غَيرَ ساعةٍ**﴾ - قال تعالى: ﴿**كَذلِكَ كانُوا يُؤفَكُونَ**﴾ ٥٥: يُصرَفون عن الحقّ البعث، كما صُرفوا عن الحقّ الصدق في مُدّة اللبث - ﴿**وقالَ الَّذينَ أُوتُوا العِلمَ والإيمانَ**﴾، من الملائكة وغيرهم: ﴿**لَقَد لَبِثتُم، في كِتابِ اللهِ**﴾: فيما كتبه في سابق عِلمه، ﴿**إلَى يَومِ البَعثِ. فهٰذا يَومُ البَعثِ**﴾ الذي أنكرتموه، ﴿**ولٰكِنَّكُم كُنتُم لا تَعلَمُونَ**﴾ ٥٦ وقوعه. ﴿**فيَومَئِذٍ لا يَنفَعُ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**الَّذينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُم**﴾ في إنكارهم له، ﴿**ولا هُم يُستَعتَبُونَ**﴾ ٥٧: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوعُ إلى ما يُرضي الله.

٤- ﴿**ولَقَد ضَرَبْنا**﴾: جعلنا ﴿**لِلنّاسِ في هٰذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ تنبيهًا لهم، ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**جِئتَهُم**﴾ يا مُحمّد ﴿**بآيةٍ**﴾ مِثل العصا واليد لمُوسَى ﴿**لَيَقُولَنَّ**﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، ﴿**الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ منهم: ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أنتُم**﴾ أي: مُحمّد وأصحابه ﴿**إلّا مُبطِلُونَ**﴾ ٥٨: أصحاب الأباطيل. ﴿**كَذلِكَ يَطبَعُ اللهُ علَى قُلُوبِ الَّذينَ لا يَعلَمُونَ**﴾ ٥٩ التوحيدَ، كما طبع على قُلوب هؤلاء. ﴿**فاصبِرْ - إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بنصرك عليهم ﴿**حَقٌّ - ولا يَستَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يُوقِنُونَ**﴾ ٦٠ بالبعث، أي: لا يحملنَّك على الخِفّة والطيش بترك الصبر، أي: لا تتركنّه.

---

(١) قول المحلي «لام قسم» صوابه: لام موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: واللهِ - لئن أرسلنا ريحًا ظلوا يكفرون - لظلوا يكفرون. ورأوه: أبصروا النبات. والمصفر: الذي تغير لونه ليبسه. وتسمعه: تبلغه المسموعات. والموتى: جمع ميت. وهو الذي مات قلبه فلا يدرك الحق. والصم: جمع أصم. والدعاء: النداء. وبالتسهيل يريد القراءة «الدُّعاءَ إذا». وولوا: أعرضوا. والمدبر: الذي يوجه ظهره استصغارًا. والهادي: الصارف إلى الحق بالفعل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بهادِ العُمي» بحذف الياء للتخفيف، اتباعًا لرسم المصاحف. والعمي: جمع أعمى. والضلالة: الخروج على الصواب والرشاد. ويؤمن بها: يصدقها.

(٢) خلقكم: أنشأكم وأوجدكم. والضعف الأول أي: شيء ضعيف هزيل لا قوة فيه. والثاني والثالث بمعنى العجز والقصور. وجعل: خلق. والآخر: المغاير. والقوة: القدرة المؤثرة. والشيبة: بياض شعر الإنسان، غالبًا ما يبدأ مع سن الأربعينات، ويزداد إلى الهرم. وبفتحه يريد القراءة: «مِن ضَعفٍ»، و«مِن بَعدِ ضَعفٍ»، و«ضَعفًا وشَيبةً». ويشاء أي: يريده ويقضيه. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وما يشاء أي: ومتى يشاؤه. وانظر آخر الآية ٥٠.

(٣) اليوم: الوقت والزمن. وتقوم: تحصل وتقع. والساعة: القيامة. والمجرم: من يقترف الجرائم باختيار وعزم. ولبث: بقي. وساعة: قطعة يسيرة من الزمن. ويصرفون أي: أنهم كانوا يمتنعون في الدنيا من الإقرار بالبعث، لجهلهم وطيشهم وإصرارهم على الكفر، كما مُنعوا من صدقهم في تحديد مدة الموت، للذهول والحيرة. وأوتوا: أُعطوا. والعلم: الدراية اليقينية. والإيمان: إقرار القلب بالتوحيد وما يلزم عنه. وفي كتابه: في اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب، بحسب ما علمه وقدّره. والبعث: الخروج بعد الموت من القبور، حيثما كان فتات الميت. ولا تعلمون وقوعه: لاتعترفون ولاتقرون بأنه سيكون. ويومئذ: يوم إذْ تقوم الساعة. وينفع: يفيد بتقديم خير ودفع شر. وبالتاء يريد القراءة: «لا تَنفَعُ». وظلم: تجاوز حد الحق. والمعذرة: الاعتذار وطلب العفو. ويُرضي الله أي: عنهم ليقبل عذرهم ويغفر ما قدموا.

(٤) المَثَل: الأمر العجيب يذكر للعظة والإرشاد. و«لام قسم»: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥١. والتقدير: واللهِ - لئن جئتهم بآية يقول الذين كفروا - ليقولُنّ. وجئتهم بها: أحضرتها لهم. والآية: المعجزة للدلالة على صدق الرسالة. و«حذف... الساكنين» خطأ ظاهر. انظر «المفصل». والأباطيل: جمع أبطولة. وهي ما لا يثبت عند الامتحان. ويطبع: يختم ويقدّر في الأزل بعلمه وإرادته، إمدادًا للكافرين بما يناسب اختيارهم واستعدادهم الفاسدين. والقلوب: جمع قلب. ولايعلم: لايدري ولايدرك. واصبر: استمر على التجلد. والخطاب للنبي ﷺ وكل مسلم. والوعد: ما تعهد به وبشّر. والحق: الثابت لا شك فيه. ويوقن به: يصدقه ويطمئن إليه. ولا تتركنه: لاتتركنّ الصبر الذي أنت تلازمه. وفي ع وبعض المطبوعات: لا تتركه.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لُقمان

١- مكية أو إلّا «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتين فمدنيتان، وهي أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿الٓمٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿تلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القرآن ﴿الحَكِيمِ﴾ ٢: ذي الحكمة - والإضافة بمعنى: مِن - هو ﴿هُدًى ورَحْمةٌ﴾، بالرفع، ﴿لِلمُحسِنِينَ﴾ ٣ - وفي قراءة العامّة بالنصب حالًا من الآيات، العاملُ فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة - ﴿الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: بيان للمُحسنين، ﴿ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ﴾ ٤. «هم» الثاني: توكيد. ﴿أُولئِكَ على هُدًى مِن رَبِّهِم، وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ٥: الفائزون.

٣- ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ﴾ أي: ما يُلهي منه عمّا يَعني، ﴿لِيَضِلَّ﴾ - بفتح الياء وضمّها - ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيرِ عِلمٍ، ويَتَّخِذَها﴾، بالنصب عطفًا على «يضلّ»، وبالرفع عطفًا على «يشتري»، ﴿هُزُوًا﴾: مهزوءًا بها - ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾ ٦: ذو إهانة - ﴿وإذا تُتلَى عَلَيهِ آياتُنا﴾ أي: القُرآنُ ﴿وَلّى مُستَكبِرًا﴾: مُتكبّرًا، ﴿كَأَنْ لَم يَسمَعْها، كَأَنَّ في أُذُنَيهِ وَقْرًا﴾: صمَمًا. وجُملتا التشبيه: حالان من ضمير «ولّى»، أو الثانيةُ بيان للأُولى. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أعلمه ﴿بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ ٧: مُؤلم. وذِكر البِشارة تهكّم به. وهو النضر بن الحارث، كان يأتي الحِيرةَ يَتجر فيشتري كُتب أخبار الأعاجم، ويُحدّث بها أهل مكّة، ويقول: إنّ مُحمّدًا يُحدّثكم أحاديث عادٍ وثمودَ، وأنا أُحدّثكم أحاديث فارسَ والروم. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القُرآن.

٤- ﴿إنَّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتُ النَّعِيمِ ٨، خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدّرة أي: مُقدّرًا خلودُهم فيها إذا دخلوها، ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ أي: وعَدَهم اللهُ ذلك وحقَّه حقًّا، ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء، فيمنعَه عن إنجاز وعده ووعيده، ﴿الحَكِيمُ﴾ ٩ الذي لا يضع شيئًا إلّا في محلّه، ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ، تَرَونَها﴾ أي العمدَ: جمع عِماد وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلًا، ﴿وأَلقَى في الأَرضِ رَواسِيَ﴾: جبالًا مُرتفعة لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرّك ﴿بِكُم، وبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دابّةٍ، وأَنزَلْنا﴾ - فيه التفات عن الغَيبة - ﴿مِنَ السَّماءِ ماءً، فأَنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ كَرِيمٍ﴾ ١٠: صِنف حسن.

٥- ﴿هذا خَلقُ اللهِ﴾ أي: مخلوقه. ﴿فَأَرُونِي﴾: أخبروني - يا أهل مكّة - ﴿ماذا خَلَقَ الّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره، أي: آلهتُكم حتّى أشركتموها به،

(١) ما ذكر هنا يعني قولين: أن السورة كلها مكية، وأنها مكية عدا الآيتين ٢٧ و٢٨. وروي أن قريشًا سألتْ عن قصة لقمان مع ابنه، فنزلت السورة. البحر ٧:١٨٣. (٢) الآيات: النصوص الإلٰهية. وبمعنى من: يعني أن التقدير: آيات من الكتاب. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالفضل. والمحسن: الذي يعبد الله بإخلاص. والعامّة: جمهور القراء المشهورين. وبالنصب يريد القراءة «ورَحْمةً». ويقيمونها: يؤدونها كاملة. وبيان: يعني أن «الذين»: عطف بيان. فالاسم الموصول والصلة وما عطف عليها توضيح لمعنى الإحسان وتوكيد. ويؤتونها: يؤدونها إلى مستحقيها. ويوقن بها: يصدق بها ويطمئن إليها. وتوكيد: يعني أنه توكيد لفظي للذي قبله. وذكر «هم» الأول يفيد التوكيد أيضًا. والهدى: الهداية والتوفيق في الصلاح. ومن ربهم: من عنده وبأمره. (٣) انظر آخر تفسير الآية ٧. فالآيتان نزلتا في النضر هذا، وهو أحد صناديد قريش ومضلليها. ويشتريه: يختاره بدلًا من القرآن الكريم. والحديث: الكلام. ويعني أي: يخص الإنسان ليدرك الإيمان والصلاح. وفي الأصل وع: «يُغني». ويَضل: يثبت ويستمر على الضلال. وبضمها يريد القراءة «لِيُضِلَّ»، أي: ليصد الناس. والعلم: الدراية اليقينية. وبالرفع يريد القراءة «ويَتَّخِذُها»، أي: يجعل سبيل الله. والهزء: السخرية والتهكم. وفي المنحة: «هزوًا». وتتلى: تقرأ. وولى: أعرض. و«التشبيه» فيه نظر، لأن الجملتين هنا للشك والظن، وليس فيهما مشبه ولا مشبه به. وبيان أي: بدل فيه معنى البيان والتوكيد. وبشره: أعلمه مهدِّدًا. (٤) آمن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضي الله. والجنة: البستان العظيم. والنعيم: الخير الكثير. والخالد: المقيم أبدًا. والوعد: التعهد بشارة. والحق: الوقوع الثابت. وخلقها: أنشأها. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وترونها: تبصرونها عِيانًا. والعماد: ما يعمد به. وهو صادق أي: نفي العمد المرئي أمر حقيقي، لأنه ليس هناك عمد مادي يرى. وإنما هو القدرة الإلٰهية. وألقى: أثبت. والرواسي: جمع الراسي. وهو الراسخ. وبث: فرق. والدابة: ما يمشي أو يتحرك. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. وأنبت: أخرج. (٥) الإشارة في أول الآية إلى ما تعدد في الآية قبلها. وخلقَ: أوجد من العدم. و«آلهتكم» تفسير لـ «الذين». وإنكار أي: للتوبيخ والإلزام بالحجة. وبصلته أي: مع جملة: خلق الذين. والخبر هو الاسم الموصول وحده. ومعلق عن العمل أي: لايعمل لفظًا فيما بعده، وعمله في محل الجملة الاستفهامية. والصواب أن المعلّق هو الفعل وحده. والمفعولين أي: الثاني والثالث، لأن الياء في محل نصب مفعول به أول. وللانتقال أي: للإضراب الانتقالي. والظالم: من يتجاوز الحق. والضلال: البعد عن الحق.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)

تعالى؟ وما: استفهام إنكار مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصلته خبره، وأروني: مُعلَّق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولَين. ﴿**بَلِ**﴾: للانتقال ﴿**الظَّالِمُونَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ١١: بيّنٍ بإشراكهم، وأنتم منهم.

١- ﴿**ولَقد آتينا لُقمانَ الحِكْمَةَ**﴾، منها العِلم والدِّيانة والإصابة في القول - وحِكَمُه كثيرة مأثورة، كان يُفتي قبل بَعث داودَ، وأدرك زمنه وأخذ عنه العِلم وترك الفُتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيتُ؟ وقيل له: أيُّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يُبالي أن رآه الناس مُسيئًا - ﴿**أنِ**﴾ أي: وقلنا له: أنِ ﴿**اشكُرْ لِلهِ**﴾ على ما أعطاك من الحِكمة. ﴿**ومَن يَشكُرْ فإنَّما يَشكُرُ لِنفسِهِ**﴾، لأنّ ثواب شُكره له، ﴿**ومَن كَفَرَ**﴾ النِّعمة ﴿**فإنَّ اللهَ غَنيٌّ**﴾ عن خلقه، ﴿**حَمِيدٌ**﴾ ١٢ محمود في صُنعه. ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ لُقمانُ لِابنِهِ، وهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيَّ**﴾ - تصغيرُ إشفاق - ﴿**لا تُشرِكْ بِاللهِ. إنَّ الشِّركَ**﴾ بالله ﴿**لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٣. فرجَعَ إليه وأسلم.

٢- ﴿**ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ**﴾: أمرناه أن يَبرّهما - ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**﴾ فوَهَنَتْ ﴿**وَهْنًا على وَهْنٍ**﴾ أي: ضعُفتْ للحمل، وضعُفت للطلق، وضعُفت للولادة، ﴿**وفِصالُهُ**﴾ أي: فِطامه ﴿**في عامَينِ**﴾ - وقلنا له: ﴿**أنِ اشكُرْ لي ولِوالِدَيكَ - إلَيَّ المَصِيرُ**﴾ ١٤ أي: المَرجع - ﴿**وإن جاهَدَاكَ على أن تُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾، مُوافقةٌ للواقع، ﴿**فلا تُطِعْهُما، وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعرُوفًا**﴾ أي: بالمعروف: البِرّ والصِّلة، ﴿**واتَّبِعْ سَبِيلَ**﴾: طريق ﴿**مَن أنابَ**﴾: رجع ﴿**إلَيَّ**﴾ بالطاعة. ﴿**ثُمَّ إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ١٥ فأُجازيكم عليه. وجملة الوصيّة وما بعدها اعتراض.

٣- ﴿**يا بُنَيَّ، إنَّها**﴾ أي: الخَصلةَ السيّئة ﴿**إن تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ، فتَكُنْ في صَخرةٍ أو في السَّماواتِ أو في الأرضِ**﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك، ﴿**يأتِ بِها اللهُ**﴾ فيحاسبْ عليها. ﴿**إنَّ اللهَ لَطِيفٌ**﴾ باستخراجها ﴿**خَبِيرٌ**﴾ ١٦ بمكانها. ﴿**يا بُنَيَّ، أقِمِ الصَّلاةَ، وأْمُرْ بِالمَعرُوفِ، وانْهَ عَنِ المُنكَرِ، واصبِرْ على ما أصابَكَ**﴾ بسبب الأمر والنهي - ﴿**إنَّ ذٰلِكَ**﴾ المذكورَ ﴿**مِن عَزمِ الأُمُورِ**﴾ ١٧ أي: معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها - ﴿**ولا تُصَعِّرْ**﴾، وفي قراءة: «تُصاعِرْ»، ﴿**خَدَّكَ لِلنّاسِ**﴾: لا تُمِل وجهك عنهم تكبّرًا، ﴿**ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا**﴾ أي: خُيلاءَ - ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ**﴾: متبختر في مشيه، ﴿**فَخُورٍ**﴾ ١٨ على الناس - ﴿**واقصِدْ في مَشيِكَ**﴾: توسّطْ فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار، ﴿**واغضُضْ**﴾: اخفِض ﴿**مِن صَوتِكَ. إنَّ أنكَرَ الأصواتِ**﴾: أقبحَها ﴿**لَصَوتُ الحَمِيرِ**﴾ ١٩، أوّلُه زفير وآخِرُه شهيق.

---

(١) آتينا: أعطينا. ولقمان: حكيم لم يكن نبيًا، واختلف القصاصون في أوصافه بأوهام وأساطير، لا سند لها. والحكمة: إتقان المعرفة والقول والعمل. وأكتفي: أستريح بترك الفتيا لداود. واشكر له أي: استحضر نعمه وأثن عليه بالقلب واللسان والعمل. وكفرها: لم يشكر عليها. والغني: المستغني لايحتاج إلى شيء. ومحمود: حقيق بأن يُحمد. ويعظه: يوجهه إلى الصواب. وتصغير: يعني أن «بني» مصغَّر «ابن». والإشفاق: التودد والتحبب. ولاتشرك به: لاتجعل له مشاركًا في الألوهية. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والعظيم: الذي لامثيل له. ورجع أي: إلى دين أبيه.

(٢) روي أنه لما أسلم سعد بن أبي وقاص أقسمت أمه الكافرة أن تترك الطعام والشراب حتى يرجع إلى الكفر، فنزلت الآيتان. انظر الآية ٨ من سورة العنكبوت. ووصيناه: أوجبنا عليه. والوالدان: الأب والأم. وحملته أي: في رحمها. والبر: حسن الطاعة وطلب الرضا. والوهن: الضعف. وعامين: مدة الرضاعة. والمرجع: الرجوع يوم القيامة. وجاهدك: طلب إرغامك. والعلم: الدراية اليقينية. وموافقة للواقع أي: لامفهوم لهذا القيد، إذ الواقع محال أن يكون فيه شريك معلوم أو غير معلوم. فالنهي هو عن الإشراك مطلقًا. ولاتطعه: لاتوافقه. وصاحبه: عاشره. وفي الدنيا أي: في أمور الحياة عامة. واتبعه: سر فيه. وإليّ: إلى طاعتي. وأنبّئ: أُخبر. وتعملون: تكتسبونه بالقلب واللسان والجوارح. واعتراض أي: أن الآيتين ١٤ و١٥ اعتراض بين كلام لقمان.

(٣) الخصلة: الفَعلة. يعني السيئة أو الحسنة. ومثقال الحبة: مقدار ثقلها. والخردل: ثمر نباتٍ يضرب به المثل في الدقة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم. ويأتي بها: يحضرها يوم القيامة. واللطيف: الذي يتوصل علمه إلى كل خفي. والخبير: العليم ببواطن الأشياء ودقائقها. وأقم الصلاة: أدِّها بشروطها وواجباتهاوآدابها. وؤمر بالمعروف: حُثَّ الناس على ما يرضي الله. وانهَ عن المنكر: ازجرالناس وامنعهم من عمل ما حرمه الشرع. واصبر: تجلد. وأصابك: نزل بك. والمذكور: ما كان من الأمر والنهي في الآيتين ١٣ و١٧. والعزم على الأمور: الضبط والمراعاة لصلاحها. ولايحبه: يبغضه فلايرحمه. والفخور: المتبجح بما لديه من النعم، فلايشكر عليه. والأصوات: جمع صوت. والحمير: جمع حمار. وهو الحيوان الأهلي المعروف. والزفير: إخراج الهواء من الرئة بصوت قوي. والشهيق: عكسه بصوت ضعيف.

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

١- ﴿**ألم تَروا**﴾ تعلموا - يا مُخاطَبين - ﴿**أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ**﴾، من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها، ﴿**وما في الأرضِ**﴾ من الثمار والأنهار والدوابّ، ﴿**وأسبَغَ**﴾: أوسع وأتمّ ﴿**عليكُم نِعَمَهُ ظاهِرةً**﴾ - وهي حُسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك - ﴿**وباطِنَةً**﴾ هي المعرفة وغيرها؟ ﴿**ومِنَ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**مَن يُجادِلُ في اللهِ، بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدًى**﴾ من رسول، ﴿**ولا كِتابٍ مُنيرٍ**﴾ ٢٠ أنزله الله، بل بالتقليد، ﴿**وإذا قِيلَ لَهُمُ: اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ، قالُوا: بَل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا علَيهِ آباءَنا**﴾. قال تعالى: ﴿**أ**﴾ يتّبعونه ﴿**ولَو كانَ الشَّيطانُ يَدعُوهُم إلَى عَذابِ السَّعِيرِ**﴾ ٢١ أي: مُوجباته؟ لا.

٢- ﴿**ومَن يُسلِمْ وَجهَهُ إلَى اللهِ**﴾ أي: يُقبِلْ على طاعته، ﴿**وهُوَ مُحسِنٌ**﴾: مُوحّد، ﴿**فقَدِ استَمسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثقَى**﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يُخاف انقطاعه - ﴿**وإلَى اللهِ عاقِبةُ الأُمُورِ**﴾ ٢٢: مَرجعها - ﴿**ومَن كَفَرَ فلا يَحزُنْكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**كُفرُهُ**﴾: لا تهتمَّ بكُفره. ﴿**إلَينا مَرجِعُهُم، فنُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٢٣ أي: بما فيها كغيره، فمُجازٍ عليه، ﴿**نُمَتِّعُهُم**﴾ في الدنيا ﴿**قَلِيلًا**﴾ أيام حياتهم، ﴿**ثُمَّ نَضطَرُّهُم**﴾ في الآخرةِ ﴿**إلَى عَذابٍ غَلِيظٍ**﴾ ٢٤. وهو عذاب النار، لا يجدون عنه محيصًا.

٣- ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ**﴾. حُذف منه نونُ الرفع لتوالي الأمثال، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين. ﴿**قُلِ: الحَمدُ لِلهِ**﴾ على ظُهور الحُجّة عليهم بالتوحيد. ﴿**بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ٢٥ وجوبه عليهم. ﴿**لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يستحقّ العِبادة فيهما غيره. ﴿**إنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن خلقه، ﴿**الحَمِيدُ**﴾ ٢٦ المحمود في صُنعه.

٤- ﴿**ولَو أنَّ ما في الأرضِ مِن شَجَرةٍ أقلامٌ، والبَحرَ**﴾: عطفٌ على اسم «أنّ»، ﴿**يَمُدُّهُ مِن بَعدِهِ سَبعةُ أبحُرٍ**﴾ مِدادًا، ﴿**ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ**﴾ المُعبَّرُ بها عن معلوماته، بكَتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، و بأكثرَ من ذلك، لأنّ معلوماته - تعالى - غير مُتناهية. ﴿**إنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٢٧ لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته. ﴿**ما خَلقُكُم ولا بَعثُكُم إلّا كَنَفْسٍ واحِدةٍ**﴾ خلقًا وبعثًا، لأنه بكلمة «كُنْ فيَكُونُ». ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾: يسمع كُلّ مسموع، ﴿**بَصِيرٌ**﴾ ٢٨ يُبصر كُلّ مُبصَر، لا يَشغله شيء عن شيء.

---

(١) سخره لكم: جعله منقادًا لمنافعكم. والنعم: جمع نعمة. وهي الحال الحسنة. والظاهرة: تدرك بالحواس وتشاهد. والباطنة: خفية تدرك بالعقول، فمنها ما يعلم ومنها ما لايعلم. ويجادل: يخاصم. والعلم: ما كان بدليل يقيني. والهدى: الرشاد بقول رسول أو نبي. والكتاب: ما يقرأ. والمنير: المضيء بما فيه من العلم. واتبعوه: اعملوا به. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. ووجدنا: رأينا. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والشيطان: من يغري بالباطل من الإنس والجن. ويدعوهم: يحث الآباء. والسعير: نار جهنم الموقدة. و«لا» أي: لاينبغي لهم هذا الاتباع ولايليق بهم ولايجوز.

(٢) يسلم وجهه: يتوجه بنفسه وعمله. واستمسك: ارتبط. والعروة: ما يكون في الحبل من مستمسك. والأوثق: الأشد قوة. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. والأمور: جمع أمر. وهي شؤون الخلق. وكفر: كذّب الله ورسوله. ويحزنك: يسبب لك الألم. والمرجع: العودة يوم القيامة للحساب. ونبنئ: نخبر. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والصدور: جمع صدر. والمراد هو القلب. وهو يغذي الدماغَ بما يحتاج إليه، والجسمَ كله بماء الحياة صافيًا. ونمتعهم: نمدهم بالنعم، إيهامًا أنهم مكرمون. ونضطرهم: نلزمهم. والغليظ: الشديد الثقيل. ومحيصًا أي: مهربًا.

(٣) لام قسم: انظر «المفصل». وسألتهم: طلبت منهم الجواب. وخلقها: أوجدها. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومنه أي: من «ليقولن». فاللام واقعة في جواب القسم المحذوف قبل «لئن». والتقدير: واللهِ- لئن سألتهم يقولوا - ليقولنّ. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. ولايعلم: لايدرك. وانظر آخر الآية ١٢.

(٤) احتج يهود على النبي ﷺ، بأن لديهم التوراة وفيها علم كثير، فكيف يقول «وما أوتيتم من العلم إلّا قليلًا»؟ فقال: «هيَ في عِلمِ اللهِ قَلِيلٌ». فأنكروا أن يوصف علمهم بذلك، فنزلت الآيتان ٢٧ و٢٨. الواحدي ص ٣٦٣-٣٦٤. والشجرة: ما يكون له جذع وساق من النبات. والأقلامَ: جمع قلم. وهو آلة الكتابة. والبحر: ما يجتمع فيه الماء الكثير، كالنهر والبحيرة والمحيط. ط: «والبَحرُ». ويمده: ينصبّ فيه. والأبحر: جمع بحر. والمراد بالسبعة المبالغة في الكثرة. والمداد: مايكتب به. ونفدت: انتهت. وكلماته: كلامه القديم. والعزيز: الغالب قهرًا لكل ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والخلق: الإيجاد من العدم. والبعث: الإحياء بعد الموت. وكنفس أي: كخلق نفس أو بعثها. فقد روي أن بعض الكافرين قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطوارًا، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا. ثم تقول: إنا نُبعث خلقًا جديدًا، جميعًا في ساعة واحدة. فنزلت الآية. تفسير القرطبي ١٤: ٧٨. والكلمة أي: «كن».

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ (ترتيبها ٣٢ - آياتها ٣٠)

١- ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ - يا مُخاطَبًا - ﴿أَنَّ اللهَ يُولِجُ﴾: يُدخِل ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ﴾: يُدخله ﴿في اللَّيلِ﴾، فيزيد كُلٌّ منهما بما نقص من الآخَر، ﴿وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجري﴾ في فلكه ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة، ﴿وأنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ خَبيرٌ ٢٩؟ ذٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابت، ﴿وأنَّ ما يَدعُونَ﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِ الباطِلُ﴾: الزائل، ﴿وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر، ﴿الكَبيرُ﴾ ٣٠: العظيم.

٢- ﴿أَلَم تَرَ أنَّ الفُلكَ﴾ السُّفن ﴿تَجري في البَحرِ بِنِعمةِ اللهِ، لِيُرِيَكُم﴾ - يا مُخاطَبِين - بذلك ﴿مِن آياتِهِ؟ إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾: عِبَرًا ﴿لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ عن معاصي الله، ﴿شَكُورٍ﴾ ٣١ لنعمته. ﴿وإذا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكُفّارَ ﴿مَوجٌ كالظُّلَلِ﴾: كالجِبال التي تُظِلّ مَن تحتها ﴿دَعَوُا اللهَ، مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ بأن يُنجيهم، أي: لا يدعون معه غيره، ﴿فَلَمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ فَمِنهُم مُقتَصِدٌ﴾: مُتوسّط بين الكُفر والإيمان، ومنهم باقٍ على كفره. ﴿وما يَجحَدُ بِآياتِنا﴾، ومنها الإنجاءُ من الموج، ﴿إلّا كُلُّ خَتّارٍ﴾: غَدّار ﴿كَفُورٍ﴾ ٣٢ لِنعم الله، تعالى.

٣- ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُم واخشَوا يَومًا، لا يَجزِي﴾: يُغني ﴿والِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه شيئًا، ﴿ولا مَولُودٌ هُوَ جازٍ عَن والِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيئًا! إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ عن الإسلام، ﴿ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿الغَرُورُ﴾ ٣٣: الشيطانُ.

٤- ﴿إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تقومُ، ﴿ويُنزِلُ﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿الغَيثَ﴾ بوقت يعلمه، ﴿ويَعلَمُ ما في الأرحامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى؟ ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غيرُ الله، تعالى - ﴿وما تَدري نَفسٌ: ماذا تَكسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ؟ ويعلمه الله - تعالى - ﴿وما تَدري نَفسٌ: بِأيِّ أرضٍ تَمُوتُ﴾؟ ويعلمه الله، تعالى - ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بكُلِّ شيء، ﴿خَبِيرٌ﴾ ٣٤ بباطنه كظاهره. روى البخاريّ عن ابن عُمرَ حديثَ: «مَفاتِيحُ الغَيبِ خَمسةٌ: إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ» إلى آخِر السُّورة.

سورة السَّجدة

مكية، ثلاثون آية.

---

(١) ألم تعلم أي: قد علمت حقًا. وفي ث وع وقرة العينين والمطبوعات: «يا مخاطب». والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وسخرها: ذللها لنفع الخلق، وجعلها في نظام دقيق متقن. ويجري: يتحرك ويدور. والأجل: مدة حياة الكائن. والمسمى: المحدد في علم الله. وتعملون: تكتسبونه بالقلب واللسان والجوارح. والخبير: المحيط علمًا. و«المذكور»: في الآيات ٢٠-٢٩ من سعة العلم، وشمول القدرة عجائب الصنع، واختصاص الباري بها. والثابت أي: الثابتة ألوهيته وحده. وبالتاء يريد القراءة «تَدعُونَ» بالخطاب للمشركين. ومن دونه أي: غيره. والعلي: المتكبر المتعظم.

(٢) الفلك: واحدته بلفظه. وتجري: تسير مسرعة. والبحر: ما اجتمع فيه الماء الكثير، كالنهر والبحيرة والمحيط... والنعمة: الإحسان بتهيئة أسباب الجري. ويريكم: يعرّفكم. وآياته: دلائله على التفرد بالألوهية. والصبار: الكثير الاحتمال. والشكور: الكثير الاعتراف بالنعم، يستحضرها ويثني على ميسّرها بالقلب واللسان والعمل. وعلا الكفار: أحاط بهم وهم في السفن بالبحر. والموج: مايعلو من سطح الماء ويتتابع، واحدته موجة. والظلل: جمع ظُلّة. ودعوه: نادوه مستغيثين. والمخلص: من يتجرد من كل شرك. ونجاهم: أنقذهم. والمقتصد: المقيم على التوحيد والإخلاص. ويجحد بها: ينكرها. وختار: كثير الغدر. ط: «خَتّالٍ». والكفور: الكثير الستر والإنكار.

(٣) الناس: بنو آدم. وأي: حرف نداء. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. واخشوه: اعملوا ما ينجيكم من عذابه ويدخلكم نعيمه. واليوم: الوقت. والوالد: الأب. والمولود: الولد. والجازي: الدافع. والوعد: ما تعهد به. وحق: واقع في حينه لايتخلف. وفيما عدا الأصل والنسخ: «إنّ وعد الله حق بالبعث». وتغر: تصرف وتشغل. والحياة أي: ما فيها من المتع والزينة. والغرور: الكثير الإغراء بالشر.

(٤) سأل أعرابي النبي ﷺ، عن وقت قيام الساعة، ونزول المطر، وما الذي ستلد زوجته، وبأي أرض سيموت؟ فنزلت الآية. الواحدي ص ٣٦٤-٣٦٥. وعنده أي: مختص به وحده. وعلم الساعة: الإحاطة التامة بوقت حصول يوم القيامة. وينزله: يرسله. وبالتشديد يريد القراءة «يُنَزِّلُ». والغيث: المطر. ويعلم أي: قبل تخلق الجنين وبعده، من جميع الأحياء. والأرحام: جمع رَحِم. وهو ما يستقر فيه الجنين. وتدري: تعرف معرفة اليقين. والنفس: الإنسان أي: كل إنسان. وتكسب: تعمل وتُرزق. والغد: الوقت القادم بعد لحظة أو أكثر. والأرض: المكان. وتموت: تفارق الحياة. والعليم: البالغ الإحاطة. والخبير: البالغ الخبرة والاطلاع. والمفاتيح: جمع مفتاح. وهو ما يتوصل به إلى الأشياء. والغيب: ما غاب عن إدراك الخلق وحواسهم. ولفظ الحديث من الوجيز. وانظر الأحاديث ٩٩٢ و٤٣٥١ و٤٤٢٠ و٤٥٠٠ و٦٩٤٤ في البخاري، والمسند ٥: ٢٤٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿تَنزيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مبتدأ ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ﴾: خبرٌ أوّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ ٢: خبر ثان. ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ: افتراهُ﴾ محمّد؟ لا ﴿بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَومًا ما﴾: نافية ﴿أتاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ، لَعَلَّهُم يَهتَدُونَ﴾ ٣ بإنذارك.

٢- ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما، في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ﴾، هو في اللغة سرير المُلْك، استواءً يليق به، ﴿مالَكُم﴾ - يا كُفّار مكّة - ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: اسم «ما» بزيادة «من» أي: ناصر ﴿ولا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤ هذا فتؤمنون به؟ ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّماءِ إلَى الأرضِ﴾ مُدّةَ الدنيا، ﴿ثُمَّ يَعرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إلَيهِ في يَومٍ، كانَ مِقدارُهُ ألفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ ٥ في الدنيا. وفي سورة «سأل»: «خَمسِينَ ألفَ سَنَةٍ»، وهو يوم القيامة لشِدّة أهواله بالنسبة إلى الكافر. وأمّا المؤمن فيكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا، كما جاء في الحديث.

ربع الحزب ٤٢

٣- ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدبِّر ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾، أي: ما غاب عن الخلق وما حضر، ﴿العَزِيزُ﴾: المنيع في مُلكه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٦ بأهل طاعته، ﴿الَّذِي أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ - بفتح اللام فعلًا ماضيًا: صفة، وبسكونها: بدل اشتمال - ﴿وبَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿مِن طِينٍ﴾ ٧، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ﴾: ذُرّيّته ﴿مِن سُلالَةٍ﴾: علَقةٍ، ﴿مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾ ٨: ضعيف هو النُّطفة، ﴿ثُمَّ سَوّاهُ﴾ أي: خَلَقَ آدمَ، ﴿ونَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾ أي: جعله حيًّا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا، ﴿وجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لذُرّيّته ﴿السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع، ﴿والأبصارَ والأفئِدَةَ﴾: القُلوب. ﴿قَلِيلًا ما تَشكُرُونَ﴾ ٩ ما: زائدة مؤكّدة للقِلّة.

٤- ﴿وقالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أإذا ضَلَلْنا في الأرضِ﴾: غبنا فيها، بأن صِرنا تُرابًا مُختلطًا بتُرابها، ﴿أإنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، في الموضعين. قال تعالى: ﴿بَل هُم بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾: بالبعث ﴿كافِرُونَ﴾ ١٠. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَفّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم﴾، أي: بقبضِ أرواحكم، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّكُم تُرجَعُونَ﴾ ١١ أحياءً، فيُجازيكم بأعمالكم.

---

(١) التنزيل: الإيحاء على لسان جبريل. وفيه: في التنزيل. ومنه: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وافتراه: اختلقه وزعم أنه من عند الله. و«لا» أي: لاينبغي ولايليق بهم هذا القول. يعني أن «أم» بمعنى «بل» وهمزةِ الاستفهام للإنكار التوبيخي. وهو أي: القرآن الكريم. والحق: الثابت قطعًا. ومن ربك: من عنده وبأمره. وتنذرهم: تخوفهم انتقام الله. وما أتاهم: ما جاءهم. والنذير: الرسول المنذر بالعذاب لمن كفر. ومن قبلك أي: في الفترة بعد عيسى، عليه السلام. انظر تعليقنا على الآية ١٦ من سورة سبأ ومروج الذهب ١: ٧٨-٩٠. ويهتدي: يسترشد إلى الحق. (٢) خلقها: قدّر إيجادها من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: جمع يوم. ومقدار كل واحد منها ألف سنة وأكثر من سنوات الدنيا. انظر الآية ٥. وتعيين أسماء الأيام هنا غير صحيح مصدره الإسرائيليات. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة هود. واستوى: علا يُحكِم بقدرته ويخلق. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالعالم كله. ويليق به: يناسب جلاله وعظمته ولا يجوز التعرض لوصفه بتكييف أو تمثيل أو تعطيل. وكفار مكة أي: وغيرها أيضًا. وتتذكرون: تتفكرون لترتدعوا. ويدبره: يقضيه وينفذه بإرادته الأزلية للكون. والأمر: شؤون الخلق. وإليه: إلى قضائه يوم القيامة. واليوم: الوقت، وقت القضاء بين البشر. ومقداره: مدته. وتعدون: تحسبونه. و«سأل» يعني الآية ٤ سورة المعارج. والحديث في المسند ٣: ٧٥. وانظر الحديث ٩٨٧ في مسلم. (٣) ذلك الخالق: يعني ما ذكر في الآيتين ٤ و٥. والعالِم: المحيط إحاطة بالغة ودائمة. وما حضر: ما شاهده الخلق. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. وأحسنه: أتقنه. وخلقه: أوجده من العدم. وصفة أي: أن جملة «خلقه»: في محل جر صفة لـ «شيء». وبسكونها يريد القراءة «خَلْقَهُ»، أي: إيجاده. وبدأه: أحدثه أول مرة. والطين: التراب المجبول بالماء. وجعله: صيّره. والسلالة: ما يُسل ويُنزع من الشيء. والنطفة: القطرة الدقيقة من منيّ الرجل وبُويضة المرأة. وسواه: قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي. ونفخ فيه من روحه: جعل فيه الروح التي خلقها. وإضافة الروح إلى ذاته - تعالى - دلالة على أنه خلق عجيب، لايعلم حقيقته إلّا هو. وهي إضافة خلق إلى خالق. وجعل: خلق. والأبصار: جمع بصر. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وهو يغذي الدماغ والجسم كله بماء الحياة. وتشكر: تستحضر النعمة وتثني على منعمها، بالقلب واللسان والعمل. ومؤكدة للقلة يعني: ما في «قليلًا» من معنى القلة والنفي. فالبشر غالبًا ما ينسَون هذه النعم، ولايشكرون منعمها كما ينبغي، فيكونون كمن ينكر ويجحد. (٤) الخلق: الوجود والنشأة. والجديد: الثاني بالبعث بعد الموت. وتسهيل الهمزة: جعلُها بين الهمز والياء. وفي الموضعين يعني «أإذا» و«أإنّا». انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥ من سورة الرعد. ولقاؤه: لقاء حسابه وجزائه يوم القيامة. والكافر: الجاحد المكذب. ويتوفاكم: يسترد أرواحكم. وملك الموت هو عزرائيل، ومعناه: عبد الله. وله أعوان من الملائكة. ووكل بكم: فوض إليه أمر موتكم. والمتوفي حقيقة هو الله بخلق الموت. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه وعقابه. وترجعون: تعودون بالبعث.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

سجدة

١- ﴿**ولو ترى إذِ المُجرمُونَ**﴾: الكافرون ﴿**ناكِسُو رُؤُوسِهم، عِندَ ربِّهم**﴾: مطأطئوها حياءً، يقولون: ﴿**ربَّنا، أبصَرْنا**﴾ ما أنكرنا من البعث، ﴿**وسَمِعْنا**﴾ منك تصديق الرُّسل فيما كذّبناهم فيه. ﴿**فارجِعْنا**﴾ إلى الدنيا، ﴿**نعمَلْ صالِحًا**﴾ فيها. ﴿**إنّا مُوقِنُونَ**﴾ ١٢ الآن. فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون. وجواب «لو»: لرأيت أمرًا فظيعًا.

٢- قال تعالى: ﴿**ولو شِئنا لآتينا كُلَّ نفسٍ هُداها**﴾، فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها، ﴿**ولٰكِن حَقَّ القَولُ مِنّي**﴾، وهو: ﴿**لأَملأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ**﴾: الجنّ ﴿**والنّاسِ أجمَعِينَ**﴾ ١٣. وتقول لهم الخزنة، إذا دخلوها: ﴿**فذُوقُوا**﴾ العذابَ ﴿**بِما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هٰذا**﴾، أي: بتركِكم الإيمان به - ﴿**إنّا نَسِيناكُم**﴾: تركناكم في العذاب - ﴿**وذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ**﴾ الدائم، ﴿**بِما كُنتُم تعمَلُونَ**﴾ ١٤من الكُفر والتكذيب.

٣- ﴿**إنّما يُؤمِنُ بِآياتِنا**﴾: القرآنِ ﴿**الّذِينَ إذا ذُكِّرُوا**﴾: وُعِظوا ﴿**بِها خَرُّوا سُجَّدًا، وسَبَّحُوا**﴾ مُلتبسين ﴿**بِحَمدِ رَبِّهِم**﴾ أي: قالوا: سُبحانَ الله وبحمده، ﴿**وهُم لا يَستكبِرُونَ**﴾ ١٥ عن الإيمان والطاعة، ﴿**تتجافَى جُنُوبُهُم**﴾: ترتفعُ ﴿**عَنِ المَضاجِعِ**﴾: مواضعِ الاضطجاع بفُرُشها، لصلاتهم بالليل تهجّدًا، ﴿**يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفًا**﴾ من عِقابه، ﴿**وطَمَعًا**﴾ في رحمته، ﴿**ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ**﴾ ١٦ يتصدّقون. ﴿**فلا تَعلَمُ نَفسٌ ما أُخفِيَ**﴾: خُبِّئ ﴿**لَهُم مِن قُرّةِ أعيُنٍ**﴾: ما تقرّ به أعينهم - وفي قراءة بسكون الياء: مضارع - ﴿**جَزاءً بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٧.

٤- ﴿**أفمَن كانَ مُؤمِنًا كَمَن كانَ فاسِقًا؟ لا يَستَوُونَ**﴾ ١٨ أي: المؤمنون والفاسقون. ﴿**أمّا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فلَهُم جَنّاتُ المأوَى نُزُلًا**﴾ - هو ما يُعَدّ للضيف - ﴿**بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٩، ﴿**وأمّا الّذِينَ فَسَقُوا**﴾ بالكُفر والتكذيب ﴿**فمأواهُمُ النّارُ، كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها أُعِيدُوا فِيها، وقِيلَ لَهُم: ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الّذي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ ٢٠. ﴿**ولَنُذِيقَنَّهُم مِنَ العَذابِ الأدنَى**﴾، عذابِ الدنيا بالقتل والأسر والجدب سِنينَ والأمراض، ﴿**دُونَ**﴾: قبلَ ﴿**العَذابِ الأكبَرِ**﴾ عذاب الآخرة، ﴿**لَعَلَّهُم**﴾ أي: مَن بقي منهم ﴿**يَرجِعُونَ**﴾ ٢١ إلى الإيمان، ﴿**ومَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ**﴾: القُرآن، ﴿**ثُمَّ أعرَضَ عَنها**﴾؟ أي: لا أحدَ أظلم منه. ﴿**إنّا مِنَ المُجرِمِينَ**﴾ أي: المُشركين ﴿**مُنتقِمُونَ**﴾ ٢٢.

---

(١) ترى: تبصر عِيانًا. والخطاب لكل قارئ أو سامع. انظر الآية ٢٧ من سورة الأنعام. والمجرمون: من يقترفون الجرائم باختيار وعزم. والرؤوس: جمع رأس. وعند ربهم: في موقف حسابه. والمطأطئ: الخافض. وأبصرنا وسمعنا: حصل لنا الاستعداد للإبصار والسمع كاملين، بعد أن كنا عُميًا وصُمًا عن التدبر والاتعاظ. وارجعنا: أعدنا. ونعمل: نكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. وموقنون: مؤمنون مصدقون لِما كنا نكذب وننكر. وفي هذا اعتراف، بأنهم كانوا يجحدون نعم السمع والبصر والفؤاد، المذكورة في الآية ٩، لتعطيلها عن وظائفها الحقيقية.

(٢) شئنا: أردنا هداية جميع الناس. وآتينا: أعطينا. والنفس: الإنسان المكلف. وحق القول: ثَبَتَ وعيدي. وأملؤها: أضع فيها بقدر ما تسع. وجهنم: اسم علم لنار الله الموقدة. والخزنة: ملائكة العذاب في جهنم. وذوقوه: تحسسوه وتحملوا أهواله. والذوق يكون باللسان وجميع الحواس، وفي تكراره معنى التوكيد. واللقاء: الحضور والمشاهدة بالبعث. واليوم: الوقت. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وتعملون: تكتسبونه بنية أو قول أو فعل.

(٣) نزلت الآيات فيمن يصلي المغرب، من المؤمنين، وينتظر صلاة العشاء، وهو في ذكر ودعاء. انظر الحديث ٣١٩٤ في الترمذي. ويؤمن بها: يصدّقها ويعمل بموجبها. وخر: سقط ملاصقًا وجهه للأرض. والسجد: جمع ساجد. وسبح: نزه الله عما لايليق بذاته وصفاته وأفعاله. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. ويستكبر: يتكبر. وترتفع أي: وتبتعد. والجنوب: جمع جنب. وهو طرَف الإنسان. والمضاجع: جمع مَضجع. ويدعونه: ينادونه ملتجئين مستغيثين. والخوف: الفزع. والطمع: طلب الزيادة. ورزقناهم: أعطيناهم. ولاتعلم: لاتعرف بالتفصيل. والأعين: جمع عين. وتقر: تطمئن وتسر. وبالمضارع يريد القراءة «ما أُخفِي». والفاعل هو الله، تعالى.

(٤) في لباب النقول أن الوليد بن عقبة نازع علي بن أبي طالب، مفتخرًا بالبيان والشجاعة والسيادة، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق. فنزلت الآيات، والمراد تعميم ذلك في المؤمنين والكافرين. وانظر الواحدي ص ٣٦٧-٣٦٨. ولايستوون أي: يتفاوتون في المرتبة والمثوبة. يعني تفوُّق المؤمن. والجنة: البستان العظيم. والمأوى: ما يُلجأ إليه. وأراد: حاول. ويخرج: يتخلص. وأعيد: رُدّ. وقيل لهم أي: تقول لهم ملائكة العذاب. وبه تكذبون: تنكرون وقوعه. ونذيقهم: ننزل بهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والأدنى: الأصغر والأيسر. والأكبر: الأعظم والأشد. ولعلهم أي: ليكون لهم رجاء الصلاح. ويرجعون: يتوبون ويرتدون عن الكفر، ليصيروا مؤمنين مطيعين. وقول المحلي «إلى الإيمان» يوهم أنهم كانوا مؤمنين قبل كفرهم، وهو غير صحيح. فهم في الكفر ومازالوا كذلك، ويُترجى لهم الرجوع عن الكفر للدخول في الإيمان. والأظلم: الأكثر مجاوزة للحق بوضع الشيء في غير محله. والكفر أشنع ذلك. وذكر: وُعظ بالأدلة القاطعة. وأعرض: انصرف مستخفًا. ولا أحد: يعني أن الاستفهام بـ «مَن» هو للإنكار الإبطالي، أي: للنفي والاستبعاد. ومن المجرمين أي: ممن ذكر. والمجرم: من يقترف الفساد باختيار وعزم. والمنتقم: المعاقب بالعذاب.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ — ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

١- ﴿**ولَقَد آتينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة - ﴿**فلا تَكُنْ في مِرْيَةٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِن لِقائِهِ**﴾. وقد التقيا ليلة الإسراء - ﴿**وجَعَلْناهُ**﴾ أي: مُوسَى أو الكتابَ ﴿**هُدًى**﴾ هاديًا ﴿**لِبَني إسرائيلَ** ٢٣، **وجَعَلْنا مِنهُم أئمّةً**﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادةً، ﴿**يَهدُونَ**﴾ الناس ﴿**بأمرِنا، لَمّا صَبَرُوا**﴾ على دِينهم وعلى البلاء من عدوّهم، ﴿**وكانُوا بِآياتِنا**﴾ الدالّة على قُدرتنا ووحدانيّتنا ﴿**يُوقِنُونَ**﴾ ٢٤. وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم. ﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفصِلُ بَينَهُم، يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ٢٥ من أمر الدِّين.

٢- ﴿**أوَلَم يَهدِ لَهُم كَم أهلَكنا مِن قَبلِهِم**﴾ أي: يَتبيَّنْ لكُفّار مكّة إهلاكُنا كثيرًا، ﴿**مِنَ القُرُونِ**﴾: الأُمم بكُفرهم، ﴿**يَمشُونَ**﴾: حالٌ من ضمير «لهم» ﴿**في مَساكِنِهِم**﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا؟ ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ**﴾: دلالات على قُدرتنا. ﴿**أفلا يَسمَعُونَ**﴾ ٢٦ سماعَ تدبّر واتّعاظ؟ ﴿**أوَلَم يَرَوا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلَى الأرضِ الجُرُزِ**﴾: اليابسة التي لا نبات فيها، ﴿**فنُخرِجُ بِهِ زَرعًا، تأكُلُ مِنهُ أنعامُهُم وأنفُسُهُم؟ أفلا يُبصِرُونَ**﴾ ٢٧ هذا، فيعلمون أنّا نقدر على إعادتهم؟

٣- ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ للمؤمنين: ﴿**مَتى هٰذا الفَتحُ**﴾ بيننا وبينكم، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ** ٢٨؟ **قُلْ: يَومَ الفَتحِ**﴾، بإنزال العذاب بهم، ﴿**لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمانُهُم، ولا هُم يُنظَرُونَ**﴾ ٢٩: يُمهلون لتوبة أو معذرة. ﴿**فأعرِضْ عَنهُم، وانتَظِرْ**﴾ إنزال العذاب بهم. ﴿**إنَّهُم مُنتَظِرُونَ**﴾ ٣٠ بك حادثَ موتٍ أو قتلٍ، فيستريحون منك. وهذا قبل الأمر بقتالهم.

سورة الأحزاب

مدنية، ثلاث وسبعون آية.

---

(١) آتينا: أعطينا وحمّلنا مكلفين بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. واللقاء: المقابلة والمصادفة لموسى، عليه السلام. وجعل: صيّر. والهدى: المرشد إلى الحق والخير. وبنو إسرائيل: سلالة يعقوب من أبنائه. والأئمة: جمع إمام. وبالياء يريد «أيِمّةً». وهي قراءة ثابتة، خلافًا لما زعمه صاحب الفتوحات ٣:٤١٩. وانظر الفتوحات ٣:٢٦٦ والآية ٤١ من سورة القصص والنشر ١:٣٧٨-٣٧٩. ويهدي: يرشد إلى الحق. والناس: من تبع بني إسرائيل. والأمر: الإرادة والتوفيق. وصبر: تجلد. والآيات: النصوص الإلٰهية والمعجزات. ويوقن: يصدق يقينًا. وبالكسر يريد القراءة «لِما صَبَرُوا»، أي: لصبرهم. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «من عدوهم وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم وكانوا... يوقنون». ويفصل: يحكم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويختلفون: يختصمون.

(٢) أولم يهد: انظر الآية ١٢٨ من سورة طه. ويتبين: يظهر ويتضح. خ: «نبين». وكفار مكة أي: وغيرهم من الكافرين. والقرون: جمع قرن. ويمشي: يسير ويتنقل. وحال: يعني أن جملة «يمشون»: في محل نصب حال. والمساكن: جمع مسكن. وذلك أي: كثرة إهلاكنا. ويسمع: يدرك ما يقال. ويروا أي: يبصروا عِيانًا. ونسوق: نرسل وندفع. والماء: المطر والينابيع والأنهار. والأرض: البر. ونخرج: نظهر. والزرع: ما يُزرع ويَنبت. وتأكل: تتغذى وتستمتع. ومنه: من بقاياه وأوراقه وأغصانه وثماره وحبوبه. والأنعام: جمع نعم. وهي الإبل والبقر والغنم. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان. ويبصر: يتبصر ويتفكر. وفي المنحة وبعض المطبوعات: فيعلموا.

(٣) في الوجيز أن الصحابة قالوا لمشركي مكة: إن لنا يومًا يحكم الله فيه بيننا. يريدون يوم القيامة. فقال المشركون: متى هذا الفتح؟ فنزلت الآيات. و«متى» معناه الاستهزاء والاستعجال والتكذيب. يعني: أيّ وقت يكون ذلك؟ والفتح: الفصل بالحكم القاطع، أي: أعلمونا متى يكون؟ واستعجِلوا حصوله. والصادق: من يقول الحق. والمراد: إن كنتم صادقين في ذكر الفتح. وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. والتقدير: فأخبرونا. وفي هذا إيجاز بليغ، وتوكيد بتكرار الجملة مذكورة ومقدرة. وقل أي: للمشركين. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وتكراره قبل وبعدُ يفيد المبالغة في التوكيد. وينفع: يفيد ويقدم الخير. ولاينفعهم إيمانهم أي: لايُقبل منهم لأنه كان بعد الموت على كفر. وكفر: كذّب الله ورسوله ومات على ذلك. والإيمان: التصديق والإقرار بالتوحيد والبعث وصدق الرسل. وأعرض عنهم: انصرف عن تكذيبهم وعصيانهم صابرًا محتسبًا، ولا تقابلهم بالجدال. وانتظر: ترقب وتوقع. والأمر للنبي ﷺ، وصحابتُه مشمولون به. و«هذا... بقتالهم» العبارة مقتبسة من الوجيز، حيث قال الواحدي عن الأمر بالإعراض والانتظار: «منسوخ بآية السيف»، يريد آيات الأمر بقتال المشركين في أوائل سورة التوبة. وهو قول ضعيف، لأن ذلك الأمر هنا خاص بترك الجدال، ولاينافيه القتال بعد. انظر الناسخ والمنسوخ ٢:٥٨١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم
بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم
مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

نصف الحزب ٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، اتَّقِ اللهَ﴾: دُم على تقواه، ﴿ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ﴾، فيما يُخالف شريعتك - ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه، ﴿حَكِيمًا﴾ ١ فيما يخلقه - ﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ - ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِما يَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ٢. وفي قراءة بالفوقانيّة - ﴿وتَوَكَّلْ على اللهِ﴾ في أمرك. ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ ٣ حافظًا لك! وأُمّتُه تبعٌ له في ذلك كُلّه.

٢- ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبَينِ في جَوفِهِ﴾، ردًّا على من قال من الكُفّار: «إنّ له قلبينِ، يعقِل بكُلّ منهما أفضلَ من عقلِ مُحمّد»، ﴿وما جَعَلَ أزواجَكُمُ اللّائي﴾ - بهمزة وياء وبلا ياء - ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾، بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مُدغمة في الظاء، ﴿مِنهُنَّ﴾ - يقول الواحد مثلًا لزوجته: «أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي» - ﴿أُمَّهاتِكُم﴾ أي: كالأمهات في تحريمها بذلك، المُعَدّ في الجاهليّة طلاقًا، وإنّما تجب به الكفّارة بشرطه، كما ذُكر في سورة «المُجادَلة»، ﴿وما جَعَلَ أدعِياءَكُم﴾: جمع دعيّ - وهو من يُدعى لغير أبيه ابنًا له - ﴿أبناءَكُم﴾ حقيقة. ﴿ذٰلِكُم قَولُكُم بِأفواهِكُم﴾ أي: اليهودِ والمنافقين، قالوا لمّا تزوج النبيّ ﷺ زينبَ بنتَ جحش، التي كانت امرأة زيدِ بنِ حارثةَ، الذي تبنّاه النبيّ ﷺ، قالوا: تزوّج مُحمّد امرأةَ ابنه.

٣- فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك: ﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ﴾ في ذلك، ﴿وهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ﴾ ٤ سبيل الحقّ. لكن ﴿ادعُوهُم لِآبائِهِم - هُوَ أَقسَطُ﴾: أعدل ﴿عِندَ اللهِ - فإن لَم تَعلَمُوا آباءَهُم فإخوانُكُم في الدِّينِ، ومَوالِيكُم﴾: بنو عمّكم، ﴿ولَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ فِيما أخطَأتُم بِهِ﴾ في ذلك، ﴿ولٰكِن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم﴾ فيه. وهو بعد النهي. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾، لِما كان من قولكم قبل النهي، ﴿رَحِيمًا﴾ ٥ بكم في ذلك.

٤- ﴿النَّبِيُّ أولَى بِالمُؤمِنِينَ مِن أنفُسِهِم﴾، فيما دعاهم إليه، ودعتهم أنفسهم إلى خِلافه، ﴿وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُم﴾ في حُرمة نكاحهنّ عليهم، ﴿وأُولُو الأرحامِ﴾: ذَوو القراباتِ ﴿بَعضُهُم أولَى بِبَعضٍ﴾ في الإرث، ﴿في كِتابِ اللهِ، مِنَ المُؤمِنِينَ والمُهاجِرِينَ﴾ أي: منَ الإرث بالإيمانِ والهِجرةِ الذي كان أوّل الإسلام فنُسخ. ﴿إلّا﴾ لكنْ ﴿أن تَفعَلُوا إلَى أولِيائِكُم مَعرُوفًا﴾ بوصيّة فجائز. ﴿كانَ ذٰلِكَ﴾ أي: نَسخُ الإرثِ بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام، ﴿في الكِتابِ مَسطُورًا﴾ ٦. وأُريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ.

---

(١) انظر سبب النزول في «المفصل». والتقوى: تجنب الغضب وطلب الرضا أي: دُم على ذلك. وتطيعهم: توافقهم. والكافرون: المشركون وأهل الكتاب. والمنافق: من أظهر الإسلام بلسانه وهو كافر. والعليم: المحيط إحاطة بالغة. والحكيم: ذو الحكمة العالية. واتبعه: الزمه. ويوحى: ينزل على لسان جبريل. ومن ربك: من عنده وبأمره. ويعملون: يدبره الكافرون والمنافقون. وخبير به: يعلمه ويحفظك منه. والفوقانية يريد القراءة «تَعمَلُونَ». وتوكل عليه: اعتمد عليه وحده. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية.

(٢) «جعل» الأول: وضع وخلق. والثاني والثالث بمعنى: صيّر. والرجل: الذكر من البشر. والأنثى تدخل في هذا الحكم، إذ هي أقل قدرة على الاحتمال. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والشعور. والجوف: باطن الصدر. والقائل المذكور أبو مَعمر، كان يدّعي ذلك، ولما هزم في بدر طاش لبه، فنزلت الآية تهزأ به. تفسير القرطبي ١٤:١١٦-١١٩. فما جمع الله قلبين في جوف إنسان، ولا الأمومة والزوجية للابن في امرأة، ولا الادعاء والبنوة في أحد. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. وبلا ياء يريد القراءة «اللّاءِ». وتظّهّرون: تحرمون نكاحهن. وفي قرة العينين: «تَظَهَّرُونَ». وبها يريد القراءة «تَظّاهَرُونَ». ومثلًا أي: في حرمة النكاح. والأمهات: جمع أُمّهة. وهي الأمّ. والمجادلة: يعني الآية ٢ منها. ولما طلق زيد زوجته تزوجها النبي ﷺ، فقال المرجفون ما قالوا، للتشهير والإيذاء. انظر الآية ٣٧. وأدعياء: جمع دعيّ. وهو من يتبنّاه غير أبيه. والأبناء: جمع ابن. وذلكم أي: ادعاء التبنّي. والأفواه: جمع فم .

(٣) الحق: ما يوافق العدل. ويهدي: يرشد الخلق. وادعوهم لآبائهم أي: انسبوهم إلى والديهم. والآباء: جمع أب. وهو أي: دعاؤهم لآبائهم. وعند الله: في حكمه. والإخوان: جمع أخ. والمراد أن تقولوا لمن لم تعرفوا أباه: يا أخي. والموالي: جمع مولى. والجناح: الإثم. وأخطأ: غلط عن غير قصد. وتعمدت: قصدت. والقلوب: جمع قلب. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان.

(٤) أولى: أرأف. وأزواجه: من عقد عليهن. وأولو: واحده: ذو، أي: صاحب. والأرحام: جمع رحِم، وهم من يكون لهم حق الإرث. انظر الآية ١ من سورة النساء. والأَولى: ذو الحق الشرعي. والمهاجر: من ترك بلده هربًا بدينه إلى المدينة المنورة. وأول الإسلام أي: في المدينة. ونسخُ إرث أخوّة الإيمان والهجرة كان بالآية ٧٥ من سورة الأنفال، وجاءت هذه الآية تؤكد ذلك. وتفعل: تقدِّم. والأولياء: جمع ولي. وهو من تتولاه من المؤمنين. والمعروف: ما حسّنه الشرع. والمسطور: المثبت كتابة .

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾
لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا
﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ
جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ
مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ
زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ
مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ
مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ
لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ
ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**إذ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُم**﴾، حين أُخرجوا من صُلب آدم كالذرّ جمع ذَرّة - وهي أصغر النمل - ﴿**ومنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهيمَ ومُوسَى وعِيسَى بنِ مَريَمَ**﴾، بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عِبادته - وذِكر الخمسة من عطف الخاصّ على العامّ - ﴿**وأخَذْنا منهُم مِيثاقًا غَلِيظًا**﴾ ٧: شديدًا، بالوفاء بما حُمّلوه - وهو اليمينُ بالله تعالى، ثمّ أخذُ المِيثاق - ﴿**لِيَسألَ**﴾ الله ﴿**الصّادِقِينَ عَن صِدقِهِم**﴾، في تبليغ الرسالة، تبكيتًا للكافرين بهم، ﴿**وأعدَّ**﴾ - تعالى - ﴿**لِلكافِرينَ**﴾ بهم ﴿**عَذابًا ألِيمًا**﴾ ٨: مُؤلمًا. هو عطف على «أخذنا».

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ، آمَنُوا، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم، إذ جاءَتْكُم جُنُودٌ**﴾ من الكُفّار متحزّبون، أيام حفر الخندق، ﴿**فأرسَلْنا عليهِم رِيحًا، وجُنُودًا لَم تَروها**﴾: ملائكةً - ﴿**وكانَ اللهُ بِما تعمَلُونَ**﴾، بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين، ﴿**بَصِيرًا ٩ - إذ جاؤُوكُم مِن فَوقِكُم، ومِن أسفَلَ مِنكُم**﴾: من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب، ﴿**وإذ زاغَتِ الأبصارُ**﴾: مالتْ عن كُلّ شيء إلى عدوّها من كُلّ جانب، ﴿**وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ**﴾: جمع حَنجَرة - وهي منتهى الحُلقوم - من شِدّة الخوف، ﴿**وتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَ**﴾ ١٠ المُختلفة بالنصر واليأس. ﴿**هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤمِنُونَ**﴾: اختُبروا، ليتبيّن المُخلص من غيره، ﴿**وزُلزِلُوا**﴾: حُرّكوا ﴿**زِلزالًا شَدِيدًا**﴾ ١١، من شِدّة الفزع.

٣- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**إذ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: ضعفُ اعتقاد: ﴿**ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ**﴾ بالنصر ﴿**إلّا غُرُورًا**﴾ ١٢: باطلًا. ﴿**وإذ قالَتْ طائِفةٌ مِنهُم**﴾ أي: المنافقين: ﴿**يا أهلَ يَثرِبَ**﴾ - هي أرض المدينة، ولم تنصرف للعلميّة ووزن الفعل - ﴿**لا مُقامَ لَكُم**﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: لا إقامة ولا مكانة. ﴿**فارجِعُوا**﴾ إلى منازلكم من المدينة. وكانوا خرجوا مع النبيّ إلى سَلعٍ، جبلٍ خارج المدينة للقتال. ﴿**ويَستأذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ**﴾ في الرُّجوع، ﴿**يَقُولُونَ: إنَّ بُيُوتَنا عَورةٌ**﴾: غيرُ حصينة نخشى عليها. قال تعالى: ﴿**وما هِيَ بِعَورةٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**يُرِيدُونَ إلّا فِرارًا**﴾ ١٣ من القِتال، ﴿**ولَو دُخِلَتْ**﴾ أي: المدينةُ ﴿**عَلَيهِم مِن أقطارِها**﴾: نواحيها، ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا**﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿**الفِتْنَةَ**﴾: الشِّركَ، ﴿**لَآتَوها**﴾ - بالمدّ والقصر - أي: أعطَوها وفعلوها، ﴿**وما تَلَبَّثُوا بِها إلّا يَسِيرًا ١٤، ولَقَد كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِن قَبلُ، لا يُوَلُّونَ الأدبارَ. وكانَ عَهدُ اللهِ مَسؤُولًا**﴾ ١٥ عن الوفاء به.

---

(١) أخذنا ميثاقهم: أمرناهم وحمّلناهم. و«حين أخرجوا...» يُحمل على التمثيل لا على الحقيقة. وإنما أُخذ منهم الميثاق عند إرسالهم. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٧٢من سورة الأعراف. وأخذنا ميثاقًا غليظًا: حصّلنا وأثبتنا العهد المؤكد بالأيمان. فالميثاق هذا غير الأول، لأنه قَسَم للوفاء به، مع أن في تكرار «أخذنا» معنى التوكيد أيضًا. ث: «وأخذ الميثاق». وفي قرة العينين: «تَمَّ أخذُ الميثاق». ويسأل: يطلب الجواب. والتبكيت: التقبيح والتعيير. وأعد: هيأ. والكافرين بهم أي: المكذبين للأنبياء.

(٢) لما أجلي يهود بني النَّضير، من منازلهم، ذهب زعماء اليهود يحرضون مشركي مكة وغطفان وقيس عيلان على قتال المسلمين، ويجمعونهم لغزوة الخندق، في شوال سنة خمس هجرية. وقد بلّغ بنو خُزاعة النبيَّ ﷺ بتحزب المشركين واليهود، فكان حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي. وذكر حُذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ كلفه بأخبار العدو يومئذ، فرجع إليه بأنهم تنازعوا واختلفوا ونقض يهودُ قُريظة عهدَهم للمشركين، وشردتهم الرياح والحجارة والملائكة. فنزلت الآيات ٨-٢٥. السيرة ٢:٢٤٥-٢٤٧. واذكروها: استحضروها في نفوسكم، واشكروا منعمها بالقلب واللسان والعمل. والنعمة: الرحمة والإحسان بالنصر والنجاة من العدو. وجاءتكم: أحاطت بكم. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي. وكانوا قرابة ١٥ ألفًا، والمسلمون ٣ آلاف. وأرسلنا: أطلقنا. ولم تروها: لم تبصروها عِيانًا. وما تعملون: ما تتحملون مشاقه. وبالياء يريد القراءة «يَعمَلُونَ». والتحزيب: التجميع. والبصير: المحيط بالغَ الإحاطة. والأبصار: جمع بصر. يعني: عيونكم. وبلغت: وصلت. والقلوب: جمع قلب. وهذا مبالغة في الاضطراب والوجيب. وتظنون: تُحدِثون التوقعات. والظنون: جمع ظنّ. وفيما عدا النسخ: «الظنونا» انظر الآية ٦٦. وهنالك: في ذلك الوقت. والمؤمن: من اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. والمنافق: من أظهر الإيمان وهو كافر. ووعدنا: تعهد لنا. والنصر: الغلبة. وباطلًا: وعدًا غير صادق. وأهل يثرب: أصحابها وسكانها. ولم تنصرف أي: جُرَّت بالفتحة عوضًا من الكسرة. والمُقام: مكان الإقامة. وبفتحها يريد القراءة «لامَقامَ». وارجعوا: انصرفوا وعودوا. ويستأذن: يطلب السماح بترك المرابطة. والأقطار: جمع قُطر. وسئلوها: طلبت منهم. وبالقصر يريد القراءة «لَأَتَوها». وما تلبثوا بها: ما ثبتوا في اجتناب الفتنة، بل أسرعوا إليها راغبين. ويسيرًا: تلبثًا قليلًا. وعاهدوه: أقسموا معاهدين. ولايولون الأدبار: لايهربون.

الجزء الحادي والعشرون — سورة الأحزاب

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

١- ﴿**قُلْ: لَن يَنفَعَكُمُ الفِرارُ، إن فَرَرتُم مِنَ المَوتِ أوِ القَتلِ، وإذًا**﴾ إن فررتم ﴿**لا تُمَتَّعُونَ**﴾، في الدنيا بعد فِراركم، ﴿**إلّا قَليلًا**﴾ ١٦: بقيّة آجالكم. ﴿**قُلْ: مَن ذا الَّذي يَعصِمُكُم**﴾: يُجيركم ﴿**مِنَ اللهِ، إن أرادَ بِكُم سُوءًا**﴾: هلاكًا وهزيمة، ﴿**أو**﴾ يُصيبُكم بسوء، إن ﴿**أرادَ**﴾ الله ﴿**بِكُم رَحمَةً**﴾ خيرًا؟ ﴿**ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره ﴿**وَليًّا**﴾ ينفعهم، ﴿**ولا نَصيرًا**﴾ ١٧ يدفع الضُّرّ عنهم.

٢- ﴿**قَد يَعلَمُ اللهُ المُعَوِّقينَ**﴾: المُثبِّطين ﴿**مِنكُم، والقائلينَ لإخوانِهِم: هَلُمَّ**﴾: تعالَوا ﴿**إلَينا. ولا يأتُونَ البأسَ**﴾: القِتال ﴿**إلّا قَليلًا**﴾ ١٨ رياءً وسُمعة، ﴿**أشِحَّةً عليكُم**﴾ بالمُعاونة - جمع شحيح وهو حال من ضمير «يأتون» - ﴿**فإذا جاءَ الخَوفُ رأيتَهُم يَنظُرُونَ إلَيكَ، تَدُورُ أعيُنُهُم كالَّذي**﴾: كنظرِ أو كدَورانِ الذي ﴿**يُغشَى عَلَيهِ مِنَ المَوتِ**﴾ أي: سَكَراته، ﴿**فإذا ذَهَبَ الخَوفُ**﴾ وحِيزَتِ الغنائم ﴿**سَلَقُوكُم**﴾: آذَوكم أو ضربوكم ﴿**بِألسِنَةٍ حِدادٍ، أشِحَّةً عَلى الخَيرِ**﴾ أي: الغنيمةِ يطلبونها - ﴿**أُولئِكَ لَم يُؤمِنُوا**﴾ حقيقةً، ﴿**فأحبَطَ اللهُ أعمالَهُم. وكانَ ذلِكَ**﴾ الإحباط ﴿**عَلى اللهِ يَسيرًا**﴾ ١٩ بإرادته - ﴿**يَحسِبُونَ الأحزابَ**﴾ من الكُفّار ﴿**لَم يَذهَبُوا**﴾ إلى مكّة لِخوفهم منهم، ﴿**وإن يأتِ الأحزابُ**﴾ كرّة أُخرى ﴿**يَوَدُّوا**﴾: يتمنّوا ﴿**لَو أنَّهُم بادُونَ في الأعرابِ**﴾ أي: كائنون في البادية، ﴿**يَسألُونَ عَن أنبائكُم**﴾: أخبارِكم مع الكُفّار، ﴿**ولَو كانُوا فِيكُم**﴾ هذه الكرّة ﴿**ما قاتَلُوا إلّا قَليلًا**﴾ ٢٠ رِياءً وخوفًا من التعيير.

٣- ﴿**لَقَد كانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ إسوَةٌ**﴾ - بكسر الهمزة وضمّها - ﴿**حَسَنَةٌ**﴾: اقتداءٌ به، في القِتال والثبات في مواطنه، ﴿**لِمَن**﴾: بدلٌ من «لكم» ﴿**كانَ يَرجُو اللهَ**﴾: يخافُه ﴿**واليَومَ الآخِرَ، وذَكَرَ اللهَ كَثيرًا**﴾ ٢١ بخِلاف من ليس كذلك. ﴿**ولَمّا رأى المُؤمِنُونَ الأحزابَ**﴾ من الكُفّار ﴿**قالُوا: هٰذا ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ**﴾، من الابتلاء والنصر، ﴿**وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ**﴾ في الوعد. ﴿**وما زادَهُم**﴾ ذلك ﴿**إلّا إيمانًا**﴾: تصديقًا بوعد الله، ﴿**وتَسليمًا**﴾ ٢٢ لأمره.

---

(١) قل أي: للمنافقين ومن يفر من القتال. وينفع: يفيد بتأخير وفاة، لأن وقتها محدد في قضاء الله. والفرار: هربكم. وفررتم: هربتم وحاولتم النجاة. والموت: فراق الروح للجسد. والقتل: فراق الروح في الحرب. وتُمتع: تُمنح ما تَستلذ به. وقليلًا: قدرًا يسيرًا. ويجيركم من الله: يمنعكم من قضائه وعذابه. وأراد بكم: قضى عليكم. والسوء: ما فيه ضرر. والهلاك: الموت. وفي الأصل: «إهلاكًا». والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. ويجد: يرى. والولي: من يتولى أمور غيره ويرعى مصالحه.

(٢) هذه الآيات في بعض المنافقين، كانوا متخلفين عن الخندق، ويُغرون الأنصار بالفرار، يقولون: مامحمد وأصحابه إلّا أُكلة رأس - أي: جماعة قليلة - ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأحزابه. فخلّوهم وتعالَوا إلينا. تفسير البغوي ٣:٥١٨. ويَعلمهم أي: أحاط بأحوالهم إحاطة تامة. والمثبط: من يشغل غيره عن الأمر ويمنعه تخذيلًا. والإخوان: جمع أخ. وهو الجار والصديق كالأخ في المعاملة والتقدير. ويأتونه: يحضرونه ويقومون به. والشحيح: الشديد البخل. وجاء: حضر. والخوف: خشية بطش العدو. ورأيتهم: أبصرتهم عِيانًا. وينظرون إليك: يحدّقون النظر إليك فزعًا من القتال، لعلك تعفيهم منه. وتدور: تضطرب وتجول يمنة ويسرة. والأعين: جمع عين. وهو عضو البصر. والمراد وصف المنافقين بالجبن والفزع. وكدوران الذي يعني: دورانًا مثل دوران عين الذي. ويُغشى عليه: يُغمى عليه فيشخص بصره، ويفقد الإدراك والتفكير والإحساس. وسكراته أي: معالجتها حذرًا وخورًا. وذهب: مضى وانتهى بنصر المؤمنين، فحل محل الخوف سرور ونشوة ظفر. والألسنة: جمع لسان. ذكرت الألسنة والمراد أفواهها المتكلمة، لأن اللسان أظهر ما يذكر في التكلم. والحداد: جمع حديد. وهو السليط المؤذي. وأشحة عليه: بخلاء حريصون على حيازته دون غيرهم. وفسر الخير بالغنيمة لما فيها من المال والمنافع. وأولئك أي: الموصوفون بما مضى من الآيتين. ولم يؤمن: لم يعترف قلبه بالتوحيد والبعث. وأحبطها: أظهر بطلانها لفساد عقيدة صاحبها، أي: أبطل تصنّع أصحابها فلم يبق مستتبعًا لمنفعة دنيوية أصلًا. واليسير: الهين السهل لايبالى به، ولا أثر له في دفع خير ولا عليه شر. ويحسبون: يتوهمون لجبنهم. والأحزاب: قريش واليهود وغطفان وقيس عيلان، جمع حزب. والأعراب: مفرده أعرابي. وهو من يقيم في البادية من العرب. ويسألون: يستخبرون. والأنباء: جمع نبأ. وكانوا فيكم أي: بقوا معكم يوم الخندق.

(٣) لكم: الخطاب للمؤمنين. والإسوة: ما يؤتَسى به ويقتدى. وهذا الاقتداء واجب في أحكام الدين، ومستحب في أمور الدنيا. وبضمها يريد القراءة «أُسوةٌ». والحسنة: الصالحة من حقها أن تقلّد. و«اقتداء» تفسير ل «إسوة». وبدل: يعني أن «لمن» بدل من «لكم». وذكرَه: ردّد اسمه ووعْده الجميل. ورأوها: أبصروها عِيانًا. وهذا: إشارة إلى الخطب بمجيء العدو وحصاره. ووعدَنا: بلّغَنا إياه وأعلمَناه. وفي هذا تفصيل لما ذكر في الآية ١٠ من ظن المؤمنين. والابتلاء والنصر في الآية ٢١٤ من سورة البقرة. ووعدُ الرسول: إعلامهم، حين حفر الخندق، أن الأحزاب سيحضرون ويشتد بهم الأمر. وصدق أي: ظهر صدق خبره. وتكرار لفظ الجلالة والرسول إقامة للاسم الظاهر مَقام المضمر للتعظيم وتثبيت الإيمان. وزاده: أضاف إليه. وذلك أي: الخطب. وبوعد الله أي: بما وعد من النصر. والتسليم: التفويض والتوكل بإخلاص.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

١- ﴿**مِنَ المُؤمِنِينَ رِجالٌ، صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه**﴾، من الثبات مع النبيّ، ﴿**فمِنهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ**﴾: ماتَ أو قُتل في سبيل الله، ﴿**ومِنهُم مَن يَنتَظِرُ**﴾ ذلك، ﴿**وما بَدَّلُوا تَبدِيلًا**﴾ ٢٣ في العهد - وهم بخلاف حال المنافقين - ﴿**لِيَجزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدقِهِم ويُعَذِّبَ المُنافِقِينَ، إن شاءَ**﴾ بأن يُميتَهم على نِفاقهم، ﴿**أو يَتُوبَ عليهِم. إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا**﴾ لمن تاب، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٢٤ به.

٢- ﴿**ورَدَّ اللهُ الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: الأحزابَ ﴿**بِغَيظِهِم، لَم يَنالُوا خَيرًا**﴾: مُرادَهم من الظفر بالمؤمنين، ﴿**وكَفَى اللهُ المؤمنِينَ القِتالَ**﴾ بالريح والملائكة - ﴿**وكانَ اللهُ قَوِيًّا**﴾ على إيجاد ما يُريده، ﴿**عَزِيزًا**﴾ ٢٥: غالبًا على أمره - ﴿**وأنزَلَ الّذِينَ ظاهَرُوهُم، مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ أي: قُريظةَ، ﴿**مِن صَياصِيهِم**﴾: حصونهم جمع صِيصِية، وهو ما يُتحصَّن به، ﴿**وقَذَفَ في قُلُوبِهِمِ الرُّعبَ**﴾: الخوفَ، ﴿**فَرِيقًا تَقتُلُونَ**﴾ منهم - وهم المُقاتِلة - ﴿**وتَأسِرُونَ فَرِيقًا**﴾ ٢٦ منهم أي: الذراريَّ، ﴿**وأورَثَكُم أرضَهُم ودِيارَهُم وأموالَهُم، وأرضًا لَم تَطَؤُوها**﴾ بعدُ. وهي خَيبر أُخذتْ بعد قُريظة. ﴿**وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا**﴾ ٢٧.

٣- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لِأزواجِكَ**﴾ وهُنَّ تِسع، وطلبنَ منه من زينة الدنيا ما ليس عِندَه: ﴿**إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَها فتَعالَينَ، أُمَتِّعكُنَّ**﴾ أي: مُتعةَ الطلاق، ﴿**وأُسَرِّحكُنَّ سَراحًا جَمِيلًا**﴾ ٢٨: أُطلّقْكنَّ مِن غير ضِرار، ﴿**وإن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورَسُولَهُ والدّارَ الآخِرةَ**﴾ أي: الجنّة ﴿**فإنَّ اللهَ أعَدَّ لِلمُحسِناتِ مِنكُنَّ**﴾، بإرادة الآخرة، ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ ٢٩ أي: الجنّة. فاختَرْنَ الآخرة على الدنيا.

٤- ﴿**يا نِساءَ النَّبِيِّ، مَن يأتِ مِنكُنَّ بِفاحِشةٍ مُبَيَّنةٍ**﴾ - بفتح الياء وكسرها - أي: بُيِّنَتْ أو هي بيِّنة ﴿**يُضاعَفْ**﴾، وفي قراءة: «**يُضعَّفْ**» بالتشديد،

---

(١) منهم أي: بعضهم. وآمن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وصدقوا: وفَوا وحققوا. وعاهدوا: تعهدوا بيمين موثق. وقد تخلف أنس بن النضر عن غزوة بدر، فأقسم أن يصنع في القريب ما يكفّر به ذلك. ولما تضعضع المسلمون في أُحد اندفع بسلاحه على المشركين، حتى استُشهد. والآيتان نزلتا فيه وفيمن قُتل في أُحد والخندق. انظر الأحاديث ٢٦٥١ و٣٨٢٢ و٤٥٠٥ في البخاري و١٩٠٣ في مسلم. وقضاه: أمضاه. والنحب: العهد. وينتظر: يترقب. وما بدلوا: ما غيروا. ويجزي: يكافئ. وإن شاء أي: إن شاء تعذيبهم عذبهم بموتهم على النفاق. ويتوب عليه: يقبل توبته، إن تاب. وكان أي: ولايزال دون قيد زماني. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة.

(٢) ردهم: أبعدهم عنكم. والغيظ: أشد الغضب. وينال: يحصّل. والخير: مافيه نفع. وكفاه: دفع عنه. والقتال: مقاتلة العدو. وذلك أنه لم يكن للكفار بعد الخندق غزو للمسلمين، وقال الرسول ﷺ: «الآنَ نَغزُوهُم ولا يَغزُونَنا». الحديث ٣٨٨٤ في البخاري والمسند ٤:٢٦٢. والقوي: الكامل القدرة لايعجزه شيء. والآيتان ٢٦ و٢٧ في غزوة بني قُريظة. فقد كان هؤلاء جمعوا الأحزاب لغزوة الخندق، ونقضوا عهدهم مع المسلمين، فحاصرهم المسلمون بعد الغزوة في حصونهم ٢٥ ليلة، حتى نزلوا على حكم سعد بن مُعاذ: قتلِ المحاربين - وهم قرابة ٧٠٠ - وسبي الذراري والنساء والأموال، وأن تكون الأرض والثمار للمهاجرين. الأحاديث ٣٨٩١-٣٨٩٦ في البخاري. وأنزلهم: قضى عليهم بالاستسلام. وظاهر: أعان. وأهل الكتاب: اليهود. وقذفه: ألقاه وبثه. والقلوب: جمع قلب، وفيه يكون التدبر والعواطف والشعور. والفريق: الجماعة. والمقاتلة: الطوائف التي حملت السلاح وقاتلت. وتأسرونهم: تجعلونهم أسرى وسبايا. وأورثه: ملّكه الشيء بعد موت صاحبه. والديار: جمع دار. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. ولم تطؤوها: لم تدوسوها. وبعدُ: إلى الآن أي: وقت نزول الآية. وخيبر: بلدة لليهود فيها سبعة حصون، فُتحت عَنوة سنة سبع، بعد منازلةِ قُرابةِ شهر. والأَولى أن المراد بذلك كل ما فُتح بعد ذلك للمسلمين كان وعدًا لهم وبشارة. والقدير: الكامل الاقتدار دون حاجة إلى أحد.

(٣) ظنت نساء النبي ﷺ، بعد فتح قُريظة والنَّضير، أنه اختص بنفائس اليهود، فطالبنه بما يكون لنساء الملوك، فهجرهن شهرًا، حتى نزلت الآيتان، فخيَّرهن بين الرضا بما هنّ فيه وبين الطلاق، فاختارت كل منهن الرضا. الأحاديث ٤٥٠٧ و٤٥٠٨ في البخاري و١٤٧٥ في مسلم. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. وتريد: تطلب. والحياة أي: مافيها من التنعم. والزينة: الزخارف والأبهة. وتعالين: أقبِلن. والمتعة: النفقة. والجميل: الحسن الكريم. ورسوله أي: ماعنده من الخير. والدار الآخرة أي: مافيها من النعيم الأبدي. وأعد: هيأ. والمحسنة: من تفعل الحسنات. والأجر: المكافأة. واخترن أي: اختارت كل منهن وفضلت.

(٤) النساء: واحدته امرأة. ويأتي بها: يفعلها. والفاحشة: المعصية الظاهرة أو النشوز. وبكسرها يريد القراء «مُبَيِّنةٍ». وفي المنحة ص ٥٥٤: «بكسر الباء». وهو خطأ ظاهر. وبيّنة: ظاهرة. وبُينت: بينها الله وأوضح قبحها. ويضاعَفُ ويضعّفُ: يزاد عليه. ومعه أي: مع التشديد للعين. والعذابَ: التعذيب في الدنيا والآخرة. ويسيرًا أي: كان تضعيف العذاب هينًا على الله، إذ ليس كونكنّ نساء النبي مما يدفع عنكنّ العذاب، وليس أمر الله كأمر الخلق، حتى يتعذر عليه تعذيب الأعزّة بسبب كثرة من ينصر ويمنع. ويقنتُ: يدوم على الطاعة. وفيه مراعاة التذكير في لفظ «مَن». وتعمل: تكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. ونؤت: نعط. والأجر: المكافأة. وإنما كان مرتين لأن إحداهن للطاعة والتقوى، والأُخرى لحسن المعاشرة وطلب الرضا. وبالتحتانية يريد القراءة «يَعمَلْ» بمراعاة لفظ «مَن»، و«يُؤتِها» والفاعل ضمير يعود على لفظ الجلالة. وأعتد: هيأ. والرزق: ما يُرزقه المخلوق من المتاع والزينة. والكريم: الحسن الطيب. =

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

الجزء ٢٢ الحزب ٤٣

وفي أُخرى: «نُضعِّفْ» بالنونِ معه ونصبِ «العَذابَ»، ﴿**لَها العَذابُ ضِعفَينِ**﴾: ضِعفي عذاب غيرهنّ، أي مِثلَيه - ﴿**وكانَ ذٰلِكَ على اللهِ يَسِيرًا ٣٠- ومَن يَقنُتْ**﴾: يُطِعْ ﴿**مِنكُنَّ لِلهِ ورَسُولِهِ، وتَعمَلْ صالِحًا، نُؤتِها أجرَها مَرّتَينِ**﴾ أي: مِثلَي ثواب غيرهنّ من النساء - وفي قراءة بالتحتانيّة في «تَعملْ» و«نُؤتِها» - ﴿**وأعتَدْنا لَها رِزقًا كَرِيمًا**﴾ ٣١ في الجنّة زيادةً.

١- ﴿**يا نِساءَ النَّبِيِّ، لَستُنَّ كَأحَدٍ**﴾: كجماعة ﴿**مِنَ النِّساءِ، إنِ اتَّقَيتُنَّ**﴾ الله فإنكنّ أعظم. ﴿**فلا تَخضَعْنَ بِالقَولِ**﴾ للرجال، ﴿**فَيَطمَعَ الَّذِي في قَلبِهِ مَرَضٌ**﴾: نفاق، ﴿**وقُلْنَ قَولًا مَعرُوفًا**﴾ ٣٢ من غير خُضوع، ﴿**وقِرْنَ**﴾، بكسر القاف وفتحها، ﴿**في بُيُوتِكُنَّ**﴾ - من القرار وأصله «اقرِرْنَ» بكسر الراء وفتحها من: قَرِرتُ بفتح الراء وكسرها. نُقلت حركة الراء إلى القاف وحُذفت مع همزة الوصل - ﴿**ولا تَبَرَّجْنَ**﴾، بترك إحدى التاءين من أصله، ﴿**تَبرُّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولَى**﴾ أي: ما قبل الإسلام، من إظهار النساء محاسنَهنّ للرجال - والإظهارُ بعد الإسلام مذكور في آيةِ «ولا يُبدِينَ زِينتَهُنَّ إلّا ما ظَهَرَ مِنها» - ﴿**وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ، وأطِعْنَ اللهَ ورَسُولَهُ - إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ**﴾: الإثمَ، يا ﴿**أهلَ البَيتِ**﴾ أي: نساء النبيّ، ﴿**ويُطَهِّرَكُم**﴾ منه ﴿**تَطهِيرًا ٣٣ - واذكُرْنَ ما يُتلَى في بُيُوتِكُنَّ، مِن آياتِ اللهِ**﴾: القُرآن، ﴿**والحِكْمةِ**﴾: السُّنّة. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ لَطِيفًا**﴾ بأوليائه، ﴿**خَبِيرًا**﴾ ٣٤ بجميع خلقه.

٢- ﴿**إنَّ المُسلِمِينَ والمُسلِماتِ، والمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، والقانِتِينَ والقانِتاتِ**﴾: المُطيعات، ﴿**والصّادِقِينَ والصّادِقاتِ**﴾ في الإيمان، ﴿**والصّابِرِينَ والصّابِراتِ**﴾ على الطاعات، ﴿**والخاشِعِينَ**﴾: المُتواضعين ﴿**والخاشِعاتِ، والمُتَصَدِّقِينَ والمُتَصَدِّقاتِ، والصّائِمِينَ والصّائِماتِ، والحافِظِينَ فُرُوجَهُم والحافِظاتِ**﴾ عن الحرام، ﴿**والذّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا والذّاكِراتِ، أعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرةً**﴾ للمعاصي، ﴿**وأجرًا عَظِيمًا**﴾ ٣٥ على الطاعات.

=وزيادة أي: على أجرها المضاعف.

(١) لستن كأحد أي: ليست كل واحدة منكن كغيرها من نساء الآخرين، فأنتنّ أيضًا لستُنّ كجماعةٍ غيرِكُنّ، بل قدرُكُنّ أفضل. واتقيتُنّه: استمررتن في تجنب سخطه بامتثال الأمر والنهي. وفي هذا تعليل لنفي المساواة الواردة قبل. وأعظم أي: من الجماعة المذكورة. وتخضع بالقول: تليّن الكلام وتخرجه خَنِثًا، كما يهوى ضِعاف الإيمان. ويطمع: يطلب الزيادة ويشتهي الفساد. والقلب: العضو المشهور بين الرئتين. والمعروف: الحسن أوجبه الدين عند الحاجة. وقرن: اثبُتن إن لم تكن ضرورة للذهاب. وبفتحها يريد القراءة «وقَرْنَ». والبيوت: جمع بيت. وحذفت أي: الراء الأولى للتخفيف. وتبرجن: تتزيّنّ وتُظهرنَ ما وجب ستره. والجاهلية: مصدر صناعي يفيد المبالغة في صفة الجهل، والضلال الذي كان عليه الناس. وما قبل الإسلام: الفترة بين النصرانية والإسلام. وبعد الإسلام أي: في الجاهلية الثانية. وآية: يعني الآية ٣١ من سورة النور. وإقامة الصلاة: أداؤها بواجباتها وشروطها وآدابها. وإيتاء الزكاة: إيصال ما يجب على المال من حق مفروض إلى مستحقيه، لتطهير المال وصاحبه. والطاعة: الالتزام بالأمر والنهي. ويريد: يقصد بما مضى من الأمر والنهي. ويُذهب عنكم: يجنّبكم. وتفسيرأهل البيت بنساء النبي لأنهن سبب نزول الآية. والصواب أنه يشمل أيضًا بناته وأزواجهن وأولادهن. ولذلك كان الخطاب هنا بضمير الذكور، تغليبًا لهم على الإناث. ويطهركم: ينزّهكم ويحفظكم. واستعارةُ الرجس للإثم والترشيحُ بالتطهير مراد بهما التنفير. واذكرنه: استحضرنه دائمًا في القلب والقول والعمل. ويتلى: يوحى ويرتل. وكان أي: ولايزال من دون قيد زماني. انظر الآية ٢٤. واللطيف: المحسن في خفاء وستر. والخبير: العليم بالبواطن والخفايا.

(٢) قالت بعض نساء الصحابة للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار. قال: «ومِمَّ ذلكِ»؟ فقالت: لأنهن لايُذكَرن بخير كما ذُكر الرجال. فنزلت الآية تسوي بين الجنسين عند الله. تفاسير الطبري ٢١: ٩ والبحر ٧: ٢٣٢ وفتح القدير ٤: ٣٩٨ والآلوسي ٢٢: ٣١-٣٢، والمسند ٦: ٣٠١ والواحدي ص ٣٧٥ والدر المنثور ٥: ٢٠٠ والحديث ٣٢٠٩ في الترمذي. وفي هذه الآية تدرج في الوصف: بدء بالانقياد الظاهر، فالتصديق القلبي، فما ذُكر من القنوت وغيره، حتى كانت الخاتمة بالمراقبة والإخلاص في ذلك كله. وهي «ذكرًا كثيرًا». والمسلم: من أسلم إلى الله أموره وانقاد للطاعة. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله، وعرف قلبه التوحيد وما يلزم. والصادق الإيمان: من كان إيمانه بقلبه ولسانه وعمله. والصابر: من يتحمل مشاق التكاليف. والمتصدق: الذي ينفق من ماله وجهده ووقته وجاهه وعلمه وما يملك في سبيل الله. والصائم: من يمتنع عما يفطر، في واجب أو مندوب. والحافظ لفرجه: من يصونه ويقيه ويمنعه. والحافظات أي: فروجهن. والحرام: ما حرمه الشرع. وفي الأصل: «عن الحرائم». ع: «من الحرام». والذاكر له: من يستحضر عظمته وجلاله في القلب واللسان والعمل. والذاكرات أي: إياه كثيرًا. وأعد: هيأ ويسر. ولهم: للجامعين هذه الصفات، غُلّب ضمير الذكور على الإناث، كما هو في أساليب العربية. والمغفرة: الستر وعدم المؤاخذة. والأجر: المكافأة. والعظيم: الكبير لامثيل له. وعلى الطاعات أي: وعن المعاصي.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

١- ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ ولا مُؤمِنةٍ، إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُهُ أمرًا، أن تكُونَ﴾ - بالتاء والياء - ﴿لَهُمُ الخِيَرةُ﴾ أي: الاختيارُ ﴿مِن أمرِهِم﴾ خلافَ أمر الله ورسوله - نزلتْ في عبدالله بن جحش وأُخته زينب خطبها النبيّ، وعنَى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما، لظنّهما قبلُ أنّ النبيّ ﷺ خطبها لنفسه، ثمّ رضيا للآية - ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ فقَد ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ ٣٦: بيّنًا. فزوّجها النبيّ لزيد. ثمّ وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حُبّها وفي نفس زيد كراهتُها، ثمّ قال للنبيّ: أريد فِراقها. فقال: «أمسِكْ علَيكَ زَوجَكَ» كما قال تعالى.

٢- ﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿تقُولُ لِلَّذِي أنعَمَ اللهُ علَيهِ﴾ بالإسلام، ﴿وأنعَمتَ علَيهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهليّة، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبنّاه: ﴿أمسِكْ علَيكَ زَوجَكَ، واتَّقِ اللهَ﴾ في أمر طلاقها. ﴿وتُخفِي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ﴾: مُظهرُه من محبّتها، وأنْ لو فارقها زيد تزوّجتَها، ﴿وتَخشَى النّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوّجَ زوجةَ ابنه. ﴿واللهُ أحَقُّ أن تَخشاهُ﴾ في كُلّ شيء ويُزوّجكها، ولا عليك من قول الناس. ثمّ طلّقَها زيد وانقضتْ عِدّتها. قال تعالى: ﴿فلَمّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطَرًا﴾: حاجة ﴿زَوَّجْناكَها﴾ - فدخل عليها النبيّ بغير إذن، وأشبع المسلمين خُبزًا ولحمًا - ﴿لِكَيلا يَكُونَ علَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعِيائِهِم، إذا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا. وكانَ أمرُ اللهِ﴾: مَقضِيُّه ﴿مَفعُولًا﴾ ٣٧.

٣- ﴿ما كانَ علَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيما فَرَضَ﴾: أحلّ ﴿اللهُ لَهُ، سُنَّةَ اللهِ﴾ أي: كسُنّة الله - فنُصب بنزع الخافض - ﴿في الَّذِينَ خلَوا مِن قَبلُ﴾ من الأنبياء، أن لا حرج عليهم في ذلك توسعةً لهم في النّكاح - ﴿وكانَ أمرُ اللهِ﴾: فِعله ﴿قَدَرًا مَقدُورًا﴾ ٣٨ مَقضِيًّا - ﴿الَّذِينَ﴾: نعت لِـ «الذين» قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ ويَخشَونَهُ، ولا يَخشَونَ أحَدًا إلّا اللهَ﴾، فلا يخشون قالة الناس فيما أحلّه الله لهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ ٣٩: حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسِبَهم! ﴿ما كانَ مُحَمّدٌ أبا أحَدٍ مِن رِجالِكُم﴾ - فليس أبا زيدٍ أي: والدَه، فلا يحرمُ عليه التزوّج بزوجته زينب - ﴿ولٰكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللهِ، وخاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾. فلا يكون له ابنٌ رجل بعده يكون نبيًّا. وفي قراءة بفتح التاء كآلة الخَتم، أي: به خُتموا. ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ ٤٠، منه أنْ لا نبيَّ بعده. وإذا نزل السيّد عِيسَى يحكمُ بشريعته.

٤- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا اللهَ ذِكرًا كَثِيرًا﴾ ٤١، أي: اذكروه في جميع الأحوال، ﴿وسَبِّحُوهُ بُكْرةً وأصِيلًا﴾ ٤٢: أوّل النهار وآخِره. ﴿هُوَ

(١) ما كان: ما صح وحرم. وقضى: أوجب. والأمر: الحكم. وبالياء يريد القراءة «يَكُونَ». وأمرهم: شأنهم. وأمر الله: يعني أن زواج زيد لزينب أمر من الله، لحكمة تشريعية. وعنى: قصد أنّ الخِطبة. وعلما أي: أن الخِطبة لزيد. وقبلُ أي: قبلَ علمهما ذلك. ورضيا للآية أي: رضيا بالخِطبة والزواج لما نزلت الآية، وجعلا الأمر بيد الرسول ﷺ. فقد كانت زينب بيضاء اللون وزيد أسوده، فقالت قبل نزول الآية: أنا خير منه حسبًا. أنا بنت عمتك - يارسول الله - فلا أرضاه لنفسي. ثم قالت: لستُ بناكحة. فقال: «بَلَى فانكِحِيهِ. فقَد رَضِيتُهُ لَكِ» فأبت، فنزلت الآية. تفسير الطبري ٢١:٩ وفتح القدير ٤:٣٩٩. ويعصيه: يخالف أمره. وضل: سار في الباطل. و«وقع بصره... كراهتها» هذا من قصة خرافية، مع ما سيذكره المحلي من تفسير للإخفاء، افتراها القديس يوحنّى الدمشقي للطعن في عصمة النبي ﷺ. وقد جاء خبر زواج زينب في كتب الصحاح، خاليًا من تلك القصة. انظر الأحاديث ٤٥٠٩ في البخاري و١٤٢٨في مسلم والإسرائيليات في التفسير ص ١٥. فالحق ما روي عن علي بن الحسين، من أن الله أوحى إلى النبي ﷺ ما سيكون من طلاق زيد لزينب، ووجوب تزوجه إياها، لإبطال ما تعارفه الجاهليون من حُرمة تزوج الرجل مطلقةَ ابنِه الدعيّ. (٢) أنعم عليه: أكرمه. والسبي: الأسر في الغزو. وأمسكْها عليك أي: لاتطلقها. والزوج: الزوجة. واتقه: تجنب سخطه في معاشرتها وألزم طاعته. وتخفي: تكتم. والنفس: الضمير والقلب. فلما شكا زيد نشوزها أمره بالإمساك، وهو يعلم أنه سيطلقها حتمًا، كراهة أن يقال: وافقه على الطلاق ليتزوجها هو. هذا الذي أخفى في نفسه مما أعلمه الله، وكان العتاب هو على الإخفاءِ مخافةَ كلامِ المنافقين، وإظهارِ ما ينافي إضماره، لاعلى الإخفاء عامة، لأنه لم يؤمر بتبليغ ما يعلمه من ذلك. و«محبتها» هو من زيادات الخرافة، كما ذكرنا قبل. وتخشاهم: تخاف ادعاءات المنافقين. وأحق: أجدر. ويزوجكها: يجعلها زوجة لك بدون عقد ولا مهر ولا شهود. فهي هدية منه إليك. وقول الناس: ادعاءاتهم الباطلة. وقضى منها وطرًا: لم يبق له فيها حاجة وطلقها. وبغير إذن: دون أن يستأذن للدخول، إذ صارت زوجته بأمر الله. والحرج: الضيق. والأزواج: جمع زوج. وهي الزوجة. والأدعياء: جمع دعيّ. وهو الذي يتبناه غير أبيه. ومفعولًا: محقَّقًا لامرد له. (٣) روي أن اليهود عابوا النبي ﷺ بكثرة الأزواج فنزلت الآية، لأنه كان لداود ١٠٠ امرأة و٣٠٠ سُرّية، ولسليمان ٣٠٠ زوجة و٧٠٠ سُرّية. البحر ٧:٢٣٦. والسُّنّة: الشرع والسبيل المتبع. وخلوا: مضوا. ومن قبل: من قبله. والقدَر: الحكم الثابت، أي: الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه. ويبلغها: يؤديها بأمانة وإخلاص إلى المكلفين. والرسالة: ما يرسل به من العقيدة والشريعة. والقالة: ما يقال. وأحله: جعله حلالًا. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والاقتدار. وعن عائشة أنه لما تزوج النبي ﷺ زينب قال المرجفون: «تزوج حليلة ابنه»، فنزلت الآية تكذبهم. الحديث ٣٢٠٥ في الترمذي. والأب: الوالد الحقيقي. والرجال: جمع رجل. وبزوجته أي: زوجة زيد بعد الطلاق والعِدّة. والخاتِم: الآخِر. وبفتح التاء يريد القراءة «خاتَمَ». والعليم: المبالغ في الإحاطة دائمًا. ومنه أي: ومما أحاط به. وبشريعته أي: بشريعة محمد ﷺ. (٤) روي أنه لما نزلت الآية ٥٦ قال أبو بكر: «يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرًا إلّا أشركَنا فيه». فنزلت=

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

الَّذِي يُصَلِّي عليكُم أي: يرحمُكم، ﴿**ومَلائكتُهُ**﴾ أي: يستغفرون لكم، ﴿**لِيُخرِجَكُم**﴾: ليديم إخراجَه إياكم ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ**﴾ أي: الكُفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾ أي: الإيمان، ﴿**وكانَ بِالمُؤمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣، تَحِيَّتُهُم**﴾ منه - تعالى - ﴿**يَومَ يَلقَونَهُ سَلامٌ**﴾ بلسان الملائكة، ﴿**وأعَدَّ لَهُم أجرًا كَرِيمًا**﴾ ٤٤ هو الجنّة.

١- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، إنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا**﴾ على من أُرسلتَ إليهم، ﴿**ومُبَشِّرًا**﴾ مَن صدّقك بالجنّة، ﴿**ونَذِيرًا**﴾ ٤٥: مُنذرًا من كذّبك بالنار، ﴿**وداعِيًا إلَى اللهِ**﴾: إلى طاعته ﴿**بِإذنِهِ**﴾: بأمره، ﴿**وسِراجًا مُنِيرًا**﴾ ٤٦ أي: مِثلَه في الاهتداء به، ﴿**وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ بِأنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضلًا كَبِيرًا**﴾ ٤٧ هو الجنّة، ﴿**ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ**﴾ فيما يُخالف شريعتك، ﴿**ودَعْ**﴾: اتركْ ﴿**أذاهُم**﴾: لا تُجازِهم عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمر، ﴿**وتَوَكَّلْ علَى اللهِ**﴾ - فهو كافيك - ﴿**وكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا**﴾ ٤٨: مُفوَّضًا إليه!

٢- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا نَكَحتُمُ المُؤمِناتِ، ثُمَّ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ - وفي قراءة: «تُماسُّوهُنَّ» - أي: تُجامعوهنَّ، ﴿**فما لَكُم علَيهِنَّ مِن عِدّةٍ تعتَدُّونَها**﴾: تُحصُونها بالأقراء وغيرها. ﴿**فمَتِّعُوهُنَّ**﴾: أعطوهنّ ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسَمَّ لهنَّ أصدِقةٌ - وإلّا فلهنّ نِصف المُسمَّى فقط. قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ - ﴿**وسَرِّحُوهُنَّ سَراحًا جَمِيلًا**﴾ ٤٩: خلّوا سبيلهنّ من غير إضرار.

٣- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، إنّا أحلَلْنا لَكَ أزواجَكَ اللّاتِي آتَيتَ أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورهنّ، ﴿**وما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أفاءَ اللهُ علَيكَ**﴾، من الكُفّار بالسبي كصَفيّة وجُوَيرية، ﴿**وبَناتِ عَمِّكَ وبَناتِ عَمّاتِكَ، وبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ**﴾، بخِلاف من لم يهاجرن، ﴿**وامرأةً مُؤمِنةً إن وَهَبَتْ نَفسَها لِلنَّبِيِّ، إن أرادَ النَّبِيُّ أن يَستَنكِحَها**﴾: يطلب نِكاحها بغير صَداق، ﴿**خالِصةً لَكَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ**﴾ النِّكاحُ بلفظ الهِبة من غير صَداق - ﴿**قَد عَلِمْنا ما فَرَضْنا علَيهِم**﴾ أي: المؤمنين ﴿**في أزواجِهِم**﴾، من الأحكام

=الآية ٤٣ تبشر المؤمنين بالرحمة العامة. الدر المنثور ٥:٢٠٦. واذكروه أي: بالتمجيد والتسبيح والتهليل. وسبحوه: نزهوه في أسمائه وصفاته وأفعاله عما لايليق به. وبكرة وأصيلًا أي: وما بينهما في الليل والنهار. والظلمة: السواد الدامس يمنع الرؤية والهداية، ويضلَّل من فيه. والنور: عكسها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة. والتحية: ما يُحيّا به من الدعاء. واليوم: الوقت. ويلقونه: يصادفهم قضاؤه بالموت والبعث ودخول الجنة. وسلام أي: إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة، وسعادة بالخير العميم. وأعد: هيأ ويسر. والأجر: الثواب والمكافأة. والكريم: الحسن يَفضل ما عداه.

(١) أرسلناك: بعثناك بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والشاهد: من يقول ما يعلمه يقينًا يوم القيامة. والمبشر: المبلّغ بالسعادة. والنذير: المهدّد. والداعي: من يحض. والسراج: الشمس. والمنير: الذي ينشر النور لتبديد الظلام. وفي لباب النقول أنه لما نزلت الآية ٢ من سورة الفتح قال بعض المؤمنين: هنيئًا لك، يارسول الله. قد علمنا ما يُفعلُ بك. فماذا يُفعلُ بنا؟ فنزلت الآية ٤٧. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ومن الله: من عنده وبأمره. والفضل: التفضل بالمزيد من الخير. والكبير: العظيم لامثيل له. ولاتطعهم: لاتوافقهم. فقد كانوا يطلبون منه ما هو غش ومكايد. والكافر: من كذب الله ورسوله. والمنافق: من ادعى الإيمان بلسانه دون قلبه. وأذاهم: ما يقولونه ويفعلونه، من التكذيب والكيد. وتوكل عليه أي: دم على تفويض أمرك إليه وحده. وكفى: انظر الآية ٣٩.

(٢) نكحتم: عقدتم عقد النكاح. وطلقتموهن: حلّلتموهن من قيد النكاح. والعِدّة: المدة المحددة شرعًا تقضيها المرأة دون زواج لاستبراء الرحم من الحمل. والأقراء: جمع قُرء. وهو الطهر من الحيض. وغيرها أي: الأشهر والأيام في عِدة من لا تحيض. وما يستمتعن به هو نفقة الطلاق، من تكلفة الطعام والشراب وغيرهما. والأصدقة: جمع صَداق. وهو المهر. و«إلّا» أي: إن كان لهن مهر مسمى. والجميل: الحسن الكريم.

(٣) في لباب النقول أن النبي ﷺ أراد أن يتزوج أم هانئ بنت أبي طالب، فنُهي عنها بالآية هذه، لأنها لم تكن من المهاجرات، وأن غُزيّة بنت جابر الدَّوسية عرضت نفسها عليه للزواج، فعابت عائشة عليها ذلك، فجاءت الآية بالإباحة. وأحللناها: جعلنا نكاحها مباحًا وعليه أجر. والأزواج: الزوجات. وآتيت أي: أعطيتهن أو سميت لهن في عقد. والمهور أي: المعيَّنة. والمراد ماكان في عصمته، من الزوجات ما عدا زينب، لأن زواجها كان بأمر من الله. وملكتْ يمينك: ملكتَها فكانت أمة لك. وأفاءه: جعله غنيمة. وصفية هي من سبي خيبر، بنت حُييّ بن أخطب اليهوديّ من بني النَّضير. وجُويرية بنت الحارث الخُزاعي من سبي بني المصطلق. والعم والخال أي: الأعمام والأخوال. وهاجر: ترك بلده وقومه هربًا بدينه، ليقيم في المدينة المنورة. والمعيّة هنا مراد بها الاشتراك في الهجرة، لافي الصحبة فيها، أي: من كان لها هجرة إلى المدينة. أحكام القرآن ص ١٥٥٦. ووهبت نفسها: عرضت نفسها للنكاح دون مهر. وللنبي والنبي: فيهما عدول عن ضمير الخطاب إلى الاسم الصريح، للإيذان أن ذلك مما خُص به، تكرمة لأجل النبوة. وأراد: رضي. والصحيح أن عدّة مؤمنات عرضتْ كلٌّ نفسها أو ابنتها، ولكن النبي لم يقبل واحدة منهن، وإن كان ذلك قد أبيح له. فتح الباري ٨:٦٧٤-٦٧٥ وأحكام القرآن ص ١٥٥٨. وخالصة أي: خلوصًا وخصوصًا. والنكاح أي: نكاحها خاص لك. وفرض: أوجب. والغفور: الكثير الصفح. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان.

۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

ربع الحزب ٤٣

ألّا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوّجوا إلّا بوليّ وشهود ومَهر، ﴿**و**﴾ فيـ ﴿**ـما مَلَكَتْ أيمانُهُم**﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممّن تحلّ لمالكها كالكتابيّة بخلاف المجوسيّة والوثنيّة، وأن تُستبرأ قبل الوطء - ﴿**لِكَيلا**﴾: مُتعلّق بما قبلَ ذلك ﴿**يَكُونَ عليكَ حَرَجٌ**﴾: ضِيق في النّكاح. ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا**﴾ لما يَعسرُ التحرز عنه، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٥٠ بالتوسعة في ذلك.

١- ﴿**تُرجِئُ**﴾، بالهمزِ والياءِ بَدَلَه: تُؤخّرُ ﴿**مَن تَشاءُ مِنهُنَّ**﴾ أي: أزواجِك عن نَوبتها، ﴿**وتُؤوِي**﴾: تضمّ ﴿**إليكَ مَن تَشاءُ**﴾ منهنّ فتأتيها، ﴿**ومَنِ ابتَغَيتَ**﴾: طلبتَ، ﴿**مِمَّن عَزَلتَ**﴾ من القِسمة، ﴿**فلا جُناحَ عليكَ**﴾ في طلبها وضمّها إليك. خُيِّر في ذلك بعد أن كان القَسْمُ واجبًا عليه. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ التخيير ﴿**أدنى**﴾: أقربُ إلى ﴿**أن تَقَرَّ أعيُنُهُنَّ ولا يَحزَنَّ، ويَرضَينَ بما آتَيتَهُنَّ**﴾ ما ذُكر، المُخيَّرَ فيه، ﴿**كُلُّهُنَّ**﴾: تأكيدٌ للفاعل في «يَرضَينَ». ﴿**واللهُ يَعلَمُ ما في قُلُوبِكُم**﴾، من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ - وإنّما خيَّرناك فيهنّ تيسيرًا عليك، في كُلّ ما أردتَ - ﴿**وكانَ اللهُ عَلِيمًا**﴾ بخلقه، ﴿**حَلِيمًا**﴾ ٥١ عن عقابهم.

٢- ﴿**لا تَحِلُّ**﴾، بالتاء والياءِ، ﴿**لَكَ النِّساءُ مِن بَعدُ**﴾: بعدِ التّسع التي اختَرْنك، ﴿**ولا أن تَبَدَّلَ**﴾ - بترك إحدى التاءين في الأصل - ﴿**بِهِنَّ مِن أزواجٍ**﴾، بأن تُطلّقهنّ أو بعضهنّ، وتنكح بدل مَن طلّقتَ، ﴿**ولو أعجبَكَ حُسنُهُنَّ، إلّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ من الإماء فتحِلّ لك. وقد ملكَ بعدهنّ ماريةَ، وولدتْ له إبراهيمَ، ومات في حياته. ﴿**وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيبًا**﴾ ٥٢: حفيظًا.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلّا أن يُؤذَنَ لَكُم**﴾ في الدُّخول، بالدُّعاء ﴿**إلَى طَعام**﴾ فتدخلوا ﴿**غَيرَ ناظِرِينَ**﴾: منتظرين ﴿**إناهُ**﴾: نُضجَه، مصدر: أَنَى يأنِي - ﴿**ولٰكِن إذا دُعِيتُم فادخُلُوا، فإذا طَعِمتُم فانتَشِرُوا - ولا**﴾ تمكثوا ﴿**مُستأنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ من بعضكم لبعض. ﴿**إنَّ ذٰلِكُم**﴾ المكثَ ﴿**كانَ يُؤذِي النَّبِيَّ، فيَستَحيِي مِنكُم**﴾ أن يُخرجكم، ﴿**واللهُ لا يَستَحيِي مِنَ الحَقِّ**﴾ أن يُخرجكم، أي: لا يتركُ بيانه. وقُرئ: «يَستَحِي» بياء واحدة.

٤- ﴿**وإذا سأَلتُمُوهُنَّ**﴾ أي: أزواجَ النبيّ ﴿**مَتاعًا فاسألُوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ**﴾: سِتر - ﴿**ذٰلِكُم أطهَرُ لِقُلُوبِكُم وقُلُوبِهِنَّ**﴾ من الخواطر المُريبة.

---

(١) في الآية توسعة على النبي ﷺ في قسمة المبيت بين زوجاته، يعتزل من شاء منهن ويبيت عند من شاء. ومع هذا فقد بقي يلازم العدل بينهن. يُنظر الحديثان ٤٥١١ في البخاري و١٤٧٦ في مسلم. وبالياء يريد القراءة «تُرجِيْ». والمراد أن اللفظ هو بالياء بدلًا من لفظ الهمز. وتشاء: تريد إرجاءها. ونوبتها: نصيبها في قسمة المبيت. وتشاء: تريد إيواءها. وطلبت أي: ردَّها إلى المبيت معها. وعزلت: أبعدت. والجناح: الضيق. والقسم: العدل في قسمة المبيت بينهن. وتقر: تبرد وتطمئن. والأعين: جمع عين. وقرور العين كناية عن طُمأنينة النفس. ولايحزنَّ: لايصيبهن غم. ويرضين به: يقبلنه ويرتحن إليه. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والحليم: العظيم الصفح. (٢) لا تحل النساء أي: يكون نكاحهن حرامًا. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وبالياء يريد القراءة «لا يَحِلُّ». وتبدل بها: تتخذ عوضًا منها. وبترك إحدى التاءين أي: بحذفها. والأزواج: الزوجات. وأعجبك: عظم في نفسك. والحسن: الجمال. وملكت يمينك: ملكتَ أنت بسبي أو شراء أو هبة. وبعدهن أي: بعد زوجاته التسع وما كان عنده من الإماء. ومارية هي القبطية التي أهداها إليه المقوقِس ملك مصر. وفي حياته أي: في حياة النبي. وكان: انظر الآية ٢٧. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. (٣) عن أنس أنه لما أهديت زينب إلى الرسول ﷺ زوجةً دعا الناس إلى وليمة، فكانوا يأكلون وينصرفون، إلّا ثلاثة أطالوا الجلوس والحديث بينهم. وكان بعض الناس يتحينون طعام النبي، فيدخلون بيوته دون دعوة، وقد يكون دخولهم قبل نضجه، ينتظرون ثم يأكلون، فقال عمر: «يارسول الله، يدخل عليك البَرُّ والفاجر. فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب». فنزلت هذه الآية. الأحاديث ٤٥١٢-٤٥١٦ في البخاري و١٤٢٨ في مسلم. والبيوت: جمع بيت. ويؤذنُ: يباح. وإذا كان الدخول للطعام مشروطًا بالإذن فالدخول لغيره أولى بذلك. البحر ٧:٢٤٦. ودعيتم: طلب منكم الحضور. وطعمتم: تناولتم الطعام أو الشراب. وانتشروا: اخرجوا لشؤونكم. والمستأنس: المتسمع بملاطفة. والحديث: مايلقى من الكلام. ويؤذيه: يؤلمه. ويستحيي: يخجل. ولايستحيي: لايمتنع. عُبِّرَ بالاستحياء مجانسة لما قبله. والحق: ما يجب ولا يجوز إغفاله. وبياء واحدة أي: بحذف الأولى للتخفيف، بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها. وهذا ثابت في الموضعين. انظر البحر ٧:٢٤٧ والبيضاوي ص ٤٢٦. (٤) سألتموهن أي: أردتم الطلب منهن. والمتاع: ما يستعان به في حوائج الدين والدنيا. واسألوهن: اطلبوا ذلك المتاع منهن. وذلكم: ما ذكر من الدخول بإذن، وعدم الانتظار، والسؤال من وراء حجاب. وأطهر: أحصن وأبعد للتهمة وأنفى للريبة. وما كان أي: ما صح ولا استقام. وتنكح: تتزوج. وذلكم أي: إيذاؤه ونكاح إحدى زوجاته. وعنده: في حكمه وشرعه. والعظيم: الكبير جدًا لامثيل له. وروي أن أحد سادات قريش قال: «لئن مات محمد ﷺ لأتزوجنَّ عائشة». فنزل آخر الآية ٥٣ والآية ٥٤. الدر المنثور ٥:٢١٤-٢١٥. وتبدونه: تظهرونه. وتخفونه: تكتمونه في أنفسكم. ونكاحهن: أو غير ذلك من خير أو شر. والعليم: انظر آخر الآية ٤٠. والجناح: الإثم. انظر سبب النزول في المفصل. وفي آبائهن أي: في إظهار الزينة وعدم الاحتجاب أمامهم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والأبناء: جمع=

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿**وما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ**﴾ بشيء، ﴿**ولا أن تَنكِحُوا أزواجَهُ مِن بَعدِهِ أبَدًا. إنَّ ذلِكُم كانَ عِندَ اللهِ**﴾ ذنبًا ﴿**عَظِيمًا**﴾ ٥٣. ﴿**إن تُبدُوا شَيئًا أو تُخفُوهُ**﴾، من نِكاحهنّ بعده، ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا**﴾ ٥٤، فيُجازيكم عليه - ﴿**لا جُناحَ عليهِنَّ في آبائهِنَّ ولا أبنائهِنَّ ولا إخوانِهِنَّ، ولا أبناءِ إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ أخَواتِهِنَّ، ولا نِسائهِنَّ**﴾ أي: المُؤمنات، ﴿**ولا ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ**﴾ من الإماء والعبيد، أن يروهنّ ويكلّموهنّ من غير حجاب، ﴿**واتَّقِينَ اللهَ**﴾ فيما أُمرتنّ به. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا**﴾ ٥٥ لا يخفى عليه شيء.

١ - ﴿**إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ**﴾ مُحمّد. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عليهِ وسَلِّمُوا تَسليمًا**﴾ ٥٦ أي: قولوا: اللّهمَّ صلِّ على مُحمّد وسَلِّمْ. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُؤذُونَ اللهَ ورَسُولَهُ**﴾ وهم الكُفّار، يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشريك ويُكذّبون رسوله، ﴿**لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ**﴾: أبعدَهم ﴿**وأعَدَّ لَهُم عَذابًا مُهِينًا**﴾ ٥٧: ذا إهانة. وهو النار.

نصف الحزب ٤٣

٢ - ﴿**والَّذِينَ يُؤذُونَ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ بِغَيرِ ما اكتَسَبُوا**﴾: يرمونهم بغير ما عملوا ﴿**فقَدِ احتَمَلُوا بُهتانًا**﴾: تحمّلوا كذبًا، ﴿**وإثمًا مُبِينًا**﴾ ٥٨: بيّنًا. ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لأزواجِكَ وبَناتِكَ ونساءِ المُؤمِنِينَ: يُدنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ**﴾: جمع جِلباب - وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة - أي: يُرخين بعضها على الوجوه، إذا خرجن لحاجتهنّ، إلّا عينًا واحدة. ﴿**ذلِكَ أدنَى**﴾: أقربُ إلى ﴿**أن يُعرَفْنَ**﴾ بأنهنّ حرائر، ﴿**فلا يُؤذَينَ**﴾ بالتعرّض لهنّ، بخِلاف الإماء فلا يُغطِّين وجوههنّ، فكان المنافقون يتعرضون لهنّ. ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا**﴾ لما سلف منهنّ من ترك السَّتر، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٥٩ بهنّ إذ ستَرهنّ.

٣- ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**لَم يَنتَهِ المُنافِقُونَ**﴾ عن نِفاقهم، ﴿**والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾ بالزنى، ﴿**والمُرجِفُونَ في المَدِينةِ**﴾ المؤمنين بقولهم: «قد أتاكم العدوّ، وسراياكم قُتِلوا أو هُزِموا»، ﴿**لَنُغرِيَنَّكَ بِهِم**﴾: لنُسلّطنّك عليهم، ﴿**ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ**﴾: يُساكنونك ﴿**فِيها إلّا قَلِيلًا**﴾ ٦٠، ثمّ يخرجون ﴿**مَلعُونِينَ**﴾: مُبعَدِين عن الرحمة، ﴿**أينَما ثُقِفُوا**﴾: وُجدوا ﴿**أُخِذُوا، وقُتِّلُوا تَقتِيلًا**﴾ ٦١ أي: الحكمُ فيهم هذا على جهة الأمر به، ﴿**سُنَّةَ اللهِ**﴾ أي: سنَّ الله ذلك ﴿**في الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ**﴾، من الأُمم الماضية، في مُنافقهيم المُرجفين المؤمنين، ﴿**ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلًا**﴾ ٦٢ منه.

=ابن. ويطلق على الولد والحفيد. والإخوان: جمع أخ. والأخوات: جمع أخت. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدتها امرأة. وما ملكت أيمانهن أي: ما ملكْنَه وكان لهن حق التصرف فيه. والأيمان: جمع يمين، أي اليد اليمنى. واتقينه: تجنبْنَ سخطه وعقابه واطلبن الرضا بالامتثال للأمر والنهي. والشهيد: المطلع غاية الاطلاع.

(١) عن ابن عباس أن الآية ٥٧ نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ، حين أخذ صفية بنت حُيَيّ زوجة له. الدر المنثور ٥: ٢٢٠. وهي مع هذا تعم من ذُكر في التفسير. والصلاة من الله رحمة ورضوان وثناء وإعلاء للمقام، ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الأمة دعاء وتعظيم. وانظر الآية ٤٣. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود والمستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والتسليم: الدعاء بالسلامة من كل مكروه. ويؤذونه: يفعلون ما يكره من كفر وشرك وعصيان. والكفار: اليهود والنصارى والمشركون والملحدون. والدنيا: الحياة الأقرب إليهم وهم فيها. وأبعدهم: طردهم من رحمته. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وأعد: خلق. والعذاب: التعذيب. **(٢)** كانت النساء المؤمنات يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، فيتعرض لهن المنافقون والزناة ويؤذونهن بالكلام والاتّباع، فشكا أزواجهنّ ذلك إلى النبي ﷺ، وكان عمر بن الخطاب قد ضرب جارية لتبرجها، فآذاه أهلها، فنزلت الآيتان بالوعيد للمنافقين، والتصون للمؤمنات الحرائر تميُّزًا عن مواقع الإيذاء، وتيسيرًا للأمر على غيرهن. الواحدي ص ٣٨٢-٣٨٣. وانظر الحديثين ٤٥١٧ في البخاري و٢١٧٠ في مسلم. ويرمونهم: يتهمونهم ظلمًا وعدوانًا. والإثم: الذنب الذي يستحق العقاب. والملاءة: المِلحفة وكل ما تستر به المرأة نفسها من كساء فوق اللباس. وتشتمل: تتغطى وتستتر. وستر الوجه غير المزيَّن بما عدا الكحل فيه خلاف. انظر تفسير الآية ٣١ من سورة النور. وذلك أي: ما ذكر من التستر. ويُعرفن: يُميَّزن من الإماء والمُريبات. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. وسلف: وقع فيما مضى. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والعون. **(٣)** ينتهي: يكف ويرتدع. والمنافق: من أظهر الإيمان بلسانه دون قلبه، فهو يؤذي المؤمنين سرًّا. والمرض: ضعف الإيمان وتسلط الشهوة، فيكون الإيذاء بالتعرض لنساء المسلمين. والمرجف: من يثير الفتن ويختلق الأكاذيب لإضعاف المسلمين. والمدينة: البلدة المنورة. والمؤمنين: مفعول به لِـ «المرجفون». والقليل: الوقت اليسير. وأخذوا: أسروا واعتقلوا. وقتلوا: أزهقت أرواحهم بالسلاح. والأمر: يعني أن الجملة الشرطية خبرية بمعنى الأمر للمبالغة، أي: خذوهم واقتلوهم حيث ظفرتم بهم. والسُّنّة: طريقة الحِكمة. وذلك أي: تقتيل المنافقين وأمثالهم. وفي الأصل: «سنّ الله هذا». وخلوا: مضوا وماتوا. وقبل: قبلك. وتجد: ترى. والتبديل: التغيير والتحويل. ومنه يعني: من الله، أي: لايبدل سنته لأنها مبنية على أساس الحكمة التي توجه التشريع، وليست كالأحكام التي تبدل أو تنسخ.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

١- ﴿**يسألُكَ النّاسُ**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**عَنِ السّاعةِ**﴾: متى تكون؟ ﴿**قُلْ: إنّما عِلمُها عِندَ اللهِ. وما يُدريكَ**﴾: يُعلمك بها؟ أي: أنت لا تعلمها. ﴿**لَعَلَّ السّاعةَ تكُونُ**﴾: تُوجد ﴿**قَريبًا**﴾ ٦٣. ﴿**إنَّ اللهَ لَعَنَ الكافِرينَ**﴾: أبعدهم، ﴿**وأعَدَّ لَهُم سَعِيرًا**﴾ ٦٤ نارًا شديدة يدخلونها، ﴿**خالِدِينَ**﴾: مُقدَّرًا خُلودُهم ﴿**فيها أبَدًا، لا يَجِدُونَ وَلِيًّا**﴾: يحفظهم عنها، ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ ٦٥: يدفعها عنهم، ﴿**يَومَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم في النّارِ، يَقُولُونَ: يا**﴾: للتنبيه ﴿**لَيتَنا أطَعْنا اللهَ وأطَعْنا الرَّسُولَ**﴾ ٦٦.

٢- ﴿**وقالُوا**﴾ أي: الأتباعُ منهم: ﴿**رَبَّنا، إنّا أطَعْنا سادتَنا**﴾ - وفي قراءة: «ساداتِنا» جمع الجمع - ﴿**وكُبَراءَنا، فأضَلُّونا السَّبِيلَ**﴾ ٦٧: طريق الهُدى. ﴿**رَبَّنا، آتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ**﴾ أي: مِثلَي عذابِنا، ﴿**والعَنْهُم**﴾: عذّبهم ﴿**لَعنًا كَثِيرًا**﴾ ٦٨ عددُه. وفي قراءة بالموحدة أي: عظيمًا.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا**﴾ مع نبيّكم ﴿**كالَّذِينَ آذَوا مُوسَى**﴾ بقولهم مثلًا: «ما يمنعه أن يغتسل معنا إلّا أنه آدَرُ»، ﴿**فبَرّأَهُ اللهُ مِمّا قالُوا**﴾، بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرّ الحجر به حتّى وقف بين ملأٍ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأَوه ولا أُدرةَ به - وهي نُفخة في الخُصية - ﴿**وكانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا**﴾ ٦٩: ذا جاه. وممّا أُوذي به نبيّنا أنه قسم قَسمًا، فقال رجل: هذه قِسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله، تعالى. فغضب النبيّ من ذلك، وقال: «يَرحَمُ اللهُ مُوسَى. لَقَد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هٰذا فصَبَرَ». رواه البخاريّ. ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَولًا سَدِيدًا**﴾ ٧٠: صوابًا، ﴿**يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم**﴾: يتقبّلْها، ﴿**ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فقَد فازَ فَوزًا عَظِيمًا**﴾ ٧١: نال غاية مطلوبه.

٤- ﴿**إنّا عَرَضْنا الأمانةَ**﴾: الصلواتِ وغيرَها، بما في فِعلِها من الثواب وتركِها من العِقاب، ﴿**علَى السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ**﴾، بأن خَلقَ فيها فهمًا ونُطقًا، ﴿**فأبَينَ أن يَحمِلْنَها وأشفَقْنَ**﴾: خِفنَ ﴿**مِنها، وحَمَلَها الإنسانُ**﴾ آدمُ بعد عرضها عليه - ﴿**إنَّهُ كانَ ظَلُومًا**﴾ لنفسه بما حمله، ﴿**جَهُولًا**﴾ ٧٢ به - ﴿**لِيُعَذِّبَ اللهُ**﴾، اللام: مُتعلّقة بـ «عَرَضْنا» المُترتِّبِ عليه حملُ آدم، ﴿**المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشرِكِينَ والمُشرِكاتِ**﴾ المُضيّعين الأمانةَ، ﴿**ويَتُوبَ اللهُ علَى المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ**﴾ المُؤدّين الأمانةَ. ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا**﴾ للمؤمنين، ﴿**رَحِيمًا**﴾ ٧٣ بهم.

---

(١) يسأل: يطلب الجواب. والناس: من في المدينة وما حولها من الكفار واليهود. انظر «المفصل». والساعة: وقت قيام الناس بالبعث للحساب والجزاء. وعلمها أي: علم وقت حصولها. وعند الله أي: متفرد به لايطلع عليه أحدًا. وأبعدهم أي: عن رحمته. وأعد: هيأ. وفيها: في السعير، لأنها بمعنى النار. والأبد: الزمن كله. ويجد: يرى. والولي: من يتولى أمور غيره ويرعاها. والنصير: المنقذ. وتقلب: تحرّك كاللحم يشوى. والوجوه: جمع وجه. وأطعنا الرسول: امتثلنا أمره ونهيه. وفيما عدا الأصل والنسخ: «الرَّسُولا» بالألف. انظر الآية ١٠. وما في الأصل والنسخ هو رسمٌ للقراءة التي اختارها المحلي.

(٢) منهم: من الكافرين. والسادة: جع سائد، الرؤساء المستبدون. والكبراء: جمع كبير، القُواد الذين لقنوهم الكفر. وأضلونا السبيل: صرفونا عنه إلى الكفر. وفيما عدا الأصل والنسخ: «السَّبِيلا» بألف أيضًا. انظر آخر الآية ٦٦. وآتهم: أعطهم. والعنهم أي: لاترحمهم. والموحدة: الباء. يريد القراءة «كَبِيرًا».

(٣) تكونوا: تصيروا. وآذوه: سببوا له ما يحزنه بالقول والفعل. والآدر: من كان في خُصيته انتفاخ. ففي الحديث ٣٢٢٣ من البخاري أنهم ذكروا العيب في جلده، من برص أو أُدرة أو آفة، كما اتهموه بالزنى والكذب والسحر والجنون وغير ذلك. ومعنا: يعني أنهم كانوا يغتسلون عُراة بعضهم مع بعض. وبرأه: أظهر براءته. وفرّ الحجر به أي: اندفع مع الثوب بماء النهر. وعند الله: في حكمه وفي المنزلة المقربة. والآيتان ٧٠ و٧١ تعمان أيضًا ما كان من قول في زواج النبي بزينب. والبخاري: يعني الحديث ٥٩٧٧ في صحيحه. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بامتثال الأمر والنهي. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أوفعل. ويغفر: يستر ولايعاقب. والذنوب: جمع ذنب. وفاز: ظفر بما يريد. والعظيم: الذي لامثيل له في القدر.

(٤) العرض ههنا تقدير وتقريب، أي: أن هذه الأجرام لو خلقت جائزًا تكليفُها وتخييرها لثقل عليها تحمل الشرائع، وعجَزت عنه. الفتح القدير ٤: ٤٣٥. وغيرها أي: التكاليف الشرعية، جعلت أمانة من حيث وجوبُ أدائها. والسماء: ما يحيط بالأرض من الأجرام العُلوية. والجبال: جمع جبل. وأبى: امتنع وقصر. ويحمل: يكلف ويلزم. والظلوم: الكثير الإتعاب والإرهاق. والجهول: الكثير الطيش والاغترار. وبه أي: بقدر ماحمله. والمترتب عليه: المتسبب عنه. والمنافق: من أظهر الإيمان بلسانه دون قلبه. والمشرك: من يجعل مع الله بعض خلقه شريكًا في الألوهية والطاعة. ويتوب عليه: يوفقه للتوبة ويقبلها منه. والغفور: الكثير العفو. والرحيم: الكثير العطف بالعصمة والإحسان.

سُورَةُ سَبَإٍ ترتيبها ٣٤ آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ

١- مكية إلّا «ويرى الذين أوتوا العلم» الآية فمدنية، وهي أربع أو خمس وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿**الحَمدُ لِلهِ**﴾ حَمدُ تعالى نفسَه بذلك المُرادُ به الثناءُ بمضمونه، من ثُبوتِ الحمد - وهو الوصف بالجميل - لله ﴿**الَّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا، ﴿**ولَهُ الحَمدُ في الآخِرةِ**﴾ كالدنيا، يحمده أَولياؤه إذا دخلوا الجنّة، ﴿**وهْوَ الحَكِيمُ**﴾ في فِعله، ﴿**الخَبِيرُ**﴾ ١ بخلقه، ﴿**يَعلَمُ ما يَلِجُ**﴾: يدخل ﴿**في الأرضِ**﴾ كماء وغيره، ﴿**وما يَخرُجُ مِنها**﴾ كنبات وغيره، ﴿**وما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ**﴾ من رِزق وغيره، ﴿**وما يَعرُجُ**﴾: يصعد ﴿**فِيها**﴾ من عمل وغيره، ﴿**وهْوَ الرَّحِيمُ**﴾ بأَوليائه، ﴿**الغَفُورُ**﴾ ٢ لهم.

٣- ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تأتِينا السّاعةُ**﴾: القِيامة. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**بَلَى، ورَبِّي لَتأتِيَنَّكُم، عالِمِ الغَيبِ**﴾ - بالجرّ: صفةٌ، والرفع: خبرَ مبتدأ. و«عَلّامِ» - بالجرّ - ﴿**لا يَعزُبُ**﴾: يغيب ﴿**عَنهُ مِثقالُ**﴾: وزنُ ﴿**ذَرّةٍ**﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿**في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ولا أصغَرُ مِن ذٰلِكَ ولا أكبَرُ، إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ**﴾ ٣: بيّنٍ هو اللوح المحفوظ، ﴿**لِيَجزِيَ**﴾ فيها ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ. أُولٰئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ ٤: حسن في الجنّة. ﴿**والَّذِينَ سَعَوا في**﴾ إبطال ﴿**آياتِنا**﴾: القُرآن ﴿**مُعَجِّزِينَ**﴾، وفي قراءة هنا وفيما يأتي: «مُعاجِزِينَ» أي: مُقدّرين عجزنا، أو مُسابقين لنا فيفوتونا، لظنّهم أنْ لا بعث ولا عقاب، ﴿**أُولٰئِكَ لَهُم عَذابٌ مِن رِجزٍ**﴾: سيئ العذاب ﴿**أَلِيم**﴾ ٥: مُؤلم. بالجرّ والرفع صِفةً لرجز أو عذاب. ﴿**ويَرَى**﴾: يعلمُ ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ**﴾: مؤمنو أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿**الَّذِي أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**هُوَ**﴾ - فصلٌ - ﴿**الحَقَّ، ويَهدِي إلَى صِراطِ**﴾: طريقِ ﴿**العَزِيزِ الحَمِيدِ**﴾ ٦ أي: الله ذي العِزّة المحمودة.

٤- ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: قال بعضهم على جِهة التعجّب لبعض: ﴿**هَل نَدُلُّكُم عَلَى رَجُلٍ**﴾ هو مُحمّد، ﴿**يُنَبِّئُكُم**﴾: يُخبركم: ﴿**إذا مُزِّقتُم**﴾: قُطّعتم ﴿**كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾ بمعنى: تمزيقٍ، ﴿**إنَّكُم لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ**﴾ ٧؟ ﴿**أَفْتَرَى**﴾ - بفتح الهمزة للاستفهام واستُغني بها عن همزة الوصل - ﴿**عَلَى اللهِ كَذِبًا**﴾ في ذلك، ﴿**أم بِهِ جِنّةٌ**﴾: جنون تخيّلَ به ذلك؟

---

(١) الآية يعني: الآية ٦. والخلاف في عدد الآيات مصدره اختلاف الرواية في تحديد موضع النهاية لبعضها. (٢) الحمد: المدح والثناء بالوصف الجميل على النعم. والله يمدح نفسه ثناءً عليها، وإعلامًا للخلق بذلك للإيمان به. انظر الآية ١ من سورة الكهف. وتعالى أي: الله تعالى. وبذلك أي: الحمد لله. والمرادُ: خبر للمبتدأ «حمدُ». والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والأفلاك. وانظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والخبير: العليم ببواطن الأشياء وظواهرها. ويخرج: يظهر. وينزل: يهبط وييسر. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والتوفيق. والغفور: الكثير الستر والتجاوز عن الذنوب. (٣) روي أن أبا سفيان قال لكفار مكة: «إن محمدًا يتوعدنا بالعذاب بعد الموت، ويخوفنا بالبعث. واللاتِ والعُزّى لاتأتينا الساعة أبدًا ولا نبعث». فنزلت الآية ردًا لقوله، وباقي السورة تهديد لهم وتخويف. انظر البحر ٧:٢٥٧ حيث ذكرت آية التغابن بدلًا من هذه سهوًا، وتفسير القرطبي ١٤:٢٦٠. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله. وتأتينا: تصادف أحدًا من البشر، أي: لن تحصل ولن تكون. وقل لهم أي: خاطبهم بالقول جِهارًا. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وعَلّامِ أي: وفي قراءة أيضًا. ويجزي: يكافئ. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. والرزق: مايهيأ للإنسان وييسر من النعيم الأبدي. والحسن: المحمود العاقبة. وسعى: عمل بجد ونشاط. وإبطالها أي: بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والكذب، ليرتدّ المتمسك بها ويبعد الناس عن تصديقها. وفيما يأتي أي: في الآية ٣٨. و«مقدرين» تفسير للقراءة الأولى، أي: معتقدين. ومسابقين: تفسير للقراءة الثانية. فسّر المعاجزة بالمسابقة لأن المتسابقين يطلب بعضهم إعجاز بعض عن اللحاق به. ومعنى المفاعلة هنا بالنظر إلى ما يتصوره الكافرون، من الطمع في المسابقة والتفلت من العقاب. ويفوتونا: يسبقونا فلا ينزل بهم عذابنا. وفي إحدى النسخ وقرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «يفوتوننا». وحذف النون الأولى جائز للتخفيف، فلا حاجة إلى تصرف الناسخ والناشرين. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وبالرفع يريد القراءة «أليمٌ». وأوتوا: أُعطوا. والعلم: الدراية اليقينية. وأنزل: أُوحي على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه. ومن ربك: من عنده وبأمره. والقرآن: تفسير لـ «الذي». وفصل: يعني أنّ «هو»: ضمير فصل وتوكيد. والحق: الصدق الثابت. ويهدي: يرشد ويوصل. والعزة: الغلبة والقهر للخلق. والمحمودة أي: في ذاته وصفاته وأفعاله. (٤) ندلكم: نرشدكم. وبعد «يخبركم» فيما عدا الأصل: «أنكم». وهو إقحام مشكل تعرض له صاحب الفتوحات. والخلق: الإيجاد. والجديد: الحادث بالبعث بعد الموت. وافترى: اختلق. ولما دخلت عليه همزة الاستفهام حذفت همزه الوصل لفظًا، استغناء بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن، ورسمًا لأنها كانت حركتها الكسر. والكذب: ما ليس له أصل. وتخيل به ذلك أي: تصوّرَ بالجنون إمكانَ حصول البعث.

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

١- قال تعالى: ﴿**بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**﴾ المُشتملةِ على البعث والعذاب ﴿**في العَذابِ**﴾ فيها، ﴿**والضَّلالِ البَعيدِ**﴾ ٨ من الحقّ في الدنيا. ﴿**أفلَم يَرَوا**﴾: ينظروا ﴿**إلى ما بَينَ أيديهم وما خلفَهُم**﴾: ما فوقهم وما تحتهم ﴿**مِنَ السَّماءِ والأرضِ، إن نَشَأْ نَخسِفْ بِهِمِ الأرضَ أو نُسقِطْ علَيـهِم كِسْفًا**﴾، بسكون السين وفتحها: قِطعةً ﴿**مِنَ السَّماءِ**﴾. وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المرئيّ ﴿**لآيَـةً لِكُلِّ عَبدٍ مُنيبٍ**﴾ ٩: راجعٍ إلى ربّه، تدل على قُدرة الله على البعث وما يشاء.

٢- ﴿**ولَقد آتَينا داوُدَ مِنّا فَضلًا**﴾: نُبوّة وكِتابًا، وقلنا: ﴿**يا جِبالُ، أَوِّبي**﴾: رجِّعي ﴿**مَعَهُ**﴾ بالتسبيح، ﴿**والطَّيرَ**﴾ - بالنصب عطفًا على محلّ «الجبال» أي: ودعَوناها تسبّح معه، ﴿**وأَلَـنّا لَهُ الحَديدَ**﴾ ١٠ فكان في يده كالعجين، وقلنا: ﴿**أنِ اعمَلْ**﴾ منه ﴿**سابِغاتٍ**﴾: دُروعًا كوامل يجرّها لابسها على الأرض، ﴿**وقَدِّرْ في السَّردِ**﴾ أي: نسج الدُّروع - قيل لصانعها سَرّادٌ - أي: اجعله بحيثُ تتناسب حَلَقُه، ﴿**واعمَلُوا**﴾ أي: آلَ داودَ معه ﴿**صالِحًا. إنّي بما تَعمَلُونَ بَصيرٌ**﴾ ١١، فأُجازيكم به.

٣- ﴿**و**﴾ سخّرنا ﴿**لِسُليمانَ الرِّيحَ**﴾ - وقراءة الرفع بتقدير: تسخيرُ - ﴿**غُدُوُّها**﴾: مسيرُها من الغُدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿**شَهرٌ، ورَواحُها**﴾: سيرُها من الزوال إلى الغروب ﴿**شَهرٌ**﴾ أي مسيرته، ﴿**وأسَلنا**﴾: أذبنا ﴿**لَهُ عَينَ القِطرِ**﴾ أي: النُّحاسِ، فأُجريتْ ثلاثة أيام بلياليهنّ كجري الماء - وعمَلُ الناس إلى اليوم ممّا أُعطي سُليمان - ﴿**ومِنَ الجِنِّ مَن يَعمَلُ بَينَ يَدَيهِ بِإذنِ**﴾: بأمرِ ﴿**رَبِّهِ، ومَن يَزِغْ**﴾: يعدِل ﴿**مِنهُم عَن أمرِنا**﴾ له بطاعته ﴿**نُذِقْهُ مِن عَذابِ السَّعيرِ**﴾ ١٢: النار في الآخرة - وقيل: في الدنيا بأن يضربه مَلَك بسوط منها ضربة تُحرقه - ﴿**يَعمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ، مِن مَحاريبَ**﴾: أبنيةٍ مُرتفعة يُصعد إليها بدرج، ﴿**وتَماثِيلَ**﴾: جمع تِمثال وهو كل شيء مثّلته بشيء، أي: صُورًا من نُحاس وزُجاج ورُخام - ولم يكن اتّخاذ الصور حرامًا في شريعته - ﴿**وجِفانٍ**﴾: جمع جَفنة، ﴿**كالجَوابِي**﴾: جَمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها، ﴿**وقُدُورٍ راسِياتٍ**﴾: ثابتات لها قوائم لا تتحرّك عن أماكنها، تُتّخذ من الجبال باليمن يُصعد إليها بالسلاليم، وقلنا: ﴿**اعمَلُوا**﴾ - يا ﴿**آلَ داوُدَ**﴾ - بطاعة الله ﴿**شُكرًا**﴾ له على ما آتاكم، ﴿**وقَليلٌ مِن عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾ ١٣: العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي.

٤- ﴿**فلَمّا قَضَينا علَيهِ**﴾: على سُليمانَ ﴿**المَوتَ**﴾ أي: ماتَ، ومكَثَ قائمًا على عصاه حولًا ميّتًا، والجنّ تعمل تلك الأعمال الشاقّة على عادتها لا تشعر بموته، حتّى أكلتِ الأرَضةُ عصاه فخرّ ميّتًا، ﴿**ما دَلَّهُم على مَوتِهِ إلّا دابّةُ الأرْضِ**﴾: مصدرُ: أُرِضَتِ الخشبةُ بالبناء للمفعول: أكلتْها الأرَضةُ، ﴿**تأكُلُ مِنسَأتَهُ**﴾ بالهمز، وتركِه بألِفٍ: عصاه لأنها يُنسأ: يُطرد ويُزجر بها. ﴿**فلَمّا خَرَّ**﴾ ميّتًا ﴿**تَبَيَّنَتِ الجِنُّ**﴾: انكشفَ لهم ﴿**أنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّهم ﴿**لَو كانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ**﴾، ومنه ما غاب عنهم من موت سُليمان، ﴿**ما لَبِثُوا في العَذابِ المُهِينِ**﴾ ١٤: العمل الشاقّ لهم، لظنّهم حياتَه خِلاف ظنّهم علمَ الغيب. وعُلِمَ كونُه سَنةً بحساب ما أكلته الأرَضة من العصا، بعد موته، يومًا وليلة مثلًا.

---

(١) يؤمن: يعتقد. وبالآخرة أي: بحصولها. والضلال: الخروج والضياع. وما بين أيديهم وما خلفهم أي: ماحولهم من الكون خاضع لقدرة الله وتصرفه، وهم محاطون بذلك مهدَّدون بالنقمة والعذاب. ونشاء: نريد إهلاكهم. ونخسف: نزلزل ونهدم. ونسقط: ننزل. وبفتحها يريد القراءة «كِسَفًا»، وهي جمع كِسْف المفسّر بقوله: قطعة. والأفعال الثلاثة يعني: «يَشأْ» و«يَخسِفْ» و«يُسقِطْ»، والفاعل ضمير لفظ الجلالة. والآية: الحجة القاطعة. والعبد: المخلوق المملوك قهرًا وتعبدًا. (٢) آتينا: أعطينا. والفضل: التفضل بالنعم. ومنا: من عندنا. والجبال: جمع جبل. والطير: واحده طائر. وقوله «محل الجبال» يعني أن «جبالُ» مبني على الضم في محل نصب. وألنّاه: طوّعناه. واعمل: اصنع بمهارة وإتقان. واعملوا: اكتسبوا وتحملوا. والصالح: مايرضاه الله. والبصير: المدرك للأحداث والأسرار حال وجودها. (٣) الريح: الهواء المتحرك. والرفع أي: «الرِّيحُ». يعني أن المضاف «تسخيرُ» حذف قبل «الريح»، فحل المضاف إليه محله، والتقدير: تسخيرُ الريح كائن لسليمان. والزوال: منتصف النهار. ومسيرته: مدة سيره. والعين: ما ينبع ويجري كالماء. والجن: مفرده جني. وهو مخلوق من النار مستتر عن حواس البشر وقدراتهم. ويعمل: يصنع بإتقان. وبين يديه: في مملكته. ونذيقه: ننزل به. وملك أي: من ملائكة العذاب. ويشاء: يريد صنعه. والمحاريب: جمع محراب. وتحريم التصوير وما أشبهه: انظر «المفصل». وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «كالجوابِ». وإثبات الياء لبيان القراءة. والقدور: جمع قِدر. وهو ما يطبخ به. وإليها: إلى القدور. وفي هذه التفصيلات مبالغات إسرائيلية خيالية. وآله: أهل بيته. والشكر: الاعتراف بالنعمة والثناء على منعمها. والعباد: جمع عبد. (٤) قضينا: أنفذنا. ودلهم: أرشدهم. ودابة الأرض: حشرة دقيقة تقرض الخشب ونحوه. وتأكل: تقرض. وبتركه يريد القراءة «مِنْساتَهُ». وخر: سقط على وجهه. وتبينت: علمت. ولبثوا: أقاموا. ويومًا: مدة نهار. ومثلًا أي: تقديرًا. يعني أنهم رأوا ما تأكله الأرَضة من العصا في يوم كامل، وقاسوا عليه ما في عصا سليمان من النقص، فكان بمقدار ماتأكله الأرضة في عام. وذكر السّنة وحساب ذلك هو من أخبار أهل الكتاب، وليس له ما يصححه. انظر تفسير ابن كثير ٣:٥٠٨-٥٠٩ وقصص الأنبياء ص ٣٣٧-٣٤٨.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

١ - ﴿**لَقَد كانَ لِسَبَأٍ**﴾، بالصرف وعدمه: قبيلة سُمّيت باسم جدٍّ لهم من العرب، ﴿**في مَساكِنِهِم**﴾ باليمن، ﴿**آيةٌ**﴾ دالّة على قُدرة الله - تعالى - ﴿**جَنّتانِ**﴾: بدلٌ ﴿**عَن يَمِينٍ وشِمالٍ**﴾: عن يمين واديهم وشِماله، وقيل لهم: ﴿**كُلُوا مِن رِزقِ رَبِّكُم، واشكُرُوا لَهُ**﴾ على ما رزقكم من النعمة. في أرض سبأ ﴿**بَلْدةٌ طَيِّبةٌ**﴾ ليس بها سِباخ ولا بعوضة ولا ذُبابة ولا بُرغوث ولا عقرب ولا حيّة، ويمرّ الغريب بها وفي ثيابه قمل فيموت لطِيب هوائها. ﴿**و**﴾ الله ﴿**رَبٌّ غَفُورٌ**﴾ ١٥.

٢ - ﴿**فأعرَضُوا**﴾ عن شُكره وكفروا، ﴿**فأرسَلْنا عليهِم سَيلَ العَرِمِ**﴾: جمع عَرِمة، وهو ما يَمسِك الماءَ من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي: سيلَ واديهم الممسوك بما ذُكر فأغرق جنّتيهم وأموالهم، ﴿**وبَدَّلْناهُم بِجَنّتَيهِم جَنّتَينِ ذَواتَي**﴾: تثنيةُ ذوات - مفرد على الأصل - ﴿**أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾: مُرٍّ بشع، بإضافة «أُكل» بمعنى مأكول وتركها، ويُعطف عليه ﴿**وأثْلٍ وشَيءٍ مِن سِدرٍ قَليلٍ**﴾ ١٦. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ التبديلَ ﴿**جَزَيناهُم بِما كَفَرُوا**﴾: بكُفرهم. ﴿**وهَل يُجازَى إلّا الكَفُورُ**﴾ ١٧؟ بالياءِ، وبالنونِ مع كسر الزاي ونصب «الكفورَ»، أي: ما يُناقَش إلّا هو.

٣ - ﴿**وجَعَلْنا بَينَهُم**﴾ بين سبأ - وهم باليمن - ﴿**وبَينَ القُرَى الّتِي بارَكْنا فِيها**﴾ بالماء والشجر - وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة - ﴿**قُرًى ظاهِرةً**﴾: مُتواصلة من اليمن إلى الشام، ﴿**وقَدَّرْنا فِيها السَّيرَ**﴾ بحيثُ يَقيلون في واحدة ويبيتون في أُخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، وقلنا: ﴿**سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّامًا، آمِنِينَ**﴾ ١٨: لا تخافون في ليل ولا نهار. ﴿**فقالُوا: رَبَّنا، بَعِّدْ**﴾ - وفي قراءة: «باعِدْ» - ﴿**بَينَ أسفارِنا**﴾ إلى الشام، اجعلها مَفاوِزَ. ليتطاولوا على الفُقراء، بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطِروا النعمةَ. ﴿**وظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بالكُفر، ﴿**فجَعَلْناهُم أحادِيثَ**﴾ لمن بعدهم في ذلك، ﴿**ومَزَّقْناهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾: فرّقناهم في البلاد كُلَّ التفريق. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لآياتٍ**﴾: عِبَرًا، ﴿**لِكُلِّ صَبّارٍ**﴾ عن المعاصي، ﴿**شَكُورٍ**﴾ ١٩ على النِّعم.

٤ - ﴿**ولَقَد صَدَقَ**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**عليهِم**﴾ أي: الكُفّارِ منهم سبأٌ ﴿**إبليسُ ظَنَّهُ**﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿**فاتَّبَعُوهُ**﴾ فصَدَقَ، بالتخفيف، في ظنّه أو صَدَّقَ، بالتشديد، ظنَّه أي: وجده صادقًا، ﴿**إلّا**﴾ بمعنى: لكن ﴿**فَرِيقًا مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ٢٠ من: للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتّبعوه، ﴿**وما كانَ لَهُ عليهِم مِن سُلطانٍ**﴾: تسليط منّا، ﴿**إلّا لِنَعلَمَ**﴾ عِلمَ ظُهور ﴿**مَن يُؤمِنُ بالآخِرةِ مِمَّن هُوَ مِنها في شَكٍّ**﴾، فنُجازيَ كُلًّا منهما. ﴿**ورَبُّكَ على كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ**﴾ ٢١: رقيب.

٥ - ﴿**قُلْ**﴾ - يا مُحمّد - لكُفّار مكّة: ﴿**ادعُوا الّذِينَ زَعَمتُم**﴾ أي: زعمتموهم آلهةً، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، لينفعوكم بزعمكم. قال تعالى

(١) لسبأ أي: لبني تلك القبيلة العربية، وجدها سبأ بن يشجب. ط: «لسبإ». والصرف أي: التنوين. وبعدمه يريد القراءة «لِسَبَأَ». وفي مساكنهم أي: عندها. والمساكن: جمع مسكن. وهو موضع الإقامة والاستيطان. وجنتان أي: جماعتان من الجنان. وبدل: يعني أن «جنتان»: بدل من «آية» مرفوع بالألف. وكلوا: تمتعوا بالغذاء والشراب. والرزق: ما ييسّر للمخلوق. واشكروا له: أثنوا عليه بالقلب واللسان والعمل. وأرض سبأ: في اليمن. والبلدة: المدينة العامرة. وطيبة: كريمة التربة والهواء. والسباخ: جمع سَبَخة. وهي الأرض ذات نزّ وملح. وفي هذه التفصيلات مبالغات وتهويل، بدون نص موثق. وغفور: يستر ذنوبكم ويصفح عنها.

(٢) أعرضوا: امتنعوا. انظر «المفصل». وأرسله: فجّره. والعرم هو سد مأرب. وفي ط وقرة العينين: «أُكُلِ خَمطٍ». وبتركها يريد القراءة «أُكُلٍ خَمطٍ». وجزينا: عاقبنا. والكفور: المبالغ في الكفر مصرًّا عليه. وفي المنحة: «يجازي». وبالنون يريد القراءة «نُجازي». والفاعل ضمير العظمة.

(٣) جعلنا: أنشأنا قبل مجيء السيل. والقرى: المدن مفردها قرية. وباركنا: أكثرنا الخير. وظاهرة أي: يَرى مَن كان في واحدة منها ما حولها من القرى. وقدرناه: جعلناه مقدرًا بين القرى. وقلنا أي: مقولًا لهم بلسان الحال. والليالي: جمع ليلة. والأيام: جمع يوم يراد به النهار. وبعّد وباعد: أبعِد. والأسفار: جمع سفر. والمفاوز: جمع مَفازة. وهي المكان المُهلِك. و«اجعلها مفاوز» صوابه: اجعله، أي: ما بينها مفاوز. والراحلة: مايصلح للركوب من الإبل. وبطروها: كفروها. وظلموها: سببوا لها العذاب. والأنفس: جمع نفس. وجعلناهم: صيّرناهم. وأحاديث: جمع حديث. وهو الخبر للعظة. والصبار: الكثير التجلد. والشكور: الدائم الشكر.

(٤) بالتشديد يريد القراءة «صَدَّقَ». وظنه: ما توقعه من تضليله. ونعلم: نميز. وعلم الظهور: الواقع فعلًا في الحياة الدنيا. ومنها: فيها. والشك: التردد.

(٥) ادعوهم: نادُوهم مستغيثين. وزعمتم: ادعيتم. ويملكه: يقوى عليه. والذرة: انظر الآية ٣. ولاتنفع: لاتقدّم خيرًا ولاتدفع شرًّا. والشفاعة: طلب التجاوز عن الذنوب. ولمن أي: للشفيع. وأذن: أباح. وبضمها يريد القراءة «أُذِنَ». وبالمفعول يريد القراءة «فُزِّعَ» أي: كُشِف. والقلوب: جمع قلب. وفيها: في الشفاعة. والقولَ أي: قال ربُّنا المقولَ. والحق: العدل لاشك فيه. والعلي: البالغ في علو الرتبة والقدرة فوق ما سواه.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٤٤

فيهم: ﴿**لا يَملِكُونَ مِثقالَ**﴾: وزنَ ﴿**ذَرَّةٍ**﴾ من خير أو شرّ، ﴿**في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ومالَهُم فِيهِما مِن شِركٍ**﴾: شركة، ﴿**ومالَهُ**﴾ - تعالى - ﴿**مِنهُم**﴾: من الآلهة ﴿**مِن ظَهِيرٍ**﴾ ٢٢: مُعين، ﴿**ولا تَنفَعُ الشّفاعةُ عِندَهُ**﴾ تعالى - ردًّا لقولهم: إنّ آلهتهم تشفع عنده - ﴿**إلّا لِمَن أذِنَ**﴾، بفتح الهمزة وضمها، فيها ﴿**لَهُ. حَتّى إذا فُزِّعَ**﴾ - بالبناء للفاعل والمفعول - ﴿**عَن قُلُوبِهِم**﴾: كَشَفَ عنها الفزعَ، بالإذن فيها، ﴿**قالُوا**﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿**ماذا قالَ رَبُّكُم**﴾ فيها؟ ﴿**قالُوا**﴾: القولَ ﴿**الحَقَّ**﴾ أي: قد أذن فيها. ﴿**وهُوَ العَلِيُّ**﴾ فوق خلقه بالقهر، ﴿**الكَبِيرُ**﴾ ٢٣: العظيم.

١- ﴿**قُلْ: مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماواتِ**﴾ المطرَ ﴿**والأرضِ**﴾ النباتَ؟ ﴿**قُلِ: اللهُ**﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، ﴿**وإنّا أو إيّاكُم**﴾ أي: أحدَ الفريقين ﴿**لَعَلَى هُدًى، أو في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٢٤: بيِّن. في الإبهام تلطّفٌ بهم داعٍ إلى الإيمان، إذا وُفّقوا له.

٢- ﴿**قُلْ: لا تُسألُونَ عَمّا أجرَمْنا**﴾: أذنبنا، ﴿**ولا نُسألُ عَمّا تعمَلُونَ**﴾ ٢٥، لأنا بريئون منكم. ﴿**قُلْ: يَجمَعُ بَينَنا رَبُّنا**﴾ يوم القيامة، ﴿**ثُمَّ يَفتَحُ**﴾: يحكم ﴿**بَينَنا بالحَقِّ**﴾، فيُدخل المُحقّين الجنّةَ والمُبطلين النارَ. ﴿**وهُوَ الفَتّاحُ**﴾: الحاكم ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٢٦ بما يحكم به. ﴿**قُلْ: أرُونِيَ**﴾: أعلِموني ﴿**الَّذِينَ ألحَقتُم بِهِ شُرَكاءَ**﴾ في العبادة. ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ لهم عن اعتقاد شريك له. ﴿**بَل هُوَ اللهُ العَزِيزُ**﴾: الغالب على أمره، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٢٧ في تدبيره لخلقه. فلا يكون له شريك في مُلكه.

٣- ﴿**وما أرسَلْناكَ إلّا كافّةً**﴾ - حالٌ من «الناس» قُدّم للاهتمام - ﴿**لِلنّاسِ بَشِيرًا**﴾: مُبشّرًا للمؤمنين بالجنّة، ﴿**ونَذِيرًا**﴾: مُنذرًا للكافرين بالعذاب، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٢٨ ذلك، ﴿**ويَقُولُونَ: مَتى هٰذا الوَعدُ**﴾ بالعذاب، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٢٩ فيه؟ ﴿**قُلْ: لَكُم مِيعادُ يَومٍ، لا تَستأخِرُونَ عَنهُ ساعةً ولا تَستَقدِمُونَ**﴾ ٣٠ عليه. وهو يوم القيامة.

٤- ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، من أهل مكّة: ﴿**لَن نُؤمِنَ بِهٰذا القُرآنِ، ولا بِالَّذِي بَينَ يَدَيهِ**﴾ أي: تقدّمه، كالتوراة والإنجيل الدالَّين على البعث. لإنكارهم له. قال تعالى فيهم: ﴿**ولَو تَرَى**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**إذِ الظّالِمُونَ**﴾: الكافرون ﴿**مَوقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم، يَرجِعُ بَعضُهُم إلى بَعضٍ القَولَ، يَقُولُ الَّذِينَ استُضعِفُوا**﴾ الأتباعُ ﴿**لِلَّذِينَ استَكبَرُوا**﴾ للرؤساءِ: ﴿**لَولا أنتُم**﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿**لَكُنّا مُؤمِنِينَ**﴾ ٣١ بالنبيّ.

---

(١) يرزق: ييسر المُتع والزينة. وإن لم يقولوه أي: أنهم قد يتلعثمون في الجواب. والهدى: الرشد إلى الحق. والضلال: الخروج إلى الباطل. والإبهام: عدم إيضاح المراد، بتعبير يحتمل وجهين من المعنى. وهو هنا لـ «أو». والتلطف وارد أيضًا في الآية ٢٥، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

(٢) تُسألون: تحاسَبون وتجازون. وتعملون: تكتسبون بالقلب واللسان والجوارح. ويجمع بيننا: يبعثنا بعد الموت معًا. والحق: العدل المطلق. وأروني أي: بالحجة وجه الشركة المزعومة. وألحقتم به: أتبعتموهم إياه. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك. والردع: الزجر، أي: ارتدِعوا عن دعوى المشاركة والزموا التوحيد. وهو أي: الذي أشركتم به مخلوقاتِه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والفعل وإتقان الأشياء.

(٣) أرسل: بعث وكلف بالعمل والتبليغ. وكافة: جميعًا. والمبشر: من يبلغ بالخير. وذلك أي: ماذكر من عموم الرسالة والتبشير والإنذار. و«متى» يعني: أيُّ وقت؟ والوعد: وقت وقوعه وتحققه. والصادق: من يقول الحق. والميعاد: الوعد المبشَّر به والمنذَر به. ولاتستأخرون: لاتتأخرون وإن طلبتم التأخير. والساعة: القدر القليل من الزمن. ولاتستقدمون: لا تقدمون وإن طلبتم التقديم. و«يوم القيامة» في هذا تهديد ووعيد بحتمية ما سيلقَون من الأهوال، بعد التبشير والإنذار.

(٤) كفر: كذّب الله ورسوله. ونؤمن به: نصدّقه ونتبعه. والبعث أي: وغيره مِن صدق محمد ﷺ. فقد روي أن المشركين كانوا يراجعون أهل الكتاب، ويحتجون بقولهم. ولما سألوهم عن النبي، وأُخبروا أن صفته في كتبهم موافقة له، قالوا: نكفر بالجميع. فظهر بذلك تعنتهم. تفسير القرطبي ١٤: ٣٠٢. وفيهم: في بيان حالهم يوم القيامة. وترى أي: أبصرت عيانًا. انظر الآية ٢٧ من سورة الأنعام. والموقوف: المحبوس لايستطيع النجاة. وعند ربهم أي: في موقف حسابه وجزائه. ويرجع القول: يردّده ويتداوله في جدال ونزاع. وبعض الناس: الواحد منهم أو الأكثر. والقول: الكلام. واستضعف: وُجد ضعيفًا واستُذل. واستكبر: تعاظم على غيره وتكبر. وبالنبي أي: والتوحيد والبعث. وقد لفق المحلي بين تفسيرين، نقل ذِكرَ النبي هنا من البيضاوي، وذكرَ البعث قبل من التلخيص، دون أن يوفق بينهما. ولو نقل عبارة التلخيص كاملة، وهي «ولا بما دَلّ عليه من البعث وغيره»، لأوضح المراد وما كان التلفيق.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

١- ﴿**قالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا لِلَّذِينَ استُضعِفُوا: أنحنُ صَدَدْناكُم عَنِ الهُدَى بَعدَ إذ جاءَكُم**﴾؟ لا ﴿**بَل كُنتُم مُجرمِينَ**﴾ ٣٢ في أنفسكم. ﴿**وقالَ الَّذِينَ استُضعِفوا لِلَّذِينَ استكبَرُوا: بَل مَكرُ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ أي: مكرٌ فيهما منكم بنا، ﴿**إذ تأمُرُونَنا أن نَكفُرَ باللهِ، ونَجعَلَ لَهُ أندادًا**﴾: شُركاءَ. ﴿**وأسَرُّوا**﴾ أي: الفريقانِ ﴿**النَّدامَةَ**﴾ على ترك الإيمان به، ﴿**لَمّا رأوُا العَذابَ**﴾ أي: أخفاها كُلٌ عن رفيقه مخافة التعيير، ﴿**وجَعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ في النار، ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**يُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٣٣ في الدنيا؟

٢- ﴿**وما أرسلْنا في قَريةٍ مِن نَذِيرٍ إلّا قالَ مُترَفُوها**﴾: رُؤساؤها المُتنعِّمون: ﴿**إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرُونَ**﴾ ٣٤. ﴿**وقالُوا: نَحنُ أكثَرُ أموالًا وأولادًا**﴾ ممّن آمن، ﴿**وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ ٣٥. ﴿**قُل: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعه ﴿**لِمَن يَشاءُ**﴾ امتحانًا، ﴿**ويَقدِرُ**﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٣٦ ذلك.

٣- ﴿**وما أموالُكُم ولا أولادُكُم بالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِندَنا زُلفَى**﴾: قُربَى، أي: تقريبًا. ﴿**إلّا**﴾ لكن ﴿**مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فأُولٰئِكَ لَهُم جَزاءُ الضِّعفِ، بِما عَمِلُوا**﴾ أي: جزاءُ الحسنةِ مَثَلًا بعشر فأكثرَ، ﴿**وهُم في الغُرُفاتِ**﴾ من الجنّة ﴿**آمِنُونَ**﴾ ٣٧ من الموت وغيره - وفي قراءة: «الغُرْفةِ» بمعنى الجمع - ﴿**والَّذِينَ يَسعَونَ في آياتِنا**﴾: القُرآن بالإبطال ﴿**مُعجِّزِينَ**﴾ لنا: مقدّرين عجزَنا وأنهم يفوتوننا ﴿**أُولٰئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ**﴾ ٣٨.

٤- ﴿**قُل: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعه ﴿**لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ**﴾ امتحانًا، ﴿**ويَقدِرُ**﴾: يُضيّقه ﴿**لَهُ**﴾ بعد البسط، أو لمن يشاء ابتلاءً، ﴿**وما أنفَقتُم مِن شَيءٍ**﴾ في الخير ﴿**فهُوَ يُخلِفُهُ، وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾ ٣٩. يقال: كُلّ إنسان يَرزُق عائلتَه، أي: من رِزق الله.

---

(١) صددناكم: منعناكم. والهدى: الرشد إلى الحق. وجاءكم: بُلّغتم به. والمجرم: الراسخ في الإجرام باختيار وعزم. وفي أنفسكم: في حقها منعتموها حظها من الخير، وسببتم لها العذاب. والمكر: الخداع وتدبير المكايد. والليل والنهار أي: في كل وقت. وفيهما منكم: يعني أن الإضافة بمعنى «في»، وأصل التركيب: مكركم في الليل والنهار، فحُذف مابين المضاف والمضاف إليه للمبالغة، فصار الإسناد إلى الزمن كما تقول: ليلٌ نائم. وتأمروننا: تطلبون منا وتفرضون علينا. ونجعل: نصيّر. والأنداد: جمع ند. وأسر: أخفى. والندامة: الأسف الشديد. ورأوه: أبصروه عِيانًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والأغلال: جمع غُل. وهو طوق من الحديد. والأعناق: جمع عنق. وكفر: كذّب الله ورسوله. والجزاء: العقاب. ويعملون: يكتسبونه.

(٢) في الآيات تسلية للنبي ﷺ وأصحابه، وتصديق لما قاله تاجر من قريش. فقد روي أن هذا التاجر كان يقرأ كتب الأولين، وخرج إلى الساحل في تجارة، ثم كتب إلى صاحب له في مكة، يسأله عن أحوال النبي، فأجابه أنه لم يتبعه إلا المساكين، فرجع إلى مكة ليلقى النبي ﷺ ويُسلِم. ولما سئل عن سبب إسلامه قال: إنه لم يُرسَل نبي إلا اتبعه المساكين. ثم نزلت الآيات، فأرسل إليه النبي: «إنّ اللهَ قد أنزَلَ تَصدِيقَ ما قُلتَ». الدر المنثور ٥:٢٣٨ ولباب النقول. وأرسلناه: بعثناه مكلفًا بالتبليغ والعمل. والقرية: البلدة العامره. والنذير: المهدد بعذاب العصاة. والكافر: المكذب الجاحد. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. وأولاد: جمع ولد. ومعذبين أي: في الآخرة إن حصلت فعلًا، لأن الذي أكرمنا هنا لايهيننا هناك. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. والرزق: مايهيأ للمخلوق من المتاع والزينة. ويشاء: يريد أن يرزقه. وأكثرهم: الغالبية العظمى منهم. وكفار مكة أي: وغيرها أيضًا. ولايعلم: لايدري ولايدرك، فهو جاهل يظن مدار الغنى والفقر على المنزلة والشرف. وذلك أي: أن ما ذكر من البسط والتضييق في الرزق سببه المشيئة، لا منزلة الإنسان عند ربه.

(٣) الآيتان هنا خطاب من الله للكافرين، مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق. وتقربكم: تُدني مراتبكم وتزيدها رفعة. وعندنا: في حكمنا وقضائنا. وآمَن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الشرع. والجزاء: الثواب. والضعف: الزيادة بقدر أمثال الشيء. ومثلًا: يعني أن ما يذكر هو تمثيل وتقريب. وفيما عدا الأصل والنسخ: «جزاء العمل الحسنة مثلًا». والغرفات: جمع غُرْفة، ضمت الراء في الجمع إتباعًا للغين. وفي ذلك أيضًا مبالغة وتوكيد. والغرفة: القصر الفخم. والآمن: السالم والناجي. وبمعنى الجمع أي: أن المفرد هنا مراد به الجمع لأن «أل» فيه جنسية، واسم الذات معها يكون للكثرة. ومحضرون: تجيء بهم الزبانية وتحضرهم فلا يستطيعون التفلت والنجاة. وانظر الآية ٥.

(٤) في الآية تقرير وتوكيد لما مضى في الآية ٣٦، من أن التوسيع والتقتير ليسا لكرامة أو هوان. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وله أي: لمن يشاء. فالتقتير بعد البسط يكون لشخص واحد. و«أو لمن يشاء» يعني تفسيرًا آخر، يكون فيه التقتير لشخص آخر كما في الآية ٣٦، وهذه توكيد لها. وأنفقتم: بذلتم وصرفتم. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وفي الخير أي: وفي وجوهه المختلفة. ويخلفه: يعوّضه بالمال أو كشف الضر أو التوفيق في الخير أو القناعة أو الثواب. وعائلته أي: وغيرها من الخلق، لأن الرازق يقال لخالق الرزق، ويقال أيضًا لمعطيه وموصله. ولذلك كان «خير» هنا اسم تفضيل، أي: أفضل مما عداه، لأصالته في حقيقة الرزق والعطاء.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

١- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**يومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا**﴾ أي: المُشركين، ﴿**ثُمَّ نَقُولُ لِلمَلائكةِ: أهٰؤُلاءِ إيّاكُم**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الأُولى ياء، وإسقاطِها - ﴿**كانُوا يَعبُدُونَ**﴾ ٤٠؟ ﴿**قالُوا: سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك عن الشريك! ﴿**أنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهِم**﴾ أي: لا مُوالاة بيننا وبينهم من جِهتنا. ﴿**بَل**﴾: للانتقال ﴿**كانُوا يَعبُدُونَ الجِنَّ**﴾ أي: الشياطينَ، أي: يُطيعونهم في عِبادتهم إيانا، ﴿**أكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنُونَ**﴾ ٤١: مُصدّقون فيما يقولون لهم. قال تعالى: ﴿**فاليَومَ لا يَملِكُ بَعضُكُم لِبَعضٍ**﴾ أي: بعضُ المعبودين لبعض العابدين ﴿**نَفعًا**﴾: شفاعة، ﴿**ولا ضَرًّا**﴾: تعذيبًا، ﴿**ونَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا: ﴿**ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّتِي كُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ**﴾ ٤٢.

٢- ﴿**وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا**﴾: القُرآنُ ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: واضحاتٍ بلسان نبيّنا مُحمّد ﴿**قالُوا: ما هٰذا إلّا رَجُلٌ يُرِيدُ أن يَصُدَّكُم عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُكُم**﴾ من الأصنام. ﴿**وقالُوا: ما هٰذا**﴾ أي: القرآنُ ﴿**إلّا إفكٌ**﴾: كذب ﴿**مُفتَرًى**﴾ على الله. ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلحَقِّ**﴾: القُرآن، ﴿**لَمّا جاءَهُم: إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾ ٤٣ بيِّن. قال تعالى: ﴿**وما آتَيناهُم مِن كُتُبٍ يَدرُسُونَها، وما أرسَلْنا إلَيهِم قَبلَكَ مِن نَذِيرٍ**﴾ ٤٤. فمِن أين كذّبوك؟ ﴿**وكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، وما بَلَغُوا**﴾ أي: هؤلاء ﴿**مِعشارَ ما آتَيناهُم**﴾ من القُوّة وطُول العمر وكثرة المال، ﴿**فكَذَّبُوا رُسُلِي**﴾ إليهم، ﴿**فكَيفَ كانَ نَكِيرِ**﴾ ٤٥: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعَه.

ربع الحزب ٤٤

٣- ﴿**قُلْ: إنَّما أعِظُكُم بِواحِدةٍ**﴾، هي ﴿**أن تَقُومُوا لِلّهِ**﴾ أي: لِأجله ﴿**مَثنَى**﴾ أي: اثنين اثنين، ﴿**وفُرادَى**﴾: واحدًا واحدًا، ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ فتعلموا: ﴿**ما بِصاحِبِكُم**﴾ مُحمّدٍ ﴿**مِن جِنَّةٍ**﴾: جنون، ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هُوَ إلّا نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي**﴾ أي: قَبلَ ﴿**عَذابٍ شَدِيدٍ**﴾ ٤٦ في الآخرة، إن عصيتموه. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**ما سألتُكُم**﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿**مِن أجرٍ فهُوَ لَكُم**﴾، أي: لا أسألكم عليه أجرًا. ﴿**إن أجرِيَ**﴾: ما ثوابي ﴿**إلّا علَى الله، وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ**﴾ ٤٧: مطّلع يعلم صِدقي.

٤- ﴿**قُلْ: إنَّ رَبِّي يَقذِفُ بِالحَقِّ**﴾: يُلقيه إلى أنبيائه، ﴿**عَلّامُ الغُيُوبِ**﴾ ٤٨: ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض. ﴿**قُلْ: جاءَ الحَقُّ**﴾: الإسلام، ﴿**وما يُبدِئُ الباطِلُ**﴾: الكُفر ﴿**وما يُعِيدُ**﴾ ٤٩ أي: لم يبق له أثر. ﴿**قُلْ: إن ضَلَلتُ**﴾ عن الحقّ ﴿**فإنَّما أضِلُّ علَى نَفسِي**﴾ أي: إثمُ ضلالي عليها، ﴿**وإنِ اهتَدَيتُ فبِما يُوحِي إلَيَّ رَبِّيَ**﴾ من القُرآنِ والحِكمة. ﴿**إنَّهُ سَمِيعٌ**﴾ للدُّعاء ﴿**قَرِيبٌ**﴾ ٥٠.

---

(١) اليوم: الوقت. ونحشرهم: نجمعهم بالقهر والشِّدّة. والملائكة: جمع ملَك. و«إبدال الأولى ياء» خطأ، لعله يريد تسهيلها بين الهمزة والياء، وهي قراءة قالون والبزي. وبإسقاطها يريد القراءة «هٰؤلا إيّاكُم». ويعبدون: يقدسون ويطيعون. وولينا: متولي أمورنا، نتقرب إليك بالعبادة. ودونهم أي: غيرهم. وللانتقال يعني: للإضراب الانتقالي من دون إبطال. والجن: واحده جني. واليوم: في هذا الوقت. ويملكه: يقدر عليه. والنفع: تقديم الخير. والضر: الشر. والمراد دفع الضر. وذوقوه: تحسسوه وقاسوا أهواله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وبها تكذبون: تنكرونها.

(٢) تتلى: تقرأ. ويريد: يقصد. ويصد: يصرف. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والمفترى: المصطنع. وجاءهم: وصل إليهم. والسحر: ما يخدع العقل والحواس بما هو غير واقع. وآتينا: أعطينا. والكتب: جمع كتاب. ويدرسه: يقرؤه ويفهمه. وأرسله: بعثه وكلفه بالدعوة والعمل. والنذير: المهدد بعقوبة العصاة. وكذب: أنكر التوحيد والبعث. وبلغه: وصل إليه وأدركه. والمعشار: الجزء من الألف مبالغة في التقليل، لأنه عُشر العُشير، والعُشير عُشر العُشر. والرسل: جمع رسول. وهو المرسل بالتوحيد والبعث مع العمل. والإنكار: إبطال المنكَر. وواقع موقعه أي: هو غاية في الحق والعدل، خالٍ من كل ظلم وجور. فليحذر هؤلاء أمثاله.

(٣) تكرار «قل» هنا وفيما قبل وبعدُ هو للمبالغة في تقرير أن المخاطب رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وأعظكم: آمركم وأوصيكم. وواحدة: خَصلة منفردة لاثانية لها. وتقوموا: تنهض هممكم وتشتغل قلوبكم. والاثنان في التفكير معًا يتحاوران، ويكون بينهما تعاضد وتعاون للوصول إلى الحق. والفرادى: جمع فرد. وهو المنفرد وحده. وفي النسخ: «أي واحدًا واحدًا». وتتفكر: تستعمل فكرك لتدبر الأدلة والوقائع في الوصول إلى الصواب. والصاحب: المصاحب الملازم في العيش والبلد. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي لا مثيل له. وسألتكم: طلبت منكم. والأجر: المكافأة. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. وانظر «المفصل». ويعلم صدقي أي: فيثيبني على طاعتي، ويعاقبكم على العصيان.

(٤) الحق: الأمر الثابت لاشك فيه. وهو ما يوحي به أو يلهم. والعلام: المبالغ في الإحاطة الكاملة دائمًا. والغيوب: جمع غيب. وجاء: ظهر وثَبَت. ويبدئ: يُحدِث شيئًا يذكر. ويعيد: يجدد أمرًا مضى. وضللت: خرجت وانصرفت. وذلك أن المشركين قالوا له: «تركت دين آبائك فضللت»، فأُمر أن يرد عليهم بهذا. واهتديت: استرشدت إلى الحق. ويوحي إليّ: يرسل إليّ أو يلهمني مع تيسير الحفظ والتبليغ. والسميع: المبالغ في الإدراك للمسموعات والأسرار. وقريب أي: من الخلق جميعًا يعلم ما يفعلون.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ — آياتها ٤٥ — ترتيبها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

١- ﴿**ولو ترَى**﴾، يا مُحمّد، ﴿**إذْ فزِعوا**﴾ عِند البعث لرأيت أمرًا عظيمًا - ﴿**فلا فوتَ**﴾ لهم منّا أي: لا يفوتوننا - ﴿**وأُخِذوا مِن مَكانٍ قَريبٍ**﴾ ٥١ أي: القُبور، ﴿**وقالُوا: آمَنّا بِهِ**﴾: بمُحمّد أو القُرآن. ﴿**وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ**﴾ - بالواو، وبالهمزة بدلها - أي: تناولُ الإيمان ﴿**مِن مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ ٥٢ عن محلّه، إذ هم في الآخرة، ومحلّه الدنيا؟ ﴿**وقَد كَفَروا بِهِ مِن قَبلُ**﴾ في الدنيا، ﴿**ويَقذِفُونَ**﴾: يرمون ﴿**بالغَيبِ مِن مَكانٍ بَعيدٍ**﴾ ٥٣ أي: بما غاب عِلمه عنهم غَيبةً بعيدة، حيثُ قالوا في النبيّ: ساحر شاعر كاهن، وفي القُرآن: سِحر شِعر كِهانة. ﴿**وحِيلَ بَينَهُم وبَينَ ما يَشتَهُونَ**﴾ من الإيمان، أي: قَبوله، ﴿**كَما فُعِلَ بأشياعِهِم**﴾: أشباههم في الكُفر ﴿**مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِهم. ﴿**إنَّهُم كانُوا في شَكٍّ مُرِيبٍ**﴾ ٥٤: مُوقعِ الرِّيبةَ لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدّوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**الحَمدُ للهِ**﴾ - حَمِدَ الله - تعالى - نفسَه بذلك كما بُيِّن في أوّل سورة «سبأ» - ﴿**فاطِرِ السّماواتِ والأرضِ**﴾: خالقِهما على غير مِثال سَبقَ، ﴿**جاعِلِ المَلائكةِ رُسُلًا**﴾ إلى الأنبياء، ﴿**أُولِي أجنِحةٍ مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ، يَزِيدُ في الخَلقِ**﴾ في الملائكة وغيرها ﴿**ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ١، ﴿**ما يَفتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحمةٍ**﴾ كرزق ومطر ﴿**فلا مُمسِكَ لَها، وما يُمسِكْ**﴾ من ذلك ﴿**فلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ إمساكه، ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾: الغالب على أمره، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٢ في فِعله.

٣- ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿**اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم**﴾ بإسكانكم الحرمَ، ومنع الغارات عنكم. ﴿**هَل مِن خالِقٍ**﴾ - من: زائدةٌ، وخالقٍ: مبتدأ - ﴿**غَيرُ اللهِ**﴾، بالرفع والجرّ: نعتٌ لـ «خالق» لفظًا ومحلًّا، وخبر المُبتدأ: ﴿**يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ**﴾ المطرَ ﴿**و**﴾ من ﴿**الأرضِ**﴾ النباتَ؟ والاستفهام للتقرير، أي: لا خالقَ رازقٌ غيرُه. ﴿**لا إلَهَ إلّا هُوَ. فأنّى تُؤفَكُونَ**﴾ ٣: من أين تُصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ - يا مُحمّد - في مجيئك بالتوحيد والبعث والحِساب والعِقاب، ﴿**فقَد كُذِّبَت رُسُلٌ مِن قَبلِكَ**﴾ في ذلك، فاصبر كما صبروا. ﴿**وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ**﴾ ٤ في الآخرة، فيُجازي المُكذّبين وينصر المُرسَلينَ.

---

(١) ترى أي: رأيت. فهو للماضي دلالة على التحقق، وعُبِّر عنه بالمضارع للدلالة على التجدد والاستمرار. وفزع: خاف واضطرب. والفوت: التفلُّت والنجاة. وأُخذوا: بعثوا بقوة وقهر. وقريب أي: تدركه قدرة الله بمنتهى اليسر، إذ لايبعد شيء عن إرادته ولايتعذر عليها، مهما خفي أو اضمحل. وقالوا أي: بعد البعث. وآمنا به: أيقنّا بما جاء به. وأنى أي: كيف؟ وبالهمزة يريد القراءة «التّناؤُشُ». والإيمان أي: مايقبل منه، لأن الإيمان المقبول يكون قبل الموت. وكفروا به: كذّبوه. وبعيد أي: لأنه وهم بعيد من رتبة العلم. وحيل: حُجز. وفُعل: أوقع وأنزل. والأشياع: جمع شيَع. والشيع: جمع شيعة. والشك: التردد. والريبة: الاتهام. ولم يعتدّوا: لم يتعظوا ويهتموا.

(٢) الحمد: الثناء بالجميل على النعم. والفاطر: المخرج للشيء من العدم. والسماوات: مايحيط بالأرض من الجو والأفلاك والعوالم العُلوية. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والجاعل: المصيّر. والملائكة: جمع ملَك. والرسل: جمع رسول. وهو الوسيط لنقل الرسالات وآثار الصنع. وأولي أي: أصحاب. والواو بعد الهمزة مزيدة في الرسم اصطلاحًا. والأجنحة: جمع جناح. وهو ما يكون في المخلوق للطيران. ومثنى أي: اثنين اثنين تكرارًا. وكذلك: ثلاث ورباع، والمراد التكثير لامجرد العدد المذكور، لأن من الملائكة من له ستمائة جناح أو أكثر. ويزيد فيه: يضيف إليه. والخلق: المخلوق. ويشاء: يريد زيادته. والقدير: البالغ القدرة. ويفتح: يطلق ويرسل. والرحمة: العطف بالنعمة. والممسك: الحابس. والمرسل: المطلق. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والإحسان والإتقان.

(٣) الخطاب لكل كافر، وإن كان في الظاهر لأهل مكة. واذكروها: اذكروا الثناء على منعمها بالقلب واللسان والعمل. والنعمة: الإنعام بالخير. والحرم: البيت الحرام وغير ذلك. والخالق: المنشئ من العدم. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. وغيره: مغاير له. و بالجر يريد القراءة «غَيرِ». وخبرُ المبتدأ: انظر «المفصل». ويرزق: ييسر ويعطي. والسماء: السحاب. والتقرير: التحقيق. والإله: المعبود بحق. وتؤفكون: يقع لكم الصرف. ويكذبك: يجحد ماجئت به. والرسل: جمع رسول. وهو من يوحى إليه ويكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة والعمل. وإليه: إلى حكمه وقضائه. وترجع: ترد للحكم والجزاء. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
(٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٥) إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦) ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (٩) مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
(١٠) وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

١ - ﴿**يا أيُّها النّاسُ، إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بالبعث وغيره ﴿**حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا**﴾ عن الإيمان بذلك، ﴿**ولا يَغُرَّنَّكُم باللهِ**﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿**الغَرُورُ**﴾ ٥: الشيطان. ﴿**إنَّ الشَّيطانَ لَكُم عَدُوٌّ. فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ بطاعة الله ولا تُطيعوه. ﴿**إنَّما يَدعُو حِزبَهُ**﴾: أتباعه في الكُفر، ﴿**لِيَكُونُوا مِن أصحابِ السَّعِيرِ**﴾ ٦: النار الشديدة. ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ**﴾ ٧. هذا بيانُ ما لمُوافقي الشيطان وما لمُخالفيه.

٢ - ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿**أفمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ بالتمويه، ﴿**فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ مَن: مبتدأ خبرُه: كمن هداه الله؟ لا. دلّ عليه: ﴿**فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ - فلا تَذهَبْ نَفسُكَ عَلَيهِم**﴾: على المُزيَّن لهم ﴿**حَسَراتٍ**﴾ باغتمامك أن لا يُؤمنون. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصنَعُونَ**﴾ ٨، فيُجازيهم عليه - ﴿**واللهُ الَّذِي أرسَلَ الرِّياحَ**﴾ - وفي قراءة: «الرِّيحَ» - ﴿**فتُثِيرُ سَحابًا**﴾، المضارعُ لحكاية الحال الماضية، أي: تُزعِجه ﴿**فسُقْناهُ**﴾ - فيه التفات عن الغَيبة - ﴿**إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾، بالتشديد والتخفيف: لا نبات بها، ﴿**فأحيَينا بِهِ الأرضَ**﴾ من البلد ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾: يُبسها، أي: أنبتنا به الزرع والكلأ. ﴿**كَذٰلِكَ النُّشُورُ**﴾ ٩ أي: البعثُ والإحياء.

٣ - ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلّٰهِ العِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فلا تُنال منه إلّا بطاعته فليُطِعْه. ﴿**إلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾: يعلمُه - وهو «لا إلٰه إلّا الله» ونحوها - ﴿**والعَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُهُ**﴾: يقبله، ﴿**والَّذِينَ يَمكُرُونَ**﴾ المكراتِ ﴿**السَّيِّئاتِ**﴾ بالنبيّ، في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذُكر في «الأنفال»، ﴿**لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، ومَكرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ ١٠: يَهلِك.

٤ - ﴿**واللهُ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ**﴾، بخلق أبيكم آدم منه، ﴿**ثُمَّ مِن نُطفَةٍ**﴾ أي: مَنيٍّ بخلق ذُرّيّته منها، ﴿**ثُمَّ جَعَلَكُم أزواجًا**﴾ ذُكورًا وإناثًا، ﴿**وما تَحمِلُ مِن أُنثَى ولا تَضَعُ إلّا بِعِلمِهِ**﴾: حالٌ أي: معلومةً له، ﴿**وما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ**﴾ أي: ما يُزاد في عُمرِ طويلِ العُمر، ﴿**ولا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ**﴾ أي: ذلك المُعمَّرِ أو مُعمَّرٍ آخَرَ، ﴿**إلّا في كِتابٍ**﴾ هو اللوح المحفوظ. ﴿**إنَّ ذٰلِكَ على اللهِ يَسِيرٌ**﴾ ١١: هيِّن.

---

(١) الوعد: التعهد بما سيكون. والحق: الثابت لايتخلف ولايختل. ويغر: يخدع ويضلل. والحياة أي: مافيها من متع وزينة. والغرور: الكثير الخداع بخفاء وإلحاح. والشيطان: من يوسوس بالشر ويغري به من الجن والإنس. والعدو: المعادي. واتخذوه: اجعلوه. ويدعو: يحث ويحض. ويكونوا: يصيروا. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لايفارقه. وكفر: كذّب الله ورسوله. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والشديد: القوي. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: العمل الذي يرضاه الله. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب. والكبير: العظيم لامثيل له. وهذا أي: ما في الآية من وعيد بالعذاب ووعد بالثواب.

(٢) أبو جهل هو رأس المشركين في مكة، قُتل يوم بدر. وزُيِّن: جمّله الشيطان والنفس الخبيثة. والسوء: القبيح الشنيع. ورآه: ظنه. والحسن: الصالح. ويضله: يوجّه قدراته بحسب اختياره الفاسد واستعداده السيئ. ويشاء: يريد الإضلال أو الهداية. ويهديه: يصرف قدراته بحسب اختياره الصالح واستعداده الطيب. وتذهب: تتلف. والنفس: الروح والجسد. والحسرات: جمع حسْرة. وهي التلهف على فقد عزيز. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. ويصنعون: يكتسبونه بقصد وعزم. وأرسل: أطلق. والرياح: جمع ريح. وهو الهواء المتحرك. والسحاب: الغيم، واحدته سحابة. وحكاية الحال الماضية أي: استحضار ما مضى كأنه يقع الآن. وسقناه: دفعناه. وعن الغيبة أي: إلى ضمير العظمة. والبلد: الأرض. وبالتخفيف يريد القراءة «مَيْتٍ». وكذلك أي: مثل ذلك الإحياء للأراضي الموات، في صحة القدرة الربانية.

(٣) يريد: يطلب. والعزة: الرفعة والغلبة. وجميعًا: مجموعة كلها. وإليه: إلى المنزلة المقربة. والكلم: واحدته كلمة. والطيب: الحسن. و«يعلمه» تفسير لـ «يصعد». والأولى أن يكون التفسير بـ «يقبله»، أي: يتقبله ويباركه. ولاإله إلّا الله أي: عبارة التوحيد. ونحوها أي: ما يشبهها من العبادات. والصالح: ما أمر به الشرع أو ندب إليه. والمكر: الكيد والخداع. ودار الندوة: بناها قُصيّ بن كلاب في مكة لاجتماع السادة وتشاورهم. والأنفال: يعني الآية ٣٠ من تلك السورة. والعذاب: انظر الآية ٧. ويهلك أي: يفسد فيزلّ صاحبه ويخسر.

(٤) خلق: أوجد من العدم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والنطفة: القطرة الدقيقة من ماء الرجل والمرأة. وإنما خُصّ منيُّ الرجل هنا لأنه هو عنصر الإخصاب. وجعل: صيّر. وأزواجًا: جمع زوج. وهو الصِّنف. وتحمل أي: من جنين في الرحم. وتضع: تلد أو تُسقط. والعلم: الإحاطة الكاملة. والعمر: المدة المعينة لحياة المخلوق. وينقص: يُقضى ويُذهب بمرور الأيام. واللوح المحفوظ أي: وأمّ الكتاب، لأن في كل منهما ما كان وما سيكون في العالمين، مع فرق في بيان التحتم والاحتمال. وذلك أي: ما ذكر من الخلق والعلم والحفظ. وهين أي: لايتعذر عليه ولايعسر مع كثرته وانتشاره.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١- ﴿**وما يَستوِي البَحرانِ، هٰذا عَذبٌ فُراتٌ**﴾: شديد العُذوبة ﴿**سائغٌ شَرابُهُ**﴾: شُربه، ﴿**وهٰذا مِلحٌ أُجاجٌ**﴾: شديد المُلوحة، ﴿**ومِن كُلٍّ**﴾ منهما ﴿**تأكُلُونَ لحمًا طَرِيًّا**﴾ هو السمك، ﴿**وتَستخرِجُونَ**﴾ من المِلح، وقيل: منهما ﴿**حِليَةً تلبَسُونَها**﴾ هي اللؤلؤ والمَرجان، ﴿**وترَى**﴾: تُبصِر ﴿**الفُلكَ**﴾: السُّفن ﴿**فِيهِ**﴾: في كُلٍّ منهما ﴿**مَواخِرَ**﴾: تمخر الماء، أي: تشقّه بجريها فيه مُقبلة ومُدبرة بريح واحدة. ﴿**لِتَبتَغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾ - تعالى - بالتجارة، ﴿**ولَعَلَّكُم تشكُرُونَ**﴾ ١٢ الله على ذلك.

٢- ﴿**يُولِجُ**﴾: يُدخِلُ اللهُ ﴿**اللَّيلَ في النَّهارِ**﴾ فيزيد، ﴿**ويُولِجُ النَّهارَ**﴾: يُدخِله ﴿**في اللَّيلِ**﴾ فيزيد، ﴿**وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ**﴾ منهما ﴿**يَجرِي**﴾ في فلكه ﴿**لأجَلٍ مُسَمًّى**﴾: يوم القيامة. ﴿**ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ، والَّذِينَ تدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه - وهم الأصنام - ﴿**ما يَملِكُونَ مِن قِطمِيرٍ**﴾ ١٣: لِفافة النواة، ﴿**إن تَدعُوهُم لا يَسمَعُوا دُعاءَكُم، ولَو سَمِعُوا**﴾ - فَرْضًا - ﴿**ما استَجابُوا لَكُم**﴾: ما أجابوكم، ﴿**ويَومَ القِيامةِ يَكفُرُونَ بِشِركِكُم**﴾: بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرّؤون منكم ومن عِبادتكم إياهم. ﴿**ولا يُنَبِّئُكَ**﴾ بأحوال الدارين ﴿**مِثلُ خَبِيرٍ**﴾ ١٤: عالم. وهو الله تعالى.

نصف الحزب ٤٤

٣- ﴿**يا أيُّها النّاسُ، أنتُمُ الفُقَراءُ إلَى اللهِ**﴾ بكُلّ حال، ﴿**واللهُ هُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن خلقه، ﴿**الحَمِيدُ**﴾ ١٥ المحمود في صُنعه بهم، ﴿**إن يَشَأْ يُذهِبْكُم، ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ**﴾ ١٦ بدلكم، ﴿**وما ذٰلِكَ علَى اللهِ بِعَزِيزٍ**﴾ ١٧: شديد.

٤- ﴿**ولا تَزِرُ**﴾ نفسٌ ﴿**وازِرةٌ**﴾: آثمة، أي: لا تحمل ﴿**وِزرَ**﴾ نفسٍ ﴿**أُخرَى، وإن تَدعُ**﴾ نفس ﴿**مُثقَلَةٌ**﴾ بالوزر ﴿**إلَى حِملِها**﴾ منه أحدًا ليحمل بعضه ﴿**لا يُحمَلْ مِنهُ شَيءٌ، ولَو كانَ**﴾ المدعوُّ ﴿**ذا قُربَى**﴾: قرابةٍ كالأب والابن. وعدم الحمل في الشِّقين حُكم من الله. ﴿**إنَّما تُنذِرُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ**﴾ أي: يخافونه وما رأوه، لأنهم المنتفعون بالإنذار، ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾: أداموها - ﴿**ومَن تزَكَّى**﴾: تطهَّر من الشِّرك وغيره ﴿**فإنَّما يَتزَكَّى لِنَفسِهِ**﴾: فصلاحهُ مُختصٌّ به - ﴿**وإلَى اللهِ المَصِيرُ**﴾ ١٨: المَرجِعُ، فيَجزي بالعمل في الآخرة.

---

(١) يستويان: يكونان متساويين في الصفات والخصائص. والبحر: ما اجتمع من الماء من غدير أوينبوع أونهر... والعذب: الشراب اللذيذ. والسائغ: السهل التقبلِ يُذهب الحرارة والعطش. والملح: الماء المُرّ لشدة الملوحة. وتأكلونه: تتغذون به وتتمتعون. والطري: الغض الجديد. والملح يعني: البحر المالح. و«منهما» تفسير ثان، وهو أولى من الأول لِمناسبة السياق، يعني العذب والمالح، إذ الماء العذب يمتزج بالمالح، ويكون اللؤلؤ والمرجان من ذلك. تفسير البغوي ٣:٥٦٨. والحلية: ما يُتزين به من المجوهرات. وتلبسونها: تتزينون بها. والفلك: واحدته بلفظه. والمواخر: جمع ماخرة. والفضل: التفضل بالخير. وبالتجارة أي: وغير ذلك من الأعمال. وتشكره: تذكر نعمه وتظهرها، وتثني عليه بالقلب واللسان والعمل.

(٢) الليل في النهار أي: ما ينقص من الليل في مدة النهار. وكذلك العكس بعد. وسخره: ذلّله لمصلحة الكون والحياة. وعبر بالماضي للدلالة على وقوع ذلك وتحققه فيما مضى، بخلاف الفعلين قبله كانا بالمضارع، للدلالة على الاستمرار والتجدد. والشمس والقمر: الكوكبان المعروفان. ويجري: يتحرك. والأجل: عمر الكائن. والمسمى: المقدّر في علم الله. وذلكم أي: المتصف بالصفات المذكورة في الآيات ٨-١٣. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. والملك: الحيازة والقهر لما عداه. ولايملكون من قطمير أي: ليس لهم ملك حقيقي في شيء من الكون، ولو كان بمقدار هذا القطمير، ولا يستطيعون خلقه. واللفافة: مايلف به الشيء. وتدعوهم: تنادوهم. وفرضًا أي: افتراضًا ذهنيًا لاواقعيًا، للإلزام بالحجة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويتبرؤون يعني: ما يكون من فناء الأصنام وغيابها هو دليل تبرؤ وتكذيب. وذلك على سبيل التجوز والتقريب. ويجوز أن يدرج هنا مع الأصنام من عُبد من البشر والملائكة والجن، يتبرؤون حقيقة من ذلك يوم القيامة. تفسير القرطبي ١٤:٣٣٦. ولاينبئك: لايعلمك. والمراد أن الخبير بالأمر هو الذي ينبئ بالحقائق دون سائر المبلِّغين.

(٣) الناس: كل مخاطب وسامع. والفقراء: جمع فقير. وهو المحتاج إلى العون والمساعدة. وبكل حال أي: دائمًا. وفي الأصل: «في كل حال». والغني: المستغني بذاته وصفاته وأفعاله. ويشاء: يريد إذهابكم. ويُذهب: يهلك. ويأت به: يوجده. والخلق: المخلوق. والجديد: المحدَث المغايِر بالطاعة والاستسلام. وذلك أي: إذهابكم والإتيان بالجديد. وشديد: متعذر متعسر.

(٤) روي أن الوليد بن المغيرة قال لبعض المؤمنين: «اكفروا بمحمد، وعليّ وزركم»، فنزلت الآيات بتكذيبه. البحر ٧:٣٠٧. والوزر: الإثم يكون عليه عقوبة. والأُخرى: المغايرة. وتدعو: تستغيث. ومثقلة: مرهقة. والحمل: ما يُحمل من الأشياء. وفي الشقين: في الموضعين المشتملين على نفي العون، أولهما بالقهر، والثاني بالاختيار. وتنذر: تهدد بتعذيب العصاة. والغيب: ماخفي عن إدراك الخلق وحواسهم. وأداموها: داوموا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وإلى الله: إلى لقاء موعده وقضائه. والمرجع أي: يوم القيامة للحساب والجزاء.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١- ﴿**وما يَستوي الأعمى والبَصيرُ**﴾ ١٩: الكافر والمؤمن، ﴿**ولا الظُّلُماتُ**﴾: الكُفر ﴿**ولا النُّورُ**﴾ ٢٠: الإيمان، ﴿**ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ**﴾ ٢١: الجنّة والنار، ﴿**وما يَستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ**﴾: المؤمنون والكُفّار. وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد. ﴿**إنَّ اللهَ يُسمِعُ مَن يَشاءُ**﴾ هِدايتَه فيُجيبه بالإيمان، ﴿**وما أنتَ بمُسمِعٍ مَن في القُبورِ**﴾ ٢٢ أي: الكُفّار، شبّههم بالموتى، فلا يجيبون. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أنتَ إلّا نَذيرٌ**﴾ ٢٣: مُنذر لهم.

٢- ﴿**إنّا أرسَلْناكَ بالحَقِّ**﴾: الهُدى ﴿**بَشيرًا**﴾ مَن أجاب إليه، ﴿**ونَذيرًا**﴾ مَن لم يُجب إليه، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**مِن أُمّةٍ إلّا خَلا**﴾: سلفَ ﴿**فيها نَذيرٌ**﴾ ٢٤: نبيّ يُنذرها، ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**فقد كَذَّبَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم، جاءَتْهُم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات، ﴿**وبالزُّبُرِ**﴾ كصُحف إبراهيم، ﴿**وبالكِتابِ المُنيرِ**﴾ ٢٥ هو التوراة والإنجيل - فاصبر كما صبروا - ﴿**ثُمَّ أخَذتُ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ بتكذيبهم، ﴿**فكيفَ كانَ نَكيرِ**﴾ ٢٦: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعه.

٣- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا**﴾ - فيه التفات عن الغيبة - ﴿**بِهِ ثَمَراتٍ مُختَلِفًا ألوانُها**﴾ كأخضرَ وأحمرَ وأصفرَ وغيرها، ﴿**ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ**﴾: جمع جُدّةٍ: طريقٍ في الجبل وغيره، ﴿**بِيضٌ وحُمرٌ**﴾ وصفر ﴿**مُختَلِفٌ ألوانُها**﴾ بالشِّدّة والضعف، ﴿**وغَرابيبُ سُودٌ**﴾ ٢٧: عطف على «جدد» أي: صخور شديدة السواد - يقال كثيرًا: أسودُ غِربيبٌ، وقليلًا: غِربيبٌ أسودُ - ﴿**ومِنَ النّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختَلِفٌ ألوانُهُ كَذٰلِكَ**﴾: كاختلاف الثِّمار والجبال؟ ﴿**إنَّما يَخشَى اللهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ**﴾، بخِلاف الجُهّال ككُفّار مكّة. ﴿**إنَّ اللهَ عَزيزٌ**﴾ في مُلكه، ﴿**غَفورٌ**﴾ ٢٨ لذُنوب عِباده المؤمنين.

٤- ﴿**إنَّ الَّذينَ يَتلُونَ**﴾: يقرؤون ﴿**كِتابَ اللهِ، وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾: أداموها، ﴿**وأنفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيَةً**﴾ زكاة وغيرها، ﴿**يَرجُونَ تِجارةً لَن تَبُورَ**﴾ ٢٩: تَهلِك، ﴿**لِيُوَفِّيَهُم أُجُورَهُم**﴾: ثواب أعمالهم المذكورة، ﴿**ويَزيدَهُم مِن فَضلِهِ. إنَّهُ غَفُورٌ**﴾ لذُنوبهم، ﴿**شَكُورٌ**﴾ ٣٠ لطاعتهم.

---

(١) يستويان: يكونان متساويين في المنزلة أو العمل. والأعمى: الفاقد البصيرة والتدبر. وعكسه البصير. والظلمة: افتقاد النور. والظل: ما ينعكس عن الأشياء في النور. وهو وسط بين الضياء والظلمة. والحرور: شدة الحر. والأحياء والأموات: جمعا الحي والميت. وكل هذه استعارات لما ذكر المحلي. و«في الثلاثة» الصواب أن الزيادات خمس: «ما» الثانية واللاءات الأربع. فـ «ما» والأولى والثالثة توكيد لـ «ما» في الآية ١٩، والثانية والرابعة لمبالغة التوكيد في المؤكّدتين. ويسمعه أي: يتقبل استعداده الطيب فيهديه إلى الإيمان. والمسمِع: المبلّغ للمسموعات. والقبور: جمع قبر. و«شبههم بالموتى فلا يجيبون» يعني: لأن قلوبهم ميتة لاتعي ولاتتدبر.

(٢) أرسلناك: بعثناك مكلفًا، ولستَ مستقلًا بما تدعو إليه. والبشير: من يبلّغ بالخير والسعادة. والأمة: الجماعة من الناس تكون في عصر واحد. ونبيّ ينذرها أي: أو عالم مصلح ينقل عنه، كما كان في الفترات بين عهود الأنبياء، وكما قد يكون في الأمم الآتية بعد البعثة النبوية. وجاءتهم: أتتهم مبلّغة. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل بالعقيدة والشريعة مع العمل. والزبر: جمع زَبور. وهو ما يكتب. وصحف إبراهيم ثلاثون، ولموسى عشر صحف قبل التوراة، ولشيث وإدريس ستون صحيفة. فالمشهور من ذلك مائة. والمنير: الموضح لطريق الخير. وأخذتهم: عاقبتهم. وكفروا: كذّبوا الرسل وما جاؤوا به. وواقع موقعه: انظر آخر الآية ٤٥ من سورة سبأ.

(٣) أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه من ثلج وبرَد وندى. وأخرج: أنبت. والتفات يعني: إلى ضمير العظمة لإظهار كمال الاعتناء بالفعل، لِما فيه من الصنع البديع. والثمرة: ما ينعقد عن الزهر من مصادر الغذاء والدواء والزينة. والمختلف: المتنوّع ليس بينه اتفاق. والألوان: جمع لون. وهو يفيد الهيئة والشكل، بالإضافة إلى ما ذكر من مثل: أخضر وأحمر وأصفر. والجبال: جمع جبل. والجُدّة: المقطوعة المميَّزة. والبيض: جمع بيضاء. والحمر: جمع حمراء. ومختلف أي: صِنف متنوّع. والسود: جمع أسود. والدواب: جمع دابة. وهو ما يمشي أو يتحرك من الأحياء. والأنعام: جمع نعم. وهو الإبل والبقر والغنم. وفي المنحة: «مختلفًا ألوانه». وهو خطأ ظاهر. ويخشاه: يخافه ويطيع أمره ونهيه. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك قهرًا وتعبدًا. والعلماء: جمع عالِم. وهو من يعرف ما يلزم من صفات الله وأفعاله. والعزيز: الغلاب لايعجزه شيء. والغفور: الكثير الستر والعفو.

(٤) في لباب النقول أن الآيتين نزلتا في حصين بن الحارث بن عبد المطلب. وهما تشملان من كان مثله أيضًا. والصلاة: العبادة المعروفة فرضًا وسنة. وأنفق: بذل في سبل الخير وصرف. ورزقناهم: أعطيناهم إياه ويسرناه لهم. والسر: الخفاء عن الآخرين، أي: مسرّين. والعلانية: الإظهار والإعلام لهم، أي: معلنين. والمراد: على كل حال بحسب ما يتيسر. ويرجو: يطلب ويتمنى. والتجارة: تحصيل ثواب الطاعة. ويوفي: يعطي بالوفاء والكمال. وأجور: جمع أجر. ويزيد: يضيف ويضاعف. والفضل: التفضل بالنعم. والشكور: الكثير الإثابة والمكافأة. ولطاعتهم يعني: بمضاعفة ثوابها والنظر إلى وجهه الكريم والتمتع برضوانه.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

١ - ﴿**والَّذِي أَوحَينا إِلَيكَ مِنَ الكِتابِ**﴾: القرآنِ ﴿**هُوَ الحَقُّ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ**﴾: تقدَّمه من الكُتب - ﴿**إنَّ اللهَ بِعبادِهِ لَخَبيرٌ بَصيرٌ**﴾ ٣١: عالم بالبواطن والظواهر - ﴿**ثُمَّ أورَثْنا**﴾: أعطينا ﴿**الكِتابَ**﴾: القرآن ﴿**الَّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا**﴾ وهم أُمّتك، ﴿**فمِنهُم ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ بالتقصير في العمل به، ﴿**ومِنهُم مُقتَصِدٌ**﴾ يعمل به في أغلب الأوقات، ﴿**ومِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ**﴾ يضمّ إلى العمل به التعليمَ والإرشاد إلى العمل، ﴿**بِإِذنِ اللهِ**﴾: بإرادته. ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: إيراثهم الكِتابَ ﴿**هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ**﴾ ٣٢.

٢ - ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ**﴾ أي: إقامةٍ، ﴿**يَدخُلُونَها**﴾ أي: الثلاثةُ - بالبناء للفاعل وللمفعول: خبرُ «جنّاتُ» المبتدأ - ﴿**يُحَلَّونَ**﴾: خبرٌ ثانٍ ﴿**فِيها مِن**﴾: بعضَ ﴿**أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ**﴾ مُرصّع في الذهب، ﴿**ولِباسُهُم فِيها حَريرٌ**﴾ ٣٣، ﴿**وقالُوا: الحَمدُ لِلّهِ الَّذِي أذهَبَ عَنّا الحَزَنَ**﴾ جميعَه - ﴿**إنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ**﴾ للذُّنوب ﴿**شَكُورٌ**﴾ ٣٤ للطاعات - ﴿**الَّذِي أحَلَّنا دارَ المُقامَةِ**﴾ أي: الإقامة ﴿**مِن فَضلِهِ، لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ**﴾: تعب، ﴿**ولا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ**﴾ ٣٥: إعياء من التعب لعدم التكليف فيها. وذُكر الثاني التابعُ للأوّل للتصريح بنفيه.

٣ - ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم نارُ جَهَنَّمَ، لا يُقضَى عَلَيهِم**﴾ بالموت ﴿**فيَمُوتُوا**﴾ يستريحوا، ﴿**ولا يُخَفَّفُ عَنهُم مِن عَذابِها**﴾ طَرْفَةَ عين - ﴿**كَذلِكَ**﴾ كما جزيناهم ﴿**يُجزَى كُلُّ كَفُورٍ**﴾ ٣٦: كافر. بالياء، والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب «كُلَّ» - ﴿**وهُم يَصطَرِخُونَ فِيها**﴾: يستغيثون بشِدّة وعويل، يقولون: ﴿**رَبَّنا، أخرِجنا**﴾ منها، ﴿**نَعمَلْ صالِحًا غَيرَ الَّذِي كُنّا نَعمَلُ**﴾. فيقال لهم: ﴿**أوَلَم نُعَمِّركُم ما**﴾: وقتًا ﴿**يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ، وجاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ الرسول فما أجبتم؟ ﴿**فذُوقُوا. فما لِلظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**مِن نَصِيرٍ**﴾ ٣٧: يدفع العذاب عنهم.

٤ - ﴿**إنَّ اللهَ عالِمُ غَيبِ السَّماواتِ والأرضِ - إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٣٨: بما في القُلوب. فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس - ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائِفَ في الأرضِ**﴾: جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضًا. ﴿**فمَن كَفَرَ**﴾ منكم ﴿**فعَلَيهِ كُفرُهُ**﴾ أي: وبال كُفره، ﴿**ولا يَزِيدُ**﴾

---

(١) أوحينا: أنزلنا على لسان جبريل ويسرنا الحفظ والتبليغ. والحق: الصدق الثابت. والمصدق: المؤيِّد المحقِّق. والعباد: جمع عبد. و«بالبواطن والظواهر» الأول لتفسير: خبير، والثاني لتفسير: بصير. وفي النسختين: «بالظواهر والبواطن». وأورثناه أي: نورثه بعدك. واصطفينا: اخترنا وفضلنا. والظالم: الجائر المتجاوز للحق. والمقتصد: متوسط بين الظالم والسابق الذي يتقدم غيره ويرشده. والخَيرة: العمل الصالح. والفضل: التفضل والإكرام. والكبير: العظيم لا مثيل له.

(٢) الجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. ويدخلونها: يصيرون فيها للإقامة الأبدية. والثلاثة: يعني: الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية ٣٢. وللمفعول يريد القراءة «يُدخَلُونَها». ويحلون: يزينون ويجملون. وبعض: يعني أن «مِن»: للتبعيض. والأساور: جمع أسورة. والأسورة: جمع سِوار. وهو ما يحيط بالمعصم. ومرصع في الذهب أي: مركب عليه. واللباس: ما يلبس. والحرير: النسيج مما تفرزه دودة القز. وفي لباب النقول أن أحد الصحابة قال: يا رسول الله، إن النوم مما يُقِر الله به أعيننا في الدنيا. فهل في الجنة نوم؟ قال: «لا، إنَّ النَّومَ شَرِيكُ المَوتِ». قال: فما راحتهم؟ قال: «لَيسَ فِيها لُغُوبٌ، كُلُّ أمرِهِم راحةٌ». فنزلت الآية. وقالوا أي: يقولون. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وأذهب: أزال. والحزن: الغم والهم. وجميعه أي: أنواعه المختلفة. وغفور: انظر الآية ٣٠. والطاعات: أنواع الامتثال للأمر والنهي. وأحلنا: أنزلنا. والفضل: التفضل والإكرام. ويمسنا: يصيبنا إصابة خفيفة. فالنفي لما هو أشد أولى. وللتصريح بنفيه: يعني أن اللغوب مسبَّب عن التعب، وهو منفي بنفي التعب. وذلك مبالغة في بيان الانتفاء.

(٣) كفر: كذّب الله ورسوله. ونار جهنم أي: عذابها. ويقضى عليهم: يَهلكون ثانية بعد البعث. ويموت: تفارق روحه جسده. ويخفف: يقلل. وطرفة عين أي: مقدار الزمن الذي تطرف فيه العين. ويجزى: يعاقب. والكفور: الممعن في الكفر مات عليه. وفي ث وع والفتوحات والصاوي وقرة العينين: «نجزي». وبالنون المفتوحة يريد القراءة «نَجزِي كُلَّ». والفاعل ضمير العظمة: نحن. وأخرجنا: أنقِذنا وردّنا إلى الدنيا. ونعمل: نكتسب ونتحمل. والصالح: ما يرضاه الله من العمل. وغيره: مغايرًا له. ونعمركم: نمهلكم ونؤخركم عُمرًا. ويتذكر: يتدبر ويتعظ، أي: يمكن أن يتذكر. وجاءكم: أتاكم وبلغكم. والنذير: من ينذر بعذاب العصاة. وذوقوا: تحسسوا عذاب جهنم وتحملوه. وهو أمر تهكم وتقريع.

(٤) العالم: المحيط بالغَ الإحاطة. والغيب: ما خفي على حواس الخلق وإدراكهم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذاتها أي: صاحبتها التي تُضمر فيها. والصدور: جمع صدر. والمراد: القلب موطن التدبر والاعتقاد والنيات. وبالنظر إلى حال الناس: يعني أن علم الله بغير ما في القلوب، من الغيب المذكور قبلُ، أحق وأيسر بالنسبة إلى منطق الناس. وإلّا فجميع الأشياء منكشفة له على حد سواء، لا فرق بين ما خفي منها على الخلق وما ظهر لهم. وذلك لأن علم ما في الصدور أبعد من علم ما خفي من الغيب. وجعلكم: صيّركم. وخليفة أي: يكون بعد من هلك، فيتعظ بحال من تقدمه. وكفر: كذّب الله ورسوله. ومن كفر فعليه كفره: يعني أيضًا أنّ من آمن فله ثواب إيمانه. ويزيده: يضيف إليه. وعنده: في حسابه وجزائه. والخسار: ضياع ما بذل. وللآخرة أي: لِما فيها من النعيم الدائم.

الجزء الثاني والعشرون سورة فاطر

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

الكافِرينَ كُفرُهُم عِندَ رَبِّهِم إلّا مَقتًا﴾: غضبًا، **﴿ولا يَزيدُ الكافِرينَ كُفرُهُم إلّا خَسارًا﴾** ٣٩ للآخرة.

١- **﴿قُل: أرَأيتُم شُرَكاءَكُمُ الَّذينَ تَدعُونَ﴾**: تعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه - وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى - **﴿أرُوني﴾**: أخبِروني **﴿ماذا خَلَقُوا مِنَ الأرضِ؟ أم لَهُم شِركٌ﴾**: شَركة مع الله **﴿في﴾** خلق **﴿السَّماواتِ؟ أم آتَيناهُم كِتابًا فَهُم عَلَى بَيِّنَةٍ﴾**: حُجّة **﴿مِنهُ﴾** بأنّ لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك. **﴿بَل إنْ﴾**: ما **﴿يَعِدُ الظّالِمُونَ﴾**: الكافرون **﴿بَعضُهُم بَعضًا إلّا غُرُورًا﴾** ٤٠: باطلًا بقولهم: الأصنام تشفع لهم. **﴿إنّ اللهَ يُمسِكُ السَّماواتِ والأرضَ، أن تَزُولا﴾** أي: يمنعُهما من الزوال، **﴿ولَئِنْ﴾** - لامُ قسم - **﴿زالَتا إنْ﴾**: ما **﴿أمسَكَهُما﴾**: يُمسكهما **﴿مِن أحَدٍ مِن بَعدِهِ﴾** أي: سواه. **﴿إنَّهُ كانَ حَليمًا غَفُورًا﴾** ٤١ في تأخير عِقاب الكُفّار.

٤٤

٢- **﴿وأقسَمُوا﴾** أي: كُفّارُ مكّة **﴿باللهِ، جَهدَ أيمانِهِم﴾** أي: غايةَ اجتهادهم فيها - **﴿لَئن جاءَهُم نَذيرٌ﴾**: رسول - **﴿لَيَكُونُنَّ أهدَى مِن إحدَى الأُمَمِ﴾**: اليهود والنصارى وغيرهما، أي: أيٍّ واحدة منهما لِما رأوا من تكذيب بعضهم بعضًا، إذ «قالَتِ اليَهُودُ: لَيسَتِ النَّصارَى عَلَى شَيءٍ. وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ»، **﴿فَلَمّا جاءَهُم نَذيرٌ﴾** محمّد ﷺ **﴿ما زادَهُم﴾** مجيئُه **﴿إلّا نُفُورًا﴾** ٤٢: تباعُدًا عن الهُدى، **﴿استِكبارًا في الأرضِ﴾** عن الإيمان: مفعولٌ له **﴿ومَكرَ﴾** العملِ **﴿السَّيِّءِ﴾** من الشِّرك وغيره، **﴿ولا يَحيقُ﴾**: يُحيط **﴿المَكرُ السَّيِّءُ إلّا بأهلِهِ﴾** وهو الماكر. ووصف المكر بالسيّئ أصل، وإضافته إليه قبلُ استعمالٌ آخر قُدِّر فيه مضافٌ حذرًا من الإضافة إلى الصفة.

٣- **﴿فَهَل يَنظُرُونَ﴾**: ينتظرون **﴿إلّا سُنَّةَ الأوَّلينَ﴾**: سُنّة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلَهم؟ **﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبديلًا، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحويلًا﴾** ٤٣ أي: لا يُبدَّل بالعذاب غيرُه ولا يُحوَّل إلى غير مُستحِقّه. **﴿أوَلَم يَسيرُوا في الأرضِ، فَيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم، وكانُوا أشَدَّ مِنهُم قُوَّةً﴾** فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلَهم؟ **﴿وما كانَ اللهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ﴾**: يَسبقَه ويفوته، **﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ. إنَّهُ كانَ عَليمًا﴾** بالأشياء كُلّها، **﴿قَديرًا﴾** ٤٤ عليها.

---

(١) قل أي: لمشركي مكة وغيرها. وأرأيتم أي: أخبروني. وفي هذا طلب للنظر والمعرفة، ليكون الإخبار بناء على ما ثبَت بعد التحقق. فهمزة الاستفهام هنا تفيد الأمر تلطفًا وتأنيسًا. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في الألوهية والعبادة. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. و«ماذا» يعني: أيَّ شيء؟ وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم ومخلوقات عُلوية. وآتينا: أعطينا وأوحينا. و«ذلك» أي: ماذكر من الخلق والشركة وإيتاء الكتاب. و«ما» يعني أن «إن» للنفي والاستبعاد. ويعد: يتعهد ويبشر. وبعضهم أي: الكبراء المتبوعون. وبعضًا أي: المستضعفين التابعين. ويمسك: يثبّت. وتزول: تنتقل عما وضعت عليه وتتلاشى. و«لام قسم» صوابه: لام موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: واللهِ - لئن زالتا لم يمسكهما أحد - إن أمسكهما. وكان أي: ولايزال دون قيد بالزمن. وزالتا أي: قضى بزوالهما. ويمسكهما: يمنع زوالهما. وأحد أي: مخلوق. والحليم: ذو العفو المطلق، فلايستخفه عصيان ولايعجل بالانتقام. والغفور: الكثير العفو للذنوب.

(٢) كانت قريش تسخر من أهل الكتاب لِما بينهم من الخلاف والتكفير، وتقول: لئن بعث الله نبيًا منا ماكانت أمة أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكًا بكتابها منا. فنزلت هذه الآيات إلى آخر السورة. الدر المنثور ٥: ٢٥٥. وأقسم: حلف. والمشركون يقسمون بالأصنام غالبًا، فإذا أرادوا أمرًا عظيمًا أقسموا بالله. والأيمان: جمع يمين. وهي القسم. وجاءهم: أُرسل إليهم وبلغهم. ويكون: يصير. وأهدى: أكثر استرشادًا وتوجهًا إلى الحق. والأمم: جمع أمة. وهي الجماعة من الناس. وفيما عدا الأصل والنسختين: «وغيرهم». وفي المنحة والمطبوعات: «أي واحدة منها». و«قالت اليهود...» يعني الآية ١١٣ من سورة البقرة. وزادهم: انظر الآية ٣٩. والاستكبار: طلب التكبر والتعالي. ومفعول له: يعني أن «استكبارًا»: مفعول لأجله للمصدر: نفورًا. والمكر: الكيد والخداع. والسيئ: ما هو قبيح شنيع. وأهله: أصحابه الذين صنعوه. وقبل أي: في «مكر السيئ». وعدم تقدير مضاف أولى، لتبقى الدلالة على المبالغة في الوصف.

(٣) هل: حرف استفهام معناه النفي والاستبعاد، ليكون مع «إلّا» للحصر. وسنة الأولين أي: نزول ما كان في الأمم المهلكة وتحققه. وتجد: ترى. ونفي الوجدان مراد به نفي وجود التبديل والتحويل أصلًا، عُبِّرَ بالمسبَّب عن السبب للمبالغة. وسنته: الحكم الذي قضاه لعقوبة المصرّين على الكفر. والتبديل: التغيير بإزلة الشيء ووضع آخر مكانه. والتحويل: النقل من مكان إلى آخر. ويسير: ينتقل ويسافر. والأرض: ماحولهم من البلاد. وينظر: يتأمل ويتدبر ويفكر. والعاقبة: الخاتمة والنهاية. والأشد: الأمنع والأحصن. والقوة: الاقتدار والشِّدة. وكان: انظر الآية ٤١. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة دائمًا. وعليها أي: على خلقها والتصرف فيها دون حاجة إلى أحد.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا (٤٥)

سُورَةُ يسٓ　ترتيبها ٣٦　آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)

١ - ﴿ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِما كَسَبُوا﴾، من المعاصي، ﴿ما تَرَكَ علَى ظَهرِها﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دابّةٍ﴾: نسمة تدِبّ عليها، ﴿ولٰكِنْ يُؤَخِّرُهُم إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فإذا جاءَ أجَلُهُم فإنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا﴾ ٤٥، فيُجازيهم على أعمالهم، بإثابة المؤمنين وعِقاب الكافرين.

سورة يسٓ

٢- مكية، أو إلّا قوله «وإذا قيل لهم انفقوا» الآية، أو مدنية، ثنتان وثمانون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿يسٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿والقُرآنِ الحَكِيمِ﴾ ٢: المُحكَم بعجيب النظم وبديع المعاني، ﴿إنَّكَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿لَمِنَ المُرسَلِينَ ٣، علَى﴾: مُتعلّق بما قبله ﴿صِراطٍ مُستَقِيم﴾ ٤ أي: طريق الأنبياء قبلك، التوحيدِ والهدى. والتأكيدُ بالقسم وغيره ردّ لقول الكُفّار له: «لَستَ مُرسَلًا». ﴿تنزِيلُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه، ﴿الرَّحِيمِ﴾ ٥ بخلقه: خبر مبتدأ مُقدَّر، أي: القُرآنُ، ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَومًا﴾: مُتعلّق بـ «تنزيل»، ﴿ما أُنذِرَ آباؤُهُم﴾ أي: لم يُنذروا في زمن الفترة، ﴿فهُم﴾ أي: القوم ﴿غافِلُونَ﴾ ٦ عن الإيمان والرُّشد.

٤- ﴿لَقَد حَقَّ القَولُ﴾: وجبَ ﴿علَى أكثَرِهِم﴾ بالعذاب، ﴿فهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ ٧ أي: الأكثرُ. ﴿إنّا جَعَلْنا في أعناقِهِم أغلالًا﴾، بأن تُضمّ إليها الأيدي لأنّ الغُلّ يَجمع اليد إلى العُنق، ﴿فهْيَ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إلَى الأذقانِ﴾: جمع ذَقَن وهو مُجتمع اللَّحْيَينِ، ﴿فهُم مُقمَحُونَ﴾ ٨: رافعون رُؤوسَهم لا يستطيعون خفضها - وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يُذعنون للإيمان، ولا يخفضون رؤوسهم له - ﴿وجَعَلْنا مِن بَينِ أيدِيهِم سَدًّا، ومِن خَلفِهِم سَدًّا﴾، بفتح السين وضمّها في الموضعين، ﴿فأغشَيناهُم، فهُم لا يُبصِرُونَ﴾ ٩. تمثيلٌ أيضًا لسدّ طرق الإيمان عليهم.

٥- ﴿وسَواءٌ علَيهِم أأنذَرْتَهُم﴾ - بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى، وتركِه - ﴿أم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ ١٠. ﴿إنَّما تُنذِرُ﴾: يَنفعُ إنذارُكَ ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ﴾: القُرآن، ﴿وخَشِيَ الرَّحمٰنَ بالغَيبِ﴾: خافه ولم يره. ﴿فبَشِّرْهُ بِمَغفِرةٍ وأجرٍ كَرِيم﴾ ١١ هو الجنّة. ﴿إنّا نَحنُ نُحيِي المَوتَى﴾ للبعث، ﴿ونَكتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ما قَدَّمُوا﴾ في حياتهم، من خير وشرّ ليُجازَوا عليه، ﴿وآثارَهُم﴾: ما استُنَّ به بعدهم، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾: نصبُه بفعل يفسّره ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطناه ﴿في إمامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢: كتاب بيّن، هو اللوح المحفوظ.

---

(١) يؤاخذهم: ينتقم منهم عاجلًا. والفعل مضارع معناه المضيّ، لدخول «لو» عليه، وعُبِّرَ به للدلالة على التجدد، والزيادةُ فيه للمبالغة. وظهرها: ما ظهر من الأرض للعِيان. وما ترك أي: أفنى واستأصل بالعذاب وإزالة النعم. والنسمة: ذات الروح من الخلق. وتدب: تتحرك أو تمشي. ويؤخرهم: يؤجل حسابهم. وجاء: تحقق تنفيذه. وكان: انظر الآية ٤١. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والبصير: المدرك لخفايا الأمور وظواهرها. خ: وعذاب الكافرين.

(٢) الآية: يعني الآية ٤٧، وأنها وحدها نزلت في المدينة. وفي المنحة: «فمدنية». وسقط «أو مدنية» من إحدى النسخ. قرة العينين ص ٥٧٩.

(٣) روي أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن في المسجد الحرام، فيتأذى جبابرة المشركين ويريدون أن ينالوا منه، فإذا هم عاجزون عن ذلك. فنزلت الآيات ١-١٠. لباب النقول. والمرسل: المكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وبما قبله أي: بـ «المرسلين». والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: القويم المعتدل، لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. والتنزيل: الإيحاء على لسان جبريل، مع التكفل بالحفظ والتبليغ. والعزيز: الغالب لكل ما عداه. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان. وخبر: يعني «تنزيلُ». وتنذر: تهدد بعذاب الكافر. ومتعلق أي: ما في «لتنذر» من الجار والمجرور. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والغافل: الساهي المنصرف إلى ما يشغله.

(٤) القول أي: الحكم الأزلي، تحقيقًا لِما كان عليه المتعنتون من استعداد خبيث. ويؤمن: يعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وجعل: صيّر. والأعناق: جمع عنق. والغل: طوق عريض من الحديد. وتمثيل أي: تقريب للمعنى المذكور. وبين أيديهم أي: أمامهم. وبضمها يريد القراءة «سُدًّا». وأغشيناهم: غطينا أبصارهم وأعميناها. ولايبصر: لايرى بعينه ما هو مرئي.

(٥) السواء: المستويان. وتركه: ترك الألف. انظر الآية ٦ من سورة البقرة. وكانت ديار بني سَلَمة في ناحية من المدينة، وأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد النبوي، فنزلت الآية ١٢ تبلغهم الرضا بما هم عليه، وقال لهم النبي: «إنّ آثارَكُم تُكتَبُ. فلِمَ تَنتَقِلُونَ»؟ انظر الحديث ٣٢٢٤ في الترمذي. فالآية مدنية أيضًا، وقيل: لعلها نزلت مرتين. الإتقان ١: ٣١. ولايؤمن: يكذّب الله ورسوله. واتبعه: عمل به. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والغيب: ماخفي على حواس المخلوقات وإدراكهم. وبشره: أبلغه ما يسعده. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب. والكريم: الحسن الجميل. واللوح المحفوظ أي: أُمّ الكتاب. ففيهما ما كان وما سيكون في الوجود.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١- ﴿**واضرِبْ**﴾: اجعل ﴿**لَهُم مَثَلًا**﴾: مفعولٌ أوّل ﴿**أصحابَ**﴾: مفعولٌ ثان ﴿**القَرْيةِ**﴾ أنطاكية، ﴿**إذ جاءَها**﴾ إلى آخره، بدلُ اشتمال من «أصحابَ القرية»، ﴿**المُرسَلُونَ**﴾ ١٣ أي: رُسلُ عِيسَى، ﴿**إذْ أرسَلْنا إليهِمِ اثنَينِ، فكَذَّبُوهُما**﴾ إلى آخره: بدل من «إذ» الأُولى إلى آخره، ﴿**فعَزَزْنا**﴾، بالتخفيف والتشديد: قوّينا الاثنين ﴿**بثالِثٍ، فقالُوا: إنّا إليكُم مُرسَلُونَ**١٤. **قالُوا: ما أنتُم إلّا بَشَرٌ مِثلُنا، وما أنزَلَ الرَّحْمٰنُ مِن شَيءٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**أنتُم إلّا تكذِبُونَ**﴾ ١٥.

٢- ﴿**قالُوا: رَبُّنا يَعلَمُ**﴾: جارٍ مجرى القسم، وزيد التأكيد به وباللام، على ما قبله لزيادة الإنكار، في ﴿**إنّا إليكُم لَمُرسَلُونَ**١٦، **وما علَينا إلّا البَلاغُ المُبِينُ**﴾ ١٧: التبليغ البَيّن الظاهر بالأدلّة الواضحة. وهي إبراءُ الأكمه والأبرص والمريض وإحياءُ الميت. ﴿**قالُوا: إنّا تَطَيَّرْنا**﴾: تشاءَمنا ﴿**بِكُم**﴾، لانقطاع المطر عنا بسببكم. ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**لَم تنتَهُوا لَنَرجُمَنَّكُم**﴾ بالحِجارة، ﴿**ولَيَمَسَّنَّكُم مِنّا عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١٨: مؤلم.

٣- ﴿**قالُوا: طائِرُكُم**﴾: شؤمكم ﴿**مَعَكُم**﴾ بكُفركم. ﴿**أإنْ**﴾: همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطيّة، وفي همزتها التحقيقُ والتسهيلُ، وإدخالُ ألف بينها بوجهيها وبين الأُخرى، ﴿**ذُكِّرتُم**﴾: وُعظتم وخُوّفتم. وجواب الشرط محذوف، أي: تطيّرتم وكفرتم؟ وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ. ﴿**بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ**﴾ ١٩: مُتجاوزون الحدَّ بشِركِكم.

٤- ﴿**وجاءَ مِن أقصَى المَدِينةِ رَجُلٌ**﴾ هو حبيبُ النجار، كان قد آمن بالرُّسل ومنزلُه بأقصى البلد، ﴿**يَسعَى**﴾: يشتدّ عدوًا، لمّا سمع بتكذيب القوم الرُّسلَ. ﴿**قالَ: يا قَومِ، اتَّبِعُوا المُرسَلِينَ**٢٠، **اتَّبِعُوا**﴾: تأكيد للأول ﴿**مَن لا يَسألُكُم أجرًا**﴾ على رسالته، ﴿**وهُم مُهتَدُونَ**﴾ ٢١. فقيل له: أنت على دِينهم. فقال: ﴿**ومالِيَ لا أعبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾: خلقني، أي: لا مانع لي من عِبادته الموجودِ مُقتضيها، وأنتم كذلك ﴿**وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٢٢ بعد الموت، فيُجازيكم كغيركم؟ ﴿**أأتَّخِذُ**﴾ - في الهمزتين منه ما تقدّم في «أأنذرتهم»، وهو استفهام بمعنى النفي - ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿**آلِهةً، إن يُرِدْنِ الرَّحمٰنُ بِضُرٍّ لا تُغنِ عَنِّي شفاعتُهُم**﴾ التي زعمتموها ﴿**شَيئًا! ولا يُنقِذُونِ**﴾ ٢٣؟ صفة: آلهة. ﴿**إنِّي إذًا**﴾، إن عبدتُ غير الله، ﴿**لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٢٤: بيِّن. ﴿**إنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُم. فاسمَعُونِ**﴾ ٢٥ أي: اسمعوا قولي. فرجموه فمات. ﴿**قِيلَ**﴾ له عند موته: ﴿**ادخُلِ الجَنَّةَ**﴾. وقيل: دخلها حيًّا. ﴿**قالَ: يا**﴾: حرفُ تنبيه ﴿**لَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ**٢٦ **بما غَفَرَ لِي رَبِّي**﴾: بغُفرانه، ﴿**وجَعَلَنِي مِنَ المُكرَمِينَ**﴾ ٢٧.

(١) لهم أي: للكفار. ومَثَلًا أي: قصة تُذكر اعتبارًا لشبهها بحالة مِثلها. والأصحاب: جمع صاحب. والقرية: البلدة. وأنطاكية: مدينة في شمالي غربي الشام. وجاءها: وصل إليها. والبدل هو «إذ» بدل من «أصحاب»، وآخره «المرسلون». والراجح أن المدينة والرسل غير ما ذكر المحلي هنا. تفسير القاسمي ص ٤٩٩٩. وأرسلنا: بعثنا. و«آخره» أيضًا «اثنين». وبالتشديد يريد القراءة «فعَزَّزْنا». ومثلنا أي: لا مزية لكم علينا لتكونوا أنبياء. وأنزل: أوحى. وتكذبون: تقولون ما هو باطل مختلق.

(٢) يعلم أي: إرسالنا بأمره. ومجرى القسم: يعني أنه يكون لتأكيد الكلام به، ويحتاج إلى جواب، هو جملة: إنا إليكم لمرسلون. وباللام أي: الأولى التي في «لمرسلون». وزيادة الإنكار أي: ما ورد في الآية ١٥. وماعلينا إلّا البلاغ أي: لسنا مسؤولين عن الهداية والضلال. والأكمه: الأعمى منذ ولادته. والأبرص: من كان في جلده بقع بياض. و«لام قسم» الصواب أن اللام موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: واللهِ - لئن لم تنتهوا نرجمْكم - لنرجمَنّكم. وتنتهوا: تتركوا ادعاءكم. ونرجم: نرمي. ويمس: يصيب.

(٣) همزتها: همزة «إن». والتسهيل: جعل الهمزة بين لفظها ولفظ الياء: «أإن». وبإدخال ألف يريد القراءتين «آإن» و«آإن». ومحل الاستفهام يعني أن الجواب هو المقصود بالتوبيخ، أي: الإنكار بالتقريع. فالمعنى: كيف تجعلون الوعظ سببًا للتشاؤم، وهو سبب للإيمان؟ فدعوا ما أنتم عليه والزموا الطاعة. والقوم: الجماعة من الناس.

(٤) أقصى المدينة: أبعد مكان في القرية. واتبعوهم: آمنوا بما دعوكم إليه. وتأكيد للأول: يعني أن «اتبعوا»: كرر للتوكيد اللفظي. ويسألكم: يطلب منكم. والأجر: المكافأة. والمهتدي: المسترشد للحق. وأعبده: أوحده بالعبادة. ومقتضيها: ما يوجبها. وهو كون الله خلقني. وإليه: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وترجعون: تردون بالبعث للحساب. وأتخذ: أجعل. و«في أأنذرتهم» يعني ما ذكره في تفسير الآية ١٠. فالقراءات هي: مأأثبتنا، و«أتّخِذُ» و«آأتّخِذُ» و«آأتّخِذُ». والآلهة: المعبودات. ويردنِ: يقصدني. خ: «يردني» بإثبات ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والضر: ما يكون فيه الأذى. وتغني: تدفع. والشفاعة: السؤال في إزالة الضرر. وينقذونِ: ينصروني بالنجاة. وصفة آلهة: يعني أن الجملة الشرطية كلها هي صفة. والضلال: الخطأ. وقيل أي: قالت له الملائكة. و«دخلها حيًّا» قول ليس له إسناد علمي موثق، والجمهور على غير ذلك، وهو الصحيح. ويعلمون: يدركون. وغفر لي: ستر ذنوبي وعفا عنها. وجعلني: صيّرني. والمكرم: المعظم المبجل بالنعم.

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
(٢٩) يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
(٣٢) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٣٨) وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

١- ﴿وما﴾: نافية ﴿أنزَلْنا علَى قَومِهِ﴾ أي: حبيبَ، ﴿مِن بَعدِهِ﴾: بعدِ موته، ﴿مِن جُندٍ مِنَ السَّماءِ﴾ أي: ملائكةٍ لإهلاكهم، ﴿وما كُنّا مُنزِلِينَ﴾ ٢٨ ملائكة لإهلاك أحد. ﴿إنْ﴾: ما ﴿كانَتْ﴾ عُقوبتُهم ﴿إلّا صَيحةً واحِدةً﴾ صاح بهم جِبريلُ، ﴿فإذا هُم خامِدُونَ﴾ ٢٩: ساكنون ميّتون. ﴿يا حَسْرةً علَى العِبادِ﴾ هؤلاء ونحوِهم، ممّن كذّبوا الرُّسل فأُهلكوا. وهي شِدّة التألّم ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانُكِ فاحضُري. ﴿ما يأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلّا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ٣٠ مسوقٌ لبيان سببها، لاشتماله على استهزائهم المُؤدّي إلى إهلاكهم المُسبَّبِ عنه الحسرةُ.

٢- ﴿ألَم يَرَوا﴾ أي: أهلُ مكّة القائلون للنبيّ: «لَستَ مُرسَلًا» - والاستفهام للتقرير - أي: عَلِموا ﴿كَم﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرًا، معمولةٌ لما بعدها مُعلِّقة لما قبلها عن العمل، والمعنى: أنّا ﴿أهلَكْنا قَبلَهُم﴾ كثيرًا ﴿مِنَ القُرُونِ﴾: الأُمم! ﴿أنَّهُم﴾ أي: المُهلَكين ﴿إلَيهِم﴾ أي: المكّيِّينَ ﴿لا يَرجِعُونَ﴾ ٣١؟ أفلا يعتبرون بهم؟ و«أنهم» إلى آخره: بدل ممّا قبله برعاية المعنى المذكور. ﴿وإنْ﴾: نافية أو مخفّفة ﴿كُلٌّ﴾ أي: كُلّ الخلائق: مبتدأ ﴿لَمّا﴾ بالتشديد بمعنى: إلّا، وبالتخفيف فاللام: فارقة وما: مزيدة، ﴿جَمِيعٌ﴾: خبر المبتدأ أي: مجموعون، ﴿لَدَينا﴾: عِندنا في الموقف بعد بعثهم، ﴿مُحضَرُونَ﴾ ٣٢ للحِساب: خبرٌ ثانٍ.

٣- ﴿وآيةٌ لَهُمُ﴾ على البعث: خبرٌ مُقدّم ﴿الأرضُ المَيْتةُ﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿أحيَيناها﴾ بالماء: مبتدأ، ﴿وأخرَجْنا مِنها حَبًّا﴾ كالحِنطة - ﴿فمِنهُ يأكُلونَ ٣٣ - وجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، وفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ﴾ ٣٤ أي: بعضَها، ﴿لِيأكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ - بفتحتين وبضمّتين - أي: ثمر المذكور من النخيل والأعناب وغيرهما، ﴿وما عَمِلَتْهُ أيدِيهِم﴾ أي: لم تعملِ الثمرَ. ﴿أفَلا يَشكُرُونَ﴾ ٣٥ أنعُمَه - تعالى - عليهم؟ ﴿سُبحانَ الَّذِي خَلَقَ الأزواجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّها، مِمّا تُنبِتُ الأرضُ﴾ من الحُبوب وغيرها، ﴿ومِن أنفُسِهِم﴾ من الذُكور والإناث، ﴿ومِمّا لا يَعلَمُونَ﴾ ٣٦ من المخلوقات العجيبة الغريبة!

٤- ﴿وآيةٌ لَهُمُ﴾ على القُدرةِ العظيمةِ ﴿اللَّيلُ، نَسلَخُ﴾: نفصِل ﴿مِنهُ النَّهارَ، فإذا هُم مُظلِمُونَ﴾ ٣٧: داخلون في الظلام، ﴿والشَّمسُ تَجرِي﴾ إلى آخره: من جملة الآية لهم، أو آية أُخرى، والقمرُ كذلك، ﴿لِمُستَقَرٍّ لَها﴾ أي: إليه لا تتجاوزه - ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقدِيرُ العَزِيزِ﴾في مُلكه، ﴿العَلِيمِ﴾ ٣٨ بخلقه - ﴿والقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب، وهو منصوب بفعل يُفسّره ما بعده، ﴿قَدَّرْناهُ﴾ من حيث سيرُه ﴿مَنازِلَ﴾، ثمانية وعشرين منزلًا في ثمانِ وعشرين ليلةً من كُلّ شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿حَتَّى عادَ﴾ في آخر منازله في

---

(١) أنزل: أرسل. وحبيب أي: قوم حبيب. والجند: واحده جندي. ولإهلاك أحد أي: تُهلِك بالاستئصال بعد قوم المذكور. وفي هذا تهديد لكفار مكة أن ذلك سيكون خلافه لإهلاكهم، إن استمروا في العصيان. والصيحة: الصوت يزلزل. والعباد أي: الكافرون منهم، جمع عبد. ومجاز أي: ورد في صيغة النداء، والمراد الخبر، لتهويل أمرهم وتشنيعه وتقبيحه. ويأتيهم أي: ينذرهم. ويستهزئ: يسخر. والمسبب: يعني أن مضمون النفي يبين سبب الحسرة، لدلالته على استهزائهم المسبِّب للهلاك، والهلاك يسبِّب الحسرة. فالسببية هنا مركبة. (٢) يروا أي: يعلموا. والمعنى: لقد علموا باليقين. و«لست مرسلًا» يعني ما في الآية ٤٣ من سورة الرعد. ومعمولة يعني: في محل نصب مفعول به مقدم. ومعلقة لما قبلها أي: تمنعه من العمل ظاهرًا، وجملة «كم أهلكنا»: في محل نصب سدت مسد مفعولي: يروا. وأهلكنا: استأصلنا بالعذاب. والقرون: جمع قرن. وهو القوم المجتمعون في زمن واحد. ولايرجعون: لايعودون أحياء في الدنيا. وإلى آخره أي: إلى آخر المذكور قبلُ في الآية. ومخففة: يعني أن أصلها «إنّ». وبالتخفيف يريد القراءة «لَما». وهي ترد مع «إن» مخففة. وفارقة أي: بين «إن» النافية والمؤكدة. وزيادة «ما» للمبالغة في التوكيد. والمحضر: المحشور بالقوة والقهر. (٣) الآية: البرهان القاطع. والميتة: لانبات فيها ولاماء. وبالتشديد يريد القراءة «المَيِّتةُ». وأحييناها: خلقنا فيها النشاط وما هو حياة للناس والحيوان. والمبتدأ هو: الأرض. وأخرج: أنبت. والحب: واحدته حبة. وجعل: خلق. وفجر: أظهر. والعيون: جمع عين. وهي يَنبوع الماء. وبضمتين يريد القراءة «ثُمُرِهِ». وعملته: صنعته وأنبتته. والأيدي: جمع يد. ويشكر: يستحضر النعمة في نفسه، ويثني على خالقها بالقلب واللسان والعمل. وسبحانه: تنزيهًا له عما لايليق به من الصفات. وخلق: أوجد من العدم. والأزواج: جمع زوج. وهوالصنف الذي يكون فيه متقابلان من ذكر وأنثى. وتنبت: تُخرج. والأنفس: جمع نفس. ولايعلمون أي: يجهلونه ولايدرونه لأنهم لم يطلعوا عليه. (٤) تجري: تتحرك. وآية أُخرى: يعني أن الشمس: مبتدأ خبره جملة: تجري. والمستقر: وقت الاستقرار بانتهاء الحياة. والتقدير: التسخير لمصلحة الكون. والعزيز: الغالب لكل شيء. والعليم: المحيط إحاطة تامة. وبالنصب يريد القراءة «والقَمَرَ»، أي: جعلناه بالتسخير. ومنازل: جمع منزل. وعاد: صار. والشماريخ: جمع شِمراخ. وهو عنقود النخيل. ويسهل: يتيسر. وتدركه: تلحقه في مسيره. و«تجتمع معه» صوابه: تجتمع وإياه، خلافًا للكسائي. وسابقه أي: سابق انقضائه. وكذلك النهار. والفلك: المدار المنتظم. ويسير: يتحرك، فإما أن يدور حول نفسه فقط، وإما أن يدور أيضًا في فلك خاص. وحركة الكل داخل فلك السماوات. ونزلوا أي: جُعلت مثل العقلاء.

الجزء الثالث والعشرون — سورة يسٓ

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

رأي العين ﴿كالعُرجُونِ القَدِيمِ﴾ ٣٩ أي: كعُود الشَّماريخ، إذا عتَق فإنه يَدِقُّ ويتقوّس ويصفرّ، ﴿لا الشَّمسُ يَنبَغِي﴾: يسهُل ﴿لَها أن تُدرِكَ القَمَرَ﴾، فتجتمعَ معه في الليل، ﴿ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه، ﴿وكُلٌّ﴾ - تنوينه عوض من المضاف إليه، أي: الشمسِ والقمر والنجوم - ﴿في فَلَكٍ﴾: مُستدير ﴿يَسبَحُونَ﴾ ٤٠: يسيرون. نُزّلوا منزلةَ العُقلاء.

١- ﴿وآيةٌ لَهُم﴾ على قُدرتنا ﴿أنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُم﴾ - وفي قراءة: «ذُرِّيّاتِهِم» - أي آباءهم الأصول، ﴿في الفُلكِ﴾ أي: سفينة نُوح ﴿المَشحُونِ﴾ ٤١ المملوء، ﴿وخَلَقْنا لَهُم مِن مِثلِهِ﴾ أي: مِثلِ فُلك نُوح - وهو ما عملوه على شكله، من السُّفن الصغار والكبار، بتعليم الله تعالى - ﴿ما يَركَبُونَ﴾ ٤٢ فيه، ﴿وإن نَشَأْ نُغرِقْهُم﴾ مع إيجاد السُّفن، ﴿فلا صَرِيخَ﴾: مُغيثَ ﴿لَهُم، ولا هُم يُنقَذُونَ﴾ ٤٣: يُنجَون، ﴿إلّا رَحمةً مِنّا ومَتاعًا إلى حِينٍ﴾ ٤٤ أي: لا نُنجيهم إلّا لرحمتنا لهم، وتمتيعنا إياهم بلذّاتهم إلى انقضاء آجالهم.

سكتة لطيفة على الألف

٢- ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: اتَّقُوا ما بَينَ أيدِيكُم﴾، من عذاب الدنيا كغيركم، ﴿وما خَلفَكُم﴾ من عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ٤٥، أعرضوا، ﴿وما تأتِيهِم مِن آيةٍ مِن آياتِ رَبِّهِم إلّا كانُوا عَنها مُعرِضِينَ ٤٦، وإذا قِيلَ﴾ أي: قال فُقراء الصحابة ﴿لَهُم: أنفِقُوا﴾ علينا، ﴿مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الأموال. ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أنُطعِمُ مَن لَو يَشاءُ اللهُ أطعَمَهُ﴾، في مُعتقدكم؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في قولكم لنا ذلك، مع مُعتقدكم هذا، ﴿إلّا في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ٤٧: بيّن. وللتصريح بكُفرهم موقع عظيم.

٣- ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هٰذا الوَعدُ﴾ بالبعث، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ٤٨ فيه؟ قال تعالى: ﴿ما يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إلّا صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة إسرافيلَ الأُولى، ﴿تأخُذُهُم وهُم يَخِصِّمُونَ﴾ ٤٩ - بالتشديد أصله «يَختَصِمُونَ»، نُقلتْ حركة التاء إلى الخاء وأُدغمت في الصاد، أي: وهم في غفلة عنها، بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك. وفي قراءة: «يَخْصِمُون» كيَضْرِبُونَ، أي: يخصِم بعضُهم بعضًا - ﴿فلا يَستَطِيعُونَ تَوصِيةً﴾ أي: أن يُوصوا، ﴿ولا إلَى أهلِهِم يَرجِعُونَ﴾ ٥٠ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

٤- ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ - هو قرنٌ - النفخةَ الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فإذا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿إلَى رَبِّهِم يَنسِلُونَ﴾ ٥١: يخرجون بسرعة. ﴿قالُوا﴾ أي: الكُفّار منهم: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا - وهو مصدر لا فعل له من لفظه - ﴿مَن بَعَثَنا مِن مَرقَدِنا﴾؟ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يُعذّبوا. ﴿هٰذا﴾ أي: البعث ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿الرَّحمٰنُ، وصَدَقَ﴾ فيه

---

(١) آية لهم: انظر أول الآية ٣٣. وحملناها: قدّرنا حملها. والذرية: الأجداد القدماء. وفي الأصل: «حَمَلْنَا ذُرِّيّاتِهِم». وفي قراءة: ذُرِّيَّتَهُم». والأصول: الأقدمون. وهم أبناء نوح ومن آمن به، أجداد البشر المخاطبين. انظر الآيتين ٤٠ من سورة هود و٣ من سورة الإسراء. وخلقناه أي: علّمنا الإنسان صنعه إلهامًا. ويركبه: يكون فيه أو على سطحه. ونشاء: نريد إغراقهم. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا: من عندنا وبأمرنا. (٢) اتقوا العذاب: تجنبوا ما يسببه من الكفر والعصيان. وما بين أيديكم أي: مثل ما كان قبلكم في الأمم المستأصلة. والأيدي: جمع يد. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وترحمون: يُعطف عليكم بالمغفرة والنعم. و«أعرضوا» جواب الشرط في أول الآية. وتأتيهم: يرونها عِيانًا. والآية: الدلالة الواضحة على صحة النبوة. والمعرض: المنصرف. وروي أن الزنادقة المنكرين للألوهية ، إذا أمرهم المؤمنون بالصدقة على المساكين، قالوا استهزاء: لا والله، أيُفقرهم الله، ونطعمهم نحن؟ نحن نوافق مشيئته. فنزلت الآية. تفسير القرطبي ١٥ :٣٧. وأنفقوا: جودوا. ورزق: أعطى. وكفر: جحد الألوهية والتوحيد. ونطعم: نعطي. ويشاء: أراد إطعامه. وفي معتقدكم: بناء على اعتقادكم بالألوهية. والضلال: الخطأ. والتصريح بكفرهم أي: في «الذين كفروا». وموقع عظيم أي: في نفوس الكافرين تقبيحًا، وفي نفوس المؤمنين تسلية وتأنيسًا. (٣) متى هذا... صادقين: انظر الآية ٢٩ من سورة سبأ. والصيحة: الصرخة العظيمة. ونفخة إسرافيل الأولى تكون لانتهاء الحياة الدنيا، بموت جميع الأحياء على وجه الأرض. وتأخذهم: تُهلكهم. ويَخِصِّمون: يتنازعون ويختلفون. ط: «يَخَصِّمُونَ». وفي قرة العينين بكسر الخاء وفتح الصاد المشددة. ويَخْصِمه: يغلبه في الخصومة والنزاع. ويستطيعها: يملكها ويتمكن منها. والأهل: الأقارب والعشيرة. ويرجع: يعود. (٤) نفخ: دفع الهواء بشدة. والصور: مخلوق عظيم. و«أربعون سنة» هو من حديث ضعيف وآخر شاذ. والصحيح أن النبي ذكر «أربعون»، وأبى تعيين المعدود، لا كما جاء في المنحة ص ٥٨٣. انظر الأحاديث ٤٥٣٦ و٤٦٥١ في البخاري و٢٩٥٥ في مسلم. والأجداث: جمع جَدَث. وإلى ربهم: إلى مكان حسابه. وبعثنا: أحيانا. والمرقد: المنام. فالموتى كالنائمين بعد أن يُرفع عنهم عذاب القبر. ووعد: هدد. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وصدق: قال ما هو حق. و«ذلك» يعني: هذا... المرسلون، يقال لهم توبيخًا. وجميع لدينا: انظر الآية ٣٢. واليوم: يوم القيامة. ولاتظلم: لايجار عليها بنقص حسنة أو زيادة سيئة. والنفس: المخلوق المكلف. وتجزون: تكافؤون. وتعملون: تكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿**المُرسَلُونَ**﴾ ٥٢: أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار. وقيل: يقال لهم ذلك. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**كانَت إلّا صَيحةً واحِدةً، فإذا هُم جَميعٌ لَدَينا**﴾: عِندنا ﴿**مُحضَرُونَ**﴾ ٥٣. **فاليَومَ لا تُظلَمُ نَفسٌ شيئًا! ولا تُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٥٤.

ربع الحزب ٤٥

١- ﴿**إنَّ أصحابَ الجنّةِ اليَومَ في شُغُلٍ**﴾ - بسكون الغين وضمّها - عمّا فيه أهل النار، ممّا يتلذّذون به كافتضاض الأبكار، لا شغلٍ يتعبون فيه لأنّ الجنّة لا نصب فيها، ﴿**فاكِهُونَ**﴾ ٥٥: ناعمون خبرٌ ثانٍ لـ «إنّ»، والأوّل: في شُغل، ﴿**هُم**﴾: مبتدأ ﴿**وأزواجُهُم في ظِلالٍ**﴾: جمع ظُلّة أو ظِلّ، خبرٌ أي: لا تُصيبهم الشمس، ﴿**على الأرائِكِ**﴾: جمع أريكة - وهو السريرُ في الحَجَلة أو الفرشُ فيها - ﴿**مُتّكِئُونَ**﴾ ٥٦: خبرٌ ثانٍ مُتعلّقٌ «على»، ﴿**لَهُم فيها فاكِهةٌ، ولَهُم**﴾ فيها ﴿**ما يَدَّعُونَ**﴾ ٥٧: يتمنّون. ﴿**سَلامٌ**﴾: مبتدأ ﴿**قَولًا**﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿**مِن رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾ ٥٨ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم.

٢- ﴿**و**﴾ يقول: ﴿**امتازُوا اليَومَ، أيُّها المُجرِمُونَ**﴾ ٥٩ أي: انفردوا عن المؤمنين عِند اختلاطهم بهم. ﴿**ألَم أعهَدْ إلَيكُم**﴾: آمُرْكم - ﴿**يا بَني آدَمَ**﴾ - على لِسان رُسلي: ﴿**أن لا تَعبُدُوا الشَّيطانَ**﴾: لا تُطيعوه - ﴿**إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ ٦٠: بيِّنُ العداوة - ﴿**وأنِ اعبُدُوني**﴾: وحِّدوني وأطيعوني. ﴿**هٰذا صِراطٌ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٌ**﴾ ٦١؟ ﴿**ولَقَد أضَلَّ مِنكُم جُبُلًا**﴾: خلقًا جمعُ جَبيل كقَديم - وفي قراءة بضمّ الباء - ﴿**كَثِيرًا. أفلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ**﴾ ٦٢ عداوتَه وإضلاله، أو ما حلّ بهم من العذاب، فتؤمنون؟ ويقال لهم في الآخرة: ﴿**هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي كُنتُم تُوعَدُونَ**﴾ ٦٣ بها. ﴿**اصلَوها اليَومَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ**﴾ ٦٤. **اليَومَ نَختِمُ على أفواهِهِم**﴾ أي: الكُفّارِ، لقولهم: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، ﴿**وتُكَلِّمُنا أيدِيهِم وتَشهَدُ أرجُلُهُم**﴾ وغيرها، ﴿**بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ٦٥. فكُلّ عُضو ينطِق بما صدر منه.

٣- ﴿**ولَو نَشاءُ لَطَمَسنا على أعيُنِهِم**﴾: لأعميناهم طمسًا، ﴿**فاستَبَقُوا**﴾: ابتدروا ﴿**الصِّراطَ**﴾: الطريق ذاهبين كعادتهم، ﴿**فأنّى**﴾: فكيف ﴿**يُبصِرُونَ**﴾ ٦٦ حينئذٍ؟ أي: لايبصرون، ﴿**ولَو نَشاءُ لَمَسَخناهُم**﴾ قِردةً وخنازير أو حِجارة ﴿**على مَكانَتِهِم**﴾ - وفي قراءة: «مَكاناتِهِم» جمع مكانة بمعنى مكان - أي: في منازلهم، ﴿**فما استَطاعُوا مُضِيًّا ولا يَرجِعُونَ**﴾ ٦٧ أي: لم يقدروا **على** ذهاب ولا مجيء، ﴿**ومَن نُعَمِّرْهُ**﴾ بإطالة أجله ﴿**نَنكُسْهُ**﴾ - وفي قراءة «نُنَكِّسْهُ» بالتشديد من التنكيس - ﴿**في الخَلقِ**﴾ أي: خلقِه، فيكون بعد قُوّته وشبابه ضعيفًا وهرمًا. ﴿**أفلا يَعقِلُونَ**﴾ ٦٨ أنّ القادر على ذلك المعلوم عِندهم قادر على البعث فيُؤمنون؟ وفي قراءة بالتاء.

٤- ﴿**وما عَلَّمناهُ**﴾ أي: النبيَّ ﴿**الشِّعرَ**﴾، ردٌّ لقولهم: «إنّ ما أتى به من القُرآن شِعرٌ»، ﴿**وما يَنبَغي**﴾ يتسهّل ﴿**لَهُ**﴾ الشِّعرُ. ﴿**إنْ هُوَ**﴾: ليس الذي أتى به ﴿**إلّا ذِكرٌ**﴾: عِظة، ﴿**وقُرآنٌ مُبِينٌ**﴾ ٦٩: مُظهِرٌ للأحكام وغيرها، ﴿**لِيُنذِرَ**﴾ - بالياء والتاء - به ﴿**مَن كانَ حَيًّا**﴾ يعقِل ما يُخاطَب به وهم

---

(١) الأصحاب: جمع صاحب. والجنة: البستان العظيم. والشغل: ما يَصرف عما سواه. يعني النعيم وصحبة الأخيار ورضا الله والنظر إليه. و«افتضاض الأبكار» أوردَه تمثيلًا بدليل الكاف قبله، وقد حذفه ناشر المنحة تحكمًا. والأولى هو الإبهام بذكر الشغل للتعظيم والتنزيه عن رتبة البيان. انظر المحرر ٤:٤٥٨-٤٥٩. وبضمها يريد القراءة «شُغُلٍ». والناعم: من يتلذذ. والأزواج: جمع زوج، الزوجات. والظلة: ما يظلِّل من الحر. وخبر: يعني أن «في ظلال»: متعلقان بالخبر المحذوف للمبتدأ: هم. ولاتصيبهم الشمس أي: لاشمس هناك. والحجلة: قبة تزين بالستور والزهر. والمتكئ: القاعد متمكنًا. والسلام: إرادة حياة في النعيم، مع سلامة من الهموم والموت. وبالقول أي: بقول من جهة الله حقيقي لامجازي، تنقله الملائكة بشارة. وخبره: يعني أن «من»: تتعلق بالخبر المحذوف: كائن. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. (٢) الشيطان: من يغري بالشر من الجن والإنس. والعدو: المعادي. وهذا أي: ما ذكر من العهد. والمستقيم: المعتدل. وأضله: سبب له الخروج عن الحق. والجَبيل: المخلوق المجبول. وبضم الباء يريد «جُبُلًا». وانظر «المفصل». وتعقلونها: تدركونها. وتوعدون: تهددون. واصلوها: قاسُوا حرها. ونختم عليها أي: نمنعها من الكلام. والأفواه: جمع فم. وقولهم هو في الآية ٢٣ من سورة الأنعام. وتكلم وتشهد أي: تنطق وتقر. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. ويكسبون: يفعلونه من نية أو قول أو عمل. (٣) نشاء أي: أردنا طمسها. والأعين: جمع عين. ولايبصرون: لايرون جِهة السلوك في الدنيا. والمراد: لكننا أبقينا نعمة البصر، ليستطيعوا التدبر، ولعلهم يشكرون ذلك. ومسخناهم: غيّرنا صورهم وشوهناها. واستطاعه: قدَر عليه. وننكسه: نعكسه فيستمر ضعفه. وفي المنحة: «نُنكسه». والخلق: التكوين. ويعقل: يدرك. وبالتاء يريد «أفلا تَعقِلُونَ»؟ وفيها التفات من الغَيبة إلى الخطاب للمواجهة بالتقريع. (٤) ما علمناه الشعر أي: لم نخلق فيه موهبة الشعر منظومًا أو غير منظوم. وذلك للحكمة العالية بإقامة الحجة ودفع مزاعم المكابرين. ولو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة إليه، في أن القرآن هو من صنعه وإنشائه، ومن نسج الخيال والأوهام. فقد روي أن عُقبة بن أبي مُعيط كان يزعم القول المذكور، ويردده مَن معه من المشركين. البحر ٣٤٥:٧. وينذر: يهدد بعذاب من كفر. وبالتاء يريد القراءة «لِتُنذِرَ». والحي: عُبِّرَ به عمن يعقل ويؤمن، ليقابل الكافر الذي هو كالميت. ويحق: يجب ويظهر. والقول: القضاء بعقوبة الكافرين.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّات — ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

المؤمنون، ﴿**ويَحِقَّ القَولُ**﴾ بالعذاب ﴿**علَى الكافِرِينَ**﴾ ٧٠، وهم كالميتين لا يعقلون ما يُخاطَبون به.

١- ﴿**أوَلَم يرَوا**﴾: يعلموا - والاستفهام للتقرير والواو للعطف - ﴿**أنّا خَلَقْنا لهُم**﴾ في جُملة الناس، ﴿**مِمّا عَمِلَتْ أيدِينا**﴾ أي: عمِلناه بلا شريك ولا مُعين، ﴿**أنعامًا**﴾ هي الإبل والبقر والغنم - ﴿**فهُم لَها مالِكُونَ**﴾ ٧١: ضابطون - ﴿**وذَلَّلْناها**﴾: سخّرناها ﴿**لَهُم، فمِنها رَكُوبُهُم**﴾: مركوبهم ﴿**ومِنها يأكُلُونَ ٧٢، ولَهُم فِيها مَنافِعُ**﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها، ﴿**ومَشارِبُ**﴾ من لبنها: جمعُ مَشرَب بمعنى شُربٍ أو موضعِه؟ ﴿**أفلا يَشكُرُونَ**﴾ ٧٣ المُنعِم عليهم بها فيُؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

٢- ﴿**واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿**آلِهةً**﴾ يعبدونها، ﴿**لَعَلَّهُم يُنصَرُونَ**﴾ ٧٤: يُمنعون من عذاب الله بشفاعة آلهتهم، بزعمهم. ﴿**لا يَستَطِيعُونَ**﴾ أي: آلهتُهم - نُزّلوا منزلةَ العقلاء - ﴿**نَصْرَهُم، وهُم**﴾ أي: آلهتُهم من الأصنام ﴿**لَهُم جُندٌ**﴾ بزعمهم نصرَهم ﴿**مُحضَرُونَ**﴾ ٧٥ في النار معهم. ﴿**فلا يَحزُنْكَ قولُهُم**﴾ لك: «لَستَ مُرسَلًا» وغيرَ ذلك. ﴿**إنّا نَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾ ٧٦ من ذلك وغيره، فنُجازيهم عليه.

٣- ﴿**أوَلَم يَرَ الإنسانُ**﴾ يعلمْ - وهو العاصِ بنُ وائل - ﴿**أنّا خَلَقْناهُ مِن نُطْفةٍ**﴾ مَنيٍّ إلى أن صيَّرناه شديدًا قويًّا، ﴿**فإذا هُوَ خَصِيمٌ**﴾: شديد الخُصومة لنا، ﴿**مُبِينٌ**﴾ ٧٧: بيِّنُها في نفي البعث؟ ﴿**وضَرَبَ لَنا مَثَلًا**﴾ في ذلك، ﴿**ونَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ من المَنيّ، وهو أغرب من مَثله. ﴿**قالَ: مَن يُحيِي العِظامَ، وهْيَ رَمِيمٌ**﴾ ٧٨ أي: بالية؟ ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صِفة. رُوي أنه أخذ عظمًا رميمًا ففتّتَه، وقال للنبيّ: أتَرَى يُحيي اللهُ هذا بعدَ ما بَليَ ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعَمْ ويُدخِلُكَ النّارَ». ﴿**قُلْ: يُحيِيها الَّذي أنشَأَها أوَّلَ مَرّةٍ، وهْوَ بِكُلِّ خَلقٍ**﴾ أي: مخلوق ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ٧٩ مُجمَلًا ومُفصَّلًا قبل خلقه وبعد خلقه، ﴿**الَّذي جَعَلَ لَكُم**﴾، في جُملة الناس، ﴿**مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ**﴾: المَرخ والعَفار أو كُلّ الشجر إلّا العُنّاب ﴿**نارًا، فإذا أنتُم مِنهُ تُوقِدُونَ**﴾ ٨٠: تقدحون. وهذا دالّ على القُدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يُطفئ النار، ولا النار تُحرق الخشب.

٤- ﴿**أوَلَيسَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ**﴾، مع عِظمهما، ﴿**بِقادِرٍ علَى أن يَخلُقَ مِثلَهُم**﴾ أي: الأناسيّ في الصِّغر؟ ﴿**بَلَى**﴾ أي: هو قادر على ذلك - أجاب نفسَه - ﴿**وهْوَ الخَلّاقُ**﴾: الكثير الخلق، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٨١ بكُلّ شيء. ﴿**إنَّما أمرُهُ**﴾: شأنه، ﴿**إذا أرادَ شَيئًا**﴾ أي: خَلْقَ شيء، ﴿**أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ**﴾ ٨٢ أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفًا على «يقول». ﴿**فسُبحانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ**﴾: مُلكُ، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القُدرةُ على ﴿**كُلِّ شَيءٍ، وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٨٣: تُردُّون في الآخرة!

سورة والصافّات

مكية، مِائَة واثنتان وثمانون آية.

(١) التقرير: انظر الآية ٣١. والواو للعطف أي: أن جملة «لم يروا»: معطوفة على نظيرتها في الآية المذكورة أيضًا، فالآيات ٤٩-٧٠ اعتراضية. وخلق: أوجد من العدم. وعملت أيدينا أي: تولينا إحداثه متفردين. والأيدي: جمع يد، مبالغة في التعظيم لشأن المخلوق. والأنعام: جمع نعم. والمنافع: جمع منفعة. وهي ما يكون فيه خير وفائدة. وموضع الشرب هو الضرع. والشرب: ما يُشرب. ويشكر المنعم: يثني عليه بما هو أهله من التوحيد والتمجيد. وما فعلوا أي: لم يشكروا لأنهم أشركوا به، وكذّبوا رسوله وآياته.

(٢) اتخذ: انظر الآية ٢٣. ويستطيع الشيء: يقدر عليه. والجند: واحده جندي. والمحضر: المحشور بالعنف. ويَحزن: يسبب الغم والحسرة. و«لست مرسلًا» يعني: ما ورد في الآية ٤٣ من سورة الرعد. ونعلمه: نحيط به بالغ الإحاطة. ويسر أي: يخفي عن الخلق في ضميره. ويعلنه: يطلع عليه الغير. وعليه: على ما ذكر من السر والإعلان.

(٣) العاصِ بنُ وائل أحد مشركي مكة. وخلق: أوجد. والنطفة: القطرة. وضرب: أوضح. ولنا: لقدرتنا على البعث. ونسيه: ترك ذكره مكابرة. وخلْقه: تكوّنه. ويحييها: يخلق فيها الحياة. والعظام: جمع عظم. ولم يقل بالتاء أي: لم يقل «هي رميمة». والحديث في المستدرك ٢:٤٢٩. وأنشأ: خلق. وأول مرة: في ابتداء الخلق من تراب. والعليم: المحيط بكامل التفصيلات والكيفيات. وجعل: صيّر. والمرخ والعَفار نوعان من الشجر يتخذ، من أغصانهما، عودانِ لقدح النار بالحك. والعناب: شجر لا يقدح.

(٤) السماوات: مايحيط بالأرض من عوالم علوية. والقادر: المستطيع. والمثل: المماثل في الذات والصفات. والمراد: أن يعيد خلقهم فيخلق أمثالهم. والأناسي: جمع إنسان. وأراد: شاء. وكن أي: احدث. ويكون: يحدث. و«بالنصب» يريد القراءة «فيَكُونَ». انظر الآية ٤٠ من سورة النحل. وسبحانه: تنزيهًا له عما لايليق بذاته وصفاته وأفعاله. وإليه: إلى لقاء حشره. وفي الآخرة أي: بالبعث للحساب.

سورة الصافات الجزء الثالث والعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**والصّافّاتِ صَفًّا**﴾ ١: الملائكةِ تصُفّ نُفوسَها في العِبادة، أو أجنحتَها في الهواء، تنتظر ما تُؤمر به، ﴿**فالزّاجراتِ زَجرًا**﴾ ٢: الملائكةِ تَزجرُ السحاب أي: تسوقه، ﴿**فالتّالياتِ**﴾: جماعةِ قُرّاءِ القُرآن تتلوه ﴿**ذِكرًا**﴾ ٣: مصدرٌ من معنى: التاليات، ﴿**إنّ إلَهَكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**لَواحِدٌ ٤، رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، ورَبُّ المَشارِقِ**﴾ ٥ أي: والمغارب للشمس، لها كُلَّ يوم مشرق ومغرب.

٢- ﴿**إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِزينةِ الكَواكِبِ**﴾ ٦ أي: بضوئها أو بها - والإضافة للبيان، كقراءة تنوين «زينةٍ» المُبيِّنةِ بـ «الكواكبِ» - ﴿**وحِفظًا**﴾: منصوبٌ بفعل مقدّر أي: حفظناها بالشهب، ﴿**مِن كُلِّ**﴾: مُتعلّقٌ بالمقدّر ﴿**شَيطانٍ مارِدٍ**﴾ ٧: عاتٍ خارج عن الطاعة. ﴿**لا يَسْمَعُونَ**﴾ أي: الشياطينُ - مستأنف، وسماعهم هو في المعنى: المحفوظُ عنه - ﴿**إلى المَلَإِ الأعلَى**﴾: الملائكة في السماء - وعُدِّيَ السماع بـ «إلى» لتضمّنه معنى الإصغاء. وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله «يَتَسَمَّعُونَ» أُدغمت التاء في السين - ﴿**ويُقذَفُونَ**﴾ أي: الشياطينُ بالشُّهب ﴿**مِن كُلِّ جانِبٍ**﴾ ٨ من آفاق السماء، ﴿**دُحُورًا**﴾: مصدرُ: دَحَرَه، أي: طرده وأبعده، وهو مفعول له، ﴿**ولَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابٌ واصِبٌ**﴾ ٩: دائم، ﴿**إلّا مَن خَطِفَ الخَطْفَةَ**﴾ مصدرٌ أي: المرّةَ - والاستثناء من ضمير «يسمعون» - أي: لا يسمع إلّا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة، ﴿**فأتبَعَهُ شِهابٌ**﴾: كوكب مضيء ﴿**ثاقِبٌ**﴾ ١٠: يثقبه أو يُحرقه أو يُخبّله.

نصف الحزب ٤٥

٣- ﴿**فاستفتِهِم**﴾: استخبرْ كُفّار مكّة تقريرًا أو توبيخًا: ﴿**أهُم أشَدُّ خَلقًا أم مَن خَلَقْنا**﴾، من الملائكة والسماوات والأرَضِينَ وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ «مَن» تغليبُ العقلاء. ﴿**إنّا خَلَقْناهُم**﴾ أي: أصلَهم آدم ﴿**مِن طِينٍ لازِبٍ**﴾ ١١: لازم يلصق باليد. المعنى أنّ خلقهم ضعيف، فلا يتكبّروا بإنكارِ النبيّ والقرآن المؤدّي إلى هلاكهم اليسير. ﴿**بَل**﴾: للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم، ﴿**عَجِبتَ**﴾ - بفتح التاء خِطابًا للنبيّ - أي: من تكذيبهم إياك ﴿**و**﴾ هم ﴿**يَسخَرُونَ**﴾ ١٢ من تعجّبك، ﴿**وإذا ذُكِّرُوا**﴾: وُعظوا بالقُرآن ﴿**لا يَذكُرُونَ**﴾ ١٣: لا يتّعظون، ﴿**وإذا رأَوا آيةً**﴾ كانشقاق القمر ﴿**يَستَسخِرُونَ**﴾ ١٤ يستهزئون بها، ﴿**وقالُوا**﴾ فيها: ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾ ١٥: بيّن. وقالوا منكرين للبعث: ﴿**أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا لَمَبعُوثُونَ**﴾ ١٦ - في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين - ﴿**أوْ آباؤُنا الأوّلُونَ**﴾ ١٧؟ بسكون الواو عطفًا بـ «أو»، وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطفُ بالواو. والمعطوف عليه محلُّ «إن» واسمِها، أو الضميرُ في «لمبعوثون» والفاصل همزة الاستفهام.

٤- ﴿**قُلْ: نَعَم**﴾ تُبعثون، ﴿**وأنتُم داخِرُونَ**﴾ ١٨: صاغرون. ﴿**فإنَّما هِيَ**﴾: ضميرٌ مُبهم يُفسّره ﴿**زَجْرَةٌ**﴾ أي: صيحة ﴿**واحِدَةٌ، فإذا هُم**﴾ أي: الخلائق أحياءً ﴿**يَنظُرُونَ**﴾ ١٩ ما يُفعل بهم، ﴿**وقالُوا**﴾ أي: الكُفّار: ﴿**يا**﴾: للتنبيه ﴿**وَيلَنا**﴾: هلاكَنا. وهو مصدر لا فِعل له من لفظه. وتقول لهم الملائكة: ﴿**هٰذا يَومُ الدِّينِ**﴾ ٢٠ أي: الحِسابِ والجزاء، ﴿**هٰذا يَومُ الفَصلِ**﴾ بين الخلائق، ﴿**الّذي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ ٢١. ويقال للملائكة:

---

(١) الصافات: جمع صافة. والصافة واحدها صافّ. وكذلك يقال في الزاجرات والتاليات. والزجر: الدفع بقوة. وتتلوه: تقرؤه. ومن معنى التاليات أي: أن الذكر هنا بمعنى التلاوة. والإلٰه: المعبود بحق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمشارق: جمع مَشرِق: مكان الشروق. ولم تذكر المغارب لدلالة ما يقابلها من المشارق. (٢) زينا: جمّلنا. والدنيا: الأقرب إلى الناس. والكواكب: جمع كوكب. وللبيان يعني: بزينةٍ هي الكواكب. والحفظ: الوقاية. والشيطان: مخلوق ناري غير مرئيّ للإنسان عدا الرسول. ويسمع: يصغي. والملأ: السادة من الملائكة. والأعلى: المقرَّب من المولى. وبالتشديد يريد القراءة «لايَسَّمَّعُونَ». ويُقذف: يرجم. وخطف: استرق بسرعة. وأتبعه: تبعه وأصابه. وهذا يبطل زعم الدجاجلة اتصالَهم بالجن ومعرفة الغيب. (٣) أشد خلقًا: أقوى بنية وأصعب إنشاء. وخلقنا: أوجدنا. وتغليب العقلاء أي: على غيرهم من المخلوقات. والطين: التراب المجبول بالماء. وأشار بقوله «فلا يتكبروا... اليسير» إلى أن الآية نزلت في أبي الأشُدَّينِ، وهو من جبابرة مكة. انظر الآية ٣٠ من سورة المدثر. ويسخر: يهزأ. ورأوها: أبصروها. والآية: المعجزة. انظر «المفصل». والسحر: خداع يخيل للإدراك والحواس ما يخالف الواقع. والعظام: جمع عظم. والمبعوث: من أُخرج من قبره للحساب. وفي الموضعين أي: «أإذا» و«أإنّا». انظر الآية ٨٢ من سورة المؤمنون. والآباء: جمع أب. وهو الجد. والأول: الأقدم. وبفتحها يريد القراءة «أوَآباؤُنا». فالهمزة حرف زائد يفيد المبالغة في توكيد النفي. (٤) هي أي: القيامة. والصيحة: النفخة الثانية في الصور. والخلائق: المخلوقات المكلفة، جمع خليقة. وينظرون: يُبصرون عِيانًا. واليوم: الوقت. والفصل: الحكم. واحشروهم: اجمعوهم. وظلموها: منعوها الهداية. والأزواج: جمع زوج. ويعبد: يقدس ويطيع. والأوثان أي: وغيرها من المخلوقات. وتناصرون: تتناصرون. وعنهم أي: في شأن الظالمين. واليوم أي: في هذا الوقت. وأذلاء: لاقدرة لهم على حماية أنفسهم، فمن أين لهم أن يدافع بعضهم عن بعض؟

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

﴿**احشُروا الَّذِينَ ظَلَموا**﴾ أنفُسَهم بالشِّرك، ﴿**وأزواجَهُم**﴾: قُرناءهم من الشياطين، ﴿**وما كانُوا يَعبُدونَ**﴾ ٢٢، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه من الأوثان، ﴿**فاهدُوهُم**﴾: دُلّوهم وسوقوهم ﴿**إِلَى صِراطِ الجَحِيم**﴾ ٢٣: طريق النار، ﴿**وقِفُوهُم**﴾: احبِسوهم عِند الصِّراط. ﴿**إِنَّهُم مَسؤُولُونَ**﴾ ٢٤ عن جميع أقوالهم وأفعالهم. ويقال لهم توبيخًا: ﴿**مالَكُم لا تَناصَرُونَ**﴾ ٢٥: لا ينصر بعضكم بعضًا، كحالكم في الدنيا؟ ويقال عنهم: ﴿**بَل هُمُ اليَومَ مُستَسلِمُونَ**﴾ ٢٦: منقادون أذِلّاء.

١ - ﴿**وأقبَلَ بَعضُهُم على بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ**﴾ ٢٧: يتلاومون ويتخاصمون. ﴿**قالُوا**﴾ أي: الأتباع منهم للمتبوعين: ﴿**إِنَّكُم كُنتُم تَأتُونَنا عَنِ اليَمِينِ**﴾ ٢٨: عن الجهة التي كنّا نأمنكم منها، بحَلِفِكم إنكم على الحقّ، فصدّقناكم واتّبعناكم. المعنى: إنكم أضللتمونا. ﴿**قالُوا**﴾ أي: المتبوعون لهم: ﴿**بَل لَم تَكُونُوا مُؤمِنِينَ**﴾ ٢٩ - وإنما يَصدق الإضلالُ منّا أن لو كنتم مؤمنين، فرجَعتم عن الإيمان إلينا - ﴿**وما كانَ لَنا عَلَيكُم مِن سُلطانٍ**﴾: قوّة وقُدرة، تقهركم على مُتابعتنا، ﴿**بَل كُنتُم قَومًا طاغِينَ**﴾ ٣٠: ضالّين مِثلَنا، ﴿**فحَقَّ**﴾: وجب ﴿**علَينا**﴾ جميعًا ﴿**قَولُ رَبِّنا**﴾ بالعذاب، أي قوله: «لأملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ أجمَعِينَ» - ﴿**إِنّا**﴾ جميعًا ﴿**لَذائِقُونَ**﴾ ٣١ العذابَ بذلك القول - ونشأ عنه قولُهم: ﴿**فأغوَيناكُم**﴾ المُعلَّلُ بقولهم: ﴿**إِنّا كُنّا غاوِينَ**﴾ ٣٢.

٢ - قال تعالى: ﴿**فإِنَّهُم يَومَئذٍ**﴾: يومَ القيامةِ ﴿**في العَذابِ مُشتَرِكُونَ**﴾ ٣٣ أي: لاشتراكهم في الغَواية. ﴿**إِنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما نفعل بهؤلاء، ﴿**نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ**﴾ ٣٤ غير هؤلاء، أي: نُعذّبهم التابعَ منهم والمتبوع. ﴿**إِنَّهُم**﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده، ﴿**كانُوا إِذا قِيلَ لَهُم: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ. يَستَكبِرُونَ**﴾ ٣٥، ﴿**ويَقُولُونَ: أئِنّا**﴾ - في همزتيه ما تقدّم - ﴿**لَتارِكُو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجنُونٍ**﴾ ٣٦ أي: لأجل قول مُحمّد؟ قال تعالى: ﴿**بَل جاءَ بِالحَقِّ وصَدَّقَ المُرسَلِينَ**﴾ ٣٧ الجائين به. وهو قول: لا إلَه إلّا الله. ﴿**إِنَّكُم**﴾ - فيه التفات - ﴿**لَذائِقُو العَذابِ الأَلِيمِ**﴾ ٣٨، ﴿**وما تُجزَونَ إِلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٣٩، ﴿**إِلّا عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ**﴾ ٤٠ أي: المؤمنين، استثناء منقطع، أي: ذُكِرَ جزاؤهم في قوله: ﴿**أُولٰئِكَ لَهُم**﴾ في الجنّة ﴿**رِزقٌ مَعلُومٌ**﴾ ٤١ بُكرة وعشيًّا، ﴿**فَواكِهُ**﴾: بدلٌ أو بيان للرزق - وهو ما يُؤكل تلذّذًا لا لحِفظ صِحّة، لأنّ أهل الجنّة مُستغنون عن حِفظها بخلق أجسامهم للأبد - ﴿**وهُم مُكرَمُونَ**﴾ ٤٢ بثواب الله، ﴿**في جَنّاتِ النَّعِيمِ**﴾ ٤٣، ﴿**على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ**﴾ ٤٤: لا يرى بعضهم قفا بعض.

٣ - ﴿**يُطافُ عَلَيهِم**﴾: على كُلّ منهم، ﴿**بِكأسٍ**﴾ هو الإناء بشرابه، ﴿**مِن مَعِينٍ**﴾ ٤٥: من خمر تجري على وجه الأرض كأنهار الماء، ﴿**بَيضاءَ**﴾ أشدَّ بياضًا من اللبن، ﴿**لَذّةٍ**﴾: لذيذة ﴿**لِلشّارِبِينَ**﴾ ٤٦، بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، ﴿**لا فِيها غَولٌ**﴾: ما يَغتال عُقولَهم، ﴿**ولا هُم عَنها يُنزَفُونَ**﴾ ٤٧ - بفتح الزاي وكسرها من: نُزِفَ الشارب وأنزفَ - أي: يَسكرون بخِلاف خمر الدنيا، ﴿**وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ**﴾: حابساتُ الأعين على أزواجهنّ، لا ينظرْن إلى غيرهم لحسنهم عندهنّ، ﴿**عِينٌ**﴾ ٤٨: ضِخامُ الأعيُنِ حِسانها، ﴿**كأَنَّهُنَّ**﴾ في اللون ﴿**بَيضٌ**﴾ للنعام ﴿**مَكنُونٌ**﴾ ٤٩: مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو البياض في صُفرة - أحسن ألوان النساء.

٤ - ﴿**فأقبَلَ بَعضُهُم**﴾: بعضُ أهل الجنّة ﴿**على بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ**﴾ ٥٠ عمّا مرّ بهم في الدنيا. ﴿**قالَ قائلٌ مِنهُم: إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ**﴾ ٥١: صاحبٌ

---

(١) أقبل: توجه. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. وتأتوننا: تجيئوننا للإغراء. واليمين: القَسم. ونأمن: نطمئن. وبحلفكم: بقسمكم. وأضللتمونا أي: أنتم المسؤولون عن ضلالنا. والمتبوعون: الرؤساء. والمؤمن: المتصف بالإيمان. والقول: الحكم. وهو في الآية ١٣ من سورة السجدة. والذائق: من يقاسي. وأغوينا: أغرينا. (٢) العذاب: التعذيب. ونفعل: نجزي. والمجرم: من أغرق في الشر. وبقرينة ما بعده يعني: أن الضمير في «إنهم» للمشركين، بدلالة ما في بقية الآية. والإله: المعبود بحق. ويستكبرون: يترفعون. وهمزتيه أي: اللتين في «أإنّا». وما تقدم: يعني مافي الآية ١٦ من القراءات الأربع. والتارك: المهمل. والآلهة: جمع إله. والمراد ترك عبادتها. والشاعر: من ينظم الشعر ويقول ما لا أصل له. والمجنون: الذي فقدَ عقله. وجاء: أُرسل. والحق: ما لايلحقه اضمحلال. وصدّقهم: وافق ما دعوا إليه وأثبته. والأليم: الشديد الإيلام. وتجزون: تعاقبون. وتعملون: تكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. والعباد: جمع عبد. والمخلصين: الذين أخلصوا إيمانهم بالتوحيد والطاعة. وفي ط والفتوحات والصاوي: «المُخلَصِينَ». والرزق: ما يهيئه الله من المتاع والزينة. والمعلوم: المعيّن المقدار والصفات والأوان. والمكرم: من يصل إليه ما يريد دون طلب. والجنة: البستان العظيم. والنعيم: حسن الحال. والسرر: جمع سرير. والراجح أن التقابل هنا هو التساوي في التواصل والتزاور والشوق والصفاء. (٣) يطاف: يطوف الولدان والغلمان. والمعين: المرئي بالعيون. ويغتالها: يفسدها. وبكسرها يريد القراءة «يُنْزِفُونَ». يعني: لايسكرون بشرب خمر الآخرة. وعندهم: في قصورهم. والطرف: العين، أي: قاصراتٌ أطرافَهن. والعِين: جمع عيناء. وضخام أي: واسعات تتسم بالجمال. والبَيض: واحدته بَيضة. و«أحسن ألوان النساء» قول بعض المفسرين، يناسب القيم الجمالية عند العرب. والظاهر أن المراد تشبيه التناسب في جمال المرأة، بالتناسب في ظاهر البَيض المصون. البحر ٧: ٣٦٠. (٤) أقبل: توجه بالكلام. ويتساءلون: يتحادثون. والمصدق: المؤمن. وكنا: صرنا. والتراب: ما تفتت. والعظام جمع عظم. والثلاثة مواضع أي: «أإنّكَ» و«أإذا» و«أإنّا». ومواضع: =

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠)
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١) أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
(٦٥) فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ (٦٨)
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ (٧٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ (٧٣)
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦)

يُنكر البعث، ﴿**يَقُولُ**﴾ لي تبكيتًا: ﴿**أإنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ**﴾ ٥٢ بالبعث؟ ﴿**أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا**﴾ - في الهمزتين في الثلاثةِ مواضعَ ما تقدّم - ﴿**لَمَدِينُونَ**﴾ ٥٣: مَجزيّون ومُحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا. ﴿**قالَ**﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿**هَل أنتُم مُطَّلِعُونَ**﴾ ٥٤ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

١ - ﴿**فاطَّلَعَ**﴾ ذلك القائل من بعض كُوى الجنّة، ﴿**فرَآهُ**﴾ أي: رأى قرينَه ﴿**في سَواءِ الجَحِيمِ**﴾ ٥٥: في وسط النار. ﴿**قالَ**﴾ له تشميتًا: ﴿**تاللهِ إنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة ﴿**كِدتَ**﴾: قاربتَ ﴿**لَتُرْدِينِ**﴾ ٥٦: لَتُهلِكُني بإغوائك! ﴿**ولَولا نِعْمةُ رَبِّي**﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإيمان ﴿**لَكُنتُ مِنَ المُحضَرِينَ**﴾ ٥٧ معك في النار.

٢- ويقول أهل الجنّة: ﴿**أفما نَحنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إلّا مَوتَتَنا الأُولَى**﴾ التي في الدنيا، ﴿**وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ ٥٩؟ هو استفهام تلذّذ وتحدُّث بنعمة الله - تعالى - من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. ﴿**إنَّ هٰذا**﴾ الذي ذُكر لأهل الجنّة ﴿**لَهُوَ الفَوزُ العَظِيمُ ٦٠. لِمثلِ هٰذا فلْيَعمَلِ العامِلُونَ**﴾ ٦١ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

٣- ﴿**أذٰلِكَ**﴾ المذكور لهم ﴿**خَيرٌ نُزُلًا**﴾ - وهو ما يُعدُّ للنازل من ضيف وغيره - ﴿**أم شَجَرةُ الزَّقُّومِ**﴾ ٦٢ المُعدّةُ لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المرّ بتِهامة، يُنبتها الله في الجحيم، كما سيأتي. ﴿**إنّا جَعَلْناها**﴾ بذلك ﴿**فِتْنةً لِلظّالِمِينَ**﴾ ٦٣ أي: الكافرين من أهل مكّة، إذ قالوا: النار تُحرق الشجرَ. فكيف تُنبته؟ ﴿**إنَّها شَجرةٌ، تَخرُجُ في أصلِ الجَحِيمِ**﴾ ٦٤ أي: قعر جهنّم، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها، ﴿**طَلْعُها**﴾ المُشبَّه بطلع النخلة ﴿**كأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ**﴾ ٦٥: الحيّاتِ القبيحة المنظر، ﴿**فإنَّهُم**﴾ أي: الكُفّارَ ﴿**لَآكِلُونَ مِنها**﴾، مع قُبحها لشِدّة جوعهم، ﴿**فمالِئُونَ مِنها البُطُونَ ٦٦، ثُمَّ إنَّ لَهُم علَيها لَشَوبًا مِن حَمِيمٍ**﴾ ٦٧ أي: ماءٍ حارّ يشربونه، فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبًا له، ﴿**ثُمَّ إنَّ مَرجِعَهُم لَإلَى الجَحِيمِ**﴾ ٦٨. يُفيد أنهم يخرجون منها لشُرب الحميم، وأنه خارجَها.

٤- ﴿**إنَّهُم ألفَوا**﴾: وجدُوا ﴿**آباءَهُم ضالِّينَ ٦٩، فهُم على آثارِهِم يُهرَعُونَ**﴾ ٧٠: يُزعَجون إلى اتّباعهم، فيُسرعون إليه. ﴿**ولَقَد ضَلَّ قَبلَهُم أكثَرُ الأوَّلِينَ**﴾ ٧١ من الأُمم الماضية، ﴿**ولَقَد أرسَلْنا فِيهِم مُنذِرِينَ**﴾ ٧٢ من الرُّسل مُخوِّفين. ﴿**فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُنذَرِينَ**﴾ ٧٣ الكافرين؟ أي: عاقبتُهم العذاب، ﴿**إلّا عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ**﴾ ٧٤ أي: المؤمنين. فإنهم نجَوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأنّ الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

٥- ﴿**ولَقَد نادانا نُوحٌ**﴾ بقوله: «رَبِّ إنّي مَغلُوبٌ فانتَصِرْ»، ﴿**فلَنِعمَ المُجِيبُونَ**﴾ ٧٥ له نحن! أي: دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق، ﴿**ونَجَّيناهُ**

=تمييز لا مضاف إليه. فالعبارة صحيحة فصيحة. وما تقدم أي: في الآية ١٦ من قراءات. وأنكر ذلك أي: الحساب والجزاء. والقائل لإخوانه هو فاعل «قال» في أول الآية ٥١. ومطلعون أي: متوجهون لنطّلع.

(١) التشميت: الفرح بمصائب العدو. وتالله: للقسم والتعجب. ومخففة أي: حذفت نون «إنّ» الثانية. وكنت: صرت. والمحضر: المسوق بقوة وقهر.

(٢) المعذب: من يناله الإيذاء. وفي الاستفهام معنى التعجب أيضًا. والذي ذكر أي: ما في الآيات ٤٠-٥٩. والفوز: نيل المطلوب. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ويعمل: يسعى. ويقال أي: يقوله الله في الآخرة. والراجح أن مافي الآيتين ٦٠ و٦١ هو خطاب من الله لأهل الدنيا، أي: قد سمعتم ما في الجنة، فاعملوا لنواله. ويقويه الأمر بالعمل، إذ الآخرة ليست دارًا له. وبهذا يكون اتصال بالآيات التالية.

(٣) انظر لباب النقول. وخير أي: أفضل. وتهامة: ما بين الحجاز والبحر الأحمر. وجعل: صيّر. وفتنة: امتحانًا. والظالم: المتجاوز للحق. وتخرج: تنبت. والدركات: الأماكن السفلى. والطلع: ما يظهر من الثمر قبل انعقاده. والرؤوس: جمع رأس. والشياطين: جمع شيطان. والبطون: جمع بطن. وعليها: على ما يأكلون منها. والشوب: ما يختلط. والمرجع: الرجوع. و«خارجها» الصواب أن ما يشربون من الحميم هو داخل جهنم أيضًا، في مكان منها بعيد عن الجحيم، إذ الخروج محال.

(٤) الآباء: جمع أب. والضال: الخارج عن الحق. والآثار: جمع أثر، مزاعم الشرك. وأرسل: بعث وكلف بالدعوة والعمل. وانظر: تفكر وتدبر. والعاقبة: النهاية. والعباد: جمع عبد. وبفتح اللام يريد القراء ة «المُخلَصِينَ».

(٥) نادانا: استغاث بنا. ونداؤه في الآية ١٠ من سورة القمر: «أني مغلوب فانتصر». فليُتنبّه إلى ذلك. ونجيناه: أنقذناه. والكرب: الغم الشديد. وجعل: صيّر. والباقين: الذين بقُوا على الحياة فتناسلوا. وذريته أي: وذرية من آمن به. وفارس: أمة الفرس. والخزر: التتار. وما هنالك أي: مَن هم قرب يأجوج ومأجوج من الأمم. وتوزيع البشر هذا مقولة إسرائيلية، وأن يكون لمن عاش ألف سنة بضعة أولاد قول مرجوح. انظر قول ابن زيد في الدر المنثور ٣:٣٣٦ ومروج الذهب ١: ٥١-٥٢ وتعليقنا على تفسير الآيتين ٤٠ من سورة هود و٣ من سورة الإسراء. وسلام: السلامة من كل شر. والعالَم: الجنس من الخلق. ونجزي: نكافئ. والمحسن: من يخلص العبادة. وأغرقناهم: جعلنا موتهم خنقًا بالماء.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

وأهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ﴾ ٧٦ أي: الغرق، ﴿**وجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقينَ**﴾ ٧٧. فالناس كُلّهم من نسله، عليه السلام. وكان له ثلاثة أولاد: سامٌ وهو أبو العرب وفارسَ والروم، وحامٌ وهو أبو السودانِ، ويافِثُ وهو أبو الترك والخَزَر ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك. ﴿**وتَرَكْنا**﴾: أبقينا ﴿**عليهِ**﴾ ثناءً حسنًا، ﴿**في الآخِرينَ**﴾ ٧٨ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة - ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**على نُوحٍ في العالَمينَ**﴾ ٧٩. **إنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما جزيناهُ ﴿**نَجزي المُحسِنينَ**﴾ ٨٠. **إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنينَ**﴾ ٨١ - **ثُمَّ أغرَقْنا الآخَرينَ**﴾ ٨٢: كُفّارَ قومه.

١- ﴿**وإنَّ مِن شِيعَتِهِ**﴾ أي: ممّن تابعه في أصل الدِّين ﴿**لَإبراهيمَ**﴾ ٨٣، وإن طال الزمان بينهما - وهو ألفان وستمِائة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح - ﴿**إذ جاءَ**﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿**رَبَّهُ بِقَلبٍ سَليمٍ**﴾ ٨٤ من الشكّ وغيره، ﴿**إذ قالَ**﴾ في هذه الحالة المستمرّة له ﴿**لأبيهِ وقَومِهِ**﴾ مُوبّخًا: ﴿**ماذا**﴾: ما الذي ﴿**تَعبُدونَ ٨٥؟ أإفكًا**﴾ - في همزتيه ما تقدّم - ﴿**آلِهةً دُونَ اللهِ تُريدُونَ**﴾ ٨٦؟ وإفكًا: مفعول له، وآلهة: مفعول به لـ «تُريدون»، والإفك: أسوأ الكذب، أي: أتعبدون غير الله؟ ﴿**فما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمينَ**﴾ ٨٧ إذ عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا.

٢- وكانوا نجّامينَ، فخرجوا إلى عِيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زعموا التبرّك عليه - فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيّد إبراهيم: اخرج معنا. ﴿**فنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجُومِ**﴾ ٨٨ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها ليتّبعوه، ﴿**فقالَ: إنِّي سَقيمٌ**﴾ ٨٩: عليل أي سأسقَمُ. ﴿**فتَوَلَّوا عَنهُ**﴾ إلى عِيدهم ﴿**مُدبِرينَ ٩٠، فراغَ**﴾: مال في خِفية ﴿**إلى آلِهتِهِم**﴾ - وهي الأصنام - وعندها الطعام، ﴿**فقالَ**﴾ استهزاء: ﴿**ألا تأكُلُونَ**﴾ ٩١. فلم ينطقوا. فقال: ﴿**مالكُم لا تنطِقُونَ**﴾ ٩٢؟ فلم يُجَب، ﴿**فراغَ علَيهِم ضَربًا باليَمينِ**﴾ ٩٣: بالقُوّة فكسرها، فبلغ قومَه ممّن رآه، ﴿**فأقبَلُوا إلَيهِ يَزِفُّونَ**﴾ ٩٤ أي: يُسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها. ﴿**قالَ**﴾ لهم مُوبّخًا: ﴿**أتَعبُدُونَ ما تَنحِتُونَ**﴾ ٩٥ من الحِجارة وغيرها أصنامًا، ﴿**واللهُ خَلَقَكُم وما تَعمَلُونَ**﴾ ٩٦ من نحتكم، ومنحوتكم؟ فاعبدوه وحده. وما: مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة. ﴿**قالُوا**﴾ بينهم: ﴿**ابنُوا لَهُ بُنيانًا**﴾، فاملؤوه حطبًا، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿**فألقُوهُ في الجَحيمِ**﴾ ٩٧: النار الشديدة.

٣- ﴿**فأرادُوا بِهِ كَيدًا**﴾ بإلقائه في النار لتُهلكه، ﴿**فجَعَلْناهُمُ الأسفَلينَ**﴾ ٩٨: المقهورين. فخرج من النار سالمًا، ﴿**وقالَ: إنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي**﴾: مهاجر إليه من دار الكُفر، ﴿**سَيَهدِينِ**﴾ ٩٩ إلى حيثُ أمرني ربّي بالمصير إليه، وهو الشام. فلمّا وصل إلى الأرض المُقدّسة قال: ﴿**رَبِّ، هَبْ لي**﴾ ولدًا ﴿**مِنَ الصّالِحينَ**﴾ ١٠٠. **فبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَليمٍ**﴾ ١٠١ أي: ذي حِلم كثير، ﴿**فلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ**﴾ أي: أن يسعى معه ويُعينه - قيل: بلغ سبعَ سنين، وقيل: ثلاثَ عشْرةَ سنة - ﴿**قالَ: يا بُنَيَّ، إنِّي أرى**﴾ أي: رأيتُ ﴿**في المَنامِ أنِّي أذبَحُكَ**﴾. ورؤيا الأنبياء حقّ، وأفعالهم بأمر الله تعالى. ﴿**فانظُرْ: ماذا تَرى**﴾ من الرأي؟ شاورَه ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به. ﴿**قالَ: يا أبَتِ**﴾ - التاء عوض عن ياء الإضافة - ﴿**افعَلْ ما تُؤمَرُ**﴾ به. ﴿**سَتَجِدُنِي، إن شاءَ اللهُ، مِنَ الصّابِرينَ**﴾ ١٠٢ على ذلك.

(١) أصل الدين: أصول العقيدة والشريعة. وتحديد الزمن بين نوح وإبراهيم رجم بالغيب، وهو من الإسرائيليات لا يوثق به. وجاء ربه: استجاب له وأخلص. والسليم: الصافي والمعافى. والقوم: جماعة الإنسان. وتعبد: تقدس وتطيع. وما تقدم يعني: ما في الآية ١٦ من قراءات. والآلهة: جمع إله. وهو المعبود. وتريد: تطلب. والظن: الاعتقاد. و«لا» يعني أن الاستفهام لنفي ما ظنوه.

(٢) النجام: من يتعاطى علم النجوم. والتبرك عليه: نزول البركة فيه من الأصنام. والنجوم: جمع نجم. وليتبعوه أي: ليقيم عليهم الحجة حين يتنكر للأصنام. وسأسقم أي: أنا مشرف على المرض. وتولوا: انصرفوا. والمدبر: من يوجه ظهره إلى الآخرين. وتنطقون: تلفظون شيئًا. وراغ عليهم: أقبل عليهم مستخفيًا. وبالقوة: يعني أنه كان يجمع كفيه في الضرب، وليس المراد باليمين يده اليمنى. ورآه أي: رأى إبراهيم يحطم الأصنام أبلغ القوم ذلك. وأقبل: توجه. وتنحت: تشكّل. وخلق: أوجد. وموصوفة: يعني أن التقدير: وشيئًا تعملونه. وابنوا: شيدوا. وألقوه: اقذفوه.

(٣) أراد: قصد. والكيد: الإيذاء. وتهلكه: تحرقه. وجعل: صيّر. وإلى ربي: إلى ما وجهني إليه. ودار الكفر هي مدينة كُوثَى في أرض بابل من العراق. ويهدين: يرشدني ويوفقني. ورب أي: ياربي. وهب لي: ارزقني. والصالح: من يعمل ما يرضي الله. وبشرناه: بلغناه على لسان الملائكة ما يَسرّه. والغلام: الوليد الذكر. والحِلم: الاتزان عند بلوغ الرجولة. وبلغه: صار فيه. والسعي: الجد في العمل. يعني السن التي يقدر فيها على السعي. والمنام: وقت نومي. وأذبح أي: أُومَرُ بالذبح. وانظر أي: فكر وأشر عليّ. وترى أي: تشير. و«التاء عوض» انظر الآية ٤ من سورة يوسف. وما تؤمر: ما وجب عليك فعله بأمر الله. وتجدني: تراني. وشاء أي: أراد أن أصبر. والصابر: المتجلد المتحمل.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

١ - ﴿**فلمّا أسلما**﴾: خضعا وانقادا لأمر الله - تعالى - ﴿**وتلَّهُ للجَبين**﴾ ١٠٣: صرعه عليه - ولكُلّ إنسان جبينان بينهما الجبهة - وكان ذلك بمِنًى، وأمَرَّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئًا بمانع من القُدرة الإلَهيّة، ﴿**وناديناهُ: أن يا إبراهِيمُ ١٠٤، قد صَدَّقت الرُّؤيا**﴾ بما أتَيت به ممّا أمكنك من أمر الذبح. أي: يكفيك ذلك. فجملة ناديناه: جواب «لمّا» بزيادة الواو. ﴿**إنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما جزيناك ﴿**نَجزي المُحسِنِينَ**﴾ ١٠٥ لأنفُسهم بامتثال الأمر بإفراج الشِّدّة عنهم. ﴿**إنَّ هٰذا**﴾ الذبحَ المأمور به ﴿**لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ**﴾ ١٠٦ أي: الاختبار الظاهر.

٢- ﴿**وفَدَيناهُ**﴾ أي: المأمورَ بذَبحه - وهو إسماعيل أو إسحاق قولان - ﴿**بِذِبحٍ**﴾: بكبش ﴿**عَظِيمٍ**﴾ ١٠٧ من الجَنّة وهو الذي قرّبه هابيل، جاء به جِبريل - عليه السلام - فذبحه السيّد إبراهيم مُكبّرًا، ﴿**وتَركْنا**﴾: أبقَينا ﴿**عليهِ في الآخِرِينَ**﴾ ١٠٨ ثناءً حسنًا: ﴿**سلامٌ**﴾ منّا ﴿**على إبراهِيمَ ١٠٩ - كَذٰلِكَ**﴾: كما جزَيناه ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ ١١٠. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ ١١١ - وبَشَّرناهُ بإسحاقَ**﴾، استُدلَّ بذلك على أنّ الذبيح غيرُه، ﴿**نَبِيًّا**﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: يُوجد مُقدَّرًا نُبوّتُه ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ ١١٢، وبارَكْنا علَيهِ**﴾ بتكثير ذُرِّيّته، ﴿**وعلى إسحاقَ**﴾ ولدِه، بجعلنا أكثرَ الأنبياء من نسله. ﴿**ومِن ذُرِّيّتِهِما مُحسِنٌ**﴾: مؤمن ﴿**وظالِمٌ لِنَفسِهِ**﴾: كافرٌ ﴿**مُبِينٌ**﴾ ١١٣: بيِّنُ الكفرِ.

٣- ﴿**ولَقد مَنَنّا على مُوسَى وهارُونَ**﴾ ١١٤ بالنُّبوّة، ﴿**ونَجَّيناهُما وقَومَهُما**﴾ بني إسرائيلَ ﴿**مِنَ الكَربِ العَظِيمِ**﴾ ١١٥ أي: من استعبادِ فِرعونَ إياهم، ﴿**ونَصَرْناهُم**﴾ على القِبط ﴿**فكانُوا هُمُ الغالِبِينَ ١١٦، وآتَيناهُما الكِتابَ المُستَبِينَ**﴾ ١١٧: البليغَ البيانِ، فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها - وهو التوراة - ﴿**وهَدَيناهُما الصِّراطَ**﴾: الطريق ﴿**المُستَقِيمَ ١١٨، وتَرَكْنا**﴾: أبقَينا ﴿**عليهِما في الآخِرِينَ**﴾ ١١٩ ثناءً حسنًا: ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**على مُوسَى وهارُونَ ١٢٠. إنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما جزَيناهما ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ ١٢١. إنَّهُما مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ**﴾ ١٢٢.

٤- ﴿**وإنَّ إلياسَ**﴾، بالهمزةِ أوّلَه وتركِها، ﴿**لَمِنَ المُرسَلِينَ**﴾ ١٢٣. قيل: هو ابن أخي هارونَ أخي موسى، وقيل: غيره، أُرسل إلى قوم ببَعْلَبَكَّ ونواحيها، ﴿**إذ**﴾: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿**قالَ لِقَومِهِ: ألا تَتَّقُونَ**﴾ ١٢٤ اللهَ. ﴿**أتَدْعُونَ بَعلًا**﴾: اسمٌ لصنم لهم من ذهب، وبه سُمّي البَلد أيضًا مضافًا إلى «بكّ»، أي: أتعبدونه ﴿**وتَذَرُونَ**﴾: تتركون ﴿**أحسَنَ الخالِقِينَ**﴾ ١٢٥ فلا تعبدونه؟ ﴿**اللهُ رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ**﴾ ١٢٦، برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبنصبها على البدل من «أحسنَ».

---

(١) صرعه: ألقاه على أحد الجنبين للذبح. وما ذكر من تفصيلات مصدره الإسرائيليات، ويفتقر إلى إسناد معتبر. أحكام القرآن ص ١٦١٨. والراجح أن الشروع في الذبح لم يقع، فكان النسخ قبل التنفيذ، إذ تهيأ كل منهما لطاعة الله، ثم مُنعا بأمره أيضًا حين جاء الفداء. تفسير القرطبي ١٠٢:١٥. وناديناه: خاطبناه. وصدّقت الرؤيا: حقّقت ما رأيت في المنام. ونجزي: نكافئ. والإفراج: الكشف. انظر «المفصل».

(٢) فدیناه: أنقذناه. وقولان يعني: أن العلماء اختلفوا على وجهين، في المأمور بذبحه: بعضهم على أنه إسحاق، وهو ما عليه أهل الكتاب. والجمهور على أنه إسماعيل، وهو الصحيح. تفسيرا ابن كثير ٤:١٥-١٩ والقاسمي ص ٥٠٥٢-٥٠٥٧. والذبح: ما يذبح. والعظيم: الكبير الكريم. وما قربه هابيل: انظر تعليقنا على تفسيرالآيات ١٠٣-١٠٦. وبشرناه: بلّغناه ما يَسرّه. وغيره يعني: هو إسماعيل. وحال أي: من إسحاق. والمقدَّرة تحصل فيما بعد. والعامل في الحال هو الفعل: بشّر، خلافًا لِما ذكر المحلي. ومقدَّرًا نبوتُه أي: مقدِّرًا اللهُ ذلك. والصالح: من يعمل ما يرضي الله. وباركنا: أفضنا خيرات الدين والدنيا. وعليه: على إبراهيم. والذرية: النسل. والظالم: الجائر بالخروج عن الحق.

(٣) مننا: تفضلنا. ونجى: أنقذ. والكرب: الغم الشديد. والعظيم: الكبير الضخم. ونصرناهم: أعنّاهم. والغالب: المتفوق المستعلي. وآتى: أعطى. وغيرها يعني: كالقصص والمواعظ. وفي الأصل: «وغيرهما». وفي قرة العينين: «وغيره». وهَدى: أرشد ودل. والمستقيم: المعتدل يوصل إلى الحق والصواب. وانظر الآيات ٧٨-٨١.

(٤) بتركها يريد القراءة «الياسَ» بهمزة وصل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «بالهمز أوله وتركه». والمرسل: من بُعث لتبليغ التوحيد. وابن أخي هارون أي: ليس من ذرية هارون. وبعلبك: مدينة في الشام. وتتقونه: تتجنبون سخطه وتطلبون رضاه بالإيمان والطاعة. ومضافًا إلى بك أي: مركبًا معه تركيب مزج. وأحسن: أعظم وأكثر إتقانًا. والخالق: من يقدّر تهيئة الشيء وتسويته. وآباء: جمع أب. وهو الوالد والجد. والأولون: الأقدمون ومن جاء بعدهم. وإضمار هو يعني: أنه مبتدأ ولفظ الجلالة خبره، على القطع للتعظيم. وبنصبها: نصب الثلاثة، يريد القراءة «اللهَ رَبَّكُم وربَّ». و«على البدل»: الصواب أن «رب» لايكون بدلًا من «أحسن»، والثاني معطوف لابدل.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

الحزب ٤٦

١- ﴿**فكذّبوهُ، فإنّهم لَمحضَرونَ**﴾ ١٢٧ في النار، ﴿**إلّا عِبادَ اللهِ المُخلصِينَ**﴾ ١٢٨ أي: المؤمنين منهم - فإنّهم نجَوا منها - ﴿**وتَركْنا عليه في الآخِرينَ**﴾ ١٢٩ ثناءً حسنًا: ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**على إلْياسِينَ**﴾ ١٣٠ هو إلياسُ المُتقدّم ذِكرُه ومَن آمنَ معه، فجُمعوا معه تغليبًا، كقولهم للمُهلَّب وقومه: المُهلَّبونَ. وعلى قراءة «آلِ ياسِينَ» بالمدّ أي: أهلِهِ والمرادُ به إلياسُ أيضًا. ﴿**إنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما جزَيناه ﴿**نَجزي المُحسِنينَ**﴾ ١٣١. **إنّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ**﴾ ١٣٢.

٢- ﴿**وإنّ لُوطًا لَمِنَ المُرسَلِينَ**﴾ ١٣٣، اذكرْ ﴿**إذ نَجّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ**﴾ ١٣٤، **إلّا عَجوزًا في الغابِرينَ**﴾ ١٣٥ أي: الباقينَ في العذاب، ﴿**ثُمّ دَمّرْنا**﴾: أهلكنا ﴿**الآخَرينَ**﴾ ١٣٦: كُفّارَ قومه. ﴿**وإنّكُم لَتَمُرّونَ عَلَيهِم**﴾: على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم، ﴿**مُصبِحِينَ**﴾ ١٣٧ أي: وقتَ الصباح يعني: بالنهار ﴿**وبالّيلِ. أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ١٣٨ - يا أهل مكة - ما حل بهم فتعتبرون به؟

٣- ﴿**وإنّ يُونُسَ لَمِنَ المُرسَلِينَ**١٣٩، **إذْ أبَقَ**﴾: هربَ ﴿**إلَى الفُلْكِ المَشحُونِ**﴾ ١٤٠: السفينةِ المملوءة حين غاضب قومه، لمّا لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لُجّة البحر، فقال الملّاحون: هنا عبد أبَقَ من سيّده، تُظهره القُرعة. ﴿**فساهَمَ**﴾: قارعَ أهلَ السفينة، ﴿**فكانَ مِنَ المُدحَضِينَ**﴾ ١٤١: المغلوبين بالقُرعة، فألقوه في البحر، ﴿**فالتَقَمَهُ الحُوتُ**﴾: ابتلعَه، ﴿**وهُوَ مُلِيمٌ**﴾ ١٤٢ أي: آتٍ بما يُلام عليه، من ذهابه إلى البحر ورُكوبه السفينةَ، بلا إذن من ربّه، ﴿**فلَولا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ ١٤٣: الذاكرين، بقوله كثيرًا في بطن الحوت: «لا إلَهَ إلّا أنتَ سُبحانَكَ. إنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ»، ﴿**لَلَبِثَ في بَطنِهِ إلَى يَومِ يُبعَثُونَ**﴾ ١٤٤ لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة، ﴿**فنَبَذْناهُ**﴾: ألقَيناه من بطن الحوت ﴿**بالعَراءِ**﴾: بوجه الأرض، أي: بالساحل، من يومه أو بعد ثلاثةِ أو سبعةِ أيام أو عشرين أو أربعين يومًا، ﴿**وهُوَ سَقِيمٌ**﴾ ١٤٥: عليل كالفرخ المُمَّعط، ﴿**وأنبَتْنا علَيهِ شَجَرةً مِن يَقطِينٍ**﴾ ١٤٦ - وهي القَرْع تُظِلّه، وهو بسِياقٍ على خِلاف العادة في القرع مُعجزةٌ له. وكانت تأتيه وعلةٌ صباحًا ومساء، يشرب من لبنها حتّى قوي - ﴿**وأرسَلْناهُ**﴾ بعد ذلك كقَبلِه، إلى قوم بنِينَوَى من أرض المَوصل، ﴿**إلَى مِائةِ ألفٍ - أوْ**﴾: بل ﴿**يَزِيدُونَ**﴾ ١٤٧ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا - ﴿**فآمَنُوا**﴾ عِند مُعاينة العذاب الموعودِين به، ﴿**فمَتّعْناهُم**﴾ أي: أبقَيناهم مُمتّعين بما لَهُم ﴿**إلَى حِينٍ**﴾ ١٤٨ تنقضي آجالُهم فيه.

٤- ﴿**فاستَفتِهِم**﴾: استخبرْ كُفّارَ مكّة، توبيخًا لهم: ﴿**ألِرَبِّكَ البَناتُ**﴾، بزعمهم أنّ الملائكة بناتُ الله، ﴿**ولَهُمُ البَنُونُ**﴾ ١٤٩ فيختصّون بالأسنى؟ ﴿**أم خَلَقْنا المَلائكةَ إناثًا، وهُم شاهِدُونَ**﴾ ١٥٠ خلْقَنا، فيقولون ذلك؟ ﴿**ألا إنّهُم مِن إفكِهِم**﴾: كذبهم ﴿**لَيَقُولُونَ ١٥١ : وَلَدَ اللهُ**﴾، بقولهم: الملائكةُ

(١) كذبوه: أنكروا ماجاء به. والمحضر: المحشور بالقوة. والعباد: جمع عبد. ومَن آمن أي: أن كل مؤمن أطلق عليه «إلياس» تغليبًا. وانظر الآيات ٧٤ و٧٨-٨١. (٢) لوط: ابن هاران أخي إبراهيم، أقام قرب حمص يدعو إلى التوحيد. ونجيناه: أنقذناه. والأهل: الأسرة. وعجوزًا أي: زوجته الكبيرة السنّ كانت تناصر قومها الكافرين. والآخرون: المغايرون للوط ولمن آمن معه. وتمر: تعبر. ومصبحين وبالليل أي: في كل وقت. وتعقلون: تدركون بعقولكم وتتدبرون ما ترون. (٣) يونس: ابن متى وهو ذو النون، أرسل إلى قوم في نِينَوَى من العراق. وغاضبهم: غضب عليهم لأنهم لم يؤمنوا، وغضبوا هم لتهديدهم بالعذاب. والتفصيلات هنا أخبار إسرائيلية بعضها يخالف نصوص القرآن الكريم. قصص الأنبياء ص ٣٥٧-٣٥٨. فالسفينة أشرفت على الغرق، فساهم الركاب على من تقع القرعة فيُلقى في البحر لتخفيف الثقل، فوقعت القرعة عليه وعلى آخرين. تفسير ابن كثير ٤:٢٢. والبحر هنا قيل: هو في غرب الشام. والحوت: السمكة الضخمة. وتسبيح يونس في الآية ٨٧ من سورة الأنبياء. ولبث: بقي. واليوم: الوقت. ويبعثون أي: يُخرج الناس من قبورهم أحياء للحساب. والعراء: الأرض لانبات فيها. وذكر أبو حيان أن في مدة لبثه، في بطن الحوت، أقوالًا متكاذبة أعرض عن إيرادها. البحر ٧:٣٧٥. والظاهر من العطف بالفاء «فنبذناه» أن المدة لم تكن طويلة. والممَّعط: المتساقط الريش. وأنبتنا: أخرجنا من الأرض. وتظله: تحجب عنه شعاع الشمس وتحميه من الحرارة. والسياق: جمع ساق. والوعلة: الأُروية أنثى تيس الجبل. وأرسلناه: كلفناه بالدعوة ثانية. ويزيدون أي: يتجاوزون مِائَة الألف. وآمنوا أي: صدقوا الله ورسوله. وممتعين: منتفعين. والحين: الوقت. (٤) استفتهم أي: عن حال القسمة التي زعموها، أي: ألهذه القسمة وجه من الصحة، من دليل أو شُبهة أو خبر موثق؟ والبنات: جمع بنت. والبنون: جمع ابن. والأسنى: القسم الأرفع في رأيهم. وخلق: أوجد. والملائكة: جمع ملَك. والإناث: جمع أُنثى. والشاهد: الحاضر يدرك مايراه. وولدَ: صنع ولدًا لنفسه. والكاذب: من يقول الباطل. وفيه أي: في قولهم: الملائكة بنات الله. وللاستفهام أي: الذي معناه النفي والاستبعاد مع التوبيخ والتقريع. وحذفت أي: همزة الوصل لفظًا ورسمًا. انظر الآية ٨ من سورة سبأ. وتحكم: تقضي. وتذّكّرون: تتفكرون لتعتبروا. وائتوا به: أحضروه. والخطاب للمشركين كما في الآية ١٤٩، فذكر التوراة هنا وهمٌ. والصادق: من يقول الحق. وروي أن بعض كفار قريش يقولون: الملائكة بنات الله. فقال لهم أبو بكر: فمَن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سروات الجن. فنزلت هذه الآيات. لباب النقول. وجعلوا: صيّروا. والنسب: القرابة بالولادة. وعلمت: أدركت باليقين. والمحضر: المحشور بالعنف ليشهد ويعذب.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ترتيبها ٣٨ — سُورَةُ صٓ — آياتها ٨٨

بنات الله، ﴿وإنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ ١٥٢ فيه. ﴿أصطَفَى﴾ - بفتح الهمزة للاستفهام، واستُغني بها عن همزة الوصل فحُذفت - أي: أختارَ ﴿البَناتِ علَى البَنِينَ ١٥٣؟ مالَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ ١٥٤ هذا الحكم الفاسد؟ ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾ ١٥٥، بإدغام التاء في الذال، أنه - تعالى - مُنزّه عن الولد؟ ﴿أم لَكُم سُلطانٌ مُبِينٌ﴾ ١٥٦: حُجّة واضحة بأنّ للهِ ولدًا؟ ﴿فائتُوا بِكِتابِكُم﴾ التوراةِ فأروني ذلك فيه، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ ١٥٧ في قولكم ذلك. ﴿وجَعَلُوا﴾أي: المشركون ﴿بينَهُ﴾ - تعالى - ﴿وبَينَ الجِنّةِ﴾ أي: الملائكةِ، لاجتنانهم عن الأبصار، ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم: إنّها بنات الله، ﴿ولَقَد عَلِمَتِ الجِنّةُ إنَّهُم﴾ أي: قائلي ذلك ﴿لَمُحضَرُونَ﴾ ١٥٨ النارَ يعذبون فيها.

١- ﴿سُبحانَ اللهِ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ ١٥٩ بأنّ للهِ ولدًا! ﴿إلّا عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ﴾ ١٦٠ أي: المؤمنين - استثناء منقطع - أي: لكن المؤمنون فإنّهم مُنزِّهون اللهَ عمّا يصفه هؤلاء. ﴿فإنَّكُم وما تَعبُدُونَ﴾ ١٦١ من الأصنام. ﴿ما أنتُم علَيهِ﴾ أي: على معبودكم، وعليه: مُتعلّق بقوله ﴿بِفاتِنِينَ﴾ ١٦٢ أي: أحدًا، ﴿إلّا مَن هُوَ صالِ الجَحِيمِ﴾ ١٦٣ في عِلم الله تعالى. قال جبريلُ للنبيّ ﷺ: ﴿وما مِنّا﴾ - معشرَ الملائكة - أحدٌ ﴿إلّا لَهُ مَقامٌ مَعلُومٌ﴾ ١٦٤ في السماوات، نعبد الله فيه لا نتجاوزه، ﴿وإنّا لَنَحنُ الصّافُّونَ﴾ ١٦٥ أقدامَنا في الصلاة، ﴿وإنّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾ ١٦٦: المُنزِّهون اللهَ عما لا يليق به.

٢- ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة ﴿كانُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿لَيَقُولُونَ ١٦٧: لَو أنَّ عِندَنا ذِكرًا﴾: كِتابًا، ﴿مِنَ الأوَّلِينَ﴾ ١٦٨ أي: من كُتب الأُمم الماضية، ﴿لَكُنّا عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ﴾ ١٦٩ العِبادةَ له. قال تعالى: ﴿فكَفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالكِتاب الذي جاءهم - وهو القُرآن الأشرف من تلك الكُتب - ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ ١٧٠ عاقبة كُفرهم، ﴿ولَقَد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا﴾ بالنصر ﴿لِعِبادِنا المُرسَلِينَ﴾ ١٧١، وهي: «لأغلِبَنَّ أنا ورُسُلِي»، أو هي قوله: ﴿إنَّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ ١٧٢، وإنَّ جُندَنا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ الغالِبُونَ﴾ ١٧٣ الكُفّارَ بالحُجّة والنُّصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة.

٣- ﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾ أي: أعرِضْ عن كُفّار مكّة، ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ ١٧٤ تُؤمر فيه بقِتالهم، ﴿وأبصِرْهُم﴾ إذا نزل بهم العذاب. ﴿فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾ ١٧٥ عاقبة كُفرهم - فقالوا استهزاء: متى نزول العذاب؟ قال تعالى تهديدًا لهم: ﴿أفبِعَذابِنا يَستَعجِلُونَ ١٧٦؟ فإذا نَزَلَ بِساحَتِهِم﴾: بفِنائهم، قال الفرّاء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فساءَ﴾: بئسَ صباحًا ﴿صَباحُ المُنذَرِينَ﴾ ١٧٧! فيه إقامة الظاهر مَقامَ الضمير - ﴿وتَوَلَّ عَنهُم حَتَّى حِينٍ ١٧٨، وأبصِرْ فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾ ١٧٩. كُرِّرَ تأكيدًا لتهديدِهم وتسليةً له ﷺ.

٤- ﴿سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزّةِ﴾: الغلبة ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠ بأنّ له ولدًا! ﴿وسَلامٌ علَى المُرسَلِينَ﴾ ١٨١: المُبلِّغين عن الله التوحيدَ والشرائع،

(١) يصفون: يزعمون من الأوصاف الباطلة. وإلّا عباد: انظر الآية ٤٠. ث: «لكنّ المؤمنين». وسقط مما عدا النسختين. وفيما عدا الأصل وخ: «ينزهون الله تعالى». وتعبدون أي: تقدسونه. والفاتن: المفسد المضل. وصالي الجحيم: المقاسي لعذابها. وحذفت ياء «صالي» رسمًا للتخفيف، كما حذفت لفظًا لالتقائها بسكون اللام بعدها. والجحيم: نار جهنم المتقدة. وفي علمه: فيما علم من أمور الخلق منذ الأزل، بما سيكون لديهم من اختيارات ومقاصد وأعمال. والآيات الثلاث ١٦٤-١٦٦ روي أنها نزلت، والنبي ﷺ في المعراج عند سِدرة المنتهى، إذ تأخر عنه جبريل، فقال له: «أهُنا تُفارِقُني»؟ فقال: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني. وأنزل الله ذلك حكاية لما كان. تفسير القرطبي ١٥:١٣٧. والمقام: مكان القيام بالعبادة. والمعلوم: المعروف المحدد. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يعبد الله فيه لايتجاوزه». والصافّ: المنظِّم المسوِّي. و«أقدامنا في الصلاة» الأولى أن المراد هو الاصطفاف والانتظام إطلاقًا بمواقف الطاعة. انظر الآية ١. (٢) كانوا أي: قبل مبعث النبي ﷺ. والذكر: ما يعظ من الكتب الإلٰهية. والعباد: جمع عبد. وكفر به: كذّبه. ويعلم: يدرك باليقين. وسبقت: قضي تحققُها في أُم الكتاب. والكلمة: القول. والمرسل: الرسول يكلف بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. ولأغلبن... ورسلي: انظر الآية ٢١ من سورة المجادلة. والمنصور: المعانُ المتغلِّب على عدوه. والجند: مفرده جندي. وهو التابع والنصير استعد للنزاع والقتال. والغالب: المتفوق المنتصر على عدوه. (٣) عنهم: عن خصامهم وقتالهم. والحين: الوقت. وأبصرهم: أنظِرهم وارتقب لترى ما يحل بهم. ويبصرون: يرون عِيانًا. وفي البيضاوي ولباب النقول أنه، لما نزل هذا التهديد، قالوا: يامحمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجّله لنا. فنزلت الآيات ١٧٦-١٧٩. وذكر السيوطي أن هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين. ونزول العذاب: وقوعه وحصوله. وهو القتل والأسر والهوان. وفيما عدا الأصل والنسخ: «نزول هذا العذاب». ويستعجل به: يطلب تعجيل وقوعه وتقديمه على موعده المحدد. والساحة والفِناء: ما كان من الأرض أمام البيوت خاليًا من الأبنية. وقول الفراء من تفسير البغوي ٤:٤٦. وهو بتصرف من معاني القرآن ٢:٣٩٦، حيث زاد: «ومعناهما واحد: نزل بك العذاب وبساحتك، سواء». وساء: بلغ الغاية في السوء والشر، حتى صار مما يتعجب منه. والصباح: تصبيح العدو بالغارة، استعير لنزول العذاب صباحًا. والمنذرون: المهددون الموعَدون بالعذاب. ومقام الضمير: يعني أن المراد: «صباحُهم»، فذكر «المنذرين» بدلًا من الضمير، للتبكيت وتوكيد التهديد. فصباح المنذرين مذموم مرتين: الأولى في جنسه الفاعل المقدر، والثانية في تخصيصه. وكرر: يعني ما ورد في الآيتين ١٧٨ و١٧٩. (٤) سبحان: انظر الآية ١٥٩. وفي هذا تعليم للناس ما يجب عليهم من التسبيح والتحميد، والدعاء=

﴿والحَمدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ١٨٢ على نصرهم وهلاك الكافرين.

سورة صٓ

مكية، ستّ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثالث والعشرون — سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

١- ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمُراده به. ﴿والقرآنِ ذِي الذِّكرِ﴾ ١ أي: البيانِ أو الشرف. وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كُفّار مكّة، من تعدّد الآلهة. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿في عِزّةٍ﴾: حميّة وتكبّر عن الإيمان، ﴿وشِقاقٍ﴾ ٢: خِلاف وعداوة للنبيّ ﷺ. ﴿كَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ﴾ أي: أُمّةٍ من الأُمم الماضية، ﴿فنادَوا﴾ حين نُزول العذاب بهم، ﴿ولاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ ٣ أي: ليس الحينُ حينَ فِرار! والتاء: زائدة، والجملة: حال من فاعل «نادوا»، أي: استغاثوا والحال أنْ لا مهربَ ولا منجَى. وما اعتبر بهم كُفّار مكّة.

٢- ﴿وعَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾ رسول من أنفُسهم، يدعوهم إلى الله، ويُخوّفهم بالنار بعد البعث - وهو النبيّ ﷺ - ﴿وقالَ الكافِرُونَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المُضمر: ﴿هٰذا ساحِرٌ كَذّابٌ ٤. أجَعَلَ الآلِهةَ إلٰهًا واحِدًا﴾، حيثُ قال لهم: قولوا: لا إلٰه إلّا الله؟ أي: كيف يسع الخلقَ كُلَّهم إلٰه واحد؟ ﴿إنَّ هٰذا لَشَيءٌ عُجابٌ﴾ ٥: عجيب. ﴿وانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم﴾، من مجلس اجتماعهم عِند أبي طالب، وسماعهم فيه من النبيّ: قولوا: «لا إلٰهَ إلّا الله»: ﴿أنِ امشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: امشوا، ﴿واصبِرُوا علَى آلِهتِكُم﴾: اثبتوا على عِبادتها. ﴿إنَّ هٰذا﴾ المذكورَ من التوحيد ﴿لَشَيءٌ يُرادُ﴾ ٦ منّا. ﴿ما سَمِعْنا بِهٰذا في المِلّةِ الآخِرةِ﴾ أي: مِلّة عِيسَى. ﴿إن﴾: ما ﴿هٰذا إلّا اختِلاقٌ﴾ ٧: كذبٌ. ﴿أأُنزِلَ﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين وتركه - ﴿علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿الذِّكرُ﴾: القُرآن ﴿مِن بَينِنا﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفِنا؟ أي: لم ينزل عليه.

٣- قال تعالى: ﴿بَل هُم في شَكٍّ مِن ذِكرِي﴾: وحيِي أي: القرآن، حيثُ كذّبوا الجائيَ به. ﴿بَل لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾ ٨. ولو ذاقوه لصدّقوا النبيّ فيما جاء به. ولا ينفعهم التصديق حينئذ. ﴿أم عِندَهُم خَزائنُ رَحمةِ رَبِّكَ العَزِيزِ﴾: الغالب ﴿الوَهّابِ﴾ ٩، من النُّبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ﴿أم لَهُم مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾؟ إن زعموا ذلك ﴿فلْيَرتَقُوا في الأسبابِ﴾ ١٠ المُوصّلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي فيخصّوا به من شاؤوا. و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. ﴿جُندٌ ما﴾ أي: هم جند حقير، ﴿هُنالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك، ﴿مَهزُومٌ﴾: صفةُ «جند» ﴿مِنَ الأحزابِ﴾ ١١: صفةُ «جند» أيضًا، أي: كالأجناد من جِنس الأحزاب المُتحزّبين على الأنبياء قبلك - وأُولئك قد قُهروا وأُهلكوا فكذا يَهلك هؤلاء - ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيث «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ وفِرعَونُ ذُو الأوتادِ﴾ ١٢ - كان يَتِدُ لكُلّ من يغضب عليه أربعة أوتاد، يشدّ إليها يديه ورجليه ويُعذّبه - ﴿وثَمُودُ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ الأيكةِ﴾ أي: الغيضةِ. وهم قوم شُعيب، عليه السلام. ﴿أُولٰئكَ الأحزابُ﴾ ١٣.

٤- ﴿إنْ﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إلّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾، لأنهم إذا كذّبوا واحدًا منهم فقد كذّبوا جميعَهم، لأنّ دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد، ﴿فحَقَّ﴾: وجبَ ﴿عِقابِ ١٤، وما يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هٰؤُلاءِ﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿إلّا صَيحةً واحِدةً﴾ وهي نفخة القِيامة تُحِلُّ بهم العذابَ، ﴿ما لَها مِن فَواقٍ﴾ ١٥ بفتح الفاء وضمّها: رُجوع.

٥- ﴿وقالُوا﴾ لمّا نزل «فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» إلى آخره: ﴿رَبَّنا، عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ أي: كِتاب أعمالنا، ﴿قَبلَ يَومِ الحِسابِ﴾ ١٦. قالوا ذلك استهزاء. قال الله تعالى: ﴿اصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ، واذكُرْ عَبدَنا داوُدَ ذا الأيدِ﴾ أي: القُوّةِ في العِبادة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف

=للمرسلين. والسلام: التحية والأمان. والحمد: الثناء بالجميل. والعالَم: مجموع الجنس من المخلوقات. فالعالمون: جميع المخلوقات. (١) انظر سبب النزول في المفصل، وما يلي في تفسير الآيتين ٥ و٦. والبيان: توضيح ما يُحتاج إليه. والشرف: العظمة والشهرة لمن آمن. وكفر: كذب وعصى. وأهلكنا: أنزلنا العذاب. ونادوا: رفعوا أصواتهم بالاستغاثة. والحين: الوقت. وزائدة أي: لتوكيد النفي بـ «لا». (٢) عجبَ: أنكر. وجاءهم: أرسله الله إليهم. والساحر: من يوهم بالخداع ماليس واقعًا. وجعل: صيّر. والآلهة جمع إله. وهو المعبود. وانطلق: انصرف. والملأ: سادة قريش. وامشوا: استمروا على ما أنتم عليه. ويراد منا: يطلب فرضه علينا. وبالتسهيل يريد القراءة «أَءُنزِلَ»؟ وإدخال ألف يعني «أَاُنزِلَ»؟ و«آأُنزِلَ»؟ (٣) الشك: التردد. وعذاب أي: تعذيبي. والخزائن: جمع خزينة، الشيء المخزون. والرحمة: العطف بالنعم. والوهاب: من يهب ما يريد. والملك: الحيازة والتصرف. والأسباب: جمع سبب. وهو الطريق. والمهزوم: المغلوب. والأحزاب: جمع حزب. وكذبت أي: رسولها. وعاد: قوم هود. والأوتاد: جمع وَتِد. وثمود: قوم صالح. ولوط وشعيب: نبيان. والأصحاب: جمع صاحب. والغيضة: الأشجار الملتفة. (٤) الرسل: جمع رسول. وعقاب أي: انتقامي. والصيحة: النفخة الثانية يبعث بها الناس. ومالها من فواق: لاتُردّ عنهم ولا تتأخر. وبضمها يريد القراءة «فُواقٍ». (٥) لما نزل أي: الآية ١٩ من سورة الحاقة. وعجله أي: قدّمه سريعًا. واليوم:=

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟
ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩
﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

ربع الحزب ٤٦

سجدة عند أبي حنيفة ومالك

الليل وينام ثُلثه ويقوم سُدسه. ﴿**إنَّهُ أوّابٌ**﴾ ١٧: رجّاع إلى مرضاة الله تعالى.

١- ﴿**إنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ**﴾ بتسبيحه، ﴿**بالعَشِيِّ**﴾: وقتَ صلاة العِشاء، ﴿**والإشراقِ**﴾ ١٨: وقتَ صلاة الضُّحى - وهو أن تُشرق الشمس ويتناهى ضوءُها - ﴿**و**﴾ سخّرنا ﴿**الطَّيرَ مَحشُورةً**﴾: مجموعة إليه تُسبّح معه، ﴿**كُلٌّ**﴾، من الجِبال والطير ﴿**لَهُ أوّابٌ**﴾ ١٩: رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، ﴿**وشَدَدْنا مُلكَهُ**﴾ قوّيناه بالحَرَس والجنود، وكان يحرس مِحرابَه في كُلّ ليلة ثلاثون ألف رجل، ﴿**وآتيناهُ الحِكْمَةَ**﴾: النُّبوّة والإصابة في الأُمور، ﴿**وفَصْلَ الخِطابِ**﴾ ٢٠: البيانَ الشافي في كُلّ قصد.

٢- ﴿**وهَل**﴾ - معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده - ﴿**أتاكَ**﴾ يا مُحمّد ﴿**نَبأُ الخَصمِ، إذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ**﴾ ٢١ مِحرابَ داودَ أي: مسجدَه، حيثُ مُنعوا الدخولَ عليه من الباب لشُغله بالعِبادة، أي: خبرُهم وقِصّتُهم؟ ﴿**إذ دَخَلُوا على داوُدَ ففَزِعَ مِنهُم، قالُوا: لا تَخَفْ**﴾. نحن ﴿**خَصمانِ**﴾ - قيل: فريقان ليُطابِقَ ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يُطلق على الواحد وأكثر، وهما مَلَكان جاءا في صُورة خصمين وقع لهما ما ذُكر على سبيل الفرض، لتنبيه داود - عليه السلام - على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأةً، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوّجها ودخل بها - ﴿**بَغَى بَعضُنا على بَعضٍ. فاحكُمْ بَينَنا بِالحَقِّ ولا تُشطِطْ**﴾: تَجُرْ، ﴿**واهدِنا**﴾: أرشِدْنا ﴿**إلَى سَواءِ الصِّراطِ**﴾ ٢٢: وسَطِ الطريق الصواب.

٣- ﴿**إنَّ هٰذا أخِي**﴾ أي: على دِيني ﴿**لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجةً**﴾ يُعبَّرُ بها عن المرأة، ﴿**ولي نَعْجةٌ واحِدةٌ، فقالَ: أكفِلْنيها**﴾ أي: اجعلني كافلَها. ﴿**وعَزَّني**﴾: غلبني ﴿**في الخِطابِ**﴾ ٢٣ أي: الجِدال. وأقرّه الآخَرُ على ذلك. ﴿**قالَ: لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ**﴾ ليضمّها ﴿**إلَى نِعاجِهِ، وإنَّ كَثيرًا مِنَ الخُلَطاءِ**﴾: الشُّركاء ﴿**لَيَبغِي بَعضُهُم علَى بَعضٍ، إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وقَلِيلٌ ما هُم**﴾. ما: لتأكيد القِلّة. فقال المَلَكانِ، صاعدَينِ في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه.

٤- فتنبّه داود، قال تعالى: ﴿**وظَنَّ**﴾ أي: أيقن ﴿**داوُدُ أنَّما فَتَنّاهُ**﴾: أوقعناه في فِتنة أي: بليّة بمحبّته تلك المرأةَ، ﴿**فاستَغفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ راكِعًا**﴾ أي: ساجدًا ﴿**وأنابَ**﴾ ٢٤، ﴿**فغَفَرْنا لَهُ ذٰلِكَ، وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى**﴾ أي: زيادةَ خير في الدنيا، ﴿**وحُسنَ مآبٍ**﴾ ٢٥ أي: مرجعٍ في الآخرة، ﴿**يا داوُدُ، إنّا جَعَلْناكَ خَليفةً في الأرضِ**﴾ تُدبّر أمر الناس. ﴿**فاحكُمْ بَينَ النّاسِ بِالحَقِّ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى**﴾ أي: هوى النفس، ﴿**فيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: عن

=الزمن. واصبر: تجلد. وداود من أنبياء بني إسرائيل. ووصف عبادته منقول من تفسير البغوي ٤: ٥١، بتصرفٍ عكسَ المرادَ. وانظر الحديث ٤٢ من كتاب الصوم في سنن الدارمي. والصواب كما جاء في بعض النسخ: «وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه». انظر «المفصل». **(١)** سخره: كلفه بالعمل. والجبال: جمع جبل. ومعه أي: مقتدية به في الطاعة. ويسبحن أي: يكون منهن بلسان الحال ما يؤكد التنزيه لله عما لايليق به. والعشاء هنا: المغرب. والطير: واحده طائر. وله: لداود. والملك: السيادة والتصرف. وعدد الحرس مما زعمته دسائس الإسرائيليات. وآتينا: أعطينا. والخطاب: الشيء المطلوب. **(٢)** أتاك: بلغك. والنبأ: الخبر العظيم. والقصة التي أوردها المحلي هنا جاء فيها عن علي، رضي الله عنه: «من حدّث بحديث داود، على ما يرويه القُصّاص، جلدتُه مِائَة وستين. وهي حد الفِرْية على الأنبياء». تفسير الخازن ٦: ٣٨-٤٣. وفي تفسير ابن كثير ٤: ٣٢ أن هذه القصة من الإسرائيليات الموضوعة، ليس لها سند صحيح. والحقّ أن الخصمين من البشر، كان بينهما خلاف على نعجة حقيقية، وليسا ملكين. فلو كانا من الملائكة لما احتاجا إلى تسور المحراب. والخصم: المتخاصمون. وتسوروه: ارتقوا جداره للدخول. ودخلوا عليه: اقتحموا مسجده. وفزع: اضطرب لأنهم دخلوا فجأة، فظن بهم شرًا. وخصمان: متخاصمان نريد حكمك. والضمير بمعناهما: يعني أن ضمير الجماعة فيما مضى مراد به الاثنان. وعلى سبيل الفرض أي: لم يكن بينهما خصومة. وإنما افترضاها افتراضًا. وهذا افتئات على الملائكة بالكذب، وهم معصومون من ذلك. وما وقع: ما حدث. وبغى: تجاوز الحق. واحكم: اقض وافصل. والحق: العدل. **(٣)** على ديني أي: أن الأخوّة في الدين. والنعجة: الأنثى من الضأن. وهذا هو المراد على الحقيقة، وليس مرادًا بها المرأة كما زعموا. وأقره الآخر: اعترف بصحة ما قاله. وهذا من تزيد القصاصين. والحق أن داود تعجل الحكم قبل سماع قول الآخر، فكان ما وجب الاستغفار له. انظر فتح القدير ٤: ٥٩٩ والآية ٢٦. والسؤال: الطلب. والخلطاء: جمع خليط. وعمل: اكتسب. والصالحات: الأعمال التي ترضي الله. ولتأكيد القلة أي: لتوكيد «قليل». وعلى نفسه أي: حكم على نفسه بالظلم. وهذا مع ما قبله وبعده من قول المحلي مصدره التفصيلات الإسرائيلية المكذوبة، في القصة المنكرة أصلًا. **(٤)** محبة المرأة من التفصيلات أيضًا. واستغفر: طلب ستر الذنب والعفو عنه. وخر: سقط بسرعة. وأناب: رجع عما لا يليق بالأنبياء. وذلك: تعجله في الحكم. وعندنا: في المنزلة المقربة. والحسن: الجمال. وجعل: صيّر، أي: استخلفناك على المُلك والدعوة. والحق: العدل. انظر الآية ٢٢. والأرض أي: ماحولك من البلاد. وتتبعُه: تنقاد إليه وتخضع. والهوى: الميل المتبادر للنفس. وفي هذا مايؤيد أن فتنة داود هي تعجله بالحكم قبل سماع المتهم، لا ما وضعته الإسرائيليات من الأكاذيب. ويُضل: يُخرِج ويَصرف. والسبيل: الطريق الظاهر. ويَضل: يَخرج وينصرف. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. والشديد: القوي. ونسوه أي: تركوا الإيمان به وأهملوه. واليوم: الوقت. والحساب: المحاسبة على الخير والشر. والمترتب: المتسبب. وفيما عدا الأصل والنسخ: «المرتب». وعليه: على نسيان يوم الحساب. والإيمان أي: بالتوحيد والنبوات.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
(٢٨) كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢)
رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٣٥)
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ (٤٠) وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)

الدلائلِ الدالّة على توحيده. ﴿**إنَّ الَّذينَ يَضِلُّونَ عَن سَبيلِ اللهِ**﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿**لَهُم عَذابٌ شَديدٌ، بما نَسُوا**﴾: بنسيانِهم ﴿**يَومَ الحِسابِ**﴾ ٢٦ المُترتِّبِ عليه تركُهُم الإيمانَ. ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

١- ﴿**وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما باطِلًا**﴾ أي: عبثًا. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: خلقُ ما ذُكر لا لشيء ﴿**ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة. ﴿**فوَيلٌ**﴾: وادٍ ﴿**لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ**﴾ ٢٧. **أم نَجعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كالمُفسِدِينَ في الأرضِ؟ أم نَجعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجّارِ**﴾ ٢٨؟ نزل لمّا قال كُفّار مكّة للمؤمنين: إنّا نُعطَى في الآخرة مِثلَ ما تُعطَون. و«أم» بمعنى همزة الإنكار. ﴿**كِتابٌ**﴾: خبر مبتدأٍ محذوفٍ أي: هذا، ﴿**أنزَلْناهُ إلَيكَ مُبارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا**﴾ - أصلُه «يَتَدَبّروا» أُدغمت التاء في الدال - ﴿**آياتِهِ**﴾: ينظروا في معانيها فيؤمنوا، ﴿**ولِيَتَذَكَّرَ**﴾: يتّعظَ ﴿**أُولُو الألبابِ**﴾ ٢٩: أصحابُ العقول.

٢- ﴿**ووَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيمانَ**﴾ ابنَه، ﴿**نِعمَ العَبدُ**﴾ أي: سُليمانُ! ﴿**إنَّهُ أوّابٌ**﴾ ٣٠: رجّاع في التسبيح والذِّكر في جميع الأوقات، ﴿**إذ عُرِضَ عليهِ بالعَشِيِّ**﴾ هو ما بعد الزوال ﴿**الصّافِناتُ**﴾: الخيل جمع صافنة - وهي القائمة على ثلاث وأقامتِ الأُخرى على طرف الحافر. وهو من: صَفَنَ يَصفِنُ صُفونًا - ﴿**الجِيادُ**﴾ ٣١: جمع جواد. وهو السابق. المعنى أنها إن استُوقفتْ سَكنت، وإن رُكِضَتْ سَبقت. وكانت ألفَ فرس، عُرضت عليه بعد أن صلّى الظُّهر، لإرادة الجِهاد عليها العدوَّ. فعند بلوغ العرض منها تسعَمِائَةٍ غربت الشمس، ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ، ﴿**فقالَ: إنِّيَ أحبَبتُ**﴾ أي: أَردت ﴿**حُبَّ الخَيرِ**﴾ أي: الخيلِ ﴿**عَن ذِكرِ رَبِّي**﴾ أي: صلاةِ العصر، ﴿**حَتَّى تَوارَتْ**﴾ أي: الشمسُ ﴿**بِالحِجابِ**﴾ ٣٢ أي: استترتْ بما يحجبها عن الأبصار. ﴿**رُدُّوها عليَّ**﴾ أي: الخيلَ المعروضة. فردّوها ﴿**فطَفِقَ مَسحًا**﴾ بالسيف، ﴿**بالسُّوقِ**﴾: جمع ساق ﴿**والأعناقِ**﴾ ٣٣ أي: ذبَحها وقطع أرجُلها تقرّبًا إلى الله - تعالى - حيثُ اشتغل بها عن الصلاة، وتصدّق بلحمها. فعوّضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء.

٣- ﴿**ولَقَد فَتَنّا سُلَيمانَ**﴾ ابتلَيناه بسلب مُلكه - وذلك لتزوّجه بامرأةٍ هَواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير عِلمه، وكان مُلكه في خاتَمه، فنزعه مرّة عِند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المُسمّاة بالأمينة على عادته، فجاءها جنّيٌ في صورة سُليمان فأخذه منها - ﴿**وألقَينا على كُرسِيِّهِ جَسَدًا**﴾ هو ذلك الجنّيّ وهو صخر أو غيره، جلس على كرسيّ سُليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سُليمان في غير هيئته. فرآه على كرسيّه وقال للناس: أنا سُليمان - فأنكروه - ﴿**ثُمَّ أنابَ**﴾ ٣٤: رجَع سُليمان إلى مُلكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتَم فلبسه وجلس على كرسيّه، ﴿**قالَ: رَبِّ، اغفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلكًا، لا يَنبَغِي**﴾: لا يكون ﴿**لِأحَدٍ مِن بَعدِي**﴾ أي: سِواي، نحو: «فَمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللهِ» أي: سوى الله؟ ﴿**إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ**﴾ ٣٥. **فسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ، تَجرِي بأمرِهِ رُخاءً**﴾: ليّنة ﴿**حَيثُ أصابَ**﴾ ٣٦: أراد، ﴿**والشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ**﴾ يبني الأبنية العجيبة، ﴿**وغَوّاصٍ**﴾ ٣٧ في البحر يستخرج اللؤلؤ، ﴿**وآخَرِينَ**﴾ منهم ﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾: مشدودين ﴿**في الأصفادِ**﴾ ٣٨: القُيود تَجمَعُ أيديهم إلى أعناقهم، وقلنا له: ﴿**هٰذا عَطاؤُنا. فامنُنْ**﴾: أعطِ منه مَن شئتَ، ﴿**أو أمسِكْ**﴾ عن الإعطاء، ﴿**بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ٣٩ أي: لا حِساب عليك في ذلك. ﴿**وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى وحُسنَ مآبٍ**﴾ ٤٠. تقدَّمَ مِثلُه.

٤- ﴿**واذكُرْ عَبدَنا أيُّوبَ، إذ نادَى رَبَّهُ أنِّي**﴾ أي: بأني ﴿**مَسَّنِيَ الشَّيطانُ، بِنُصْبٍ**﴾: بضُرّ ﴿**وعَذابٍ**﴾ ٤١: ألم. ونسب ذلك إلى الشيطان، وإن

(١) خلقها: أوجدها. انظر الآية ٥ من سورة آل عمران. ولا لشيء أي: عبثًا لغير حكمة. والظن: المظنون. وأهل مكة أي: وغيرها. ونجعل: نصيّر. والمفسد: الملازم للشر. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب الرضا. والفجار: جمع فاجر. وهو المنهمك في المعاصي. وأنزلنا: أوحينا بلسان جبريل. والمبارك: العميم الخير. والألباب: جمع لب. (٢) وهب: أعطى. ونعمَ: بلغ الغاية في الخير والفضل. وعُرض عليه: أُظهر أمامه ليراه. وأقامت الأخرى: أوقفت الرابعة. و«غربت الشمس» من مزاعم الإسرائيليات. قال أبو حيان: «في هذه القصة ألفاظ، فيها غضٌّ من منصب النبوة». البحر ٧:٣٩٦. والصواب أنه كان سليمان يستعرض خيل الجهاد، فلما غاب بعضها عن بصره أمر برده إليه، ولبث يمسح سوقه وأعناقه بيديه توددًا وتشريفًا. انظر تفاسير الطبري والخازن والقاسمي. واحتجاب الشمس وذبح الخيل من أباطيل الإسرائيليات. وعن ذكر ربي: لذكره وأمره بالتقوى. وتوارت أي: الخيل. وردوها: أعيدوا عرضها. وطفق: جعل. والمسح: تمرير الكف والتربيت تلطفًا. والأعناق: جمع عنق. (٣) تفسير الآية هنا خرافة إسرائيلية تطعن في جميع النبوات، لايحل نقلها وما جاء فيها مستحيل وقوعه. والحق أنه وُلد لسليمان طفل مشوه، وهو كالجسد بلا روح، فاغتم ثم رجع إلى الصبر والاطمئنان. البحر ٧:٣٩٧ والأحاديث ٢٦٦٤ و٣٢٤٢ في البخاري و١٦٥٤ في مسلم. وهواها: هَوِيَها. والخلاء: قضاء الحاجة. وتصوّر الجني لغير الرسل من الأباطيل. ورب: ياربي. وهب: أعط. والمُلك: التسلط. وسواي: غيري. و«من بعد الله»: في الآية ٢٣ من سورة الجاثية. وسخرنا: ذللنا. وأمره: طلبه. والشياطين: جمع شيطان. والأصفاد جمع صفد. والعطاء: مايعطى. وأمسك: امنع من شئت. وذلك: ماذكر من المن والإمساك. وتقدم مثله: في الآية ٢٥. (٤) أيوب: من حفدة عيص بن إسحاق،=

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ
نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ
وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

كانت الأشياء كُلّها من الله، تأدّبًا معه - تعالى - وقيل له: ﴿**اركُضْ**﴾: اضرِب ﴿**برِجلِكَ**﴾ الأرضَ، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿**هٰذا مُغتَسَلٌ**﴾: ماء تغتسل به ﴿**بارِدٌ، وشَرابٌ**﴾ ٤٢ تشرب منه - فاغتسل وشرب فذهب عنه كُلّ داء كان بظاهره وباطنه، ﴿**ووَهَبْنا لَهُ أهلَهُ ومِثلَهُم مَعَهُم**﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده ورَزَقَه مِثلهم، ﴿**رَحْمةً**﴾: نِعمة ﴿**مِنّا، وذِكرَى**﴾: عِظةً ﴿**لِأُولي الألبابِ**﴾ ٤٣: لأصحاب العُقول - ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغثًا**﴾ هو حُزمة من حشيش أو قِضبان، ﴿**فاضرِبْ بِهِ**﴾ زوجتك - وكان قد حلف ليضربنّها مِائَة ضربة لإبطائها عليه يومًا - ﴿**ولا تَحنَثْ**﴾ بترك ضربها. فأخذ مِائَة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة.

نصف الحزب ٤٦

﴿**إنّا وَجَدْناهُ صابِرًا، نِعمَ العَبدُ**﴾ أيوبُ! ﴿**إنَّهُ أوّابٌ**﴾ ٤٤: رجّاع إلى الله تعالى.

١- ﴿**واذكُرْ عِبادَنا إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ، أُولي الأيدِي**﴾: أصحابَ القُوى في العِبادة، ﴿**والأبصارِ**﴾ ٤٥: البصائرِ في الدِّين - وفي قراءة: «عَبدَنا» وإبراهيمَ: بيان له، وما بعده عطف على «عبدَنا». ﴿**إنّا أخلَصْناهُم بِخالِصةٍ**﴾، هي ﴿**ذِكرَى الدّارِ**﴾ ٤٦ الآخرة، أي: ذِكرُها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان، ﴿**وإنَّهُم عِندَنا لَمِنَ المُصطَفَينَ**﴾: المُختارِينَ ﴿**الأخيارِ**﴾ ٤٧: جمع خيِّر بالتشديد - ﴿**واذكُرْ إسماعِيلَ واليَسَعَ**﴾ هو نبيّ، واللام: زائدة، ﴿**وذا الكِفلِ**﴾ اختُلف في نبوّته، قيل: كَفَلَ مِائَة نبيّ فرّوا إليه من القتل. ﴿**وكُلٌّ**﴾ أي: كُلّهم ﴿**مِنَ الأخيارِ**﴾ ٤٨.

٢- ﴿**هٰذا ذِكرٌ**﴾ لهم بالثناء الجميل هنا، ﴿**وإنَّ لِلمُتَّقِينَ**﴾ الشاملين لهم ﴿**لَحُسنَ مآبٍ**﴾ ٤٩: مرجع في الآخرة، ﴿**جَنّاتِ عَدْنٍ**﴾: بدلٌ أو عطف بيان لـ «حسنَ مآب»، ﴿**مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ**﴾ ٥٠ منها، ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيها**﴾ على الأرائك، ﴿**يَدعُونَ فِيها بِفاكِهةٍ كَثِيرةٍ وشَرابٍ ٥١، وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ**﴾: حابسات العين على أزواجهنّ، ﴿**أترابٌ**﴾ ٥٢: أسنانهنّ واحدة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تِرب. ﴿**هٰذا**﴾ المذكور ﴿**ما يُوعَدُونَ**﴾ - بالغَيبة، وبالخِطاب التفاتًا - ﴿**لِيَومِ الحِسابِ**﴾ ٥٣ أي: لأجله. ﴿**إنَّ هٰذا لَرِزقُنا، مالَهُ مِن نَفادٍ**﴾ ٥٤ أي: انقطاع. والجملة: حال من «رزقنا» أو خبر ثان لـ «إنّ» أي: دائمًا أو دائمٌ.

٣- ﴿**هٰذا**﴾ المذكور للمؤمنين، ﴿**وإنَّ لِلطّاغِينَ**﴾: مستأنفٌ ﴿**لَشَرَّ مآبٍ ٥٥، جَهَنَّمَ يَصلَوْنَها**﴾: يدخلونها. ﴿**فبِئسَ المِهادُ**﴾ ٥٦: الفِراشُ!

=نبي كان قبل موسى في الجنوب الشرقي من البحر الميت. وقد ذكر المفسرون في ابتلائه خرافات إسرائيلية كثيرة. ومسني: أصابني. والشراب: مايصلح للشرب. ووهب: أعطى. والأهل: الأسرة. ومثلهم: ما هو بقدر عددهم. وقيل: لم يحيِهم له، وإنما رزقه ذرية غيرهم. البحر ٧:٤٠١. والرحمة: العطف بالنعم. والألباب: جمع لب. ومنا: من عندنا. وتحنث: تذنب. والإذخر: نوع من الحشائش. ووجدنا: علمنا علم ظهور أيضًا. والصابر: من يتجلد. وانظر الآية ٣٠. **(١)** العباد: جمع عبد. وإسحاق: ابن إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق. والأيدي: جمع يد. والأبصار: جمع بصيرة. وهي التدبر والتفكير. وأخلصناهم: جعلناهم خالصين لنا من كل ما يشغل. وبخالصة: بسبب خصلة صافية. وبالإضافة يريد «بِخالِصةِ ذِكرَى». والبيان: تبيين أن الخالصة هي ذكرى. وعندنا: في حكمنا وتقديرنا للمنزلة. والخيّر: الكثير العمل الصالح. وإسماعيل: ابن إبراهيم. ويسع: استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استُنبئ. واللام زائدة أي: أن «أل» الداخلة على «يسع» هي للتزيين اللفظي. وذو الكفل: انظر الآية ٨٥ من سورة الأنبياء. وفي ذكر العدد مبالغات. وكلهم: داود ومن ذكر بعده. **(٢)** الذكر: التشريف بإيراد الخبر والصفات. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويلزم الطاعة في الأمر والنهي. والشاملين لهم: يعني الذين يشملون من ذُكر من الأنبياء. وحسن مآب: انظر الآية ٤٠. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. والعدن: الإقامة الدائمة. وبدل أو عطف بيان يعني: جنات. فهو يفيد التوضيح والتوكيد. والمفتحة: المُشرَعة لتيسير الدخول. والأبواب: جمع باب. والمتكئ: الجالس باستقرار وطمأنينة. ويدعون بفاكهة: يطلبون الثمار اللذيذة للتفكه لاللغذاء. والشراب: ما يشرب من العسل واللبن والخمر. والمذكور يعني: في الآيات ٤٩-٥٢. ويوعدون: يبشرون به ويهيأ لهم. وفي ث والفتوحات والصاوي والمنحة: «ما تُوعَدُونَ بالغيبة». وبالغيبة يعني: بالياء في أول الفعل. وبالخطاب يريد القراءة «ما تُوعَدُونَ». واليوم: الوقت. والحساب: المحاسبة والجزاء. والرزق: ما يهيأ وييسر للخلق. **(٣)** الطاغي: المتجاوز للحق، وهو الكافر. واسم الإشارة هنا من فصل الخطاب، أي: الفصل بين كلامين للانتقال من غرض إلى آخر. وهو من بليغ البيان. والشر: السوء والفساد، يقابل الحسن في الآية ٤٩. والمآب: المرجع الذي يُنتهى إليه. وجهنم: اسم علم لدار العذاب في الآخرة. وبئس أي: بلغ الغاية في الشر والبؤس والفساد. ويذوقه: يقاسيه ويعانيه. وفي الأمر معنى التهكم والتعنيف. وبالتشديد يريد القراءة «وغَسّاقٌ». وأُخر: جمع آخَر. وفي ط والفتوحات والصاوي والمنحة: «وآخَرُ بالجمع». وبالإفراد يريد القراءة «وآخَرُ»، أي: وعذاب مخالف أيضًا. ومثل المذكور أي: في الشدة والفظاظة والإيذاء. والأزواج: جمع زوج. وهو الصنف والنوع. وبأتباعهم أي: مع من تبعهم في الكفر. و«داخل النار بشدة» تفسير لـ «مقتحم»، لأن الاقتحام هو الدخول العنيف. فالكفار تضطرهم ملائكة العذاب إلى رمي أنفسهم بعنف. والمتبوعون: زعماء الكفر والضلال. وفي ط والمنحة وبعض المطبوعات: «المتبَعون». ولاسعة عليهم أي: لا وَسِعتْ منازلهم سعة لهم. والصالي للنار: المقاسي لحرها وأهوالها. وأنتم لامرحبًا بكم أي: أنتم=

الجُزْءُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ — سُورَةُ صٓ

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

﴿**هٰذا**﴾ أي: العذاب المفهوم ممّا بعده - ﴿**فلْيَذُوقُوهُ - حَمِيمٌ**﴾ أي: ماء حارّ مُحرق ﴿**وغَسَاقٌ**﴾ ٥٧، بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، ﴿**وأُخَرُ**﴾ - بالجمع والإفراد - ﴿**مِن شَكلِهِ**﴾ أي: مِثلِ المذكور من الحميم والغساق، ﴿**أزواجٌ**﴾ ٥٨: أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم، عِند دُخولهم النارَ بأتباعهم: ﴿**هٰذا فَوجٌ**﴾: جمع ﴿**مُقتَحِمٌ**﴾: داخل ﴿**مَعَكُم**﴾ النارَ بشِدّة. فيقول المتبوعون: ﴿**لا مَرحَبًا بِهِم**﴾ أي: لا سَعةَ عليهم. ﴿**إنّهم صالُو النّارِ ٥٩. قالوا**﴾ أي: الأتباع: ﴿**بَل أنتُم لا مَرحَبًا بِكُم. أنتُم قَدَّمتُمُوهُ**﴾ أي: الكُفرَ ﴿**لَنا. فبِئسَ القَرارُ**﴾ ٦٠ لنا ولكم النارُ! ﴿**قالوا**﴾ أيضًا: ﴿**رَبَّنا، مَن قَدَّمَ لَنا هٰذا فزِدْهُ عَذابًا ضِعفًا**﴾ أي: مِثل عذابه على كُفره ﴿**في النّارِ**﴾ ٦١.

١- ﴿**وقالوا**﴾ أي: كُفّار مكّة، وهم في النار: ﴿**مالَنا لا نَرَى رِجالًا، كُنّا نَعُدُّهُم**﴾ في الدنيا ﴿**مِنَ الأشرارِ ٦٢؟ اتَّخَذْناهُم سُخرِيًّا**﴾، بضم السين وكسرها: كنّا نسخر بهم في الدنيا - والياء: للنسب - أي: أمفقودون هم ﴿**أم زاغَتْ**﴾: مالت ﴿**عَنهُمُ الأبصارُ**﴾ ٦٣ فلم نرهم؟ وهم فُقراء المُسلمين كعمّار وبلال وصُهيب وسلمان. ﴿**إنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ**﴾: واجبٌ وقوعُه، ﴿**تَخاصُمُ أهلِ النّارِ**﴾ ٦٤ كما تقدّم.

٢- ﴿**قُلْ**﴾ - يا مُحمّد - لكُفّار مكّة: ﴿**إنّما أنا مُنذِرٌ**﴾: مُخوِّف بالنار، ﴿**وما مِن إلٰهٍ إلّا اللهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ ٦٥ لخلقه، ﴿**رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، العَزيزُ**﴾: الغالب على أمره، ﴿**الغَفّارُ**﴾ ٦٦ لأوليائه. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**هُوَ نَبَأٌ عَظيمٌ ٦٧، أنتُم عَنهُ مُعرِضُونَ**﴾ ٦٨ أي: القُرآنُ الذي أنبأتكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلّا بوحي. وهو قوله: ﴿**ما كانَ لِي مِن عِلمٍ بِالمَلَأِ الأعلَى**﴾ أي: الملائكة، ﴿**إذ يَختَصِمُونَ**﴾ ٦٩ في شأن آدم، حين قال الله: «إنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً» إلى آخره. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**يُوحَى إلَيَّ إلّا أنَّما أنا**﴾ أي: أنّي ﴿**نَذيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٧٠: بيّنُ الإنذار.

٣- اذكرْ ﴿**إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنّي خالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ**﴾ ٧١ هو آدم. ﴿**فإذا سَوَّيتُهُ**﴾: أتممته، ﴿**ونَفَختُ**﴾: أجريت ﴿**فِيهِ مِن رُوحِي**﴾ فصار حيًّا - وإضافة الروح إليه تشريف لآدم. والروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه - ﴿**فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾ ٧٢ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿**فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ**﴾ ٧٣ - فيه تأكيدان - ﴿**إلّا إبليسَ**﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿**استَكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ**﴾ ٧٤ في عِلم الله تعالى. ﴿**قالَ: يا إبليسُ، ما مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ**﴾ أي: تولّيتُ خلقه؟ وهذا تشريف لآدم - فإنّ كل مخلوق تولّى الله خلقه - ﴿**أستَكبَرتَ**﴾ الآن عن السُّجود؟ استفهام توبيخ، ﴿**أم كُنتَ مِنَ العالِينَ**﴾ ٧٥: المُتكبّرين، فتكبّرت عن السُّجود لكونك منهم؟ ﴿**قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَنِي مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ**﴾ ٧٦.

٤- ﴿**قالَ: فاخرُجْ مِنها**﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿**فإنَّكَ رَجِيمٌ**﴾ ٧٧: مطرود، ﴿**وإنَّ عَلَيكَ لَعنَتِي إلَى يَومِ الدِّينِ**﴾ ٧٨: الجزاءِ.

=أحق بهذا الدعاء. وقدمتموه لنا: أوقعتمونا فيه بما زينتم لنا. والكفر أي: المسبِّب لهذا العذاب. وهو مستفاد مما في «الطاغين» من مصدر يدل على الكفر. والقرار: مكان الاستقرار والإقامة. وزده: أضف إليه. والضعف: المضاعِف. والنار: نار جهنم. **(١)** كفار مكة أي: وغيرها أيضًا. قال ابن كثير في تفسيره ٤٣:٤: «وهذا ضربُ مَثل. وإلّا فكل الكفار هذا حالهم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار». ولا نرى: لا نبصر في النار. والرجال: جمع رجل. يعني أنهم لم يدخلوها. ونعد: نظن. والأشرار: جمع شَرّ. وهو الفاسد. واتخذ: جعل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أتَّخذناهُم»؟ انظر «المفصل». وسخريًا: مسخورًا بهم. وبكسرها يريد القراءة «سِخرِيًّا». وللنسب أي: للمبالغة في المصدرية. والأبصار: جمع بصر. والتخاصم: تبادل الدعاء والمذمة. والأهل: الملازمون للشيء. وتقدم أي: في الآيات ٥٩-٦٢. وقد أشير إليه بـ «ذلك» في أول الآية . **(٢)** منذر أي: لاشاعر ولاساحر ولامدّع. والإلٰه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد بالوحدانية. والقهار: المبالغ في تذليل الخلق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والغفار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. والنبأ: الخبر. والعظيم: الضخم لامثيل له. والمعرض: المنصرف. والقرآن أي: مافيه من العقيدة والشريعة والعلم. وأنبأتكم: أخبرتكم. والعلم: الإدراك اليقيني. والملأ: الخَلق الكريم. والأعلى: الرفيع المقام. ويختصمون: يختلفون ويتحاورون. و«إني جاعل...» إلى آخره: من الآية ٣٠ من سورة البقرة. ويوحى: ينزل من عند الله. **(٣)** الملائكة: جمع ملَك. وخالق: منشئ. والبشر: الإنسان. والطين: التراب المجبول بالماء. ونفخت: خلقت. وأجريت: يعني أن النفخ تمثيل، لإفاضة ما به الحياة على المادة القابلة له، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ. وروحي: الروح التي أملكها ولا يملكها غيري. وتعريف الروح يحسن الإعراض عنه. انظر قول السيوطي في ختام تفسيره. وقعوا: اسقطوا سريعًا. وبالانحناء أي: لاسجودَ عبادة بوضع الجبهة على الأرض. وأبو الجن: الصواب أن إبليس أب للشياطين من الجن فقط. انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. واستكبر: طلب الترفع. والكافر: المنكر للنعم وما توجبه. وفي علم الله: فيما علمه قديمًا، من أن إبليس سيعصيه باختياره وخبث استعداده. ومنع: صد. و«توليت خلقه» أولى منه أن يقال: لم يكن خلقه بتولد أو بوساطة أحد، وإنما أوجدته بيديَّ، على المعنى اللائق بجلالي وعظمتي. والخير: الأكثر فضلًا ورفعة. **(٤)** اخرج منها: غادرها وانصرف. واللعنة: الحرمان من الرحمة. واليوم:=

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
(٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ (٨٨)

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ (٤)
خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ (٥)

﴿**قالَ: رَبِّ، فأنظِرْنِيَ إلَى يوم يُبعَثُونَ**﴾ ٧٩ أي: الناسُ. ﴿**قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ** ٨٠، **إلَى يومِ الوَقتِ المَعلُوم**﴾ ٨١: وقت النفخة الأولى. ﴿**قالَ: فبِعِزّتِكَ لأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ** ٨٢، **إلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ**﴾ ٨٣ أي: المؤمنين.

١- ﴿**قالَ: فالحَقُّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ ٨٤ - بنصبِهما ورفعِ الأول ونصبِ الثاني - فنصبُه بالفعل بعده، ونصبُ الأوّل قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أَحُقُّ الحقَّ، وقيل: على نزع حرف القسم. ورفعُه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: فالحقُّ منّي. وقيل: فالحقُّ قَسَمي، وجواب القسم: ﴿**لَأملأنَّ جَهنَّمَ مِنكَ**﴾ بذُرّيّتك، ﴿**ومِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم**﴾: من الناس ﴿**أجمَعِينَ**﴾ ٨٥.

٢- ﴿**قُلْ: ما أسألُكُم عليهِ**﴾ على تبليغ الرسالة ﴿**مِن أجرٍ**﴾: جُعْل، ﴿**وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ**﴾ ٨٦ المتقوِّلينَ القُرآنَ من تِلقاء نفسي. ﴿**إنْ هُوَ**﴾ أي: ما القُرآن ﴿**إلّا ذِكرٌ**﴾: عِظة ﴿**للعالَمِينَ**﴾ ٨٧: الإنس والجنّ دُون الملائكة، ﴿**ولَتَعلَمُنَّ**﴾ - يا كُفّار مكّة - ﴿**نَبَأَهُ**﴾: خبر صِدقه، ﴿**بَعدَ حِينٍ**﴾ ٨٨ أي: يومَ القيامة. وعَلِمَ بمعنى: عَرَفَ. واللام قبلها: لام قسم مُقدّر، أي: والله.

سورة الزُّمَر

مكية إلّا «قل يا عبادي الذين أسرفوا» الآية فمدنية، وهي خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**تنزيلُ الكِتابِ**﴾: القُرآنِ، مبتدأٌ ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: خبرُه، ﴿**العَزيزِ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمِ**﴾ ١ في صُنعه. ﴿**إنّا أنزَلْنا إلَيكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**الكِتابَ بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ«أنزل». ﴿**فاعبُدِ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ ٢ من الشِّرك، أي: مُوحِّدًا له.

٤- ﴿**ألا للهِ الدِّينُ الخالِصُ**﴾ لا يستحقّه غيره، ﴿**والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ**﴾ الأصنامَ ﴿**أولياءَ**﴾ وهم كُفّار مكّة، قالوا: ﴿**ما نَعبُدُهُم إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى اللهِ زُلفَى**﴾: قُربَى مصدر بمعنى: تقريبًا. ﴿**إنَّ اللهَ يَحكُمُ بَينَهُم**﴾ وبين المسلمين ﴿**فِيما هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ من أمر الدِّين، فيُدخل المؤمنين الجنّة، والكافرين النار. ﴿**إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ كاذِبٌ**﴾ في نِسبة الولد إلى الله، ﴿**كَفّارٌ**﴾ ٣ بعبادته غيرَ الله. ﴿**لَو أرادَ اللهُ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾، كما قالوا: «اتَّخَذَ الرَّحمٰنُ وَلَدًا»، ﴿**لَاصطَفَى مِمّا يَخلُقُ ما يَشاءُ**﴾ واتّخذه ولدًا، غيرَ مَن قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وعُزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله. ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عن اتّخاذ الولد. ﴿**هُوَ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ ٤ لخلقه!

٥- ﴿**خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ«خلق»، ﴿**يُكَوِّرُ**﴾: يُدخِل ﴿**اللَّيلَ على النَّهارِ**﴾ فيزيد، ﴿**ويُكَوِّرُ النَّهارَ**﴾: يُدخِله ﴿**عَلَى اللَّيلِ**﴾

=الوقت. ورب أي: ياربي. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم، لما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وأنظرني: دعني حيًا وأمهلني وأخّر وفاتي. وفي الأصل: «أنظرني». ويبعثون: ينشرون من القبور للحساب. وذلك عند النفخة الثانية. أراد أن يبقى إلى ذلك الوقت، لئلا يموت بعد، إذ لاموت بعد البعث. فهو يخادع ويمكر. والمنظر: المؤخرةُ وفاتُه. والمعلوم: المحدد والمقدر لفناء الخلق كلهم. والعزة: الغلبة والقهر. وأغوي: أُغري بتزيين الكفر والعصيان. والعباد: جمع عبد. وانظر الآيات ١٣-١٦ من سورة الأعراف. (١) الحق: الأمر الثابت. وعلى معنى القسم، يكون الحق هو الله، تعالى. وأقول: أُعلِم وأُقرّر. وبرفع الأول يريد القراءة «فالحَقُّ». ونصبه: نصب الثاني. والفعل المذكور: أقول. والمصدر أي: المفعول المطلق للتوكيد. وحرف القسم: يعني أن الاسم منصوب بنزع الخافض. وجواب القسم أي: إذا قدر نزع الخافض أو الخبر «قسمي». وأملؤها: أَشغلها كلها. وجهنم: اسم علم لدار الغذاب يوم القيامة. وبذريتك أي: مع من هم من سلالتك. وتبعك: وافق إغراءك وانقاد إليك. (٢) أسألكم: أطلب منكم. والمتكلف: من يتصف بما هو ليس من أهله. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالجمع هنا مراد به جنسان فقط، جُمعا للمبالغة. وفيما عدا الأصل والنسخ وإحدى النسخ أيضًا: «للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة». انظر قرة العينين ص ٦٠٥. وياكفار مكة أي: وغيرها من البلاد. و«خبر صدقه» من تفسير البغوي. وفي تفسير ابن كثير: خبره وصدقه. والحين: الوقت. وبمعنى عرف أي: ينصب مفعولًا واحدًا. ولام قسم أي: واقعة في جواب قسم. (٣) التنزيل: الوحي على لسان جبريل، مع التعهد بالحفظ والتبليغ. ومبتدأ خبره أي: تنزيل مبتدأ، والخبر محذوف يتعلق به: من الله، أي: من عنده وبأمره. والعزيز: الغلاب لايعجزه هارب أو معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والحق: الاستحقاق وشمول المنفعة للعالم. واعبده: قدّسه وأطعه. والمخلص: المجرِّد المصفّي. والدين: العبادة والطاعة. (٤) في لباب النقول عن ابن عباس أن الآيات نزلت في ثلاث قبائل: بني عامر وكِنانة وبني سَلَمة، كانوا يعبدون الأصنام، ويقولون: الملائكة بنات الله، وإنما نعبدهم ليقربونا إليه زلفى. وحكم هذه الآيات يشمل أيضًا من كان مثل تلك القبائل في الشرك. والخالص: المجرد الصافي. واتخذ: جعل. ومن دونه أي: غيره. والأولياء: جمع ولي. وهو من يتولى أمور غيره ويُتكل عليه. ونعبد: نقدس ونطيع. ويقربه: يدني منزلته بالشفاعة. ويحكم: يفصل. ويختلفون: يتنازعون ويتجادلون. ولايهديه: لايرشده ولا يوفقه في الاسترشاد، بل يصرف قدراته إلى مايناسب اختياره الفاسد واستعداده الخبيث. والكاذب: من يقول غير الواقع. والكَفار: الكثير التمادي في إنكار نعم الله وعدم شكرها. وأراد: شاء. ويتخذه: يصنعه لنفسه. والولد: المولود ذكرًا أو أنثى. وقولهم المذكور هو في الآيتين ٨٨ من سورة مريم و٢٦ من سورة الأنبياء. واصطفى: اختار. ويخلق: يوجده. ويشاء: يريد اتخاذه. و«غير من قالوا» هو تفسير لـ «ما»، أي: غير من زعموا أنه ابنه. واتخاذ الولد أي: وغير ذلك مما لايليق بجلاله. والواحد: المتفرد بالألوهية والذات والصفات والأفعال. والقهار: الشديد الغلبة والتذليل. (٥) السماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم=

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

فيزيد، ﴿**وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ يَجرِي**﴾ في فلكه ﴿**لِأجَلٍ مُسَمًّى**﴾: ليوم القِيامة - ﴿**ألا هُوَ العَزِيزُ**﴾: الغالب على أمره المُنتقم من أعدائه، ﴿**الغَفّارُ**﴾ ٥ لأَوليائه - ﴿**خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدةٍ**﴾ أي: آدم، ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوجَها**﴾ حوّاءَ، ﴿**وأنزَلَ لَكُم مِنَ الأنعامِ**﴾: الإبلِ والبقر والغنم الضأنِ والمعزِ ﴿**ثمانِيَةَ أزواجٍ**﴾ من كُلٍّ زوجانِ: ذكر وأُنثى، كما بيّنَ في سورة «الأنعام»، ﴿**يَخلُقُكُم في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلقًا مِن بَعدِ خَلقٍ**﴾ أي: نُطَفًا ثمّ عَلَقًا ثمّ مُضَغًا، ﴿**في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ**﴾ هي: ظُلمة البطن وظُلمة الرحم وظُلمة المَشيمة. ﴿**ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لَهُ المُلكُ، لا إلَهَ إلّا هُوَ. فأنَّى تُصرَفُونَ**﴾ ٦ عن عِبادته إلى عِبادة غيره؟

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

١- ﴿**إن تكفُرُوا فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُم، ولا يَرضَى لِعِبادِهِ الكُفرَ**﴾ وإن أراده من بعضهم، ﴿**وإن تَشكُرُوا**﴾ الله فتؤمنوا ﴿**يَرضَهْ**﴾ - بسكون الهاء وضمّها مع إشباع ودونَه - أي: الشُّكرَ ﴿**لَكُم، ولا تَزِرُ**﴾ نفس ﴿**وازِرةٌ وِزرَ**﴾ نفسٍ ﴿**أُخرَى**﴾ أي: لا تحمله، ﴿**ثُمَّ إلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تعمَلُونَ. إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٧: بما في القُلوب.

٢- ﴿**وإذا مَسَّ الإنسانَ**﴾ أي: الكافرَ ﴿**ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيبًا**﴾: راجعًا ﴿**إلَيهِ، ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ نِعْمةً**﴾: أعطاه إنعامًا ﴿**مِنهُ نَسِيَ**﴾: ترك ﴿**ما كانَ يَدعُو**﴾: يتضرّعُ ﴿**إلَيهِ مِن قَبلُ**﴾ وهو الله - فما: في موضع: مَن - ﴿**وجَعَلَ لِلهِ أندادًا**﴾: شُركاءَ ﴿**لِيَضِلَّ**﴾، بفتح الياء وضمّها، ﴿**عَن سَبِيلِهِ. قُلْ: تَمَتَّعْ بِكُفرِكَ قَلِيلًا**﴾: بقيّةَ أجلك. ﴿**إنَّكَ مِن أصحابِ النّارِ**﴾ ٨. ﴿**أمَن**﴾، بتخفيف الميم، ﴿**هُوَ قانِتٌ**﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿**آناءَ اللَّيلِ**﴾: ساعاتِه، ﴿**ساجِدًا وقائمًا**﴾ في الصلاة، ﴿**يَحذَرُ الآخِرةَ**﴾ أي: يخاف عذابها، ﴿**ويَرجُو رَحْمةَ**﴾: جنّة ﴿**رَبِّهِ**﴾، كمن هو عاصٍ بالكُفر أو غيره؟ وفي قراءة: «أم مَن» بمعنى: بل والهمزة. ﴿**قُلْ: هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعلَمُونَ**﴾؟ أي: لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل. ﴿**إنَّما يَتَذَكَّرُ**﴾: يتّعظ ﴿**أُولُو الألبابِ**﴾ ٩: أصحاب العُقول.

٣- ﴿**قُلْ: يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا رَبَّكُم**﴾ أي: عذابَه بأن تُطيعوه. ﴿**لِلَّذِينَ أحسَنُوا في هٰذِهِ الدُّنيا**﴾ بالطاعة ﴿**حَسَنةٌ**﴾ هي الجنّة، ﴿**وأرضُ اللهِ واسِعةٌ**﴾. فهاجروا إليها من بين الكُفّار ومُشاهدة المُنكرات. ﴿**إنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ**﴾ على الطاعة وما يُبتلَون به ﴿**أجرَهُم، بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ١٠: بغير مِكيال ولا مِيزان.

=عُلوية. وبالحق: انظر الآية ٢. ويدخله عليه أي: يضيف بعض وقت الأول إلى الآخر. وسخرها: ذللها وهيأها لمنفعة الخلق. ويجري: يتحرك بنظام معين فيدور في مكانه، أو ينتقل من مكانه في حركته، أو يقوم بالعملين معًا. والأجل: وقت نهاية البقاء للمخلوق. والمسمى: المحدد في علم الله. انظر الآية ٢ من سورة الرعد. والغفار: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والنفس: الإنسان بروحه وبدنه. وجعل: أنشأ. ومنها أي: من جنسها. والزوج: الزوجة. وأنزل: خلق بأمره النازل المحقَّق. والأنعام: جمع نعم. والأزواج: جمع زوج. وهو المخلوق يقابل آخر من نوعه، كالذكر والأنثى. والبطون: جمع بطن، ويراد به الرحِم. والأمهات: جمع أمهة. وهي الأم. والظلمات: جمع ظُلْمة. وهي فقد النور. والمُلك: حيازة المخلوقات والتصرف فيها. والإلٰه: المعبود بحق. وأنَّى: كيف. وتصرفون: تُمنعون وتُكفّون. **(١)** تكفر: تكذّب وتجحد النعم. والغني: المكتفي لايرجع إليه منفعة من أحد. ولايرضاه: لايقبله ويجازي عليه. ولعباده: لأجل منفعتهم. والعباد: جمع عبد. وأراده: قضاه. وتشكر: تثني على المنعم. ويرضه: يقبله ويضاعف ثوابه. وبضمها يريد القراءتين «يَرضَهُ» بمد الضمة كالواو إشباعًا، وبدون مدّ أيضًا. البحر ٤١٧:٧. ولكم: لأجل منفعتكم. والوازرة: الحاملة لذنب. فكل نفس تحمل إثم عملها. والوزر: الذنب. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه. والمرجع: العودة بالبعث. وينبئ: يخبر للمحاسبة. وتعملون: تكسبون. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والصدور: جمع صدر وهو الضمير. **(٢)** قيل: إن الآيتين نزلتا في عتبة بن ربيعة وأبي جهل، وأبي بكر وعثمان وعمار، والمراد عموم الكافرين والمؤمنين أيضًا. الواحدي ص ٣٨٨. ومسه: نزل به. والضر: ما يُكره. ودعا ربه: ناداه مستغيثًا. وإليه: إلى تقديسه وحده. والنعمة: الفضل بالإغاثة. ومنه: من عنده. ومن قبل: من قبل تخويل النعمة. ولفظ الجلالة تفسير لـ «ما». وفي موضع من: يعني أنها ليست لغير العاقل. وجعل: ظن. والأنداد: جمع ند. ويضل: يرتد. وبضمها يريد القراءة «لِيُضِلَّ»، أي: ليصد غيره. وتمتع: تلذذ. والأصحاب: جمع صاحب. والآناء: جمع إنًى. ويرجوها: يعمل لها. والرحمة: العطف بالإحسان. وكمن أي: أن الكاف: خبر للمبتدأ «مَن». ويستوون: يتساوون في المنزلة والعمل. ولا يستويان أي: القانت والعاصي. ويعلم: يدرك باليقين. وأولو: واحده ذو. والألباب: جمع لب.
(٣) روي أن هذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حين عزموا على الهجرة إلى الحبشة. البحر ٤١٩:٧. وياعبادي: ياعباد الله. فهو على حكاية الخطاب بلفظه، ولو أُورد بمعناه لكان كما فسرنا. والعباد: جمع عبد. وفي ط والمنحة وبعض المطبوعات: «ياعبادِ» بحذف ياء المتكلم. انظر تعليقنا على الآية ١٠٣ من سورة يونس. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. واتقوا عذابه: تجنبوه واحفظوا أنفسكم منه. وأحسن: أخلص عمله لوجه الله. والحسنة: الأجر الكريم. والواسعة: الكبيرة المدى تستوعب الناس وتفضل عليهم. ويوفى: يعطَى الوافيَ التام. والصابر: الثابت المتحمل. والأجر: الثواب. وبغير أي: بدون. والحساب: المحاسبة التي تكون للكافرين.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

١- ﴿**قُلْ: إنِّيَ أُمِرتُ أن أعبُدَ اللهَ، مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ ١١ من الشِّرك. ﴿**وأُمِرتُ لِأَن**﴾ أي: بأن ﴿**أكونَ أوَّلَ المُسلِمينَ**﴾ ١٢ من هذه الأمّة. ﴿**قُلْ: إنِّي أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي، عَذابَ يومٍ عَظيمٍ**﴾ ١٣. ﴿**قُلِ: اللهَ أعبُدُ، مُخلِصًا لَهُ دِيني**﴾ ١٤ من الشِّرك. ﴿**فاعبُدُوا ما شِئتُم مِن دُونِهِ**﴾: غيرَه. فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله، تعالى.

٢- ﴿**قُلْ: إنَّ الخاسِرينَ الَّذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يومَ القِيامةِ**﴾، بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة، لو آمنوا - ﴿**ألا ذٰلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبينُ**﴾ ١٥: البيّن - ﴿**لَهُم مِن فَوقِهِم ظُلَلٌ**﴾: طِباق ﴿**مِنَ النّارِ، ومِن تَحتِهِم ظُلَلٌ**﴾ من النار. ﴿**ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادَهُ**﴾ أي: المؤمنين ليتّقوه - يدلّ عليه: ﴿**يا عِبادِ، فاتَّقُونِ**﴾ ١٦ - ﴿**والَّذينَ اجتَنَبُوا الطّاغُوتَ**﴾: الأوثانَ ﴿**أن يَعبُدُوها، وأنابُوا**﴾: أقبلوا ﴿**إلَى اللهِ، لَهُمُ البُشرَى**﴾ بالجنّة. ﴿**فَبَشِّرْ عِبادِيَ**﴾ ١٧، ﴿**الَّذينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ**﴾، وهو ما فيه فلاحهم. ﴿**أُولٰئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ، وأُولٰئِكَ هُم أُولُو الألبابِ**﴾ ١٨: أصحاب العُقول.

٣- ﴿**أفَمَن حَقَّ عَلَيهِ كَلِمةُ العَذابِ**﴾، هي: «لأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿**أفأنتَ تُنقِذُ**﴾: تُخرج ﴿**مَن في النّارِ**﴾ ١٩؟ جوابُ الشرط. وأُقيم فيه الظاهر مَقام المُضمر، والهمزة: للإنكار. والمعنى: لا تقدرُ على هِدايته فتُنقذَه من النار. ﴿**لٰكِنِ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُم**﴾ بأن أطاعوه ﴿**لَهُم غُرَفٌ، مِن فَوقِها غُرَفٌ، مَبنِيَّةٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ**﴾ أي: من تحت الغُرف الفَوقانيّة والتحتانيّة، ﴿**وَعْدَ اللهِ**﴾: منصوب بفعله المُقدَّر، ﴿**لا يُخلِفُ اللهُ المِيعادَ**﴾ ٢٠: وعدَه.

٤- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَسَلَكَهُ يَنابيعَ**﴾: أدخله أمكنةَ نبع ﴿**في الأرضِ، ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعًا مُختَلِفًا ألوانُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ**﴾: يَيبسُ، ﴿**فَتَراهُ**﴾ بعد الخُضرة مَثلًا ﴿**مُصفَرًّا، ثُمَّ يَجعَلُهُ حُطامًا**﴾: فُتاتًا؟ ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَذِكرَى**﴾: تذكيرًا ﴿**لِأُولِي الألبابِ**﴾ ٢١ يتذكّرون به، لدلالته على وحدانيّة الله - تعالى - وقُدرته. ﴿**أفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ لِلإسلامِ**﴾ فاهتدى، ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ**﴾، كمن طَبع على قلبه؟ دلَّ على هذا: ﴿**فَوَيلٌ**﴾: كلمةُ عذاب ﴿**لِلقاسِيةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكرِ اللهِ**﴾ أي: عن قَبول القُرآن. ﴿**أُولٰئِكَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٢٢: بيّن.

---

(١) أمرت: فُرض عليّ. وأعبد: أقدس وأطيع. والمخلص: المصفّي والمجرّد. والدين: العبادة والطاعة. وبأن: يعني أن اللام بمعنى الباء، وأن المصدر المؤول من «أن» في الآية ١١ في محل نصب بنزع الخافض. وأكون: أصير. والأول: السابق المتقدم في الإيمان والطاعة. والمسلم: من أسلم أمره لله. وأخاف: أتوقع. وعصيته: خالفت أمره ونهيه. واليوم: الوقت. والعظيم: الضخم لامثيل له. وعظمة اليوم تعني عظمة العذاب الذي فيه. وفي تفسير الخازن ٦: ٧٠ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «ماحملك على هذا الذي أتيتنا به؟ ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك، فتأخذَ بها». فنزلت هذه الآيات. فإذا كان، مع علو منزلته، يتجنب العصيان فغيره أولى بذلك. وشئتم أي: أردتم عبادته. (٢) الخاسر: من ضيّع ما كان له وما ينتظر. وخسرها: ضيعها بالهلاك في العذاب. والأنفس: جمع نفس. والأهلون: جمع أهل. وهو ما أُعد للإنسان في الجنة من الحور العين والولدان. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. والظلل: جمع ظُلّة، عُبِّر بها عن طبقات النار للتهكم. وذلك أي: العذاب المذكور. ويخوف: يهدد. وفي الأصل: «ياعِبادِي». واتقون: تجنبوا غضبي والزموا الطاعة. وروي أن الآية ١٧ نزلت في الموحدين من الجاهليين، وأن الآية ١٨ نزلت في الذين سبقوا إلى الإيمان. الواحدي ص ٣٨٨. وفي تفسير ابن كثير ٤: ٥٠ أن ذلك شامل لسائر المؤمنين. واجتنبوها: أعرضوا عنها. والطاغوت: البالغ غايةَ الطغيان. ويعبد: يقدس ويطيع. وإلى الله: إلى توحيده. والبشرى: الخبر السار على ألسنة الرسل والملائكة. وعبادي: المجتنبين لعبادة الطاغوت. وفيما عدا الأصل والنسخ: «عبادِ» بحذف ياء المتكلم. ويستمعونه: يصغون إليه ويدركونه. ويتبعه: يعمل به. والأحسن: الأكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. والفلاح: النجاة والفوز. وهداهم: أرشدهم إلى الحق وصرف قدراتهم إلى ما يناسب اختيارهم واستعداداتهم الصالحة. وأولو: واحده ذو. انظر آخر الآية ٩. (٣) قيل: إن الآية ١٩ نزلت في زعماء الشرك، أي: ثبَتَ عليهم العذاب، فلن تنقذهم منه. تفسير القرطبي ١٥: ٢٤٤. وحق: وجب. وكلمة العذاب: عبارة الحكم بالتعذيب. وهي أي: الكلمة. انظر الآية ١١٩ من سورة هود. وجواب الشرط: يعني أن جملة أنت تنقذ: جواب الشرط. والهمزة: همزة الاستفهام في أول الآية. والغرف: جمع غرفة، وهي العلالي والقصور. والمبنية: المشيّدة بعضها فوق بعض. وتجري: تسيل بسرعة. والأنهار: جمع نهر. والوعد: التعهد بالخير. وفعله المقدر: وَعَدَ. انظر الآية ٨٤ من سورة ص. ولايخلفه: لاينقضه ولايخل به. (٤) أنزل: أرسل. والسماء: السحاب. والينابيع: جمع يَنبوع. ويخرج: ينبت. والزرع: ما ينبت. والمختلف: المتباين. والألوان: جمع لون، ما يرى من هيئات وصفات. والمصفر: ما تحول إلى الصفرة لجفافه. ويجعل: يصيّر. وأولو الألباب: انظر آخر الآية ٩. وقيل: إن الآية ٢٢ نزلت لبيان الفرق بين حمزة وعلي وبين أبي لهب وأولاده. الواحدي ص ٣٨٩. وهي تعم غيرهم. وشرحه: هيأه للاستجابة. يعني انشراح القلب منبع الروح والانفعال. والنور: المعرفة للوصول إلى الحق. ومنه: من عنده وبأمره. وعلى هذا يعني: على التقدير: كمن طبع على قلبه. وكلمة عذاب: كلمة معناها الدعاء بالتعذيب. والقاسية: المتصلبة. والذكر: مايذكّر بالحق. والضلال: الضياع.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

١- ﴿**اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحَدِيثِ، كِتابًا**﴾: بدلٌ من «أحسنَ»، أي: قُرآنًا، ﴿**مُتَشابِهًا**﴾ أي: يُشبه بعضه بعضًا في النظم وغيره، ﴿**مَثانِيَ**﴾: ثُنِيَ فيه الوعدُ والوعيد وغيرهما، ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ**﴾: ترتعد عِند ذِكر وعيده ﴿**جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم، ثُمَّ تَلِينُ**﴾: تطمئنّ ﴿**جُلودُهُم وقُلوبُهُم إلَى ذِكرِ اللهِ**﴾ أي: عِند ذِكر وعده. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: الكتاب ﴿**هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ، ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ**﴾ ٢٣. ﴿**أفَمَن يَتَّقِي**﴾: يلقى ﴿**بِوَجهِهِ سُوءَ العَذابِ يَومَ القِيامةِ**﴾ أي: أشدَّه، بأن يُلقى في النار مغلولةً يداه إلى عُنقه، كمن أمِنَ منه بدُخول الجنّة؟ ﴿**وقِيلَ لِلظّالِمِينَ**﴾ أي: كُفّارِ مكّة: ﴿**ذُوقُوا ما كُنتُم تَكسِبُونَ**﴾ ٢٤ أي: جزاءه.

٢- ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ رُسلَهم، في إتيان العذاب، ﴿**فأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ**﴾ ٢٥: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم، ﴿**فأذاقَهُمُ اللهُ الخِزيَ**﴾: الذّلّ والهوان، من المسخ والقتل وغيرهما، ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا. ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا**﴾ أي المُكذِّبون ﴿**يَعلَمُونَ**﴾ ٢٦ عذابها ما كذّبوا.

٣- ﴿**ولَقَد ضَرَبْنا**﴾: جعلنا ﴿**لِلنّاسِ في هٰذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ٢٧ يتّعظون، ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا**﴾: حالٌ مُؤكِّدة، ﴿**غَيرَ ذِي عِوَجٍ**﴾ أي: لَبسٍ واختلاف، ﴿**لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ ٢٨ الكُفر. ﴿**ضَرَبَ اللهُ**﴾ للمُشرك والمُوحِّد ﴿**مَثَلًا رَجُلًا**﴾: بدلٌ من «مثلًا»، ﴿**فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ**﴾: متنازعون سيّئةٌ أخلاقُهم، ﴿**ورَجُلًا سالِمًا**﴾: خالصًا ﴿**لِرَجُلٍ. هَل يَستَوِيانِ مَثَلًا**﴾؟ تمييزٌ، أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد. فإنّ الأوّل إذا طلَبَ منه كُلٌّ من مالكيه خِدمته، في وقت واحد، تحيَّر فيمن يخدمه منهم. وهذا مَثل للمُشرك، والثاني مَثل للمُوحِّد، ﴿**الحَمدُ للهِ**﴾ وحدَه، ﴿**بَل أكثَرُهُم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٢٩ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

٤- ﴿**إنَّكَ**﴾ - خِطاب للنبيّ - ﴿**مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ**﴾ ٣٠: ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت - نزلتْ لمّا استبطؤوا موته ﷺ - ﴿**ثُمَّ إنَّكُم**﴾

---

(١) روي أن الصحابة قالوا: يارسول الله، حدثنا حديثًا حسنًا. فنزلت هذه الآية، توجههم إلى القرآن الكريم. المستدرك ٢:٣٤٥ والمطالب العالية ٣:٣٤٣. ونزل: أوحى بلسان جبريل على مراحل. والحديث: ما يُتكلم به. والنظم: التركيب الكريم للكلام في عبارات وآيات وسور. وغيره أي: كصحة المعنى والبلاغة والإعجاز والدلالة على الخير والصلاح. والمراد من هذا كله الانسجامُ والانتظام والتوافق والإحكام. والمثاني: جمع مَثنًى. وثُنِي: عطف بعضه على بعض. وغيرهما أي: كالأمر والنهي، والثواب والعقاب، والقصص والأحكام والعلوم والمعارف الخالدة. والجلود: جمع جلد، يراد به الجسم كله. أما التواجد والتساقط فافتعال غير لائق بالمؤمنين. فقد روي أن ابن عمر، لما رأى ساقطًا لسماع القرآن، قال: إنا لنخشى الله وما نسقط. هؤلاء يدخل الشيطان في جوف أحدهم. وعندما علمتْ أسماء بنت أبي بكر أن أحدهم خر مغشيًا عليه من سماع القرآن قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. البحر ٧:٤٢٣. والقلوب: جمع قلب. والذكر: ما يذكّر في الآيات. والهدى: ما يهدي به. ويشاء: يريد هدايته لما في اختياره من الصواب واستعداده للخير. ويضل: يصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الفاسد واستعداد للضلال. ويوم القيامة: وقت قيام الناس بالبعث للحساب. والظالم: من تجاوز الحق. وتخصيص كفار مكة هنا غير مناسب، إذ المراد جميع الكافرين. وذوقوا: تحسسوا وقاسوا. وتكسب: تجمع من نية أو قول أو فعل. (٢) كذبه: أنكره. وأتاهم: نزل بهم. ولا يشعر: لايتوقع لغفلته عن العذاب. وأذاقهم: أنزل بهم. وغيرهما أي: أنواع الإهلاك والاستئصال. وفيما عدا الأصل والنسخ: «وغيره». والدنيا: الأقرب إليهم وهم فيها. والآخرة: البعيدة عنهم وهي الحياة يوم القيامة. وأكبر: أعظم من عذاب الدنيا وأشد. ويعلم: يدرك باليقين. (٣) جعلنا: أوضحنا. والمَثل: الأمر العجيب الواضح يذكر لبيان ما يشبهه. وحال مؤكدة أي: أن «قرآنًا» حال منصوبة تؤكد «القرآن». وذو أي: صاحب. ونفي العوج يستلزم تَوكيد الاستقامة والوضوح والانسجام. ويتقيه: يحفظ نفسه منه. وضرب: أوضح. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في الملك. وسالمًا لرجل أي: مملوكًا لواحد. ويستويان مثلًا أي: يكونان متساويين في التسلط والتصرف. وتمييز: يعني أنه تمييز محول عن الفاعل، والتقدير: لايستوي مثلاهما. وجاز التعبير بالمفرد عن المثنى، لأنه لبيان الجنس. والحمد: الثناء بالجميل على المنعم. وأهل مكة أي: وغيرها من المشركين. و«مايصيرون... فيشركون» الأولى أن يقول: لايدركون وضوح هذا المثل وظهوره، للتفريق بين العبوديتين، فيشركون ويكذبون. الفتح القدير ٤:٦٤٩. (٤) الميت: من هو في الحياة وسوف يموت. واستبطؤوا موته أي: أن المشركين كانوا ينتظرون موته، ليتخلصوا مما يدعوهم إليه، فأخبرهم الله - تعالى - أن الموت يعمهم جميعًا، ولاشماتة للفاني بالفاني. وعند ربكم: في مقام الحساب. وتختصمون: تتنازعون. وأظلم: أكثر جورًا ومجاوزة للحق. وكذب عليه: تقوّل ما هو باطل. وكذّب به: أنكره. والصدق: الحق لاشك فيه. خ: «القرآن». وجاءه: أتاه وبلغه. وجهنم: اسم علم لدار العذاب يوم القيامة. والكافر: المكذب لله ورسوله. وبلى أي: حقًا فيها مقام لهم لينالوا جزاء كفرهم. يعني أن الاستفهام بالهمزة معناه التحقيق، لأنها للنفي ونفيَ النفي تحقيق، أو معناها تقرير المخاطبين. وإنما ذكر الجواب عنهم لأنه لاجواب غيره. ومآل المعنيين واحد، لأن الأول تثبيت لِما بعد النفي، والثاني طلب إقرار ما بعد النفي أيضًا. الفتوحات ٣:٦٠١. وفي هذا وعيد وتهديد، وبيان أن الغلبة في الاختصام تكون للمؤمنين.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

الجزء ٢٤ الحزب ٤٧

أيها الناس، فيما بينكم من المظالم، ﴿يومَ القِيامةِ عِندَ رَبِّكُم تَختَصِمُونَ ٣١. فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَبَ على اللهِ﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه، ﴿وكَذَّبَ بالصِّدقِ﴾: بالقُرآن ﴿إذ جاءَهُ؟ أليسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلكافِرينَ﴾ ٣٢ ؟ بلى.

١ - ﴿والَّذِي جاءَ بالصِّدقِ﴾ هو النبيّ، ﴿وصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون - فالذي بمعنى: الذين - ﴿أُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ ٣٣ الشِّركَ، ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾ ٣٤ لأنفُسهم بإيمانهم، ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنهُم أسوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، ويَجزِيَهُم أجرَهُم بِأحسَنِ الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ﴾ ٣٥. أسوأُ وأحسنُ بمعنى: السيّئ والحَسَن. ﴿ألَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ أي: النبيَّ؟ بلى، ﴿ويُخَوِّفُونَكَ﴾ - الخِطاب له - ﴿بالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامِ، أن تقتله أو تَخبِله، ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ ٣٦، ومَن يَهدِ اللهُ فما لَهُ مِن مُضِلٍّ. ألَيسَ اللهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب على أمره، ﴿ذِي انتِقامٍ﴾ ٣٧ من أعدائه؟ بلى.

٢- ﴿ولَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. قُلْ: أفرَأَيتُم ما تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ؟ ﴿إن أرادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ، هَل هُنَّ كاشِفاتُ ضُرَّهُ﴾؟ لا، ﴿أو أرادَنِي بِرَحمةٍ، هَل هُنَّ مُمسِكاتُ رَحمَتَهُ﴾؟ لا. وفي قراءة بالإضافة فيهما. ﴿قُلْ: حَسبِيَ اللهُ. علَيهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾ ٣٨: يثق الواثقون.

٣- ﴿قُلْ: يا قَومِ، اعمَلُوا على مَكانَتِكُم﴾: حالتكم. ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿فسَوفَ تَعلَمُونَ ٣٩ مَن﴾: موصولةٌ مفعولُ العِلم ﴿يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ﴾: ينزل ﴿علَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ ٤٠: دائم، هو عذاب النار. وقد أخزاهم الله ببدر.

---

(١) جاء به: أتى به وصاحَبه. والصدق: الحق لاشك فيه، وهو القرآن الكريم. وصدق به: آمن به واتبعه. وبمعنى الذين أي: هو للجنس يراد به الكثرة. ولذلك تعدد العائد عليه، ثم عُبِّرَ عنه بالجمع نظرًا إلى معناه. وأولئك أي: الجائي والمصدقون. والمتقي: المتجنب للشيء يحفظ نفسه منه. وما يشاؤون: ما يريدونه من المنافع ودفع المضار، في الآخرة. وعند ربهم: من فضله يوم القيامة، وفي المنزلة العالية المقربة بالجنة. والجزاء: المكافأة. والمحسن: من يكتسب أفضل الأعمال مخلصًا التوحيد. ويكفّر: يعفو ويصفح. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. ويجزي: يكافئ. والأجر: الثواب. وإنما فسَّر الأسوأ والأحسن بالسيئ والحسن، ليعم العفوُ جميعَ السيئات، والثوابُ جميعَ الحسنات. فاللفظ صيغته التفضيل ومعناه الوصف المجرد، للمبالغة في ذلك. وفي لباب النقول أن المشركين قالوا: «لتكفَّنَّ عن شتم آلهتنا، أو لنأمرنّها فلتخبِلنّك»، فنزلت الآيات ٣٦-٤٠. والكافي: من يغني عن الاستعانة بغيره. والعبد: المملوك خلقًا وتعبدًا. انظر الآية ٣٢ لمعنى «بلى» في الموضعين. ويخوف: يهدد. ودونه: غيره. وتخبله: تفسد عقلهُ أو بدنه. وفي الأصل: «وتُخبّله». ويضله: يوجه قدراته بحسب اختياره للضلال والحيرة وبما يناسب استعداده الخبيث. والهادي: المرشد إلى الحق والموفق فيه. وذلك لمن كان فيه استعداد للخير والصلاح. والانتقام: معاقبة العاصي والمعتدي.

(٢) لام قسم: صوابه: لام موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: واللهِ - لئن سألتهم يقولوا - ليقولُنَّ. فقد حذف أيضا جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. وفي هذا احتباك بين التركيبين، وإيجاز وتوكيد بتكرار الجملة مقدرة ومذكورة. وسألتهم: استخبرتهم للاعتراف بما يعلمون. وخلق: أوجد. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وإنما كان المذكور جوابهم، لوضوح البرهان على تفرد الله بالخلق. وأرأيتم أي: أخبروني. يعني: تفكروا وتدبروا لتخبروني. ومن دونه: غيره. وأرادني به: قدّره لي. والضر: الشدة والبلاء. وكاشفات: مزيلات. وعُبِّرَ عن المعبودات بضمير الإناث تحقيرًا لها. والرحمة: العطف بالنعمة. وممسكات: مانعات. وفي هذا رد وتكذيب لِما خوّفوا به في الآية ٣٦. وروي أن النبي ﷺ لما سألهم ذلك قالوا: «لاتدفع شيئًا قدّره الله، ولكنها تشفع»، فنزلت بقية الآية. تفسير القرطبي ١٥: ٢٥٩. وبالإضافة يريد القراءة «كاشِفاتُ ضُرِّهِ» و«مُمسِكاتُ رَحْمتِهِ»، بإضافة اسم الفاعل إلى مفعوله في المعنى. وحسبي: كافيّ في جميع الأمور، بجلب النفع وكشف الضر، يغنيني عن غيره. و«يثق الواثقون»: في تفسير البغوي ٤: ٨٠: «يثق به الواثقون»، أي: به وحده لا بغيره.

(٣) قل أي: للمشركين والكافرين. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وتكراره قبل وبعدُ يفيد المبالغة في التوكيد. والقوم: الجماعة من الناس. وياقوم أي: ياقومي. حذفت ياء المتكلم للتخفيف. واعملوا: اكتسبوا باختيار وقصد ما شئتم من نية أو قول أو فعل. والأمر فيه معنى التهديد. وعلى مكانتكم أي: ملابسيها ومصاحبين لها. يعني: على غرار حالتكم وما فيكم من استعداد واختيار. وسوف: لتوكيد وقوع الفعل في المستقبل، وإن تأخر. وتعلمون: تعرفون عِيانًا باليقين. وموصولة مفعول العلم أي: اسم موصول في محل نصب مفعول به لـ «تعلم». ويأتية: ينزل به في الدنيا. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. ويخزي: يهين ويذل في الدنيا. وببدر أي: في غزوة بدر، حين هزموا وقتل من قتل منهم، وأسر من أسر.

الجزء الرابع والعشرون — سورة الزمر

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى
لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

١- ﴿**إنّا أنزَلْنا عليكَ الكِتابَ لِلنّاسِ بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أنزل». ﴿**فمَنِ اهتَدَى فلِنَفسِهِ**﴾ اهتداؤه، ﴿**ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها، وما أنتَ عليهِم بوَكيلٍ**﴾ ٤١، فتُجبرَهم على الهُدى. ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأنفسَ حِينَ مَوتِها، و**﴾ يتوفّى ﴿**الَّتي لَم تَمُتْ في مَنامِها**﴾ أي: يتوفّاها وقت النوم، ﴿**فيُمسِكُ الَّتي قَضَى عليها المَوتَ، ويُرسِلُ الأُخرى إلى أجَلٍ مُسَمًّى**﴾ أي: وقتِ موتها. والمُرسَلةُ نفْسُ التمييز، تبقى بدونها نفْس الحياة، بخلاف العكس. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآياتٍ**﴾: لدلالاتٍ، ﴿**لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ**﴾ ٤٢، فيعلمون أنّ القادر على ذلك قادر على البعث. وقُريش لم يتفكّروا في ذلك.

٢- ﴿**أمِ**﴾: بل ﴿**اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: الأصنامَ آلهةً ﴿**شُفَعاءَ**﴾ عند الله، بزعمهم. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أ**﴾ يشفعون ﴿**وَلَو كانُوا لا يَملِكُونَ شَيئًا**﴾، من الشفاعة وغيرها، ﴿**ولا يَعقِلُونَ**﴾ ٤٣ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا. ﴿**قُلْ: لِلّٰهِ الشَّفاعةُ جَمِيعًا**﴾ أي: هو مُختصّ بها، فلا يشفع أحد إلّا بإذنه، ﴿**لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٤٤.

٣- ﴿**وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ**﴾ أي: دُونَ آلهتهم ﴿**اشمَأَزَّتْ**﴾: نفرت وانقبضت ﴿**قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ، وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾ أي: الأصنامُ ﴿**إذا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾ ٤٥. ﴿**قُلِ: اللّٰهُمَّ**﴾ بمعنى: يا أللهُ، ﴿**فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: مُبدعَهما، ﴿**عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غابَ وما شُوهد، ﴿**أنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ٤٦ من أمر الدِّين، «اهدِني لِما اختُلفَ فيه منَ الحقّ». ﴿**ولَو أنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما في الأرضِ جَمِيعًا، ومِثلَهُ مَعَهُ، لافتَدَوا بِهِ مِن سُوءِ العَذابِ يَومَ القِيامةِ، وبَدا**﴾: ظهرَ ﴿**لَهُم مِنَ اللهِ ما لَم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ**﴾ ٤٧: يظنّون، ﴿**وبَدا لَهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا، وحاقَ**﴾ نزل ﴿**بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٤٨ أي: العذابُ.

---

(١) أنّا أنزلنا. . بالحق: انظر الآية ٢. والناس: جميع البشر. واهتدى: استرشد واتبع الحق. وضل: تحير وخرج عن الحق. والوكيل: الموكول إليه الأمر، يُسأل عنه ويحاسَب عليه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ. يعني: لست مأمورًا بحملهم على الإيمان، لأن القبول والرفض مفوضان إليهم، والله مالك الإرشاد والتوفيق، كما يملك التصرف في الأرواح، ولكل شيء قدره بما يناسبه من الحكمة. ويتوفاها: يقبضها عن الأبدان، فيموت صاحبها. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح. يعني أن للإنسان نفسين: إحداهما يحيا بها الإنسان وبفقدها يموت، والثانية يتصرف بها في اليقظة وبفقدها ينام أو يغمى عليه. فتوفيها يعني النوم أو الإغماء. والأولى بالنسبة إلى الثانية كالشمس وشعاعها. وهذا من قول ابن عباس. وانظر الآية ٦٠ من سورة الأنعام. والموت: مفارقة روحه للجسد. ويمسكها أي: لايردها إلى جسدها. وقضى: حكم. وعليها أي: على صاحبها. ويرسلها: يردها إلى الجسد. والأُخرى: المغايرة، أي: روح من لم يقض عليه بالموت بعد. والمسمى: المعين بعلم الله. والتمييز: الإدراك والوعي في اليقظة. وسقط «التمييز» من خ. وتبقى بدونها نفْس الحياة أي: تبقى الروح في جسم الإنسان مع فقد نفْس التمييز بالنوم. وبخلاف العكس: يعني أن نفْس التمييز لاتبقى إذا ذهبت الروح. والمذكور أي: التوفي والإمساك والإرسال. وفيما عدا النسخ: «دلالات». ويتفكر: يتدبر الأدلة لمعرفة الحق من الباطل. وقريش أي: وغيرها من المشركين والملحدين.

(٢) اتخذ: جعل. ومن دونه: غيره. والشفعاء: جمع شفيع. وهو من ينصر غيره لدفع ضر وجلب منفعة. ولو: حرف زائد لازم معناه التعميم وانتهاء الغاية في الدناءة، أي: على كل حال حتى حال عجزهم عن الملك والعقل. ويملكه: يحوزه ويتصرف فيه. ويعقل: يفكر ويدرك. وجميعًا أي: مجموعة كاملة. والملك: الحيازة والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض. والمراد أيضًا: ما في السماوات والأرض من الخلق. وثم: عاطفة للترتيب مع التراخي في الرتبة، إذ الرجوع بالبعث أشد على الكافرين من العبودية. وإليه: إلى لقاء ما وعدكم من البعث والحشر. وترجعون: تردون للحساب والجزاء.

(٣) ذُكِرَ اللهُ أي: ورد اسمه. والقلوب: جمع قلب. ولايؤمن: ينكر ويجحد. والآخرة: الحياة بعد الموت بالبعث للحساب. ومن دونه: غيره. و«إذا» الثالثة: رابطة لجواب الشرط، حرفية جوابية للمفاجأة والحال، أي: فاجأ استبشارُهم ذكرَ الأصنام، لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله. ويستبشر: يمتلئ قلبه سرورًا. والعالم: المحيط بالغَ الإحاطة. وغاب أي: عن إدراك الخلق وحواسهم. وتحكم: تفصل وتقضي في الدنيا والآخرة. والعباد: جمع عبد. ويختلفون: يتنازعون ويتخاصمون. و«اهدني. . . الحق» هذا من حديث هو ذو الرقم ٧٧٠ في صحيح مسلم. وفي لباب النقول أن الآية ٤٥ نزلت بعد قراءة الرسول ﷺ سورة «النجم» عند الكعبة، وفرح المشركين بذكر آلهتهم فيها. وانظر الحديث ١٠٢١ في البخاري. وفيما عدا الأصل والنسخ: «لما اختلفوا فيه من الحق». وفي الآيتين ٤٧ و٤٨ وعيد بالغ، وتسلية للنبي ﷺ وأصحابه، بما هو نتيجة الدعاء في الآية ٤٦. وظلم: تجاوز الحق. والكفرُ أشنع الظلم. والمثل: ماهو بمقدار الشيء، أي: مماثل له في ذلك. وافتدوا به: طلبوا بدفعه إنقاذ أنفسهم. والسوء: الشديد القبح يحزن الإنسان. والعذاب: التعذيب. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ومن الله أي: من حسابه وعقوباته. والسيئة: العمل القبيح من الذنوب والمعاصي. والمراد جزاؤه وعقابه. وكسبوا: عملوه باختيار وعزم من نية أو قول أوفعل. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ويستهزئ: يسخر. والعذاب: تفسير لـ «ماكانوا به يستهزئون».

الجزء الرابع والعشرون — سورة الزمر

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

١- ﴿فإذا مَسَّ الإنسانَ﴾: الجنسَ ﴿ضُرٌّ دَعانا، ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ﴾: أعطَيناه ﴿نِعْمةً﴾: إنعامًا ﴿مِنّا قالَ: إنَّما أُوتِيتُهُ على عِلم﴾ من الله بأني له أهل. ﴿بَل هِيَ﴾ أي: القَولةُ ﴿فِتْنةٌ﴾: بليّة يُبتلى بها العبد، ﴿ولٰكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ٤٩ أنّ التخويل استدراج وامتحان. ﴿قَد قالَها الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، كقارونَ وقومه الراضين بها، ﴿فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ ٥٠، فأصابَهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها. ﴿والَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هٰؤُلاءِ﴾ أي: قُريشٍ ﴿سَيُصِيبُهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا، وما هُم بِمُعجِزِينَ﴾ ٥١: بفائتين عذابَنا. فقُحطوا سبعَ سنينَ ثمّ وُسّع عليهم. ﴿أوَلَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاء؟ ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوم يُؤمِنُونَ﴾ ٥٢ به.

٢- ﴿قُلْ: يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسرَفُوا علَى أنفُسِهِم، لا تَقنِطُوا﴾، بكسرِ النون وفتحِها، وقُرئ بضمّها: تيأسوا ﴿مِن رَحْمةِ اللهِ - إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشِّرك، ﴿إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ - وأنِيبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَى رَبِّكُم، وأسلِمُوا﴾: أخلصوا العمل ﴿لَهُ، مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ - ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ ٥٤ بمنعه، إن لم تتوبوا - ﴿واتَّبِعُوا أحسَنَ ما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾ هو القُرآن، ﴿مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ بَغْتةً، وأنتُم لا تَشعُرُونَ﴾ ٥٥ قبل إتيانه بوقته.

٣- بادروا قبل ﴿أن تَقُولَ نَفسٌ: يا حَسرَتا﴾ - أصله «يا حسرتي» - أي: ندامتي ﴿علَى ما فَرَّطتُ في جَنبِ اللهِ﴾ أي: طاعته، ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة، أي: وإنّي

---

(١) مسه: أصابه. عُبِّرَ بالمس عن ذلك للدلالة على أنه يسير بالنسبة إلى ما سيكون يوم القيامة. والجنس: يعني أن «أل» في الإنسان هنا جنسية للاستغراق، أي: هو إطلاق على الجنس بما يفعله غالب أفراده. والظاهر أن أل: عهدية ذكرية، لأن المراد بالإنسان هنا المشركون المذكورون في الآيات ٤٣-٤٥، والفاء تفيد الاستئناف وترتيب ما بعدها، من تناقضهم واضطرابهم، على ما مر في الآيات من قبح اعتقادهم وسلوكهم. وانظر تفسير الآيات ٥٠-٥٢. وعليه فالآيات ٤٦-٤٨ اعتراضية. والضر: ما يؤذي. ودعانا: نادانا مستغيثًا لكشف الضر. وأوتيت: أعطيت. والعلم: الإحاطة التامة. وبل: حرف استئناف معناه الإضراب لإبطال زعم الكافر أنه أهل للنعم. و«القولة» من التلخيص أي: مقالة الإنسان عن النعمة. والظاهر أن الضمير «هي» عائد على النعمة. فهي الامتحان. وأكثرهم: الغالبية العظمى منهم. وهذا يعني أن بعضهم يعرف ولكنه يكابر تعنتًا. ويعلم: يدرك ويعي الحق من الباطل. وامتحان أي: ليظهر الصالح من الفاسد. وقالها أي: قال مثلها. وقارون: طاغية كان في عهد موسى. انظر الآيات ٧٦-٧٩ من سورة القصص. والراضين بها أي: أن قوم قارون رضوا بمقالته، فكأنهم قالوها أيضًا. وأغنى: منع. وأصابه: نزل به. وانظر الآية ٤٨. وظلم: تجاوز الحد لأنه كفر. وقحطوا: أصابهم القحط انتقامًا. والهمزة حرف استفهام لطلب التصديق معناه الإنكار التوبيخي، لتقريعهم على الجهل والانغماس في الضلال. والرزق: مايسر للمخلوق من الحاجات. ويشاء: يريد أن يوسع عليه. وذلك: ما ذكر من التوسعة والتضييق. وانظر آخر الآية ٤٢. والآيات: الدلائل المبينة الواضحة. والقوم: الجماعة من الناس. وبه أي: بالله.

(٢) هذه الآية مدنية، نزلت في بعض المشركين، ومنهم وحشيٌّ قاتل حمزة، ومَن فُتن من المسلمين في مكة حين قصدوا الهجرة فارتدوا، تبشر بقبول التوبة والصلاح. الحديثان ٤٥٣٢ في البخاري و١٢٢ في مسلم. والراجح أن الآيات ٥٣-٧٠ كلها نزلت لهذه الأسباب. انظر المستدرك ٢: ٤٣٥ ومجمع الزوائد ٦: ٦١ وتفاسير الطبري ٢٤: ١٠-١١ والبغوي ٤: ٨٣-٨٤ والخازن ٦: ٦٦-٦٧ والقرطبي ١٥: ٢٦٨ والواحدي ص ٣٨٩-٣٩١ والدر المنثور ٥: ٣٣١. وقل أي: يامحمد لهم: ربكم المحسن إليكم يقول. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وفي هذه الإضافة تشريف. وأسرفوا: أفرطوا في الجناية. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. وبفتحها يريد القراءة «لاتَقنَطُوا». وبضمها يريد القراءة «لاتَقنُطُوا». والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. وفي إضافتها التفات من التكلم إلى الغَيبة. ويغفرها: يسترها ولايؤاخذ عليها. والذنوب: جمع ذنب. وهو العمل القبيح عليه عقاب. ومن الشرك أي: ومن المعاصي. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة لعباده المؤمنين. ويأتيكم: يصيبكم. والعذاب: التعذيب في الدنيا أو الآخرة. وتنصرون: يُدفع عنكم العذاب. واتبعوه: استجيبوا له واعملوا به. وأنزل: أوحي. ومن ربكم: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والقرآن: تفسير لـ «الأحسن»، أي: أحِلّوا حلاله وحرّموا حرامه. وكله حسن، ليس بعضه أحسن من بعض. والبغتة: المفاجأة أي: مفاجئًا. وتشعر: تقدّر. وبوقته: بوقت مجيئه. أي: أنتم غافلون عن إتيانه، فهو أشد في الضرر. (٣) بادروا: أسرعوا بالتوبة والعمل الصالح. وهو تقدير من ابن كثير ٤: ٦٢ تفسيرًا للآية ٥٤، نقله المحلي على غير تحقيق. والظاهر أنه لاحاجة إلى هذا التقدير، لأن المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله، أي: كراهةَ أن تقول. انظر: «المفصل». وفيما عدا الأصل والنسخ: «فبادروا». وتقول أي: تجاهر بالقول يوم القيامة. ونفس أي: إنسان. يعني بعض البشر وهم الكافرون. وفرطت: ضيعت. وجنبه أي: ما يجب له من الحق. والساخر: المستهزئ. وهداني: أرشدني ووفقني. وبالطاعة أي: للأمر والنهي. وفي ث وع وإحدى النسخ: «بألطافه». وكنت: صرت. والمتقي: المتجنب بلزوم الإيمان والصلاح. وترى: تبصر عِيانًا. ومن قبل الله أي: من جهته، تقول الملائكة ذلك لتوبيخ الكافر وإنكار ما ادعاه. وبلى: حرف جواب لرد النفي. فالشرط الامتناعي في الآية ٥٧ يفيد نفي الهداية، كأن الكافر قال: ما هداني الله. فكان الجواب: بلى قد هديتك بمجيء الآيات ، أي: قد أرشدتك بذلك فأبيتَ. وجاءتك: وصلت إليك وبُلّغتها. و«أي القرآن وهي» تلفيق بين عبارتي تفسير البغوي ٤: ٨٦ والتلخيص. وفي الأخير: «آيات القرآن وهي». فلعل المراد: آيُ القرآنِ. وكذبت بها: أنكرتها وجحدتها. والكافر: المكذب لله ورسوله.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿**كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ ٥٦ بدِينه وكِتابه. ﴿**أو تَقُولَ: لَو أنَّ اللهَ هَداني**﴾، بالطاعة فاهتدَيت، ﴿**لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ**﴾ ٥٧ عذابَه. ﴿**أو تَقُولَ، حِينَ تَرَى العَذابَ: لَو أنَّ لِي كَرَّةً**﴾: رجعة إلى الدنيا، ﴿**فأكُونَ مِنَ المُحسِنِينَ**﴾ ٥٨ المؤمنين. فيقالَ له من قِبَل الله: ﴿**بَلَى قَد جاءَتْكَ آياتِي**﴾ أي: القُرآنُ، وهي سبب الهِداية، ﴿**فكَذَّبتَ بِها واستَكبَرتَ**﴾: تكبّرت عن الإيمان بها، ﴿**وكُنتَ مِنَ الكافِرِينَ**﴾ ٥٩.

١- ﴿**ويَومَ القِيامةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ**﴾، بنِسبة الشريك والولد إليه، ﴿**وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ - ألَيسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى**﴾: مأوًى ﴿**لِلمُتَكَبِّرِينَ**﴾ ٦٠ عن الإيمان؟ بلى - ﴿**ويُنَجِّي اللهُ**﴾ من جهنّم ﴿**الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الشِّركَ، ﴿**بِمَفازَتِهِم**﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنّة، بأن يُجعلوا فيه، ﴿**لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُم يَحزَنُونَ ٦١ - اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ**﴾ ٦٢: متصرّف فيه كيف يشاء، ﴿**لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: مفاتيحُ خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما - ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ**﴾: القُرآنِ ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ ٦٣. متّصل بقوله: «وينجّي الله الذين اتقوا» إلى آخره، وما بينهما اعتراض.

٢- ﴿**قُلْ: أفغَيرَ اللهِ تأمُرُونِّيَ أعبُدُ، أيُّها الجاهِلُونَ**﴾ ٦٤؟ غيرَ: منصوب بـ «أعبدُ» المعمولِ لـ «تأمروني»، بنون واحدة، وبنونين بإدغام وفكّ. ﴿**ولَقَد أُوحِيَ إلَيكَ، وإلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ**﴾: واللهِ ﴿**لَئِنْ أشرَكتَ**﴾ - يا مُحمّد - فَرْضًا ﴿**لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ، ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ ٦٥. ﴿**بَلِ اللهَ**﴾ وحدَه ﴿**فاعبُدْ، وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ**﴾ ٦٦ إنعامَه عليك. ﴿**وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾: ما عرَفوه حقّ معرفته، أو ما عظّموه حقّ عظمته، حين أشركوا به غيره، ﴿**والأرضُ جَمِيعًا**﴾: حالٌ أي: السبع ﴿**قَبضَتُهُ**﴾ أي: مقبوضة له، أي: في مُلكه وتصرّفه ﴿**يَومَ القِيامةِ، والسَّماواتُ مَطوِيّاتٌ**﴾: مجموعات ﴿**بِيَمِينِهِ**﴾: بقُدرته. ﴿**سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ٦٧ معه!

---

(١) اليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحشر والحساب والجزاء. وترى: تبصر عِيانًا باليقين. والخطاب لكل قارئ أو سامع. وكذبوا عليه: تقوّلوا واختلقوا الأكاذيب. والوجوه: جمع وجه. ومسودة: شديدة السواد من اللعنة والهول. والمتكبر: المتعالي المتعاظم. وينجي: ينقذ. واتقوه: تجنبوه ولزموا الإيمان والتوحيد. وبمفازتهم أي: بجعلهم في المفازة. ولايمسه: لا يناله. والسوء: القبيح المؤذي. ويحزن: يتألم. والخالق: المنشئ من العدم. والمقاليد: جمع مِقلاد. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. انظر الآية ٣٨. والخاسر: من ضيع ماله ونفسه. أي: ما أعظم خسارتَهم! وفيما عدا الأصل والنسخ: اتقوا الخ.

(٢) روي أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «استلم بعض آلهتنا، ونؤمن بإلٰهك»، فنزلت الايات تسفه آراءهم، وتبين فرط غبائهم، وتحث على التوحيد. الدر المنثور ٥: ٣٣٤. وغير الله أي: المغاير له. وتأمروني: تطلبون مني. ث: «تأمرونّي». وأعبد: أقدس. والجاهل: من لايميز الحق من الباطل. ومنصوب أي: مفعول به مقدم. فالمصدرُ المؤول من «أن» المحذوفة وما بعدها هو المعمول لـ «تأمر»، لا الفعلُ «أعبد». وقول المحلي «المعمول لتأمروني» فيه تسامح. انظر «المفصل». وبنونين بإدغام وفك يريد ثلاث قراءات لا أربعًا: ما أثبتنا، و«تأمُرُونِّيَ»، و«تأمُرُونَنِي». وأوحي: أنزل وفرض. والذين من قبلك أي: الأنبياء. وأشركت: عبدت مع الله بعض مخلوقاته. وقول المحلي «يامحمد» الصواب أن المخاطب، بعد لفظ الجلالة، هو كل واحد من الأنبياء. قال البيضاوي: «وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد». وفرضًا أي: على سبيل افتراض المحال، إذ الأنبياء معصومون من الشرك. ويحبط: يفسد. والعمل: ما يكتسب من نية وقول وفعل. وتكون: تصير. والخاسر: من ضيّع ما كان له وما ينتظره من الخير. واعبده: استمر على تقديسه وطاعته. وكن: دم على ما أنت عليه. والشاكر: من يستحضر النعم في نفسه، ويثني على منعمها بالقلب واللسان والعمل. وفي الحديث ٣٢٣٨ من الترمذي أن يهوديًا تساءل عن تصرف قبضة الله في الكون، فنزلت الآية ٦٧ تحقق ذلك. وفي الحديثين ٤٥٣٣ من البخاري و٢٧٨٦ من مسلم أن الآية قرئت ولم تنزل لذلك. فهي إذًا نازلة قبل. وقدَرَه: عرف عظمته وقام له بما يستحق. والحق: الثابت اللازم. والأرض أي: كل أجزائها البادية والخفية. ولذلك فسرت بالسبع. وذكر هذا العدد لايعني التحديد بل الكثرة والتعظيم، أو ربما أريد به القارات، وهي سبع لا خمس. انظر تفسير القرطبي ١٨: ١٧٦. وجميعًا: انظر الآية ٤٤. وحال أي: من الأرض. ومقبوضة له أي: في قبضته مطواع لإرادته وقضائه. ويمينه أي: يده كما يليق بجلاله، من دون تمثيل أو تكييف أو تعطيل. وتفسير اليمين بالقدرة تأويل للمعنى. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. وإنما خص يوم القيامة، مع أن القبض والجمع ثابتان في الدنيا أيضًا، للرد على المشركين ما زعموه من شفاعة آلهتهم لهم. وذكر الأرض والسماوات يعني الخلق كله أيضًا. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. وسبحانه: تنزيهًا له عما لا يليق بعظمته وجلاله، أي: ما أبعد مَن هذه عظمتُه وقدرته عن إشراكهم! وتعالى: ترفع وتعاظم. ومعه أي: ما يجعلونه مشاركًا له في الألوهية من المخلوقات.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

١ - ﴿**ونُفِخَ في الصُّورِ**﴾ النفخةَ الأُولى، ﴿**فصَعِقَ**﴾: مات ﴿**مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ إلّا مَن شاءَ اللهُ**﴾، من الحُور والوِلدان وغيرهما، ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى، فإذا هُم**﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿**قِيامٌ يَنظُرُونَ**﴾ ٦٨: ينتظرون ما يُفعل بهم، ﴿**وأشرَقَتِ الأرضُ**﴾: أضاءت ﴿**بنُورِ رَبِّها**﴾، حين يتجلّى الله لفصل القضاء، ﴿**ووُضِعَ الكِتابُ**﴾: كِتاب الأعمال للحِساب، ﴿**وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ**﴾ أي: أُمّة مُحمّد يشهدون للرُّسل بالبلاغ، ﴿**وقُضِيَ بَينَهُم بِالحَقِّ**﴾ أي: العدل، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ ٦٩ شيئًا، ﴿**ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ**﴾ أي: جزاءه، ﴿**وهْوَ أعلَمُ**﴾ أي: عالمٌ ﴿**بِما يَفعَلُونَ**﴾ ٧٠، فلا يحتاج إلى شاهد.

٢- ﴿**وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بعُنف ﴿**إلَى جَهنَّم، زُمَرًا**﴾: جماعاتٍ في تفرقة. ﴿**حَتَّى إذا جاؤُوها فُتِحَتْ أبوابُها**﴾: جواب «إذا»، ﴿**وقالَ لَهُم خَزَنَتُها: ألَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَتلُونَ علَيكُم آياتِ رَبِّكُم**﴾: القُرآنَ وغيره، ﴿**ويُنذِرُونكُم لِقاءَ يَومِكُم هٰذا؟ قالُوا: بَلَى، ولٰكِن حَقَّتْ كَلِمةُ العَذابِ**﴾، أي: «لأملأنَّ جهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿**علَى الكافِرِينَ**﴾ ٧١. ﴿**قِيلَ: ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ**﴾: مُقدِّرينَ الخُلودَ ﴿**فِيها. فبِئسَ مَثْوَى**﴾: مأوى ﴿**المُتَكَبِّرِينَ**﴾ ٧٢ جهنّمُ!

٣- ﴿**وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم**﴾ بلُطف ﴿**إلَى الجَنّةِ زُمَرًا. حَتَّى إذا جاؤُوها وفُتِحت أبوابُها**﴾ - الواو فيه للحال بتقدير «قد» - ﴿**وقالَ لَهُم خَزَنَتُها: سَلامٌ علَيكُم. طِبتُم**﴾ حالًا. ﴿**فادخُلُوها خالِدِينَ**﴾ ٧٣ مقدِّرين الخُلودَ فيها. وجواب «إذا» مقدّرٌ أي: دخلوها - وسَوقُهم وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم تكرمةٌ لهم، وسوقُ الكُفّار وفتحُ أبواب جهنّم عِند مجيئهم، ليبقى حرّها إليه، إهانةٌ لهم - ﴿**وقالُوا**﴾: عطف على «دخلوها» المُقدّرِ: ﴿**الحَمدُ لِلهِ الَّذي صَدَقَنا وَعدَهُ**﴾ بالجنّة، ﴿**وأورَثَنا الأرضَ**﴾ أي: أرض الجنّة، ﴿**نَتَبَوّأُ**﴾: ننزل ﴿**مِنَ الجَنّةِ حَيثُ نَشاءُ**﴾. لأنها كُلّها لا يُختار فيها مكان على مكان. ﴿**فنِعمَ أجرُ العامِلِينَ**﴾ ٧٤ الجنّةُ!

---

(١) نفخ فيه: دفع الهواء بقوة للتصويت. والصور: مايصوَّت به فيزلزل الكائنات ويبيد الحياة، مخلوق عظيم لا يُعرف قدره. ومَن أي: الأحياء من الخلق. وشاء: أراد له ألّا يموت. وغيرهما أي: بعض الملائكة المقربين، يموتون جميعًا بين النفختين. وأُخرى: نفخةً ثانيةً. والقيام: جمع قائم، لما فيه من الحياة والفزع. وينتظرون أي: وعيونهم شاخصة من الهول. والأرض هنا هي غير أرضنا هذه، يخلقها الله يوم القيامة. والنور: ما يبدد الظلمات ويمحق الباطل. وإضافته إلى الرب للتعظيم والتفخيم. فهو خالقه ومالكه. ويتجلى: يظهر للخلق فيراه بعضهم عِيانًا. والقضاء: الحكم بالعدل. ووُضع: أُحضر ليَرى كلٌّ في يده سجل أعماله. وجيء بهم: أحضروا ليشهدوا على الأمم بما فعلت. والنبي: من بلّغ بالدعوة إلى التوحيد والشريعة. والشهداء: جمع شهيد. وهو الذي يُقرّ بما يعلم. وأمة محمد يشهدون: يعني أنهم يذكرون ما بلّغهم القرآن، من عمل الرسل والأمم المكذبة. وكذلك شأن الملائكة الحفظة والمؤمنين الصالحين من الأمم المتقدمة، يشهدون بما عرفوا من أحوال الكافرين. وقضي: حكم. ويظلم: يجار عليه بنقص حسناته أو زيادة سيئاته. ووفيت: أعطيت حقها كاملًا. والنفس: المخلوق المكلف. وعملت: اكتسبت وتحملت. وقوله «عالم» فيه نظر، والظاهر أن التفضيل وارد هنا، أي: أكثر إحاطة وحفظًا من الشهود والكتاب وأصحاب الأعمال. ولا يحتاج أي: وإنما تَشهد الكتب والشهود تذكيرًا للمنكرين وإلزامًا بالحجة.

(٢) سيق: دفع. والزمر: جمع زُمْرة. وجاؤوها: وصلوا إليها. وفتحت: أزيل إغلاقها. والأبواب: جمع باب، وهي الطرق المؤدية إلى النار. وجواب إذا: يعني أن جملة «فتحت أبوابها»: جواب الشرط غير الجازم ، خلافًا لما سيذكر في الآية ٧٣. وقال لهم: خاطبهم. والخزنة: جمع خازن، زبانية العذاب. ويأتكم رسل: يجيئوا إليكم ويبلغوكم. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بالتبليغ للعقيدة والشريعة مع العمل. ومنكم أي: بشر من جنسكم. ويتلو: يقرأ ويبين. وينذر: يهدد. ولقاؤه: مقابلته وحضوره. واليوم: الزمن. وحقت: وجبت. والكلمة: العبارة. والآية ذكرنا المراد بها في التعليق على تفسير الآية ١٩. وقيل أي: قالت الزبانية لهم. وادخلوها: مروا من الأبواب. والخالد: المقيم أبدًا. ومقدرين: يعني أن «خالدين»: حال مقدرة عن الفاعل في «ادخلوا»، منصوبة بالياء لأنها جمعُ مذكرٍ سالمٌ. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والسوء والشقاء. والمتكبر: من يترفع عما يجب عليه. و«جهنم» يعني أن هذا هو المخصوص بالذم.

(٣) انظر الآيتين ٧١ و٧٢. وسيق: دعي للسير والتوجه. واتقوه: تجنبوا غضبه ولزموا الطاعة. والجنة: البستان العظيم. والواو أي: التي قبل «فتحت». والخزنة: ملائكة الرحمة. وسلام أي: السلامة من كل مكروه. وطبتم حالًا: طابت حالُكم وحسنتْ في الاعتقاد والعمل. وفي المنحة: «طبتم حالًا ومآلًا». وفيما عداها وعدا الأصل والنسخ: «طبتم حال». وفي الأصل: «تكرمةً» و«إهانةً». وهو يناسب عبارة التلخيص التي اختصرها المحلي هنا. وفي قرة العينين: «تكرمةً». وإليه: إلى وقت الفتح. وفيما عدا الأصل وث: «إليهم». والحمد: الثناء بالجميل على المنعم. وصدقنا: أخبرنا بما هو صدق وحققه فعلًا. والوعد: التعهد بخير. وأورثنا: ملّكنا للتصرف والاستمتاع. ونشاء: نريد أن نتبوأ. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم والسعادة. والأجر: الثواب والمكافأة. والعامل أي: القائم بالطاعة والإخلاص.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ — ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

١- ﴿وترَى الملائكةَ حافِّينَ﴾: حالٌ ﴿مِن حَولِ العَرشِ﴾ من كُلّ جانب منه، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: حالٌ من ضمير «حافّين»، ﴿بِحمدِ رَبِّهِم﴾: ملابسين للحمد، أي: يقولون: سُبحان الله وبحمده، ﴿وقُضِيَ بَينَهُم﴾: بين جميع الخلائق ﴿بالحَقِّ﴾ أي: العدل، فيُدخِلُ المؤمنين الجنّة، والكافرين النار، ﴿وقيلَ: الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ٧٥. خُتِمَ استقرارُ الفريقين بالحمد من الملائكة.

نصف الحزب ٤٧

سورة غافر

٢- مكية إلّا «الذين يجادلون» الآيتين، خمس وثمانون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿حمٓ﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿تَنزيلُ الكِتابِ﴾: القُرآن مبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه، ﴿العَزيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَليمِ﴾ ٢ بخلقه، ﴿غافِرِ الذَّنبِ﴾ للمؤمنين ﴿وقابِلِ التَّوبِ﴾ لهم: مصدرٌ، ﴿شَديدِ العِقابِ﴾ للكافرين أي: مُشدِّده، ﴿ذِي الطَّولِ﴾ أي: الإنعام الواسع – وهو موصوف على الدوام بكُلّ من هذه الصفات. فإضافة المُشتقّ منها للتعريف كالأخيرة – ﴿لا إلَهَ إلّا هُوَ إلَيهِ المَصيرُ﴾ ٣: المَرجع.

٤- ﴿ما يُجادِلُ في آياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿إلّا الَّذينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة. ﴿فلا يَغرُرْكَ تَقَلُّبُهُم في البِلادِ﴾ ٤ للمعاش سالمين. فإنّ عاقبتهم النار. ﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ، والأحزابُ﴾ كعادٍ وثمودَ وغيرهما ﴿مِن بَعدِهِم، وهَمَّت كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِم ليأخُذُوهُ﴾: يقتلوه، ﴿وجادَلُوا بِالباطِلِ لِيُدحِضُوا﴾: يُزيلوا ﴿بِهِ الحَقَّ، فأخَذتُهُم﴾ بالعِقاب، ﴿فكَيفَ كانَ عِقابِ﴾ ٥ لهم؟ أي: هو واقع موقعَه. ﴿وكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ﴾، أي: «لَأَملأَنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿على الَّذِينَ كَفَرُوا، أنَّهُم أصحابُ النّارِ﴾ ٦: بدل من «كلمة».

٥- ﴿الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ﴾: مبتدأٌ ﴿ومَن حَولَهُ﴾: عطفٌ عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خبرُه ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾: مُلابسين للحمد، أي يقولون: سُبحانَ الله

(١) ترى: تبصر عِيانًا يامحمد. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. وحافين: محدقين ومحيطين بصفوف منتظمة، جمع حافّ. وحال أي: من الملائكة. والعرش: أعظم مخلوقات الله يحيط بالكون، ولايعلمه البشر على حقيقته إلّا بالاسم. ويسبح: ينزه اللهَ عما لايليق به. وحال أي: من الضمير المستتر في: حافين. والحمد: الثناء بالجميل على المنعم. وملابسين للحمد أي: مصاحبين له في تسبيحهم. وقضي: انظر الآية ٦٩. والخلائق: الإنس والجن. وفي ع وقرة العينين: «فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار». وفيما عداهما وعدا الأصل وخ: «فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار». والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. ومن الملائكة أي: ومن المؤمنين أيضًا، على ما كان من الحق والعدل. انظر الآية ٧٤. **(٢)** قول المحلي «الذين» كذا من التلخيص. وهو خطأ صوابه: «إنّ الذين» ، إذ المراد هو الآيتان ٥٦ و٥٧، لا الآيتان ٣٥ و٣٦. الفتوحات ٤: ٢ والإتقان ١: ٣١. **(٣)** التنزيل: الوحي على لسان جبريل. ومبتدأ: يعني «تنزيل». ومن الله: من عنده وبأمره. وخبره: يعني أن الجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف. والعزيز: الغلاب لما عداه لايعجزه شيء. والعليم: المبالغ في الاحاطة بكل شيء. والغافر: الساتر والماحي. والذنب: ما يخالف الشرع من العمل ويقتضي العقوبة. والقابل: المتقبل بالرضا. والتوب: التوبة، مصدر للفعل: تابَ، أي: اعترف بذنبه وندم على فعله وتعهد بتركه وطلب المغفرة. والعقاب: جزاء العصيان. وذي الطول: صاحبه المتفرد به. وهو أي: الله. والإلٰه: المعبود بحق. والمرجع أي: بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء. **(٤)** قيل: إن الآيات نزلت في الحارث بن قيس، كان أحد المستهزئين والمكابرين، ويعرف بصاحب الأوثان من الحجارة، لأنه إذا مر بحجر أحسن من الذي عنده أخذه يعبده، وألقى الذي عنده. الدر المنثور ٤: ٣٤٦. وهي تعم أيضًا كفار مكة وغيرها. ويجادل: يخاصم بالمقدمات الباطلة للتكذيب. وكفر: كذّب الله ورسوله. ولا يغررك: لايخدعك ويصرفك عن حقيقة الأمر. والتقلب: التصرف بالتجارة والأموال. والبلاد: جمع بلد. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة تتحزب على رأي أو زعيم. وبعدهم: بعد قوم نوح. وهمت به: قصدت إيذاءه. والأمة: الجيل من الناس على دين واحد. والرسول: من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويأخذه: يأسره ويتمكن منه. وجادلوا: خاصموا الرسول. والباطل: ما لا ثبات له. والحق: الأمر الثابت، وهو التوحيد والبعث. وأخذتهم: انتقمت منهم. وبالعقاب: بالجزاء. وحقت: وجبت. وكلمته: تهديده بوجوب التعذيب. والآية: نحو ذات الرقم ١١٩ من سورة هود. والأصحاب: جمع صاحب. **(٥)** العرش: أعظم مخلوقات الله. والذين يحملونه: المكلفون بحفظه وتدبره يحفّون به. وهم أعلى طبقات الملائكة المقربين. ومبتدأ: يعني أن «الذين»: مبتدأ خبره جملة «يسبحون». ومن حوله: المحدقون به من الملائكة. وعطف عليه أي: أن «مَن»: معطوف على «الذين». والتسبيح إشارة إلى الإجلال، والتحميد إشارة إلى الإكرام. ويستغفر: يطلب ستر الذنوب والعفو عنها. ووسعه: أسبغ عليه ولم يضق به. والرحمة: العطف بالإحسان. والعلم: الإحاطة التامة مع الحفظ. واغفر له: استر ذنبه ولا تؤاخذه به. وتاب: اعترف بذنبه وتعهد بتركه وطلب المغفرة. واتبعه: سار فيه. وقهم: احفظهم وجنبهم. وأدخلهم: يسر لهم الدخول. والجنة: الحديقة العظيمة. ووعدتهم: تعهدت لهم بها. وصلح: كان في نيته وقوله وفعله كما أمر الشرع. وعطف على هم أي: أن «مَن»: معطوف على الهاء من «هم». والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجد. وذكر الآباء هنا يقتضي الأمهات أيضًا. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. وفيه اقتضاء الرجال أيضًا. والذرية: السلالة. والعزيز: الغلاب لايعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وقهم: احفظ=

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

وبحمده، ﴿ويُؤمِنُونَ بِهِ﴾ - تعالى - ببصائرهم أي: يُصدّقون بوحدانيّته، ﴿ويَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، يقولون: ﴿رَبَّنا، وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمةً وعِلمًا﴾ أي: وسعَ رحمتُك كُلَّ شيء وعِلمُك كُلَّ شيء. ﴿فاغفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾ من الشِّرك، ﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الإسلام، ﴿وقِهِم عَذابَ الجَحِيمِ﴾ ٧: النار - ﴿رَبَّنا - وأدخِلْهُم جَنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ ﴿الّتِي وَعدتَهُم، ومَن صَلَحَ﴾: عطفٌ على «هم» في «وأدخلهم» أو في «وعدتهم»، ﴿مِن آبائِهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم - إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ ٨ في صُنعه - ﴿وقِهِم السَّيِّئاتِ﴾ أي: عذابَها. ﴿ومَن تَقِ السَّيِّئاتِ يومَئذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فقَد رَحِمتَهُ، وذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ ٩.

١- ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَونَ﴾ من قِبَل الملائكة، وهم يمقتون أنفسَهم عِند دُخولهم النارَ: ﴿لَمَقتُ اللهِ﴾ إياكم ﴿أكبَرُ مِن مَقتِكُم أنفُسَكُم، إذ تُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلى الإيمانِ فتَكفُرُونَ﴾ ١٠. ﴿قالُوا: رَبَّنا، أمَتَّنا اثنَتَينِ﴾: إماتتين، ﴿وأحيَيتَنا اثنَتَينِ﴾: إحياءتين لأنهم، وكانوا نطفًا، أمواتٌ فأُحيُوا ثمّ أُمِيتوا ثمّ أُحيُوا للبعث، ﴿فاعتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾: بكُفرنا بالبعث. ﴿فهَل إلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا لنُطيع ربّنا، ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ ١١: طريق؟ وجوابهم: لا. ﴿ذٰلِكُم﴾ أي: العذابُ الذي أنتم فيه ﴿بِأنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إذا دُعِيَ اللهُ وَحدَهُ كَفَرتُم﴾ بتوحيده، ﴿وإن يُشرَكْ بِهِ﴾: يُجعل له شريك ﴿تُؤمِنُوا﴾: تُصدّقوا بالإشراك. ﴿فالحُكمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلّهِ العَلِيِّ﴾ على خلقه، ﴿الكَبِيرِ﴾ ١٢: العظيم.

٢- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آياتِهِ﴾: دلائلَ توحيده، ﴿ويُنْزِلُ لَكُم مِنَ السَّماءِ رِزقًا﴾ بالمطر، ﴿وما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿إلّا مَن يُنِيبُ﴾ ١٣: يرجع عن الشِّرك - ﴿فادعُوا اللهَ﴾: اعبدوه، ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، ﴿ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ١٤ إخلاصَكم فيه - ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ أي: اللهُ عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنّة، ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه، ﴿يُلقِي الرُّوحَ﴾: الوحيَ ﴿مِن أمرِهِ﴾ أي: قوله ﴿على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، لِيُنذِرَ﴾: يُخوِّفَ المُلقَى عليه الناسَ ﴿يَومَ التَّلاقِ﴾ ١٥، بحذف الياء وإثباتها: يوم القيامة لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه، ﴿يَومَ هُم بارِزُونَ﴾: خارجون من قُبورهم، ﴿لا يَخفَى على اللهِ مِنهُم شَيءٌ: لِمَنِ المُلكُ اليَومَ﴾؟ يقوله تعالى، ويُجيب نفسَه: ﴿لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ﴾ ١٦ أي: لخلقه. ﴿اليَومَ تُجزَى كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ، لا ظُلمَ اليَومَ. إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ ١٧ يُحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث بذلك.

=الآباء والأزواج والذريات. والسيئة: المعصية من العمل. ويومئذ: يوم إذْ تجازي الناس بأعمالهم. ورحِمتَه: عطفت عليه فأحسنت إليه. وذلك: يعني ماذكر من الغفران ودخول الجنة والوقاية من العذاب. والفوز: النجاة والظفر. والعظيم: الذي لامثيل له. (١) كفر: كذّب الله ورسوله. وينادى: يدعى باسمه للتقريع والمبالغة في التعذيب. والملائكة: جمع ملَك. وهم الزبانية ملائكة العذاب. وهم أي: الذين كفروا. ويمقتونها: يكرهونها أشد الكره. ومقت الله إياهم: كرهه الشديد لهم في الدنيا وإرادة الانتقام منهم. وأكبر: أعظم. والأنفس: جمع نفس. وهي هنا الأمارة بالسوء. وتدعى: تُحض. والإيمان: إقرار القلب بالتوحيد. وتكفرون: تأبون الإيمان، وتختارون الكفر والعصيان. وإحياءتين: إحياءة الأجِنّة وإحياءة البعث. وفيما عدا الأصل والنسخ: «لأنهم نطفًا أموات». خ: «لأنهم كانوا نطفًا أمواتًا». واعترف: أقرّ. والذنوب: جمع ذنب. وهو ما يؤاخذ عليه، من النية والقول والعمل. وبالبعث أي: وبغيره كالتوحيد والشريعة. والخروج: النجاة. و«لا» أي: لاسبيل إلى الرجوع إلى الحياة الدنيا. ودعي وحده أي: أفرد بالألوهية وذكر وحده. وكفرتم: كذّبتم وجحدتم. والشريك: ما يجعل مشاركًا في الألوهية من الخلق، كالأصنام والحيوان والبشر. والحكم: القضاء. والعلي: البالغ في علو الرتبة ما دونه كل مخلوق. والعظيم أي: العظيم الكبرياء. فهو يحكم بالعدل ولا يعوقه عما يريده شيء. (٢) يريكم: يبصّركم عِيانًا في أعاجيب الكون والحياة. وينزل: يطلق ويرسل. وفي ث والفتوحات والصاوي والمطبوعات: «يُنَزِّلُ». والسماء: السحاب. والرزق: ما ييسَّر للخلق من المتاع. وعن الشرك أي: إلى التوحيد والإخلاص. ومخلصين له: جاعلين له وحده. والدين: الطاعة والعبادة. وكره: اغتاظ وأبغض. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وفيه: في الدين. وفي المنحة: «إخلاصكم له». وفيما عداها وعدا الأصل وقرة العينين: «إخلاصكم منه». والدرجة: المنزلة والمقام. والعرش: المخلوق الأعظم الذي يحيط بسائر المخلوقات، ولا يعرف حقيقته إلّا المولى - تعالى - وهو صاحبه يستوي عليه استواء يليق بعظمته وجلاله. وخالقه أي: ومالكه ومدبره. ويلقيه: ينزله ويوحيه. ويشاء: يريد أن يكلفه بالدعوة. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والملقى عليه هو النبي أو الرسول. واليوم: الوقت. وحذف الياء للتخفيف. وبإثباتها يريد القراءة «التَّلاقِي». ويخفى: يغيب. ومنهم: من أعمالهم وأحوالهم وسرائرهم. والملك: الحيازة والتصرف والقهر. واليوم: هذا الوقت. والواحد: المتفرد بالألوهية. والقهار: البالغ التحكم والتسلط. ولخلقه أي: المبالغ في تذليلهم وإخضاعهم لإرادته. وتجزى: تكافأ. وبما كسبت أي: بما يقابل ما تحملته بالقلب واللسان والعمل. والظلم: مجاوزة الحق بنقص الثواب أو زيادة العقاب. والسريع: العاجل جدًا. والتقدير: سريعٌ حسابُه. والحساب: المحاسبة والحكم بالجزاء. و«من أيام الدنيا» كذا، وهو فهم غير صحيح للحديث المذكور. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ
لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ
بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ
قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

١- ﴿وأنذِرْهُم يومَ الآزِفةِ﴾: يوم القيامة - أزِفَ الرحيلُ: قَرُبَ - ﴿إذِ القُلُوبُ﴾ ترتفعُ خوفًا ﴿لَدَى﴾: عِندَ ﴿الحَناجِرِ، كاظِمِينَ﴾: مُمتلئين غمًّا، حالٌ من «القلوب» عُوملت بالجمع بالياء والنون مُعاملة أصحابها، ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ﴾: مُحبّ، ﴿ولا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾ ١٨. لا مفهومَ للوصف إذ لا شفيع لهم أصلًا: «فما لَنا مِن شافِعِينَ»، أوْ له مفهومٌ بناء على زعمهم أنّ لهم شفعاء، أي: لو شفَعوا فرْضًا لم يُقبلوا.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

٢- ﴿يَعلَمُ﴾ أي: اللهُ ﴿خائنةَ الأعيُنِ﴾، بمُسارقتها النظرَ إلى مُحرَّم، ﴿وما تُخفِي الصُّدُورُ﴾ ١٩: القُلوب، ﴿واللهُ يَقضِي بِالحَقِّ، والَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يعبدون أي: كُفّارُ مكّة - بالياء والتاء - ﴿مِن دُونِهِ﴾، وهم الأصنام، ﴿لا يَقضُونَ بِشَيءٍ﴾. فكيف يكونون شُركاء لله؟ ﴿إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿البَصِيرُ﴾ ٢٠ بأفعالهم.

٣- ﴿أوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ كانُوا مِن قَبلِهِم؟ كانُوا هُم أشَدَّ مِنهُم﴾ - وفي قراءة: «مِنكُم» - ﴿قُوّةً، وآثارًا في الأرضِ﴾ من مصانعَ وقُصورٍ، ﴿فأخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم، وما كانَ لَهُم مِنَ اللهِ مِن واقٍ﴾ ٢١ عذابَه. ﴿ذٰلِكَ بِأنَّهُم كانَتْ تأتِيهِم رُسْلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿فكَفَرُوا فأخَذَهُمُ اللهُ. إنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾ ٢٢.

٤- ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا، وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾ ٢٣: بُرهانٍ بيِّنٍ ظاهر، ﴿إلَى فِرعَونَ وهامانَ وقارُونَ، فقالُوا﴾: هو ﴿ساحِرٌ كَذّابٌ﴾ ٢٤. ﴿فلَمّا جاءَهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق

---

(١) أنذرهم: خوّف الكافرين. والآزفة: القريبة الدانية من الخلق، مهما تأخرت، لأن كل آت قريب. والقلوب: قلوبهم، جمع قلب. وأل: نائبة عن ضمير الغائبين في الموضعين. والحناجر: جمع حَنجَرة. وهي مجرى النفَس في الرقبة. خ: «غمّا وحزنًا». وعوملت بالجمع بالياء: يعني أنها جعلت كالعقلاء. والأولى أن «كاظمين»: حال من أصحاب القلوب، أي الضمير الذي نابت عنه «أل»، كما ذكرنا. وللظالمين أي: للكافرين. والشفيع: من يُتوسل به ليدفع الشر أويجلب الخير. ويطاع: تُقبل شفاعته. ولا مفهوم للوصف: يعني أن جملة «يطاع» ليست قيدًا لشفيع، والمراد نفي الشفعاء لهم إطلاقًا، أي: لاشفيع لهم ليطاع. وله مفهوم: يعني أن الجملة قيد افتراضي للموصوف، نظرًا إلى ما يتوهمه المشركون من شفاعة الأصنام لهم.

(٢) يعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. والخائنة: المخالفة للشرع. والأعين: جمع عين. ومحرم أي: ماحرّم الشرع النظر إليه. خ: «المحرم». وتخفي: تستر عن الغير. والصدور: جمع صدر. ويقضي: يحكم بين الجميع في الدنيا والآخرة. والحق: العدل الكامل. وكفار مكة أي: وغيرها أيضًا. وبالتاء يريد القراءة «تَدعُونَ». والخطاب للمشركين. ومن دونه أي: غير الله. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده أو متوهم. والسميع: العالم بالمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث في الكون كله. وهذا خلاف ما عليه المعبودات، وفيه وعيد وتهديد، وتعريض بتلك المعبودات.

(٣) في الآيتين تهديد بأحوال الدنيا، وتمهيد لما سيرد من إهلاك فرعون. ويسيروا: يتنقل المشركون للتجارة وغيرها. والأرض: ماحول مكة من البلاد. وينظر: يرى ويتدبر ليتعظ. والعاقبة: النهاية. وهم أي: الأقوام المهلَكة. وأشد: أكثر وأظهر. ومنهم أي: من المشركين. وفي قراءةِ «منكم» التفات من الغَيبة إلى الخطاب للمواجهة بالقصور والتهديد. والقوة: القدرة على التصرف. خ: «منهم قوة وفي قراءة منكم». والآثار: جمع أثر. وهو ما يخلفه الإنسان من عمل مادي ظاهر. والمصانع: ما يُصنع من القلاع والحصون والسدود. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية تقتضي العقوبة. وما كان أي: ليس. ومن الله أي: من انتقامه. والواقي: المانع الحامي. وعذابَ: مفعول «واقٍ». وذلك أي: الإهلاك. وتأتيهم: تجيئهم وتبلغهم. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وأصل الجمع «رُسُل» فسكنت السين للتخفيف. وكفر: كذّب وأنكر. والقوي: الكامل القدرة على كل شيء. والشديد: العنيف لامثيل له. والعقاب: الانتقام من العصاة. والتقدير: شديدٌ عقابُه.

(٤) موسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وأرسله: بعثه وكلفه الدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والآيات: المعجزات القاهرة كالعصا واليد. وفرعون: ملك مصر حينذاك. وهامان: وزيره ومعينه على الطغيان. وقارون: سيد غني من أقرباء موسى. وساحر أي: يوهم في معجزاته العيون والعقول بما يخالف الواقع. وكذاب: كثير الاختلاق فيما ادعاه من تكليفه الرسالة. وجاءهم: أتاهم وبلغهم. واقتلوهم أي: أعيدوا عليهم القتل الذي تركتموه. والأبناء: جمع ابن. والنساء: جمع نسوة، أي: الإناث. والكيد: المكر وتدبير سوء الصنيع. والكافر: المكذب الجاحد للتوحيد والبعث. وهلاك أي: ضياع وبطلان فلا يغني شيئًا ولا يدفع نقمة الله. وذروني: لا تنصحوني بعدم قتله. ويدعوه: يستعين به. وربه: إلٰهه ومرسله بزعمه. وأخاف: أخشى. ويبدله: يزيله ويضع غيره. وتتبعونه أي: أنتم تصيرون تابعين له. انظر «المفصل» وتفسير الآية ٢٦٨ من سورة البقرة. ويُظهر: يصنع ويشيع. والأرض يعني مصر. والفساد: السوء والشر. وفي قراءة يريد القراءتين «أو أن يُظهِرَ»، «وأن يَظهَرَ. . . الفَسادُ». وسمع ذلك أي: سمع رغبة فرعون في قتله. وعذت: استعنت وتحصنت. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والمتكبر: المتعاظم في نفسه مع حقارته. ولايؤمن به: يكذبه. واليوم: الزمن. ويوم الحساب أي: البعث والنشور والجزاء.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ (٢٦)
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَـٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١)
وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣)

﴿من عِندنا قالُوا: اقتُلُوا أبناءَ الَّذينَ آمَنوا مَعَهُ، واستَحيُوا﴾: استبقُوا **﴿نساءَهُم - وما كَيدُ الكافرينَ إلّا في ضَلالٍ﴾ ٢٥**: هلاك - **﴿وقالَ فِرعَونُ: ذَرُوني، أقتُلْ مُوسَى﴾** لأنهم كانوا يكفّونه عن قتله، **﴿ولْيَدعُ رَبَّهُ﴾** ليمنَعه منّي. **﴿إنّي أخافُ أن يُبَدِّلَ دِينَكُم﴾** من عِبادتكم إيايَ فتتّبعونه، **﴿وأن يُظهِرَ في الأرضِ الفَسادَ﴾ ٢٦** من قتل وغيره. وفي قراءة: «أوْ»، وفي أُخرى بفتح الياء والهاء وضمِّ الدال. **﴿وقالَ مُوسَى﴾** لقومه، وقد سمع ذلك: **﴿إنّي عُذتُ بِرَبّي وربِّكم، مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤمِنُ بِيَومِ الحِسابِ﴾ ٢٧**.

١ - **﴿وقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ، مِن آلِ فِرعَونَ﴾** قيل: هو ابن عمّه، **﴿يَكتُمُ إيمانَهُ: أتَقتُلُونَ رَجُلًا أنْ﴾** أي: لأن **﴿يَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ. وقَد جاءَكُم بالبَيِّناتِ﴾**: بالمُعجزات الظاهرات **﴿مِن رَبِّكُم، وإن يَكُ كاذِبًا فعلَيهِ كَذِبُهُ﴾** أي: ضررُ كذبه، **﴿وإن يَكُ صادِقًا يُصِبْكُم بَعضُ الَّذي يَعِدُكُم﴾** به من العذاب عاجلًا؟ **﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ مُسرِفٌ﴾**: مُشرك، **﴿كَذّابٌ﴾ ٢٨**: مُفترٍ. **﴿يا قَومِ، لَكُمُ المُلكُ اليَومَ ظاهِرِينَ﴾**: غالبين حالٌ، **﴿في الأرضِ﴾** أرض مِصرَ. **﴿فَمَن يَنصُرُنا مِن بأسِ اللهِ﴾**: عذابه، إن قتلتم أولياءه، **﴿إن جاءَنا﴾**؟ أي: لا ناصرَ لنا. **﴿قالَ فِرعَونُ: ما أُرِيكُم إلّا ما أرَى﴾** أي: ما أُشيرُ عليكم إلّا بما أُشير به على نفسي - وهو قتل مُوسى - **﴿وما أهدِيكُم إلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ ٢٩**: طريقَ الصواب.

٢ - **﴿وقالَ الَّذي آمَنَ: يا قَومِ، إنّيَ أخافُ عَلَيكُم مِثلَ يَومِ الأحزابِ﴾ ٣٠** أي: يوم حزب بعد حزب، **﴿مِثلَ دأْبِ قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، والَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾** - مِثلَ: بدل من «مِثلَ» قبله - أي: مِثلَ جزاءِ عادةِ مَن كفر قبلكم، من تعذيبهم في الدنيا، **﴿وما اللهُ يُرِيدُ ظُلمًا لِلعِبادِ ٣١، ويا قَومِ إنّيَ أخافُ عليكُم يَومَ التَّنادِ﴾ ٣٢**، بحذف الياء وإثباتها، أي: يومَ القيامة يكثُر فيه نداءُ أصحابِ الجنّة أصحابَ النار وبالعكس، والنداءُ بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها، وغيرُ ذلك، **﴿يَومَ تُوَلُّونَ مُدبِرِينَ﴾** عن موقف الحِساب إلى النار، **﴿ما لَكُم مِنَ اللهِ﴾** أي: من عذابه **﴿مِن عاصِمٍ﴾**: مانع. **﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ﴾ ٣٣**.

---

(١) قال أي: صرح بالقول جهارًا. والرجل هنا هو غير المذكور في سورة القصص. ومؤمن أي: يصدّق الله وموسى ويتبع أمرهما. والآل: الأهل، أي: الأقرباء. وابن عمه أي: ابن عم فرعون من القبط. ويكتم: يخفي عن الناس. وإيمانه: اعتقاده بالتوحيد وما يلزمه من تصديق موسى ورسالته. وتقتلونه أي: تريدون قتله. والرجل: الإنسان الذكر. ويقول: يصرح بالقول اعتقادًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجاءكم: أتاكم وبصّركم عِيانًا. انظر الآية ٢٥. ومن ربكم: من عند ربكم وبأمره. والكاذب: من يدعي ما هو باطل لا أصل له. والصادق: من يقول الحق الذي لاشك فيه. ويصيبكم: ينزل بكم ويخصكم. وبعضه: جزء منه. ويعدكم: يعدكم إياه، أي: يُوعدكم ويخوّفكم. وتقدير «به» فيه نظر لأن الفعل يتعدى إلى مفعولين مباشرة، ثانيهما محذوف كما قدرنا. ولا يهديه أي: يوجه قدراته إلى ما يناسب اختياره الفاسد واستعداده الخبيث، ويتركه فيما اختار لنفسه، فلا يرشده إلى الحق ولا يوفقه فيه. والمسرف: المستغرق في الشر والفساد بإصرار وانهماك. والإشراك أفظع ذلك. ومفتر أي: يدعي ما هو باطل لا أصل له. وفي هذا تلطفٌ لئلا يقتلوا موسى، وتقريبٌ للنصيحة مع الاستدراج كي يتدبروا الحقيقة، واحتمالُ توجه الإسراف والكذب إلى فرعون بالتعريض أيضًا. ويا قوم أي: ياقومي. حذفت ياء المتكلم للتخفيف. والقوم: جماعة الإنسان يعيش بينهم وهو منهم. والمراد هنا السادة من الأقباط العرب. والملك: السلطان والتصرف والقهر لبني إسرائيل. واليوم: هذا الزمن. وحال: يعني أن ظاهرين: حال من الضمير في «لكم»، منصوبة بالياء لأنها جمعُ مذكرٍ سالمٌ. وينصر: يعين وينقذ. وأولياءه أي: الذين يعتمدون عليه ويولّونه أمورهم. خ: «أولياء الله». وجاءنا: نزل بنا بأس الله. وأريكم: أُعلمكم وأُحمّلكم. وأرى أي: أعرفه وأعتقده. وأهدي: أعرّف وأُعلم.

(٢) الذي آمن: هو المؤمن المذكور في الآية ٢٨. ويا قوم: انظر الآية ٢٩. وأخاف: أخشى وأتوقع. ومثله أي: مايشبهه من الأهوال المستأصلة. ويوم الأحزاب: الوقائع التي أُهلكت فيها الأمم المكذبة. واليوم: الوقيعة، اسم جنس يدل على الكثرة بإضافته إلى الجمع. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة من الناس يتعصبون لمذهب أو زعيم. والدأب: العادة المستمرة. ونوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس، غرق مكذبوه بالطوفان. وعاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. والقومان من العرب العاربة أقدم الأمم التي عُرفت لها آثار باقية. والذين من بعدهم: قوم لوط وغيره من الأنبياء. وما يريد ظلمًا أي: بل يريد العدل وجزاء كل بما يستحق. فهلاكهم كان عدلًا منه. ونفي إرادة الظلم أبلغ من نفي وقوعه. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والتناد: التنادي، أي: أن يكون نداء متبادل، دعاء بالأسماء بين أفراد أوفئات. وحذفت الياء للتخفيف ومراعاة الفواصل. وبإثباتها يريد القراءة «التَّنادِي». وتولون: تنصرفون وتندفعون. والمدبر: الهارب يوجه ظهره لما كان يواجهه قبل. ويضله: يصرف قدراته إلى مايناسب اختياره السيئ واستعداده الخبيث، فلا ييسرله الهداية، ويدعه في طريق الفساد. والهادي: المرشد إلى طريق الحق والخير، يوصل إليه ويوفق فيه. انظر الآية ٣٦ من سورة الزمر.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ
مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ
السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

١- ﴿**ولَقَد جاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ مُوسى - وهو يُوسفُ بنُ يعقوبَ في قولٍ، عُمِّر إلى زمن مُوسى، أو يُوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يُوسفَ بنِ يعقوبَ في قولٍ - ﴿**بالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿**فما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ. حَتَّى إذا هَلَكَ قُلتُم**﴾ من غير برهان: ﴿**لَن يَبعَثَ اللهُ مِن بَعدِهِ رَسُولًا**﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيُوسفَ وغيرِه. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إضلالكم ﴿**يُضِلُّ اللهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ**﴾: مُشرك ﴿**مُرتابٌ**﴾ ٣٤: شاكٌّ فيما شهدتْ به البيّنات. ﴿**الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ**﴾: مُعجزاته مُبتدأٌ، ﴿**بِغَيرِ سُلطانٍ**﴾: بُرهانٍ ﴿**أتاهُم، كَبُرَ**﴾ جِدالُهم، خبرُ المُبتدأ ﴿**مَقتًا عِندَ اللهِ وعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا! كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إضلالهم ﴿**يَطبَعُ**﴾: يختِم ﴿**اللهُ**﴾ بالضلال ﴿**عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ**﴾ ٣٥. بتنوينِ «قلبٍ» ودُونِه. ومتى تكبَّر القلب تكبَّر صاحبه، وبالعكس. «وكُلّ» على القراءتين لعُموم الضلال جميعَ القلب، لا لعُموم القلوب.

٢- ﴿**وقالَ فِرعَونُ: يا هامانُ، ابنِ لِي صَرحًا**﴾ بناءً عاليًا، ﴿**لَعَلِّيَ أبلُغُ الأسبابَ ٣٦، أسبابَ السَّماواتِ**﴾: طُرقَها المُوصلةَ إليها، ﴿**فأطَّلِعُ**﴾ - بالرفع عطفًا على «أبلغُ»، وبالنصب جوابًا لـ «ابنِ» - ﴿**إلَى إلٰهِ مُوسَى. وإنِّي لَأظُنُّهُ**﴾ أي: مُوسى ﴿**كاذِبًا**﴾ في أنّ له إلٰهًا غيري. قال فرعون ذلك تمويهًا. ﴿**وكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرعَونَ سُوءُ عَمَلِهِ، وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: طريق الهُدى - بفتح الصاد وضمِّها - ﴿**وما كَيدُ فِرعَونَ إلّا في تَبابٍ**﴾ ٣٧: خسار.

٣- ﴿**وقالَ الَّذِي آمَنَ: يا قَومِ، اتَّبِعُونِيَ**﴾، بإثباتِ الياء وحذفِها، ﴿**أهدِكُم سَبِيلَ الرَّشادِ**﴾ ٣٨. تقدّمَ. ﴿**يا قَومِ، إنَّما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ**﴾: تَمتُّعٌ يزول، ﴿**وإنَّ الآخِرةَ هِيَ دارُ القَرارِ ٣٩، مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فلا يُجزَى إلّا مِثلَها، ومَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فأُولٰئِكَ يُدخَلُونَ الجَنَّةَ**﴾، بضمّ الياء وفتح الخاء وبالعكس، ﴿**يُرزَقُونَ فِيها بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ ٤٠: رِزقًا واسعًا بلا تَبِعة.

---

(١) جاءكم: أتى أسلافكم نبيًا ليبلغكم أيضًا. وعمّر: مُدّ عمره. وقول المحلي «يوسف» كذا. وما ذكره المفسرون هو أن المعمَّر فرعونُ يوسفَ، لا يوسفُ نفسه. وفي المنحة: «عَمِرَ». وسقط «عُمّر إلى زمن موسى» من خ. وتعليقًا على «إبراهيم» في حاشية الأصل: «لعله إفرائيم». انظر تفسير القرطبي ١٥:٣١٢. وما زلتم: بقيتم واستمررتم. والمراد هو الأسلاف والمخاطبون. والشك: التردد والكفر. وهلك: مات. وقلتم أي: أسلافكم وأنتم بعدهم. ويبعث: يرسل. والرسول: من يكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويضله: يوجه قدراته بحسب اختياره الفاسد واستعداده الخبيث، فيقضي عليه بدوام مخالفة الحق. وفي الأصل: «شاك فيما شهد به من البينات». ويجادلون: يخاصمون ويمارون مكابرة. ومعجزاته أي: وما في القرآن من عقيدة وشريعة وأخبار وعلوم ومعارف. ومبتدأ: يعني أن «الذين»: مبتدأ خبره جملة «كبر». وبغير: بدون. وأتاهم: وصل إليهم بوحي أو علم يقيني. وكبر: بلغ الغاية في الكبر والضخامة. والمقت: الكره الشديد من الله ومن المؤمنين. وعند الله: في حكمه وقضائه. وآمن: صدّق الله ورسوله. والقلب: موطن التدبر والإدراك والعواطف. والمتكبر: من يتعاظم بما ليس فيه. والجبار: المتعالي عن قبول الحق. وبدونه يريد القراءة «قَلبِ مُتَكَبِّرٍ» بالإضافة. ولا لعموم القلوب أي: لا لعموم الضلال جميعَ القلوب. يعني أن قلب المتكبر لم يبق فيه محل يقبل الهداية. وهذا هو مآلُ معنى الآية في قراءة التنوين، وليس مدلولَ تركيبها الذي يعني جميع قلوب المتكبرين. ولذا كان المراد هو المعنيين معًا. فالأول عموم القلوب بدليل التركيب، والثاني عموم أجزاء كل قلب بدليل أن الطبعَ إذا أصاب الشيء ناله كلَّه لابعضه. انظر «المفصل» والبحر ٧:٤٦٥. ط: لا لعموم القلب.

(٢) هامان: وزير فرعون ومعينه على الكفر والطغيان. وابنِ: شيّد وارفع. وانظر الآية ٣٨ من سورة القصص. وأبلغها: أصل إليها. وأطلع إليه: أنظر إليه وأتعرف أحواله. وبالنصب يريد القراءة «فأطَّلِعَ». وجوابًا لابن أي: جوابًا للطلب. والإلٰه: المعبود. وأظن: أعتقد. والكاذب: من يقول ما هو غير حقيقي. وكذلك: مثلَ ذلك التزيين لقوله المذكور. انظر الآية ٦. وزين له: حسّنَ الشيطان وجمّل له مغريًا. والسوء: القبيح المنكر. والعمل: مايقوم به الإنسان من نية أو قول أو فعل. وصد: صرف الناس ومنعهم. وبضمها يريد القراءة «وصُدَّ»، أي: صُرِفَ، صَرفه الشيطان ومنعه. والكيد: المكر والخداع لإبطال آيات موسى ودعوته. انظر آخر الآية ٢٥.

(٣) الذي آمن: هو المؤمن المذكور قبل. انظر الآية ٣٠. واتبعوني: اعملوا بنصيحتي واقتدوا بي في الإيمان والطاعة. وحذفها: يعني حذف ياء المتكلم للتخفيف، يريد القراءة «اتَّبِعُونِ». وأهدي: أدل وأُبلّغ. وتقدم أي: ما ورد في آخر الآية ٢٩. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس لأنهم يعيشون فيها. والمتاع: ما يُنتفع به ويرغب فيه. والآخرة: البعيدة عنهم. وهي الحياة في يوم القيامة. والدار: مكان النزول. والقرار: الإقامة الدائمة بلا انتقال ولا تحول. وعمل: اكتسب في الدنيا من نية أو قول أو فعل. والسيئة: المعصية فيها الشر والإيذاء للإنسان وغيره. ويجزى: يكافأ ويعاقب في دار القرار. ومثلها أي: ما يقابلها ويماثلها في القدر. والصالح: ما يرضاه الله والشرع الحنيف. والمؤمن: الذي اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. ويُدخَل: يقدَّر له الدخول وييسر. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. وبالعكس أي: بفتح الياء وضم الخاء، يريد القراءة «يَدخُلُونَ». ويُرزق: يهيأ له ما يحتاج إليه. وبغير: بدون. وبلا تبعة أي: لاتبعة عليهم فيما يعطَون من النعيم، ولا يترتب عليهم تكاليف من ذلك، لأنه عطاء فضلٍ وتكرم بغير محاسبة.

الجزء الرابع والعشرون سورة غافر

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

الحزب ٤٨

١- ﴿ويا قَوم، ماليَ أدعُوكُم إلَى النَّجاةِ، وتَدعُونَنِيَ إلَى النَّارِ ٤١؟ تَدعُونَني لِأكفُرَ بِاللهِ، وأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ، وأنا أدعُوكُم إلَى العَزيزِ﴾: الغالب على أمره، ﴿الغَفّارِ﴾ ٤٢ لمن تاب. ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ ما تَدعُونَنِيَ إلَيهِ﴾ لأعبده ﴿لَيسَ لَهُ دَعوةٌ في الدُّنيا﴾ أي: استجابةُ دعْوةٍ ﴿ولا في الآخِرةِ، وأنَّ مَرَدَّنا﴾: مَرجِعنا ﴿إلَى اللهِ، وأنَّ المُسرِفينَ﴾: الكافرين ﴿هُم أصحابُ النّارِ ٤٣. فَستَذكُرُونَ﴾، إذا عاينتم العذاب، ﴿ما أقُولُ لَكُم، وأُفَوِّضُ أمرِيَ إلَى اللهِ. إنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾ ٤٤. قال ذلك لمّا توعّدوه بمُخالفته دِينَهم.

٢- ﴿فوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾ به من القتل، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِآلِ فِرعَونَ﴾: قومِه معه ﴿سُوءُ العَذابِ﴾ ٤٥: الغرقُ، ثُمَّ ﴿النّارُ يُعرَضُونَ عَلَيها﴾ يُخوَّفون بها، ﴿غُدُوًّا وعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً، ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ﴾ يقال: ﴿ادخُلُوا﴾ - يا ﴿آلَ فِرعَونَ﴾، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء: أمرٌ للملائكة - ﴿أشَدَّ العَذابِ﴾ ٤٦ عذابَ جهنّم.

٣- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يَتَحاجُّونَ﴾: يتخاصم الكُفّار ﴿في النّارِ، فيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ استَكبَرُوا: إنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا﴾: جمع تابع. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا نَصِيبًا﴾: جزءًا ﴿مِنَ النّارِ ٤٧؟ قالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا: إنّا كُلٌّ فِيها. إنَّ اللهَ قد حَكَمَ بَينَ العِبادِ﴾ ٤٨، فأدخَلَ المؤمنين الجنّة والكافرين النار.

٤- ﴿وقالَ الَّذِينَ في النّارِ لِخَزَنةِ جَهَنَّمَ: ادعُوا رَبَّكُم، يُخَفِّفْ عَنّا يَومًا﴾ أي: قدْرَ يوم ﴿مِنَ العَذابِ ٤٩. قالُوا﴾ أي: الخزنة تهكّمًا: ﴿أوَلَم تَكُ تأتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات؟ ﴿قالُوا: بَلَى﴾ أي: فكفروا بهم. ﴿قالُوا: فادعُوا﴾ أنتم. فإنّا لا نشفع لكافر.

---

(١) تكرار النداء فيه توكيد وتعطف وإيقاظ للمنادى، ومبالغة في التوبيخ على ما يقابلون به النصيحة. وأدعو: أُرشد وأهدي وأحض. والنجاة: الخلاص بالإيمان من الانتقام والتعذيب. والنار أي: التعذيب فيها للكفر والعصيان. وأكفر به: أُنكر ألوهيته وتوحيده. وأشرك به: أجعل له شريكًا في الألوهية والعبادة. والعلم: الدراية اليقينية. والغفار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح مع العفو. ولا جرم: لا قطع ولامنع، أي: ثبَتَ حقًّا. وتدعونني إليه: تطلبون مني عبادته، كفرعون وأصنامه. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «ليس له دعوة أي استجابة دعوة في الدنيا». والمرجع: الرجوع يوم القيامة بالبعث. وإلى الله أي: إلى لقاء ما وعد به من الحساب والجزاء، لا إلى شفاعة المعبودات، ولا إلى الفناء النهائي. والمسرف: من جاوز الحد بسبب كفره وعصيانه. والأصحاب: جمع صاحب. وهو من يلازم الشيء ولايفارقه. والنار: نار جهنم. وتذكرونه: تستحضرونه وتعلمون صدقه، فتندمون حين لاينفع الندم. وما أقول لكم أي: ما أمرتكم به ونهيتكم عنه. وأفوض أمري إليه: أتوكل عليه وحده، وأعتمد في تصريف جميع شؤون حياتي. والبصير: المدرك لكل شيء من الظواهر والخفايا، فيحفظ من يشاء ويُهلك من يشاء. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وقال ذلك: يعني أنه قال الجملتين الأخيرتين، حين هددوه بالقتل لأنه خالف شركهم.

(٢) وقاه: جنبه وحفظه. والسيئة: القبيحة الشنيعة. ومكر: كاد ودبر من الضرر والإيذاء. والسوء: السيئ القبيح. والعذاب: التعذيب. والغرق أي: والقتل والإحراق وخسارة كل شيء. وقول المحلي «ثُمَّ» من التلخيص باقتضاب وتصحيف، والعبارة هناك: «الغرق هنا والنار ثَمَّ». فالمراد بـ «ثَمّ» الإشارة إلى عالم البرزخ بعد الموت، إذ تُعرض أرواح الكافرين على النار إلى يوم القيامة. ويخوّفون بها: يهددون برؤيتها قبل يوم القيامة. وذلك مستفاد من الأحاديث ١٣١٣ و٣٠٦٨ و٦١٥٠ في البخاري و٢٨٦٦ في مسلم. ع: «يحدقون بها». وفيما عداها وعدا الأصل: «يحرقون بها». وصباحًا ومساء أي: في كل ذلك الوقت. وتقوم: تحصل. والساعة: وقت القيام بالبعث للحساب والجزاء. ويقال أي: تقول زبانية جهنم لفرعون وقومه. وادخلوه: صيروا فيه وقاسوا هوله. والقراءة المذكورة يريد بها «أدخِلُوا». والأشد: الأقوى والأعنف ليس له مثيل.

(٣) اذكر أي: لقومك تهديدًا، ولنفسك والصحابة بشارة. والضعفاء: ضعفاؤهم ، جمع ضعيف. وهو الذي استضعفه السادة وأغروه بالكفر. واستكبروا: ترفعوا بسيادتهم أن يستجيبوا للإيمان. و«جمع تابع» من التلخيص والبيضاوي، والصواب أنه اسم جمع نحو: خادم وخَدَم. والتابع: من يقلد غيره وينقاد إليه. وانظر الآية ٢١ من سورة إبراهيم. وكل: لاستغراق الأفراد، أي: كلنا نحن وأنتم. وحكم: قضى بما يجب. يعني: فلن يغني أحد عن أحد شيئًا. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدا.

(٤) النار: نارجهنم. والخزنة: جمع خازن، الزبانية الموكلون بالتعذيب. وجهنم: اسم علم لدار العذاب يوم القيامة. وادعوه: ارجوه وتوسلوا إليه. ويخفف: يدفع ويقلل. وعنا: أصله «عَنْنا» أدغمت النون الأولى في الثانية. وقدر يوم أي: من أيام الدنيا. وتأتيكم: تجيء إليكم لتبلّغكم. والرسل: جمع رسول. وهو من يبعث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والسين في الجمع مضمومة سكنت للتخفيف. ولكافر أي: لمن كذّب الله ورسوله ومات على ذلك. وفيما عدا الأصل والنسخ: للكافرين.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
(٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ (٥٦) لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧)
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

١- قال تعالى: ﴿**وما دُعاءُ الكافِرينَ إلّا في ضَلالٍ**﴾ ٥٠: انعدام. ﴿**إنّا لَنَنصُرُ رُسُلَنا والَّذينَ آمَنُوا، في الحَياةِ الدُّنيا، ويَومَ يَقومُ الأشهادُ**﴾ ٥١: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب، ﴿**يَومَ لا يَنفَعُ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**الظّالِمينَ مَعذِرَتُهُم**﴾: عُذرهم لو اعتذروا، ﴿**ولَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾ أي: البُعد من الرحمة، ﴿**ولَهُم سُوءُ الدّارِ**﴾ ٥٢ الآخرة، أي: شدّةُ عذابها.

٢- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الهُدَى**﴾: التوراةَ والمُعجزاتِ، ﴿**وأورَثْنا بَني إسرائيلَ**﴾ من بعد مُوسَى ﴿**الكِتابَ**﴾ ٥٣ التوراةَ، ﴿**هُدًى**﴾: هاديًا، ﴿**وذِكرَى لِأُولي الألبابِ**﴾ ٥٤: تذكرةً لأصحاب العُقول. ﴿**فاصبِرْ**﴾ - يا مُحمّد. ﴿**إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بنصر أوليائه ﴿**حَقٌّ**﴾، وأنت ومن تبعك منهم - ﴿**واستَغفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ لِيُستنَّ بك، ﴿**وسَبِّحْ**﴾: صلِّ مُلتبسًا ﴿**بِحَمدِ رَبِّكَ، بِالعَشِيِّ**﴾ وهو من بعد الزوال، ﴿**والإبكارِ**﴾ ٥٥ الصلواتِ الخمسَ.

٣- ﴿**إنَّ الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللهِ**﴾: القُرآن، ﴿**بِغَيرِ سُلطانٍ**﴾: بُرهان ﴿**أتاهُم، إنْ**﴾: ما ﴿**في صُدُورِهِم إلّا كِبْرٌ**﴾: تكبّر وطمع أن يعلوا عليك، ﴿**ما هُم بِبالِغيهِ. فاستَعِذْ**﴾ من شرّهم ﴿**بِاللهِ. إنَّهُ هُوَ السَّميعُ**﴾ لأقوالهم، ﴿**البَصيرُ**﴾ ٥٦ بأحوالهم. ونزل في مُنكري البعث: ﴿**لَخَلقُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ ابتداءً ﴿**أكبَرُ مِن خَلقِ النّاسِ**﴾ مرّة ثانية - وهي الإعادة - ﴿**ولَكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: الكُفّارَ ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٥٧ ذلك. فهم كالأعمى، ومن يعلمُه كالبصير، ﴿**وما يَستَوِي الأعمَى والبَصيرُ، و**﴾ لا ﴿**الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ - وهو المُحسن - ﴿**ولا المُسِيءُ**﴾. فيه زيادة «لا». ﴿**قَليلًا ما يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ٥٨: يتّعظون، بالياء والتاء، أي: تذكُّرُهم قليلٌ جِدًّا. ﴿**إنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيبَ**﴾: شكّ ﴿**فِيها، ولَكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٥٩ بها.

---

(١) الدعاء: الاستغاثة والرجاء. وانعدام أي: لاينفع ولايجاب كأنه لم يكن. وننصرهم: نعينهم على أعدائهم ونغلّبهم عليهم بالحجة والظفر والانتقام. وآمن: صدّق الله ورسوله واعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس لأنهم يعيشون فيها. واليوم: الوقت. ويقوم: يحضر ويقف. والشاهد: من يذكر حقيقة ما يعرف للفصل في الأمور. والملائكة أي: والأنبياء والمؤمنون وجوارح الناس، كل يشهد بما يعلم. وينفع: يفيد في جلب خير أو دفع ضرر. ولاينفع: لايُقبل لأنه باطل. وبالتاء يريد القراءة «لاتَنفَعُ». والظالم: المتجاوز للحق. والكفرُ أشنع ذلك. والمعذرة: الحجة للتبرؤ، أي: طلب رفع الملامة والعقاب. والسوء: انظر الآية ٣٧. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. وفي النسخ: أشد عذابها. **(٢)** في الآيتين تقرير لِما ذكر قبل من نصرة الرسل، ببيان غلبة موسى وبني إسرائيل على فرعون وجنوده، بعدما مضى من قصتهم في الآيات ٢٣-٤٦. وفي هذا بشارة وتسلية للنبي ﷺ عما يلقاه من الكافرين. وآتيناه: أعطيناه وكلفناه الرسالة. والهدى: ما يرشد إلى الحق والصلاح. وأورثناهم: جعلنا بينهم ما يتوارثونه خلَف عن سلف، بعد أن كانوا في ذلة وهوان. وبنو إسرائيل: اليهود ذرية يعقوب من أبنائه. وذكرى: تذكرة لِما يمكن أن ينسى. وأولو: واحده ذو. والواو بعد الهمزة زائدة في الرسم اصطلاحًا. والألباب: جمع لب. وهو موطن التدبر والإدراك والعواطف. والعقول أي: السليمة من الانحراف والفساد. واصبر: استمر على تحمل مشاق الدعوة. والوعد: التعهد بما هو محبوب. والحق: الصدق الواقع لاشكّ فيه. واستغفر: دم على طلب السَّتر والعفو. والذنب: مايؤاخذ عليه. وليستن بك أي: ليصير الصبر والاستغفار سنّة لأمتك. وفيما عدا الأصل والنسخ: «متلبسًا». والحمد: الثناء بالجميل على المنعم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. والصلوات: مفعول مطلق للفعل: صلِّ. وهذا تفسير للتسبيح في العشي والإبكار، أي: الصلوات الخمس. **(٣)** روي أن يهود المدينة قالوا: «لستَ صاحبنا، بل هو المسيح بن داود - يعنون المسيح الدجال - يبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، يرجع إلينا مُلكَنا». فنزلت الآية تبين سبب جدالهم وما سيؤولون إليه. لباب النقول. ويجادل: يماري بالباطل ويخاصم. وبغير: بدون. وأتاهم: وصل إليهم بوحي أو علم يقيني. والصدور: جمع صدر، يكون فيه القلب موطن العواطف والإدراك والتدبر. وبالغيه: مدركي غايته، أي: التعاظم والرياسة والاستعلاء. واستعذ به: الجأ إليه وتحصن به وحده. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث. وبأحوالهم أي: فهو الذي يستطيع حفظك ونصرك، وإفساد مكرهم وما يكيدون. ومنكري البعث: بعض مشركي المدينة. والحكم عامّ في الآيتين أيضًا لكل جاحد ملحد. والخلق: الإيجاد من العدم. والسماوات: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وابتداء أي: من غير سابق مادة. وأكبر: أعظم وأشق بحسب ما تعارفه الناس من الأعمال، وإن كان بالنسبة إلى الله - تعالى - لاتفاوت بين الابتداء وغيره. والكفار: المنكرون للبعث. وفيما عدا الأصل وخ والمنحة: «كفار مكة». ولايعلم: لايدرك. ويستويان: يكونان متماثلين في القدرة أوالعمل أو القيمة. والأعمى: الغافل عن التمييز بين الحق والباطل. والبصير: من يستبصر الأمور ويميز ما بينها من خلاف. وآمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الله. والمسيء: من قبحت نيته وقوله وعمله. وفيه: في «لا المسيء». يعني أن لا: حرف زائد لتوكيد النفي في «ما». وبالتاء يريد القراءة «تَتَذَكَّرُونَ» بالالتفات إلى الخطاب بالتوبيخ، لإظهار العنف الشديد والإنكار البليغ. ويتعظون أي: الكافرون بما يُعرض عليهم من الأدلة والحقائق. و«قليل جدًا» تفسير لـ «قليلًا ما»، لأن ما: حرف زائد لتوكيد القلة. والساعة: وقت البعث للحساب. وفيها: في مجيئها كما قدّر لها. ولايؤمن بها: لايصدق أنها واقعة لامحالة. وانظر آخر الآية ٥٧.

الجزء الرابع والعشرون سورة غافر

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ
إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

١ - ﴿وقالَ رَبُّكُمُ: ادعُونِيَ، أستجِبْ لَكُم﴾ أي: اعبدوني أُثِبْكم. بقرينةِ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَستكبِرُونَ عَن عِبادتِي سَيَدخُلُونَ﴾ - بفتح الياء وضمّ الخاء وبالعكس - ﴿جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ ٦٠: صاغرين. ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكنُوا فِيهِ، والنَّهارَ مُبصِرًا﴾ - إسنادُ الإبصار إليه مجازيّ لأنه يُبصَر فيه - ﴿إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ على النّاسِ، ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرُونَ﴾ ٦١ الله فلا يُؤمنون. ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، لا إلٰهَ إلّا هُوَ. فأنّى تُؤفَكُونَ﴾ ٦٢: فكيف تُصرفون عن الإيمان، مع قيام البُرهان؟ ﴿كَذٰلِكَ يُؤفَكُ﴾ أي: مِثلَ أفكِ هؤلاء أُفِكَ ﴿الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللهِ﴾: مُعجزاته ﴿يَجحَدُونَ﴾ ٦٣.

٢- ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ قَرارًا، والسَّماءَ﴾ سقفًا ﴿بِناءً، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم، ورزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ. ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم - فتبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ ٦٤ - هُوَ الحَيُّ، لا إلٰهَ إلّا هُوَ. فادعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك: ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ٦٥.

ربع الحزب ٤٨

٣- ﴿قُل: إنِّي نُهِيتُ أن أعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ، لَمّا جاءَنِيَ البَيِّناتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِن رَبِّي، وأُمِرتُ أن أُسلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾ ٦٦. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾، بخلق أبيكم آدمَ منه، ﴿ثُمَّ مِن نُطفَةٍ﴾: مَنيٍّ، ﴿ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ﴾: دم غليظ، ﴿ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفلًا﴾ بمعنى: أطفالًا، ﴿ثُمَّ﴾ يُبقيكم ﴿لِتَبلُغُوا أشُدَّكُم﴾: تكامُلَ قوّتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾. بضمّ الشين وكسرها - ﴿ومِنكُم مَن يُتَوَفَّى مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ الأشُدّ والشيخوخة - فَعلَ ذلك بكم لتعيشوا ﴿ولِتَبلُغُوا أجَلًا مُسَمًّى﴾: وقتًا محدودًا،

(١) عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادةُ»، ثم قرأ هذه الآية. الحديث ٣٣٦٩ في الترمذي. ولهذا قيل: إن «ادعوني أستجب لكم» معناه: اعبدوني أُثِبْكم، أي: أكافئكم بالخير والنعيم. وبقرينة أي: بدلالة تتمة الآية على هذا لمقصود، وتعيين المراد من المعنى. وفيما عدا الأصل وخ: «بقرينة مابعده». ويستكبر: يترفع ويتمنع. وبالعكس أي: بضم الياء وفتح الخاء. يريد القراءة «سَيُدخَلُونَ». وصاغرين: أذلاء محتقرين. وجعل: خلق وأوجد. والليل: مدة غروب الشمس بما فيها من الظلام. وحذف بعده «مظلمًا» لدلالة «مبصرًا» عليه. وتسكن: تستقر وتستريح بالهدوء والنوم. والنهار: مدة الشروق بما فيها من الضياء والنشاط. ومبصرًا: مضيئًا يُبصِر الأحياء فيه ما يحتاجون إليه. وحُذف بعدُ «لتسعوا فيه» بدلالة «لتسكنوا فيه». ففي التعبير إيجاز بليغ بالاحتباك. والفضل: التفضل والإحسان بالنعم. ويشكره: يستحضر نعمه في نفسه ويذكرها، ويثني عليه بالقلب واللسان والعمل. وذلكم أي: المذكور باستجابة الدعاء وخلق الليل والنهار والتفضل. والخالق: الموجد من العدم. والإلٰه: المعبود بحق. ومع قيام البرهان أي: مع ثبوت البراهين على وجوب الإيمان والتوحيد. وفي الأصل: «بعد قيام البرهان». والأفك: الصرف والإضلال. ط: «مثل إفك هؤلاء إفك». ويجحد بها: يكذبها وينكرها.

(٢) جعل: صيّر. والقرار هو المستقر للإقامة في الدنيا، مصدر بمعنى اسم المكان للمبالغة. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والعوالم العُلوية. والسقف: مايعلو الأبنية كالغِطاء لها. وبناء أي: كالقبة المضروبة من غير عمد. وفيما عدا الأصل وخ: «والسماء بناء سقفًا». وصوركم: أنشأ صوركم على غير مثال واحد. وأحسنَها: جعلها حسنة بانتصاب القامة وتناسب الأعضاء، والقدرة على مزاولة الصنائع واكتساب الكمالات. والصور: جمع صورة. وهي الشكل والهيئة والبنيان. ورزقكم: هيأ لكم ما تحتاجون إليه ويسره. والطيب: ما يستلذ طعمه وملبسه ومكسبه، ويكون فيه الخير. وذلكم أي: المذكور بالجعل والتصوير والرزق. وتبارك: تعاظم وتعالى عما لايليق به، وكثر خيره وثبَتَ. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالعالمون: كل المخلوقات. والحي: المتفرد بالحياة الحقيقية الدائمة لا أول لها ولا انقضاء. والمخلص: المجرِّد المصفِّي. والدين: العبادة. والحمد: الثناء الجميل على الفضل.

(٣) روي أن بعض مشركي مكة قالوا: «يامحمد، ارجع عما تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك»، فنزلت هذه الآية ترد عليهم مادعوا إليه. الدر المنثور ٥:٣٥٧ ولباب النقول. وقل أي: لمشركي مكة وأمثالهم. ونهيت: مُنعت وحُرّم عليّ بأمر الله وهدايته. وأعبد: أقدس وأطيع. ودونه أي: غيره. وجاءني: أوحي إليّ وتبيّن لي. ولم يتصل الفعل بتاء التأنيث لأن الفاعل مؤنث مجازي، وللفصل بينه وبين الفعل. ومن ربي أي: من عنده بالوحي والإلهام. وأُمرت: وَجب عليّ وأُلزمت. وأسلم: أخلص وأنقاد بالرضا وأفوض أمري. وخلق: أوجد وأنشأ. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. وخلقُ آدم منه: يعني أن أصل ذريته من ذلك أيضًا. ويخرجكم: ييسر خروجكم من الأرحام. والطفل: اسم جنس يطلق على المفرد والجمع. وتبلغه: تدركه وتصل إليه. وتكون: تصير. والشيوخ: جمع شيخ. وهو الذي قارب سن الستين. وكسرها: كسر الشين لمناسبة الياء بعدها، يريد القراءة «شِيُوخًا». ويتوفى: تُسترد روحه من جسده. والشيخوخة أي: والطفولة وغيرها أيضًا، إذ قد يتوفى الإنسان في رحم أمه أو كهولته. وذلك أي: ماذكر من الخلق وما كان بعده، من الإخراج والبلوغ والصيرورة. والوقت المحدود هو مدة العمر لكل إنسان. وتعقل: تتفكر وتتدبر لتدرك ما يجب من الاعتقاد والعمل. ويحيي: يخلق الحياة ببث الروح في الجسد. ويميت: يخلق الموت بنزع الروح من الجسد. وكن أي: احدُث وتحقَّق. ويكون: يحدث ويتحقّق. وبفتحها يريد القراءة «فيَكُونَ». وعقب الإرادة: يعني أن المرادَ يحصل لمجرد الإرادة، وأن القول «كن» تمثيلٌ لتأثير قدرته - تعالى - في إيجاد المخلوقات، وتصويرٌ للسرعة في الوجود، من غير أن يكون هناك أمر ولا مأمور.

﴿ولَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ ٦٧ دلائل التوحيد فتؤمنون. ﴿هُوَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيتُ. فإذا قَضَى أمرًا﴾: أراد إيجادَ شيء ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ ٦٨ - بضمّ النون، وفتحها بتقدير «أن» - أي: يُوجَد عقبَ الإرادة التي هي معنى القول المذكور.

١- ﴿ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ﴾: القُرآن، ﴿أنَّى﴾: كيف ﴿يُصرَفُونَ﴾ ٦٩ عن الإيمان، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بالكِتابِ﴾ القرآن، ﴿وبِما أرسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ من التوحيد والبعث. وهم كُفّار مكّة؟ ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ ٧٠ عُقوبة تكذيبهم، ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهِم﴾ - إذ: بمعنى إذا - ﴿والسَّلاسِلُ﴾: عطف على «الأغلالُ» فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبرُه محذوف، أي: في أرجُلهم، أو خبرُه ﴿يُسحَبُونَ﴾ ٧١ أي: يُجرّون بها ﴿في الحَمِيمِ﴾ أي: جهنّمَ، ﴿ثُمَّ في النّارِ يُسجَرُونَ﴾ ٧٢: يُوقَدونَ.

٢- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُم﴾ تبكيتًا: ﴿أينَ ما كُنتُم تُشرِكُونَ ٧٣، مِن دُونِ اللهِ﴾ معه؟ وهي الأصنام. ﴿قالُوا: ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنّا﴾ فلا نراهم. ﴿بَل لَم نَكُنْ نَدعُو مِن قَبلُ شَيئًا﴾. أنكروا عِبادتهم إياها. ثمّ أُحضرتْ، قال تعالى: «إنَّكُم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» أي: وَقودُها - ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلال هؤلاء المُكذّبين ﴿يُضِلُّ اللهُ الكافِرِينَ﴾ ٧٤ - ويقال لهم أيضًا: ﴿ذٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِما كُنتُم تَفرَحُونَ في الأرضِ، بِغَيرِ الحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث، ﴿وبِما كُنتُم تَمرَحُونَ﴾ ٧٥ تتوسّعون في الفرح. ﴿ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ فِيها. فَبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾ ٧٦!

٣- ﴿فاصبِرْ. إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ. فإمّا نُرِيَنَّكَ﴾ - فيه «إن» الشرطيّة مدغمة، وما: زائدة تؤكّد معنى الشرط أوّلَ الفعل، والنونُ تؤكّد آخرَه - ﴿بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾ به من العذاب في حياتك، وجوابُ الشرط محذوف أي: فذاكَ، ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم، ﴿فإلَينا يُرجَعُونَ﴾ ٧٧ فنُعذّبهم أشدّ العذاب. فالجواب المذكور للمعطوف فقط.

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا
شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

---

(١) الهمزة للتعجيب، أي: ألا تعجب إلى هؤلاء، في جدالهم وانصرافهم؟ وترى: تنظر. ويجادل: يماري بالباطل ليدفع الحق. ويُصرف: يدفع. وكذب به: أنكره. وأرسلنا: بعثنا للدعوة. والرسل: جمع رسول. ويعلم: يدرك عِيانًا. والأغلال: جمع غُلّ. وهو طوق من الحديد يجمع اليدين إلى العنق. والأعناق: جمع عنق. وبمعنى إذا: يعني أن «إذ»: عُبّرَ بها عن المستقبل، للمبالغة في تحقق ما بعدها كأنه وقع فيما مضى. والتقدير: يعلمون وقتَ الأغلالُ في أعناقهم، أي: وقت عقابِ تكذيبهم. الدر المصون ٩: ٤٩٤. ولا حاجة إلى تقدير «عقوبة تكذيبهم» قبلُ. والسلاسل: جمع سِلسلة. وهي حلقات من الحديد متواصلة. والعطف على «الأغلال»: يعني أن «في أعناقهم» هو في نية التأخير بعد: السلاسل. وخبره يسحبون: يعني أن الجملة في محل رفع خبر، وحذف «بها» بعدها لقوة الدلالة عليه. والحميم: الماء الحار جدًا يشوي الأجسام. وتفسير «الحميم» بجهنم سهو من اقتضاب عبارة التلخيص، إذ جاء فيه: «يُجرّون بالسلاسل ويَجرّونها في جهنم»، والمراد أن الحميم هو في جهنم. ويوقدون أي: كما يوقد الحطب والحجارة.

(٢) قيل أي: تقول الملائكة. وقد عُبّرَ بالأفعال الماضية عن المستقبل لتحقق وقوعها. والتبكيت: التعنيف. وتشركون: تجعلونه شريكًا في الألوهية والتقديس. ودونه: غيره. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات. وندعو: نعبد. ومن قبل: من قبلِ هذا الوقت. وقوله تعالى هو في الآية ٩٨ من سورة الأنبياء. وهؤلاء: يعني المذكورين في الآيات ٦٩-٧٤. ويضلهم: يحيّر المكذبين للتوحيد والبعث، فيجعلهم يترددون في أمورهم، ويلجؤون إلى الكذب والمكابرة. ويقال لهم أي: تقول لهم ملائكة العذاب توبيخًا. وتفرح: تُظهر السرور الشديد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وغير الحق هو الباطل والعصيان. وادخلوها: مرّوا منها إلى الداخل. والخالد: المقيم أبدًا. وبئس: بلغ الغاية في السوء والشر والضرر. والتعبير عن «جهنم» بالمثوى تهكم واستهزاء. وهو مذموم مرتين: الأولى في جنسه هذا، والثانية في اختصاصه بعد لتقدير المبتدأ: هي. والمتكبر: المتعالي عن الإيمان والطاعة. وفي هذا غاية التهديد والوعيد.

(٣) اصبر: دم على تحمل المشاق في الدعوة. والوعد: التهديد. والحق: الصدق يحصل فعلًا. وفي هذا تأنيس للنبي ﷺ بتحقيق النصر، إذ هو في غاية الصبر ولايحتاج إلى مزيد. ونريك: نبصّرك عِيانًا. و«فذاك» أي: فذاك هو المراد المقضيّ. وليس مثل هذا التقدير وافيًا بالجواب، لأنه غير مترتب عليه ترتب الجواب على شرطه. ونتوفاك: نقبض روحك الشريفة. وفي ط وبعض المطبوعات: «نتوفينك أي قبل تعذيبهم». وإلينا: إلى ميعاد حسابنا يوم القيامة، لا إلى الفناء النهائي أو الآلهة المزعومة. ويرجعون: يُردون بالبعث والنشور بعد الموت. و«للمعطوف فقط» كذا، وهو مردود لأن رجوعهم إلى الحساب ليس مترتبًا على وفاته قبل عذابهم، ولأن جواب الشرطين واحد محذوف، وما جاء في صورة الجواب هو سبب للمحذوف. والتقدير: مهما يكن لهم في الدنيا فنحن نُقِرّ عينك، ونريك عذابهم الشديد يوم القيامة، لأن إلينا مرجعهم. انظر الآيتين ٤٦ من سورة يونس و٤٠ من سورة الرعد.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

١- ﴿**ولقَد أرسَلْنا رُسُلًا مِن قَبلِكَ، مِنهُم مَن قَصَصْنا عليكَ، ومِنهُم مَن لَم نَقصُصْ عليكَ**﴾ - رُوي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيٍّ: أربعةَ آلافِ نبيٍّ من بني إسرائيلَ، وأربعةَ آلافٍ من سائر الناس - ﴿**وما كانَ لِرَسُولٍ**﴾ منهم ﴿**أن يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذنِ اللهِ**﴾، لأنهم عبيد مربوبون، ﴿**فإذا جاءَ أمرُ اللهِ**﴾، بنُزول العذاب على الكُفّار، ﴿**قُضِيَ**﴾ بين الرسل ومُكذّبيها ﴿**بالحَقّ، وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلُونَ**﴾ ٧٨ أي: ظهر القضاء والخُسران للناس، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

٢- ﴿**اللهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنعامَ**﴾، قيل: الإبلُ خاصّةً هنا. والظاهر: والبقرُ والغنمُ، ﴿**لِتَركَبُوا مِنها - ومِنها تأكُلُونَ** ٧٩، **ولَكُم فِيها مَنافِعُ**﴾ من الدَّرّ والنسل والوبر والصوف - ﴿**ولِتَبلُغُوا عَلَيها حاجةً في صُدُورِكُم**﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد، ﴿**وعلَيها**﴾ في البرّ ﴿**وعلَى الفُلكِ**﴾: السفن في البحر ﴿**تُحمَلُونَ** ٨٠، **ويُريكُم آياتِهِ. فأيَّ آياتِ اللهِ**﴾ الدالّةِ على وحدانيّته ﴿**تُنكِرُونَ**﴾ ٨١؟ استفهام توبيخ. وتذكير «أيّ» أشهرُ من تأنيثه.

٣- ﴿**أفلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ كانُوا أكثَرَ مِنهُم وأشَدَّ قُوّةً، وآثارًا في الأرضِ**﴾ من مصانعَ وقصور، ﴿**فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ** ٨٢. **فلَمّا جاءَتْهُم رُسْلُهُم بالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات الظاهرات ﴿**فَرِحُوا**﴾ أي: الكُفّارُ، ﴿**بما عِندَهُم**﴾ أي: الرسلِ ﴿**مِنَ العِلمِ**﴾، فَرَحَ استهزاء وضحك منكرين له، ﴿**وحاقَ**﴾: نزل ﴿**بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٨٣ أي: العذابُ، ﴿**فلَمّا رأَوا بأسَنا**﴾ أي: شِدّة عذابنا ﴿**قالُوا: آمَنّا باللهِ وَحدَهُ، وكَفَرْنا بما كُنّا بِهِ مُشرِكِينَ** ٨٤. **فلَم يَكُ يَنفَعُهُم إيمانُهُم لَمّا رأَوا بأسَنا، سُنّةَ اللهِ**﴾ - نصبُه على المصدر بفعل مقدَّر من لفظه - ﴿**الّتِي قَد خَلَتْ في عِبادِهِ**﴾ في الأُمم، ألّا ينفعَهم الإيمان وقت نزول العذاب، ﴿**وخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ**﴾ ٨٥: تبيّنَ خُسرانُهم لكُلّ أحد، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

---

(١) في الآية بشارة للمؤمنين بالنصر، وتهديد للكافرين بعذاب الدنيا والآخرة. وأرسلنا: انظر الآية ٧٠. وقصصنا: سردنا أخبارهم وأسماءهم في القرآن وغيره. وتحديد عدد الأنبياء هو من حديث ضعيف. انظر تفسير الآية ١٦٤ من سورة النساء. وهذا لايعني أن النبي ﷺ لم يعرف بالوحي عددهم وأسماءهم، إذ النفي هنا يختص بما مضى قبل نزول هذه الآية، ولايعم جميع الأحوال. تفسير الآلوسي ٢٤: ١٣٤. والمراد أن الأنبياء جميعًا لم يستجيبوا لما اقترحه أقوامهم من المعجزات، لأن الله أعلم بما يصلح من ذلك، وما هو مَطالِبُ عنادٍ وتعنت. وماكان: ما صح وما استقام. ويأتي بآية: يصنع معجزة. وإذنه: أمره وإرادته. وجاء: وقع وتحقق. والأمر: القضاء. وقضي: حكم. والحق: العدل. وخسر: أضاع ما كان لديه أو يتوقعه. وهنالك: حين نزول العذاب. والمبطل: من يلزم الباطل ويعاند باقتراح الآيات تعنتًا ومكابرة. وهم خاسرون أي: المبطلون. وفي كل وقت: يعني أن الخسران يتحقق فعلًا للجميع، ويظهر بعد أن كان ملتبسًا بمظاهر كاذبة من قبل.

(٢) جعل: خلق. والأنعام: جمع نعَم. وتخصيصه بالإبل لأن المنافع المذكورة هنا خاصة بها. وعمومه للبقر والغنم أيضًا لأن في بعضها من هذه المنافع الشيء الكثير. وتأكلون أي: وتشربون. والمنافع: جمع منفعة. وهي المتعة والزينة. والدر: مايدر من اللبن. وتبلغ: تدرك وتنال. والحاجة: ما يطلبه الإنسان ويفتقر إليه. والصدور: جمع صدر، أي: القلب موطن التدبر والإرادة والعواطف. والفلك: واحده من لفظه. وتحمل: ترفع للركوب. ويريكم: يبيّن لكم. وتنكر: تكذّب. والتوبيخ: التقريع مع الزجر والنهي، أي: كيف تنكرونها، وهي واضحة لايمكن إنكار شيء منها؟ فدعوا ما أنتم عليه والزموا الطاعة. وأشهر من تأنيثه: يعني أن «أي» لم تؤنث، مع إضافتها إلى مؤنث، لأن التذكير أشهر فيها بسبب إبهامها، إذ التأنيث أصل في المشتقات، وقليل في أسماء الأجناس. فهو أقل في المبهمات. الكشاف ٤: ١٨١.

(٣) يسير: يتنقل للتجارة والارتحال. وينظر: يرى ويتدبر. والعاقبة: النهاية. وأكثر: أوفر عددًا. وأشد: أعنف وأمتن. والقوة: القدرة على نيل المراد. والآثار: جمع أثر. وهو ما يبقى ظاهرًا من نتائج العمل. وأغنى: دفع البلاء. ويكسبون: يعملونه ويصنعونه. وجاءتهم: أتتهم تبلّغهم. والرسل: انظر الآية ٧٠. وفرح: أظهر السرور الكثير. والعلم: المعرفة اليقينية بالتوحيد والبعث. ونزل أي: محيطًا من كل جانب. ويستهزئ: يسخر. والعذاب: ماتوعدهم به الرسل من الانتقام، إن أصروا على الكفر. ورأوه: أبصروه عِيانًا في الدنيا، وهو نازل بهم. وآمن: صدّق بقلبه وتيقن. وكفر به: أنكره. والمشرك: من يجعل مع الله مثيلًا له في الألوهية من المخلوقات. ولم يك: لم يصح ولم يستقم. وينفع: يفيد في دفع الانتقام. والسُّنّة: الطريقة النافذة دائمًا. وعلى المصدر أي: مفعول مطلق لبيان النوع والتوكيد. وخلت: مضت واستمر وقوعها. وفي عباده أي: في عقابهم. والعباد: جمع عبد. وخسر: انظر تعليقنا على آخر الآية ٧٨ وتفسيره. وهنا: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان مجازي للمبالغة متعلق بـ «خسر». واللام: حرف زائد لتوكيد البعد مبالغة في التهويل ودفعًا لتوهم الإضافة. والكاف: حرف خطاب يفيد معنى البعد.

سورة فصلت — ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

سورة حمَ السجدة

مكية، ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - **حمَ** ١ الله أعلم بمُراده به. **تَنزيلٌ مِنَ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ** ٢: مبتدأٌ **كِتابٌ**: خبرُه، **فُصِّلَتْ آياتُهُ**: بُيِّنَتْ بالأحكام والقِصص والمواعظ، **قُرآنًا عَرَبيًّا**: حالٌ من «كتاب» بصفته، **لِقَوم**: مُتعلّق بـ «فصّلت» **يَعلَمُونَ** ٣: يفهمون ذلك - وهم العرب - **بَشِيرًا** صفةُ «قُرآنًا» **ونَذِيرًا، فأعرَضَ أكثَرُهُم، فهُم لا يَسمَعُونَ** ٤ سماعَ قَبول، **وقالُوا** للنبيّ: **قُلُوبُنا في أكِنّةٍ**: أغطية **مِمّا تَدعُونا إلَيهِ، وفي آذانِنا وَقْرٌ**: ثِقل، **ومِن بَينِنا وبَينِكَ حِجابٌ**: خِلاف في الدِّين. **فاعمَلْ** على دِينك. **إنَّنا عامِلُونَ** ٥ على دِيننا.

نصف الحزب ٤٨

٢ - **قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم، يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلَهُكُم إلَهٌ واحِدٌ. فاستَقِيمُوا إلَيهِ** بالإيمان والطاعة، **واستَغفِرُوهُ. ووَيلٌ**: كلمةُ عذاب **لِلمُشرِكِينَ** ٦، **الَّذِينَ لا يُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بالآخِرةِ هُم**: تأكيد **كافِرُونَ** ٧. **إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ** ٨: مقطوع.

٣ - **قُلْ: أإنَّكُم** - بتحقيقِ الهمزة الثانية وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بينها بوجهيها وبين الأُولى - **لَتكفُرُونَ بالَّذِي خَلَقَ الأرضَ في يَومَينِ** الأحد والاثنين، **وتَجعَلُونَ لَهُ أندادًا**: شُركاءَ؟ **ذٰلِكَ رَبُّ**: مالكُ **العالَمِينَ** ٩: جمع عالَم - وهو ما سِوى الله. وجُمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون، تغليبًا للعُقلاء - **وجَعَلَ**: مُستأنفٌ ولا يجوز عطفه على صلة «الذي» للفاصل الأجنبيّ، **فِيها رَواسِيَ**: جِبالًا ثوابتَ **مِن فَوقِها، وبارَكَ فِيها** بكثرة المياه والزروع والضروع، **وقَدَّرَ**: قسَّم **فِيها أقواتَها** للناس والبهائم، **في** تمام **أربَعةِ أيّامٍ**، أي: الجَعلُ وما ذُكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء، **سَواءً**: منصوب على المصدر، أي: استَوتِ الأربعة استواءً لا يزيد ولا ينقص، **لِلسّائِلِينَ** ١٠ عن خلق الأرض بما فيها.

٤ - **ثُمَّ استَوَى**: قصد **إلَى السَّماءِ، وهِيَ دُخانٌ**: بُخار مُرتفع، **فقالَ لَها ولِلأرضِ: ائْتِيا** إلى مُرادي منكما، **طَوعًا أو كَرهًا**: في موضع الحال، أي: طائعتَينِ أو مُكرَهتَينِ. **قالَتا: أتَينا** بمَن فينا **طائِعِينَ** ١١. فيه تغليب المُذكّر العاقل، أو نُزِّلتا لخِطابهما منزلتَه. **فقَضاهُنَّ** - الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمعِ الآيلةِ إليه - أي: صيَّرها **سَبعَ سَماواتٍ، في يَومَينِ** الخميس والجمعة، فرغ

---

(١) تنزيل أي: مُنزَّل. ومن الرحمن: من عنده وبأمره. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة. و«مبتدأ» مراد به: تنزيل، والخبر: كتاب. والآيات: النصوص القرآنية. والعربي: المنسوب إلى العرب، أي: نزل بلغتهم الفصيحة المعهودة، لتيسير قراءته وفهمه والعمل به. والحال هنا: قرآنًا. وبصفته أي: بسبب وصف «كتاب» بجملة «فصلت آياته». فقد صار شبه معرفة. انظر الدر المصون ٩:٥٠٥-٥٠٦. وذلك أي: تفصيل الآيات. وخص العرب هنا بمقصد التفصيل، وإن كان ذلك للناس جميعًا، لأنهم يفهمونه بلا واسطة، وغيرهم لايفهمه إلّا بواسطتهم. وهذا إكرام لهم وذكر خالد. والبشير: المبشِّر بالنعيم لمن آمن. والنذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر. وأعرض: امتنع عن فهمه. والقلوب: جمع قلب. والأكنة: جمع كنان. وتدعونا: توجهنا. والآذان: جمع أذن. والحجاب: الحاجز الغليظ يمنع التفاهم. واعمل أي: استمر وحدك. وعاملون: مستمرون لانستجيب لك. (٢) بشر أي: إنسان. ومثلكم: واحد منكم مماثل إياكم في البشرية، ولست من جنس آخر ليكون بيننا مانع من التواصل. ويوحى: ينزل بأمر الله وييسر له الحفظ والتبليغ. والإله: المعبود بحق. والواحد: المتفرد بالألوهية ولا مثيل له. واستقيموا: توجهوا واستسلموا. واستغفروه: اطلبوا منه ستر ذنوبكم والعفو عنها. وكلمة عذاب يعني: دعاء بالتعذيب والهلاك. والمشرك: من جعل مع الله شريكًا في الألوهية. ويؤتون الزكاة: يؤدون النفقات التي تطهر أموالهم وأنفسهم. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وتأكيد أي: تأكيد لفظي لـ «هم». والكافر: المنكر الجاحد. وعمل: اكتسب بقلبه أو لسانه أو فعله. والصالح: ما يرضاه الله. والأجر: المكافأة. (٣) تسهيلها: جعلها بين الهمزة وبين الياء. وبوجهيها أي: في حالتي التحقيق والتسهيل. فالقراءات أربع: ماأثبتنا، و«أإنَّكُم»، و«آإنَّكُم»، و«وآإنَّكم». وتكفرون به: تجحدون وحدانيته في الألوهية. وخلق: أوجد، أي: قضى أن يكون ذلك. والمراد باليوم أقل من اليوم المعروف في الدنيا. تفسير الآلوسي ٢٤:١٥٤. وتعيين الأحد والاثنين من الإسرائيليات، وفي حديث ضعيف أخرجه الحاكم في المستدرك ٢:٥٤٣. والصواب أيضًا أن اليومين المذكورين هما السبت والأحد. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة هود. وكذلك شأن الثلاثاء والأربعاء فيما سيذكر من تفسير الآية التالية، والخميس والجمعة فيما سيرد من تفسير الآية ١٢. فتكون الأيام الستة من السبت إلى الخميس، لامن الأحد إلى الجمعة. وتجعل: تظن. والأنداد: جمع ند. وذلك أي: الخالق. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وجعل: قضى أن يكون ذلك. والرواسي: جمع الراسي. وبارك: جعل الخيرات كثيرة. والأقوات: جمع قوت. وهو ما يحتاج إليه المخلوق. (٤) قصد أي: وقضى بإرادته الخلقَ. وهذا تأويل للمعنى، والأولى أن يقال في تفسير «استوى»: استواء يليق بجلاله وعظمته، من دون تمثيل أو تعطيل. والسماء: مايحيط بالأرض من الأجرام العُلوية. والطوع: الانقياد برضا. والكره: الانقياد بالقهر. وأتينا: انظر=

الجزء الرابع والعشرون سورة فصلت

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

منها في آخر ساعة منه، وفيها خلقَ آدم - ولذلك لم يقل هنا «سواء». ووافق ما هنا آياتِ خلق السماوات والأرض في ستّة أيام - ﴿**وأوحَى في كُلِّ سَماءٍ أمرَها**﴾ الذي أمر به مَن فيها مِن الطاعة والعبادة، ﴿**وزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابِيحَ**﴾: بنجوم، ﴿**وحِفظًا**﴾: منصوبٌ بفعله المقدَّر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السمعَ بالشُّهب. ﴿**ذٰلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ**﴾ في مُلكه، ﴿**العَلِيمِ**﴾ ١٢ بخلقه.

١- ﴿**فإن أعرَضُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة عن الإيمان، بعد هذا البيان، ﴿**فقُلْ: أنذَرتُكُم**﴾: خوَّفتكم ﴿**صاعِقةً مِثلَ صاعِقةِ عادٍ وثَمُودَ**﴾ ١٣ أي: عذابًا يُهلككم مِثل الذي أهلكهم، ﴿**إذ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَينِ أيدِيهِم، ومِن خَلفِهِم**﴾ أي: مُقبلين عليهم ومُدبرين عنهم، فكفروا كما سيأتي - والإهلاكُ في زمنه فقط - ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**لا تَعبُدُوا إلّا اللهَ. قالُوا: لَو شاءَ رَبُّنا لَأنزَلَ مَلائكةً. فإنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ**﴾ على زعمكم ﴿**كافِرُونَ**﴾ ١٤.

٢- ﴿**فأمّا عادٌ فاستَكبَرُوا في الأرضِ، بِغَيرِ الحَقِّ، وقالُوا**﴾ لمّا خوِّفوا بالعذاب: ﴿**مَن أشَدُّ مِنّا قُوّةً**﴾؟ أي: لا أحدَ. كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء. ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا ﴿**أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُم هُوَ أشَدُّ مِنهُم قُوّةً؟ وكانُوا بِآياتِنا**﴾ المُعجزات ﴿**يَجحَدُونَ**﴾ ١٥، ﴿**فأرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا**﴾: باردة شديدة الصوت بلا مطر، ﴿**في أيّامٍ نَحِساتٍ**﴾، بكسر الحاء وسكونها: مشؤوماتٍ عليهم، ﴿**لِنُذِيقَهُم عَذابَ الخِزْيِ**﴾: الذلّ ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا - ولَعَذابُ الآخِرةِ أخزَى**﴾: أشدُّ، ﴿**وهُم لا يُنصَرُونَ**﴾ ١٦ بمنعه عنهم - ﴿**وأمّا ثَمُودُ فهَدَيناهُم**﴾: بيَّنّا لهم طريقَ الهُدى، ﴿**فاستَحَبُّوا العَمَى**﴾: اختاروا الكُفر ﴿**علَى الهُدَى، فأخَذَتْهُم صاعِقةُ العَذابِ الهُونِ**﴾: المُهين ﴿**بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ١٧، ﴿**ونَجَّينا**﴾ منها ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا، وكانُوا يَتَّقُونَ**﴾ ١٨ اللهَ.

٣- ﴿**و**﴾ اذكر ﴿**يَومَ يُحشَرُ**﴾ - بالياء، والنونِ المفتوحة وضمِّ الشين وفتحِ الهمزة - ﴿**أعداءُ اللهِ إلَى النّارِ، فهُم يُوزَعُونَ**﴾ ١٩: يُساقون. ﴿**حَتَّى إذا ما**﴾: زائدةٌ ﴿**جاؤُوها شَهِدَ عَلَيهِم سَمعُهُم وأبصارُهُم وجُلُودُهُم، بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٢٠، ﴿**وقالُوا لِجُلُودِهِم: لِمَ شَهِدتُم علَينا؟ قالُوا: أنطَقَنا اللهُ الَّذِي أنطَقَ كُلَّ شَيءٍ**﴾ أي: أراد نُطقَه.

=«المفصل». والخميس والجمعة صوابهما: الأربعاء والخميس. ثم كان خلق آدم يوم جمعة، لا الذي يلي خلق السماوات، بل بعده بألوف القرون. وما هنا أي: عدد الأيام في الآيات ٩-١٢. فهي ستة أيام توافق ما جاء في بعض الآيات. وأوحى: خلق. والأمر: الشأن اللازم. وزينها: جمّلها. والدنيا: الأقرب إلى الأرض. والمصابيح: جمع مصباح. وهو ما يضيء وينير. والحفظ: الوقاية. وذلك: ماذكر في الآيات ٩-١٢ من الخلق والتكوين. والتقدير: الإبداع المتقن بلا زيادة أو نقصان. والعزيز: الغلاب لكل أمر لايعجزه شيء. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده.

(١) أعرضوا: امتنعوا. والصاعقة: الصوت العنيف يزلزل الأرض، مع نار تسقط من السماء تحرق. وعاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. وكان هذان النبيان من العرب العاربة بين نوح وإبراهيم. وجاءتهم: وصلت إليهم وبلّغتهم. والرسل: جمع رسول. وبين أيديهم أي: أمامهم. والأيدي: جمع يد. وإيراد الأمام والخلف يعني شمول جميع الجهات أيضًا. وكما سيأتي يعني: في الآيات ١٥-١٨. وفي زمنه أي: أن إهلاك كفار قريش يكون في حياة النبي ﷺ. وتعبد: تقدس وتطيع. وشاء ربنا أي: أراد إرسال مبلّغ. خ: «لو شاء الله». وأنزل: بعث وكلف. والملائكة: جمع ملَك. وأُرسلتم به: كلفتم بالدعوة إليه. وكافرون به: منكرون لإرسالكم وجاحدون.

(٢) استكبر: طلب التعاظم عن الإيمان. والحق: الاستحقاق استحقاقهم. وأشد: أعظم. والقوة: القدرة. وخلقهم: أنشأهم على هذه القوة الظاهرة. ويجحد: يكفر. وأرسل: أطلق. والريح: الهواء العنيف. والأيام: جمع يوم. وبسكونها يريد القراءة «نَحْساتٍ». ونذيقه: ننزل به. والآخرة: البعيدة بعد الموت. وأشد: لما فيها من الذل والهوان. وينصر: يدفع عنه ما يضره. والعمى: فقد البصيرة. والهدى: الرشاد إلى الحق. وأخذتْ: عاقبت. ويكسبون: يعملونه من الكفر والتكذيب. ونجيناه: أنقذناه. وآمن: صدّق الله ورسوله. ويتقيه: يتجنب غضبه بطاعة الأمر والنهي.

(٣) بالنون يريد القراءة «نَحشُرُ». والفاعل ضمير العظمة. وفتح الهمزة أي: همزة آخر الاسم التالي. يريد القراءة «أعداءَ». والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي، أي: الكافر من الأمم كلها. وإلى النار أي: لأجل دخول جهنم بعد الحساب. وزائدة أي: لتوكيد ارتباط الجواب بالشرط، أي: تحقيق وقوع الشهادة حين السوق إلى النار. وجاؤوها: قربوا منها ليدخلوها. وشهد: أقر واعترف بما يعلمه. والأبصار: جمع بصر. والجلود: جمع جلد. وهو غشاء الجسم، يراد به هنا أعضاء الإنسان كلها. ويعملون: يكتسبونه من المعاصي. ولم شهدتم أي: ما الذي حملكم على هذه الشهادة؟ وقالوا: تكلموا وأجابوا جهارًا. وعُبِّرَ بجمع العقلاء لِما كان من الشهادة والكلام، وهما من صفات العقلاء. وأنطقنا: خلق فينا القدرة على الكلام. والشيء: ماهو موجود أو محتمل الوجود. وأراد نطقه: يعني أن «كل شيءٍ» مقيدٌ هنا بإرادة الله له النطقَ، وليس مطلقًا. ف «شيء»: موصوف بصفة محذوفة يدل عليها السياق.

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن
يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ
كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

١- ﴿**وهوَ خلقكُم أوَّلَ مرَّةٍ، وإليهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٢١ - قيل: هو من كلام الجلود. وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده. وموقعه تقريبُ ما قبله، بأنّ القادرَ على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادرٌ على إنطاق جُلودكم وأعضائكم - ﴿**وما كُنتم تَستتِرُونَ**﴾، عند ارتكابكم الفواحش، من ﴿**أن يَشهَدَ عليكُم سَمعُكُم ولا أبصارُكم ولا جُلودُكُم**﴾، لأنكم لم توقنوا بالبعث، ﴿**ولكِن ظَنَنتُم**﴾ عند استتاركم ﴿**أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ كَثيرًا مِمّا تعمَلُونَ ٢٢، وذٰلِكُم**﴾: مبتدأ ﴿**ظَنُّكُمُ**﴾: بدل منه: ﴿**الَّذي ظَنَنتُم بِربِّكُم**﴾: نعت البدلِ، والخبرُ: ﴿**أرداكُم**﴾ أي: أهلككم، ﴿**فأصبَحتُم مِنَ الخاسِرينَ ٢٣. فإن يَصبِرُوا**﴾ على العذاب ﴿**فالنّارُ مَثوًى**﴾: منزل ﴿**لَهُم، وإن يَستَعتِبُوا**﴾: يطلبوا العُتبى أي: الرضا ﴿**فما هُم مِنَ المُعتَبِينَ**﴾ ٢٤: المَرضِيِّينَ.

٢- ﴿**وقَيَّضنا**﴾: سبّبنا ﴿**لَهُم قُرَناءَ**﴾ من الشياطين، ﴿**فزَيَّنُوا لَهُم ما بَينَ أيدِيهِم**﴾ من أمر الدنيا واتّباع الشهوات، ﴿**وما خَلفَهُم**﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعثَ ولا حِساب، ﴿**وحَقَّ علَيهِمِ القَولُ**﴾ بالعذاب - وهو «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآية - ﴿**في**﴾ جملة ﴿**أُمَمٍ قَد خَلَتْ**﴾: هلكت ﴿**مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ - إنَّهُم كانُوا خاسِرينَ ٢٥ - وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾، عِند قِراءة النبيّ ﷺ: ﴿**لا تَسمَعُوا لِهٰذا القُرآنِ، والغَوا فِيهِ**﴾: ائتوا باللّغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته، ﴿**لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ**﴾ ٢٦ فيسكت عن القِراءة.

٣- قال تعالى فيهم: ﴿**فلَنُذِيقَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا عَذابًا شَدِيدًا، ولَنَجزِيَنَّهُم أسوَأَ الَّذي كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ٢٧ أي: أقبحَ جزاءِ عملهم. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿**جَزاءُ أعداءِ اللهِ**﴾ - بتحقيقِ الهمزة الثانية وإبدالِها واوًا - ﴿**النّارُ**﴾: عطفُ بيان لِـ«جزاء» المُخبرِ به عن «ذلك»، ﴿**لَهُم فِيها دارُ الخُلدِ**﴾ أي: إقامةٍ لا انتقال منها، ﴿**جَزاءً**﴾: منصوبٌ على المصدر بفعله المُقدّر، ﴿**بِما كانُوا بِآياتِنا**﴾: القرآن ﴿**يَجحَدُونَ ٢٨. وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ في النار: ﴿**رَبَّنا، أرِنا اللَّذَينِ أضَلّانا مِنَ الجِنِّ والإنسِ**﴾ أي: إبليسَ وقابيلَ، سَنّا الكُفر والقتل، ﴿**نَجعَلهُما تَحتَ أقدامِنا**﴾ في النار، ﴿**لِيَكُونا مِنَ الأسفَلِينَ**﴾ ٢٩ أي: أشدَّ عذابًا منّا.

---

(١) اختصم ثلاثة مشركين بجانب الكعبة، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ قال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع لم يسمع. وقال الثالث: إن سمع منه شيئًا سمعه كله. فنزلت الآيتان ٢٢ و٢٣. الأحاديث ٤٥٣٨-٤٥٤٠ و٧٠٨٣ في البخاري و٢٧٧٥ في مسلم. وخلق: أوجد. وأول مرة أي: في الحياة الدنيا. وإليه أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. وترجعون: تردون بالبعث. وتقريب ما قبله يعني: أنه يقرّب ما قبله إلى العقول. وتستترون: تستخفون من أنفسكم. وظننتم: اعتقدتم. ويعلمه: يحيط به ويحفظه. وتعمل: تكتسب من النية والقول والفعل. وأصبح: صار. والخاسر: الذي ضيع ما لديه وما يتوقع. ويصبر: يتجلد ويتحمل. والمرضيُّون: الذين قُبلتْ توبتهم ورُضيَ عنهم. وفي الأصل: «المَرضيّن». ولعل الصواب: «المُرضَين» أي: المجابين إلى ما يرضيهم ويلبي رغباتهم.

(٢) سببنا أي: قدّرنا وهيأنا. والقرناء: جمع قرين. وهو النظير يقارن ويلازم. وزينه: جمّله وأغرى به. وبين أيديهم أي: أمامهم. والأيدى: جمع يد. وحق: وجب وثبَتَ. والقول: ماقيل، أي: الحكم والقضاء. والآية هي ذات الأرقام ١١٩ من سورة هود و١٣ من سورة السجدة و٨٥ من سورة ص. والجملة: الجماعة. والأمم: جمع أمة. وهلكت: استؤصلت فيما مضى. والجن: واحده جنّيّ. وهو المخلوق من النار. والإنس: البشر واحده إنسيّ. وكانوا أي: وسيبقون. وخاسرين: أشقياء أضاعوا ما لديهم وما يتوقعون من المتع والزينة. وكفروا: كذّبوا الله ورسوله. ولاتسمع: لاتنصت ولاتنتبه. والقرآن: المقروء. ولعلكم: ليكون لكم الترجي والتوقع. وتغلبون: تتغلبون على مقصَده وتميتون ذكره. ويسكت أي: ولا يفهم السامعون ما يريد فلايستجيبون له.

(٣) نذيقهم: ننزل بهم ونخصهم. والشديد: العنيف لامثيل له. ونجزيهم: نعاقبهم. ويعملون: يكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. والجزاء: المكافأة. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي يحارب الإسلام والمسلمين. والهمزة الثانية يعني الهمزة الأولى من «أعداءِ». وبإبدالها يريد القراءة «جَزاءُ وَعْداءِ». والنار أي: عذابها. وعطف بيان لجزاء أي: مذكور بعد ما هو عامّ لبيان جنسه وتوضيح المقصود به مع التوكيد. والدار: مكان النزول للاستقرار. وعلى المصدر أي: مفعول مطلق. وبفعل مقدر يعني: يُجزَون. والأَولى أن يكون المقدر: مَجزِيِّينَ. وأصح منهما أن جزاء: مفعول مطلق للمصدر «جزاءُ»، فيه معنى التوكيد وبيان النوع. ويجحدون: يكفرون. وربنا: ياربنا. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وأرنا: بصّرنا عِيانًا. والمراد: أحضر لنا لنرى. وأضلنا: سبب لنا الخروجَ عن الحق واتباعَ الباطل. وإبليس: رمز المَوَسوِسين بالكفر والشر. وقابيل: ابن آدم، قتل أخاه هابيل. فهو رمز المجرمين الداعين إلى القتل والعصيان. ونجعلهما: نضعهما. والأقدام: جمع قدم. وهي ما يطأ الإنسان به الأرض وغيرها. ويكون: يصير. والأسفل: الأكثر انخفاضًا وذلة. وعذابًا أي: وإهانة وتحقيرًا.

الجزءُ الرابع والعشرون سُورَةُ فُصِّلَت

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ
وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢
وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ
ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ
وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ
إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨

١- ﴿إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ، ثُمَّ استَقامُوا﴾ على التوحيد، وغيره ممّا وجب عليهم، ﴿تتنَزَّلُ عليهِم المَلائكةُ﴾ عِند الموت ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَخافُوا﴾ من الموت وما بعده، ﴿ولا تَحزَنُوا﴾ على ما خلّفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيهم، ﴿وأبشِرُوا بِالجَنّةِ الَّتي كُنتُم تُوعَدُونَ ٣٠. نَحنُ أَولِياؤُكُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: نحفظكم فيها، ﴿وفي الآخِرةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتّى تدخلوا الجنّة، ﴿ولَكُم فِيها ما تَشتَهِي أنفُسُكُم، ولَكُم فِيها ما تَدَّعُونَ﴾ ٣١: تطلبون، ﴿نُزُلًا﴾: رِزقًا مُهيّأً، منصوبٌ بـ «جُعِلَ» مُقدّرًا، ﴿مِن غَفُورٍ رَحِيم﴾ ٣٢ أي: اللهِ.

٢- ﴿ومَن أحسَنُ﴾ أي: لا أحدَ أحسن ﴿قَولًا مِمَّن دَعا إلَى اللهِ﴾ بالتوحيد، ﴿وعَمِلَ صالِحًا، وقالَ: إنَّني مِنَ المُسلِمينَ٣٣؟ ولا تَستَوِي الحَسَنةُ ولا السَّيِّئةُ﴾ في جزئيّاتهما، لأنّ بعضها فوق بعض. ﴿ادفَعْ﴾ أي: السيّئةَ ﴿بِالَّتي﴾ أي: بالخَصلة التي ﴿هِيَ أحسَنُ﴾، كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو، ﴿فإذا الَّذِي بَينَكَ وبَينَهُ عَداوةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ٣٤ أي: فيصير عدوُّك كالصديق القريب، في محبّته، إذا فعلتَ ذلك. فالذي: مُبتدأ، وكأنّه: الخبر، وإذا: ظرف لمعنى التشبيه.

٣- ﴿وما يُلَقّاها﴾ أي: يُؤتَى الخَصلةَ التي هي أحسنُ ﴿إلّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وما يُلَقّاها إلّا ذُو حَظٍّ﴾: ثوابٍ ﴿عَظِيم٣٥. وإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة - ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يصرفْك عن الخَصلة وغيرها من الخير صارفٌ ﴿فاستَعِذْ بِاللهِ﴾: جوابُ الشرط، وجوابُ الأمر محذوف، أي: يدفعْه عنك. ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول، ﴿العَلِيمُ﴾ ٣٦ بالفِعل.

٤- ﴿ومِن آياتِهِ اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمَرُ - لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا لِلقَمَرِ، واسجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآياتِ الأربعَ، ﴿إن كُنتُم إيّاهُ

---

(١) روي أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، لأنه آمن بالتوحيد والنبوة، وقال: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله. الواحدي ص ٣٩٤. وربنا الله أي: لارب ولا معبود لنا إلّا الله.. واستقام: دام واستمر. وتتنزل عليهم أي: تبشرهم وتطمئنهم. والملائكة: جمع ملَك. و«عند الموت» الراجح أن المراد: في كل حين من الحياة الدنيا وفي البرزخ والآخرة. انظر تفسير الآلوسي ٢٤:١٨٦-١٨٧. وتخاف: تغتم لما يتوقع من المكروه. وتحزن: تغتم لفوات ما ذهب. وأبشر: افرح واسعد. والجنة: البستان العظيم. وتوعدون: يُتعهد لكم بها. والأولياء: جمع ولي. وهو القرين يتولى الحفظ والمعونة. والدنيا: الأقرب إلى الناس لأنهم يعيشون فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وتشتهي أي: ترغب فيه. والأنفس: جمع نفس. وهي الضمير. والنزل: ما يُحضَّر للضيف إكرامًا له. و«جُعل مقدرًا» مقتضب من الوجيز، حيث جاء فيه: «أي جَعل الله ذلك رزقًا لهم مهيّأ». فهو تفسير معنى، ظنه المحلي توجيهًا للإعراب. ونزلًا: حال موطئة عن «ما» و«ما» التي قبلها أيضًا. انظر «المفصل». ومنه أي: من عنده وبأمره في المراتب العالية المقربة. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة.

(٢) أحسن: أجمل. ولا أحد: يعني أن الاستفهام بـ «من» هو للنفي والاستبعاد. وقولًا أي: مايكون باللسان أو الإشارة أو التوجيه. ودعا: حث وحض. وإلى الله: إلى طريقه المستقيم. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الله. والمسلم: من استسلم إلى الله في جميع شؤونه. وتستوي: تكون متساوية في القيمة والجزاء. والحسنة: السجية النافعة. والسيئة: المعاملة الضارة. وفوق بعض أي: في القيمة والفائدة أو الضرر. فالمراد: لايساوي بعضُ الحسنات بعضَها، ولابعضُ السيئات بعضَها أيضًا. فكيف تساوي السيئة الحسنة؟ محال ذلك. وادفع: قابل وعامل. وأحسن أي: ما أمكنها أن تكون أفضل من غيرها بين المعاملات. وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان، كان عدوًا للمسلمين، فلانَ لهم بمصاهرة النبي ﷺ له، ثم أسلم بعد ذلك فصار وليًا حميمًا. تفسير البغوي ٤:١١٥. و«ظرف» هذا على جعل «إذا» الفجائية اسمًا. والراجح أنها حرف جواب وجزاء يفيد المفاجأة والحال، أي: فاجأ الإحسانَ صيرورةُ العدو كالصديق.

(٣) يلقى: يعطى ويمنح. والتي هي أحسن: يعني أن الضميرالمتصل في «يلقاها» يعود على مقابلة الإساءة بالإحسان. هذا قول جمهور المفسرين. وقيل: الضمير مراد به التوحيد أو الجنة. والراجح أنه يعود على أمرين: التي هي أحسن، وصيرورة العدو وليًا حميمًا. إذ ليس الإحسان بمصلح نفسَ العدو، إلّا إذا كان فيه استعداد لذلك، أي: هو من الذين صبروا وذو حظ عظيم أيضًا. وصبر: تجلد وتحمل، أي: كان من شأنه الصبر والموادعة. والحظ: النصيب من الخلق الكريم. والعظيم: الكبير لامثيل له. والزائدة أي: لتوكيد ارتباط الجواب بالشرط. والشيطان: من يغري بالشر من الجن أو الإنس. فما كان من الجن هو خاص بالمسلمين، وما كان من الإنس يكون لهم أيضًا وللنبي ﷺ، إذ سلطان الجن عليه محال. ويصرفك: يدفعك بالوسوسة أو الغيبة والنميمة. واستعذ: استعن وتحصّن من شر الشيطان. والسميع: المدرك للمسموعات مهما كانت خفية. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء.

(٤) الآيات: الأدلة على الألوهية والوحدانية. وتسجد: تحني ظهرك وركبتيك لتضع جبهتك على الأرض. وخلق: أوجد من العدم. وتعبد: تقدس وتوحد. واستكبروا: تعاظموا وامتنعوا. وعند ربك: في المنزلة المقربة الرفيعة. ولا يملون أي: من العبادة والطاعة. وترى: تبصر عِيانًا. والخاشعة: المتطامنة الهامدة. وأنزل: أسقط. وانتفخت أي: أنها ترتفع قبل تصدعها لظهور النبات. يعني أنك تراها أيضًا مهتزة منتفخة. وأحياها: خلق فيها الحياة. والموتى: جمع ميت. وهو من فارقت روحه جسده. والشيء: ما هو موجود أو محتمل الوجود. والقدير: البالغ القدرة على ما يشاء.

سورة فصلت — الجزء الرابع والعشرون

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

تَعبُدُونَ ٣٧. **فإنِ استَكبَرُوا**﴾، عن السُّجود لله وحده، ﴿**فالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ**﴾ أي: فالملائكةُ ﴿**يُسَبِّحُونَ**﴾: يُصلّون ﴿**لَهُ باللَّيلِ والنَّهارِ، وهُم لا يَسأمُونَ**﴾ ٣٨: لا يَملّون - ﴿**ومِن آياتِهِ أنَّكَ تَرَى الأرضَ خاشِعةً**﴾: يابسة لا نبات فيها، ﴿**فإذا أنزَلْنا علَيها الماءَ اهتَزَّتْ**﴾: تحرّكتْ ﴿**ورَبَتْ**﴾: انتفختْ وعلت. ﴿**إنَّ الَّذي أحياها لَمُحيِي الموتَى. إنَّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ ٣٩.

١- ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ**﴾ - من: ألحدَ ولَحَدَ - ﴿**في آياتِنا**﴾: القُرآنِ بالتكذيب ﴿**لا يَخفَونَ علَينا**﴾، فنُجازيهم. ﴿**أفمَن يُلقَى في النّارِ خَيرٌ أم مَن يأتي آمِنًا يومَ القِيامةِ؟ اعمَلُوا ما شِئتُم. إنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٤٠. تهديد لهم. ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكرِ**﴾: القُرآنِ ﴿**لَمّا جاءَهُم**﴾ نُجازيهم، ﴿**وإنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ**﴾ ٤١: منيع، ﴿**لا يأتِيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ، ولا مِن خَلفِهِ**﴾ أي: ليس قبله كتاب يُكذّبه ولا بعده، ﴿**تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ ٤٢ أي: اللهِ المحمود في أمره، ﴿**ما يُقالُ لَكَ**﴾ من التكذيب ﴿**إلّا**﴾ مِثلُ ﴿**ما قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبلِكَ. إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرةٍ**﴾ للمؤمنين، ﴿**وذُو عِقابٍ ألِيمٍ**﴾ ٤٣ للكافرين.

٢- ﴿**ولَو جَعَلْناهُ**﴾ أي: الذِّكرَ ﴿**قُرآنًا أعجَمِيًّا لَقالُوا: لَولا**﴾: هلّا ﴿**فُصِّلَتْ**﴾: بُيّنتْ ﴿**آياتُهُ**﴾ حتّى نفهمها. ﴿**أ**﴾ قُرآنٌ ﴿**أعْجَمِيٌّ و**﴾ نبيٌّ ﴿**عَرَبِيٌّ**﴾؟ استفهام إنكار منهم، بتحقيقِ الهمزة الثانية وقلبها ألفًا بإشباع ودُونه. ﴿**قُلْ: هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**وشِفاءٌ**﴾ من الجهل، ﴿**والَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ في آذانِهِم وَقرٌ**﴾: ثِقل فلا يسمعونه، ﴿**وهُوَ علَيهِم عَمًى**﴾ فلا يفهمونه. ﴿**أُولٰئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ ٤٤ أي: هم كالمُنادَى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به.

٣- ﴿**ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**فاختُلِفَ فِيهِ**﴾ بالتصديق والتكذيب كالقُرآن. ﴿**ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ**﴾، بتأخير الحِساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة، ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه. ﴿**وإنَّهُم**﴾ أي: المُكذّبين به ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنهُ مُرِيبٍ**﴾ ٤٥: مُوقع في الريبة. ﴿**مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفسِهِ**﴾ عَمِلَ، ﴿**ومَن أساءَ فعلَيها**﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه، ﴿**وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ**﴾ ٤٦ أي: بذي ظُلم، لقوله تعالى: «إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرّةٍ».

---

(١) يلحد: يميل عن الحق بالجدال. و«لحد» يريد القراءة «يَلحَدُونَ». ويخفى: يستتر. ويُلقى: يرمى. وخير: أحسن حالًا. ويأتي: يحضر بنفسه. والآمن: المطمئن لِما هو عليه من الإيمان والصلاح. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. واعمل: افعل بالقلب أو اللسان أو الأعضاء. وشئتم: أردتم عمله. والبصير: المدرك للأحداث، مهما كانت خفية. وكفر به: كذّبه. وجاءهم: وصل إليهم وبلَغوه. و«نجازيهم» يعني أن هذه الجملة خبر: إنّ. والأولى أن الخبر جملة: ما يقال لك. ويأتيه: يصل إليه ويناله. والباطل: ما يبطل وكان بين الناس خطأ أو اختلالًا. وبين يديه: بعده. وخلفه: قبله. انظر الآية ١٤. والمراد أن كل مافيه هو حق وصدق، ليس فيه ما لا يطابق الواقع. فلايتطرق إليه اعتراض أبدًا. والكافر: المصرّ على الكفر أو العصيان.

(٢) كان النبي ﷺ يلقى يسارًا اليهودي الأعجمي - وهو مولى لأحد المشركين - ليدعوه ويعظه، فقال المشركون: «إنما يعلمه يسار»، أي: يعلم النبيَّ آياتِ القرآن الكريم. فكان أن ضربه سيده قائلًا له: «إنك تعلم محمدًا». فقال يسار: «هو يعلمني». وروي أن بعض المشركين قالوا «هلّا أُنزل القرآن بلغة العجم»، وآخرين قالوا: «لولا أُنزل أعجميًا وعربيًا»، أي: بعضه بلغة العجم والآخر بلغة العرب. فنزلت هذه الآية تنكر ما هم عليه. الدر المنثور ٥: ٣٦٧. وجعل: صيّر. والأعجمي: المنسوب إلى الأعجم، لتوكيد المبالغة في الوصف بالغموض والإبهام. وفصلت أي: تُفصَّل وتبيَّن. والآيات: النصوص التي تتميز بالفواصل المعروفة. والعربي: المنسوب إلى العرب لتوكيد المبالغة في الفصاحة والبيان. وبتحقيق... ودونه يريد ثلاث قراءات: التي أثبتنا، و«آعجَمِيٌّ» بإشباع المد، والثالثة كالثانية لكن المد فيها بدون إشباع. انظر النشر ١: ٣١٥-٣١٨ و٣٢٣-٣٢٦. وآمن: صدّق الله ورسوله. والهدى: الهادي يرشد إلى الحق والخير. والشفاء: الشافي لما في النفوس والعقول. والآذان: جمع أذن. وهو أي: القرآن. والعمى: العَمِي، المُشكِل المستغلق. وينادون: يخاطبون. والبعيد: المغرق في البعد.

(٣) في الآية تسلية ببيان أن الاختلاف في الكتب الإلٰهية عادة مألوفة منذ القدم. وآتى: أعطى وكلف بالدعوة والعمل. واختلف: كان خصام بين قوم موسى ومن بعدهم. وفيه: في شأنه والحكم عليه. والكلمة: القضاء المحكم. وسبقت: وقعت فيما مضى من الأزل وكانت في اللوح المحفوظ. ومن ربك: من عنده وبأمره. وقضي بينهم: فصل بين قومك، بتعجيل العذاب على الكافرين إهلاكًا واستئصالًا. وفيه أي: من شأن القرآن. والشك: التردد والحيرة. ومنه أي: من القرآن. انظر الآية ١١٠ من سورة هود. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الله. ولنفسه أي: لأجل شخصه. وأساء: أفسد العمل وقبحه. والعبيد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وبذي ظلم: يعني أن «ظلّام» صيغة نسب إلى الظلم لامبالغة اسم الفاعل، تفيد معنى المبالغة أيضًا. والظلم: مجاوزة الحق بنقص الحسنات أو زيادة السيئات. ونفي المبالغة هو مبالغة في النفي للظلم أصلًا، وتثبيت مؤكد للعدل المطلق. ولقوله أي: بدليل قوله تعالى. يعني الآية ٤٠ من سورة النساء. وأقحم ناشر المنحة في آخر هذه الآية ما ليس في الأصل والنسخ.

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

١ - **﴿إِلَيهِ يُرَدُّ عِلمُ السّاعةِ﴾**: متى تكون؟ لا يعلمه غيره، **﴿وما تَخرُجُ مِن ثَمَرةٍ﴾** - وفي قراءة: «ثَمَراتٍ» - **﴿مِن أكمامِها﴾**: أوعيتها جمع كِمّ بكسر الكاف، إلّا بعِلمه، **﴿وما تَحمِلُ مِن أُنثى ولا تَضَعُ إلّا بِعِلمِهِ. ويَومَ يُنادِيهِم: أينَ شُرَكائي؟ قالُوا: آذَنّاكَ﴾**: أعلمناك الآن **﴿ما مِنّا مِن شَهِيدٍ﴾** ٤٧ أي: شاهدٍ بأنّ لك شريكًا. **﴿وضَلَّ﴾**: غاب **﴿عَنهُم ما كانُوا يَدعُونَ﴾**: يعبدون، **﴿مِن قَبلُ﴾** في الدنيا من الأصنام، **﴿وظَنُّوا﴾**: أيقنوا **﴿ما لَهُم مِن مَحِيصٍ﴾** ٤٨: مهرب من العذاب. والنفي في الموضعين مُعلّق عن العمل، وجملة النفي سدّت مسدّ المفعولين.

٢- **﴿لا يَسأَمُ الإنسانُ مِن دُعاءِ الخَيرِ﴾** أي: لا يزال يسأل ربَّه المالَ والصحّة وغيرهما، **﴿وإن مَسَّهُ الشَّرُّ﴾**: الفقر والشِّدّة **﴿فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾** ٤٩ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين، **﴿ولَئِنْ﴾** - لامُ قسم - **﴿أذَقْناهُ﴾**: آتيناه **﴿رَحمةً﴾**: غنًى وصحّة **﴿مِنّا، مِن بَعدِ ضَرّاءَ﴾**: شِدّة وبلاء **﴿مَسَّتهُ، لَيَقُولَنَّ: هٰذا لِي﴾** أي: بعملي، **﴿وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ﴾** - لامُ قسم - **﴿رُجِعتُ إلَى رَبِّي، إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنَى﴾** أي: الجنّة - **﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا، ولَنُذِيقَنَّهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ﴾** ٥٠: شديد. واللام في الفعلين لام قسم - **﴿وإذا أنعَمْنا علَى الإنسانِ﴾** الجِنسِ **﴿أعرَضَ﴾** عن الشُّكر، **﴿ونَأَى بِجانِبِهِ﴾**: ثنى عِطفه مُتبخترًا - وفي قراءة بتقديم الهمزة - **﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾** ٥١: كثير.

٣- **﴿قُلْ: أرَأَيتُم، إن كانَ﴾** أي: القُرآنُ **﴿مِن عِندِ اللهِ﴾** كما قال النبيّ، **﴿ثُمَّ كَفَرتُم بِهِ؟ مَن﴾** أي: لا أحد **﴿أضَلُّ مِمَّن هُوَ في شِقاقٍ﴾**: خِلاف **﴿بَعِيدٍ﴾** ٥٢ عن الحقّ؟ أُوقِعَ هذا مَوقعَ «منكم» بيانًا لحالهم. **﴿سَنُرِيهِم آياتِنا، في الآفاقِ﴾**: أقطار السماوات والأرض من النيّرات والنبات والأشجار، **﴿وفي أنفُسِهِم﴾** من لطيف الصنعة وبديع الحِكمة، **﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُ﴾** أي: القُرآنَ **﴿الحَقُّ﴾**: المُنزَل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كُفرهم به وبالجائي به.

٤- **﴿أوَلَم يَكفِ بِرَبِّكَ﴾**: فاعلُ «يكف»، **﴿أنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾** ٥٣؟ بدلٌ منه. أي: أوَلم يكفِهم في صِدقك أنّ ربّك لا يغيب عنه شيء ما؟ **﴿ألا إنَّهُم في مِريةٍ﴾**: شكّ **﴿مِن لِقاءِ رَبِّهِم﴾**، لإنكارهم البعثَ. **﴿ألا إنَّهُ﴾** - تعالى - **﴿بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ﴾** ٥٤ علمًا وقُدرة، فيُجازيهم بكُفرهم.

(١) روي أن المشركين قالوا: يامحمد، إن كنت نبيًا فخبّرنا: متى قيامُ الساعة؟ فنزلت الآيتان ٤٧ و٤٨. فتح القدير ٤: ٧٣٠. ويُرد: يُصرف. والعلم: الإحاطة الحقة. والساعة: يوم القيامة. وتخرج: تظهر. والكِم: ما يحيط بالثمرة قبل ظهورها. وتحمل: تحوي من الأجنة. وتضع: تلد. ويناديهم: يسألهم على لسان ملائكة العذاب. والشركاء: جمع شريك، المخلوقات التي جُعلت شريكة في الألوهية. والأصنام أي: وغيرها من المعبودات. والنفي أي: «ما» بعد «آذن»، وبعد «ظن». ومعلق: مانع لفظًا لامحلًا.

(٢) يسأم: ينقطع رجاؤه. والإنسان: المشرك. والدعاء: الإلحاح في الطلب. والخير: ما يتغلب فيه النفع. ومسه: أصابه. والشر: ما يتغلب فيه الضرر. واليؤوس: من يشتد فيه قطع الأمل. والقنوط: من يكثر فيه اليأس والغم. ولام قسم: صوابه أن اللام موطئة لجواب قسم محذوف قبلها. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا: من عندنا. ولي أي: أستحقه بعملي وما لي من الفضل. وأظن: أعتقد يقينًا. وقائمة: حاصلة ستكون كما يزعم المؤمنون. ورجعت: بُعثت للحساب. والحسنى: الكبرى من النعم، لأن تنعمي في الدنيا يقتضي تفضيلي في الآخرة. وننبئ: نخبر. وعملوا: اكتسبوه بقلوبهم وألسنتهم وفعلهم. ونذيقه: ننزل به. ولام قسم أي: واقعة في جواب القسم. وهي في الأفعال الثلاثة: يقول وننبئ ونذيق، لا في الفعلين الأخيرين فحسب. وأنعم: تفضل بالمتاع والزينة. والجنس: جنس الإنسان. والمراد هو الكافر المذكورفي الآية ٥٠ وأمثاله، لأنه الغالب بين الناس. وأعرض: شُغل بالشرك واللذائذ. ونأى: انحرف وتباعد. وفي الأصل والنسخ: «نأى». والعِطف: أحد طرفَي الإنسان. والمراد الإنسان كله. وتقديم الهمزة يريد «نأى». والشر: الأذى. وذو أي: صاحب. والدعاء: الاستغاثة وطلب العون.

(٣) أرأيتم أي: أعلموني ما يتحقق لديكم. ومن عنده أي: من وحيه. وكفرتم به: أنكرتموه من غير دليل. وأضل: أكثر خروجًا عن الحق. و«هذا» يعني «ممن هو في شقاق بعيد». وبيانًا لحالهم أي: ضلالهم. ونريهم أي: بما يُكشَف لهم من أسرار في الكون والحياة، والأحداث العجيبة الخلق والتقدير. والآيات: الأدلة. والآفاق: جمع أُفُق. والأنفس: جمع نفس، أي: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويتبين: يتحقق بالبراهين. والحق: الثابت.

(٤) يكفي: يغني عن التعنت. والشهيد: العالم جملة وتفصيلًا. وبدل منه أي: أن المصدر المؤول بدل من «رب». والتقدير: أولم يكفهم مشاهدته كلَّ شيء؟ ولقاؤه: لقاء ما توعّدهم به من يوم القيامة. والمحيط: العالم بالغ العلم لايخفى عليه أمر، مهما بعد أو غاب. ويجازيهم أي: بما يقابل كفرهم ويكون جزاء له.

سُورَةُ الشُّورَىٰ — ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

سورة الشُّورى

مكية إلّا «قل لا أسألكم» الآياتِ الأربعَ، ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**حمٓ** ١، **عٓسٓقٓ**﴾ ٢ الله أعلم بمُراده به. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ ذلك الإيحاء ﴿**يُوحِي إِلَيكَ، وَ**﴾ أوحى ﴿**إِلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ، اللهُ**﴾: فاعل الإيحاء، ﴿**العَزِيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ٣ في صُنعه، ﴿**لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**وهوَ العَلِيُّ**﴾ على خلقه، ﴿**العَظِيمُ**﴾ ٤: الكبير.

٢- ﴿**تكادُ**﴾، بالتاء والياء، ﴿**السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ**﴾ - بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد - ﴿**مِن فَوقِهِنَّ**﴾ أي: تنشقّ كُلّ واحدة فوق التي تليها من عظمته - تعالى - ﴿**والمَلائكةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم**﴾ أي: مُلابسين للحمد، ﴿**ويَستَغفِرُونَ لِمَن في الأرضِ**﴾ من المؤمنين. ﴿**ألَا إنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ**﴾ لأوليائه، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ ٥ بهم، ﴿**والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**أولياءَ اللهُ حَفِيظٌ**﴾: مُحصٍ ﴿**عَلَيهِم**﴾ ليُجازيهم، ﴿**وما أنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ**﴾ ٦ تُحصِّلُ المطلوب منهم، ما عليك إلّا البلاغ.

٣- ﴿**وكذٰلِكَ**﴾: مِثلَ ذلك الإيحاء ﴿**أوحَينا إِلَيكَ قُرآنًا عَرَبِيًّا، لِتُنذِرَ**﴾: تُخوِّفَ ﴿**أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها**﴾ أي: أهلَ مكّة وسائر الناس، ﴿**وتُنذِرَ**﴾ الناس ﴿**يومَ الجمعِ**﴾ أي: يوم القيامة يُجمع فيه الخلق، ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكّ ﴿**فِيهِ، فَرِيقٌ**﴾ منهم ﴿**في الجَنَّةِ، وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ**﴾ ٧: النار. ﴿**ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أُمَّةً واحِدَةً**﴾ أي: على دِين واحد - وهو الإسلام - ﴿**ولٰكِن يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحمتِهِ، والظَّالِمُونَ**﴾: الكافرون ﴿**ما لَهُم مِن وَلِيٍّ، ولا نَصِيرٍ**﴾ ٨ يدفع عنهم العذاب.

٤- ﴿**أمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**أولياءَ**﴾؟ أم: مُنقطعة بمعنى: «بل» التي للانتقال، وهمزةِ الإنكار، أي: ليس المُتّخَذون أولياءَ. ﴿**فاللهُ هُوَ الوَلِيُّ**﴾ أي: الناصر للمؤمنين - والفاء لمجرّد العطف - ﴿**وهُوَ يُحيِي المَوتَى، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ** ٩**، وما اختَلَفتُم**﴾ مع الكُفّار ﴿**فِيهِ مِن شَيءٍ**﴾، من الدِّين وغيره، ﴿**فحُكمُهُ**﴾ مردود ﴿**إِلَى اللهِ**﴾ يوم القيامة، يفصل بينكم.

٥- قل لهم: ﴿**ذٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وإِلَيهِ أُنِيبُ**﴾ ١٠: أرجعُ، ﴿**فاطِرُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: مُبدعهما، ﴿**جَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم**

---

(١) أعلم بمراده به أي: أحرف مقطعة، هي سره المكنون في كتابه العزيز. وذلك الإيحاء: ما كان من آيات قرآنية أوحيت قبل هذه السورة. ويوحي: يبلّغ على لسان جبريل للتكليف بالعمل والدعوة، ويتكفل بالتبليغ والحفظ. والعزيز: الغلاب لايعجزه شيء ويذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والعلي: البالغ في علو الرتبة ودونه كل مخلوق. والعظيم: الذي لامثيل له في ذاته وصفاته، ولا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة.

(٢) تكاد: تقارب. وبالياء يريد القراءة «يَكادُ». وبالتاء يعني «يَتَفَطَّرْنَ». وهذه القراءة واردة مع «يكاد» فقط، والتي بالنون وردت مع قراءتَي «تكاد» و«يكاد». والملائكة: جمع ملَك. ويسبح: ينزه الله عما لايليق به. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. ويستغفر: يشفع بطلب محو الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. واتخذ: جعل. والأصنام أي: وما يُعبد من المخلوقات الأُخرى. ودونه أي: غير الله. والأولياء: جمع ولي. وهو المعبود يعتمد عليه. ومحص أي: يحصي الأعمال فلا يغيب عنه منها شيء. وما أنت عليهم بوكيل أي: لست بموكول إليك أمرهم في الهداية والطاعة. والبلاغ: التبليغ للرسالة والإنذار.

(٣) العربي: المنسوب إلى العرب. يعني أنه بلغتهم واضح بيّن لالبس فيه عليك أو عليهم. وتنذرهم: تهددهم بالعذاب لمن يصرّ على الكفر. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وأمها: أعظمها. واليوم: الوقت. والجمع أي: جمعهم. والخلق: الناس والجن. ولاشك فيه أي: في مجيئه كما قُدّر له. والفريق: القسم المتميز. والجنة: البستان العظيم. وشاء: أراد أن يجعل الناس أمة واحدة. والإسلام أي: أو الكفر. وجعل: صيّر. والأمة: الجماعة على دين واحد في العقيدة والشريعة. ويدخل: يقدّر الدخول ويقضيه. ويشاء: يريد أن يرحمه، لِما في نفسه من الصلاح والطاعة. والرحمة: العطف بالإحسان. وهو هنا الإسلام. والظالم: المجاوز للحق. والولي: من يتولى أمر غيره ويحميه وينفعه. والعذاب أي: في الدنيا والآخرة.

(٤) منقطعة أي: حرف استئناف. والانتقال أي: الإضراب للانتقال إلى مابعد من دون إبطال لما قبله. والإنكار: النفي والاستبعاد. والصواب أن الفاء المذكورة هي الفصيحة للاستئناف والسببية، أي: فعلوا بالإشراك ما يوبخون عليه، لأن الله هو الولي بحق. ويحيي: يخلق الحياة. والموتى: جمع ميت. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والقدير: البالغ القدرة على ما يريد. واختلفتم: تنازعتم. و«مع الكفار» صوابه «أنتم والكفار»، لأن أفعال المشاركة تقتضي العطف بالواو، ولا يكون بعدها «مع»، خلافًا للكسائي ومن وافقه. والحكم: الفصل والقضاء. ويفصل أي: بمكافأة المُحِقّين وعقاب المُبطِلين.

(٥) توكلت: اعتمدت في جميع شؤوني. وإليه: إلى أمره ونهيه ورضاه. وجعل: خلق. والأنفس: جمع نفس. والمراد: من جنسكم. والأزواج: جمع زوج. وهو الزوجة، ومراد به فيما بعد: الصنف له ما يقابله من ذكر وأنثى. و«ضلع آدم» هو تمثيل للعوج. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١ من سورة النساء.=

سورة الشورى

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

أزواجًا﴾، حيثُ خلق حوّاء من ضِلَع آدمَ، **﴿ومِنَ الأنعام أزواجًا﴾** ذُكورًا وإناثًا، **﴿يذرؤُكُم﴾**، بالمعجمة: يخلقكم **﴿فيهِ﴾**: في الجعل المذكور، أي: يُكثّركم بسببه بالتوالد - والضمير للأناسيّ والأنعام بالتغليب - **﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾**، الكاف: زائدة لأنه - تعالى - لا مِثلَ له، **﴿وهوَ السَّميعُ﴾** لما يقال **﴿البَصيرُ﴾** ١١ بما يُفعل، **﴿لَهُ مَقاليدُ السّماواتِ والأرضِ﴾** أي: مفاتيحُ خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما، **﴿يَبسُطُ الرِّزقَ﴾**: يُوسّعه **﴿لِمَن يَشاءُ﴾** امتحانًا **﴿ويَقدِرُ﴾**: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً. **﴿إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾** ١٢.

ربع الحزب ٤٩

١ - **﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾**، هو أوّل أنبياء الشريعة، **﴿والَّذي أوحَينا إلَيكَ، وما وَصَّينا بِهِ إبراهيمَ ومُوسَى وعِيسَى: أن أَقيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيهِ﴾**. هذا هو المشروع المُوصَّى به، والمُوحَى إلى مُحمّد ﷺ. وهو التوحيد. **﴿كَبُرَ على المُشرِكِينَ ما تَدعُوهُم إلَيهِ﴾** من التوحيد. **﴿اللهُ يَجتَبِي إلَيهِ﴾** إلى التوحيد **﴿مَن يَشاءُ، ويَهدِي إلَيهِ مَن يُنِيبُ﴾** ١٣: يُقبِل إلى طاعته.

٢- **﴿وما تَفَرَّقُوا﴾** أي: أهلُ الأديان في الدِّين، بأن وحّد بعض وكفر بعض، **﴿إلّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ﴾** بالتوحيد، **﴿بَغيًا﴾** من الكافرين **﴿بَينَهُم، ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَت مِن رَبِّكَ﴾**، بتأخير الجزاء **﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾**: يوم القيامة، **﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾** بتعذيب الكافرين في الدنيا، **﴿وإنَّ الَّذينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِن بَعدِهِم﴾** - وهم اليهود والنصارى - **﴿لَفي شَكٍّ مِنهُ﴾**: من مُحمّد ﷺ، **﴿مُريبٍ﴾** ١٤: مُوقع في الريبة.

٣- **﴿فلِذلِكَ﴾** التوحيد **﴿فادعُ﴾** - يا مُحمّدُ - الناسَ **﴿واستَقِمْ﴾** عليه **﴿كما أُمِرتَ، ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم﴾** في تركه، **﴿وقُلْ: آمَنتُ بِما أنزَلَ اللهُ مِن كِتابٍ، وأُمِرتُ لِأَعدِلَ﴾** أي: بأن أعدل **﴿بَينَكُم﴾** في الحُكم. **﴿اللهُ رَبُّنا ورَبُّكُم. لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم﴾** فكلٌّ يُجازَى بعمله. **﴿لا حُجَّةَ﴾**: خُصومةَ **﴿بَينَنا وبَينَكُم﴾**. هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد. **﴿اللهُ يَجمَعُ بَينَنا﴾** في المَعاد لفصل القضاء، **﴿وإلَيهِ المَصيرُ﴾** ١٥: المرجع. **﴿والَّذينَ يُحاجُّونَ﴾**: يجادلون **﴿في﴾** دِين **﴿اللهِ﴾** نبيَّه، **﴿مِن بَعدِ ما استُجِيبَ لَهُ﴾** بالإيمان لظهور مُعجزته - وهم اليهود - **﴿حُجَّتُهُم داحِضةٌ﴾**: باطلة **﴿عِندَ رَبِّهِم، وعلَيهِم غَضَبٌ ولَهُم عَذابٌ شَديدٌ﴾** ١٦.

=والأنعام: جمع نعم، الإبل والبقر والغنم. والمعجمة: المنقوطة، أي: الذال. والضمير أي: مفعول: يذرأ. وأراد بالتغليب أن الضمير جاء للعقلاء بسبب تغليب الأناسي على غيرهم. والمثل: المماثل في الذات أو الصفات أو الأفعال. وجعلُ الكاف حرف جر زائدًا معناه توكيد النفي، لئلا يُتوهم أن الله - عز وجل - له مثيل ولكن ليس لمثيله شبيه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث وقت وقوعها. والمقاليد: جمع مِقلاد. والرزق: ما يهيأ للمخلوق من حاجاته. ويشاء: يريد أن يبسط له. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة.

(١) شرع: بيَّن وفرض. والدين: العقيدة والعبادة والأخلاق والعمل، أي: التوحيد وما يلزمه من الطاعة. ووصاه: أمره وأوجب عليه. ونوح هو رابع نبي فيما نعلم. وأوحى: أنزل على لسان جبريل وتكفل بالحفظ والتبليغ. وأقيموه: حققوه وواظبوا عليه قويمًا تامًا. ولاتتفرقوا: لاتتوزعوا جماعات متنازعة. وهذا أي: تحقيق الدين والائتلاف عليه. والمشرك: من يقدس مع الله غيره ويطيعه. وتدعوه: تحثه وتحضه. ويجتبي: يصطفي ويختار. ويشاء: يريد أن يجتبيه. ويهديه: يصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الصالح واستعداده الطيب، ويرشده ويوفقه. وإليه: إلى التوحيد أيضًا.

(٢) تفرقوا: اختلفوا وابتعد بعضهم عن بعض. وجاءهم: وصل إليهم وبُلّغوا إياه. والعلم: المعرفة اليقينية وحيًا إلى الرسل. والبغي: الظلم والعدوان على الحق. والكلمة: الحكم والقضاء. وسبقت: وقعت فيما مضى منذ الأزل فوجب تحققها. ومن ربك أي: بحكمه وقضائه. والأجل: الزمن المؤخر لحدوث الشيء. والمسمى: المعيّن المحدّد. انظر الآية ٢٨٢ من سورة البقرة. وقضي: حُكم وفُصل. وأورثوه: كان لهم كالإرث يتملكه الخلف عن السلف. والكتاب: التوراة والإنجيل. والشك: التردد والزيغ. والريبة أي: قلق النفس واضطرابها. وفي الأصل: «موقع للريبة». ث وع: موقع الريبة.

(٣) ادعهم: حثهم وحضهم. واستقم: اثبت ودم في الاستقامة. وأمرت: فُرض عليك. ولاتتبع: لاتوافق. والأهواء: جمع هوى. وهو شهوة النفس وما تغري به من الشر. وآمنت به: صدّقته. وأنزل: أوحى. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسب بالقلب أو اللسان أو الفعل. والخصومة: الخصام والقتال. وهذا يعني أن عدم المحاجة نُسخ بآيات القتال في سورة المائدة. والظاهر أن المراد في الآية هو قطع المحاجّة بعد أن ظهر الحق بالبراهين، ولم يبق إلّا العناد والمكابرة. فلاحاجة لهذا القطع إلى النسخ. ويجمع بيننا: يحشرنا بالبعث. والمرجع يعني: يوم القيامة للحكم بيننا جميعًا وجزاء كل بما يستحق. وسقط «يجادلون» مما عدا الأصل وخ. واستجيب له أي: استجاب له الصحابة وآمنوا بنبوته. و«هم اليهود» أي: الذين يحاجون، قالوا: «كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم. فنحن خير منكم». فنزلت الآية في ذلك. وهذا يعني أن الآية مدنية، خلاف ما نص عليه المحلي في مستهل تفسير السورة، من أنها مكية عدا ما استثناه. فالصواب على حكمه بالمكية أن الآية نزلت في كفار قريش، كانوا يجادلون المؤمنين، ويطمعون أن يردوهم إلى الجاهلية، وربما استعانوا بأقوال اليهود أيضًا. انظر البحر ٧:٥١٣. والحجة: المجادلة والمحاجة. وعند ربهم أي: في حكمه. والغضب: السخط العنيف يكون عنه الانتقام. وشديد أي: قوي لامثيل له، في الآخرة.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١- ﴿**اللهُ الَّذي أنزَلَ الكِتابَ**﴾: القُرآن ﴿**بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أنزل»، ﴿**والمِيزانَ**﴾: العدل، ﴿**وما يُدريكَ**﴾: يُعلِمُك ﴿**لَعَلَّ السّاعَةَ**﴾ أي: إتيانَها ﴿**قَريبٌ**﴾ ١٧. ولعلّ: مُعلّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين. ﴿**يَستَعجِلُ بِها الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِها**﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظنًّا منهم أنها غير آتية، ﴿**والَّذينَ آمَنوا مُشفِقونَ**﴾: خائفون ﴿**مِنها، ويَعلَمونَ أنَّها الحَقُّ. ألا إنَّ الَّذينَ يُمارُونَ**﴾: يُجادلون ﴿**في السّاعةِ لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ**﴾ ١٨.

٢- ﴿**اللهُ لَطيفٌ بِعِبادِهِ**﴾ بَرِّهم وفاجرِهم، حيثُ لم يُهلكهم جوعًا بمعاصيهم، ﴿**يَرزُقُ مَن يَشاءُ**﴾ من كُلّ منهم ما يشاء، ﴿**وهُوَ القَوِيُّ**﴾ على مُراده، ﴿**العَزيزُ**﴾ ١٩: الغالب على أمره. ﴿**مَن كانَ يُريدُ**﴾ بعمله ﴿**حَرثَ الآخِرةِ**﴾ أي: كسبَها - وهو الثواب - ﴿**نَزِدْ لَهُ في حَرثِهِ**﴾ بالتضعيف فيه الحسنةَ إلى العشرِ وأكثرَ، ﴿**ومَن كانَ يُريدُ حَرثَ الدُّنيا نُؤتِهِ مِنها**﴾ بلا تضعيف ما قُسِم له، ﴿**وما لَهُ في الآخِرةِ مِن نَصيبٍ**﴾ ٢٠.

٣- ﴿**أم**﴾: بل ﴿**لَهُم**﴾: لكُفّار مكّة ﴿**شُرَكاءُ**﴾، هم شياطينهم، ﴿**شَرَعوا**﴾ أي: الشركاءُ ﴿**لَهُم**﴾: للكُفّار ﴿**مِنَ الدِّينِ**﴾ الفاسد ﴿**ما لَم يأذَنْ بِهِ اللهُ**﴾ كالشِّرك وإنكار البعث، ﴿**ولَولا كَلِمةُ الفَصلِ**﴾ أي: القضاء السابق، بأنّ الجزاء في يوم القيامة، ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا، ﴿**وإنَّ الظّالِمينَ**﴾: الكافرين ﴿**لَهُم عَذابٌ أليمٌ**﴾ ٢١: مُؤلم، ﴿**تَرى الظّالِمينَ**﴾ يوم القيامة ﴿**مُشفِقينَ**﴾: خائفين ﴿**مِمّا كَسَبوا**﴾ في الدنيا من السيّئات، أن يُجازَوا عليها، ﴿**وهُوَ**﴾ أي: الجزاء عليها ﴿**واقِعٌ بِهِم**﴾ يوم القيامة لا محالة، ﴿**والَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ في رَوضاتِ الجَنّاتِ**﴾: أنزَهِها، بالنسبة إلى مَن دُونهم، ﴿**لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ**﴾ ٢٢. ﴿**ذلِكَ الَّذي يَبَشُرُ اللهُ**﴾ - مِن البِشارة مُخفّفًا ومُثقّلًا - ﴿**عِبادَهُ الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ. قُلْ: لا أسألُكُم عَلَيهِ**﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿**أجرًا، إلّا المَوَدّةَ في القُربى**﴾: استثناءٌ منقطع، أي: لكن أسألكم أن تَوَدّوا قَرابتي التي هي قرابتكم

---

(١) روي أن النبي ذكر الساعة أمام المشركين، فقالوا تكذيبًا: متى تكون الساعة؟ فنزلت الآيتان. تفسير البغوي ٤:١٢٣. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. والحق: ما يجب ويستحق من العقيدة والشريعة. والميزان: آلة العدل وسببه. وإنزاله يعني الأمر به فيما أوحى. والساعة: وقت القيامة. وإتيانها: يعني أن المضاف محذوف، ولذلك جاء الخبر «قريب» مذكرًا ملحوظًا فيه المضاف المحذوف. وقريب: عاجل غير بعيد. ومعلق للفعل يعني: التعليق اللفظي، فالفعل عامل محلًّا. و«أو مابعده» أي: ما بعد «لعلّ». وهذا يعني أن «لعلّ»، وإن كانت من أدوات التعليق، اسمها وخبرها أصلهما المبتدأ والخبر، فهما يسدان مسد مفعولين، كأنه قيل: وما يدريك الساعةَ قريبةً؟ والمفعولين أي: الثاني والثالث. ويستعجل بها أي: يطلب تعجيلها تهكمًا. ولايؤمن بها: ينكر صحة وقوعها. ومشفقون أي: لِما يكون فيها من الهول. وخائف أي: فزع. ويعلم: يدرك إدراك اليقين. والحق: الواقعة لامحالة. ويجادلون أي: بالشك والتكذيب. وفي الساعة: في صحة إتيانها. والضلال: الجهل والخطأ. وبعيد أي: عن الحق والصواب، لأن البراهين قاطعة بوجوب البعث والحساب.

(٢) اللطيف: الحفيّ يرفق في المعاملة ويُحسن بخفاء وستر. والعباد: جمع عبد. وهوالمملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ويرزقه: يوسع عليه بتيسير حاجاته. والمراد أيضًا: ويضيّق على غيره. ويشاء: يريد أن يرزقه بما تقتضيه الحكمة البالغة ومصلحة الكون. والقوي: الكامل القدرة لايعجزه شيء. خ: «القوي العزيز على مراده». ويريد: يطلب ويفضل. والحرث: إلقاء البذر للزراعة. ويطلق على المحصول منه، فيستعار لثمرة الأعمال وثوابها. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة. ونزيد: نضيف ونضاعف. والعشر أي: جعل الحسنة عشر حسنات. وفيما عدا النسخ: «العشرة». وحرث الدنيا: متاعها ولذائذها. ونؤتيه: نعطيه ونيسر له. والنصيب: الحظ من خيرها والنعيم.

(٣) لكفار مكة أي: وغيرها من المشركين. خ: «كفارمكة». والشركاء: جمع شريك. وهو ما يُجعل مشاركًا في الألوهية والعبادة والطاعة. والشياطين: المُغرُون بالباطل من الإنس والجن. وشرعوا: وضعوا شريعة وزينوها بالكذب والباطل. والدين: ما يشمل العقيدة والعبادة والخلق والمعاملة. ويأذن: يأمر. والكلمة: القول. والفصل: الحكم الحتمي حصوله. وقضي: حكم وفصل. والظالم: المجاوز للحق. وترى: تبصر عِيانًا. والخائف: الفزع. وكسب: عمل بالنية أو القول أو الفعل. والواقع: النافذ المحقق. وعمل: اكتسب. والصالح: مايرضاه الله. والروضة: المكان المرتفع المتميز بجماله وطيبه. والجنة: البستان العظيم. والأنزه: الأعلى والأطيب. ويشاؤون: يريدونه ويشتهونه. وعند ربهم: في المنزلة الرفيعة المقربة. وذلك أي: ما ذكر من المنزلة والنوال. والفضل: الإحسان بالنعيم. والكبير: العظيم لايوصف. وذلك أي: ما أعده الله للمؤمنين من الإكرام. ويبشرهم: يبلّغهم ما يَسرّهم. ومثقلًا يريد القراءة «يُبَشِّرُ». وقل أي: للأنصار في المدينة. فقد روي أنهم جمعوا له مالًا، يستعين به على ما ينوبه من الحقوق، وأتَوه به فرده عليهم، ونزل من الآية ما يقوله لهم. ولما بلغهم ذلك ظنوا أن المراد هو نصر أهل البيت والقتال عنهم، فنزلت الآية ٢٣ تبشر المؤمنين بالتوبة والفضل. الدر المنثور ٦:٦. وأسألكم: أطلب منكم. والأجر: المكافأة. والمودة: المحبة والوفاء. والقربى: أقرب الأقرباء. وذكرُ قريش يعني أن الآية مكية، خلافًا لما جاء في مستهل تفسير السورة. انظر البحر ٧:١٥٦. والحسنة: العمل الذي حسّنه الشرع. ونزيد: نضاعف. والحُسن: الثواب الكثير. والغفور: الكثير الستر والعفو. والشكور: المعطي الثوابَ الجزيل على العمل القليل.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

أيضًا. فإنّ له في كُلّ بطن من قريش قرابةً. ﴿ومَن يَقتَرِفْ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾: طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيها حُسنًا﴾ بتضعيفها. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾ ٢٣ للقليل فيُضاعفه.

١ - ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ: افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنِسبة القُرآن إلى الله تعالى. ﴿فإن يَشَأِ اللهُ يَختِمْ﴾: يربطْ ﴿علَى قَلبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم، بهذا القول وغيره - وقد فعلَ - ﴿ويَمْحُ اللهُ الباطِلَ﴾ الذي قالوه. ﴿ويُحِقُّ الحَقَّ﴾: يُثبته ﴿بِكَلِماتِهِ﴾ المُنزلة على نبيّه. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ ٢٤: بما في القلوب، ﴿وهْوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ﴾: منهم، ﴿ويَعفُو عَنِ السَّيِّئاتِ﴾ المُتاب عنها، ﴿ويَعلَمُ ما يَفعَلُونَ﴾ ٢٥ - بالياء والتاء - ﴿ويَستَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾: يُجيبهم إلى ما يسألون، ﴿ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ، والكافِرُونَ لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ ٢٦.

نصف الحزب ٤٩

٢- ﴿ولَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبادِهِ﴾ جميعِهم ﴿لَبَغَوا﴾ جميعُهم أي: طغوا ﴿في الأرضِ، ولٰكِن يُنْزِلُ﴾، بالتخفيفِ وضدِّه، من الأرزاق ﴿بِقَدَرِ ما يَشاءُ﴾، فيبسطها لبعض عباده دُون بعض، وينشأ عن البسط البغيُ. ﴿إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٧. ﴿وهْوَ الَّذِي يُنْزِلُ الغَيثَ﴾: المطر ﴿مِن بَعدِما قَنَطُوا﴾: يئسوا من نُزوله، ﴿ويَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط مطره، ﴿وهْوَ الوَلِيُّ﴾: المُحسن للمؤمنين، ﴿الحَمِيدُ﴾ ٢٨: المحمود عِندهم.

٣- ﴿ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ، و﴾ خلقُ ﴿ما بَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿فِيهِما مِن دابّةٍ﴾، هي ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿وهْوَ علَى جَمعِهِم﴾ للحشر ﴿إذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾ ٢٩ - في الضمير تغليب العاقل على غيره - ﴿وما أصابَكُم﴾، خِطابٌ للمؤمنين، ﴿مِن مُصِيبةٍ﴾: بليّة وشِدّة ﴿فبِما كَسَبَتْ أيدِيكُم﴾ أي: كسَبتم من الذنوب. وعُبّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها. ﴿ويَعفُو عَن كَثِيرٍ﴾ ٣٠ منها، فلا يُجازي عليه. وهو - تعالى - أكرم من أن يُثنّي الجزاء في الآخرة. وأما غير المُذنبين فما يُصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة. ﴿وما أنتُم﴾ - يا مُشركين - ﴿بِمُعجِزِينَ﴾ اللهَ هربًا ﴿في الأرضِ﴾ فتفوتونه، ﴿وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾ ٣١: يدفع عذابه عنكم.

---

(١) افترى: اختلق القرآن من قوله. ويشاء: يريد لك الصبر. ويمح: يمحو، أي: يمحق، حذفت الواو رسمًا لحذفها لفظًا بالتقاء الساكنين. هذا على القول بالاستئناف. وانظر «المفصل». وفي النسختين: «ويمحو». والباطل: الكذب لا أصل له. والحق: الصدق الثابت. والكلمات: الآيات القرآنية. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والصدور: جمع صدر. وذات الصدور أي: مافيها من القلوب. ويقبل: يرضى. والتوبة: الرجوع عن المعصية إلى الطاعة مع طلب العفو. ويعفو: يصفح. والسيئة: ما قبح لمخالفته الشرع. و«المُتاب» خطأ صوابه: المَتُوب. وانظر «المفصل» أيضًا. ويعلمه: يحيط به إحاطة مطلقة. وما يفعلون: ما يكتسبه العباد من نية أو قول أو عمل. وبالتاء يريد القراءة «ما تَفعَلُونَ». ويزيد: انظر الآية ٢٣. والفضل: التفضل. وهو الإحسان بالخير. والشديد: القوي لامثيل له.

(٢) روي أن فقراء الصحابة في المدينة تمنوا أن يغنيهم الله - تعالى - ويبسط لهم الأرزاق، فنزلت الآية تبين وجه الحكمة. الواحدي ص ٣٩٦. وبسطه: أطلقه دون حكمة. والرزق: ما يعطاه المخلوق. وطغوا: تجاوزوا حد الاعتدال، فكان التعطيل للمصالح والدمار للعالم. وينزله: يقضي حصوله فيَنزل على صاحبه. وبضده يريد القراءة «يُنَزِّلُ». والقدر: التقدير المحكم بما يناسب مصلحة الخلق. ويشاء: يريد أن ينزله. و«ينشأ عن البسط البغي» أي: أن عموم البسط يسبب عموم البغي. وخبير بصير أي: يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم. وينزل: يسقط. والرحمة: العطف بالإحسان. فالمطر نوع من ذلك. والحميد: المستحق للثناء الجميل بذاته وصفاته وأفعاله. و«عندهم» كذا، أي: عند المؤمنين. وفي تفسير البغوي ٤: ١٢٨: «عند خلقه». وهو أولى.

(٣) الآية: الدلالة القاطعة على الألوهية والوحدانية والبعث. والخلق: الإيجاد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وفيهما أي: في السماوات والأرض. والدابة: المخلوق الحي يتحرك أو يمشي. وهو يشمل الإنس والجن والملائكة والحيوان، وما لا نعلمه من الأحياء. انظر الكشاف ٤: ٢٢٤-٢٢٥ وتفسيرَي الرازي ٩: ٥٩٩ والآلوسي ٢٥: ٦١. والجمع: الحشد والتلاقي في الدنيا، أو الإحياء بالبعث بعد الموت. وإذا يشاء أي: في وقتِ إرادةِ أن يجمعهم. والقدير: الكامل الاقتدار بذاته. وعلى غيره يعني: على غير العقلاء من المخلوقات. فالضمير في «جمعهم» عامّ للعقلاء وغيرهم. وأصابكم: نزل بكم. وكسبت: عملته مخالِفة أمر الله. والأيدي: جمع يد. وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «تزاول بها» أي: تعالج وتحصّل. والكثير: العدد الوافر. ويثنّي الجزاء: يعاقب مرة ثانية على ماعاقب في الدنيا. وغير المذنبين كالأنبياء والصالحين والأطفال. ويامشركين: يعني أن المراد جميعهم دون تخصيص. ومعجزين: قادرين على التخلص من العبودية. والولي: من يتولى أمور غيره ويحسن إليهم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

١- **﴿ومِن آياتِهِ الجَوارِي﴾**: السفنُ **﴿في البَحرِ، كالأعلامِ﴾** ٣٢: كالجبال في العِظم، **﴿إن يَشَأْ يُسكِنِ الرِّيحَ، فيَظلَلْنَ﴾**: يَصِرْنَ **﴿رَواكِدَ﴾**: ثوابتَ لا تجري **﴿على ظَهرِهِ - إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾** ٣٣ هو المؤمن يصبر في الشِّدّة ويشكر في الرخاء - **﴿أو يُوبِقْهُنَّ﴾** عطف على «يُسكن»، أي: يُغرِقْهُنَّ بعصف الريح بأهلهن، **﴿بِما كَسَبُوا﴾** أي: أهلُهن من الذنوب، **﴿ويَعفُ عَن كَثيرٍ﴾** ٣٤ منها فلا يُغرق أهله. **﴿ويَعلَمُ﴾** - بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي: يغرقُهم لينتقمَ منهم، ويعلمَ - **﴿الَّذينَ يُجادِلُونَ في آياتِنا: ما لَهُم مِن مَحِيصٍ﴾** ٣٥: مهرب من العذاب. وجملة النفي سدّت مسدّ مفعولي «يعلم»، والنفي مُعلِّق عن العمل.

٢- **﴿فما أُوتيتُم﴾** - خِطاب للمؤمنين وغيرهم - **﴿مِن شَيءٍ﴾** من أثاث الدنيا **﴿فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾**، يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، **﴿وما عِندَ اللهِ﴾** من الثواب **﴿خَيرٌ، وأبقَى لِلَّذينَ آمَنُوا وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾** ٣٦، ويُعطف عليهم: **﴿والَّذينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ﴾**: موجباتِ الحُدود، من عطف البعض على الكُلّ، **﴿وإذا ما غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾** ٣٧: يتجاوزون، **﴿والَّذينَ استَجابُوا لِرَبِّهِم﴾**: أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد والعبادة، **﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾**: أداموها، **﴿وأمرُهُم﴾** الذي يبدو لهم **﴿شُورَى بَينَهُم﴾**: يتشاورون فيه ولا يعجلون، **﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾**: أعطيناهم **﴿يُنفِقُونَ﴾** ٣٨ في طاعة الله. ومَن ذُكر صِنفٌ، **﴿والَّذينَ إذا أصابَهُمُ البَغيُ﴾**: الظُلم **﴿هُم يَنتَصِرُونَ﴾** ٣٩ صِنفٌ، أي: ينتقمون ممّن ظلمهم بمِثل ظلمه، كما قال تعالى: **﴿وجَزاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مِثلُها﴾**. سُمِّيتِ الثانيةُ سيِّئةً لمشابهتها للأُولى في الصورة. وهذا ظاهر فيما يُقتصُّ فيه من الجِراحات. قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله. **﴿فمَن عَفا﴾** عن ظالمه، **﴿وأصلَحَ﴾** الودّ بينه وبينه بالعفو عنه، **﴿فأجرُهُ علَى اللهِ﴾** أي: إنّ الله يأجره لا محالة. **﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾** ٤٠ أي: البادئينَ بالظلم، فيترتّب عليهم عِقابه.

٣- **﴿ولَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ﴾** أي: ظُلمِ الظالم إياه **﴿فأُولٰئِكَ ما عَلَيهِم مِن سَبِيلٍ﴾** ٤١: مُؤاخذة - **﴿إنَّما السَّبِيلُ علَى الَّذينَ يَظلِمُونَ النّاسَ، ويَبغُونَ﴾** يعلون **﴿في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾**: بالمعاصي. **﴿أُولٰئِكَ لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾** ٤٢: مُؤلم - **﴿ولَمَن صَبَرَ﴾** فلم ينتصر، **﴿وغَفَرَ﴾**: تجاوز، **﴿إنَّ ذٰلِكَ﴾** الصبر والتجاوز **﴿لَمِن عَزمِ الأُمُورِ﴾** ٤٣ أي: معزوماتها، بمعنى: مطلوباتها شرعًا.

٤- **﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعدِهِ﴾** أي: أحدٍ يلي هِدايته بعد إضلال الله إياه، **﴿وتَرَى الظّالِمِينَ، لَمّا رَأَوُا العَذابَ، يَقُولُونَ: هَل إلَى**

---

(١) آياته: انظر الآية ٢٩. والجواري: جمع جارية. وهي السفينة. وفيما عدا الأصل والنسخ: «الجوارِ» بحذف الياء للتخفيف. والبحر: ما اجتمع من الماء الكثير كالنهر والبحيرة وغيرهما. والأعلام: جمع عَلَم. ويشاء: يريد أن يسكن الريح، أي: يوقفها ويمنع حركتها. والريح: الهواء المتحرك. والرواكد: جمع راكدة. وظهر البحر: سطحه. والصبار: الكثير التحمل للبلاء. والشكور: الكثير الشكر. ويوبق: يدمر. ومنها: من الذنوب. ويعلم: يدرك يقينًا بالأدلة القاطعة. والنصب أي: بـ «أن» مضمرة. ومعلق أي: عن العمل لفظًا لامحلًا، لأن الجملة في محل نصب للفعل المذكور.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. وأوتيتم: أُعطيتم. والمتاع: ما يتلذذ به ويفاخر. وعند الله أي: أعده في المنزلة المقربة. والخير: الأفضل. وأبقى: أثبت لاينقطع. وعليه يتوكل أي: إليه وحده يفوض الأمر. ويعطف عليهم: يعني أن «الذين» معطوف على «الذين» قبله. وكذلك ما في الآيتين ٣٨ و٣٩. ويجتنبها: يبتعد عنها وينكرها. والكبائر: جمع لِما هو عظيم خطير. والإثم: ما يكون عليه عقاب. والفواحش: جمع فاحشة. وهي أقبح الذنوب، كالقتل والزنى والسرقة. وغضب: ثار لنزاع أو خلاف. ويتجاوز: يصفح. وأمرهم: ما يجري بينهم. والشورى: التشاور اسم مصدر: تَشاورَ، يفيد المبالغة. وينفق: يبذل. وأصابه: نزل به. والجزاء: العقوبة. والسيئة: ما قبحه الشرع. والجراحات: ما يجب فيه الاقتصاص. وكذلك الجنايات. وعفا: صفح. وأصلح: أزال الخلاف. والأجر: الثواب. ولايحبه: يكرهه. ط: «إنّ الله لايحب». والظالم: من يتجاوز الحد في قول أو فعل.

(٣) انتصر: انتقم وجازى ظالمه. والسبيل: الطريق. والمراد: ما يوجب المؤاخذة بعقاب أو العتب والعيب، لأنهم فعلوا ماهو جائز شرعًا. والحق: العدل والنصفة. والعذاب: التعذيب في الدنيا أو الآخرة. والأليم: الشديد الإيلام. وصبر: تجلد في تحمل الأذى، أي: ممن يصلحه الصبر. وتجاوز أي: سامح من تردعه المسامحة ولا تطغيه. وإلّا كان تشجيع للبغي والعدوان. والعزم: الطلب والحض. ومعزوماتها أي: المعزوم عليها. والأمور: جمع أمر. وهو ما يؤمر به. وفيما عدا الأصل: المطلوبات شرعًا.

(٤) يضله: يُمده ويوجه قدراته إلى ما يناسب اختياره السيئ واستعداده الخبيث، وييسر له عدم الإيمان. والولي: من يتولى أمور غيره ويحسن إليهم. وترى: تبصر عِيانًا. والخطاب لكل من يستطيع الرؤية يوم القيامة. والظالم: الكافر يموت على الكفر. فهو يتجاوز الحق بإصرار وعناد. ولما رأوا العذاب أي: حين يبصرون النار ويتحققون أنها لهم. والمرد: الرجوع من الآخرة. وطريق أي: بشفاعة أو رحمة، لتأخير العذاب حتى نُصلح بالإيمان والطاعة ما أفسدنا قبل. ويعرض عليها: تعرض هي عليه، أي: تُبرزله وتُظهر ليعاين أهوالها من قريب. ففي الجملة قلب للتعبير مبالغة في المعنى. والذل: الهوان والانكسار. وينظر: يوجه بصره. والطرف: العين. ومسارقة أي: يسارقون النظر إليها خوفًا منها. وابتدائية أي: لابتداء الغاية المكانية. وبمعنى الباء أي: للاستعانة.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ **٤٤**: طريق؟ ﴿**وتَراهُم يُعرَضُونَ علَيها**﴾ أي: النارِ، ﴿**خاشِعِينَ**﴾: خائفين مُتواضعين ﴿**مِنَ الذُّلِّ، يَنظُرُونَ**﴾ إليها ﴿**مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾: ضعيفِ النظرِ مُسارَقةً. ومن: ابتدائية، أو بمعنى الباء.

١ - ﴿**وقالَ الَّذِينَ آمَنُوا: إنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يَومَ القِيامةِ**﴾، بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة، لو آمنوا. والموصول: خبر «إنّ». ﴿**ألا إنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**في عَذابٍ مُقِيمٍ**﴾ **٤٥**: دائم - هو من مقول الله تعالى - ﴿**وما كانَ لَهُم مِن أَولِياءَ يَنصُرُونَهُم، مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، يدفع عذابه عنهم، ﴿**ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن سَبِيلٍ**﴾ **٤٦**: طريق، إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

٢- ﴿**استَجِيبُوا لِرَبِّكُم**﴾: أجيبوه بالتوحيد والعِبادة، ﴿**مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ**﴾ هو يوم القيامة، ﴿**لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ**﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردّه، ﴿**ما لَكُم مِن مَلجَأٍ**﴾ تلجؤون إليه ﴿**يومَئذٍ، ومالَكُم مِن نَكِيرٍ**﴾ **٤٧**: إنكار لذنوبكم. ﴿**فإن أعرَضُوا**﴾ عن الإجابة ﴿**فما أرسَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا**﴾: تحفظ أعمالهم، بأن تُوافق المطلوب منهم. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**علَيكَ إلّا البَلاغُ**﴾. وهذا قبل الأمر بالجهاد. ﴿**وإنّا إذا أذَقْنا الإنسانَ مِنّا رَحْمةً**﴾: نِعمة كالغنى والصحّة ﴿**فَرِحَ بِها، وإن تُصِبْهُم**﴾ - الضمير للإنسان باعتبار الجِنس - ﴿**سَيِّئةٌ**﴾: بلاء ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم**﴾ أي: قدّموه، وعُبّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها، ﴿**فإنَّ الإنسانَ كَفُورٌ**﴾ **٤٨** للنعمة.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

٣- ﴿**للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَخلُقُ ما يَشاءُ، يَهَبُ لِمَن يَشاءُ**﴾ من الأولاد ﴿**إناثًا، ويَهَبُ لِمَن يَشاءُ الذُّكُورَ ٤٩، أو يُزَوِّجُهُم**﴾ أي: يجعلهم ﴿**ذُكرانًا وإناثًا، ويَجعَلُ مَن يَشاءُ عَقِيمًا**﴾ فلا يلد ولا يُولد له. ﴿**إنَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بما يخلق، ﴿**قَدِيرٌ**﴾ **٥٠** على ما يشاء.

٤ - ﴿**وما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ، إلّا**﴾ أن يُوحيَ إليه ﴿**وَحيًا**﴾ في المنام أو بإلهام، ﴿**أو**﴾ إلّا ﴿**مِن وَراءِ حِجابٍ**﴾ بأن يُسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لمُوسَى عليه السلام، ﴿**أو**﴾ إلّا أن ﴿**يُرسِلَ رَسُولًا**﴾: مَلَكًا كجِبريلَ، ﴿**فيُوحِيَ**﴾ الرسولُ إلى المُرسَلِ إليه أي: يُكلّمه ﴿**بإذنِهِ**﴾ أي: اللهِ ﴿**ما يَشاءُ**﴾ اللهُ. ﴿**إنَّهُ عَلِيٌّ**﴾ عن صِفات المُحدَثين، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ **٥١** في صُنعه.

---

(١) قال أي: يقول يوم القيامة. وآمن: صدّق الله ورسوله في الدنيا. والخاسر: من فقد ما كان عنده وما يتوقعه. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. وأهلون: واحده أهل. وهم أسرة الإنسان والأقربون. فإن كانوا في النار فهو لاينتفع بهم، وإن كانوا في الجنة لم ينفعوه أيضًا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. والموصول أي: «الذين» الثاني. والعذاب: التعذيب. ومن مقوله أي: أن الجملة الأخيرة ليست من قول الذين آمنوا، وإنما هي من الله - تعالى - تصديقًا لهم. والأولياء: جمع ولي، من يتولى شؤون غيره ويحسن إليهم. ويضل: انظر الآية ٤٤.

(٢) يأتي: يحصل. والمرد: الدفع. ومن الله: من عنده وبأمره. ويومئذ: يوم إذْ يأتي. وإنكار أي: إنكار مقبول. وأعرض: امتنع، أي: استمر في ذلك بإصرار. وأرسل: بعث وكلف بالدعوة. والحفيظ: الوكيل المسؤول. وتحفظ أعمالهم: تضبطها وتنظمها وتكون مسؤولًا عنها. وتوافق المطلوب أي: تكون الأعمال كما طُلب منهم. والبلاغ: التبليغ. و«هذا» يعني أن الموادعة منسوخة بآيات الجهاد، في أوائل سورة التوبة. وأذقناه: أعطيناه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا: من عندنا. وفرح: بطر ونسي الشكر. وتصيبه: تنزل به. والضمير للإنسان: يعني أن الضمير المتصل يعود على «الإنسان» المذكور قبل، والمراد به عموم الجنس باعتبار الغالبية. وقدمت: فعلت. والأيدي: جمع يد. وكفور: بليغ الجحود للنعم ،يذ كر البلية، ويزعم أنها أصابته من غير استحقاق.

(٣) الملك: الاستيلاء والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ويخلق: يوجد من العدم. ويشاء: يريد. ويهب: يمنح. والإناث: جمع أنثى. وهي البنت. والذكور والذكران: جمع ذكر. وهو الابن. ويزوجهم: يخلق الأولاد مختلفين ذكورًا وإناثًا. ويجعله: يصيّره. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والقدير: العظيم الاقتدار بلا معين.

(٤) كان المشركون يستعينون باليهود لمعاندة الدعوة، وروي أنهم قالوا للنبي ﷺ: «ألا تكلم الله وتنظر إليه، إن كنت نبيًا صادقًا، كما كلمه موسى ونظر إليه». فقال لهم: «لم يَنظُرْ مُوسى إلى اللهِ». ونزلت الآية. البحر ٧:٥٢٦. وما كان: لا يصح ولا يستقيم. والبشر: الإنسان. ويكلمه: يخاطبه مواجهة في الدنيا. والوحي: الأمر الإلٰهي الملقى إلى الأنبياء. وهو كلام خفي يلقى في القلب أو ينقش في الذهن، وليس ككلامنا بصوت وترتيب وحروف. وحجاب: مانع من الرؤية لعجز التكوين البشري. فليس المراد حجابًا ماديًا. ويُسمعه: يبلّغه ما يدركه سمعه. ويرسل: يبعث ويكلف. والرسول: المرسل للتبليغ والعمل. وبإذنه: بأمره وإرادته. ويشاء: يريد أن يوحي إليه. والعلي: المتعالي المتنزه. والمحدث: المخلوق. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ (ترتيبها ٤٣ – آياتها ٨٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

١- ﴿**وكذلِكَ**﴾ أي: مِثْلَ إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿**أوحَينا إليكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**رُوحًا**﴾ هو القُرآن به تحيا القلوب، ﴿**مِن أمرِنا**﴾ الذي نُوحيه إليك، ﴿**ما كُنتَ تَدرِي**﴾: تعرِفُ قبل الوحي إليك: ﴿**ما الكِتابُ**﴾: القُرآنُ، ﴿**ولا الإيمانُ**﴾ أي: شرائعهُ ومعالمه؟ والنفي مُعلّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين، ﴿**ولٰكِن جعَلْناهُ**﴾ أي: الروحَ أو الكِتاب ﴿**نُورًا، نَهدِي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا، وإنّكَ لَتهدِي**﴾: تدعو بالوحي إليك ﴿**إلى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ ٥٢ دينِ الإسلام، ﴿**صِراطِ اللهِ الّذِي لَهُ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخَلْقًا وعبيدًا. ﴿**ألا إلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ ٥٣: ترجِعُ.

سورة الزُّخرُف

مكية، وقيل: إلّا «واسأل من أرسلنا» الآية، تسع وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**حمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**والكِتابِ**﴾: القرآنِ ﴿**المُبِينِ**﴾ ٢: المُظهِرِ طريقَ الهدى وما يُحتاج إليه من الشريعة، ﴿**إنّا جَعَلْناهُ**﴾: أوجدنا الكتاب ﴿**قُرآنًا عَرَبيًّا**﴾ بلغة العرب، ﴿**لَعَلّكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**تعقِلُونَ**﴾ ٣: تفهمون معانيه، ﴿**وإنّهُ**﴾ مُثبَتٌ ﴿**في أُمِّ الكِتابِ**﴾: أصل الكتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿**لَدَينا**﴾ بدلٌ: عِندَنا ﴿**لَعَلِيٌّ**﴾ على الكُتب قبله، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٤: ذو حِكمة بالغة.

٣- ﴿**أفنَضرِبُ**﴾: نُمسِك ﴿**عَنكُمُ الذِّكرَ**﴾: القُرآنَ ﴿**صَفحًا**﴾ إمساكًا، فلا تُؤمرون ولا تُنهَون، لأجل ﴿**أن كُنتُم قَومًا مُسرِفِينَ**﴾ ٥: مشركين؟ لا. ﴿**وكَم أرسَلْنا مِن نَبِيٍّ في الأوَّلِينَ ٦، وما يأتِيهِم**﴾: أتاهم ﴿**مِن نَبِيٍّ، إلّا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٧ كاستهزاء قومك بك - وهذا تسلية له ﷺ - ﴿**فأهلَكْنا أشَدَّ مِنهُم**﴾: من قومك ﴿**بَطشًا**﴾: قُوّة، ﴿**ومَضَى**﴾: سبق في آياتِ ﴿**مَثَلُ الأوَّلِينَ**﴾ ٨: صِفتُهم في الإهلاك! فعاقبةُ قومك كذلك.

٤- ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**سألتَهُم: مَن خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ**﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: ﴿**خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ**﴾ ٩. آخِرُ جوابهم، أي: الله ذو العزة والعلم. زاد تعالى: ﴿**الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مِهادًا**﴾: فِراشًا كالمهد

---

(١) الإشارة بـ «ذلك» هي إلى أغلب ماذكر من أنواع التكليم. والتكليم للنبي ﷺ في المعراج كان مشافهة لا من وراء حجاب، مع أنه لم يرَ اللهَ حينذاك. انظر تعليقنا على الآية ١ من سورة الإسراء. وأمرنا أي: فعلنا في الوحي. و«النفي معلق» خطأ، لأن النفي قبل «كنت»: انظر «المفصل». و«أو ما بعده» خطأ آخر. وفيما عدا الأصل والنسخ: «وما بعده». وجعل: صيّر. ونهديه: نصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الطيب واستعداده الكريم، فنوصله إلى الحق. ونشاء: نريد أن نهديه. والعباد: جمع عبد. والمستقيم: المعتدل. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وانظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والأمور: جمع أمر، شؤون الخلائق. وترجع أي: تنتهي دون وسائط أو معين. وفي هذا بشارة وتهديد.

(٢) جعلنا: بيّنّا وأوضحنا. وقول المحلي «أوجدنا» فيه إيهام بالخلق. وهذا ما لم يتنبّه إليه من علق على الجلالين. وقال السُّدّيّ: «المعنى: أنزلناه». انظر تفسير ابن كثير ٤:١٢٤ وفتح القدير ٤:٧٦٧. والقرآن: المقروء. ويا أهل مكة أي: وسائر العرب. والصواب أن أُمّ الكتاب غير اللوح المحفوظ، لأن الأول فيه علم الله الأزلي المحتم مؤكدًا مع بيان ما هو محتمل من القدر، والثاني سجلّ لما كان وسيكون في الوجود، وهو عرضة للمحو والإثبات، معلق بما يجدّ من الأسباب والاحتمالات. وبدل: يعني أن «لدى»: بدل من الجار والمجرور في محل نصب. والعلي: الرفيع الشأن لِما فيه من الإعجاز، والإكمال للشريعة والحقائق. والحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب على أحسن تقدير. وبالغة أي: البالغة حد النهاية من الإحكام.

(٣) نضرب أي: نُمسك ما بقي ونزيل ما نزل من قبل. والذكر: مافيه تذكير بالحق وعظة وهداية، بمعنى: المُذَكِّر. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. والمسرف: المنهمك في الجهل والظلم بقصد وإصرار. والشركُ أشنع ذلك. وأرسل: بعث. والنبي: من كلف بالدعوة إلى التوحيد والبعث مع العمل. والأولون: الأمم المتقدمة المدمرة. ويأتيهم: يجيئهم ويبلغهم. وفيما عدا الأصل وخ وقرة العينين: «وماكان يأتيهم». ويستهزئ: يسخر ويتهكم. وأهلك: دمر وأفنى. وأشد: أعظم وأكثر. وفي آيات أي: من القرآن الكريم قبل نزول هذه السورة. وكذلك يعني: إن أصروا على الكفر واستمروا عليه. وفي هذا تهديد وحث على الإيمان.

(٤) لام قسم: الصواب: موطئة لجواب القسم المحذوف. والتقدير: أقسمُ - لئن سألتهم يقولوا - ليقولُنّ. وسألتهم: طلبت منهم الجواب. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: مايحيط بالأرض من العوالم العُلوية. والعزيز: الغلّاب لايعجزه شيء. والعليم: المحيط بكل شيء. وآخر جوابهم: يعني أن جواب المشركين ينتهي هنا. وزاد: أضاف بعد كلامهم ما يوجب لهم التوبيخ. وجعل: صيّر. ومهادًا: مسهّلًا. وجعل فيها أي: خلق فيها. والسبل: جمع سبيل. ولعلكم: ليُرتجى لكم. وتهتدي: تسترشد. ونزل: أرسل. والسماء: السحاب. والقدر: الكمية. وبه أي: بالماء. والبلدة: المنطقة المستقرة. والميت: التي لانبات فيها ولا نماء. وتُخرج: تبعث بعد الموت.

سورة الزخرف الجزء الخامس والعشرون

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

للصبيّ، ﴿**وجَعَلَ لَكُم فِيها سُبُلًا**﴾: طرقًا، ﴿**لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ**﴾ ١٠ إلى مقاصدكم في أسفاركم، ﴿**والَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ**﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم يُنزّله طُوفانًا، ﴿**فأنشَرْنا**﴾: أحيينا ﴿**بِهِ بَلدةً مَيْتًا. كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ هذا الإحياء ﴿**تُخرَجُونَ**﴾ ١١ من قُبوركم أحياءً.

١- ﴿**والَّذِي خَلَقَ الأزواجَ**﴾: الأصناف ﴿**كُلَّها، وجَعَلَ لَكُم مِنَ الفُلْكِ**﴾ السُّفنِ ﴿**والأنعامِ**﴾ كالإبل ﴿**ما تَركَبُونَ**﴾ ١٢ - حذف العائد اختصارًا، وهو مجرور في الأوّل أي «فيه»، منصوب في الثاني - ﴿**لِتَستَوُوا**﴾: لتستقرّوا ﴿**علَى ظُهُورِهِ**﴾، ذَكَّرَ الضميرَ وجَمعَ الظهر نظرًا للفظ «ما» ومعناها، ﴿**ثُمَّ تَذكُرُوا نِعْمةَ رَبِّكُم إذا استَوَيتُم علَيهِ، وتَقُولُوا: سُبحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هٰذا، وما كُنّا لَهُ مُقرِنِينَ**﴾ ١٣ : مُطِيقِينَ! ﴿**وإنّا إلَى رَبِّنا لَمُنقَلِبُونَ**﴾ ١٤ : لمنصرفون.

٢- ﴿**وجَعَلُوا لَهُ مِن عِبادِهِ جُزْءًا**﴾، حيثُ قالوا: «الملائكةُ بناتُ اللهِ»، لأنّ الولدَ جُزء من الوالدِ، والملائكةَ من عباد الله تعالى. ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ القائل ذلك ﴿**لَكَفُورٌ مُبِينٌ**﴾ ١٥ : بيّنٌ ظاهرُ الكُفر. ﴿**أم**﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقولُ مقدر أي: أتقولون: ﴿**اتَّخَذَ مِمّا يَخلُقُ بَناتٍ**﴾ لنفسه، ﴿**وأصفاكُم**﴾: أخلصكم ﴿**بِالبَنِينَ**﴾ ١٦ اللازمَ من قولكم السابق، فهو من جملة المُنكَر، ﴿**وإذا بُشِّرَ أحَدُهُم بِما ضَرَبَ لِلرَّحمٰنِ مَثَلًا**﴾: جعلَ له شَبهًا بنِسبة البنات إليه، لأنّ الولد يُشبِهُ الوالد، المعنى: إذا أُخبرَ أحدهم بالبنت تُولد له ﴿**ظَلَّ**﴾: صار ﴿**وَجهُهُ مُسوَدًّا**﴾: مُتغيّرًا تغيّرَ مُغتمّ، ﴿**وهْوَ كَظِيمٌ**﴾ ١٧ ممتلئ غمًّا؟ فكيف يَنسِبُ البناتِ إليه، تعالى؟

٣- ﴿**أوَ**﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملة، أي: يجعلون لله ﴿**مَن يَنْشَأُ في الحِلْيةِ**﴾: الزِّينة، ﴿**وهْوَ في الخِصامِ غَيرُ مُبِينٍ**﴾ ١٨ : مُظهِرِ الحُجّةَ لضعفه عنها بالأُنوثة؟ ﴿**وجَعَلُوا المَلائكةَ الَّذِينَ هُم عِبادُ الرَّحمٰنِ إناثًا. أشَهِدُوا**﴾: أحَضَرُوا ﴿**خَلقَهُم؟ سَتُكتَبُ شَهادتُهُم**﴾ بأنهم إناث، ﴿**ويُسألُونَ**﴾ عنها في الآخرة، فيترتّب عليها العِقاب ١٩.

٤- ﴿**وقالُوا: لَو شاءَ الرَّحمٰنُ ما عَبَدْناهُم**﴾ أي: الملائكةَ. فعِبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها. قال تعالى: ﴿**ما لَهُم بِذٰلِكَ**﴾ المقول من الرضا بعِبادتها ﴿**مِن عِلمٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**هُم إلّا يَخرُصُونَ**﴾ ٢٠ : يكذبون فيه. فيترتّب عليهم العقاب به. ﴿**أم آتَيناهُم كِتابًا مِن قَبلِهِ**﴾ أي: القرآنِ بعِبادة غير الله، ﴿**فهُم بِهِ مُستَمسِكُونَ**﴾ ٢١؟ أي: لم يقع ذلك، ﴿**بَل قالُوا: إنّا وَجَدْنا آباءَنا علَى أُمّةٍ**﴾: مِلّة، ﴿**وإنّا**﴾ ماشون ﴿**علَى آثارِهِم مُهتَدُونَ**﴾ ٢٢ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

---

(١) خلق: أوجد. والأزواج: جمع زوج، الصنف الذي يكون له مقابل من جنسه، كالذكر والأنثى، والأبيض والأسود. وجعل: صيّر. والفلك: واحدته بلفظه. والأنعام: جمع نعَم. وهو الإبل والبقر والغنم. وحذف... الثاني: يعني أن «الفلك» يقال عنها: تركبون فيها، و«الأنعام» يقال عنها: تركبونها. فحذف الضمير العائد إلى الاسم الموصول. والظهور: جمع ظهر، ما يركب من الحيوان وغيره. وتذكر: تستحضر بقلبك. والنعمة: الإحسان بالفضل. وعليه أي: فوق ما تركبون. وسبحانه: تنزيهًا له عما لايليق به. وسخره: هيأه. ومطيقين: ضابطين متمكنين بالتذليل والترويض. ط: «مطيعين». وإلى ربنا أي: إلى لقاء موعد حسابه. ومنصرفون أي: من الدنيا وما فيها. (٢) جعل: زعم. والعباد: جمع عبد. والجزء: البعض. والكفور: الكثير الإنكار للتوحيد. وهمزة الإنكار: يعني أن الميم في «أم» حرف زائد. والراجح أنه لازيادة، وأم: حرف استئناف يفيد الإضراب الانتقالي مع الاستفهام المذكور. واتخذ: صنع. والبنات: جمع بنت. والبنون: جمع ابن. واللازم من قولكم: يعني الإصفاء الذي يترتب على قولهم: الملائكة بنات الله. وبُشر: أخبر. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وكيف: يعني أن الاستفهام المضمن في «أم» أول الآية ١٦ هو للتوبيخ، والتعجب من جهلهم، إذ ينسبون إلى الله ما يكرهون. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. وينشأ: يتربى في عمره. وهو الأنثى. وفي ث وط والفتوحات والصاوي: «يُنَشَّأُ». والخصام: المجادلة. أي: تُشغل بالانفعال والعاطفة في الجدال، عن تأمل الأقوال وتدبر الأمور، فغالبًا ما تكون عاجزة عن إصابة القول. وأنتم تعتقدون ضعف الأنثى في الجسم والرأي، حتى ليغضب بعضكم لولادتها فتئدونها قائلين: «ما هي بِنِعمَ الولدُ: نصرُها بكاءٌ، وبِرُّها سرقةٌ»! وما ذُكر عن الإناث هنا هو من الصفات الغالبة، ونادر أن يكون بعضهن على خلاف ذلك. وجعل: زعم. والملائكة: جمع ملَك. والإناث: جمع أنثى. والخلق: الإيجاد، أي: خلق اللهِ الملائكةَ. وتُكتب: تسجل في صحائف أعمالهم. والشهادة: الإقرار بالقول. ويُسأل: يحاسب ويجازى. (٤) شاء: أراد ألّا نعبدهم. فهم يغالطون لأن السماح بالعصيان لايعني الرضا. والعلم: المعرفة اليقينية بالدليل القاطع. وبه: بسبب هذا القول المفترى. وآتيناهم: أنزلنا إليهم. والمستمسك: من يتمسك بالشيء، يلتزمه ويحاجّ به. وذلك أي: إيتاؤهم كتابًا يقرر ما زعموه. وروي أن الآية ٢٢ مع ما بعدها نزلت في كبار المشركين يحتجون لعدم التوحيد. فهي تعزية للرسول ﷺ، أي: ما قاله هؤلاء مثل قول مَن قبلهم. تفسير القرطبي ١٦:٧٥. ووجد: رأى. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والآثار: جمع أثر. وهو ما يخلفه السابق لمن بعده من تقاليد. والمهتدي: المسترشد القاصد.

الجزء الخامس والعشرون سورة الزخرف

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٥٠

١- ﴿وكَذٰلِكَ. ما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ في قَرْيةٍ مِن نَذِيرٍ، إلّا قالَ مُترَفُوها﴾ مُتنعّموها مثلَ قول قومك: ﴿إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ﴾: مِلّة، ﴿وإنّا على آثارِهِم مُقتَدُونَ﴾ ٢٣: متّبِعون. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أ﴾ تتّبعون ذلك، ﴿وَلَو جِئتُكُم بِأهدَى مِمّا وَجَدتُم عليهِ آباءَكُم؟ قالُوا: إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾ أنتَ ومَن قبلَك ﴿كافِرُونَ﴾ ٢٤. قال تعالى تخويفًا لهم: ﴿فانتَقَمْنا مِنهُم﴾ أي: منَ المُكذّبين للرسل قبلك. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبينَ﴾ ٢٥؟

٢- ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهِيمُ لِأبِيهِ وقَومِهِ: إنَّني بَراءٌ﴾: بريء ﴿مِمّا تعبُدُونَ ٢٦، إلّا الَّذي فَطَرَني﴾: خلقني. ﴿فإنَّهُ سَيَهدِينِ﴾ ٢٧: يُرشدني لدِينه. ﴿وجَعَلَها﴾ أي: كلمةَ التوحيد المفهومةَ، من قوله «إنِّي ذاهبٌ إلَى رَبِّي سَيَهدِينِ»، ﴿كَلِمةً باقِيةً في عَقِبِهِ﴾: في ذُرّيّته، فلا يزال فيهم من يوحِّد الله، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿يَرجِعُونَ﴾ ٢٨ عمّا هم عليه، إلى دِين إبراهيم أبيهم.

٣- ﴿بَل مَتَّعتُ هٰؤُلاءِ﴾ المُشركين ﴿وآباءَهُم﴾، ولم أعاجلهم بالعُقوبة، ﴿حَتَّى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن، ﴿ورَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ٢٩: مُظهر لهم الأحكامَ الشرعيّة - وهو محمد ﷺ - ﴿ولَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن ﴿قالُوا: هٰذا سِحرٌ، وإنّا بِهِ كافِرُونَ ٣٠. وقالُوا: لَولا﴾: هلّا ﴿نُزِّلَ هٰذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ﴾ من أيّةٍ منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ ٣١ أي: الوليد بن المُغيرة بمكّة، وعُروة بن مسعود الثقفيّ بالطائف. ﴿أهُم يَقسِمُونَ رَحْمةَ رَبِّكَ﴾ النبوّةَ؟ ﴿نَحنُ قَسَمْنا بَينَهُم مَعِيشَتَهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾، فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، ﴿ورَفَعْنا بَعضَهُم﴾ بالغِنى ﴿فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم﴾: الغنيُّ ﴿بَعضًا﴾: الفقيرَ ﴿سُخرِيًّا﴾: مُسخَّرًا في العمل له بالأُجرة. والياء للنسب، وقُرئ بكسر السين. ﴿ورَحْمةُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ﴾ ٣٢ في الدنيا.

٤- ﴿ولَولا أن يَكُونَ النّاسُ أُمّةً واحِدةً﴾، على الكُفر، ﴿لَجَعَلْنا لِمَن يَكفُرُ بِالرَّحمٰنِ لِبُيُوتِهِم﴾: بدلٌ من «لِمَن» ﴿سَقْفًا﴾ - بفتح السين وسكون القاف، وبضمّهما جمعًا - ﴿مِن فِضّةٍ ومَعارِجَ﴾ كالدرج من فِضّة، ﴿عَلَيها يَظهَرُونَ﴾ ٣٣: يعلون إلى السطح، ﴿ولِبُيُوتِهِم أبوابًا﴾ من فِضّة ﴿و﴾

---

(١) كذلك أي: حالُ الأمم المتقدمة مثلُ حال أمتك. وأرسل: بعث وكلف بالدعوة. وقرية: بلدة. والنذير: المنذر بعقاب من كفر. والمترف: من أفسدته النعم. ومتبعون أي: هم مقلدون لايتدبرون ولايتعظون. والأمر في «قل» حكاية أمر ماض أوحي إلى كل نذير، على تقدير: قلنا له: قل. وهذا أولى مما ذكر المحلي، بدليل ما في ط: «قالَ أوَلَو»، ومافي الآية ٢٥، دون حاجة إلى تقدير ما يجعل الكلام الكريم مفككًا غير منتظم. وفي قرة العينين: «قال». وجئتكم: أتيتكم. ث: «أولو جئتكم». وأهدى أي: دين أوضح. وفي التعبير بالتفضيل مجاراة لهم، وإن لم يكن فيما هم عليه هداية أصلًا. وكافر: مكذب وجاحد. وانتقمنا منهم: عاقبناهم في الدنيا بالاستئصال. وانظر: تأمل وتفكر. والعاقبة: النهاية. يعني: هي عاقبة لهم محكمة عادلة. فلا تكترث بتكذيب قومك لك، لأن عاقبتهم تكون كعاقبة أولئك، إن أصروا على الكفر والعصيان. (٢) إبراهيم: أبو الأنبياء. وقوم المرء: الجماعة من الناس هو منها. وبراء أي: متباعد متخلص. وتعبد: تقدس وتطيع. ويرشدني أي: دائمًا ويثبتني. وجعل: صيّر. وكلمة، أي: قولًا. والباقية: الثابتة المتوارثة. يعني أنه أوصاهم بها وأمرهم بالتزامها. وفيما عدا الأصل وخ: «في عقبه ذريته». وما ذكر هنا من قول إبراهيم هو في الآية ٩٩ من سورة الصافات. وتخصيص أهل مكة هو من تفسير البغوي ٤:١٣٧، والأولى هو التعميم لكل ذريته، وفيهم أهل مكة. (٣) متعتهم: أمددتهم بالنعم وطول العمر. وهؤلاء أي: أهل مكة. وجاءهم: وصل إليهم. والحق: ما يستحق الإيمان به. وفي الأصل: «يظهر». والسحر: مايخيّل للحواس والعقول غير الواقع. والكافر: الجاحد المكذب. وكان الوليد بن المغيرة يقول: «لو كان ما يقول محمد حقًّا لأُنزل عليّ هذا القرآنُ، أو على عروة بن مسعود الثقفي»، فنزلت الآيات. الدر المنثور ٦:١٦. ونُزل: يوحَى. ومن القريتين أي: من رجالهما. وفي قرة العينين والمنحة والمطبوعات: «من أهل القريتين». والقرية: البلدة. والعظيم: الكثير المال والرفيع الشريف. وعروة هذا أسلم فيما بعد وحسن إسلامه. ويقسم: يوزع. والرحمة: العطف بالإحسان. والمعيشة: ما يعيش به الحي. ورفعنا: قضينا بالتفاوت في كثير من الأحوال، ولا اعتراض علينا ولا تصرف لأحد في ذلك. والدرجة: المنزلة في المادة والمعنى. ويتخذ: يجعل. وللنسب أي: للمبالغة في تحقيق معنى سُخرة. وبكسر السين يريد «سِخرِيًّا». وهو بمعنى التسخير. وخير: أفضل وأبقى. ويجمعون: يحصّلونه من المال والجاه والولد. (٤) في الآيات ٣٣-٣٥ تقرير لما قبلها، بأن ما عليه الكفار من النعم ليس لفضلهم، بل لحكمة إلٰهية. ويكون أي: يصير. والأمة: الجماعة من الناس على دين واحد. وجعل: صيّر. ويكفر به: ينكر وجوده أو وحدانيته. والبيوت: جمع بيت. وبدل: يعني أن الجار والمجرور «لبيوت» بدل اشتمال. والسقف: غِطاء البيت فوق الجدران. وبضمهما يريد القراءة «سُقُفًا» جمع سَقْف. وفي الأصل وبعض المطبوعات: «جميعًا». والمعارج: جمع مِعرج. وهو ما يصعد عليه كالسلّم. خ: «كالدرجة». والأبواب: جمع باب. ويتكئ: يتمكن في الجلوس. والخوف: التوقع والعلم للوقوع. وذلك أي: المذكور من النعم. وزائدة أي: للتوكيد. وبالتشديد يريد القراءة «لَمّا». وبمعنى: إلّا، أي: استثنائية للحصر بعد النفي بـ «إن». والمتاع: مايتلذذ به الإنسان. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وعند ربك أي: في المنزلة المقربة. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب رضاه بالطاعة والإحسان.

الجزء الخامس والعشرون سورة الزخرف

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

جعلنا لهم ﴿**سُرُرًا**﴾ من فِضّة: جمع سرير ﴿**عليها يَتّكِئونَ ٣٤، وزُخرُفًا**﴾: ذهبًا. المعنى: لولا خوفُ الكُفر على المُؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكر لأعطيناه ذلك، لقِلّة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظّه في الآخرة في النعيم. ﴿**وإنْ**﴾: مُخفّفة من الثقيلة ﴿**كُلُّ ذٰلِكَ لَمَا**﴾ - بالتخفيف فـ «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى «إلّا» فإنْ: نافية - ﴿**متاعُ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، ﴿**والآخِرةُ**﴾: الجنّة ﴿**عِندَ رَبِّكَ لِلمُتَّقِينَ**﴾ ٣٥.

١- ﴿**ومَن يَعشُ**﴾: يُعرِضْ ﴿**عَن ذِكرِ الرَّحمٰنِ**﴾ أي: القُرآن ﴿**نُقَيِّضْ**﴾: نُسبِّبْ ﴿**لَهُ شَيطانًا، فهُوَ لَهُ قَرينٌ**﴾ ٣٦ لا يُفارقه. ﴿**وإنَّهُم**﴾ أي: الشياطينَ ﴿**لَيَصُدُّونَهُم**﴾ أي: العاشينَ ﴿**عَنِ السَّبيلِ**﴾ أي: طريق الهُدى، ﴿**ويَحسِبُونَ أنَّهُم مُهتَدُونَ**﴾ ٣٧. في الجمع رِعاية معنى «مَن».

٢- ﴿**حَتَّى إذا جاءَنا**﴾ العاشي، بقرينه يوم القيامة، ﴿**قالَ**﴾ له: ﴿**يا**﴾: للتنبيه ﴿**لَيتَ بَيني وبَينَكَ بُعدَ المَشرِقَينِ**﴾ أي: مِثلَ بُعدِ ما بين المشرق والمغرب. ﴿**فبِئسَ القَرينُ**﴾ ٣٨ أنت لي! قال تعالى: ﴿**ولَن يَنفَعَكُمُ**﴾ - أي: العاشِينَ - تمنّيكم وندمُكم ﴿**اليَومَ، إذ ظَلَمتُم**﴾ أي: تبيّنَ لكم ظُلمكم بالإشراك في الدنيا، ﴿**أنَّكُم**﴾ مع قُرنائكم ﴿**في العَذابِ مُشتَرِكُونَ**﴾ ٣٩. عِلّةٌ بتقدير اللام لعدم النفع. وإذ: بدل من «اليوم».

٣- ﴿**أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ، أو تَهدِي العُميَ ومَن كانَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٤٠ : بيّن؟ أي: فهم لا يُؤمنون. ﴿**فإمّا**﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿**نَذهَبَنَّ بِكَ**﴾ بأن نُميتك قبل تعذيبهم ﴿**فإنّا مِنهُم مُنتَقِمُونَ**﴾ ٤١ في الآخرة، ﴿**أو نُرِيَنَّكَ**﴾ في حياتك ﴿**الَّذِي وَعَدْناهُم**﴾ به من العذاب ﴿**فإنّا علَيهِم**﴾: على عذابهم ﴿**مُقتَدِرُونَ**﴾ ٤٢ : قادرون.

٤- ﴿**فاستَمسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إلَيكَ**﴾ أي: القُرآنِ - ﴿**إنَّكَ علَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٍ ٤٣، وإنَّهُ لَذِكرٌ**﴾: لشَرف ﴿**لَكَ ولِقَومِكَ**﴾ لنُزوله بلغتهم، ﴿**وسَوفَ تُسأَلُونَ**﴾ ٤٤ عن القِيام بحقّه - ﴿**واسألْ مَن أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رُسُلِنا: أجَعَلْنا مِن دُونِ الرَّحمٰنِ**﴾ أي: غيرِه ﴿**آلِهَةً يُعبَدُونَ**﴾ ٤٥؟ قيل: هو على ظاهره بأن جُمع له الرسل ليلة الإسراء. وقيل: المراد أُممٌ من أيِّ أهلُ الكتابين. ولم يَسأل، على واحد من القولين، لأنّ المُراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قُريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعِبادة غير الله.

٥- ﴿**ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ**﴾ أي: القِبط، ﴿**فقالَ: إنِّي رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ ٤٦. فلَمّا جاءَهُم بِآياتِنا**﴾ الدالّة على رِسالته ﴿**إذا هُم مِنها يَضحَكُونَ ٤٧، وما نُرِيهِم مِن آيةٍ**﴾ من آيات العذاب كالطُّوفانِ - وهو ماء دخل بُيوتهم حتّى وصل إلى حُلوق الجالسين سبعة أيام - والجرادِ ﴿**إلّا هِيَ أكبَرُ مِن أُختِها**﴾: قرينتِها التي قبلها، ﴿**وأخَذْناهُم بِالعَذابِ، لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ**﴾ ٤٨ عن الكُفر، ﴿**وقالُوا**﴾ لموسى، لمّا رأوُا

---

(١) يعش: يتغافل ويعرض. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والقرآن: تفسير للذكر. والشيطان: من يوسوس بالشر والضلال من الجن. وفي الآية إشعار بأنه يكون لمن يتدبر ويتعظ صاحب يهديه أيضًا. انظر سبب النزول في المفصل. والقرين: المقارن. ويصد: يمنع. والعاشين أي: عن ذكر الرحمن. ويحسبون أي: يظن العاشون. والمهتدي: المسترشد إلى الحق. ومعنى مَن أي: ما فيها من معنى الجمع. (٢) جاءنا أي: جاء إلى ميعادنا للحساب. وبقرينه أي: مع قرينه الشيطان. وينفع: يكشف ضرًا ويجلب خيرًا. والعاشين أي: المذكورين في الآيتين السابقتين. واليوم: هذا الوقت. والظلم: مجاوزة الحق. وتبين لكم ظلمكم أي: ظهر بالأدلة والشهود والاعتراف. والعذاب: التعذيب. وعلة: يعني أن «أنكم. . . مشتركون» تعليل ببيان سبب عدم النفع. (٣) الصم: جمع أصم. وتهدي: ترشد إلى الخير. والعمي: جمع أعمى. والضلال: الضياع. وروي أن النبي كان يجتهد في دعاء المشركين، وهم لايزدادون إلّا كفرًا، فنزلت هذه الآية تبين أنه لانافع إلّا الله. تفسير البيضاوي ص ٤٩٢. والمزيدة أي: لتوكيد الشرط. والمنتقم: المعاقب. ووعدناهم: توعّدناهم به. انظر الآية ٤٦ من سورة يونس. (٤) استمسك: دم على التمسك. وأوحي إليك: أنزل إليك ويُسِّر لك حفظه وتبليغه. والمستقيم: المعتدل. والقوم هنا: قريش أولًا، ثم العرب كلهم ومن يؤمن حتى يوم القيامة. وتقديم قريش وحدها من حديث موضوع. انظر البحر ١٨:٨ والكامل لابن عدي ٤٣٦:٣. وتسأل: تحاسب بالعدل. وبحقه: بما يستوجب. وأرسل: بعث وكلف بالدعوة مع العمل. والرسل: جمع رسول. وجعل: فرض. والآلهة: جمع إله. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. ويعبد: يقدس ويطاع. وهو على ظاهره: يعني أن المراد هو السؤال للرسل. وأيٌّ يعني: الذين هم. وهذا ما لم يحرره أحد. وعلى واحد من القولين: يعني أنه قال: «لاأسألُ. فقَد كُفِيتُ». وفي القول الآخر أنه سأل. و«تقرير المشركين» مخالف لما نص عليه في مستهل تفسير السورة، من أن هذه الآية غير مكية. وما ذكره هنا من ليلة الإسراء يعني أن الآية مكية أيضًا نزلت قبل الهجرة. والراجح أن التقرير هنا مراد به التحقيق والتثبيت، لتقريع المشركين واليهود في المدينة على ما يزعمون. انظر تفسير القرطبي ٩٦:١٦. (٥) الآية: المعجزة الدالة على صدقه. والملأ: السادة والرؤساء. والرسول: المرسل المكلف بالدعوة. والعالَم: الجنس من الخلق. وجاءهم: حضر مجالسهم. ويضحك: يسخر. ونريهم أي: أريناهم عِيانًا. وأكبر: أعظم. وأخذناهم: عاقبناهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويرجع: ينصرف إلى الإيمان. وادعه: ناده مستغيثًا. وعهد عندك: أعطاك من العهد والميثاق. ولمهتدون أي: إن كشف عنا العذاب. وكشفنا: أزلنا ورفعنا.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

العذاب: ﴿يا أيُّها السّاحِرُ﴾ أي: العالمُ الكامل، لأنّ السحر عِندهم عِلم عظيم، ﴿ادعُ لنا رَبَّكَ بما عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنّا، إن آمنّا. ﴿إنّنا لَمُهتَدُونَ﴾ ٤٩ أي: مُؤمنون. ﴿فلمّا كَشَفْنا﴾، بدُعاء مُوسَى، ﴿عَنهُمُ العَذابَ إذا هُم يَنكُثُونَ﴾ ٥٠: ينقضون عهدهم، ويُصرّون على كُفرهم.

١ - ﴿ونادَى فِرعَونُ﴾ افتخارًا ﴿في قَومِهِ، قالَ: يا قَوم، ألَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ، وهٰذِهِ الأنهارُ﴾ من النيل ﴿تَجري مِن تَحتِيَ﴾ أي: تحتِ قُصوري؟ ﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾ ٥١ عظمتي؟ ﴿أم﴾ بل تُبصرون، وحينئذ ﴿أنا خَيرٌ مِن هٰذا﴾ أي: مُوسَى، ﴿الّذِي هُو مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير، ﴿ولا يَكادُ يُبِينُ﴾ ٥٢: يُظهر كلامه، للُثغته بالجمرة التي تناولها في صِغره. ﴿فلَولا﴾: هلّا ﴿أُلقِيَ عليه﴾، إن كان صادقًا، ﴿أساوِرةٌ مِن ذَهَبٍ﴾: جمعُ أسورةٍ كأغربة جمع سِوار، كعادتهم فيمن يُسوّدونه أن يُلبسوه أسورة ذهب، ويُطوّقونه طوق ذهب، ﴿أو جاءَ مَعَهُ المَلائكةُ مُقتَرِنِينَ﴾ ٥٣: مُتتابعين يشهدون بصدقه. ربع الحزب ٥٠

٢ - ﴿فاستَخَفَّ﴾: استفزّ فرعونُ ﴿قَومَهُ، فأطاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى - ﴿إنّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ ٥٤ - فلَمّا آسَفُونا﴾: أغضبونا ﴿انتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ ٥٥، فجَعَلْناهُم سَلَفًا﴾: جمع سالف كخادم وخدم أي: سابقين عِبرةً، ﴿ومَثَلًا لِلآخِرِينَ﴾ ٥٦ بعدهم، يتمثّلون بحالهم فلا يُقدمون على مِثل فِعالهم.

٣ - ﴿ولَمّا ضُرِبَ﴾: جُعل ﴿ابنُ مَريَمَ مَثَلًا﴾، حين نزل قوله تعالى «إنّكم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»، فقال المشركون: «رضينا أن تكون آلهتنا مع عِيسَى لأنه عُبِد من دُون الله»، ﴿إذا قَومُكَ﴾ أي: المُشركون ﴿مِنهُ﴾: من المَثَل ﴿يَصِدُّونَ﴾ ٥٧: يضجّون فرحًا بما سمعوا، ﴿وقالُوا: أآلِهَتُنا خَيرٌ أم هُوَ﴾ أي: عِيسَى؟ فنرضى أن تكون آلهتنا معه. ﴿ما ضَرَبُوهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿لَكَ إلّا جَدَلًا﴾: خُصومة بالباطل، لعلمهم أنّ «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عِيسَى، عليه السلام. ﴿بَل هُم قَومٌ خَصِمُونَ﴾ ٥٨ شديدو الخصومة.

٤ - ﴿إنْ هُوَ﴾: ما عِيسَى ﴿إلّا عَبدٌ أنعَمْنا عليهِ﴾ بالنبوّة، ﴿وجَعَلْناهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِبَنِي إسرائيلَ﴾ ٥٩ أي: كالمَثَل لغرابته، يُستدلّ به على قُدرة الله - تعالى - على ما يشاء. ﴿ولَو نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنكُم﴾: بَدَلَكم ﴿مَلائكةً في الأرضِ يَخلُفُونَ﴾ ٦٠ بأن نُهلِكَكم. ﴿وإنَّهُ﴾ أي: عِيسَى

---

(١) فرعون: ملك مصر في عهد موسى. ونادى: خطب. وقومه: أتباعه من القبط. والملك: الحيازة والتصرف. ومصر: البلد شمال السودان، وكان يطلق على العاصمة منه. والأنهار: جمع نهر. والنيل: يعني الفروع الموزعة منه. وتجري: تسيل بسرعة. وتبصرون: ترون عِيانًا. و«بل» يعني أن «أم»: حرف استئناف للإضراب الانتقالي من التوبيخ إلى التحقيق. وحينئذ: حين أبصرتم عظمتي. يعني: لأنكم أبصرتموها حقًا. وخير: أكثر عظمة وملكًا. ويكاد: يقارب. وبالجمرة يشير المحلي إلى ما أصاب لسان موسى من حُبسة، بسبب جمرة لذعته. وألقي: أنزل من عند مرسله. وجاء: أتى من عند الله. والملائكة: جمع مَلَك.

(٢) استفزهم: أثار خفة عقولهم لمتابعته. والفاسق: الخارج على طاعة الله. وانتقمنا منهم: عاقبناهم في الدنيا. وأغرقه: أماته خنقًا بالماء. وجعل: صيّر. والمثل: القصة العجيبة تذكر بين الناس للعظة. والآخرون: الآتون بعد ذلك التاريخ.

(٣) المثل: الشَّبَه. يعني ما كان من عبد الله بن الزِّبَعرَى، إذ غالط في فهم الآية المذكورة - وهي الآية ٩٨ من سورة الأنبياء - وزعم أن عيسى هو كالأصنام في جهنم لأنه عبده النصارى، وفرح بذلك مشركو مكة، لتغلب ابن الزبعرى في الجدال ظاهرًا. انظر المسند ١: ٣١٧-٣١٨. ويضجون: يصرخون. والآلهة: جمع إله. وخير: أفضل. يعني: أمعبوداتنا عندك أفضل أم عيسى؟ ليست عندك خيرًا منه. فلتكن إذًا معه. وضربوه: ذكروه. ولايتناوله: لايشمله.

(٤) العبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وأنعمنا: تفضلنا. وجعل: صيّر. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب من اليهود والنصارى. ونشاء: نريد استبدالكم. وجعلنا: خلقنا. ويخلفون: يكونون بدلًا منكم موكلين بالطاعة وعمارة الأرض. ونهلككم أي: فيكونوا خلفًا لكم. وهذا يسير علينا وأعجب من خلق عيسى دون أب، وفيه تهديد وإشعار بالغنى عنهم وحقارة شأنهم. والعِلم: العلامة والشرط يكون دليلًا على ما يتحقق بعده. والساعة: يوم القيامة بالبعث للحساب والجزاء. وبنزوله أي: أن نزول عيسى قبل يوم القيامة دلالة على قرب الساعة. وقيل: المراد هنا أن ولادته من غير أب وإحياءه الموتى دليل قاطع، على صحة البعث الذي هومعظم ما ينكره الكفرة، من الأمور الواقعة في الساعة. تفسيرا ابن كثير ٤: ١٣٣ والآلوسي ٢٥: ١٤٧. واتبعوني: وافقوني واستجيبوا لما أدعوكم إليه. وفيما عدا الأصل وخ وع: «اتبعونِ» بحذف ياء المتكلم. وإثباتها من التلخيص، وهو جائز لتبيين القراءة المختارة عند المحلي. والمستقيم: القويم لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. والشيطان: من يغري بالشر والضلال من الجن والإنس. والعدو: المعادي.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿**لَعِلمٌ لِلسّاعةِ**﴾ تُعلَم بنُزوله. ﴿**فلا تَمترُنَّ بها**﴾، حُذفَ منه نونُ الرفع للجزم، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: تَشُكُّنَّ فيها. ﴿**و**﴾ قل لهم: ﴿**اتَّبِعُونِي**﴾ على التوحيد - ﴿**هٰذا**﴾ الذي آمركم به ﴿**صِراطٌ**﴾: طريق ﴿**مُستقِيمٌ ٦١ - ولا يَصُدَّنَّكُمُ**﴾: يصرفنَّكم عن دِين الله ﴿**الشّيطانُ. إنَّهُ لكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ ٦٢ : بيِّنُ العداوة.

١- ﴿**ولَمّا جاءَ عِيسَى بالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات والشرائع ﴿**قالَ: قَد جِئتُكُم بالحِكمَةِ**﴾: بالنبوّة وشرائع الإنجيل، ﴿**ولأُبَيِّنَ لكُم بَعضَ الّذِي تَختلِفُونَ فِيهِ**﴾، من أحكام التوراة من أمر الدِّين وغيره. فبيَّنَ لهم أمر الدِّين. ﴿**فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ ٦٣. إنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي ورَبُّكُم. فاعبُدُوهُ. هٰذا صِراطٌ**﴾: طريق ﴿**مُستقِيمٌ ٦٤. فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم**﴾ في عِيسَى: أهو اللهُ أو ابنُ الله أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿**فوَيلٌ**﴾: كلمة عذاب ﴿**لِلّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا، بما قالوه في عِيسَى، ﴿**مِن عَذابِ يَومٍ ألِيمٍ**﴾ ٦٥ : مؤلم.

٢- ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾ أي: كُفّارُ مكّة، أي: ما ينتظرون ﴿**إلّا السّاعةَ، أن تأتِيَهُم**﴾: بدلٌ من «الساعة» ﴿**بَغتةً**﴾: فجأة، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ ٦٦ بوقت مجيئها قبله؟ ﴿**الأخِلّاءُ**﴾ على المعصية في الدنيا، ﴿**يَومَئِذٍ**﴾: يومَ القِيامة، مُتعلّق بقوله: ﴿**بَعضُهُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ، إلّا المُتّقِينَ**﴾ ٦٧ المُتحابّين في الله على طاعته. فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

٣- ﴿**يا عِبادِي - لا خَوفٌ علَيكُمُ اليَومَ ولا أنتُم تَحزَنُونَ ٦٨ - الّذِينَ آمَنُوا**﴾: نعتٌ لـ «عبادي» ﴿**بِآياتِنا**﴾: القُرآن، ﴿**وكانُوا مُسلِمِينَ ٦٩. ادخُلُوا الجَنّةَ، أنتُم**﴾: مُبتدأ ﴿**وأزواجُكُم**﴾: زوجاتكم ﴿**تُحبَرُونَ**﴾ ٧٠: تُسرّون وتُكرمون، خبرُ المبتدأ، ﴿**يُطافُ علَيهِم بِصِحافٍ**﴾: بقِصاع ﴿**مِن ذَهَبٍ، وأكوابٍ**﴾: جمع كوب - وهو إناء لا عُروة له لِيَشرب الشارب من حيثُ شاء - ﴿**وفِيها ما تَشتَهِي الأنفُسُ**﴾ تلذّذًا، ﴿**وتَلَذُّ الأعيُنُ**﴾ نظرًا، ﴿**وأنتُم فِيها خالِدُونَ ٧١. وتِلكَ الجَنّةُ الّتِي أُورِثتُمُوها بِما كُنتُم تَعمَلُونَ ٧٢، لَكُم فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرةٌ، مِنها**﴾ أي: بعضَها ﴿**تأكُلُونَ**﴾ ٧٣، وكُلّ ما يُؤكل يَخلُفُ بدلُه.

---

(١) جاء أي: أتى بني إسرائيل يبلّغهم ما كلف به. وعيسى: الرسول الذي أُوحي إليه الإنجيل وزعم بنو إسرائيل أنهم صلبوه. وقال أي: لبني إسرائيل. وأبين: أوضّح وأفصّل. وبعضه: الجزء منه. وتختلفون: تتنازعون وتتخاصمون. واتقوه: تجنبوا غضبه وانتقامه واطلبوا رضاه بالتزام الأمر والنهي. والله: لفظ الجلالة اسم علم للواجب الوجود والمعبود بحق وحده المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأطيعونِ أي: اتبعوا ما أبلّغه عن الله. واعبدوه: وحّدوه في الألوهية والطاعة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وهذا أي: التوحيد والطاعة بما في العقيدة والشريعة. وفي ذلك ما يعني وحدة دعوات الرسل والأنبياء جميعًا. والمستقيم: المعتدل. واختلفوا: تنازعوا واختصموا. والأحزاب: جمع حزب. وهو الجماعة من الناس يوحد بينهم عقيدة أو مذهب. ومن بينهم أي: ممن بُعث إليهم عيسى، عليه السلام. و«أهو... ثلاثة» يضاف إليه: من آمن به عبدًا ورسولًا، واليهود الذين أنكروا نبوته وزعموا أنه ابن زنى. قاتلهم الله. وقائل الأولى هم اليعاقبة، وقائل الثانية هم المراقسة، وقائل الثالثة هم الملكانية. وكلمة عذاب أي: الدعاء بالعذاب الشديد. والظلم: مجاوزة الحق. والكفرُ أشنع ذلك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. واليوم: الوقت، يوم القيامة إذ يكون الحساب والجزاء. وفي هذا تهديد لكافري مكة وغيرها أيضًا، تمهيدًا لما سيلي في الآيات التالية.

(٢) كفار مكة أي: وغيرها ممن ظلموا. وقد جُعلوا منتظرين لأن الساعة آتية لامحالة، فكأنهم بعد كفرهم ينتظرونها ويترقبون وقوعها بهم. وفي ذلك تهكم وتهديد. والساعة: يوم القيامة. وتأتيهم: تصادفهم بأهوالها. وبدل: يعني أن المصدر المؤول من «أن» وما بعدها: في محل نصب بدل. والتقدير: ما ينتظرون إلّا الساعةَ، إتيانَها مفاجئةً. ولايشعر: لا يحس ولا يعي لِما هو فيه، من مشاغل الدنيا والإنكار، أو من عذاب القبر. والأخلاء: جمع خليل. وهو الصاحب الملازم المخلص. ويومئذ: يوم إذْ تأتي الساعة. ومتعلق بقوله يعني: أن «يوم»: متعلق بـ «عدو». والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب رضاه بامتثال الأمر والنهي.

(٣) العباد: جمع عبد. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «ياعبادِ» بحذف ياء المتكلم للتخفيف. انظر الآية ٥١. والخوف: الفزع مما سيكون. واليوم: هذا الوقت. وتحزن: تغتم مما كان. أي: أنتم في طمأنينة وسعادة. ونعت: يعني أن «الذين»: في محل نصب صفة. والمسلم: من أخلص في الدين والعمل. والجنة: البستان العظيم. والأزواج: جمع زوج، الزوجات المؤمنات. وخبر: يعني أن جملة «تحبرون»: خبر للمبتدأ: أنتم. ويطاف عليهم أي: يحوم حولهم وبينهم الولدان والغلمان في الجنة يخدمونهم. وفي الالتفات من الخطاب إلى الغَيبة بيان أن ما هم فيه عجيب، يحكى أمره لغيرهم. والصحاف: جمع صَحفة. وهي وعاء كبير للطعام. والعروة: الأذن يمسك منها الإناء. وتشتهي: تتمناه وتطلبه. وفي ط والمنحة والمطبوعات: «تشتهيه». والأنفس: جمع نفس، أي: قلب الإنسان وضميره. وتلذ: تستمتع به من المرئيات، وأعلاها وجه الله الكريم. والأعين: جمع عين. والخالد: المقيم أبدًا. وأورثتموها: أعطيتموها لاتزول عنكم. وتعملون: تكتسبونه من النيات والأقوال والأفعال. والفاكهة: الثمار المستلذة. والكثيرة: الغفيرة المتعددة الأنواع. ويخلف بدله: يعني أن الشجر مثمر دائمًا، مهما أُخذ منه. وفي الأصل: يُخلَف بدله.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

١- ﴿**إِنَّ المُجرمِينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ** ٧٤، **لا يُفَتَّرُ**﴾: يُخفَّف ﴿**عَنهُم، وهُم فِيهِ مُبلِسُونَ**﴾ ٧٥: ساكتون سكوتَ يأس، ﴿**وما ظَلَمْناهُم ولٰكِن كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ** ٧٦، **ونادَوا: يا مالِكُ**﴾ هو خازن النار، ﴿**لِيَقضِ علَينا رَبُّكَ**﴾: ليُمِتْنا. ﴿**قالَ**﴾ بعد ألف سنة: ﴿**إِنَّكُم ماكِثُونَ**﴾ ٧٧: مُقيمون في العذاب دائمًا.

٢- قال تعالى: ﴿**لَقَد جِئناكُم**﴾ - أي أهلَ مكّة - ﴿**بالحَقِّ**﴾ على لسان الرسول، ﴿**ولٰكِنَّ أكثَرَكُم لِلحَقِّ كارِهُونَ** ٧٨. **أم أبرَمُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة أحكموا ﴿**أمرًا**﴾، في كيد مُحمّد النبيّ؟ ﴿**فإنّا مُبرِمُونَ**﴾ ٧٩: مُحكِمون كيدَنا في إهلاكهم. ﴿**أم يَحسَبُونَ أنّا لا نَسمَعُ سِرَّهُم ونَجواهُم**﴾: ما يُسِرّون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم؟ ﴿**بَلَى**﴾ نسمع ذلك، ﴿**ورُسُلُنا**﴾: الحَفَظة ﴿**لَدَيهِم**﴾: عِندهم ﴿**يَكتُبُونَ**﴾ ٨٠ ذلك.

٣- ﴿**قُلْ: إن كانَ لِلرَّحمٰنِ وَلَدٌ**﴾ فَرْضًا﴿**فأنا أوَّلُ العابِدِينَ**﴾ ٨١ للولد. لكن ثَبَتَ أن لا ولد له - تعالى - فانتفت عِبادته. ﴿**سُبحانَ رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ، رَبِّ العَرشِ**﴾: الكُرسيّ، ﴿**عَمّا يَصِفُونَ**﴾ ٨٢: يقولون من الكذب بِنسبة الولد إليه! ﴿**فذَرهُم، يَخُوضُوا**﴾ في باطلهم، ﴿**ويَلعَبُوا**﴾ في دُنياهم، ﴿**حَتّى يُلاقُوا يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾ ٨٣ فيه العذابَ. وهو يوم القيامة.

٤- ﴿**وهُوَ الَّذِي**﴾ هو ﴿**في السَّماءِ إلٰهٌ**﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإسقاطِ الأولى، وتسهيلِها كالياء - أي: معبود، ﴿**وفي الأرضِ إلٰهٌ**﴾، وكُلٌّ من الظرفين مُتعلّق بما بعده، ﴿**وهُوَ الحَكِيمُ**﴾ في تدبير خلقه، ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٨٤ بمصالحهم، ﴿**وتَبارَكَ**﴾: تعظّم ﴿**الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، وعِندَهُ عِلمُ السّاعةِ**﴾ متى تقومُ، ﴿**وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ٨٥، بالتاء والياء، ﴿**ولا يَملِكُ الَّذِينَ يَدعُونَ**﴾: يعبدون أي: الكُفّارُ ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ ﴿**الشَّفاعةَ**﴾ لأحد، ﴿**إلّا مَن شَهِدَ بالحَقِّ**﴾ أي قال: «لا إلٰه إلّا الله»، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ ٨٦ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم. وهم عِيسَى وعُزيرٌ والملائكة، فإنهم يشفعون للمُؤمنين. ﴿**ولَئِنْ**﴾ - لامُ قسم - ﴿**سَألتَهُم: مَن خَلَقَهُم؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ**﴾. حُذِفَ منه نونُ الرفع وواوُ الضمير. ﴿**فأنَّى يُؤفَكُونَ**﴾ ٨٧: يُصرفون عن عِبادة الله؟

٥- ﴿**وقِيلِهِ**﴾ أي: قولَ مُحمّد النبيّ، ونصبُه على المصدر بفعله المقدر، أي: وقال: ﴿**يا رَبِّ، إنَّ هٰؤُلاءِ قَومٌ لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٨٨. قال تعالى: ﴿**فاصفَحْ**﴾: أعرِض ﴿**عَنهُم، وقُلْ: سَلامٌ**﴾ منكم. وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم. ﴿**فسَوفَ يَعلَمُونَ**﴾ ٨٩، بالياء والتاء: تهديدٌ لهم.

---

(١) المجرم: الراسخ في الكفر باختيار وعزم. والخالد المقيم أبدًا. وماظلمناهم أي: قضينا عليهم بما يستحقون. والظالمين: الواضعين الكفر موضع الإيمان، فظلموا أنفسهم. ونادوا: دعوا مستغيثين. وخازنها: رئيس ملائكة العذاب فيها. وذكرُ السَّنة هنا مراد به التقريب لا التعيين، لأن اليوم هناك كألف سنة من الحياة الدنيا.

(٢) جئناكم: بيّنّا لكم. وأي: حرف نداء. وذكرُ أهل مكة يعني أن الخطاب موجه في الدنيا. والحق: الدين الثابت. وكارهون أي: سجاياهم لاتقبله، وإنما تنقاد للباطل تعظمه. والأمر: القصد. وكيدنا أي: تدبيرنا بالخفاء للردع والانتقام. ويحسب: يظن. ونسمع: ندرك. والسر: ما يحدّث به الإنسان نفسه أو غيره بهمس. والنجوى: التناجي بصوت خافت. و«يجهرون»: انظر «المفصل». والرسل: جمع رسول. ويكتب: يسجل ويحفظ. وذلك أي: سرهم ونجواهم وغيرهما من الأقوال والأفعال.

(٣) الآيتان رد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله. انظر الآية ٣٦. وإن كان: إن صح ببرهان قاطع. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والولد ما يخلفه المخلوق من سلالته. وفرضًا: افتراضًا جدليًا للتسليم في الحجاج والاستدلال. والأول: السابق المتقدم لغيره في عصره. والعابد: المقدس المطيع. وانتفت عبادته أي: بطلت عبادة ما تزعمون. وسبحانه: تنزيهًا له. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والعرش: مخلوق عظيم جدًا يحيط بالكون كله، ولايعرف حقيقته إلّا الله. فتفسيره بالكرسي غير صحيح. ويصف: يزعم من الأوصاف الباطلة. ونسبة الولد أي: وغير ذلك من الأباطيل. وذرهم: اتركهم بعد أن بلّغتَهم. ويخوضوا: ينغمروا. ويلعب: يمرح عابثًا. ويلاقونه: يصادفونه. ويومهم: وقت عذابهم. ويوعدون أي: يهددون به.

(٤) بإسقاط الأولى يريد القراءة «في السَّما إلٰهٌ». وتسهيلها كالياء: جعلها بين الهمزة والياء «السَّماإِ إلٰهٌ». ومعبود: مستحق للعبادة في السماء ومستحق لها في الأرض. والظرفان أي: في السماء، وفي الأرض. وبما بعده أي: إلٰه، لأنه بمعنى اسم المفعول: مألوه معبود. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والملك: الحيازة والتصرف. وما بينهما أي: مافي الأرض والجو من العوالم. وعنده أي: مستأثر به وحده. وعلمها: علم وقت حدوثها. والساعة: وقت القيامة. وفيما عدا الأصل والنسخ: يرجعون. وبالياء يريد القراءة «يُرجَعُونَ»، أي: يعادُون بالبعث للحساب. ويملكها: يستطيعها. والذين يدعون أي: المعبودون. والشفاعة: طلب التجاوز عن الذنوب. وشهد: اعترف. والحق: الأمر الثابت. ويعلم: يعرف. ولئن سألتهم... الله: انظر الآية ٩.

(٥) قيله أي: قوله. وفي ث وط والفتوحات والصاوي: «وقِيلِهِ». ويارب أي: ياربي. ولا يؤمنون: لايصدّقون ما أدعوهم إليه. وأعرض أي: لاتهتمَّ لعصيانهم. والسلام: الأمان بلا قتال ولاجدال. ومنكم أي: شأني الآن هو المتاركة بسلامتكم مني وسلامتي منكم. ويعلم: يدرك بالعِيان. وبالتاء يريد القراءة «تَعلَمُونَ».

سُورَةُ الدُّخَانِ
ترتيبها ٤٤ آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ
﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

سورة الدخان

مكية، وقيل: إلّا «إنا كاشفو العذاب قليلًا» الآية،
وهي ستّ أو سبع أو تسع وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**حمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**والكِتابِ**﴾: القرآن ﴿**المُبِينِ**﴾ ٢: المُظهِر الحلالَ من الحرام، ﴿**إنّا أنزَلْناهُ في لَيلةٍ مُبارَكةٍ**﴾، هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أمّ الكِتاب، من السماء السابعة إلى سماء الدنيا. ﴿**إنّا كُنّا مُنذِرِينَ**﴾ ٣: مُخوِّفين به.

٢- ﴿**فيها**﴾ أي: في ليلة القدر أو ليلة نصف شعبان، ﴿**يُفرَقُ**﴾: يُفصل ﴿**كُلُّ أمرٍ حَكِيمٍ**﴾ ٤: مُحكَم، من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مِثل تلك الليلة، ﴿**أمرًا**﴾: فرقًا ﴿**مِن عِندِنا. إنّا كُنّا مُرسِلِينَ**﴾ ٥ الرسلَ مُحمّدًا ومَن قبلَه، ﴿**رَحمةً**﴾: رأفة بالمُرسَل إليهم ﴿**مِن ربِّكَ. إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوالهم ﴿**العَلِيمُ**﴾ ٦ بأفعالهم، ﴿**رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما**﴾، برفع «ربّ» خبرٌ ثالث، وبجرّه بدلٌ من «ربّك» - ﴿**إن كُنتُم**﴾، يا أهل مكّة، ﴿**مُوقِنِينَ**﴾ ٧ بأنه تعالى ربّ السماوات والأرض فأيقنوا بأنّ مُحمّدًا رسوله - ﴿**لا إلَهَ إلّا هُوَ، يُحيِي ويُمِيتُ، رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ**﴾ ٨.

نصف الحزب ٥٠

٣- ﴿**بَل هُم في شَكٍّ**﴾ من البعث، ﴿**يَلعَبُونَ**﴾ ٩ استهزاء بك يا مُحمّد. فقال: «اللّهُمّ أعِنِّي علَيهِم بسَبعٍ كسَبعِ يُوسُفَ». قال تعالى: ﴿**فارتَقِبْ**﴾ لَهُم ﴿**يَومَ تأتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ**﴾ ١٠ - فأجدبَتِ الأرض واشتدّ بهم الجوع، إلى أن رأوا من شِدّته كهيئة الدُّخان بين السماء والأرض - ﴿**يَغشَى النّاسَ**﴾، فقالوا: ﴿**هٰذا عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ١١. ﴿**رَبَّنا، اكشِفْ عَنّا العَذابَ. إنّا مُؤمِنُونَ**﴾ ١٢: مُصدّقون نبيّك.

٤- قال تعالى: ﴿**أنّى لَهُمُ الذِّكرَى**﴾ أي: لا ينفعهم الإيمانُ عِند نُزول العذاب، ﴿**وقَد جاءَهُم رَسُولٌ مُبِينٌ**﴾ ١٣: بيّنُ الرسالةِ، ﴿**ثُمَّ تَوَلَّوا عَنهُ وقالُوا: مُعلَّمٌ**﴾ أي: يُعلّمه القُرآنَ بشرٌ، ﴿**مَجنُونٌ**﴾ ١٤؟ ﴿**إنّا كاشِفُو العَذابِ**﴾ أي: الجوع عنكم زمنًا ﴿**قَلِيلًا**﴾ - فكُشِف عنهم - ﴿**إنَّكُم عائدُونَ**﴾ ١٥ إلى كُفركم. فعادوا إليه.

٥- اذكرْ ﴿**يَومَ نَبطِشُ البَطْشةَ الكُبرَى**﴾ هو يوم بدر، ﴿**إنّا مُنتَقِمُونَ**﴾ ١٦ منهم. والبطش: الأخذ بقوّة. ﴿**ولَقَد فَتَنّا**﴾: بلَونا ﴿**قَبلَهُم قَومَ فِرعَونَ**﴾

---

(١) أنزلناه: قضينا بنزول القرآن دُفعة واحدة، لينزل منجمًا بعدُ على النبي ﷺ، بحسب الظروف والأسباب. والمباركة: التي يكثر فيها الخير ويعم جميع الخلق. وليلة القدر في أواخر رمضان. والصواب: «من اللوح المحفوظ». انظر الآية ١ من سورة القدر. وسماء الدنيا أي: السماء التي تلي الأرض. وكنا أي: ولانزال. فشأننا الإنذار والتهديد. وبه أي: بالقرآن وغيره. (٢) قال ابن العربي: «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوّل عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها. فلا تلتفتوا إليها». أحكام القرآن ص ١٦٩٠. وكذلك الدعاء المشهور بين العامّة في تلك الليلة، فهو غير ثابت وفيه ما لايجوز قوله شرعًا. انظر قرة العينين ص ٦٥٧-٦٥٨. ويفصل: يوضح للملائكة ما يجب عليهم من العمل. والأمر: ما يكلف به المخلوق. والمحكم: القائم على الحكمة البالغة، مع الاحتمالات المتوقعة من اختيارات البشر، وحصول التنفيذ. وهذا التفسير مبني على ماذكره المحلي هنا، وهو قول ليس في لفظ الآية أو صحيح الأحاديث مايؤيده. وقد ذكر المفسرون في ذلك أيضًا ما يوزع على الملائكة من واجبات في الكون والحياة، وأطالوا التفصيل والخلاف، من دون نص شرعي موثق. والظاهر أن المعنى: يُفصَّل حينذاك كل أمر بالغ الحكمة، على الوجه المحمود عند الصالحين، تسعد به أرواحهم، وتكون فيه منافع العباد في دينهم ودنياهم. وذلك هو ما ذكر في الآيتين ٣ و٥، أي: الرسالات السماوية التي أنزل كل منها في الليلة المباركة من شهر رمضان، على الرسل في أزمانهم المختلفة. انظر البحر ٨:٣٣ وتفسير القاسمي ص ٥٢٩٣-٥٢٩٤ وتعليقنا على تفسير الآية ٤ من سورة القدر. وكنا: انظر الآية ٣. ومرسلين: باعثين ومكلفين بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده بحكمته وفضله. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ومابينهما أي: الجو وما فيه وفي الأرض من مخلوقات. وخبر ثالث أي: لـ «إنّ». وبجره يريد القراءة «رَبِّ». والموقن: من يعتقد جازمًا. والإله: المعبود بحق. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والأولون: الأقدمون. (٣) الشك: التردد. ويلعب: يلهو ويعبث. وسبع: سبع سنين من الجدب. وارتقب: انتظر. وتأتي السماء بدخان أي: يكون فيها ظلمة كالدخان. والمبين: الظاهر للعِيان. ويغشاهم: يحيط بهم. والناس: أهل مكة. واكشف: ارفع وأزل. ولما زال عنهم القحط استمروا على الكفر والعصيان. فعندما اشتد القحط على المشركين قيل للنبي: «استسقِ اللهَ لمُضرَ. فإنّها قد هَلَكتْ». فدعا لهم بالسقيا، وكان منهم ما ذكرنا. الأحاديث ٩٦٢ و... و٤٥٤٤ و٤٥٤٥ في البخاري و٢٧٩٨ في مسلم، والمسند ١:٢٣٦ و٣٨١. (٤) أنّى أي: من أين؟ والذكرى: الاتعاظ بما يحصل ليلازموا الإيمان. ولاينفعهم... العذاب: انظر «المفصل». وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. وتولى: أعرض. وبشر أي: سلمان الفارسي أو غيره ممن كان يعرف التوراة والإنجيل. والمجنون: من فقد عقله. وكاشفوه أي: كشفناه لإقامة الحجة عليكم. وإليه أي: إلى الاستمرار على الكفر. (٥) اذكر أي: لنفسك وأصحابك بشارة وطمأنة، ولقومك تهديدًا ووعيدًا. =

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

معه، ﴿**وجاءَهُم رَسُولٌ**﴾ هو مُوسَى - عليه السلام - ﴿**كَرِيمٌ**﴾ ١٧ على الله تعالى، ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**أَدُّوا إِلَيَّ**﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهروا إيمانكم بالطاعة لي - يا ﴿**عِبادَ اللهِ - إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ ١٨ على ما أُرسلتُ به، ﴿**وأنْ لا تَعلُوا**﴾: تتجبَّروا ﴿**علَى اللهِ**﴾ بترك طاعته - ﴿**إِنِّيَ آتِيكُم بِسُلطانٍ**﴾: برهان ﴿**مُبِينٍ**﴾ ١٩: بيِّن على رسالتي. فتوعَّدوه بالرجم، فقال: ﴿**وإنِّي عُذتُ بِرَبِّي ورَبِّكُم، أن تَرجُمُونِ**﴾ ٢٠ بالحِجارة - ﴿**وإن لَم تُؤمِنُوا لِي**﴾: تُصدِّقوني ﴿**فاعتَزِلُونِ**﴾ ٢١ فاتركوا أذاي.

١ - فلم يتركوه، ﴿**فَدَعا رَبَّهُ أنَّ**﴾ أي: بأنَّ ﴿**هٰؤُلاءِ قَومٌ مُجرِمُونَ**﴾ ٢٢: مُشركون. فقال تعالى: ﴿**فأَسْرِ**﴾، بقطع الهمزة ووصلِها، ﴿**بِعِبادِي**﴾ بني إسرائيل ﴿**لَيلًا - إنَّكُم مُتَّبَعُونَ**﴾ ٢٣: يتَّبعكم فِرعَون وقومه - ﴿**واترُكِ البَحرَ**﴾ إذا قطعتَه أنت وأصحابك ﴿**رَهْوًا**﴾: ساكنًا منفرِجًا، حتَّى يدخله القِبط. ﴿**إنَّهُم جُندٌ مُغرَقُونَ**﴾ ٢٤. فاطمأنَّ بذلك فأُغرقوا.

٢ - ﴿**كَم تَرَكُوا مِن جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**وعُيُونٍ**﴾ ٢٥ تجري، ﴿**وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ**﴾ ٢٦: مجلس حسن، ﴿**ونَعْمةٍ**﴾: مُتعة، ﴿**كانُوا فِيها فاكِهِينَ**﴾ ٢٧ ناعمين! ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ خبرُ مُبتدأ، أي: الأمرُ. ﴿**وأورَثْناها**﴾ أي: أموالَهم ﴿**قَومًا آخَرِينَ**﴾ ٢٨ أي: بني إسرائيل، ﴿**فما بَكَتْ علَيهِمِ السَّماءُ والأرضُ**﴾، بخِلاف المُؤمنين يبكي عليهم بموتهم مُصلّاهم، من الأرض ومَصعَدُ عملهم من السماء، ﴿**وما كانُوا مُنظَرِينَ**﴾ ٢٩: مُؤخَّرينَ للتوبة.

٣ - ﴿**ولَقَد نَجَّينا بَنِي إسرائيلَ مِنَ العَذابِ المُهِينِ**﴾ ٣٠: قتل الأبناء واستخدام النساء، ﴿**مِن فِرعَونَ**﴾. قيل: بدلٌ من «العذاب» بتقدير مضاف، أي: عذابِ، وقيل: حالٌ من «العذاب». ﴿**إنَّهُ كانَ عالِيًا**﴾ أي: متكبِّرًا مسرفًا ﴿**مِنَ المُسرِفِينَ**﴾ ٣١ - ﴿**ولَقَدِ اختَرناهُم**﴾ أي: بني إسرائيل ﴿**علَى عِلمٍ**﴾ منّا بحالهم، ﴿**علَى العالَمِينَ**﴾ ٣٢ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، ﴿**وآتَيناهُم مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ**﴾ ٣٣: نعمةٌ ظاهرة، من فلق البحر والمنّ والسلوى وغيرها.

٤ - ﴿**إنَّ هٰؤُلاءِ**﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿**لَيَقُولُونَ ٣٤: إنْ هِيَ**﴾: ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿**إلّا مَوتَتُنا الأُولَى**﴾ أي: وهم نُطَف، ﴿**وما نَحنُ بِمُنشَرِينَ**﴾ ٣٥: بمبعوثين أحياءً بعد الثانية. ﴿**فائتُوا بِآبائنا**﴾ أحياءً، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٣٦ أنا نُبعث بعد موتنا، أي: نحيا. قال تعالى: ﴿**أَهُم خَيرٌ أم قَومُ تُبَّعٍ**﴾، هو نبيٌ أو رجل صالح، ﴿**والَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ من الأُمم؟ ﴿**أهلَكْناهُم**﴾ لكُفرهم. والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأُهلكوا -

---

=والكبرى: العظمى بما يكون فيها من ذلهم ومقاتلهم. والمنتقم: المعاقب للعصاة. وبلونا: فعلنا فعل الممتحن، بكثرة الرزق والسلطان وإرسال الرسل، ليظهر ما في النفوس من إصرار على الكفر واستعداد للإيمان. وقوم فرعون: جنوده وأعوانه من العرب القبط. والعباد: جمع عبد. وهوالمملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والرسول: من بعث وكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والكريم: العزيز المكرم. والأمين: المأمون. وآتيكم: مُحضر لكم وموصل إليكم. وعلى رسالتي أي: على صدقي فيها. وعذت: التجأت واعتصمت. وترجمون: ترموني. واتركوا أذاي يعني: كونوا بمعزل عني مع ترك لأذاي.

(١) دعاه: ناداه مستعينًا. والمجرم: الممعن في الفساد باختيار وعزم. وأسر أي: سِر في الليل. وبوصلها يريد القراءة «فاسْرِ». ويتبعكم: يلحق بكم. واتركه: لاتضربه بالعصا. والبحر: ما اجتمع من الماء الكثير. وهوالجانب الشمالي من البحر الأحمر. ومنفرجًا أي: منشقًّا ماؤه بما برز من القاع بالخسف لمناطق متفرقة منه. والجند: واحده جندي. والمغرق: الميت خنقًا بالماء. **(٢)** كم أي: كثيرًا جدًّا. وتركوه: خلفوه لغيرهم بني إسرائيل ملكوه بعدهم، كما سيرد في الآية ٢٨. والعيون: جمع عين. وهي يَنبوع الماء. والزروع: جمع زرع. وهو ما ينبت من الشجر وغيره. والنعمة: ما يتنعم به. وكذلك أي: على ما ذكرنا من قصة موسى وفرعون. وخبر مبتدأ يعني: خبر مبتدأ مقدر. وأورثناها: جعلناها ملكًا يورث. فقد رجع بنو إسرائيل بعد وفاة موسى إلى مصر وملكوها. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وعدم البكاء تمثيل لتحقير أمرهم. يعني أنهم كانوا أصحاب فساد. وما ذكره المحلي من البكاء هو في حديث ضعيف. انظر البحر ٨:٣٦-٣٧ و٥٢٠٠ من ضعيف الجامع. **(٣)** نجينا: أنقذنا. والمهين: المذلّ. واستخدام النساء: إبقاؤهن على الحياة لاستخدامهن. ومضاف: يعني أن التقدير: من عذاب فرعون. وحال أي: متعلقان بحال محذوفة. والمسرف: المغرق في ارتكاب البغي بعزم. واخترناهم: اصطفيناهم لتحمل الرسالة والتوراة. والعلم: الإحاطة التامة. وبحالهم أي: بما فيهم من استعداد للتزييف والعصيان. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وعالمي زمانهم: مَن كان في ذلك الزمان. و«العقلاء» زيادة فيها نظر، لأنها تشمل الملائكة أيضًا، في حين أن المراد هو الإنس والجن فقط، وليس لبني إسرائيل تفضيل على الملائكة. وآتينا: أعطينا. والآية: المعجزة. والبلاء: الامتحان لتمييز الصالح من الفاسد. **(٤)** يقولون أي: سيخاطبون من يهددهم بالبعث. فقد روي أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله، فيحيي لهم قصيّ بن كلاب ليشاوروه في صحة النبوة والبعث. فنزلت الآية. تفسير القرطبي ١٦:١٤٤. والأولى: التي قبل التكون في الأرحام. وهم نطف أي: أموات لا قدرة لهم على النمو. وائتوا بهم: ردوهم بطلب من الله. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والصادق: من يقول الحق. وخير: أفضل قوة. وتبّع: أسعد أبوكرب من اليمانية. وأهلكناهم: أفنيناهم. والمجرم: المصرّ على الإجرام باختيار وقصد. وخلق: أوجد. واللاعب: العابث بما لاغاية له. والحق: الإحكام. ولا يعلمون: ليس عندهم إدراك للحقائق، لِما هم عليه من التقليد الشنيع.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ — ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

﴿إنّهم كانوا مُجرمِينَ﴾ ٣٧ - ﴿وما خَلَقْنا السّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾ ٣٨ بخلق ذلك، حالٌ. ﴿ما خلَقْناهُما﴾ وما بينهما ﴿إلّا بالحَقِّ﴾ أي: مُحِقّينَ في ذلك، يُستدلّ به على قُدرتنا ووحدانيّتنا وغير ذلك، ﴿ولٰكِنَّ أكثَرَهُم﴾ أي: كُفّارِ مكة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ٣٩.

١- ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾: يوم القيامة، يفصِل الله فيه بين العباد، ﴿مِيقاتُهُم أجمَعِينَ﴾ ٤٠ للعذاب الدائم، ﴿يَومَ لا يُغني مَولًى عَن مَولًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه ﴿شَيئًا﴾ من العذاب! ﴿ولا هُم يُنصَرُونَ﴾ ٤١: يُمنعون منه - ويومَ: بدل من «يومَ الفصل» - ﴿إلّا مَن رَحِمَ اللهُ﴾. وهم المُؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله. ﴿إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكُفّار، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٤٢ بالمُؤمنين.

٢- ﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ ٤٣ - هي من أخبث الشجر المرّ بتِهامةَ، يُنبتها الله تعالى في الجحيم - ﴿طَعامُ الأثِيمِ﴾ ٤٤، كأبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير، ﴿كالمُهلِ﴾ أي: دُرديّ الزيت الأسود، خبرٌ ثان، ﴿تَغلِي في البُطُونِ﴾ ٤٥ - بالفَوقانيّة: خبرٌ ثالث، وبالتحتانيّة: حال من المهل - ﴿كَغَليِ الحَمِيمِ﴾ ٤٦ أي: الماء الشديد الحرارة، ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فاعتِلُوهُ﴾، بكسر التاء وضمّها: جُرّوه بغلظة وشِدّة ﴿إلى سَواءِ الجَحِيمِ﴾ ٤٧ وسَط النار، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوقَ رأسِهِ مِن عَذابِ الحَمِيمِ﴾ ٤٨ أي: من الحميم الذي لا يُفارقه العذاب - فهو أبلغ ممّا في آيةِ «يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِم الحَمِيمُ» - ويقال له: ﴿ذُقْ﴾ أي: العذابَ. ﴿إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾ ٤٩ بزعمِك، وقولِك: ما بينَ جَبلَيها أعزُّ وأكرمُ منّي. ويقال لهم: ﴿إنَّ هٰذا﴾ الذي ترَون من العذاب ﴿ما كُنتُم بِهِ تَمترُونَ﴾ ٥٠: فيه تشكّون.

٣- ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في مَقامٍ﴾ مجلس ﴿أمِينٍ﴾ ٥١: يؤمَنُ فيه الخوفُ، ﴿في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ ٥٢، يَلبَسُونَ مِن سُندُسٍ وإستَبرَقٍ﴾ أي: ما رقَّ من الديباج وما غلُظَ منه، ﴿مُتَقابِلِينَ﴾ ٥٣ حالٌ، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم - ﴿كَذٰلِكَ﴾ يُقدّر قبله: الأمرُ - ﴿وزَوَّجْناهُم﴾ من التزويج أو قرنّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٥٤: بنساء بيضٍ واسعاتِ الأعين حِسانِها، ﴿يَدعُونَ﴾: يطلبون الخدمَ ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فاكِهَةٍ﴾ منها ﴿آمِنِينَ﴾ ٥٥ من انقطاعها ومضرّتها ومن كلّ مخوف: حالٌ، ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها المَوتَ، إلّا المَوتَةَ الأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها - قال بعضهم: «إلّا» بمعنى بعدَ - ﴿ووَقاهُم عَذابَ الجَحِيمِ ٥٦، فَضلًا﴾: مصدرٌ بمعنى تفضّلًا منصوب بـ«تفضّلَ» مُقدّرًا، ﴿مِن رَبِّكَ. ذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ ٥٧.

٤- ﴿فإنّما يَسَّرْناهُ﴾: سهّلنا القرآنَ ﴿بِلِسانِكَ﴾: بلغتك، لتفهمه العرب عنك، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥٨ يتّعظون فيُؤمنون. لكنهم لا يُؤمنون. ﴿فارتَقِبْ﴾: انتظر هلاكهم. ﴿إنّهُم مُرتَقِبُونَ﴾ ٥٩ هلاكك. وهذا قبلَ نُزول الأمر بجِهادهم.

سورة الجاثية

مكية إلّا «قل للذين آمنوا يغفروا» الآية، وهي ستّ أو سبع وثلاثون آية.

---

(١) اليوم: الوقت. والفصل: الحكم بين المحق والمبطل، وبين الطائع والعاصي. وميقاتهم: وقت ما هدِّد به الكفار من الحساب. ويغني: يدفع. والمولى: من يتولى معونة صاحبه. والأول للمؤمن، والثاني للكافر. وهم أي: الذين يتولى بعضهم بعضًا. ورحمه: عطف عليه بقبول الشفاعة. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. (٢) كان أبو جهل يهزأ بالزقوم، يأتي بالتمر والزبد ويقول لأصحابه: «تزقّموا. فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد». فنزلت هذه الآيات. الدر المنثور ٦:٣٢. وتهامة: بين البحر والحجاز. والأثيم: الكثير الإجرام. والدردي: العَكر. وتغلي: تفور. والبطون: حمع بطن. وبالتحتانية يريد القراءة «يَغلي». ولما نزلت الآيات ٤٣-٤٦ قال: «أتهدّدني - يا محمد - وإنْ بين لابَتَيها أعزُّ مني ولا أكرم. ولن تستطيع أنت ولاربك أن تفعلا بي شيئًا»، فنزلت الآيات ٤٧-٥٠. لباب النقول. وإن أي: ما. واللابتان: الجبلان بينهما مكة. وخذوه: أمسكوه. والزبانية: ملائكة العذاب، جمع زِبنية. وآية أي: ذات الرقم ١٩ من سورة الحج. وذق أي: تحسس. والعزيز: الذي لايُغلب. والكريم: الذي لايهان. (٣) المتقي: من يتجنب الشرك. والأمين: فيه طمأنينة النفس. والعيون: جمع عين. وهي النبع. والسندس: مارقّ من قماش الحرير. والإستبرق: ما غلظ منه. ولاينظر... بهم: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤٧ من سورة الحِجر. والحور: جمع حَوراء. وهي المرأة البيضاء البضّة. والعين: جمع عيناء. والآمن: المطمئن. ولا يذوقه: لا يناله. وبعضهم أي: بعض المفسرين. ووقاهم: جنبهم. ومن ربك: من عنده وبأمره. والفوز: النجاة. والعظيم: لامثيل له. (٤) سهلناه أي: جعلناه يسيرًا على كل من يعرف العربية، خلافًا للكتب قبله. وبلغتك أي: اللغة العربية التي هي أفصح اللغات، وأبقاها على الزمن، وأيسرها تعلمًا واستخدامًا. ولو كان بلغة أمة أُخرى لتيسر لها وحدها. و«لا يؤمنون» قول مردود، لأنه قد آمن كثير منهم. والصواب: لم يؤمنوا. و«هذا» يعني أن الأمر بالانتظار نُسخ بعدُ بآيات الجهاد في أوائل سورة التوبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**حمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**تنزيلُ الكِتابِ**﴾: القُرآنِ مُبتدأٌ ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: خبرُه، ﴿**العَزيزِ**﴾ في مُلكِهِ، ﴿**الحَكيمِ**﴾ ٢ في صُنعه.

٢- ﴿**إنَّ في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: في خلقهما ﴿**لآياتٍ**﴾ دالّةً على قُدرة الله - تعالى - ووحدانيّته ﴿**لِلمُؤمِنِينَ ٣، وفي خَلقِكُم**﴾ أي: خلقِ كُلّ منكم من نُطفة ثمّ من علقة ثمّ من مُضغة إلى أن صار إنسانًا، ﴿**و**﴾خلقِ ﴿**ما يَبُثُّ**﴾: يُفرِّق في الأرض ﴿**مِن دابّةٍ**﴾ أي: ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿**آياتٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ**﴾ ٤ بالبعث، ﴿**و**﴾ في ﴿**اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾: ذَهابِهما ومجيئهما، ﴿**وما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزقٍ**﴾: مطر لأنه سبب الرزق، ﴿**فأحيا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها، وتَصرِيفِ الرِّياحِ**﴾: تقليبها مرّة جنوبًا ومرّة شمالًا وباردة وحارّة، ﴿**آياتٌ لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾ ٥ الدليلَ فيُؤمنون.

٣- ﴿**تِلكَ**﴾ الآيات المذكورة ﴿**آياتُ اللهِ**﴾: حُججه الدالّة على وحدانيّته، ﴿**نَتلُوها**﴾: نقصّها ﴿**علَيكَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ«نتلو». ﴿**فبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللهِ**﴾ أي: حديثِه - وهو القُرآن - ﴿**وآياتِهِ**﴾: حُججه ﴿**يُؤمِنُونَ**﴾ ٦ أي: كُفّارُ مكّة؟ أي: لا يؤمنون. وفي قراءة بالتاء.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٠

٤- ﴿**وَيلٌ**﴾: كلمة عذاب ﴿**لِكُلِّ أفّاكٍ**﴾: كذّاب ﴿**أثِيمٍ**﴾ ٧: كثير الإثم، ﴿**يَسمَعُ آياتِ اللهِ**﴾: القُرآنَ ﴿**تُتلَى علَيهِ، ثُمَّ يُصِرُّ**﴾ على كُفره ﴿**مُستَكبِرًا**﴾: مُتكبّرًا عن الإيمان، ﴿**كأن لَم يَسمَعْها - فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ ألِيمٍ**﴾ ٨: مُؤلم - ﴿**وإذا عَلِمَ مِن آياتِنا**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**شَيئًا اتَّخَذَها هُزُوًا**﴾ أي: مهزوءًا بها. ﴿**أُولئِكَ**﴾ أي: الأفّاكون ﴿**لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ ٩: ذو إهانة، ﴿**مِن وَرائِهِم**﴾ أي: أمامِهم لأنهم في الدنيا ﴿**جَهَنَّمُ، ولا يُغنِي عَنهُم ما كَسَبُوا**﴾ من المال والفِعال ﴿**شَيئًا، ولا ما اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: الأصنامَ ﴿**أولياءَ! ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ ١٠. ﴿**هٰذا**﴾ أي: القُرآن ﴿**هُدًى**﴾ من الضلالة، ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِم لَهُم عَذابٌ**﴾: حظّ ﴿**مِن رِجزٍ**﴾ أي: عذابٍ ﴿**ألِيمٌ**﴾ ١١: مُوجعٌ.

٥- ﴿**اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحرَ، لِتَجرِيَ الفُلكُ**﴾: السفن ﴿**فِيهِ بِأمرِهِ**﴾: بإذنه، ﴿**ولِتَبتَغُوا**﴾: تطلبوا بالتجارة ﴿**مِن فَضلِهِ، ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ ١٢، ﴿**وسَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ**﴾ من شمس وقمر ونُجوم وماء وغيره، ﴿**وما في الأرضِ**﴾ من دابّة وشجر ونبات وأنهار وغيره، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿**جَمِيعًا**﴾: تأكيدٌ ﴿**مِنهُ**﴾: حالٌ، أي: سخّرها كائنةً منه، تعالى. ﴿**إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ١٣ فيها فيُؤمنون.

---

(١) تنزيل أي: منزَّل. ومبتدأ أي: تنزيل. ومن الله أي: حاصل من عنده وبأمره. وخبره: يعني أن الجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف. والعزيز: الغلاب يذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

(٢) السماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. والخلق: الإيجاد من العدم. وما يدب أي: ما يتحرك أو يمشي. فلا ضرورة لتقييده بالأرض، إذ قد يكون في الجو وغيره أيضًا. وفي الأصل: «لآياتٌ». والقوم: الجماعة من الناس. ويوقن: يزداد إيمانه طمأنينة. والاختلاف: التباين في الصفات. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والرزق: ما يهيأ للمخلوق من حاجاته. وأحياها: خلق فيها الحياة والنشاط. وموت الأرض: فقدها للنبات والماء. والرياح: جمع ريح. وهو الهواء المتحرك. ويعقل: يدرك بدقة فيستحكم علمه، ويخلص يقينه من كل تردد.

(٣) الحق: الصدق لاشك فيه. والحديث: ما يروى من الكلام. وحديثه أي: بعد حديث الله. ويؤمنون: يصدقون. ولايؤمنون يعني: لن يصدقوا شيئًا من الحق بعد تكذيبهم آياتِ الله. وبالتاء يريد القراءة «تُؤمِنُونَ» بالخطاب، مناسبةً لقوله «خلقكم».

(٤) كلمة عذاب أي: دعاء بالتعذيب. والإثم: ما يستحق العقاب. ويسمعها: يدركها. وتتلى: تقرأ. ويصر: يستمر. وبشّره: هدده. وعلمه: أدركه. واتخذها: جعلها. وفي ث والفتوحات والصاوي والمنحة: «هُزُوًا». وأمامهم: فيما سيكون في الآخرة. ويغني: يدفع. وكسب: جمع وتحمل. ومن دونه أي: غيره. والأولياء: جمع ولي. وهو من يتولى أمور غيره وينصرهم. والعظيم: الضخم لامثيل له. وهدى: هاد إلى الحق أبلغ الهداية. وكفر بالآيات: جحد أدلة القرآن والكون والحياة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والرجز: أشد العذاب. فالمراد: موجع من أفظع العذاب.

(٥) سخر: هيأ للانتفاع. والبحر: الماء المجتمع، كالنهر والبحيرة والمحيط. وتجري: تسير بسرعة. والفلك: واحدته فلك أيضًا. وبالتجارة أي: وغير ذلك. والفضل: التفضل والإنعام. ولعلكم: ليكون منكم. وتشكر: تستحضر النعم في نفسك وتذكرها بالثناء على منعمها. وغيره أي: غير ما ذكر. وجميعًا: مجموعة كلها. وتأكيد أي: توكيد لـ «ما» المكررة. انظر «المفصل». ومنه أي: من عنده وبأمره. وحال: يعني أن الجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة عن «ما» المكررة أيضًا. وذلك أي: ما ذكر من التسخير. والقوم: الجماعة من النساء والرجال. ويتفكر: يتدبر ما يرى وما يسمع، ويستدل بهما على تمييز الحق من الباطل. ويؤمنون أي: بالتوحيد والبعث.

الجزء الخامس والعشرين سورة الجاثية

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ
قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ
فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ
أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ
مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ
وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١ - ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا، يَغفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرجُونَ**﴾: يخافون ﴿**أيّامَ اللهِ**﴾: وقائعه، أي: اغفِروا للكُفّار ما وقع منهم من الأذى لكم - وهذا قبل الأمر بجِهادهم - ﴿**لِيَجزِيَ**﴾ أي: اللهُ، وفي قراءة بالنون، ﴿**قَومًا بما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ ١٤ من الغَفر للكُفّار أذاهم. ﴿**مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفْسِهِ**﴾ عمِلَ، ﴿**ومَن أساءَ فعلَيها**﴾ إساءتُه، ﴿**ثُمَّ إلَى رَبِّكُم تُرجَعُونَ**﴾ ١٥: تَصيرون، فيُجازي المُصلح والمُسيء.

٢ - ﴿**ولَقَد آتَينا بَنِي إسرائيلَ الكِتابَ**﴾: التوراة ﴿**والحُكمَ**﴾ به بين الناس، ﴿**والنُّبُوّةَ**﴾ لمُوسَى وهارونَ منهم، ﴿**ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾: الحلالات كالمنّ والسلوى، ﴿**وفَضَّلْناهُم على العالَمِينَ**﴾ ١٦ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، ﴿**وآتَيناهُم بَيِّناتٍ مِنَ الأمرِ**﴾ أي: أمر الدِّين، من الحلال والحرام وبِعثة مُحمّد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿**فما اختَلَفُوا**﴾ في بعثته ﴿**إلّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ، بَغْيًا بَينَهُم**﴾ أي: لبغيٍ حدث بينهم حسدًا له. ﴿**إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ ١٧.

٣ - ﴿**ثُمَّ جَعَلْناكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**على شَرِيعةٍ**﴾: طريقة ﴿**مِنَ الأمرِ**﴾: أمر الدِّين. ﴿**فاتَّبِعْها ولا تَتَّبِعْ أهواءَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ**﴾ ١٨، في عِبادة غير الله. ﴿**إنَّهُم لَن يُغنُوا**﴾: يدفعوا ﴿**عَنكَ مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا! وإنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ، واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ**﴾ ١٩: المؤمنين. ﴿**هٰذا**﴾ القُرآن ﴿**بَصائرُ لِلنّاسِ**﴾: مَعالمُ يتبصّرون بها في الأحكام والحُدود، ﴿**وهُدًى ورَحمةٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ**﴾ ٢٠ بالبعث.

٤ - ﴿**أم**﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿**حَسِبَ الَّذِينَ اجتَرَحُوا**﴾: اكتسبوا ﴿**السَّيِّئاتِ**﴾: الكُفرَ والمعاصيَ ﴿**أن نَجعَلَهُم كالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، سَواءً**﴾: خبرٌ ﴿**مَحياهُم ومَماتُهُم**﴾؟ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكُفّار. المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمُؤمنين؟ أي: في رغد من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيثُ قالوا للمؤمنين: لئن بُعثنا لَنُعطَيَنَّ من الخير مِثلَ ما تُعطَون. قال تعالى على وَفق إنكاره بالهمزة: ﴿**ساءَ ما يَحكُمُونَ**﴾ ٢١! أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خِلاف عيشهم في الدنيا، والمُؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحاتِ في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك. وما: مصدريّة، أي: بئس حكمًا حكمُهم هذا! ﴿**وخَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «خلق»، ليدلّ على قُدرته ووحدانيّته، ﴿**ولِتُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ**﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يُساوي الكافرُ المؤمنَ، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ ٢٢.

---

(١) قل لهم أي: «قل لهم: اغفروا». ويغفر له: لايقابله بالمثل. ويخاف: يتوقع ويتقي. والأيام: جمع يوم، أي: الوقت الذي تكون فيه الشدائد. و«هذا» يعني أن الأمر بالغفران منسوخ بآيات الجهاد في أوائل سورة براءة، وهو يقتضي أن الآية مكية خلافًا لما ذكر في مستهل تفسير السورة. انظر «المفصل». ويجزي: يكافئ الصلاح والفساد. وبالنون يريد القراءة «لِنَجزِيَ». وقومًا: جماعة المسيئين وجماعة الصابرين. ويكسبون: يعملونه. ومن الغفر أي: ومن الكفر والعصيان والاعتداء. فذكر المتناقضين ضروري بدليل الآية التالية. وعمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. وأساء: اكتسب الفساد. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه. ويجازي أي: كلًّا بما يستحقه، كما ذكرنا في التعليق على الآية ١٤. وفيه بيان وتوكيد لما فيها، من بشارة وتهديد.

(٢) آتينا: منحنا. والحكم: القضاء. ورزقنا: هيأنا. والطيب: ما تستلذه النفس وفيه الخير. وفضلناه: خصصناه بالإكرام. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. و«العقلاء»: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٣٢ من سورة الدخان. والبينات: الأدلة الواضحة. واختلفوا: اختصموا فآمن بعضهم وكفر آخرون. و«في بعثته» التعميم أولى. يعني أن اختلافهم كان في أمور كثيرة، منها صدق رسالة النبي. وجاءهم: وصل إليهم. والعلم: الحقائق الثابتة. والبغي: الحسد لطلب المكاسب.

(٣) روي أن رؤساء قريش قالوا للنبي: «ارجع إلى دين آبائك. فإنهم كانوا أفضل منك وأسنّ»، فنزلت الآيات ١٨-٢٠. تفسير الآلوسي ٢٥:٢٢٨. وجعل: صيّر. والشريعة: المنهاج الواضح يهدي إلى الحق. واتبعها: اعمل بها. والأهواء: جمع هوى، شهوة النفس. ولايعلمون: ليس عندهم علم يقيني. والظالم: من تجاوز الحق. والأولياء: جمع ولي. وهو من يتولى أمر غيره ويوجهه. والمتقي: من يتجنب سخط الله ويطلب رضاه. والبصائر: جمع بصيرة. والهدى: المرشد إلى الحق. والرحمة: الراحم المشفق. ويوقن: يعتقد جازمًا.

(٤) حسب: ظن. ونجعل: نصيّر. وسواء أي: متساويان في التنعم والبهجة. ط: «سَواءٌ». وخبر: يعني أن «سواء»: خبر للمبتدأ: محيا. و«بدل من الكاف» أي: في محل نصب. والمحيا والممات: الحياة والموت. و«للكفار» الصواب: للكفار والمؤمنين، والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون مَحيًا، وأن يستووا مَماتًا، كما سيذكر المحلي بعد قوله «أحسبوا». وساء: بلغ الغاية في القبح والفساد. ويحكمون: يزعمون. وخلق: أوجد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من عُلويات. والحق: الأمر الثابت. وتجزى: تكافأ. والنفس: المخلوق المكلف. وكسبت: فعلت. ويظلم: يجار عليه.

الجزء الخامس والعشرون — سورة الجاثية

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

١- ﴿**أفرأيتَ**﴾: أخبِرْني ﴿**مَنِ اتَّخذَ إلٰهَهُ هَواهُ**﴾: ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسنَ، ﴿**وأضَلَّهُ اللهُ على عِلمٍ**﴾ منه - تعالى - أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، ﴿**وختَمَ على سَمعِهِ وقلبِهِ**﴾، فلم يسمع الهدى ولم يعقله فلا يتفكر في الآيات، ﴿**وجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوةً**﴾: ظُلمة فلم يُبصر الهُدى؟ ويُقدَّر هنا المفعول الثاني لـ «رأيت» أي: أيهتدي؟ ﴿**فَمَن يَهديهِ مِن بَعدِ اللهِ**﴾ أي: بعدِ إضلاله إياه؟ أي: لا يهتدي. ﴿**أفلا تَذَكَّرُونَ**﴾ ٢٣: تتّعظون؟ فيه إدغام إحدى التاءين في الذال.

٢- ﴿**وقالوا**﴾ أي: منكرو البعث: ﴿**ما هِيَ**﴾ أي: الحياة ﴿**إلّا حَياتُنا**﴾ التي في ﴿**الدُّنيا، نَموتُ ونَحيا**﴾ أي: يموت بعض ويحيا بعض بأن يُولدوا، ﴿**وما يُهلِكُنا إلّا الدَّهرُ**﴾ أي: مرور الزمان. قال تعالى: ﴿**وما لَهُم بذٰلِكَ**﴾ المقولِ ﴿**مِن عِلمٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**هُم إلّا يَظُنُّونَ**﴾ ٢٤. ﴿**وإذا تُتلَى عليهِم آياتُنا**﴾ من القرآنِ، الدالّةُ على قُدرتنا على البعث، ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: واضحاتٍ حالٌ، ﴿**ما كانَ حُجّتَهُم إلّا أن قالوا: ائتُوا بآبائنا**﴾ أحياءً، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٢٥ أنا نُبعث. ﴿**قُلِ: اللهُ يُحيِيكُم**﴾ حين كنتم نُطفًا، ﴿**ثُمَّ يُميتُكُم، ثُمَّ يَجمَعُكُم**﴾ أحياء ﴿**إلَى يَومِ القِيامةِ، لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فيهِ، ولٰكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ وهم القائلون ما ذُكر ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ٢٦.

٣- ﴿**وللهِ مُلكُ السّماواتِ والأرضِ، ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ**﴾، يُبدل منه ﴿**يَومَئذٍ يَخسَرُ المُبطِلُونَ**﴾ ٢٧: الكافرون، أي: يظهر خُسرانهم بأن يصيروا إلى النار، ﴿**وتَرَى كُلَّ أُمّةٍ**﴾ أي: أهلِ دِين ﴿**جاثِيَةً**﴾ على الرُّكَب أو مُجتمعةً، ﴿**كُلُّ أُمّةٍ تُدعَى إلَى كِتابِها**﴾: كِتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿**اليَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٢٨ أي: جزاءه. ﴿**هٰذا كِتابُنا**﴾: دِيوان الحَفَظة، ﴿**يَنطِقُ علَيكُم بِالحَقِّ. إنّا كُنّا نَستَنسِخُ**﴾: نُثبت ونحفظ ﴿**ما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٢٩.

٤- ﴿**فأمّا الّذِينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ فيُدخِلُهُم رَبُّهُم في رَحمتِهِ**﴾: جنّته - ﴿**ذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ المُبِينُ**﴾ ٣٠: البيِّن الظاهر - ﴿**وأمّا الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ فيقال لهم: ﴿**أفلَم تَكُنْ آياتِي**﴾: القُرآنُ ﴿**تُتلَى علَيكُم، فاستَكبَرتُم**﴾: تكبّرتم، ﴿**وكُنتُم قَومًا مُجرِمِينَ**﴾ ٣١ كافرين؟ ﴿**وإذا قِيلَ**﴾ لكم أيها الكُفّار: ﴿**إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بالبعث ﴿**حَقٌّ، والسّاعةُ**﴾ - بالرفع والنصب - ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيها. قُلتُم: ما نَدرِي: ما السّاعةُ؟ إنْ**﴾: ما ﴿**نَظُنُّ إلّا ظَنًّا**﴾ - قال المُبرّد: أصله: إن نحن إلّا نظنّ ظنًّا - ﴿**وما نَحنُ بِمُستَيقِنِينَ**﴾ ٣٢ أنها آتية.

---

(١) اتخذ: جعل. والإلٰه: ما يعبد ويقدس ويطاع. والهوى: ميل النفس إلى ما تشتهيه. يعني أنه يأتمر بشهواته، فكأنه يعبد هواه. انظر «المفصل». وأضله: صرف قدراته إلى مايناسب اختياره السيئ واستعداده الخبيث. والعلم: الإحاطة الكاملة. وختم عليه: حجبه عن التدبر وسد منافذه. والسمع: الأذن. والقلب: موطن الإدراك والاعتقاد والعواطف. وجعل: خلق. والبصر: العين الباصرة. وفي الختم والغشاوة تمثيل للعناد والتعنت، والإصرار على الباطل. ويهديه: يخلق فيه الرشاد والاستبصار. ومن بعد أي: غير. وتذكرون: تستحضرون الأدلة الكونية والقرآنية، لتتعظوا وتعتبروا بوجوب الإيمان.

(٢) الحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا هي التي يعيش فيها. ويُهلك: يُفني. والمقول أي: ماقالوه عن الحياة والموت. والعلم: المعرفة اليقينية. ونموت: تفارق أرواحنا الأجساد. ويظن: يتوهم. وتتلى: تقرأ وتفسر. وحجتهم أي: الادعاء للاحتجاج. وائتوا بهم أي: ادعوا ربكم يعيدهم إلى الحياة، لتثبتوا لنا صحة البعث. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والصادق: من يقول الحق. ويحييكم: يخلق فيكم الحياة. ويميتكم: يخلق فيكم الموت. ويجمع: يحشر بعد الموت للحساب والجزاء. ويوم القيامة: زمن القيام بالبعث. فالعودة إلى الحياة بعد البعثة المحمدية لاتكون إلا يوم القيامة، ولايجوز أن يستجاب لطلبهم بإحياء آبائهم قبله. ولايعلم: ليس عنده معرفة بعقل أو بنقل، فينكر المعاد وبعث الأموات.

(٣) الملك: الحيازة المطلقة والتصرف الكامل. والسماوات: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. واليوم: الوقت. وتقوم: تتحقق. والساعة: زمن الحشر والحساب. ويبدل منه: يعني أن «يوم»: بدل من «يوم» قبله. ويخسر: يفقد ما له وما يتوقعه. والمبطل: المغرق في الباطل والضلال باختيار وقصد. وترى: تبصر عِيانًا. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والأمة: الجماعة من الناس على دين أو مذهب. وتدعى إليه: يطلب منها قراءته. واليوم: هذا الوقت. وتجزون: تكافؤون. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والحفظة: الملائكة يسجلون ما لكل إنسان من خير أو شر. وينطق: يشهد بما عملتم. والحق: الصدق والعدل بلا زيادة أو نقصان. ونستنسخ: نأمر الملائكة بالنسخ والحفظ.

(٤) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب وتحمل. والصالح: مايرضاه الله. ويدخل: يجعل. والرحمة: العطف بالثواب. والفوز: الظفر. وكفر: أنكر التوحيد والبعث. وتتلى: تقرأ. والمجرم: المغرق في الفساد باختيار وعزم. وقيل لكم أي: قال لكم المؤمنون. والوعد: التوعد بالشيء الجازم. وحق: واجب وقوعه. والساعة: يوم القيامة. وبالنصب يريد القراءة «والسّاعةَ». وفيها: في مجيئها وحصولها. وما ندري: ما نعلم. ونظن: نتوهم مترددين غير جازمين. والمستيقن: الثابت الاعتقاد.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ — ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ
ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

١- ﴿**وبَدا**﴾: ظهر ﴿**لَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا**﴾ في الدنيا أي: جزاؤها، ﴿**وحاقَ**﴾: نزل ﴿**بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ ٣٣ أي: العذابُ، ﴿**وقِيلَ: اليَومَ نَنساكُم**﴾: نتركم في النار، ﴿**كَما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هٰذا**﴾ أي: كما تركتم العمل للقائه، ﴿**ومأواكُمُ النّارُ، ومالَكُم مِن ناصِرِينَ**﴾ ٣٤ منها. ﴿**ذٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذتُم آياتِ اللهِ**﴾: القُرآنَ ﴿**هُزُوًا، وغَرَّتكُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾ حتّى قلتم: لا بعثَ ولا حساب. ﴿**فاليَومَ لا يَخرُجُونَ**﴾ - بالبناء للفاعل وللمفعول - ﴿**مِنها**﴾: من النار، ﴿**ولا هُم يُستَعتَبُونَ**﴾ ٣٥ أي: لا يُطلب منهم أن يُرضُوا ربَّهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ.

٢- ﴿**فلِلّهِ الحَمدُ**﴾: الوصفُ بالجميل على وفاء وعده في المُكذّبين، ﴿**رَبِّ السَّماواتِ ورَبِّ الأرضِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ ٣٦: خالقِ ما ذُكر - والعالَمُ: ما سِوى الله. وجُمع لاختلاف أنواعه. وربِّ: بدل - ﴿**ولَهُ الكِبرياءُ**﴾: العظمة ﴿**في السَّماواتِ والأرضِ**﴾: حالٌ، أي كائنةً فيهما، ﴿**وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ ٣٧. تقدَّم.

سورة الأحقاف

٣- مكية إلّا «قل أرأيتم إن كان من عند الله» الآية، وإلّا «فاصبر كما صبر أولو العزم» الآية، وإلّا «ووصينا الإنسان بوالديه» الثلاثَ آيات، وهي أربع أو خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٤- ﴿**حمٓ**﴾ ١ الله أعلم بمُراده به. ﴿**تنزِيلُ الكِتابِ**﴾: القُرآنِ مُبتدأٌ ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: خبرُه، ﴿**العَزِيزِ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمِ**﴾ ٢ في صُنعه. ﴿**ما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلّا**﴾ خلقًا ﴿**بالحَقِّ**﴾، ليدلّ على قُدرتنا ووحدانيّتنا، ﴿**وأجَلٍ مُسَمًّى**﴾ إلى فنائهما يوم القيامة، ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنذِرُوا**﴾: خُوِّفوا به من القرآن ﴿**مُعرِضُونَ**﴾ ٣. ﴿**قُلْ: أرَأيتُم**﴾: أخبِروني ﴿**ما تَدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: الأصنامَ، مفعولٌ أول ﴿**أرُونِي**﴾: أخبِروني - تأكيدٌ - ﴿**ماذا خَلَقُوا**﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿**مِنَ الأرضِ**﴾؟ بيانُ «ما». ﴿**أم لَهُم شِركٌ**﴾: مُشاركة ﴿**في**﴾ خلق ﴿**السَّماواتِ**﴾ مع الله؟ وأم: بمعنى همزة الإنكار. ﴿**ائتُونِي بِكِتابٍ**﴾ مُنزل ﴿**مِن قَبلِ هٰذا**﴾ القُرآن، ﴿**أو أثارةٍ**﴾: بقيّة ﴿**مِن عِلمٍ**﴾ يُؤثر عن الأوّلين، بصِحّة دعواكم في عِبادة الأصنام أنها تُقرّبكم إلى الله، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٤ في دعواكم.

٥- ﴿**ومَن**﴾: استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد ﴿**أضَلُّ مِمَّن يَدعُو**﴾: يعبد ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مَن لا يَستَجِيبُ لَهُ إلَى يَومِ القِيامةِ**﴾،

---

(١) السيئة: القبيحة. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ويستهزئ: يسخر. وقيل أي: قالت لهم ملائكة العذاب. واليوم: هذا الوقت. ونسيتم: تجاهلتم وأهملتم ما يوجبه. واللقاء: المقابلة. والمأوى: مكان اللجوء. والناصر: المعين المنقذ. وذلكم أي: ما ذكر من العذاب والإهمال. وبأنكم: بسبب أنكم. واتخذ: جعل. وهزؤًا، أي: مهزوءًا بها. وفي المنحة: «هزوًا». وغرتكم: خدعتكم بمتاعها. والدنيا: التي كنتم فيها. وللمفعول يريد القراءة «لايُخرَجُونَ».

(٢) السماوات: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. و«رب» يعني الأول والثالث، لأن الثاني معطوف. وبدل أي: من لفظ الجلالة. وفي الثالث تعميم بعد تخصيص، لأن السماوات والأرض بعض العالمين. وحال: يعني أن «في»: تتعلق بحال محذوفة عن الكبرياء. وتقدم أي: التفسير للعزيز الحكيم في الآية ٢.

(٣) ذكر خمس آيات مدنية، هي ذوات الأرقام ١٠ و٣٥ و١٥-١٧. و«الثلاث» في الإتقان ١ :٣٢: «الأربع». والظاهر أن الآيات ثلاث في الكوفي وهي أربع في غيره. والخلاف في العدد مصدره اختلاف الروايات في تعيين أواخر بعض الآيات.

(٤) انظر الآية ٢ من سورة الجاثية. وخلقنا: أوجدنا من العدم. وانظر الآية ٣٦ من سورة الجاثية. والحق: ماتقتضيه الحكمة والعدل بالحساب. وأجل أي: موعد ينتهي به عمر المخلوقات. والمسمى: المعين لايتقدم ولايتأخر. وكفر: أنكر التوحيد والبعث. ومعرضون: منصرفون. ومن دونه: غيره. والأصنام أي: وغيرها من المخلوقات. ومفعول أول: يعني «ما». وتأكيد يعني أن «أروني»: توكيد لـ «أرأيتم». ومفعول ثان أي: جملة «ماذا». وبيان ما أي: «مِن»: للتبيين. وائتوني به: أحضروه. والعلم: المعرفة اليقينية. والصادق: من يقول الحق.

(٥) الأضل: الأكثر ضلالًا. ويستجيب له: يجيب طلبه. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس للحساب. والأصنام أي: ومن عُبد من البشر والملائكة. فإنهم لايجيبون إلى شيء بدون إرادة الله، لأنهم خاضعون لها فيما يعملون. والغافل: الساهي. وحشر: جمع بالقهر للحساب. والأصنام أي: وغيرها من المعبودات. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي يكون سببًا لعذابٍ من ألّهه. والعبادة: التقديس والطاعة. والمشركون يعبدون في الحقيقة أهواءهم وما توارثوه من المزاعم. ولذلك ينكر المعبودون ما يدعيه المشركون.

الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

وهم أي: الأصنام لا يُجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدًا، ﴿**وهُم عَن دُعائهم**﴾: عِبادتهم ﴿**غافِلُونَ**﴾ ٥، لأنهم جماد لا يعقلون؟ ﴿**وإذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا**﴾ أي: الأصنامُ ﴿**لَهُم**﴾: لِعابديهم ﴿**أعداءً، وكانُوا بِعِبادتِهِم**﴾: بعبادة عابديهم ﴿**كافِرِينَ**﴾ ٦: جاحدين.

١- ﴿**وإذا تُتلَى عليهِم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**آياتُنا**﴾: القُرآن، ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ، ﴿**قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ منهم ﴿**لِلحَقِّ**﴾ أي: في القُرآن، ﴿**لَمّا جاءَهُم: هٰذا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾ ٧: بيّنٌ ظاهر. ﴿**أم**﴾: بمعنى «بل» وهمزة الإنكار ﴿**يَقُولُونَ: افتراهُ**﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿**قُل: إنِ افتَرَيتُهُ**﴾ فَرْضًا ﴿**فلا تَملِكُونَ لِي مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا**﴾، أي: لا تقدرون على دفعه عنّي، إن عذّبني الله. ﴿**هُوَ أعلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾: تقولون في القرآن، ﴿**كَفَى بِهِ**﴾ - تعالى - ﴿**شَهِيدًا بَينِي وبَينَكُم! وهُوَ الغَفُورُ**﴾ لمن تاب ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ ٨ به، فلم يُعاجلكم بالعُقوبة.

٢- ﴿**قُل: ما كُنتُ بِدعًا**﴾: بديعًا ﴿**مِنَ الرُّسُلِ**﴾ أي: أوّلَ مُرسَل. قد سبق قبلي كثير منهم، فكيف تُكذّبونني؟ ﴿**وما أدرِي ما يُفعَلُ بِي ولا بِكُم**﴾ في الدنيا؟ أأُخرَجُ من بلدي أم أُقتل كما فُعِل بالأنبياء قبلي؟ أوَتُرمَونَ بالحجارة أم يُخسَف بكم كالمُكذّبين قبلكم؟ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ**﴾ أي: القرآنَ، ولا أبتدع من عِندي شيئًا، ﴿**وما أنا إلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٩: بيّن الإنذار. ﴿**قُل: أرَأيتُم**﴾: أخبروني ماذا حالُكم، ﴿**إن كانَ**﴾ أي: القُرآن ﴿**مِن عِندِ اللهِ، وكَفَرتُم بِهِ**﴾: جملةٌ حاليّة، ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِن بَنِي إسرائيلَ**﴾ هو عبدالله بن سلام ﴿**على مِثلِهِ**﴾ أي: عليه أنه من عند الله، ﴿**فآمَنَ**﴾ الشاهد، ﴿**واستَكبَرتُم**﴾: تكبّرتم عن الإيمان؟ وجوابُ الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دلّ عليه: ﴿**إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ١٠.

٣- ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: في حقّهم: ﴿**لَو كانَ**﴾ الإيمانُ ﴿**خَيرًا ما سَبَقُونا إلَيهِ. وإذ لَم يَهتَدُوا**﴾ أي: القائلون ﴿**بِهِ**﴾ أي: بالقُرآنِ. ﴿**فَسَيَقُولُونَ: هٰذا**﴾ أي: القُرآن ﴿**إفكٌ**﴾: كذب ﴿**قَدِيمٌ**﴾ ١١. ﴿**ومِن قَبلِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**كِتابُ مُوسَى**﴾ أي: التوراةُ ﴿**إمامًا ورَحمَةً**﴾ للمُؤمنين به حالان، ﴿**وهٰذا**﴾ أي: القُرآن ﴿**كِتابٌ مُصَدِّقٌ**﴾ للكُتب قبله، ﴿**لِسانًا عَرَبِيًّا**﴾: حالٌ من الضمير في «مُصدّق»، ﴿**لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي: مُشرِكي مكّة، ﴿**و**﴾ هو ﴿**بُشرَى لِلمُحسِنِينَ**﴾ ١٢: للمُؤمنين.

٤- ﴿**إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ. ثُمَّ استَقامُوا**﴾ على الطاعة، ﴿**فلا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ ١٣، ﴿**أُولٰئكَ أصحابُ الجَنّةِ، خالِدِينَ فِيها**﴾: حال، ﴿**جَزاءً**﴾: منصوب على المصدر بفعله المُقدّر، أي: يُجزَون ﴿**بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ ١٤.

---

(١) تتلى: تقرأ وتفسر. وكفر: كذّب الله ورسوله. والحق: الصدق الثابت. ولما جاءهم أي: حين بُلّغوا به من غير نظر وتأمل. والسحر: ما يُخيّل للعقول والحواس غير الواقع. والإنكار: التوبيخ والزجر. وافتراه: صنعه بنفسه. وقل أي: لهم. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وتكراره بعدُ يفيد المبالغة في التوكيد. وفرضًا أي: افتراضًا عقليًا كما تزعمون، تسليمًا بالجدال. وتملكون: تستطيعون. والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده. وأعلم به: أكثر إحاطة بحصوله وأنه كذب منكم. وتفيضون: تعجلون في التكذيب. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والإغناء عما سواه. والشهيد: الحافظ المقررللحق. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان والفضل. وقول المحلي «به» لوقال: «الرحيم بعباده التائبين وغيرهم» لصح أن يترتب عليه قوله: «فلم يعاجلكم بالعقوبة»، لأن الخطاب للمشركين المكذبين.

(٢) البدع: المتفرد ليس له مثيل. والرسل: جمع رسول. وما أدري: لا أعلم. وما يُفعل أي: الذي يقضيه الله في المستقبل. و«أوَتُرمَونَ» الواو: حرف عطف بعد همزة الاستفهام. وروي أن النبي ﷺ رأى في منامه هجرته إلى أرض فيها شجر وماء، وقص ذلك على أصحابه فاستبشروا، وكان المشركون يسألونه عن المغيبات، فنزلت الآية ٩. الواحدي ص ٤٠١ وتفسير الآلوسي ٢٦: ١٤. وأتّبعه أي: ألتزمه وحده. ويوحى إليّ: يبلغني جبريل محققًا حفظه وتبليغ الناس به. والنذير: المهدد بالعذاب لمن كفر. ومن عند الله أي: بأمره وحيًا. وكفرتم به: كذّبتموه. وشهد: أقر بالحق. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب. والتقدير للجواب غير مناسب. انظر «المفصل». ولا يهديه: يصرف قدراته إلى ما يناسب سوء اختياره واستعداده. والظالم: من يضع الشيء في غير موضعه.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. والخير: مافيه نفع ومكرمة. ويهتدي: يسترشد إلى الإيمان. وقديم أي: من أكاذيب الأقدمين. والإمام: ما يُقتدى به إلى الخير. والرحمة :العطف بالإحسان من الله. ومصدق لها: يحقق صدقها. واللسان: اللغة. والعربي: المنسوب إلى العرب. فهو بلغتهم فصيح بيّن واضح، كما هو مصدق وصادق. وينذرهم: يهددهم بالانتقام. ومشركي مكة أي: وغيرهم من الكافرين. والبشرى: البشارة والتبليغ بالسرور. والمحسن: من لزم الإحسان في النية والقول والفعل.

(٤) قالوا أي: بألسنتهم أو بقلوبهم. والمراد أنهم يوحدون الله بالعبادة والطاعة. واستقام: لزم الطريق القويم في النية والقول والعمل. والخوف: الفزع في الآخرة من مكروه. ويحزن: يغتم لفقد ما يحب. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء. والجنة: البستان العظيم. والخالد: المقيم أبدًا. والجزاء: المكافأة. ويعملون: يكتسبونه.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى
ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ١٦ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ١٩ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ٢٠

١- ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدَيه حُسنًا﴾. وفي قراءة: «إحسانًا» أي: أمرناه أن يُحسن إليهما. فنصبُ «إحسانًا» على المصدر بفعله المُقدّر، ومثله «حُسنًا». ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا، ووَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقّة، ﴿وحَملُهُ وفِصالُهُ﴾ من الرِّضاع ﴿ثلاثُونَ شَهرًا﴾. ستّةُ أشهر أقلُّ مُدّة الحمل، والباقي أكثرُ مُدّة الرضاع. وقيل: إن حملتْ به ستّة أو تِسعة أرضعته الباقيَ. ﴿حَتّى﴾: غايةٌ لجملة مُقدّرة أي: وعاش حتّى ﴿إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قُوّته وعقله ورأيه، أقلُّه ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون، ﴿وبَلَغَ أربَعِينَ سَنةً﴾ أي: تمامها وهو أكثر الأشُدّ، ﴿قالَ: رَبِّ﴾ إلى آخره - نزل في أبي بكر الصِّدّيق، لمّا بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبيّ ﷺ آمن به، ثمّ آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن ثم ابن عبد الرحمن أبو عَتيق - ﴿أوزِعْنِيَ﴾: ألهِمني ﴿أن أشكُرَ نِعْمتَكَ الَّتي أنعمتَ﴾ بها ﴿عليَّ وعلى والِدَيَّ﴾، وهي نعمةُ التوحيد، ﴿وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ﴾ - فأعتَقَ تِسعةً من المُؤمنين يُعذّبون في الله - ﴿وأصلِحْ لي في ذُرِّيّتِيَ﴾ فكُلّهم مُؤمنون. ﴿إنّي تُبتُ إليكَ، وإنّي مِنَ المُسلِمِينَ﴾ ١٥. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره، ﴿الَّذينَ يُتَقَبَّلُ عَنهُم أحسَنُ﴾ بمعنى: حَسَنُ ﴿ما عَمِلُوا، ويُتَجاوَزُ عَن سَيِّئاتِهِم في أصحابِ الجَنّةِ﴾: حال، أي: كائنين في جُملتهم، ﴿وَعْدَ الصِّدقِ الَّذي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ ١٦، في قوله تعالى: «وَعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ».

٢- ﴿والَّذي قالَ لِوالِدَيهِ﴾ - أُريد به الجِنس: ﴿أُفٍّ﴾، بكسر الفاء وفتحها، بمعنى مصدر، أي: نتنًا وقُبحًا ﴿لَكُما﴾: أتضجّر منكما. ﴿أتَعِدانِنِيَ﴾ - وفي قراءة بالإدغام - ﴿أن أُخرَجَ﴾ من القبر، ﴿وقَد خَلَتِ القُرُونُ﴾: الأمم ﴿مِن قَبلِي﴾، ولم تخرج من القبور، ﴿وهُما يَستَغِيثانِ اللهَ﴾: يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَيلَكَ﴾ أي: هلاكَك بمعنى: هلكتَ. ﴿آمِنْ﴾ بالبعث، ﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ به ﴿حَقٌّ. فيَقُولُ: ما هٰذا﴾ أي: القول بالبعث ﴿إلّا أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ ١٧: أكاذيبهم. ﴿أُولئِكَ الَّذينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيهِمِ القَولُ﴾ بالعذاب، ﴿في أُمَمٍ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ. إنَّهُم كانُوا خاسِرِينَ﴾ ١٨.

٣- ﴿ولِكُلٍّ﴾ من جِنسَي المُؤمن والكافر ﴿دَرَجاتٌ﴾، فدرجات المُؤمن في الجنّة عالية، ودرجات الكافر في النار سافلة، ﴿مِمّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكُفّارُ من المعاصي، ﴿وليُوَفِّيَهُم﴾ أي: اللهُ - وفي قراءة بالنون - ﴿أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ ١٩ شيئًا يُنقص للمُؤمنين ويُزاد للكُفّار. ﴿ويَومَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا على النّارِ﴾ بأن تُكشف لهم، يقال لهم: ﴿أذهَبتُم﴾ - بهمزة وبهمزتين، وبهمزة ومدّة، وبهما وتسهيل الثانية - ﴿طَيِّباتِكُم﴾ باشتغالكم بلذّاتكم ﴿في حَياتِكُمُ الدُّنيا، واستَمتَعتُم﴾: تمتّعتم ﴿بِها. فاليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ﴾ أي: الهوان، ﴿بِما كُنتُم تَستَكبِرُونَ﴾: تتكبّرون ﴿في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وبِما كُنتُم تَفسُقُونَ﴾ ٢٠ به. ويُعذَّبون بها.

---

(١) وصى: أمر وفرض. والإنسان: كل إنسان. والوالدان: الأب والأم. غلب فيه المذكر على المؤنث. والحسن: البر والإكرام. وحملته: في بطنها. ووضعته: ولدته. وفصاله: فطامه. وبلغه: صار فيه. ورب أي: يا ربي. وأبو عتيق اسمه محمد. انظر «المفصل». وأشكرالنعمة: أستحضرها في نفسي وأذكرها بالثناء عليك. وأنعمت: تفضلت بها. وأعمل: أكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما أقره الشرع. وترضاه: تقبله وتثيبني عليه. وأصلحْ أي: اجعل الإيمان وعمل الخير ثابتين. والذرية: الأولاد والحفدة. وتبت: اعترفت بذنبي وتعهدت بتركه وطلبت المغفرة. والمسلم: من أسلم أمره إلى الله. ويُتقبل: يُرضى ويثاب. ويُتجاوز عنها: لايعاقَب عليها. وفي ث وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «نَتقبّل... ونَتجاوز». والسيئة: العمل القبيح. وأصحاب الجنة: انظر الآية ١٤. والوعد: التعهد بما هو خير. والصدق: ما هو واقع حتمًا. ويوعدون أي: يبلَّغونه بشارة. وقوله تعالى في الآية ٧٢ من سورة التوبة.

(٢) قال لهما أي: عندما دعواه إلى الإيمان. والجنس أي: أن «الذي»: متعدد المعنى يراد به كل من يقولون مثل هذا القول. وبفتحها يريد القراءة «أُفَّ». وانظر «المفصل» للتعليق على عبارة المحلي. وتعد: تخبر وتتهدد. وبالإدغام يريد القراءة «أتَعِدانِّي». وأُخرج: أُبعث حيًا. وخلت: مضت. والقرون: جمع قرن. وهو الأمة. وتقدير «إن لم ترجع» يقتضي الفاء بعده. والحق: الأمر الثابت. والأساطير: جمع أسطورة. والقول: الحكم. والأمم: جمع أمة. والجن: واحده جني. والإنس: واحده إنسي. والخاسر: من فقد ما لديه وما يؤمل.

(٣) الجنسان هما المذكوران في أول الآيتين ١٥ و١٧. والدرجات: المنزلات المتفاوتة. ويوفيهم أعمالهم: يكافئهم عليها كاملة. وبالنون يريد القراءة «ولِنُوَفِّيَهُم». والفاعل ضمير العظمة: نحن. ولايُظلم: لايُجار عليه. وأذهبتم: أفنيتم. وبهمزتين يريد القراءة «أأذهَبْتُم»؟ وبهمزة ومدة «آذهَبْتُم»؟ وبهما وتسهيل الثانية «آأذهَبْتُم»؟ بجعل لفظ الثانية بين الهمزة والألف. والطيب: ما يستلذ. واليوم: حين الجزاء. وتجزون: تعاقبون. والحق: ما يستحقه المخلوق. وتفسق: ترتكب المعاصي.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٥١

١- ﴿واذكُرْ أخا عادٍ﴾ هو هُود - عليه السلام - ﴿إذْ﴾ إلى آخره: بدل اشتمال ﴿أنذرَ قومَهُ﴾: خوَّفهم ﴿بالأحقافِ﴾ وادٍ باليمن به منازلهم - ﴿وقد خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضَتِ الرسلُ ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ ومِن خَلفِهِ﴾ أي: من قَبلِ هُود ومن بَعدِه إلى أقوامهم - ﴿أنْ﴾ أي: بأن قال: ﴿لا تَعبُدُوا إلا اللهَ﴾. وجملة «وقد خلت» مُعترضة. ﴿إنّي أخافُ عليكُم﴾، إن عبدتم غير الله، ﴿عَذابَ يومٍ عَظِيمٍ ٢١. قالُوا: أجِئتَنا لِتأفِكَنا عَنْ آلِهتِنا﴾: لتصرفنا عن عِبادتها؟ ﴿فائْتِنا بما تَعِدُنا﴾ من العذاب على عِبادتها، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ ٢٢ في أنه يأتينا. ﴿قالَ﴾ هود: ﴿إنّما العِلمُ عِندَ اللهِ﴾ هو الذي يعلم: متى يأتيكم العذاب؟ ﴿وأُبلِغُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ﴾ إليكم، ﴿ولكِنّي أراكُم قومًا تَجهَلُونَ﴾ ٢٣ باستعجالكم العذابَ.

٢- ﴿فلَمّا رأوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عارِضًا﴾: سحابًا عَرَضَ في أُفق السماء، ﴿مُستقبِلَ أودِيتِهِم، قالُوا: هٰذا عارِضٌ مُمطِرُنا﴾ أي: مُمطرٌ إيانا - قال تعالى: ﴿بَل هُوَ ما استعجَلتُم بِهِ﴾ من العذاب، ﴿رِيحٌ﴾: بدلٌ من «ما» ﴿فيها عَذابٌ أليمٌ﴾ ٢٤: مؤلم، ﴿تُدمِّرُ﴾: تُهلك ﴿كُلَّ شيءٍ﴾ مرّت عليه، ﴿بأمرِ ربِّها﴾: بإرادته، أي: كُلَّ شيء أراد إهلاكه بها. فأهلكتْ رِجالهم ونساءهم وصِغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلِك بين السماء والأرض ومزّقته، وبقي هود ومن آمن معه - ﴿فأصبَحُوا لا تَرَى إلّا مَساكِنَهُم. كَذٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجزِي القَومَ المُجرِمِينَ﴾ ٢٥ غيرَهم.

٣- ﴿ولَـقَد مَكّنّاهُم فِيما﴾: في الذي ﴿إنْ﴾: نافيةٌ أو زائدة ﴿مَكّنّاكُم﴾ - يا أهل مكّة - ﴿فِيهِ﴾ من القُوّة والمال، ﴿وجَعَلْنا لَهُم سَمعًا﴾ بمعنى: أسماعًا ﴿وأبصارًا وأفئِدةً﴾: قُلوبًا، ﴿فما أغنَى عَنهُم سَمعُهُم ولا أبصارُهُم ولا أفئِدتُهُم مِن شَيءٍ﴾ أي: شيئًا من الإغناء - ومِن: زائدة - ﴿إذ﴾ معمولة لـ «أغنى» وأُشربت معنى التعليل ﴿كانُوا يَجحَدُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: حُججِه البيّنة! ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ٢٦ أي: العذابُ. ﴿ولقَد أهلَكْنا ما حَولَكُم مِنَ القُرَى﴾ أي: من أهلها كثمودَ وعادٍ وقومِ لوط، ﴿وصَرَّفْنا الآياتِ﴾: كرّرنا الحُججَ البيّناتِ، ﴿لَعَلّهُم يَرجِعُونَ﴾ ٢٧.

٤- ﴿فلَولا﴾: فهلّا ﴿نَصَرَهُم﴾، بدفع العذاب عنهم، ﴿الّذِينَ اتّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُربانًا﴾: مُتقرَّبًا بهم إلى الله ﴿آلِهةً﴾ معه. وهم الأصنام. ومفعول «اتّخذ» الأولُ ضمير محذوف يعود على الموصول أي: هم، وقربانًا: الثاني، وآلهة: بدل منه. ﴿بَل ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنهُم﴾ عِند نُزول العذاب. ﴿وذٰلِكَ﴾ أي: اتّخاذُهم الأصنامَ آلهةً قُربانًا ﴿إفكُهُم﴾: كذبُهم، ﴿وما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ ٢٨: يَكذِبون. وما: مصدريّة، أو موصولة والعائد محذوف، أي: فيه.

---

(١) أخوهم: واحد من قبيلتهم. وعاد: من العرب العاربة. وبدل يعني أن «إذ»: بدل من «أخا». والأحقاف: جمع حِقف. وهو ما استطال واعوجّ من الرمال. وباليمن أي: بين حضرموت وعُمان. والنذر: جمع نذير. وهو المهدد بالعذاب لمن كفر. وتعبد: تقدس وتطيع. وأخاف: أخشى. والعظيم: الهائل لما يكون فيه من البلاء. والآلهة: جمع إلٰه. وهو ما يعبد من المخلوقات. وائتنا به: أوقعه بنا. وتعدنا: تهددنا. والصادق: من يقول الحق. والعلم: الإحاطة الكاملة بالكون والحياة. وأبلغكم: أعلمكم. وأرسلت به: كلفت بتبليغه. وأرى: أعلم باليقين. وتجهلون أي: صفتكم الجهل بالحقائق.

(٢) رأوه: أبصروه عِيانًا. ومستقبلها: متوجهًا إليها. والأودية: جمع الوادي. وممطر إيانا: يكشف المحْل. واستعجلتم به: طلبتم تعجيله. والريح: الهواء المندفع بسرعة. والعذاب: التعذيب. وأصبح: صار. وفي ث وقرة العينين والمنحة: «لا يرى». والمساكن: جمع مسكن، أي: ماتبقى منه بعد الدمار. ونجزي: نعاقب. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. والمجرم: المنهمك في الإجرام والعصيان باختيار وعزم.

(٣) مكناهم: أقررناهم. وزائدة أي: لتوكيد المعنى. وجعل: خلق. والأبصار: جمع بصر. والأفئدة جمع فؤاد، أي: ما يُدرك به كل محسوس أو مفهوم. وما أغنى عنهم أي: لم ينفعهم. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. ويجحد: يكفر. ونزل أي: وأحاط من كل جانب. ويستهزئ: يسخر. وأهلك: أفنى. وما حولكم: الخطاب لأهل مكة. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وثمود: قوم النبي صالح، من العرب العاربة. ولوط: ابن أخي إبراهيم، كان نبيًا قرب مدينة حمص. وصرفنا أي: لأهل تلك القرى. ويرجعون: يغادرون الكفر إلى الإيمان.

(٤) هلّا: حرف توبيخ لجميع المشركين. ونصر: حمى. واتخذ: جعل. و«الأصنام» تفسير لـ «الذين». و«أي هم» يعني أن التقدير: اتخذوهم. وعنهم: عن إنقاذهم. وإلّا فقد كانت الأصنام معهم حين الإهلاك، وأصابها ما أصابهم. وكذبهم: ادعاء شفاعة الأصنام، وهوالذي أرداهم من غير شفيع. ومصدرية: يعني أن المصدر المؤول معطوف على «إفك»، أي: وكونُهم مفترين. وموصولة أي: اسم موصول معطوف على «إفك» أيضًا.

الجزء السادس والعشرون | سورة الأحقاف

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

ترتيبها ٤٧ — سُورَةُ مُحَمَّدٍ — آياتها ٣٨

١- ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ صَرَفْنا**﴾: أمَلْنا ﴿**إليكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ**﴾ جِنَّ نَصِيبِينِ اليمنِ أو جِنَّ نِينَوَى - وكانوا سبعة أو تسعة «وكانَ ﷺ بِبَطنِ نَخلة يُصلِّي بأصحابِهِ الفَجرَ». رواه الشيخان - ﴿**يَستَمِعُونَ القُرآنَ، فلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**أنصِتُوا**﴾: اصغُوا لاستماعه. ﴿**فلَمّا قُضِيَ**﴾: فُرغ من قراءته ﴿**وَلَّوا**﴾: رجَعوا ﴿**إلى قَومِهِم مُنذِرِينَ**﴾ ٢٩: مُخوّفين قومَهم العذابَ، إن لم يُؤمنوا. وكانوا يهودًا.

٢- ﴿**قالُوا: يا قومَنا، إنّا سَمِعنا كِتابًا**﴾ هو القُرآن، ﴿**أُنزِلَ مِن بَعدِ مُوسَى، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ**﴾ أي: تقدّمه كالتوراة، ﴿**يَهدِي إلَى الحَقِّ**﴾: الإسلام، ﴿**وإلَى طَرِيقٍ مُستقِيمٍ**﴾ ٣٠ أي: طريقه. ﴿**يا قَومَنا، أجِيبُوا داعِيَ اللهِ**﴾ مُحمّدًا ﷺ إلى الإيمان، ﴿**وآمِنُوا بِهِ يَغفِرْ لَكُم**﴾ الله ﴿**مِن ذُنُوبِكُم**﴾ أي: بعضَها، لأنّ منها المظالمَ ولا تُغفر إلّا برضا أربابها، ﴿**ويُجِرْكُم مِن عَذابٍ ألِيمٍ**﴾ ٣١: مُؤلم. ﴿**ومَن لا يُجِبْ داعِيَ اللهِ فلَيسَ بِمُعجِزٍ في الأرضِ**﴾ أي: لا يُعجِزُ اللهَ بالهرب منه فيفوتَه، ﴿**ولَيسَ لَهُ**﴾: لمن لا يُجيبُ ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ ﴿**أولِياءُ**﴾: أنصارٌ يدفعون عنه العذاب. ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الذين لم يُجيبوا ﴿**في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ٣٢: بيِّنٍ ظاهر.

٣- ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا، أي: منكرو البعث، ﴿**أنّ اللهَ الّذِي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ، ولَم يَعْيَ بِخَلقِهِنَّ**﴾: لم يعجز عنه، ﴿**بِقادِرٍ**﴾: خبرُ «أنّ» - وزيدت الباء فيه لأنّ الكلام في قوّة: أليس الله بقادر - ﴿**على أن يُحيِيَ المَوتَى؟ بَلَى**﴾ هو قادر على إحياء الموتى. ﴿**إنّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٣٣. ﴿**ويَومَ يُعرَضُ الّذِينَ كَفَرُوا على النّارِ**﴾، بأن يُعذّبوا بها، ويقال لهم: ﴿**ألَيسَ هٰذا**﴾ التعذيب ﴿**بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى، ورَبِّنا. قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ**﴾ ٣٤. ﴿**فاصبِرْ**﴾ على أذى قومك، ﴿**كَما صَبَرَ أُولُو العَزمِ**﴾: ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿**مِنَ الرُّسُلِ**﴾ قبلك، فتكونَ ذا عزم - ومن: للبيان فكلّهم ذوو عزم. وقيل: للتبعيض فليس منهم آدمُ لقوله تعالى: «ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا»، ولا يونسُ لقوله تعالى: «ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ» - ﴿**ولا تَستَعجِلْ لَهُم**﴾: لقومك نُزولَ العذاب بهم. قيل: كأنه ضجر منهم فأحبّ نُزول العذاب بهم، فأُمر بالصبرِ وتركِ الاستعجال للعذاب. فإنه نازل بهم لا محالة. ﴿**كأنّهُم يَومَ يَرَونَ ما يُوعَدُونَ**﴾، من العذاب في الآخرة لطُوله، ﴿**لَم يَلبَثُوا**﴾ في الدنيا في ظنّهم ﴿**إلّا ساعةً مِن نَهارٍ**﴾. هذا القُرآن ﴿**بَلاغٌ**﴾: تبليغ من الله - تعالى - إليكم. ﴿**فهَل**﴾ أي: لا ﴿**يُهلَكُ**﴾ عِند رُؤية العذاب ﴿**إلّا القَومُ الفاسِقُونَ**﴾ ٣٥ أي: الكافرون؟

سورة محمّد

مدنية إلّا «وكأيّن من قرية» الآية، أو مكية، وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية.

---

(١) روي أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن ببطن نخلة، ولما سمعه بعض الجن أنصتوا إليه، فنزلت الآيات ٢٩-٣٢. المستدرك ٢:٤٥٦. وكان هذا قبل الهجرة بسنتين، وهو يصلي صلاة الفجر، مرجعَه من الطائف. انظر المسند ١:١٦٧. واذكر أي: لنفسك والصحابة بشارة، ولقومك تعنيفًا وتوبيخًا، لأنهم كانوا أولى من الجن بالإيمان، إذ أنزل عليهم القرآن فكفروا به، وهم أهل اللسان الذي أنزل به، ومن جنس النبي ﷺ، وهؤلاء جن ليسوا من جنسه، وقد أثر فيهم سماع القرآن، فآمنوا به وبمن أنزل عليه، وعلموا أنه من عند الله. البحر ٨:٦٧. وأملنا أي: وجهنا. والنفر: الجماعة بين ثلاثة وعشرة. والجن: واحده جني. وهو مخلوق من النار. ونصيبين: مدينة على طريق الموصل إلى الشام. ونينوى: مدينة النبي يونس بقرب الموصل. وبطن نخلة: مكان بين الطائف ومكة. والشيخان: الإمامان البخاري ومسلم. وما ذكره المحلي هنا تلفيق، بين رواية المسند والمستدرك وما رواه الشيخان في سبب نزول سورة الجن. انظر الأحاديث ٧٣٩ و٤٦٣٧ في البخاري و٤٤٩ في مسلم والآية ١ من سورة الجن. ويستمعون: يبالغون في الإنصات والمتابعة والإدراك. ولما أي: حينما. وحضروه أي: صاروا معه وبمَسمع لِما يُتلى. وقراءته أي: للقرآن. والقوم: الجماعة من الجن. والمشهور أن الجن فيهم اليهود والنصارى والمسلمون والمجوس وعبدة الأصنام. تفسير الرازي ١٠:٢٨. **(٢)** سمعناه: سمعنا تلاوته. وأُنزل: أوحي من عند الله. والمصدق: الموافق المحقق للعقيدة وأصول الشريعة. ويهدي: يرشد ويوصل. والحق: الأمر الثابت الصادق، يُعلَم بطريق العقل السليم. والمستقيم: المعتدل. وأجيبوه: أطيعوه. وداعي الله: الرسول المبلِّغ. وآمنوا به: صدّقوه. ويغفرُها: يسترها ويعفو عنها. والذنوب: جمع ذنب. وهو العمل السيئ. وبرضا أربابها أي: بعد عفو المظلومين. ويجير: يمنع ويحمي. ولايجيبه: لايطيعه. وفي الأرض أي: في هذه الحياة الدنيا حيثما توجه. ويفوته: ينجو من سلطانه وعقابه. والأولياء: جمع وليّ. والضلال: الخطأ والضياع. **(٣)** أولم يروا أي: لقد علموا باليقين الثابت. وخلقها: أوجدها من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والقادر: المستطيع المتمكن وحده. وخبر أنّ: يعني «قادر» وأنه مجرور لفظًا مرفوع محلًّا. ويحييهم: يخلق فيهم الحياة بالبعث. والموتى: جمع ميت. والقدير: البالغ القدرة والتمكن لايعجز عما يريد. ويوم أي: وقت. والحق: الواقع حتمًا. وذوقوه: قاسوا أهواله. وتكفرون: تكذبون التوحيد والبعث. والصبر هو الوثوق بحكم الله مع الثبات على الشدائد. وأولو أي: أصحاب، واحده: ذو. والرسل: جمع رسول. وللبيان أي: لتبيين الجنس المبهم في «أولو العزم» أي: كل منهم صاحبه وملازمه. وللتبعيض: يعني أنها بمعنى: بعض. والآية الخاصة بآدم هي ذات الرقم ١١٥ من سورة طه، والخاصة بيونس هي ذات الرقم ٤٨ من سورة القلم. وتستعجله: تطلب بالدعاء تعجيل نزوله. ويرونه: يبصرونه عِيانًا ويقاسون أهواله. ويوعدون: يهددون به. ويلبث: يعيش. والساعة: القليل من الوقت. والنهار هنا بمعنى اليوم. ويهلك: ينزل به أشد العذاب. والفاسق: المنهمك في العصيان والكفر .

الجزء السادس والعشرون — سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة، ﴿**وصَدُّوا**﴾ غيرهم ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: الإيمان، ﴿**أضَلَّ**﴾: أحبط ﴿**أعمالَهُم**﴾ ١، كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، ويُجزَون بها في الدنيا من فضله - تعالى - ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: الأنصارُ وغيرهم، ﴿**وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وآمَنُوا بِما نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ**﴾ أي: القُرآنِ - ﴿**وهْوَ الحَقُّ مِن رَبِّهِم - كَفَّرَ عَنهُم**﴾: غفر لهم ﴿**سَيِّئاتِهِم، وأصلَحَ بالَهُم**﴾ ٢ أي: حالهم فلا يعصُونه. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيّئات ﴿**بِأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ**﴾: الشيطان، ﴿**وأنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ**﴾: القُرآنَ ﴿**مِن رَبِّهِم. كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ ذلك البيان ﴿**يَضرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أمثالَهُم**﴾ ٣: يُبيِّنُ أحوالَهم، فالكافر يُحبِط عملَه، والمُؤمن يَغفر زللَه.

٢- ﴿**فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فضَرْبَ الرِّقابِ**﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: فاضربوا رقابهم، أي: اقتلوهم. وعُبّر بضرب الرقاب لأنّ الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة. ﴿**حَتَّى إذا أثخَنتُمُوهُم**﴾: أكثرتم فيهم القتل ﴿**فشُدُّوا**﴾ أي: فأمسكوا عنهم وائْسِروهم وشُدّوا ﴿**الوَثاقَ**﴾: ما يُوثق به الأسرى - ﴿**فإمّا مَنًّا بَعدُ**﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: تمنّون عليهم بإطلاقهم من غير شيء، ﴿**وإمّا فِداءً**﴾ تُفادونهم بمالٍ أو أسرَى مسلمين - ﴿**حَتَّى تَضَعَ الحَربُ**﴾ أي: أهلُها ﴿**أوزارَها**﴾: أثقالها من السلاح وغيره، بأن يُسلِمَ الكُفّار أو يدخلوا في العهد. وهذه غاية للقتل والأسر.

نصف الحزب ٥١

٣- ﴿**ذٰلِكَ**﴾: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: الأمر فيهم ما ذُكر، ﴿**ولَو يَشاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنهُم**﴾ بغير قِتال، ﴿**ولٰكِن**﴾ أمركم به ﴿**لِيَبلُوَ بَعضَكُم بِبَعضٍ**﴾ منهم في القتال، فيصيرَ من قُتل منكم إلى الجنّة ومنهم إلى النار. ﴿**والَّذِينَ قُتِلُوا**﴾ وفي قراءة «قاتَلُوا» - الآية نزلت يوم أُحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات - ﴿**في سَبِيلِ اللهِ فلَن يُضِلَّ**﴾: يُحبِط ﴿**أعمالَهُم ٤، سَيَهدِيهِم**﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم، ﴿**ويُصلِحُ بالَهُم**﴾ ٥: حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقتل وأُدرجوا في «قُتِلوا» تغليبًا، ﴿**ويُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ، عَرَّفَها**﴾: بيّنَها ﴿**لَهُم**﴾ ٦، فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم، من غير استدلال.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَنصُرُوا اللهَ**﴾ أي: دِينَه ورسوله ﴿**يَنصُرْكُم**﴾ على عدوّكم، ﴿**ويُثَبِّتْ أقدامَكُم**﴾ ٧: يُثبّتكم في المعترك. ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة، مُبتدأ خبره: تَعِسُوا، يدلّ عليه: ﴿**فتَعْسًا لَهُم**﴾ أي: هلاكًا وخيبة من الله، ﴿**وأضَلَّ أعمالَهُم**﴾ ٨: عطف على «تعسوا». ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: التعس والإضلال ﴿**بِأنَّهُم كَرِهُوا ما أنزَلَ اللهُ**﴾ من القُرآن المشتمل على التكاليف، ﴿**فأحبَطَ أعمالَهُم ٩. أفلَم يَسِيرُوا في الأرضِ،**

---

(١) كفر: أنكر التوحيد والبعث والرسالة. وصد: منع. والسبيل: الطريق شُرع للهداية. وأحبط: أفسد. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يقوم به الإنسان من نية أو قول أو فعل. والأرحام: الأقرباء. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والأنصار: الذين آمنوا من أهل المدينة، ونصروا الإسلام والمهاجرين. والصالح: العمل الذي يرضاه الله. وآمنوا به: صدّقوه. ونُزل: أوحي بلسان جبريل. والحق: الثابت أبدًا ينسخ غيره ولايُنسخ. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والسيئة: القبيح من العمل. وأصلحه: وجّهه إلى الخير ووفقه فيه. والبال: واحده بالة، أي: حالة. و«لا يعصونه» كذا. والصواب: إذا فعلوا السيئة تنبهوا للتوبة والاستغفار. واتبعوه: لازموه بقصد وعزم. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الحال والشأن بما فيهما من العجب والغرابة. (٢) روي أن الآيات ٤-١٠ نزلت يوم أحد، تبشر المسلمين أنه ستكون لهم الغلبة، ويكون لهم أسرى ومنّ وفداء. وذلك بعد أن خسر المسلمون المعركة، وتبجح المشركون وتغنوا بعزة الأصنام. انظر لباب النقول. ولقيتموهم: قابلتموهم في الحرب. وكفر: كذّب الله ورسوله، أي: هو مشرك من العرب ولم يكن له عهد أو ذمة. والضرب أي: بالسيف ونحوه. والرقاب: جمع رقبة. وشدوه: احزموه بقوة. والمن: التكرم بتحرير الأسير مجانًا. وبعد: بعد انتهاء الحرب. والفداء: إطلاق الأسير بعِوض. وتضعها: تنزعها عنها وتلقيها. والأوزار: جمع وِزر. وهو الثقل. وهذه غاية أي: أن المعنى: حتى لايبقى للعدو المذكور شوكة، فيترك الحرب ويسالم. وبعد ذلك يكون منّ أو فداء. (٣) يشاء: يريد أن ينتصر بالكوارث المستأصِلة. ويبلوه: يمتحنه ليظهر مافيه. ومنهم أي: ببعض من الكافرين. وقُتلوا: قُدّر عليهم أن يُستشهَدوا. وقاتلوا: قُدّر لهم أن يجاهدوا. وسبيله: طريقه من العقيدة والشريعة. ويهديهم: يرشد الأحياء إلى الصلاح والموتى إلى الجنان. ويدخلهم: يقدّر لهم الدخول. والجنة: البستان العظيم. (٤) تنصروا دينه: تدافعوا عنه وتغلّبوه على الكفر. وينصركم: يؤيدكم ويغلّبكم. ويثبتها: يمكّنها من الثبات في اللقاء. والأقدام: جمع قدم. وأهل مكة أي: وغيرها. ومبتدأ خبره: يعني أن «الذين»: مبتدأ، والجملة المقدرة «تعسوا»: خبره. وكرهوه: نفروا منه لأنه يخالف شهواتهم. وأنزل: أوحى. ويسيرون أي: يمشي الكافرون ويرحلون للتجارة وغيرها. وينظر: يتدبر ويفكر. والعاقبة: النهاية العجيبة. والكافرون: المنهمكون في الكفر. والأمثال: جمع مِثل. وهو النظير المماثل في الهول والشدة. و«وليٌ وناصرٌ» فيه حذف المضاف إليه لدلالة ما بعده عليه، وهو جائز في الشعر والنثر. ولا مولى لهم أي: لاناصر لهم ولا معين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

فَيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ دَمَّرَ اللهُ عَلَيهِم﴾: أهلك اللهُ أنفُسَهم وأولادهم وأموالهم، **﴿وللكافِرِينَ أمثالُها﴾** ١٠: أمثال عاقبة مَن قبلهم. **﴿ذٰلِكَ﴾** أي: نصرُ المُؤمنين وقهر الكافرين **﴿بِأنَّ اللهَ مَولَى﴾**: وليُّ وناصرُ **﴿الَّذِينَ آمَنُوا، وأنَّ الكافِرِينَ لا مَولَى لَهُم﴾** ١١.

١- **﴿إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾** في الدنيا، **﴿ويأكُلُونَ كما تأكُلُ الأنعامُ﴾** أي: ليس لهم همّة إلّا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة، **﴿والنّارُ مَثوًى لَهُم﴾** ١٢: منزلٌ ومُقام ومصير. **﴿وكأيِّن﴾**: وكم **﴿مِن قَريةٍ﴾** أُريد بها أهلُها، **﴿هِيَ أشَدُّ قُوّةً مِن قَريَتِكَ﴾** مكّةَ أي: أهلِها **﴿الَّتي أخرَجَتْكَ﴾**، رُوعي لفظ «قرية»، **﴿أهلَكناهُم﴾** - رُوعي معنى «قرية» الأولى - **﴿فلا ناصِرَ لَهُم﴾** ١٣ من إهلاكنا! **﴿أفَمَن كانَ عَلَى بَيِّنةٍ﴾**: حُجّة وبُرهان **﴿مِن رَبِّهِ﴾** - وهم المُؤمنون - **﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾** فرآه حسنًا - وهم كُفّار مكّة - **﴿واتَّبَعُوا أهواءَهُم﴾** ١٤ في عِبادة الأوثان؟ أي: لا مُماثلة بينهما.

٢- **﴿مَثَلُ﴾** أي: صِفةُ **﴿الجَنّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾** المُشترَكُ بين داخليها، مبتدأ خبره: **﴿فِيها أنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ﴾** - بالمدّ والقصر كضارِب وحَذِر - أي غيرِ مُتغيّر، بخِلاف ماء الدنيا فيتغيّر لعارض، **﴿وأنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغَيَّرْ طَعمُهُ﴾**، بخِلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع، **﴿وأنهارٌ مِن خَمرٍ لَذّةٍ﴾**: لذيذة **﴿لِلشّارِبِينَ﴾**، بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، **﴿وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى﴾**، بخِلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بُطون النحل يخالطه الشمع وغيره، **﴿ولَهُم فِيها﴾** أصناف **﴿مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، ومَغفِرةٌ مِن رَبِّهِم﴾**. فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذُكر، بخِلاف سيّد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطًا عليهم. **﴿كَمَن هُوَ خالِدٌ في النّارِ﴾**: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: أم مَن هو في هذا النعيم، **﴿وسُقُوا ماءً حَمِيمًا﴾** أي: شديد الحرارة، **﴿فقَطَّعَ أمعاءَهُم﴾** ١٥ أي: مصارينهم فخرجت من أدبارهم؟ وهو جمع مِعًى بالقصر، وألفه عن ياء لقولهم: مِعَيانِ.

٣- **﴿ومِنهُم﴾** أي: الكُفّارِ **﴿مَن يَستَمِعُ إلَيكَ﴾** في خُطبة الجُمعة - وهم المنافقون - **﴿حَتَّى إذا خَرَجُوا مِن عِندِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾**: لعُلماء الصحابة، منهم ابن مسعود وابن عبّاس، استهزاءً وسخرية: **﴿ماذا قالَ آنِفًا﴾** - بالمد والقصر - أي: الساعةَ؟ أي: لا يُرجَعُ إليه. **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾** بالكُفر، **﴿واتَّبَعُوا أهواءَهُم﴾** ١٦ في النِّفاق، **﴿والَّذِينَ اهتَدَوا﴾** - وهم المُؤمنون - **﴿زادَهُمْ﴾** الله **﴿هُدًى، وآتاهُم تَقواهُم﴾** ١٧: ألهمهم ما يتّقون به النار. **﴿فَهَل يَنظُرُونَ﴾**: ما ينتظرون أي: كُفّارُ مكّة **﴿إلّا السّاعةَ، أن تأتِيَهُم﴾**: بدلُ اشتمال من «الساعةَ»، أي: ليس الأمر إلّا أن تأتيهم **﴿بَغتةً﴾**: فجأة؟ **﴿فقَد جاءَ أشراطُها﴾**: علاماتها، منها بَعثُ النبيّ ﷺ وانشقاقُ القمر والدخانُ. **﴿فأنَّى لَهُم، إذا جاءَتْهُم﴾** الساعةُ، **﴿ذِكراهُم﴾** ١٨: تذكّرُهم؟ أي: لا ينفعهم.

٤- **﴿فاعلَمْ أنَّهُ لا إلَهَ إلّا اللهُ﴾** أي: دُمْ - يا مُحمّد - على عِلمك بذلك النافع في القيامة، **﴿واستَغفِرْ لِذَنبِكَ﴾** لأجله - قيل له ذلك مع عِصمته

---

(١) آمن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. والجنة: البستان العظيم. وتجري: تسيل وتتدفق. والأنهار: جمع نهر. ويتمتع: يتلذذ. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. وكم أي: كثير. والقرية: البلدة. وأشد: أعظم. وأخرجتك: حملك كُفّارها على الهجرة. انظر «المفصل». وأهلكَ: أفنى. والناصر: المنقذ. ومن ربه أي: من عنده وبأمره. وزين: جُعل مغريًا. والسوء: القبيح. وكفار مكة أي: وغيرها. واتبعه: انقاد إليه. والأهواء: جمع هوى، ميل النفس إلى ما تشتهيه.

(٢) وُعد المتقون أي: وَعد الله إياها من يتجنب غضبه ويلزم الطاعة. والمشترك: المَثل المذكور، وهو مشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم. ومبتدأ خبره: يعني أن «مثل»: مبتدأ خبره جملة «فيها أنهار». وبالقصر يريد القراءة «أَسِنٍ». وهو الذي يفسد. وفي المنحة: «أَسِنَ». واللبن: ما يُشرب من حلب الماشية. ويتغير: يتحول إلى فساد. والخمر: ما يكون به نشوة من الشراب. والعسل: الشراب الحلو. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والخالد: المقيم أبدًا. وخبر: يعني أن الكاف: اسم في محل رفع خبر. انظر «المفصل». وسقوا: شربوا مضطرين. وألفه عن ياء أي: منقلبة عن ياء، وأصله «مِعَيٌ». ومعيان أي: في التثنية.

(٣) انظر سبب النزول في المفصل. ويستمع: يصطنع السماع. وأُوتوه: أُعطوه. والعلم: الفهم الدقيق. وبالقصر يريد القراءة «أَنِفًا». والساعة أي: قُبيل افتراقنا. وطبع: ختم. والقلوب: جمع قلب. واهتدى: استرشد إلى الحق. وزاده: أضاف إليه. والهدى: التوجيه إلى الحق. والتقوى: تجنب سخط الله وطلب الرضا. وكفار مكة أي: وغيرها. والساعة: وقت القيامة. وتأتيهم: تفاجئهم. وبدل: يعني أن المصدر المؤول من «أنْ» بدل. وجاء: ظهر. والأشراط: جمع شَرَط. وهو العلامة. والدخان: انظر الآية ١٠ من سورة الدخان. وأنى: من أين؟

(٤) الإلٰه: المعبود بحق. واستغفرْ: استمرَّ على طلب العفو. وذنبك: تركك من العمل ما هو أولى. وتستن: تقتدي. والحديث من تفسير البغوي ٤: ١٨٣،=

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

لتستنّ به أُمّتُه، وقد فعله قال ﷺ: «إنّي لأستغفِرُ اللهَ في كُلِّ يَومٍ مِائَةَ مَرّةٍ» - ﴿**وللمُؤمنِينَ والمُؤمناتِ**﴾. فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهمّ. ﴿**واللهُ يَعلَمُ مُتقَلَّبَكُم**﴾: مُتصرَّفكم لأشغالكم بالنهار، ﴿**ومَثواكُم**﴾ ١٩: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه. والخطاب للمُؤمنين وغيرهم.

١- ﴿**ويَقولُ الَّذينَ آمَنُوا**﴾ طلبًا للجِهاد: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**نُزِّلَتْ سُورةٌ**﴾ فيها ذِكر الجِهاد. ﴿**فإذا أُنزِلَتْ سُورةٌ مُحكَمَةٌ**﴾ أي: لم يُنسخ منها شيء، ﴿**وذُكِرَ فِيها القِتالُ**﴾ أي: طلبُه، ﴿**رأيتَ الَّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾ أي: شكّ - وهم المُنافقون - ﴿**يَنظُرُونَ إلَيكَ نَظَرَ المَغشِيِّ عليهِ مِنَ المَوتِ**﴾ خَوفًا منه وكراهية له، أي: فهم يخافون من القِتال ويكرهونه. ﴿**فأَولَى لَهُم**﴾ ٢٠: مُبتدأ خبرُه: ﴿**طاعةٌ وقَولٌ مَعرُوفٌ**﴾ أي: حَسَنٌ لك، ﴿**فإذا عَزَمَ الأمرُ**﴾ أي: فُرِضَ القِتال ﴿**فلَو صَدَقُوا اللهَ**﴾، في الإيمان والطاعة، ﴿**لَكانَ خَيرًا لَهُم**﴾ ٢١. وجملة «لو» جوابُ: إذا.

٢- ﴿**فهَل عَسَيتُم**﴾ - بفتح السين وكسرها، وفيه التفات عن الغَيبة - أي: لعلّكم، ﴿**إن تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم عن الإيمان، ﴿**أن تُفسِدُوا في الأرضِ، وتُقَطِّعُوا أرحامَكُم**﴾ ٢٢ أي: تعودوا إلى أمر الجاهليّة من البغي والقِتال. ﴿**أُولئِكَ**﴾ أي: المُفسدون ﴿**الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، فأصَمَّهُم**﴾ عن استماع الحقّ، ﴿**وأعمَى أبصارَهُم**﴾ ٢٣ عن طريق الهداية. ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ**﴾ فيعرفون الحقّ؟ ﴿**أم**﴾: بل ﴿**على قُلُوبٍ**﴾ لهم ﴿**أقفالُها**﴾ ٢٤، فلا يفهمونه.

٣- ﴿**إنَّ الَّذينَ ارتَدُّوا**﴾ بالنِّفاق ﴿**على أدبارِهِم، مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى، الشَّيطانُ سَوَّلَ**﴾: زيَّن ﴿**لَهُم وأُملِيَ لَهُم**﴾ ٢٥، بضمِّ أوّله، وبفتحِه واللامَ والمُملي: الشيطان بإرادته - تعالى - فهو المُضلّ لهم. ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: إضلالهم ﴿**بِأَنَّهُم قالُوا لِلَّذينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ**﴾ أي للمُشركين: ﴿**سَنُطِيعُكُم في بَعضِ الأمرِ**﴾ أمر المُعاونةِ على عداوة النبيّ ﷺ، وتثبيط الناس عن الجِهاد معه. قالوا ذلك سرًّا، فأظهره الله تعالى. ﴿**واللهُ يَعلَمُ أسرارَهُم**﴾ ٢٦. بفتح الهمزة: جمع سِرّ، وبكسرها مصدر. ﴿**فكَيفَ**﴾ حالُهم، ﴿**إذا تَوَفَّتهُمُ المَلائكَةُ، يَضرِبُونَ**﴾: حالٌ من الملائكة ﴿**وُجُوهَهُم وأدبارَهُم**﴾ ٢٧: ظُهورهم، بمقامع من حديد؟ ﴿**ذلِكَ**﴾ التوفّي على الحال المذكورة ﴿**بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أسخَطَ اللهَ، وكَرِهُوا رِضوانَهُ**﴾ أي: العملَ بما يُرضيه، ﴿**فأحبَطَ أعمالَهُم**﴾ ٢٨.

٤- ﴿**أم حَسِبَ الَّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ أن لَن يُخرِجَ اللهُ أضغانَهُم**﴾ ٢٩: يُظهرَ أحقادهم على النبيّ ﷺ والمُؤمنين؟ ﴿**ولَو نَشاءُ لَأَرَيناكَهُم**﴾:

=وهو بلفظ آخر في صحيح مسلم ص ٢٠٧٥ والمسند ٤:٢١١. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. ويعلمه: يحيط به مهما دق واختفى. والمتصرَّف: التصرُّف.

(١) نُزّلت: أوحيت. والسورة: المجموعة من الآيات. وذكر: فُرض وأُوجب. والقتال: جهاد العدو. ورأيت: أبصرت عِيانًا. والقلوب: جمع قلب. وينظر: يوجّه عينيه. والمغشي عليه: المُغمَى عليه. وأولى لهم: أجدرُ بهم. وعزم: وجب. وصدق: أخلص النية في الاستجابة. وكان: صار صدقُ النية. وخيرًا: أفضل من المعصية والمخالفة.

(٢) عسيتم: يُتوقع منكم. وبكسرها يريد به القراءة «عَسِيتُم». وتفسد: تنشر المنكرات. والأرحام: جمع رَحِم. وهي القرابة وأسبابها. وتقطيعها: تمزيق ما توجبه من المودة والتراحم. ولعنه: طرده من الرحمة. وأصمه: خلق فيه الصمم. وأعماها: أفقدها التبصر. والأبصار: جمع بصر. ويتدبره: يتفهم ما فيه. والأقفال: جمع قفل.

(٣) روي أن هذه الآيات نزلت في أناس أسلموا، ثم نافقت قلوبهم. تفسير الآلوسي ٢٦:١١١. وارتدوا: رجعوا إلى ما كانوا عليه. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. وتبين: ظهر واتضح. والهدى: الهداية إلى الحق. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّة والناس. وأُملِيَ لهم أي: لم يُعجّلوا بالانتقام. وبفتحه يريد القراءة «وأملَى». انظر «المفصل». وكرهه: نفر منه. ونزّل: أوحى على محمد. ونطيعكم: نوافقكم. والأمر: شأنكم الذي أنتم فيه. ويعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. والأسرار: جمع سرّ. وهو ما يكتم. وبكسرها يريد القراءة «إسرارَهُم»، أي: ما يُخفونه من كفر وكيد. وتوفته: استوفت روحَه. والملائكة: جمع ملَك، ملائكة الموت. ويضرب: يصفع. والوجوه: جمع وجه. والمقامع: جمع مِقمعة. وهي قضيب رأسه مُعوَجّ. واتبعه: استجاب له. وأسخطه: أغضبه. والرضوان: القبول في الرحمة. وأحبطها: أذهب ثوابها. والأعمال: جمع عمل. وهو ما اكتُسب من نية أو قول أوفعل.

(٤) المرض: ضعف الإيمان. والأضغان: جمع ضِغن. ونشاء: أردنا أن نريكهم. وعرفناكهم: عيّنّا لك أشخاصهم. وإنما لم يُفضحوا تألفًا لهم وإبقاء على قراباتهم. وعرفت: أدركت وميزت. وعلامتهم: العلامات المميزة. و«الواو لقسم محذوف» خطأ، والصواب أن الجملة جواب قسم محذوف، والواو: حرف عطف. والقول: مايقال. ويعلمها: يحيط بها بالغَ الإحاطة ويحفظها للحساب والجزاء. والأعمال: جمع عمل بنية أو قول أو فعل.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

عرّفناكهم، وكُرِّرَتِ اللامُ في ﴿فلعَرَفتَهُم بِسيماهُم﴾: علامتهم، ﴿ولتعرِفنّهُم﴾ - الواو: لقسم محذوف، وما بعدها جوابه - ﴿في لَحنِ القولِ﴾ أي: في معناه، إذا تكلّموا عِندك، بأن يُعرّضوا بما فيه تهجينُ أمر المُسلمين. ﴿واللهُ يَعلَمُ أعمالَكُم﴾ ٣٠.

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

١ - ﴿ولنَبلُوَنَّكُم﴾: نختبَرنَّكم بالجِهاد وغيره، ﴿حَتَّى نَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿المُجاهِدِينَ مِنكُم والصّابِرينَ﴾، في الجهاد وغيره، ﴿ونَبلوَ﴾: نُظهِرَ ﴿أخبارَكُم﴾ ٣١ من طاعتكم وعِصيانكم في الجِهاد وغيره. بالياء والنون في الأفعال الثلاثة. ﴿إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ﴾: طريقِ ﴿اللهِ، وشاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خالفوه، ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى﴾ هو معنى: سبيل الله، ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا! وسَيُحبِطُ﴾ اللهُ ﴿أعمالَهُم﴾ ٣٢: يُبطلها من صدَقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا. نزلتْ في المُطعِمِينَ من أصحاب بدر، أو في قُرَيظةَ والنضيرِ.

٢ - ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، ولا تُبطِلُوا أعمالَكُم﴾ ٣٣ بالمعاصي مثلًا. ﴿إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طريقه وهو الهُدى، ﴿ثُمَّ ماتُوا وهُم كُفّارٌ، فلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم﴾ ٣٤. نزلتْ في أصحاب القَليب. ﴿فلا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا، ﴿وتَدعُوا إلَى السَّلمِ﴾ - بفتح السين وكسرها - أي: الصُّلحِ مع الكُفّار إذا لقيتموهم، ﴿وأنتُمُ الأعلَونَ﴾، حُذف منه واوٌ لام الفعل: الأغلبون القاهرون، ﴿واللهُ مَعَكُم﴾ بالعون والنصر، ﴿ولَن يَتِرَكُم﴾: يَنقُصَكم ﴿أعمالَكُم﴾ ٣٥ أي: ثوابها.

٣- ﴿إنَّما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ ولَهوٌ، وإن تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ الله - وذلك من أُمور الآخرة - ﴿يُؤتِكُم أُجُورَكُم، ولا يَسألكُم أموالَكُم﴾ ٣٦ جميعَها، بل الزكاةَ المفروضة فيها. ﴿إن يَسألكُمُوها فيُحفِكُم﴾: يبالغْ في طلبها ﴿تَبخَلُوا، ويُخرِجْ﴾ البخلُ ﴿أضغانَكُم﴾ ٣٧ لِدِين الإسلام. ﴿ها أنتُم﴾ يا ﴿هَؤُلاءِ تُدعَونَ، لِتُنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ ما فَرضَ عليكم، ﴿فمِنكُم مَن يَبخَلُ، ومَن يَبخَلْ فإنَّما يَبخَلُ عَن نَفسِهِ﴾ - يقال: بَخِلَ عليه وعنه. ﴿واللهُ الغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم، ﴿وأنتُمُ الفُقَراءُ﴾ إليه - ﴿وإن تَتَوَلَّوا﴾ عن طاعته ﴿يَستَبدِلْ قومًا غَيرَكُم﴾ أي: يجعلْهم بدلَكم، ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثالَكُم﴾ ٣٨ في التولّي عن طاعته، بل مُطيعين له، عزّ وجلّ.

---

(١) نختبر: نمتحن. وعلم ظهور: علم بيان يكون عليه الحساب. والمجاهد: من يبذل ما يستطيع من المال والجهد والقول والصحة والوقت والعلم والجاه. والصابر: من يَثبت على الشدائد. والأخبار: جمع خبر. وهو ما يخبر به عن العمل. وبالياء يريد القراءة «وليَبلُوَنّكُم»، و«يَعلَمَ»، «ويَبلُوَ». والنون أي: نون المضارعة. وكان على المحلي أن يقول: بالنون والياء. وكفر: كذّب الله ورسوله. وصدوا: دفعوا الناس. وتبين: ظهر بالأدلة والمعجزات. ويضره: يسبب له أو لدينه الضرر. وأعمالهم: ما قاموا به من الكيد. وأصحاب بدر: من أنفق لمحاربة المسلمين ببدر، علموا صدق الدعوة، وحاربوها تعنتًا ومكابرة. وقُريظة والنَّضير: اليهود علموا من التوراة صدق النبي ﷺ، وكادوا له وخانوا معاهداته. والآيات تشمل أيضًا كل كافر من أمثال الفريقين. البحر ٨: ٨٥.

(٢) روي أن الصحابة كانوا يرون أنه لايضر مع الإسلام ذنب، كما لاينفع مع الشرك عمل، فنزلت الآية ٣٣ تبين أن الذنوب تُذهب حسنات المؤمنين، كما أن الحسنات يُذهبن سيئاتهم. الدر المنثور ٦: ٦٧. وأطيعوه: استجيبوا لأمره ونهيه. وتُبطل: تُفسد. والأعمال: جمع عمل. وكفر: جحد الإيمان بالتوحيد والبعث، وكذّب الله ورسوله. وصد: دفع. والكفار: جمع كافر. ويغفر: يستر الذنب ويعفو عنه. ونزلت: يعني أن الآية ٣٤ نزلت في شأن قتلى المشركين ببدر، أُلقيتْ جثثهم في بئر هناك. والقليب: البئر. ولا تدعوا إلى السلم: لا تطلبوا الموادعة والصلح، ما دام عدوان على بعض حقوق المسلمين، في الدين أو الوطن. يعني: لاتكونوا البادئين بذلك. والخطاب لجميع المسلمين، في كل زمان ومكان. وبكسرها يريد القراءة «السِّلمِ». وإذا لقيتموهم أي: في الحرب والقتال، أو كنتم مقصودين بعدوان أو إذلال. ولام الفعل هي الحرف الأخير من العلوّ.

(٣) الحياة: العيش بالروح والجسد. واللعب: ما يشغل الإنسان عن واجباته، وليس فيه منفعة. فإن شغله ذلك عن مهمات نفسه أيضًا كان لهوًا. يعني أن متاع الدنيا باطل يزول. فكيف يمنعكم من الجهاد؟ وتؤمنوا: تثبتوا على الإيمان. وتتقوه: تتجنبوا غضبه وتطلبوا رضاه. وذلك من أمور الآخرة أي: مع ما له من خير في الدنيا. ويؤتي: يعطي. وأجور: جمع أجر. ويسألكم: يطلب منكم. وأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. وتبخل: تمتنع عن البذل. ويخرجها: يكن سبب ظهورها. والأضغان: جمع ضِغن. وهو البغض. ولدين الإسلام أي: يسبب لكم حقدًا على دين يغصب أموالكم. وتدعى: تُحض. وتنفق: تبذل. وفي سبيله: لإعلاء كلمته بالجهاد وغيره. والغني: المستغني لايحتاج إلى شيء. والفقراء: جمع فقير. وهو من يحتاج إلى العون والرزق. وتتولوا: تنصرفوا إلى الانشغال بالحياة. والأمثال: جمع مِثل. وهو الشبيه.

سُورَةُ الفَتْح آياتها ٢٩ ترتيبها ٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سورة الفتح

مدنية، تسع وعشرون آية.

١- ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ﴾: قضَينا بفتح مكّة وغيرها، المُستقبلَ عنوةً بجهادك، ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾ ١: بيِّنًا ظاهرًا، ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ﴾، بجهادك، ﴿ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تأخَّرَ﴾ منه: لترغب أُمّتك في الجهاد - وهو مُؤوّل، لعِصمة الأنبياء بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب. واللام: للعِلّة الغائيّة فمدخولها مُسبَّب لا سبب - ﴿ويُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾: إنعامه ﴿عليكَ، ويَهدِيَكَ﴾ به ﴿صِراطًا﴾: طريقًا ﴿مُستقِيمًا﴾ ٢ يُثبّتك عليه - وهو دِين الإسلام - ﴿ويَنصُرَكَ اللهُ﴾ به ﴿نَصرًا عَزِيزًا﴾ ٣: ذا عِزّ، لا ذلّ معه.

٢- ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينةَ﴾: الطُّمأنينة ﴿في قُلُوبِ المُؤمِنِينَ، لِيَزدادُوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِم﴾ بشرائع الدين، كلّما نزّل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد، ﴿ولِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ - فلو أراد نصر دِينه بغيركم لفعل - ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ ٤ في صُنعه، أي: لم يزل مُتصفًا بذلك.

٣- ﴿لِيُدخِلَ﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أمَرَ بالجهاد، ﴿المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، ويُكَفِّرَ عَنهُم سَيِّئاتِهِم - وكانَ ذٰلِكَ عِندَ اللهِ فَوزًا عَظِيمًا﴾ ٥- ﴿ويُعذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشرِكِينَ والمُشرِكاتِ الظّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ﴾، بفتح السين وضمّها في المواضع الثلاثة، ظنّوا أنه لا ينصر مُحمّدًا ﷺ والمُؤمنين. ﴿عليهِم دائرةُ السَّوءِ﴾ بالذلّ والعذاب، ﴿وغَضِبَ اللهُ عليهِم، ولَعَنَهُم﴾: أبعدهم، ﴿وأعَدَّ لَهُم جَهَنَّمَ، وساءتْ مَصِيرًا﴾ ٦ أي: مَرجِعًا! ﴿ولِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأرضِ، وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه، ﴿حَكِيمًا﴾ ٧ في خلقه، أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٤- ﴿إِنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا﴾ على أُمّتك في القِيامة، ﴿ومُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة، ﴿ونَذِيرًا﴾ ٨: مُنذرًا مُخوّفًا فيها مَن عَمِلَ سُوءًا بالنار، ﴿لِيُؤمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ﴾ - بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده - ﴿ويُعَزِّرُوهُ﴾: ينصروه، وقُرِئ بزاءين مع الفَوقانيّة، ﴿ويُوَقِّرُوهُ﴾: يُعظّموه - وضميرهما لله أو لرسوله - ﴿ويُسَبِّحُوهُ﴾ أي: اللهَ ﴿بُكْرَةً وأصِيلًا﴾ ٩: بالغداة والعشيّ.

---

(١) عن أنس بن مالك أن أوائل السورة نزلت في الرجوع من صلح الحُديبية بشارة، فقال النبي ﷺ: «نَزَلَتْ عليَّ آيةٌ، هِيَ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الدُّنيا جَمِيعًا». تفسير البغوي ٤: ١٨٨. والمستقبل أي: في الزمن القادم. ويغفر: يعفو. وهو مؤول: يعني أن الذنب هنا مراد به خلاف الأَولى من العمل. واللام أي: في «ليغفر». والعلة الغائية: المحقّقة لا الباعثة، لأنه - تعالى - لايبعثه شيء على شيء. ومدخولها أي: الغفران وإتمام النعمة والهداية. والمسبَّب: ما يتحقق بوجود السبب. ويتم: يكمل. ويهدي: يرشد. والمستقيم: المعتدل. وينصرك: يؤيدك.

(٢) أنزلها: خلقها. فقد اضطرب المؤمنون، لِما في صلح الحُديبية من إجحاف بهم ظاهر، حتى قال عمر بن الخطاب: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ فلِمَ نُعطِي الدنيّةَ في ديننا؟ انظر الحديثين ٢٥٨١ في البخاري و١٧٨٥ في مسلم. والقلوب: جمع قلب. ويزداد: يتضاعف. والجنود: الملائكة وما في الكون من مخلوقات، تقهر الإنسان. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وبذلك أي: بما ذكر من العلم والحكمة.

(٣) لما نزلت الآيات ١-٤ قال الصحابة: «هنيئًا لك - يا رسول الله - ما أعطاك الله. فمالَنا»؟ أي: فماهو حظنا من هذا الفتح؟ فنزلت هذه الآية. انظر الحديثين ٣٩٣٩ في البخاري و٣٢٥٩ في الترمذي. ويدخلهم: ييسر لهم الدخول. ومتعلق أي: حرف الجر في «ليدخل». والجنة: البستان العظيم. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. ويكفر: يستر. والسيئة: قبيح العمل. وعند الله: في علمه ورحمته. والفوز: النجاح. والعظيم: الضخم لامثيل له. ويعذبه أي: بالقتل والذلة والخلود في جهنم. والمنافق: من أظهر الإيمان بلسانه. والمشرك: من يعبد مع الله بعض خلقه. والظن: التوهم. والسوء: المؤذي للمؤمنين. وبضمها يريد القراءة «السُّوءِ». وفي المواضع الثلاثة أي: في هذه الآية والآية ١٢. والصواب أن القراءتين وردتا في الموضعين من هذه الآية، وما في الآية ١٢ جاء بالفتح وحده. انظر معجم القراءات القرآنية ٦: ٢٠١ و٢٠٥. والدائرة: مايحيط من كل جانب. وغضب عليه: سخط عليه فأراد له العذاب. وأبعدهم: طردهم من رحمته. وأعد: هيأ. وساءت: بلغت الغاية من السوء والإيذاء. والعزيز: الغلّاب لماعداه.

(٤) أرسل: كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والشاهد: من يحضر الأمر ليقرّ بما علم وقت القضاء. والمبشر: المبلّغ بما يَسرّ. وبالتاء يريد القراءة «لِتُؤمِنُوا»، و«تُعَزِّرُوهُ»، و«تُوَقِّرُوهُ»، و«تُسَبِّحُوهُ». وينصروه: ينصروا دينه بالعمل والجهاد. وبزاءين مع الفوقانية يريد «وتُعَزِّزُوهُ»، أي: تغلّبوا دينه على الكفر. وضميرهما: ضمير النصب في الجملتين الماضيتين. والأَولى أن يكون الضمير لله فيكون الكلام على نسق واحد في النظم الكريم. ويسبحه: ينزهه عما لايليق به. وبالغداة والعشي أي: في جميع الأوقات.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ
ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟
كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١ - ﴿**إنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ**﴾، بَيعةَ الرِّضوانِ بالحُدَيبِيةِ، ﴿**إنَّما يُبايِعُونَ اللهَ**﴾ - هو نحو «مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقد أطاعَ اللهَ» - ﴿**يَدُ اللهِ فَوقَ أيدِيهِم**﴾ التي بايعوا بها النبيّ، أي: هو - تعالى - مُطّلع على مُبايعتهم، فيُجازيهم عليها. ﴿**فَمَن نَكَثَ**﴾: نقض البيعة ﴿**فإنّما يَنكُثُ**﴾: يرجعُ وبالُ نقضه ﴿**على نَفْسِهِ، ومَن أوفَى بِما عاهَدَ عليهِ اللهَ فسَيُؤتِيهِ**﴾ - بالياء والنون - ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ ١٠.

٢ - ﴿**سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعرابِ**﴾ حولَ المدينة، أي: الذين خلّفهم الله عن صُحبتك، لمّا طلبتَهم ليخرجوا معك إلى مكّة، خوفًا من تعرّض قُريش لك عام الحُديبية، إذا رجعتَ منها: ﴿**شَغَلَتْنا أموالُنا وأهلُونا**﴾ عن الخُروج معك. ﴿**فاستَغفِرْ لَنا**﴾ اللهَ مِن ترك الخُروج معك. قال تعالى، مُكذّبًا لهم: ﴿**يَقُولُونَ بألسِنَتِهِم**﴾، أي: مِن طلبِ الاستغفار وممّا قبله، ﴿**ما لَيسَ في قُلُوبِهِم**﴾. فهم كاذبون في اعتذارهم. ﴿**قُلْ: فَمَن**﴾ - استفهام بمعنى النفي - أي: لا أحدَ ﴿**يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، إن أرادَ بِكُم ضَرًّا**﴾ - بفتح الضاد وضمّها - ﴿**أو أرادَ بِكُم نفعًا؟ بَل كانَ اللهُ بِما تعمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ ١١ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٣ - ﴿**بَل**﴾ - في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر - ﴿**ظَنَنتُم أن لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤمِنُونَ إلَى أهلِيهِم أبَدًا، وزُيِّنَ ذٰلِكَ في قُلُوبِكُم**﴾ أي: أنهم يُستأصَلون بالقتل فلا يرجعون، ﴿**وظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ**﴾ هذا وغيرَه، ﴿**وكُنتُم قومًا بُورًا**﴾ ١٢: جمع بائر، أي: هالكين عند الله بهذا الظنّ. ﴿**ومَن لَم يُؤمِنْ باللهِ ورَسُولِهِ فإنّا أعتَدْنا لِلكافِرِينَ سَعِيرًا**﴾ ١٣: نارًا شديدة، ﴿**وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ، وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ ١٤ أي: لم يزل مُتّصفًا بما ذُكر.

٤ - ﴿**سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ**﴾ المذكورون، ﴿**إذا انطَلَقتُم إلَى مَغانِمَ**﴾ - هي مغانم خيبر - ﴿**لِتأخُذُوها: ذَرُونا**﴾: اتركونا، ﴿**نَتَّبِعْكُم**﴾ لنأخذَ منها. ﴿**يُرِيدُونَ**﴾ بذلك ﴿**أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ**﴾. وفي قراءة: «كَلِمَ اللهِ» بكسر اللام، أي: مواعيدَه بغنائم خيبر أهلَ الحُديبية خاصّة. ﴿**قُلْ: لَن تَتَّبِعُونا. كَذٰلِكُم قالَ اللهُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبل عودنا. ﴿**فَسَيَقُولُونَ: بَل تَحسُدُونَنا**﴾ أن نُصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك. ﴿**بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ**﴾ من الدِّين ﴿**إلّا قَلِيلًا**﴾ ١٥ منهم.

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. ويبايع: يعاهد بمحاربة الكافرين. والحديبية قرية كانت على مسيرة يوم من مكة. و«هو نحو...» يعني الآية ٨٠ من سورة النساء. والأولى أن تفسر اليد بالمعنى المعروف على ما يليق بجلاله، ويظهر من ذلك علوّ شأنه، وأنه هو المبايع في الحقيقة بوساطة رسوله. والأيدي: جمع يد. وأوفى به: التزمه كاملًا. وفي الأصل: «عَلَيهُ». وهي قراءة على لغة أهل الحجاز. انظر الآية ٦٣ من سورة الكهف. ويؤتي: يعطي. والأجر: المكافأة. وبالنون يريد القراءة «فسَنُؤتِيهِ». والعظيم: الضخم لايقدر بشيء.

(٢) سيقول أي: معتذرًا مِن تخلفه. والأعراب: واحده أعرابيّ. وهو المقيم في البادية. ومنها: من مكة. وشغلتنا: ألهتنا. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من نقد ومتاع وزينة. والأهل: النساء والأولاد. انظر «المفصل». واستغفر: اطلب الستر للذنب والعفو عنه. والألسنة: جمع لسان. ومما قبله أي: من اعتذارهم أيضًا. والقلوب: جمع قلب. وقل أي: خاطب الذين تخلفوا بالقول مجيبًا لهم، أجوبة ثلاثة على الترقي في التوبيخ. فأولها فيه تعريض بالمحقّين والمبطلين، والثاني فيه إبطال للعذر ووعيد على النفاق، والثالث فيه بيان لسبب التخلف. ويملكه: يقدر عليه. ومن الله أي: مما يريده بكم. وأراد: قدّر. والضر: ما يؤذي. وبضمها يريد القراءة «ضُرًّا». والنفع: مافيه خير. وتعمل: تكتسب من النية والقول والفعل. والخبير: المحيط بالغَ الإحاطة.

(٣) للانتقال أي: حرف استئناف. والظن والسوء: انظر الآية ٦. وينقلب: يرجع من سفره. وزُين: جُمّل. وأعتدنا: هيأنا. والملك: الحيازة والتصرف. والسماوات والأرض: انظر تفسير الآية ٥ من سورةِ آل عمران. ويغفر: يستر الذنب ويعفو عنه. والغفور: الكثير المغفرة. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة للمؤمنين.

(٤) انطلق: ذهب. والمغانم: جمع مَغنم. وهو ما يحصل عليه المحارب من العدو. وخيبر: قرية قريبة من المدينة المنورة، كان فيها حصون ومزارع وبعض اليهود. انظر «المفصل». وتأخذ: تنال. ونتبعكم: ننطلق معكم ونحارب. ويريد: يقصد. ويبدل: يغير. وكلام الله: حُكمه وقضاؤه بما وعد. والكلم: واحدته كلمة. وأهل الحديبية خاصة أي: الذين حضروا بيعة الرضوان يوم الحديبية، هم مخصوصون بالغنائم تلك، لأنهم بايعوا على حرب أهل مكة حتى الموت، ثم رجعوا دون قتال أو مغانم. والنفي بـ «لن» معناه النهي المؤكد. وكذلكم قال الله أي: أخبرنا أن غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة. وعودنا: رجوعنا من الحديبية. وتحسدوننا أي: يعز عليكم أن نشارككم في الغنائم، فتدّعون أن الله أمر بمنعنا. ويفقه: يفهم فهم الحاذق الماهر. ومنهم أي: بعضهم. وهم المؤمنون من المتخلفين. يعني أن أكثرهم في جهل مفرط، وسوء فهم لأمور الدين، حتى إنهم لايدركون منها إلّا ما له علاقة بمتاع الدنيا.

الجزء السادس والعشرون — سورة الفتح

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)

الحزب ٥٢

١- ﴿**قُلْ لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعرابِ**﴾ المذكورين، اختبارًا: ﴿**سَتُدعَونَ إلَى قَومٍ أُولِي**﴾: أصحاب ﴿**بأسٍ شَدِيدٍ**﴾ - قيل: هم بنو حنيفةَ أصحاب اليمامة. وقيل: فارسُ والروم - ﴿**تُقاتِلُونَهُم**﴾: حالٌ مُقدّرة، هي المدعوّ إليها في المعنى، ﴿**أو**﴾ هم ﴿**يُسلِمُونَ**﴾ فلا يُقاتِلون. ﴿**فإن تُطِيعُوا**﴾ إلى قتالهم ﴿**يُؤتِكُمُ اللهُ أجرًا حَسَنًا، وإن تَتَوَلَّوا كما تَوَلَّيتُم مِن قَبلُ يُعَذِّبكُم عذابًا أليمًا**﴾ ١٦: مُؤلمًا. ﴿**لَيسَ على الأعمَى حَرَجٌ، ولا على الأعرَجِ حَرَجٌ، ولا على المَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ في ترك الجهاد، ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ يُدخِلْهُ**﴾ - بالياء والنون - ﴿**جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ومَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ**﴾ - بالياء والنون - ﴿**عَذابًا أليمًا**﴾ ١٧.

٢- ﴿**لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِينَ، إذ يُبايِعُونَكَ**﴾ بالحُديبية ﴿**تَحتَ الشَّجَرةِ**﴾ - هي سَمُرةٌ، وهم ألف وثلثمائة أو أكثر، ثُمّ بايعهم على أن يناجزوا قريشًا وعلى ألّا يفروا وعلى الموت - ﴿**فعَلِمَ**﴾ الله ﴿**ما في قُلُوبِهِم**﴾ من الصِّدق والوفاء، ﴿**فأنزَلَ السَّكِينةَ عليهِم، وأثابَهُم فَتحًا قَرِيبًا**﴾ ١٨، هو فتح خيبرَ بعد انصرافهم من الحُديبية، ﴿**ومَغانِمَ كَثِيرةً يأخُذُونَها**﴾ من خيبرَ. ﴿**وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ ١٩ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٣- ﴿**وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرةً، تأخُذُونَها**﴾ من الفتوحات، ﴿**فعَجَّلَ لَكُم هٰذِهِ**﴾ غنيمةَ خيبرَ، ﴿**وكَفَّ أيدِيَ النّاسِ عَنكُم**﴾ في عِيالكم، لمّا خرجتم وهمّت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، ﴿**ولِتَكُونَ**﴾ أي: المُعجّلةُ - عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلَ ذلك لتشكروه - ﴿**آيةً لِلمُؤمِنِينَ**﴾ في نصرهم، ﴿**ويَهدِيَكُم صِراطًا مُستَقِيمًا**﴾ ٢٠ أي: طريق التوكّل عليه وتفويضِ الأمر إليه - تعالى - ﴿**وأُخرَى**﴾: صفةُ «مغانمُ» مُقدّرًا مُبتدأ، ﴿**لَم تَقدِرُوا عليها**﴾ هي من فارس والروم، ﴿**قد أحاطَ اللهُ بِها**﴾: علمَ أنها ستكون لكم. ﴿**وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا**﴾ ٢١ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٤- ﴿**ولَو قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالحُديبية ﴿**لَوَلَّوُا الأدبارَ، ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا**﴾ يحرسهم، ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ ٢٢، ﴿**سُنَّةَ اللهِ**﴾: مصدرٌ مؤكّد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنّة، ﴿**الَّتِي قَد خَلَتْ مِن قَبلُ، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلًا**﴾ ٢٣ منه. ﴿**وهُوَ الَّذِي كَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم وأيدِيَكُم عَنهُم، بِبَطنِ مَكّةَ**﴾: بالحُديبية، ﴿**مِن بَعدِ أن أظفَرَكُم عليهِم**﴾. فإنّ ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليُصيبوا منكم،

---

(١) اختبارًا أي: امتحانًا لإظهار ما في نفوسهم. وتُدعَون: تُستنفرون. والبأس: القوة. والشديد: العظيم. وبنو حنيفة ارتدوا في عهد أبي بكر، وذكرهم هنا يُحمل على التمثيل. البحر ٨: ٩٤. فالمراد المعتدون من العرب والفرس والروم. وتقاتل: تحارب بالسلاح. ويسلم: يستسلم لدين الله أو لدفع الجزية. وتطيع: تستجيب. ويؤتي: يعطي. والأجر: الثواب. والحسن: الجميل. وتتولى: تمتنع. وقبل أي: قبل الحديبية. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. ولما نزلت الآية ١٦ قال ذوو العاهات: «يارسول الله، كيف نصنع ولا طاقة لنا على الجهاد»؟ فنزلت الآية ١٧. تفسير القرطبي ١٦: ٢٧٣. والحرج: الذنب. والمريض: من فيه ضعف شديد. وانظر الآية ٥. وبالنون يريد القراءة «نُدخِلْهُ»، و«نُعَذِّبْهُ». وانظر آخر الآية ١٦.

(٢) رضي عنه: تقبل عمله فأظهر نعمته عليه وأثابه. ويبايعون أي: بايعوا وعاهدوا. والسمرة: من شجر الطلح. وانظر الآية ١٠. ويناجز: يقاتل. وعلم: أظهر علمه الأزلي، بصدقهم وثباتهم، ليطلع عليه الملائكة والناس. والقلوب: جمع قلب. وأنزلها: خلقها ورسّخها. والسكينة: الطمأنينة. وأثابه: كافأه. والفتح: النصر على العدو بملك دياره وأمواله. وانصرافهم: رجوعهم. ومغانم: جمع مغنم. وهو الغنيمة. ويأخذ: ينال ويملك. والعزيز: الغلّاب يذل لعزته ما عداه. ومتصفًا بذلك: انظر آخر الآية ٤.

(٣) وعد: تعهد بما يَسرّ. وعجلها: جعلها قبل غيرها. وكف أيديهم: صرفهم عن غزو المدينة. والناس: يهود خيبر. وخرجتم أي: إلى مكة للعُمرة أيام الحُديبية. وبهم: بالعيال في المدينة. وتكون: تصير. والمعجلة: غنيمة خيبر. والآية: الدلالة القاطعة والمعجزة. ويهدي: يمد بما يناسب الاختيار الطيب والاستعداد الصالح. والمستقيم: المعتدل. والأُخرى: المغايرة لما قبلها. ومقدرًا يعني أن التقدير: ومغانمُ أُخرى. ولم تقدروا عليها: لم تصلوا إليها بعد. والقدير: المبالغ في القدرة. وانظر آخر الآية ٤.

(٤) الذين كفروا: مشركو قريش ومن أراد عونهم. وبالحديبية: أيام الحديبية. وولوها: وجّهوها لكم. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. ويجد: يرى. والولي: من يتولى أمر غيره. والنصير: من يعين بالنصر. والسُّنّة: الطريقة النافذة. وخلت: مضت ونفذت في الأمم المحاربة للرسل. ومن قبل: انظر الآية ١٦. وتجد: تلقى. والتبديل: التغيير. وكف... عنهم: انظر الآية ٢٠. وببطن مكة أي: بقرب بطحائها. وأظفركم: نصركم. والثمانون هؤلاء هبطوا من جبل التنعيم للغدر بالمسلمين، فأُسروا دون قتال، ثم أُطلق سراحهم. وفي ذلك نزلت الآية. الأحاديث ١٨٠٨ في مسلم و٣٢٦٠ في الترمذي و٢٦٨٨ في أبي داود. ويعمل: يكتسب من نية وقول وفعل. والبصير: المدرك للأحداث. وفي ث وع والمنحة: «تعملون». وبالتاء يريد القراءة «تَعمَلُونَ». وانظر آخر الآية ٤.

وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ
مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ
لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

فأُخذوا وأُتي بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصُّلح. ﴿**وكانَ اللهُ بما يَعمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ ٢٤ - بالياء والتاء - أي: لم يزل مُتصفًا بذلك.

١- ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وصَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرام**﴾ أي: عن الوصول إليه، ﴿**والهَدْيَ**﴾: معطوفٌ على «كُم» ﴿**مَعكُوفًا**﴾: محبوسًا حالٌ، ﴿**أَن يَبلُغَ مَحِلَّهُ**﴾ أي: مكانه الذي يُنحر فيه عادة - وهو الحَرم - بدلُ اشتمال، ﴿**ولَولا رِجالٌ مُؤمِنُونَ ونِساءٌ مُؤمِناتٌ**﴾ موجودون بمكّة مع الكفار، ﴿**لَم تَعلَمُوهُم**﴾ بصفة الإيمان، ﴿**أَن تَطَؤُوهُم**﴾ أي: تقتلوهم مع الكُفّار لو أُذِنَ لكم في الفتح، بدلُ اشتمال من «هم»، ﴿**فتُصِيبَكُم مِنهُم مَعَرّةٌ**﴾: إثم ﴿**بِغَيرِ عِلم**﴾ منكم به. وضمائر الغَيبة للصِّنفين بتغليب الذكور، وجواب «لولا» محذوف، أي: لأُذِنَ لكم في الفتح. لكن لم يُؤذَن فيه حينئذ، ﴿**لِيُدخِلَ اللهُ في رَحمتِهِ مَن يَشاءُ**﴾ كالمُؤمنين المذكورين.

٢- ﴿**لَو تَزَيَّلُوا**﴾: تميّزوا عن الكُفّار ﴿**لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم**﴾: من أهل مكّة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها، ﴿**عَذابًا أَلِيمًا**﴾ ٢٥ مؤلمًا، ﴿**إِذ جَعَلَ**﴾، مُتعلّق بـ «عذّبنا»، ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: فاعلٌ ﴿**في قُلُوبِهِم الحَمِيّةَ**﴾: الأنفةَ من الشيء، ﴿**حَمِيّةَ الجاهِلِيّةِ**﴾: بدلٌ من «الحميّة» وهي صدّهم النبيَّ وأصحابه عن المسجد الحرام، ﴿**فأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وعلَى المُؤمِنِينَ**﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابلٍ، ولم يَلحقهم من الحميّة ما لحق الكُفّارَ حتّى يقاتلوهم، ﴿**وأَلزَمَهُم**﴾ أي: المُؤمنين ﴿**كَلِمةَ التَّقوَى**﴾: «لا إلَه إلّا الله مُحمّد رسول الله»، وأُضيفت إلى التقوى لأنها سببها، ﴿**وكانُوا أَحَقَّ بِها**﴾: بالكلمة من الكُفّار، ﴿**وأَهلَها**﴾: عطفٌ تفسيريّ. ﴿**وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا**﴾ ٢٦ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك. ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها.

٣- ﴿**لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا بالحَقِّ**﴾. رأى رسول الله ﷺ في النوم، عامَ الحُدَيبية قبلَ خروجه، أنه يدخل مكّة هو وأصحابه آمنين ويُحلّقون ويُقصّرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا. فلمّا خرجوا معه وصدّهم الكُفّار بالحُديبية، ورجَعوا وشقّ عليهم ذلك وراب بعضَ المنافقين، نزلتْ. وقوله «بالحق» مُتعلّق بـ «صدق» أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسير لها وهي: ﴿**لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ، إنْ شاءَ اللهُ**﴾ للتبرّك، ﴿**آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم**﴾ أي: جميع شُعورها، ﴿**ومُقَصِّرِينَ**﴾ بعضَ شُعورها - وهما حالان مُقدّرتان - ﴿**لا تَخافُونَ**﴾ أبدًا، ﴿**فعَلِمَ**﴾ في الصُّلح ﴿**ما لَم تَعلَمُوا**﴾ من الصلاح، ﴿**فجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ**﴾ أي: الدخولِ ﴿**فَتحًا قَرِيبًا**﴾ ٢٧ هو فتح خيبرَ، وتحقّقت الرؤيا في العام القابل. ﴿**هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ، لِيُظهِرَهُ**﴾ أي: دِينَ الحقّ ﴿**علَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾: على جميع باقي الأديان. ﴿**وكَفَى باللهِ شَهِيدًا**﴾ ٢٨ أنك مُرسَل بما ذُكر! كما قال تعالى.

---

(١) كفر: كذّب الله ورسوله. وصد: دفع. والحرام: المحرّم فيه ما لا يُحرّم في غيره. والهدي: ما يُهدى إلى الكعبة للذبح، واحدته هدْية. ويبلغه: يصل إليه. والمراد بالحرم هنا المكان المخصص للذبح. وبدل اشتمال: يعني أن المصدر المؤول من «أن» بدل من «الهدي». انظر «المفصل». وتطأ: تدوس. ومن هم أي: من الضمير المتصل. وتصيبكم: تنالكم. ومنهم: بسببهم. والمعرة: الملامة. وبغير: بدون. وضمائر الغيبة للصنفين: يعني أن هاء المفعول المكررة في «هم» للمؤمنين والمؤمنات. وحينئذ أي: أيام الحُديبية. والرحمة: العطف بالإحسان. ويشاء: يريد أن يدخله في رحمته.

(٢) مؤلمًا أي: بالقتل والأسر والهوان. وجعل: صيّر. ومتعلق: يعني أن التقدير: لعذبنا الذين كفروا حين جعلهم الحميةَ ثابتة في قلوبهم. وفاعل أي: أن «الذين» فاعل: جعل. والجاهلية: النزعات المبنيّة على عدم الإذعان للحق. وبدل: يعني أن حمية: بدل للبيان والتوكيد. وأنزلها: خلقها ورسّخها. والسكينة: الطمأنينة. وقابل أي: في الموسم القادم للعُمرة. وألزمه: خصه للتشريف. والكلمة هي عبارة التوحيد. والتقوى: تجنب سخط الله وطلبُ رضاه. وأضيفت... سببها: يعني أن كلمة التوحيد يترتب عليها التقوى. والأحق: الأجدر والأولى من غيرهم. وأهلها: المستأهلون لها. وتفسيريّ: يعني أن «أهلها» فيه تفسير «أحق» بـ «أهل». والعليم: المبالغ في الإحاطة. وانظر الآية ٤.

(٣) صدقه الرؤيا: أراه في النوم ما هو واقع لامحالة. والحق: الحكمة البالغة. وشق: عظم. انظر «المفصل». ورابهم: حملهم على الشك في كلام النبي ﷺ. والآمن: المطمئن من كل عدوان. والمحلق: المبالغ في قص الشعر. والرؤوس: جمع رأس. وحالان مقدرتان أي: مقدَّرًا لبعضكم التحليقُ وللآخرين التقصيرُ. وفي قوله ذكر للإعراب الحُكمي لا الحقيقي. والصواب أن مقصرين: معطوف لاحال. وتخاف: تتوقع شرًّا. وعلمه: أحاط به قبل وقوعه. وجعل: قدّر. والهدى: ما يرشد إلى الخير. والحق: الأمر الثابت. ويظهره: يغلّبه ويُعليه. وكفى: بلغ الغاية في الكفاية والإغناء عن غيره. والشهيد: المقرر للحق يثبته ويزيل ما عداه.

الجزء السادس والعشرون — سورة الحجرات

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ — ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

١- ﴿**مُحَمَّدٌ**﴾: مُبتدأ ﴿**رَسُولُ اللهِ**﴾: خبرُه، ﴿**والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ أي: أصحابه من المُؤمنين، مبتدأ خبرُه: ﴿**أشِدّاءُ**﴾: غِلاظٌ ﴿**علَى الكُفّارِ**﴾ لا يرحمونهم، ﴿**رُحَماءُ بَينَهُم**﴾: خبرٌ ثانٍ أي: مُتعاطفون مُتوادّون كالوالد مع الولد، ﴿**تَراهُم**﴾: تُبصِرهم ﴿**رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾: حالان - ﴿**يَبتَغُونَ**﴾: مُستأنف يطلبون ﴿**فَضلًا مِنَ اللهِ ورِضوانًا - سِيماهُم**﴾: علامتهم مبتدأ ﴿**في وُجُوهِهِم**﴾: خبرُه - وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا - ﴿**مِن أثَرِ السُّجُودِ**﴾: مُتعلّق بما تعلّق به الخبر، أي: كائنةٌ، وأُعرب حالًا من ضميره المنتقل إلى الخبر.

٢- ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: الوصف المذكور ﴿**مَثَلُهُم**﴾: صفتهم ﴿**في التَّوراةِ**﴾: مبتدأ وخبرُه، ﴿**ومَثَلُهُم في الإنجِيلِ**﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿**كَزَرعٍ أخرَجَ شَطْأَهُ**﴾، بسكون الطاء وفتحها: فِراخَه ﴿**فآزَرَهُ**﴾، بالمدّ والقصر: قوّاه وأعانه، ﴿**فاستَغلَظَ**﴾: غلُظ ﴿**فاستَوَى**﴾: قويَ واستقام ﴿**علَى سُوقِهِ**﴾: أُصوله جمع ساق، ﴿**يُعجِبُ الزُّرّاعَ**﴾ أي: زُرّاعه لحُسنه - مثّل الصحابة رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قِلّة وضعف، فكثروا وقَوُوا على أحسن الوجوه - ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمِ الكُفّارَ**﴾: مُتعلّق بمحذوف دلّ عليه ما قبله، أي: شُبّهوا بذلك. ﴿**وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ مِنهُم**﴾: للبيان، ﴿**مَغفِرَةً وأجْرًا عَظِيمًا**﴾ ٢٩: الجنّة. وهما لمن بعدهم أيضًا في آيات.

ربع الحزب ٥٢

سورة الحُجُرات

مدنية، ثمانيْ عشْرةَ آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُقَدِّمُوا**﴾ - مِن: قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ - أي: لا تَقَدَّمُوا بقول أو فعل، ﴿**بَينَ يَدَيِ اللهِ ورَسُولِهِ**﴾ المُبلِّغ عنه، أي: بغير إذنهما، ﴿**واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ لقولكم ﴿**عَلِيمٌ**﴾ ١ بفعلكم. نَزلتْ في مُجادلة أبي بكر وعُمر - رضي الله عنهما - على النبيّ ﷺ في تأمير الأقرعِ بن حابس أو القعقاعِ بن معبد. ونَزل فيمن رفع صوته عند النبيّ ﷺ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَرفَعُوا أصْواتَكُم**﴾ إذا نطقتم، ﴿**فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ**﴾ إذا نطق، ﴿**ولا تَجهَرُوا لَهُ بِالقَولِ**﴾ إذا ناجَيتُموه، ﴿**كَجَهرِ بَعضِكُم لِبَعضٍ**﴾، بل دُونَ ذلك إجلالًا له، ﴿**أن تَحبَطَ أعمالُكُم وأنتُم لا تَشعُرُونَ**﴾ ٢ أي: خشيةَ ذلك، بالرفع والجهر المذكورين. ونَزل فيمن كان يَخفِض صوته عند النبيّ ﷺ، كأبي بكر وعُمر وغيرهما، رضي الله عنهم: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْواتَهُم، عِندَ رَسُولِ اللهِ، أُولٰئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللهُ**﴾: اختبر ﴿**قُلُوبَهُم لِلتَّقوَى**﴾ أي: لتظهر منهم، ﴿**لَهُم مَغفِرَةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ٣: الجنّة.

٤- ونزَل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة، والنبيّ ﷺ في منزله، فنادوه: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وَراءِ الحُجُراتِ**﴾: حُجرات نِسائه ﷺ جمع حُجْرة،

---

(١) خبره: يعني أن «رسول»: خبر للمبتدأ: محمد. ومبتدأ خبره أي: أن «الذين»: مبتدأ خبره: أشداء. وهو جمع شديد، أي: كثير الغلظة والعنف. والكفار: جمع كافر. والرحماء: جمع رحيم. والركع: جمع راكع. وهو الذي حنى ظهره لأداء الصلاة. والسجد: جمع ساجد. ومستأنف أي: أن جملة «يبتغون»: استئنافية. والصواب أنها اعتراضية. والفضل: التفضل بالثواب. ومن الله: من عنده وبأمره. والرضوان: المبالغة في قبول العمل ورفيع الدرجات. ومبتدأ: يعني أن «سيما»: مبتدأ. والوجوه: جمع وجه. وخبره أي: أن «في وجوه»: متعلقان بالخبر المحذوف. والأثر: ما يحدثه الشيء من علامات فيما يلازمه. ومتعلق: يعني أن حرف الجر «من»: متعلق بالمحذوف الذي تعلق به «في وجوه». وأعرب: انظر «المفصل». (٢) المثل: الوصف العجيب الشأن يجري مجرى الأمثال. ومبتدأ وخبر: يعني أن «ذا»: مبتدأ خبره «مثل». ومبتدأ خبره أي: أن «مَثل»: مبتدأ، والكاف: خبر. وأخرج: أظهر. وبفتحها يريد القراءة «شَطَأَهُ». والفراخ: جمع فَرْخ. وهو ما يخرج من الشجرة كالفروع والأغصان والأوراق والزهر والثمر. وآزره: آزر الشطءُ الزرعَ. وبالقصر يريد القراءة «فأَزَرَهُ». والزراع: جمع زارع. ويغيظ: يغضب. ومتعلق أي: بفعل محذوف، كما قدّر. وانظر «المفصل». ووعدهم: تعهد لهم. وعمل: اكتسب. والصالح: ما حسّنه الشرع. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم لامثيل له. وآيات: يعني الآيات التي وعدَتِ المؤمنين عامة بذلك، وهي كثيرة. (٣) آمن: صدّق الله ورسوله. وفِعل: عملٌ من أمور الدين. انظر «المفصل». وبين يديه: قبل إذنه. واتقوه: تجنبوا سخطه واطلبوا رضاه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وعلى النبي أي: في مجلسه. وترفع: تعلي. والأصوات: جمع صوت. وتجهر: تُظهر. وتحبط: تفسد. والأعمال: جمع عمل. ولاتشعر: لاتحس. ويغض: يُلين. واختبرها: وسّعها. والقلوب: جمع قلب. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم لامثيل له. (٤) انظر سبب النزول في المفصل. وينادونك: يدعونك. والحجرة: البيت. ويحجر: يحاط. وفي أيها: في أيِّ حجرة منها. ولايعقل: موصوف بالطيش والجهل. ومحلك: مقامك ومنزلتك. وصبر: انتظر. وفي محل رفع: يعني المصدر المؤول من «أنّ». وبالابتداء أي: مبتدأ خبره محذوف. وخيرًا: أفضل. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا
أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

وهي ما يُحجَر عليه من الأرض بحائط ونحوه - كأنّ كُلّ واحد منهم نادى خلف حُجرة، لأنهم لم يَعلموه: في أيّها؟ مُناداةَ الأعراب بغِلظة وجفاء - ﴿**أكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ**﴾ ٤، فيما فعلوه، محلَّك الرفيعَ وما يُناسبه من التعظيم، ﴿**ولَو أنَّهُم صَبَرُوا**﴾ - أنهم: في محلّ رفع بالابتداء، وقيل: فاعلٌ لفعل مقدّر أي: ثَبَتَ - ﴿**حَتَّى تَخرُجَ إلَيهِم لَكانَ خَيرًا لَهُم. واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٥ لمن تاب منهم.

١- ونَزلَ في الوليد بن عُقبة، وقد بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصطلق مُصدِّقًا، فخافهم لتِرةٍ كانت بينه وبينهم في الجاهلّية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهمّوا بقتله. فهمَّ النبيّ ﷺ بغزوهم، فجاؤوا مُنكِرين ما قاله عنهم: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَأٍ**﴾: خبر ﴿**فتبَيَّنُوا**﴾ صِدقَه من كذِبه - وفي قِراءة: «فتَثَبَّتُوا» من الثبات - ﴿**أن تُصِيبُوا قَومًا**﴾: مفعولٌ له أي: خشيةَ ذلك، ﴿**بِجَهالةٍ**﴾: حالٌ من الفاعل أي: جاهلين، ﴿**فتُصبِحُوا**﴾: تصيروا ﴿**علَى ما فَعَلتُم**﴾ من الخطأ بالقوم ﴿**نادِمِينَ**﴾ ٦. فأرسل ﷺ إليهم بعد عودتهم إلى بلادهم خالدًا، فلم يرَ فيهم إلّا الطاعة والخير، فأخبر النبيَّ بذلك.

٢- ﴿**واعلَمُوا أنَّ فِيكُم رَسُولَ اللهِ**﴾، فلا تقولوا الباطل، فإنَّ الله يُخبره بالحال، ﴿**لَو يُطِيعُكُم في كَثِيرٍ مِنَ الأمرِ**﴾ الذي تُخبرون به على خِلاف الواقع، فيُرتّبُ على ذلك مُقتضاه، ﴿**لَعَنِتُّم**﴾: لأثِمتم دونه إثمَ التسبّب إلى المُرتَّب، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيكُمُ الإيمانَ، وزَيَّنَهُ**﴾: حسّنه ﴿**في قُلُوبِكُم، وكَرَّهَ إلَيكُمُ الكُفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ**﴾. استدراكٌ من حيثُ المعنى دُون اللفظ، لأنّ مَن حُبِّبَ إليه الإيمان إلى آخره غايرتْ صِفتُه صِفةَ مَن تقدّم ذِكره. ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ**﴾ - فيه التفات عن الخِطاب - ﴿**الرّاشِدُونَ**﴾ ٧ الثابتون على دِينهم، ﴿**فَضلًا مِنَ اللهِ**﴾: مصدر منصوب بفعله المُقدّر أي: أفضَلَ، ﴿**ونِعْمَةً**﴾ منه، ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بهم، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ ٨ في إنعامه عليهم.

٣- ﴿**وإن طائفتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ - الآيةُ نزلتْ في قضيّة، هي أنّ النبيّ ﷺ ركب حِمارًا ومرّ على ابن أُبيّ، فبال الحِمار فسدّ ابن أُبيٍّ أنفَه، فقال ابنُ رَواحةَ: واللهِ لَبولُ حِماره أطيبُ رِيحًا من مِسكك. فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسَّعف - ﴿**اقتَتَلُوا**﴾، جُمِعَ نظرًا إلى المعنى، لأنّ كُلّ طائفة جماعةٌ - وقُرِئ: «اقتَتَلَتا» - ﴿**فأصلِحُوا بَينَهُما**﴾. ثُنّيَ نظرًا إلى اللفظ، ﴿**فإن بَغَتْ**﴾: تعدّتْ ﴿**إحداهُما علَى الأُخرَى فقاتِلُوا الَّتي تَبغِي، حَتَّى تَفِيءَ**﴾: ترجع ﴿**إلَى أمرِ اللهِ**﴾: الحقّ، ﴿**فإن فاءَتْ فأصلِحُوا بَينَهُما بِالعَدلِ**﴾: بالإنصاف، ﴿**وأقسِطُوا**﴾: اعدِلوا. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ**﴾ ٩. **إنَّما المُؤمِنُونَ إخوةٌ**﴾ في الدِّين. ﴿**فأصلِحُوا بَينَ أخَوَيكُم**﴾ إذا تنازعا - وقُرئ: «إخوَتِكُم» بالفَوقانيّة - ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في الإصلاح، ﴿**لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ ١٠.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَسخَرْ**﴾ - الآيةُ نزلتْ في وفدِ تميمٍ، حين سخروا من فُقراء المُسلمين، كعمّار وصُهيب. والسخرية: الازدراء

---

(١) الوليد بن عقبة صحابي أسلم يوم فتح مكة. وبنو المصطلق: أسلموا سنة خمس. والمصدق: الجابي للصدقات. والترة: العداوة. وجاءكم: أتاكم. والفاسق: من أخل بحكم شرعي. فقد بنى الوليد هنا رأيه على الظن، دون التثبت والتحقيق. وتبينوا: تحققوا بالدليل القاطع. وتصيبه: تناله. والجهالة: الطيش. وحال: يعني أن الباء: تتعلق بالحال المحذوفة: كائنين، أي: ملابسين الجهالة. وفعلتم: اكتسبتم وتحملتم. والنادم: المغتم غمًّا لازمًا، يتأسف ويكره ما فعل. (٢) اعلموا أي: لا تنسوا. وفيكم: بينكم. وبالحال: بالأمر الواقع. ويطيعكم أي: يعمل ما تطلبون. والأمر: الشأن. وعنتم: وقعتم في مشقة وهلاك. ودونه: من دون النبي ﷺ، يعني: هو بريء معذور. وحببه: جمّله. والإيمان: اليقين الكامل. والقلوب: جمع قلب. وكرّه: بغّض وقبّح. والكفر: التكذيب للحق وتغطية نعم الله بالجحود. والفسوق: الخروج على أحكام الشرع. والعصيان: ارتكابُ المعاصي. ومن تقدم ذكره يعني: من خوطب قبل «لكنّ»، فهو ضعيف الإيمان. والراشدون: الكاملو الهداية إلى الحق مع تصلب فيه. والفضل: الإفضال بالنعم. ومن الله: من عنده وبأمره. والنعمة: الإنعام بالخير. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والحكيم: ذو الحكمة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. (٣) الطائفة: الجماعة من الناس. والجماعتان هما الأنصار. والقضية هنا فيها زيادات لم تصح، ومنها ما يتعلق بذكر البول. انظر «المفصل». والسعف: عيدان النخل. وقرئ: يعني أن القراءة التالية شاذة. وأصلحوا: اسعَوا بالصلح. وتعدت: اعتدت وأبت الصلح. والأُخرى: الثانية. والأمر: الحكم. ويحبهم: يودهم فيريد لهم الخير. والإخوة: جمع أخ. و«قرئ» لايعني أن القراءة شاذة، وإنما القراءة الشاذة هي «إخوانِكُم». انظر المحتسب ٢:٢٧٨. والفوقانية: التاء. واتقوه: تجنبوا غضبه والزموا رضاه. ولعلكم: ليكون لكم الترجي. وترحمون: ينالكم العطف بالإحسان لتقواكم. (٤) يسخر: يهزأ. ووفد تميم: انظر الآيات ١-٥. وعسى: يجوز. والخير: الأفضل. والنساء: جمع نسوة. انظر «المفصل». واللمز يكون بالعين واليد واللسان والإشارة. والأنفس: جمع نفس. والألقاب: جمع لقب. وهو اسم بقصد التعريف أو التفخيم أو التحقير. وبئس: بلغ الغاية في القبح والفساد. والاسم: الوصف لِما ذكر من السخرية واللمز والنبز. والمراد أن تلك التصرفات فسوق مستقبح. وبدل أي: أن «الفسوق»: بدل من «الاسم». ويتوب: يعترف بذنبه ويطلب العفو من الله ومن المتضررين. والظالم: من يتجاوز الحق.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

والاحتقار - ﴿**قَوْمٌ**﴾ أي: رجال منكم ﴿**مِن قَوْمٍ - عَسَى أن يَكُونُوا خَيرًا مِنهُم**﴾ عند الله - ﴿**ولا نِساءٌ**﴾ منكم ﴿**مِن نساءٍ - عَسَى أن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ - ولا تلمِزُوا أنفُسَكُم**﴾: لا تَعيبوا فتُعابوا، أي: لا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ﴿**ولا تنابَزُوا بالألقابِ**﴾: لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسقُ ويا كافرُ. ﴿**بِئسَ الاسمُ**﴾ أي: المذكورُ من السُّخريةِ واللمزِ والتنابزِ ﴿**الفُسوقُ بَعدَ الإيمانِ**﴾! بدلٌ من الاسم، لإفادة أنه فِسق لتكرّره عادةً، ﴿**ومَن لَم يَتُبْ**﴾ من ذلك ﴿**فأولٰئِكَ هُمُ الظالِمُونَ**﴾ ١١.

نصف الحزب ٥٢

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اجتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ - إنَّ بَعضَ الظَّنِّ إثمٌ**﴾ أي: مُؤثِم. وهو كثير كظنّ السَّوء بأهل الخير من المُؤمنين وهم كثير، بخِلافه بالفُسّاق منهم فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم - ﴿**ولا تَجَسَّسُوا**﴾، حُذف منه إحدى التاءين: لا تَتَّبِعوا عوراتِ المُسلمين ومعايبَهم بالبحث عنها، ﴿**ولا يَغتَبْ بَعضُكُم بَعضًا**﴾: لا يذكرْه بشيء يكرهه، وإن كان فيه - ﴿**أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحمَ أخِيهِ مَيْتًا**﴾، بالتخفيف والتشديد، أي لا يُحسن به؟ لا. ﴿**فكَرِهتُمُوهُ**﴾ أي: فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عُرض عليكم الثاني فكرهتموه. فاكرهوا الأوّل - ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ أي: عِقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه. ﴿**إنَّ اللهَ تَوّابٌ**﴾: قابلٌ توبةَ التائبين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٢ بهم.

٢- ﴿**يا أيُّها النّاسُ، إنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى**﴾ آدمَ وحوّاءَ، ﴿**وجَعَلْناكُم شُعُوبًا**﴾: جمعُ شَعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب، ﴿**وقَبائِلَ**﴾، هي دُون الشُّعوب وبعدَها العمائر، ثمّ البطون ثمّ الأفخاذ، ثمّ الفصائل آخرُها - مثاله خُزَيمةُ: شعبٌ، كِنانةُ: قبيلة، قُريش: عِمارة بكسر العين، قُصيٌّ: بطن، هاشمٌ: فخِذ، العبّاسُ: فَصيلة - ﴿**لِتَعارَفُوا**﴾، حُذف منه إحدى التاءين: لِيَعرِفَ بعضُكم بعضًا لا لتتفاخروا بعلوّ النسب. وإنما الفخر بالتقوى، ﴿**إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم. إنَّ اللهَ عَلِيمٌ**﴾ بكم، ﴿**خَبِيرٌ**﴾ ١٣ ببواطنكم.

٣- ﴿**قالَتِ الأعرابُ**﴾ نفرٌ من بني أسد: ﴿**آمَنّا**﴾: صدّقنا بقُلوبنا. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَم تُؤمِنُوا، ولٰكِن قُولُوا: أسلَمْنا**﴾ أي: انقدنا ظاهرًا. ﴿**ولَمّا**﴾ أي: لم ﴿**يَدخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُم**﴾ إلى الآنَ، لكنّه يُتوقّع منكم، ﴿**وإن تُطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ**﴾ بالإيمان وغيره ﴿**لا يأْلِتْكُم**﴾، بالهمز وتركه وبإبداله ألفًا: لا يَنقُصْكم ﴿**مِن أعمالِكُم**﴾ أي: من ثوابها ﴿**شَيئًا. إنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ للمُؤمنين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ١٤ بهم. ﴿**إنَّما المُؤمِنُونَ**﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرّح به بعدُ، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ لَم يَرتابُوا**﴾: لم يشكّوا في الإيمان، ﴿**وجاهَدُوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ**﴾. فجِهادهم يُظهر صِدقَ إيمانهم. ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ**﴾ ١٥ في إيمانهم، لا مَن قالوا: آمنّا. ولم يُوجد منهم غيرُ الإسلام.

٤- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُم**﴾ - مضعّفُ ﴿عَلِمَ﴾ بمعنى شَعَر - أي: أتُشعِرونه بما أنتم عليه في قولكم: آمنّا، ﴿**واللهُ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ؟ واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ١٦. ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيكَ أن أسلَمُوا**﴾ من غير قِتال، بخِلاف غيرهم ممّن أسلم بعد قِتال منهم. ﴿**قُلْ: لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسلامَكُم**﴾: منصوبٌ بنزع الخافض الباء، ويُقدّر قبل «أن» في الموضعين، ﴿**بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيكُم أن هَداكُم لِلإيمانِ، إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ١٧ في قولكم: آمنّا. ﴿**إنَّ اللهَ يَعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: ما غاب فيهما، ﴿**واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ**﴾ ١٨ بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. واجتنبوه: ابتعدوا عنه. والظن: التوهم. والبعض الآخر للظن مُثيب، وهو واجب في شؤون الحياة. والتاء المحذوفة هي الثانية. وبشيء يكرهه أي: في غيابه. انظر الحديث ٢٥٨٩ في مسلم. والأخ: الموافق في الدين. وبالتشديد يريد القراءة «مَيِّتًا». ويعني بـ «لا» أن الاستفهام للنفي، أي: لايحبه. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. (٢) سبب النزول في المفصل. وجعل: صيّر. وأعلى طبقات النسب: أكبر جماعة بعد الأُمّة من جنس البشر تتفرع منها القبائل، ثم ما يليها من الفروع المذكورة بعد. والعمائر: جمع عمارة. والفصائل: جمع فصيلة. والأكرم: الأفضل. وعند الله: في حكمه. والأتقى: الأكثر تجنبًا لسخط الله وطلبًا لرضاه. والخبير: البالغ العلم . (٣) الأعراب: واحده أعرابي، من يقيم في البادية. وبنو أسد: انظر «المفصل». ويدخل: يستقر. والإيمان: التصديق بالقلب. وتطيعه: تنفّذ أمره ونهيه. وبتركه يريد القراءة «لايَلِتْكُم». وبإبداله يريد القراءة «لايالِتْكُم». والأعمال: جمع عمل. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وآمنوا به: صدقوه تصديقًا ثابتًا. وجاهد: بذل الجُهد والقدرات. والأموال: جمع مال. والأنفس: جمع نفس. وسبيله أي: طاعته لنصرة دينه. والصادق: من يقول الحق. (٤) روي أنه لما نزلت الآيتان ١٤ و١٥ جاء هؤلاء الأعراب، يحلفون إنهم مؤمنون صادقون، فنزلت هذه الآية. البحر ١١٧:٨. والدين: الاعتقاد والعمل. ويَعلمه: يحيط به كاملَ الإحاطة. والسماوات: انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ويمن: يتطاول. ومنصوب أي: إسلامَ. ويقدر أي: الباء. فالمصدران المؤولان في محل نصب بنزع الخافض. وإسلامكم: استسلامكم الظاهر. وهداكم: أرشدكم ووفقكم. وما غاب: ما لا يدركه الخلق. والبصير: المدرك للأحداث. وبالتاء يريد القراءة «تَعْمَلُونَ». ومنه: مما يعملون.

الجزء السادس والعشرون　سورة ق

سُورَةُ قٓ
ترتيبها ٥٠　آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ (٤) بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
(٥) أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ (٦) وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ (٧) تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ (٨) وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ (١٠)
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ (١٣) وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
(١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٥)

سورة قٓ

مكية إلّا «ولقد خلقنا السماوات» الآية فمدنية، خمس وأربعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمُراده به. ﴿**والقُرآنِ المَجِيدِ**﴾ ١: الكريمِ، ما آمنَ كُفّار مكّة بمُحمّد ﷺ. ﴿**بَل عَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم**﴾: رسول من أنفُسهم، ينذرهم: يخوّفهم بالنار بعد البعث، ﴿**فقالَ الكافِرُونَ: هٰذا**﴾ الإنذار ﴿**شيءٌ عَجِيبٌ** ٢. **أإذا**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿**مُتنا وكُنّا تُرابًا**﴾ نرجعُ؟ ﴿**ذٰلكَ رَجعٌ بعِيدٌ**﴾ ٣: في غاية البُعد.

٢- ﴿**قد عَلِمْنا ما تَنقُصُ الأرضُ**﴾: تأكل ﴿**مِنهُم، وعِندَنا كِتابٌ حَفِيظٌ**﴾ ٤ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المُقدّرة. ﴿**بَل كَذَّبُوا بالحَقِّ**﴾: بالقرآن ﴿**لَمّا جاءَهُم، فهُم**﴾ في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿**في أمرٍ مَرِيجٍ**﴾ ٥: مُضطرب. قالوا مرّةً: ساحر وسِحر، ومرّةً: شاعر وشِعر، ومرّةً: كاهن وكِهانة.

٣- ﴿**أفلَم يَنظُرُوا**﴾ بعُيونهم مُعتبرين بعُقولهم، حينَ أنكروا البعثَ، ﴿**إلى السَّماءِ**﴾ كائنةً ﴿**فوقَهُم، كَيفَ بَنَيناها**﴾ بلا عمدٍ، ﴿**وزَيَّنّاها**﴾ بالكواكب، ﴿**وما لَها مِن فُرُوجٍ**﴾ ٦ شقوق تَعيبها؟ ﴿**والأرضَ**﴾: معطوف على موضع «إلى السّماء»، كيف ﴿**مَدَدْناها**﴾: دحَوناها على وجه الماء، ﴿**وألقَينا فِيها رَواسِيَ**﴾: جبالًا تُثبتها، ﴿**وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ**﴾: صِنفٍ ﴿**بَهِيجٍ**﴾ ٧ يُبهَج به لحُسنه، ﴿**تَبصِرةً**﴾: مفعولٌ له، أي: فعلنا ذلك تبصيرًا منا، ﴿**وذِكرَى**﴾: تذكيرًا ﴿**لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ**﴾ ٨ رجّاع إلى طاعتنا؟ ﴿**ونزَّلنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكًا**﴾: كثيرَ البركة، ﴿**فأنبَتْنا بِهِ جنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**وحَبَّ**﴾ الزرع ﴿**الحَصِيدِ**﴾ ٩ المحصود، ﴿**والنَّخلَ باسِقاتٍ**﴾: طِوالًا حالٌ مُقدّرة، ﴿**لَها طَلعٌ نَضِيدٌ**﴾ ١٠: مُتراكب بعضُه فوق بعض، ﴿**رِزقًا لِلعِبادِ**﴾ مفعول له، ﴿**وأحيَينا بِهِ بَلدةً مَيتًا**﴾؟ يستوي في المُذكّر والمؤنّث. ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلُ هذا الإحياءِ ﴿**الخُرُوجُ**﴾ ١١ من القُبور. فكيف يُنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذُكر.

٤- ﴿**كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ**﴾ - تأنيثُ الفعل لمعنى «قوم» - ﴿**وأصحابُ الرَّسِّ**﴾ هي بئر كانوا مُقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيّهم قيل: حنظلةُ بن صفوانَ، وقيل: غيره، ﴿**وثَمُودُ**﴾ ١٢ قومُ صالحٍ، ﴿**وعادٌ**﴾ قوم هُود، ﴿**وفِرعَونُ وإخوانُ لُوطٍ** ١٣، **وأصحابُ الأيكةِ**﴾ أي: الغَيضة قومُ شُعيب، ﴿**وقَومُ تُبَّعٍ**﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذّبوه. ﴿**كُلٌّ**﴾ من المذكورين ﴿**كَذَّبَ الرُّسُلَ**﴾ كقُريش، ﴿**فحَقَّ وَعِيدِ**﴾ ١٤: وجبَ نُزولُ العذاب على الجميع. فلا يَضِقْ صدرك من كُفر قُريش بك. ﴿**أفعَيِينا بالخَلقِ الأوَّلِ**﴾؟ أي: لم نَعيَ به فلا نعيا بالإعادة، ﴿**بَل هُم في لَبسٍ**﴾: شكّ ﴿**مِن خَلقٍ جَدِيدٍ**﴾ ١٥ وهو البعث.

---

(١) عجب: دهش وتحير. وجاءهم: وصل إليهم. والشيء: الأمر والشأن. والعجيب: ما لايصدَّق. وبتسهيل الثانية يريد القراءة «أإذا». وعلى الوجهين يريد القراءتين «أإذا» و«آإذا». ومتنا: فارقت أرواحنا الأجساد وفنينا. وكنا: صرنا. وترابًا: فتاتًا مختلطًا بالتراب. ونرجع: نعود إلى الحياة بالبعث. وذلك أي: البعث المهدّدون به. (٢) علم: أحاط إحاطة بالغة جملة وتفصيلًا. والأرض أي: مافيها من الحشرات والتراب. وعندنا أي: في ملكنا. والكتاب: ما هو مسجل مكتوب. وحفيظ: بالغ الحفظ والتثبيت. والمقدرة: التي ستكون في الوجود، من نية أوقول أوفعل أوحدث. وكذبوا به: أنكروه. وجاءهم: بُلّغوه وكلفوا الإيمان بما فيه. والأمر: الشأن والحال. (٣) ينظر: يوجه بصره. والسماء: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. وبنيناها: أحكمناها كالبناء في الدنيا. وزين: جمّل. والفروج: جمع فَرج. ودحاها: وسعها وسهلها، مع ما لها من شكل خاص غير مسطح. وألقى: وضع. والرواسي: جمع الراسي. وأنبت: أظهر. والبهيج: ما يُسَرّ به. ونزلنا: أسقطنا إلى الأرض. والسماء: السحاب. والبركة: الخير والنماء. والحب: واحدته حبة في نحو القمح والشعير. والنخل: واحدته نخلة. وحال مقدرة: يعني أن الطول يقدَّر ليحصل بعد، أي: مقدَّرًا بُسوقُها. والطلع: أول ما يظهر من حمل النخل. والرزق: العطاء. والعباد: الخلق. وأحياها: خلق فيها النشاط والنماء. والبلدة: الأرض. والميت: لانبات فيها ولانماء. (٤) كذبت: جحدت التوحيد والبعث. وقبلهم: قبل كفار قريش. والقوم: جماعة الإنسان في النسب. وتأنيث الفعل صوابه: دخول الفعل على تاء الثأنيث. وأصحاب... وعاد: انظر الآية ٣٨ من سورة الفرقان. وفرعون أي: وأتباعه من القبط. وإخوانه: الجماعة التي يعيش بينها. انظر الآية ٢٦ من سورة العنكبوت. وأصحاب الأيكة: انظر الآية ١٧٦ من سورة الشعراء. والغيضة: الشجر الكثير. وشعيب من مدين لا من أهل الأيكة. وتبع: انظر الآية ٣٧ من سورة الدخان. والرسل: جمع رسول. ووعيد: تهديدي بالإهلاك. ولايضق: ليبقَ واسعًا يحتمل ماتراه. وعيي به: عجز عنه فلم يستطع إتمامه. والخلق: الإيجاد للكائنات. وهم أي: كفار مكة وغيرها. والجديد: المحدث المستأنف بعد.

الجزء السادس والعشرون — سورة ق

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

١- ﴿ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ، ونَعلَمُ﴾: حالٌ بتقدير «نحن» ﴿ما﴾: مصدرية ﴿تُوَسوِسُ﴾: تُحدّث ﴿بِهِ﴾ - الباء: زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان - ﴿نَفسُهُ، ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ﴾ بالعِلم ﴿مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾ ١٦ - الإضافةُ للبيان، والوريدانِ: عِرقانِ بصفحتَي العُنق - ﴿إذ﴾: ناصبُه «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿يَتَلَقَّى﴾: يأخذُ ويُثبِتُ ﴿المُتَلَقِّيانِ﴾: المَلكانِ المُوكلان بالإنسان ما يعمله، ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ ١٧ أي: قاعدان - وهو مُبتدأ خبره ما قبله - ﴿ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إلّا لَدَيهِ رَقِيبٌ﴾: حافظ، ﴿عَتِيدٌ﴾ ١٨: حاضر. وكُلّ منهما بمعنى المُثنّى.

٢- ﴿وجاءَتْ سَكْرةُ المَوتِ﴾: غمرتُه وشِدّته، ﴿بِالحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتّى يراه المُنكِر لها عِيانًا - وهو نفس الشِّدّة - ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: الموت ﴿ما كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ﴾ ١٩: تهرب وتفزع، ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ للبعث - ﴿ذٰلِكَ﴾ أي: يومُ النفخ ﴿يَومُ الوَعِيدِ﴾ ٢٠ للكُفّار بالعذاب - ﴿وجاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر، ﴿مَعَها سائقٌ﴾: ملَك يسوقها إليه، ﴿وشَهِيدٌ﴾ ٢١ يشهد عليها بعملها - وهو الأيدي والأرجُل وغيرها - ويقال للكافر: ﴿لَقد كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هٰذا﴾ النازلِ بك اليوم، ﴿فكَشَفْنا عَنكَ غِطاءَكَ﴾: أزلنا غفلتك بما تُشاهده اليوم، ﴿فبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢: حادّ تُدرِك به ما أنكرتَه في الدنيا.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

٣- ﴿وقالَ قَرِينُهُ﴾ الملَك المُوكل به: ﴿هٰذا ما﴾ أي: الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ٢٣: حاضر. فيقال لمالِكٍ: ﴿ألقِيا في جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقِ ألقِ، أو «ألقِيَنْ» - وبه قرأ الحسن، فأُبدلَتِ النونُ ألفًا - ﴿كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٢٤: مُعاند للحقّ، ﴿مَنّاعٍ لِلخَيرِ﴾ كالزكاة، ﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ ٢٥: شاكّ في دِينه. ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ﴾: مُبتدأ ضُمِّن معنى الشرط، خبرُه: ﴿فألقِياهُ﴾ - تفسيره مِثل ما تقدّم - ﴿في العَذابِ الشَّدِيدِ﴾ ٢٦. ﴿قالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنا، ما أطغَيتُهُ﴾: أضللته، ﴿ولٰكِن كانَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ ٢٧، فدعوته فاستجاب لي. وقال: هو أطغاني بدعائه لي. ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿لا تَختَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا، ﴿وقَد قَدَّمتُ إلَيكُم﴾ في الدنيا ﴿بِالوَعِيدِ﴾ ٢٨: بالعذاب في الآخرة لو لم تُؤمنوا، ولا بدّ منه. ﴿ما يُبَدَّلُ﴾: يُغيَّر ﴿القَولُ لَدَيَّ﴾ في ذلك، ﴿وما أنا بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ﴾ ٢٩، فأُعذّبهم بغير جُرم - وظَلّام: بمعنى ذِي ظُلم لقوله «لا ظُلمَ اليومَ» - ﴿يَومَ﴾ ناصبُه «ظلّام» ﴿نَقُولُ﴾ - بالنون والياء - ﴿لِجَهَنَّمَ: هَلِ امتَلأتِ﴾؟ استفهامُ تحقيقٍ لوعده بمَلئها، ﴿وتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَل مِن مَزِيدٍ﴾ ٣٠ أي: فيَّ؟ لا أسَعُ غير ما امتلأتُ به، أي: قد امتلأتُ.

٤- ﴿وأُزلِفَتِ الجَنَّةُ﴾: قُرِّبتْ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيرَ بَعِيدٍ﴾ ٣١ منهم، فيرونها ويقال لهم: ﴿هٰذا﴾ المرئيُّ ﴿ما تُوعَدُونَ﴾ - بالتاء والياء - في الدنيا، ويُبدَل من «للمتّقين» قولُه: ﴿لِكُلِّ أوّابٍ﴾: رجّاع إلى طاعة الله، ﴿حَفِيظٍ﴾ ٣٢: حافظ لحُدوده، ﴿مَن خَشِيَ الرَّحمٰنَ بِالغَيبِ﴾: خافه ولم يره، ﴿وجاءَ بِقَلبٍ مُنِيبٍ﴾ ٣٣: مُقبل على طاعته، ويقال للمتّقين أيضًا: ﴿ادخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مخوف، أو مع سلام أي: سَلِّموا وادخلوا. ﴿ذٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَومُ الخُلُودِ﴾ ٣٤: الدوام في الجنّة. ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ فِيها، ولَدَينا مَزِيدٌ﴾ ٣٥: زيادة على ما عملوا وطلبوا.

---

(١) خلقه: أوجده. ونعلمه: نعرفه جملة وتفصيلًا. وحال... للإنسان: انظر «المفصل». والنفس: الفكر والعواطف. وأقرب: أدنى وألزم. وبالعلم أي: وبالقدرة والتصرف. والحبل: العِرق. والصفحة: الجانب. وقبله أي: أن «عن»: تتعلق بالخبر المحذوف. ويلفظ: ينطق. والملكان يكتبان كل شيء، فيُثبت الله الحسنات والسيئات، ويمحو غيرها. ولديه: برفقته. وحاضر أي: ومُهيّأ لكتابة ما أُمر به. وبمعنى المثنى أي: رقيبان عتيدان. (٢) جاءت: حضرت. والحق: ما لا بد من حدوثه. وتقديم «نفس» في مثل هذا سائغ صحيح، خلافًا لِما يزعمه بعض المعاصرين. ونفخ أي: نَفخ إسرافيل النفخة الثانية. والصور: ما يشبه القرن. والوعيد: ما كان يذكره الأنبياء وتكفر به الأقوام. والنفس: الإنسان بروحه وجسمه. وإليه: إلى المحشر. والغفلة: الانهماك في الشهوات. (٣) لديّ أي: معي. ومالك: سيد خزنة جهنم. والظاهر أن الخطاب لمَلَكَينِ، ولاضرورة إلى توجيهات بعيدة. انظر «المفصل» والبحر ٨:١٢٦. والحسن هوالبصري المشهور. والكَفّار: المنهمك في التكذيب. والمنّاع: الدائم الصدّ. وجعل: صيّر. والإله: المعبود. ومبتدأ: يعني أن «الذي»: مبتدأ خبره جملة: ألقيا. و«تفسيره مثل ما تقدم» في قوله هذا وهمٌ، لأن إبدال النون ألفًا هنا لايصح مع وجود الهاء. والشيطان من قُيض لمقارنة الكافر في حياته. ولديّ: في مقام حسابي. وقدمت: أوصلت على لسان رسلي. والقول: الحكم. ولديّ أي: ماقضيت به لايمكن تغييره. والعبيد: جمع عبد. والظلم: الجور. ولقوله يعني: الآية ١٧ من سورة غافر. انظر «المفصل». وبالياء يريد القراءة «يَقُولُ». والمزيد: مكان للزيادة. وفيّ أي: لم يبق فيّ موضع لاستزادة. انظر «المفصل». (٤) الجنة: البستان العظيم. والمتقي: من يتجنب سخط الله ويطلب رضاه. وتوعدون: بُشّرتم به. وبالياء يريد القراءة «ما يُوعَدُونَ». والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والغيب: الغِياب عن الحواس والقدرات، أي: بغيابه. وجاء: أتى يوم القيامة. وسلموا أي: بعضكم على بعض. وذلك أي: هذا. واليوم: الوقت. ويشاء: يريد أن يناله. ولدينا: عندنا في ملكنا من نعيم الجنة. والمراد بالزيادة هو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر. وأعلى ذلك رضا المولى - تعالى - ومشاهدة وجهه الكريم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤٠) وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
(٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ — ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣)
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٦)

١- ﴿**وكَم أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ**﴾ أي: أهلكنا قبل كُفّار قُريش قُرونًا، أي: أممًا كثيرة من الكُفّار، ﴿**هم أشَدُّ مِنهُم بَطشًا**﴾: قُوّة، ﴿**فنَقَّبوا**﴾: فتّشوا ﴿**في البِلادِ! هَل مِن مَحيصٍ**﴾ ٣٦ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لَذِكرَى**﴾: لعِظةً ﴿**لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ**﴾: عقل، ﴿**أو ألقَى السَّمعَ**﴾: استمع الوعظ، ﴿**وهُوَ شَهيدٌ**﴾ ٣٧: حاضر القلب. ﴿**ولَقَد خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما، في سِتّةِ أيّامٍ**﴾، أوّلها الأحدُ وآخرها الجمعة، ﴿**وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ**﴾ ٣٨: تعب. نزل ردًّا علىٰ اليهود في قولهم: «إنّ الله استراح يوم السبت». وانتفاءُ التعب عنه لتنزّهه - تعالى - عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسّة بينه وبين غيره: «إنّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ».

٢- ﴿**فاصبِرْ**﴾، خِطاب للنبيّ ﷺ، ﴿**علَى ما يَقُولونَ**﴾ أي: اليهودُ وغيرهم من التشبيه والتكذيب، ﴿**وسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ**﴾: صَلِّ حامدًا ﴿**قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ**﴾ أي: صلاةَ الصُّبح ﴿**وقَبلَ الغُروبِ**﴾ ٣٩ أي: صلاتَي الظُّهر والعصر، ﴿**ومِنَ اللَّيلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ أي: صلِّ العِشاءين، ﴿**وأدبارَ السُّجودِ**﴾ ٤٠ - بفتح الهمزة: جمع دُبُر، وكسرها: مصدر أدبَر - أي: صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض. وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، مُلابسًا للحمدْ.

٣- ﴿**واستَمِعْ**﴾ - يا مُخاطب، بقَولي - ﴿**يَومَ يُنادي المُنادي**﴾ هو إسرافيل، ﴿**مِن مَكانٍ قَريبٍ**﴾ ٤١ من السماء - وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء. يقول: أيّتها العِظامُ البالية، والأوصال المُتقطّعة، واللُّحوم المُتمزّقة، والشُّعور المُتفرّقة. إنّ الله يأمركُنّ أن تجتمعْنَ لفصل القضاء - ﴿**يَومَ**﴾: بدلٌ من «يومَ» قبله ﴿**يَسمَعُونَ**﴾ أي: الخلقُ كُلّهم ﴿**الصَّيحةَ بِالحَقِّ**﴾: بالبعث. وهي النفخة الثانية من إسرافيل. ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده - ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: يومُ النداء ويوم السماع ﴿**يَومُ الخُروجِ**﴾ ٤٢ من القُبور. وناصبُ «يومَ يُنادي» مُقدّرٌ، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. ﴿**إنّا نَحنُ نُحيي ونُميتُ، وإلَينا المَصيرُ**﴾ ٤٣ - ﴿**يَومَ**﴾ بدل من «يومَ» قبله وما بينهما اعتراض ﴿**تَشَقَّقُ**﴾، بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، ﴿**الأرضُ عَنهُم سِراعًا**﴾: جمعُ سريع، حالٌ من مُقدّر أي: فيخرجون مُسرعين. ﴿**ذلِكَ حَشرٌ علَينا يَسيرٌ**﴾ ٤٤. فيه فصل بين الموصوف والصفة بمُتعلّقها للاختصاص. وذلك: إشارة إلى معنى الحشر المُخبر به عنه، وهو الإحياءُ بعد الفناء والجمعُ للعرض والحساب. ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولونَ**﴾ أي: كُفّارُ قُريش، ﴿**وما أنتَ علَيهِم بِجَبّارٍ**﴾ تَجبُرهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ﴿**فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ**﴾ ٤٥. وهم المُؤمنون.

سورة الذاريات

مكية، ستون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- ﴿**والذّارِياتِ**﴾: الرياح تَذرو الترابَ وغيرَه ﴿**ذَرْوًا**﴾ ١ مصدرٌ - ويُقال: تَذريه ذَرْيًا: تَهُبُّ به - ﴿**فالحامِلاتِ**﴾: السُّحبِ تحمل الماء ﴿**وِقْرًا**﴾ ٢: ثِقْلًا مفعولُ الحاملات، ﴿**فالجارِياتِ**﴾: السُّفنِ تجري على وجه الماء، ﴿**يُسْرًا**﴾ ٣: بسُهولة، مصدرٌ في موضع الحال، أي: مُيسَّرةً، ﴿**فالمُقَسِّماتِ أمرًا**﴾ ٤: الملائكةِ تُقسِّم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البِلاد والعِباد، ﴿**إنَّ ما تُوعَدُونَ**﴾ - ما: مصدرية - أي: إن

---

(١) أهلك: أفنى بالعذاب. وأشد: أكثر. ومنهم: من كفار قريش. وفتشوا أي: عن ملجأ. والبلاد: جمع بلد. والمحيص: المهرب. وألقاه: وجّهه. وخلق: أوجد من العدم. والأيام: جمع يوم. وهو الوقت، يعني: في أوقات متتابعة كالأيام المتواصلة. انظر الآية ٤ من سورة السجدة. وذكر الأحد والجمعة خلاف لما جاء في الصحيح من الحديث. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف. ومس: أصاب. وعدم المماسة يعني الإنشاء بالإرادة دون مباشرة أو علاج. انظر سبب النزول في المفصل، والآية ٨٢ من سورة يس. (٢) اصبر: اثبت على ما أنت فيه. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وذكر مشركي مكة هنا أولى من ذكر اليهود، لأن الآية مكية. والمراد هنا هو الصلوات الخمس المفروضة. والدبر من الشيء: آخره ونهايته. وبكسرها يريد القراءة «وإدبارَ». والمسنونة: التي سنّها النبي ﷺ. وحقيقة التسبيح أي: قول «سبحان الله». (٣) اليوم: الوقت. وفيما عدا الأصل والنسخ: «ينادِ المنادِ» بحذف الياءين للتخفيف. والصواب أن المنادي هو جبريل لا إسرافيل. وقرب الصخرة خرافة يهودية. البحر ٨: ١٣٠. وبتشديدها يريد القراءة «تَشَّقَّقُ». وللاختصاص أي: لايتيسر ذلك إلّا علينا. والنسخ يكون لما هو طلب، وليس في العبارة ذلك. فهو غير لازم. ووعيد: تهديدي للكافر. (٤) تذروه: تثيره. ومصدر أي: مفعول مطلق. والأمر: الشؤون المختلفة. وبين البلاد والعباد أي: على ما هم مكلفون به من الأعمال، بتقدير الله وإرادته. انظر تعليقنا على الآية ٤ من سورة الدخان. ومصدرية أي: تؤوّل بمصدر في محل نصب اسم «إنّ». وصادق: حقٌّ واقع في حينه. و«وعدهم» صوابه «وعدكم». والواقع: الحاصل فعلًا بعنف وقوة. ولا محالة أي: لا بد منه.

سورة الذاريات | الجزء السادس والعشرون

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
(١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
(١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ (٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
(٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
(٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
(٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)

وعدَهم بالبعث وغيره ﴿لَصادِقٌ﴾ ٥: لَوعدٌ صادق، ﴿وإنَّ الدِّينَ﴾: الجزاءَ بعد الحساب ﴿لَواقِعٌ﴾ ٦ لا محالة.

١- ﴿والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ﴾ ٧: جمع حَبِيكة كطريقة وطُرق، أي: صاحبةِ الطُّرق في الخِلقة كالطرق في الرمل، ﴿إنَّكُم﴾ - يا أهل مكّة - في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿لَفِي قَولٍ مُختَلِفٍ﴾ ٨ قيل: شاعرٌ ساحر كاهن، شِعرٌ سِحر كِهانة، ﴿يُؤفَكُ﴾: يُصرَف ﴿عَنهُ﴾: عن النبيّ والقرآن، أي: عن الإيمان به، ﴿مَن أُفِكَ﴾ ٩: صُرف عن الهِداية، في عِلم الله تعالى. ﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾ ١٠: لُعِن الكذّابون أصحاب القول المختلف، ﴿الَّذِينَ هُم في غَمْرةٍ﴾: جهل يغمرهم ﴿ساهُونَ﴾ ١١: غافلون عن أمر الآخرة، ﴿يَسأَلُونَ﴾ النبيَّ استهزاءً: ﴿أيّانَ يَومُ الدِّينِ﴾ ١٢ أي: متى مَجيئُه؟ وجوابهم: يجيءُ ﴿يَومَ هُم عَلَى النّارِ يُفتَنُونَ﴾ ١٣ أي: يُعذّبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا فِتنَتَكُم﴾: تعذيبكم. ﴿هٰذا﴾ العذابُ ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ﴾ ١٤ في الدنيا استهزاءً.

٢- ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾ ١٥ تجري فيها، ﴿آخِذِينَ﴾: حال من الضمير في خبر «إنّ» ﴿ما آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُم﴾ من الثواب. ﴿إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾ أي: قبل دُخولهم الجنّةَ ﴿مُحسِنِينَ﴾ ١٦ في الدنيا، ﴿كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيلِ ما يَهجَعُونَ﴾ ١٧: ينامون - وما: زائدة. ويهجعون: خبر «كان». وقليلًا: ظرف - أي: ينامون في زمن يسير من الليل ويصلّون أكثره، ﴿وبالأسحارِ هُم يَستَغفِرُونَ﴾ ١٨ يقولون: «اللّهمّ اغفِر لنا»، ﴿وفي أموالِهِم حَقٌّ لِلسّائِلِ والمَحرُومِ﴾ ١٩: الذي لا يسأل لتعفّفه.

٣- ﴿وفي الأرضِ﴾ من الجِبال والبِحار والأشجار والثّمار والنبات وغيرها ﴿آياتٌ﴾: دلالاتٌ على قُدرة الله - تعالى - ووحدانيّته ﴿لِلمُوقِنِينَ ٢٠، وفي أنفُسِكُم﴾ آياتٌ أيضًا من مبدأ خلقكم إلى مُنتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب. ﴿أفَلا تُبصِرُونَ﴾ ٢١ ذلك، فتستدلّون به على صانعه وقدرته؟ ﴿وفي السَّماءِ رِزقُكُم﴾ أي: المطرُ المُسبَّب عنه النباتُ الذي هو رِزق، ﴿وما تُوعَدُونَ﴾ ٢٢ من المآب والثواب والعِقاب، أي: مكتوب ذلك في السماء. ﴿فوَرَبِّ السَّماءِ والأرضِ، إنَّهُ﴾ أي: ما تُوعدون ﴿لَحَقٌّ مِثلَما أنَّكُم تَنطِقُونَ﴾ ٢٣ - برفع «مثلُ» صفةً وما: زائدة، وبفتح اللام مُركّبةً مع «ما» - المعنى: مِثلُ نُطقكم في حقيقته، أي: معلوميّته عِندكم ضرورةَ صُدوره عنكم.

٤- ﴿هَل أتاكَ﴾ - خِطابٌ للنبيّ - ﴿حَدِيثُ ضَيفِ إبراهِيمَ المُكرَمِينَ﴾ ٢٤، وهم ملائكة اثنا عشَرَ أو عشَرةٌ أو ثلاثةٌ منهم جبريلُ، ﴿إذ﴾: ظرف لـ «حديث ضيف» ﴿دَخَلُوا عَلَيهِ، فقالُوا: سَلامًا﴾ أي: هذا اللفظُ. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ أي: هذا اللفظُ. ﴿قَومٌ مُنكَرُونَ﴾ ٢٥: لا نعرفهم؟ قال ذلك في نفسه، وهو خبر مُبتدأ مُقدّر أي: هؤلاء. ﴿فراغَ﴾: مالَ ﴿إلَى أهلِهِ﴾ سِرًّا، ﴿فجاءَ بِعِجلٍ سَمِينٍ﴾ ٢٦ - وفي سورة هود «بعِجلٍ حَنِيذٍ» أي: مشويّ - ﴿فقَرَّبَهُ إلَيهِم، قالَ: ألا تأكُلُونَ﴾ ٢٧. عرضَ عليهم الأكل فلم يُجيبوا، ﴿فأوجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنهُم خِيفَةً. قالُوا: لا تَخَفْ﴾ إنا رُسل ربّك. ﴿وبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ ٢٨: ذي علم كثير، هو إسحاق كما ذُكر في «هود»، ﴿فأقبَلَتِ امرأتُهُ﴾ سارةُ ﴿في صَرَّةٍ﴾: صيحةٍ، حالٌ أي: جاءت صائحةً، ﴿فصَكَّتْ وَجهَها﴾: لَطمتْه، ﴿وقالَتْ: عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٢٩ لم تلد قطُّ. وعُمرها تسع وتسعون سنةً وعُمر إبراهيم مِائة سنةٍ، أو

---

(١) ذات أي: مصاحبة. والطرق: المسارات المختلفة للنجوم وغيرها. والخلقة: الهيئة المكونة من عوالم وأشكال عجيبة. وقول أي: أقوال. ومختلف: مخالف بعضه لبعض. ولعنوا: طردهم الله من رحمته. والغمرة: الموجة العظيمة. ويجيء أي: يومُ الدين يحصل. وذوقوا: تحملوا. وتستعجل به: تطلب تعجيله قبل أوانه. (٢) العيون: جمع عين، يَنبوع الماء. وآخذين أي: متلقِّين. والمحسن: من يقوم بالعمل الصالح بإخلاص واحتساب. وزيادة ما: لتوكيد التقليل. والأسحار: جمع سَحَر، السدس الأخير من الليل. والأموال: جمع مال. وحق: نصيب من غير الزكاة. والسائل: من يطلب العطاء ويستجدي. انظر «المفصل». (٣) الموقن: من أدرك ما جاءت به الرسل، فاطمأن إلى الإيمان. والأنفس: جمع نفس. وتبصر: تدرك بعين البصيرة. والرزق: ما ييسر للخلق. والمطر أي: وغير ذلك من المخلوقات المسخرة للإنسان. وتوعدون: تبلَّغون حصولَه ترغيبًا أو ترهيبًا. وحق أي: واقع لامحالة. وزائدة أي: لتوكيد التشبيه والإضافة. وبالفتح يريد القراءة «مِثلَما». ومركبة مع ما: يعني أن الكلمتين ركبتا تركيبًا مزجيًا، فصارتا كلمة واحدة مبنية على السكون في محل رفع صفة. ومعلوميته أي: أنه معلوم عِيانًا ويقينًا. وضرورة صدوره أي: لأنه صادر متحقق بلا شك. يعني: كما أن نطقكم معلوم لديكم حقًا لاتشكون فيه، فإن ما ذكر من الرزق والبعث هو مثل النطق، لاينبغي أن تشكوا في تحققه. (٤) أتاك: جاءك بالوحي. والحديث: الخبر. وهذا اللفظ أي: الذي صدر عنهم هو «سلامًا»، والتقدير: نسلّم سلامًا ، نحن مسالمون آتون بخير. وسلام أي: عليكم مني سلام أيضًا بالطمأنينة والأمان. والقوم: الجماعة. وقد جاؤوه بشكل الرجال. وذلك أي: قوم منكرون. و«هو » أي: قوم. وجاء به: أحضره إليهم. والعجل: الصغير من أولاد البقر. والخيفة: الفزع لأن امتناعهم عن الطعام قد يكون لشر يريدونه. وهود أي: الآيات ٦٩-٧٦ من سورة هود. وقال أي: قضى في الأزل. يعني أن هذا من جهة الله. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والفعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة.

الجزء السابع والعشرون سورة الذاريات

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

الجزء ٢٧ الحزب ٥٣

عُمره مِائَة وعشرون سنةً وعُمرها تِسعون سنةً. ﴿قالُوا: كَذٰلِكِ﴾: مِثلَ قولنا في البِشارة ﴿قالَ رَبُّكِ. إنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ﴿العَلِيمُ﴾ ٣٠ بخلقه.

١- ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾ أي: شأنكم، ﴿أيُّها المُرسَلُونَ ٣١؟ قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلَى قَوم مُجرِمِينَ﴾ ٣٢: كافرين هم قوم لوط، ﴿لِنُرسِلَ علَيهِم حِجارةً مِن طِينٍ﴾ ٣٣ يُطبَخُ بالنّار، ﴿مُسَوَّمةً﴾: مُعْلَمة عليها اسمُ مَن يُرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرف لها، ﴿لِلمُسرِفِينَ﴾ ٣٤ بإتيانهم الذُّكورَ مع كُفرهم. ﴿فأخرَجْنا مَن كانَ فِيها﴾ أي: قُرى قومِ لُوط ﴿مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ٣٥ لإهلاك الكافرين، ﴿فما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمِينَ﴾ ٣٦ - وهم لُوط وابنتاه - وُصفوا بالإيمان والإسلام، أي: هم مُصدّقون بقُلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعاتِ، ﴿وتَرَكْنا فِيها﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيةً﴾: علامة على إهلاكهم، ﴿لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الألِيمَ﴾ ٣٧، فلا يفعلون مِثل فِعلهم. ﴿وفي مُوسَى﴾ - معطوف على «فيها» - المعنى: وجعلنا في قِصّة مُوسَى آيةً، ﴿إذ أرسَلْناهُ إلَى فِرعَونَ﴾ مُلتبسًا ﴿بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾ ٣٨: بحُجّة واضحة، ﴿فتَوَلَّى﴾: أعرض عن الإيمان، ﴿بِرُكنِهِ﴾: مع جُنوده لأنهم له كالركن، ﴿وقالَ﴾ لمُوسَى: هوَ ﴿ساحِرٌ أو مَجنُونٌ ٣٩. فأخذْناهُ وجُنُودَهُ، فنَبَذْناهُم﴾: طرحناهم ﴿في اليَمِّ﴾: البحر فغرقوا، ﴿وهْوَ﴾ أي: فِرعَون ﴿مُلِيمٌ﴾ ٤٠: آتٍ بما يُلام عليه، من تكذيب الرُّسل ودعوى الرُّبوبيّة.

٢- ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿عادٍ﴾ آيةٌ، ﴿إذ أرسَلْنا علَيهِمِ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ ٤١ - هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تُلقح الشجر، وهي الدَّبور - ﴿ما تَذَرُ مِن شَيءٍ﴾ نفس أو مال، ﴿أتَتْ علَيهِ، إلّا جَعَلَتْهُ كالرَّمِيم﴾ ٤٢: كالبالي المُتفتّت، ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آيةٌ، ﴿إذ قِيلَ لَهُم﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ ٤٣: إلى انقضاء آجالكم، كما في آيةِ «تَمَتَّعُوا في دارِكُم ثَلاثةَ أيّام». ﴿فعَتَوا﴾: تكبّروا ﴿عَن أمرِ رَبِّهِم﴾ أي: عن الله وامتثال أمره، ﴿فأخَذَتْهُمُ الصّاعِقةُ﴾ بعد مُضيّ الثلاثة أيّام، أي: الصيحةُ المُهلِكة، ﴿وهُم يَنظُرُونَ﴾ ٤٤ أي: بالنهار، ﴿فما استَطاعُوا مِن قِيامٍ﴾: ما قدروا على النهوض حِين نُزول العذاب، ﴿وما كانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ٤٥ على من أهلكهم، ﴿وقَومِ نُوحٍ﴾ - بالجرّ عطفٌ على «ثمودَ» أي: وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آيةٌ، وبالنصب أي: وأهلكْنا قومَ نوح - ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ إهلاكِ هؤلاء المذكورين. ﴿إنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾ ٤٦.

٣- ﴿والسَّماءَ بَنَيناها بِأيدٍ﴾: بقُوّة، ﴿وإنّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٤٧: قادرون - يقال: آدَ الرجلُ يَئِيدُ: قَوِيَ. وأوسَعَ الرجلُ: صار ذا سَعة وقُوّة - ﴿والأرضَ فَرَشْناها﴾: مهّدناها. ﴿فنِعمَ الماهِدُونَ﴾ ٤٨ نحن! ﴿ومِن كُلِّ شَيءٍ﴾: متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنا زَوجَينِ﴾: صِنفينِ كالذّكر والأُنثى،

---

(١) الخطب: القصد العظيم. والمرسل: من أرسله الله لقول أو فعل. والمجرم: المنهمك في الفساد باختيار وعزم. ولوط: ابن أخي إبراهيم، كان في سدوم شمالي بلاد الشام. ونرسل: ننزل. والحجارة: جمع حجر. والطين: التراب المجبول بالماء. ويطبخ: يُشوى ليتحجر. والمسومة: المخصّصة لعذاب الانتقام. وهذا أولى مما ذكره المحلي. وعند ربك أي: في علمه وإرادته. وظرف لها: يعني أن «عند»: متعلق بـ «مسومة». والمسرف: من جاوز الحد بالعصيان. وإتيانهم: وطء أدبارهم. وأخرجناهم: أمرناهم بالخروج. ووجد: رأى. وبيت أي: أهل بيت. وتركنا: أبقينا بآثار الدمار. وأرسلناه: بعثناه مكلفًا بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. وملتبسًا: مصاحبًا. والركن: ما يعتمد عليه الشيء ليتقوى ويثبت. ولموسى أي: في شأنه. والساحر: من يخدع الحواس والعقول بما هو غير واقع. والمجنون: من فقد عقله. وأخذناه: انتقمنا منه. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي. والبحر أي: شماليّ البحر الأحمر. ويلام: يعاتب ويؤاخذ. (٢) عاد: قوم النبي هود من العرب العاربة. وأرسل: أطلق. والريح: الهواء الشديد الاندفاع. والعقيم: المفرغة من كل خير تدمر ما تصادفه. والدبور: ريح تهب من الغرب. وتذر: تترك. وأتت: مرّت. وجعلته: صيّرته. وثمود: قوم النبي صالح من العرب العاربة أيضًا. وقيل لهم أي: قال لهم النبي صالح. وتمتعوا: تنعموا. والآية هي ذات الرقم ٦٥ من سورة هود. والأمر: الطلب. وأخذتهم: أهلكتهم. والصاعقة: نار تسقط من السماء مع رعد شديد وزلزلة. و«الثلاثة أيام» صوابه: ثلاثة الأيام. وينظرون أي: يوجّهون أبصارهم إلى الصاعقة. وقوم نوح: انظر الآيات ١-٢٤ من سورة نوح. وبالنصب يريد القراءة «وقَومَ». و«المذكورين» يعني: في الآيات ٣٢-٤٥. والفاسق: الخارج عن الحد لما هو فيه من الكفر والعصيان. (٣) السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وبنيناها: جعلناها سقفًا عاليًا كالبناء. وقادرون أي: على ما نشاء. و«آد» تفسير للأيد. و«أوسع» تفسير لـ «موسعون». والأرض: موطن الحياة الدنيا. ونعم أي: بلغ الغاية في الخير والفضل والإحسان. و«نحن» ضمير العظمة، ممدوح مرتين، في فاعل «نعم»، وفي اختصاصه هنا بالمدح. والشيء: ما كان موجودًا أو محتملًا وجوده. وهو هنا عام مخصوص بالجنس المنطقي أي: ما يكون منه صنفان متقابلان نحو: الزوجين في الإنسان والحيوانات، وبعض أنواع النبات، والأمور المزدوجة في الكون. ومتعلق: يعني أن «مِن»: متعلق بالفعل: خلق، أي: أوجد من العدم. ولعلكم أي: ليكون لكم الترجي. وتذكرون: تستدلون بهذا الخلق على وجوب الإيمان والطاعة. وفروا: توجهوا ملتجئين موحدين. ومنه أي: بأمره أُرسلتُ. والنذير: المنذر المهدّد. وتجعل: تصيّر. والإلٰه: المعبود المطاع. والآخر: المغاير.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ — ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ ٤٩ - بحذف إحدى التاءين من الأصل - فتعلمون أنّ خالق الأزواج فرد فتعبدونه. ﴿**ففِرُّوا إِلَى اللهِ**﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه، بأن تُطيعوه ولا تَعصُوه - ﴿**إنّي لَكُم مِنهُ نَذيرٌ مُبينٌ**﴾ ٥٠: بيِّنُ الإنذار - ﴿**ولا تَجعَلُوا مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ. إنّي لَكُم مِنهُ نَذيرٌ مُبينٌ**﴾ ٥١. يُقدَّر قبلَ «ففرّوا»: قلْ لهم.

١- ﴿**كَذلِكَ، ما أَتَى الَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِن رَسُولٍ إلّا قالُوا**﴾: هو ﴿**ساحِرٌ أو مَجنُونٌ**﴾ ٥٢ أي: مِثلُ تكذيبهم لك بقولهم: «إنك ساحر أو مجنون» تكذيبُ الأُمم قبلهم لرُسلهم بقولهم ذلك. ﴿**أتَواصَوا**﴾ كُلّهم ﴿**بِهِ**﴾؟ استفهام بمعنى النفي، ﴿**بَل هُم قَومٌ طاغُونَ**﴾ ٥٣ جمَعَهم على هذا القول طغيانُهم. ﴿**فتَوَلَّ**﴾: أعرِضْ ﴿**عَنهُم - فما أنتَ بِمَلُومٍ**﴾ ٥٤ لأنك بلّغتَهم الرسالةَ - ﴿**وذَكِّرْ**﴾: عِظ بالقرآن. ﴿**فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المُؤمِنِينَ**﴾ ٥٥: مَن عَلِمَ اللهُ - تعالى - أنه يُؤمن.

٢- ﴿**وما خَلَقتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعبُدُونِ**﴾ ٥٦ - ولا يُنافي ذلك عدمَ عِبادة الكافرين، لأن الغاية لا يلزم وجودُها، كما في قولك: بَريتُ هذا القلمَ لأكتب به. فإنك قد لا تكتب به - ﴿**ما أُرِيدُ مِنهُم مِن رِزقٍ**﴾ لي ولأنفُسهم وغيرهم، ﴿**وما أُرِيدُ أن يُطعِمُونِ**﴾ ٥٧ ولا أنفُسَهم ولا غيرَهم. ﴿**إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ، ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾ ٥٨: الشديدُ.

٣- ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أنفُسَهم بالكُفر، من أهل مكّة وغيرهم، ﴿**ذَنُوبًا**﴾: نصيبًا من العذاب ﴿**مِثلَ ذَنُوبِ**﴾: نصيبِ ﴿**أصحابِهِم**﴾ الهالكين قبلهم. ﴿**فلا يَستَعجِلُونِ**﴾ ٥٩ بالعذاب، إن أخّرتُهم إلى يوم القيامة. ﴿**فوَيلٌ**﴾: شِدّةُ عذابٍ ﴿**لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن**﴾: في ﴿**يَومِهِمِ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾ ٦٠ أي: يومِ القيامة.

سورة الطُّور

مكية، تسع وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- ﴿**والطُّورِ**﴾ ١ أي: الجبل الذي كلّم الله عليه مُوسَى، ﴿**وكِتابٍ مَسطُورٍ ٢، في رَقٍّ مَنشُورٍ**﴾ ٣ أي: التوراة أو القُرآن، ﴿**والبَيتِ المَعمُورِ**﴾ ٤ - هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحِيال الكعبة، يزوره كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملَكٍ بالطواف والصلاة، لا يعودون إليه أبدًا - ﴿**والسَّقفِ المَرفُوعِ**﴾ ٥ أي: السماء، ﴿**والبَحرِ المَسجُورِ**﴾ ٦ أي: المملوء، ﴿**إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ**﴾ ٧: لنازل بمستحقّه، ﴿**مالَهُ مِن دافِعٍ**﴾ ٨ عنه، ﴿**يَومَ**﴾: معمول لـ «واقع» ﴿**تَمُورُ السَّماءُ مَورًا**﴾ ٩ تتحرّك وتدور، ﴿**وتَسِيرُ الجِبالُ سَيرًا**﴾ ١٠ تصير هباء منثورًا. وذلك في يوم القيامة.

٥- ﴿**فوَيلٌ**﴾: شِدّةُ عذاب ﴿**يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ**﴾ ١١ الرسلَ، ﴿**الَّذِينَ هُم في خَوضٍ**﴾: باطل ﴿**يَلعَبُونَ**﴾ ١٢ أي: يتشاغلون بكفرهم، ﴿**يَومَ يُدَعُّونَ إلَى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾ ١٣: يُدفعون بعُنف - بدلٌ من «تمور» - ويقال لهم تبكيتًا: ﴿**هذِهِ النّارُ الَّتِي كُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ ١٤. أفسِحرٌ هذا**﴾ العذاب الذي

---

(١) أتاهم: جاءهم وبلّغهم. وقبلهم: قبل هؤلاء المشركين. والساحر: من يخدع الحواس والعقول، ويخيِّل لها ماهو غير واقع. والمجنون: من فقد عقله. وتواصوا: أوصى بعضهم بعضًا. وبه: بالقول المذكور. والطاغي: المستعلي بالفساد. وعنهم: عن مجادلة الذين كرّرتَ دعوتهم فلم يستجيبوا. انظر «المفصل». والملوم: المؤاخذ لتقصيره. وذكّر أي: جميعَ من كلفت بتبليغه. والذكرى: التذكير والوعظ. وتنفعه: تفيده بجلب خير ودفع شر. وأنه يؤمن أي: سيُقبل على الإيمان لِما في استعداده من الخير. (٢) الجن: واحده جنّيّ. والإنس: واحده إنسيّ. ويعبدون أي: يقدسوني ويطيعوني. والمراد أنهم مهيَّئون للعبادة، بما جبلوا عليه من التدبر والحاجة إلى العبودية. ويطعم: يهيئ الطعام ويقدمه. ونفي الإطعام له مراد به نفي الحاجة إليه. والرزاق: الذي خلق الأرزاق، ويسر وصولها إلى ما قدرت له. والقوة: كامل القدرة والتمكن. (٣) ظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والذَّنوب: الدلو العظيمة ملأى ماء، يقتسم بها السقاؤون نصيبهم من المياه. والأصحاب: جمع صاحب. وهو النظير المشابه. ويستعجلونِ: يطلبوا مني التعجيل. وكفر: كذّب الله ورسوله. واليوم: الوقت. ويوعدون: يُهدَّدون بعذابه. (٤) الطور: طور سِيناء بين العقبة ومصر. والكتاب: السجلّ. والمسطور: المكتوب. والرق: الجلد الرقيق للكتابة. والمنشور: المفتوح للقراءة. والبيت: البناء الرفيع. والمعمور: يعمره الخلق للعبادة. والراجح أن المراد بالبيت هو الكعبة، إذ البيت الحرام يملؤه الناس للعُمرة والحج. وبحيالها: فيما يقابلها. وهذا الوصف للبيت المعمور لم يرد في خبر صحيح. انظر «المفصل». والسقف: غِطاء البناء. والمرفوع: المعلَّى. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. والدافع: المانع يرده وينقِذ منه. ومعمول لواقع: يعني أنه متعلق بـ «واقع». وتسير: تنطلق من جذورها فتزلزل وتنسف. والجبال: جمع جبل. (٥) الخوض: التخبط. و«من تمور» الصواب: «من يوم». وسحر: تمويه وتخييل. وفي الوحي أي: عن القرآن الكريم. وقولهم في نحو الآية ٣٠ من سورة الزخرف. ولاتبصرون: تتوهمون. واصلوها: احترقوا فيها. وسواء: متساويان. وتجزى: تكافأ. وتعملون: تكتسبونه.

الجزء السابع والعشرون — سورة الطور

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟
أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

تَرَون، كما كنتم تقولون في الوحي: «هذا سِحرٌ»؟ ﴿أم أنتُم لا تُبصِرُونَ ١٥؟ اصلَوها، فاصبِرُوا﴾ عليها ﴿أو لا تَصبِرُوا﴾. صبرُكم وجزعُكم ﴿سَواءٌ علَيكُم﴾، لأنّ صبركم لا ينفعكم. ﴿إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ ١٦ أي: جزاءه.

١- ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ ونَعِيم ١٧، فاكِهِينَ﴾: مُتلذِّذِينَ ﴿بما﴾: مصدريّةٌ ﴿آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿ربُّهُم، ووَقاهُم رَبُّهُم عَذابَ الجَحِيم﴾ ١٨ - عطفٌ على «آتاهم» - أي: بإيتائهم ووقايتهم، ويقال لهم: ﴿كُلُوا واشرَبُوا، هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنّئين ﴿بِما﴾ - الباء: سببيّة - ﴿كُنتُم تعمَلُونَ ١٩. مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من الضمير المُستكنّ في قوله «في جَنّات»، ﴿علَى سُرُرٍ مَصفُوفةٍ﴾: بعضُها إلى جنب بعض، ﴿وزَوَّجْناهُم﴾: عطفٌ على «في جَنّات» أي: قرنّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٢٠: عِظامِ الأعيُن حِسانِها.

ربع الحزب ٥٣

٢- ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾: مبتدأٌ ﴿وأتبَعْناهُم﴾: معطوف على «آمنوا» ﴿ذُرِّيّاتِهِم﴾ الصغارَ والكبار، ﴿بِإيمانٍ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار، والخبرُ: ﴿ألحَقْنا بِهِم ذُرِّيّاتِهِم﴾ المذكورين في الجنّة فيكونون في درجتهم، وإن لم يعملوا بعملهم، تكرمةً للآباء باجتماع الأولاد إليهم، ﴿وما ألَتْناهُم﴾، بفتح اللام وكسرها: نَقَصناهم ﴿مِن عَمَلِهِم مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ يُزاد في عمل الأولاد - ﴿كُلُّ امرِئٍ بِما كَسَبَ﴾ من عملِ خير أو شرّ ﴿رَهِينٌ﴾ ٢١: مرهون، يُؤاخذ بالشرّ ويُجازَى بالخير - ﴿وأمدَدْناهُم﴾: زِدناهم في وقت بعد وقت، ﴿بِفاكِهةٍ ولَحمٍ مِمّا يَشتَهُونَ﴾ ٢٢، وإن لم يُصرّحوا بطلبه، ﴿يَتَنازَعُونَ﴾: يتعاطَون بينهم ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ ﴿كأسًا﴾: خمرًا، ﴿لا لَغوَ فِيها﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم، ﴿ولا تأثِيمَ﴾ ٢٣ به يلحقهم بخِلاف خمر الدنيا، ﴿ويَطُوفُ علَيهِم﴾ للخِدمة ﴿غِلمانٌ﴾: أرقّاءُ ﴿لَهُم، كأنَّهُم﴾ حُسنًا ولطافة ﴿لُؤلُؤٌ مَكنُونٌ﴾ ٢٤: مصون في الصدف، لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

٣- ﴿وأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾ ٢٥: يسأل بعضهم بعضًا عمّا كانوا عليه وما وصلوا إليه، تلذّذًا واعترافًا بالنعمة. ﴿قالُوا﴾ إيماءً إلى عِلّة الوصول: ﴿إنّا كُنّا قَبلُ في أهلِنا﴾، في الدنيا، ﴿مُشفِقِينَ﴾ ٢٦: خائفين من عذاب الله، ﴿فمَنَّ اللهُ علَينا﴾ بالمغفرة، ﴿ووَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ ٢٧ أي: النارِ لدخولها في المسامّ. وقالوا إيماء أيضًا: ﴿إنّا كُنّا مِن قَبلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدعُوهُ﴾: أي: نعبده مُوحّدين. ﴿إنَّهُ﴾ - بالكسر استئنافًا وإن كان تعليلًا معنًى، وبالفتح تعليلًا لفظًا - ﴿هُو البَرُّ﴾: المُحسن الصادق في وعده، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٢٨: العظيم الرحمة.

٤- ﴿فذَكِّرْ﴾: دُمْ على تذكير المُشركين، ولا ترجِع عنه لقولهم لك: كاهنٌ مجنون. ﴿فما أنتَ، بِنِعمةِ رَبِّكَ﴾: بإنعامه عليك، ﴿بِكاهِنٍ﴾: خبرُ «ما» ﴿ولا مَجنُونٍ﴾ ٢٩: معطوفٌ عليه. ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شاعِرٌ، نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ﴾ ٣٠: حوادثَ الدهر فيه، فيَهلِكُ كغيره من الشُّعراء؟ ﴿قُلْ: تَرَبَّصُوا﴾ هلاكي. ﴿فإنِّي مَعَكُم مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾ ٣١ هلاكَكم. فعُذّبوا بالسيف يوم بدر. والتربّص: الانتظار.

---

(١) المتقي: من يتجنب سخط الله ويلزم رضاه. والجنة: البستان العظيم. والنعيم: التنعم بالخير الدائم. ومصدرية: يعني أن «ما»: حرف مصدري. ووقاه: حماه. والجحيم: النار الملتهبة. والمتكئ: الجالس بارتياح. والسرر: جمع سرير. والحور: جمع حوراء. وهي ذات العَين الجميلة السواد والبياض. والعِين: جمع عَيناء. (٢) مبتدأ: يعني أن «الذين»: مبتدأ. وأتبعناهم ذرياتهم: جعلناها تابعة لهم في الثواب. والذرية هنا: الأبناء والآباء. فالصغار تفسير للأبناء فقط، والكبار تفسير للآباء والأبناء. وبإيمان أي: بسبب إيمانِ الكبار المُتبَعين. والخبر: يعني أن جملة «ألحقنا بهم»: خبر للمبتدأ: الذين. وتكرمة للآباء أي: وللأبناء باجتماع آبائهم إليهم أيضًا. وبكسرها يريد القراءة «وما ألِتْناهُم». ونقصناهم أي: ما نقصناهم. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. وكسب أي: تحمله باختيار وقصد. والرهين: المقيد كالمدين، يؤاخذ بعصيانه، ولكن إكرام أبيه أو ابنه يزيل عنه بعض ذلك من غير الكبائر أو حقوق العباد، والمحسن يبقى له إحسانه، وإن أُكرمتْ ذريتُه بسببه. ويشتهون: يخطر ببالهم ويتمنّونه. واللغو: الساقط من الكلام. والتأثيم: ما يجعل الإنسان مذنبًا. ويطوف: يحوم. والغلمان: جمع غلام. وهو الخادم الفتيّ. واللؤلؤ: واحدته لؤلؤة. (٣) قالوا أي: أجاب المسؤولون. والإيماء: البيان. وعلة الوصول: يعني سبب ما وصلوا إليه من النعيم. والأهل: الأسرة والعشيرة. ومنّ: تفضل كرمًا. ووقى: حمى. والمسام: منافذ العرَق في الجلد، مفردها مَسَمّ. ومعنى أي: سبب المنّ معنوي. وبالفتح يريد القراءة «أنَّهُ». ولفظًا أي: التقدير: لأنه. والرحمة: العطف بالإكرام. (٤) نزلت هذه الآيات في المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة، لمحاربة الدعوة، فاتهموا النبي ﷺ اتهامات كثيرة، ادعى كل منهم صفة له منكرة، وقال بعضهم: احتبِسوه في وثاق، وتربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: زهير والنابغة. إنما هو كأحدهم. تفاسير البغوي ٤:٢٤٠ والقرطبي ١٧:٧١-٧٢ وابن كثير ٤:٢٤٥ وفتح القدير ٥:١٤٣. والتذكير: النصح والوعظ بالدعوة إلى التوحيد والصلاح. وحصرُه في المشركين من التلخيص، والصواب تعميمه على الناس كافرين ومؤمنين. والكاهن: من يدّعي الاتصال بالجن والتنبؤ بالغيب. والمجنون: من فقد عقله واقتاده الشيطان، فيقول ما لايدري ولايُعقل. والشاعر: من ينظم الشعر، فيهيم في الخيال والعواطف، ويقول ما لايفعل. والريب: الشك، فسّره المحلي بالحوادث لأنها تتردد ولاتدوم، فهي كالشك. والدهر: تفسير للمنون، سمي بذلك لأنه يقطع الآجال. وتربصوا: انتظروا برغبة وحماسة.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ — ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

١- ﴿**أم تأمُرُهم أحلامُهُم**﴾: عُقولهم ﴿**بهٰذا**﴾ أي: قولِهم له: شاعر كاهن مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك، ﴿**أم**﴾: بل ﴿**هُم قومٌ طاغُونَ**﴾ ٣٢ بعِنادهم. ﴿**أم يقُولُونَ: تَقَوَّلَهُ**﴾: اختلق القرآن؟ لم يختلقه ﴿**بَل لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٣٣ استكبارًا. فإن قالوا: اختلقه، ﴿**فليأتُوا بحَدِيثٍ**﴾ مُختلق ﴿**مِثلِه، إن كانُوا صادِقِينَ**﴾ ٣٤ في قولهم.

٢- ﴿**أم خُلِقُوا مِن غَيرِ شَيءٍ**﴾ أي: خالقٍ؟ ﴿**أم هُمُ الخالِقُونَ**﴾ ٣٥ أنفُسَهم، ولا يُعقل مخلوق بدون خالق، ولا معدومٌ يَخلق؟ فلا بُدّ لهم من خالق، هو الله الواحد. فلِمَ لا يُوحّدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟ ﴿**أم خَلَقُوا السَّماواتِ والأرضَ**﴾، ولا يقدر على خلقهما إلّا الله الخالق؟ فلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿**بَل لا يُوقِنُونَ**﴾ ٣٦ به. وإلّا لآمنوا بنبيّه. ﴿**أم عِندَهُم خَزائنُ رَبِّكَ**﴾، من النبوّة والرزق وغيرهما، فيخصّوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿**أم هُمُ المُسَيطِرُونَ**﴾ ٣٧: المُتسلّطون الجبّارون؟ وفعله: سَيطَرَ. ومثله: بَيطَرَ وبَيقَرَ.

٣- ﴿**أم لَهُم سُلَّمٌ**﴾: مَرقًى إلى السماء، ﴿**يَستَمِعُونَ فِيهِ**﴾ أي: عليه كلامَ الملائكة، حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ بزعمهم؟ إن ادّعوا ذلك ﴿**فَليأتِ مُستَمِعُهُم**﴾: مُدّعي الاستماع، عليه ﴿**بِسُلطَانٍ مُبِينٍ**﴾ ٣٨: بحُجّة بيّنة واضحة. ولشَبَه هذا الزعم بزعمهم أنّ الملائكة بنات الله، قال تعالى: ﴿**أم لَهُ البَناتُ**﴾ أي: بزعمكم، ﴿**ولَكُمُ البَنُونَ**﴾ ٣٩؟ تعالى الله عمّا زعموه!

٤- ﴿**أم تَسألُهُم أجرًا**﴾ على ما جِئتَهم به من الدِّين، ﴿**فهُم مِن مَغرَمٍ**﴾: غُرم ذلك ﴿**مُثقَلُونَ**﴾ ٤٠ فلا يُسلِمون؟ ﴿**أم عِندَهُمُ الغَيبُ**﴾ أي: عِلمُه، ﴿**فهُم يَكتُبُونَ**﴾ ٤١ ذلك، حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ في البعث وأمر الآخرة بزعمهم؟ ﴿**أم يُرِيدُونَ كَيدًا**﴾ بك ليُهلكوك في دار الندوة. ﴿**فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ**﴾ ٤٢: المغلوبون المُهلكون. فحفظه الله منهم ثمّ أهلكهم ببدر. ﴿**أم لَهُم إلَهٌ غَيرُ اللهِ؟ سُبحانَ اللهِ عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ٤٣ به من الآلهة! والاستفهام بـ «أم» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

٥- ﴿**وإن يَرَوا كِسفًا**﴾: بعضًا ﴿**مِنَ السَّماءِ ساقِطًا**﴾ عليهم، كما قالوا: «فأسقِطْ علَينا كِسفًا مِنَ السَّماءِ»، أي تعذيبًا لهم، ﴿**يَقُولُوا**﴾: هذا ﴿**سَحابٌ مَركُومٌ**﴾ ٤٤: مُتراكب نَرتوي به، ولا يُؤمنوا. ﴿**فذَرهُم حَتّى يُلاقُوا يَومَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصعَقُونَ**﴾ ٤٥: يموتون، ﴿**يَومَ لا يُغني**﴾: بدلٌ من «يومَهم» ﴿**عَنهُم كَيدُهُم شَيئًا! ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾ ٤٦: يُمنعون من العذاب في الآخرة.

٦- ﴿**وإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بكُفرهم ﴿**عَذابًا، دُونَ ذلِكَ**﴾ في الدنيا قبل موتهم - فعُذِّبوا بالجوع والقحط سبعَ سنين، وبالقتل يوم بدر - ﴿**ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ ٤٧ أنّ العذاب ينزل بهم. ﴿**واصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ**﴾ بإمهالهم، ولا يضِقْ صدرك - ﴿**فإنَّكَ بأعيُنِنا**﴾: بمرأى منّا نراك ونحفظك - ﴿**وسَبِّحْ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِحَمدِ رَبِّكَ**﴾ أي: قل: سبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿**حِينَ تَقُومُ**﴾ ٤٨ من منامك أو من مجلسك، ﴿**ومِنَ اللَّيلِ فَسَبِّحهُ**﴾ حقيقةً أيضًا، ﴿**وإدبارَ النُّجُومِ**﴾ ٤٩: مصدرٌ، أي: عَقِبَ غُروبها سبّحه أيضًا، أو صلِّ في الأوّل العِشاءين، وفي الثاني الفجرَ، وقيل: الصُّبحَ.

سورة النجم

مكية، ثنتان وستون آية.

---

(١) تأمر: تُوجّه. والأحلام: جمع حِلم. والطاغي: المتجاوز للحد من دون تدبر، مع ظهور الحق. والمراد: لاينبغي لهم هذا الطغيان، ولا يليق بهم. ويؤمن: يصدّق الله ورسوله. ويأتوا به: يصنعوه ويحضروه. والحديث: ما يُنقل من علم وخبر. والصادق: من يقول الحق لاشك فيه. (٢) خُلقوا: أُنشئوا في الوجود. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ولايوقنون: ليس عندهم نظر يوصلهم إلى إيمان. و«إلّا لآمنوا» فيه زيادة اللام خطأ. والخزائن: جمع خزانة. والمراد ما يحوي العلم والمقدورات الربانية. والمسيطرون أي: على الكون والحياة بتحكم. وبيطر: عالج الدواب. وبيقر: أفسد وأهلك. (٣) المرقى: المصعد. ويستمع: ينصت ويدرك. ويأتي به: يحضره. والبنات: جمع بنت. وهي الأنثى. والبنون: جمع ابن. وهوالذكر. فالمشركون يفضلون الذكور على الإناث، حتى ليئدُ بعضهم الأنثى فور ولادتها، ثم يزعمون أن الملائكة بنات الله. (٤) تسألهم: تطلب منهم. والمغرم: ما ينوب الإنسان ظلمًا. والمثقل: المتعَب المغتمّ. والغيب: ما غاب عن الحواس والعقول. ويكتبونه: يثبتونه. والكيد: المكر. ودار الندوة: في المسجد الحرام لرد المظالم وحل المعضلات. وكفر: كذّب الله ورسوله. والإلٰه: المعبود بحق. وسبحانه: تنزيهًا له. وفي مواضعها: في الآيات ١٥ و٣٠-٤٣. (٥) يروا: يبصروا عِيانًا. والكسف: القطعة. والقول في الآية ١٨٧ من سورة الشعراء، وهو مما قاله قوم النبي شعيب. فذكره هنا وهمٌ، والمناسب ذكر الآية ٩٢ من سورة الإسراء. والسحاب: واحدته سحابة. والمركوم: المُلقَى بعضه على بعض. وذرهم: دعهم في باطلهم ولاتخاصمهم. ويلاقي: يصادف. ويومهم: موعد آجالهم. ويغني: يدفع. وبدل: يعني أن «يوم»: بدل للبيان والتوكيد. والكيد: المكر والاحتيال. (٦) ظلموا: تجاوزوا الحد. والإشارة بـ «ذلك» إلى يومهم. واصبر أي: دم على الثبات. والحكم: القضاء. والأعين: جمع عين. وهي من صفات الله، من دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل. وسبح أي: نزّهِ الله. والحمد: الثناء بالجميل على المنعم. ومصدر أي: للفعل: أدبرَ. والنجوم: جمع نجم. والأول أي: من الليل. والعشاءان: صلاة المغرب وصلاة العشاء. والثاني أي: إدبار النجوم. والفجر: ركعتا سُنّة صلاة الصبح. والصبحَ: فريضة الصبح.

الجزء السابع والعشرون | سورة النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى
شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**والنَّجمِ**﴾: الثُّريّا ﴿**إذا هَوَى**﴾ ١: غاب، ﴿**ما ضَلَّ صاحِبُكُم**﴾ مُحمّد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهِداية، ﴿**وما غَوَى**﴾ ٢: ما لابس الغيَّ - وهو جهل من اعتقاد فاسد - ﴿**وما يَنطِقُ**﴾ بما يأتيكم به ﴿**عَنِ الهَوَى**﴾ ٣: هوى نفسِه. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هُوَ إلّا وَحيٌ يُوحَى**﴾ ٤ إليه، ﴿**عَلَّمَهُ**﴾ إيّاه ملَكٌ ﴿**شَدِيدُ القُوَى ٥، ذُو مِرّةٍ**﴾: قُوّة وشِدّة أو منظر حسن، أي: جِبريلُ - عليه السلام - ﴿**فاستَوَى**﴾ ٦: استقرّ، ﴿**وهُوَ بِالأُفُقِ الأعلَى**﴾ ٧ أُفق الشمس، أي: عِند مطلعها على صُورته التي خُلق عليها، فرآه النبيّ ﷺ وكان بِحِراءٍ، قد سدّ الأُفق إلى المغرب، فخرّ مَغشيًّا عليه - وكان قد سأله أن يُريه نفسه **على** صُورته التي خُلق عليها، فواعده بِحِراء، فنزل جِبريل - عليه السلام - له في صُورة الآدميّين - ﴿**ثُمَّ دَنا**﴾: قرُبَ منه، ﴿**فتَدَلَّى**﴾ ٨ زاد في القرب، ﴿**فكانَ**﴾ منه ﴿**قابَ**﴾: قدرَ ﴿**قوسَينِ أو أدنَى**﴾ ٩ من ذلك، حتّى أفاق وسكن رُوعه، ﴿**فأوحَى**﴾ تعالى ﴿**إلَى عَبدِهِ**﴾ جِبريلَ ﴿**ما أوحَى**﴾ ١٠ جِبريلُ إلى النبيّ - ولم يُذكر المُوحَى تفخيمًا لشأنه - ﴿**ما كَذَبَ**﴾، بالتخفيف والتشديد: أنكر ﴿**الفُؤادُ**﴾ فُؤادُ النبيّ ﴿**ما رآ**﴾ ١١هُ ببصره من صُورة جِبريل. ﴿**أفتُمارُونَهُ**﴾: أتُجادلونه وتغلبونه ﴿**علَى ما يَرَى**﴾ ١٢؟ خِطاب للمُشركين المُنكرين رُؤيةَ النبيّ لِجبريل.

نصف الحزب ٥٣

٢- ﴿**ولَقَد رآهُ**﴾ على صُورته ﴿**نَزْلَةً**﴾: مرّة ﴿**أُخرَى ١٣، عِندَ سِدرةِ المُنتَهَى**﴾ ١٤، لمّا أُسريَ به في السماوات، وهي شجرة نبقٍ عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، ﴿**عِندَها جَنّةُ المأوَى**﴾ ١٥ تأوي إليها الملائكة أو أرواح الشهداء أو المُتقّون، ﴿**إذ**﴾ حينَ ﴿**يَغشَى السِّدرةَ ما يَغشَى**﴾ ١٦ من طير وغيره، وإذ: معمولة لـ «رآه»، ﴿**ما زاغَ البَصَرُ**﴾ من النبيّ، ﴿**وما طَغَى**﴾ ١٧ أي: ما مال بصره عن مَرئيّه المقصودِ له، ولا جاوزه تلك الليلة. ﴿**لَقَد رأى**﴾ فيها ﴿**مِن آياتِ رَبِّهِ الكُبرَى**﴾ ١٨ أي: العِظام، أي: بعضَها، فرأى من عجائب الملكوت رفرفًا أخضرَ سدّ أُفق السماء، وجِبريلَ له ستُّمِائَةِ جناحٍ.

٣- ﴿**أفرَأَيتُمُ اللّاتَ والعُزّى ١٩، ومَناةَ الثّالِثَةَ**﴾ للتين قبلها ﴿**الأُخرَى**﴾ ٢٠: صِفةُ ذمّ للثالثة؟ وهي أصنام من حِجارة، كان المُشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول «أرأيت» الأوّلُ: اللّاتَ وما عُطف عليه، والثاني محذوف. والمعنى: أخبِروني ألهذه الأصنام قُدرةٌ على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولمّا زعموا أيضًا أنّ الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل: ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنثَى ٢١؟ تِلكَ إذًا قِسمةٌ ضِيزَى**﴾ ٢٢: جائرةٌ من: ضازَه يَضِيزُه، إذا ضامَه وجارَ عليه. ﴿**إن هِيَ**﴾ أي: ما المذكورات ﴿**إلّا أسماءٌ، سَمَّيتُمُوها**﴾ أي: سمّيتم بها ﴿**أنتُم وآباؤُكُم**﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿**ما أنزَلَ اللهُ بِها**﴾ أي: بعِبادتها ﴿**مِن سُلطانٍ**﴾: حُجّةٍ وبُرهان. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**يَتَّبِعُونَ**﴾ في عِبادتها ﴿**إلّا الظَّنَّ، وما تَهوَى الأنفُسُ**﴾ ممّا زيّنه لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى، ﴿**ولَقَد جاءَهُم مِن رَبِّهِمِ الهُدَى**﴾ ٢٣ على لسان النبيّ ﷺ بالبُرهان القاطع، فلم يرجِعوا عمّا هم عليه.

٤- ﴿**أم لِلإنسانِ**﴾ أي: لكُلّ إنسان منهم ﴿**ما تَمَنَّى**﴾ ٢٤، من أنّ الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. ﴿**فلِلّهِ الآخِرةُ والأُولَى**﴾ ٢٥ أي: الدنيا، فلا

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. والثريا: كواكب في صورة ثور. وضل: حاد. وينطق: يتكلم. والهوى: شهوة النفس. والوحي: ما أنزله الله بلسان جبريل. وعلمه: أوصل الوحي إليه. والقوى: جمع قوة. واستقر: اعتدل على صورته الحقيقية. وحراء: غار الوحي في مكة. وتدلى: نزل من العلو. وقدر قوسين: مقدار قرب القوسين إحداهما من الأُخرى. وأفاق: يعني النبي ﷺ. والروع: القلب. وأوحى: أنزل. وبالتشديد يريد القراءة «ما كَذَّبَ»، أي: بل عرف بقلبه يقينًا. (٢) رآه: رأى جبريلَ. والمنتهى: موضع انتهاء قدرات الخلق. وأُسري أي: وعُرِج. والنبق: نوع من السدر. والمأوى: الإقامة. ويغشاها: يجللها. ومال: تفسير لـ «زاغ»، وجاوز: تفسير لـ «طغى». والمقصود له أي: المأذون له فيه. والآيات: العجائب الفريدة تدل على عظمة الخالق. والرفرف: كالبساط يتدلى على السرير. وانظر الآية ٧٦ من سورة الرحمن. (٣) رأيتم: تدبرتم. والثالثة: مناة تكمّل اللاتَ والعزى ليصير الجميع ثلاثًا. والأُخرى: المتأخرة الوضيعة المقدار. وما تقدم ذكره أي: في الآيات الماضية، من وصف لملكوته وعظمة قدرته. والمذكورات: أسماء الأصنام. والأسماء: جمع اسم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. وأنزل: أوحى. ويتّبع: يطيع. والظن: توهمهم عبادة الأصنام. وتهواه: تشتهيه. والأنفس: جمع نفس. وهي الشهوة. وجاءهم: وصل إليهم وبلغهم. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والهدى: القرآن الكريم المرشد إلى الحق والخير. (٤) انظر سبب النزول في المفصل. وما تمنى: ما تعلقت به شهواته. والمعنى: ليس للإنسان ما يتمنى لأن الله مالك أمور الحياتين إطلاقًا، وليس لأحد أن يبلغ إلّا ما يريده الله. والملك: مخلوق نوراني معصوم مطهر. وخصت «السماوات» بالذكر من دون الأرض، للدلالة على عجز المذكورين عن الشفاعة، مع ما هم عليه من المرتبة العالية. فالأصنام أولى منهم بالعجز والقصور عن ذلك. وتغني: تجلب نفعًا وتدفع ضررًا. والشفاعة: السؤال للتجاوز عن الذنوب وإنالة النعيم. ويأذن: يسمح. ولمن يشاء أي: للشفاعة فيمن يريد أن يُشفع له. ويرضى عنه: يراه أهلًا للعفو. وكقوله يعني: الآية ٢٨ من سورة الأنبياء. وفيها: في الشفاعة. و«من ذا» يعني الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

الجزء السابع والعشرون سورة النجم

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

يقع فيهما إلّا ما يريده - تعالى - ﴿وكَم مِن مَلَكٍ﴾ أي: وكثيرٌ من الملائكة ﴿في السَّماواتِ﴾، وما أكرَمَهُم عِند الله! ﴿لا تُغني شَفاعتُهُم شَيئًا، إلّا مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ من عباده، ﴿ويَرضَى﴾ ٢٦ عنه! كقوله: «ولا يَشفَعُونَ إلّا لِمَن ارتَضَى». ومعلوم أنها لا تُوجد منهم إلّا بعد الإذن فيها: «مَن ذا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إلّا بإذنِهِ»؟

١ - ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ المَلائكةَ تَسمِيةَ الأُنثَى﴾ ٢٧، حيث قالوا: «هم بناتُ اللهِ»، ﴿وما لَهُم بِهِ﴾: بهذا المقول ﴿مِن عِلم. إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إلّا الظَّنَّ﴾ الذي تَخيّلوه، ﴿وإنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾ ٢٨ أي: عن العِلم فيما المطلوبُ فيه العِلم! ﴿فأعرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكرِنا﴾ أي: القرآن، ﴿ولَم يُرِدْ إلّا الحَياةَ الدُّنيا﴾ ٢٩ - وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ﴿ذَلِكَ﴾: طلب الدنيا ﴿مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ﴾ أي: نِهاية عِلمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة - ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى﴾ ٣٠ أي: عالمٌ بهما فيُجازيهما، ﴿و لله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضالّ والمُهتدي، يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ﴿لِيَجزِيَ الَّذِينَ أساؤُوا بِما عَمِلُوا﴾ من الشِّرك أو غيره، ﴿ويَجزِيَ الَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بالحُسنَى﴾ ٣١ أي: الجنّةِ، وبيَّن المُحسنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ إلّا اللَّمَمَ﴾، هو صغار الذنوب كالنظرة والقُبلة واللمسة. فهو استثناء منقطع. والمعنى: لكنّ اللممَ يُغفر باجتناب الكبائر. ﴿إنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغفِرةِ﴾ بذلك، وبقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: «صلاتُنا صيامُنا حجُّنا»: ﴿هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُم، إذ أنشَأَكُم مِنَ الأرضِ﴾ أي: خلق أباكم من التراب، ﴿وإذ أنتُم أجِنَّةٌ﴾: جمع جَنين ﴿في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم. فلا تُزَكُّوا أنفُسَكُم﴾: لا تمدحوها أي: على سبيل الإعجاب. أمّا على سبيل الاعتراف بالنِّعمة فحسن. ﴿هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾ ٣٢.

٢ - ﴿أفرَأَيتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ٣٣ عن الإيمان، أي: ارتدَّ لمّا عُيِّر به، وقال: إنّي خَشيتُ عِقاب الله. فضمِنَ له المُعيِّرُ أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجَع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا فرجع، ﴿وأعطَى قَلِيلًا﴾ من المال المُسمَّى، ﴿وأكدَى﴾ ٣٤: منع الباقيَ؟ مأخوذ من الكُدْية - وهي أرض صُلبة كالصخرة تمنع حافر البئر، إذا وصل إليها، من الحفر - ﴿أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ، فهُوَ يَرَى﴾ ٣٥ يعلم من جُملته أنّ غيره يتحمّل عنه عذاب الآخرة؟ لا. وهو الوليد بن المُغيرة أو غيرُه. وجُملة «أعنده»: المفعول الثاني لـ «أرأيتَ» بمعنى: أخبِرْني. ﴿أم﴾: بل ﴿لَم يُنَبَّأْ بِما في صُحُفِ مُوسَى﴾ ٣٦: أسفارِ التوراة أو صُحفٍ قبلها، ﴿و﴾ صُحف ﴿إبراهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ٣٧: تمّمَ ما أُمر به - نحو «وإذِ ابتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فأتَمَّهُنَّ» - وبيانُ «ما»: ﴿أنْ لا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرَى﴾ ٣٨ إلى آخره، وأنْ: مُخفّفة من الثقيلة، أي: أنّه لا تَحملُ نفس ذنبَ غيرها، ﴿وأنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَيسَ لِلإنسانِ إلّا ما سَعَى﴾ ٣٩ من خير، فليس له من سعيِ غيره الخيرِ شيء، ﴿وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرَى﴾ ٤٠ أي: يُبصَرُ في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾ ٤١: الأكملَ؟ يقال: جَزيتُه سعيَه وبسعيه. ﴿وأنَّ﴾ - بالفتح عطفًا. وقُرئ بالكسر استئنافًا. وكذا ما بعدها. فلا يكون مضمون الجُمل في الصُّحف، على الثاني - ﴿إلَى رَبِّكَ المُنتَهَى﴾ ٤٢ المَرجِعَ والمصير بعد الموت فيجازيهم، ﴿وأنَّهُ هُوَ أضحَكَ﴾: من شاء

(١) يسمونهم: يصفونهم بوصف الإناث. والعلم: المعرفة اليقينية. ويتّبع: انظر الآية ٢٣. ويغني: انظر الآية ٢٦. والحق: العلم الثابت ويطلب في الاعتقاد. وأعرض عنه أي: اترك جداله. وتولى: انصرف. والذكر: التذكير بالحق. ولم يرد: لم يطلب. و«هذا» يعني أن الإعراض منسوخ بآيات جهاد المشركين. ومبلغهم: مكان وصولهم. والعلم: المعرفة. وأعلم: أكثر إحاطة. وضل: انحرف. والسبيل: الطريق الواضح. واهتدى: كان من شأنه الاستجابة. ويجزي: يكافئ. وأساء: اكتسب قبائح الأعمال. وأحسن: اكتسب صالح الأعمال. والحسنى: المثوبة لامثيل لها. ويجتنبه: يبتعد عنه. والكبائر: جمع كبير. والإثم: الذنب. والفواحش: جمع فاحشة، ما عظم وكان عليه الحدّ. واللمم: ما قل وصغر. انظر «المفصل». والواسع: يستوعب ما لا يقدّر. والمغفرة: الستر للذنوب مع العفو. ونزل أي: ماتبقى من الآية. والجنين: الطفل قبل الولادة. والبطون: جمع بطن. وأمهات: جمع أمَّهة. واتّقى: كان بارًّا مطيعًا مخلصًا في طاعته.

(٢) الذي تولى هو الوليد بن المغيرة. انظر «المفصل». وأعطاه: أعطى الوليدُ الضامنَ. وكذا أي: قدرًا. والمسمى: المعين. وأكدَى: بخل. والعلم: الإحاطة التامة. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. وجملته: جملة الغيب. و«لا» أي: ليس عنده شيء من ذلك. وينبأ: يُخبر. والصحف: جمع صحيفة، ما كتبت عليه الآيات. وقبلها أي: على إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى مثلها قبل التوراة. ونحو: يعني الآية ١٢٤ من سورة البقرة. وبيان ما... إلى آخره أي: أن الآيات ٣٨-٥٤ تبيين وتفصيل للإبهام الذي في «ما». أما على كسر الهمزة فيكون المراد بالبيان ما في الآيات ٣٨-٤٠ فقط. والوازرة: الإنسان بلغ سن الرشد. وأُخرى: نفس مغايرة. ومخففة أي: من «أنّ». وسعى: اكتسب من خير أو شر، بدليل ما في الآية ٤٠. ويبصر: يُبصِره صاحبه وغيره. ويجزى: يكافأ. انظر «المفصل». وبالكسر يريد القراءة «إنّ». ومابعدها أي: مافي الآيات ٤٣-٥٠. وعلى الثاني أي: على كسر همزة «إنّ». وإلى ربك: إلى لقاء حسابه. وأضحك...: خلق الضحك وأسبابه... والزوج: ما له مقابل لايتكاثر إلّا به. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًا من ماء الرجل والمرأة. وبالقصر يريد القراءة «النَّشْأَةَ» كما في ث والفتوحات والصاوي والمنحة. والقنية: ما يدخر. والشعرى: الشعرى العبور، عبدتها خُزاعة وحِمير.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ ٱلْقَمَرِ — ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

أفرحه، ﴿**وأبكَى**﴾ ٤٣: من شاء أحزنه، ﴿**وأنَّهُ هُوَ أماتَ**﴾ في الدنيا، ﴿**وأحيا**﴾ ٤٤ للبعث، ﴿**وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ**﴾: الصِّنفين ﴿**الذَّكَرَ والأُنثَى** ٤٥، **مِن نُطْفَةٍ**﴾: مَنيٍّ ﴿**إذا تُمنَى**﴾ ٤٦ تُصبُّ في الرحم، ﴿**وأنَّ علَيهِ النَّشاءةَ**﴾ - بالمدّ والقصر - ﴿**الأُخرَى**﴾ ٤٧: الخَلقةَ الآخرة للبعث بعد الخَلقة الأُولى، ﴿**وأنَّهُ هُوَ أغنَى**﴾ الناسَ بالكفاية بالأموال، ﴿**وأقنَى**﴾ ٤٨: أعطى المالَ المُتَّخذ قُنيةً، ﴿**وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى**﴾ ٤٩. هو كوكب خلف الجوزاء، كانت تُعبد في الجاهليّة؟

١- ﴿**وأنَّهُ أهلَكَ عادًا الأُولَى**﴾ ٥٠ - وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمِّها بلا همز - هي قوم هودٍ، والأُخرى قوم صالح ﴿**وثَمُودًا**﴾ - بالصرفِ اسمٌ للأب، وبلا صرفٍ اسمٌ للقبيلة. وهو معطوف على «عادًا» - ﴿**فما أبقَى**﴾ ٥١ منهم أحدًا، ﴿**وقَومَ نُوحٍ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ عادٍ وثمودٍ أهلكناهم - ﴿**إنَّهُم كانُوا هُم أظلَمَ وأطغَى**﴾ ٥٢ من عاد وثمود، لطولِ لَبثِ نوحٍ فيهم: «فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنةٍ إلّا خَمسِينَ عامًا»، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه - ﴿**والمُؤتَفِكَةَ**﴾ وهي قُرى قومِ لُوطٍ ﴿**أهوَى**﴾ ٥٣: أسقطَها، بعد رفعها إلى السماء مقلوبةً إلى الأرض بأمره جِبريلَ بذلك، ﴿**فغَشّاها**﴾ من الحِجارة بعد ذلك ﴿**ما غَشَّى**﴾ ٥٤؟ أُبهِم تهويلًا. وفي هود: «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها، وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ».

سَجدَة
لغير مالك

٢- ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكَ**﴾: أنعُمِه الدالّةِ على وحدانيّته وقُدرته، ﴿**تتمارَى**﴾ ٥٥: تتشكّكُ - أيها الإنسان - أو تُكذِّبُ؟ ﴿**هٰذا**﴾ مُحمّد ﴿**نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى**﴾ ٥٦ من جِنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلى أقوامهم. ﴿**أزِفَتِ الآزِفةُ**﴾ ٥٧: قَرُبَتِ القِيامةُ، ﴿**لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ**﴾ نفسٌ ﴿**كاشِفةٌ**﴾ ٥٨ أي: لا يكشفها ويُظهرها إلّا هو، كقوله تعالى: «لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلّا هُوَ». ﴿**أفمِن هٰذا الحَدِيثِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**تعجَبُونَ**﴾ ٥٩ تكذيبًا، ﴿**وتَضحَكُونَ**﴾ استهزاءً، ﴿**ولا تَبكُونَ**﴾ ٦٠ لسماع وعده ووعيده، ﴿**وأنتُم سامِدُونَ**﴾ ٦١: لاهونَ غافلون عما يُطلب منكم؟ ﴿**فاسجُدُوا لِلهِ**﴾ الذي خلقكم ﴿**واعبُدُوا**﴾ ٦٢، ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سورة القمر

مكية إلّا «سيُهزم الجمع» الآية، وهي خمس وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**اقترَبَتِ السّاعةُ**﴾: قرُبتِ القِيامةُ، ﴿**وانشَقَّ القَمَرُ**﴾ ١: انفلق فِلْقتَينِ على أبي قُبيسٍ وقُعَيقِعانَ، آيةً له ﷺ، وقد سُئلها فقال: «اشهَدُوا» - رواه الشيخان - ﴿**وإن يَرَوا**﴾ كُفّارُ قُريشٍ ﴿**آيَةً**﴾: مُعجزة له ﷺ، كانشقاق القمر، ﴿**يُعرِضُوا ويَقُولُوا**﴾: هذا ﴿**سِحرٌ مُستَمِرٌّ**﴾ ٢: قويّ من المِرّةِ: القُوّةِ، أو دائمٌ. ﴿**وكَذَّبُوا**﴾ النبيّ، ﴿**واتَّبَعُوا أهْواءَهُم**﴾ في الباطل - ﴿**وكُلُّ أمرٍ**﴾ من الخير والشرّ ﴿**مُستَقِرٌّ**﴾ ٣ بأهله، في الجنّة أو النار - ﴿**ولَقَد جاءَهُم مِنَ الأنباءِ**﴾: أخبارِ هلاكِ الأُمم المُكذّبةِ رسلَهم ﴿**ما فِيهِ مُزدَجَرٌ**﴾ ٤ لهم، اسمُ مصدر أو اسمُ مكان، والدال بدل من تاء الافتعال - وازدجرتُه وزجرتُه: نهيتُه بغِلظة. وما: موصولة أو موصوفة - ﴿**حِكْمَةٌ**﴾: خبرُ مُبتدأ محذوفٍ، أو بدلٌ من «ما» أو من «مُزدجر»، ﴿**بالِغَةٌ**﴾: تامّة، ﴿**فما تُغني**﴾: تنفعُ فيهم ﴿**النُّذُرُ**﴾ ٥: جمع نذير بمعنى مُنذِر، أي: الأُمورُ المُنذرة لهم. وما: للنفي أو للاستفهام الإنكاري. وهي على الثاني مفعول مُقدّم.

٤- ﴿**فتَوَلَّ عَنهُم**﴾ هو فائدة ما قبله وبه تمّ الكلام. ﴿**يَومَ يَدعُ الدّاعِ**﴾ هو إسرافيل، وناصبُ «يومَ»: «يَخرجون» بعدُ، ﴿**إلَى شَيءٍ نُكُرٍ**﴾ ٦ - بضمّ

---

(١) عاد: من العرب العاربة. وبضمها يريد القراءة «عادَ لُّولَى». وهود: نبي عربي. وثمود: قوم صالح من العرب العاربة أيضًا. وبلا صرف يريد القراءة «وثَمُودَ». ومنهم: من كفارهم. و«فلبث» يعني الآية ١٤ من سورة العنكبوت. والمؤتفكة: المنقلبة رأسًا على عقب. وقرى: مدن. ولوط: ابن أخي إبراهيم. وغشى: غطى. وهود أي: الآية ٨٢ من تلك السورة. وفي الأصل والنسخ وجميع المطبوعات: «فجعلنا». انظر الآية ٧٤ من سورة الحجر. (٢) الآلاء: جمع ألًى. وهو النعمة. والنذير: المخوف بالعذاب. والنذر: جمع نذير. وكقوله يعني: الآية ١٨٧ من سوة الأعراف. والحديث: ما ينقل من الكلام. وتعجب: تَدهش. والخطاب للمشركين. فعن ابن عباس أنهم كانوا يمرون على الرسول ﷺ شامخين، فنزلت الآيات توبيخًا لهم. انظر «المفصل». واعبده: أخلص له التقديس والطاعة. (٣) سأل أهل مكة الرسول ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. انظر «المفصل». وفلقتين: قطعتين. وأبو قبيس: جبل شرق مكة. وقعيقعان: جبل غربها. وذكر الجبلين زيادة وليس في الأحاديث الصحاح. انظر الأحاديث ٣٤٣٧-٣٤٣٩ في البخاري و٢٨٠٠-٢٨٠٣ في مسلم و٣٢٨١-٣٢٨٤ في الترمذي والمسند ١: ٤٤٧ و٣: ٢٧٥. والانشقاق كان تباعدًا ما لحظة ثم زال. تفسير الآلوسي ٢٧: ١١٥. وذكر ابن مسعود أن جبل منى حجب نصف القمر في مرأى العين تلك اللحظة. وقد زاد بعض الرواة والوعاظ تفصيلات كثيرة غير موثقة. ويعرضوا: ينصرفوا. واتبعها: استجاب لها. والأهواء: جمع هوى، شهوة النفس. والأنباء: جمع نبأ. وموصوفة أي: نكرة موصوفة. والحكمة: إصابة الحق بالعلم الكامل. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «فما تغنِ» بحذف الياء للتخفيف. (٤) تول عنهم: اترك جدالهم. ويدع الداع أي: يدفع الملَك الناسَ للحشر بالنفخة الثانية. وبسكونها يريد=

سورة القمر — الجزء السابع والعشرون

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

الكاف وسكونها - أي: مُنكَرٍ تُنكره النفوس لشدته وهو الحساب، ﴿**خاشِعًا**﴾: ذليلًا، وفي قراءة: «خُشَّعًا» بضمّ الخاء وفتح الشين مُشدّدة، ﴿**أبصارُهُم**﴾: حال من فاعل ﴿**يَخرُجونَ**﴾ أي: الناسُ ﴿**مِنَ الأجداثِ**﴾: القُبور، ﴿**كأنَّهم جرادٌ مُنتشِرٌ**﴾ ٧ لا يدرون: أين يذهبون من الخوف والحَيرة؟ والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: ﴿**مُهطِعِينَ**﴾ أي: مُسرعين مادّي أعناقِهم ﴿**إلى الدّاعِ، يَقُولُ الكافِرُونَ**﴾ منهم: ﴿**هٰذا يومٌ عَسِرٌ**﴾ ٨ أي: صعب على الكافرين، كما في المُدَّثِّر: «يومٌ عَسِيرٌ على الكافِرينَ».

١- ﴿**كَذَّبَتْ قَبلَهُم**﴾ أي: قبل قُريشٍ ﴿**قَومُ نُوحٍ**﴾ - تأنيث الفعل لمعنى «قوم» - ﴿**فكَذَّبوا عبدَنا**﴾ نُوحًا، ﴿**وقالُوا: مَجنُونٌ. وازدُجِرَ**﴾ ٩ أي: انتهروه بالسبّ وغيره، ﴿**فدَعا رَبَّهُ أنّي**﴾ أي: بأنّي ﴿**مَغلُوبٌ فانتصِرْ**﴾ ١٠. ﴿**ففَتَحْنا**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**أبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنهَمِرٍ**﴾ ١١: منصبّ انصبابًا شديدًا، ﴿**وفَجَّرنا الأرضَ عُيُونًا**﴾ تَنبُعُ، ﴿**فالتَقَى الماءُ**﴾ ماء السماء والأرض ﴿**على أمرٍ**﴾: حالٍ ﴿**قَد قُدِرَ**﴾ ١٢: قُضِي به في الأزل - وهو هلاكهم غرقًا - ﴿**وحَمَلْناهُ**﴾ أي: نوحًا ﴿**على**﴾ سفينة ﴿**ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ**﴾ ١٣، وهي ما تُشدّ به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دِسار ككِتاب، ﴿**تَجري بأعيُنِنا**﴾: بمرأًى منّا أي: محفوظةً ﴿**جَزاءً**﴾: منصوب بفعل مُقدّر، أي: أُغرقوا انتصارًا ﴿**لِمَن كانَ كُفِرَ**﴾ ١٤ - وهو نوح، عليه السلام. وقُرئ: «كَفَرَ» بناءً للفاعل، أي: أُغرقوا عقابًا لهم - ﴿**ولَقَد تَرَكْناها**﴾: أبقَينا هذه الفَعلةَ ﴿**آيةً**﴾ لمن يَعتبر بها، إذ شاع خبرها واستمرّ. ﴿**فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ١٥: مُعتبِرٍ ومُتّعظ بها؟ وأصله «مُذْتكِر» أُبدلت التاء دالًا مُهملة، وكذا المُعجمة وأُدغمت فيها. ﴿**فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ**﴾ ١٦ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير. وكيف: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال. والمعنى حملُ المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمُكذّبين لنُوح موقعَه. ﴿**ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ**﴾: سهّلناه للحِفظ أو هيّأناه للتذكّر. ﴿**فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ١٧ مُتّعظٍ به وحافظٍ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتّعظوا به. وليس يُحفظ من كُتب الله عن ظهر القلب غيرُه.

٢- ﴿**كَذَّبَتْ عادٌ**﴾ نبيَّهم هُودًا فعُذّبوا. ﴿**فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ**﴾ ١٨ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبلَ نزوله؟ أي: وقعَ موقعَه. وبيّنه بقوله: ﴿**إنّا أرسَلْنا عليهِم رِيحًا صَرصَرًا**﴾ أي: شديدة الصوت، ﴿**في يَومِ نَحسٍ**﴾: شؤم ﴿**مُستَمِرٍّ**﴾ ١٩: دائم الشؤم أو قويّه، وكان يومَ الأربعاء آخرَ الشهر، ﴿**تَنزِعُ النّاسَ**﴾: تقلعهم من حُفَر الأرض المندسّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم فتدقّ رِقابهم، فتُبِينُ الرأسَ عن الجسد، ﴿**كأنَّهُم**﴾ وحالُهم ما ذُكر ﴿**أعجازُ**﴾: أصولُ ﴿**نَخلٍ مُنقَعِرٍ**﴾ ٢٠: مُنقلع ساقط على الأرض. وشُبّهوا بالنخل لطولهم، وذُكّرَ هنا وأُنّثَ في الحاقّة: «نَخلٍ خاوِيةٍ» مُراعاةً للفواصل في الموضعين. ﴿**فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ ٢١؟ ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ٢٢؟

٣- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ**﴾ ٢٣: جمع نذير بمعنى مُنذِر، أي: بالأُمور التي أنذرهم بها نبيّهم صالحٌ، إن لم يُؤمنوا به ويتبعوه، ﴿**فقالُوا: أبَشَرًا**﴾: منصوبٌ على الاشتغال ﴿**مِنّا واحِدًا**﴾: صِفتان لـ «بشرًا» ﴿**نَتَّبِعُهُ**﴾؟ مُفسِّر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: كيف نتّبعه، ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منّا وليس بمَلَكٍ؟ أي: لا نتّبعه. ﴿**إنّا إذًا**﴾ أي: إنِ اتبعناه ﴿**لَفي ضَلالٍ**﴾: ذَهاب عن الصواب ﴿**وسُعُرٍ**﴾ ٢٤: جُنون. ﴿**أأُلقِيَ**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، وتركِه - ﴿**الذِّكرُ**﴾: الوحيُ ﴿**عليهِ مِن بَينِنا**﴾؟ أي: لم يُوحَ إليه، ﴿**بَل هُوَ كَذّابٌ**﴾ في قوله «إنه أُوحي إليه ما ذُكر»، ﴿**أشِرٌ**﴾ ٢٥: مُتكبّر بَطِر. قال تعالى: ﴿**سَيَعلَمُونَ غَدًا**﴾ أي: في الآخرة: ﴿**مَنِ الكَذّابُ الأشِرُ**﴾ ٢٦؟ وهو هم، بأن يُعذَّبوا على تكذيبهم لنبيِّهم صالح. ﴿**إنّا مُرسِلُو النّاقةِ**﴾: مُخرجوها من الهضْبةِ الصَّخرةِ، كما سألوا،

=القراءة «نُكُرٍ». والخشع: جمع خاشع. والأبصار: جمع بصر. والأجداث: جمع جَدَث. والمنتشر: المتفرق في تموج واندفاع. والداع: الداعي المذكور قبل. وحذفت الياء في المواضع الثلاثة للتخفيف. وفي الأصل وع: «إلى الداعي». واليوم: الوقت. والمدثر: يعني الآيتين ٩ و١٠ من سورة المدثر.

(١) مغلوب: تغلّب عليّ قومي. وانتصر: انتقم منهم. وبالتشديد يريد القراءة «ففَتَّحْنا». والأبواب: جمع باب. والعيون: جمع عين. والألواح: جمع لوح. وكُفر: كُذّب. والمهملة: غير المنقوطة. والمعجمة: المنقوطة. ويسرناه أي: بأفصح اللغات وأخلدها. وانظر تكرار الآيتين ١٦ و١٧ بين الآيات ١٨-٤٠. (٢) عاد: انظر الآية ٥٠ من سورة النجم. وتحديد اليوم مرتب عليه التشاؤم من كل أربعاء آخر الشهر، بحديث موضوع وآخر ضعيف. انظر «المفصل». والأعجاز: جمع عَجُز. والنخل: مفرده نخلة. وذكّر: يعني أن النخل وُصف ههنا بالمذكر: منقعر. ونخل خاوية: في الآية ٧ في السورة المذكورة. وللفواصل أي: لنهاية لفظ الآيات. وانظر الآيتين ١٦ و١٧. (٣) الاشتغال: اشتغال الفعل «نتبع» بالضمير العائد على «بشرًا»، والتقدير: أنتبع بشرًا نتبعه؟ ومنا: من جنسنا. وبتسهيل الثانية يريد القراءة «أأُلقِيَ»؟ وبإدخال ألف يريد القراءتين: «آأُلقِيَ» و«آألقِيَ». وإخراج الناقة من الصخرة قول غير صحيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧٣ من سورة الأعراف. والماء: ماء بئرهم.

الجزء السابع والعشرون — سورة القمر

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

﴿**فتنةً**﴾: مِحنة ﴿**لَهُم**﴾ لنختبرهم. ﴿**فارتَقِبْهُم**﴾ - يا صالح - أي: انتظر ما هم صانعون وما يُصنع بهم، ﴿**واصطَبِرْ**﴾ ٢٧ - الطاء بدل من تاء الافتعال - أي: اصبرْ على أذاهم، ﴿**ونبِّئْهُم أنَّ الماءَ قِسْمةٌ**﴾: مقسوم ﴿**بَينَهُم**﴾ وبين الناقة، فيوم لهم ويوم لها، ﴿**كُلُّ شِربٍ**﴾: نصيبٍ من الماء ﴿**مُحتَضَرٌ**﴾ ٢٨: يحضُر القومُ يومَهم، والناقةُ يومَها.

١- فتمادَوا على ذلك، ثمّ ملّوه فهمّوا بقتل الناقة، ﴿**فنادَوا صاحِبَهُم**﴾ قُدارًا ليقتلها، ﴿**فتَعاطى**﴾: تناول السيف ﴿**فعَقَرَ**﴾ ٢٩ به الناقة، أي: قتلها مُوافقة لهم. ﴿**فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ**﴾ ٣٠ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي: وقع موقعَه. وبيَّنه بقوله: ﴿**إنّا أرسَلْنا عليهِم صَيحةً واحِدةً، فكانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ**﴾ ٣١ هو الذي يَجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك، يحفظهنّ فيها من الذئاب والسباع. وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. ﴿**ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ٣٢؟

٢- ﴿**كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ بالنُّذُرِ**﴾ ٣٣ أي: بالأُمور المُنذِرة لهم على لسانه. ﴿**إنّا أرسَلْنا علَيهِم حاصِبًا**﴾: ريحًا ترميهم بالحَصباء - وهي صِغار الحِجارة الواحدُ دُون مَلْءِ الكفّ - فهلَكوا ﴿**إلّا آلَ لُوطٍ**﴾ وهم ابنتاه معه ﴿**نَجَّيناهُم بِسَحَرٍ**﴾ ٣٤ من الأسحار، أي: وقت الصبح من يوم غير مُعيّن - ولو أُريد من يوم مُعيّن لمُنع الصرفَ، لأنه معرفة معدول عن «السَّحر»، لأنّ حقّه أن يُستعمل في المعرفة بـ«أل». وهل أُرسل الحاصب على آل لوط أوْ لا؟ قولانِ. وعُبِّر عن الاستثناء على الأوّل بأنه مُتّصل، وعلى الثاني بأنه مُنقطع وإن كان من الجِنس، تسمّحًا - ﴿**نِعمةً**﴾ مصدرٌ أي: إنعامًا ﴿**مِن عِندِنا. كَذلِكَ**﴾ مِثلَ ذلك الجزاء ﴿**نَجزِي مَن شَكَرَ**﴾ ٣٥ أنعُمَنا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله وأطاعهم. ﴿**ولَقَد أنذَرَهُم**﴾: خوّفهم لُوط ﴿**بَطْشَتَنا**﴾: أخْذَتَنا إياهم بالعذاب، ﴿**فتَمارَوا**﴾: تجادلوا وكذّبوا ﴿**بالنُّذُرِ**﴾ ٣٦: بإنذاره، ﴿**ولَقَد راوَدُوهُ عَن ضَيفِهِ**﴾ أي: أن يُخلّيَ بينهم وبين القوم الذين أتَوه في صُورة الأضياف ليَخبُثوا بهم، وكانوا ملائكة، ﴿**فطَمَسْنا أعيُنَهُم**﴾: أعمَيناها وجعلناها بلا شَقّ كباقي الوجه، بأن صفقها جِبريل بجناحه. ﴿**فذُوقُوا**﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿**عَذابِي ونُذُرِ**﴾ ٣٧ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرتَه وفائدته. ﴿**ولَقَد صَبَّحَهُم بُكْرَةً**﴾: وقتَ الصبح، من يوم غير مُعيّن، ﴿**عَذابٌ مُستَقِرٌّ**﴾ ٣٨: دائم مُتّصل بعذاب الآخرة. ﴿**فذُوقُوا عَذابِي ونُذُرِ ٣٩. ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ٤٠؟

٣- ﴿**ولَقَد جاءَ آلَ فِرعَونَ**﴾ قومَه معه ﴿**النُّذُرُ**﴾ ٤١: الإنذار، على لسان موسى وهارونَ فلم يُؤمنوا، بل ﴿**كَذَّبُوا بآياتِنا كُلِّها**﴾ التسع التي أُوتيَها مُوسَى، ﴿**فأخَذْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**أخْذَ عَزِيزٍ**﴾: قويّ ﴿**مُقتَدِرٍ**﴾ ٤٢: قادر لا يُعجزه شيء.

٤- ﴿**أكُفّارُكُم**﴾ - يا قُريش - ﴿**خَيرٌ مِن أُولئِكُم**﴾ المذكورين، من قوم نُوح إلى فِرعَون، فلم يُعذّبوا؟ ﴿**أم لَكُم**﴾ - يا كُفّار قُريش - ﴿**بَراءةٌ**﴾ من العذاب ﴿**في الزُّبُرِ**﴾ ٤٣: الكُتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ﴿**أم يَقُولُونَ**﴾ أي: كُفّارُ قُريش: ﴿**نَحنُ جَمِيعٌ**﴾ أي: جمع ﴿**مُنتَصِرٌ**﴾ ٤٤ على مُحمّد. ولمّا قال أبو جهل يوم بدر: «إنّا جميع مُنتصر» نزل: ﴿**سَيُهزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ ٤٥. فهُزموا ببدر، ونُصر رسول الله ﷺ عليهم. ﴿**بَلِ السّاعةُ مَوعِدُهُم**﴾ بالعذاب، ﴿**والسّاعةُ**﴾ أي: عذابها ﴿**أدهَى**﴾: أعظمُ بليّةً، ﴿**وأمَرُّ**﴾ ٤٦: أشدّ مرارة من عذاب الدنيا. ﴿**إنَّ المُجرِمِينَ في ضَلالٍ**﴾: هلاك بالقتل في الدنيا، ﴿**وسُعُرٍ**﴾ ٤٧: نار مُسعَّرة - بالتشديد - أي: مُهيَّجة في الآخرة، ﴿**يَومَ يُسحَبُونَ في النّارِ علَى وُجُوهِهِم**﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ ٤٨: إصابةَ جهنّم لكم.

٥- ﴿**إنّا كُلَّ شَيءٍ**﴾: منصوبٌ بفعل يُفسّره ﴿**خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ**﴾ ٤٩: بتقديرٍ، حالٌ من «كُلّ» أي: مُقدَّرًا - وقُرِئ: «كُلُّ» بالرفع، مبتدأ خبره: خلقناه

(**١**) نادوه: نبهوه على قرب الناقة ليقتلها. وقدار: جزار من كبار الكافرين. وعقرها: قطع إحدى قوائمها ليتمكن من الذبح. والصيحة: الصرخة تزلزل وتدمر. وكانوا: صاروا. والهشيم: المفتَّت المنثور. ط: «فكانوا هشيم المحتظر». والحظيرة: مأوى الماشية والدواجن. ومن ذلك أي: من يابس الشجر والشوك. وانظر الآيات ١٦-١٩. (**٢**) لوط: ابن أخي إبراهيم. وابنتاه أي: وزوجته الثانية المؤمنة. ونجيناهم: أنقذناهم. والسحر: آخر الليل. وغير معين أي: نكرة. والمعين: المعرفة. والانقطاع في الاستثناء هو الصحيح. انظر «المفصل». وراودوه: طلبوا منه مِرارًا. ط: «روادوه». وليخبثوا أي: لكي يلوط الكافرون. والأعين: جمع عين. وانظر الآية ١٧. (**٣**) جاءهم: أتاهم وبلغ أسماعَهم. وكذبوا بها: أنكروا أنها معجزات، تثبت صحة الرسالة. والآيات: الأدلة القاطعة على صدق الرسول. والتسع هي اليد والعصا والسنون الشديدة، وطمس الأموال، والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم. انظر الآية ١٠١ من سورة الإسراء. وأخذناهم: عاقبناهم انتقامًا. (**٤**) خير: أفضل قوة. والمذكورين: في الآيات ٩-٤٠. والبراءة: الخلاص. والزبر: جمع زبور. ويوم بدر أي: قبل يوم المعركة. انظر «المفصل». ويولون: يوجهون إلى عدوهم. والدبر: الظهور. والساعة: يوم القيامة. والمجرم: الكافر يموت على كفره. والسعر: جمع سَعير. والوجوه: جمع وجه. وذوقوا: قاسوا وتحسسوا. وسقر: اسم علم لجهنم. (**٥**) منصوب: انظر الآية ٢٤. ومقدرًا أي: متقَنًا مرتَّبًا، على حسب ما=

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن — ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

- ﴿**وما أمرُنا**﴾ لشيء نُريد وجودَه ﴿**إلّا**﴾ أمرةٌ ﴿**واحِدةٌ، كَلَمح بِالبَصَرِ**﴾ ٥٠ في السرعة، وهي «كُنْ» فيُوجد: «إنّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ»، ﴿**ولَقَد أهلَكْنا أشياعَكُم**﴾: أشباهكم في الكُفر من الأُمم الماضية - ﴿**فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾ ٥١؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذكروا واتّعظوا - ﴿**وكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ**﴾ أي: العِبادُ مكتوبٌ ﴿**في الزُّبُرِ**﴾ ٥٢: كُتُبِ الحَفَظة، ﴿**وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ**﴾ من الذنب أو العمل ﴿**مُستَطَرٌ**﴾ ٥٣: مكتتَبٌ في اللوح المحفوظ.

الحزب ٥٤

١- ﴿**إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**ونَهَرٍ**﴾ ٥٤ - أُريد به الجِنسُ. وقُرئ «نُهُرٍ» بضم النون والهاء جمعًا كأسَدٍ وأُسُدٍ - والمعنى أنهم يشربون من أنهارها الماءَ واللبن والعسل والخمر، ﴿**في مَقعَدِ صِدقٍ**﴾: مجلسِ حقّ لا لغوَ فيه ولا تأثيم - أُريد به الجِنسُ. وقُرئ: «مَقاعِدِ»، المعنى أنهم في مجالسَ من الجنّات سالمةٍ من اللغو والتأثيم، بخِلاف مجالس الدنيا فقلَّ أن تسلم من ذلك. وأُعرب هذا خبرًا ثانيًا وبدلًا. وهو صادق ببدل البعض وغيره - ﴿**عِندَ مَلِيكٍ**﴾: مِثالُ مُبالغةٍ، أي: عزيزِ المُلك واسعِه، ﴿**مُقتَدِرٍ**﴾ ٥٥: قادر لا يُعجزه شيء. وهو الله، تعالى. وعِند: إشارة إلى الرُّتبة من فضله تعالى.

سورة الرحمن

مكية، أو إلّا «يسأله من في السماوات والأرض» الآية فمدنية،
وهي ست أو ثمان وسبعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿**الرَّحمٰنُ ١ علَّمَ**﴾ مَن شاء ﴿**القُرآنَ ٢، خَلَقَ الإنسانَ**﴾ ٣ أي: الجِنسَ، ﴿**عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾ ٤: النُّطق، ﴿**الشَّمسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ ٥: بحساب يجريانِ، ﴿**والنَّجمُ**﴾: ما لا ساق له من النبات ﴿**والشَّجَرُ**﴾: ما له ساق ﴿**يَسجُدانِ**﴾ ٦: يخضعان لما يُراد منهما، ﴿**والسَّماءَ رَفَعَها ووَضَعَ المِيزانَ**﴾ ٧: أثبَتَ العدل، ﴿**ألّا تَطغَوا**﴾ أي: لأجل ألّا تجوروا ﴿**في المِيزانِ**﴾ ٨: ما يُوزن به، ﴿**وأقِيمُوا الوَزنَ بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**ولا تُخسِرُوا المِيزانَ**﴾ ٩: تنقُصوا المَوزونَ، ﴿**والأرضَ وَضَعَها**﴾: أثبتَها ﴿**لِلأنامِ**﴾ ١٠: للخلق الإنس والجِنّ وغيرهم، ﴿**فِيها فاكِهةٌ والنَّخلُ**﴾ المعهود ﴿**ذاتُ الأكمامِ**﴾ ١١: أوعيةُ طَلْعِها، ﴿**والحَبُّ**﴾ كالحِنطة والشعير ﴿**ذُو العَصفِ**﴾: التِّبنِ، ﴿**والرَّيحانُ**﴾ ١٢: الرزق أو المشموم. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ**﴾: نِعَمِ ﴿**رَبِّكُما**﴾ - أيّها الإنسُ والجِنُّ - ﴿**تُكَذِّبانِ**﴾ ١٣؟ ذُكِرتْ إحدى وثلاثين مرّة، والاستفهام فيها للتقرير، لِما روى الحاكم عن جابر قال: «قَرأَ علَينا رسُولُ اللهِ ﷺ سُورةَ الرَّحمٰنِ حَتّى خَتَمَها، ثُمّ قالَ: مالِي أراكُم سُكُوتًا؟ لَلجِنُّ كانُوا أحسَنَ مِنكُم رَدًّا. ما قَرأتُ علَيهِم هٰذِهِ الآيَةَ مِن مَرّةٍ: «فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» إلّا قالوا: ولا بِشَيءٍ مِن نِعَمِكَ - رَبَّنا - نُكَذِّبُ. فلكَ الحَمدُ».

٣- ﴿**خَلَقَ الإنسانَ**﴾ آدمَ، ﴿**مِن صَلصالٍ**﴾: من طين يابس يُسمع له صلصلةٌ، أي: صوتٌ، إذا نُقر ﴿**كالفَخّارِ**﴾ ١٤ - وهو ما طُبخ من الطين -

=اقتضته الحكمة البالغة. والأمر: القضاء. واللمح: النظر الخاطف. و«كن» في الآية ٨٢ من سورة يس. أي: ليس هناك أمر ولامأمور، وإنما هي إرادة يكون معها القضاء والوجود للمراد. والأشياع: جمع شيعة. وهي الشبيه. ومدكر: انظر آخر الآية ١٥. وفعلوه: اكتسبوه. والزبر: جمع زَبور. وهو الكتاب المسجل. والحفظة: الملائكة الذين يقارنون الناس لتسجيل ما يصدر عنهم. واللوح المحفوظ: سجلّ لِما كان وما سيكون في الوجود. **(١)** المتقي: من يتجنب سخط الله ويطلب رضاه. والجنات: جمع جنة. وأريد به الجنس: يعني أن لفظ نهر يدل على الكثرة، أي: أنهار. وكذلك «مقعد» يراد به مقاعد. ومقاعد: جمع مقعد. وهذا أي: الجار والمجرور «في مقعد». يعني أنهما متعلقان بخبر ثان محذوف لـ «إنّ»، أو هما بدل من «في جنات» في محل نصب. وغيره أي: بدل اشتمال لأن الجنات تشمل المقعد أيضًا. وعنده أي: في المنزلة العالية المقربة. **(٢)** لما نزلت الآية ٦٠ من سورة الفرقان قال المشركون: ما نعرف الرحمن. فنزلت هذه السورة. البحر ٨:١٨٦-١٨٨. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان لكافة خلقه. وعلّمه: خلق فيه القدرةَ على التعلم وملَكةَ اكتساب الخبرات. والقرآن أي: تلاوته وفهمه والعمل به. وخلقه: أوجده من العدم. والجنس أي: جنس البشر. والبيان: التواصل باللغة وما يشبهها من وسائل التعبير، والقدرة على اصطناع اللغة وتنميتها. والشمس والقمر: الكوكبان المشهوران. ويجري: يتحرك بدوران أو انتقال أو بهما معًا. ورفعها: خلقها كالبنيان عالية. وفي الميزان أي: في استعماله. وأقيموه: اجعلوه بلا زيادة ولانقصان. وأثبتها: جعلها مستقرة ممهدة. والفاكهة: الثمار المستلذة. والنخل: الشجر ثمره التمر. وذات أي: صاحبة. والأكمام: جمع كِمّ. والطلع: ما يحوي الزهر وحب الإخصاب للنخل. والحب: مفرده حبة، يكون في السنابل وأشباهها. وذو أي: صاحب. والرزق: ما يهيأ للخلق من حاجات. والمشموم: الزهر يشم لِما فيه من رائحة زكية. والآلاء: جمع أَلًى. وتكذب بها: تنكر أنه خلقها. والمعنى: أيَّ نوع من النعم تكذبان؟ أالنعمَ المذكورة هنا أم غيرَها؟ وذكرتْ أي: هذه الآية في هذه السورة. والحاكم هو محمد بن عبد الله النيسابوري، صاحب كتاب «المستدرك على الصحيحين»، توفي سنة ٤٠٥. والسكوت: جمع ساكت. وقولهم «ولا بشيء» يعني: لا بما ذكرتَ ولا بشيء غيره. والحديث في المستدرك ٢:٤٧٣ والترمذي ٩:٣٣ ومجمع الزوائد ٧:١١٧. **(٣)** الجن: مخلوقات غير مرئية، منهم المؤمنون ومنهم الشياطين. وأبا=

رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ (١٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ (١٩) بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ (٢٦) وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ (٢٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)

﴿وخَلَقَ الجانَّ﴾ أبا الجنّ وهو إبليس، ﴿مِن مارِجٍ مِن نارٍ﴾ ١٥ هو لهبها الخالص من الدخان. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ١٦؟ رَبُّ المَشرِقَينِ﴾: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ﴿ورَبُّ المَغرِبَينِ﴾ ١٧ كذلك. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ١٨؟

١- ﴿مَرَجَ﴾ أرسلَ ﴿البَحرَينِ﴾ العذبَ والمِلحَ ﴿يَلتَقِيانِ﴾ ١٩ في رأي العين، ﴿بينَهُما بَرزَخٌ﴾: حاجز من قُدرته - تعالى - ﴿لا يَبغِيانِ﴾ ٢٠: لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ٢١؟ يُخرَجُ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل - ﴿مِنهُما﴾: من مجموعهما الصادقِ بأحدهما وهو المِلح ﴿اللُّؤلُؤُ والمَرجانُ﴾ ٢٢: خرز أحمر أو صِغار اللؤلؤ. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ٢٣؟ ولَهُ الجَوارِي﴾: السُّفنُ ﴿المُنشَآتُ﴾: المُحدثات ﴿في البَحرِ، كالأعلامِ﴾ ٢٤: كالجبال عِظمًا وارتفاعًا. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ٢٥؟

٢- ﴿كُلُّ مَن عليها﴾ أي: الأرضِ من الحيوان ﴿فانٍ﴾ ٢٦: هالكٌ - وعُبّر بـ «مَن» تغليبًا للعُقلاء - ﴿ويَبقَى وَجهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُه، ﴿ذُو الجَلالِ﴾: العَظَمة، ﴿والإكرامِ﴾ ٢٧ للمُؤمنين بأنعُمه عليهم. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ٢٨؟ يَسألُهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾: بنطقٍ أو حالٍ ما يحتاجون إليه، من القُوّةِ على العِبادة والرزقِ والمغفرةِ وغير ذلك، ﴿كُلَّ يَومٍ﴾: وقت ﴿هُوَ في شأنٍ﴾ ٢٩: أمر، يُظهره على وَفق ما قدّره في الأزل، من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام، وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ٣٠؟

٣- ﴿سَنَفرُغُ لَكُم﴾: سنقصِد لحِسابكم - ﴿أيُّها الثَّقَلانِ﴾ ٣١: الإنسُ والجنُّ - ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ٣٢؟ يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ، إنِ استَطَعتُم أن تَنفُذُوا﴾: تخرجوا، ﴿مِن أقطارِ﴾: نواحي ﴿السَّماواتِ والأرضِ، فانفُذُوا﴾. أمرُ تعجيز. ﴿لا تَنفُذُونَ إلّا بِسُلطانٍ﴾ ٣٣: بقُوّة، ولا قُوّة لكم على ذلك. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ٣٤؟ يُرسَلُ علَيكُما شُواظٌ مِن نارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه، ﴿ونُحاسٍ﴾: أو دخانٍ لا لهب فيه، ﴿فلا تَنتَصِرانِ﴾ ٣٥: تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ٣٦؟

٤- ﴿فإذا انشَقَّتِ السَّماءُ﴾: انفرجت أبوابًا لنُزول الملائكة، ﴿فكانَتْ وَردَةً﴾ أي: مِثلَها مُحمرّة ﴿كالدِّهانِ﴾ ٣٧: كالأديم الأحمر، على خِلاف العهد بها. وجواب إذا: فما أعظمَ الهولَ! ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ٣٨؟ فيَومَئِذٍ لا يُسألُ عَن ذَنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ﴾ ٣٩ عن ذنبه. ويُسألون في وقت آخر: «فوَرَبِّكَ لَنَسألَنَّهُم أجمَعِينَ». والجانّ هنا وفيما سيأتي بمعنى الجِنّيّ، والإنس فيهما بمعنى الإنسيّ. ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ٤٠؟

=الجن: الصواب أن إبليس ليس أبًا للجن، بل أبو الشياطين منهم. انظر الآية ٥٠ من سورة الكهف. والمشرق: مكان شروق الشمس من الأفق. والمغرب: مكان غروبها. و«كذلك» يعني: مغرب الشتاء ومغرب الصيف أيضًا. والمراد أيضًا ما بين المشرقين والمغربين، من تعدد في ذلك على مدى الأعوام.

(١) أرسله: أطلقه. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. والملح: المالح. ويلتقيان: يتجاوران دون فاصل. والبرزخ: مكان التقاء الماءين، يبقى فيه كل منهما على طعمه كأنه مفصول. والحاجز: الفاصل يكون على جانبيه عذب وملح متمايزان. وبالفاعل يريد القراءة «يَخرُجُ». ومجموعهما أي: مجموع العذب والملح. والصادق بأحدهما: يعني أن خروج اللؤلؤ حاصل من البحر الملح، فجازت نسبته إليهما معًا لامتزاج العذب بالآخر بعد انصبابه فيه. واللؤلؤ: واحدته لؤلؤة. والمرجان: واحدته مَرجانة. والجواري: جمع جارية. وفيما عدا الأصل وخ وع: «الجوارِ» بحذف الياء. والأعلام: جمع عَلَم.

(٢) مَن أي: شيء. والحيوان يشمل كل ذي حياة. ويبقى: يستمر بلا قيد من الزمان. والوجه: وجه الله، مع التنزيه التام عن صفات الخلق. وذو الجلال: المستحق بذاته وصفاته أن يعظَّم. والإكرام: الإحسان بالخير. ويسأله: يطلب منه بالدعاء. ونطق أي: كلام ظاهر أو مضمر. وحال أي: بظهور الذلة والحاجة دون كلام. والشأن: الأمر العظيم، أي: شؤون. وروي أن اليهود قالوا: «إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا»، فنزلت الآية ترد عليهم ما زعموه. البحر ٨:١٩٣.

(٣) لحسابكم أي: يوم القيامة. والثَّقَل: الثقيل في الدنيا. والمعشر: الجماعة تجتمع على أمر واحد. واستطعتم: قدرتم. والأقطار: جمع قُطر. وأمر تعجيز: يعني أن النفوذ مُحال. ويرسل: يطلق، إن حاولتم الفرار. وفي الفتوحات والصاوي وط والمطبوعات: «ونُحاسٌ». وقراءة الجر لـ «نحاس» يجب معها كسر شين «شواظ» أو إمالة ألف «نار». وتمتنعان أي: لاتمتنعان للهرب من ملكوتي وقضائي.

(٤) كانت: صارت. والوردة: الزهرة المعروفة. والأديم: الجلد. وعلى خلاف العهد أي: تُرى الآن زرقاء، وسيظهر لونها الحقيقي على خلاف الزرقة. ويومئذ: يوم إذْ تنشق السماء. ولايسأل: لايناقش للحساب حين الانشقاق، بل بعد ذلك. والذنب: المعصية. والآية هي ذات الرقم ٩٢ من سورة الحِجر.

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ
ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

١- ﴿**يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيماهُم**﴾ أي: سوادِ الوُجوه وزُرقة العُيون، ﴿**فيُؤخَذُ بالنَّواصِي والأقدامِ** ٤١. **فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ ٤٢؟ أي: تُضمّ ناصية كُلّ منهم إلى قدميه من خلفُ أو قُدّامُ ويُلقى في النار، ويقال لهم: ﴿**هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي يُكَذِّبُ بها المُجرِمُونَ** ٤٣. **يَطُوفُونَ**﴾: يسعَون ﴿**بينَها وبينَ حَمِيمٍ**﴾: ماءٍ حارّ ﴿**آنٍ**﴾ ٤٤: شديد الحرارة. يُسقَونه إذا استغاثوا من حرّ النار. وهو منقوصٌ كقاضٍ. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ ٤٥؟

٢- ﴿**ولِمَن خافَ**﴾، أي: لكُلٍّ منهم أو لمجموعهم، ﴿**مَقامَ رَبِّهِ**﴾: قيامَه بين يديه للحِساب فترك معصيته ﴿**جَنّتانِ** ٤٦، **فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٤٧؟ **ذَواتا**﴾: تثنية «ذوات» على الأصل ولامها ياء ﴿**أفنانٍ**﴾ ٤٨: أغصان جمع فَنَن كطَلَل، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٤٩؟ **فِيهِما عَينانِ تَجرِيانِ** ٥٠، **فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٥١؟ **فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ**﴾ في الدنيا أو كُلّ ما يُتفكّه به ﴿**زَوجانِ**﴾ ٥٢: نوعانِ رطب ويابس، والمرّ منهما في الدنيا كالحنظل حلو، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٥٣؟ **مُتَّكِئِينَ**﴾: حالٌ عامله محذوف، أي: يتنعّمون ﴿**على فُرُشٍ، بَطائنُها مِن إستَبرَقٍ**﴾: ما غلُظ من الديباج وخشُن، والظهائرُ من السُّندس، ﴿**وجَنَى الجَنّتَينِ**﴾: ثمرُهما ﴿**دانٍ**﴾ ٥٤: قريبٌ، يناله القائم والقاعد والمضطجع. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ ٥٥؟

٣- ﴿**فِيهِنَّ**﴾: في الجنّتين وما اشتملتا عليه، من العلالي والقصور، ﴿**قاصِراتُ الطَّرْفِ**﴾: العينِ على أزواجهنّ المتّكئين من الإنس والجنّ، ﴿**لَم يَطمِثْهُنَّ**﴾: يَفتَضّهنّ - وهنّ من الحُور أو من نِساء الدنيا المنشآت - ﴿**إنسٌ قَبلَهُم ولا جانٌّ** ٥٦، **فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٥٧؟ **كأنَّهُنَّ الياقُوتُ**﴾ صفاءً، ﴿**والمَرجانُ**﴾ ٥٨ أي: اللؤلؤ بياضًا. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٥٩؟ **هَل**﴾: ما ﴿**جَزاءُ الإحسانِ**﴾ بالطاعة ﴿**إلّا الإحسانُ**﴾ ٦٠ بالنعيم؟ ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ ٦١؟

٤- ﴿**ومِن دُونِهِما**﴾ أي: الجنّتين المذكورتين ﴿**جَنّتانِ**﴾ ٦٢ أيضًا، لمن خاف مَقام ربّه، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٦٣؟ **مُدْهامَّتانِ**﴾ ٦٤: سَوداوانِ من شِدّة خُضرتهما. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٦٥؟ **فِيهِما عَينانِ نَضّاخَتانِ**﴾ ٦٦: فوّارتانِ بالماء لا تنقطعان، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ٦٧؟ **فِيهِما فاكِهَةٌ ونَخلٌ ورُمّانٌ**﴾ ٦٨ هما منها، وقيل: من غيرها. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ ٦٩؟

---

(١) يعرف: يميز ويكشف لمرأى الجميع. والمجرم: المنهمك في الإجرام والفساد باختيار وعزم. وهو هنا الكافر من الإنس والجان، لأن الكفر أشنع الإجرام. والسيما: العلامة المميزة. ويؤخذ: يمسك ويجر إلى جهنم. والنواصي: جمع ناصية. وهي الشعر في مقدم الرأس. والأقدام: جمع قدم. وتضم أي: تشد وتحزم. ويقال لهم أي: تقول لهم ملائكة العذاب تبكيتًا وتأنيبًا وإهانة. وهذه أي: ما أنتم فيها تقاسون. وجهنم: اسم علم لدار العذاب في الآخرة. ويكذب بها أي: كان في الدنيا ينكر وجودها. ومنقوص أي: حرفه الأخير ياء حذفت لاتصالها ساكنة بالتنوين.

(٢) خافه: خشيه واستعد له بالتقوى والطاعة. ومنهم: من الإنس والجان كما ذكرنا قبل. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. وذواتا أي: صاحبتا. وفيهما: في كل منهما. والعين: اليَنبوع من الماء أو اللبن أو العسل أو الخمر. وتجري: تسيل بسرعة. والفاكهة: الثمار المستلذة. والزوج: ما يكون له مقابل من جنسه. والمتكئ: المضطجع أو الجالس باطمئنان وأمان. والفرش: جمع فراش. وهو ما يُمهد من الأثاث للجلوس عليه أو النوم. والبطائن: جمع بِطانة. وهي مايحشى به الفراش. والديباج: الحرير. والظهائر: جمع ظِهارة. وهي مايظهر للعين من الأشياء. والسندس: مارق ولان من الحرير. وجنى الجنتين أي: جنى كل جنتين للمكرَم.

(٣) فيهن: في جنان المتكئين. انظر الآية ٧٠. والعلالي: جمع عِلّيّة. وهي الغرفة العالية الفاخرة. والقاصرة: الحابسة الحاجزة. والطرف: العين، اسم جنس يدل على الكثرة، أي: العيون. وقاصرة الطرف: المرأة تغض بصرها حياء وخفرًا. ويفتضهن: يجامعهن لإزالة البكارة. والمراد أنهن لم يتصل بهن ذكر، وهن خالصات لأزواجهن. والمنشآت: المخلوقات ابتداء دون ولادة. وقبلهم: قبل الأزواج المذكورين. والياقوت: جوهر أحمر مشهور بشفافيته وبريقه، واحدته ياقوتة. والمرجان: انظر تفسير الآية ٢٢. والجزاء: المكافأة والثواب. والإحسان بالطاعة: الإخلاص في العبادة. والإحسان بالنعيم: الإكرام في الثواب.

(٤) من دونهما: أمامهما وقبلهما. انظر الآية ٥٦. والمذكورتين أي: في الآية ٤٦. ولاتنقطع أي: مايجري فيها، من الماء أو الخمرة أو العسل أو اللبن، لاينتهي وهو دائم أبدًا. والفاكهة: الثمار المستلذة. والنخل: الشجر ثمره البلح والتمر واحدته نخلة. والرمان: شجر ثمره كالكرة، فيه حب لذيذ حامض أو حلو أو بينٌ بين. وهما منها: يعني أن النخل والرمان هما من الفاكهة، كما هو مذهب الشافعي. ومن غيرها أي: ليسا من الفاكهة، كما قال أبو حنيفة، لأن ثمرهما يكون في الدنيا للغذاء والشراب أيضًا.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

١- ﴿**فِيهِنَّ**﴾ أي: الجنّتين وقصورِهما ﴿**خَيْراتٌ**﴾ أخلاقًا ﴿**حِسانٌ**﴾ ٧٠ وُجوهًا، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ٧١؟ حُورٌ**﴾: شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها، ﴿**مَقصُوراتٌ**﴾: مستورات ﴿**في الخِيام**﴾ ٧٢ من دُرٍّ مجوَّفٍ، مُضافةً إلى القُصور شبيهةً بالخُدور، ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ٧٣؟ لَم يَطمِثْهُنَّ إنسٌ قَبلَهُم**﴾: قبل أزواجهنّ ﴿**ولا جانٌّ ٧٤، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ٧٥؟ مُتَّكِئِينَ**﴾ أي: أزواجُهنّ - وإعرابه كما تقدّم - ﴿**على رَفرَفٍ خُضرٍ**﴾: جمع رفرفة، أي: بُسط أو وسائد، ﴿**وعَبقَرِيٍّ حِسانٍ**﴾ ٧٦: جمع عبقريّة، أي: طنافس. ﴿**فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ٧٧؟ تَبارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ والإكرامِ**﴾ ٧٨! تقدّم، ولفظ «اسم» زائد.

ربع الحزب ٥٤

سورة الواقعة

٢- مكية إلّا «أفبهذا الحديث» الآية، و«ثُلة من الأولين» الآية، وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**إذا وَقَعَتِ الواقِعةُ**﴾ ١ قامتِ القِيامة، ﴿**لَيسَ لِوَقْعَتِها كاذِبةٌ**﴾ ٢: نفسٌ تكذب بأن تنفيها، كما نفتها في الدنيا، ﴿**خافِضةٌ رافِعةٌ**﴾ ٣ أي: هي مُظهِرة لخفض أقوام بدُخولهم النارَ، ولرفع آخرين بدُخولهم الجنّةَ، ﴿**إذا رُجَّتِ الأرضُ رَجًّا**﴾ ٤: حُرّكتْ حركة شديدة، ﴿**وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا**﴾ ٥: فُتّتتْ، ﴿**فكانَت هَباءً**﴾: غُبارًا ﴿**مُنبَثًّا**﴾ ٦: منتشرًا - وإذا الثانية: بدل من الأُولى - ﴿**وكُنتُم**﴾ في القِيامة ﴿**أزواجًا**﴾: أصنافًا ﴿**ثَلاثةً ٧، فأصحابُ المَيمَنةِ**﴾ وهم الذين يُؤتَون كُتبَهم بأيمانهم، مبتدأ خبرُه: ﴿**ما أصحابُ المَيمَنةِ**﴾ ٨! تعظيمٌ لشأنهم بدخولهم الجنّةَ، ﴿**وأصحابُ المَشْأمةِ**﴾ أي: الشِّمالِ بأن يُؤتَى كُلّ منهم كِتابَه بشِماله ﴿**ما أصحابُ المَشْأمةِ**﴾ ٩! تحقيرٌ لشأنهم بدخولهم النار، ﴿**والسّابِقُونَ**﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء: مبتدأ ﴿**السّابِقُونَ**﴾ ١٠: تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبرُ: ﴿**أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ ١١، في جَنّاتِ النَّعِيمِ ١٢، ثُلّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ**﴾ ١٣ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية، ﴿**وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾ ١٤: من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبرُ: ﴿**على سُرُرٍ مَوضُونةٍ**﴾ ١٥: منسوجة بقضبان الذهب والجواهر، ﴿**مُتَّكِئِينَ علَيها مُتَقابِلِينَ**﴾ ١٦: حالان من الضمير في الخبر.

(١) فيهن: انظر الآية ٥٦. والخَيرة: الفاضلة المتميزة. والحسان: جمع حسناء في الموضعين. وهي الفائقة الجمال. والحور: جمع حوراء. والمستورة: المطمئنة في خدرها، لاتطمح إلى غير زوجها. والخيام: جمع خِيَم. والخِيَم: جمع خَيمة. وهي منزل الإقامة والاستقرار. والمجوف: الموسع جوفه. ومضافة أي: بالإضافة. يعني أنها داخل القصور. والخدور: جمع خِدر. وهو الستار داخل الدار يقال له: المخدع. ولم يطمثهن: انظر الآية ٥٦. ومتكئين وكما تقدم: انظر الآية ٥٤. ورفرف: انظر الآية ١٧ من سورة النجم. والخضر: جمع خضراء. والعبقرية: الفائقة الجَودة كأنّها من صناعة الجن. والطنافس: جمع طِنفِسة. وهي البساط ذو الخَمَل الرقيق. وتبارك: تعالى وتعظم. وتقدم أي: في الآية ٢٧. وزائد: يعني أن المراد «تبارك ربّك». وزيادة الأسماء لاتجوز، والصواب أن التعظيم للاسم، من حيث إنه مطلق على الذات الإلٰهية، ويفيد المبالغة في تعظيمها.

(٢) الآية يعني الآيتين ٨١ و١٣ أو ٣٩، إذ الرواة مختلفون في تعيين الآية الثانية. والظاهر أن المراد هو الآيات الأربع ٨١ و٨٢ و٣٩ و٤٠، نزلت بعد الهجرة كما جاء عن الكلبي. تفسير القرطبي ١٧: ١٩٤. فالتعبير بالآية هنا يراد به الآيتان، لأنهما في تركيب واحد. والخلاف في عدد الآيات مصدره اختلاف الرواية في تحديد أواخر بعضها.

(٣) قامت: جاءت وحصلت بعنف وشدة، في الوقت المقدر لها حين البعث والنشور. والقيامة: قيام الناس من القبور للحساب. ووقعتها: حصولها فعلًا. وبأن تنفيها أي: في نفيها حين وقوعها لأنها وقعت حقيقة، ولم يبق مجال للكذب الذي كان قبل. فاللام بمعنى: في. وأظهر من هذا أن «كاذبة»: بمعنى التكذيب. والمعنى: لامجال لتكذيبها، وقد حدثت بالفعل. والخفض: الإذلال والإهانة للكافرين والعصاة. والرفع: الإعزاز والإكرام للمؤمنين والصالحين. والأرض: مكان الحياة الدنيا. والجبال: جمع جبل. وهو ما ارتفع وغلظ من اليابسة. وكانت: صارت. وبدل: يعني أنها في محل نصب بالبدلية للبيان والتوكيد. وكنتم: انقسمتم وصرتم. والخطاب لجنس الخلائق العاقلة. والأزواج: جمع زوج. وهو الصنف يقابل غيره من أصناف جنسه. والأصحاب: جمع صاحب. وهو من يلازم الشيء. والميمنة: اليُمن والبركة. والأيمان: جمع يمين. وهي اليد اليمنى. ومبتدأ خبره: يعني أن «أصحاب»: مبتدأ خبره جملة «ما أصحاب» في محل رفع. وكذلك ما في الآية ٩. والسابقون: من تقدموا غيرهم وسبقوهم. والمراد من سبقوا إلى الإيمان والطاعة، دون تلعثم أو توان، ومنهم الأنبياء. والخبر: يعني أن الآية ١١ في محل رفع خبر للمبتدأ «السابقون» في أول الآية. والمقرب: من علت منزلته عند الله وقربت. ومبتدأ أي: ثلة، والخبر محذوف يتعلق به: على سرر. والآخرون: آخِر الأمم. ومن أمة: تفسير لـ «قليل» أي: هي أمة الإسلام. وهم أي: الثلة والقليل. والسرر: جمع سرير. وهو ما يعلو ويستقر من المقاعد. والمتكئ: المضطجع بطمأنينة. ومتقابلين أي: بالزيارة والأنس. والضمير في الخبر أي: المستتر في الخبر المحذوف الذي يتعلق به: على سرر. وانظر الآيتين ٣٩ و٤٠.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١ - ﴿**يَطُوفُ عليهِم**﴾ للخدمة ﴿**وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ ١٧: على شكل الأولاد لا يَهرمون، ﴿**بِأكْوابٍ**﴾: أقداح لا عُرَى لها، ﴿**وأباريقَ**﴾ لها عُرًى وخراطيمُ، ﴿**وكأسٍ**﴾: إناءِ شربِ الخمر ﴿**مِن مَعِينٍ**﴾ ١٨ أي: خمرٍ جارية من منبع لا ينقطع أبدًا، ﴿**لا يُصَدَّعُونَ عَنها ولا يُنزَفُونَ**﴾ ١٩ - بفتح الزاي وكسرها، من: نُزِفَ الشاربُ وأنزَفَ - أي: لا يحصُل لهم منها صُداع، ولا ذَهاب عقل بخِلاف خمر الدنيا، ﴿**وفاكِهةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠، ولَحمِ طَيرٍ مِمّا يَشتَهُونَ ٢١، و**﴾ لهم للاستمتاع ﴿**حُورٌ**﴾: نساء شديدات سوادِ العُيون وبياضِها، ﴿**عِينٌ**﴾ ٢٢: ضِخامُ العُيون - كُسرت عينه بدل ضمّها لمجانسة الياء، ومفرده عَيناء كحَمراء. وفي قراءة بجرٍّ «حورٍ عينٍ» - ﴿**كأمثالِ اللُّؤلُؤِ المَكنُونِ**﴾ ٢٣: المصون، ﴿**جَزاءً**﴾: مفعول له أو مصدر، والعامل مُقدّر، أي: جعلنا لهم ما ذُكر للجزاء، أو جزيناهم ﴿**بِما كانُوا يَعمَلُونَ ٢٤، لا يَسمَعُونَ فِيها**﴾: في الجنّة ﴿**لَغْوًا**﴾: فاحشًا من الكلام، ﴿**ولا تأثِيمًا**﴾ ٢٥: ما يُؤثِم. ﴿**إلّا**﴾: لكنْ ﴿**قِيلًا**﴾: قولًا ﴿**سَلامًا سَلامًا**﴾ ٢٦: بدلٌ من «قِيلًا» فإنهم يسمعونه.

٢- ﴿**وأصحابُ اليَمِينِ ما أصحابُ اليَمِينِ! ٢٧ في سِدرٍ**﴾: شجرِ النبق ﴿**مَخضُودٍ**﴾ ٢٨: لا شوكَ فيه، ﴿**وطَلحٍ**﴾: شجرِ الموز ﴿**مَنضُودٍ**﴾ ٢٩ بالحمل من أسفله إلى أعلاه، ﴿**وظِلٍّ مَمدُودٍ**﴾ ٣٠: دائم، ﴿**وماءٍ مَسكُوبٍ**﴾ ٣١: جار دائمًا، ﴿**وفاكِهةٍ كَثِيرةٍ ٣٢، لا مَقطُوعةٍ**﴾ في زمن ﴿**ولا مَمنُوعةٍ**﴾ ٣٣ بثمن، ﴿**وفُرُشٍ مَرفُوعةٍ**﴾ ٣٤ على السرر. ﴿**إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءً**﴾ ٣٥ أي: الحُورَ العِين من غير وِلادة، ﴿**فجَعَلْناهُنَّ أبكارًا**﴾ ٣٦: عذارَى، كُلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجعَ، ﴿**عُرُبًا**﴾، بضم الراء وسكونها: جمع عَرُوب - وهي المُتحبّبة إلى زوجها عِشقًا له - ﴿**أترابًا**﴾ ٣٧: جمع تِرب، أي: مُستوياتٍ في السنّ، ﴿**لِأصحابِ اليَمِينِ**﴾ ٣٨: صلة «أنشأناهنّ» أو «جعلناهنّ»، وهم ﴿**ثُلّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ٣٩، وثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾ ٤٠.

٣- ﴿**وأصحابُ الشِّمالِ ما أصحابُ الشِّمالِ ٤١! في سَمُومٍ**﴾: ريح حارّة من النار تنفذ في المسامّ، ﴿**وحَمِيمٍ**﴾ ٤٢: ماء شديد الحرارة، ﴿**وظِلٍّ مِن يَحمُومٍ**﴾ ٤٣: دُخان شديد السواد، ﴿**لا بارِدٍ**﴾ كغيره من الظِّلال، ﴿**ولا كَرِيمٍ**﴾ ٤٤: حسن المنظر. ﴿**إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذٰلِكَ**﴾: في الدنيا ﴿**مُترَفِينَ**﴾ ٤٥: مُنعّمين لا يتعبون في الطاعة، ﴿**وكانُوا يُصِرُّونَ على الحِنثِ**﴾: الذّنب ﴿**العَظِيمِ**﴾ ٤٦ أي: الشرك، ﴿**وكانُوا يَقُولُونَ: أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا لَمَبعُوثُونَ**﴾ ٤٧ - في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين - ﴿**أوَآباؤُنا الأوَّلُونَ**﴾ ٤٨؟ بفتح الواو للعطف. والهمزة: للاستفهام. وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بـ «أوْ» والمعطوف عليه محلّ «إن» واسمِها.

٤- ﴿**قُلْ: إنَّ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ ٤٩ لَمَجمُوعُونَ إلى مِيقاتِ**﴾: وقتِ ﴿**يَومٍ مَعلُومٍ**﴾ ٥٠ أي: يوم القيامة، ﴿**ثُمَّ إنَّكُم - أيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ ٥١ - لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ**﴾ ٥٢: بيانٌ للشجر، ﴿**فمالِئُونَ مِنها**﴾: من الشّجر ﴿**البُطُونَ ٥٣، فشارِبُونَ عَلَيهِ**﴾ أي: الزقّومِ المأكولِ ﴿**مِنَ**

---

(١) يطوف: يحوم. والولدان: جمع وليد. والأكواب: جمع كوب. والعرى: جمع عروة. وهي الأذن يمسك منها الإناء. والأباريق: جمع إبريق. وبكسرها يريد القراءة «ولايُنزِفُونَ». ويتخيرون: يفضّلونه. والطير: واحده طائر. ويشتهون: يخطر ببالهم. والحور: جمع حوراء. والضخام: جمع ضخمة. وهي النجلاء. وكسرت عينه: يعني أن الجمع أصله «عُيْنٌ»، فقلبت الضمة كسرة. والأمثال: جمع مِثل. وهو الشبيه. والجزاء: الثواب. ومفعول له أي: لأجله. ومصدر أي: مفعول مطلق. ويعملون أي: يكتسبونه. ويؤثم: يسبب المعصية. وسلامًا أي: يسلّم بعضهم على بعض. وبدل: يعني أن سلامًا: بدل، والثاني توكيد. (٢) انظر سبب النزول في المفصل. واليمين: اليُمن والبركة. والنبق: له ثمر مذاقه لذيذ ورائحته عطرة. والمنضود: المتراكب. والمقطوعة: المفقودة. وممنوعة: يُمنع تناولها. والفرش: جمع فراش. والمرفوعة: العالية. والإنشاء: الخلق ابتداء. وجعل: صيّر. وأتاهن أزواجهن: قصدوا جماعهن. وعذارى أي: يرجعن عذارى. وهذا من حديث ضعيف في وصف النساء المؤمنات يوم القيامة. انظر الكشاف ٤:٤٦١-٤٦٢. ولاوجع أي: لا يكون مع المضاجعة ألم للبكر. والمراد كونُهن أبكارًا حين يُنشأن. انظر الآيتين ٥٦ و٧٤ من سورة الرحمن. وبسكونها يريد قراءة «عُرْبًا». والأتراب: جمع تِرب. والسن: الشباب الدائم. (٣) الشمال: انظر الآية ٩. ويصرّ: يستمر بعناد. وبتسهيل الثانية يريد القراءة: «أإذا» و«أإنّا». وبإدخال ألف بينهما يريد القراءتين: في الوجه الأول «آإذا» و«آإنّا»، وفي الوجه الثاني: «آإذا» و«آإنّا». والآباء: جمع أب. وهو الجد. وللعطف: يعني أن الواو: حرف عطف. والهمزة أي: التي قبل الواو. والاستبعاد: الإنكار والنفي. ومحل «إن» واسمها: يعني أن آباء: مرفوع بالعطف، و«إن» واسمها في محل ابتداء. (٤) مجموعون: محشورون بالقهر والعنف. واليوم: الزمن. والمعلوم: المعيَّن عند الله. والضال: الخارج عن طريق الحق. والمكذب: المنكر للتوحيد والبعث. والزقوم: من أخبث الشجر. والبطون: جمع بطن. والحميم: الماء الشديد الحرارة. وبضمها يريد القراءة «شُرْبَ». ومصدرٌ: يعني أن الشرب في القراءتين مفعول مطلق لاسم الفاعل قبله. وعطش الإبل هنا مراد به الهُيام. وهو داء يصيبها، فتشرب ولاتروى حتى تسقم أو تموت. والنزل: ما يقدم للضيف. والدين: الجزاء.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿الحَمِيمِ﴾ ٥٤، ﴿فشارِبُونَ شَربَ﴾ - بفتح الشين وضمّها مصدرٌ - ﴿الهِيمِ﴾ ٥٥: الإبل العِطاش، جمع هَيمانَ للذكر وهَيمَى للأنثى، كعَطشانَ وعَطشَى. ﴿هٰذا نُزُلُهُم﴾: ما أُعِدّ لهم ﴿يومَ الدِّينِ﴾ ٥٦: يوم القيامة.

١- ﴿نَحنُ خَلَقْناكُم﴾: أوجدناكم من عدم. ﴿فلولا﴾: فهلّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ ٥٧ بالبعث، إذِ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ﴿أفرَأَيتُم ما تُمنُونَ﴾ ٥٨: تُرِيقون من المنيّ في أرحام النساء؟ ﴿أأنتُم﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركه، في المواضع الأربعة - ﴿تخلُقُونَهُ﴾ أي: المنيَّ بشرًا، ﴿أم نَحنُ الخالِقُونَ ٥٩؟ نَحنُ قَدَّرْنا﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿بينَكُمُ المَوتَ، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾ ٦٠: بعاجزين، ﴿على﴾: عن ﴿أن نُبَدِّلَ﴾: نجعل ﴿أمثالَكُم﴾ مكانكم، ﴿ونُنشِئَكُم﴾: نخلقكم ﴿فِيما لا تعلَمُونَ﴾ ٦١ من الصُّور كالقِردة والخنازير، ﴿ولَقَد عَلِمتُمُ النَّشاةَ الأُولَى﴾. وفي قراءة بسُكون الشين. ﴿فلولا تذَّكَّرُونَ﴾ ٦٢ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال.

نصف الحزب ٥٤

٢- ﴿أفرَأَيتُم ما تَحرُثُونَ﴾ ٦٣: تُثيرون الأرضَ وتُلقون البذر فيها؟ ﴿أأنتُم تزرَعُونَهُ﴾: تُنبتونه، ﴿أم نَحنُ الزّارِعُونَ ٦٤؟ لو نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطامًا﴾: نباتًا يابسًا لا حبّ فيه، ﴿فظَلْتُم﴾ - أصله «ظَلِلتُم» بكسر اللام حُذفت تخفيفًا - أي: أقمتم نهارًا ﴿تفَكَّهُونَ﴾ ٦٥، حُذفتْ منه إحدى التاءين في الأصل: تَعجَبون من ذلك، وتقولون: ﴿إنّا لَمُغرَمُونَ﴾ ٦٦ نَفَقة زرعِنا، ﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾ ٦٧: ممنوعون رزقَنا. ﴿أفرَأَيتُمُ الماءَ الَّذي تَشرَبُونَ ٦٨؟ أأنتُم أنزَلتُمُوهُ مِنَ المُزنِ﴾: السحاب جمعُ مُزنة، ﴿أم نَحنُ المُنزِلُونَ ٦٩؟ لو نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجًا﴾: مِلحًا، لا يُمكن شُربه. ﴿فلولا﴾: فهلّا ﴿تشكُرُونَ ٧٠. أفرَأَيتُمُ النّارَ الَّتي تُورُونَ﴾ ٧١ تُخرِجون من الشجر الأخضر؟ ﴿أأنتُم أنشأتُم شَجَرَتَها﴾، كالمَرخ والعَفار والكَلخ، ﴿أم نَحنُ المُنشِئُونَ؟ ٧٢ نَحنُ جَعَلْناها تَذكِرةً﴾ لنار جهنّم، ﴿ومَتاعًا﴾: بُلغةً ﴿لِلمُقوِينَ﴾ ٧٣: للمسافرين. مِن: أقوَى القومُ، أي: صاروا بالقِواءِ، بالمدّ والقصر، أي: القَفرِ. وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ﴿فسَبِّحْ﴾: نزّهْ ﴿باسمِ﴾ - زائدٌ - ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ ٧٤ أي: اللهِ.

٣- ﴿فلا أُقسِمُ﴾، لا: زائدةٌ، ﴿بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥: بمساقطها لغروبها - ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القَسَمَ بها ﴿لَقَسَمٌ، لو تَعلَمُونَ، عَظِيمٌ﴾ ٧٦ أي: لو كنتم من ذوي العِلم لعلمتم عِظَمَ هذا القسم - ﴿إنَّهُ﴾ أي: المَتلوَّ عليكم ﴿لَقُرآنٌ كَرِيمٌ ٧٧، في كِتابٍ مَكنُونٍ﴾ ٧٨: مصون وهو المُصحف، ﴿لا يَمَسُّهُ﴾: خبرٌ بمعنى النهي ﴿إلّا المُطَهَّرُونَ﴾ ٧٩: الذين طهّروا أنفُسهم من الأحداث، ﴿تَنزِيلٌ﴾: مُنزّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ ٨٠.

---

(١) هلّا: حرف تحضيض. وتصدقون: تعتقدون يقينًا. وأرأيتم: أخبروني. وبإبدال الثانية يعني: «آنتُم»؟ وبتسهيلها يعني: «أآنتُم»؟ وإدخال ألف أي: «آآنتُم»؟ وتركه أي: عدم المد كما في القراءة الثالثة. والمواضع الأربعة هي هذه الآية، والآيات ٦٤ و٦٨ و٧٢. وتخلقونه: تنشئونه إنسانًا سويًا. وقدرناه: قضينا به لاينجو منه أحد. وبالتخفيف يريد القراءة «قَدَرْنا». والأمثال: جمع مِثل. والمراد: بشرًا آخر يُشبهكم. ولا تعلمون: لا تعرفونه من الخلق. وما ذكر من القردة والخنازير يناسب تفسير الإنشاء بالتبديل، وينافي كونهم لايعلمونه. والنشاءة: الخَلقة من العدم. وسكون الشين أي: «النَّشْأَة». وتذّكّرون: تتعظون لتعرفوا أن من قدر عليها قادر على البعث.

(٢) نشاء: نريد أن نحطمه. وجعل: صيّر. و«نهارًا» الصواب أن «ظللتم» فيه معنى الاستمرار دون قيد زمان، أي: بقيتم باستمرار. والمغرم: من يلزمه خسارة. وأنزل: أسقط. وتشكر: تستحضر النعمة وتثني على صانعها بالقلب واللسان والعمل. وتورون: توقدونها. والشجر الأخضر أي: وغيره من المواد القابلة للاشتعال. وأنشأ: أوجد. والمرخ والعَفار: نباتان تستعمل أعوادهما لقدح النار. والكِلخ: نبات يؤخذ منه عودان، ويضرب أحدهما على الآخر فتتولد النار. وجعل: صيّر. والتذكرة: الوعظ. والبلغة: ما يوصل به إلى تحقيق الحاجات. والمسافرين أي: وغيرهم من الناس. والقصر أي: القِوَى. وزائد: كذا. وانظر الآيتين ١ من سورة الأعلى و٥١ من سورة الحاقة. والعظيم: لامثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يتصوره عقل ولاتحيط بكنهه بصيرة.

(٣) أُقسم: أحلف. وزائدة أي: لتوكيد القسم. والمواقع: جمع موقع، السقوط وقت الغياب. والنجوم: جمع نجم. والقسم بهذه المواقع لما فيها من الدلالة على عظمة الخالق وكمال قدرته. والعظيم: لامثيل له. وقرآن أي: وحي من عند الله يقرأ ويفهم. وكريم: عزيز مكرم عند الله. والكتاب: ما يكتب فيه ليقرأ ويتلى. ومصون أي: من التغيير والتبديل. ويمسه: يلمسه ويقرأ فيه. وخبر بمعنى النهي أي: أن الجملة خبرية، مراد بها النهي عن المس للقرآن بدون طهارة. والأحداث: جمع حَدَث. وهو النجاسة التي يزيلها الوضوء أو الغِسل أو التيمم. والعالمون: جمع عالَم. وهو مجموع الجنس من الخلق.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ — ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

١- ﴿**أفبِهٰذا الحَديثِ**﴾: القُرآن، ﴿**أنتُم مُدهِنُونَ**﴾ ٨١: مُتهاونون مُكذّبون، ﴿**وتَجعَلُونَ رِزقَكُم**﴾ من المطرِ أي: شُكرَه ﴿**أنَّكُم تُكَذِّبُونَ**﴾ ٨٢ بسُقيا الله، حيثُ قلتم: مُطرنا بنوء كذا؟ ﴿**فَلولا**﴾: فهلّا، ﴿**إذا بَلَغَتِ**﴾ الروحُ وقتَ النزع ﴿**الحُلقُومَ**﴾ ٨٣ هو مجرى الطعام، ﴿**وأنتُم**﴾ - يا حاضري الميّت - ﴿**حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**﴾ ٨٤ إليه، ﴿**ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ مِنكُم**﴾ بالعِلم، ﴿**ولٰكِن لا تُبصِرُونَ**﴾ ٨٥: من البصيرة، أي: لا تعلمون ذلك، ﴿**فَلولا**﴾: فهلّا - ﴿**إن كُنتُم غَيرَ مَدِينِينَ**﴾ ٨٦: مَجزيِّين بأن تُبعثوا، أي: غيرَ مبعوثين بزعمكم - ﴿**تَرجِعُونَها**﴾: تردّون الروح إلى الجسد بعد بُلوغ الحُلقوم، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٨٧ فيما زعمتم. «فلولا» الثانية: تأكيد للأُولى. وإذا: ظرف لـ «ترجعون» المُتعلّقِ به الشرطان. والمعنى: هلّا ترجعونها، إن نفَيتم البعث صادقين في نفيه، أي: لِينتفيَ عن محلّها الموتُ فالبعث.

٢- ﴿**فأمّا إن كانَ**﴾ الميّت ﴿**مِنَ المُقَرَّبِينَ ٨٨ فرَوحٌ**﴾ أي: فله استراحةٌ، ﴿**ورَيحانٌ**﴾: رزق حسن، ﴿**وجَنّةُ نَعِيمٍ**﴾ ٨٩ - وهل الجواب لِـ «أمّا» أو لِـ «إن» أو لهما؟ أقوالٌ - ﴿**وأمّا إن كانَ مِن أصحابِ اليَمِينِ ٩٠ فسَلامٌ لَكَ**﴾، أي: له سلامةٌ من العذاب، ﴿**مِن أصحابِ اليَمِينِ**﴾ ٩١: من جهة أنه منهم، ﴿**وأمّا إن كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ ٩٢ فنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ ٩٣، وتَصلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤، إنَّ هٰذا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ**﴾ ٩٥. من إضافة الموصوف إلى صِفته. ﴿**فَسَبِّحْ باسمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**﴾ ٩٦: تقدّمَ.

سورة الحديد

مكية أو مدنية، وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**سَبَّحَ لِلّٰهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: نزّهه كُلُّ شيء - فاللام: مزيدة. وجيء بـ «ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر - ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾ في مُلكه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ ١ في صُنعه، ﴿**لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي**﴾ بالإنشاء ﴿**ويُمِيتُ**﴾ بعده، ﴿**وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ٢. هُوَ الأوَّلُ**﴾ قبل كُلّ شيء بلا بِداية، ﴿**والآخِرُ**﴾ بعد كُلّ شيء بلا نِهاية، ﴿**والظّاهِرُ**﴾ بالأدلّة عليه، ﴿**والباطِنُ**﴾ عن إدراك الحواس، ﴿**وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٣.

---

(١) الحديث: ما يُنقل من الكلام. وتجعل: تصيّر. والرزق: ما يهيأ للمخلوق من الحاجات. وتكذبون بها: تنكرونها. والمعنى: تجعلون تكذيب الحق بدل الشكر، فتنسبون التقدير إلى الكواكب. وبنوء كذا: بفعل الكواكب وتدبيرها. انظر «المفصل». وبلغتْه: ارتفعتْ إليه وأدركته حين غرغرة الموت. والروح: روح من يعز عليكم موته. و«مجرى الطعام» صوابه: مجرى النفَس. والميت: المشرف على الموت. وبالعلم أي: والسلطان والقهر. والمدين: المملوك بالعبودية. والصادق: من يقول الحق. وتأكيد أي: تأكيد لفظي. ومحلها: محل الروح. وهو الجسد الذي تخرج منه. وهلّا ترجعونها أي: إن كنتم صادقين، في نفي العبودية والبعث، فردوا روح المحتضَر إلى ما كانت عليه في الجسد، حين تخرج ، ليزول الموت ويتحقق نفي العبودية وقدرة الله على خلق الموت والبعث.

(٢) الميت: المذكور في الآيات ٨٣ - ٨٥. والمقربون: ذوو المكانة العالية. وهم السابقون المذكورون في الآية ١٠. والريحان: انظر الآية ١٢ من سورة الرحمن. والجنة: البستان العظيم. والنعيم: الحالة الحسنة. والجواب يعني: «فروح» وما يناظره في الآيتين ٩١ و٩٣. وأقوال: يعني أنها توجيهات ثلاثة. واليمين: الميمنة. انظر الآية ٢٧. وسلامة أي: نجاة وأمن. يعني أنه يقال له ذلك يوم القيامة، وفيه معنى الدعاء. ومن جهة أنه أي: من أجل أنه. والمكذب: من أصحاب الشمال في الآية ٤١. والضال: الخارج عن طريق الهدى. والنزل: ما يقدم للضيف. والحميم: الماء في منتهى الحرارة. والتصلية: الإحراق. والحق: الثابت. واليقين: الخبر المتيقّن. وتقدم يعني: ما ورد في الآية ٧٤.

(٣) السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وانظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. ومزيدة أي: للتقوية والتوكيد. والأكثر: المخلوقات غير العاقلة. فالملائكة والمؤمنون يسبّحون بلسان المقال، وغيرهم من الخلق يكون تنزيهه بما يدل عليه وجوده وخضوعه، من عظمة الله وكمال صفاته. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والملك: الحيازة والتصرف. ويحيي: يخلق الحياة من العدم. والإنشاء: الخلق الأول. ويميت: ينزع الحياة من الحي. والقدير: البالغ القدرة والتصرف. والأول: السابق على جميع الموجودات. والآخر: الباقي بعد فنائها. والظاهر: الواضح وجوده وألوهيته. والباطن: الخفي بحقيقة ذاته. والحواس أي: والعقول والأوهام. والعليم: المبالغ في الإحاطة دائمًا وأبدًا.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

١ - ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، في سِتّةِ أيّامٍ**﴾ من أيام الدنيا، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿**ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ**﴾: الكرسيّ استواءً يليق به، ﴿**يَعلَمُ ما يَلِجُ**﴾: يدخل ﴿**في الأرضِ**﴾ كالمطر والأموات، ﴿**وما يَخرُجُ مِنها**﴾ كالنبات والمعادن، ﴿**وما يَنزلُ مِنَ السَّماءِ**﴾ كالرحمة والعذاب، ﴿**وما يَعرُجُ**﴾: يصعد ﴿**فِيها**﴾ كالأعمال الصالحة والسيّئة، ﴿**وهُوَ مَعَكُم**﴾ بعلمه ﴿**أينَما كُنتُم، واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٤، ﴿**لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ**﴾ ٥ الموجودات جميعها، ﴿**يُولِجُ اللَّيلَ**﴾: يُدخله ﴿**في النَّهارِ**﴾ فيزيد وينقص الليلُ، ﴿**ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ**﴾ فيزيد وينقص النهارُ، ﴿**وهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٦: بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

٢ - ﴿**آمِنُوا**﴾: داوموا على الإيمان ﴿**بِاللهِ ورَسُولِهِ، وأنفِقُوا**﴾ في سبيل الله ﴿**مِمّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ**﴾، من مالِ مَن تقدّمكم وسيَخلُفكم فيه مَن بعدكم. نزلَ في غزوة العُسرة، وهي غزوة تَبوكَ. ﴿**فالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وأنفَقُوا**﴾ - إشارة إلى عُثمان رضي الله عنه - ﴿**لَهُم أجرٌ كَبِيرٌ**﴾ ٧. ﴿**وما لَكُم لا تُؤمِنُونَ بِاللهِ**﴾ - خِطابٌ للكُفّار - أي: لا مانع لكم من الإيمان بالله، ﴿**والرَّسُولُ يَدعُوكُم لِتُؤمِنُوا بِرَبِّكُم، وقَد أُخِذَ**﴾ - بضمّ الهمزة وكسر الخاء، وبفتحهما ونصب ما بعده - ﴿**مِيثاقُكُم**﴾ عليه؟ أي: أخذَه اللهُ في عالم الذرّ، حِين أشهدهم على أنفُسهم: «ألَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بلَى»، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ ٨ أي: مُريدين الإيمانَ به فبادروا إليه. ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ علَى عَبدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾: القُرآنَ، ﴿**لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان، ﴿**وإنَّ اللهَ بِكُم**﴾، في إخراجكم من الكُفر إلى الإيمان، ﴿**لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ٩.

٣ - ﴿**ومالَكُم**﴾ بعد إيمانكم ﴿**ألّا**﴾ - بإدغام نون «أنْ» في لام «لا» - ﴿**تُنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ، ولِلهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ بما فيهما، فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتُؤجرون؟ ﴿**لا يَستَوِي مِنكُم مَن أنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ**﴾ لمكّةَ ﴿**وقاتَلَ. أُولئِكَ أعظَمُ دَرَجةً مِنَ الَّذِينَ أنفَقُوا مِن بَعدُ وقاتَلُوا، وكُلًّا**﴾ مِن الفريقين - وفي قراءة بالرفع مبتدأ - ﴿**وَعَدَ اللهُ الحُسنَى**﴾: الجنّة، ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ١٠، فيُجازيكم به. ﴿**مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ**﴾، بإنفاق ماله في سبيل الله، ﴿**قَرضًا حَسَنًا**﴾ بأن يُنفقه للهِ، ﴿**فيُضاعِفُهُ**﴾ - وفي قراءة: «فيُضَعِّفُهُ» بالتشديد - ﴿**لَهُ**﴾ من عشر إلى أكثرَ من سبعِمِائة كما ذُكر في «البقرة»، ﴿**ولَهُ**﴾ مع المُضاعفة ﴿**أجرٌ كَرِيمٌ**﴾ ١١ مُقترن به رضًا وإقبال؟

---

(١) خلقها: قدَّر إيجادها من العدم. وانظر الآية الأولى. والأيام: جمع يوم. وهو الوقت، مقداره ألف سنة أو أكثر. وجعلُه من أيام الدنيا غير صحيح، وتعيين أسماء الأيام مستقى من خرافات الإسرائيليات. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة هود. والعرش يحيط بالكون كله، ولايدرك وصفه مخلوق، وهو غير الكرسي. ويليق به أي: بألوهيته وجلاله، ولا يجوز تمثيله أو تقريبه أو تعطيله. ويعلمه: يحيط به كامل الإحاطة. ويخرج: يظهر. وينزل: يَسقط. وتعملون: تكتسبونه. والبصير: المدرك للأحداث. وله... والأرض: انظر الآية ٢. وإلى الله أي: إلى إرادته وسلطانه. وترجع: تردّ في وجودها والتصرف فيها. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن. ويدخله فيه أي: يُنقص من زمان الأول ما يضاف إلى زمان الثاني. والعليم: البالغ الإحاطة. وذات أي: المصاحِبة. والصدور: جمع صدر. والمراد منه القلبُ موطن التدبر والاعتقاد والنيات.

(٢) الإيمان: التصديق اليقيني. وسبيله أي: إعلاء دينه. وجعل: صيّر. ومستخلفين: خلفاء مع التزام أمره ونهيه. وغزوة العسرة كانت في السنة التاسعة من الهجرة. وتبوك: مدينة في جنوب الشام. وعثمان أي: ما بذله بتجهيز الجيش. ويدعو: يبلّغ. وأخذ: حُصّل. وبفتحهما يريد القراءة «أَخَذَ مِيثاقَكُم». والميثاق: العهد المؤكد بالقسم. والذر أي: قبل أن يخلقوا بشرًا. وهو قول مرجوح. انظر الآية ١٧٢من سورة الأعراف وتعليقنا على تفسيرها. وينزل: يوحي. والبينات: الواضحات الدلالة. ويخرج: ينقل. والظلْمة: فقد النور والهداية. والرؤوف: العظيم اللين على التائبين. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة.

(٣) سبيله: طاعته بما شرع لإعلاء كلمته ونصرة دينه. والميراث: الملك بعد فناء الخلق، أي: مآل الملك في الظاهر والحقيقة. والسماوات والأرض: انظر الآية ٢. ولا يستوي: لايكون سواء في المنزلة والأجر، المنفقُ المقاتل قبل الفتح والمنفقُ المقاتل بعده. وأعظم: أضخم وأرفع. والدرجة: المنزلة عند الله. ومن بعد: من بعدِ الفتح. وقراءة الرفع أي: «كُلٌّ». والحسنى: المكافأة تفوق كل نعيم الدنيا. والخبير: العالم بالظاهر والباطن. وانظر آخر الآية ٤. ويقرض: يعطي ما سيكون له عوض كالدَّين المحقق وفاؤه. والحسن: الخالص النية إيمانًا واحتسابًا. انظر «المفصل». ويضاعفه: يعوضه أضعافًا مضاعفة، أي: بأمثاله الكثيرة. وفي بعض المطبوعات نصب الفعل في الموضعين. وذكر أي: في الآية ٢٦١ من تلك السورة. والأجر: المكافأة. والكريم: الحسن الطيب. ورضًا أي: رضا من الله وإكرام. وهذا أفضل نعيم وسعادة.

الجزء السابع والعشرون سورة الحديد

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

١- اذكرْ ﴿**يومَ تَرَى المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، يَسعَى نُورُهُم بَينَ أيدِيهِم**﴾: أمامهم ﴿**و**﴾ يكون ﴿**بِأيمانِهِم**﴾، ويقال لهم: ﴿**بُشْراكُمُ اليَومَ جَنّاتٌ**﴾ أي: دخولها، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها. ذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ ١٢. يَومَ يَقُولُ المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا: انظُرُونا**﴾: أبصِرونا - وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهِلونا - ﴿**نَقتَبِسْ**﴾: نأخذِ القبسَ والإضاءة ﴿**مِن نُورِكُم. قِيلَ**﴾ لهم استهزاءً بهم: ﴿**ارجِعُوا وَراءَكُم، فالتَمِسُوا نُورًا**﴾. فرَجَعوا ﴿**فضُرِبَ بَينَهُم**﴾ وبين المُؤمنين ﴿**بِسُورٍ**﴾ - قيل: هو سور الأعراف - ﴿**لَهُ بابٌ، باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمةُ**﴾ من جِهة المُؤمنين، ﴿**وظاهِرُهُ**﴾ من جِهة المُنافقين ﴿**مِن قِبَلِهِ العَذابُ**﴾ ١٣.

٢- ﴿**يُنادُونَهُم: أَلَم نَكُنْ مَعَكُم**﴾ على الطاعة؟ ﴿**قالُوا: بَلَى، ولٰكِنَّكُم فَتَنتُم أنفُسَكُم**﴾ بالنِّفاق، ﴿**وتَرَبَّصتُم**﴾ بالمُؤمنين الدوائر، ﴿**وارتَبتُم**﴾: شككتم في دِين الإسلام، ﴿**وغَرَّتْكُمُ الأمانِيُّ**﴾: الأطماع، ﴿**حَتَّى جاءَ أمرُ اللهِ**﴾: الموتُ، ﴿**وغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ**﴾ ١٤: الشيطان. ﴿**فاليَومَ لا يُؤخَذُ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مِنكُم فِدْيةٌ، ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا. مأواكُمُ النّارُ، هِيَ مَولاكُم**﴾: أولَى بكم، ﴿**وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ١٥ هي!

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

٣- ﴿**أَلَم يأْنِ**﴾: يَحِنْ ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ - نزلتْ في شأن الصحابة، لمّا أكثروا المُزاحَ - ﴿**أن تَخشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ اللهِ وما نَزَّلَ**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**مِنَ الحَقِّ**﴾: القُرآن، ﴿**ولا يَكُونُوا**﴾: معطوف على «تخشعَ»، ﴿**كالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلُ**﴾ - هم اليهود والنصارى - ﴿**فطالَ علَيهِم الأمَدُ**﴾: الزمن بينهم وبين أنبيائهم، ﴿**فقَسَتْ قُلُوبُهُم**﴾: لم تلِن لذكر الله، ﴿**وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ ١٦؟ اعلَمُوا**﴾ - خِطاب للمُؤمنين المذكورين - ﴿**أنَّ اللهَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها**﴾ بالنبات. فكذلك يفعل بقُلوبكم، يردّها إلى الخُشوع. ﴿**قد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ**﴾ الدالّةَ على قُدرتنا بهذا وغيره، ﴿**لَعَلَّكُم تعقِلُونَ**﴾ ١٧.

٤- ﴿**إنَّ المُصَّدِّقِينَ**﴾ - من التصدّقِ أُدغمَتِ التاءُ في الصاد - أي: الذين تَصدّقوا ﴿**والمُصَّدِّقاتِ**﴾: اللاتي تصدّقْنَ، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق: الإيمان، ﴿**وأقرَضُوا اللهَ**﴾ - راجعٌ إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعُطف الفِعل على الاسم في صِلة «أل» لأنه فيها حلّ محلّ الفِعل، وذِكرُ القرض بوصفه بعد التصدّق تقييد له - ﴿**قَرضًا حَسَنًا يُضاعَفُ**﴾، وفي قراءة: «يُضَعَّفُ» بالتشديد، أي: قَرضُهم ﴿**لَهُم، ولَهُم**

(١) ترى: تبصر عِيانًا. والخطاب لكل سامع أو قارئ. ويسعى: ينتقل معهم يهديهم إلى الجنة. والنور: ضياء الإيمان والصلاح. والأيدي: جمع يد. والأيمان: جمع يمين. وهي الجهة اليمنى، والمراد جميع الجهات. ويقال أي: تقول الملائكة. والبشرى: البشارة بالسعادة. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. والفوز: الظفر. والعظيم: الضخم لا تستطيع العقول إدراكه. والمنافق: من يظهر الإيمان بلسانه. وأبصرونا: توجهوا إلينا بأبصاركم. وبفتح الهمزة يريد القراءة «أنظِرُونا». والقبس: الشعلة يستضاء بها. وقيل أي: قالت ملائكة العذاب. وارجعوا: عودوا. ووراءكم: إلى حيث كنتم. والتمسوا: اطلبوا. وضرب: وضع. والسور: الحاجز يحيط بالمؤمنين في الجنة. والباب: المنفذ لمرور باقي المؤمنين، ممن استوت حسناتهم وسيئاتهم. وباطنه: الجانب الداخلي منه. وظاهره: الجانب الخارجي منه. والرحمة: العطف بالثواب. ومن قِبَله أي: من جهته.

(٢) يناديه: يخاطبه. وعلى الطاعة أي: كالصلاة والغزو. وبلى أي: كنتم معنا على ذلك. وفتن: عرّض للهلاك. والأنفس: جمع نفس. وتربصتم: توقعتم. والدوائر: المصائب. وغر: خدع. والأمانيّ: جمع أُمنيّة، أي: في المغفرة أو هزيمة المسلمين. وجاء: وقع. والأمر: الحكم. وبالله أي: بسعة رحمته. والغرور: الكثير التضليل. ويؤخذ: يرضى. وبالتاء يريد القراءة «لاتُؤخَذُ». والفدية: ما يبذل لإنقاذ النفس. والمأوى: مكان الالتجاء. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والشقاء. والمصير: المكان الذي يصار إليه.

(٣) يأني أي: يأتي وقته. انظر «المفصل». وتخشع: تلين وتخضع. والقلوب: جمع قلب. وذكر الله أي: تذكيره إياهم وعظته لهم. ونزّل: أوحى. وفي قرة العينين: «نُزِّلَ». وبالتخفيف يريد القراءة «نَزَلَ». والحق: الشيء الثابت. ويكون: يصير. وأُوتوه: أعطوه وكلفوا بما فيه. والكتاب: التوراة والإنجيل. وطال: امتد. وقست: غلظت وتصلبت. والفاسق: الخارج على الدين. واعلموا أي: دوموا على التذكر. ويحييها: يخلق فيها الحياة. وموتها: همودها لفقد الماء والنبات. وبيّنّا: أظهرنا. والآيات: الحجج. وتعقلون: تتفتح عقولكم فتدرك الحق وتستجيب له دائمًا.

(٤) التصدق: بذل صدقات التطوع. وتخفيف الصاد يعني «المُصَدِّقِينَ والمُصَدِّقاتِ». وأقرضه: أنفق في سبيله طاعة واحتسابًا. وبالتغليب: يعني أن ضمير الذكور يراد به المصدقون والمصدقات. و«الفعل» صوابه: جملة «أقرضوا». وتقييد له أي: أن جملة «أقرضوا الله قرضًا حسنًا» معطوفة لتقييد التصدق بالحُسن، حتى تكون مضاعفة الثواب. وقرضهم: مكافأته. والأجر: الثواب. والكريم: الحسن. وآمنوا به: صدّقوا جميع قوله وأطاعوه. والرسل: جمع رسول. والشهداء: جمع شهيد. وهو الذي يقول الحق للحكم. وعند ربهم أي: يوم القيامة. وكفر: جحد التوحيد والبعث. والأصحاب: جمع صاحب. والجحيم: نار جهنم الملتهبة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

أجرٌ كَريمٌ ١٨، **والَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾**: المُبالغون في التصديق، **﴿والشُّهَداءُ عِندَ ربِّهِم﴾** على المُكذّبين من الأمم، **﴿لَهُم أجرُهُم ونورُهُم، والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا﴾** الدالّةِ على وحدانيّتنا **﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾** ١٩: النار.

١ - **﴿اعلَمُوا أنَّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ، وزِينةٌ﴾**: تزيين **﴿وتَفاخُرٌ بَينَكُم، وتَكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ﴾** أي: الاشتغالُ فيها - وأمّا الطاعات وما يُعين عليها فمن أمور الآخرة - **﴿كَمَثَلِ﴾** أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثلِ **﴿غَيثٍ﴾**: مطرٍ، **﴿أعجَبَ الكُفّارَ﴾**: الزُّرّاعَ **﴿نَباتُهُ﴾** الناشئُ عنه، **﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾**: يَيبَسُ، **﴿فتَراهُ مُصفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا﴾**: فُتاتًا يَضمحِلُّ بالرياح، **﴿وفي الآخِرةِ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾** لمن آثر عليها الدنيا، **﴿ومَغفِرةٌ مِنَ اللهِ ورِضْوانٌ﴾** لمن لم يؤثر عليها الدنيا، **﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾**: ما التمتع فيها **﴿إلّا مَتاعُ الغُرُورِ﴾** ٢٠. **سابِقُوا إلى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم وجَنّةٍ، عَرضُها كَعَرضِ السَّماءِ والأرضِ﴾**، لو وُصلت إحداهما بالأخرى - والعرض: السَّعة - **﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ. ذلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾** ٢١.

٢ - **﴿ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ في الأرضِ﴾** بالجدب، **﴿ولا في أنفُسِكُم﴾** كالمرض وفقد الولد، **﴿إلّا في كِتابٍ﴾** يعني اللوحَ المحفوظ، **﴿مِن قَبلِ أن نَبرَأَها﴾**: نخلقها - ويقال في النِّعمة كذلك. **﴿إنَّ ذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرٌ﴾** ٢٢ - **﴿لِكَيلا﴾**، كي: ناصبة للفعل بمعنى «أن»، أي: أخبرَ تعالى بذلك، لئلا **﴿تَأسَوا﴾**: تحزنوا **﴿علَى ما فاتَكُم، ولا تَفرَحُوا﴾** فرحَ بطرٍ بل فرحَ شُكر على النِّعمة **﴿بِما آتاكُم﴾**، بالمدّ: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه. **﴿واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ﴾**: متكبر بما أُوتي، **﴿فَخُورٍ﴾** ٢٣ به على الناس، **﴿الَّذِينَ يَبخَلُونَ﴾** بما يجب عليهم، **﴿ويأمُرُونَ النّاسَ بالبُخلِ﴾** به، لهم وعيد شديد، **﴿ومَن يَتَوَلَّ﴾** عمّا يجب عليه **﴿فإنَّ اللهَ هُوَ﴾** - ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه - **﴿الغَنيُّ﴾** عن غيره، **﴿الحَمِيدُ﴾** ٢٤ لأوليائه.

---

(١) اعلموا أي: ليكن في إدراككم دائمًا. والخطاب لكل سامع أو قارئ. والحياة أي: ما فيها إذا انصرف الإنسان إليه، ولم يجعله سبيلًا لنعيم الآخرة. واللعب: العبث الذي لاطائل تحته. واللهو: الفرح بما يَشغل عن المُهمّات. والزينة: التزين بمظاهر الترف والأُبّهة والترفع. خ: «تزيّن». والتفاخر: المباهاة والتطاول بالقوة والمال والسلطان. والتكاثر: المغالبة بالكثرة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من نقد أو متاع أو زينة. والأولاد: جمع ولد. وهو ما ولد من الذكور والإناث. والاشتغال فيها: الانصراف إلى الدنيا فقط. يعني أن ذكر الحياة مراد به الانشغالُ بها عن الحق، لا الحياةُ نفسها. والمَثَل: الصفة. و«هي في إعجابها» إنما ذَكر الضمير المنفصل، لبيان أن المراد بالمشبه هو الحياة الدنيا، لا ما جاء بعدها. ومطر أي: نزل بعد قحط. وأعجب: راق وشدهَ. والكفار: جمع كافر. وهو الذي ينثر الحب ويغطيه بالتراب. والنبات: ما يظهر من زهر وثمار. وتراه: تبصره عِيانًا. والمصفر: الذي بلغ نهاية جفافه. ويكون: يصير. ويضمحل: يتلاشى ويتبدد. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي العنيف. خ: «لمن آثر الدنيا عليها». والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. ومن الله: من عنده تكرمًا وفضلًا. والرضوان: المبالغة في الرضا وقرب المنزلة. والمتاع: التمتع والتنعم. والغرور: الاغترار والانخداع بما لايدوم. وسابقوا: احرصوا أن تكون مسابقتكم في الدنيا، أي: سارعوا مسارعة المتسابقين. والجنة: البستان فيه الشجر والقصور والنعيم. والسماء: مايحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسعة: يعني أن العرض مراد به هنا الاتساع من جميع الجهات، وليس العرض الذي يقابل الطول. وأُعد: خُلق وهيئ. خ: «ورسوله». وانظر الآية ١٩. وذلك: ما ذكر من المغفرة والجنة. والفضل: التفضل بالنعيم والإكرام. ويؤتي: يعطي ويمنح. ويشاء: يريد أن يؤتيه. والعظيم: الذي لامثيل له ولا تدركه العقول.

(٢) أصاب: نزل بكم ونالكم. والمصيبة: ما يسبب الضرر. والأرض أي: ما حولكم من البلاد. وبالجدب أي: وبغيره من الكوارث والجائحات. والأنفس: جمع نفس. وهي شخص الإنسان بروحه وجسده. ونخلقها أي: الأرضَ والنفس والمصيبة. ويقال في النعمة كذلك: يعني أن النعم أيضًا ثابتة مقدَّرة في اللوح المحفوظ، وإنما خُصت المصائب هنا بالذكر لأنها أهم على البشر، من حيث التأنيس وتخفيف وقع البلاء. وذلك: إثبات ما سيكون من المصائب والنعم وتقديره. واليسير: السهل. وبمعنى أن أي: هي هنا حرف مصدري. و«أخبر» يعني أن هذا الفعل يتعلق به «لكيلا». والراجح أن التعلق بما تعلق به «في كتاب». فالثبوت المحتم للمقدَّرات المُبرَمة بصورها وأوقاتها يعني أنها لاتغير ولاتبدل، ولا تقدم ولا تأخر، فلا داعي للحزن الساخط أو الفرح البطر. وتحزن: تغتم بيأس. وفاتكم: لم تحصلوا عليه. والفرح: السرور والاستبشار. وبالمد يكون الفعل من العطاء. وبالقصر يريد القراءة «أتاكُم». ولايحبه: يكرهه ويمقته فلا يريد له الخير. والفخور: المتطاول المتبجح. وفخور أي: ولا كل حزين ساخط يائس، بل يحب الصبور الشكور. ويبخل: يمتنع عن الإنفاق. ويأمرونهم: يشيرون عليهم ويلزمونهم. والناس: من يعرفون من البشر. و«لهم وعيد شديد» يعني أن «الذين»: مبتدأ خبره هذه الجملة المقدرة. والأصح أن «الذين»: بدل من «كل». ويتولى: يُعرض ويمتنع. وضمير فصل أي: وتوكيد. وبسقوطه أي: بعدم وروده. يريد القراءة «فإنَّ اللهَ الغَنيُّ». فعدم ورود الضمير في القراءة هذه يبيّن أنه ضمير فصل، ولو كان عُمدة لما حسن سقوطه بدون دليل. خ وع: «وفي قراءة سقوطه». والغني: المكتفي بذاته لا يحتاج إلى أحد. لأوليائه أي: الحامد لهم بالإحسان إليهم على طاعتهم والإقبال عليهم. فالحميد مبالغة اسم الفاعل من الحمد.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

١- ﴿**لَقد أرسَلْنا رُسْلَنا**﴾: الملائكة إلى الأنبياء، ﴿**بِالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج القواطع، ﴿**وأنزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتب، ﴿**والمِيزانَ**﴾: العدل، ﴿**لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسطِ، وأنزَلْنا الحَدِيدَ**﴾: أخرجناه من المعادن، ﴿**فِيهِ بأسٌ شَدِيدٌ**﴾ يُقاتَل به، ﴿**ومَنافِعُ لِلنّاسِ، ولِيَعلَمَ اللهُ**﴾ عِلمَ مُشاهدة - معطوف على «ليقوم الناس» - ﴿**مَن يَنصُرُهُ**﴾ بأن ينصر دِينه بآلات الحرب من الحديد وغيره، ﴿**ورُسُلَهُ بِالغَيبِ**﴾: حال من هاء «ينصره»، أي: غائبًا عنهم في الدنيا. قال ابن عبّاس: ينصرونه ولا يُبصرونه. ﴿**إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ ٢٥: لا حاجة به إلى النُّصرة، لكنها تنفع من يأتي بها.

٢- ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا وإبراهِيمَ، وجَعَلْنا في ذُرِّيّتِهِما النُّبوّةَ والكِتابَ**﴾ يعني الكُتبَ الأربعة: التوراةَ والإنجيل والزبور والفُرقان، فإنها في ذُرّيّة إبراهيم - ﴿**فمِنهُم مُهتَدٍ، وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ**﴾ ٢٦ - ﴿**ثُمَّ قَفَّينا على آثارِهِم بِرُسْلِنا، وقَفَّينا بِعِيسَى بنِ مَريَمَ وآتَيناهُ الإنجِيلَ، وجَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رأْفةً ورَحْمةً ورَهبانِيّةً**﴾، هي رفضُ النساء واتّخاذُ الصوامع، ﴿**ابتَدَعُوها**﴾ من قِبَل أنفُسهم، ﴿**ما كَتَبْناها علَيهِم**﴾: ما أمرناهم بها. ﴿**إلّا**﴾: لكن فعلوها ﴿**ابتِغاءَ رِضْوانِ**﴾: مرضاةِ ﴿**اللهِ، فما رَعَوها حَقَّ رِعايتِها**﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدِين عيسى ودخلوا في دِين مَلِكهم، وبقي على دِين عِيسَى كثير منهم فآمنوا بنبيّنا، ﴿**فآتَينا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ به ﴿**مِنهُم أجرَهُم. وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ**﴾ ٢٧.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بعِيسَى، ﴿**اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾ مُحمّد ﷺ وعلى عيسى، ﴿**يُؤتِكُم كِفلَينِ**﴾: نصيبَينِ ﴿**مِن رَحْمتِهِ**﴾ لإيمانكم بالنبيَّينِ، ﴿**ويَجعَلْ لَكُم نُورًا تَمشُونَ بِهِ**﴾ على الصراط، ﴿**ويَغفِرْ لَكُم - واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٢٨ - ﴿**لِئَلّا يَعلَمَ**﴾ أي: أعلَمَكم بذلك ليعلمَ ﴿**أهلُ الكِتابِ**﴾: التوراةِ الذين لم يُؤمنوا بمُحمّد ﷺ ﴿**أنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنّهم ﴿**لا يَقدِرُونَ على شَيءٍ مِن فَضلِ اللهِ**﴾، خِلافُ ما في زعمهم أنهم أحبّاء الله وأهل رِضوانه، ﴿**وأنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ**﴾: يُعطيه ﴿**مَن يَشاءُ**﴾. فآتى المُؤمنين منهم أجرهم مرّتين، كما تقدّم. ﴿**واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾ ٢٩.

---

(١) أرسل: بعث وكلف التبليغ والعمل. والرسل: جمع رسول. وهم هنا من البشر لا من الملائكة. انظر «المفصل». وأنزلنا: أوحينا. وبمعنى الكتب أي: يشمل جميع الكتب المنزلة. والعدل أي: الحكم به. ويقومون به: يتعاملون به. والقسط: العدل. والحديد هنا مراد به جنس المعادن وما يشبهها. وإنما خُص الحديد بالذكر لأنه أكثر استعمالًا وأعم نفعًا. وإنزاله هو خلقه وترسيخه في الأرض، مختلطًا بالصخور والتراب والمواد المختلفة. و«أخرجناه» قول غير واف بالدلالة. والبأس: القوة والصلابة. والشديد: القاسي. والمنافع: جمع منفعة. وهي جلب الخير ودفع الضرر. وعلم مشاهدة أي: بظهور المشاهدة الفعلية للطاعة والمعصية، فيكون ذلك حجة على الناس في الحساب. ط: «ورُسُلَهُ». والغيب: الغياب عن الحواس والإدراك. والقوي: الكامل القوة. والعزيز: الغلاب لكل ماعداه. (٢) انظر أول الآية ٢٥. وجعل: صيّر. والذرية: النسل من الأبناء والحفدة. والنبوة: الدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويعني الكتب: انظر الآية ٢٥. ومنهم: من الناس المرسل إليهم. والمهتدي: المسترشد إلى الإيمان. والفاسق: الكافر. وقفينا بهم: جعلناهم تبعًا رسولًا بعد آخر. وعليهم: على إبراهيم ونوح ومن أرسلا إليهم. والآثار: جمع أثر. وهو ما يتركه الإنسان بعد ذهابه. وآتيناه: أوحينا إليه. وجعل: خلق. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. واتبعوه: وافقوه على دينه. وهم الحواريون وأتباعهم من بني إسرائيل. والرأفة: الرقة لدفع الشر. والرحمة: الشفقة لجلب الخير. واتخاذ الصوامع أي: والمبالغة في العبادة والانقطاع عن الناس والنكاح والزينة ولين العيش. والصوامع: جمع صَومعة. وهي البناء العالي الدقيق الرأس. وابتدع: اخترع دون نص شرعي. والابتغاء: الطلب. وما رعوها: ما قاموا بها. والحق: المستحق. وبه أي: بمحمد ﷺ. والأجر: الثواب. وانظر آخر الآية ٢٦. (٣) بعيسى: قول يخالف ماسيرد في الآية ٢٩، والصواب أن المراد أهل الكتاب عامّةً، أي: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. وقد روي أن ٤٠ من أصحاب النجاشي جاؤوا إلى المدينة، وقاتلوا مع الصحابة في أُحد، وأصيبوا بجراحات ولم يقتل منهم أحد. ولما افتخروا على الصحابة نزلت هذه الآية تجعل الفريقين سواء في الرحمة والإكرام. الدر المنثور ٦:١٧٨. وعلى هذا فالخطاب للمؤمنين بالإسلام من أهل الكتاب وغيرهم أيضًا. واتقُوه: تجنبوا سخطه واطلبوا رضاه بالامتثال للطاعة. وآمِنوا به: صدِّقوه واتبِعوا دينه. ويؤتي: يثيب على الاتباع. والرحمة: العطف بالإحسان. ويجعل: يخلق. والنور: الضياء تتضح به الأمور لاختيار الصلاح. وتمشون: تهتدون إلى الجنة وعمل الخير. ويغفر: يستر الذنوب ولا يؤاخذ عليها. والغفور: الكثير المغفرة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. وروي أن اليهود كانوا يقولون: يوشك أن يخرج منا نبي، فيقطع الأيدي والأرجل. ولما جاء الرسول من العرب كفروا به. فنزلت الآية ٢٩ تبين لهم ما يجهلون. لباب النقول. وأعلمكم بذلك ليعلم أي: يفعل كل ذلك ليعلموا. والأهل: الأصحاب المكلفون بما أوحي إليهم. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويقدر عليه: يستطيعه ويتمكن من نيله. والفضل: التفضل بالرحمة والنعيم. وبيده أي: يده قابضة عليه متمكن منه بتصرفه وملكه. ووصف اليد لايجوز فيه تمثيل أوتقريب أو تعطيل. ويشاء: يريد أن يؤتيه ذلك. وذو أي: صاحب ومالك. والعظيم: الضخم لا مثيل له ولا تدركه العقول.

الجزء الثامن والعشرون سورة المجادلة

سورة المجادلة آياتها ٢٢ ترتيبها ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله
والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴿١﴾ الذين يظهرون
منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا الائي
ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن
الله لعفو غفور ﴿٢﴾ والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون
به والله بما تعملون خبير ﴿٣﴾ فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين
مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله
وللكافرين عذاب أليم ﴿٤﴾ إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا
كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين
عذاب مهين ﴿٥﴾ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما
عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴿٦﴾

سورة المُجادِلة

مدنية، ثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿**قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّتي تُجادِلُكَ**﴾: تُراجعك - أيها النبيّ - ﴿**في زَوجِها**﴾ المُظاهِر منها - كان قال لها: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي. وقد سألَتِ النبيَّ عن ذلك، فأجابها بأنها حَرُمتْ عليه، على ما هو المعهود عندهم من أنّ الظِّهار مُوجَبُه فُرقةٌ مُؤبّدة. وهي خَولةُ بنتُ ثعلبةَ، وهو أوسُ بنُ الصامت - ﴿**وتَشتكِي إلَى اللهِ**﴾ وحدتها وفاقتها وصِبية صِغارًا، إن ضمّتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا. ﴿**واللهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُما**﴾: تَراجُعَكما. ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ ١: عالم.

٢- ﴿**الَّذِينَ يظَّهَّرُونَ**﴾ - أصلُه «يَتَظَهَّرُونَ» أُدغمَتِ التاءُ في الظاء. وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أُخرى كـ «يُقاتِلُونَ». وفي الموضع الثاني كذلك - ﴿**مِنكُم مِن نِسائِهِم ما هُنَّ أُمَّهاتِهِم، إنْ أُمَّهاتُهُم إلّا اللّائي**﴾، بهمزة وياء وبلا ياء، ﴿**وَلَدْنَهُم، وإنَّهُم**﴾ بالظِّهار ﴿**لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ القَولِ وزُورًا**﴾: كذبًا - ﴿**وإنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ ٢ للمُظاهِر بالكفّارة - ﴿**والَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِسائِهِم، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا**﴾ أي: فيه، بأن يُخالفوه بإمساك المُظاهَر منها، الذي هو خِلاف مقصود الظِّهار من وصف المرأة بالتحريم، ﴿**فتَحرِيرُ رَقَبةٍ**﴾ أي: إعتاقُها عليه، ﴿**مِن قَبلِ أن يَتماسّا**﴾ بالوطء. ﴿**ذٰلِكُم تُوعَظُونَ بِهِ، واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ٣.

٣- ﴿**فمَن لَم يَجِدْ**﴾ رقبةً ﴿**فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ، مِن قَبلِ أن يَتَماسّا، فمَن لَم يَستَطِعْ**﴾ أي: الصيامَ ﴿**فإطعامُ سِتِّينَ مِسكِينًا**﴾ عليه، أي: من قبل أن يتماسّا حملًا للمُطلق على المُقيّد، لكُلّ مسكينٍ مُدٌّ من غالب قُوت البلد. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: التخفيف في الكفّارة ﴿**لِتُؤمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ. وتِلكَ**﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿**حُدُودُ اللهِ، ولِلكافِرِينَ**﴾ بها ﴿**عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ ٤: مُؤلم. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ**﴾: يُخالفون ﴿**اللهَ ورَسُولَهُ كُبِتُوا**﴾: أُذِلّوا، ﴿**كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ في مُخالفتهم رسلَهم، ﴿**وقَد أنزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾: دالّةً على صِدق الرسول، ﴿**ولِلكافِرِينَ**﴾ بها ﴿**عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ ٥: ذو إهانة، ﴿**يَومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فيُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. أحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ. واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ**﴾ ٦.

---

(١) أراد أوس بن الصامت مضاجعة زوجته خولة، فأبت عليه، فحرّمها على نفسه حُرمةَ أُمّه عليه. ولما شكت أمرها إلى الرسول ﷺ، وأخبرها أنها تحرم كما في عُرف الجاهليين، إذ لم يوحَ له شيء خلاف ذلك، راحت تكرر شكواها وتطلب العون من الله، فنزلت الآيات ١-٤ تبين الحكم الشرعي الصحيح. الحديثان ١٨٨ و٢٠٦٣ في ابن ماجه، والبخاري ص ٢٦٨٩ والمسند ٦: ٤٦. وسمع قولها: علم ما قالته وأجاب دعاءها. وفي زوجها أي: في شأنه وما جرى منه. وعن ذلك: عن حكم الظِّهار. وفيما عدا الأصل والنسختين: «النبي ﷺ عن ذلك». والمعهود عندهم: المعروف في عادات الجاهليين. وموجَبه: ما يوجَب به ويترتب عليه. وفي الأصل: «موجِبٌ فرقةً». وتشتكي: تتضرع وتطلب الغوث. والفاقة: الفقر والحاجة. وضمتهم إليه: كفّلته تربيتهم ونفقتهم. ويسمع: يدرك المسموعات والأسرار حال وقوعها. والتراجع: المرادّة في الكلام والمجادلة. والسميع: المدرك للجهر والسرّ حال وقوعهما. والعالم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. (٢) يظّهّر: يحرّم بالظِّهار. والقراءة الثانية: «يَظّاهَرُونَ». والثالثة: «يُظاهِرُونَ». وفي الموضع الثاني كذلك: يعني أن ما في الآية ٣ قرئ كهذه القراءات. وفيما عدا خ: «والموضع الثاني كذلك». ومنكم يعني: أيها المسلمون. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وهن أي: نساؤهم. والأمهات: جمع أمهة. وهي الوالدة. يعني: الأمهات حقيقة. واللائي: اللواتي. وبلا ياء يريد القراءة «اللّاءِ». وولدن: أنجبن. ويقولون: يدّعون. والمنكر: ما شنّعه الشرع. وفي بعض المطبوعات: «إنّ الله» بدون الواو. والعفو: الكثير الصفح عن الذنوب. والغفور: المبالغ في الستر للذنوب والتجاوز عنها. وبالكفارة: يعني الكفّارة المذكورة في الآيتين ٣ و٤. ويعودون له أي: لنقض تحريمهم، ويعزمون على نكاح ماحرّموا. وفيه: في قول الظِّهار. والرقبة: الإنسان المملوك. ويتماسان: يمس أحدهما الآخر بمضاجعة. وتوعظ: تزجر عن ارتكاب المحظور. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أوفعل. والخبير: المحيط بالغ الإحاطة ببواطن الأمور وظواهرها. (٣) يجد أي: يملك رقبة أو ثمنها. والصيام: الامتناع عن المفطر. وشهرين أي: أيام شهرين كاملين. ومتتابعين: لا انقطاع بين أيامهما. ولم يستطعه: لم يقدر عليه لمرض أو ضعف. والمسكين: الفقير المحتاج. وحملًا: قياسًا للحكم المطلق هنا على ما قبله من حكم الصيام المقيد، فيكون مقيدًا مثله. والمُدّ: مكيال قديم للحبوب وأمثالها. والغالب: ماكان أكثر استعمالًا. والبلد: الذي فيه الرجل المظاهِر. وتؤمنوا: تثبتوا على التصديق والطاعة. والحدود: جمع حد. وهو الحكم الشرعي. والكافر: المكذب المنكِر. ونزلت الآيتان ٥ و٦ قُبيل غزوة الخندق، تبشر المسلمين بالنصر على الأحزاب التي ستحاربهم. البحر ٨: ٢٣٤. ويخالفون أي: ويحاربونه بوضع أحكام وأنظمة تخالف شرعه، يكون لها سلطان الدساتير والقوانين باسم الضرورة والحاجة. ولا شك في كفر من يستحسن تلك الأحكام، أو يفضلها على الشرع، أو يعمل بها عن علم ودراية، أو يلجأ إليها بإعراض عن الأحكام الشرعية. انظر تفسير الآلوسي ٢٨: ٢٨-٣٢. وأنزل: أوحى. الآيات: النصوص القرآنية. واليوم: الوقت. ويبعثهم: يخرجهم أحياء للحساب والجزاء. وينبئ: يخبر ويعلم. وأحصاه: عدّه وجمعه. ونسوه: غفلوا عنه لتهاونهم وظنهم أنه لا حساب عليه. وشهيد: حاضر بعلمه يرى ويسمع.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

١- ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أَنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ؟ ما يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلاثةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُم**﴾ بعلمه، ﴿**ولا خَمْسةٍ إلّا هُوَ سادِسُهُم، ولا أدنى مِن ذٰلِكَ ولا أكثَرَ إلّا هُوَ مَعَهُم، أينما كانُوا. ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بما عَمِلُوا يومَ القِيامةِ. إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ ٧. ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنهُ، ويَتَناجَونَ بِالإثمِ والعُدوانِ ومَعصِيةِ الرَّسُولِ**﴾ هم اليهود، نهاهم النبيّ عما كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدّثهم سرًّا، ناظرين إلى المُؤمنين ليُوقعوا في قُلوبهم الريبة، ﴿**وإذا جاؤُوكَ حَيَّوكَ**﴾ - أيها النبيّ - ﴿**بما لَم يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ**﴾، وهو قولهم: «السامُ عليكَ» أي: الموتُ، ﴿**ويَقُولُونَ في أنفُسِهِم: لَولا**﴾: هلّا ﴿**يُعَذِّبُنا اللهُ بما نَقُولُ**﴾ من التحيّة وأنّه ليس بنبيّ، إن كان نبيًّا؟ ﴿**حَسْبُهُم جَهَنَّمُ يَصلَونَها**﴾: يدخلونها. ﴿**فبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٨ هي!

٢- ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا تَناجَيتُم فلا تَتَناجَوا بِالإثمِ والعُدوانِ ومَعصِيةِ الرَّسُولِ، وتَناجَوا بِالبِرِّ والتَّقوَى، واتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ ٩. ﴿**إنَّما النَّجْوَى**﴾ بالإثم ونحوه ﴿**مِنَ الشَّيطانِ**﴾ بغروره، ﴿**لِيَحزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا، ولَيسَ**﴾ هو ﴿**بِضارِّهِم شَيئًا، إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾ أي: إرادته! ﴿**وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ**﴾ ١٠.

٣- ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا قِيلَ لَكُم: تَفَسَّحُوا**﴾ توسّعوا ﴿**في المَجلِسِ**﴾: مجلس النبيّ ﷺ أو الذِّكر، حتّى يجلس من جاءكم. وفي قراءة: «المَجالِسِ». ﴿**فافسَحُوا، يَفسَحِ اللهُ لَكُم**﴾ في الجنّة. ﴿**وإذا قِيلَ: انشِزُوا**﴾: قوموا إلى الصلاة، وغيرها من الخيرات. ﴿**فانشِزُوا**﴾ - وفي قراءة بضمّ الشين فيهما - ﴿**يَرفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم**﴾ بالطاعة في ذلك، ﴿**و**﴾ يرفعِ ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ**﴾ في الجنّة. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ١١.

---

(١) روي أن بعض المنافقين كانوا يتخلفون، ويتحاورون في الكيد للمسلمين، فنزلت الآية تصف حالهم، والخطاب لكل منهم تأنيبًا وتقريعًا. البحر ٨:٢٣٥. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وفي الأثر أن ملكوت الله سبعةَ عشرَ ألفَ عالَم، السماواتُ والأرض واحد منها. فتخصيصهما بالذكر لأنهما منتهى ما بلغه علم المخاطبين. ويكون: يحصل. والنجوى: التناجي سرًا. ورابعهم أي: جاعلَهم أربعة لاطلاعه عليهم. والأدنى: الأقل كالاثنين، أو الواحد يناجي نفسه. ومعهم أي: حاضر بعلمه وسلطانه. وأينما كانوا: حيثما استقروا من المواضع الظاهرة أو الخفية. والقيامة: قيام الناس من القبورللحساب والجزاء. وعليم: محيط به كامل الإحاطة. ونهوا: نبههم النبي ﷺ وزجرهم عما يفعلون. ويعود: يرجع. ويتناجون: يتحدثون سرًا فيما بينهم. والإثم: فعل الذنوب. والعدوان: الاعتداء على المسلمين. والمعصية: المخالفة للأمر أو النهي. ويوقعوا الريبة يعني: أنهم كانوا مسالمين معاهدين، يتناجون فيما بينهم ويتغامزون، فيظن المؤمنون أن عندهم من الأخبار عن إخوانهم ما هو شر أو مصيبة. وجاؤوك: أتوا إليك أو حضروا مجلسك. وحيوك: خاطبوك بما ظاهره تحية. والآيات ٨-١٠ نزلت فيهم، تفضح قبائحهم وتشنع عليهم ما يفعلون، وتوجه المؤمنين إلى الخير. انظر الحديث ٢١٦٥ في مسلم والواحدي ص ٤٣٦-٤٣٧. وتحية الله هي تحية الإسلام المشروعة. والأنفس: جمع نفس. وفي أنفسهم: أي: فيما بينهم أو في ضمائرهم. وهلّا: يعني أن «لولا»: حرف تحضيض، وفيه معنى التحدي والتهكم. ويعذبنا: ينزل علينا عذابًا في الدنيا، كما يزعم المؤمنون. وحسبهم: كافيتهم، وإن لم ينزل بهم عذاب الدنيا. وبئس: بلغ الغاية من البؤس والشقاء والعذاب. والمصير: مكان الإقامة. و«هي» ضمير يعود على جهنم. وهذا يعني أنها المخصوصة بالذم، مذمومة مرتين: الأولى في جنسها «المصير»، والثانية في اختصاصها هنا.

(٢) آمنوا: صدّقوا الله ورسوله قلبًا ولسانًا وعملًا. وتناجيتم: تحادثتم سرًا. وكذلك التحادث جهرًا. انظر الآية ٨. والبر: الإحسان وعمل الخير. والتقوى: ماينجي من عذاب الله ويحقق رضاه. وإليه أي: إلى موقف حسابه. وتحشرون: تجمعون للجزاء يوم القيامة. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس والجن. ويحزنه: يسبب له الغم الغليظ والتوجع. والضار: المؤذي. ويتوكل عليه: يفوض أمره إليه ويلجأ.

(٣) روي أن بعض الصحابة جاؤوا مجلس النبي ﷺ، ولم يجدوا مكانًا للجلوس، فأمر بعضَ الحاضرين أن يوسعوا لهم. وقد شق ذلك على المأمورين، وزعم المنافقون أنه لم يعدل بين المسلمين، فنزلت الآية تأمر بالتعاطف، حتى يَفسح بعضهم لبعض، في كل مجلس للخير. فحكمها عام، وإن كان لنزولها سبب مخصوص. تفاسير البغوي ٤:٣٠٩ وابن كثير ٤:٣٢٥ والخازن ٧:٤٢ والقرطبي ١٧: ٢٩٦-٢٩٧ والدر المنثور ٦:١٨٤ والواحدي ص ٤٣٧. وقيل لكم: طلب منكم أو أشعرتْكم أنفسكم. والمجلس: مكان الحضور والاجتماع. والذكر أي: العلم والتذكير والعبادة. وفي الأصل وث وط وبعض المطبوعات: «والذكر». وفي الجنة أي: وغير ذلك من مطالب العيش والمنافع. وغيرها أي: ومنه النهوض للتوسعة في المجالس. وبضم الشين فيهما يريد القراءة في الموضعين: «انشُزُوا»، و«فانشُزُوا». ويرفعُه: يفضله في المنزلة ويعلي مكانته. وبالطاعة: بسببها. وأوتوه: أُعطوه ويسر لهم، وعملوا بما يوجبه. والعلم: المعرفة اليقينية النافعة. ودرجات أي: إلى مراتب مقرَّبة. وتعملون: تكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. والخبير: البالغ العلم ببواطن الأشياء وظواهرها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ
ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ
١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١

١- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا ناجَيتُمُ الرَّسُولَ﴾: أردتم مناجاته ﴿فقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجْواكُم﴾: قبلَها ﴿صَدَقةً - ذٰلِكَ خَيرٌ لَكُم وأطهَرُ﴾ لذُنوبكم - ﴿فإن لَم تَجِدُوا﴾ ما تتصدّقون به ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمُناجاتكم، ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٢ بكم. يعني: فلا عليكم في المُناجاة من غير صدقة. ثم نُسخ ذلك بقوله: ﴿أأشفَقتُم﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه - أي: أخِفتم من ﴿أن تُقَدِّمُوا بينَ يَدَي نَجْواكُم صَدَقاتٍ﴾ الفقرَ؟ ﴿فإذْ لَم تَفعَلُوا﴾ الصدقة، ﴿وتابَ اللهُ عليكُم﴾: رجَع بكم عنها، ﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ، وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾ أي: دوموا على ذلك. ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾ ١٣.

ربع الحزب ٥٥

٢- ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ تَوَلَّوا﴾ - هم المُنافقون - ﴿قَومًا﴾ هم اليهود، ﴿غَضِبَ اللهُ علَيهِم، ما هُم﴾ أي: المُنافقون ﴿مِنكُم﴾: من المُؤمنين، ﴿ولا مِنهُم﴾: من اليهود، بل هم مُذبذَبون، ﴿ويَحلِفُونَ علَى الكَذِبِ﴾ أي قولهم: إنهم مُؤمنون، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ ١٤ أنهم كاذبون فيه؟ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا. إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ ١٥ من المعاصي! ﴿اتَّخَذُوا أَيمانَهُم جُنَّةً﴾: سِترًا عن أنفُسهم وأموالهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها المُؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الجِهادِ فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم، ﴿فلَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾ ١٦: ذو إهانة. ﴿لَن تُغنِيَ عَنهُم أمْوالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا﴾ من الإغناء! ﴿أُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾ ١٧.

٣- اذكرْ ﴿يومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فيَحلِفُونَ لَهُ﴾ إنهم مُؤمنون ﴿كَما يَحلِفُونَ لَكُم، ويَحسِبُونَ أنَّهُم علَى شَيءٍ﴾ من نفع حلفِهم في الآخرة كالدنيا. ﴿ألا إنَّهُم هُمُ الكاذِبُونَ ١٨. استَحْوَذَ﴾: استولى ﴿علَيهِم الشَّيطانُ﴾ بطاعتهم له، ﴿فأنساهُم ذِكرَ اللهِ. أُولٰئِكَ حِزبُ الشَّيطانِ﴾: أتباعُه. ﴿ألا إنَّ حِزبَ الشَّيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ ١٩. إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ﴾: يُخالفون ﴿اللهَ ورَسُولَهُ أُولٰئِكَ في الأذَلِّينَ﴾ ٢٠: المغلوبِينَ. ﴿كَتَبَ اللهُ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى، ﴿لأغلِبَنَّ أنا ورُسُلِيَ﴾ بالحُجّة والسيف. ﴿إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢١.

---

(١) قدموا... صدقة أي: تصدقوا على المساكين بمال قبل المناجاة. وخير: أفضل وأكثر منفعة. وأطهر: أكثر سترًا وتزكية. ولم تجدوا: لم يتيسر لكم. والغفور: الكثير العفو والصفح والستر. ولمناجاتكم أي: بدون صدقة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان. ونسخ ذلك: يعني أن الآية التالية نَسختْ وجوب تقديم الصدقة المذكورة هنا. فقد كان بعض الصحابة يكثرون مناجاتهم للنبي ﷺ في غير ضرورة لتظهر منزلتهم، ويَثقلُ ذلك عليه وعلى المسلمين، فنزلت الآية ١٢. ولما ضاق بعض المسلمين بذلك لقصور أيديهم نزلت الآية ١٣، وفيها الرخصة. الحديث ٣٢٩٧ في الترمذي ولباب النقول. وبإبدال الثانية يريد القراءة «آشْفَقتُم»؟ وبتسهيلها يريد القراءة: «أاَشْفَقتُم»؟ وبإدخال ألف يريد القراءة «آأشْفَقتُم»؟ وتركه أي: عدم إدخال ألف بينهما. وخاف: فزع: ومن: للسببية. وعنها: عن وجوبها. وأقيموها: استمروا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. وآتوها: أدُّوها إلى مستحقيها. وأطيعوه: الزموا امتثال أمره ونهيه. وانظر آخر الآية ١١.

(٢) كان الرسول ﷺ في مجلس له، فقال لأصحابه: «يَدخُلُ علَيكُم رجُلٌ، قَلبُهُ قَلبُ جَبّارٍ، ويَنظُرُ بِعَينَي شَيطانٍ». فدخل المنافق عبد الله بن نَبتل، وكان ينقل أخبار المسلمين إلى اليهود، فقال له النبي ﷺ: «عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وأصحابُكَ»؟ فحلف أنه ما فعل، ثم جاء بأصحابه وحلفوا كذلك، فنزلت الآيات ١٤-١٩. المسند ١: ٢٤٠ و٢٦٧ و٣٥٠ والواحدي ص ٤٣٨-٤٣٩. وتولَّوهم: صادقوهم وجعلوهم أولياء أمورهم. وغضب عليهم: منعهم الرحمة. ومن اليهود أي: الخالصي الكفر. ومذبذبون: مترددون فيهم طرف من الإيمان بحسب ظاهرهم، وطرف من الكفر بحسب الباطن. ويحلف: يُقسِم الأيمان. والكذب: ما ليس له أصل في الواقع. ويعلم: يدرك باليقين. وأعد: هيأ. والشديد: العنيف لامثيل له. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح والفساد. وما يعملون: ما يكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. واتخذ: جعل. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم. وصد: منع ودفع. والسبيل: الطريق الواضحة. وتغني: تدفع. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. انظر «المفصل». والأصحاب: جمع صاحب. والخالد: المقيم أبدًا.

(٣) اليوم: زمن القيامة. ويحسبون: يظنون. والكاذب: من يقول غير الواقع. خ: «غلب واستولى». والشيطان: من يوسوس بالشر من الجن والإنس. وأنساه: جعله يترك. وذكر الله: استحضار عظمته في القلب واللسان والعمل. والخاسرون: من فقدوا ما كان لديهم وما ينتظرون. وكتب: سجّل وأثبتَ. وأغلبُ: أنتصر على الكافر والمنافق والعاصي، بتأييد المؤمنين. والرسل: جمع رسول. وروي أنه لما فتح الله مكة والطائف وخيبر قال المؤمنون: نرجو أن يظهرنا على فارس والروم. فقال عبد الله بن سلول: أتظنونهم كبعض القرى التي غلبتم عليها؟ والله إنهم لأكثر عددًا وأشد بطشًا من أن تظنوا فيهم ذلك. فنزلت الآية ٢١. البحر ٨: ٢٣٩. وبالحجة والسيف: يعني أن من بُعِث بالأدلة غَلب بها، ومن بُعِث للحرب غلب بقوة السلاح أيضًا. والقوي: الكامل القوة لا يعجزه شيء بحال من الأحوال. والعزيز: الغلّاب يذل لعزته ما عداه.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْر — ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

١- ﴿**لا تَجِدُ قَومًا، يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، يُوادُّونَ**﴾: يُصادقون ﴿**مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَو كانُوا**﴾ أي: المُحادّون ﴿**آباءَهُم**﴾ أي: المُؤمنين ﴿**أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عَشِيرتَهُم**﴾. بل يقصِدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة. ﴿**أُولٰئِكَ**﴾ الذين لا يُوادّونهم ﴿**كَتَبَ**﴾: أثبتَ ﴿**في قُلُوبِهِم الإيمانَ، وأيَّدَهُم بِرُوحٍ**﴾: بنور ﴿**مِنهُ**﴾ - تعالى - ﴿**ويُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، رَضِيَ اللهُ عَنهُم**﴾ بطاعته، ﴿**ورَضُوا عَنهُ**﴾ بثوابه. ﴿**أُولٰئِكَ حِزبُ اللهِ**﴾ يتّبعون أمره ويجتنبون نهيه. ﴿**ألا إنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٢٢: الفائزون.

سورة الحَشْر

مدنية، أربع وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿**سَبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ أي: نَزَّهَه - فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ «ما» تغليب للأكثر - ﴿**وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ ١ في مُلكه وصُنعه. ﴿**هُوَ الَّذِي أخرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ هم بنو النَّضير من اليهود، ﴿**مِن دِيارِهِم**﴾: مساكنهم بالمدينة، ﴿**لِأَوَّلِ الحَشرِ**﴾ هو حشرهم إلى الشام. وآخره أن جلاهم عُمر في خلافته إلى خَيبر، ﴿**ما ظَنَنتُم**﴾ - أيها المُؤمنون - ﴿**أن يَخرُجُوا، وظَنُّوا أنَّهُم مانِعَتُهُم**﴾: خبرُ «أنّ» ﴿**حُصُونُهُم**﴾: فاعلُه تمَّ به الخبر، ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه، ﴿**فأتاهُمُ اللهُ**﴾: أمرُه وعذابه ﴿**مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبُوا**﴾: لم يخطر ببالهم من جِهة المُؤمنين، ﴿**وقَذَفَ**﴾: ألقى ﴿**في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ**﴾، بسكون العين وضمّها: الخوفَ بقتل سيّدهم كعب بن الأشرف، ﴿**يُخَرِّبُونَ**﴾ - بالتشديد، والتخفيف من: أخرَبَ - ﴿**بُيُوتَهُم**﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿**بِأيدِيهِم وأيدِي المُؤمِنِينَ. فاعتَبِرُوا، يا أُولِي الأبصارِ**﴾ ٢.

٣- ﴿**ولَولا أن كَتَبَ اللهُ**﴾: قضى ﴿**علَيهِم الجَلاءَ**﴾، بالخُروج من الوطن، ﴿**لَعَذَّبَهُم في الدُّنيا**﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقُريظة من اليهود. ﴿**ولَهُم في الآخِرةِ عَذابُ النّارِ**﴾ ٣. ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّهُم شاقُّوا**﴾: خالفوا ﴿**اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِّ اللهَ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٤ له.

---

(١) قيل: إن الآية نزلت في المهاجرين، الذين حاربوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم. الدر المنثور ٦:١٨٦. والظاهر أنها متصلة بما ذكر عن المنافقين أيضًا، في الآيات ١٤-٢١. البحر ٨:٢٣٩. وتجد: ترى، أي: مُحال أن يُوادّ المؤمن المخلص من كفر أو أشرك. ويؤمن به: يصدقه تصديقًا يقينيًا. واليوم: الوقت. والآخر: ما يكون بعد الموت من بعث. ويصادقونه: يخلصون له المحبة. أما المخالطة والمعاشرة والمعاملة بالمثل فقد أجمعت الأمة على جوازها، مع غير المحاربين سرًا أو علنًا، وغير المؤيدين للأعداء. وحادّ: خالف وخاصم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. والمؤمنين أي: آباء المؤمنين. والأبناء جمع ابن. والإخوان: جمع أخ. والعشيرة: الأسرة التي يعيش معها الإنسان. وعلى الإيمان أي: بسببه. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وأيد: أعان وقوّى. ومنه: من عنده. والجنة: البستان العظيم. وتجري: تسيل بسرعة. وتحتها أي تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا. ورضي عنهم: تقبل أعمالهم بالرضا، وأفاض عليهم آثار رحمته. ورضوا عنه: ابتهجوا وسعدوا بما أعطاهم، واطمأنت نفوسهم. والفائزون أي: بخير الدنيا والآخرة. (٢) نزلت الآيات ١-٦ بعد جلاء بني النَّضير. وهم من اليهود عاهدوا النبي ﷺ ألّا يكونوا معه ولا عليه، ثم حالف زعماؤهم المشركين على قتال المسلمين، فأراد الرسول إخراجهم من قريتهم فأبوا بتأييد من المنافقين واليهود الآخرين، وبيتوا الغدر بقتل النبي ﷺ. فحاصرهم حتى رضوا بالجلاء عن حصونهم، فرحلوا إلى خيبر والحيرة وأريحا. وكان ذلك في السنة الرابعة. الواحدي ص ٤٤١-٤٤٢. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ونزهه: برأه مما لايليق به، وذلك بلسان المقال أو بلسان الحال. وزيادة اللام تعني أنها للتقوية والتوكيد. ويعني بالتغليب تغليب المخلوقات غير العاقلة على العاقلين لأنها أكثر. والعزيز: الغلّاب لايعجزه هارب أو معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وأهله: أصحابه الذين نزل على أجدادهم. والكتاب: التوراة. وبنو النضير من سلالة هارون. والديار: جمع دار. والحشر: الجمع بالقهر. و«إلى خيبر» خطأ والصواب: من خيبر. وظننتم: حسبتم. وظنوا: تيقنوا. ومانعتهم أي: تحميهم. والحصون: جمع حِصن. وهوالبناء العالي. وفاعله: يعني أن «حصون» فاعل لاسم الفاعل: مانعة. وأتاهم: نزل بهم. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وبضمها يريد القراءة «الرُّعُبَ». وكعب هذا شاعر هجا النبي والمسلمين، ونقض العهد أيضًا، فقتله بعض الصحابة. وبالتخفيف يريد القراءة «يُخْرِبُونَ». والبيوت: جمع بيت. وهو مكان الإقامة. والأيدي: جمع يد. واعتبرْ أي: اتعظ أن تغدر أو تكون من العاصين. وأولو أي: أصحاب، واحده ذو. والأبصار: جمع بصر. وهو البصيرة بإدراك حقائق الأمور. (٣) بالخروج: بالطرد والإبعاد. وفيما عدا الأصل وقرة العينين: «الخروج». وعذبهم: أنزل العذاب ببني النضير. والدنيا: الحياة التي فيها البشر، فهي أقرب إليهم. وبنو قُريظة قوم من بني هارون اليهود نقضوا عهدهم للرسول ﷺ يوم الخندق، وغدروا بالمسلمين، فضُربت أعناقهم بعد حصار شديد. ولهم أي: لبني النضير. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والنار: نارجهنم. وذلك أي: ما ذكر من التعذيبين. وخالفوا أي: وخاصموا ونقضوا العهد غدرًا. وسقطت الجملة من خ ، وفيها: «ومن يُشاقِقِ». وكذلك كان في ث، ثم صحح كما أثبتنا. والشديد: القوي لامثيل له. والعقاب: الجزاء على الكفر أو العصيان. وله أي: لمن يشاقّ، ولغيره من الكافرين والعاصين.

الجُزءُ الثامنُ والعشرون — سُورَةُ الحَشْرِ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

١- ﴿ما قَطَعتُم﴾ - يا مسلمين - ﴿مِن لِينةٍ﴾: نخلة، ﴿**أو تَركتُمُوها قائمةً على أُصُولِها، فبِإذنِ اللهِ**﴾ أي: خيَّركم في ذلك، ﴿**ولِيُخزِيَ**﴾ بالإذن في القطع ﴿**الفاسِقِينَ**﴾ ٥: اليهود في اعتراضهم بأنّ قطع الشجر المُثمر فساد، ﴿**وما أفاءَ**﴾: ردّه ﴿**اللهُ علَى رَسُولِهِ مِنهُم فما أوجَفتُم**﴾: أسرعتم - يا مسلمين - ﴿**علَيهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**خَيلٍ ولا رِكابٍ**﴾: إبل، أي: لم تُقاسوا فيه مشقّة، ﴿**ولٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ علَى مَن يَشاءُ. واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٦. فلا حقّ لكم فيه، ويختصّ به النبيُّ ﷺ ومَن ذُكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أنّ لكُلّ منهم خُمْسَ الخُمس، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء. فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار لفقرهم.

٢- ﴿**ما أفاءَ اللهُ علَى رَسُولِهِ مِن أهلِ القُرَى**﴾، كالصفراء ووادي القُرى ويَنبُعَ، ﴿**فلِلّٰهِ**﴾ يأمر فيه بما يشاء، ﴿**ولِلرَّسُولِ ولِذِي**﴾: صاحب ﴿**القُربَى**﴾: قرابةِ النبيّ من بني هاشم وبني المُطّلب، ﴿**واليَتامَى**﴾: أطفال المُسلمين الذين هلَكت آباؤهم وهم فُقراء، ﴿**والمَساكِينِ**﴾: ذوي الحاجة من المسلمين، ﴿**وابنِ السَّبِيلِ**﴾: المُنقطع في سفره من المُسلمين، أي يستحقّه النبيّ والأصنافُ الأربعة على ما كان يقسمه، من أنّ لكُلّ من الأربعة خُمسَ الخُمس وله الباقي، ﴿**كَيلا**﴾ - كي: بمعنى اللام «وأن» مُقدّرة بعدها - ﴿**يَكُونَ**﴾: عِلّةٌ لقَسْمه كذلك ﴿**دُولةً**﴾: مُتداوَلًا ﴿**بينَ الأغنِياءِ مِنكُم، وما آتاكُمُ**﴾: أعطاكم ﴿**الرَّسُولُ**﴾ من الفيء وغيره ﴿**فخُذُوهُ، وما نَهاكُم عَنهُ فانتَهُوا. واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ ٧.

٣- ﴿**لِلفُقَراءِ**﴾: مُتعلّقٌ بمحذوف - أي: اعجَبوا - ﴿**المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم وأموالِهِم، يَبتَغُونَ فَضلًا مِنَ اللهِ ورِضوانًا، ويَنصُرُونَ اللهَ ورَسُولَهُ! أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ**﴾ ٨ في إيمانهم، ﴿**والَّذِينَ تبَوَّؤُوا الدّارَ**﴾ أي: المدينةَ، ﴿**والإيمانَ**﴾ أي: ألِفوه - وهم الأنصار - ﴿**مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هاجَرَ إلَيهِم، ولا يَجِدُونَ في صُدُورِهِم حاجةً**﴾: حسدًا ﴿**مِمّا أُوتُوا**﴾ أي: آتى النبيُّ ﷺ المُهاجرين من أموالِ بني النضير المختصّةِ به،

---

(١) حاصر المسلمون بني النضير، وأمر النبي ﷺ بقطع نخيلهم، فزعموا أن ذلك لايجوز في الشرع، فنزلت الآية بتحليل ما أُمروا به. الواحدي ص ٤٤٣. وفيما عدا الأصل والنسخ والفتوحات والصاوي: «يا مسلمون» في الموضعين. وتركها: لم يؤذها. والأصول: جمع أصل. وهو الجذر. والإذن: الإرادة والإباحة. ويخزي: يذل. والفاسق: الخارج على شرع الله. ولما جلا بنو النَّضير عن بعض أموالهم طلب الصحابة أن يُقسم ذلك عليهم كالغنائم، فنزلت الآية بأن الفيء ليس كالغنيمة. أحكام القرآن ص ١٧٧٠-١٧٧١. ورده: حوّله. ومنهم أي: من أيدي اليهود. وزيادة «من» للتنصيص على عموم النفي. والخيل: واحده فرس. والركاب: واحدته راحلة. وهي ما يركب من الإبل. فالمسلمون ذهبوا إلى حصار بني النضير مشيًا. ويسلط: يغلّب. والرسل: جمع رسول. وهو من كلف بالدعوة والعمل. والقدير: البالغ القدرة. والآية الثانية أي: التالية. ففيها حكم الفيء بالتفصيل. والباقي أي: أربعة أخماس الفيء وخمس الخمس الآخر. ومنه: من الباقي المذكور قبل. ونصيب النبي ﷺ كان ينفق منه على أهله، ويجعل الفائض في عُدة لجهاد العدو. **(٢)** أفاءه: حوّله من غير قتال. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. والصفراء: قرية في طريق الحاجّ من المدينة. ووادي القرى: شمالي المدينة. وينبع: قرية على ساحل البحر. وقد فتحت هذه القرى بلا قتال. وهاشم والمطلب: ابنا عبد مناف. واليتامى: جمع يتيم. والمساكين: جمع مسكين. والسبيل: طريق السفر. والمنقطع أي: عن ماله. يعني: من ليس عنده مال في سفره. ونصيب النبي ﷺ بعد وفاته يكون للمرابطين ومصالح المسلمين، في الجهاد والإعمار. ويكون: يصير. وفيما عدا الأصل والنسخ: «يكون الفيء». وعلة لقسمه كذلك أي: أن الغاية من هذا التقسيم للفيء هي عدم حصره بين الأغنياء، كما كان في الجاهلية. والأغنياء: جمع غني. وهو من كثُرَ ماله. وغيره أي: من الأموال والأحكام. وفي الأصل: «أو غيره». وخذوه: تناولوه وتقبلوه بالرضا واحرصوا عليه. ونهى: منع وحجب. وانتهوا أي: عنه. يعني: تجنبوه ودعوه. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بلزوم الطاعة. **(٣)** الفقراء: جمع فقير. وتقدير «اعجبوا» يعني المدحَ لهؤلاء المذكورين، والتوبيخَ للكفار والمنافقين. والمهاجر: من ترك وطنه لينجو بدينه. والديار: جمع دار. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك للاستمتاع والزينة. ويبتغي: يطلب. والفضل: الرزق والإحسان. ومن الله: من عنده. والرضوان: المبالغة في الرضا. وهو قبول الأعمال والإفاضة بالرحمة. وينصرونه: يُعِزّون دينه. والصادق: من يقول ما هو حق. ولما حاز الرسول ﷺ أموال بني النَّضير خيّر الأنصار بين أن يقسم عليهم وعلى المهاجرين، وبين أن يخص المهاجرين بالقسمة ليستقلوا بأنفسهم. فقال الأنصار: بل تقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. فقال: «اللّٰهُمَّ، ارحَمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ»، ونزلت الآيتان ٩ و١٠ بذلك. انظر «المفصل». وتبوأه: تمكن فيه. والدار: مقر الهجرة. والإيمان: التصديق اليقيني. ومن قبلهم: من قبل مجيء المهاجرين. ويحبه: يوده ويريد له الخير. ولا يجد: لا يرى. والصدور: جمع صدر. والمراد به النفس والضمير. وأوتوا: أُعطُوه. ويؤثر: يفضل غيره. والأنفس: جمع نفس. ويوقى: يجنب. والمفلح: الفائز بما يريد من خير الدنيا والآخرة. وجاؤوا أي: يجيئون إلى الوجود ويؤمنون. واغفر: استر الذنوب واعف عنها. والإخوان: جمع أخ. وهو المماثل في الدين. وتجعل: تصيّر. والقلوب: جمع قلب. والرؤوف: الكثير اللطف واللِّين على المذنب بالتوبة، وعلى أوليائه بالعصمة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان والمغفرة لعباده المؤمنين. أي: فأنت أهل أن تجيب دعاءنا.

الجزء الثامن والعشرون — سورة الحشر

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

﴿**ويُؤثِرُونَ على أنفسِهِم، ولَو كانَ بِهِم خَصاصةٌ**﴾: حاجة إلى ما يُؤثرون به - ﴿**ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ**﴾: حِرصَها على المال ﴿**فأُولٰئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ٩ - **والَّذِينَ جاؤُوا مِن بَعدِهِم**﴾: من بعد المُهاجرين والأنصارِ، إلى يوم القيامة، ﴿**يَقولُونَ: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمانِ، ولا تَجعَلْ في قُلوبِنا غِلًّا**﴾: حقدًا ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا. رَبَّنا، إنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ ١٠.

نصف الحزب ٥٥

١- ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلَى الَّذِينَ نافَقُوا؟ يَقُولُونَ لإخوانِهِم الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ وهم بنو النَّضير وإخوانهم في الكُفر: ﴿**لَئِنْ**﴾ - لامُ قسَم في الأربعة - ﴿**أُخرِجتُم**﴾ من المدينة ﴿**لَنَخرُجَنَّ مَعَكُم، ولا نُطِيعُ فِيكُم**﴾: في خِذلانكم ﴿**أحَدًا أبَدًا، وإن قُوتِلتُم**﴾ - حُذفت منه اللام المُوطِّئة - ﴿**لَنَنصُرَنَّكُم. واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ ١١.

٢- ﴿**لَئِنْ أُخرِجوا لا يَخرُجُونَ مَعَهُم، ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُم، ولَئِنْ نَصَرُوهُم**﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿**لَيُوَلُّنَّ الأدبارَ**﴾ - واستُغنيَ بجواب القسم المُقدَّر عن جواب الشرط، في المواضع الخمسة - ﴿**ثُمَّ لا يُنصَرُونَ**﴾ ١٢ أي: اليهودُ. ﴿**لَأَنتُم أشَدُّ رَهبَةً**﴾: خوفًا، ﴿**في صُدُورِهِم**﴾ أي: المُنافقين، ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ لتأخير عذابه. ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ**﴾ ١٣.

٣- ﴿**لا يُقاتِلُونَكُم**﴾ أي: اليهودُ ﴿**جَمِيعًا**﴾: مُجتمعينَ، ﴿**إلّا في قُرًى مُحَصَّنةٍ أو مِن وَراءِ جِدارٍ**﴾: سور. وفي قِراءة: «جُدُرٍ». ﴿**بأسُهُم**﴾: حربهم ﴿**بَينَهُم شَدِيدٌ. تَحسبُهُم جَمِيعًا**﴾: مُجتمعينَ، ﴿**وقُلُوبُهُم شَتَّى**﴾: مُتفرِّقةٌ خِلاف الحِسبان. ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَعقِلُونَ**﴾ ١٤. مَثَلُهم في ترك الإيمان ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم قَرِيبًا**﴾: بزمن قريب. وهم أهل بدر من المُشركين. ﴿**ذاقُوا وَبالَ أمرِهِم**﴾: عُقوبتَه في الدنيا من القتل وغيره، ﴿**ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ ١٥: مُؤلم في الآخرة.

٤- مَثَلُهم أيضًا، في سماعهم من المُنافقين، وتخلّفهم عنهم ﴿**كَمَثَلِ الشَّيطانِ، إذ قالَ لِلإنسانِ: اكفُرْ. فلَمّا كَفَرَ قالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنكَ، إنِّيَ أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ**﴾ ١٦. كذبٌ منه ورياء. ﴿**فكانَ عاقِبتَهُما**﴾ أي: الغاوي والمُغوِي - وقُرئ بالرفع - ﴿**أنَّهُما في النّارِ خالِدَينِ فِيها. وذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ**﴾ ١٧: الكافرين.

---

(١) كان بعض العرب منافقين. وعندما حوصر بنو النضير أرسل إليهم هؤلاء: أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنا لانسلمكم ونحن معكم. ولكنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك، فنزلت هذه الآيات قبل الجلاء، تفضح أمرهم وتبشر بالنصر. لباب النقول. وتنظر إليهم أي: إلى شأنهم وحالهم. ونافق: أظهر خلاف ما أضمر. والأهل: الأصحاب للشيء. والكتاب: التوراة. و«لام قسم» صوابه: لام موطئة لجواب القسم. والأربعة أي: ما قبل «إن» في الآيتين ١١ و١٢، وهي خمسة أغفل منها المحذوفة التي ذكرها بعد. وأُخرج: أُجلي وطُرد بالقوة. ونخرج: نغادر وطننا. ولا نطيع أحدًا: لا ننفذ أمر أحد من عدوكم. وقوتلتم: قاتلكم المسلمون. وحذفت منه أي: قبل «إن» للمبالغة في التوكيد. وننصركم: نعينكم على العدو. ويشهد: يقول ويبلّغ الحق. وكاذبون: يدّعون ما ليس في قلوبهم.

(٢) يولون: يهربون ويملّكون عدوّهم. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. ولايُنصرون: يُغلبون ويعذبون في الدنيا والآخرة. وأشد: أعظم. والرهبة: المرهوبيّة لأن المخاطبين مرهوبون لاراهبون. والصدور: جمع صدر. والمراد به النفس. ومن الله أي: من رهبته. فالرهبة من المؤمنين في نفوس المنافقين هي الأقوى، لأنهم كانوا يظهرون للمؤمنين رهبة من الله مكذوبة. ولتأخير عذابه يعني: لأن عذاب الله مؤجل، وانتقامكم منهم آنيّ. وذلك: ماذكر من شدة المرهوبية. ولايفقهون: لايفهمون ظاهر الأمور ولاخفاياها، حتى يعلموا عظمة الله وقدرته، فيخشوه حق خشيته.

(٣) مجتمعين: متساندين في موطن واحد، يعين بعضهم بعضًا. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. والمحصنة: المحاطة بالخنادق والحواجز. وجدر: جمع جِدار. وحربهم أي: إذا تحاربوا. والشديد: العنيف. وتحسب: تظن. والقلوب: جمع قلب. والمراد هنا ما في القلب، أي: أهواؤهم متضاربة لاتتفق. ولايعقلون أي: هم كالبهائم ليس فيهم قدرةٌ على تدبرِ الأمور، ليكون بينهم وفاق صحيح. هذه حالهم دائمًا، وإن ظهر منهم الآن خلاف ذلك بعون دول البغي وسماسرة القيم والشعوب. وكذلك شأن الأمم التي تتشبه بأخلاق اليهود، في كل زمان ومكان. والمَثل: الصفة الغريبة العجيبة، تذكر للعظة والنصح. وذاقوه: نالوه وقاسَوا شدته. والوبال: الفساد والثقل. وأمرهم أي: الكفر والعصيان.

(٤) تخلفهم: تخلف المنافقين. والشيطان: من يغري بالشر من الجن والإنس. والإنسان: المكلف من البشر. واكفر: كذِّبِ الله واعصه. والبريء: المتبرئ المتباعد. وأخاف: أخشى. والعالم: الجنس من الخلق. وكذب ورياء: يعني أن ماقاله الشيطان أخيرًا لم يكن صادقًا فيه، بل هو للتنصل والتبرؤ، إذ لو كان يخاف حقًا لما ضل وأضل. وفيما عدا الأصل والنسخ: «كذبًا منه ورياءً». وكذلك جعلت العبارة في ث بقلم آخر. وكان: صار. والعاقبة: النهاية والمصير. والغاوي: الإنسان الذي كفر. والمُغوي: الشيطان الذي أضل وأغرى بالكفر. وبالرفع يريد «عاقِبَتُهُما». وفيما عدا الأصل وخ: «بالرفع اسم كان». يعني أن «عاقبةُ» اسم لـ «كان» مرفوع. والنار: نار جهنم. والخالد: المقيم أبدًا. وذلك أي: العذاب المخلد. والجزاء: العقوبة. والظالم: من يتجاوز حد الحق. والكفرُ أشنع الظلم. وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: أي الكافرين.

الجزء الثامن والعشرون — سورة الحشر

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة — ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

١- ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ، ولْتَنظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾: ليوم القِيامة، ﴿**واتَّقُوا اللهَ - إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ ١٨ - ولا تكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللهَ**﴾: تركوا طاعته، ﴿**فأنساهُم أنفُسَهُم**﴾ أن يُقدّموا لها خيرًا. ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ ١٩. لا يَستَوِي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجَنّةِ. أصحابُ الجَنّةِ هُمُ الفائزُونَ**﴾ ٢٠.

٢- ﴿**لو أنزَلْنا هٰذا القُرآنَ على جَبَلٍ**﴾، وجُعل فيه تمييز كالإنسان، ﴿**لَرَأَيتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا**﴾: مُتشقّقًا ﴿**مِن خَشْيَةِ اللهِ. وتِلكَ الأمثالُ**﴾ المذكورة ﴿**نَضرِبُها لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ٢١ فيُؤمنون. ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰهَ إلّا هُوَ، عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: السرِّ والعلانية. ﴿**هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ**﴾ ٢٢.

٣- ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰهَ إلّا هُوَ، المَلِكُ القُدُّوسُ**﴾: الطاهر عمّا لا يليق به، ﴿**السَّلامُ**﴾: ذُو السلامة من النقائص، ﴿**المُؤمِنُ**﴾: المُصدِّق رسلَه بخلق المعجزة لهم، ﴿**المُهَيمِنُ**﴾ - مِن: هَيمَنَ يُهَيمِنُ، إذا كان رقيبًا على الشيء - أي: الشهيدُ على عِباده بأعمالهم، ﴿**العَزِيزُ**﴾: القويّ، ﴿**الجَبّارُ**﴾ جَبرَ خلقَه على ما أراد، ﴿**المُتَكَبِّرُ**﴾ عمّا لا يليق به. ﴿**سُبحانَ اللهِ**﴾ نَزَّهَ نفسَه ﴿**عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ ٢٣ به! ﴿**هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ**﴾: المُنشئ من العدم، ﴿**المُصَوِّرُ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى**﴾ التسعة والتسعون الواردُ بها الحديثُ - والحسنى: مُؤنّث الأحسن - ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ ٢٤ تقدّمَ أوّلَها.

سورة المُمتحَنة

مدنية، ثلاثَ عشْرةَ آية.

---

(١) آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بلزوم الطاعة للأمر والنهي. وتنظر أي: تبحث وتفتش لتكسب وتتزود. والنفس: الإنسان المكلف بروحه وجسده. وقدمت أي: تريد أن تقدم من النيات والأقوال والأعمال. وعُبِّر عن يوم القيامة بالغد تقريبًا له. خ: «يوم القيامة». والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها. وتعمل: تكسب وتتحمل من نية أو قول أو فعل. وتكون: تصير. وتركوا طاعته يعني: لأنهم غفلوا عن أمره وحقوقه. وأنساهم: قدّر عليهم النسيان والإهمال. والأنفس: جمع قلة للنفس يراد به الكثرة لإضافته إلى ضمير جماعة. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والفاسق: الخارج على الشرع بكفر أو شرك أو عصيان. ويستويان: يكونان متساويين في القيمة والمنزلة. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لايفارقه. وأصحاب النار هم الذين نسوا الله، كالمشركين والمنافقين واليهود، يلازمونها أبدًا عقوبة وإهانة. والنار: نار جهنم. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. وأصحاب الجنة هم المتقون، يلازمونها أبدًا مكافأة وإحسانًا. والفائز: من ظفر بمراده من الخير والنعيم. والمراد: ما أعظم فوزهم وسعادتهم ! وما أشقى أولئك الكافرين !

(٢) أنزلناه: أوحيناه للتكليف، بحمل ما فيه من عظيم الشأن والقوارع، مع التكفل للحفظ والتبليغ. والقرآن: ما أوحي إلى النبي ﷺ من كلام الله - تعالى - بإعجازه وأحكامه ووعظه وعلومه وأخباره. والجبل: ما ارتفع وصلب من الأرض. والتمييز: التعقل والإدراك. ورأيت: أبصرت عِيانًا. والخطاب لكل سامع أو قارئ، لبيانِ تأثير القرآن وعظمة ما يتضمنه، وتوبيخ الإنسان على تقصيره في الطاعة. والخاشع: الذليل المتطامن. والخشية: الخوف والفزع. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الخبر العجيب يذكر للاعتبار والاتعاظ. والمذكورة أي: في القرآن الكريم، ومنها ما ذكر عن الجبل هنا. ونضرب: نبين ونوضح. والناس: البشر. ولعلهم يتفكرون أي: ليُترجَّى لهم التفكر. يعني: ليكون لهم سبب التفكر ومعرفة الحق. ويتفكر: يتدبر ما يسمع ويتعظ به قلبًا وعملًا. وفي المنحة وبعض المطبوعات: «فيؤمنوا». وهو أي: الذي وجوده من ذاته دائمًا أزلًا وأبدًا، فلا عدم له بوجه من الوجوه. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإله: المعبود. والعالم: البالغ الإحاطة بالأمور قبل وجودها وبعده. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والشهادة: ما ظهر لحواسهم وإدراكهم فشهدوه. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان لكافة خلقه. والرحيم: العظيم العصمة والمغفرة للمؤمنين.

(٣) الإله: المعبود بحق وحده. والملك: المالك لجميع المخلوقات يتصرف فيها كما يشاء دون معين أو منازع. وجبرهم: قهرهم وحملهم بالعنف والشدة، فكانوا خاضعين لِما خلق من قوانين الحياة ولسلطانه في الدنيا والآخرة. و«جبر» لغة معروفة في بني تميم وكثير من أهل الحجاز. تهذيب اللغة والمصباح (جبر) والفتوحات ٤: ٢٠٠. والمتكبر: البليغ الكبرياء والعظمة. ونزه نفسه أي: للإخبار بذلك وتعليم المؤمنين ما يجب عليهم أن يقولوه. ويشركون: يجعلون له شركاء في الألوهية والطاعة أصنامًا وحيوانات وزعماء وملائكة... والخالق: المقدّر للأشياء على مقتضى حكمته ينشئها من العدم. والمصور: الموجد لصور الأشياء وكيفياتها. والأسماء: جمع اسم. والحسنى: التي لا مثيل لها في الدلالة على محاسن المعاني. والتسعة والتسعون: انظر تعليقنا على تفسير الآية ١١٠ من سورة الإسراء. وقيل: إن له - تعالى - خمسة آلاف اسم. تفسير ابن كثير ١: ١٨. وتقدم أولها أي: في أول السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُم**﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿**أولياءَ، تُلقُونَ**﴾: تُوصِلون ﴿**إلَيهِم**﴾ قَصْدَ النبي غزوَهم، الذي أسرَّه إليكم ووَرّى بِحُنين، ﴿**بالمَوَدّةِ**﴾ بينكم وبينهم - كتب حاطبُ بنُ أبي بَلتعةَ إليهم كتابًا بذلك، لِما له عِندهم من الأولاد والأهل المُشركين، فاستردّه النبيّ ممّن أرسله معه بإعلام الله - تعالى - له بذلك، وقبِلَ عُذر حاطب فيه - ﴿**وقَد كَفَرُوا بما جاءَكُم مِنَ الحَقِّ**﴾ أي: دِين الإسلام والقُرآن، ﴿**يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وإيّاكُم**﴾ من مكّة بتضييقهم عليكم، ﴿**أن تُؤمِنُوا**﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿**باللهِ رَبِّكُم، إن كُنتُم خَرَجتُم جِهادًا**﴾: للجِهاد ﴿**في سَبِيلِي وابتِغاءَ مَرضاتِي**﴾ - وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله، أي: فلا تتّخذوهم أولياء - ﴿**تُسِرُّونَ إلَيهِم بالمَوَدّةِ، وأنا أعلَمُ بما أخفَيتُم وما أعلَنتُم. ومَن يَفعَلْهُ مِنكُم**﴾ أي: إسرارَ خبر النبي إليهم ﴿**فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ**﴾ ١: أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسَط.

٢- ﴿**إن يَثقَفُوكُم**﴾: يظفروا بكم ﴿**يَكُونُوا لَكُم أعداءً، ويَبسُطُوا إلَيكُم أيدِيَهُم**﴾ بالقتل والضرب، ﴿**وألسِنَتَهُم بالسُّوءِ**﴾: بالسبِّ والشتم، ﴿**ووَدُّوا**﴾: تمنَّوا ﴿**لَو تكفُرُونَ ٢. لَن تَنفَعَكُم أرحامُكُم**﴾: قراباتكم، ﴿**ولا أولادُكُم**﴾ المُشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر، من العذاب في الآخرة. ﴿**يَومَ القِيامةِ يُفصَلُ**﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل - ﴿**بَينَكُم**﴾ وبينهم فتكونون في الجنّة، وهم في جُملة الكُفّار في النار. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ٣.

٣- ﴿**قَد كانَت لَكُم إسوَةٌ**﴾، بكسر الهمزة وضمّها في الموضعين: قُدوةٌ ﴿**حَسَنَةٌ في إبراهِيمَ**﴾ أي: به قولًا وفعلًا، ﴿**والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ من المُؤمنين، ﴿**إذ قالُوا لِقَومِهِم: إنّا بُرَآءُ**﴾: جمع بريء كظريف ﴿**مِنكُم، ومِمّا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ، كَفَرنا بِكُم**﴾: أنكرناكم، ﴿**وبَدا بَينَنا وبَينَكُمُ العَداوةُ والبَغضاءُ أبَدًا**﴾ - بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا - ﴿**حَتَّى تُؤمِنُوا باللهِ وَحدَهُ، إلّا قَولَ إبراهِيمَ لأبِيهِ: لأستَغفِرَنَّ لَكَ**﴾: مُستثنى من «إسوة»، فليس لكم التأسّي به في ذلك بأن تستغفروا للكُفّار، وقولَه ﴿**وما أملِكُ لَكَ مِنَ اللهِ**﴾، أي: من عذابه وثوابه، ﴿**مِن شَيءٍ**﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار - فهو مبنيّ عليه مستثنى من حيثُ المرادُ منه، وإن كان من حيثُ ظاهرُه مِمّا يُتأسّى فيه: «قُلْ: فمَن يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شيئًا»؟ واستغفارُه له قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله، كما ذكر في «براءة» - ﴿**رَبَّنا، علَيكَ تَوَكَّلنا، وإلَيكَ أنَبنا، وإلَيكَ المَصِيرُ**﴾ ٤: من مقول الخليل ومن معه، أي وقالوا: ﴿**رَبَّنا، لا تَجعَلنا فِتنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: لا تُظهِرْهم علينا فيظنّوا أنهم على الحقّ، فيَفتتِنوا بنا أي: تذهبَ عقولهم بنا، ﴿**واغفِرْ لَنا. رَبَّنا، إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ ٥ في مُلكك وصُنعك.

---

(١) آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتتخذ تجعل. والعدو: المعادي للدين وأصحابه. والأولياء: جمع ولي. وهو من توكل إليه الأمور ويُعتمد عليه. وأسرّه: جعله سرًا. وورّى بحُنين أي: أخفى ما يقصد وأظهر أنه يريد غزو المشركين في حنين. وهو موضع قريب من مكة. انظر «المفصل». وفي الأصل والنسخ: «بخيبر». والمودة: النصيحة بخبر الغزو. وكفر به: كذبه وأنكر صدقه. وجاء: نزل بالوحي. والحق: الأمر الثابت. وخرجتم أي: من مكة مهاجرين. والجهاد: بذل المال والأهل والوطن. وفي سبيلي أي: لإعلاء كلمتي وديني. والابتغاء: الطلب والقصد. وفي الأصل: «وابتغاءِ». والمرضاة: الرضا وإفاضة الرحمة. وتسرون إليهم: تبلّغونهم بالسر. وأعلم: أكثر إحاطة من كل مخلوق. وأخفيتم: كتمتم في أنفسكم عن الآخرين. وأعلن: أظهر عمله أو قوله للآخرين. ويفعل: يكتسب ويتحمل. والحكم يعمّ ما يشبه ذلك أيضًا. والإسرار: النقل سرًا، أي: وموالاة أعداء المسلمين. والوسط: المعتدل. **(٢)** يظفروا بكم أي: في حرب أو غدر. ويكونوا أعداء: تظهر عداوتهم. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي والمحارب. ويبسطوها: يمدّوها. والأيدي: جمع يد. والألسنة: جمع لسان. وهو هنا ما يُتكلم به. والسوء: المؤذي. وتكفر: ترتد عن الإسلام. وتنفع: تدفع شرًا أو تجلب خيرًا. والأرحام: جمع رحم. والأولاد: جمع ولد. وفي الآخرة أي: وفي الدنيا من أذى المشركين. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور للحساب والجزاء. ويُفصل: يفرَّق ويُحجز. وللفاعل يريد به القراءة «يَفصِلُ». والفاعل هو الله، تعالى. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المدرك للأحداث. **(٣)** بضمها يريد القراءة «أُسوةٌ». وفي الموضعين أي: هنا وفي الآية ٦. والحسنة: الصالحة تستحق الاقتداء. والبريء: المتبرئ المتباعد. وما تعبدون: المخلوقات التي تقدسونها. وبدا: ظهر وثبَت. والعداوة: القطيعة والمخالفة. والبغضاء: شدة الكره. وأبدًا: على الدوام. وبإبدال الثانية يريد القراءة «والبَغضاءُ وَبَدًا». وتؤمنوا به: تعرف قلوبكم ألوهيته. وأستغفر: أطلب ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. وما أملكه: لا أستطيعه. ويتأسى فيه: يقتدى به في مقام الاعتراف بالعجز عن التدخل في حكم الله، بدليل ما أورده. وهو الآية ١١ من سورة الفتح. وكما ذكر أي: في الآية ١١٤ من تلك السورة. وتوكلنا: اعتمدنا في جميع أمورنا. وإليك أنبنا: إلى طاعتك ورضاك رجعنا. وإليك: إلى لقاء موعدك بالحساب. والمصير: الرجوع النهائي. وتجعل: تصيّر. وفتنة: ما يفتن به ويكون سببًا للامتحان. ولا تظهرهم: لا تنصرهم. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية في كمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.

الجزء الثامن والعشرون سورة الممتحنة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ
مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

١ - ﴿**لَقد كانَ لَكُم**﴾ يا أُمّة مُحمّد - جواب قسم مُقدّر - ﴿**فِيهِم إسوةٌ حَسَنةٌ، لِمَن كانَ**﴾: بدلُ اشتمال من «كُم» بإعادة الجارّ ﴿**يَرجُو اللهَ واليَومَ الآخِرَ**﴾ أي: يخافُهما، أو يظنّ الثواب والعِقاب. ﴿**ومَن يَتَولَّ**﴾ بأن يُواليَ الكُفّارَ ﴿**فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنيُّ**﴾ عن خلقه، ﴿**الحَميدُ**﴾ ٦ لأهل طاعته. ﴿**عَسَى اللهُ أن يَجعَلَ بَينَكم وبَينَ الَّذِينَ عادَيتُم، مِنهُم**﴾: من كُفّار مكّة طاعةً لله - تعالى - ﴿**مَوَدّةً**﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء. ﴿**واللهُ قَدِيرٌ**﴾ على ذلك - وقد فعله بعد فتح مكّة - ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ لهم ما سلف، ﴿**رَحِيمٌ**﴾ ٧ بهم.

٢ - ﴿**لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقاتِلُوكُم**﴾ من الكُفّار ﴿**في الدِّينِ، ولَم يُخرِجُوكُم مِن دِيارِكُم، أن تَبَرُّوهُم**﴾: بدل اشتمال من «الذين»، ﴿**وتُقسِطُوا**﴾: تُفضُوا ﴿**إلَيهِم**﴾ بالقسط، أي: العدل. وهذا قبل الأمر بجِهادهم - ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ**﴾ ٨: العادلينَ - ﴿**إنّما يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُم في الدِّينِ، وأخرَجُوكُم مِن دِيارِكُم وظاهَرُوا**﴾: عاونوا ﴿**عَلى إخراجِكُم، أن تَوَلَّوهُم**﴾: بدل اشتمال من «الذين»، أي: تتّخذوهم أولياء. ﴿**ومَن يَتَولَّهُم فأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ ٩.

٣ - ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا جاءَكُمُ المُؤمِناتُ**﴾ بألسنتهنّ، ﴿**مُهاجِراتٍ**﴾ من الكُفّار، بعد الصُّلح معهم في الحُدَيبية على أنّ من جاء منهم إلى المُؤمنين يُردّ، ﴿**فامتَحِنُوهُنَّ**﴾ بالحلف أنهنّ ما خرجْنَ إلّا رغبة في الإسلام، لا بُغضًا لأزواجهنّ الكُفّار، ولا عِشقًا لرجال من المُسلمين - كذا كان النبيّ ﷺ يُحلّفهنّ. ﴿**اللهُ أعلَمُ بإيمانِهِنَّ - فإن عَلِمتُمُوهُنَّ**﴾: ظننتموهنّ بالحلف ﴿**مُؤمِناتٍ فلا تَرجِعُوهُنَّ**﴾: تردّوهنّ ﴿**إلَى الكُفّارِ - لا هُنَّ حِلٌّ لَهُم ولا هُم يَحِلُّونَ لَهُنَّ - وآتُوهُم**﴾ أي: أعطوا الكُفّارَ أزواجَهنّ ﴿**ما أنفَقُوا**﴾ عليهنّ من المُهور، ﴿**ولا جُناحَ عَلَيكُم أن تَنكِحُوهُنَّ**﴾ بشرطه، ﴿**إذا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورهنّ.

٤ - ﴿**ولا تُمَسِّكُوا**﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿**بِعِصَمِ الكَوافِرِ**﴾ زوجاتِكم لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمُشركين مُرتدّاتٍ لقطع ارتدادهنّ نكاحَكم بشرطه، ﴿**واسألُوا**﴾: اطلبوا ﴿**ما أنفَقتُم**﴾ عليهنّ من المُهور، في صُورة الارتداد ممّن تزوّجهنّ من الكُفّار، ﴿**ولْيَسألُوا ما أنفَقُوا**﴾ على المُهاجرات، كما تقدّم أنهم يُؤتَونه - ﴿**ذَلِكُم حُكمُ اللهِ، يَحكُمُ بَينَكُم**﴾ به. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ ١٠ - ﴿**وإن فاتَكُم شَيءٌ مِن أزواجِكُم**﴾ أي: واحدةٌ فأكثرُ منهنّ، أو شيء من مُهورهنّ، بالذهاب ﴿**إلَى الكُفّارِ**﴾ مُرتدّاتٍ، ﴿**فعاقَبتُم**﴾: فغزوتم وغنمتم، ﴿**فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَت أزواجُهُم**﴾ من الغنيمة ﴿**مِثلَ ما أنفَقُوا**﴾، لفواته عليهم من جِهة الكُفّار، ﴿**واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ**﴾ ١١. وقد فعل المُؤمنون ما أُمروا به، من الإيتاء للكُفّار والمُؤمنين. ثمّ ارتفع هذا الحُكم.

(١) انظر أول الآية ٤. وجواب قسم: انظر «المفصل». وبدل: يعني «لمن». واليوم: الوقت. والآخر: ما يكون بالبعث. ويظن: يتوقع. والغني: المستغني بذاته. ولأهل طاعته أي: يكرمهم ويحمد لهم ما اكتسبوا. ولما نزلت الآيتان ٥ و٦ عزم المؤمنون على معاداة جميع الكافرين فنزلت الآية ٧. تفسير الخازن ٧:٦٥. ويجعل: يخلق. وعاديتم: خاصمتم. والمودة: المحبة ومقاصد الخير. والقدير: الكامل القدرة. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان للمؤمنين.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. وينهى: يمنع. والديار: جمع دار. وتبره: تحسن إليه. وبدل أي: المصدر المؤول من «أن»: بدل من الاسم الموصول في الموضعين. وتفضوا إليهم: تعاملوهم. و«هذا» يعني أن حكم البر والعدل نُسخ بما في أوائل سورة التوبة. والراجح أن الآية محكمة ولاناسخ لها، إذ البر واجب مع المسالم، والعدل واجب معه ومع المقاتل أيضًا إلّا في ميادين الحرب. ويحبهم: يودهم فيكرمهم. وعاونوا: يعني أن معاون العدو يعادَى ولا يوالَى. والظالم: من تجاوز الحق.

(٣) جاءت سُبيعة بنت الحارث مهاجرة، فأقبل زوجها الكافر يطلب ردها، فنزلت الآية ١٠ توكيدًا لحصر العهد بالرجال. الناسخ والمنسوخ ٣:٨٨ و١٠٧. وبألسنتهن: بلفظ الشهادة. وامتحن: اختبرْ لمعرفة سبب الهجرة. والحلف: التحليف قسمًا. و«ولا عشقًا لرجال من المسلمين» مقحم فيما نسب إلى ابن عباس من القول. انظر تفسير ابن كثير ٤:٣٥٠-٣٥١. وأعلم: أبلغ إحاطة منكم. والكفار: جمع كافر. وحل: مباح نكاحهن. ويَحِلّون: يحل نكاحهم. والجناح: الذنب. وتنكح: تتزوج. وشرطه: ما يعرف من شروط لصحة العقد. وآتيتم: أعطيتم. والأجور: جمع أجر.

(٤) لاتمسّكوا به: افسخوه. وبالتخفيف يريد القراءة «ولا تُمْسِكُوا». والعصم: جمع عِصْمة. وهي عَقد النكاح. والكوافر: جمع كافرة. ولها: لِعِصمة المشركة. واللاحقات بالمشركين: اللواتي يرجعن إلى مشركي مكة. ونكاحكم أي: عقد النكاح. وأنفق: صرف. والصورة: الحالة. والحكم: الأمر الواجب. وبينكم: بين المخاطبين ومشركي مكة. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والحكيم: انظر آخر الآية ٥. وقد أبى المشركون أن يدفعوا مهور المرتدات، فنزلت الآية ١١. تفسير البغوي ٤:٣٣٣-٣٣٤. وفاتكم: ذهب عنكم. والأزواج: جمع زوج. وهي الزوجة. وعاقبتم: جازيتم العدو. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. وارتفع: يعني أن الحكم بدفع المهر وأخذه نُسخ بعد فتح مكة.

١ - ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، إذا جاءَكَ المُؤمِناتُ، يُبايِعْنَكَ على ألّا يُشرِكْنَ باللهِ شَيئًا ولا يَسرِقْنَ ولا يَزنِينَ ولا يَقتُلْنَ أولادَهُنَّ﴾، كما كان يُفعل في الجاهليّة من وأد البنات، أي: دفنهنّ أحياءً خوفَ العار والفقر، ﴿ولا يأتِينَ بِبُهتانٍ يَفتَرِينَهُ بَينَ أيدِيهِنَّ وأرجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط يَنسِبْنَه إلى الزوج - ووُصِفَ بصِفة الولد الحقيقيّ، فإنّ الأُمّ إذا وضعتْه سقط بين يديها ورجليها - ﴿ولا يَعصِينَكَ في مَعرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله - تعالى - كترك النِّياحةِ وتمزيقِ الثياب وجزِّ الشعور وشقِّ الجيب وخمشِ الوجه، ﴿فبايِعْهُنَّ﴾ - فَعَلَ النبيُّ ﷺ ذلك بالقول، ولم يُصافح واحدة منهنّ - ﴿واستَغفِرْ لَهُنَّ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٢.

٢ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَوَلَّوا قَومًا غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم﴾ هم اليهود، ﴿قد يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾ أي: من ثوابها مع إيقانهم بها، لعنادهم النبيَّ مع علمهم بصِدقه، ﴿كما يَئِسَ الكُفّارُ﴾ الكائنون ﴿مِن أصحابِ القُبُورِ﴾ ١٣ أي: المقبورين، من خير الآخرة، إذ تُعرض عليهم مقاعدهم من الجنّة، لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سورة الصَّفّ

مكية أو مدنية، أربعَ عشرَة آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الصَّفِّ الجُزْءُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ — ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٣ - ﴿سَبَّحَ لِلّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: نزّهَه - فاللام: مزيدة. وجيء بـ «ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر - ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه، ﴿الحَكِيمُ﴾ ١ في صُنعه. ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿ما لا تَفعَلُونَ﴾ ٢، إذِ انهزمتم بأُحد؟ ﴿كَبُرَ﴾: عظُمَ ﴿مَقتًا﴾: تمييزٌ ﴿عِندَ اللهِ أن تَقُولُوا﴾: فاعلُ «كبر» ﴿ما لا تَفعَلُونَ ٣. إنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾: يَنصر ويُكرم ﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: حالٌ أي: صافّين، ﴿كأنَّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌ﴾ ٤: مُلزَقٌ بعضُه إلى بعض ثابتٌ.

٤ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، لِمَ تُؤذُونَنِي﴾ - قالوا: «إنه آدَرُ» أي منتفخُ الخُصيةِ، وليس كذلك، وكذّبوه - ﴿وقَد﴾: للتحقيق ﴿تَعلَمُونَ أنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم﴾ الجملة حالٌ، والرسول يُحترم؟ ﴿فلَمّا زاغُوا﴾: عدلوا، عن الحقّ بإيذائه، ﴿أزاغَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾: أمالَها عن الهُدى، على وَفق ما قدّره في الأزل. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾ ٥: الكافرين في عِلمه.

---

(١) بعد فتح مكة، بايع الرسول ﷺ الرجال على ألّا يشركوا ولا يسرقوا ولايزنوا... ثم بايع النساء، كما جاء في هذه الآية. وجاءك: قصدك وحضر مجلسك. والمؤمنة: من صدّقَتِ الله ورسوله، واعترف قلبها بالتوحيد وما يلزمه. ويبايعنك: يردن التعهد لك بتوكيد وتوثيق. ويشركه: يجعله شريكًا في الألوهية والتقديس والطاعة. والأولاد: جمع ولد. والمراد بهم البنات. والوأد: الدفن للإنسان وهو حي. ويأتي به: يفعله. والبهتان: الكذب الذي يدهش صاحبه إذا واجهتَه به. وتفتريه: تدعي كذبًا أنه ابنها من زوجها. ووُصف أي: اللقيط. ووضعته أي: ولدت طفلها. ولا يعصين: لايخالفن. والنياحة: البكاء على الميت. وبايعهن أي: تعهد لهن بالقبول والثواب. واستغفر: اسأل بالدعاء سترَ ما كان وما سيكون، وعدمَ المؤاخذة عليهما. وانظر آخر الآية ٧.

(٢) كان بعض فقراء المسلمين يواصلون أغنياء اليهود بأخبار إخوانهم، فنزلت الآية بالنهي القاطع. لباب النقول. وغضب عليه: سخط عليه فطرده من الرحمة. ويئس: قطع الأمل. والآخرة: الحياة بالبعث للحساب. ولعنادهم: يعني أن تكذيبهم مكابرةً وعنادًا حقق لهم اليأس من الثواب. والكفار: جمع كافر. والأصحاب: جمع صاحب. والقبور: جمع قبر. وتعرض عليهم أي: يرغمون على المشاهدة للتبكيت والتحسر. والمقاعد: المنازل والقصور والنعم.

(٣) سأل الصحابة النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله، فنزلت هذه السورة. المسند ٥:٤٥٢ ولباب النقول. وكان بعض المسلمين قد تمنوا مثل ذلك، ولما فُرض عليهم الجهاد ظهر ضعفهم في غزوة أُحد، فجاءت الآيات بالعتاب والتوبيخ. الدر المنثور ٦:٢١٢-٢١٣. وانظر الآية ١ من سورة الحديد. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتقولون أي: تتحدثون بألسنتكم. ولا تفعلون: لا تنفّذون. والمقت: أشد البغض. وعنده: في حكمه وقضائه. وفاعل كبر: يعني أن المصدر المؤول من «أن تقولوا» في محل رفع، والتقدير: كبر قولُكم. ويحبه: يودّه بما يناسب جلاله وعظمته وييسر له الخير. ويقاتل: يجاهد العدو بالسلاح. والسبيل: الطريق الواضح. وفي سبيله أي: لإعلاء كلمته وشأن دينه بما شرع من الجهاد. والبنيان: ما يبنى من القصور والسدود.

(٤) موسى: أعظم نبي لبني إسرائيل. وقومه: الجماعة التي ينتسب إليها. وتؤذونني: تسيئون إليّ بالمخالفة والمفاسد العظيمة. انظر «المفصل». وقد اتهموه وبانتفاخ الخصية ذمًا، لأنهم كانوا يغتسلون عُراة مجتمعين، وهو ينفرد في اغتساله. انظر الأحاديث ٢٧٤ و٣٢٢٣ في البخاري و٣٣٩ في مسلم. وليس كذلك أي: لم يكن موسى كما قالوا. وتعلمون أي: علمتم يقينًا. والرسول: المُرسَل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٤٦ من سورة الحج. وأمالها: صرفها وزادها ضلالًا. ولايهديهم: لايوجّه قدراتهم ولا يوفقهم في الهداية. وفي علمه أي: فيما علم من أحوال الخلق واستعداداتهم.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

١ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ: يا بَني إسرائيلَ**﴾ - لَم يَقلْ: «يا قوم» لأنه لم يكن له فيهم قرابة - ﴿**إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ**﴾: قبلي ﴿**مِنَ التَّوراةِ، ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يأتي مِن بَعدِيَ، اسمُهُ أحمَدُ**﴾. قال تعالى: ﴿**فلَمّا جاءَهُم**﴾: جاء أحمدُ الكُفّارَ ﴿**بالبَيِّناتِ**﴾: الآيات والعلامات ﴿**قالوا: هٰذا**﴾ أي: المجيء به ﴿**سِحرٌ**﴾ - وفي قِراءة: «ساحِرٌ» أي: الجائي به - ﴿**مُبِينٌ**﴾ ٦: بيّنٌ. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أظلَمُ**﴾ أشدّ ظُلمًا ﴿**مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ الكَذِبَ**﴾، بِنسبةِ الشريك والولد إليه، ووصفِ آياته بالسِّحر، ﴿**وهُوَ يُدعَى إلَى الإسلامِ؟ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ ٧: الكافرين.

٢- ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا**﴾ - منصوب بـ«أن» مُقدّرة، واللام: مزيدة - ﴿**نُورَ اللهِ**﴾: شرعَه وبراهينه ﴿**بأفواهِهِم**﴾: بأقوالهم: إنه سِحر وشِعر وكِهانة، ﴿**واللهُ مُتِمٌّ**﴾: مُظهرٌ ﴿**نُورَهُ**﴾، وفي قراءة بالإضافة، ﴿**ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ**﴾ ٨ ذلك. ﴿**هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ، لِيُظهِرَهُ**﴾: يُعليَه ﴿**علَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾: جميع الأديان المُخالفة له، ﴿**ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ**﴾ ٩ ذلك.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، هَل أدُلُّكُم علَى تِجارةٍ تُنجِيكُم**﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿**مِن عَذابٍ ألِيمٍ**﴾ ١٠: مُؤلم؟ فكأنهم قالوا: نعم. فقال: ﴿**تُؤمِنُونَ**﴾: تدومون على الإيمان ﴿**باللهِ ورَسُولِهِ، وتُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بأموالِكُم وأنفُسِكُم - ذٰلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ١١ أنه خير فافعلوه، ﴿**يَغفِرْ**﴾: جوابُ شرط مُقدّر، أي: إن تفعلوه يغفرْ ﴿**لَكُم ذُنُوبَكُم، ويُدخِلْكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ، ﴿**ذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ ١٢، ﴿**و**﴾ يُؤتِكم نِعمةً ﴿**أُخرَى تُحِبُّونَها، نَصرٌ مِنَ اللهِ وفَتحٌ قَرِيبٌ - وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**﴾ ١٣ بالنصر والفتح.

٤- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا أنصارًا للهِ**﴾: لدينه - وفي قراءة بالإضافة - ﴿**كَما**﴾ المعنى: كما كان الحواريّون كذلك، الدالُّ عليه: ﴿**قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ لِلحَوارِيِّينَ: مَن أنصارِيَ إلَى اللهِ**﴾ أي: مَن الأنصار الذين يكونون معي مُتوجّهًا إلى نُصرة الله؟ ﴿**قالَ الحَوارِيُّونَ: نَحنُ أنصارُ اللهِ**﴾. والحواريّون أصفياءُ عِيسَى، وهم أوّل من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا، من الحَوَر، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثّياب، أي: يُبيّضونها. ﴿**فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِن بَنِي إسرائيلَ**﴾ بعِيسَى، وقالوا: إنه عبد الله رُفِعَ إلى السماء. ﴿**وكَفَرَتْ طائِفَةٌ**﴾ لقولهم: إنه ابن الله رَفعه إليه. فاقتتلت الطائفتان، ﴿**فأيَّدْنا**﴾: قوّينا ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من الطائفتين ﴿**علَى عَدُوِّهِم**﴾: الطائفة الكافرة، ﴿**فأصبَحُوا ظاهِرِينَ**﴾ ١٤: غالِبينَ.

---

(١) عيسى: الرسول الذي أنزل عليه الإنجيل وزعم اليهود أنهم صلبوه. وبنو اسرائيل: نسل يعقوب وهم اليهود، بعضهم تنصر. ولم يكن له فيهم قرابة أي: نسبٌ لأنه ولد من غير أب. والرسول: من بعث للدعوة والعمل. والمصدق: المؤكّد المحقق. والمبشر: من يبلّغ الخير. وأحمد: أكثر الناس حمدًا. وجاءهم أي: أتاهم للدعوة. والعلامات: الأدلة على صدقه. والسحر: ما يخدع العقول والحواس ويخيل إليها غير الواقع. والجائي أي: الرسول. و«لا» يعني أن الاستفهام بـ«من» هو للنفي والاستبعاد. والظلم: مجاوزة الحق. وافترى: اختلق. ويدعى: يطلب إقباله. والإسلام: الدين الإسلامي. وانظر آخر الآية ٥.

(٢) انظر سبب النزول في المفصل. ويريد: يطلب. ويطفئ: يُخمد ويُبطل. وزيادة اللام للتقوية والتوكيد. والأفواه: جمع فم. وبالإضافة يريد القراءة: «مُتِمُّ نُورِهِ». وكره: أبغض. والكافر: من كذّب الله ورسوله. وهم بنو إسرائيل اليهود والنصارى. وأرسله: بعثه لتبليغ البشر مع العمل. والهدى: المرشد إلى طريق الصواب. وهو القرآن. والدين: العقيدة والشريعة. والحق: الصادق الثابت. والمشرك: من جعل بعض المخلوقات شريكًا في الألوهية والطاعة. وذلك أي: ما ذكر من إظهار دينه.

(٣) أدل: أُوجّه. والتجارة: العمل في الشراء والبيع، استعير هنا لفضائل الأعمال. وتنجي: تنقذ. وبالتشديد يريد القراءة «تُنَجِّيكُم». انظر سبب النزول في المفصل. والإيمان: الاعتقاد اليقيني. وتجاهد: تبذل كل ما تستطيع. وفي سبيل: انظر الآية ٤. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وخير: أكثر نفعًا. وتعلمون: تدركون. ويغفر: يستر ولايعاقب. والذنوب: جمع ذنب. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والمساكن: جمع مسكن. والطيبة: ذات النعيم. والفوز: الظفر بالمطلوب. وتحب: تفضل وتتمنى. والنصر: العون على العدو. والفتح: التمليك لبلاد الكافرين. وبشرهم: أبلغهم ما فيه السعادة.

(٤) كونوا أي: دوموا. والأنصار: جمع نصير. وبالإضافة يريد «أنصارَ اللهِ». وإلى الله: إلى نصرة دينه. وآمنت: صدّقت توحيد الله وما يلزمه. وبنو إسرائيل: انظر الآيتين ٦ و٨. وكفرت: كذّبت التوحيد. والعدو: المعادي بخصام وقتال. وأصبح: صار. وغالبين: منتصرين بالحجة أو بالقتال، في ذلك الزمان على الكافرين.

سورة الجمعة — ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟
مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سورة الجُمُعة

مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٦

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنزِّهه، فاللام: زائدة، ﴿ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ - في ذكر «ما» تغليب للأكثر - ﴿المَلِكِ القُدُّوسِ﴾: المُنزّهِ عمّا لا يليق به ﴿العَزيزِ الحَكيمِ﴾ ١ في مُلكه وصُنعه.

٢- ﴿هوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ﴾: العربِ - والأُمّيّ: من لا يكتب ولا يقرأ كتابًا - ﴿رَسولًا مِنهُم﴾ هو مُحمّد ﷺ، ﴿يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرُهم من الشِّرك، ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القُرآن ﴿والحِكمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنّهم ﴿كانُوا مِن قَبلُ﴾: قبل مجيئه ﴿لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ ٢: بيّنٍ، ﴿وآخَرينَ﴾: عطفٌ على «الأُمِّيِّينَ» أي: الموجودين منهم، وآتين ﴿مِنهُم﴾ بعدهم، ﴿لَمّا﴾: لم ﴿يَلحَقُوا بِهِم﴾ في السابقة والفضل، ﴿وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ ٣ في صُنعه. وهم التابعون. والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوثِ فيهم النبيُّ على من عداهم، ممّن بُعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجنّ إلى يوم القيامة، لأنّ كُلّ قرن خير ممّن يليه. ﴿ذلِكَ فَضلُ اللهِ، يُؤتيهِ مَن يَشاءُ﴾ النبيَّ ومن ذُكر معه، ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظيمِ﴾ ٤.

٣- ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ﴾: كُلّفوا العملَ بها، ﴿ثُمَّ لَم يَحمِلُوها﴾: لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يُؤمنوا به، ﴿كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أسفارًا﴾ أي: كُتبًا، في عدم انتفاعه بها، ﴿بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ﴾ المُصدّقةِ للنبيّ! والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: هذا المَثَلُ. ﴿واللهُ لا يَهدي القَومَ الظّالِمينَ﴾ ٥: الكافرين.

٤- ﴿قُلْ: يا أيُّها الَّذينَ هادُوا، إن زَعَمتُم أنَّكُم أولياءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقينَ﴾ ٦. تعلّق بتمنّيه الشرطان، على أنّ الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتُم في زعمكم أنكم أولياء لله، والوليُّ يُؤثِر الآخرة ومبدؤها الموت، فتمنّوه. ﴿ولا يَتَمَنَّونَهُ أبَدًا، بِما قَدَّمَت أيديهِم﴾ من كُفرهم بالنبيّ المستلزم لكذبهم، ﴿واللهُ عَليمٌ بِالظّالِمينَ﴾ ٧: الكافرين. ﴿قُلْ: إنَّ المَوتَ الَّذي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّهُ﴾ - الفاء: زائدة - ﴿مُلاقِيكُم، ثُمَّ تُرَدُّونَ إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: السِّرّ والعلانية، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ ٨، فيُجازيكم به.

---

(١) انظر الآية ١ من سورة الحديد. خ: «فاللام مزيدة». والملك: المالكُ لكل الخلق، والنافذُ الأمر والتصرف فيه.

(٢) بعثه: كلفه بتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ومنهم: مِن نسبهم وأمّيّ مثلهم. ويتلو: يبلّغ استظهارًا بدون كتاب. ويعلّم: يفهّم. والضلال: الخروج على الحق. و«آتين» تفسير لـ «آخرين». وتفسير «لمّا» بـ «لم» يعني أن النفي بها مستمر دائمًا، لأن الصحابة لا يماثلهم أحد في الفضل. وهذا المعنى لـ «لمّا» من نادر بليغ الكلام. ويلحق به: يساويه. والسابقة: السبق إلى الإسلام. والعزيز: الغلّاب لايعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. وهم التابعون يعني: آخرين. والقرن: الأمة. وذلك: ما ذكر من الرتبة العظيمة للنبي ﷺ وأصحابه. والفضل: التفضل. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد أن يكرمه. وذو الفضل: صاحبه يملكه ويتفرد به. والعظيم: الضخم لا مثيل له.

(٣) المَثل: الصفة العجيبة تُذكر للناس عظة. وهي هنا صفة اليهود المعاصرين للنبوة ومن جاء بعدهم. والتوراة: الكتاب الذي أوحي إلى موسى. ونعته: ماجاء من وصفه الثابت في التوراة، كما رأوه عيانًا. وكذلك لم يؤمنوا بكثير مما في التوراة، فحرفوه أو حذفوه. والحمار: الحيوان المعروف، يضرب ببلادته وغبائه المثل. ويحملها: تثقل ظهره. والأسفار: جمع سِفر. وهو الكتاب الكبير جمعت أوراقه ونضّدت. وبئس: بلغ الغاية في الفساد والبؤس والشر. وكذبوا بها: أنكروها. وفيما عدا الأصل وخ: «للنبي ﷺ». ولا يهديه: لا يوجّه قدراته إلى الحق ولايوفقه فيه. والظالم: من جاوز الحد. والكافرين: الذين اختاروا الكفر، لِما في نفوسهم من الفساد واستعدادهم من الخبث.

(٤) لما ظهرت الدعوة في المدينة كتب يهودها إلى يهود خيبر: إن اتبعتموه أطعناه، وإن خالفتموه خالفناه. فأجابوهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، ومنا الأنبياء. ومتى كانت النبوة في العرب؟ نحن أحق بها. فنزلت الآيات. البحر ٨:٢٦٧. وهادَ: تدين باليهودية. وزعم: ادّعى. والأولياء: جمع ولي. وهو المخلص المحبوب. وتمنوا: أي ادعُوا الله لتنتقلوا إلى الجنة التي تزعمونها لكم. والصادق: من يقول الحق. وتعلق بتمنيه: يعني أن تمني الموت مترتب على الشرطين: إن زعمتم، وإن كنتم صادقين. وقيد فيه: يعني أن الثاني مترتب على الأول وشرط فيه. ويؤثرها: يفضلها. ومبدؤها: طريقها. وأبدًا: في كل وقت. وقدمت: فعلته. والأيدي: جمع يد. وبالنبي أي: وغيره من الأحكام والآيات. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وانظر آخر الآية ٥. وتفرون منه: تخافون أن تتمنوه. والملاقي: المقابل فجأة. وتردّ: تعاد. وإليه: إلى لقاء حسابه. وينبئ: يخبر. وتعملون: تكتسبونه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ
فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ المُنَافِقُونَ — ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١
ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ
وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ
صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

١- ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا، إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن**﴾ بمعنى: في ﴿**يوم الجُمُعةِ فاسعَوا**﴾: فامضُوا ﴿**إلى ذِكرِ اللهِ**﴾ أي: الصلاة، ﴿**وذَرُوا البَيعَ**﴾ اتركوا عَقدَه - ﴿**ذٰلِكُم خيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ ٩ أنه خير فافعلوه - ﴿**فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتَشِرُوا في الأرضِ**﴾: أمرُ إباحة، ﴿**وابتَغُوا**﴾: اطلبوا الرزقَ ﴿**مِن فَضلِ اللهِ، واذكُرُوا اللهَ**﴾: ذكرًا ﴿**كثيرًا، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ ١٠: تفوزون.

٢- كان ﷺ يخطب يوم الجُمعة، فقدِمتْ عِير وضُرب لقُدومها الطبل على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غيرَ اثني عشرَ رجلًا، فنزل: ﴿**وإذا رَأَوا تِجارةً أو لَهْوًا انفضُّوا إلَيها**﴾ أي: التجارةِ، لأنها مطلوبهم دُون اللهو، ﴿**وتَرَكُوكَ**﴾ في الخُطبة ﴿**قائمًا. قُلْ: ما عِندَ اللهِ**﴾ من الثواب ﴿**خَيرٌ**﴾، للذين آمنوا، ﴿**مِنَ اللَّهوِ ومِنَ التِّجارةِ، واللهُ خَيرُ الرَّازِقِينَ**﴾ ١١. يقال: كُلّ إنسان يَرزق عائلته، أي: من رِزق الله تعالى.

سورة المنافقون

مدنية، إحدى عشرةَ آية.

ربع الحزب ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا**﴾ بألسنتهم، على خِلاف ما في قُلوبهم: ﴿**نَشهدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ. واللهُ يَعلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ، واللهُ يَشهَدُ**﴾: يعلم ﴿**إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ**﴾ ١ فيما أضمروه، مُخالفًا لما قالوه، ﴿**اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً**﴾: سُترة عن أموالهم ودمائهم، ﴿**فصَدُّوا**﴾ بها ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: عن الجهاد فيهم. ﴿**إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ ٢! ذٰلِكَ**﴾ أي: سُوءُ عملهم ﴿**بِأنَّهُم آمَنُوا**﴾ باللسان، ﴿**ثُمَّ كَفَرُوا**﴾ بالقلب، أي: استمرّوا على كُفرهم به، ﴿**فطُبِعَ**﴾: خُتم ﴿**على قُلُوبِهِم**﴾ بالكُفر، ﴿**فهُم لا يَفقَهُونَ**﴾ ٣ الإيمانَ.

٤- ﴿**وإذا رأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم**﴾ لجمالها، ﴿**وإن يَقُولُوا تَسمَعْ لِقَولِهِم**﴾ لفصاحته. ﴿**كأنَّهُم**﴾ من عِظمِ أجسامهم في ترك التفهّم ﴿**خُشْبٌ**﴾ - بسكون الشين وضمّها - ﴿**مُسَنَّدةٌ**﴾: مُمالة إلى الجِدار، ﴿**يَحسِبُونَ كُلَّ صَيحةٍ**﴾ تُصاحُ كنِداء في العسكر وإنشاد ضالّة ﴿**عَلَيهِم**﴾، لما في قلوبهم من الرُّعب، أن ينزل فيهم ما يُبيح دماءهم. ﴿**هُمُ العَدُوُّ. فاحذَرْهُم**﴾ فإنهم يُفشون سِرّك للكُفّار. ﴿**قاتَلَهُمُ اللهُ**﴾: أهلكهم. ﴿**أنَّى يُؤفَكُونَ**﴾ ٤: كيف يُصرفون عن الإيمان، بعد قيام البُرهان؟

---

(١) رجعت تجارة إلى المدينة يوم جمعة، والنبي ﷺ يخطب، وخرج المسلمون للقائها من المسجد، فنزلت الآيات. فتح القدير ٥: ٣٢٤. وانظر الآية ١١. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ونودي: دُعي بالأذان عند قعود الخطيب على المنبر. والصلاة: صلاة الجمعة. والذكر: استحضار العظمة الإلٰهية بالقلب والقول والعمل. والبيع أي: وما يلزمه من الشراء وما يكون من الأعمال. فالعقد يعم ذلك كله. وخير: أكثر نفعًا. وتعلم: تدرك وتعي. وقُضيت: أُدّيتْ. وانتشروا: تفرقوا للتصرف في حاجاتكم. وفي النسختين: «واطلبوا من فضل الله الرزق». وتفوزون أي: بما تحبون.

(٢) العير: القافلة تحمل تجارة من الشام، فيها ما يحتاج إليه الناس. انظر تعليقنا على تفسيرالآية ٩ والأحاديث ٨٩٤ و١٩٥٣ و١٩٥٨ و٤٦١٦ في البخاري و٨٦٣ في مسلم وأحكام القرآن للشافعي ١: ٩٤-٩٥ والدر المنثور ٦: ٢٢١ والواحدي ص ٤٥٥-٤٥٦. ورأوا: أدركوا وعلموا بما يسمعون من الضجيج والقرع. والتجارة: ما يتاجَر به في البيع والشراء من المتاع والزينة. واللهو: ما يكون فيه شغل عما يُهم الناس. وانفض: تفرق وانصرف. ومطلوبهم: مقصَدهم للشراء، وإنما كان اللهو تابعًا للتجارة. وتركه: خلّاه وأهمله. وقائمًا أي: على المنبر. وعنده: في حكمه وتفضله. وخير: أكثر نفعًا. والرازق: من يهيئ لغيره ما يحتاج إليه ويقدمه.

(٣) جاءك: قصدك وحضر مجلسك. والمنافق: من يظهر الإيمان ويضمر الكفر. ونشهد: نقرّ ونقسم على ذلك. ورسول الله أي: من أرسله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويعلم: يحيط علمًا ويقسم أيضًا. والكاذب: من يقول خلاف ما يعتقد. انظر سبب النزول في المفصل. واتخذ: جعل. والأيمان: جمع يمين. وهي القسم. وصد: منع. والسبيل: الطريق الواضح. والجهاد فيهم: قتالهم وإذلالهم. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح والفساد. ويعمل: يكتسب اختيارًا وقصدًا. وآمن: أقرّ وصدّق. وكفر: كذّب وأنكر. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال، يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة. ويفقه: يفهم بدقة ووضوح.

(٤) رأيتهم: أبصرتهم عِيانًا. وتُعجب: تُرضي مع الطمأنينة. والأجسام: جمع جسم. وهو الجسد الخالص. وتسمع: تنصت. والخشب: جمع خَشَب. وبضمها يريد القراءة «خُشُبٌ». وقد كان المنافقون يتصدرون المجالس، ويستندون إلى الجدران بأجسامهم، فيُعجَب من حضر بهياكلهم، أشباحًا خاوية من التدبر والوعي. ويحسب: يظن. وإنشاد ضالة أي: الدلالة على شيء مفقود بتعريفه وبيان مكانه. وانظر «المفصل». وعليهم أي: هم مقصودون بها، لكشف فضائحهم. والعدو: الأعداء المخاصمون، مفرد يعبر به عن الجماعة. واحذرهم: احفظ أسرارك عنهم. وأهلكهم أي: بلعنهم والطرد من رحمته. والمراد أن وقوع اللعن عليهم مقرَّر لا بد منه. والبرهان أي: على حقيقته ووجوبه.

الجزء الثامن والعشرون — سورة المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُن — ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

١- ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا**﴾ مُعتذِرينَ، ﴿**يَستَغفِرْ لَكُم رَسُولُ اللهِ، لَوَّوْا**﴾، بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿**رُؤُوسَهُم، ورأيتَهُم يَصُدُّونَ**﴾: يُعرِضُونَ عن ذلك، ﴿**وهُم مُستكبِرُونَ** ٥. **سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم**﴾ - استُغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل - ﴿**أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم. لَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم. إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾ ٦.

٢- ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿**لا تُنفِقُوا على مَن عِندَ رَسُولِ اللهِ**﴾ من المُهاجرين، ﴿**حَتَّى يَنفَضُّوا**﴾: يتفرّقوا عنه. ﴿**وللهِ خَزائنُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ بالرزق، فهو الرازق للمُهاجرين وغيرهم، ﴿**ولٰكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَفقَهُونَ** ٧. **يَقُولُونَ: لَئِنْ رَجَعْنا**﴾، أي: من غزوة بني المُصطلق، ﴿**إلى المَدِينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ**﴾: عنَوا به أنفُسَهم ﴿**مِنها الأذَلَّ**﴾: عنَوا به المُؤمنين. ﴿**وللهِ العِزَّةُ**﴾: الغلبةُ ﴿**ولِرَسُولِه ولِلمُؤمِنِينَ، ولٰكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَعلَمُونَ**﴾ ٨ ذلك.

٣- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُلْهِكُم**﴾: تَشغَلْكم ﴿**أموالُكُم ولا أولادُكُم عَن ذِكرِ اللهِ**﴾: الصلوات الخمس - ﴿**ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ فأُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ** ٩ - **وأنفِقُوا**﴾ في الزكاة ﴿**مِمّا رَزَقْناكُم، مِن قَبلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ المَوتُ، فَيَقُولَ: رَبِّ، لَولا**﴾ - بمعنى: هلّا، أو لا: زائدة ولو: للتمنّي - ﴿**أخَّرتَنِيَ إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ**﴾، بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتَصَدّق بالزكاة، ﴿**وأكُونَ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ١٠ بأن أحُجّ. قال ابن عبّاس: ما قصّر أحد في الزكاة والحجّ إلّا سأل الرجعةَ عِند الموت. ﴿**ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا، إذا جاءَ أجَلُها، واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾ ١١، بالتاء والياء.

سورة التَّغابُن

٤- مكية أو مدنية، ثماني عشْرةَ آية.

---

(١) لما نزلت الآيات تفضح قبائح ابن أُبيّ دعاه قومه أن يعتذر مما ادعى وشتم ونافق، فأبى واستكبر. وكان النبي يطمع في إيمانه مع أصحابه، ويستغفر لهم ويدعو بالصلاح، فنزلت الآية ٨٠ من سورة التوبة، فقال عليه الصلاة والسلام: «سوفَ أستَغفِرُ لَهُم زِيادةً علَى السَّبعِينَ»، فجاءت هاتان الآيتان لتشنيع أفعالهم، والتيئيس من قبولهم الهدايةَ. البحر ٨:٢٧٣. وتعالوا: أقبلوا على النبي ﷺ. ويستغفرُ: يدعو بستر الذنوب والصفح عنها. وبالتخفيف يريد القراءة «لَوَوْا». وعطفوها أي: تكبرًا وعنادًا. والرؤوس: جمع رأس. ورأيت: أبصرت عِيانًا. والمستكبر: من يطلب ما ليس له من العظمة والترفع. وسواء أي: متساويان في النتيجة والعاقبة. واستغني بهمزة الاستفهام: يعني أن الأصل «أاستغفرت»، فحذفت رسمًا همزة الوصل، للتمكن بهمزة القطع قبلها من النطق بالساكن، ولدلالتها عليها أيضًا. ويغفر: يستر الذنب ويصفح عنه. ولايهديه: لايصرف قدراته ولايرشده إلى الحق لِما في استعداده من الخبث والفساد، بل يتركه فيما هو عليه ويمده بالزيادة. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. والفاسق: الخارج عن الهداية إلى الضلال.

(٢) يقولون: يجاهرون بالقول. ولاتنفقوا عليهم: لا تتكفلوا نفقاتهم ولا تعينوهم بأموالكم. و«رسول الله» عبّر به إكرامًا لنبيّه، والمنافقون لايقولونه بينهم. ومَن عنده أي: أصحابه. ويتفرقوا عنه أي: إلى أعمالهم، ويدعوا صحبته وموافقته. والخزائن: جمع خزينة. وهي ما خُزن وجمع. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمنافق: من أظهر الإيمان وهو كافر. ولا يفقهون: لايعلمون تفرد الله بالملكِ، والمنعِ والعطاء لجميع الخلق. ورجعنا: عدنا. وغزوة بني المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة، حين جمع بنو المصطلق مَن حولهم لحرب المسلمين، والتقوا بهم في المريسيع قرب مكة، وكانت لهم الهزيمة. والمدينة أي: المنورة. ويخرجه: يطرده. والأعز: من هو أكثر غلبةً. والأذل: من هو أكثر هوانًا. وعزة الرسول: إظهار دينه على سائر الأديان. وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم على من عاداهم. ويعلم: يدرك ويعي.

(٣) آمن: صدّق الله ورسوله. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وذكر الله: استحضار عظمته وجلاله في القلب واللسان والعمل. ويفعل: يكتسب باختيار وعزم. وذلك أي: الانشغال بالمال والولد عن الإخلاص في الإيمان. والخاسر: من يضيع ما كان لديه وما ينتظر من الخير، لأنه فضّل الخسيس الفاني على العظيم الدائم. وأنفِق: ابذل طاعة واحتسابًا. ورزقناكم: أعطيناكم. ويأتي: يجيء. والموت هنا: مقدماته وعلاماته. ورب أي: يا ربي. حذف حرف النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وهلّا: حرف دعاء مع التمني. وأخرتني: أمهلتني بتأخير الموت. والأجل: الوقت المعيّن. وأصدّق: أدفع ما وجب عليّ من المال. وأكون: أصير. وفيما عدا الأصل وخ وع وقرة العينين: «وأكُنْ». انظر «المفصل». والصالح: من يعمل ما يرضي الله. وما نسب إلى ابن عباس هنا تلفيق بين نصين، أحدهما حديث ضعيف. انظر «المفصل». وفيما عدا الأصل والنسختين وقرة العينين: «ابن عباس رضي الله عنهما». والنفس: المخلوق الحي. وجاء: حضر وقضي. والأجل: آخر العمر المحدّد. والخبير: العليم للأسرار والخفايا. وتعمل: تكتسب بالنية أو القول أو الفعل. وبالياء يريد القراءة «يَعمَلُونَ». والضمير فيها يعود على «الخاسرون».

(٤) كون السورة مدنية قول أكثر العلماء، والقول بمكيتها لبعضهم، يستثنى منه الآيات ١٤-١٨. فقد نزلت في المدينة، كما سيرد بعد. ولذا جاء في التلخيص: «مدنية أو مكية»، بتقديم ما هو راجح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**يُسَبِّحُ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ أي: يُنزِّهُه - فاللام: زائدة، وأُتِيَ بـ «ما» دُون «مَن» تغليبًا للأكثر - ﴿**لَهُ المُلكُ ولَهُ الحمدُ، وهْوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**١ . **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم، فمِنكُم كافِرٌ ومِنكُم مُؤمِنٌ**﴾، في أصل الخلقة، ثم يُميتهم ويُعيدهم على ذلك، ﴿**واللهُ بِما تعمَلُونَ بَصِيرٌ** ٢، **خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم**﴾، إذ جعل شكل الآدميّ أحسن الأشكال، ﴿**وإلَيهِ المَصِيرُ** ٣، **يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، ويَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ. واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ٤ بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

٢- ﴿**ألَم يأتِكُم**﴾ - يا كُفّارَ مكّةَ - ﴿**نَبأُ**﴾: خبرُ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ، فذاقُوا وَبالَ أمرِهِم**﴾: عُقوبةَ الكُفر في الدنيا، ﴿**ولَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابٌ ألِيمٌ**﴾ ٥: مُؤلم؟ ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿**بِأنَّهُ**﴾ - ضميرُ الشأن - ﴿**كانَتْ تأتِيهِم رُسْلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج الظاهرات على الإيمان، ﴿**فقالُوا: أبَشَرٌ**﴾ - أُريد به الجِنس - ﴿**يَهدُونَنا؟ فكَفَرُوا وتوَلَّوا**﴾ عن الإيمان، ﴿**واستَغنَى اللهُ**﴾ عن إيمانهم. ﴿**واللهُ غَنِيٌّ**﴾ عن خلقه، ﴿**حَمِيدٌ**﴾ ٦: محمود في أفعاله.

٣- ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنْ**﴾ - مُخفّفةٌ واسمها محذوف - أي: أنّهم ﴿**لَن يُبعَثُوا. قُلْ: بَلَى، ورَبِّي لَتُبعَثُنَّ، ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلتُم. وذٰلِكَ علَى اللهِ يَسِيرٌ** ٧. **فآمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ والنُّورِ**﴾: القُرآن ﴿**الَّذِي أنزَلْنا. واللهُ بِما تعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ٨.

٤- اذكرْ ﴿**يومَ يَجمَعُكُم لِيَومِ الجَمعِ**﴾: يوم القيامة. ﴿**ذٰلِكَ يَومُ التَّغابُنِ**﴾: يَغبِن المُؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنّة، لو آمنوا. ﴿**ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ ويُدخِلْهُ**﴾ - وفي قراءة بالنون في الفعلين - ﴿**جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا - ذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ** ٩ - **والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾: القُرآن ﴿**أُولٰئِكَ أصحابُ النّارِ، خالِدِينَ فِيها، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ١٠ هي!

---

(١) يسبح... والأرض: انظر الآية ١ من سورة الحديد. والفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار. والملك: تمام الاستيلاء والتمكن من التصرف، بالقهر والغلبة. والحمد: الثناء بالجميل على فضله ونعمه. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته. وخلقكم: أوجدكم من العدم. والكافر: من كذّب الله ورسوله. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وفي أصل الخلقة: يعني أن الإنسان يكون كافرًا أو مؤمنًا، حين يخلق في بطن أمه. وهذا خلافُ ما ذكره المحلي في تفسير الآية ٣٠ من سورة الروم، من أن الله فطر الناس كلهم على الإيمان، وخلافُ ماصح من أن «كل مولود يولد على الفطرة». وللخروج من هذا الخلاف يكون المعنى، وهو أحسن الأقوال وعليه الأئمة والجمهور من الأمة، أن الله خلق الناس على الفطرة، وكفرُ الإنسان فعلٌ له وكسب مع أن الله هو خالق الكفر وميسره، وإيمانُ الإنسان فعلٌ له وكسب مع أن الله هو خالقُ الإيمان وميسره. تفسير القرطبي ١٨:١٣٣. وهذا طريق أهل السُّنَّة والجماعة، مَن سلكه أصاب الحق وسلم من الجبرية والقدرية، وهو أظهر وأوفق لِما في الآية من التوبيخ على الكفر. ومن يظن الكفر والإيمان جبرًا، أو اختيارًا بدون إرادة الله، فهو جاهل بمعنى الخلق والتقدير والإرادة. انظر تفاسير البغوي ٤:٣٥٢ والخازن ٧:١٠٣ والآلوسي ٢٨:١٧٧ والقاسمي ص ٥٨١٨. وتعملون: تكتسبونه. والبصير: المدرك للأحداث. والسماء والأرض: انظر تفسير الآية ٥ من سورة آل عمران. والحق: الحكمة البالغة. وصوّركم: قدّر صوركم وأنشأها. وأحسنها: جعلها متناسقة، تناسب ما خلقت له. والصور: جمع صورة. وإليه: إلى ميعاد حسابه وجزائه. والمصير: الانتقال بالبعث بعد الموت. ويعلم: يحيط بالغ الإحاطة جملة وتفصيلًا. وتسرون: تخفونه. وتعلنون: تظهرونه للآخرين. والصدور: جمع صدر. ويراد به القلب. وذاتها أي: ما يصاحبها يضمر فيها ولا يفارقها.

(٢) يأتيكم: يبلغكم فتعلمونه. وكفار مكة أي: وغيرها. وذاقوه: عانَوا أهواله. والوبال: الضرر الشديد. والأمر: الشأن الخطير. والرسل: جمع رسول. والجنس: الكثرة من أفراد البشر. ويهدي: يدل على الحق. وتولى: أعرض بدون تدبر. واستغنى: ظهر غِناه فلم يأبه لهم. والغني: المكتفي بذاته.

(٣) زعم: ادّعى. ويُبعث: تخلق فيه الحياة بعد الموت. وتنبأ: تخبر. وعملتم: اكتسبتم. وذلك أي: ما ذكر من البعث والحساب. واليسير: الهين. وآمنوا به أي: صدِّقوه يقينًا. والنور: ما يضيء فيميز الحق من الباطل. وأنزلنا: أوحيناه وكلفنا بالدعوة إليه. والخبير: العليم بالخفايا والبواطن. وانظر آخر الآية ٢.

(٤) لا حاجة إلى تقدير «اذكر»، ويوم: معمول لـ «تُنبأ». ويجمع: يَحشر بالقهر. والتغابن: الغَبن. وهو فقد النصيب. ومنازلهم وأهليهم: القصور والحور التي كانوا يستحقونها. والأهلون: جمع أهل. والصالح: ما أقرّه الشرع. ويكفّرها: يسترها ولا يؤاخذ بها. والسيئة: الفعلة القبيحة تقتضي العقاب. وبالنون يريد «نُكَفِّرْ» و«نُدْخِلْهُ». وهذه القراءة تقتضي أن الجملة الشرطية وما بعدها إلى نهاية الآية ليسا من مقول القول. فليكن ذلك في القراءة الأولى أيضًا. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم كثيرًا. وأبدًا: دائمًا مدة الزمان كله. والفوز: النجاح. والعظيم: الذي لا مثيل له. وكذب بها: أنكرها. والأصحاب: جمع صاحب. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والسوء. والمصير: مكان النهاية. وهي أي: النار. يعني أن الضمير هو المخصوص بالذم، أي: ما أسوأ عاقبتَهم!

سُورَةُ التَّغَابُن — الجزء الثامن والعشرون

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاق — ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

١- ﴿ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ إلّا بِإذنِ اللهِ﴾: بقضائه، ﴿ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ﴾ في قوله: «إنّ المُصيبة بقضائه» ﴿يَهدِ قَلبَهُ﴾ للصبر عليها، ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ١١. وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّيتُم فإنَّما علَى رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ﴾ ١٢: البيِّنُ. ﴿اللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ، وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾ ١٣.

٢- ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ مِن أزواجِكُم وأولادِكُم عَدُوًّا لَكُم. فاحذَرُوهُم﴾ أن تُطيعوهم في التخلّف عن الخير، كالجِهاد والهِجرة - فإنّ سبب نُزول الآية الإطاعةُ في ذلك - ﴿وإن تَعفُوا﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير، مُعتلّين بمشقّة فِراقكم عليهم، ﴿وتَصفَحُوا وتَغفِرُوا، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٤. إنَّما أمْوالُكُم وأولادُكُم فِتْنةٌ﴾ لكم، شاغلة عن أُمور الآخرة، ﴿واللهُ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ﴾ ١٥. فلا تُفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

٣- ﴿فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُم﴾ - ناسخةٌ لقوله «اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ» - ﴿واسمَعُوا﴾ ما أُمرتم به سماعَ قَبول ﴿وأطِيعُوا، وأنفِقُوا﴾ في الطاعة، ﴿خَيرًا لِأنفُسِكُم﴾: خبر «يكن» مُقدّرة جواب الأمر. ﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ١٦: الفائزون. ﴿إن تُقرِضُوا اللهَ قَرضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُم﴾ - وفي قِراءة «يُضَعِّفْهُ» بالتشديد. بالواحدةِ عشرًا إلى سبعِمِائَةٍ وأكثرَ. وهو التصدّق عن طِيب قلب - ﴿ويَغفِرْ لَكُم﴾ ما يشاء. ﴿واللهُ شَكُورٌ﴾: مُجازٍ على الطاعة، ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٧ في العِقاب على المعصية، ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: السرّ ﴿والشَّهادةِ﴾: العلانية، ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه، ﴿الحَكِيمُ﴾ ١٨ في صُنعه.

سورة الطلاق

٤- مدنية، ثلاثَ عشْرةَ آية.

---

(١) روي أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقًا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا. فنزلت الآية. تفسير القرطبي ١٨:١٣٩. وأصاب: نال أحدًا. والمصيبة: الرزية وما يسوء في النفس أو المال أو الولد أو البلد. وبقضائه أي: بعلمه وإرادته في حكمة عالية تشمل الوجود كله. ويؤمن به: يصدّق باليقين وجوده ويعلم أن كل حادثة بقضائه وقدره. ويهديه: يرشده ويوفقه. والقلب: موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. والصبرِ عليها أي: الثباتِ أمام نزولها وقولِ: إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وأطيعوه: الزموا تنفيذ أمره ونهيه. والرسول: من بعث وكلف الدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وتوليتم: أعرضتم عن الطاعة. والخطاب لكل سامع أو قارئ. والبلاغ: التبليغ والدعوة. والله: لفظ الجلالة اسم علم للمعبود بحق وحده والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويتوكل: يعتمد في جميع أحواله. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه.

(٢) الذين آمنوا: المؤمنون والمؤمنات. والأزواج: جمع زوج، أي: امرأة الرجل وزوج المرأة. والأولاد: جمع ولد. والعدو: المعادي يشغل عن الطاعة، ويخاصم أو يكيد في أمور الدين والدنيا. واحذر: احفظ نفسك ولا تأمن. وفي ذلك أي: أن بعض الصحابة أراد الغزو مع النبي ﷺ، فثبطه أهله ومنعوه، وأن بعض من أسلم في مكة أراد الهجرة، فمنعه أهله كذلك. الحديث ٣٣١٤ في الترمذي والمستدرك ٢:٤٩٠. والإطاعة: الطاعة. وتعفو: تترك العقاب. والتثبيط: الشغل والمنع. وتصفح: تُعرض عن اللوم والتعيير. وتغفر: تستر الذنب وتقبل المعذرة. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالعفو. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من المتاع والزينة. والفتنة: ما يكون للاختبار بتمييز الصالح من الفاسد. وعنده: في المنزلة الرفيعة المقربة. والأجر: المكافأة. والعظيم: ما لا مثيل له ولا يوصف قدره.

(٣) اتقوه أي: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. وما استطعتم: مدة استطاعتكم وتمكنكم، بأقصى القدرة. وناسخة لقوله يعني: أن الحكم هنا ينسخ الحكم في الآية ١٠٢ من سورة آل عمران، لأن التقوى الكاملة لا يستطيعها إلّا القليل. وقد روي أنه لما نزلت الآية المذكورة اشتد الأمر على الصحابة، وقالوا «ومن يعرف قدر الله، فيتقيه حق تقواه»؟ وأخذوا أنفسهم بكثرة العبادة والتحرج، حتى ضاقت بهم الحياة، فنزلت الآيات ١٦-١٨ للتخفيف والتيسير. أحكام القرآن ص ١٨٢١ ولباب النقول. وأطيعوا: نفّذوا أمر الشرع ونهيه. وأنفقوا: أبذلوا المال احتسابًا. والخير: ما فيه نفع الدنيا والآخرة. والأنفس: جمع نفس. وخبر يكن: يعني أن «خيرًا» خبر منصوب للفعل المحذوف. والتقدير: إن تتقوا وتسمعوا وتطيعوا وتنفقوا يكن ذلك، أي: التقوى والسمع والطاعة والإنفاق، خيرًا لكم. ويوق: يحفظه الله ويكفِه. والشح: البخل الشديد. والنفس: الضمير والوجدان. والفائزون أي: بخير الدنيا والآخرة. وتقرضوه: تبذلوا ما تستطيعون لوجهه الكريم إيمانًا واحتسابًا، من المال والجهد والوقت والقول والعلم والعمل، ليعوضكم الثواب الكريم. والحسن: المقرون بالإخلاص والرضا. وفيما عدا الأصل وخ وع وقرة العينين: «حسنًا بأن تتصدقوا عن طيب قلب يضاعفه». وسقط منها ما يقابله بعد. ويضاعفُه: يضيف إليه أمثاله كرمًا. وهو أي: القرض. ويغفر: يستر الذنوب ولا يؤاخذ بها. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنب، لا يستخفه عصيان ولا يعجل بالانتقام. والعالم: المحيط بالظواهر والخفايا جملة وتفصيلًا. والعزيز: الغلاب يذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية مع العلم والإتقان.

(٤) العدد المذكور غير مشهور. انظر «المفصل». والراجح ما في المنحة وبعض المطبوعات: ثنتا عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟
ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ
مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٦

١ - ﴿**يا أيُّها النَّبيُّ**﴾ المُراد هو وأُمّته، بقرينة ما بعده، أو قل لهم: ﴿**إذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ**﴾: أردتُمُ الطلاق ﴿**فطَلِّقُوهُنَّ لِعِدّتِهِنَّ**﴾: لأوّلها، بأن يكون الطلاق في طُهر لم تُمسَّ فيه - لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان - ﴿**وأحصُوا العِدّةَ**﴾: احفظوها، لتُراجعوا قبل فراغها، ﴿**واتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم**﴾: أطيعوه في أمره ونهيه، ﴿**لا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ ولا يَخرُجْنَ**﴾ منها حتّى تنقضي عِدّتهنّ، ﴿**إلّا أن يأتِينَ بفاحِشةٍ**﴾: زنى ﴿**مُبيَّنةٍ**﴾، بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنتْ أو بيِّنةٍ، فيخرجن لإقامة الحدّ عليهنّ. ﴿**وتِلكَ**﴾ المذكورات ﴿**حُدُودُ اللهِ، ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فقَد ظَلَمَ نَفسَهُ. لا تَدرِي: لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعدَ ذٰلِكَ**﴾ الطلاقِ ﴿**أمرًا**﴾ ١: مُراجعةً، فيما إذا كان واحدة أو ثِنتين.

٢- ﴿**فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ**﴾: قارَبْنَ انقضاء عِدّتهنّ ﴿**فأمسِكُوهُنَّ**﴾، بأن تُراجعوهن ﴿**بِمَعرُوفٍ**﴾ من غير ضِرار، ﴿**أو فارِقُوهُنَّ بِمعرُوفٍ**﴾: اتركوهنّ حتّى تنقضي عِدّتهنّ ولا تُضارّوهنّ بالمُراجعة، ﴿**وأشهِدُوا ذَوَي عَدلٍ مِنكُم**﴾ على المُراجعة أو الفِراق، ﴿**وأقِيمُوا الشَّهادةَ لِلّهِ**﴾ لا للمشهود عليه أو له.

٣- ﴿**ذٰلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا**﴾ ٢ من كرب الدنيا والآخرة، ﴿**ويَرزُقْهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ**﴾: يخطر بباله، ﴿**ومَن يَتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾ في أُموره ﴿**فهُوَ حَسْبُهُ**﴾: كافيه. ﴿**إنَّ اللهَ بالِغٌ أمرَهُ**﴾: مُرادَه - وفي قراءة بالإضافة - ﴿**قَد جَعَلَ اللهُ لِكُلِ شَيءٍ**﴾ كرَخاءٍ وشِدّة ﴿**قَدْرًا**﴾ ٣: مِيقاتًا.

٤- ﴿**واللّائي**﴾ - بهمزة وياء، وبلا ياء، في الموضعين - ﴿**يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ**﴾ بمعنى: الحيض ﴿**مِن نِسائكُم، إنِ ارتَبْتُم**﴾: شككتم في عِدّتهنّ، ﴿**فعِدّتُهُنَّ ثَلاثةُ أشهُرٍ، واللّائي لم يَحِضْنَ**﴾ لصِغرهنّ فعِدّتهنّ ثلاثة أشهر - والمسألتان في غير المُتوفَّى عنهنّ أزواجُهنّ. أمّا هنّ فعِدّتهنّ ما في آيةِ «يَتَربَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ أربعَةَ أشهُرٍ وعَشْرًا» - ﴿**وأُولاتُ الأحمالِ أجَلُهُنَّ**﴾: انقضاء عِدّتهنّ، مُطلّقاتٍ أو مُتوفَّى عنهنّ أزواجهنّ، ﴿**أن يَضَعْنَ حَملَهُنَّ. ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مِن أمرِهِ يُسرًا**﴾ ٤، في الدنيا والآخرة. ﴿**ذٰلِكَ**﴾ المذكور في العِدّة ﴿**أمرُ اللهِ**﴾: حُكمه، ﴿**أنزَلَهُ إلَيكُم، ومَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ، ويُعظِمْ لَهُ أجرًا**﴾ ٥.

---

(١) النداء بوصف النبوة تشريف وتكريم. وبقرينة ما بعده: يعني أن الأمر للجماعة بعدُ يبين ذلك ويوضحه. و«قل لهم» يعني تفسيرًا آخر، فيكون الخطاب للنبي وحده، مأمورًا بتبليغ الحكم لأمته. انظر المحرر ٥: ٣٢٢ والمفصل. وطلقها: حلّلها من عَقد الزواج. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وهي هنا المدخول بها من ذوات الحيض. وطلقوا: ابدؤوا بإيقاع حكم الطلاق. والعِدّة: المدة الشرعية المعيَّنة، تقضيها المرأة عند زوال النكاح، لتَظهر براءة رحمها من الحمل. ولأولها: عند أول وقت العِدّة. والطهر: عدم الحيض. ولم تمس: لم تجامَع. و«الشيخان» انظر الحديثين ٤٦٢٥ في البخاري و١٤٧١ في مسلم. ولا تخرجوهن: لا تحملوهن على الخروج. والبيوت: جمع بيت، مسكن الزوجية. ولا يخرجن أي: لا تأذنوا لهن بالخروج من دون عذر شرعي. ويأتي: يفعل ويرتكب. والفاحشة: الفعلة القبيحة الشنيعة. وبكسرها يريد القراءة «مُبَيِّنةٍ». والحدود: جمع حد. وهو الحكم القاطع لا تجوز مخالفته. ويتعدّى: يتجاوز ويخالف. وظلمها: أضرّ بها. ولا تدري: لا تعلم أيها القاصد للطلاق. ويحدث: يوجد ويجدد. والمراجعة: الرجوعُ عن الطلاق، والرغبةُ في العودة إلى الحياة الزوجية. وقول المحلي «فيما إذا» انظر فيه تعليقنا على تفسير الآية ١٦ من سورة الأنفال. وواحدة أو ثنتين يعني: الطلاق مرة واحدة أو مرتين.

(٢) بلغن: أدركن. والأجل: آخر العِدّة. وأمسكوهن: احتفظوا بهن على عقد النكاح مراجعة. والمعروف: حسن المعاملة والنفقة. وفارقوهن: أديموا الفراق حتى انقضاء العِدة. واتركوهن أي: على نية الطلاق. وأشهدوا: أحضِروا من يشهد. ومنكم: من المسلمين. وأقيموها: أدّوها صادقة. ولله أي: خالصة لوجهه الكريم دون مراعاة أحد.

(٣) ذلكم أي: ما ورد من أول السورة إلى هنا. ويوعظ: يرقّق قلبه فيُنصح وينتفع. ويؤمن: يعترف قلبه يقينًا. واليوم: الوقت. والآخر: الذي يكون بالبعث بعد الموت. ويتق الله: يلزم طاعته. ويجعل: يوجد. والمخرج: الفرج والخلاص. ويرزقه: يهيئ له ما يحتاج إليه. انظر سبب النزول في المفصل. ويتوكل عليه: يفوض أموره إليه، مع السعي بجد وإحسان. وبالغ أمره أي: منفّذه دون تبديل أو مانع. وبالإضافة يريد «بالغُ أمرِهِ». وميقاتًا أي: وقتًا معينًا لا بد منه، في قَدْره وزمنه وأحواله.

(٤) انظر سبب النزول في المفصل. واللائي: اللواتي. وبلا ياء يريد القراءة «واللّاءِ». وفي الموضعين أي: هنا وفيما بعد. ويئسن: بلغن انقطاع الحيض. والمحيض: سيلان الدم من الرحم كل شهر غالبًا. والأشهر: جمع شهر. وهو مقدار الدورة الكاملة للقمر حول الأرض. والمسألتان أي: حكم العجوز وحكم الصغيرة. وهن أي: المتوفَّى عنهن أزواجهن. والآية المذكورة هي ذات الرقم ٢٣٤ من سورة البقرة. وأولات: صاحبات، واحدته: ذات. والأحمال: جمع حَمل. وهو الجنين. ويضعن: يلدن. والأمر: الشأن. واليسر: التيسير. وأنزله: أوحاه. ويكفّرها: يسترها برحمته. والسيئة: العمل القبيح. ويعظمه: يضاعفه ويكثّره. والأجر: الثواب.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

١- ﴿**أسكِنُوهُنَّ**﴾ أي: المُطلّقاتِ ﴿**مِن حَيثُ سَكَنتُم**﴾ أي: بعضَ مساكنكم، ﴿**مِن وُجدِكُم**﴾ أي: سَعتكم، عطفُ بيان أو بدلٌ ممّا قبله بإعادة الجارّ وتقدير مضاف، أي: أمكنةِ سَعتكم لا ما دُونها، ﴿**ولا تُضارُّوهُنَّ لِتُضيِّقوا عليهِنَّ**﴾ المساكنَ، فيحتجْنَ إلى الخُروجِ، أو النفقةَ فيفتدين منكم، ﴿**وإن كُنَّ أولاتِ حَملٍ فأنفِقُوا عليهِنَّ، حَتَّى يَضَعْنَ حَملَهُنَّ، فإن أرضَعْنَ لَكُم**﴾ أولادكم منهنّ ﴿**فآتوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ على الإرضاع، ﴿**وائتَمِرُوا بَينَكُم**﴾ وبينهنّ ﴿**بِمَعرُوفٍ**﴾: بجميل، في حقّ الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع، ﴿**وإن تَعاسَرتُم**﴾: تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأبُ من الأُجرة والأُمُّ من فعله، ﴿**فَستُرضِعُ لَهُ**﴾: للأب ﴿**أُخرَى**﴾ ٦، ولا تُكرَهُ الأُمُّ على إرضاعه. ﴿**لِيُنفِقْ**﴾ على المُطلّقات والمُرضِعات ﴿**ذُو سَعةٍ مِن سَعتِهِ، ومَن قُدِرَ**﴾: ضُيّقَ ﴿**عليه رِزقُهُ فلْيُنفِقْ مِمّا آتاهُ**﴾: أعطاه ﴿**اللهُ**﴾ على قدره. ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إلّا ما آتاها. سَيَجعَلُ اللهُ بَعدَ عُسرٍ يُسرًا**﴾ ٧. وقد جعله بالفتوح.

٢- ﴿**وكَأيِّنْ**﴾ - هي كاف الجرّ دخلت على «أيّ» بمعنى: كم - ﴿**مِن قَريةٍ**﴾ أي: وكثيرٌ من القُرى ﴿**عَتَتْ**﴾: عصَت، يعني أهلَها، ﴿**عَن أمرِ ربِّها ورُسُلِهِ، فحاسَبْناها**﴾ في الآخرة، وإن لم تجئ لتحقق وقوعها، ﴿**حِسابًا شَدِيدًا، وعَذَّبْناها عَذابًا نُكرًا**﴾ ٨، بسكون الكاف وضمّها: فظيعًا وهو عذاب النار، ﴿**فذاقَت وَبالَ أمرِها**﴾: عُقوبتَه، ﴿**وكانَ عاقِبةُ أمرِها خُسرًا**﴾ ٩: خسارًا وهلاكًا!

٣- ﴿**أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا**﴾، تكرير للوعيد توكيدًا. ﴿**فاتّقُوا اللهَ، يا أُولي الألبابِ**﴾: أصحابَ العقول ﴿**الّذِينَ آمَنُوا**﴾: نعتٌ للمنادى أو بيان له. ﴿**قَد أنزَلَ اللهُ إلَيكُم ذِكرًا**﴾ ١٠ هو القُرآن، ﴿**رَسُولًا**﴾ أي: محمدًا، منصوبٌ بفعل مقدّر، أي: وأرسلَ رسولًا، ﴿**يَتلُو علَيكُم آياتِ اللهِ مُبَيَّناتٍ**﴾ - بفتح الياء وكسرها كما تقدّم - ﴿**لِيُخرِجَ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾، بعد مجيء الذكر والرسول، ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكُفر الذي كانوا عليه ﴿**إلى النُّورِ**﴾: الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر. ﴿**ومَن يُؤمِنْ باللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُدخِلْهُ**﴾ - وفي قراءة بالنون - ﴿**جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا، قَد أحسَنَ اللهُ لَهُ رِزقًا**﴾ ١١، هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

٤- ﴿**اللهُ الّذِي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ، ومِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ**﴾ يعني سبع أرَضِينَ، ﴿**يَتَنزَّلُ الأمرُ**﴾: الوحيُ ﴿**بَينَهُنَّ**﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جِبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، ﴿**لِتَعلَمُوا**﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أعلمَكم بذلك الخلق والتنزيل، ﴿**أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وأنَّ اللهَ قَد أحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا**﴾ ١٢.

---

(١) أسكنوهن أي: أقرّوهن للإقامة الزوجية. وحيث سكنتم: منزلة سُكناكم. والوجد: ما يُقدر عليه ويستطاع. وعطف بيان أي: لزيادة التوضيح مع التوكيد. وما دونها: ما هو أرفع منها أو أدنى. وتضارها: تستعمل معها الإيذاء. وتضيق: تشدد وتقهر. والمساكن أي: والنفقة والمعاملة. ويفتدين أي: بتنازل عن الحق. وأولات حمل: حاملات أجنة. وأنفقوا: ابذلوا واصرفوا لحاجاتهن. ويضعنه: يلدنه. وآتوا: أدّوا. والأجور: جمع أجر. وائتمروا: تناصحوا. وأُخرى: امرأة مغايرة للأم. وذو سعة: صاحب غنى. والرزق: ما ييسر من المتاع والزينة. ويكلفها: يوجب عليها. ويجعل: يخلق. والعسر: الفقر. واليسر: الغنى. والفتوح أي: فتوح بلاد الجزيرة وفارس والروم.

(٢) كم أي: كثير جدًا. والقرية: البلدة. وعصت: أعرضت. والأمر: ما أمر به. والرسل: جمع رسول. ولتحقق وقوعها: يعني أن الأفعال عُبّرَ فيها بالماضي عن المستقبل، لأن مضمونها واقع لامحالة. والظاهر أن الحساب مقصود به ما في الدنيا، وختام الآية هو عذاب الآخرة. البحر ٨:٢٨٦. والشديد: القاسي لا عفو فيه. وبضمها يريد القراءة «نُكُرًا». وذاقته: قاسته بأهواله وفظاعته. والوبال: الضرر الثقيل. وأمرها: شأنها من الكفر. والعاقبة: النهاية. وهلاكًا أي: في نار جهنم.

(٣) أعد: هيأ. واتقوه: تجنبوا غضبه والزموا رضاه. واللب: العقل السليم. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ونعت أي: أن «الذين»: صفة لـ «أولي». وبيان له أي: عطف بيان لـ «أولي». انظر تفسير الآية ٦. وأنزل: أوحى. والذكر: ما يذكّر بالخير. وقوله «وأرسل» فيه إقحام الواو زيادة تخل بالتفسير. انظر «المفصل». ويتلو: يقرأ ويوضح. وكما تقدم: يعني ما في الآية ١. ويخرجهم: ينقذهم. وعمل: اكتسب. والصالح: ما أقره الشرع. والظلمة: شدة السواد تمنع من الرؤية والاهتداء. والنور: الضياء يهدي إلى الصواب. ويدخله: ييسر له الدخول. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أمدًا طويلًا. وأبدًا: مدة الزمن كله. وأحسنَه: جعله عظيمًا. والرزق: ما يهيأ للمخلوق وييسر.

(٤) خلق: أوجد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وسبع أرضين: القارّات تعدّ سبعًا لا خمسًا، تفصل بينها البحار. وقيل: هي الطبقات المكونة للأرض، كما تفيد عبارة المحلي. انظر «المفصل» وتفسير القرطبي ١٨:١٧٥-١٧٦. ويتنزل: يتنقل. والوحي: ما يُقضى من التصرف في الكائنات. وإلى الأرض السابعة: يعني شمول القضاء لكل جزء من الكون. وتعلم: تدرك فتتعظ. والقدير: البالغ القدرة والتمكن بذاته دون معين أو منازع. وأحاط: علم كامل العلم.

سورة التحريم ترتيبها ٦٦ آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

مدنية، اثنتا عشْرةَ آية.

علامة الربع الحزب ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**يا أيها النبيُّ، لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لكَ**﴾ من أَمَتِكَ ماريَةَ القِبطيّة، لمّا واقَعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وشقّ عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيثُ قلتَ: هي حرام عليَّ، ﴿**تبتغي**﴾ بتحريمها ﴿**مَرضاةَ أزواجِكَ**﴾ أي: رِضاهنّ؟ ﴿**واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ**﴾ ١ غفرَ لك هذا التحريم، ﴿**قد فَرَضَ اللهُ**﴾: شَرَعَ ﴿**لكُم تَحِلّةَ أيمانِكُم**﴾: تحليلَها بالكفّارة المذكورة في سورة «المائدة» - ومن الأيمان تحريم الأمَة. وهل كفَّرَ ﷺ؟ قال مُقاتل: أعتقَ رقبة في تحريم ماريَةَ، وقال الحسن: لم يكفّر لأنه مغفور له - ﴿**واللهُ مَولاكُم**﴾: ناصركم، ﴿**وهُوَ العَليمُ الحَكيمُ**﴾ ٢. و﴿ اذكرْ ﴿**إذ أسَرَّ النَّبيُّ إلى بَعضِ أزواجِهِ**﴾ - هي حفصة - ﴿**حَديثًا**﴾ هو تحريم ماريَةَ، وقال لها: لا تُفشِيه. ﴿**فلَمّا نَبّأتْ بِهِ**﴾ عائشةَ، ظنًّا منها أن لا حرج في ذلك، ﴿**وأظهَرَهُ اللهُ**﴾: أطلعه ﴿**عليهِ**﴾: على المُنبَأ به، ﴿**عَرَّفَ بَعضَهُ**﴾ لحفصةَ، ﴿**وأعرَضَ عَن بَعضٍ**﴾ تكرّمًا منه، ﴿**فلَمّا نَبّأها بِهِ قالَتْ: مَن أنبأكَ هٰذا؟ قالَ: نَبّأنيَ العَليمُ الخَبيرُ**﴾ ٣ أي: اللهُ.

٢- ﴿**إن تَتوبا**﴾، أي حفصةُ وعائشةُ، ﴿**إلى اللهِ فقَد صَغَتْ قُلوبُكُما**﴾: مالت إلى تحريم ماريةَ، أي سرَّكما ذلك مع كراهة النبيّ له، وذلك ذنب - وجواب الشرط محذوف أي: تُقبَلا. وأُطلِقَ «قلوب» على قلبين ولم يُعبَّر به، لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة - ﴿**وإن تَظّاهَرا**﴾، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تتعاونا ﴿**علَيهِ**﴾ أي: النبيِّ فيما يكرهه ﴿**فإنَّ اللهَ هُوَ**﴾ - فصلٌ - ﴿**مَولاهُ**﴾: ناصرُه ﴿**وجِبريلُ، وصالِحُ المُؤمِنينَ**﴾ أبو بكرٍ وعُمرُ: معطوف على محلّ اسم «إنّ» فيكونون ناصريه، ﴿**والمَلائكةُ بَعدَ ذٰلِكَ**﴾ أي: بعد نصر الله والمذكورين ﴿**ظَهيرٌ**﴾ ٤: ظُهراء، أعوان له في نصره عليكما.

٣- ﴿**عَسى رَبُّهُ، إن طَلَّقَكُنَّ**﴾ أي: طلّق النبيُّ أزواجَه، ﴿**أن يُبَدِّلَهُ**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**أزواجًا خَيرًا مِنكُنَّ**﴾: خبرُ «عسى» - والجملة: جواب الشرط. ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط - ﴿**مُسلِماتٍ**﴾: مُقرّاتٍ بالإسلام، ﴿**مُؤمِناتٍ**﴾: مُخلصاتٍ ﴿**قانِتاتٍ**﴾: مُطيعات، ﴿**تائباتٍ عابِداتٍ سائحاتٍ**﴾: صائماتٍ أو مُهاجرات، ﴿**ثَيِّباتٍ وأبكارًا**﴾ ٥.

٤- ﴿**يا أيُّها الّذينَ آمَنوا، قُوا أنفُسَكُم وأهليكُم**﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿**نارًا، وَقودُها النّاسُ**﴾ الكفّار ﴿**والحِجارةُ**﴾ كأصنامهم منها - يعني أنها

---

(١) انظر الآية ١ من سورة الطلاق. وتحرّمه: تمنع نفسك منه. وأحلّ: جعله حلالًا. ومارية: بنت شمعون، وهبها المقوقِس للنبي ﷺ، فكانت أم ولده إبراهيم. وواقع: ضاجعَ. وهذه القصة لم ترد في الصحيحين. والصواب أن النبي ﷺ كان يحب العسل، ويشربه عند زوجته زينب، فادعت عائشة وحفصة أن في فمه من ذلك رائحة غير طيبة، حتى أقسم ألا يذوق العسل. الأحاديث ٤٦٢٨ و٤٩٦٦ و٦٣١٣ في البخاري و١٤٧٤ في مسلم. فليصحح كل ما سيرد بعد من قصة مارية. والغفور: الكثير الستر والتجاوز. والرحيم: العظيم العطف بالعفو. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم. والكفارة هي في الآية ٨٩ من تلك السورة. ومقاتل هذا: ابن حيان البلخي مفسر ومحدث. والحسن: ابن يسار البصري. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة البالغة. وأسر إليها: أعلمها مايجب كتمانه. والحديث هنا: الخبر. ونبأت: أخبرت. وأطلعه أي: على لسان جبريل. وأعرض عنه: أغفله. والخبير: العليم بما هو خفي. (٢) القلوب: جمع قلب. وتُقبَلا: تُقبَلْ توبتُكما. وانظر «المفصل». وفي الأصل وع: «وأَطلَقَ». وبدونها يريد القراءة «تَظاهَرا». وفصل: يعني أن «هو»: ضمير فصل وتوكيد. والصالح: من أخلص إيمانه وعمله. وعلى محل اسم إنّ أي: قبل دخول «إنّ» على الاسم. فجبريل وصالح: مرفوعان بالعطف. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية مطهرة. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. وعسى ربه أي: واجب من الله وحق. وطلق المرأة: فسخ عقد نكاحها. ويبدله: يعوضه. وبالتخفيف يريد القراءة «يُبْدِلَهُ». وخيرًا: أكثر نفعًا وفضلًا. وخبر عسى أي: المصدر المؤول من «أن» في محل نصب خبر. والجملة: جملة «عسى». والجواب المحذوف. انظر «المفصل». ولعدم وقوع الشرط أي: لعدم وقوع الطلاق، وهو فعل الشرط هنا. والتائبة: الراجعة عن الهفوة. والعابدة: المتذللة لطاعة الله ورسوله. والثيب: غير العذراء لزواج سابق. والأبكار: جمع بِكر. وهي العذراء. وثيبات وأبكارًا أي: بعضهن ثيبات وأُخر أبكار. (٤) قُوها: احفظوها واحموها. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات الإنسان بروحه وجسده. والأهل: من يتولى الإنسان أمره. والوقود: ما توقد به. والحجارة: جمع حجر. وعليها أي: يتولى تعذيب من يدخلها. والملائكة: ملائكة العذاب. وفي المدثر: يعني الآية ٣٠ من تلك السورة. والغلاظ: جمع غليظ. وهو القاسي لايرحم. والشداد: جمع شديد. وهو القوي العنيف. ويعصون: يخالفون أو يقصرون. وأمرهم: أوجب عليهم. وبدل أي: المصدر المؤول من «ما» بدل. وتأكيد أي: الجملة المعطوفة تفيد توكيد التي عطفت عليها. والتخويف: الردع. وتعتذر: تحتج طالبًا العفو. واليوم: وقت القيامة. وتجزى: تكافأ. وتعملون: تكتسبونه باختيار وقصد بنية أو قول أو فعل. وجزاءه أي: جزاء ما كنتم تعملون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾
وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

مُفرطة الحرارة تتّقد بما ذُكر، لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه - ﴿**عليها مَلائكةٌ**﴾: خزنتها عِدّتهم تسعةَ عشَرَ كما سيأتي في «المدّثّر»، ﴿**غِلاظٌ**﴾ من غِلظ القلب، ﴿**شِدادٌ**﴾ في البطش، ﴿**لا يَعصُونَ اللهَ ما أمَرَهُم**﴾: بدلٌ من الجلالة، أي: لا يعصون أمر الله، ﴿**ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ**﴾ ٦: تأكيدٌ - والآية تخويف للمُؤمنين عن الارتداد، وللمُنافقين المُؤمنين بألسنتهم دُون قُلوبهم - ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا، لا تَعتَذِرُوا اليَومَ**﴾ يقال لهم ذلك، عِند دُخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم. ﴿**إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ ٧ أي: جزاءه.

١- ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، تُوبُوا إلَى اللهِ تَوبةً نَصُوحًا**﴾، بفتح النون وضمّها: صادقةً بألّا يُعادَ إلى الذنب، ولا يُرادَ العودُ إليه، ﴿**عَسَى رَبُّكُم**﴾: تَرجيةٌ تَقَعُ ﴿**أن يُكَفِّرَ عَنكُم سَيِّئاتِكُم، ويُدخِلَكُم جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، يَومَ لا يُخزِي اللهُ**﴾ بإدخال النّار ﴿**النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُم يَسعَى بَينَ أيدِيهِم**﴾: أمامَهم ﴿**و**﴾ يكون ﴿**بِأيمانِهِم، يَقُولُونَ**﴾، مُستأنف: ﴿**رَبَّنا، أتمِمْ لَنا نُورَنا**﴾ إلى الجنّة - والمُنافقون يَطفأ نورهم - ﴿**واغفِرْ لَنا. إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ ٨.

٢- ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ**﴾ بالسيف، ﴿**والمُنافِقِينَ**﴾ باللسان والحُجّة، ﴿**واغلُظْ عليهِم**﴾ بالانتهار والمقت. ﴿**ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٩ هي!

٣- ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ. كانَتا تَحتَ عَبدَينِ مِن عِبادِنا صالِحَينِ، فخانَتاهُما**﴾ في الدِّين إذ كفرتا - وكانت امرأةُ نُوح واسمها واهِلةُ تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأةُ لُوط واسمها واعِلةُ تدلّ قومه على أضيافه، إذا نزلوا به ليلًا بإيقاد النار، ونهارًا بالتدخين - ﴿**فلَم يُغنِيا**﴾ أي: نُوحٌ ولُوط ﴿**عَنهُما مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا! وقِيلَ**﴾ لهما: ﴿**ادخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ**﴾ ١٠، من كفّار قوم نُوح وقوم لُوط.

٤- ﴿**وضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امرأةَ فِرعَونَ**﴾، آمنت بمُوسى واسمها آسِيةُ فعذّبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحًى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرّق عنها من وُكل بها ظلّلتها الملائكة، ﴿**إذ قالَتْ**﴾ في حال التعذيب، ﴿**رَبِّ، ابنِ لي عِندَكَ بَيتًا في الجَنّةِ**﴾ - فكُشف لها فرأته، فسهُل عليها التعذيب - ﴿**ونَجِّني مِن فِرعَونَ وعَمَلِهِ**﴾: وتعذيبه، ﴿**ونَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ ١١ أهل دينه - فقبض الله رُوحها - وقال ابن كَيسانَ: رُفعت إلى الجنّة حيّة فهي تأكل وتشرب - ﴿**ومَريَمَ**﴾: عطفٌ على «امرأةَ فِرعون» ﴿**ابنةَ عِمرانَ الَّتي أحصَنَتْ فَرجَها**﴾: حفظتْه، ﴿**فنَفَخْنا فِيهِ مِن رُوحِنا**﴾ أي: جِبريلَ، حيثُ نفخ في جيب دِرعها، بخلق الله - تعالى - فِعلَه الواصلَ إلى فرجها فحملت بعيسى، ﴿**وصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها**﴾: شرائعِه ﴿**وكُتُبِهِ**﴾ المُنزلَة، ﴿**وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ**﴾ ١٢: من القوم المُطيعين.

(١) انظر الآية ٦. وتوبوا: ارجعوا عن الذنوب والهفوات. وإلى الله: إلى طاعته ورضاه. وبضمها يريد القراءة «نُصُوحًا». وعسى: انظر الآية ٥. وترجية تقع أي: إطماع واجب الحصول لامحالة، بمقتضى الفضل والكرم. ويكفّرها: يسترها ولايؤاخذ عليها. والسيئات: الأعمال القبيحة. والجنة: الحديقة العظيمة. وتجري: تتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. واليوم: الوقت. ويخزي: يفضح ويُهين. والنور: الضياء يوضح السبيل على الصراط. ويسعى: يجري. والأيدي: جمع يد. والأيمان: جمع يمين. وهو الطرف الأيمن. وخص اليمين تشريفًا، إذ النور يكون للمؤمن من كل صوب، ولكنه أظهر مايكون عن يمينه. و«مستأنف»: يعني أن الجملة استئنافية. والأولى أنها حالية. وأتممه: أكمله وأدمه مرافقًا لنا. ويطفأ: يخمد. واغفر لنا: استر ذنوبنا واعف عنها. والقدير: البالغ القدرة والتمكن بذاته. (٢) جاهدهم: قاتلهم وابذل ما تستطيع من القوة. والكفار: جمع كافر. وهو المشرك من العرب كذّب الله ورسوله. والمنافق: من أظهر الإيمان وأضمر الكفر. واغلظ: شدد الخطاب والمعاملة. وعليهم: على الكفار والمنافقين. والمأوى: الملجأ. وبئس: بلغ النهاية في البؤس والضرر. والمصير: مكان العاقبة. وهي أي: جهنم، كان لها الذم هنا مرتين. (٣) ضرب: جعل. والمثل: الحالة الغريبة تذكر لبيان ما يشبهها للعظة. والمرأة: الزوجة. ونوح ولوط: النبيان المشهوران. وتحته: في عصمته وقيامه عليها. والصالح: من أخلص إيمانه وعمله واصطفاه الله. وخانته: غدرت به وخالفته. ويغني: يدفع. وعنهما أي: عن الزوجتين. وشيئًا يعني: أيّما إغناء! وقيل أي: سيقال يوم القيامة. والداخل: من يصير في جهنم. (٤) فرعون: ملك مصر في عهد موسى. وآسية: ابنة مزاحم آمنت بموسى. وقد بالغت الخرافات الإسرائيلية فيما لقيت من فرعون. قال أبوحيان: «وذكر المفسرون أنواعًا مضطربة في تعذيبها، وليس في القرآن نصًا أنها عذبت». البحر ٨:٢٩٥. وأوتدها: شدها بحبل إلى وتد مثبت في الأرض. والرحى: ما كان يطحن به من حجر صخري. ورب أي: ياربي. حذفت «يا» للتوكيد مبالغة في التعظيم، وياءُ المتكلمة للتخفيف. وابن: شيد وارفع. وعندك أي: قريبًا من رحمتك أعلى مراتب المقربين. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. ونجني: أنقذني وخلصني. والقوم: الجماعة من الناس. والظالم: من جاوز الحد. وهو هنا الكافر. وابن كيسان هو أبو عبد الرحمن طاوس اليماني، تابعي أخذ القرآن عن ابن عباس. و«رفعت إلى الجنة» قول مردود لأن دخول الجنة لايكون لغير عيسى إلّا بعد الموت. والصحيح أنها ماتت في الدنيا، كما ذكر العلماء. وحفظته أي: من الرجال بنكاح أو غيره. ونفخنا: دفعنا الهواء. وفيه: في فرجها، أي: بما انتقل إليه من جيب الدرع. وهو الطوق المحيط بالعنق من القميص. والروح هنا جبريل كما ذكر المحلي. وانظر الآية ٩١ من سورة الأنبياء. وفعله أي: مافعله جبريل من النفخ. وصدّقت بها: أقرّتها وأيقنت بها. والكتب: جمع كتاب.

الجزء التاسع والعشرون — سورة الملك

سُورَةُ المُلْكِ

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢)
ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
(٦) إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)

سورة المُلك

مكية، ثلاثون آية.

(الجزء ٢٩ الحزب ٥٧)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**تَبارَكَ**﴾: تنزَّه، عن صِفات المُحدَثين، ﴿**الَّذي بِيَدِهِ**﴾: في تصرّفه ﴿**المُلكُ**﴾: السلطان والقُدرة، ﴿**وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ**﴾ ١، ﴿**الَّذي خَلَقَ المَوتَ**﴾ في الدنيا، ﴿**والحَياةَ**﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا - فالنطفة تَعرِض لها الحياةُ وهي ما به الإحساسُ، والموت ضِدُّها أو عَدَمُها، قولانِ. والخلق على الثاني بمعنى التقدير - ﴿**لِيَبلُوَكُم**﴾: ليختبركم في الحياة: ﴿**أيُّكُم أحسَنُ عَمَلًا**﴾: أطوع لله؟ ﴿**وهوَ العَزيزُ**﴾ في انتقامه ممّن عصاه، ﴿**الغَفُورُ**﴾ ٢ لمن تاب إليه.

٢- ﴿**الَّذي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا**﴾: بعضُها فوق بعض من غير مُماسّة، ﴿**ما تَرَى في خَلقِ الرَّحمٰنِ**﴾ لهنّ أو لغيرهنّ ﴿**مِن تَفاوُتٍ**﴾: تباين وعدم تناسب. ﴿**فارجِعِ البَصَرَ**﴾: أعِدْه إلى السماء، ﴿**هَل تَرَى**﴾ فيها ﴿**مِن فُطُورٍ**﴾ ٣: صُدوع وشُقوق؟ ﴿**ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَينِ**﴾: كرّةً بعد كرّة، ﴿**يَنقَلِبْ**﴾: يرجعْ ﴿**إلَيكَ البَصَرُ خاسِئًا**﴾: ذليلًا لعدم إدراك خلل، ﴿**وهوَ حَسيرٌ**﴾ ٤: مُنقطع عن رُؤيةِ خللٍ. ﴿**ولَقَد زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا**﴾: القُربى إلى الأرض ﴿**بِمَصابِيحَ**﴾: بنُجوم، ﴿**وجَعَلْناها رُجُومًا**﴾: مَراجمَ ﴿**لِلشَّياطِينِ**﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شِهاب عن الكوكب كالقبس يُؤخذ من النار، فيَقتل الجِنّيَّ أو يُخبّله، لا أنّ الكوكب يزول عن مكانه، ﴿**وأعتَدْنا لَهُم عَذابَ السَّعِيرِ**﴾ ٥: النارِ المُوقدة.

٣- ﴿**ولِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم عَذابُ جَهَنَّمَ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ ٦ هي! ﴿**إذا أُلقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقًا**﴾: صوتًا مُنكرًا كصوت الحِمار، ﴿**وهْيَ تَفُورُ**﴾ ٧: تغلي، ﴿**تَكادُ تَمَيَّزُ**﴾، وقُرئ: «تَتَميَّزُ» على الأصل: تتقطّع ﴿**مِنَ الغَيظِ**﴾، غضبًا على الكافر، ﴿**كُلَّما أُلقِيَ فِيها فَوجٌ**﴾: جماعة منهم ﴿**سألَهُم خَزَنَتُها**﴾ سُؤالَ توبيخ: ﴿**ألَم يأتِكُم نَذيرٌ**﴾ ٨: رسول يُنذركم عذاب الله؟ ﴿**قالُوا: بَلَى قَد جاءَنا نَذِيرٌ، فكَذَّبْنا وقُلْنا: ما نَزَّلَ اللهُ مِن شَيءٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**أنتُم إلّا في ضَلالٍ كَبِيرٍ**﴾ ٩. يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكُفّار، حين أُخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكُفّار للنُّذر. ﴿**وقالُوا: لَو كُنّا نَسمَعُ**﴾ أي: سماعَ تفهّم، ﴿**أو نَعقِلُ**﴾ أي: عقلَ تفكّر، ﴿**ما كُنّا في أصحابِ السَّعِيرِ**﴾ ١٠. ﴿**فاعتَرَفُوا**﴾، حيثُ لا ينفع الاعتراف، ﴿**بِذَنبِهِم**﴾. وهو تكذيب الرسل. ﴿**فَسُحْقًا**﴾ - بسكون الحاء وضمّها - ﴿**لِأصحابِ السَّعِيرِ**﴾ ١١: فبُعدًا لهم عن رحمة الله. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم**﴾: يخافونه، ﴿**بالغَيبِ**﴾: في غيبتهم عن أعيُن الناس، فيطيعونه سِرًّا فيكون علانيةً أولى، ﴿**لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ**﴾ ١٢ أي: الجنة.

---

(١) تنزه أي: وتقدس وتعظم. وبيده أي: في قبضته. فيد الله - سبحانه - كما يليق بذاته من دون تمثيل أو تشبيه أو تعطيل. والملك هو الحيازة للكون كله مع التفرد في الضبط والتصرف. وقدير: انظر الآية ٨ من سورة التحريم. وخلق: أوجد. وهما في الدنيا أي: الموت والحياة الدنيوية. فالموت يكون: عدم المخلوق قبل خلقه. والنطفة: القطرة الدقيقة من المنيّ أو البويضة. والحياة قد تكون بالنماء أيضًا كما في النبات، أو بغير ذلك كما في الملائكة وما لا علم لنا به من المخلوقات. ويختبركم أي: ليظهر المطيع من العاصي، ويكون لكلٍّ جزاء ما عمل فعلًا. وأيكم يعني: مَن منكم؟ والعمل: الاكتساب بالنية أو القول أو الفعل. والعزيز: الغلّاب يذل له ماعداه. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. **(٢)** السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وطباقًا: في تفسير الخطيب عن البقاعي أن هذا يلزمه كون الأرض كُريّة، لتحيط بها السماوات من كل جانب. وترى: تبصر عِيانًا. والخلق: التكوين. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والبصر: النظر مع التأمل. وإلى السماء أي: والمخلوقات المرئية. والفطور: جمع فَطْر. وبعد كرة: يعني أن المراد تكرار النظر والتبصّر مرارًا. والحسير: البالغ النهاية من العجز. وخلل: اضطراب أو عدم اتساق. وزينا: جمّلنا. والمصابيح: جمع مِصباح. وجعل: صيّر. والرجوم: جمع رجْم. وهو الرمي. والشياطين: جمع شيطان، مخلوق من النار يغري بالشر. والشهاب: القطعة الملتهبة. ويخبله: يفسده. وأعتد: هيأ. والعذاب: التعذيب. **(٣)** كفروا به: كذّبوا ألوهيته وتوحيده. وبئس: بلغ الغاية من الشقاء والبلاء. وألقي: قذف. وتكاد: تقارب. والخزنة: جمع خازن، ملائكة العذاب. والتوبيخ: التعنيف والتبكيت. ويأتيكم: يجيء إليكم ويبلغكم. والنذير: الرسول يهدد العاصي. وفيما عدا الأصل والنسختين: «عذاب الله تعالى». وكذّب: أنكر. وما نزّل: ما أوحى إلى أحد. وفي الأصل: «ما أنزل». والشيء: ماهو موجود أو محتمل وجوده من الكتب والآيات. والضلال: الخروج على الحق. والكبير: البعيد جدًا عن الصواب. ويحتمل يعني: الكلامَ «إن أنتم إلّا في ضلال كبير». والاحتمال الثاني هو الظاهر المرجَّح، وعليه جمهور المفسرين. ونسمع: نصغي إلى الآيات والوعظ. وما كنا أي: ما صرنا. والأصحاب: جمع صاحب. واعترف به: أقرّ به وأثبته. والذنب: المعصية الكبيرة. وفيما عدا الأصل وخ: «تكذيب النذر». وبضمها يريد القراءة «فسُحُقًا». وغيبتهم: غيابهم. وفي الأصل وث وع: «في غيبهم». ويكون أي: يكون الخوف. والمغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والأجر: المكافأة. والكبير: الضخم لامثيل له.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

١ - ﴿**وأَسِرُّوا**﴾ - أيها الناس - ﴿**قولَكُم، أوِ اجهَرُوا بِهِ. إنَّهُ**﴾ تعالى ﴿**عَليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ**﴾ ١٣: بما فيها. فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك أنّ المُشركينِ قال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم، لا يسمعْكم إلٰه مُحمّد. ﴿**ألا يَعلَمُ مَن خَلَقَ**﴾ ما تُسرّون، أي: أينتفي عِلمه بذلك، ﴿**وهُوَ اللَّطِيفُ**﴾ في عِلمه، ﴿**الخَبِيرُ**﴾ ١٤ فيه؟ لا. ﴿**هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ ذَلُولًا**﴾ سهلة للمشي فيها - ﴿**فامشُوا في مَناكِبِها**﴾: جوانبها، ﴿**وكُلُوا مِن رِزقِهِ**﴾ المخلوقِ لأجلكم - ﴿**وإلَيهِ النُّشُورُ**﴾ ١٥ من القُبور للجزاء. ﴿**أأمِنتُم**﴾ - بتحقيق الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينها وبين الأُخرى وتركِه، وإبدالِها ألفًا - ﴿**مَن في السَّماءِ**﴾ سُلطانُه وقُدرتُه، ﴿**أن يَخسِفَ**﴾: بدلٌ مِن «مَن» ﴿**بِكُمُ الأرضَ، فإذا هِيَ تَمُورُ**﴾ ١٦: تتحرّك بكم وترتفع فوقكم؟ ﴿**أم أمِنتُم مَن في السَّماءِ أن يُرسِلَ**﴾: بدلٌ مِن «مَن» ﴿**علَيكُم حاصِبًا**﴾: رِيحًا ترميكم بالحصباء؟ ﴿**فسَتَعلَمُونَ**﴾ عند مُعاينة العذاب: ﴿**كَيفَ نَذيرِ**﴾ ١٧: إنذاري بالعذاب؟ أنه حقّ.

٢ - ﴿**ولَقَد كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ من الأُمم، ﴿**فكَيفَ كانَ نَكيرِ**﴾ ١٨: إنكاري عليهم التكذيبَ عِند إهلاكهم؟ أي: إنه حقّ. ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: ينظروا ﴿**إلَى الطَّيرِ فَوقَهُم**﴾ في الهواء، ﴿**صافّاتٍ**﴾: باسطاتٍ أجنحتَهنّ، ﴿**ويَقبِضنَ**﴾ أجنحتَهنّ بعد البسط، أي: وقابضات؟ ﴿**ما يُمسِكُهُنَّ**﴾ عن الوُقوع في حال البسط والقبض ﴿**إلّا الرَّحمٰنُ**﴾ بقُدرته. ﴿**إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ**﴾ ١٩. المعنى: ألم يستدِلّوا، بثُبوت الطير في الهواء، على قُدرتنا أن نفعل بهم ما تقدّم وغيرَه من العذاب؟

٣ - ﴿**أم مَن**﴾: مبتدأٌ ﴿**هٰذا**﴾: خبرُه ﴿**الَّذي**﴾: بدلٌ من «هذا» ﴿**هُو جُندٌ**﴾: أعوان ﴿**لَكُم**﴾: صلةُ «الذي» ﴿**يَنصُرُكُم**﴾: صفةُ «جُند» ﴿**مِن دُونِ الرَّحمٰنِ**﴾ أي: غيرَه يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم - ﴿**إنِ**﴾: ما ﴿**الكافِرُونَ إلّا في غُرُورٍ**﴾ ٢٠ غرَّهم الشيطانُ بأنّ العذاب لا ينزل بهم - ﴿**أم مَن هٰذا الَّذي يَرزُقُكُم، إن أمسَكَ**﴾ الرحمن ﴿**رِزقَهُ**﴾ أي: المطرَ عنكم؟ وجواب الشرط محذوف، دلّ عليه ما قبله، أي: فمَن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيرُه - ﴿**بَل لَجُّوا**﴾: تمادَوا، ﴿**في عُتُوٍّ**﴾: تكبّر، ﴿**ونُفُورٍ**﴾ ٢١: تباعد عن الحقّ - ﴿**أفَمَن يَمشي مُكِبًّا**﴾: واقعًا ﴿**عَلَى وَجهِهِ أهدَى، أم مَن يَمشي سَوِيًّا**﴾: مُعتدلًا، ﴿**عَلَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقيمٍ**﴾ ٢٢؟ وخبر «مَن» الثانية محذوف دلّ عليه خبرُ الأُولى، أي: أهدى. والمَثل في المُؤمن والكافر، أي: أيُّهما على هُدى؟

٤ - ﴿**قُلْ: هُوَ الَّذي أنشَأكُم**﴾: خلقكم، ﴿**وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ**﴾: القُلوب، ﴿**قَلِيلًا ما تَشكُرُونَ**﴾ ٢٣. ما: مزيدة، والجملة مستأنفة، مُخبِرة بقِلّة شُكرهم جِدًّا على هذه النِّعم. ﴿**قُلْ: هُوَ الَّذي ذَرَأكُم**﴾: خلقكم ﴿**في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ ٢٤ للحِساب. ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ للمُؤمنين: ﴿**مَتَى هٰذا الوَعدُ**﴾: وعد الحشر، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ ٢٥ فيه؟ ﴿**قُلْ: إنَّما العِلمُ**﴾ بمجيئه ﴿**عِندَ اللهِ، وإنَّما أنا نَذيرٌ مُبِينٌ**﴾ ٢٦: بيِّنُ

(١) أسروا: اكتموا. واجهروا به: ارفعوا أصواتكم به وأظهروه. أي: إن أسررتم أو أعلنتم فعِلم الله بذلك سواء. والعليم: المبالغ في الإحاطة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. انظر «المفصل». وخلق: أوجد المخلوقات من العدم. واللطيف: العليم بخفيات الأمور ودقائقها. والخبير: المحيط ببواطن الموجودات وأسرارها. وأمنتم: وقَيتم أنفسكم. وبتسهيل الثانية يريد القراءة «أأمِنتُم»؟ وبإدخال ألف يريد «آأمِنتُم»؟ و«آأمِنتُم»؟ وتركه أي: عدم إدخال الألف. وبإبدالها يريد «آمِنتُم»؟ والسماء: العالم العلوي. وسلطانه وقدرته: انظر «المفصل». وبدل: يعني أن المصدر المؤول في محل نصب بدل، في الموضعين. ويخسف: يهدم. ويرسل: يطلق. والحصباء: قطع الحجارة. وتعلمون: تدركون بالعِيان. (٢) كذّب: كفر بالله ورسله. وقبلهم: قبل من يعاصر النبوة. والإنكار: الرد بالعقاب. والطير: واحده طائر. ويقبضها: يضمها إليه ويضرب بها صدره. وقابضات: يعني أن جملة «يقبضن» معطوفة على «صافات» في محل نصب بالعطف. ويمسكها: ييسر لها الطيران في الجو، بما خلق من التكوين، خلافًا لسائر الأجسام الثقيلة. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والبصير: الدقيق العلم. وما تقدم أي: بالتهديد. (٣) مبتدأ يعني أن «من»: مبتدأ. وخبره يعني أن «ذا»: خبر. والجند: واحده جندي. وصلة الذي أي: أن جملة «هو جند»: صلة الاسم الموصول قبلها. والكافر: من كذّب الله ورسوله. والغرور: الانخداع بالباطل. ويرزق: يهيئ ما ييسر الحياة للمخلوقات. وأمسك: منع. والرزق يعم أسباب كل أنواعه، لا المطر وحده. ويمشي: يسير. والوجه: مقدم الرأس يواجه به الإنسان غيره. والمستقيم: المنتظم لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. والمَثل: يعني أن مافي الآية استعارة تمثيلية، والمشبه به محذوف لدلالة السياق عليه. (٤) جعل: أوجد من العدم. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر. وهو القدرة على إدراك المرئيات، لتيسير الحياة والمصالح، والتبصر بأدلة الكون والحياة. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال، يُمِدّ الدماغ بذلك مع ماء الحياة، لتمييز الحق من الباطل، والاعتبار والاتعاظ بما يُسمع ويرى. وتشكر: تستحضر النعمة، وتثني على منعمها بالقلب واللسان والعمل. ومزيدة أي: لتوكيد القلة. ومستأنفة: انظر «المفصل». والأرض: ما تقوم عليه الحياة الدنيا. وإليه: إلى ميعاده الذي حدده لكم. وتحشر: تبعث بالقهر والعنف. ومتى يعني: أيُّ وقت؟ والوعد: وقت الوعد المهدَّد به. والصادق: من يقول الحق. والعلم: الإحاطة التامة المطلقة، أي: علم الوقت المسؤول عنه. وعنده أي: بحيازته وحده لايشاركه في ذلك أحد. والنذير: المهدد بالانتقام ممن عصى. ورأى: أبصر عِيانًا. والوجوه: جمع وجه. وتدّعون: تزعمون من الأكاذيب.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ — ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

الإنذار. ﴿فلَمّا رأَوهُ﴾ أي: العذابَ بعد الحشر ﴿زُلْفةً﴾: قريبًا ﴿سِيئَتْ﴾: اسودّتْ ﴿وُجوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هٰذا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ﴾: بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ ٢٧ أنكم لا تُبعثون. وهذه حِكاية حال تأتي، عُبّر عنها بطريق المُضيّ لتحقّق وقوعها.

١ - ﴿قُلْ: أرَأَيتُم، إن أهلَكَنِيَ اللهُ ومَن مَعِيَ﴾ من المُؤمنين، بعذابه كما تقصدون، ﴿أو رَحِمَنا﴾ فلم يُعذّبنا، ﴿فمَن يُجِيرُ الكافِرِينَ مِن عَذابٍ ألِيمٍ﴾ ٢٨؟ أي: لا مُجيرَ لهم منه. ﴿قُلْ: هُوَ الرَّحمٰنُ، آمَنّا بِهِ، وعَلَيهِ تَوَكَّلْنا. فسَتَعلَمُونَ﴾ - بالتاء والياء - عِند مُعاينة العذاب: ﴿مَن هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ٢٩: بيِّنٍ؟ أنحن أم أنتم أم هم؟ ﴿قُلْ: أرَأَيتُم، إن أصبَحَ ماؤُكُم غورًا﴾ أي: غائرًا في الأرض، ﴿فمَن يأتِيكُم بماءٍ مَعِينٍ﴾ ٣٠: جارٍ تناله الأيدي والدِّلاء كمائكم؟ أي: لا يأتي به إلّا الله. فكيف تُنكرون أن يبعثكم؟ ويُستحبّ أن يقول القارئ عقب «معين»: اللهُ رَبُّ العالَمِينَ. كما ورد في الحديث. وتُليتْ هذه الآية عند بعض المُتجبّرين فقال: تأتي به الفُؤوس والمعاول. فذهب ماء عينه وعمي. نعوذ بالله من الجرأة على الله - تعالى - وعلى آياته.

ربع الحزب ٥٧

سورة نٓ

مكية، ثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿نٓ﴾: أحد حروف الهجاء، اللهُ أعلم بمُراده به. ﴿والقَلَمِ﴾ الذي كُتب به الكائناتُ في اللوح المحفوظ، ﴿وما يَسطُرُونَ﴾ ١ أي: الملائكةُ من الخير والصلاح، ﴿ما أنتَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿بِنِعْمةِ رَبِّكَ بِمَجنُونٍ﴾ ٢ أي: انتفى الجُنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها - وهذا ردّ لقولهم: إنه مجنون - ﴿وإنَّ لَكَ لَأجرًا غَيرَ مَمنُونٍ﴾ ٣: مقطوع، ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾: دِين ﴿عَظِيمٍ ٤. فسَتُبصِرُ ويُبصِرُونَ ٥: بأيِّكُمُ المَفتُونُ﴾ ٦؟ مصدر كالمَعقول، أي: الفُتونُ بمعنى الجُنون، أي: أبِكَ أم بِهِم؟ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهْوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ ٧ له. وأعلم بمعنى: عالم. ﴿فلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ ٨. وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَو﴾: مصدريّةٌ ﴿تُدهِنُ﴾: تَلينُ لهم، ﴿فيُدهِنُونَ﴾ ٩: يلينون لك. وهو معطوف على «تُدهِنُ». وإن جُعل جوابَ التمنّي المفهوم من «ودّوا» قُدّرَ قبله بعد الفاء «هم».

٣- ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ﴾: كثير الحَلْف بالباطل، ﴿مَهِينٍ﴾ ١٠: حقير، ﴿هَمّازٍ﴾: عيّاب أو مُغتاب، ﴿مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ١١: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، ﴿مَنّاعٍ لِلخَيرِ﴾: بَخيلٍ بالمال عن الحُقوق، ﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿أثِيمٍ﴾ ١٢: آثم، ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جافٍ، ﴿بَعدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ ١٣: دعيٍّ في قريش - وهو الوليد بن المغيرة ادَّعاه أبوه، بعد ثماني عشْرةَ سنةً. قال ابن عبّاس: لا نعلم أنّ الله وصفَ أحدًا بما وصفه به من العُيوب، فألحق به عارًا لا يُفارقه أبدًا. وتعلّق بـ«زنيم» الظرفُ قبله - ﴿أن كانَ ذا مالٍ وبَنِينَ﴾ ١٤ أي: لأنْ، وهو مُتعلّق بما دلّ عليه: ﴿إذا تُتلَى

---

(١) أرأيتم: أخبروني. وأهلك: أماتَ. ورحمه: عطف عليه بالخير والنصر. ويجير: يحمي. والأليم: الشديد الإيلام. وهو أي: الله الذي أدعوكم إليه. وآمنا به: اعترفت قلوبنا بوحدانيته يقينًا. وعليه توكلنا: فوضنا أمورنا إليه وحده. وتعلمون: تدركون عِيانًا. والضلال: الخروج عن الحق. وأصبح: صار. وماؤكم: الذي في الينابيع وغيرها. والغائر: الذاهب بعيدًا لا يوصل إليه. ويأتيكم به: يخرجه لكم. وما ذكره المحلي، من ورود حديث في استحباب قول القارئ هنا، مردود لاأصل له. انظر قرة العينين ص ٧٥٧. وماء عينه: بصره. وفي قرة العينين والكشاف: «ماء عينيه». خ: من الجراءة. (٢) الكائنات: المخلوقات التي ستكون. ويسطرون: يسجلونه في صحف أعمال البشر. والنعمة: الإحسان بالخير. والمجنون: الذي فقد عقله. ورد لقولهم: انظر الآية ٦ من سورة الحجر. والأجر: المكافأة. والدين: الاعتقاد والعمل بما حواه القرآن الكريم. والعظيم: الفخم لايستوعبه التعبير. انظر الحديث ٧٤٦ في مسلم. وتبصر: تعلم حين ينزل العذاب بمن كفر. وأيكم يعني: مَن منكم؟ وضل: خرج وبعد. والسبيل: الطريق الموصل إلى السعادة. وهو دين الإسلام. والمهتدي: العاقل المنتفع بعقله. وتطيعه: توافقه. والمعنى: دم على خلاف الكافرين ومعاصاتهم. ومصدرية: يعني أن «لو»: حرف مصدري، والتقدير: ودوا إدهانَكَ. و«هم» يعني أن التقدير يكون: فهم يدهنون. (٣) الحلف: القسم. والعياب: الكثير العيب للآخرين. والمَشّاء: الكثير السعي والتحريض. والنميم: نقل الكلام الذي يسوء سامعَه ويثير الفتن. والخير هنا أعم من المال، ويراد به كل مافيه نفع في الدنيا والآخرة. والحقوق: الواجبات والمندوبات. والأثيم: الكثير العصيان. وبعد ذلك أي: إضافة إلى ما ذكر من الشرور والمفاسد، وأبعد منه في القبح والسوء. والدعي: ولدُ الزنى لايعرف والده. انظر «المفصل». وكون الوليد هنا سببًا للنزول لايعني حصر هذه الصفات فيه وحده. والزنيم: من عُرف بالشر كما تُعرف المعز بالزنمة التي في أذنها. وادعاه: تبنّاه ونسبه إلى نفسه. وبعد أي: بعد ولادته. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والبنون: جمع ابن. وتتلى: ترتل. والأساطير: جمع أُسطورة. وهي ما سجله القدماء من الأكاذيب. ونسم: ندمغ. وخطم: قطع. ويوم بدر: كذا. والوليد بن المغيرة مات قبل بدر، والذي خطم أنفه في بدر أبوجهل. ولم يعش بعد بدر أيضًا. فالراجح أن الوسم هنا مراد به التوعد بالإذلال.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

عليهِ آياتُنا﴾: القُرآن **﴿قالَ﴾**: هي **﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾** ١٥ أي: كذّبَ بها، لإنعامنا عليه بما ذُكر. وفي قراءة: «أأن» بهمزتين مفتوحتين. **﴿سَنَسِمُهُ على الخُرطُومِ﴾** ١٦: سنجعل على أنفه علامة يُعيَّرُ بها ما عاش. فخُطم أنفه بالسيف يوم بدر.

١- **﴿إنّا بَلَوناهُم﴾**: امتَحنّا أهلَ مكّةَ بالقحط والجوع، **﴿كَما بَلَونا أصحابَ الجَنّةِ﴾**: البُستانِ - **﴿إذ أقسَمُوا لَيَصرِمُنَّها﴾**: يقطعون ثمرتها، **﴿مُصبِحِينَ﴾** ١٧: وقتَ الصباح كيلا يشعر بهم المساكينُ، فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدّق به عليهم منها، **﴿ولا يَستَثنُونَ﴾** ١٨ في يمينهم بمشيئة الله، تعالى. والجملة مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك - **﴿فطافَ علَيها طائفٌ مِن رَبِّكَ﴾**: نارٌ أحرقتها ليلًا، **﴿وهُم نائمُونَ ١٩، فأصبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾** ٢٠: كالليل الشديد الظُّلمة، أي: سوداءَ.

٢- **﴿فتَنادَوا مُصبِحِينَ ٢١، أنِ اغدُوا على حَرثِكُم﴾**: غلّتكم - تفسير للتنادي، أو أنْ: مصدريّة أي: بأن - **﴿إن كُنتُم صارِمِينَ﴾** ٢٢ مُريدين القطع. وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله. **﴿فانطَلَقُوا، وهُم يَتَخافَتُونَ﴾** ٢٣: يتشاورون، **﴿أنْ لا يَدخُلَنَّها اليَومَ علَيكُم مِسكِينٌ﴾** ٢٤: تفسيرٌ لما قبله، أو أن: مصدريّة أي: بأن، **﴿وغَدَوا على حَرْدٍ﴾**: منع للفُقراء **﴿قادِرِينَ﴾** ٢٥ عليه، في ظنّهم.

٣- **﴿فلَمّا رأَوها﴾** سوداء مُحترقة **﴿قالُوا: إنّا لَضّالُّونَ﴾** ٢٦ عنها، أي: ليست هذه، ثمّ قالوا لمّا علموها: **﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾** ٢٧ ثمرتَها بمنعنا الفُقراءَ منها. **﴿قالَ أوسَطُهُم﴾**: خيرُهم: **﴿ألَم أقُلْ لَكُم: لَولا﴾**: هلّا **﴿تُسَبِّحُونَ﴾** ٢٨ اللهَ تائبين؟ **﴿قالُوا: سُبحانَ رَبِّنا! إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾** ٢٩ بمنعنا الفُقراءَ حقَّهم. **﴿فأقبلَ بَعضُهُم على بَعضٍ يَتَلاوَمُونَ ٣٠. قالُوا: يا﴾**: للتنبيه **﴿وَيلَنا﴾**: هلاكَنا. **﴿إنّا كُنّا طاغِينَ ٣١. عَسَى رَبُّنا أن يُبَدِّلَنا﴾** - بالتشديد والتخفيف - **﴿خيرًا مِنها. إنّا إلَى رَبِّنا راغِبُونَ﴾** ٣٢، ليقبل توبتنا ويردّ علينا خيرًا من جنّتنا. رُوي أنهم أُبدلوا خيرًا منها. **﴿كَذٰلِكَ﴾** أي: مِثلُ العذابِ لهؤلاء **﴿العَذابُ﴾** لمن خالف أمرنا، من كُفّار مكّة وغيرهم. **﴿ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾** ٣٣ عذابها ما خالفوا أمرنا.

٤- ونزل، لمّا قالوا: «إن بُعثنا [فإنّا] نُعطَى أفضلَ منكم»: **﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِم جَنّاتِ النَّعِيمِ ٣٤. أفنَجعَلُ المُسلِمِينَ كالمُجرِمِينَ﴾** ٣٥ أي: تابعين لهم في العطاء؟ **﴿مالَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾** ٣٦ هذا الحكم الفاسد؟ **﴿أم﴾** أي: بل أ **﴿لَكُم كِتابٌ﴾** مُنزَل، **﴿فِيهِ تَدرُسُونَ﴾** ٣٧ أي: تقرؤون: **﴿إنَّ لَكُم فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾** ٣٨: تختارون؟ **﴿أم لَكُم أيمانٌ﴾**: عُهود **﴿عَلَينا بالِغةٌ﴾**: وثيقة، **﴿إلَى يَومِ القِيامةِ﴾**: مُتعلّق معنًى بـ«علينا». وفي هذا الكلام معنى القسم، أي: أأقسمنا لكم؟ وجوابه: **﴿إنَّ لَكُم لَما تَحكُمُونَ﴾** ٣٩ به لأنفُسكم. **﴿سَلْهُم: أيُّهُم بِذٰلِكَ﴾** الحُكم الذي يحكمون به لأنفُسهم، من أنهم يُعطَون في الآخرة أفضلَ من المُؤمنين، **﴿زَعِيمٌ﴾** ٤٠: كفيل لهم؟ **﴿أم لَهُم شُرَكاءُ﴾** مُوافقون لهم، في هذا المَقول، يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك **﴿فلْيأتُوا بِشُرَكائهِم﴾** الكافلين لهم به، **﴿إن كانُوا صادِقِينَ﴾** ٤١.

٥- اذكرْ **﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ﴾** - عِبارةٌ عن شِدّة الأمر يوم القِيامة، للحِساب والجزاء. يقال: كَشفَتِ الحربُ عن ساق، إذا اشتدّ الأمر فيها -

---

(١) امتحناهم: عاملناهم بالشدة ليرتدعوا. والأصحاب: جمع صاحب. والبستان أي: الذي عرف الجاهليون قصته. وأقسموا: حلفوا. ويستثني: يقول: إن شاء الله. وجُعل هذا استثناء، لأن نحو: «أزورك إن شاء الله» معناه: لاأزورك إلّا إن شاء. ومستأنفة: الأولى أن الجملة حالية. وطاف عليها: نزل بها من كل جانب. والطائف: الأمر النازل بمصيبة. ومن ربك: من عنده. (٢) تنادوا: نادى بعضهم بعضًا. ومصبحين: داخلين في وقت الصباح. واغدوا أي: اذهبوا باكرًا. والحرث: ما يُقطَف ويحصّل. وتفسير للتنادي: يعني أنّ «أن» حرف تفسير. وانطلق: اندفع مسرعًا. ويتشاورون أي: بصوت خافت. ولا يدخلنها: لا تسمحُنَّ بدخولها. واليوم أي: في هذا الزمن. والمسكين: الفقير المحتاج. وغدوا: بكّروا جادّين. والقادر: القوي المتسلط. (٣) رأوها: أبصروها عِيانًا. وضالون عنها: انحرفنا إلى غيرها خطأ. والمحروم: من مُنع ولم يُرزق. وخيرهم: أفضلهم عقلًا ونفسًا. وتسبحونه: تنزهونه أن يغفل عن ظلمكم، وترجعون عن نيتكم القبيحة. وسبحانه: تنزيهًا له عما لايليق به. والظالم: المعتدي يضع الشيء في غير موضعه. وأقبل عليه: توجه إليه. وبعضهم: الواحد منهم أو أكثر. ويتلاومون: يلوم بعضهم بعضًا. والطاغي: من تجاوز حد الحق. ويبدلنا: يرزقنا ويعطينا ببركة التوبة بدلًا. وبالتخفيف يريد القراءة «يُبْدِلَنا». وخيرًا: أفضل وأكثر نفعًا. ومنها أي: مما كانت عليه قبل دمارها. وإلى ربنا: إلى طاعته ورضاه. والراغب: الراجع بالتوبة والاستغفار نية وعملًا. وذلك أي: الذي مضى بيانه في القصة. والعذاب: التعذيب بأنواع مختلفة. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة. وأكبر: أعظم من عذاب الدنيا. ويعلم: يدرك ويعرف. (٤) المتقي: من يتجنب الكفر والمعاصي. وعند ربهم: في المنزلة العالية المقربة من النعيم. والجنة: البستان العظيم. ونجعل: نصيّر. والمسلم: من أسلم إلى الله في جميع أموره. والمجرم: من يفسد باختيار وعزم. وفي المنحة: «ما لك». خطأ محض. وتحكمون: تضعون الحكم في أمور القيامة. ومنزل أي: بوحي. والأيمان: جمع يمين. وهو القسم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في الرأي. ويأتي به: يحضره. وصادقين أي: فيما ادعوه من تميزهم بالفضل يوم القيامة. (٥) اليوم: الوقت. ويكشف: يرفع الغِطاء. والساق: مابين الركبة والقدم. انظر=

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ
(٤٣) فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٥٢)

سُورَةُ الحَاقَّةِ — ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ (١) مَا ٱلْحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (٨)

﴿**ويُدعَونَ إلى السُّجودِ**﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿**فلا يَستَطيعُونَ**﴾ ٤٢، تصير ظهورهم طبقًا واحدًا، ﴿**خاشِعةً**﴾: حالٌ من ضمير «يُدعون»، أي: ذليلةً ﴿**أبصارُهُم**﴾ لا يرفعونها، ﴿**ترهَقُهُم**﴾: تغشاهم ﴿**ذِلّةٌ، وقَد كانُوا يُدعَونَ**﴾ في الدنيا ﴿**إلَى السُّجودِ وهُم سالِمُونَ**﴾ ٤٣، فلا يأتون به بألّا يُصلّوا.

١- ﴿**فذَرْني**﴾: دَعْني ﴿**ومَن يُكَذِّبُ بِهٰذا الحَديثِ**﴾: القُرآن. ﴿**سَنَستَدرِجُهُم**﴾: نأخذهم قليلًا قليلًا، ﴿**مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ** ٤٤، **وأُملِي لَهُم**﴾: أُمهلُهم. ﴿**إنَّ كَيدِي مَتِينٌ**﴾ ٤٥: شديد لا يُطاق. ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**تَسألُهُم**﴾ على تبليغ الرسالة ﴿**أجرًا، فهُم مِن مَغرَمٍ**﴾: ممّا يُعطونكَهُ ﴿**مُثقَلُونَ**﴾ ٤٦، فلا يؤمنون لذلك؟ ﴿**أم عِندَهُمُ الغَيبُ**﴾ أي: اللوح الذي فيه الغيب، ﴿**فهُم يَكتُبُونَ**﴾ ٤٧ منه ما يقولون؟

٢- ﴿**فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ**﴾ فيهم بما يشاء، ﴿**ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ**﴾ في الضجر والعجلة - وهو يُونسُ عليه السلام - ﴿**إذ نادَى**﴾: دعا ربّه، ﴿**وهُوَ مَكظُومٌ**﴾ ٤٨: مملوء غمًّا، في بطن الحوت - ﴿**لَولا أن تَدارَكَهُ**﴾: أدركَه ﴿**نِعمةٌ**﴾: رحمة ﴿**مِن رَبِّهِ لَنُبِذَ**﴾، من بطن الحوت، ﴿**بِالعَراءِ**﴾: بالأرض الفضاء، ﴿**وهُوَ مَذمُومٌ**﴾ ٤٩. لكنه رُحِم فنُبذ غير مذموم - ﴿**فاجتَباهُ رَبُّهُ**﴾ بالنبوّة، ﴿**فجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾ ٥٠: الأنبياء. ﴿**وإن يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ**﴾ - بضمّ الياء وفتحها - ﴿**بِأبصارِهِم**﴾ أي: ينظرون إليك نظرًا شديدًا، يكاد يصرعُك ويُسقطك عن مكانك، ﴿**لَمّا سَمِعُوا الذِّكرَ**﴾: القُرآن، ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ حسدًا: ﴿**إنَّهُ لَمَجنُونٌ**﴾ ٥١ بسبب القُرآن الذي جاء به. ﴿**وما هُوَ**﴾ أي: القُرآنُ ﴿**إلّا ذِكرٌ**﴾: موعظة ﴿**لِلعالَمِينَ**﴾ ٥٢: الإنس والجِنّ، لا يَحدث بسببه جُنون.

نصف الحزب ٥٧

سورة الحاقّة

مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**الحاقّةُ**﴾ ١ أي: القِيامةُ التي يَحِقّ فيها ما أُنكِر من البعث والحِساب والجزاء، أو المُظهِرةُ لذلك، ﴿**ما الحاقّةُ**﴾ ٢؟ تعظيم لشأنها - وهما مُبتدأ وخبرٌ، خبرُ: الحاقّة - ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلَمَكَ: ﴿**ما الحاقّةُ**﴾ ٣؟ زيادةُ تعظيم لشأنها. فـ «ما» الأُولى: مُبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

٤- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بِالقارِعةِ**﴾ ٤: القِيامةِ لأنها تقرع القُلوب بأهوالها. ﴿**فأمّا ثَمُودُ فأُهلِكُوا بِالطّاغِيَةِ**﴾ ٥: بالصيحة المُجاوزة للحدّ في

=«المفصل» والحديث ٦٤٣٥ من البخاري. ويدعون إليه: يؤمرون به. والسجود: الانحناء لوضع الجبهة على الأرض. ولايستطيعون: لايقدرون على ذلك. والطبق: العظم الصلب. والأبصار: جمع بصر. والذلة: الهوان والانكسار. والسجود الثاني مراد به الصلاة. والسالم: من صحّ بدنه من الآفات والأمراض. (١) يكذب: يكفر. ونأخذهم: نعاقبهم. والحديث: ما ينقل. ويعلم: يشعر. والكيد: الاحتيال بالخفاء والاستدراج بإمهال ليكون الانتقام. وتسألهم: تطلب منهم. والأجر: المكافأة. والمغرم: الغرامة المالية تدفع لغير سبب. والمثقل: من يكلَّف ما لايستطيعه. والغيب: ماغاب عن حواس الخلق وإدراكهم. ويكتبون: ينسخون بعلم يقيني. (٢) اصبر: استمر على التجلد. والحكم: القضاء. والصاحب: المصاحب. والحوت: السمكة العظيمة. ويونس: نبي قبل عيسى كان في نِينَوَى. وأدركه: ناله. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربه: من عنده. ونبذ: ألقي. والمذموم: الملوم. واجتباه: خصه بالرحمة. وجعله: صيّره. والصواب أن الصالحين هم الكاملون في الصلاح. انظر «المفصل». ويكاد: يقارب. وبفتحها يريدالقراءة «لَيَزلِقُونَكَ». والأبصار: جمع بصر. والذكر: ما يذكّر بالحق. والمجنون: من فقد عقله. والعالَم: الجنس من الخلق. (٣) يحق: يصير محسوسًا مُعايَنًا. وخبرُ الحاقة: يعني أن جملة «ما الحاقة»: خبر للمبتدأ الأول: الحاقة. وما أدراك ما الحاقة أي: لا علم لك بعظمتها وحقيقة أمرها، وإنما تعلم بعض ذلك بالوحي. وأدرى: ينصب ثلاثة مفاعيل لا مفعولين. فما ذكر هو في محل نصب مفعولين: الثاني والثالث. (٤) كذبت: كفرت. وثمود: قبيلة النبي صالح. وعاد: قبيلة النبي هود. وهما قبيلتان من العرب البائدة، أقدم الأمم التي عرفت آثارها. والقارعة: الحاقة. وأُهلك: استؤصل. والصيحة: الصرخة زلزلت الديار. والريح: الهواء المندفع. ومع قوتهم وشدتهم: يعني أنها أقوى منهم وأشد. والليالي: جمع ليلة. والأيام: جمع يوم، أي: النهار. وتعيين زمن الهلاك لم يثبت في نص موثق، والصواب عدم التعيين التزامًا للنصوص الشرعية. والحسوم: جمع حاسم. وهو القاطع المستأصل. وترى: تبصر حينذاك. والصرعى: جمع صريع. والأعجاز: جمع عَجُز. والنخل: واحدته نخلة. وترى: تبصر الآن. والباقية: التي بقيت من سلالة الكافرين. و«لا »يعني أن الاستفهام بـ «هل» معناه النفي، أي: محال أن يرى من ذريتهم أحد، إذ ما بقي إلا النبيّان ومن آمن وذرياتهم التي تفرقت مع أبناء أعمامها في اليمن والحجاز وشمالي إفريقية وشرقيها والشام والعراق.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

الشِّدّة، ﴿**وأمّا عادٌ فأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرصَرٍ**﴾: شديدة الصوت، ﴿**عاتِيةٍ**﴾ ٦: قويّة شديدة على عاد، مع قوّتهم وشِدّتهم، ﴿**سَخَّرَها**﴾: أرسلها بالقهر ﴿**عليهِم سَبعَ لَيالٍ وثَمانِيةَ أيّام**﴾ - أوّلُها من صُبحِ يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوّال، وكانت في عَجُز الشتاء - ﴿**حُسُومًا**﴾: مُتتابعاتٍ، شُبّهتْ بتتابع فِعل الحاسم، في إعادة الكيّ على الداء كرّة بعد أُخرى، حتّى ينحسم، ﴿**فترَى القَومَ فِيها صَرعَى**﴾: مطروحينَ هالكينَ، ﴿**كأنَّهُم أعجازُ**﴾: أصولُ ﴿**نَخلٍ خاوِيةٍ**﴾ ٧: ساقطة فارغة. ﴿**فهَل تَرَى لَهُم مِن باقِيةٍ**﴾ ٨: صفةُ «نفس» مُقدّرة، أو التاءُ للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

١- ﴿**وجاءَ فِرعَونُ ومَن قِبَلَهُ**﴾: أتباعُه - وفي قِراءة بفتح القاف وسكون الباء، أي: مَن تقدّمه من الأُمم الكافرة - ﴿**والمُؤتَفِكاتُ**﴾ أي: أهلها، وهي قُرى قوم لُوط، ﴿**بِالخاطِئةِ**﴾ ٩: بالفَعَلات ذات الخطأِ، ﴿**فعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِم**﴾ أي: لوطًا وغيره، ﴿**فأخَذَهُم أخْذةً رابِيةً**﴾ ١٠: زائدةً في الشِّدّة على غيرها.

٢- ﴿**إنّا لَمّا طَغَى الماءُ**﴾: علا فوق كُلّ شيء، من الجِبال وغيرها زمن الطوفان، ﴿**حَمَلْناكُم**﴾ يعني آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم، ﴿**في الجارِيةِ**﴾ ١١: السفينة التي عملها نُوح، ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون، ﴿**لِنَجعَلَها**﴾ أي: هذه الفَعلةَ - وهي إنجاء المُؤمنين وإهلاك الكافرين - ﴿**لَكُم تَذكِرةً**﴾: عظة، ﴿**وتَعِيَها**﴾: ولتحفظها ﴿**أُذُنٌ واعِيةٌ**﴾ ١٢: حافظة لما تسمع.

٣- ﴿**فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخةٌ واحِدةٌ**﴾ ١٣، للفصل بين الخلائق - وهي الثانية - ﴿**وحُمِلَتِ**﴾: رُفِعَتِ ﴿**الأرضُ والجِبالُ، فدُكَّتا**﴾: دُقّتا ﴿**دَكّةً واحِدةً ١٤، فيَومَئِذٍ وَقَعَتِ الواقِعةُ**﴾ ١٥: قامتِ القِيامة، ﴿**وانشَقَّتِ السَّماءُ، فهْيَ يَومَئِذٍ واهِيةٌ**﴾ ١٦: ضعيفة، ﴿**والمَلَكُ**﴾ يعني الملائكة ﴿**على أرجائها**﴾: جوانب السماء، ﴿**ويَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم**﴾ أي: الملائكةِ المذكورين ﴿**يَومَئِذٍ ثَمانِيةٌ**﴾ ١٧ من الملائكة أو من صُفوفهم، ﴿**يَومَئِذٍ تُعرَضُونَ**﴾ للحِساب، ﴿**لا تَخفَى**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**مِنكُم خافِيةٌ**﴾ ١٨ من السرائر.

٤- ﴿**فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فيَقُولُ**﴾، خِطابًا لجماعته لِما سُرَّ به: ﴿**هاؤُمُ**﴾: خُذوا ﴿**اقرَؤُوا كِتابِيَهْ**﴾ ١٩: تنازعَ فيه «هاؤم» و«اقرؤوا». ﴿**إنِّي ظَنَنْتُ**﴾: تيقّنت ﴿**أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ ٢٠. فهْوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ**﴾ ٢١: مَرْضيّة، ﴿**في جَنّةٍ عالِيةٍ ٢٢، قُطُوفُها**﴾: ثِمارها ﴿**دانِيةٌ**﴾ ٢٣: قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمُضطجع، فيقال لهم: ﴿**كُلُوا واشرَبُوا، هَنِيئًا**﴾: حالٌ أي: مُتهنّئين ﴿**بِما أسلَفتُم في الأيّامِ الخالِيةِ**﴾ ٢٤: الماضية في الدنيا.

٥- ﴿**وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فيَقُولُ: يا**﴾ - للتنبيه - ﴿**لَيتَنِي لَم أُوتَ كِتابِيَهْ ٢٥، ولَم أدرِ: ما حِسابِيَهْ ٢٦؟ يا لَيتَها**﴾ أي: الموتةَ في الدنيا ﴿**كانَتِ القاضِيةَ**﴾ ٢٧: القاطعة لحياتي بألّا أُبعث. ﴿**ما أغنَى عَنِّي ما لِيَهْ ٢٨. هَلَكَ عَنِّي سُلطانِيَهْ**﴾ ٢٩: قوّتي وحُجّتي. وهاء «كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه» للسكت، تَثبُتُ وقفًا ووصلًا، اتّباعًا للمُصحفِ الإمام والنقلِ. ومنهم من حذفها وصلًا. ﴿**خُذُوهُ**﴾ - خِطاب لخَزَنة جهنّم - ﴿**فغُلُّوهُ**﴾ ٣٠: اجمعوا يديه إلى عُنقه في الغُلّ، ﴿**ثُمَّ الجَحِيمَ**﴾: النار المُحرقة ﴿**صَلُّوهُ**﴾ ٣١: أدخِلوه، ﴿**ثُمَّ في سِلسِلةٍ ذَرعُها سَبعُونَ ذِراعًا**﴾ بذراع الملَك ﴿**فاسلُكُوهُ**﴾ ٣٢ أي: أدخِلوه فيها بعد إدخاله النارَ. ولم تمنعِ الفاءُ من تعلّق الفعل بالظرف المُتقدّم. ﴿**إنَّهُ كانَ لا يُؤمِنُ باللهِ العَظِيمِ ٣٣، ولا يَحُضُّ على طَعامِ المِسكِينِ ٣٤. فلَيسَ لَهُ اليَومَ هٰهُنا حَمِيمٌ**﴾ ٣٥: قريب ينتفع به، ﴿**ولا طَعامٌ إلّا مِن غِسلِينٍ**﴾ ٣٦: صديدِ أهل

---

(١) جاء بها: فعلها بابتكار. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. وقِبَله أي: مِن حوله. وبالفتح يريد «قَبْلَهُ». والمؤتفكة: المنقلبة رأسًا على عقب. والقرى: المدن. وهي قرب حمص. ولوط: ابن أخي إبراهيم. وعصوه: خالفوا أمره. والرسول: المرسل كلف بالدعوة والعمل. وأخذهم: عاقبهم ربهم انتقامًا. وغيرها أي: ما نزل بالأمم الأُخرى المكذبة. (٢) الطوفان: الذي أغرق قوم نوح. وحملناكم أي: للنجاة من الغرق. وإذ: حرفية للسببية، أي: لأنكم كنتم في أصلابهم. فالنجاة لكم أيضًا. ونجعل: نصيّر. والتذكرة: ما يكون فيه التذكّرُ والاتعاظُ. والأذن: ما يدرك الأصوات. وحافظة أي: من شأنها أن تحفظ لصاحبها ما تسمع، من العظات والعبر، ليستفيد مما مضى. (٣) نفخ: دفع الهواء. والصور: مخلوق عظيم كالقرن، لايعرف حقيقته إلا الله. والفصل: الحكم. والجبال: جمع جبل. ودقتا: ضُربت إحدى المجموعتين بالأُخرى. وانظر «المفصل» وانشقت: تفطرت. والسماء: ما يحيط بالأرض. والأرجاء: جمع رجا. يعني أنهم في مواضع متفرقة. ويحمله أي: كما يليق به. والعرش: لايعرف حقيقته مخلوق. وتعرضون: تُحضرون. وتخفى: تغيب. وبالياء يريد القراءة «لايَخفَى». ومنكم: مما عملتم . (٤) أوتي: أعطي. والكتاب: سجل الأعمال. وتنازع أي: أن «كتاب» توجه إليه العاملان: ها واقرأ. وملاقيه: مصادفه بالبعث. ومَرْضية: يَرضى بها صاحبها. والجنة: البستان العظيم. والقطوف: جمع قِطف. وهو ما يُقطف من الثمر. وأسلفتم: قدمتم قبل من العمل الصالح. والأيام: جمع يوم. وهو الوقت والزمن. (٥) أوتَ: أُعْطَ. وأدرِ: أعلم. وأغنى: دفع. وما لي أي: ما كان لي من الملك. وهلك: غاب. ووقفًا أي: بقطع الكلام. ووصلًا أي: بوصل الكلام. ومنهم أي: من القُرّاء. والسلسلة: حلقات من الحديد متصلة. والذرع: القياس. والعظيم: الذي لامثيل له ولا يتصوره عقل. ويحض: يحرّض نفسه أو غيره. وههنا: في هذا المكان. والصديد: ما يسيل مختلطًا بالقيح والدم. والخاطئ: من يفعل غيرالصواب باختيار وعزم.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج — ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

النار أو شجرٍ فيها، ﴿**لا يأكُلُهُ إلّا الخاطِئُونَ**﴾ ٣٧: الكافرون.

١- ﴿**فلا**﴾ لا: زائدة ﴿**أُقسِمُ بِما تُبصِرُونَ**﴾ ٣٨ من المخلوقات، ﴿**وما لا تُبصِرُونَ**﴾ ٣٩ منها، أي: بكل مخلوق، ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَقولُ رَسُولٍ كَريمٍ**﴾ ٤٠ أي: قاله رسالةً عن الله - تعالى - ﴿**وما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ، قَلِيلًا ما تُؤمِنُونَ ٤١، ولا بِقَولِ كاهِنٍ - قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ**﴾ ٤٢. بالتاء والياء في الفعلين. وما: زائدة مُؤكّدة. والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكّروها، مما أتى به النبيّ ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغنِ عنهم شيئًا - بل هو ﴿**تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ ٤٣. ولَو تَقَوَّلَ**﴾ أي: النبيّ ﴿**علَينا بَعضَ الأقاوِيلِ**﴾ ٤٤، بأن قال عنّا ما لم نقُله، ﴿**لَأَخَذْنا**﴾: لنِلنا ﴿**مِنهُ**﴾ عِقابًا ﴿**بِاليَمِينِ**﴾ ٤٥: بالقُوّة والقُدرة، ﴿**ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتِينَ**﴾ ٤٦: نِياطَ القلب - وهو عِرق مُتّصل به، إذا انقطع مات صاحبه - ﴿**فما مِنكُم مِن أحَدٍ**﴾ هو اسم «ما» ومن: زائدة لتأكيد النفي، ومنكم: حال من: أحد، ﴿**عَنهُ حاجِزِينَ**﴾ ٤٧: مانعين، خبرُ «ما». وجُمِعَ لأنّ «أحدًا» في سياق النفي بمعنى الجمع. وضمير «عنه» للنبيّ، أي: لا مانعَ لنا عنه من حيثُ العِقابُ.

٢- ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَتذكِرةٌ لِلمُتَّقِينَ ٤٨، وإنّا لَنَعلَمُ أنَّ مِنكُم**﴾ - أيها الناس - ﴿**مُكَذِّبِينَ**﴾ ٤٩ بالقُرآن ومُصدّقين، ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَحَسْرةٌ علَى الكافِرِينَ**﴾ ٥٠، إذا رأَوا ثوابَ المُصدّقين وعِقابَ المُكذّبين به، ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَحَقُّ اليَقِينِ**﴾ ٥١ أي: لَليقينُ الحقُّ. ﴿**فسَبِّحْ**﴾: نزّهْ ﴿**بِاسمِ**﴾ - الباء زائدةٌ - ﴿**رَبِّكَ العَظِيمِ**﴾ ٥٢.

سورة المَعارج

مكية، أربعٌ وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**سأَلَ سائلٌ**﴾: دعا داعٍ ﴿**بِعَذابٍ واقِعٍ ١ لِلكافِرِينَ، لَيسَ لَهُ دافِعٌ**﴾ ٢ - هو النضرُ بنُ الحارثِ قال: «اللّٰهمَّ إن كانَ هٰذا هُوَ الحَقَّ» الآية - ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: مُتّصل بـ «واقع» ﴿**ذِي المَعارِجِ**﴾ ٣: مَصاعدِ الملائكة وهي السماوات، ﴿**تَعرُجُ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**المَلائكةُ والرُّوحُ**﴾: جِبريل ﴿**إلَيهِ**﴾: إلى مَهبِط أمره من السماء، ﴿**في يَومٍ**﴾: متعلّقٌ بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القِيامة، ﴿**كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ**﴾ ٤ بالنسبة إلى الكافر، لِما يَلقى فيه من الشدائد. وأمّا المُؤمن فيكون عليه أخفّ من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا، كما جاء في الحديث.

٤- ﴿**فاصبِرْ**﴾ - وهذا قبل أن يُؤمر بالقِتال - ﴿**صَبرًا جَمِيلًا**﴾ ٥ أي: لا جزع فيه. ﴿**إنَّهُم يَرَونَهُ**﴾ أي: العذابَ ﴿**بَعِيدًا**﴾ ٦ غيرَ واقع، ﴿**ونَراهُ**

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وزائدة أي: للمبالغة في التوكيد. وأقسم: أحلف. وكريم أي: مكرّم عند الله. والشاعر: من ينظم الشعر. وتؤمن: تصدق. والكاهن: من يدعي علم الغيب. وبالياء يريد القراءة «يُؤمِنُونَ» و«يَذَّكَّرُونَ». وزائدة مؤكدة أي: لتوكيد معنى القلة في الموضعين. وتنزيل أي: موحى على لسان جبريل. ومنه: من عنده. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. وتقوله: اختلقه كذبًا. والأقاويل: جمع أقوال. والأقوال: جمع قول. وقطعه: فصله عما يتصل به. والوتين: الشِّريان الخارج من القلب، ينقل الدم النقي إلى الجسم. والنياط: جمع نَوط. وهو عرق غليظ يعلق به القلب. واسم ما: يعني أنه مجرور لفظًا مرفوع محلًا. ولتأكيد النفي أي: ولتوكيد العموم. وحال أي: متعلقان بحال محذوفة. (٢) التذكرة: ما يذكّر بالخير. والمتقي: من يتجنب غضب الله ويطلب رضاه. ونعلم: نحيط بالغ الإحاطة. والمكذب: المنكر الجاحد. والحسرة: الندم الشديد. والكافر: الجاحد المكذب. والحق: الصادق الثابت. واليقين: المعتقَد المتيقَّن لاشك فيه. ونزهْه أي: عما لايليق بذاته وصفاته. والباء زائدة: يعني أنها لتوكيد التعبير، كأنه مكرر بلفظه مرتين. وفيما عدا الأصل والمنحة «باسم زائدة» أي: أن الباء والاسم زائدان. وهذا بعيد لأن الأسماء لاتزاد. والعظيم: انظر الآية ٣٣. (٣) كان النضر بن الحارث قد دعا هُزءًا وتحديًا بنزول العذاب على نفسه وعلى المشركين، إن كان القرآن من عند الله ، فجاءت هذه الآيات تتوعد بما طلب. وقد قُتل يوم بدر. لباب النقول. والواقع: الحاصل فعلًا. والكافر: من كذّب الله ورسوله. والدافع: من يمنع. والآية هي ذات الرقم ٣٢ من سورة الأنفال. ومن الله: من عنده وبأمره. والمعارج: جمع مَعرَج. وهو مكان الصعود. وذو المعارج أي: صاحبها خلقها، وهو مالكها والمتصرف فيها. وتعرج: تصعد. وبالياء يريد القراءة «يَعرُجُ». والملائكة: جمع ملَك. وإليه أي: إلى الله، عز وجل. تفسير البغوي ٤:٣٩٢. وفي هذا بيان لاستعلاء المولى، تعالى. و«مهبط أمره» تأويل للمعنى أصله في الكشاف ٤:٦٠٩. واليوم: الوقت. ومقداره: مدته. ولما يلقى فيه: يعني أن العدد هنا لايراد به حقيقته، لأنه للتمثيل والتقريب، وبيان ما يكون عليه حال الكافرين من الهول. والحديث المشار إليه ضعيف، في المسند ٣:٧٥ وتفسير الطبري ٢٩:٤٥ والكامل لابن عدي ٣:١١٤. (٤) اصبر: استمر على التحمل. و«هذا» يعني أن الأمر بالصبر منسوخ بآيات قتال المشركين، في أوائل سورة التوبة. والحق أن الصبر الجميل لازم للنبوة لاينسخ. وإنهم أي: الكافرين.=

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٧

قَرِيبًا﴾ ٧ واقعًا لا محالة، ﴿يَومَ تَكونُ السَّماءُ﴾ - مُتعلّق بمحذوف أي: يقعُ - ﴿كالمُهلِ﴾ ٨: كذائب الفِضّة، ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ﴾ ٩: كالصّوف في الخِفّة والطيران بالريح، ﴿ولا يَسألُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ١٠: قريبٌ قريبَه، لاشتغال كُلّ بحاله.

١- ﴿يُبَصَّرُونَهُم﴾ أي: يُبصَّر الأحِمّاءُ بعضُهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلّمون - والجملة مُستأنفة - ﴿يَوَدُّ المُجرِمُ﴾: يتمنّى الكافر ﴿لَو﴾ بمعنى: أن ﴿يَفتَدِيْ مِن عَذابِ يَومِئذٍ﴾ - بكسر الميم وفتحها - ﴿بِبَنِيهِ ١١، وصاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وأخِيهِ ١٢، وفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿الَّتي تُؤوِيهِ﴾ ١٣: تضمّه، ﴿ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ١٤ ذلك الافتداءُ: عطفٌ على «يفتدي». ﴿كَلّا﴾: ردٌّ لما يَودّه، ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿لَظَى﴾ ١٥: اسم لجهنّمَ لأنها تتلظّى، أي: تتلهّب على الكُفّار، ﴿نَزّاعةٌ لِلشَّوَى﴾ ١٦: جمع شَواة - وهي جلدة الرأس - ﴿تَدعُو مَن أدبَرَ وتَوَلَّى﴾ ١٧ عن الإيمان، بأن تقول: «إليَّ إليَّ»، ﴿وجَمَعَ﴾ المال ﴿فأوعَى﴾ ١٨: أمسكه في وِعائه، ولم يُؤدِّ حقّ الله منه.

٢- ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩: حالٌ مُقدّرة، وتفسيره: ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ٢٠ وقتَ مسّ الشرّ، ﴿وإذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا﴾ ٢١ وقتَ مسّ الخيرِ أي: المالِ، لحقِّ الله منه، ﴿إلّا المُصَلِّينَ﴾ ٢٢ أي: المُؤمنين، ﴿الَّذِينَ هُم على صَلاتِهِم دائمُونَ﴾ ٢٣: مُواظبون، ﴿والَّذِينَ في أمْوالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ﴾ ٢٤ هو الزكاة، ﴿لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾ ٢٥: المُتعفّف عن السّؤال فيُحرَم، ﴿والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾ ٢٦: الجزاء، ﴿والَّذِينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ﴾ ٢٧: خائفون - ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّهِم غَيرُ مأمُونٍ﴾ ٢٨ نزولُه - ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ ٢٩، إلّا على أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم﴾ من الإماء - ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ ٣٠. فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذٰلِكَ فأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾ ٣١: المُتجاوزون الحلالَ إلى الحرام - ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، وفي قراءة بالإفراد: ما اؤْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا، ﴿وعَهدِهِم﴾ المأخوذِ عليهم في ذلك، ﴿راعُونَ﴾ ٣٢: حافظون، ﴿والَّذِينَ هُم بِشَهادتِهِم﴾ - وفي قراءة بالجمع - ﴿قائمُونَ﴾ ٣٣: يُقيمونها ولا يكتمونها، ﴿والَّذِينَ هُم على صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ ٣٤ بأدائها في أوقاتها. ﴿أُولٰئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمُونَ﴾ ٣٥.

٣- ﴿فمالِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: نحوك ﴿مُهطِعِينَ﴾ ٣٦: حالٌ، أي: مديمي النظر، ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾ ٣٧: حالٌ أيضًا، أي: جماعاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلَنّها قَبلَهم؟ قال تعالى: ﴿أيَطمَعُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُدخَلَ جَنّةَ نَعِيمٍ ٣٨؟ كَلّا﴾: ردع لهم عن طمعهم في الجنّة. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ كغيرهم ﴿مِمّا يَعلَمُونَ﴾ ٣٩: من نُطَف. فلا يُطمع بذلك في الجنّة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

=ويرون: يتخيلون فينكرون ويكذبون. ونراه: نعلمه. وتكون: تصير. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ومتعلق: يعني «يوم». والجبال: جمع جبل. ويسأله أي: عن حاله ويكلمه. (١) يبصَّره: يُجعل بقربه ليراه. والمجرم: من يقترف القبائح باختيار وعزم. و«بمعنى أن» أي: حرف مصدري. والمعنى: يود أن يملك ذلك ويفتدي به فينجو. ويفتدي: ينقذ نفسه. وبفتحها يريد القراءة «يَومَئذٍ». والبنون: جمع ابن. ولفصله منها: يعني أنه مفصول منها بالولادة. وتضمه أي: في النسب ووقت الشدة. وجميعًا: مجموعين دفعة واحدة. وينجيه: ينقذه ويخلصه. وكلّا: حرف جواب لنفي ما قبله وإثبات ما بعده، معناه الردع والتوبيخ مع التنبيه على الخطأ. والمعنى: لا افتداء ولانفع في ذلك اليوم. والنزاعة: الشديدة القلع والكشط. وتدعوه: تلتقطه وتجذبه. وأدبر: ولّى ظهرَه وهرب. (٢) خلق: وجد. والهلوع: الشديد الفزع. ومسه: أصابه. والشر: ما فيه ضرر. والجزوع: الكثير التألم. والخير: ما فيه نفع. والمنوع: الشديد البخل. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من متاع أو زينة. وفي النسختين: «والذين هم في أموالهم». والحق: المقدار يجب دفعه. والمعلوم: المحدّد قدره. ويحرم: يظنه الناس غنيًا فلايعطونه. واليوم: الوقت. وغير مأمون: لاينبغي لأحد أن يأمن وقوعه. والفروج: جمع فرج. وهو العورة بين الرِّجلين من أمام. والحافظ: من يصون ويمنع بالستر وتجنب الوطء. والأزواج: جمع زوج، المرأة المتزوجة. وملكته: حازته تملكًا. والأيمان: جمع يمين. وهو اليد اليمنى. والإماء: جمع أمة. وهي المملوكة شرعًا. والملوم: المؤاخذ. وابتغى: طلب. ووراء ذلك أي: غير ما استُثني وخلاف ما أُبيح. والأمانة: ما تعهد الإنسان برعايته. وبالإفراد يريد القراءة «لِأمانتِهِم». والشهادة: الاعتراف بما هو معلوم. وبالجمع يريد القراءة «بِشَهاداتِهِم». والجنة: البستان العظيم. والمكرم: من يُحسَن إليه بالنعيم. (٣) ذكر الجهتين يعني جميع الجهات. والعِزُون: جمع عِزَة، الجماعة أي: ما يُضم بعضه إلى بعض مع تفرق. وحال أي: من الاسم الموصول أيضًا. والحِلق: جمع حَلْقة. ويطمع: يرغب. والمرء: الإنسان. والنعيم: الحياة الطيبة دائمًا. والردع: الرد والانتهار. وخلق: أوجد. ويعلمون: يعرفونه. وبذلك أي: بسبب ذلك الأصل الوضيع. وبالتقوى: يعني أن جميع البشر مخلوقون وعبيد متساوون في العبودية أصلًا، فالمشركون كسائر جنسهم، وليس لهم ما يفضلهم، لأن التفضيل يكون بالإيمان والعمل الصالح ورحمته، تعالى.

الجزء التاسع والعشرون سورة نوح

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ — ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

١- ﴿فلا﴾ - لا: زائدة - ﴿أُقسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب، ﴿إنّا لَقادِرُونَ ٤٠ على أن نُبَدِّلَ﴾: نأتيَ بدَلَهم ﴿خيرًا مِنهُم، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾ ٤١: بعاجزين عن ذلك. ﴿فذَرْهُم﴾: اتركْهم، ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم، ﴿حَتَّى يُلاقُوا﴾: يلقَوا ﴿يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٤٢ فيه العذابَ، ﴿يومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور، ﴿سِراعًا﴾ إلى المحشر، ﴿كأنَّهُم إلَى نَصْبٍ﴾، وفي قراءة بضمّ الحرفين: شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ ٤٣ يُسرِعون، ﴿خاشِعةً﴾: ذليلة ﴿أبصارُهُم، ترهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلّةٌ. ذٰلكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٤٤. ذلك: مُبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يومُ القيامة.

سورة نوح

مكية، ثمان أو تسع وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿إنّا أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، أن أنذِرْ﴾ أي: بإنذارِ ﴿قَومَكَ مِن قَبلِ أن يأتِيَهُم﴾، إن لم يُؤمنوا، ﴿عَذابٌ ألِيمٌ﴾ ١: مُؤلم في الدنيا والآخرة. ﴿قالَ: يا قَومِ، إنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٢: بيِّنُ الإنذار، ﴿أنِ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ ٣، يَغفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ - من: زائدةٌ. فإن الإسلام يُغفَر به ما قبله، أو تبعيضيةٌ لإخراجِ حقوق العباد - ﴿ويُؤَخِّرْكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجلِ الموت. ﴿إنَّ أجَلَ اللهِ﴾ بعذابكم، إن لم تؤمنوا، ﴿إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ. لَو كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ٤ ذلك لآمنتم.

٣- ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي دَعَوتُ قَومِي لَيلًا ونَهارًا﴾ ٥ أي: دائمًا مُتّصلًا، ﴿فلَم يَزِدْهُم دُعائيَ إلّا فِرارًا﴾ ٦ عن الإيمان، ﴿وإنِّي كُلَّما دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم﴾، لئلّا يسمعوا كلامي، ﴿واستَغشَوا ثِيابَهُم﴾: غطّوا رُؤوسهم بها لئلّا يُبصروني، ﴿وأصَرُّوا﴾ على كُفرهم، ﴿واستَكبَرُوا﴾ تكبّروا عن الإيمان ﴿استِكبارًا ٧، ثُمَّ إنِّي دَعَوتُهُم جِهارًا﴾ ٨ أي: بأعلى صوتي، ﴿ثُمَّ إنِّيَ أعلَنتُ لَهُم﴾ صوتي، ﴿وأسرَرتُ لَهُم﴾ الكلامَ ﴿إسرارًا ٩، فقُلتُ: استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك - ﴿إنَّهُ كانَ غَفّارًا ١٠ - يُرسِلِ السَّماءَ﴾ المطر، وكانوا قد مُنِعوه، ﴿عليكُم مِدرارًا﴾ ١١ كثير الدُّرور، ﴿ويُمدِدْكُم بِأمْوالٍ وبَنِينَ، ويَجعَلْ لَكُم جَنّاتٍ﴾: بساتينَ، ﴿ويَجعَلْ لَكُم أنهارًا﴾ ١٢ جارية.

---

(١) زائدة: انظر الآية ٣٨ من سورة الحاقة. والمشارق: جمع مَشرق. وهو مكان ظهور الكوكب من الأفق. فمشارقه: أمكنة شروقه المختلفة. وكذلك المغارب: جمع مَغرب. والقادر: المتمكن بذاته. ونأتي بدلهم: نُهلكهم وننشئ غيرهم. وخيرًا: خلقًا أفضل بالهدى والإيمان. ويخوض: يسير تائهًا. ويلعب: يتصرف فيما لايجدي. واليوم: وقت البعث للحساب. ويوعدون أي: يذكر تهديدًا لهم. ويخرج: يُبعث للحساب والجزاء. والأجداث: جمع جَدَث. والسراع: جمع سريع. وبضم الحرفين يريد «نُصُبٍ». وهو الصنم المنصوب للعبادة. والعلم: ما يوضع في الطريق ليهتدى به. والإسراع إليه يكون عند الضلال عن الطريق. والأبصار: جمع بصر. خ: «خاشعةً أبصارهم ذليلة». وذلك أي: الزمن المذكور في الآيتين ٤٢ و٤٣. وما بعده أي: اليومُ.

(٢) أرسلناه: بعثناه للدعوة والعمل. ونوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس، كان قومه يعبدون الأصنام. ومعنى نوح: الساكن. وأنذرهم: بلّغهم ما يخوّفهم عاقبة الكفر. ويأتيهم: ينزل بهم. وياقوم أي: ياقومي. والنذير: المخوّف بالعقاب. واعبدوه: قدسوه وحده. واتقوه: تجنبوا محارمه وعصيانه، والزموا الامتثال لأمره ونهيه. وأطيعون: استجيبوا لِما أبلّغكم إياه. ويغفره: يستره ولا يؤاخذ به. والذنوب: جمع ذنب. وزائدة: يعني أن الغفران لجميع الذنوب قبل الإيمان. وتبعيضية أي: أن الغفران يكون لبعض الذنوب، لأن ظلم الناس يطالب بأداء ما يستوجبه. ولإخراج حقوق العباد: يعني أنها لا تدخل في المغفرة. ويؤخركم: يجعل موتكم عاديًّا لابانتقام. والأجل: نهاية حياة المخلوق. والمسمى: المعلوم المحدّد عند الله لايتغير. وجاء: حان وقته. ولايؤخر: لايؤجل. وتعلم: تدرك وتعرف. و«آمنتم» يعني أن هذه الجملة هي جواب «لو». والأولى أن لو: للتمني، أي: يُتمنى لكم علم ذلك.

(٣) رب: ياربِّي. ودعوت: حثثت على الإيمان. ويزيدهم: يضيف إليهم. والفرار: الإعراض. وجعل: وضع. والأصابع: جمع إصبع. والآذان: جمع أذن. والثياب: جمع ثوب. وأصر: استمر. والاستكبار: طلب الإنسان ما لايستحق. يعني أنهم عطلوا الأسماع والأبصار والتدبر لإصرارهم واستكبارهم. والجهار: المجاهرة بالقول. وأعلنته: أظهرته. وأسررته: جعلته مناجاة خافتة. وفي ط وقرة العينين والمنحة والمطبوعات: «وأسررت الكلام لهم». واستغفره: اطلب منه أن يمحو الذنب بالإيمان والتقوى. وكان أي: ولايزال بدون قيد زماني. والغفار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. ويرسل: يطلق وينزل. والسماء: السحاب. ومنعوه: حبس عنهم. والدرور: الهطول والنزول. ويمدّ: يعين ويغيث. والأموال: جمع مال. وهوما يملك من المتاع والزينة. والبنون: جمع ابن. ويجعل: يخلق. والبساتين هنا تكون في الدنيا. والأنهار: جمع نهر.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

١- ﴿**ما لَكُم، لا تَرجُونَ لِلهِ وَقارًا**﴾ ١٣ أي: تؤمّلون وقارَ الله إياكم بأن تُؤمنوا، ﴿**وقَد خَلَقَكُم أطوارًا**﴾ ١٤: جمع طَور. وهو الحال - فطورًا نطفة وطورًا علقة، إلى تمام خلق الإنسان - والنظر في خلقه يُوجب الإيمان بخالقه؟ ﴿**ألَم تَروا**﴾: تنظروا: ﴿**كَيفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا**﴾ ١٥ بعضُها فوق بعض، ﴿**وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ**﴾ أي: في مجموعهنّ الصادقِ بالسماء الدنيا ﴿**نورًا، وجَعَلَ الشَّمسَ سِراجًا**﴾ ١٦: مِصباحًا مُضيئًا، وهو أقوى من نور القمر؟ ﴿**واللهُ أنبَتَكُم**﴾: خلقكم ﴿**مِنَ الأرضِ**﴾، إذ خلق أباكم آدم منها ﴿**نَباتًا**١٧، **ثُمَّ يُعيدُكُم فِيها**﴾ مقبورينَ، ﴿**ويُخرِجُكُم**﴾ للبعث ﴿**إخراجًا** ١٨، **واللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ بِساطًا**﴾ ١٩: مبسوطة، ﴿**لِتَسلُكُوا مِنها سُبُلًا**﴾: طُرقًا ﴿**فِجاجًا**﴾ ٢٠: واسعة.

٢- ﴿**قالَ نُوحٌ: رَبِّ، إنَّهُم عَصَوني، واتَّبَعُوا**﴾ أي: السَّفَلَةُ والفُقراءُ ﴿**مَن لَم يَزِدْهُ مالُهُ ووُلْدُهُ**﴾ - وهم الرُّؤساء المُنعَمُ عليهم بذلك. وولد بضمّ الواو وسكون اللام وبفتحهما. والأول قيل: جمع وَلَد بفتحهما كخُشْب وخَشَب. وقيل: بمعناه كبُخْل وبَخَل - ﴿**إلّا خَسارًا**﴾ ٢١: طُغيانًا وكُفرًا، ﴿**ومَكَروا**﴾ أي: الرؤساء ﴿**مَكرًا كُبّارًا**﴾ ٢٢: عظيمًا جدًّا، بأن كذّبوا نُوحًا وآذَوه ومن اتّبعه، ﴿**وقالُوا**﴾ للسَّفلة: ﴿**لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم، ولا تَذَرُنَّ وَدًّا**﴾ - بفتح الواو وضمّها - ﴿**ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرًا**﴾ ٢٣ هي أسماء أصنامهم. ﴿**وقَد أضَلُّوا**﴾ بها ﴿**كَثيرًا**﴾ من الناس، بأن أمروهم بعبادتها، ﴿**ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلّا ضَلالًا**﴾ ٢٤: عطف على «قد أضلّوا». دعا عليهم، لمّا أُوحي إليه «أنّه لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلّا مَن قَد آمَنَ».

٣- ﴿**مِمّا**﴾ - ما: صلة - ﴿**خَطاياهُم**﴾، وفي قِراءةٍ: «خَطيئتِهِم» بالهمز، ﴿**أُغرِقُوا**﴾ بالطوفان، ﴿**فأُدخِلُوا نارًا**﴾ عُوقبوا بها عَقِبَ الإغراق تحت الماء، ﴿**فلَم يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ**﴾ أي: غيرَ ﴿**اللهِ أنصارًا**﴾ ٢٥ يمنعون عنهم العذاب.

٤- ﴿**وقالَ نُوحٌ: رَبِّ، لا تَذَرْ عَلَى الأرضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارًا**﴾ ٢٦ أي: نازل دار - والمعنى: أحدًا. ﴿**إنَّكَ إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ، ولا يَلِدُوا إلّا فاجِرًا كَفّارًا**﴾ ٢٧: مَن يفجُر ويكفر. قال ذلك لِما تقدّم من الإيحاء إليه - ﴿**رَبِّ، اغفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ**﴾، وكانا مُؤمنَين، ﴿**ولِمَن دَخَلَ بَيتِيَ**﴾: منزلي أو مسجدي ﴿**مُؤمِنًا، ولِلمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ**﴾ إلى يوم القيامة، ﴿**ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلّا تَبارًا**﴾ ٢٨: هلاكًا. فأُهلكوا.

---

(١) الوقار: التعظيم. وتؤملون أي: لاتؤملون. وخلق: أنشأ وأوجد. وأطوارًا أي: متنقلين من حال إلى حال. والنظر: التأمل والتدبر للاتعاظ والاعتبار. وتنظروا أي: تتفكروا. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وطباقًا: محيطًا بعضها ببعض. وجعل: صيّر. والقمر: الكوكب المعروف. وفي مجموعهن: يعني أن القمر ضمنهن، كما قال المحلي: «الصادق بالسماء الدنيا». فهو فيهن أيضًا. وأنبت: أظهر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمراد التراب والماء منها. ويعيد: يردّ. ويخرجكم: يظهركم أحياء للحساب. ومبسوطة: مسهلة تُرى كالمسطحة لِما فيها من سعة وامتداد، لا مسنمة ولا مائعة عسيرة المنال. وتسلك: تتخذ. والسبل: جمع سبيل. والفجاج: جمع فَجّ.

(٢) رب: انظر الآية ٥. وعصوني: خالفوني. واتبعوا: أطاعوا. ويزيده: يضاعفه. والمال: ما يملك من المتاع والزينة. وبفتحهما يريدالقراءة «ووَلَدُهُ». وبمعناه أي: أن الوُلْد بمعنى الوَلَد. والخسار: افتقاد الخير. والمكر: تدبير الإيذاء. ولاتذروها: استمروا على عبادتها. والآلهة: جمع إله، وهي الأصنام. وبضمها يريد القراءة «وُدًّا». وهذه الأصنام سميت بأسماء رجال صالحين، فأصبحت أصنامًا تعبد، ثم انتقلت إلى العرب. وأضلوهم: صرفوهم عن الحق. والكثير: العدد الوافر. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والضلال: الانصرف إلى الباطل. و«عطف» هذا من قول أبي حيان في البحر ٨:٣٤٢، مع تقديرات لاحاجة إليها. والظاهر أن جملة «لاتزد» معطوفة على «إنهم عصوني»، كما ذكر الزمخشري. وفيما عدا الأصل وث وع: «عطفًا». وأوحي أي: الآية ٣٦ من سورة هود.

(٣) صلة أي: حرف زائد معناه التوكيد. والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب الكبير كالشرك وما معه من الكبائر. وبالهمز أي: وبالإفراد. وفيما عدا الأصل وخ: «خَطيئاتِهِم». وأغرق: قتل خنقًا بالماء. وأدخل: أرغم على الدخول. و«تحت الماء» الأصح أن المراد بالنار جهنم يوم القيامة، وعُبِّرَ عن المستقبل بالماضي «أدخلوا» لتحققه، كأنه وقع فيما مضى. ويجد: يرى. والأنصار: جمع نصير. وهو المعين يدفع العذاب ويجلب الخير.

(٤) رب: ياربي. حذف حرفُ النداء مبالغة في التعظيم، لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه، وياءُ المتكلم للتخفيف. ولاتذره: لا تتركه حيًا. والكافر: من كذب وأنكر. ونازل دار أي: من يسكن دارًا. وهو الإنسان. ويضل: يصرف عن الإيمان إلى الشرك. والعباد: جمع عبد. ويلد: يُنسِل الأولاد. والفاجر: من يرتكب القبائح باختيار وعزم. والكفار: المنهمك في الكفر. وماتقدم أي: في تفسير الآية ٢٤. واغفر: استر الذنوب بالعفو. والوالدان: الأب والأم. ودخله: صار فيه. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزم. ولاتزده: لاتضاعف له. والظالم: الكافر. وأهلكوا أي: كما ذكر في الآية ٢٥.

الجزء التاسع والعشرون سورة الجن

سُورَةُ الجِنّ

آياتها ٢٨ ترتيبها ٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجِنّ

مكية، ثمان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحِزبُ ٥٨

١- ﴿قُلْ﴾ - يا مُحمّد - للناس: ﴿أُوحِيَ إليَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بالوحي من الله ﴿أنَّهُ﴾ - الضمير للشأن - ﴿استمَعَ﴾ لِقراءتي ﴿نفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ جِنّ نَصِيبِينَ - وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلةَ، موضعٍ بين مكة والطائف، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: «وإذْ صَرَفْنا إلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ» الآيَةَ - ﴿فقالُوا﴾ لقومهم لمّا رجَعوا إليهم:

٢- ﴿إنّا سَمِعْنا قُرآنًا عَجَبًا﴾ ١ يُتعجّب منه، في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك، ﴿يَهدِي إلَى الرُّشدِ﴾: الإيمان والصواب، ﴿فآمَنّا بِهِ، ولَن نُشرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أحَدًا ٢، وإنَّهُ﴾ - الضميرُ للشأن فيه، وفي الموضعين بعده - ﴿تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾: تنزّه جلاله وعظمته عمّا نُسب إليه، ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبَةً﴾: زوجة ﴿ولا وَلَدًا ٣، وإنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا﴾: جاهلنا ﴿علَى اللهِ شَطَطًا﴾ ٤: غُلوًّا في الكذب، بوصفه بالصاحبة والولد، ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفة، أي: أنّه ﴿لَن تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ علَى اللهِ كَذِبًا﴾ ٥ بوصفه بذلك، حتّى تبيّنّا كذبهم بذلك.

٣- قال تعالى: ﴿وإنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾، حين ينزلون في سفرهم بمَخوف، فيقول كُلّ رجل: «أعوذ بسيّد هذا المكان من شرّ سُفهائه»، ﴿فزادُوهُم﴾ بعَوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ ٦: طغيانًا، فقالوا: «سُدنا الجِنَّ والإنس»، ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الجِنَّ ﴿ظَنُّوا كما ظَنَنتُم﴾ - يا إنسُ - ﴿أنْ﴾: مُخفّفة أي: أنّه ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ أحَدًا﴾ ٧ بعد موته.

٤- قال الجِنّ: ﴿وإنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: رُمنا استراقَ السمع منها، ﴿فوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا، وشُهُبًا﴾ ٨: نُجومًا مُحرقة - وذلك لمّا بُعث النبي ﷺ - ﴿وإنّا كُنّا﴾ أي: قبلَ مَبعثه ﴿نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ﴾ أي: نستمع، ﴿فمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا﴾ ٩ أُرصد له لِيُرمى به، ﴿وإنّا لا نَدرِي: أشَرٌّ أُرِيدَ﴾، بعدم استراق السمع، ﴿بِمَن في الأرضِ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ ١٠ خيرًا؟ ﴿وإنّا مِنّا الصّالِحُونَ﴾ بعد استماع القُرآن، ﴿ومِنّا دُونَ ذلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين، ﴿كُنّا طَرائقَ قِدَدًا﴾ ١١: فِرقًا مُختلفة مُسلمين وكافرين، ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفة أي: أنّه ﴿لَن نُعجِزَ اللهَ في الأرضِ، ولَن نُعجِزَهُ هَرَبًا﴾ ١٢ أي: لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها إلى السماء، ﴿وإنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدَى﴾: القُرآن ﴿آمَنّا بِهِ - فمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ، فلا يَخافُ﴾، بتقدير «هو» بعد الفاء، ﴿بَخْسًا﴾: نقصًا من حسناته، ﴿ولا رَهَقًا﴾ ١٣: ظُلمًا بالزيادة في سيّئاته - ﴿وإنّا مِنّا المُسلِمُونَ ومِنّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون بكُفرهم. ﴿فمَن أسلَمَ فأُولئِكَ تَحَرَّوا رَشَدًا﴾ ١٤: قصدوا هِداية، ﴿وأمّا القاسِطُونَ فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ١٥: وَقودًا.

---

(١) أخبرتُ بالوحي: يعني أن النبي، كما قال ابن عباس في الأحاديث الصحيحة، لم يقرأ على الجن ولم يرهم حينذاك. انظر «المفصل». والشأن: الموضوع والحدث. واستمع: بالغ في الإنصات والمتابعة والفهم. والنفر: الجماعة دون العشرة، واحده نافر. والجن: خلق من النار فيهم المؤمنون، وفيهم الشياطين. وذكروا أي: في الآية ٢٩ من سورة الأحقاف. (٢) سمعناه: بلغ سمعَنا وأدركناه. ويهدي: يدل. والرشد: الحق والصواب. وآمنا به: أيقنا أنه من عند الله. ونشرك: نقدس معبودًا من الخلق. وفيما عدا الأصل والنسخ وط فتح همزة «إن»، في المواضع التي ذكرها المحلي في تفسير الآية ١٦. وفي الموضعين أي: ما في أول الآيتين ٤ و٦. واتخذ: صنع لنفسه. ويقول: يختلق. وظننا: اعتقدنا. والكذب: ما يخالف الواقع. وبذلك أي: اتخاذ الزوجة والولد. (٣) الآيتان اعتراض بين كلام الجن، وهما أيضًا من الموحَى الذي أُمر النبي ﷺ أن يقول عنه «أوحي إليّ» في هذه السورة. والرجال: جمع رجل. ويستعيذ به: يطلب منه الحماية. ومخوف: مكان فيه خطر. وزادوهم: أضاف الإنسُ إلى الجنّ. وقالوا أي: الجن يفتخرون. ومخففة: انظر الآيتين ٣ و٥. ويبعثه: يخرجه حيًّا للحساب. (٤) لمسناها: تحسسناها. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ورمنا: طلبنا. ووجد: لقي. وملئت: صار فيها ما يشغلها. والحرس: واحده حارس. وهو الحافظ الرقيب. والشهب: جمع شِهاب. وهو قبس من النار ينفصل عن الكوكب. وذلك أي: ما ذكر من الحرس والشهب. فقد مُنع الاستراق أصلًا منذ البعثة. انظر الكشاف ٤:٦٢٥-٦٢٦. ونقعد: نترصد. ومنها: من السماء. والمقاعد: جمع مَقعد. والآن: من هذا الوقت إلى الأبد. ويجد: يصادف. وأُرصِدَ: هيئ. وندري: نعلم. والشر: ما فيه الضرر. وأريد: قصد. والصالح: من يعمل مايرضي الله. وغير الصالحين: الكافرون. والطرائق: جمع طريقة. وهي المذهب. والقدد: جمع قِدّة. وهي الفرقة المنفصلة. ومسلمين: مؤمنين ببعض الأنبياء قبل. وظننا: تيقّنّا بالتفكير والتدبر. ومخففة: انظر الآيتين ٣ و٥. ونفوته: نهرب منه. وسمعناه: سمعنا تلاوته. وآمنا به: صدّقنا أنه كلام الله، لأنه ليس من جنس كلام الخلق. ويخاف: يخشى ويتوقع. وسقط «بعد الفاء» من ط والفتوحات وبعض المطبوعات. والمسلم: من أسلم لله أموره كلها. والجائر: الظالم. وأسلم أي: استسلم للهداية. وتحرى: طلب باجتهاد. وكانوا أي: سيكونون لأنهم ممن يستحق ذلك. وجهنم: اسم علم لدار العذاب يوم القيامة. والمراد هنا: نار جهنم.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

١- وانا وانهم وانه: في اثني عشر موضعًا - هي «وإنه تعالى» و«إنا منّا المسلمون» وما بينهما - بكسر الهمزة استئنافًا، وبفتحها بما يُوجّه به. قال تعالى في كُفّار مكّة. ﴿**وأنْ**﴾ - مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنّهم. وهو معطوف على «أنه استمع» - ﴿**لَوِ استقامُوا علَى الطَّرِيقةِ**﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿**لأسقَيناهُم ماءً غَدَقًا**﴾ ١٦: كثيرًا من السماء - وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبعَ سنين - ﴿**لِنَفتِنَهُم**﴾: لنختبرهم ﴿**فِيهِ**﴾، فنعلمَ: كيف شُكرُهم، علمَ ظهور؟ ﴿**ومَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ**﴾: القُرآن ﴿**نَسلُكْهُ**﴾، بالنون والياء: نُدخلْه ﴿**عَذابًا صَعَدًا**﴾ ١٧: شاقًّا، ﴿**وأنَّ المَساجِدَ**﴾: مواضعَ الصلاة ﴿**لِلهِ - فلا تَدعُوا**﴾ فيها ﴿**مَعَ اللهِ أحَدًا**﴾ ١٨ بأن تُشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهم أشركوا - ﴿**وأنَّهُ**﴾ بالفتح، وبالكسر استئنافًا، والضمير للشأن ﴿**لَمّا قامَ عَبدُ اللهِ**﴾ مُحمّد النبيّ ﷺ، ﴿**يَدعُوهُ**﴾: يعبده ببطن نخلةَ، ﴿**كادُوا**﴾ أي: الجِنّ المُستمعون لقِراءته ﴿**يَكُونُونَ عَلَيهِ لِبَدًا**﴾ ١٩، بكسر اللام وضمّها، جمع لِبْدة، كاللِّبَد في رُكوب بعضهم بعضًا، ازدحامًا حِرصًا على سماع القُرآن. ﴿**قالَ**﴾ مُجيبًا للكُفّار في قولهم: «ارجع عمّا أنتَ فيه» - وفي قِراءةٍ: «قُلْ» - ﴿**إنَّما أدعُو رَبِّي**﴾ إلٰهًا، ﴿**ولا أُشرِكُ بِهِ أحَدًا**﴾ ٢٠.

٢- ﴿**قُلْ: إنِّي لا أملِكُ لَكُم ضَرًّا**﴾: غيًّا، ﴿**ولا رَشَدًا**﴾ ٢١: خيرًا - ﴿**قُلْ: إنِّي لَن يُجيرَني مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه إن عصيتُه ﴿**أحَدٌ، ولَن أجِدَ مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**مُلتَحَدًا**﴾ ٢٢: مُلتجأ - ﴿**إلّا بَلاغًا**﴾: استثناءٌ من مفعول «أملِكُ» أي: لا أملك لكم إلّا البلاغ إليكم ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ أي: عنه، ﴿**ورِسالاتِهِ**﴾: عطفٌ على «بلاغًا». وما بين المُستثنى منه والاستثناء اعتراضٌ لتأكيد نفي الاستطاعة، ﴿**ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ**﴾، في التوحيد فلم يُؤمن، ﴿**فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ**﴾: حالٌ من ضمير «مَن» في «له» رِعايةً لمعناها، وهي حال مُقدّرة والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلُودُهم ﴿**فِيها أبدًا**﴾ ٢٣. ﴿**حَتَّى إذا رأَوا**﴾ حتى: ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمُقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كُفرهم إلى أن يروا ﴿**ما يُوعَدُونَ**﴾، من العذاب، ﴿**فَسَيَعلَمُونَ**﴾ عِند حُلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة: ﴿**مَن أضعَفُ ناصِرًا، وأقَلُّ عَدَدًا**﴾ ٢٤: أعوانًا؟ أهم أم المُؤمنون، على القول الأوّل؟ أو أنا أم هم، على الثاني؟

٣- فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿**قُلْ: إنْ**﴾ أي: ما ﴿**أدري: أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ**﴾ من العذاب ﴿**أم يَجعَلُ لَهُ رَبِّي أمَدًا**﴾ ٢٥: غاية وأجلًا لا يعلمه إلّا هو؟ ﴿**عالِمُ الغَيبِ**﴾: ما غاب به عن العباد، ﴿**فلا يُظهِرُ**﴾: يُطلع ﴿**على غَيبِهِ أحَدًا**﴾ ٢٦ من الناس، ﴿**إلّا مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ. فإنَّهُ**﴾، مع إطلاعه على ما شاء منه مُعجزةً له، ﴿**يَسلُكُ**﴾: يجعل ويُسيِّر ﴿**مِن بَينِ يَدَيهِ**﴾ أي: الرسولِ، ﴿**ومِن خَلفِهِ، رَصَدًا**﴾ ٢٧: ملائكة يحفظونه حتّى يُبلِّغه في جُملة الوحي، ﴿**لِيَعلَمَ**﴾ **الله** عِلمَ ظُهور ﴿**أنْ**﴾: مُخفّفة من الثقيلة أي: أنّه ﴿**قد أبلَغُوا**﴾ أي: الرسلُ ﴿**رِسالاتِ رَبِّهِم**﴾ - رُوعي بجمع الضمير معنى «مَن» - ﴿**وأحاطَ بِما لَدَيهِم**﴾: عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلم ذلك، ﴿**وأحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَدًا**﴾ ٢٨: تمييز. وهو مُحوّل عن المفعول، والأصل: أحصى عددَ كُلّ شيء.

---

(١) الاستئناف: الوقف عند القراءة. والجمل معطوفة على جملة «إنا سمعنا». ويوجه به أي: بتوجيه المصدر المؤول في هذه الآية، وهو العطف على «أنه استمع». انظر «المفصل». واستقام: لزم التوجه القويم. والطريقة: السبيل الواضح. والسماء: السحاب. وعنهم: عن كفار مكة. ونعلم علمَ ظهور أي: نُظهر للخلائق حقيقة ما في النفوس. ويعرض: يمتنع. والذكر: التذكرة والعظة. وبالياء يريد القراءة «يَسلُكْهُ». والمساجد: جمع مَسجِد. وتدعوا: تعبدوا. وأحدًا أي: من المخلوقات. وأشركوا أي: بعبادة المخلوقات. والخطاب لأهل مكة وأمثالهم. انظر «المفصل». وبالكسر يريد القراءة «وإنَّهُ». وللشأن :انظر الآية ٣. وقام: وقف للصلاة. وكادوا: قاربوا. وبضمها يريد القراءة «لُبَدًا» جمع لُبْدة. والمحلي هنا لفق بين تفسيرين دون توفيق. انظر تفسير الآلوسي ٢٩: ١٦٠-١٦١. (٢) أملكه: أقدر عليه. والضر: الأذى. والرشد: الهداية. والمراد أن تلك القدرة هي لله وحده. ويجير: يحفظ. وأجد: أصادف. ومن دونه أي: غير رحمته. والبلاغ: التبليغ. والرسالات: ما يرسل به من الآيات. ويعصيه: يخالف أمره أو نهيه. ونار جهنم أي: العذاب فيها. والخالد: المقيم أمدًا طويلًا. ولمعناها أي: لما فيها من معنى الجمع. والأبد: الدهر كله. ورأى: أبصر عِيانًا. وما يوعدون: مايهددون به. ويعلم: يتحقق. وأضعف: أعجز. وعددًا: عددَ مُعينين. والقول الأول يعني به: يوم بدر. والثاني هو يوم القيامة. (٣) القائل هو النضر بن الحارث. وأدري: أعلم. والقريب: الواقع الآن أو يتوقع بعد لحظات. وفي ط وبعض المطبوعات: «ماتوعدون به». ويجعل: فرض وقضى، فعل مضارع بمعنى الماضي، للدلالة على الاستمرار. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالم: المحيط بالغَ الإحاطة. وما غاب به: ماغيّبه. وارتضى: اختاره ورضي له تحمل الرسالة. وبين يديه: أمامه. وذكر الأمام والخلف يعني جميع الجهات. والرصد: الرقيب الحافظ. وعلم ظهور: انظر الآية ١٧. ومخففة: انظر الآية ٣. وأبلغوها: أوصلوها وأدّوها إلى المكلفين بها. والرسالة: مايكلف به الرسول. وروعي أي: ضمير الجماعة في «أبلغوا وربهم». ومالديهم: ما عند الرسل والملائكة. وأحصاه: علم عدده جملة وتفصيلًا. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والعدد: المعدود.

الجزء التاسع والعشرون — سورة المزمل

سُورَةُ المُزَّمِّل — ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سورة المُزَّمِّل

مكية، أو إلّا قوله «إن ربك يعلم» إلى آخرها فمدني، تسعَ عشرةَ أو عشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**يا أيُّها المُزَّمِّلُ**﴾ ١: النبيُّ - وأصله «المُتَزَمِّل» أُدغمَتِ التاءُ في الزاي - أي: المُتلفّف بثِيابه حِين مجيء الوحي له، خوفًا منه لهيبته، ﴿**قُمِ اللَّيلَ**﴾: صَلِّ ﴿**إلّا قَليلًا**﴾ ٢، ﴿**نِصفَهُ**﴾: بدلٌ من «قليلًا» وقِلّته بالنظر إلى الكُلّ، ﴿**أوِ انقُصْ مِنهُ**﴾: من النصف ﴿**قَليلًا**﴾ ٣ إلى الثُّلث، ﴿**أو زِدْ عليهِ**﴾ إلى الثُّلثين - وأو: للتخيير - ﴿**ورتِّلِ القُرآنَ**﴾: تثبّتْ في تِلاوته ﴿**ترتيلًا**﴾ ٤. ﴿**إنّا سَنُلقِي عليكَ قولًا**﴾ أي: قُرآنًا ﴿**ثَقيلًا**﴾ ٥: مَهيبًا أو شديدًا، لما فيه من التكاليف. ﴿**إنَّ ناشِئةَ اللَّيلِ**﴾: القيامَ بعد النوم ﴿**هيَ أشَدُّ وِطاءً**﴾: مُوافقة السمع للقلب على تفهّم القرآن، ﴿**وأقوَمُ قِيلًا**﴾ ٦: أبينُ قولًا. ﴿**إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبحًا طَويلًا**﴾ ٧: تصرّفًا في أشغالك، لا تفرّغ فيه لتلاوة القرآن.

٢- ﴿**واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ**﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم. في ابتداء قِراءتك، ﴿**وتَبَتَّلْ**﴾: انقطع ﴿**إلَيهِ**﴾ في العبادة ﴿**تَبتيلًا**﴾ ٨: مصدرُ: بَتّل. جيء به رِعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتّل. هو ﴿**رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِبِ، لا إلَهَ إلّا هُوَ. فاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ ٩: موكولًا له أمُورُك، ﴿**واصبِرْ عَلَى ما يَقُولُونَ**﴾ أي: كُفّارُ مكّة من أذاهم، ﴿**واهجُرْهُم هَجرًا جَميلًا**﴾ ١٠: لا جزع فيه - وهذا قبل الأمر بقِتالهم - ﴿**وذَرْني**﴾: اتركني ﴿**والمُكَذِّبينَ**﴾: عطفٌ على المفعول أو مفعول معه - والمعنى: أنا كافيكَهُم، وهم صناديد قُريش - ﴿**أُولِي النَّعْمةِ**﴾: التنعّم، ﴿**ومَهِّلْهُم قَليلًا**﴾ ١١ من الزمن. فقُتلوا بعديسير منه ببدر. ﴿**إنَّ لَدَينا أنكالًا**﴾: قُيودًا ثِقالًا، جمع نِكْل بكسر النون، ﴿**وجَحيمًا**﴾ ١٢: نارًا مُحرقة، ﴿**وطَعامًا ذا غُصّةٍ**﴾ يُغَصّ به في الحلق - وهو الزقّوم أو الضريع أو الغِسلينُ أو شوك من نار - لا يخرج ولا ينزل، ﴿**وعَذابًا أليمًا**﴾ ١٣: مُؤلمًا زيادة على ما ذُكر، لمن كذّب النبيّ، ﴿**يَومَ تَرجُفُ**﴾: تُزلزلُ ﴿**الأرضُ والجِبالُ، وكانَتِ الجِبالُ كَثيبًا**﴾: رملًا مُجتمعًا ﴿**مَهيلًا**﴾ ١٤: سائلًا بعد اجتماعه. وهو مِن: هالَ يَهيلُ. وأصله «مَهْيُول» استُثقلت الضمّةُ على الياء فنقلت إلى الهاء، وحُذفَتِ الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقُلبت الضمّة كسرة لمجانسة الياء.

٣- ﴿**إنّا أرسَلْنا إلَيكُم**﴾ - يا أهل مكّة - ﴿**رَسُولًا**﴾ هو مُحمّد ﷺ، ﴿**شاهِدًا عَلَيكُم**﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العِصيان، ﴿**كَما أرسَلْنا إلَى فِرعَونَ رَسُولًا**﴾ ١٥ هو مُوسَى - عليه الصلاة والسلام - ﴿**فعَصَى فِرعَونُ الرَّسُولَ، فأخَذْناهُ أخذًا وَبيلًا**﴾ ١٦: شديدًا. ﴿**فكَيفَ تَتَّقُونَ، إن كَفَرتُم**﴾ في الدنيا، ﴿**يَومًا**﴾: مفعول «تتّقون»، أي: عذابَه أي: بأيِّ حِصن تتحصّنون من عذاب يوم، ﴿**يَجعَلُ الوِلدانَ شِيبًا**﴾ ١٧: جمع أشيَبَ لشِدّة هوله، وهو يوم القيامة - والأصل في شين «شيب» الضمّ، وكُسرت لمجانسة الياء. ويقال في اليوم الشديد: يومٌ يُشيب نواصيَ الأطفال. وهو مجاز. ويجوز أن يكون المُراد في الآية الحقيقةَ - ﴿**السَّماءُ مُنفَطِرٌ**﴾: ذات انفطارٍ أي: انشقاقٍ. ﴿**بِهِ**﴾: بذلك اليوم لشِدّته؟ ﴿**كانَ وَعدُهُ**﴾ - تعالى - بمجيء ذلك اليوم ﴿**مَفعُولًا**﴾ ١٨ أي: هو كائن لا محالة. ﴿**إنَّ هٰذِهِ**﴾ الآياتِ المُخوِّفةَ ﴿**تَذكِرةٌ**﴾: عِظة للخلق. ﴿**فمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبيلًا**﴾ ١٩: طريقًا بالإيمان والطاعة.

---

(١) الوحي: جبريل يحمل الوحي. انظر «المفصل». وقم: تنبه للعبادة. وانقص منه: اجعل بعضه للنوم. وعليه: على النصف. وللتخيير أي: بين القيام ثلث الليل أو نصفه أو ثلثيه. ورتله: اقرأه بتؤدة. والقرآن: ما أوحي إليك منه. ونلقي: ننزل على لسان جبريل. والمهيب: العظيم الجليل. وأشد: أقوى وأدق. وفي ع وط والصاوي وقرة العينين والمطبوعات: «وَطئًا». وفي المنحة: «وطأ». والطويل: الواسع المديد. ولتلاوة القرآن يعني: فانصرفْ إلى ذلك في الليل. (٢) اذكره: دم على ترداده. و«قراءتك» المراد أعم من هذا، لتشمل البسملةُ كل عمل خير، مع التسبيح والتحميد والدعاء. ورعاية للفواصل: يعني أن «تبتيلًا» يناسب أواخر الآيات حوله. وملزومه: يعني أن التبتل لازم للتبتيل في المطاوعة، يقال: بَتّلتُه فتَبَتّلَ. والإلٰه: المعبود بحق وحده. واتخذه: استمِرَّ على ذلك. والوكيل: المعتمَد عليه. واصبر: تحمل. واهجرهم: أعرض عنهم. وهذا أي: الأمر بالصبر والمجاملة نُسخ بآيات القتال في أوائل سورة التوبة. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥ من سورة المعارج. وأولو أي: أصحاب، واحده: ذو. ومهلهم: أجّل أمرهم. ومنه: من الأمر بالتمهيل. ولدينا: عندنا. والطعام: ما يؤكل. وذو أي: صاحب. والزقوم: شجر مر الثمر. والضريع: شوك خبيث. والغسلين: ما يسيل من جراح أهل النار. والعذاب: التعذيب. واليوم: الوقت. والجبال: جمع جبل. وهاله: صبّه فتداعى، أي: تبع بعضه بعضًا. (٣) أرسلنا: بعثنا. والشاهد: من يُقرّ بما يعلم للحكم. وعصاه: خالف أمره. وأخذناه: عاقبناه. وتتقونه: تتجنبون أهواله. وكفرتم: كذبتم التوحيد والبعث. ويجعل: يصيّر. والولدان: جمع وليد. والنواصي: جمع ناصية، الشعر في مقدم الرأس. ومجاز أي: تقريب لفظاعة الحال. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وذات انفطار: يعني أن «منفطر» فيه معنى النسب، للدلالة على المبالغة في الوصف. وكان أي: ولا يزال. والوعد: التهديد. والآيات أي: ١١-١٨. وشاء: أراد. واتخذ: سلك. وإلى ربه: إلى طاعته.

۞إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر — ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

ربع الحزب ٥٨

١- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى﴾: أقلَّ ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيلِ ونِصفِهِ وثُلُثِهِ﴾ - بالجرّ: عطفٌ على «ثُلثي»، وبالنصب: عطفٌ على «أدنى». وقيامُه كذلك نحوُ ما أُمر به أوّلَ السورة - ﴿وطائفةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ﴾: عطفٌ على ضمير «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل - وقِيامُ طائفة من أصحابه كذلك للتأسّي به. ومنهم من كان لا يدري: كم صلّى من الليل وكم بقي منه؟ فكان يقوم الليل كُلّه احتياطًا، فقاموا حتّى انتفخت أقدامهم سَنة أو أكثر، فخُفّف عنهم - قال تعالى: ﴿واللهُ يُقدِّرُ﴾: يُحصي ﴿اللَّيلَ والنَّهارَ، عَلِمَ أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لَن تُحصُوهُ﴾ أي: الليلَ، لتقوموا فيما يجب القِيام فيه، إلّا بقِيام جميعه، وذلك يشُقّ عليكم، ﴿فتابَ عليكُم﴾: رجَعَ بكم إلى التخفيف. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ﴾، في الصلاة بأن تُصلّوا ما تيسّر.

٢- ﴿عَلِمَ أنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة، أي: أنّه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَرضى، وآخَرُونَ يَضرِبُونَ في الأرضِ﴾: يُسافرون، ﴿يَبتَغُونَ مِن فَضلِ اللهِ﴾: يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها، ﴿وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ﴾. وكُلّ من الفِرق الثلاث يشُقّ عليهم ما ذُكر في قيام الليل، فخُفّف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثمّ نُسخ ذلك بالصلوات الخمس. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ - كما تقدم - ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ المفروضة، ﴿وآتُوا الزَّكاةَ، وأقرِضُوا اللهَ﴾ بأن تُنفقوا ما سوى المفروض من المال، في سبيل الخير، ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ عن طِيب قلب - ﴿وما تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيرًا﴾ ممّا خلّفتم، وهو: فصلٌ وما بعده، وإن لم يكن معرفة، يُشبهها لامتناعه من التعريف، ﴿وأعظَمَ أجرًا - واستَغفِرُوا اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٠ للمُؤمنين.

سورة المُدَّثِّر

مكية، خمس وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾ ١: النبيُّ - وأصله «المُتَدَثِّر» أُدغمت التاء في الدال - أي: المُتلفّف بثِيابه عند نُزول الوحي عليه، ﴿قُمْ، فأنذِرْ﴾ ٢: خوِّفْ أهل مكّة النارَ إن لم يُؤمنوا، ﴿ورَبَّكَ فكَبِّرْ﴾ ٣: عظِّم عن إشراك المُشركين، ﴿وثِيابَكَ فطَهِّرْ﴾ ٤ عن النجاسة، أو قصِّرها خِلاف جرّ العرب ثيابَهم خُيلاءَ فربّما أصابتها نجاسة، ﴿والرِّجزَ﴾ - فسّرَه النبيُّ ﷺ بالأوثان - ﴿فاهجُرْ﴾ ٥ أي: دُم على هجره، ﴿ولا تَمنُنْ تَستَكثِرُ﴾ ٦ - بالرفع حال - أي: لا تُعطِ شيئًا لتطلب أكثر منه، وهذا خاصّ به ﷺ لأنه مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، ﴿ولِرَبِّكَ فاصبِرْ﴾ ٧ على الأوامر والنواهي.

٤- ﴿فإذا نُقِرَ في النّاقُورِ﴾ ٨: نُفخ في الصُّور - وهو القرن - النفخةُ الثانية ﴿فذلِكَ﴾ أي: وقتُ النقر ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدل ممّا قبله المُبتدأ، وبُني لإضافته إلى غير مُتمكّن، وخبر المبتدأ: ﴿يَومٌ عَسِيرٌ﴾ ٩ - والعامل في «إذا» ما دلّت عليه الجملة أي: اشتدّ الأمر - ﴿على الكافِرِينَ غَيرُ يَسِيرٍ﴾ ١٠. فيه دلالة على أنه يسير على المُؤمنين أي: في عُسره.

٥- ﴿ذَرنِي﴾: اتركني ﴿ومَن خَلَقتُ﴾: عطفٌ على المفعول أو مفعول معه، ﴿وَحِيدًا﴾ ١١: حالٌ من «مَن» أو من ضميره المحذوف من «خلقتُ» أي: منفردًا بلا أهل ولا مال - وهو الوليد بن المغيرة - ﴿وجَعَلتُ لَهُ مالًا مَمدُودًا﴾ ١٢: واسعًا مُتّصلًا من الزروع والضروع والتجارة، ﴿وبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ ١٣: يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم، ﴿ومَهَّدتُ﴾: بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعُمر والولد ﴿تَمهِيدًا ١٤، ثُمَّ يَطمَعُ

---

(١) يعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. وتقوم: تنهض للصلاة. وبالجر: يعني أن القيام متراوح بين ما هو أكثر من النصف وما هو أقل منه. وبالنصب يريد القراءة «ونِصفَهُ وثُلُثَهُ». والطائفة: الجماعة. ومعك أي: على الإيمان. و«عطف» يعني أن «طائفة»: معطوف على فاعل: تقوم. وتحصوه: تقدّروا أوقاته. واقرأ: اتلُ. وتيسر: أمكن. (٢) يكون: يحصل. والمرضى: جمع مريض. وآخرون أي: مِن غير مَن ذكر قبل. والفضل: التفضل بالنعم. ويقاتل: يحارب العدو المعتدي. وفي سبيله: لإعلاء كلمته ودينه. وأقيموها: أدوها كاملة. وآتوها: ادفعوها إلى مستحقيها. وأقرضوه: اجعلوا عنده لكم حسنات. وتقدم: تفعل. والأنفس: جمع نفس. والخير: ما فيه نفع. وتجده: تراه. وعند الله: عند لقائه وحسابه. وخيرًا: أكثر نفعًا. وفصل: ضمير فصل وتوكيد. والأجر: المكافأة. والغفور: الكثير السترِ للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. (٣) الثياب: جمع ثوب. وطهر: نزّه. وتفسير الرجز في المستدرك ٢:٢٥١. والهجر: التجنب والإنكار. وتمنن: تذكر بالفخر. وحال: يعني أن جملة «تستكثرُ»: حال من فاعل: تمنن. ولتطلب: انظر «المفصل». واصبر: اثبت وتحمل. (٤) النقر: قرع شديد. والثانية يكون بها البعث. وبدل: يعني أن «يوم»: بدل من المبتدأ «ذا». وغيرالمتمكن هو: إذ. واليسير: الهين. وفي عسره: مع أنه عسير. (٥) انظر سبب النزول في المفصل. وخلق: أوجد. وجعل: صيّر. والبنون: جمع ابن. والشهود: جمع شاهد. ويطمع: يرغب. وأزيد: أُضيف إلى ما=

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

أن **أزيدَ** ١٥. **كَلّا** لا أزيده على ذلك - ﴿**إنّهُ كانَ لِآياتِنا**﴾: القُرآن ﴿**عَنيدًا**﴾ ١٦: مُعاندًا - ﴿**سأُرهِقُهُ**﴾: أُكلّفه ﴿**صَعُودًا**﴾ ١٧: مشقّة من العذاب، أو جبلًا من نار يَصعد فيه ثمّ يهوي أبدًا.

١- ﴿**إنّهُ فكَّرَ**﴾ فيما يقول، في القُرآن الذي سمعه من النبي ﷺ، ﴿**وقدَّرَ**﴾ ١٨ في نفسه ذلك - ﴿**فقُتِلَ**﴾: لُعِنَ وعُذّب ﴿**كيفَ قَدَّرَ**﴾ ١٩: على أيّ حال كان تقديره؟ ﴿**ثُمّ قُتِلَ كيفَ قَدَّرَ ٢٠ - ثُمَّ نظَرَ**﴾ ٢١ في وُجوه قومه، أو فيما يَقدَحُ به فيه، ﴿**ثُمَّ عَبَسَ**﴾: قبَضَ وجهه وكلّحه ضِيقًا بما يقول، ﴿**وبَسَرَ**﴾ ٢٢: زاد في القبض والكلوح، ﴿**ثُمّ أدبَرَ**﴾ عن الإيمان، ﴿**واستكبَرَ**﴾ ٢٣: تكبّر عن اتّباع النبيّ ﷺ، ﴿**فقالَ**﴾ فيما جاء به: ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا سِحرٌ يُؤثَرُ**﴾ ٢٤: يُنقل عن السَّحرة. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هٰذا إلّا قَولُ البَشرِ**﴾ ٢٥. كما قالوا: «إنّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ». ﴿**سأُصليهِ**﴾: أُدخِله ﴿**سَقَرَ**﴾ ٢٦: جهنّم. ﴿**وما أدراكَ: ما سَقَرُ**﴾ ٢٧؟ تعظيم لشأنها. ﴿**لا تُبقِي ولا تَذَرُ**﴾ ٢٨ شيئًا من لحم ولا عصب إلّا أهلكته، ثمّ يعود كما كان، ﴿**لَوّاحةٌ لِلبَشَرِ**﴾ ٢٩: مُحرقة لظاهر الجلد، ﴿**عليها تِسعةَ عَشَرَ**﴾ ٣٠ ملَكًا خزنتها؟ قال بعض الكُفّار، وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعةَ عشَرَ، واكفوني أنتم اثنين. قال تعالى:

٢- ﴿**وما جَعَلْنا أصحابَ النّارِ إلّا مَلائكةً**﴾ أي: فلا يُطاقون كما يَتوهّمون، ﴿**وما جَعَلْنا عِدّتَهُم**﴾ ذلك ﴿**إلّا فِتْنةً**﴾: ضلالًا ﴿**لِلَّذينَ كفَرُوا**﴾، بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشَرَ؟ ﴿**لِيَستَيقِنَ**﴾: ليستَبينَ ﴿**الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾ أي: اليهودُ صِدقَ النبيّ، في كونهم تسعةَ عشَرَ المُوافقِ لِما في كِتابهم، ﴿**ويَزدادَ الّذينَ آمَنُوا**﴾ من أهل الكتاب ﴿**إيمانًا**﴾ تصديقًا، لمُوافقة ما أتى به النبيّ ﷺ لِما في كِتابهم، ﴿**ولا يَرتابَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ والمُؤمِنُونَ**﴾ من غيرهم، في عدد الملائكة، ﴿**ولِيَقُولَ الّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: شكٌّ بالمدينة، ﴿**والكافِرُونَ**﴾ بمكّة: ﴿**ماذا أرادَ اللهُ بِهٰذا**﴾ العدد ﴿**مَثَلًا**﴾؟ سمّوه لغرابته بذلك، وأُعرب حالًا - ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إضلالِ مُنكِرِ هذا العدد وهَدْيِ مُصدّقِه، ﴿**يُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ - وما يَعلَمُ جُنودَ رَبِّكَ**﴾ أي: الملائكةَ في قوّتهم وأعوانهم ﴿**إلّا هُوَ، وما هِيَ**﴾ أي: سقرُ ﴿**إلّا ذِكرَى**﴾: عِظةٌ ﴿**لِلبَشَرِ**﴾ ٣١.

٣- ﴿**كَلّا**﴾: استفتاح بمعنى: ألا ﴿**والقَمَرِ ٣٢، واللّيلِ إذا**﴾، بفتح الذال، ﴿**دَبَرَ**﴾ ٣٣: جاء بعد النهار - وفي قِراءة: «إذْ أدبَرَ» بسكون الذال بعدها همزة أي: مضى - ﴿**والصُّبحِ إذا أسفَرَ**﴾ ٣٤: ظهر، ﴿**إنّها**﴾ أي: سقرَ ﴿**لَإحدَى الكُبَرِ**﴾ ٣٥: البلايا العِظام، ﴿**نَذيرًا**﴾: حالٌ من «إحدى الكبر» وذُكّر لأنها بمعنى العذاب ﴿**لِلبَشَرِ ٣٦، لِمَن شاءَ مِنكُم**﴾: بدلٌ من «للبشر» ﴿**أن يَتقدَّمَ**﴾ إلى الخير أو الجنّة بالإيمان، ﴿**أو يَتأخَّرَ**﴾ ٣٧ إلى الشرّ أو النار بالكُفر. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينةٌ**﴾ ٣٨: مرهونة مأخوذة بعملها في النار، ﴿**إلّا أصحابَ اليَمينِ**﴾ ٣٩ وهم المُؤمنون فناجون منها، كائنون ﴿**في جَنّاتٍ يَتَساءلُونَ**﴾ ٤٠ بينهم ﴿**عَنِ المُجرِمينَ**﴾ ٤١ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج المُوحّدين من النار: ﴿**ما سَلَكَكُم**﴾: أدخلكم ﴿**في سَقَرَ**﴾ ٤٢؟

٤- ﴿**قالُوا: لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ٤٣، ولَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ ٤٤، وكُنّا نَخُوضُ**﴾ في الباطل ﴿**مَعَ الخائضِينَ ٤٥، وكُنّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ**﴾ ٤٦:

=أعطيت. وكلّا: للإنكار. (١) فكر: أعمل فكره وتدبره. وقدّر: راجع تقدير الحيل ليتّهم بها الوحي. ولعن: طرد من الرحمة. والكلوح: العبوس. وأدبر: ارتد موليًّا ظهره. والسحر: ما يخدع العقل أو الحواس. وقول البشر يعني: أنه ليس وحيًا من عند الله. و«قالوا» انظر الآية ١٠٣ من سورة النحل. وأدراك: أعلمك. ولاتذر: لاتترك ما أهلكتْه كما هو، بل تعيده إلى حاله الأولى. والبشر: واحدته بَشَرة. وعليها أي: العاملون عليها. والخزنة: جمع خازن. وهم الرؤساء ومعهم الزبانية. وبعض الكفار هو أبو الأشُدَّينِ كَلَدةُ بن أسيد. انظر تفسير الآية ٥ من سورة البلد. وقال تعالى يعني: لما نزلت الآية ٣٠ سخر المشركون من العدد، فنزلت الآية ٣١. (٢) جعل: صيّر. والأصحاب: جمع صاحب. والملائكة: جمع ملَك. ويتوهمون: يتخيل المشركون. والعدّة: العدد. والكتاب: التوراة. انظر «المفصل». ويزداد: يتضاعف. ويرتاب: يتردد في الاعتقاد. والقلوب: جمع قلب. وأراد: قصد. والمَثل: الأمر العجيب يذكر للاعتبار. ويضله: يصرف اختياره إلى الضلال، ويوجه قدراته بحسب استعداده السيئ لإنكار الآيات. ويشاء: يريد أن يضله. ويهديه: يصرف اختياره إلى الهدى، ويُمده بحسب استعداده الحسن لتقبل الآيات. ويشاء: يريد أن يهديه. ويعلم: يدرك. والجنود: جمع جند. والجند: واحده جندي. (٣) الاستفتاح: ابتداء كلام مع التوكيد والتنبيه. والصبح: وقت ضياء الفجر. والكبر: جمع الكبرى. وهي الأكثر هولًا. والنذير: المهدد لمن عصى. وذكّر: يعني أن «نذيرًا» لم يؤنث لأن «إحدى» بمعنى العذاب. والبشر: الناس. وشاء: اختار لنفسه. وبدل: يعني «لمن». ويتقدم: يسبق. ويتأخر: يتخلف. والنفس: المكلّف من الإنس والجن، أيًا كان عمله. وكسبت: عملت من النية والقول والفعل. وأصحاب اليمين: الذين يناوَلون صحف أعمالهم يوم القيامة بأيديهم اليمنى. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. ويتساءلون: يسأل بعضهم بعضًا. والمجرم: الكافر. ولهم أي: للمجرمين. وسقر: نار جهنم. (٤) قالوا أي: أجابوا بأسف وحسرة. والمصلي: من يؤدي الصلاة المكتوبة. وهو هنا المؤمن، ذكرت صفته المصلي لأنها عماد الدين. والمسكين: الفقير المحتاج. ونطعمه: نعطيه حقه في أموالنا من زكاة وغيرها، ليتيسر له الطعام والشراب. ونخوض: نَشرع ونغوص بلا تدبر أو اعتبار. ونكذب به: ننكر أنه=

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ — ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

البعث والجزاء، ﴿**حَتَّى أتانا اليَقِينُ**﴾ ٤٧: الموت. ﴿**فما تنفعُهُم شَفاعةُ الشّافِعِينَ**﴾ ٤٨ من الملائكة والأنبياء والصالحين. والمعنى: لا شفاعة لهم.

١- ﴿**فما**﴾: مبتدأ ﴿**لَهُم**﴾: خبره مُتعلّق بمحذوف انتقل ضميره إليه، ﴿**عَنِ التَّذكِرةِ مُعرِضِينَ**﴾ ٤٩؟ حال من الضمير، والمعنى: أيُّ شيء حصل لهم، في إعراضهم عن الاتعاظ؟ ﴿**كأنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفِرةٌ**﴾ ٥٠: وحشيّة، ﴿**فَرَّتْ مِن قَسْوَرةٍ**﴾ ٥١: أسد، أي هربتْ منه أشدّ الهرب؟ ﴿**بَل يُرِيدُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُؤتَى صُحُفًا مُنَشَّرةً**﴾ ٥٢ أي: من الله - تعالى - باتّباع النبيّ، كما قالوا: «لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ، حَتَّى تُنَزِّلَ علَينا كِتابًا نَقرَؤُهُ». ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ عمّا أرادوه، ﴿**بَل لا يَخافُونَ الآخِرةَ**﴾ ٥٣ أي: عذابها. ﴿**كَلّا**﴾: استفتاح، ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: القرآنَ ﴿**تَذكِرةٌ**﴾ ٥٤: عظة، ﴿**فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ**﴾ ٥٥: قرأه فاتّعظ به، ﴿**وما يَذكُرُونَ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**إلّا أن يَشاءَ اللهُ. هُوَ أهلُ التَّقوَى**﴾ بأن يُتّقَى، ﴿**وأهلُ المَغفِرةِ**﴾ ٥٦ بأن يَغفر لمن اتّقاه.

الحزب ٥٨

سورة القِيامة

مكية، وهي أربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**لا**﴾ - زائدة في الموضعين - ﴿**أُقسِمُ بِيَومِ القِيامةِ** ١، **ولا أُقسِمُ بِالنَّفسِ اللَّوّامةِ**﴾ ٢: التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان. وجواب القسم محذوف، أي: لتُبعَثُنَّ. دلّ عليه: ﴿**أيَحسَبُ الإنسانُ**﴾ أي: الكافر ﴿**أن لَن نَجمَعَ عِظامَهُ**﴾ ٣ للبعث والإحياء؟ ﴿**بَلَى**﴾ نجمعها ﴿**قادِرِينَ**﴾ مع جمعها ﴿**على أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ**﴾ ٤ وهو الأصابع، أي: نُعيدَ عِظامها كما كانت مع صِغرها. فكيف بالكبيرة؟ ﴿**بَل يُرِيدُ الإنسانُ لِيَفجُرَ**﴾ - اللام: زائدة. ونصبه بـ«أنْ» مُقدّرةً - أي: أن يُكذِّب ﴿**أمامَهُ**﴾ ٥ أي: يومَ القيامة. دلّ عليه: ﴿**يَسألُ: أيّانَ**﴾: متى ﴿**يَومُ القِيامةِ**﴾ ٦ سُؤالَ استهزاء وتكذيب؟

٣- ﴿**فإذا بَرِقَ البَصَرُ**﴾ ٧، بكسر الراء وفتحها: دَهِشَ وتَحيّرَ لِما رأى ممّا كان يُكذّب به، ﴿**وخَسَفَ القَمَرُ**﴾ ٨: أظلم وذهب ضوءُه، ﴿**وجُمِعَ الشَّمسُ والقَمَرُ**﴾ ٩ فطلعا من المغرب أو ذهب ضوءُهما - وذلك في يوم القيامة - ﴿**يَقُولُ الإنسانُ يَومَئِذٍ: أينَ المَفَرُّ**﴾ ١٠ الفِرار؟ ﴿**كَلّا**﴾: ردع عن طلب الفِرار، ﴿**لا وَزَرَ**﴾ ١١: لا ملجأ يُتحصّن به. ﴿**إلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المُستَقَرُّ**﴾ ١٢: مُستقرّ الخلائق فيُحاسَبون ويُجازَون. ﴿**يُنَبَّأُ الإنسانُ يَومَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأخَّرَ**﴾ ١٣: بأوّل عمله وآخره. ﴿**بَلِ الإنسانُ على نَفسِهِ بَصِيرةٌ**﴾ ١٤: شاهد، تنطِق جوارحه بعمله - والهاء: للمبالغة - فلا بُدّ من جزائه، ﴿**ولَو ألقَى مَعاذِيرَهُ**﴾ ١٥: جمع مَعذِرة على غير قياس، أي: لو جاء بكُلّ معذرة ما قُبلت منه.

٤- قال تعالى لنبيّه: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ**﴾: بالقُرآن قبل فراغ جِبريلَ منه ﴿**لِسانَكَ، لِتَعجَلَ بِهِ**﴾ ١٦ خوف أن ينفلت منك. ﴿**إنَّ علَينا جَمعَهُ**﴾ في

=سيحصل. واليوم: الوقت. وأتانا: حلّ بنا. واليقين: ما لابد منه. وتنفع: تقدم خيرًا أو تدفع شرًّا. والشفاعة: المطالبة بالتجاوز عن الذنوب. ولا شفاعة لهم: يعني أن النفي ظاهره للنفع، والمراد به نفي وجود الشفاعة النافعة لهم أصلًا. **(١)** انظر سبب النزول في المفصل. وانتقل ضميره أي: انتقل الضمير المستتر في الخبر المحذوف «كائن »إلى الظرف. والمعرض: المبتعد. وحال: يعني أن «معرضين»: حال من الضمير في «لهم». والحمر: جمع حمار. ويؤتى: يعطى. والصحف: جمع صحيفة. والمنشرة: المبسوطة. وقولهم هو في الآية ٩٣ من سورة الإسراء، وفيها هنا كما أثبت المحلي وبعض المفسرين: «لن نؤمن لك». وهو خطأ ظاهر. ويخاف: يخشى. واستفتاح: انظر الآية ٣٢. وشاء: أراد الاتعاظ. و«قرأه» خطأ صوابه في التلخيص: «قِراءتَه». يعني: ذكَرَ قراءة القرآن. وبالتاء يريد القراءة «وما تَذكُرُونَ». ويشاء: يريد لهم الذكر. وأهلها: صاحبها. ويُتقى: يُتجنب غضبه ويُطلب رضاه. **(٢)** زيادة «لا» في الآيتين مراد بها المبالغة في توكيد القسم. وأُقسم: أحلف بشيء عظيم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس أحياء للحساب والجزاء. ونفس الإنسان: عقله وضميره. واللوامة: الكثيرة اللوم على التقصير. وتلوم نفسها: تعنف ذاتها وتحثها على الخير. ويحسب: يظن. انظر «المفصل». ونجمعها: نعيد خلقها متقنة بالحياة. والعظام: جمع عظم. والبنان: واحدته بنانة. وهي العظم في طرف الإصبع. ويريد: يقصد بلا تدبر. وزائدة أي: للتقوية والتوكيد. وأمامه: الوقت يستقبله بعد الموت. يعني: يدوم على التكذيب حتى الموت. ويسأل: يستخبر تعجيزًا وإنكارًا. **(٣)** البصر: القدرة على النظر. وبفتحها يريد القراءة «بَرَقَ». والإنسان: كل إنسان. ويومئذ: يوم إذْ يكون ما ذكر قبل. والفرار: النجاة من العذاب والأهوال. والردع: الزجر والمنع والتنبيه على الخطأ. وإلى ربك: إلى حكمه ومشيئته، كما وعد وتعهد. والمستقر: الاستقرار والمصير. وينبأ: يخبَّر. والنفس: الشخص بروحه وجسده. وشاهد أي: هو يشهد على نفسه، لأنه يعلم ويتذكر. والجوارح: جمع جارحة، وهي الأعضاء العاملة من الجسد. والهاء للمبالغة أي: أن التاء في «بصيرة» للمبالغة في معنى المعرفة والإقرار. وألقاها: أحضرها. والمعذرة: العُذر مما كان من العصيان. والجمع القياسي هو مَعاذِر، بدون ياء. فزيادة الياء تعني الخروج على القياس للمبالغة. **(٤)** تحركه: تُعمِله وتردد به الآيات. وتعجل به: تستعجل قراءته لحفظه. والمراد باللسان جهاز النطق. وعلينا جمعه أي: نحن نتكفل تثبيته ونوفقك في ذلك. وقرأنا: رتلنا. وكان: صار. والبيان: التفسير والتوضيح. وهذه الآية وما قبلها أي: الآيات الأربع. و«المناسبة. . . بحفظها» يعني أن الآيات ٣-٦ في بعضها إعراض وتكذيب من الكافر، والآيات ١٦-١٩ فيها إقبال واهتمام من حامل الرسالة. وكان النبي ﷺ يعاني من الوحي شِدّة، ويتعجّل في الترديد فيكاد يسبق التلقي من جبريل، حرصًا على الاستيعاب، وخشية=

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإنسَان — آياتها ٣١ — ترتيبها ٧٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

صدرك، ﴿وقُرآنَهُ﴾ ١٧: قِراءتك إياه، أي: جَرَيانَه على لسانك - ﴿فإذا قَرأْناهُ﴾ عليك بقِراءة جِبريلَ ﴿فاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾ ١٨: استمع قِراءته. فكان ﷺ يستمع ثمّ يقرؤه - ﴿ثُمَّ إنَّ عَلَينا بَيانَهُ﴾ ١٩ بالتفهيم لك. والمُناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنّ تلك تضمّنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمّنت المُبادرة إليها بحفظها.

سكتة لطيفة على النون

١- ﴿كَلّا﴾: استفتاح بمعنى: ألا، ﴿بَل يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾ ٢٠: الدنيا - بالياء والتاء في الفعلين - ﴿ويَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ ٢١ فلا يعملون لها، ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿ناضِرةٌ﴾ ٢٢: حسنة مُضيئة، ﴿إلَى رَبِّها ناظِرةٌ﴾ ٢٣ أي: يرون اللهَ - سبحانه وتعالى - في الآخرة، ﴿ووُجُوهٌ يومَئذٍ باسِرةٌ﴾ ٢٤: كالحة شديدة العُبوس، ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِن ﴿أن يُفعَلَ بِها فاقِرةٌ﴾ ٢٥: داهية عظيمة تكسر فَقارَ الظهر.

٢- ﴿كَلّا﴾ بمعنى: ألا، ﴿إذا بَلَغَتِ﴾ النفسُ ﴿التَّراقِيَ﴾ ٢٦: عِظام الحلق، ﴿وقِيلَ﴾ قال مَن حوله: ﴿مَن راقٍ﴾ ٢٧ يَرقِيه ليُشفى؟ ﴿وظَنَّ﴾: أيقنَ مَن بلغتْ نفسه ذلك ﴿أنَّهُ الفِراقُ﴾ ٢٨ فراق الدنيا، ﴿والتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ﴾ ٢٩ أي: إحدى ساقَيه بالأُخرى عِند الموت، أو التفّتْ شِدّة فِراق الدنيا بشِدّة إقبال الآخرة، ﴿إلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المَساقُ﴾ ٣٠ أي: السَّوق. وهذا يدلّ على العامل في «إذا». المعنى: إذا بلغتِ النفس الحُلقومَ تُساق إلى حُكم ربّها.

٣- ﴿فلا صَدَّقَ﴾ الإنسانُ ﴿ولا صَلَّى﴾ ٣١ أي: لم يُصدّق ولم يصلِّ، ﴿ولٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقُرآن ﴿وتَوَلَّى﴾ ٣٢ عن الإيمان، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إلَى أهلِهِ يَتَمَطَّى﴾ ٣٣: يتبختر في مِشيته إعجابًا. ﴿أَولَى لَكَ﴾ - فيه التفات عن الغَيبة. والكلمة اسمُ فعلٍ. واللام: للتبيين - أي: وَلِيَكَ ما تكره! ﴿فأَولَى﴾ ٣٤ أي: فهو أولى بك من غيرك، ﴿ثُمَّ أَولَى لَكَ فأَولَى﴾ ٣٥: تأكيد! ﴿أيَحسِبُ﴾: يظنّ ﴿الإنسانُ أن يُترَكَ سُدًى﴾ ٣٦: هَمَلًا، لا يُكلّف بالشرائع؟ أي: لا يَحسِبُ ذلك. ﴿ألَم يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطفَةً مِن مَنِيٍّ تُمنَى﴾ ٣٧، بالتاء والياء: تُصبّ في الرحم، ﴿ثُمَّ كانَ﴾ المنيُّ ﴿عَلَقَةً، فخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان، ﴿فسَوَّى﴾ ٣٨: عدّل أعضاءه، ﴿فجَعَلَ مِنهُ﴾: من المنيّ، الذي صار علقة: قِطعة دم، ثمّ مُضغة أي: قِطعة لحم، ﴿الزَّوجَينِ﴾: النوعين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى﴾ ٣٩ يجتمعان تارة، وينفرد كُلّ منهما عن الآخر تارة؟ ﴿ألَيسَ ذٰلِكَ﴾ الفعّالُ لهذه الأشياء ﴿بِقادِرٍ عَلَى أن يُحيِيَ المَوتَى﴾ ٤٠؟ قال ﷺ: بلى.

سورة الإنسان

مكية أو مدنية، إحدى وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أتَى علَى الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهرِ﴾ أربعون سنة، ﴿لَم يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيئًا مَذكُورًا﴾ ١؟ كان فيه مُصوَّرًا من طِين لا يُذكر. أو المراد بالإنسان الجِنسُ وبالحِينِ مُدّةُ الحمل. ﴿إنّا خَلَقْنا الإنسانَ﴾ الجنس ﴿مِن نُطْفةٍ أمشاجٍ﴾: أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المُختلطينِ المُمتزجين، ﴿نَبتَلِيهِ﴾: نختبرُه بالتكليف - والجملة مُستأنفة أو حال مُقدّرة - أي: مُريدين ابتلاءه حِين تأهّله، ﴿فجَعَلْناهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٢. ﴿إنّا هَدَيناهُ السَّبِيلَ﴾: بيّنّا له طريق الهُدى ببعث الرسل، ﴿إمّا شاكِرًا﴾ أي: مُؤمنًا ﴿وإمّا كَفُورًا﴾ ٣: حالان من المفعول، أي: بيّنّا له في حال شُكره أو كُفره المُقدّرة. وإمّا: لتفصيل الأحوال.

٥- ﴿إنّا أعتَدْنا﴾: هيّأنا ﴿لِلكافِرِينَ سَلاسِلَ﴾ يُسحبون بها في النار، ﴿وأغلالًا﴾ في أعناقهم تُشدّ فيها السلال، ﴿وسَعِيرًا﴾ ٤: نارًا مُسعَّرة،

=أن يتفلت منه شيء، فنزلت هذه الآيات الأربع للعتاب والطمأنة والتوجيه. الأحاديث ٥ و٤٦٤٣-٤٦٤٥ و٤٧٥٧ و ٧٠٨٦ في البخاري و٤٤٨ في مسلم. (١) بالتاء يريد القراءة «تُحِبُّونَ» و«تَذَرُونَ». ويذر: يهمل. والوجوه: جمع وجه. والناظرة: المبصرة عِيانًا. والفَقار: واحدته فَقارة. وهي الخرزة العظمية في الصلب. (٢) بلغتها: أدركتها بأسباب الموت. والنفس: الروح. والتراقي: جمع تَرقُوة. والراقي: الطبيب للشفاء بالدواء أو الدعاء. وأنه: أن ما هو فيه من العذاب. وإلى ربك: إلى لقاء حسابه. والسَّوق: سوق الملائكة للبشر بعد البعث. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. ولم يصدق ولم يصل أي: رفض العقيدة والعبادة. وكذب: كفر. وتولى: امتنع. واسم فعل: اسم يدل على معنى الفعل. ووليك: قرُب منك. والنطفة: النقطة الدقيقة. والمني: ماء الذكر بشهوة. وبالياء يريد القراءة «يُمنَى» أي: يُصبّ. وخلق: أنشأ. وجعل: صيّر. ويجتمعان أي: في بطن واحد. والقادر: المستطيع. ويحييهم: يخلق فيهم الحياة. والموتى: جمع ميت. وبلى: انظر المفصل. (٤) قد أي: أن «هل» للتحقيق. وأتى: مضى. والحين: المدة من الزمن. والدهر: الزمن غير المحدود. وتعيين عدد السنوات غير ثابت. ولعل المراد به هو سنوات فضائية تعني الملايين. انظر «المفصل». والمذكور: المعروف في الوجود. وخلقنا: أنشأنا بعد آدم وحواء. والنطفة: أدق قطرة. والأمشاج: جمع مَشيج. والتأهل: القدرة على التدبر والاختيار. وجعل: صيّر. وذلك أي: الابتلاء. والسميع: الجيّد السمع. والبصير: الدقيق الإدراكِ. والشاكر: من يثني على المنعم. والكفور: المنكر للجميل. والمفعول أي: الأول للفعل: هدى. والمقدّرة: تكون بعدُ بالإرادة للاختيار. (٥) السلاسل: جمع سِلسلة. وهي الحلَقات المتصلة من المعادن. والأغلال: جمع غُلّ، تجمع فيه اليدان=

الجزء التاسع والعشرون — سورة الإنسان

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

أي: مُهيَّجة يُعذّبون بها. ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: جمع بَرٍّ أو بارٍّ - وهم المُطيعون - ﴿يَشرَبُونَ مِن كأسٍ﴾ هو إناء شُربِ الخمر وهي فيه - والمراد: من خمرٍ، تسميةً للحالّ باسم المحَلّ. ومِن: للتبعيض - ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿كافُورًا ٥، عَينًا﴾: بدلٌ من «كافورًا» فيها رائحته، ﴿يَشرَبُ بِها﴾: منها ﴿عِبادُ اللهِ﴾ أَولياؤه، ﴿يُفَجِّرُونَها تَفجِيرًا﴾ ٦: يقودونها حيثُ شاؤوا من منازلهم.

١- ﴿يُوفُونَ بِالنَّذرِ﴾ في طاعة الله، ﴿ويَخافُونَ يَومًا كانَ شَرُّهُ مُستَطِيرًا﴾ ٧: مُنتشرًا، ﴿ويُطعِمُونَ الطَّعامَ علَى حُبِّهِ﴾ وشهوتهم له ﴿مِسكِينًا﴾: فقيرًا، ﴿ويَتِيمًا﴾ لا أب له، ﴿وأسِيرًا﴾ ٨ يعني المحبوس بحقّ، ﴿إنَّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللهِ﴾: لطلب ثوابه، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكُورًا﴾ ٩: شُكرًا. فيه عِلّة الإطعام. وهل تكلّموا بذلك، أو عَلِمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولانِ. ﴿إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَومًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريهَ المنظر لشِدّته، ﴿قَمطَرِيرًا﴾ ١٠: شديدًا في ذلك.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

٢- ﴿فوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَومِ، ولَقّاهُم﴾: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾: حُسنًا وإضاءة في وُجوههم ﴿وسُرُورًا ١١، وجَزاهُم بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنّةً﴾ أُدخِلوها، ﴿وحَرِيرًا﴾ ١٢ أُلبِسوه، ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من مرفوع «أُدخلوها» المُقدّر، ﴿فِيها علَى الأرائكِ﴾: السُّرر في الحِجال، ﴿لا يَرَونَ﴾: لا يجدون: حالٌ ثانية ﴿فِيها شَمسًا ولا زَمهَرِيرًا﴾ ١٣ أي: لا حرًّا ولا بردًا - وقيل: الزمهرير: القمر. فهي مُضيئة من غير شمس ولا قمر - ﴿ودانِيَةً﴾: قريبة، عطف على محلّ «لا يرون» أي: غيرَ رائين، ﴿علَيهِم﴾: منهم ﴿ظِلالُها﴾: شجرِها، ﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذلِيلًا﴾ ١٤: أُدنِيَتْ ثِمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع، ﴿ويُطافُ علَيهِم﴾ فيها ﴿بِآنِيةٍ مِن فِضّةٍ وأكْوابٍ﴾: أقداح بلا عُرى، ﴿كانَتْ قَوارِيرَ ١٥، قَوارِيرَ مِن فِضّةٍ﴾ أي: أنها من فِضّة يُرى باطنها من ظاهرها كالزجاج، ﴿قَدَّرُوها﴾ أي: الطائفون ﴿تَقدِيرًا﴾ ١٦ على قدر رِيّ الشاربين، من غير زيادة ولا نقص - وذلك ألذّ الشراب - ﴿ويُسقَونَ فِيها كأسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿زَنجَبِيلًا ١٧، عَينًا﴾: بدلٌ من «زنجبيلًا» ﴿فِيها تُسَمَّى سَلسَبِيلًا﴾ ١٨، يعني أنّ ماءها كالزنجبيل الذي تستلذّ به العرب، سهل المساغ في الحلق.

٣- ﴿ويَطُوفُ علَيهِم وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: بصفة الوِلدان لا يشيبون، ﴿إذا رأيتَهُم حَسِبتَهُم﴾ لحُسنهم، وانتشارهم في الخِدمة، ﴿لُؤلُؤًا مَنثُورًا﴾ ١٩ من سِلكه أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك - ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرؤيةُ منك في الجنّة ﴿رأيتَ﴾: جوابُ «إذا» ﴿نَعِيمًا﴾ لا يُوصف، ﴿ومُلكًا كَبِيرًا﴾ ٢٠: واسعًا لا غاية له - ﴿عالِيَهُم﴾: فوقهم، فنصبُه على الظرفيّة، وهو خبر المُبتدأ بعده، وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره، والضمير المُتّصل به للمَطوف عليهم، ﴿ثِيابُ سُندُسٍ﴾: حريرٍ ﴿خُضرٌ﴾، بالرفع، ﴿وإستَبرَقٍ﴾ بالجرّ: ما غلُظ من الدِّيباج فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكسُ ما ذُكر فيهما، وفي أُخرى برفعهما، وأُخرى بجرّهما، ﴿وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضّةٍ﴾ - وفي مواضع أُخرَى: «مِن ذَهَبٍ»، للإيذان أنهم يُحلَّون من النوعين معًا ومُفرّقًا - ﴿وسَقاهُم رَبُّهُم شَرابًا طَهُورًا﴾ ٢١ مُبالغةٌ في طهارته ونظافته، بخِلاف خمر الدنيا، ﴿إنَّ هٰذا﴾ النعيمَ ﴿كانَ لَكُم جَزاءً، وكانَ سَعيُكُم مَشكُورًا﴾ ٢٢.

٤- ﴿إنّا نَحنُ﴾ - تأكيد لاسم «إنْ» أو فصلٌ - ﴿نَزَّلْنا علَيكَ القُرآنَ تَنزِيلًا﴾ ٢٣: خبرُ «إنْ» أي: فصّلناه، ولم نُنزله جُملة واحدة. ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ

=إلى العنق. وهي فيه أي :الخمر في الإناء. والحالّ: الشيء يكون في وعاء. وللتبعيض أي: بمعنى: بعض. وكان أي: ويبقى. والكافور: مادة عطرية تميل إلى البياض. والمراد أنّ ما تمزج به الخمر هو مثل الكافور. وهذا يناسب قوله: فيها رائحته. والعين: النبع الجاري. والعباد: جمع عبد. ويقودونها: يُجرُونها ويتناولونها.
(١) يوفيه: يؤدّيه. والوجه صفة من صفاته - تعالى - وصف بها نفسه، كما يليق بجلاله. وفيه علة الإطعام أي: هذا القول فيه الغاية من فعله، أي: حسبنا الإقرار بالإحسان، ففيه بقية من الصلاح. أما إنكار الجميل فأحطّ درجات الفساد. ومنه الشرك والإلحاد والعقوق، ومقابلة الإحسان بالسوء والبهتان. وقولان أي: أن ما حكي من كلامهم في الآيات ٩-١١ له تفسيران. ومن ربنا: من حسابه. وذلك: عبوسه وأهواله. (٢) وقاهم أي: يحميهم. وأعطاهم: منحهم. وجزى: كافأ. والأرائك: جمع أريكة. والحجال: جمع حَجَلة. وهي البيت المزين بالأسرّة والستور. والظلال: جمع ظل. والقطوف: جمع قِطف، ما يُقطف. والآنية: جمع إناء. والأكواب: جمع كوب. والعرى: جمع عُروة، الأذن يمسك منها الوعاء. والقوارير: جمع قارورة، الإناء للشراب. والري: الارتواء. وفيها: في الأكواب. وكأسًا: انظر الآية ٥. والزنجبيل: نبت يمزج بالشراب. وعينًا: ماء عين. وفيها: في الجنة. وسلسبيل: عين يشرب منها المقربون. (٣) الولدان: جمع وليد. وانظرسبب النزول في المفصل. وثَمّ أي: ذلك المكان. والنعيم: الحالة الحسنة. والملك: ما يُملك. والغاية: النهاية. وبالسكون يريد «عالِيهم». وفيما عدا الأصل والنسخ وقرة العينين: «للمعطوف عليهم». والثياب: جمع ثوب. والسندس: رقيق الحرير. والخضر: جمع أخضر. والديباج: الحرير فيه بريق. والبطائن: جمع بِطانه. والظهائر: جمع ظِهارة، ما يظهر من الثوب. وبعكس ما ذكر يريد «خُضرٍ وإستَبرَقٌ». وبرفعهما يريد «خُضرٌ وإستَبرَقٌ». وبجرهما يريد «خُضرٍ وإستَبرَقٍ». وحلّوا: زُيّنوا. والأساور: واحدها سِوار. وفي مواضع: يعني الآيات: ٣١ من سورة الكهف و٢٤ من سورة الحج و٣٣ من سورة فاطر. (٤) انظر سبب النزول في المفصل. ونزلنا: أوحينا. وخبر: يعني أن جملة=

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَات — آياتها ٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

﴿رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته، **﴿ولا تُطِعْ مِنهم﴾** أي: الكُفّارِ **﴿آثِمًا أو كَفُورًا﴾** ٢٤ أي: عُتبةَ بنَ ربيعة والوليدَ بنَ المُغيرة - قالا للنبي: ارجعْ عن هذا الأمر. ويجوز أن يُراد كُلُّ آثم وكافر، أي: لا تطع أحدَهما أيًّا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر - **﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾** في الصلاة، **﴿بُكْرةً وأصيلًا﴾** ٢٥ يعني الفجرَ والظهر والعصر، **﴿ومِنَ اللَّيلِ فاسجُدْ لَهُ﴾** يعني المغربَ والعِشاء، **﴿وسَبِّحْهُ لَيلًا طَويلًا﴾** ٢٦: صلِّ التطوّعَ فيه، كما تقدّم من ثُلثيه أو نِصفِه أو ثُلثِه.

١- **﴿إنَّ هٰؤلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلةَ﴾** الدنيا، **﴿ويَذَرُونَ وَراءَهُم يَومًا ثَقِيلًا﴾** ٢٧: شديدًا، أي: يومَ القيامة لا يعملون له. **﴿نَحنُ خَلَقْناهُم، وشَدَدْنا﴾**: قوّينا **﴿أسْرَهُم﴾** أعضاءهم ومفاصلهم، **﴿وإذا شِئْنا بَدَّلْنا﴾**: جعلنا **﴿أمثالَهُم﴾** في الخِلقة بدلًا منهم، بأن نُهلكهم، **﴿تَبديلًا﴾** ٢٨: تأكيد. ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم» لأنه - تعالى - لم يشأ ذلك، وإذا: لِما يقعُ.

٢- **﴿إنَّ هٰذِهِ﴾** السورةَ **﴿تَذكِرةٌ﴾** عِظة للخلق. **﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾** ٢٩: طريقًا بالطاعة. **﴿وما يَشاؤُونَ﴾**، بالياء والتاء، اتخاذَ السبيل بالطاعة **﴿إلّا أن يَشاءَ اللهُ﴾** ذلك. **﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾** بخلقه، **﴿حَكِيمًا﴾** ٣٠ في فِعله، **﴿يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحْمَتِهِ﴾**: جنّته - وهم المُؤمنون - **﴿والظّالِمِينَ﴾** ناصبُه فِعل مُقدّر، أي: أوعدَ، يفسّره: **﴿أعَدَّ لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾** ٣١: مُؤلمًا. وهم الكافرون.

سورة والمُرسَلات

مكية، خمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- **﴿والمُرسَلاتِ عُرفًا﴾** ١ أي: الرياح مُتتابعةً كعُرف الفرس يتلو بعضه بعضًا - ونصبُه على الحال - **﴿فالعاصِفاتِ عَصفًا﴾** ٢: الرياح الشديدة، **﴿والنّاشِراتِ نَشرًا﴾** ٣: الرياح تنشر المطر، **﴿فالفارِقاتِ فَرْقًا﴾** ٤ أي: آياتِ القُرآن، تفرق بين الحقّ والباطل والحلال والحرام، **﴿فالمُلقِياتِ ذِكرًا﴾** ٥ أي: الملائكةِ تَنزل بالوحي إلى الأنبياء، أو الرسلِ يُلقون الوحي إلى الأُمم، **﴿عُذْرًا أو نُذْرًا﴾** ٦ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى - وفي قراءة بضمّ ذال «نُذُرًا»، وقُرئ بضمّ ذال «عُذُرًا» - **﴿إنَّ ما تُوعَدُونَ﴾**، أي كُفّارَ مكّة، من البعث والعذاب **﴿لَواقِعٌ﴾** ٧: كائن لا محالة. **﴿فإذا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾** ٨: مُحِيَ نورُها، **﴿وإذا السَّماءُ فُرِجَتْ﴾** ٩: شُقّت، **﴿وإذا الجِبالُ نُسِفَتْ﴾** ١٠: فُتّتت وسُيّرت، **﴿وإذا الرُّسُلُ وُقِّتَتْ﴾** ١١، بالواو وبالهمزة بدلًا منها، أي: جُمعت لوقت - **﴿لِأيِّ يَومٍ﴾**: ليوم عظيم **﴿أُجِّلَتْ﴾** ١٢ للشهادة على أُممهم بالتبليغ! **﴿لِيَومِ الفَصلِ﴾** ١٣ بين الخلق. ويُؤخذ منه جواب «إذا» أي: وقع الفصل بين الخلائق. **﴿وما أدراكَ: ما يَومُ الفَصلِ﴾** ١٤؟ تهويل لشأنه - **﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾** ١٥. هذا وعيد لهم.

٤- **﴿ألَم نُهلِكِ الأوَّلِينَ﴾** ١٦ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم، **﴿ثُمَّ نُتبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾** ١٧ ممّن كذّبوا، ككُفّار مكّة، فنُهلكهم. **﴿كَذٰلِكَ﴾**: مِثلَ ما فعلنا بالمُكذّبين، **﴿نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ﴾** ١٨: بِكُلِّ مَن أجرم، فيما يُستقبل فنُهلكهم. **﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾** ١٩: تأكيد.

=«نزلنا»: خبر. واصبر: دم على الثبات. والحكم: القضاء. وتطيع: توافق. والآثم: الكثير المعاصي. والكفور: المبالغ في الكفر. وعتبة والوليد: من زعماء قريش. والبكرة: من الفجر إلى طلوع الشمس. والأصيل: حين تميل الشمس للغروب. واسجد أي: صلِّ. وسبحه: نزّهه عما لايليق به. **(١)** يذر: يهمل. وخلق: أوجد من العدم. وشئنا: أردنا استبدالهم. والأمثال: جمع مِثل. وهو المماثل. و«إن يشأ»: انظر الآيات ١٣٣ من سورتي النساء والأنعام و١٩ من سورة إبراهيم و١٦ من سورة فاطر. ولما يقع: يعني أن «إذا» للشرط الذي يتحقق وقوعه، والتبديل هنا لم يقع، فهي بمعنى «إن» للأمور غير المتيقنة. انظر المفصل. **(٢)** شاء: طلب الهداية. واتخذ: سلك. ويشاؤون: يختارون أمرًا من خير أو شر. وبالتاء يريد القراءة «تَشاؤُونَ». وفي تفسير البغوي ٤ :٤٣٢: «أي: لستم تشاؤون إلّا بمشيئة الله، عز جل». وذلك أي: مشيئتهم. فتمتعُ الإنسان بالاختيار أراده له الله، وأقدره عليه. والحكيم: ذو الحكمة العالية. فهو عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها، وبمن يستحق الغواية فييسرها له ويصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة. وما تزال الآية ٣٠ يتلاطم فيها الجدل العقيم. انظر تفسير الآلوسي ٢٩: ٢٨٦-٢٨٨. والظالم: من يتجاوز الحق. وناصبه: يعني أن «الظالمين»: مفعول به لفعل مقدر. وأعد: هيّأ. **(٣)** عُرف الفرس: الشّعر في أعلى عنقه. وتفرُق: تفصل. ويلقونه أي: أن الرسل تبلّغه وتبينه. والإعذار: محو الإساءة للصالحين. والإنذار: التهديد للعاصين. والعذرُ والنذرُ: الإعذار والإنذار. وتوعَدُ: تخوَّفُ لتتعظ. والنجوم: جمع نجم. والجبال: جمع جبل. والرسل: جمع رسول. وبالهمزة يريد القراءة «أُقِّتَتْ». وأجلت: أُخّرت أمور الرسل. وجواب «إذا» هو الآية ١٩، لا ما قدره المحلي. والفصل: الحكم. ويؤخذ منه: يفهم من «يوم الفصل». وأدراك: أعلمك بالتفصيل. والويل: العذاب والخزي. ويومئذ أي: يومَ إذْ يكون ما ذكر في الآيات ٨-١٤. **(٤)** نهلكُ: ندمّر ونُفني. والأولون: الأقوام الماضية. ونتبعهم: نُلحقهم ونجعل مثلهم في الهلاك. والآخرون: الأمم المتأخرة، أي: الحالية والقادمة. ونفعل: نوقع=

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

١- ﴿**أَلَم نَخلُقكُم مِن ماءٍ مَهينٍ**﴾ ٢٠: ضعيف وهو المنيّ، ﴿**فجعَلْناهُ في قَرارٍ مَكِينٍ**﴾ ٢١: حَريز وهو الرَّحِم، ﴿**إلَى قَدَرٍ مَعلُومٍ**﴾ ٢٢ وهو وقت الولادة، ﴿**فقدَرْنا**﴾ على ذلك؟ ﴿**فنِعمَ القادِرُونَ**﴾ ٢٣ نحن! ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ**﴾ ٢٤. **أَلَم نَجعَلِ الأرضَ كِفاتًا**﴾ ٢٥: مصدرُ: كفتَ بمعنى: ضمّ، أي: ضامّةً، ﴿**أحياءً**﴾ على ظهرها ﴿**وأمواتًا**﴾ ٢٦ في بطنها، ﴿**وجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ**﴾: جبالًا مُرتفعاتٍ، ﴿**وأسقَيناكُم ماءً فُراتًا**﴾ ٢٧: عذبًا؟ ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ**﴾ ٢٨.

٢- ويقال للمُكذّبين يوم القيامة: ﴿**انطَلِقُوا إلَى ما كُنتُم بِهِ**﴾ من العذاب ﴿**تُكَذِّبُونَ** ٢٩، **انطَلِقُوا إلَى ظِلٍّ، ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ**﴾ ٣٠ هو دُخان جهنّم، إذا ارتفع افترق ثلاثَ فِرق لعظمته، ﴿**لا ظَلِيلٍ**﴾: كَنينٍ يُظلّهم من حرّ ذلك اليوم، ﴿**ولا يُغني**﴾: يردّ عنهم شيئًا ﴿**مِنَ اللَّهَبِ**﴾ ٣١ للنار. ﴿**إنَّها**﴾ أي: النارَ ﴿**تَرمي بِشَرَرٍ**﴾ هو ما تطاير منها، ﴿**كالقَصْرِ**﴾ ٣٢ من البناء في عِظمه وارتفاعه، ﴿**كأنَّهُ جِمالاتٌ**﴾: جمع جِمالةٍ جمع جَمَلٍ - وفي قراءة: «جِمالةٌ» - ﴿**صُفرٌ**﴾ ٣٣ في هيئتها ولونها. وفي الحديث «شَرارُ النّارِ أسوَدُ كالقِيرِ». والعرب تُسمّي سُودَ الإبل صُفرًا لشَوب سوادها بصُفرة. فقيل: صُفر في الآية بمعنى سُود، لِما ذُكر. وقيل: لا. والشَّرر: جمع شررةٍ. والشرارُ: جمع شَرارةٍ. والقِير: القار. ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ**﴾ ٣٤.

٣- ﴿**هٰذا**﴾ أي: يومُ القيامة ﴿**يَومُ لا يَنطِقُونَ**﴾ ٣٥ فيه بشيء، ﴿**ولا يُؤذَنُ لَهُم**﴾ في العُذر، ﴿**فيَعتَذِرُونَ**﴾ ٣٦: عطف على «يُؤذن» من غير تسبّب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذن فلا اعتذار. ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ** ٣٧. **هٰذا يَومُ الفَصلِ جَمَعْناكُم**﴾ - أيها المُكذّبون من هذه الأُمّة - ﴿**والأوَّلِينَ**﴾ ٣٨ من المُكذّبين قبلكم، فتُحاسَبون وتُعذّبون جميعًا. ﴿**فإن كانَ لَكُم كَيدٌ**﴾: حِيلة، في دفع العذاب عنكم، ﴿**فكِيدُونِ**﴾ ٣٩: فافعلوها. ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ**﴾ ٤٠.

٤- ﴿**إنَّ المُتَّقِينَ في ظِلالٍ**﴾ أي: تكاثُفِ أشجارٍ، إذ لا شمسَ يُظَلُّ من حرّها، ﴿**وعُيُونٍ**﴾ ٤١ نابعة من الماء، ﴿**وفَواكِهَ مِمّا يَشتَهُونَ**﴾ ٤٢ - فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنّة بحسَب شهواتهم، بخِلاف الدنيا فبحسَب ما يجد الناس في الأغلب - ويقال لهم: ﴿**كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا**﴾: حال، أي: مُتهنّئين - ﴿**بما كُنتُم تعمَلُونَ**﴾ ٤٣ من الطاعات. ﴿**إنّا كَذٰلِكَ**﴾: كما جزَينا المُتّقين، ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ** ٤٤. **وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ**﴾ ٤٥.

٥- ﴿**كُلُوا وتَمَتَّعُوا**﴾ - خِطابٌ للكُفّار في الدنيا - ﴿**قَلِيلًا**﴾ من الزمان وغايته إلى الموت. وفي هذا تهديد لهم. ﴿**إنَّكُم مُجرِمُونَ** ٤٦ - **وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ** ٤٧ - **وإذا قِيلَ لَهُمُ: اركَعُوا**﴾: صلّوا. ﴿**لا يَركَعُونَ**﴾ ٤٨: لا يُصلّون. ﴿**وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ** ٤٩. **فبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**يُؤمِنُونَ**﴾ ٥٠؟ أي: لا يُمكن إيمانُهم بغيره من كُتب الله بعد تكذيبهم به، لاشتماله على الإعجاز الذي لم يَشتمل عليه غيره.

=العقاب. والمجرم: من يقترف الفساد باختيار وعزم. وتأكيد أي: لِما في الآية ١٥ من التهديد. وكذلك الآيات: ٢٤ و٢٨ و٣٤ و٣٧ و٤٠ و٤٧ و٤٩. (١) نخلق: نوجد. والماء: ما كان سائلًا شفافًا. والمني: ماء الرجل والمرأة. وجعل: صيّر. والقرار: مكان الاستقرار. والحريز: العظيم الوقاية. والرحم: موضع تكون الجنين. والقدَر: المقدار من الزمن. والمعلوم: المعيّن في علم الله. وقدرنا عليه: استطعناه فعلًا بدون معين أو منازع. ونِعم أي: بلغ الغاية في الفضل والعظمة والاقتدار. وويل... للمكذبين، في الموضعين: انظر الآية ١٩. وضامة: تحوي ما فيها. والأحياء: جمع حي. والأموات: جمع ميت. وجعلنا: خلقنا ووضعنا. والرواسي: جمع الراسي. وهو المستقر. وأسقينا: يسّرنا الشرب. (٢) انطلقوا: اذهبوا. وتكذبون به: تنكرون حصوله. والظل: الحاجز. وذو: صاحب مرافق. والشعب: جمع شُعبة، فرقة منشعبة. والكنين: الذي يستر ويحفظ. واللهب: ما يرتفع من الاشتعال. وترمي: تقذف وتدفع. والصفر: جمع صفراء. وفي هيئتها: بيان لوجه الشبه، أي: شكل الإبل ضخامة وغلظًا. وما ذكر المحلي من الحديث ليس نصه واردًا فيما عرف من السنة النبوية. وانظر قرة العينين ص ٧٨٥ والحديث ١٨٢٦ في الموطأ. والشوب: الاختلاط. ولِما ذكر أي: من اختلاط الصفرة بسواد الإبل. و«لا» يعني أن الصفرة على حقيقتها. والقار: الزفت. وويل... للمذكبين: انظر الآية ١٩. (٣) اليوم: الوقت. و«فيه» مقحم على التفسير، يوهم أن «يوم» منوّن غير مضاف. ويؤذن: يسمح. ويعتذر: يحتج للعفو. ومن غير تسبب: يعني أن الفاء لا تفيد السببية هنا، إذ لا اعتذار لهم أصلًا ليذكر. و«هو» أي: الاعتذار. والفصل: القضاء بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل. وجمعناكم: حشدناكم بعد البعث. والأولون: الأمم الماضية. وكيدون أي: كيدوني. حذفت الياء للتخفيف ولموافقة الفواصل. والمعنى: فاحتالوا لأنفسكم في مقاومة عقابي والنجاة منه، ولن تجدوا سبيلًا للخلاص. (٤) المتقي: من يتجنَّب غضب الله ويطلب رضاه. والظلال: جمع ظل. ويظل: يُستتر. والعيون: جمع عين. وهي اليَنبوع الجاري. ومن الماء أي: أو العسل أو اللبن أو الخمر. والفواكه: جمع فاكهة. ويشتهون: يرغبون فيه ويتمنونه. وكلوا واشربوا: تناولوا أنواع الطعام والشراب. وتعمل: تكتسب من النية والقول والفعل. ونجزى: نكافئ. والمحسن: من يعبد الله ويطيعه بإخلاص. وويل... للمكذبين: انظر الآية ١٩ أيضًا. (٥) تمتعوا: تلذّذوا بما هو زائل. والمجرم: المنهمك في الفساد باختيار وقصد. وقيل لهم أي: قال لهم المؤمنون. انظر «المفصل». وعُبِّرَ عن الصلاة بالركوع لأنه الجزء الممثل للخضوع، وهو خاص بصلاة المسلمين. وللمكذبين: انظر=

الجزء الثلاثون سورة النبأ

سُورَةُ النَّبَإِ — ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النّبأ

مكية، إحدى وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿عَمَّ﴾: عن أيّ شيء ﴿يَتَساءَلُونَ﴾ ١: يسأل بعضُ قُريشٍ بعضًا؟ ﴿عَنِ النَّبَأِ العَظِيمِ﴾ ٢: بيانٌ لذلك الشيء - والاستفهام لتفخيمه. وهو ما جاء به النبيّ ﷺ من القُرآن المُشتمل على البعث وغيره - ﴿الَّذِي هُم فِيهِ مُختَلِفُونَ﴾ ٣، فالمُؤمنون يُثبتونه، والكافرون يُنكرونه. ﴿كَلّا﴾: ردعٌ، ﴿سَيَعلَمُونَ﴾ ٤ ما يحُلّ بهم على إنكارهم له، ﴿ثُمَّ كَلّا سَيَعلَمُونَ﴾ ٥ تأكيدٌ، وجيء فيه بـ «ثمّ» للإيذان بأنّ الوعيد الثاني أشدّ من الأوّل. ثمّ أومأ - تعالى - إلى القُدرة على البعث فقال:

٢- ﴿أَلَم نَجعَلِ الأرضَ مِهادًا﴾ ٦: فِراشًا كالمهد، ﴿والجِبالَ أوتادًا﴾ ٧ تُثبّت بها الأرض كما يُثبّت الخباء بالأوتاد - والاستفهام للتقرير - ﴿وخَلَقْناكُم أزواجًا﴾ ٨: ذُكورًا وإناثًا، ﴿وجَعَلْنا نَومَكُم سُباتًا﴾ ٩: راحة لأبدانكم، ﴿وجَعَلْنا اللَّيلَ لِباسًا﴾ ١٠: ساترًا بسواده، ﴿وجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشًا﴾ ١١: وقتًا للمعايش، ﴿وبَنَينا فَوقَكُم سَبعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدادًا﴾ ١٢: جمع شديدة، أي: قويّة مُحكمة لا يُؤثّر فيها مُرور الزمان، ﴿وجَعَلْنا سِراجًا﴾ مُنيرًا ﴿وَهّاجًا﴾ ١٣ وقّادًا - يعني الشمس - ﴿وأنزَلْنا مِنَ المُعصِراتِ﴾: السحابات التي حان لها أن تُمطر، كالمُعصِر: الجارية التي دنت من الحيض، ﴿ماءً ثَجّاجًا﴾ ١٤: صبّابًا، ﴿لِنُخرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحِنطة ﴿ونَباتًا﴾ ١٥ كالتِّبن، ﴿وجَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿ألفافًا﴾ ١٦ أي: مُلتفّة، جمع لَفِيف كشَرِيف وأشراف؟

٣- ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾ بينَ الخلائق ﴿كانَ مِيقاتًا﴾ ١٧: وقتًا للثواب والعقاب، ﴿يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القرنِ، بدلٌ من «يومَ الفصل» أو بيان له، والنافخ إسرافيل، ﴿فتَأتُونَ﴾ من قُبوركم إلى الموقف، ﴿أفواجًا﴾ ١٨: جماعاتٍ مُختلفةً، ﴿وفُتِّحَتِ السَّماءُ﴾: بالتشديد والتخفيف: شُقّقت لنُزول الملائكة، ﴿فكانَتْ أبوابًا﴾ ١٩: ذات أبواب، ﴿وسُيِّرَتِ الجِبالُ﴾: ذُهب بها عن أماكنها، ﴿فكانَتْ سَرابًا﴾ ٢٠: هباء، أي: مِثله في خِفّة سيرها. ﴿إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرصادًا﴾ ٢١: راصدة أو مُرصَدة، ﴿لِلطّاغِينَ﴾: الكافرين فلا يتجاوزونها، ﴿مَآبًا﴾ ٢٢: مَرجِعًا لهم فيدخلونها، ﴿لابِثِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: مُقدَّرًا لَبثُهم ﴿فِيها أحقابًا﴾ ٢٣: دُهورًا لا نهاية لها، جمع حُقُب بضمّ أوّله، ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها بَردًا﴾: نومًا ﴿ولا شَرابًا﴾ ٢٤: ما يُشرب تلذّذًا، ﴿إلّا﴾ لكنْ ﴿حَمِيمًا﴾ ماءً حارًّا غايةَ الحرارة، ﴿وغَسّاقًا﴾ ٢٥ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنّهم يذوقونه، جُوزوا بذلك ﴿جَزاءً وِفاقًا﴾ ٢٦: مُوافقًا لعملهم. فلا ذنب أعظم من الكُفر، ولا عذاب أعظم من النار.

٤- ﴿إنَّهُم كانُوا لا يَرجُونَ﴾: لا يخافون ﴿حِسابًا﴾ ٢٧ لإنكارهم البعثَ، ﴿وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿كِذّابًا﴾ ٢٨: تكذيبًا، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾ من الأعمال ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتابًا﴾ ٢٩: كتَبناه في اللوح المحفوظ، لنُجازي عليه. ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن. ﴿فذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم

=الآية ١٩. والحديث: ما ينقل من الكلام. ويؤمن به: يصدّقه ويتبّعه. والاقتصار على الإعجاز لا يكفي تعليلًا لكفرهم بغيره أيضًا، وإنما يضاف إلى ذلك تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة، والاشتمال على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة والعلوم الحقيقية الخالدة والأخبار الصحيحة. **(١)** انظر سبب النزول في المفصل. ويحسن أن يعمم الحكم بالآيتين، ليشمل العالم كله. والنبأ: الخبر الخطير. والعظيم: الذي لا مثيل له. وبيان: يعني أن «عن النبأ»: عطف بيان لتوضيح المراد مع التوكيد. ومختلفون: متفاوتون جدًا في التقبل ومختصمون. وردع: حرف ردع للمنع والكف عن التساؤل وللتنبيه على الخطأ، لأن ما اختلفوا فيه سيرد بيانه، والاتفاق على الإيمان هو الصواب. ويعلم: يدرك يقينًا. وتأكيد: يعني أن الآية ٥ توكيد لفظي للآية ٤. ف «ثم»: حرف زائد للمبالغة في التوكيد. والإيذان: الإعلام. وأومأ: أشار. **(٢)** نجعل: نُصيّر. والأرض: مكان الحياة الدنيا. والمهاد: الممهّد مبسوطًا، لا مسنّمًا ولا منهارًا متداعيًا ولا مائعًا رجراجًا. والجبال: جمع جبل. والأوتاد: جمع وتِد. وهو ما يغرز في الأرض للتثبيت. والخباء: البيت من القماش أو الجلد. والتقرير: التحقيق، وهو شامل للآيات ٦-١٦، أي: قد جعلنا ذلك حقًا. وخلق: أوجد من العدم. والأزواج: جمع زوج. وهو الجنس من الخلق يقابله آخر من جنسه. والنوم: زوال الإدراك والوعي. ط: «ثُباتًا». والمعايش: التصرف في حوائج الحياة والعيش. وبنينا: رفعنا كالبناء عاليًا. وجعلنا: أوجدنا من العدم. والسراج: المصباح المضيء. وأنزل: أسقط. والجارية: الفتاة. والظاهر أن المعصرات هي الرياح تُعصِرُ السحاب. ونخرج: نُظهر. والحَب: ما يكون في السنابل وأشباهها. والنبات: ما ينبت. ولفيف: انظر «المفصل». **(٣)** اليوم: الوقت. والفصل: القضاء. وكان أي: في علم الله وتقديره. وينفخ: يدفع الهواء. وهذه نفخة البعث، وهي الثانية. والصور: لا يعلم حقيقته مخلوق. وبيان: يعني أن «يومَ»: عطف بيان لتوضيح المراد وتوكيده مع التهويل. وتأتون: تسرعون. والأفواج: جمع فوج. وبالتخفيف يريد القراءة «وفُتِحَتِ». وكانت: صارت. والأبواب: جمع باب. وهو الفرجة المفتوحة. والسراب: ما يرى في وسط النهار كالماء الجاري، وليس بشيء. وراصدة: تنتظر. ومُرصَدة: مُعَدّة مُهيّأة. والطاغي: المتجاوز للحق. واللابث: المقيم. ومقدرة: يعني أنها غير مقارنة لوقت دخول النار، ستكون بعده. ويذوق: ينال. وفسّر البرد بالنوم لأن النوم استقرار وهدوء، يبرد فيه الجسم ويرتاح. وفيما عدا الأصل وخ وقرة العينين: «نومًا فإنهم لا يذوقونه». وغاية الحرارة: نهايتها وأشدها. وبالتشديد يريد القراءة «وغَسّاقًا». والصديد: ما يخرج من الجراح المنتنة. والجزاء: العقاب. والموافق: المناسب والمقابل. **(٤)** الحساب: المحاسبة على الأعمال يوم القيامة. وكذب بها: جحدها وأنكرها. والشيء: ما هو حاصل.=

الجزء الثلاثون — سورة النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ — ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾

في الآخرة، عِند وُقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم. ﴿**فلَن نَزيدَكُم إلّا عَذابًا**﴾ ٣٠ فوق عذابكم.

١- ﴿**إنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفازًا**﴾ ٣١: مكانَ فوز في الجنّة، ﴿**حَدائقَ**﴾: بساتينَ، بدلٌ من «مفازًا» أو بيانٌ له، ﴿**وأعنابًا**﴾ ٣٢: عطفٌ على «مفازًا»، ﴿**وكَواعِبَ**﴾: جواريَ تكعّبت ثُديُهنّ جمع كاعب، ﴿**أترابًا**﴾ ٣٣: على سِنٍّ واحدٍ، جمع تِرب بكسر التاء وسكون الراء، ﴿**وكأسًا دِهاقًا**﴾ ٣٤: خمرًا مالئة مَحالَّها - وفي القتال: «وأنهارٌ مِن خَمرٍ» - ﴿**لا يَسمَعُونَ فِيها**﴾ أي: الجنّةِ، عِند شُرب الخمر وغيره من الأحوال، ﴿**لَغْوًا**﴾: باطلًا من القول، ﴿**ولا كِذابًا**﴾ ٣٥ بالتخفيف أي: كَذِبًا، وبالتشديد أي: تكذيبًا من واحد لغيره، بخِلاف ما يقع في الدنيا عِند شُرب الخمر، ﴿**جَزاءً مِن رَبِّكَ**﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿**عَطاءً**﴾: بدلٌ من «جزاء»، ﴿**حِسابًا**﴾ ٣٦ أي: كثيرًا - من قولهم: أعطاني فأحسَبَني، أي: أكثرَ عليّ حتّى قلتُ: حَسْبِي - ﴿**رَبِّ السّماواتِ والأرضِ**﴾، بالجرّ والرفع، ﴿**وما بَينَهُما الرَّحمٰنِ**﴾. كذلك، وبرفعه مع جرّ «رَبِّ». ﴿**لا يَملِكُونَ**﴾ أي: الخلقُ ﴿**مِنهُ**﴾ - تعالى - ﴿**خِطابًا**﴾ ٣٧، أي: لا يقدر أحد أن يُخاطبه خوفًا منه، ﴿**يومَ**﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿**يَقُومُ الرُّوحُ**﴾ جبريل أو جُند الله، ﴿**والمَلائكةُ صَفًّا**﴾: حالٌ، أي: مُصطفّينَ، ﴿**لا يَتَكَلَّمُونَ**﴾ أي: الخلق ﴿**إلّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ**﴾ في الكلام، ﴿**وقالَ**﴾ قولًا ﴿**صَوابًا**﴾ ٣٨ من المُؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضَى.

٢- ﴿**ذٰلِكَ اليَومُ الحَقُّ**﴾: الثابتُ وقوعُه، وهو يوم القيامة. ﴿**فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مَآبًا**﴾ ٣٩: مَرجِعًا، أي: رَجَع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه. ﴿**إنّا أنذَرْناكُم**﴾، أي كُفّارَ مكّة، ﴿**عَذابًا قَرِيبًا**﴾ أي: عذاب يوم القيامة الآتي - وكُلُّ آتٍ قريبٌ - ﴿**يَومَ**﴾: ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿**يَنظُرُ المَرءُ**﴾: كُلُّ امرئ ﴿**ما قَدَّمَتْ يَداهُ**﴾ من خير وشرّ، ﴿**ويَقُولُ الكافِرُ: يا**﴾: حرف تنبيه ﴿**لَيتَني كُنتُ تُرابًا**﴾ ٤٠ يعني: فلا أُعذَّبُ. يقول ذلك عِندما يقول الله - تعالى - للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تُرابًا.

سورة والنازعات

مكية، ستّ وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**والنّازِعاتِ**﴾: الملائكةِ تنزع أرواح الكُفّار ﴿**غَرْقًا**﴾ ١: نزعًا بشِدّة، ﴿**والنّاشِطاتِ نَشطًا**﴾ ٢: الملائكةِ تَنشِط أرواح المُؤمنين، أي: تَسُلّها برفق، ﴿**والسّابِحاتِ سَبحًا**﴾ ٣: الملائكةِ تسبح من السماء بأمره - تعالى - أي: تنزل، ﴿**فالسّابِقاتِ سَبقًا**﴾ ٤: الملائكةِ تسبق بأرواح المُؤمنين إلى الجنّة، ﴿**فالمُدَبِّراتِ أمرًا**﴾ ٥: الملائكةِ تُدبّر أمر الدنيا أي: تنزل بتدبيره - وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لَتُبعَثُنَّ، يا كُفّار مكّة - وهو عامل في: ﴿**يَومَ تَرجُفُ الرّاجِفةُ**﴾ ٦: النفخة الأُولى، بها يرجف كُلّ شيء، أي: يتزلزل، فوُصِفتْ بما يحدث منها، ﴿**تَتبَعُها الرّادِفةُ**﴾ ٧: النفخة الثانية - وبينهما أربعون سنةً. والجملة: حال من الراجفة. فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصحّ ظرفيّته للبعث الواقع عقبَ الثانية - ﴿**قُلُوبٌ يَومَئذٍ واجِفةٌ**﴾ ٨: خائفة قلقة، ﴿**أبصارُها خاشِعةٌ**﴾ ٩: ذليلة لهَول ما تَرى. ﴿**يَقُولُونَ**﴾ أي: أربابُ القُلوب والأبصار، استهزاءً وإنكارًا للبعث: ﴿**أإنّا**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، في الموضعينِ - ﴿**لَمَردُودُونَ في الحافِرةِ**﴾ ١٠ أي: أنُردُّ بعد الموت إلى الحياة؟ والحافرة: اسم لأوّل الأمر - ومنه: رجَع فُلان في حافرته، إذا رجَع من حيثُ جاء - ﴿**أإذا كُنّا عِظامًا نَخِرةً**﴾ ١١، وفي قراءة: «ناخِرةً»: بالية مُتفتّتة، نحيا؟ ﴿**قالُوا: تِلكَ**﴾ أي: رجعتُنا إلى الحياة، ﴿**إذًا**﴾ إن صحّت، ﴿**كَرّةٌ**﴾: رجعةٌ ﴿**خاسِرةٌ**﴾ ١٢: ذات خسران. قال تعالى: ﴿**فإنَّما هِيَ**﴾ أي: الرادفة التي يَعقِبها البعث ﴿**زَجْرةٌ**﴾: نفخة ﴿**واحِدةٌ**﴾ ١٣، فإذا نُفِخَت ﴿**فإذا هُم**﴾ أي: كُلّ الخلائق

=والأعمال أي: وغيرها مما يكون في الوجود. والكتاب: الكتابة المضبوطة. وفيما عدا الأصل وخ: «كتابًا كتبًا». وذلك أي: كل شيء. وذوقوا: تناولوا وتحسسوا. ونزيدكم: نضيف إليكم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. (١) المتقي: من يتجنّب غضب الله ويطلب رضاه. والفوز: الظفر بالمطلوب. والحدائق: جمع حديقة. وبيان: انظر الآية ١٨. والمراد بالأعناب عموم الفاكهة. والجواري: جمع جارية. وهي الفتاة. وتكعبت: استدارت. والثديّ: جمع ثَدْي. والسن: مدة العمر. والقتال: يعني الآية ١٥ من سورة القتال. وبالتشديد يريد القراءة «ولا كِذّابًا». وبالرفع يريد القراءة «رَبُّ». والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. وكذلك أي: بالجرّ والرفع لـ «الرحمنُ». ويملك: يستطيع. ويقوم: للتقديس. والخوف: الفزع. والملائكة: جمع ملَك. وأذن: سمح. والصواب: الشفاعة لمن يستحقها. (٢) اليوم: الوقت. وشاء: أراد الإيمان والطاعة. واتخذ: سلك. وأنذر: هدد. وينظر: يرى عِيانًا. وقدمت: عملت في الدنيا. وحشر البهائم ليس فيه نص صريح، يعوَّل عليه. انظر تعليقنا على تفسير الآية ٣٨ من سورة الأنعام وتفسير الآلوسي ٣٠:٩١. (٣) المدبر: من يسوس الأمور وينفذها. واليوم: الوقت. وترجف: تُحرّك وتُزلزل.=

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ — ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

﴿**بالسَّاهِرة**﴾ ١٤ بوجه الأرض أحياءً، بعدما كانوا ببطنها أمواتًا.

١- ﴿**هَل أتاكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**حَدِيثُ مُوسَى**﴾ ١٥ عاملٌ في: ﴿**إذ ناداهُ رَبُّهُ بالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى**﴾ ١٦: اسم الوادي بالتنوين وتركِه؟ فقال: ﴿**اذهَبْ إلَى فِرعَونَ - إنَّهُ طَغَى**﴾ ١٧: تجاوز الحدّ في الكُفر - ﴿**فقُلْ: هَل لَكَ**﴾: أدعوك ﴿**إلَى أن تزَكَّى**﴾ ١٨، وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهّر من الشِّرك، بأن تشهد أنْ لا إلَه إلّا الله، ﴿**وأهدِيَكَ إلَى رَبِّكَ**﴾: أدلّك على معرفته بالبُرهان، ﴿**فتخشَى**﴾ ١٩ فتخافَه؟ ﴿**فأراهُ الآيَةَ الكُبرَى**﴾ ٢٠ من آياته التسع - وهي اليد أو العصا - ﴿**فكَذَّبَ**﴾ فِرعَونُ مُوسَى، ﴿**وعَصَى**﴾ ٢١ اللهَ - تعالى - ﴿**ثُمَّ أدبرَ**﴾ عن الإيمان ﴿**يَسعَى**﴾ ٢٢ في الأرض بالفساد، ﴿**فحَشَرَ**﴾: جمَعَ السَّحرة وجُنده ﴿**فنادَى**﴾ ٢٣، **فقالَ: أنا رَبُّكُمُ الأعلَى**﴾ ٢٤: لا ربّ فوقي. ﴿**فأخَذَهُ اللهُ**﴾: أهلكه بالغرق، ﴿**نكالَ**﴾: عُقوبةَ ﴿**الآخِرةِ**﴾ أي: هذه الكلمةِ، ﴿**والأُولَى**﴾ ٢٥ أي: قوله قبلها: «ما عَلِمتُ لَكُم مِن إلَهٍ غَيرِي». وكان بينهما أربعون سنة. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَعِبرَةً لِمَن يَخشَى**﴾ ٢٦ اللهَ تعالى.

٢- ﴿**أأنتُم**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المسهَّلة والأُخرى وتركِه - أي: منكرو البعث ﴿**أشَدُّ خَلقًا أمِ السَّماءُ**﴾ أشدُّ خلقًا؟ ﴿**بَناها**﴾ ٢٧: بيان لكيفيّة خلقها، ﴿**رَفَعَ سَمْكَها**﴾: تفسير لكيفية البِناء، أي: جعل سمتها في جهة العلوّ رفيعًا - وقيل: سمكها: سقفها - ﴿**فسَوّاها**﴾ ٢٨: جعلها مستوية بلا عيب، ﴿**وأغطَشَ لَيلَها**﴾: أظلمه، ﴿**وأخرَجَ ضُحاها**﴾ ٢٩: أبرز نُور شمسها - وأضيف إليها الليلُ لأنه ظِلّها، والشمسُ لأنها سراجها - ﴿**والأرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحاها**﴾ ٣٠: بسطَها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دَحْو، ﴿**أخرَجَ**﴾: حالٌ بإضمار «قد» أي: مُخرِجًا ﴿**مِنها ماءَها**﴾ بتفجير عُيونها، ﴿**ومَرعاها**﴾ ٣١: ما ترعاه النَّعم من الشجر والعُشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار - وإطلاق المرعى عليه استعارة - ﴿**والجِبالَ أرساها**﴾ ٣٢: أثبَتَها على وجه الأرض لتسكن، ﴿**مَتاعًا**﴾: مفعولٌ له لمُقدّر، أي: فعلَ ذلك مُتعةً، أو مصدرٌ أي: تمتيعًا ﴿**لَكُم ولِأنعامِكُم**﴾ ٣٣: جمعُ نَعَم. وهي الإبل والبقر والغنم.

٣- ﴿**فإذا جاءَتِ الطّامَّةُ الكُبرَى**﴾ ٣٤: النفخةُ الثانية، ﴿**يَومَ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ**﴾: بدلٌ من «إذا»، ﴿**ما سَعَى**﴾ ٣٥ في الدنيا من خير وشرّ، ﴿**وبُرِّزَتِ**﴾: أُظهرَتِ ﴿**الجَحِيمُ**﴾: النار المُحرقة، ﴿**لِمَن يَرَى**﴾ ٣٦: لكُلِّ راءٍ، وجواب إذا: ﴿**فأمّا مَن طَغَى**﴾ ٣٧: كفرَ، ﴿**وآثَرَ الحَياةَ الدُّنيا**﴾ ٣٨ باتّباع الشهوات، ﴿**فإنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأوَى**﴾ ٣٩: مأواه، ﴿**وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ**﴾: قِيامَه بين يديه، ﴿**ونَهَى النَّفسَ**﴾ الأمّارة ﴿**عَنِ الهَوَى**﴾ ٤٠ المُردِي باتّباع الشهوات، ﴿**فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المأوَى**﴾ ٤١. وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمُطيع في الجنّة. ﴿**يَسألُونَكَ**﴾ أي: كُفّارُ مكّةَ ﴿**عَنِ السّاعةِ: أيّانَ مُرساها**﴾ ٤٢: متى وقوعُها وقيامها؟ ﴿**فِيمَ**﴾: في أيّ شيء ﴿**أنتَ مِن ذِكراها**﴾ ٤٣؟ أي: ليس عِندك عِلمها حتّى تذكرَها. ﴿**إلَى رَبِّكَ مُنتَهاها**﴾ ٤٤: مُنتهى عِلمها، لا يعلمه غيره. ﴿**إنَّما أنتَ مُنذِرُ**﴾: إنّما ينفع إنذارك ﴿**مَن يَخشاها**﴾ ٤٥: يخافها، ﴿**كأنَّهُم يَومَ يَرَونَها لَم يَلبَثُوا**﴾ في قُبورهم ﴿**إلّا عَشِيَّةً أو ضُحاها**﴾ ٤٦ أي: عشيّةَ يوم أو بُكرتَه. وصحّ إضافة الضحى إلى العشيّة لِما بينهما من المُلابسة، إذ هما طرفا النهار، وحسّنَ الإضافةَ وقوعُ الكلمة فاصلةً.

سورة عَبَسَ

مكية، اثنتان وأربعون آية.

=والرادفة: التابعة. والنفخةُ الثانية تكون للبعث. وأربعون سنة: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٥١ من سورة يس. وظرفيته: كونه ظرفًا. والقلوب: جمع قلب. وأبصارها: أبصار أصحاب القلوب. وبالتسهيل يريد القراءة «أإنّا»؟ وبإدخال ألف يريد القراءتين «آإنّا»؟ و«آإنّا»؟ والموضع الثاني هو ما في الآية ١١، فيريد القراءات: «أإذا»؟ و«آإذا»؟ و«آإذا»؟ أيضًا. والمردود: المُعاد كما كان. وأول الأمر أي: نُردّ إلى الحياة الثانية الشبيهة بالحياة التي لنا في أول أمرنا. وكنا: صرنا. والعظام: جمع عظم. وانظر «المفصل». والساهرة: الفلاة يسهر من فيها خوفًا، أي: المسهور فيها. (١) الحديث: ما يُتحدث به. وعامل: يعني أن «إذ»: متعلق بـ «حديث». والواد: الوادِي. والمقدس: المطهر بالنبوة. وطوى: بين مَدْيَنَ ومصر. وبتركه يريد القراءة «طُوَى». وتزكّى: تَتَزَكَّى. وبالتشديد يريد «تَزَّكَّى». والتسع: انظر الآية ١٠١ من سورة الإسراء. وأدبر: امتنع. ويسعى: يجدّ. والنكال: عقوبة تمنع مَن علمها أن يعصي. والكلمة: الجملة التي قالها في الآية ٢٤. وقبلها: في الآية ٣٨ من سورة القصص. وتحديد أربعين سنة ليس فيه نص علمي موثق. والعبرة: العظة. ويخشى: يخاف. (٢) بالإبدال يريد القراءة «آنتُم»؟ وبتسهيلها: «أاَنتُم»؟ وإدخال ألف: «آأنتُم»؟ وتركه هو القراءة الثالثة. وأشد: أعسر. والخلق: التكوين بعد الموت. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ورفعه: أعلاه. والسمك: الغلظ والارتفاع. ومستوية: محكمة متقنة. والعيب: الخلل. وأظلمه: جعله ظلمًا. والبسط: التذليل لتيسير الحياة. وأخرج: أظهر. وعليه: على طعام الإنسان. والجبال: جمع جبل. وتسكن: تستقر الأرض. والمتاع: التنعم. وانظر «المفصل». (٣) جاءت: وقعت. والكبرى: التي لا مثيل لها. ويتذكر: يستحضر في ذهنه. والإنسان:=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٩

١- ﴿عَبَسَ﴾ النبيُّ: كلَحَ وجهُه ﴿وتَوَلَّى﴾ ١: أعرضَ، لأجل ﴿أن جاءَهُ الأعمَى﴾ ٢ عبدالله بن أُمِّ مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به ممّن يرجو إسلامه، من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم. ولم يدرِ الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علِّمْني ممّا علّمك الله. فانصرف النبيّ إلى بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرحَبًا بمَن عاتَبَني فِيهِ رَبِّي»، ويَبسُط له رداءه. ﴿وما يُدرِيكَ﴾: يُعلِمُك: ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ٣ - فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي - أي: يتطهّرُ من الذنوب، بما يسمع منك ﴿أو يَذَّكَّرُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتّعظ ﴿فتَنفَعُهُ الذِّكرَى﴾ ٤: العِظةُ المسموعة منك؟ وفي قراءة بنصب «تَنفَعَهُ» جوابَ الترجّي.

٢- ﴿أمّا مَنِ استَغنَى﴾ ٥ بالمال ﴿فأنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ٦، وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تُقبِلُ وتتعرّضُ، ﴿وما عَلَيكَ ألّا يَزَّكَّى﴾ ٧: يُؤمنَ، ﴿وأمّا مَن جاءَكَ يَسعَى﴾ ٨: حالٌ من فاعل «جاء»، ﴿وهْوَ يَخشَى﴾ ٩ اللهَ: حال من فاعل «يسعى» وهو الأعمى، ﴿فأنتَ عَنهُ تَلَهَّى﴾ ١٠ - فيه حذف التاء الأُخرى في الأصل - أي: تتشاغلُ. ﴿كَلّا﴾ لا تفعلْ مثلَ ذلك، ﴿إنَّها﴾ أي: السُّورةَ أو الآياتِ ﴿تَذكِرةٌ﴾ ١١: عظة للخلق - ﴿فمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾ ١٢: حَفِظَ ذلك فاتعظَ به - ﴿في صُحُفٍ﴾: خبرٌ ثانٍ لـ «إنّها»، وما قبله اعتراض، ﴿مُكَرَّمةٍ﴾ ١٣ عِند الله، ﴿مَرفُوعةٍ﴾ في السماء، ﴿مُطَهَّرةٍ﴾ ١٤: مُنزّهة عن مسّ الشياطين، ﴿بأيدِي سَفَرةٍ﴾ ١٥: كَتَبَةٍ ينسخونها من اللوح المحفوظ، ﴿كِرامٍ بَرَرةٍ﴾ ١٦: مُطيعينَ لله - تعالى - وهم الملائكة.

٣- ﴿قُتِلَ الإنسانُ﴾: لُعِنَ الكافر. ﴿ما أكفَرَهُ﴾ ١٧؟ استفهام توبيخ، أي: ما حَمَلَهُ على الكُفر؟ ﴿مِن أيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ ١٨؟ استفهام تقرير، ثمّ بيّنه فقال: ﴿مِن نُطفةٍ خَلَقَهُ، فقَدَّرَهُ﴾ ١٩ علقةً ثمّ مُضغة إلى آخر خلقِه، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ أي: طريقَ خُروجه من بطن أُمّه ﴿يَسَّرَهُ ٢٠، ثُمَّ أماتَهُ فأقبَرَهُ﴾ ٢١: جعله في قبر يَستره، ﴿ثُمَّ إذا شاءَ أنشَرَهُ﴾ ٢٢ للبعث. ﴿كَلّا﴾: حقًّا، ﴿لَمّا يَقضِ﴾: لم يفعلْ ﴿ما أمَرَهُ﴾ ٢٣ به ربّه. ﴿فلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار، ﴿إلَى طَعامِهِ﴾ ٢٤ كيف قُدّر ودُبّر له؟ ﴿إنّا صَبَبْنا الماءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا ٢٥، ثُمَّ شَقَقْنا الأرضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا ٢٦، فأنبَتْنا فِيها حَبًّا﴾ ٢٧ كالحِنطة والشعير، ﴿وعِنَبًا وقَضْبًا﴾ ٢٨ هو القَتّ الرَّطب، ﴿وزَيتُونًا ونَخلًا ٢٩، وحَدائقَ غُلبًا﴾ ٣٠: بساتين كثيرة الأشجار، ﴿وفاكِهةً وأبًّا﴾ ٣١: ما ترعاه البهائم، وقيل: التِّبن، ﴿مَتاعًا﴾: مُتعة أو تمتيعًا - كما تقدّم في السورة قبلها - ﴿لَكُم ولِأنعامِكُم﴾ ٣٢.

٤- ﴿فإذا جاءَتِ الصّاخّةُ﴾ ٣٣: النفخة الثانية، ﴿يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِن أخِيهِ ٣٤، وأُمِّهِ وأبِيهِ ٣٥، وصاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وبَنِيهِ﴾ ٣٦ يومَ: بدل من «إذا»، وجوابُها دلّ عليه: ﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم يَومَئذٍ شأنٌ يُغنِيهِ﴾ ٣٧: حالٌ يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه، ﴿وُجُوهٌ يَومَئذٍ مُسفِرةٌ﴾ ٣٨: مضيئة، ﴿ضاحِكةٌ مُستَبشِرةٌ﴾ ٣٩: فرحة - وهم المؤمنون - ﴿ووُجُوهٌ يَومَئذٍ عَلَيها غَبَرةٌ﴾ ٤٠: غُبار، ﴿تَرهَقُها﴾: تغشاها

=كل البشر. وسعى: عمل. ومن يرى: من له بصر. وآثرها: فضلها. والمأوى: الملجأ. وبين يديه: في الحشر. ونهاها: ردها. والأمارة: الكثيرة الأمر بالسوء. والهوى: الميل إلى الشهوة. والمردي: المُهلِك. والجنة: البستان العظيم. والساعة: يوم القيامة. انظر «المفصل». وإلى ربك: إلى علمه. والمنذر: المهدد. ويلبث: يقيم. والعشية: ما بين منتصف النهار إلى آخره. والضحى: من أول النهار إلى منتصفه. والملابسة: الاتصال بكونهما من يوم واحد. والفاصلة: نهاية الآية. والمراد أن تُناسِبَ في اللفظ أواخر الآيات قبلها. (١) كلح: تغيّر لونه. وعبدالله من أوائل المسلمين بمكة. و«الذي... إسلامهم» عبّر فيه بـ «الذي» عن الجمع، وهو لغة معروفة. انظر الدر المصون ١:٦٧. وما ذكر هنا من قول النبي وبسط ردائه لا صحة له. انظر الكشاف ٤: ٧٠٠-٧٠١ وسبب النزول في المفصل. وجواب الترجي: يعني أن ما في «لعلّ» من معنى الترجي يفيد شبه الطلب. (٢) استغنى: أعرض عن الإيمان والصلاح. وبالتشديد يريد «تَصَّدَّى». وتقبل أي: عليه بالإصغاء. وتتعرّض أي: بالاهتمام. ويزكى: يتطهّر من الشرك فيؤمن. وجاءك: قصدك. ويسعى: يسرع في طلب الخير. ويخشاه: يخافه ويطيعه. وشاء: أراد أن يذكر ويتعظ. والصحف: جمع صحيفة، الصحف التي كتب فيها الملائكة ما أملاه عليهم جبريل في ليلة القدر، أي: النص القرآني أملاه من اللوح المحفوظ. وخبر ثان: يعني أن الجار والمجرور: متعلقان بخبر ثان محذوف. والتقدير: كائنةٌ. والمكرمة: المعظمة المبجلة. والمرفوعة: الرفيعة المقام. ومس الشياطين: وصولهم إليها. والأيدي: جمع يد. والسفرة: جمع سافر، أي: كاتب. والكرام: جمع كريم، عزيز موقر. والبررة: جمع بارّ. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. ولعن: طرد من رحمة الله. وخلقه: أوجده. والتقرير: الحمل على الإقرار بما يُعلم. والنطفة: القطرة الدقيقة من منيّ الرجل وبويضة المرأة. وقدّره: هيأه لما يصلح له من الأعضاء والتكوين. ويسر: سهّل. وأماته: جعله ميتًا. وشاء: أراد أن يبعثه للحساب. وأنشره: رده إلى الحياة بعد الموت. وأمره: أوجب عليه. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «أنّا». وصببنا: أنزلنا. وأنبت: أخرج. والحب: واحدته بالتاء حبّة. وكذلك العنب والزيتون والنخل والأبّ. والقتّ: نبات تُعلَفُه الدواب. والحدائق: جمع حديقة. والغلب: جمع غَلباء. وقبلها أي: في الآية ٣٣ من سورة النازعات. والأنعام: جمع نعم. وهي الإبل والغنم والبقر. (٤) سبب النزول في المفصل. والنفخة الثانية=

سُورَةُ التَّكْوِيرِ — ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
(٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
(١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥)
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
(٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥)
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

سُورَةُ الانفِطَارِ — ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

﴿قترةٌ﴾ ٤١: ظُلمة وسواد. ﴿أُولَئِكَ﴾: أهل هذه الحالة ﴿هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾ ٤٢ أي: الجامعون بين الكُفر والفُجور.

سورة التكوير

مكية، تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**إذا الشمسُ كُوِّرَتْ**﴾ ١: لُفِّفتْ وذُهِبَ بنورها، ﴿**وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ**﴾ ٢: انقَضَّتْ وتساقطت على الأرض، ﴿**وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ**﴾ ٣: ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباء مُنبثًّا، ﴿**وإذا العِشارُ**﴾: النُّوق الحوامل ﴿**عُطِّلَتْ**﴾ ٤: تُركتْ بلا راع أو بلا حلْب، لِما دهاهم من الأمر - ولم يكن مالٌ أعجبَ إليهم منها - ﴿**وإذا الوُحوشُ حُشِرَتْ**﴾ ٥: جُمعتْ بعد البعث ليُقتصَّ لبعض من بعض، ثمّ تصير تُرابًا، ﴿**وإذا البِحارُ سُجِرَتْ**﴾ ٦ بالتخفيف والتشديد: أُوقدتْ فصارت نارًا، ﴿**وإذا النُّفوسُ زُوِّجَتْ**﴾ ٧: قُرنتْ بأجسادها، ﴿**وإذا المَوءُودةُ**﴾: الجارية تُدفن حيّة خوفَ العارِ أو المسألةِ والحاجة ﴿**سُئلَتْ**﴾ ٨ تبكيتًا لقاتلها: ﴿**بأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ ٩؟ - وقُرئ بكسر التاء، حكاية لِما تُخاطَب به. وجوابها أن تقول: قُتلتُ بلا ذنب - ﴿**وإذا الصُّحُفُ**﴾: صُحف الأعمال ﴿**نُشِرَتْ**﴾ ١٠، بالتخفيف والتشديد: فُتحتْ وبُسطت، ﴿**وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ**﴾ ١١: نُزعتْ عن أماكنها كما يُنزع الجِلد عن الشاة، ﴿**وإذا الجَحِيمُ**﴾: النار ﴿**سُعِرَتْ**﴾ ١٢ بالتخيف والتشديد: أُججتْ، ﴿**وإذا الجَنَّةُ أُزلِفَتْ**﴾ ١٣: قُرِّبتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب «إذا» أوّلَ السورة وما عُطف عليها: ﴿**عَلِمَتْ نَفسٌ**﴾ أي: كُلّ نفس وقتَ هذه المذكورات - وهو يوم القيامة - ﴿**ما أحضَرَتْ**﴾ ١٤ من خير وشرّ.

٢- ﴿**فلا أُقسِمُ**﴾ لا: زائدة ﴿**بالخُنَّسِ**﴾ ١٥، ﴿**الجَوارِ الكُنَّسِ**﴾ ١٦ هي النجوم الخمسة: زُحلُ والمُشتري والمِرّيخ والزُّهَرة وعُطاردٌ - تَخنُسُ بضمّ النون أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما ترى النجم في آخر البُرج إذ كرَّ راجعًا إلى أوّله. وتكنِسُ بكسر النون: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها - ﴿**واللَّيلِ إذا عَسعَسَ**﴾ ١٧: أقبل بظلامه أو أدبر، ﴿**والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ**﴾ ١٨: امتدّ حتّى يصير نهارًا بيّنًا، ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَقولُ رَسُولٍ كَريمٍ**﴾ ١٩ على الله - تعالى - وهو جبريل أضيف إليه لنُزوله به، ﴿**ذِي قُوَّةٍ**﴾ أي: شديدِ القُوى ﴿**عِندَ ذِي العَرشِ**﴾ أي: الله - تعالى - ﴿**مَكِينٍ**﴾ ٢٠: ذي مكانة - مُتعلّق به «عند» - ﴿**مُطاعٍ ثَمَّ**﴾ أي: تُطيعه الملائكة في السماوات، ﴿**أمينٍ**﴾ ٢١ على الوحي، ﴿**وما صاحِبُكُم**﴾ مُحمّد ﷺ: عطفٌ على «إنه» إلى آخر المُقسَم عليه ﴿**بِمَجنُونٍ**﴾ ٢٢ كما زعمتم، ﴿**ولَقَد رَآهُ**﴾ رأى مُحمّد جبريلَ - عليهما الصلاة والسلام - على صُورته التي خُلق عليها ﴿**بالأُفُقِ المُبِينِ**﴾ ٢٣: البيِّن. وهو الأعلى بناحية المشرق.

٣- ﴿**وما هُوَ**﴾ أي: مُحمّدٌ - عليه الصلاة والسلام - ﴿**علَى الغَيبِ**﴾ أي: ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿**بِظَنِينٍ**﴾ ٢٤: بمُتّهم - وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيل فيَنقُصَ شيئًا منه - ﴿**وما هُوَ**﴾ أي: القرآنُ ﴿**بِقَولِ شَيطانٍ**﴾ مُسترقِ السمعِ ﴿**رَجِيمٍ**﴾ ٢٥: مرجوم. ﴿**فأينَ تَذهَبُونَ**﴾ ٢٦: فأيَّ طريق تسلكون في إنكاركم القُرآنَ وإعراضكم عنه؟ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هُوَ إلّا ذِكرٌ**﴾: عِظة ﴿**لِلعالَمينَ**﴾ ٢٧ الإنس والجنّ، ﴿**لِمَن شاءَ مِنكُم**﴾: بدلٌ من «العالمين» بإعادة الجارّ ﴿**أن يَستَقِيمَ**﴾ ٢٨ باتّباع الحقّ. ﴿**وما تَشاؤُونَ**﴾ الاستقامة على الحقّ ﴿**إلّا أن يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ**﴾ ٢٩: الخلائقِ استقامَتكم عليه.

سورة الانفطار

مكية، تسعَ عشْرةَ آية.

=تكون بالصور للبعث. ويفر: يهرب. والمرء: وكذا شأن المرأة في الهرب، بل هي في ذلك من باب الأولى. والبنون: جمع ابن. ويومئذ: يومَ إذْ يكون ما ذكر قبل. والوجوه: جمع وجه، خص بالذكر للدلالة على ما في النفس والجسم كله. والكفرة: جمع كافر. وهو من أنكر التوحيد والبعث. والفجرة: جمع فاجر. وهو الكاذب المفترى على الله. **(١)** النجوم: جمع نجم. والجبال: جمع جبل. والعشار: جمع عُشَراء، الناقة مضى على حملها عشرة شهور. والوحوش: جمع وحش. وحشر الوحوش: احتشادها من الذعر ثم اختلاط بعضها ببعض بعد الموت. انظر تعليقنا على الآية ٣٨ من سورة الأنعام. والبحار: جمع بحر. وبالتشديد يريد القراءة «سُجِّرَتْ». والنفوس: جمع النفس، الروح. والجارية: البنت. والحاجة: الفقر. وبكسر التاء يريد «قُتِلْتِ». والصحف: جمع صحيفة. وبالتشديد يريد القراءة «نُشِّرَتْ»، و«سُعِّرَتْ». والجنة: البستان العظيم. وما عطف أي: الإحدى عشرة «إذا» في الآيات ٢-١٣. انظر السورة التالية. والمذكورات: الأفعال بعد «إذا». **(٢)** زائدة: انظر الآية ١ من سورة القيامة. والجوارِ: الجواري، جمع الجاري. وهو النجم يتحرك. والكنس: جمع كانس. والنجوم الخمسة هي الكواكب السيّارة، عدا الشمس والقمر. وقد أضيف إليها بعدُ ما عرف من نجوم تشبهها. والبرج: منزل للكوكب السيار. والكِناس: بيت يختفي فيه الوحش. والرسول: من أُرسل لتبليغ النبي الوحيَ. والكريم: المكرم. وذو العرش: خالقه والمتفرد به. والعرش: ما يحيط بالكون كله. وعطف: يعني أن الجملة معطوفة على جواب القسم. والمجنون: المختلّ العقل. والأفق: ناحية السماء تبدو كأنها ملاصقة للأرض. انظر تفسير الآية ٧ من سورة النجم. **(٣)** بالضاد يريد «بِضَنِينٍ». والشيطان: من يوسوس بالشر.=

الجزء الثلاثون سورة الانفطار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٩

١- ﴿إذا السَّماءُ انفَطَرَتْ﴾ ١: انشقّت، ﴿وإذا الكَواكِبُ انتَثَرَتْ﴾ ٢: انقضّت وتساقطت، ﴿وإذا البِحارُ فُجِّرَتْ﴾ ٣: فُتح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا فاختلط العذب بالمِلح، ﴿وإذا القُبُورُ بُعثِرَتْ﴾ ٤: قُلِب تُرابها وبُعث موتاها، وجواب «إذا» وما عطف عليها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نفس، وقتَ هذه المذكورات - وهو يوم القيامة - ﴿ما قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿و﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴾ ٥ منها، فلم تعمله.

٢- ﴿يا أيُّها الإنسانُ﴾ الكافر، ﴿ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾ ٦ حتّى عصَيتَه، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن، ﴿فسَوّاكَ﴾: جعلك مُستويَ الخِلقة سالم الأعضاء، ﴿فعَدَّلَكَ﴾ ٧ بالتشديد والتخفيف: جعلك مُعتدل الخَلق متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطولَ من الأُخرى، ﴿في أيِّ صُورةٍ ما﴾: زائدة ﴿شاءَ رَكَّبَكَ ٨؟ كَلّا﴾: ردعٌ عن الاغترار بكرم الله، تعالى، ﴿بَل تُكَذِّبُونَ﴾ - أي كُفّارَ مكّةَ - ﴿بِالدِّينِ﴾ ٩: الجزاء على الأعمال، ﴿وإنَّ علَيكُم لَحافِظِينَ﴾ ١٠ من الملائكة لأعمالكم، ﴿كِرامًا﴾ على الله ﴿كاتِبِينَ﴾ ١١ لها، ﴿يَعلَمُونَ ما تَفعَلُونَ﴾ ١٢ جميعَه.

٣- ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: المُؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ ١٣: جنّة، ﴿وإنَّ الفُجّارَ﴾: الكُفّار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ ١٤: نار مُحرقة، ﴿يَصلَونَها﴾: يدخلونها ويُقاسون حرَّها ﴿يَومَ الدِّينِ﴾ ١٥ الجزاء، ﴿وما هُم عَنها بِغائِبِينَ﴾ ١٦: بمُخرَجينَ. ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿ما يَومُ الدِّينِ ١٧؟ ثُمَّ ما أدراكَ: ما يَومُ الدِّينِ﴾ ١٨؟ تعظيمٌ لشأنه. ﴿يَومُ﴾ - بالرفع - أي: هو يومُ ﴿لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ من المنفعة، ﴿والأمرُ يَومَئِذٍ لِلّهِ﴾ ١٩ لا أمر لغيره فيه، أي: لم يمكّن أحدًا من التوسط فيه بخِلاف الدنيا.

سورة التطفيف

مكية أو مدنية، ستّ وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب أو وادٍ في جهنّم ﴿لِلمُطَفِّفِينَ ١، الَّذِينَ إذا اكتالُوا علَى﴾ أي: مِن ﴿النّاسِ يَستَوفُونَ﴾ ٢ الكيلَ، ﴿وإذا كالُوهُم﴾ أي: كالوا لهم ﴿أو وَزَنُوهُم﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخسِرُونَ﴾ ٣: يُنقِصون الكيل أو الوزن. ﴿ألا﴾ - استفهام توبيخ - ﴿يَظُنُّ﴾: يتيقّن ﴿أُولَئِكَ أنَّهُم مَبعُوثُونَ ٤، لِيَومٍ عَظِيمٍ﴾ ٥ أي: فيه - وهو يوم القيامة - ﴿يَومَ﴾: بدلٌ من محلّ «ليوم» فناصبُه «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النّاسُ﴾ من قُبورهم ﴿لِرَبِّ العالَمِينَ﴾ ٦: الخلائقِ، لأجل أمره وحِسابه وجزائه؟

=انظر «المفصل». والعالَم: الجنس من الخلق. وشاء: أراد. ويستقيم: يتحرى الهداية. ويشاء: يقدّر. وعليه أي: وعلى غيره من خير أو شر. فالرحمن منح البشر إرادة للاختيار، ولن تكون في معزل عن قضائه. إنه يهدي من يعلم فيه الاستعداد للخير، ويصرف إلى الضلال من يطلبه. وبهذا يتحقق اختيار العبد ومسؤوليته، ومشيئة الله وسلطانه. وفي الآية ٢٨ ما يؤكد هذا، ويوطئ للامتنان به في الآية ٢٩، ولبيان أنه مقيد أيضًا بسلطان المولى.

(١) السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والكواكب: جمع كوكب. والبحار: جمع بحر. والملح: الشديد الملوحة. والقبور: جمع قبر. وما عطف عليها: يعني مجموع «إذا» في الآيات ٢-٤. والراجح أن الجواب للأولى، والثلاث تكرار للتوكيد والتهويل. وعلمت: عرَفت بالمشاهدة. والنفس: المخلوق المكلف. وقدمت: اكتسبته في الدنيا. وأخّرت: أهملته مما أُمرت به. والمراد بالتقديم والتأخير ما كان من خير أو شر. (٢) غرك به: أغراك بعصيانه. والكريم: العظيم الجود والإحسان. وخلق: أوجد. وبالتخفيف يريد القراءة «فعَدَلَكَ» أي: فعدَل أعضاءك فكانت متوافقة متناسقة. والصورة: الهيئة والتكوين. وزائدة أي: لتوكيد المعنى. وشاء أي: أرادها. وركبك: جمع أعضاءك وألّف بينها. وتكذب به: تنكره. والحافظ: الرقيب المشاهد. والكرام: جمع كريم. وهو ذو المكانة المقربة. ويعلم: يدرك ما ظهر وما خفي. وتفعل: تكتسب. (٣) الأبرار: جمع برّ. والنعيم: الحال الحسنة. والفجار: جمع فاجر. واليوم: الوقت. وتعظيم لشأنه: يعني الاستفهام الثاني في الآية ١٧. وتملكه: تقدر عليه. والنفس: الفرد من الإنس والجن والملائكة. والمنفعة أي: أو المضرة. والأمر: الحكم والتصرف. ويومئذ: يومَ إذ لا تملك نفس لنفس شيئًا. وبخلاف الدنيا: يعني أن الدنيا فيها ظاهر منفعة من بعض الخلق إلى بعض، وهو مفقود في الآخرة، إلّا لمن أذن له الله بالشفاعة. (٤) سبب النزول في المفصل. وكلمة عذاب أي: دعاء بشدة العذاب. والمطفف: من ينقص الكيل أو ما يشبهه. واكتال: اشترى شيئًا بالكيل أو ما يشبهه. ويستوفون: يأخذونه كاملًا مع احتيال في التزيد والاغتصاب. وكال: قدّر المبيع بالمكيال. ووزَنَه: قدّره بالميزان. وحذف المفعولات كلها للتعميم، ليشمل ذلك كل أنواع التبادل التجاري والبيع والشراء. ومبعوثون: مخرجون من القبور أحياء للحساب. والعظيم: الذي لا مثيل له في الهول. و«فيه» تفسير «ليوم». ومحل: يعني أن «ليوم» محلهما النصب، و«يومَ» منصوب بالبدلية. ويقوم: ينهض. والعالَم: الجنس من الخلق.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

١- ﴿كَلّا﴾: حقًّا، ﴿إنَّ كِتابَ الفُجّارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمال الكُفّار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧. قيل: هو كِتابٌ جامع لأعمال الشياطين والكَفَرة. وقيل: هو مكانٌ أسفلَ الأرض السابعة. وهو محلّ إبليس وجُنودِه. ﴿وما أدراكَ: ما سِجِّينٌ﴾ ٨: ما كتاب سجّين؟ ﴿كِتابٌ مَرقُومٌ﴾ ٩: مختوم. ﴿وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ١٠، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾ ١١: الجزاءِ، بدلٌ أو بيان للمكّذبين، ﴿وما يُكَذِّبُ بِهِ إلّا كُلُّ مُعتَدٍ﴾: مُتجاوزِ الحدِّ ﴿أثِيمٍ﴾ ١٢: صيغةُ مُبالغة، ﴿إذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿قالَ: أساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ١٣: الحكاياتُ التي سُطرت قديمًا، جمع أُسطورة بالضمّ، أو إسطارة بالكسر. ﴿كَلّا﴾: ردعٌ وزجر لقولهم ذلك، ﴿بَل رانَ﴾: غلب ﴿على قُلُوبِهِم﴾ فغشّاها ﴿ما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ ١٤ من المعاصي فهو كالصدأ. ﴿كَلّا﴾: حقًّا، ﴿إنَّهُم عَن رَبِّهِم يومَئذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿لَمَحجُوبُونَ﴾ ١٥ فلا يرونه، ﴿ثُمَّ إنَّهُم لَصالُو الجَحِيمِ﴾ ١٦: لداخلو النار المُحرقة، ﴿ثُمَّ يُقالُ﴾ لهم: ﴿هٰذا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ١٧.

سكتة لطيفة على اللام

٢- ﴿كَلّا﴾: حقًّا، ﴿إنَّ كِتابَ الأبرارِ﴾ أي: كُتُب أعمال المُؤمنين، الصادقين في إيمانهم، ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ١٨ قيل: هو كِتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومُؤمني الثقلين. وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش. ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿ما عِلِّيُّونَ﴾ ١٩: ما كتاب علّيينَ؟ هو ﴿كِتابٌ مَرقُومٌ﴾ ٢٠: مختوم، ﴿يَشهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾ ٢١ من الملائكة. ﴿إنَّ الأبرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ٢٢: جنّة، ﴿علَى الأرائِكِ﴾: السُّرر في الحِجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ ٢٣ ما أُعطوا من النعيم، ﴿تَعرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ٢٤: بهجةَ التنعّم وحُسنَه، ﴿يُسقَونَ مِن رَحِيقٍ﴾: خمر خالصة من الدنس، ﴿مَختُومٍ﴾ ٢٥ على إنائها لا يَفكّ ختمَها إلّا هم، ﴿خِتامُهُ مِسكٌ﴾ أي: آخرُ شُربه يفوح منه رائحة المِسك - ﴿وفي ذٰلِكَ فلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾ ٢٦: فليرغبوا بالمُبادرة إلى طاعة الله، تعالى - ﴿ومِزاجُهُ﴾ أي: ما يُمزج به ﴿مِن تَسنِيمٍ﴾ ٢٧. فُسّر بقوله: ﴿عَينًا﴾ فنصبُه بـ«أمدحُ» مُقدّرًا، ﴿يَشرَبُ بِها المُقَرَّبُونَ﴾ ٢٨ أي: منها، أو ضُمِّنَ «يشرب» معنى: يلتذّ.

٣- ﴿إنَّ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾، كأبي جهل ونحوه، ﴿كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، كعمّار وبِلال ونحوهما، ﴿يَضحَكُونَ﴾ ٢٩ استهزاء بهم، ﴿وإذا مَرُّوا﴾ أي: المُؤمنون ﴿بِهِم يَتَغامَزُونَ﴾ ٣٠ أي: يشير المُجرمون إلى المُؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء، ﴿وإذا انقَلَبُوا﴾: رَجَعوا ﴿إلَى أهلِهِمِ انقَلَبُوا فاكِهِينَ﴾ ٣١، وفي قراءة: «فَكِهِينَ»: مُعجَبِينَ بذِكرهم المُؤمنين، ﴿وإذا رأَوهُم﴾: رأوا المُؤمنين ﴿قالُوا: إنَّ هٰؤُلاءِ لَضالُّونَ﴾ ٣٢ لإيمانهم بمُحمّد ﷺ. قال تعالى: ﴿وما أُرسِلُوا﴾ أي: الكفارُ ﴿علَيهِم﴾: على المُؤمنين ﴿حافِظِينَ﴾ ٣٣ لهم ولأعمالهم، حتّى يردّوهم إلى مصالحهم.

٤- ﴿فاليَومَ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضحَكُونَ ٣٤، علَى الأرائِكِ﴾ في الجنّة ﴿يَنظُرُونَ﴾ ٣٥ من منازلهم إلى الكُفّار، وهم يُعذّبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكُفّار منهم في الدنيا: ﴿هَل ثُوِّبَ﴾: جُوزِيَ ﴿الكُفّارُ ما كانُوا يَفعَلُونَ﴾ ٣٦؟ نعم.

---

(١) الفجار: جمع فاجر. وأدرى: أعلم. ومختوم: مسجل مثبت لا يزاد فيه ولا ينقص منه. وويل أي: العذاب الشديد. والمكذب: من ينكر التوحيد والبعث. واليوم: الوقت. وبيان أي: للتوضيح والتوكيد. والحد أي: حدود التدبر والاعتبار. والأثيم: المنهمك في الذنوب. وتتلى: تقرأ. والأولون: الأمم القديمة. والردع: المنع والكف عما قيل مع التنبيه على الخطأ. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال، يمد الدماغ والجسم كله بماء الحياة. ويكسبون: يعملونه باختيار وعزم. وعن ربهم: عن رؤيته وخطابه ورحمته. والمحجوب: المحروم.

(٢) الأبرار: جمع برّ. والثقلان: الإنس والجن. ويشهده: يراه ويحضر مكانه. والمقرب: ذو المنزلة العالية الكريمة. والأرائك: جمع أريكة. والحجال: جمع حَجَلة. وهي بيت من القماش يرخى على السرير للزينة والستر. وينظر: يرى عِيانًا. وتعرف: تدرك. والوجوه: جمع وجه. وإنما ذكرت الوجوه لأنها أظهر ما يبدو عليه الانفعال. ويسقون: ييسر لهم الشرب. ودنس الخمرة: ما يكون فيها من الفساد والشرور. والمسك: نوع من الطيب مشهور أبيض براق. ويتنافس: يتسارع ويتسابق. وتسنيم: عين في الجنة. ط: «تسليم». والعين: النبع الجاري. والمقربون: الذين قرّبت منزلتهم. فهم يشربون من تسنيم شرابًا خالصًا تكرمة لهم، وغيرهم من المؤمنين يشربون ما مزج بشرابها.

(٣) سبب النزول في المفصل. وأجرم: اقترف الجرائم باختيار وعزم. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ويتغامزون: يغمز بعضهم بعضًا. والأهل: الأسرة. وبذكرهم أي: بسخريتهم منهم. وهؤلاء أي: وأمثالهم ممن آمن. والضال: من أخطأ السبيل القويم. وأرسل: كلف بأمر الله. والحافظ: الرقيب الموكول إليه أمر غيره.

(٤) اليوم أي: هذا الوقت. ويضحك: يسخر. والكفار: جمع كافر، من كذّب الله ورسوله. والأرائك: انظر الآية ٢٣. ويفعلون: يكتسبون من النيات والأقوال والأفعال.

الجزء الثلاثون | سورة الانشقاق

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاق (ترتيبها ٨٤ - آياتها ٢٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة الانشقاق

مكية، ثلاث أو خمس وعشرون آية.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**إذا السَّماءُ انشَقَّتْ** ١ ، **وأذِنَتْ**﴾: سمعتْ وأطاعت في الانشقاق ﴿**لِرَبِّها، وحُقَّتْ**﴾ ٢ أي: حُقّ لها أن تسمع وتطيع، ﴿**وإذا الأرضُ مُدَّتْ**﴾ ٣: زِيدَ في سعتها كما يُمدّ الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل، ﴿**وألقَتْ ما فيها**﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿**وتَخَلَّتْ**﴾ ٤ عنه، ﴿**وأذِنَتْ**﴾: سمعتْ وأطاعت في ذلك ﴿**لِرَبِّها وحُقَّتْ**﴾ ٥ - وذلك كُلّه يكون يوم القيامة - وجواب «إذا» وما عُطف عليها محذوف دلّ عليه ما بعده، تقديره: لقيَ الإنسانُ عمله. ﴿**يا أيها الإنسانُ، إنَّكَ كادحٌ**﴾: جاهدٌ في عملك ﴿**إلى**﴾ لقاء ﴿**رَبِّكَ**﴾ - وهو الموت - ﴿**كَدحًا، فمُلاقِيه**﴾ ٦ أي: مُلاقٍ عملَكَ المذكورَ من خير أو شرّ، يوم القيامة.

سجدة

٢- ﴿**فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ**﴾: كِتاب عمله ﴿**بِيَمينِه**﴾ ٧ - هو المُؤمن - ﴿**فَسوفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا**﴾ ٨، هو عرضُ عمله عليه، كما فُسّر في حديث الصحيحين - وفيه: «مَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ» - وبعدَ العرض يُتجاوز عنه، ﴿**ويَنقلِبُ إلَى أهلِهِ**﴾ في الجنّة ﴿**مَسرُورًا**﴾ ٩ بذلك، ﴿**وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهرِه**﴾ ١٠ - هو الكافر، تُغَلّ يمناه إلى عُنقه وتُجعل يُسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه - ﴿**فَسوفَ يَدعُو**﴾ عند رُؤيته ما فيه ﴿**ثُبُورًا**﴾ ١١: يُنادي هلاكَه بقوله: يا ثُبوراهْ، ﴿**ويَصلَى سَعيرًا**﴾ ١٢: يَدخل النار الشديدة. وفي قراءة بضمِّ الياء وفتح الصاد واللام المُشدّدة. ﴿**إنَّهُ كانَ في أهلِهِ**﴾: عشيرته في الدنيا ﴿**مَسرُورًا**﴾ ١٣: بطِرًا، باتّباعه لِهواه. ﴿**إنَّهُ ظَنَّ أنْ**﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿**لَن يَحُورَ**﴾ ١٤: يرجِعَ إلى ربّه. ﴿**بَلَى**﴾ يرجِعُ إليه. ﴿**إنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾ ١٥: عالمًا برُجوعه إليه.

٣- ﴿**فلا أُقسِمُ**﴾ - لا: زائدة - ﴿**بالشَّفَقِ**﴾ ١٦، هو الحُمرة في الأُفق بعد غُروب الشمس، ﴿**واللَّيلِ وما وَسَقَ**﴾ ١٧: جمعَ ما دخل عليه من الدوابّ وغيرها، ﴿**والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ**﴾ ١٨: اجتمع وتمّ نُوره، وذلك في الليالي البيض، ﴿**لَتَركَبُنَّ**﴾ - أيها الناس. أصله «تركبُونَنَّ» حُذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، والواوُ لالتقاء الساكنين - ﴿**طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾ ١٩: حالًا بعد حال. وهو الموت ثمّ الحياة، وما بعدها من أحوال القيامة.

٤- ﴿**فمالَهُم**﴾ أي: الكُفّار ﴿**لا يُؤمِنُونَ**﴾ ٢٠ أي: أيُّ مانع من الإيمان، أو أيُّ حُجّة لهم في تركه، مع وُجود براهينه؟ ﴿**و**﴾ مالهم ﴿**إذا قُرِئَ عَلَيهِم القُرآنُ لا يَسجُدُونَ**﴾ ٢١: يخضعون بأن يُؤمنوا به لإعجازه؟ ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ**﴾ ٢٢ بالبعث وغيره، ﴿**واللهُ أعلَمُ بِما يُوعُونَ**﴾ ٢٣: يجمعون في صُحفهم، من الكُفر والتكذيب وأعمال السوء. ﴿**فبَشِّرهُم**﴾: أخبرهم ﴿**بِعَذابٍ ألِيمٍ**﴾ ٢٤: مُؤلم. ﴿**إلّا**﴾ لكن ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ**﴾ ٢٥: غير مقطوع ولا منقوص، ولا يُمَنُّ به عليهم.

(١) السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وانشقت: تصدعت. والرب: الخالق المالك المتصرف. وحُقّ لها: وجب عليها. وألقت: قذفت. وتخلّت: تفرّغت مما تخفيه. وانظر تكرار «إذا» في سورة الانفطار. والإنسان: الآدمي. وقيل: إن الآية نزلت في بعض جبابرة قريش. والأولى أنها عامة لجميع الناس. ولقاء ربك: لقاء حسابه والجزاء. وملاقيه: مصادفه ومتلق جزاءه.

(٢) أوتي: أعطي. واليمين: اليد اليمنى. وسوف: لتوكيد الحصول في المستقبل. ويحاسب: يعرض عليه ما قدّم وما أهمل من العمل. واليسير: الهين. والصحيحين: يعني الأحاديث ١٠٣ و٤٦٥٥ و٦١٧١ و٦١٧٢ في البخاري و٢٨٧٦ في مسلم. ونوقش: بولغ معه في التدقيق والتفصيل. وهلك: نزل به البلاء العظيم. وينقلب: يعود. والأهل: الأقرباء والعشيرة. والمسرور: الفرح بالنعيم. ويناديه: يتمناه ويطلب حصوله. والمراد بالهلاك أن يصير ترابًا. وفي قراءة يريد «يُصَلّى» أي: يُدَخَّلُ. وظن: اعتقد. ومخففة: حذفت نونها الثانية للتخفيف. وكان أي: ولا يزال دون قيد زماني.

(٣) زائدة أي: للمبالغة في توكيد القسم. والليل: ما بين الغروب والشروق. والدواب: الأحياء. واجتمع: اكتمل شكله في رؤية العين. والبيض: تكون في وسط الشهر. وتركبه: تلاقيه وتُحمل على مقاساته. والطبق: المطابق لغيره في الشدة والهول.

(٤) في تفسير البيضاوي ص ٥٩٣ أنه لما قرأ النبي ﷺ الآية ١٩ من سورة العلق في مكة سجد، وسجد معه المؤمنون، ووقف الكفار فوق رؤوسهم يصفقون، فنزلت الآيات هذه. ويؤمن: يعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وقرئ: تلي. ويخضعون أي: لا يخضعون. ولإعجازه أي: ولما فيه من الحق والبيان والأخبار والعلوم اليقينية. وكفر: جحد النبوة والتوحيد. ويكذب به: ينكر حصوله. وأعلم: أكثر إحاطة منهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. والأجر: المكافأة والثواب.

الجزء الثلاثون سورة البروج

سُورَةُ البُرُوجِ
ترتيبها ٨٥ آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن
وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ
ترتيبها ٨٦ آياتها ١٧

سورة البُروج

مكية، ثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- **﴿والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ﴾** ١ - للكواكب اثنا عشَرَ بُرجًا تقدَّمت في «الفُرقان» - **﴿واليومِ المَوعُودِ﴾** ٢: يوم القيامة، **﴿وشاهِدٍ﴾**: يوم الجُمعة، **﴿ومَشهُودٍ﴾** ٣: يوم عرفة - كذا فُسّرت الثلاثة في الحديث. فالأوّل موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة - وجواب القسم محذوف صدرُه، أي: لقد **﴿قُتِلَ﴾**: لُعِن **﴿أصحابُ الأُخدُودِ﴾** ٤: الشقّ في الأرض، **﴿النّارِ﴾**: بدلُ اشتمال منه **﴿ذاتِ الوَقُودِ﴾** ٥: ما تُوقد به، **﴿إذ هُم عليها﴾** أي: حولها على جانب الأُخدود على الكراسيّ **﴿قُعودٌ﴾** ٦، **﴿وهُم على ما يَفعَلونَ بالمُؤمِنينَ﴾** بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم، **﴿شُهُودٌ﴾** ٧: حُضور - رُوي أنّ الله أنجى المُؤمنين المُلقَين في النار، بقبض أرواحهم قبل وُقوعهم فيها، وخرجَتِ النار إلى مَن ثَمَّ فأحرقتهم - **﴿وما نَقَمُوا مِنهُم إلّا أن يُؤمِنُوا باللهِ العَزيزِ﴾** في مُلكه، **﴿الحَمِيدِ﴾** ٨ المحمود، **﴿الّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ. واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾** ٩. أي: ما أنكرَ الكُفّار على المُؤمنين إلّا إيمانهم.

٢- **﴿إنَّ الّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ﴾** بالإحراق، **﴿ثُمَّ لَم يَتُوبُوا، فَلَهُم عَذابُ جَهَنَّمَ﴾** بكُفرهم، **﴿ولَهُم عَذابُ الحَريقِ﴾** ١٠ أي: عذاب إحراقهم المُؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدّم. **﴿إنَّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. ذَلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ﴾** ١١. **﴿إنَّ بَطشَ رَبِّكَ﴾** بالكُفّار **﴿لَشَدِيدٌ﴾** ١٢ بحسَب إرادته. **﴿إنَّهُ هُوَ يُبدِئُ﴾** الخلقَ **﴿ويُعِيدُ﴾** ١٣، فلا يُعجزه ما يُريد، **﴿وهُوَ الغَفُورُ﴾** للمُذنبين المُؤمنين، **﴿الوَدُودُ﴾** ١٤ المُتودّد إلى أوليائه بالكرامة، **﴿ذُو العَرشِ﴾** خالقُه ومالكه، **﴿المَجِيدُ﴾** ١٥، بالرفع: المستحقُّ لكمال صفات العُلوّ، **﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾** ١٦: لا يُعجزه شيء.

٣- **﴿هَل أتاكَ﴾** - يا مُحمّد - **﴿حَدِيثُ الجُنُودِ﴾** ١٧، **﴿فِرعَونَ وثَمُودَ﴾** ١٨؟ بدلٌ من الجنود. واستُغني بذكر فرعون عن أتباعه. وحديثهم أنهم أُهلكوا بكُفرهم. وهذا تنبيه لمن كفر بالنبيّ والقرآن ليتّعظوا. **﴿بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا في تَكذِيبٍ﴾** ١٩ بما ذُكر، **﴿واللهُ مِن وَرائِهِم مُحِيطٌ﴾** ٢٠ لا عاصم لهم منه. **﴿بَل هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ﴾** ٢١: عظيم، **﴿في لَوحٍ﴾** هو في الهواء فوق السماء السابعة **﴿مَحفُوظٍ﴾** ٢٢ - بالجرّ - من الشياطين ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء. قاله ابن عباس، رضي الله عنهما.

(١) ذات البروج: صاحبتها التي تلازمها. والبروج: منازل الكواكب السيارة. واليوم: الوقت. والموعود أي: بالبعث بعد الموت. والشاهد: ما يُقرّ بما كان للفصل بين الناس يوم القيامة. والمشهود: الذي يحضره الخلق. والحديث: انظر ٣:١٢٨ من صحيح الترمذي. وصدره: أوله. وكان ملك في اليمن قد ألّه نفسه، وغلامٌ حينئذ يدعو إلى التوحيد، فأراد الملك حمل المؤمنين على الكفر، فأبوا وأحرقهم جميعًا. وفي قصتهم نزلت هذه الآيات. الأحاديث ٣٠٠٥ في مسلم و٣٣٣٧ في الترمذي و٣٠ في رياض الصالحين. ولعن: طرد من رحمة الله. والأصحاب: جمع صاحب. والقعود: جمع قاعد. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والشهود: جمع شاهد. ومَن ثَمّ أي: الذين كانوا حول الأخدود من الكافرين. و«خرجت... فأحرقتهم» قول ليس فيما صح من الأخبار. قال أبو حيان: «وقول هؤلاء مخالف لقول الجمهور، ولِما دل عليه القصص الذي ذكروه». وفي الأحاديث الصحيحة أن الذين أُلقُوا في الأخدود ماتوا حرقًا. ونقم: كره وأنكر. ومنهم: من أحوالهم. ويؤمنوا: يستمروا على الإيمان بالتوحيد. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. والمُلك: التفرّد بالحيازة والتصرف. والسماوات والأرض أي: ومن فيهما وفي غيرهما من المخلوقات. والشهيد: المحيط بالغَ الإحاطة. والتفسير بعدُ هو لما في أول الآية. (٢) فتنه: آذاه بقول أو فعل. ويتوب: يرجع عما أجرم ويطلب المغفرة. وكما تقدم: انظر تعليقنا على تفسير الآية ٧. والصالح: العمل يرضاه الشرع. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والفوز: الظفر بالمطلوب. والكبير: العظيم لا يحيط به الوصف. والبطش: الأخذ بعنف. والشديد: القوي. ويبدئ: يخلق من العدم، وينشئ ابتداء بدون مثال سابق. ويعيد: يجدّد خلق ما فني. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والعرش: أعظم المخلوقات يحيط بالكون كله، ولا يعلم حقيقته إلّا الله. وفعّال: في غاية القدرة على الإيجاد والتحقيق. ويريد: يقصده. فكل ما تعلّقت به إرادته يتحقق. (٣) أتاك: قد وصل إليك حقًّا. وحديثهم: خبرُ كفرهم وهلاكهم. والجنود: جمع جند. والجند: واحده جندي. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. وثمود: من العرب البائدة قبيلة النبي صالح. وبدل: يعني أن «فرعون»: بدل للبيان والتوكيد. وثمود: معطوف لا بدل. وكفر: أنكر التوحيد والبعث والرسالة. ومن ورائهم محيط: هم في قبضته، عليم بما يفعلون، ومقتدر عليهم بما شاء. وقرآن: كتاب يقرأ، فيه الهداية إلى الحق، والإعجاز بالبيان، والخبر اليقين عن التاريخ وكثير من العلوم والمعارف اليقينية. واللوح: ما سجل فيه ما كان وما سيكون في الوجود. وفي الهواء: في الفضاء. وروي في اللوح المحفوظ أقوال متضاربة ليست موثقة بنص قرآني أو نبوي، والله أعلم بها. انظر الدر المنثور ٦:٣٣٥ وتفسيرَيِ القرطبي ١٩:٢٩٦ والآلوسي ٣٠:١٦٨. والخير أن نؤمن باللوح المحفوظ، دون بحث عن ماهيته وكيفيته، مع العلم أنه مخلوق عظيم، ومصون مما عدا بعض الملائكة والمقربين.

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

سورة الطارق مكية، سبعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿**والسَّماءِ والطَّارِقِ**﴾ ١، أصلُه كُلُّ آتٍ ليلًا، ومنه النجوم لطُلوعها ليلًا - ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلَمَك: ﴿**ما الطَّارِقُ**﴾ ٢؟ مُبتدأ وخبر في محلّ المفعول الثاني لـ «أدري». وما بعد «ما» الأُولى: خبرها. وفيه تعظيم لشأن الطارق المُفسَّر بما بعده. هو ﴿**النَّجمُ**﴾ أي: الثُّريّا أو كُلّ نجم ﴿**الثَّاقِبُ**﴾ ٣: المضيء لثَقبه الظلامَ بضوئه - وجواب القسم: ﴿**إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عليها حافِظٌ**﴾ ٤، بتخفيف «ما» فهي مزيدة، وإنْ: مُخفَّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه. واللام: فارقة. وبتشديدها فإنْ: نافية، ولمّا: بمعنى إلّا. والحافظ: من الملائكة يحفظ عملها، من خير وشرّ.

٢- ﴿**فلْيَنظُرِ الإنسانُ**﴾ نظرَ اعتبار: ﴿**مِمَّ خُلِقَ**﴾ ٥: من أيّ شيء؟ جوابه: ﴿**خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ**﴾ ٦: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها، ﴿**يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلبِ**﴾ للرجل ﴿**والتَّرائبِ**﴾ ٧ للمرأة. وهي عِظام الصدر. ﴿**إنَّهُ**﴾ - تعالى - ﴿**على رَجعِهِ**﴾: بعثِ الإنسان بعد موته ﴿**لَقادِرٌ**﴾ ٨ - فإذا اعتبر أصلَه عَلم أنّ القادر على ذلك قادر على بعثه - ﴿**يومَ تُبلَى**﴾: تُختبرُ وتُكشف ﴿**السَّرائرُ**﴾ ٩: ضمائر القُلوب في العقائد والنيّات، ﴿**فما لَهُ**﴾: لِمُنكِرِ البعث ﴿**مِن قُوَّةٍ**﴾ يمتنع بها عن العذاب، ﴿**ولا ناصِرٍ**﴾ ١٠ يدفعه عنه.

٣- ﴿**والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ**﴾ ١١: المطر، لعوده كُلَّ حين، ﴿**والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ**﴾ ١٢: الشقّ عن النبات، ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**لَقولٌ فَصْلٌ**﴾ ١٣ يَفصِل بين الحقّ والباطل، ﴿**وما هُوَ بالهَزْلِ**﴾ ١٤: باللعب والباطل. ﴿**إنَّهُم**﴾ أي: الكُفّارَ ﴿**يَكِيدُونَ كَيدًا**﴾ ١٥: يعملون المكايدَ للنبيّ ﷺ، ﴿**وأكِيدُ كَيدًا**﴾ ١٦: أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون. ﴿**فمَهِّلِ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**الكافِرِينَ، أمهِلْهُم**﴾: تأكيدٌ، حسَّنه مُخالفة اللفظ، أي: أنظِرْهم ﴿**رُوَيدًا**﴾ ١٧: قليلًا. وهو مصدرٌ مُؤكّد لمعنى العامل مُصغَّر رُودٍ، أو إرْوادٍ على الترخيم. وقد أخذهم الله - تعالى - ببدر. ونُسخ الإمهال بآية السيف، بالأمر بالجهاد والقتال.

سورة الأعلى مكية، تسعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

٤- ﴿**سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ**﴾ أي: نَزِّهْ ربَّك عمّا لا يليق به - واسم: زائدٌ - ﴿**الأعلَى**﴾ ١: صفةٌ لـ «ربّك»، ﴿**الَّذي خَلَقَ فسَوَّى**﴾ ٢ مخلوقه، جعله مُتناسب الأجزاء غير مُتفاوت، ﴿**والَّذي قَدَّرَ**﴾ ما شاء ﴿**فهَدَى**﴾ ٣ إلى ما قدّره من خير وشرّ، ﴿**والَّذي أخرَجَ المَرعَى**﴾ ٤: أنبتَ العُشب، ﴿**فجَعَلَهُ**﴾ بعد الخُضرة ﴿**غُثاءً**﴾: جافًّا هشيمًا، ﴿**أحوَى**﴾ ٥: أسود يابسًا.

٥- ﴿**سَنُقرِئُكَ**﴾ القُرآنَ، ﴿**فلا تَنسَى**﴾ ٦ ما تقرؤه، ﴿**إلّا ما شاءَ اللهُ**﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحُكمه - وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قِراءة جبريل، خوف النسيان. فكأنه قيل له: لا تعجلْ بها. إنك ما تنسى. فلا تُتعب نفسك بالجهر بها. ﴿**إنَّهُ**﴾ تعالى ﴿**يَعلَمُ الجَهرَ**﴾ من القول والفِعل، ﴿**وما يَخفَى**﴾ ٧ منهما - ﴿**ونُيَسِّرُكَ لِليُسرَى**﴾ ٨ للشريعة السهلة وهي الإسلام. ﴿**فذَكِّرْ**﴾: عِظ بالقُرآن، ﴿**إن نَفَعَتِ الذِّكرَى**﴾ ٩ مَن تُذَكِّرُهُ، المذكورَ في: ﴿**سَيَذَّكَّرُ**﴾ بها ﴿**مَن يَخشَى**﴾ ١٠: يخافُ الله - تعالى - كآية «فذَكِّرْ بالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ»، ﴿**ويَتَجَنَّبُها**﴾ أي: الذكرى، أي: يَتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿**الأشقَى**﴾ ١١ بمعنى الشقيّ أي: الكافر ﴿**الَّذي يَصلَى النَّارَ الكُبرَى**﴾ ١٢ - هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا - ﴿**ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها**﴾ فيستريحَ، ﴿**ولا يَحيا**﴾ ١٣ حياة هنيئة.

٦- ﴿**قَد أفلَحَ**﴾: فاز ﴿**مَن تَزَكَّى**﴾ ١٤: تطهَّرَ بالإيمان، ﴿**وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ**﴾ مُكبّرًا، ﴿**فصَلَّى**﴾ ١٥ الصلواتِ الخمسَ. وذلك من أُمور الآخرة،

(١) الطارق: النجم يظهر في الليل. والثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور. والقسم أي: والسماء. وكل: لاستغراق أفراد النكرة. والنفس: الإنسان المكلف. ومزيدة أي: للتوكيد. وفارقة أي: بين المخففة والنافية. وبتشديدها يريد القراءة «لَمّا». (٢) سبب النزول في المفصل. وينظر: يفكر. وخلق: أنشئ. والماء: المنيّ والبويضة، عُبّرَ عنهما بماء واحد لامتزاجهما. والاندفاق: الانصباب. ويخرج: يجري. والصلب: فَقار الرجل والمرأة. والترائب: عظام صدرهما. ومن بينهما: الوسط الذي بينهما، فيه الأبهر تتشعب منه شرايين إلى الكليتين، ليخرج الشريانان المنويّان إلى الخُصيتين والمَبيض، فيتكون منيّ وبُوَيضة يلتقيان باندفاق الأول وامتزاجه بنشاط الثاني وحيويته. انظر تفسير الرازي ١١: ١٢٠. والسرائر: جمع سريرة. والناصر: المنقذ. (٣) الفصل: الحكم العدل. وأكيد: أدبّر الأهوال. ومهل: لاتعجل بالانتقام أو الدعاء. انظر «المفصل». والترخيم: حذف الأحرف الزائدة. ونسخ: يعني أن الجهاد نَسخ إمهالهم. (٤) الأسماء لاتزاد، وتنزيه الاسم مبالغة في تنزيه الذات. والأعلى: المستعلي. وخلق: أوجد. وقدّر: أوقع الإحكام. وهدى: أرشد بالأدلة والعقل. وجعل: صيّرَ. (٥) نقرئ: نبلغ. والنسخ: الإزالة. ويجهر: انظر «المفصل». والجهر: ما يظهر للغير. ونيسر: نوفق. ونفعت: أفادت. والآية هي ٤٥ من سورة ق. ويصلاها: يقاسي أهوالها. (٦) ذكره: استحضره بقلبه ورَدده بلسانه. =

الجزء الثلاثون — سورة الغاشية

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ — ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

وكُفّارُ مكّة مُعرِضون عنها. ﴿**بَل يُؤثِرُونَ**﴾ - بالتحتانيّة والفوقانيّة - ﴿**الحَياةَ الدُّنيا**﴾ ١٦ على الآخرة، ﴿**والآخِرةُ**﴾ المُشتملة على الجنّة ﴿**خَيرٌ وأبقَى**﴾ ١٧. ﴿**إنَّ هٰذا**﴾ أي: إفلاحَ من تزكّى وكونَ الآخرة خيرًا ﴿**لَفي الصُّحُفِ الأُولَى**﴾ ١٨ أي: المُنزَلة قبل القُرآن، ﴿**صُحُفِ إبراهِيمَ ومُوسَى**﴾ ١٩. وهي عشْرُ صُحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة الغاشية

مكية، ست وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**هَل**﴾: قد ﴿**أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيةِ**﴾ ١: القِيامة، لأنها تغشى الخلائق بأهوالها؟ ﴿**وُجُوهٌ يومَئذٍ**﴾ - عُبّر بها عن الذوات في الموضعين - ﴿**خاشِعةٌ**﴾ ٢: ذليلة، ﴿**عامِلةٌ ناصِبةٌ**﴾ ٣: ذات نَصَب وتعب بالسلاسل والأغلال، ﴿**تُصلَى**﴾ - بضم التاء وفتحها - ﴿**نارًا حامِيةً**﴾ ٤، ﴿**تُسقَى مِن عَينٍ آنِيةٍ**﴾ ٥: شديدة الحرارة، ﴿**لَيسَ لَهُم طَعامٌ إلّا مِن ضَرِيعٍ**﴾ ٦ - هو نوع من الشوك لا ترعاه دابّة لخُبثه - ﴿**لا يُسمِنُ ولا يُغني مِن جُوعٍ**﴾ ٧. ﴿**وُجُوهٌ يَومَئذٍ ناعِمةٌ**﴾ ٨: حسنة، ﴿**لِسَعيِها**﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿**راضِيةٌ**﴾ ٩ في الآخرة، لمّا رأت ثوابه، ﴿**في جَنّةٍ عالِيةٍ**﴾ ١٠ حِسًّا ومعنًى، ﴿**لا يُسمَعُ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**فِيها لاغِيةٌ**﴾ ١١ أي: نفسٌ ذات لغوٍ: هَذَيانٍ من الكلام، ﴿**فِيها عَينٌ جارِيةٌ**﴾ ١٢ بالماء بمعنى عُيون، ﴿**فِيها سُرُرٌ مَرفُوعةٌ**﴾ ١٣ ذاتًا وقدرًا ومَحلًّا، ﴿**وأكوابٌ**﴾: أقداح لا عُرَى لها ﴿**مَوضُوعةٌ**﴾ ١٤ على حافات العُيون مُعدّة لشُربهم، ﴿**ونَمارِقُ**﴾: وسائد ﴿**مَصفُوفةٌ**﴾ ١٥: بعضُها بجنب بعض يُستند إليها، ﴿**وزَرابِيُّ**﴾: بُسطٌ طنافسُ لهما خَمْل ﴿**مَبثُوثةٌ**﴾ ١٦: مبسوطة.

٢- ﴿**أفَلا يَنظُرُونَ**﴾ أي: كفّارُ مكة نظرَ اعتبار ﴿**إلَى الإبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ**﴾ ١٧؟ ﴿**وإلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَتْ**﴾ ١٨؟ ﴿**وإلَى الجِبالِ كَيفَ نُصِبَتْ**﴾ ١٩؟ ﴿**وإلَى الأرضِ كَيفَ سُطِحَتْ**﴾ ٢٠ أي: بُسطتْ؟ فيستدلّون بها على قُدرة الله - تعالى - ووحدانيّته؟ وصُدّرت بالإبل لأنهم أشدّ مُلابسة لها من غيرها. وقوله «سُطِحَتْ» ظاهر في أنّ الأرض سطح، لا كُرةٌ كما قاله أهل الهيئة. وإن لم ينقض رُكنًا من أركان الشرع.

٣- ﴿**فذَكِّرْ**﴾ هم نِعَمَ الله ودلائل توحيده. ﴿**إنّما أنتَ مُذَكِّرٌ**﴾ ٢١. ﴿**لَستَ علَيهِم بِمُسَيطِرٍ**﴾ ٢٢ - وفي قراءة بالصاد بدل السين - أي بمُسلَّط. وهذا قبل الأمر بالجهاد. ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن تَوَلَّى**﴾: أعرض عن الإيمان، ﴿**وكَفَرَ**﴾ ٢٣ بالقرآن، ﴿**فيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذابَ الأكبَرَ**﴾ ٢٤: عذابَ الآخرة. والأصغرُ عذابُ الدنيا بالقتل والأسر. ﴿**إنَّ إلَينا إيابَهُم**﴾ ٢٥: رُجوعَهم بعد الموت، ﴿**ثُمَّ إنَّ علَينا حِسابَهُم**﴾ ٢٦: جزاءهم، لا نتركه أبدًا.

=ومكبرًا أي: بقول «الله أكبر» للإحرام في الصلاة. ويؤثر: يفضل. والتحتانية: الياء. والفوقانية: يريد القراءة «تُؤْثِرُونَ». والحياة: ما فيها من الشهوات والمكاسب العاجلة. وخير: أكثر فضلًا بالنعيم والرضا. وأبقى: أدوم بالخلود. وهذا أي: معناه ومضمونه لا اللفظ نفسه. والصحف: جمع صحيفة. والأولى: القديمة. وذكر التوراة هنا فيه نظر، إذ المعروف أن موسى أُنزلت عليه عشر صحف قبل التوراة. تفسير الآلوسي ٣٠:١٩٨.

(١) نزلت الآيات ١-٦ في القِسّيسين والمجوس وعُبّاد الأوثان، وكل منهمك في الكفر. البحر ٨:٤٦٢. ولما نزلت هذه الآيات قال المشركون: إنّ إبلنا لتسمن بالضريع. فنزلت الآية ٧، تكذيبًا لهم. تفسير القرطبي ٢٠:٣٢. وهل أتاك: قد وصل إليك حقًّا. والحديث: ما ينتقل من الكلام. والغاشية: الداهية العظمى. والوجوه: جمع وجه. وفي الموضعين أي: في الآيتين ٢ و٨. وعاملة: تسعى أقصى ما يمكن. وتُصلى: تُدخَل وتقاسي. وبفتحها يريد القراءة «تَصلَى». وتسقى: تشرب بالقهر والاضطرار. والعين: مايجري من السوائل. ولايغني: لايمنع. والناعمة: المتنعمة بالخير والسعادة. والسعي: العمل. والراضية: المتقبّلة باطمئنان. والجنة: البستان العظيم. وبالتاء يريد القراءة «لاتُسمَعُ». والسرر: جمع سرير. وهو المجلس العالي الوثير. وذاتًا أي: هي عالية الشكل للراحة والاستقرار. والأكواب: جمع كُوب. والعرى: جمع عُروة، ما يمسك منه الوعاء. والنمارق: جمع نُمرُقة. والزرابيُّ: جمع زِربِيّة.

(٢) سبب النزول في المفصل. والاعتبار: الاستدلال والاتعاظ. والإبل: واحده جمل أو ناقة. وخلقت: أنشأها الله بشكل بديع عجيب. ورفعت: كالقبة بعيدة المدى، بلا عَمَد أو أركان. والجبال: جمع جبل. ونصبت: أثبتت. وأهل الهيئة: علماء الفلك والجغرافية من المسلمين. و«سطح لاكرة» هذا خلاف قول الجمهور. فقد ذكروا أن البسط يعني تمهيدها للسير والاستقرار وصلاحية أمور الخلق. فهي تبدو للنظر القريب مسطحة، ولكنها في النظر البعيد من الفضاء كالكرة. انظر مروج الذهب ٢: ٢٠٠-٢٠٢ ومعجم البلدان ١:١٦-١٧ وتفسير الرازي ١١:١٤٥ والمفصل والآية ٣ من سورة الملك. وقد حذف «وقوله سطحت... أركان الشرع» من المنحة وبعض المطبوعات، تحكمًا في النصوص التراثية، وجهلًا بأصول الأمانة في النشر.

(٣) ذكّرهم: عظهم وبيّن لهم. والمذكّر: الناصح الواعظ. وبالصاد يريد القراءة «بِمُصَيطِرٍ». وفي قرة العينين والمنحة وبعض المطبوعات: «بمصيطر وفي قراءة بالسين بدل الصاد». و«هذا» يعني أن آيات الجهاد للمشركين العرب نَسخَتِ الموادعةَ لهم، وأوجبت القتال. وكفر به أي: وكذّبه. وإلينا: إلى لقاء ميعادنا. وعلينا أي: نحن ننفرد بذلك.

الجزء الثلاثون — سورة الفجر

سُورَةُ الفَجْرِ — ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣

سورة الفَجْر

مكية أو مدنية، ثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**والفَجرِ**﴾ ١ أي: فجرِ كُلّ يوم، ﴿**ولَيالٍ عَشْرٍ**﴾ ٢ أي: عشر ذِي الحِجّة، ﴿**والشَّفعِ**﴾: الزوجِ ﴿**والوَتْرِ**﴾ ٣، بفتح الواو وكسرها لغتانِ: الفردِ، ﴿**واللَّيلِ إذا يَسْرِ**﴾ ٤ مُقبلًا ومُدبرًا. ﴿**هَل في ذٰلِكَ**﴾ القسمِ ﴿**قَسَمٌ لِذِي حِجرٍ**﴾ ٥: عقل؟ وجوابُ القسم محذوف أي: لتُعذَّبُنَّ، يا كُفّار مكّة.

٢- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ - يا مُحمّد - ﴿**كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ ٦، إرَمَ**﴾ - هي عادٌ الأُولى. فإرمَ: عطف بيان أو بدل، ومُنعَ الصرفَ للعلميّة والتأنيث - ﴿**ذاتِ العِمادِ**﴾ ٧ أي: الطولِ، كان طول الطويل منهم أربعَمِائَةِ ذراع، ﴿**الَّتي لَم يُخلَقْ مِثلُها في البِلادِ**﴾ ٨ في بطشهم وقُوّتهم، ﴿**وثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا**﴾: قطعوا ﴿**الصَّخرَ**﴾: جمع صخرة، واتّخذوها بُيوتًا ﴿**بِالوادِ**﴾ ٩: وادي القُرى، ﴿**وفِرعَونَ ذِي الأوتادِ**﴾ ١٠ - كان يَتِدُ أربعة أوتاد، يشدّ إليها يدَي ورجلَي مَن يُعذّبه - ﴿**الَّذِينَ طَغَوا**﴾: تجبّروا ﴿**في البِلادِ ١١، فأكثَرُوا فِيها الفَسادَ**﴾ ١٢: القتل وغيره، ﴿**فصَبَّ عليهِم رَبُّكَ سَوطَ**﴾: نوعَ ﴿**عَذابٍ ١٣. إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرصادِ**﴾ ١٤ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء، ليُجازيَهم عليها.

٣- ﴿**فأمّا الإنسانُ**﴾ الكافر، ﴿**إذا ما ابتَلاهُ**﴾: اختبره ﴿**رَبُّهُ فأكرَمَهُ**﴾ بالمال وغيره ﴿**ونَعَّمَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أكرَمَنِ ١٥. وأمّا إذا ما ابتَلاهُ، فقَدَرَ**﴾: ضيّق ﴿**علَيهِ رِزقَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أهانَنِ ١٦. كَلّا**﴾: ردعٌ، أي: ليس الإكرامُ بالغنى والإهانةُ بالفقر، وإنما هما بالطاعة والمعصية. وكُفّار مكّة لا ينتبهون لذلك. ﴿**بَل لا يُكرِمُونَ اليَتِيمَ**﴾ ١٧: لا يُحسنون إليه مع غِناهم، أو لا يُعطونه حقّه من الميراث، ﴿**ولا يَحُضُّونَ**﴾ أنفُسَهم ولا غيرهم ﴿**على طَعامِ**﴾ أي: إطعام ﴿**المِسكِينِ ١٨، ويأكُلُونَ التُّراثَ**﴾: المِيراث ﴿**أكلًا لَمًّا**﴾ ١٩ أي: شديدًا، للَمِّهم نصيبَ النِّساء والصِّبيان من المِيراث، مع نصيبهم منه أو مع مالِهم، ﴿**ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا**﴾ ٢٠ أي: كثيرًا فلا يُنفقون. وفي قراءة بالفَوقانيّة، في الأفعال الأربعة.

٤- ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ لهم عن ذلك، ﴿**إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ ٢١: زُلزِلَتْ حتّى ينهدم كُلّ بناء عليها وينعدم، ﴿**وجاءَ رَبُّكَ**﴾ أي: أمرُه ﴿**والمَلَكُ**﴾ أي: الملائكة ﴿**صَفًّا صَفًّا**﴾ ٢٢: حالٌ أي: مُصطفّين أو ذوي صُفوف كثيرة، ﴿**وجِيءَ يَومَئذٍ بِجَهَنَّمَ**﴾ تُقاد بسبعينَ ألفَ زِمام، كُلُّ زِمام بأيدي سبعينَ ألفَ ملَك، لها زفير وتغيّظ، ﴿**يَومَئذٍ**﴾: بدلٌ من «إذا»، وجوابُها: ﴿**يَتَذَكَّرُ الإنسانُ**﴾ أي: الكافر ما فرّط فيه - ﴿**وأنّى لَهُ الذِّكرَى**﴾ ٢٣؟ استفهام بمعنى النفي، أي: لا ينفعه تذكره ذلك - ﴿**يَقُولُ**﴾ مع تذكّره: ﴿**يا**﴾: للتنبيه ﴿**لَيتَني قَدَّمتُ**﴾ الخير والإيمان ﴿**لِحَياتي**﴾ ٢٤ الطيّبة في الآخرةِ، أو وقتِ حياتي في الدنيا.

---

(١) الفجر: انكشاف ظلمة الليل بضوء الصبح. والليالي: جمع ليلة. وعشر ذي الحجة أي: العشر الأوائل من ذلك الشهر. والزوج: الاثنان المتقابلان من جنس واحد، كالخير والشر، والذكر والأنثى. وبكسرها يريد القراءة «والوِترِ». والفرد هو الله لتفرده بالألوهية. ويسر: يسري، وحذفت الياء للتخفيف، يجيء ويذهب. وذو الحجر: صاحبه يتدبر به ويستدل على الحقائق. (٢) فعلَ: أنزل العذاب المستأصِل. وعاد: قوم النبي هود من العرب البائدة، بلادهم بين عُمان وحضرموت. وإرم: جدّ عاد وثمود والعرب جميعًا. انظر «المفصل». وعطف بيان: للتوضيح والتوكيد والتهويل. ومنع الصرف: لم يكن فيه جر وتنوين. وذراع أي: بذراع العاديّ نفسه. ومثل هذا الزعم أقوال كثيرة من الإسرائيليات، وأوصاف أسطورية عن عاد وثمود، فيها التناقض والهذيان. انظر مقدمة ابن خلدون وتفسير ابن كثير ٤:٥٠٨ - ٥٠٩. ويخلق: يوجد. والبلاد: جمع بلد. وثمود: قبيلة النبي صالح من العرب العاربة. ووادي القرى: بين المدينة والشام. والأوتاد: جمع وَتِد. والفساد: الإيذاء للخلق. وصب: قذف. والسوط أي: أنواع التعذيب. فالريح المهلكة لعاد، والصيحة المدمرة لثمود، والبحر المغرق لفرعون. والمرصاد: طريق الترقب والانتظار. يعني أن الله يسمع ويرى ويعلم كل شيء. (٣) سبب النزول في المفصل. واختبره أي: لتظهر حقيقة نفسه عِيانًا. وأكرمه: أحسن إليه. ونعّمه: جعله متنعمًا. ويقول أي: تبجحًا أو تأففًا. وأكرمن: فضّلني لِما أستحقه. وحذفت الياء في الموضعين للتخفيف. والرزق: ما ييسّر للمخلوق من حاجاته. وأهانن: أذلّني بغير ما أستحقه. واليتيم: الطفل فقد أباه. ويحض: يحث. والمسكين: الفقير المحتاج. ويأكله: يحوزه لنفسه. والتراث: ما يورث. ويحب: يفضل. والمال: ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. وبالفوقانية يريد القراءة «لاتُكرِمُونَ» و«لاتَحُضُّونَ» و«تأكُلُونَ» و«تُحِبُّونَ». (٤) جاء ربك: ظهر للمؤمنين كما يليق بجلاله وعظمته، وليس ذلك بمجيء نقلة. البحر ٨:٤٧١. يعني: جاء لفصل القضاء بسلطانه وانفراده والتدبير، دون أن يجعل لأحد شيئًا من ذلك. وجاء أمره أي: حصل تجليه على الخلائق، وظهر سلطان أمره للعيان. وهو تأويل للمعنى لا تفسير. والصف: الاصطفاف. وجيء بها: أُظهرت ليراها الناس. ويتذكر: يستحضر في ذهنه. وأنى يعني: من أين؟ والذكرى: التذكر. أي: مُحال استحقاقه منفعةَ التذكر. وقدمت: كسبت فيما مضى.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَد — ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْس — ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

١- ﴿فيومَئذٍ لا يُعذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عذابَهُ﴾ أي: الله ﴿أحدٌ﴾ ٢٥ أي: لا يَكِلُه إلى غيره، ﴿و﴾ كذا ﴿لا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثاقَهُ أحدٌ﴾ ٢٦. وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير «عذابَه» «ووثاقَه» للكافر، والمعنى: لا يُعذَّب أحدٌ مِثلَ تعذيبه، ولا يُوثَق مثل إيثاقه. ﴿يا أيَّتُها النَّفسُ المُطمئِنَّةُ﴾ ٢٧ الآمنةُ - وهي المُؤمنة - ﴿ارجِعِي إلَى رَبِّكِ﴾ - يقال لها ذلك عند الموت - أي: ارجعي إلى أمره وإرادته، ﴿راضِيةً﴾ بالثواب، ﴿مَرضِيَّةً﴾ ٢٨ عِند الله بعملك، أي: جامعةً بين الوصفين - وهما حالان - ويقال لها في القِيامة: ﴿فادخُلِي في﴾ جُملة ﴿عِبادِي﴾ ٢٩ الصالحين، ﴿وادخُلِي جَنّتِي﴾ ٣٠ معهم.

ربع الحزب ٦٠

سورة البَلَد

مكية، عشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿لا﴾: زائدةٌ ﴿أُقسِمُ بِهٰذا البَلَدِ﴾ ١ مكّة، ﴿وأنتَ﴾ - يا مُحمّد - ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿بِهٰذا البَلَدِ﴾ ٢ بأن يَحِلَّ لك فتُقاتِلَ فيه - وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح. فالجملة اعتراض بين المُقسَم به وما عطف عليه - ﴿ووالِدٍ﴾ أي: آدمَ ﴿وما وَلَدَ﴾ ٣ أي: ذُرّيّته - وما: بمعنى: مَن - ﴿لَقد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ أي: الجِنسَ ﴿في كَبَدٍ﴾ ٤: نصَبٍ وشِدّة، يُكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

٣- ﴿أيَحسِبُ﴾ أي: أيظنّ الإنسانُ قويُّ قُريشٍ - وهو أبو الأشُدَّين كَلَدةُ - بقوّته ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لن يَقدِرَ عليهِ أحَدٌ﴾ ٥ - واللهُ قادر عليه - ﴿يَقُولُ: أهلَكتُ﴾ على عداوة مُحمّد ﴿مالًا لُبَدًا﴾ ٦: كثيرًا، بعضَه على بعض؟ ﴿أيَحسِبُ أنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَم يَرَهُ أحَدٌ﴾ ٧ فيما أنفقه، فيعلمَ قدره؟ واللهُ عالم بقدره، وأنه ليس ممّا يُتكثَّر به، ومُجازيه على فِعله السيّئ. ﴿ألَم نَجعَل﴾ - استفهامُ تقرير - أي: جعلنا ﴿لَهُ عَينَينِ﴾ ٨، ﴿ولِسانًا وشَفَتَينِ﴾ ٩، ﴿وهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾ ١٠؟ بيّنّا له طريقَي الخير والشرّ.

٤- ﴿فلا﴾: فهلّا ﴿اقتَحَمَ العَقَبةَ﴾ ١١: جازَها - ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما العَقَبةُ﴾ ١٢ التي يقتحمها؟ تعظيمٌ لشأنها، والجملة اعتراض - وبيَّنَ سبب جوازها بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبةٍ﴾ ١٣ من الرِّقّ بأن أعتقها، ﴿أو أطعَمَ في يَومٍ ذِي مَسغَبةٍ﴾ ١٤: مجاعةٍ ﴿يَتِيمًا ذا مَقرَبةٍ﴾ ١٥: قرابة، ﴿أو مِسكِينًا ذا مَترَبةٍ﴾ ١٦ أي: لُصوقٍ بالتراب لفقره - وفي قِراءةٍ بدلَ الفعلين مصدرانِ مرفوعان مُضافٌ الأوّلُ لرقبة، ومُنوّنٌ الثاني. فيُقدَّر قبل «العقبةُ»: «اقتحامُ». والقِراءة المذكورة بيانه - ﴿ثُمَّ كانَ﴾: عطفٌ على «اقتحم»، وثمّ: للترتيب الذِّكريّ، والمعنى: كان وقتَ الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَواصَوا﴾ أي: وصّى بعضُهم بعضًا ﴿بالصَّبرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية، ﴿وتَواصَوا بالمَرحَمةِ﴾ ١٧: بالرحمة على الخلق. ﴿أُولٰئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصحابُ المَيمَنةِ﴾ ١٨: اليمين، ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُم أصحابُ المَشأمةِ﴾ ١٩: الشِّمال، ﴿عليهِم نارٌ مُؤصَدةٌ﴾ ٢٠، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطْبَقة.

سورة الشمس

مكية، خمسَ عشْرةَ آيةً.

---

(١) يعذِّب: يحكم في أمر عقابه. ويوثِق: يقضي بالشَّدّ والتقييد. والوَثاق: الربط بالسلاسل والأغلال. وبفتح الذال والثاء أي: في الفعلين كما ذكر بعد. والنفس: الإنسان. وارجعي: توجهي إلى لقاء وعده. ويقال أي: تقول الملائكة. وأمره: ما أعدّ من الكرامة. وراضية: قابلة سعيدة. ومرضية: مقبولة مقرَّبة مكرمة. وادخلي: انضمي. والعباد: جمع عبد. وادخليها: صيري فيها. والجنة: دار النعيم. (٢) زائدة أي: للمبالغة في توكيد القسم. والبلد: المدينة العامرة. وحِلّ: مُقيم ومُحِلّ. والوالد: من يكون منه ولادة، خلق رباني عظيم. وبمعنى من أي: هي موصولة. والأولى أن «ما» حرف مصدري. فالمراد هو الولادة، أمر عظيم الدلالة على الألوهية. وخلقنا: أنشأنا. (٣) الأشد: أربعون سنة. وكَلَدة: ابن أسيد الجُمحي، كان غلّابًا لكل من صارعه. ويقدر عليه: يستطيع عقابه. وأهلكت: أنفقت. واللبد: جمع لُبْدة. وهي ما كثر فاجتمع وتلبد. ويتكثر به: يفتخر بكثرته ويذكر للمكابرة. ونجعل: نخلق. والتقرير: التثبيت. وهديناه: أرشدناه وأوضحنا له. والنجد: الطريق الواضح. أي: جعلناهما واضحين، وخلقنا له الإرادة ليختار مقاصده، فكان أن فضّل الشر ليَضل ويُضل غيره. (٤) لا: للتحضيض. وهذا من معانيها النادرة. والعقبة: الطريق الصعب. وجازها: تجاوزها. وسبب جوازها: العمل الذي يسبب مجاوزتها. وفكّ: خلّص أو أعان على الخلاص. والرقبة: العنق، أي: صاحبها الإنسان. وفي الصاوي: «فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ». وذي مسغبة: يوم يجوع فيه الناس للقحط. واليتيم: الطفل فقد أباه. والمسكين: الفقير المحتاج. وأراد بالقراءة الثانية ما ذكرنا عن الصاوي. وبيانه: يعني أن القراءة الثانية بيان لما ذكر من تقدير في القراءة الأولى. والصبر: التجلد. والمراد بالصفات: ما في الآيات ١١-١٧. والأصحاب: جمع صاحب. واليمين: اليد اليمنى. وكفر بها: كذّبها وأنكرها. والآية: النص القرآني والدليل البرهاني القاطع. والشمال: اليد اليسرى. وعليهم: فوقهم وتحيط بهم. وبدله أي: بدل الهمز. يريد القراءة «مُوصَدةٌ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ — آياتها ٢١ — ترتيبها ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**والشَّمسِ وضُحاها**﴾ ١: ضوئها، ﴿**والقَمَرِ إذا تَلاها**﴾ ٢: تبعها طالعًا عند غُروبها، ﴿**والنَّهارِ إذا جَلّاها**﴾ ٣ بارتفاعه، ﴿**واللَّيلِ إذا يَغشاها**﴾ ٤: يُغطّيها بظُلمته - «وإذا» في الثلاثة لمُجرّد الظرفيّة، والعامل فيها فِعل القسم - ﴿**والسَّماءِ وما بَناها ٥، والأرضِ وما طَحاها**﴾ ٦: بسَطَها، ﴿**ونَفْسٍ**﴾ بمعنَى: نُفوس ﴿**وما سَوّاها**﴾ ٧ في الخِلقة - «وما» في الثلاثة: مصدريّة أو بمعنى: مَن - ﴿**فألهَمَها فُجورَها وتَقْواها**﴾ ٨: بيَّنَ لها طريقَي الخير والشرّ - وأُخّر التقوى رِعايةً لرؤوس الآي - وجوابُ القسم: ﴿**قَد أفلَحَ**﴾، حُذفتْ منه اللام لطُول الكلام، ﴿**مَن زَكّاها**﴾ ٩: طهّرها من الذنوب، ﴿**وقَد خابَ**﴾: خسر ﴿**مَن دَسّاها**﴾ ١٠: أخفاها بالمعصية. وأصله «دَسَّسَها» أُبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا.

٢- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ**﴾ رسولَها صالحًا، ﴿**بِطَغواها**﴾ ١١: بسبب طُغيانها، ﴿**إذِ انبَعَثَ**﴾: أسرع ﴿**أشقاها**﴾ ١٢ واسمُه قُدارٌ إلى عقر الناقة برِضاهم، ﴿**فقالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ**﴾ صالحٌ: ﴿**ناقَةَ اللهِ**﴾ أي: ذَرُوها ﴿**وسُقياها**﴾ ١٣: وشِربَها في يومها. وكان لها يوم ولهم يوم. ﴿**فكَذَّبُوهُ**﴾ في قولِه ذلك عن الله، المُرتّبِ عليه نُزولُ العذاب بهم، إن خالفوه، ﴿**فعَقَرُوها**﴾: قتلوها ليسلم لهم ماء شِربها، ﴿**فدَمدَمَ**﴾: أطبق ﴿**علَيهِم رَبُّهُم**﴾ العذابَ ﴿**بِذَنبِهِم، فسَوّاها**﴾ ١٤ أي: الدمدمةَ عليهم، أي: عَمَّهم بها فلم يُفلِتْ منهم أحد، ﴿**ولا**﴾ - بالواو والفاء - ﴿**يَخافُ**﴾ تعالى ﴿**عُقباها**﴾ ١٥: تبِعَتها.

سورة والليل

مكية، وهي إحدى وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**واللَّيلِ إذا يَغشَى**﴾ ١ بظُلمته كُلّ ما بين السماء والأرض، ﴿**والنَّهارِ إذا تَجَلَّى**﴾ ٢: تكشّفَ وظهر - «وإذا» في الموضعين لمُجرّد الظرفيّة، والعاملُ فيها فعل القسم - ﴿**وما**﴾ بمعنى: مَن أو مصدريّة ﴿**خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثَى**﴾ ٣ آدمَ وحواءَ أو كُلَّ ذكر وكُلَّ أُنثى - والخُنثى المُشكِلُ عِندنا: ذكرٌ أو أُنثى عِند الله تعالى. فيحنَثُ بتكليمه من حلف لا يُكلّم ذكرًا ولا أُنثى - ﴿**إنَّ سَعيَكُم**﴾: عملكم ﴿**لَشَتَّى**﴾ ٤: مُختلِفٌ، فعامل للجنّة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. ﴿**فأمّا مَن أعطَى**﴾ حقَّ الله - تعالى - ﴿**واتَّقَى**﴾ ٥ اللهَ، ﴿**وصَدَّقَ بِالحُسنَى**﴾ ٦ أي: بـ «لا إلَه إلّا الله» في الموضعين، ﴿**فسَنُيَسِّرُهُ**﴾: نهيّئه ﴿**لِليُسرَى**﴾ ٧: للجنّة، ﴿**وأمّا مَن بَخِلَ**﴾ بحقّ الله، ﴿**واستَغنَى**﴾ ٨ عن ثوابه، ﴿**وكَذَّبَ بِالحُسنَى ٩، فسَنُيَسِّرُهُ**﴾: نُهيّئه ﴿**لِلعُسرَى**﴾ ١٠: للنار، ﴿**وما**﴾: نافية ﴿**يُغني عَنهُ مالُهُ، إذا تَرَدَّى**﴾ ١١ في النار. ﴿**إنَّ عَلَينا لَلهُدَى**﴾ ١٢: لَتَبيينَ طريقِ الهُدى من طريق الضلال، ليُمتثل أمرُنا بسُلوك الأوّل ونهيُنا عن ارتكاب الثاني، ﴿**وإنَّ لَنا لَلآخِرَةَ والأُولَى**﴾ ١٣ أي: الدنيا. فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

٤- ﴿**فأنذَرتُكُم**﴾: خوّفتكم، يا أهلَ مكّةَ، ﴿**نارًا تَلَظَّى**﴾ ١٤ - بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقُرئ بثبوتها - أي: تتوقّدُ ﴿**لا يَصلاها**﴾: يدخلُها ﴿**إلّا الأشقَى**﴾ ١٥ بمعنى: الشقيّ، ﴿**الَّذي كَذَّبَ**﴾ النبيَّ ﴿**وتَوَلَّى**﴾ ١٦ عن الإيمان. وهذا الحصر مُؤوّل، لقوله تعالى: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشاءُ». فيكون المراد الصُّلِيَّ المُؤبّد. ﴿**وسَيُجَنَّبُها**﴾: يُبعَدُ عنها ﴿**الأتقَى**﴾ ١٧ بمعنَى: التقيّ، ﴿**الَّذي يُؤتي مالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ ١٨: مُتزكّيًا به عِند الله تعالى،

---

(١) عند غروبها أي: في منتصف الشهر. وجلاها: أظهر ضوءها. ولمجرد الظرفية يعني: ليست شرطية. وبناها: رفعها مشيدة بلا عمد. وبسطها: مهدها لتيسير الحياة مع أنها كروية، فلم تكن محدبة مقعرة ولا رجراجة مهلهلة يتعذر العيش فيها. والنفس: الإنسان. وسواها: عدّل تكوينها أعضاءً وقوى وإرادة، في أحسن تقويم. وفي الثلاثة أي: فيما مضى من الآيات ٥-٧. والمصدرية أولى، لأن القسم هو بعجائب الخلق والتكوين. وألهمها: أوضح لها بالأدلة والبراهين. والفجور: الفساد. والتقوى: الصلاح. ورؤوس الآيات: لفظ أواخرها. وأفلح: فاز بالخير. وأخفاها: أخمد صلاحيتها للخير. ودسّسها: انظر «المفصل». (٢) كذبته: نسبته إلى الكذب. وثمود: قبيلة من العرب البائدة، كانت في وادي القرى. والطغيان: مجاوزة حد الحق. وأشقاها: أكثرها ضلالًا. والظاهر أن القبيلة هي التي كلفته بذلك. وناقة الله: التي جعلها آية. وذروها: لاتتعرضوا لها بمنع أو أذى. وشربها: نصيبها من الماء. والعذاب: الاستئصال. والذنب: المعصية عليها عقاب. وبالفاء يريد القراءة «فلا يَخافُ». والتقدير: فسواها إذ لايخشى عقباها. (٣) سبب النزول في المفصل. وانظر الآيات ١-٧ من سورة الشمس. وخلق: أوجد من العدم. والخنثى: الإنسان استوت فيه مظاهر الذكورة والأنوثة. وذكر أو أنثى: يعني أنه غير خارج عن أحدهما. والشتى: جمع شَتيت، أي: متفرق. وأعطى: أنفق وبذل. واتقاه: اجتنب محارمه ولزم طاعته. وصدق بها: أيقن بصحتها. والحسنى: التي تفوق كل حسن. و«لا إله إلّا الله» يعني عبارة التوحيد. وفي الموضعين أي: في الآيتين ٦ و٩. ونهيئه أي: لما يناسب اختياره واستعداده. وبخل: أمسك. واستغنى عنه: ترفع عن طلبه. وكذّب بها: أنكرها. والعسرى: التي تفوق كل عسير. ويغني: يدفع. والمال: ما يملك من متاع وزينة. وتردّى: سقط. وعلينا أي: موكول إلينا. والهدى: الإرشاد بالوحي والأدلة. ويمتثل: يطاع. ولنا أي: خلقًا وملكًا وتعبدًا. والآخرة: يوم القيامة. (٤) بثبوتها يريد القراءة «تَتَلَظَّى».=

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

بأن يُخرجه لله تعالى لا رِياءً ولا سُمعةً، فيكون زاكيًا عند الله تعالى - وهذا نزلَ في الصِّدّيق، رضي الله عنه، لمّا اشترى بِلالًا المُعذَّب على إيمانه وأعتقه، فقال الكُفّار: إنما فعل ذلك لِيدٍ كانت له عنده. فنزل -: ﴿**وما لِأحَدٍ عِندَهُ مِن نِعْمَةٍ تُجزَى**﴾ ١٩. ﴿**إلّا**﴾: لكن فعلَ ذلك ﴿**ابتغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأعلَى**﴾ ٢٠ أي: طلبَ ثوابِ الله. ﴿**ولَسَوفَ يَرضَى**﴾ ٢١ بما يُعطَى من الثواب، في الجنّة. والآية تشمل مَن فعل مِثل فِعله، فيُبعَدُ عن النار ويُثاب.

سورة والضُّحى

مكية، إحدى عشرةَ آيةً.

١- ولمّا نزلتْ كبَّر ﷺ آخِرَها، فسُنَّ التكبيرُ آخِرَها، ورُوِي الأمرُ به خاتمتَها، وخاتمةَ كُلِّ سورة بعدها. وهو «الله أكبر»، أو «لا إلَه إلّا الله والله أكبر».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**والضُّحَى**﴾ ١ أي: أوّلِ النهار أو كُلِّه، ﴿**واللّيلِ إذا سَجا**﴾ ٢: غطّى بظلامه أو سكنَ، ﴿**ما وَدَّعَكَ**﴾: تركك - يا مُحمّد - ﴿**رَبُّكَ وما قَلَى**﴾ ٣: أبغضَك - نزل هذا لمّا قال الكُفّار، عِند تأخّر الوحي عنه خمسةَ عشرَ يومًا: إنّ ربّه ودَّعه وقلاه - ﴿**ولَلآخِرةُ خَيرٌ لَكَ**﴾ لِما فيها من الكرامات لك ﴿**مِنَ الأُولَى**﴾ ٤ الدنيا، ﴿**ولَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ**﴾ في الآخرة، من الخيرات عطاءً جزيلًا، ﴿**فتَرضَى**﴾ ٥ به. فقال ﷺ: «إذن لا أرضَى وواحِدٌ مِن أُمّتي في النّارِ». إلى هنا تمّ جواب القسم بمُثبتَين بعد منفيَّين.

نصف الحزب ٦٠

٣- ﴿**أَلم يَجِدْكَ**﴾ - استفهامُ تقرير - أي: وجدك ﴿**يَتِيمًا**﴾ بفقد أبيك، قبل وِلادتك أو بعدها، ﴿**فآوَى**﴾ ٦ بأن ضمّك إلى عمِّك أبي طالب، ﴿**ووَجَدَكَ ضَالًّا**﴾ عمّا أنت عليه الآن من الشريعة، ﴿**فهَدَى**﴾ ٧ أي: هداك إليها، ﴿**ووَجَدَكَ عائِلًا**﴾: فقيرًا، ﴿**فأغنَى**﴾ ٨: أغناك بما قنّعك به من الغنيمة وغيرها؟ وفي الحديث: «لَيسَ الغِنَى عَن كَثرةِ العَرَضِ، ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

٤- ﴿**فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقهَرْ**﴾ ٩ بأخذ ماله أو غير ذلك، ﴿**وأمّا السّائِلَ فلا تَنهَرْ**﴾ ١٠: تزجُره لفقره، ﴿**وأمّا بِنِعمةِ رَبِّكَ**﴾ عليك بالنبوّة وغيرها ﴿**فحَدِّثْ**﴾ ١١: أخبِرْ. وحُذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رِعاية للفواصل.

سورة ألم نشرح

مكية، ثمانُ آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٥- ﴿**ألَم نَشرَحْ**﴾ - استفهام تقرير - أي: شَرَحنا ﴿**لَكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**صَدرَكَ**﴾ ١ بالنبوّة وغيرها، ﴿**ووَضَعْنا**﴾: حَطَطنا ﴿**عنكَ وِزرَكَ**﴾ ٢، ﴿**الّذِي أنقَضَ**﴾: أثقل ﴿**ظَهرَكَ**﴾ ٣ - وهذا كقوله تعالى: «لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ» - ﴿**ورَفَعْنا لَكَ ذِكرَكَ**﴾ ٤ بأن تُذكر مع ذكري، في الأذان والإقامة والتشهّد والخُطبة وغيرها؟

٦- ﴿**فإنَّ مَعَ العُسْرِ**﴾: الشِّدّةِ ﴿**يُسْرًا**﴾ ٥: سُهولةً، ﴿**إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**﴾ ٦. والنبيّ ﷺ قاسَى من الكُفّار شِدّة، ثمّ حصل له اليُسر بنصره عليهم. ﴿**فإذا**

=وكذّب: أنكر. وتولى: أعرض. ومؤول: مصروف عن ظاهره، فلا ينفي دخول الفاسق النار. ولقوله أي: في الآيتين ٤٨ و١١٦من سورة النساء. يعني أن غير الكافرين لايخلدون في النار. ويؤتيه: ينفقه. ويتزكى: يطلب الصلاح والرضا. وهذا أي: مافي الآيتين ١٧ و١٨. واليد: المعروف. ونزل يعني: الآيات ١٩-٢١. والحكم عامّ لكل من دخل في الصفات المذكورة، كما سيذكر المحلي في تفسير الآية ٢١. والنعمة: الفضل. وتجزى: تكافأ. ووجه الله: صفة من صفاته - تعالى - وصف بها نفسه، كما يليق بجلاله وعظمته، من دون تمثيل أو تقريب أو تشبيه أو تعطيل. ويرضى: يقبل ويسعد. **(١)** تأخر الوحي فقالت أمّ قبيح زوجة أبي لهبٍ ساخرة من النبي: «أبطأ عليه شيطانه»، فنزلت هذه السورة بشارة وتأنيسًا. وسُنّ التكبيرُ: صار سُنّة. ورواية الأمر بالتكبير آخرَ السورة وأواخرَ ما بعدها هي في المستدرك ٣:٣٠٤. **(٢)** سكن: هدأ ما فيه. وخير: أكثر فضلًا. ويعطيك: ييسر لك في الدنيا والآخرة. انظر «المفصل». وترضى: تقبل وتسعد. وما نسبه المحلي إلى النبي ﷺ هنا هو من اختلاق رجالات الحشوية ، لإشاعة الفاحشة والمنكرات. فالنبي ﷺ يرضى بما يرضى به الله. تفسير القاسمي ص ٦١٨٣. والمثبتان: أن الآخرة خير، والعطاء لِما يُرضي. **(٣)** التقرير: التحقيق. ويجد: يعلم. وضالًّا: غافلًا عن الشريعة. وهدى: أرشد بالوحي والإلهام. وأغنى: هيأ ما يكفي. وذكر الغنيمة بشارة بما سيكون من نصر. والحديث: الأحاديث ٦٠٨١ في البخاري و١٠٥١ في مسلم و٢٣٧٤ في الترمذي. والعرض: المال. **(٤)** اليتيم: الطفل مات أبوه. وتقهر: تمنع من الحق. والسائل: طالب العون. والنعمة: الإنعام بالخير. وأخبرْ: ذكّر نفسك وأعلم الآخرين بالنعم، وأظهرها بتبليغ الناس والبذل للجميع. وحذف الضمير في الآيات ٣ و٦-٨. والفواصل أي: لفظ أواخر الآيات. **(٥)** نشرحه: نوسعه لتقبل الرسالة والدعوة. والتقرير: التحقيق. وحططنا: أزلنا. والوزر: الحِمل الثقيل، أي: ما كان من ترك الأفضل. وأثقل ظهرك: أهمك وكاد يحطم ظهرك. و«قوله» في الآية ٢ من سورة الفتح. ورفعناه: جعلناه عظيمًا بين الخلق. والذكر: ترداد الاسم والتعظيم. والإقامة: إقامة الصلاة. **(٦)** سبب النزول في=

فَرَغتَ﴾ من الصلاة ﴿فانصَبْ﴾ ٧: اتعبْ في الدُّعاء، ﴿وإلَى رَبِّكَ فارغَبْ﴾ ٨: تضرّعْ.

سورة والتِّين

مكية أو مدنية، ثمانُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿والتِّينِ والزَّيتُونِ﴾ ١ أي: المأكولَينِ، أو جبلَينِ بالشام يُنبتان المأكولَينِ، ﴿وطُورِ سِينِينَ﴾ ٢: الجبلِ الذي كلّم الله تعالى موسى عليه - ومعنى سينين: المبارك أو الحَسَن بالأشجار المُثمرة - ﴿وهٰذا البَلَدِ الأمِينِ﴾ ٣: مكّةَ لأمنِ الناس فيها جاهليّة وإسلامًا، ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ الجِنس ﴿في أحسَنِ تَقوِيمٍ﴾ ٤: تعديل لصورته، ﴿ثُمَّ رَدَدْناهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أسفَلَ سافِلِينَ﴾ ٥: كنايةً عن الهرم والضعف. فينقص عمل المُؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره، لقوله تعالى: ﴿إلّا﴾ أي: لكنّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾ ٦: مقطوع. وفي الحديث: «إذا بَلَغَ المُؤمِنُ، مِنَ الكِبَرِ، ما يَعجِزُ عَنِ العَمَلِ كُتِبَ لَهُ ما كانَ يَعمَلُ».

٢- ﴿فما يُكَذِّبُكَ﴾ - أيها الكافر - ﴿بَعدُ﴾: بعدَ ما ذُكر، من خلقِ الإنسان في أحسن صُورة، ثمّ ردِّه إلى أرذل العُمر، الدالِّ على القُدرة على البعث، ﴿بِالدِّينِ﴾ ٧: بالجزاء المسبوق بالبعث والحِساب؟ أي: ما يجعلك مُكذّبًا بذلك، ولا جاعل له؟ ﴿ألَيسَ اللهُ بِأحكَمِ الحاكِمِينَ﴾ ٨؟ أي: هو أقضى القاضين، وحُكمه بالجزاء من ذلك. وفي الحديث: «مَن قَرأَ والتِّينِ إلى آخِرِها فلْيَقُلْ: بَلَى، وأنا علَى ذٰلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ».

سجدة
لغير مالك

الجزء الثلاثون — سورة التين

سُورَةُ التِّينِ — ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ — ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سورة اقرأ

٣- مكية، تسعَ عشْرةَ آيةً. صدرُها إلى «ما لم يعلم» أوّلُ ما نزل من القرآن، وذلك بغارِ حِراءٍ. رواه البخاري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- ﴿اقرَأْ﴾: أَوجِدِ القِراءة مُبتدئًا ﴿بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ الخلائقَ، ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ الجِنس ﴿مِن عَلَقٍ﴾ ٢: جمع عَلَقة، وهي القِطعة اليسيرة من الدم الغليظ، ﴿اقرَأْ﴾: تأكيدٌ للأوّل، ﴿ورَبُّكَ الأكرَمُ﴾ ٣ الذي لا يُوازيه كريم، حالٌ من الضمير في «اقرأ»، ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخطّ ﴿بِالقَلَمِ﴾ ٤ - وأوّل من خطّ به إدريسُ، عليه السلام - ﴿عَلَّمَ الإنسانَ﴾ الجِنس ﴿ما لَم يَعلَمْ﴾ ٥ قبل تعليمه، من الهُدى والكِتابة والصِّناعة وغيرها. ﴿كَلّا﴾: حقًا، ﴿إنَّ الإنسانَ لَيَطغَى﴾ ٦، ﴿أن رآهُ﴾ أي: نفسَه ﴿استَغنَى﴾ ٧ بالمال. نزلَ في أبي جهل. ورأى: عِلميّةٌ. واستغنى: مفعول ثان. وأن رآه: مفعول له. ﴿إنَّ إلَى رَبِّكَ﴾ - يا إنسان - ﴿الرُّجعَى﴾ ٨: الرجوعَ - تخويفٌ له - فيُجازي الطاغيَ بما يستحقّه.

٥- ﴿أرَأيتَ﴾ - في مواضعها الثلاثة للتعجّب - ﴿الَّذِي يَنهَى﴾ ٩ هو أبو جهل ﴿عَبدًا﴾ هو النبيّ ﷺ، ﴿إذا صَلَّى﴾ ١٠؟ ﴿أرَأيتَ إن كانَ﴾ المنهيُّ ﴿علَى الهُدَى﴾ ١١، ﴿أو﴾: للتقسيم ﴿أمَرَ بِالتَّقوَى﴾ ١٢؟ ﴿أرَأيتَ إن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبيَّ، ﴿وتَوَلَّى﴾ ١٣ عن الإيمان؟ ﴿ألَم يَعلَمْ بِأنَّ اللهَ يَرَى﴾ ١٤ ما صدر منه؟ أي: يعلمُه فيُجازيه عليه. أي: اعجبْ منه - يا مُخاطب - من حيثُ نهيُه عن الصلاة، ومن حيثُ إنّ المنهيَّ على الهُدى آمرٌ بالتقوى، ومن حيثُ إنّ الناهيَ مُكذِّب مُتولٍّ عن الإيمان. ﴿كَلّا﴾: ردعٌ له، ﴿لَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿لَم يَنتَهِ﴾ عمّا هو عليه من الكُفر،

=المفصل. ومع: للمصاحبة الزمانية، إذ اليسر يجاري العسر في الزمان دائمًا، وغالبًا ما تنفرج الشدائد مفاجئة. وكثيرًا ما يتحقق أن العسر هو يسر كما في الآية ١٩ من سورة النساء. وهذا لايمنع أن مع اليسر عسرًا أيضًا، أو يكون ما يُظن يسرًا هو بلاء كما في الآية ٢١٦ من سورة البقرة. وفرغت: انتهت أعمالك. وإليه ارغب: دم على جعل رغبتك وسؤالك له وحده. وتضرع: دم على التذلل والابتهال. **(١)** التين: فاكهة وغذاء ودواء. والزيتون: منه الزيت غذاء وشفاء. والمأكولين: اللذين يؤكلان. وجبلين: جبل دمشق، وجبل بيت المقدس. وسينين: مفرده سِين أي: الكثير الخير والنعمة. والبلد: المدينة العامرة. والأمين: يطمئن من فيه. وخلق: أوجد من العدم. وأحسن أي: في التكوين والعقل والإرادة والاختيار والنُّطق. ورددناه: جعلناه. وأسفل: أضعف في الهيئة والقدرات. وعمل: اكتسب. والصالح: ما حسّنه الشرع. والأجر: المكافأة. ويعجز: يضعف. والحديث: انظر «المفصل». **(٢)** يكذبك به: يجعلك تنكره. والدالّ: صفة لـ «ما». ولاجاعل له: يعني أن التكذيب لاداعي له. والحديث هو ذو الرقم ٣٣٤٤ في الترمذي ضعيف السند. انظر الكشاف ٤:٤٤٧ وتفسيرالقاسمي ص ٦٢٠٤ والدر المنثور ٦:٣٦٧. **(٣)** صدرها: أولها. وغار حراء: كهف في جبل حراء بمكة. والبخاري يعني: في الأحاديث ٣ و٤٦٧٠ و٤٦٧٢-٤٦٧٤ و٥٦٨١ منه. **(٤)** أوجد القراءة: أحدثها حافظًا عن ظهر قلب. وخلق: أوجد. والأكرم: الأبلغ في كل خير وكمال. وعلمه: خلق فيه ملَكة التعلم والاكتساب للخبرات. والخط: الكتابة. وفي نسبته انظر الفهرست ص ٧. ويطغى: يتجاوز الحق. واستغنى: زهد في الإيمان. وعلمية أي: معنى «رأى»: علمَ. وإلى ربك: إلى وعيده. والرجوع: المصير بالبعث. **(٥)** أرأيت: أخبرني. وينهى: يمنع. والهدى: الرشد إلى الحق. وأمر: نصح. والتقوى: تجنبُ غضب الله وطلبُ رضاه. وتولى: امتنع. ويعلم: يدرك يقينًا. وينتهي: يمتنع. والناصية: شَعر مقدم الرأس. والخاطئة: التي تتعمد الإجرام. ويدعوه: يطلب نصرته. وكان قال يعني: أن الآيات نزلت ردًا على أبي جهل. وانتهره: زجرالنبيُّ أبا جهل. والجرد: جمع أجرد. وهو القصير الشَّعر. والمرد: جمع أمرد. وهو الشاب ظهر شاربه.=

سُورَةُ القَدْرِ (ترتيبها ٩٧) (آياتها ٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ (ترتيبها ٩٨) (آياتها ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

﴿**لَنسفَعَنْ بِالنّاصِيةِ**﴾ ١٥ : لنَجُرَّنْ بناصيته إلى النار، ﴿**ناصِيةٍ**﴾ : بدلُ نكرة من معرفة، ﴿**كاذِبةٍ خاطِئةٍ**﴾ ١٦ . وصفُها بذلك مَجاز، والمُراد صاحبها. ﴿**فلْيَدْعُ نادِيَهُ**﴾ ١٧ أي: أهلَ ناديه. وهو المجلس يُنتدَى: يَتحدّث فيه القوم. وكان قال للنبيّ ﷺ، لمّا انتهره، حيثُ نهاه عن الصلاة: لقد علمتَ: ما بها رجل أكثرُ ناديًا منّي. لأملأنَّ عليك هذا الوادي، إن شئتُ، خيلًا جُردًا ورِجالًا مُردًا. ﴿**سَندعُ الزّبانِيةَ**﴾ ١٨ : الملائكة الغِلاظ الشِّداد لإهلاكه. في الحديث «لَو دَعا نادِيَهُ لأخَذَتْهُ الزَّبانِيةُ عِيانًا». ﴿**كلّا**﴾ : ردعٌ له، ﴿**لا تُطِعْهُ**﴾ - يا مُحمّد - في ترك الصلاة، ﴿**واسجُدْ**﴾ : صلِّ لله، ﴿**واقتَرِبْ**﴾ ١٩ منه بطاعته.

سورة القَدْر مكية أو مدنية، خمسُ أو ستُّ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿**إنّا أنزَلْناهُ**﴾ أي: القُرآن جُملة واحِدة، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ﴿**في لَيلةِ القَدْرِ**﴾ ١أي: الشرف والعِظَم، ﴿**وما أدراكَ**﴾ : أعلمَكَ، يا مُحمّد: ﴿**ما لَيلَةُ القَدْرِ**﴾ ٢؟ تعظيمٌ لشأنها وتعجيب منه. ﴿**لَيلةُ القَدْرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهرٍ**﴾ ٣ ليس فيها ليلة القدر. فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. ﴿**تَنزَّلُ المَلائكةُ**﴾ - بحذف إحدى التاءين من الأصل - ﴿**والرُّوحُ**﴾ أي: جِبريلُ ﴿**فِيها**﴾ : في الليلة ﴿**بإذنِ رَبِّهِم**﴾ : بأمره ﴿**مِن كُلِّ أمرٍ**﴾ ٤ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابلٍ. ومن: سببيّة بمعنى الباء. ﴿**سَلامٌ هِيَ**﴾ : خبرٌ مُقدّم ومُبتدأ، ﴿**حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ**﴾ ٥ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طُلوعه. جُعلت سلامًا لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمرّ بمُؤمن ولا مُؤمنة إلّا سلمتْ عليه.

سورة لم يكن مكية أو مدنية، ثمانُ أو تسعُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**لَم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن**﴾ - للبيان - ﴿**أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ**﴾ أي: عَبَدةِ الأصنام، عطفٌ على «أهل»، ﴿**مُنفَكِّينَ**﴾ : خبرُ «يكن» أي: زائلين عمّا هم عليه ﴿**حَتّى تأتِيَهُمُ**﴾ أي: أتتهم ﴿**البَيِّنةُ**﴾ ١ أي: الحُجّة الواضحة، ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللهِ**﴾ : بدلٌ من: البينة - وهو النبيّ محمد - ﴿**يَتلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً**﴾ ٢ من الباطل، ﴿**فِيها كُتُبٌ**﴾ : أحكام مكتوبة ﴿**قَيِّمةٌ**﴾ ٣: مستقيمة، أي: يتلو مضمونَ ذلك - وهو القُرآن - فمنهم من آمن به ومنهم من كفر.

٣- ﴿**وما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾، في الإيمان به ﷺ، ﴿**إلّا مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنةُ**﴾ ٤ أي: هو ﷺ أو القُرآن الجائي به مُعجزةً له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مُجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فحسده مَن كفر به منهم، ﴿**وما أُمِرُوا**﴾ في كتابَيهم التوراة والإنجيل ﴿**إلّا لِيَعبُدُوا اللهَ**﴾ أي: أن يعبدوه - فحُذفت «أن» وزيدت اللام - ﴿**مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ من الشرك، ﴿**حُنَفاءَ**﴾ : مستقيمين على دين إبراهيمَ ودين محمدٍ إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿**ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤتُوا الزَّكاةَ. وذٰلِكَ دِينُ**﴾ المِلّةِ ﴿**القَيِّمةِ**﴾ ٥ المستقيمة.

٤- ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِن أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ، في نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها**﴾ : حالٌ مُقدَّرة، أي: مُقدَّرًا خلودُهم فيها من الله - تعالى -

=وسندع: سندعو، أي: سنجمع. حذفت الواو للتخفيف. والزبانية: مفرده زِبنية. وهم ملائكة العذاب. والحديث المذكور يظهر أنه من قول ابن عباس. انظر الحديث ٣٣٤٦ في الترمذي ومجمع الزوائد ٧:١٣٩. وعيانًا: مواجهة وقتئذ. والصلاة أي: وغيرها. واسجد: دم على الصلاة. واقترب أي: استمر في الطاعة لنا. **(١)** سبب النزول في المفصل. وأنزلناه: أمرنا جبريل بإنزاله كله. وجملة واحدة: كاملًا في دفعة واحدة. واللوح المحفوظ: مخلوق عظيم لا يعرف كنهه إلّا الله، وهو سجل ما كان وما سيكون في الوجود. وليلة القدر: في العشر الأواخر من رمضان. وخير: أكثر بركة. وتنزل: تتنزّل، تهبط أفواجًا. والملائكة: جمع ملَك. والأمر: الشيء المقدّر. وقضاه: أراد إظهاره للملائكة ليكون حصوله في السَّنة التالية. وليس لهذا التفسير ما يؤيده من نص شرعي. والراجح أن المراد هونزولهم لأمور كثيرة من الخير والبركة، كماجاء في ابن كثير ٤:٥٣٣ والآلوسي ٣٠:٣٤٩ و٣٥١ والدر المنثور ٦:٣٧٧. فالأمر هو تبليغ الرسالة والأوامر والأحكام، والقيام بالدعاء للمؤمنين. انظر تفاسير القاسمي ص ٦٢٢٠-٦٢٢١ والرازي ١١:٢٣٥ والقرطبي ٢٠:١٣٣. والسلام: السلامة من الشر بدعاء الملائكة. وبكسرها يريد القراءة «مَطلِعِ». **(٢)** كفروا: تركوا التوحيد. وللبيان: يعني أن «من»: لتبيين «الذين». وأهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. والمشرك: من يجعل مع الله شريكًا. وأتتهم: جاءتهم. ومن الله: بأمر من عند الله. ويتلو: يرتل عن ظهر قلب. والصحف: جمع صحيفة مما في القرآن الكريم. ومطهرة: خالية من كل باطل. والكتب: جمع كتاب. وهو ما يكتب. ومضمون ذلك أي: ما يقرؤه النبي ﷺ هو مضمون الصحف، وهو مثل ما كان في التوراة والإنجيل قبل التبديل. **(٣)** تفرقوا: اختلفوا. وأُوتوه: أنزل على أجدادهم. وجاءتهم: وصلت إليهم. والجائي: الآتي. وأُمر: فُرض عليه. ويعبدوه: يقدسوه وحده. وزيادة اللام لتوكيد المعنى. والمخلص: الموحّد. والدين: العبادة. والحنفاء: جمع حنيف. ويقيم الصلاة: يؤديها كاملة. ويؤتي الزكاة: يسلّمها مستحقيها. والمستقيمة أي: وقد جاء بها القرآن الكريم أيضًا. **(٤)** الذين... المشركين: انظر الآية ١. والخالد: المقيم أبدًا. وشر أي: أكثر=

الجزء الثلاثون — سورة الزلزلة

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

﴿**أُولٰئِكَ هُم شَرُّ البَرِيّةِ**﴾ ٦. ﴿**إنَّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِكَ هُم خَيرُ البَرِيّةِ**﴾ ٧: الخليقة، ﴿**جَزاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدنٍ**﴾: إقامة، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم**﴾ بطاعته، ﴿**ورَضُوا عَنهُ**﴾ بثوابه. ﴿**ذٰلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ ٨: خاف عِقابه، فانتهى عن معصيته.

سورة الزلزلة

مكية أو مدنية، تسع آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿**إذا زُلزِلَتِ الأرضُ**﴾: حُرِّكتْ، لقيام الساعة، ﴿**زِلزالَها**﴾ ١: تحريكَها الشديد المُناسب لعِظَمِها، ﴿**وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها**﴾ ٢: كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها، ﴿**وقالَ الإنسانُ**﴾ أي: الكافر بالبعث: ﴿**ما لَها**﴾ ٣؟ إنكارًا لتلك الحالة، ﴿**يَومَئِذٍ**﴾: بدلٌ من «إذا»، وجوابها: ﴿**تُحَدِّثُ أخبارَها**﴾ ٤: تُخبِرُ بما عُمل عليها من خير وشرّ، ﴿**بِأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**رَبَّكَ أوحَى لَها**﴾ ٥ أي: أمرَها بذلك. في الحديث «تشهَدَ على كُلِّ عَبدٍ أو أمةٍ، بكُلِّ ما عَمِلَ على ظَهرِها».

٢- ﴿**يَومَئِذٍ يَصدُرُ النّاسُ**﴾: ينصرفون من موقف الحِساب، ﴿**أشتاتًا**﴾: مُتفرّقين، فآخذٌ ذاتَ اليمين إلى الجنّة، وآخذٌ ذاتَ الشِّمال إلى النار، ﴿**لِيُرَوا أعمالَهُم**﴾ ٦ أي: جزاءها من الجنّة أو النار. ﴿**فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ**﴾: زِنَةَ نملةٍ صغيرة ﴿**خَيرًا يَرَهُ**﴾ ٧: يرَ ثوابه، ﴿**ومَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ ٨: يرَ جزاءه.

ربع الحزب ٦٠

سورة والعاديات

مكية أو مدنية، إحدى عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**والعادِياتِ**﴾: الخيلِ تعدو في الغزو وتضبح ﴿**ضَبحًا**﴾ ١، هو صوت أجوافها إذا عَدَت، ﴿**فالمُورِياتِ**﴾: الخيلِ تُوري النار ﴿**قَدحًا**﴾ ٢ بحوافرها، إذا سارت في الأرض ذات الحِجارة بالليل، ﴿**فالمُغِيراتِ صُبحًا**﴾ ٣: الخيل تُغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها، ﴿**فأثَرنَ**﴾: هيّجْنَ ﴿**بِهِ**﴾: بمكان عدوهن، أو بذلك الوقت، ﴿**نَقعًا**﴾ ٤ أي: غبارًا بشِدّة حركتهنّ، ﴿**فوَسَطنَ بِهِ**﴾: بالنقع ﴿**جَمعًا**﴾ ٥ من العدوّ، أي: صِرْنَ وسْطَه - وعُطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللّاتي عدَونَ فأورَينَ فأغرْنَ - ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ الكافر ﴿**لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾ ٦: لكَفورٌ يجحد نعمَه - تعالى - ﴿**وإنَّهُ علَى ذٰلِكَ**﴾ أي: كُنوده ﴿**لَشَهِيدٌ**﴾ ٧: يشهد على نفسه بصُنعه، ﴿**وإنَّهُ لِحُبِّ الخَيرِ**﴾ أي: المال ﴿**لَشَدِيدٌ**﴾ ٨ أي: لشديدُ الحبّ له، فيبخل به.

٤- ﴿**أفلا يَعلَمُ، إذا بُعثِرَ**﴾: أُثيرَ وأُخرج ﴿**ما في القُبُورِ**﴾ ٩ من الموتى، أي: بُعثوا، ﴿**وحُصِّلَ**﴾: بُيِّنَ وأُفرزَ ﴿**ما في الصُّدُورِ**﴾ ١٠: القُلوب من الكُفر والإيمان، ﴿**إنَّ رَبَّهُم بِهِم يَومَئِذٍ لَخَبِيرٌ**﴾ ١١: لعالم، فيُجازيهم على كُفرهم؟ أُعيد الضمير جمعًا نظرًا لمعنى الإنسان. وهذه الجُملة دلّت

=فسادًا. وعمل: اكتسب. والصالح: ما حسنه الشرع. وخير أي: أكثر نفعًا. والخليقة: المخلوقات العاقلة. والجزاء: المكافأة. وعند ربهم: في حكمه وقضائه. والجنة: البستان العظيم. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. والأبد: امتداد الزمن. ورضي عنهم: قبل أعمالهم وأكرمهم بفضله. ورضوا عنه: فرحوا واطمأنوا وسعدوا بما تفضل عليهم وأكرمهم. **(١)** حركت أي: حركة عظيمة تدمّر وتفجّر. وأخرجت: قذفت من بطنها. والأثقال: جمع ثِقل. ومالها يعني: أيُّ شيء حاصلٌ لها؟ والمعنى: لماذا حصل كل هذا؟ وإنكارًا أي: وجهلًا بسبب ذلك. والأخبار: جمع خبر. وهو ما يُنقل من الحوادث. وبذلك أي: بالتحديث بأخبارها. وتشهد: تقرّ وتعترف. والحديث من التلخيص، وهو الحديث ٣٣٥٠ في الترمذي والمسند ٢: ٣٧٤، ولفظه «بما عمل». وتشهد: منصوب بـ «أن» ثابتة قبله في الحديث، حذفها المحلي على غير تحقيق. **(٢)** روي أنه لما نزلت الآية ٨ من سورة الإنسان صار بعض المؤمنين يستقل الحسنة اليسيرة ويهملها، وبعض يتهاون بالذنب اليسير ويفعله، ظنًا أن الأجر على الأمور الكبيرة، فنزلت الآيتان ٧ و٨. الواحدي ص ٤٩٧. والناس: البشر. والأشتات: جمع شَتِيت. وآخذ: متوجه. ويُرَوا: يبصَّروا حقيقة. والأعمال: جمع عمل. وهو ما اكتُسب. والزنة: الوزن. والخير: ماحسّنه الشرع. ويرَ ثوابه: ينعم بمكافأته. أما حسنات الذين ماتواعلى الكفر فلا تقبل، وثوابها تلقَّوه في الدنيا. والشر: ما حرّمه الشرع. **(٣)** سبب النزول في المفصل. والعاديات: جمع عادية. والقدح: الصدم. و«عطف الفعل» الصواب أن العطف للجملة كلها. والتقدير: فالمغيراتِ فالمثيراتِ فالواسطاتِ. وذكر الكافر لايمنع عموم الحكم لجنس البشر على التغليب، كما سيرد في الآية ١١. ولربه: لنعم ربه. وبصنعه: بما صنعه. يعني أن آثار أعماله تدل على كفره. والحب للشيء: الرغبة فيه. والشديد: المُطيق المُستطيع. ولَشديد الحب له: يعني أن أصل التركيب في الآية: وإنه لِلخيرِ لَشديدُ حبّ. انظر «المفصل». **(٤)** يعلم: يدرك يقينًا. والقبور:=

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ (ترتيبها ١٠١ - آياتها ١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ (ترتيبها ١٠٢ - آياتها ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

على مفعول «يعلمُ» أي: أنّا نجازيه وقت ما ذُكر. وتعلّق خبير بـ «يومئذ»، وهو - تعالى - خبير دائمًا، لأنه يوم المُجازاة.

سورة القارعة

مكية، إحدى عشْرةَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**القارعةُ**﴾ ١ أي: القِيامةُ التي تقرع القُلوب بأهوالها، ﴿**ما القارِعةُ**﴾؟ ٢ تهويلٌ لشأنها. وهما مُبتدأ وخبرٌ: خبرُ القارعة. ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلمَكَ: ﴿**ما القارِعةُ**﴾؟ ٣ زيادةُ تهويل لها. و«ما» الأُولى: مبتدأ وما بعدها خبره. و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى». ﴿**يومَ**﴾: ناصبُه دلّ عليه «القارعة» أي: تَقرعُ، ﴿**يَكُونُ النّاسُ كالفَراشِ المَبثُوثِ**﴾ ٤: كغَوغاء الجراد المُنتشر، يموج بعضهم في بعض للحَيرة، إلى أن يُدعَوا للحِساب، ﴿**وتكونُ الجِبالُ كالعِهنِ المَنفُوشِ**﴾ ٥: كالصوف المندوف في خِفّة سيرها، حتّى تستوي مع الأرض:

٢- ﴿**فأمّا مَن ثَقُلَتْ موازِينُهُ**﴾ ٦، بأن رَجَحتْ حسناته على سيّئاته، ﴿**فهُوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ**﴾ ٧ في الجنّة، أي: ذاتِ رِضًا بأن يرضاها، أو مَرْضيّةٍ له، ﴿**وأمّا مَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ**﴾ ٨، بأن رَجَحت سيّئاته على حسناته، ﴿**فأُمُّهُ**﴾: فمَسكنُه ﴿**هاوِيةٌ**﴾ ٩. ﴿**وما أدراكَ: ماهِيَهْ**﴾ ١٠ أي: ما هاوية؟ هي ﴿**نارٌ حامِيةٌ**﴾ ١١: شديدة الحرارة. وهاء «هيه» للسكت تثبتُ وصلًا ووقفًا، وفي قِراءةٍ تُحذف وصلًا.

سورة التكاثُر

مكية، ثمانُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**ألهاكُمُ**﴾: شغَلكم عن طاعة الله ﴿**التّكاثُرُ**﴾ ١: التفاخر بالأموال والأولاد والرجال، ﴿**حتّى زُرتُمُ المَقابِرَ**﴾ ٢ بأن متّم فدُفنتم فيها، أو عددتم الموتى تكاثُرًا. ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ، ﴿**سَوفَ تعلَمُونَ**﴾ ٣، ﴿**ثُمَّ كَلّا سَوفَ تعلَمُونَ**﴾ ٤ سُوءَ عاقبةِ تفاخُركم، عِند النزع، ثمّ في القبر. ﴿**كَلّا**﴾: حقًّا، ﴿**لَو تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِينِ**﴾ ٥: عِلمًا يقينًا عاقبةَ التفاخُر ما اشتغلتم به. ﴿**لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ**﴾ ٦: النارَ، جوابُ قسم محذوف - وحُذف منه لام الفعل وعينه وأُلقيَ حركتُها على الراء - ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّها**﴾: تأكيد ﴿**عَينَ اليَقِينِ**﴾ ٧: مصدرٌ، لأن: رأى وعايَنَ، بمعنًى واحد، ﴿**ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ**﴾ - حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين - ﴿**يَومَئِذٍ**﴾: يوم تَروُنَها ﴿**عَنِ النَّعِيمِ**﴾ ٨: ما التُذَّ به في الدنيا، من الصِّحّة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

=جمع قبر. وهو موضع الميت حيث كان، في بر أو بحر أو فضاء. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب لِما فيه من آثار التدبر والنيات، وهي بواعث القول والعمل. والرب: الخالق المالك المتفرد. ويومئذ: يومَ إذْ تبعثر وتحصل. وجمعًا أي: في الجملة الأخيرة، لأن معنى الإنسان جميع البشر كما ذكرنا قبل. وذلك بعد أن عُبِّرَ بالمفرد نظرًا إلى لفظه. ويوم المجازاة: يعني أن تقييد العلم بذلك اليوم ينبئ عن بالغ الإحاطة بظواهر الأعمال وبواطنها، إحاطة موجبة للجزاء. **(١)** التهويل: التعظيم للهول. والتقدير: القارعة أيُّ شيء عظيم هي! وما بعدها: جملة «أدراك». و«ما» التي قبلها: استفهامية لطلب التعيين أيضًا تفيد النفي. يعني: أنت لا تعلم هول القارعة وفظاعتها، على سبيل التفصيل، وإنما تعلم بعض ذلك بالوحي. واليوم: الوقت. ويكون: يصير. والناس: البشر. والفراش: واحدته فراشة. والغوغاء: فراش صغير نبت شعره، فهو ضعيف طيّاش متهافت متراكب. والجبال: جمع جبل. **(٢)** ثقلت: كثرت فكانت عظيمة القدر. والموازين: جمع مَوزون. وهو العمل الذي له قيمة عند الله. والعيشة: الحياة يوم القيامة بالروح والجسد. ورضا: سرور وسعادة. يعني أن راضية: للدلالة على النسب مبالغة في ثبوت الرضا أبدًا. ومَرْضيّة له أي: يحبها صاحبها ويسعد فيها، لايمل منها ولايسأمها. يعني أن راضية: بمعنى اسم المفعول للمبالغة أيضًا. وخفت: قلت وضعف قدرها فشالت في الميزان. وهاوية: منزلة من منازل جهنم. وما أدراك: انظر الآية ٣. وللسكت أي: أن الهاء التي بعد الياء اتصلت بالضمير «هي» لإظهار حركة الياء في الوقف. انظر الآيات ١٩ و٢٠ و٢٥ و٢٦ و٢٨ و٢٩ من سورة الحاقة. وتحذف وصلًا يعني: وتثبتُ في الوقف أيضًا. **(٣)** التفاخر: التباهي والتعاظم. وزرتم المقابر: انتقلتم إليها. والمقابر: جمع مَقبَرة. وعددتم الموتى: يعني ما روي من أن السورة نزلت، في توبيخ بني عبد مناف وبني سهم، اختصموا فتفاخر كل منهم بالسيادة، وتغلَّبَ بنو عبد مناف. ثم رجعوا إلى موتاهم في المقابر، يعدون أشرافهم فتغلّبَ بنو سهم. الواحدي ص ٤٩٧. والردع أي: ليس الفضل كما توهمتم. فدعوا ماأنتم عليه، والزموا الإيمان والطاعة. وتعلم: تعرف معرفة اليقين. والنزع: خروج الروح من الجسد. واليقين: أرفع مراتب العلم. وتأكيد: يعني أن «لترونها»: توكيد لفظي للجملة قبله. ومصدر أي: أن «عين»: مفعول مطلق. والأَولى أن يكون «عين» بمعنى النفس، والتقدير: رؤيةً عينَ اليقين، أي: اليقينَ عينَه. وفي هذا التقديم مبالغة في التحقيق، إذ الرؤية التي هي سبب لليقين صارت نفس اليقين. وتُسأل عن النعيم: تطالب بحق ما تمتعت به، أي: ما يجب من إيمان وطاعة وحمد.

الجزء الثلاثون | سورة العصر

سُورَةُ العَصْرِ (ترتيبها ١٠٣) (آياتها ٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ (ترتيبها ١٠٤) (آياتها ٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ (ترتيبها ١٠٥) (آياتها ٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة والعصر

مكية أو مدنية، ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**والعَصْرِ**﴾ ١: الدهر، أو ما بعد الزوال إلى الغروب، أو صلاةِ العصر، ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ الجنس ﴿**لَفِي خُسرٍ**﴾ ٢ في تِجارته، ﴿**إلّا الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾، فليسوا في خُسران، ﴿**وتَواصَوا**﴾: أوصى بعضهم بعضًا ﴿**بالحَقِّ**﴾ أي: الإيمان، ﴿**وتَواصَوا بالصَّبرِ**﴾ ٣ على الطاعة وعن المعصية.

سورة الهُمَزة

مكية أو مدنية، تسع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**ويلٌ**﴾: كلمةُ عذاب، أو وادٍ في جهنّم، ﴿**لِكُلِّ هُمَزةٍ لُمَزةٍ**﴾ ١ أي: كثير الهَمْز واللَّمْز، أي: الغِيبةِ - نزلتْ فيمن كان يغتاب النبيّ والمؤمنين، كأُميّة بن خلف والوليد ابن المُغيرة وغيرهما - ﴿**الَّذي جَمَعَ**﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿**مالًا وعَدَّدَهُ**﴾ ٢: أحصاه، وجعله عُدّة لحوادث الدهر، ﴿**يَحسِبُ**﴾ لجهله ﴿**أنَّ مالَهُ أخلَدَهُ**﴾ ٣: جعلَه خالدًا لا يموت. ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ، ﴿**لَيُنبَذَنَّ**﴾: جوابُ قسم محذوف، أي: ليُطرَحَنَّ ﴿**في الحُطَمَةِ**﴾ ٤ التي تَحطِم كُلّ ما أُلقي فيها. ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلَمكَ: ﴿**ما الحُطَمَةُ**﴾؟ ٥ ﴿**نارُ اللهِ المُوقَدةُ**﴾ ٦: المُسعَّرة، ﴿**الَّتي تَطَّلِعُ**﴾: تُشرِف ﴿**على الأفئِدةِ**﴾ ٧: القُلوب فتُحرقها، وألمُها أشدّ من ألم غيرها للطفها. ﴿**إنَّها عليهِم**﴾ - جُمِعَ الضميرُ رِعايةً لمعنى «كُلّ» - ﴿**مُؤصَدةٌ**﴾ ٨ بالهمز وبالواو بدلَه: مُطبَقَةٌ، ﴿**في عُمُدٍ**﴾ بضمّ الحرفين وبفتحهما ﴿**مُمَدَّدةٍ**﴾ ٩: صفةٌ لما قبله. فتكون النار داخلَ العُمُد.

سورة الفِيل

مكية، خمس آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣- ﴿**ألَم تَرَ**﴾: استفهامُ تعجيب، أي: اعجبْ: ﴿**كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحابِ الفِيلِ**﴾ ١؟ هو محمودٌ. وأصحابه أبرهةُ ملك اليمن وجيشُه، بنى بصنعاءَ كنيسة، ليصرف إليها الحاجَّ عن مكّة، فأحدث رجل من كِنانة فيها، ولطخ قِبلتها بالعَذِرة احتقارًا بها، فحلف أبرهةُ ليَهدِمَنَّ الكعبة، فجاء مكّةَ بجيشه على أفيال، مُقدَّمُها محمود.

٤- فحين توجّهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قَصَّه في قوله: ﴿**ألَم يَجعَلْ**﴾ أي: جَعَلَ ﴿**كَيدَهُم**﴾، في هدم الكعبة، ﴿**في تَضليلٍ**﴾ ٢: خسار وهلاك، ﴿**وأرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أبابِيلَ**﴾ ٣: جماعاتٍ جماعات - قيل: لا واحد له كأساطيرَ. وقيل: واحده: إبّول أو إبّال أو إبّيل، كعِجَّول ومِفتاح وسِكّين - ﴿**ترمِيهِم بِحِجارةٍ مِن سِجِّيلٍ**﴾ ٤: طين مطبوخ، ﴿**فجَعَلَهُم كَعَصفٍ مأكُولٍ**﴾ ٥: كورقِ زرع أكلته الدوابّ وداسته وأفنته؟ أي: أهلكهم الله - تعالى - كُلّ واحد بحجره المكتوبِ عليه اسمُه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحِمّصة، يخرق البيضة والرَّجُل والفيل، ويصل إلى الأرض. وكان هذا عامَ مولدِ النبيّ ﷺ.

---

(١) الجنس أي: أن المراد بالإنسان هنا كل إنسان. والخسر: تضييع مايُملك أو يُنتظر. وإنما ذُكرت التجارة لبيان معنى الخسران، فيما يُنتج يوم القيامة من مساعي الدنيا، إذ أكثر المؤمنين مقصّرون، وجميع الكافرين جاحدون. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب. والصالح: ماحسنه الشرع من نية أو قول أو فعل. وعملُ الصالحات: يعني الامتثال بطاعة الأمر والنهي. وأوصاه: قدم إليه ما يلزم العمل به عظة أو نصحًا. والحق: الأمر الثابت، لا زوال لمحاسنه في الدنيا والآخرة. والصبر: الثبات وتلقي أمر الله بالرضا ظاهرًا وباطنًا. (٢) كلمة عذاب أي: للدعاء. والغِيبة: أن تذكر غيرك بما يكره، وإن لم يكن من العيب. ونزلت أي: السورة. وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة من مشركي مكة. وجمعه: حصّله. وبالتشديد يريد القراءة «جَمَّعَ». والمال: ما يُملك. ويحسب: يظن. والخالد: من يبقى أبدًا. ويطرح: يلقى بعنف. والحطمة: اسم لنار جهنم. وما أدراك: انظر الآية ٢ من سورة القدر. والمسعرة: المهيَّجة. وتشرف: تشتمل. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. وبدله أي: بدل الهمز. يريد القراءة «مُوْصَدةٌ». والعُمُد: جمع عِماد، ما تُسدّ به الأبواب. وبفتحتهما يريد القراءة «عَمَدٍ»: واحده عِماد. والممددة: المطوّلة. (٣) الظاهر أن الفيل واحد، وقد ذُكر في العدد أقوال متكاذبة لا يعتمد عليها. البحر ٨:٥١٢. وترى: تعلم. والتعجيب: دعوة المخاطب إلى التعجب، لِما في الخبر من أحداث خفية الأسباب، معجزة للعقول. وفعل: أوقع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وإضافته إلى ضمير النبي ﷺ تشريف وتبشير بالنصر. والأصحاب: جمع صاحب. والفيل: حيوان معروف بخرطومه وضخامته. ومحمود: يعني أن هذا هو اسم الفيل. وأبرهة لقبه الأشرم، سيد نصراني من الحبشة، صار ملكًا على اليمن بأمر النجاشي. وأحدث أي: تغوّط. والعَذِرة: قذر التغوط. ومقدمها: في مقدمتها. (٤) جعل: تفسير لـ «ألم يجعل»، لأن معناه التحقيق. والكيد: السعي بالشر. وأرسل: بعث. والطير: واحده طائر. والعِجَّول: ولد البقرة. وترمي: تقذف. والحجارة: جمع حجر. والمطبوخ: المحرّق ليتصلب. وجعلهم: صيّرهم. والعصف: واحدته عصفة.=

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة قُرَيش

مكية أو مدنية، أربع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿**لإيلافِ قُرَيشٍ** ١، **إيلافِهِم**﴾: تأكيدٌ - وهو مصدر: آلَفَ بالمدّ - ﴿**رِحلةَ الشِّتاءِ**﴾ إلى اليمن، ﴿**و**﴾ رحلة ﴿**الصَّيفِ**﴾ ٢ إلى الشام في كُلّ عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على الإقامة بمكّة، لخِدمة البيت الذي هو فخرهم - وهم ولد النضر بن كِنانة - ﴿**فلْيَعبُدوا**﴾، تعلّق به «لإيلاف» والفاء: زائدة، ﴿**رَبَّ هٰذا البَيتِ** ٣، **الَّذي أطعَمَهُم مِن جُوعٍ**﴾ أي: من أجله، ﴿**وآمَنَهُم مِن خَوفٍ**﴾ ٤ أي: من أجله. وكان يُصيبهم الجوع لعَدم الزرع بمكّة، وخافوا جيش الفيل.

سورة الماعون

مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها، ستُّ أو سبعُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿**أرَأيتَ الَّذي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ**﴾ ١: الجزاء والحِساب؟ أي: هل عرفته؟ إن لم تعرفه ﴿**فذٰلِكَ**﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿**الَّذي يَدُعُّ اليَتيمَ**﴾ ٢ أي: يدفعه بعُنف عن حقّه، ﴿**ولا يَحُضُّ**﴾ نفسَه ولا غيره ﴿**على طَعامِ المِسكِينِ**﴾ ٣ أي: إطعامه. نزلتْ في العاص ابن وائل أو الوليد بن المُغيرة.

٣- ﴿**فوَيلٌ لِلمُصَلِّينَ** ٤ **الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهُونَ**﴾ ٥: غافلون يُؤخّرونها عن وقتها، ﴿**الَّذينَ هُم يُراؤُونَ**﴾ ٦ في الصلاة وغيرها، ﴿**ويَمنَعُونَ الماعُونَ**﴾ ٧ كالإبرة والفأس والقِدر والقَصعة.

سورة الكَوثر

مكية أو مدنية، ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٤- ﴿**إنّا أعطَيناكَ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**الكَوثَرَ**﴾ ١ هو نهر في الجنّة، هو حوضه تَرِدُ عليه أُمّتهُ. أو الكوثر: الخير الكثير، من النبوّة والقُرآن والشفاعة ونحوها. ﴿**فصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ صلاةَ عِيد النحر ﴿**وانحَرْ**﴾ ٢ نُسكَكَ. ﴿**إنَّ شانِئَكَ**﴾: أي: مُبغِضَك ﴿**هُوَ الأبتَرُ**﴾ ٣: المُنقطع عن كُلّ خير، أو المُنقطع العقب. نزلت في العاص بن وائل، سمَّى النبيَّ ﷺ أبترَ، عند موت ابنه القاسم.

=ومكتوب عليه اسمه أي: مخصص له، ألهم الطائر رميه به. وهذا القول هو من الغيبيات التي تحتاج إلى دليل موثق. والبيضة: بيضة الحديد يضعها المحارب على رأسه. وقد أطال القصاصون والإخباريون تفصيلات هذا الحدث العظيم، وأقحموا فيها كثيرًا من الأوهام الخرافية، بلا سند معتبر. **(١)** الإيلاف: التعويد. وتأكيد أي: توكيد لفظي. والرحلة: السفر والانتقال. والشتاء: الفصل بين الخريف والربيع. والصيف: بين الربيع والخريف. والإقامة: الاستيطان. والنضر لقبه قريش، قرّشَ قبيلته في مكة، أي: جمعها بعد أن كانت متفرقة. ويعبد: يقدس ويطيع. وتعلق به: يعني أن اللام: معناه السببية، يبين منن الله ، أي: ما يترتب عليه الأمر بالعبادة مع توحيده وطاعته. وزيادة الفاء هي لتوكيد تعلق الفعل بما قبله. والإشارة بـ «هذا» هي للتعظيم والتفخيم. والبيت: الكعبة المشرفة. وأطعمهم: يسّر لهم محصول مختلِف البلاد والخيرات بعد القحط. ومن أجله أي: لأجل إزالته ومنعه. وآمنهم: جعلهم مطمئنين سالمين. والخوف: الفزع من الخطر في البلاد المختلفة، كالغزو والكوارث. **(٢)** رأيت: عرفت. ويكذب به: ينكره ويجحده. و«إن لم تعرفه» هو تقدير شرط لتكون الفاء بعدُ رابطة للجواب. واليتيم: الطفل توفي أبوه. وحقه: ما يلزم من رعايته. ويحض: يشجّع. والمسكين: الفقير المحتاج إلى العون. ونزلت: يعني أن الآيات الثلاث نزلت في مكة، ذمًا لأحد هذين الزعيمين من كفار قريش، وكانا على شدة في الكفر والبخل. الواحدي ص ٥٠٢ ولباب النقول. **(٣)** في لباب النقول أن هذه الآيات نزلت في المنافقين، كانوا يراؤون المسلمين بصَلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعون العاريّة وأمثال ذلك من عمل الخير. والويل: الدعاء بأشد العذاب. والمصلي: المكلَّف بالصلاة. ويؤخرونها أي: ليتركوها ولا يؤدوها. ويرائي: يُري غيره ما يرضيه، فيقابله ذلك بالثناء. ويمنعه: يبخل به. يعني ما يَنتفع به الناس من حاجات بيوتهم، ويجب على مالكه إعارته، وتقديمه إلى من يحتاج إليه. فالمنع لهذا اليسير نهاية في البخل. **(٤)** أعطيناك: قضينا لك. وفي الكوثر ٢٦ قولًا للعلماء. انظر البحر ٥١٩:٨. وما ذكره المحلي عن الكوثر هنا هو الثابت في الحديث الصحيح ذي الرقم ٤٠٠ في مسلم. فالنهر المذكور هو الحوض نفسه. وصل: دم على الصلاة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعيد النحر: عيد الأضحى. وانحر: اضرب منحر الإبل، أي: اذبحها طاعة لنا. والنسك: ما يذبح تقرّبًا إلى الله أُضحية. والعقب: الولد والنسل. والعاصِ بنُ وائل أحد كفار قريش. وتفسير المحلي هنا فيه تلفيق بين قولين: الأول صلاة عيد النحر، تقتضي أن السورة مدنية، لأن صلاة العيدين فرضت في السنة الأولى من الهجرة، أي: في المدينة. والثاني وفاة القاسم، تقتضي أن السورة مكية، لأنه توفي قبل الهجرة. والراجح أن السورة مدنية، كما ذكر النووي في شرح صحيح مسلم، وتعييرُ النبي بالأبتر كان قبلُ، لوفاة ولديه القاسم فعبد الله في مكة، ثم ازداد تردُّده على ألسنة المشركين والمنافقين ويهود لوفاة ولده إبراهيم في المدينة. والآية تعم جميع من عيّره بذلك، ومن أبغضه أو أبغض دعوته أو أمته أو بعض أهله.

الجزء الثلاثون — سورة الكافرون

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

سورة الكافرون مكية أو مدنية، ستّ آيات.

١- نزلتْ لمّا قال رهط من المُشركين للنبيّ ﷺ: تعبد آلهتنا سنةً، ونعبد إلّهك سنةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿**قُلْ: يا أيُّها الكافِرُونَ** ١، **لا أعبُدُ**﴾ في الحال ﴿**ما تَعبُدُونَ**﴾ ٢ من الأصنام، ﴿**ولا أنتُم عابِدُونَ**﴾ في الحال ﴿**ما أعبُدُ**﴾ ٣ - وهو الله تعالى وحده - ﴿**ولا أنا عابِدٌ**﴾ في الاستقبال ﴿**ما عَبَدتُم** ٤، **ولا أنتُم عابِدُونَ**﴾ في الاستقبال ﴿**ما أعبُدُ**﴾ ٥. علمَ اللهُ منهم أنهم لا يُؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على جهة المُقابلة. ﴿**لَكُم دِينُكُم**﴾ الشِّرك، ﴿**ولِي دِينِ**﴾ ٦ الإسلامُ. وهذا قبل أن يُؤمر بالحرب. وحَذفَ ياءَ الإضافةِ السبعةُ وقفًا ووصلًا، وأثبتَها يعقوب في الحالينِ.

سورة النصر مدنية، ثلاث آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- ﴿**إذا جاءَ نَصرُ اللهِ**﴾ نبيَّه ﷺ على أعدائه ﴿**والفَتحُ**﴾ ١: فتح مكّة، ﴿**ورأيتَ النّاسَ يَدخُلُونَ في دِينِ اللهِ**﴾ أي: الإسلام ﴿**أفواجًا**﴾ ٢: جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد بعد واحد - وذلك بعد فتح مكّة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين - ﴿**فسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ**﴾ أي: مُلتبسًا بحمده ﴿**واستَغفِرْهُ. إنَّهُ كانَ تَوّابًا**﴾ ٣. كان ﷺ بعد نُزول هذه السورة يُكثر من قول: «سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِهِ، أستَغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيهِ»، وعَلِمَ بها أنه قد اقترب أجله. وكان فتح مكّةَ في رمضانَ سنةَ ثمانٍ، وتوفِّي ﷺ في ربيعِ الأولِ سنةَ عشرٍ.

سورة تَبَّتْ مكية، خمس آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤- لمّا دعا ﷺ قومَه، وقال: «إنِّي نَذيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذابٍ شَديدٍ»، فقال عمّه أبو لهبٍ: «تبًّا لكَ. ألهذا دعوتَنا»؟ نزلَ: ﴿**تَبَّتْ**﴾: خَسِرَتْ ﴿**يَدا أبِي لَهَبٍ**﴾ أي: جُملتُه. وعُبِّر عنها باليدين مجازًا، لأنّ أكثر الأفعال تُزاوَلُ بهما، وهذه الجملة دُعاء. ﴿**وتَبَّ**﴾ ١: خَسِرَ هو. وهذه الجملة خبرٌ، كقولهم: أهلكه الله. وقد هَلَكَ.

٥- ولمّا خوَّفه النبيّ بالعذاب، فقال: «إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإنّي أفتدي منه بمالي وولدي»، نزلَ: ﴿**ما أغنَى عَنهُ مالُهُ وما كَسَبَ**﴾ ٢: وكَسْبُه، أي: ولدُه. «وأغنى» بمعنى: يُغني. ﴿**سَيَصلَى نارًا ذاتَ لَهَبٍ**﴾ ٣ أي: تلهّب وتوقّد - فهي مآل تكنيته لتلهّب وجهه إشراقًا وحُمرة - ﴿**وامرأتُهُ**﴾: عطفٌ على ضمير «يصلى»، سوّغه الفصل بالمفعول وصفتِه، وهي أُمّ جميلٍ ﴿**حَمّالةُ**﴾ - بالرفع - ﴿**الحَطَبِ**﴾ ٤: الشوكِ والسَّعدانِ، تُلقيه في طريق النبيّ ﷺ، ﴿**في جِيدِها**﴾: عُنقها ﴿**حَبلٌ مِن مَسَدٍ**﴾ ٥ أي: ليفٍ. وهذه الجملة حال من «حمّالة الحطب» الذي هو نعتٌ لـ «امرأته»، أو خبرُ مُبتدأ مُقدّر.

---

(١) لما طلب كفارقريش ما ذكر هنا قال لهم: «مَعاذَ اللهِ أن أُشرِكَ بِهِ غَيرَهُ»! ونزلت هذه السورة. الواحدي ص ٥٠٥. والرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة. (٢) الأمر بـ «قل» يعنيَ أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون، وتكراره قبل وبعدُ يفيد المبالغة في التوكيد. والكافرون: الذين كذّبوا الله ورسوله وأنكروا التوحيد والبعث والرسالة. وأعبد: أُقدّسُ. وفي الحال: ساعة الخطاب. وفي الاستقبال: بعد ذلك. وإطلاق ما أي: في الآيتين ٣ و٥ من دون «مَن» الخاصة بالعاقل. والمقابلة: المشاكلة اللفظية للمعبود في الآيتين ٢ و٤. و«هذا»: يعني أن حكم المُتارَكة في الآية ٦ منسوخ بآيات الجهاد في سورة التوبة. وحذف ياء الإضافة يعني: من «دينِ» تخفيفًا، لمناسبة الفواصل في رؤوس الآيات. والسبعة أي: القُرّاء السبعة. ويعقوب: ابن إسحاق الحضرمي أحد القراء العشرة. وفي الحالين: حالتَي الوقف والوصل من القراءة. (٣) جاء: حصل. والنصر: العون للتغلب والسيادة. والناس: البشر من العرب. ويدخلونه: يعتنقونه. والأفواج: جمع فوج. وسبح: أكثر تنزيه الله. والحمد: الثناء بالجميل على التفضل بالنعم. وملتبسًا به: مصاحبه حين التسبيح. واستغفره: أكثر طلب العفو منه. وكان أي: ولايزال دون قيد زماني. والتواب: الكثير القبول للتوبة. وقول النبي ﷺ هنا هو من الحديث ٢٢٠ في كتاب الصلاة من مسلم والمسند ٦:٣٥. (٤) دعا قومه: ناداهم ليجتمعوا. ولما أقرّوا أنهم ما علموا منه غير الصدق دعاهم، وكان من أبي لهب ما كان. والنذير: المهدّد لمن عصى. وبين يديه: قبل وقوعه. انظر الآية ٤٦ من سورة سبأ. وأبو لهب: عبد العُزَّى بن عبد المطلب. وجملته أي: كله. ونزل يعني: الآية ١. وتبّ: خسر نفسه وما يؤمل. وخبر أي: خبرية تُحقّق ما قبلها من الدعاء. (٥) أفتدي: أنقذ نفسي. ومالُه: ما ورثه عن آبائه. وكسب: حصّل وأنجب. ويصلاها: يحترق بها. ومآل تكنيته: يعني أن «ذات لهب» تحقيق لمعنى: أبي لهب، إذ يلازم اللهبَ على الحقيقة. وأم جميل: أَروَى بنتُ حربٍ أختُ أبي سفيان لقبها العوراء. وقد أصبحت كنيتها: أمّ قبيح، وماتت مخنوقة بالحبل الذي تحتطب به. انظر فتح الباري ٨:٩٥٨. وحمالة: كثيرة الحمل والنقل. والسعدان: نبات كثير الشوك. والجملة أي: ما في الآية ٥. ومقدر: يعني أن التقدير: هي حمالة الحطب.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الإخلاص مكية أو مدنية، أربعُ أو خمسُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- سُئل النبيّ ﷺ عن ربّه، فنزل: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ١. فاللهُ: خبرُ «هو»، وأحد: بدلٌ منه أو خبرٌ ثانٍ. ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ ٢: مُبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام، ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾ لانتفاء مُجانسته، ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾ ٣ لانتفاء الحُدوث عنه، ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ ٤ أي: مُكافئًا ومُماثلًا. فله: مُتعلّق بـ «كفوًا»، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها رِعاية للفاصلة.

سورة الفلق مكية أو مدنية، خمس آيات.

٢- نزلت هذه السورة والتي بعدها، لمّا سَحَرَ لبيدٌ اليهوديُّ النبيَّ ﷺ، في وَتَرٍ به إحدى عشرةَ عُقدةً، فأعلمه الله بذلك وبمحلّه، فأُحضر بين يديه ﷺ، وأُمر بالتعوّذ بالسورتين، فكان كُلّما قرأ آية منها انحلّتْ عُقدة ووجدَ خِفّة، حتّى انحلّتِ العُقد كُلّها، وقام كأنما نُشِطَ من عِقال.

---

(١) قال الكافرون: يا محمد، صف لنا ربك وانسبه. فنزلت هذه السورة. الحديثان ٣٣٦١ و٣٣٦٢ في الترمذي. وهو: أي: ما سألتم عنه. وأحد: متفرد بذاته وصفاته وأفعاله. وبدل: يعني أن «أحد»: بدل من لفظ الجلالة للبيان والتوكيد. ولم يلد: ليس له ولد ولن يكون أبدًا. ولانتفاء مجانسته أي: لتفرده وعدم مجانسةٍ كائن له. ولم يولد: ليس له والد ولا والدة. ولانتفاء الحدوث أي: لوجوب الوجود والقِدمَ المطلق وسبق العدم. ولم يكن أي: ولن يكون أبدًا. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «كفوًا». وأحد أي: موجود أو ممكن وجوده. والفاصلة: لفظ آخر الآية. (٢) الوتر: الحبل يُشد على القوس. وبمحله: بموضع الوتر. وكأنما نشط من عقال: كأنه أُطلق من قيد. ووردت هذه القصة في كتب الأحاديث المشهورة، بخلافٍ كثير لبعض التفصيلات، دون ذكر عدد العُقد وكيفية حلها وسبب النزول، لأن هذا الذكر من زيادات المفسرين والقصاصين، وليس له سند علمي موثق. أحكام القرآن ص ١٩٩٦. ويَرِدُ على هذه القصة ما يلي:

١) أن السورة على قول الجمهور هي من أوائل السور المكية: جمال القرّاء ص ٤٢-٤٤ والبرهان ١:١٩٣-١٩٤والإتقان ١:١٨-٢١ وتفاسير البغوي ٤:٥٤٦-٥٤٧ والكشاف ٤:٨٢٠ والقرطبي ٢٠:٢٥١ والبحر ٨:٥٢٩ وأبي السعود ٩:٢١٤ وفتح القدير ٥:٧٥٥ والقاسمي ص ٦٣٠٤ وفي ظلال القرآن ٨:٧٠٧-٧١٠ وصفوة التفاسير ٣:٦٢٣ وأيسر التفاسير ٢:٨٠٧. وجعلُها مدنية هو أحد قولَي ابن عباس وبعض المفسرين، بناء على قصة السحر المذكورة بعد. انظر الإتقان ١:٢٧. والأول هو الراجح. ولذلك كثيرًا ما يُكتفى بوصف هذه السورة أنها مكية، أو يضاف إليه أنها مدنية بعبارة تضعيف وتمريض، أي: وقيل مدنية. وقد صحت روايات كثيرة، جاء فيها تلاوة هذه السورة قبل السَّنة التي حددها رواة القصة المذكورة، أي: قبل سنة سبع من الهجرة. انظر الدر المنثور ٦:٤١٦-٤١٧ وفتح الباري ١٠:٢٧٨.

٢) أن ما روي في القصة هو من الأحاديث المرفوعة الفعليّة عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وهي لم تكن قبل الهجرة على صلة بمثل هذه الأمور، ولم يرد لفظ السحر على لسان النبي ﷺ في تلك الروايات، وإنما كان دائمًا من لفظ الرواة، ولم يُذكر في المشهور منها سبب نزول السورة أيضًا، وإنما كانت القصة وحدها في ذلك. انظر الأحاديث ٥٤٣٠ و٥٤٣٢ و٥٤٣٣ و٥٧١٦ و٦٠٢٨ في البخاري و٢١٨٩ في مسلم. ومن تلك الأحاديث ما هو مرفوع فِعليّ أيضًا عن زيد بن أرقم، وهو قبل الهجرة طفل صغير. المسند ٤:٣٦٧ وسنن النسائي ٧:١١٣ والمستدرك ٤:٣٦٠-٣٦١ والدر المنثور ٦:٤١٧-٤١٨ والإصابة ٢:٥٩٠ والخزانة ١:٣٦٣.

٣) أن الخلاف في الروايات لهذا الموضوع كثير جدًا. فلبيد المذكور هو: رجل من بني زُريق الأنصاريين، أو من اليهود، أومسلم منافق ومغمور بعيد عن حياة النبي ﷺ، أو خادم له. والذي أعلمَ النبيَّ ﷺ بالوتر، كما في الروايات، هو: جبريل، أو رجلان، أو ملكان، أو جبريل وميكائيل، في حوار بين كل من الاثنين منهم لا بإعلام مباشر للنبي ﷺ. ثم إن الوتر في بعض الروايات لم يُخرج من البئر بل دفنت البئر لدفع الفتن، وفي بعض آخر أنه أخرجه الإمام عليّ وحلّل العُقد، وفي ثالث أنه أخرجه علي وعمار وهو وعاء الطلع من نخلة فيه عُقد، وفي رابع أنه ذهب بعض الصحابة وأخرجه، وفي خامس أن النبي ﷺ ذهب مع أصحابه إلى البئر ونظروا إليها ولم يخرجوه، وفي سادس أنه نزل أمامهم رجل واستخرجه وفيه مشط النبي ﷺ وتمثال له من شمع مغروز بإبر أو فيه عُقد، وفي سابع أن جبريل أمر بنزح البئر وإخراج التمثال وإحراقه. ثم ترد زيادات الإخباريين بكيفية الإخراج والحل للعُقد وانحلال السحر، في حديث ضعيف عن ابن عباس. فتح الباري ١٠:٢٧٧-٢٨٤ وعمدة القاري ١٧: ٤٢٠-٤٢٦ والدر المنثور ٦:٤١٦-٤١٨.

٤) أن مجمل هذه الروايات ليس من المتواتر، بل أحاديث آحاد لايؤخذ بها في أصول الاعتقاد والغيبيات، ولا يأثم من تركها كما قال الإمام ابن تيمية وآخرون. انظر تفسير القاسمي ص ٦٣٠٨-٦٣٠٩. ثم إنّ هذه الروايات تخالف أيضًا أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، وتناقضُ نفيَ القرآن الكريم عن النبي ﷺ أنه مسحور، وتناقض تكذيبَه المشركين فيما زعموه من هذا الإفك، وإن حاول بعض العلماء تسويغها بما هو غير كاف من الاستدلال. فالأولى أن تستبعد أمثال هذه الروايات عند بحث الأمور الغيبية. في ظلال القرآن ٨:٧١٠.

٥) أنه ذهب بعض الشافعية والحنفية والظاهرية، وطائفة من العلماء والمعتزلة، إلى أن السحر تخييل وإيهام لاحقيقة له، ومُحال حدوثه في الواقع المحقق. وإنما يكون تأثيره بالخداع والإيهام ممن يمارسه في ضعاف النفوس، أو بإطعام أحد أو سقيه شيئًا ضارًا، أو مباشرته بفعل يؤذيه حقًا، فيظن السفهاء أن ذلك=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١: الصبح، ﴿مِن شَرِّ ما خَلَقَ﴾ ٢ من حيوانٍ مُكلّف وغير مُكلّف، وجمادٍ كالسمّ وغير ذلك، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ٣ أي: الليلِ إذا أظلم أو القمرِ إذا غاب، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾: السواحر تنفثُ ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ ٤ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير رِيق - وقال الزمخشري: معه - كبناتِ لبيدِ المذكور، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥: أظهرَ حسده وعمِلَ بمقتضاه، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذِكرُ الثلاثةِ الشاملِ لها «ما خَلَقَ» بعده لشِدّة شرّها.

سورة الناس مكية أو مدنية، ستّ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢- ﴿قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ١: خالقهم ومالكهم - خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبةً للاستعاذة من شرّ المُوَسوِس في صُدورهم - ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ٢، ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ ٣: بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأُظهر المضافُ إليه فيهما زيادةً للبيان، ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشيطان سُمّي بالحدث لكثرة مُلابسته له، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ ٤ لأنه يخنِس: يتأخّر عن القلب كُلّما ذُكر الله، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ٥: قُلوبهم إذا غفلوا عن ذِكر الله، ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ٦: بيانٌ للشيطان المُوَسوِس أنه جنّيّ وإنسيّ، كقوله تعالى: «شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ»، أو «من الجنة»: بيان له

=بتأثير العقد والنفث من السَّحرة المشعبذين، قاتلهم الله. انظر فتح الباري ١٠:٢٧٣ والفتوحات ٤:٦٠٧ وتفسيرَي الآلوسي ٣٠:٥٠٦ والقاسمي ص ٦٣٠٧ وعمدة القاري ١٧: ٤١٨. وقد ذكر علماء آخرون أن تسلط الجني على عقول الناس وأجسامهم، ولا سيما المخلصين منهم، زعم باطل إذ ليس له إلّا الإغراء والتزيين. انظر تفسير الآيات: ٣٩ و٤٠ و٤٢ من سورة الحجر و٨٢ و٨٣ من سورة ص و٢٢ من سورة إبراهيم و٩٩ من سورة النحل و٣٠ من سورة الصافات والبحر ٥:٤٥٤. ولذلك يكون الإنسان مسؤولًا عن أعماله، وليس له الاحتجاج بخداع الشياطين له.

٦) أنه ذكر القاضي عياض إجماع الأمة على عصمةِ النبي ﷺ من الشيطان وكفايتِه منه، فلايكون له أثر أبدًا لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا في خاطره بالوساوس. وقد صحت في ذلك أحاديث كثيره. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢:١٠٤-١٠٦. وهذا يَرِدُ أيضًا على ما ذهب إليه بعض المفسرين، من أن السحر كان مرضًا في جسده وحده. وهذا لا ينفي أن اليهود حاولوا السحر مرة أو مرارًا - إذ هو دأبهم من عهد هاروت وماروت - ولكن يبيِّن أن النبي ﷺ لم يتأثر بذلك، كما لم يتأثر بغيره من مكايدهم.

ومن مجموع ما ذكرنا، يتبين أن هذه السورة والتي تليها لا صلة لهما أصلًا بما ذكر من سبب النزول، وأن قصة السحر فيها نظر من عدة أوجه، والواجب استبعادها من كتب التفسير، ونزع ما تثيره في نفوس الناس من أوهام وتثبيط، وما تفتح به من أبواب لخداع الدجالين وأباطيلهم، في تضليل المفجوعين المحتاجين إلى عون الله - تعالى - وتوجيه المصلحين، لا إلى الكفر والدجل والابتزاز.

(١) أعوذ: أحتمي وأستعين. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه، فيجلب الخيرات، ويدفع الشرور، ويدبّر الجميع بالحكمة والاقتدار. والشر: الأذى والإفساد. وخلق أي: أوجده وأنشأه. والحيوان: مافيه حياة حقيقية من المخلوقات. والغاسق: ما فيه برودة. وغاب: استتر بالكسوف أو الغروب أو السحب. وفي الليل وغياب القمر تكثر الأهوال والفتن والاعتداءات الخفية. وتفسير النفاثات بالسواحر، أي: جمع ساحرة، قول كثير من المفسرين تبعًا لما ذكر من سبب النزول. وجعل بعضهم المراد بها النساء، لأنها تثبط همم الرجال عن عزائمهم في الخير، أو تفتنهم بإثارة الشهوات الباطلة، أو تكيد بنشر الخلاف والشقاق. ومع هذا فالتعميم هنا أولى ليراد بالنفاثات أيضًا النفوس الخبيثة جميعًا، كرُعاة الأمم والمحتلين لبلاد الغير وسماسرة الشعوب والقيم، المسؤولين عن البلاد وأمور العباد، قد يعقدونها فيوقدون الحروب والخلافات، ويفسدون العقائد والأخلاق والنظم، ويبلبلون الأذواق والميول واللغات، ويثيرون الفتن وينفخون فيما تعقّد منها، بالقول والعمل، ليتسنى لهم الاستبداد والطغيان. وكذلك ولاة بعض الشؤون العامة في كل ميدان، وأرباب المهن والبيوت والتجارة والصناعة والأموال قد يصطادون منها في الماء العكر، فيهمّهم أن تبقى الأمور في عكر دائم، ليتسنى لهم ما يطلبون. والعبرة بعموم اللفظ والحكم، فالمراد هو النفوس الخبيثة في كل مجال. وإنما تكون الاستعاذة من شر السحر أيضًا لأنه من الكبائر مقرون بالشرك وقتل النفس، وحكم فاعله هو القتل كالمرتد، ولأنه يضلل الناس. فمن يصدقه يدخل في الشرك. انظر كتاب الكبائر للحافظ الذهبي ص ١٤-١٦ وعمدة القاري ١٧: ٤١٩ و٤٢٣ وتفسيرَي الرازي ١١:٣٧٤-٣٧٥ والقاسمي ص ٦٣٠٨ والحديثين ٢٦١٥ في البخاري و٨٩ في مسلم. وهذا بلا شك هو غير ما جاز من استعمال الرُّقَى الشرعية. والعُقد: جمع عُقدة. وهي ما يعقد ويوثّق، ليبقى شديدًا يستعصي على الحل. وبشيء أي: مع شيء. وما نسب إلى الزمخشري يعني أن النفث يكون مع الريق لابدونه، وهومصحَّف في الكشاف ٤:٨٢١. وبنات لبيد: ذكر أنهن ساعدنه في عمله. وقيل: بل أخواته هن اللواتي ساعدنه. والخلاف بين الرواة، كما ذكرت، كثير في تلك التفصيلات، يضعف قيمة الخبر كله. والحاسد: من يتمنى زوال النعمة عن غيره. وأظهر حسده أي: بالقول أو بالفعل. وذلك بأن يكيد للمحسود ويوقع به الشر، فيتتبع مساوئه ويطلب عثراته، ويفسد عليه الناس والسعي. فإن لم يظهر حسده بمثل هذا كان وباله عليه، لاغتمامه بنعمة غيره. تفاسير الكشاف ٤:٨٢٢ والقرطبي ٢٠:٢٥٩ والمحرر ٥:٥٣٩ والبحر ٨:٥٣١ وفتح القدير ٥:٧٥٩.

(٢) الناس: البشر. وخصوا أي: من دون المخلوقات، مع أن الله هو رب لجميعها. والموسوس أي: المذكورفي الآية ٤. والملك: المالك الآمر الناهي، والمعز المذل، نافذًا أمره من دون عون أو منازع. والإلٰه: المعبود بحق الجامع لصفات الكمال والجلال كلها. وبدلان: يعني أن «ملك وإلٰه» كل منهما بدل من «رب» للبيان والتوكيد. وعطف البيان يراد به أيضًا التوضيح والتوكيد. وزيادة في البيان أي: لأنه قد يقال لغير الله: رب أو ملك أو إلٰه. فالإضافة تزيل ما يتوهم من تلك الأقوال. والحدث: القيام بالعمل. والمراد هنا الوسوسة. والخناس: السريع النفور والتخلف. وعن القلب أي: عن تأثيره فيه. ويوسوس: يحدّث النفوسَ بالشهوات والشر ليغري بها، ويدعو إلى طاعته وترك الخير والصلاح. والصدور: جمع صدر، عُبِّرَ به عن القلب لأنه يشمله. وغفلوا: سهَوا وشُغلوا. والجِنّة: الجنّ، واحده جِنّيّ. وبيان: يعني أن «مِن»: للتبيين. وقوله تعالى هو في الآية ١١٢ من سورة الأنعام. وعطف على الوسواس: يعني أن المراد: من شر الوسواس والناس. وعلى كل شمل أي: أن التعوذ على كلا المعنيين المذكورين شمل. والمذكورين أي: في تفسير السورة السابقة. وفيه=

«والناسِ»: عطف على الوسواس. وعلى كُلّ شَمَلَ شرَّ لبيدٍ وبناته المذكورين. واعتُرض الأوّل بأنّ الناس لا يُوسوسون في صدور الناس، إنما يُوسوس في صدورهم الجِنّ. وأُجيب بأنّ الناس يُوسوسون أيضًا بمعنًى يليق بهم في الظاهر، ثمّ تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المُؤدّي إلى ذلك. والله - تعالى - أعلم.

=تغليب المذكر «لبيد» على المؤنثات. والأول: كون الموسوس من الجنة والناس. وإلى ذلك أي: إلى الثبوت في القلب. وزاد بعد «أعلم» في الأصل: «وفي نسخة أُخرى»، ثم إثباتُ سورة الفاتحة مع تفسيرها، كما قدمنا في أول الكتاب. وكذلك وردت سورة الفاتحة مع تفسيرها في النسخ وط والفتوحات والصاوي.

وبعد ذلك في الأصل: «تمّ ما وجد. والحمد لله وحده، وصلّى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلّم. وفرغ من كتابة هذا النِّصف وما قبله الفقيرُ الضعيف المحتاج إلى عفو الله وغفرانه، أحمد بن مسعود النابلسي - عفا الله عنهما بمنّه وكرمه - مع شغل البال وكبر السن وضعف الجسد ، ومِن الله - عز وجل - المدد وعليه المعتمد، في ثامن رمضان المعظم قدره، سنة أربع عشرة وتسعمائة. والحمد لله وحده، وصلاته على سيدنا محمد وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل». وفي خ: «وقد تم هذا التفسير المبارك، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. ووافق الفراغ من كتابته يوم الأربعاء المبارك، رابع شهر محرم الحرام، افتتاح سنة ٩٣١. أحسن الله خاتمتها. وقد تشرف بكتابته العبد المذنب الخاطئ الضعيف الفقير الحقير، المعترف بالذنب والتقصير، العبد مصطفى بن الشيخ عمر العلاف الشافعي. غفر الله له ولوالديه وللمسلمين. آمين آمين آمين». وفي ث: «انتهى تحرير الكتاب المشهور بالجلالين، للشيخين العلّامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي الشافعيين - رحمهما الله رحمة واسعة - على يد أفقر الورى وأحوجهم إلى غفرِ مَن خلق جهتَي الثريا والثرى - تعالى شأنه - سليمان بن أحمد بن همّت المرعشي محمد، السّنّيّ اعتقادًا الحنفي عملًا، في مرعش المحمية، بعد ظهر المتمم ثلاثة عشر يومًا من شهر ذي الحجة، في سلك شهور السنة السادسة والعشرين ومائة وألف. وهو يسأل الله - تعالى - الغفران وخاتمة الخير والعفو والمعافاة في الدارين. الحمد لوليه، والصلاة على نبيه، وآله وصحبه أجمعين». ثم دعاء مطوّل للصلاح في الدنيا والآخرة. وفي ع: «تمّ التفسير المبارك، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. غفر الله لكاتبه، ولمن نظر أو قرأ فيه ودعا له بالمغفرة. آمين آمين».

وفي ط والفتوحات والصاوي: «وإليه المرجع والمآب. وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم». وزاد بعد هذا في الفتوحات عبارات للدعاء أيضًا.

والله أعلم بالصواب

فهرست هذا المصحف الشريف

علامات الوقف ومصطلحات الضبط :

مـ تُفِيدُ لزومَ الوقْف

لا تُفِيدُ النَّهيَ عن الوقْف

صلے تُفِيدُ بأنَّ الوصْلَ أَوْلى مع جوازِ الوقْفِ

قلے تُفِيدُ بأنَّ الوقْفَ أَوْلى

ج تُفِيدُ جوازَ الوقْفِ

∴ ∴ تُفِيدُ جوازَ الوقْفِ بأحدِ الموْضِعَيْن وليس في كليْهِما

۟ للدِّلالةِ على زيادةِ الحرْفِ وعدمِ النُّطقِ بهِ

۠ للدِّلالةِ على زيادةِ الحرْف حِينَ الوصْل

ۡ للدِّلالةِ على سكُونِ الحرْفِ

م للدِّلالةِ على وجُودِ الإقلابِ

ً للدِّلالةِ على إظْهارِ التَّنْوين

ٍ للدِّلالةِ على الإدغام والإخفاء

ا للدِّلالةِ على وجُوبِ النُّطقِ بالحُروفِ المتروكَةِ

س للدِّلالةِ على وجُوبِ النُّطقِ بالسِّين بدَلَ الصّاد

وإذا وُضِعَتْ بالأسْفلِ فالنُّطقُ بالصّادِ أشْهر

~ للدِّلالةِ على لزُومِ المدِّ الزّائِد

۩ للدِّلالةِ على موْضِعِ السُّجود ، أمّا كلمة وُجُوبِ السُّجود فقد وُضِعَ فوقَها خطّ

۞ للدِّلالةِ على بدايةِ الأجْزاء والأحْزاب وأنصافِها وأرباعِها

﴿٤﴾ للدِّلالةِ على نِهايةِ الآيةِ ورقْمِها .

١

فهرس الحديث والأثر

٢

فهرس الأعلام

الأفراد والجماعات من إنسان وحيوان وجماد

٣

فهرس
أوهام وهَنات المفسرين

٤

ثَبَتٌ
بمصادر ومراجع تخريج الحديث والأثر

الأحاديث القدسية		دمشق	١٤٠٨
أحكام القرآن	الإمام الشافعي	القاهرة	
أحكام القرآن	ابن العربي	بيروت	
الأدب المفرد	الإمام البخاري	القاهرة	
إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم	أبو السعود العمادي	الرياض	١٩٧٥
أسباب نزول القرآن	أحمد الواحدي	القاهرة	١٩٦٩
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	بيروت	١٤١٢
تفسير ابن أبي حاتم	ابن أبي حاتم	نسخة بالمحمودية	
تفسير البحر المحيط	أبو حيان النحوي	القاهرة	١٣٢٩
تفسير روح المعاني	الآلوسي	بيروت	١٩٤٤
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير الدمشقي	القاهرة	١٩٨٨
تلخيص التبصرة والتذكرة	الكواشي	نسخة الأزهر الخطية	
جامع البيان في تفسير القرآن	ابن جرير الطبري	القاهرة	
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	السيوطي	بيروت	
دلائل النبوة	أبو نعيم الأصبهاني	حيدر آباد	
سنن ابن ماجه	ابن ماجه	مصر	١٩٥٣
سنن أبي داود	أبو داود	بيروت	١٩٨٨
سنن الترمذي	الترمذي	سورية	١٩٦٥
سنن الدارقطني	الدارقطني	السعودية	١٩٦٦
سنن النسائي	النسائي	بيروت	١٩٨٨
سيرة النبي	ابن هشام	القاهرة	
الشفا بتعريف حقوق المصطفى	القاضي عياض	بيروت	١٤١٦
صحيح ابن خزيمة	أبو بكر بن خزيمة	بيروت	١٩٧١
صحيح البخاري	الإمام البخاري	بيروت	١٩٨١
صحيح مسلم	الإمام مسلم	بيروت	
صحيح مسلم	شرح النووي	مصر	١٩٩٤

الصحيح والمسند من أسباب النزول	مقبل الوادعي	القاهرة	١٩٨٧
ضعيف الجامع الصغير	ناصر الدين الألباني	بيروت	
عمدة القاري، شرح صحيح البخاري	العيني	مصر	١٩٧٢
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني	بيروت	١٩٨٩
فتح القدير	الشوكاني	القاهرة	١٩٩٣
قرة العينين على تفسير الجلالين	محمد كنعان	بيروت	١٩٩١
الكافي الشاف لتخريج أحاديث الكشاف	ابن حجر	بيروت	١٩٨٦
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان	محمد فؤاد عبد الباقي	القاهرة	١٤٠٧
لباب التأويل في معالم التنزيل	البغوي	بيروت	١٩٨٦
لباب التأويل في معاني التنزيل	الخازن	دمشق	١٩٧٩
لباب النقول في أسباب النزول	السيوطي	القاهرة	
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	نور الدين الهيثمي	القاهرة	١٣٥٣
محاسن التأويل	جمال الدين القاسمي	بيروت	
المحرَّر الوجيز	ابن عطية الأندلسي	بيروت	١٩٩٣
مختصر شعب الإيمان	أبو بكر البيهقي	القاهرة	١٤٠١
مراح لبيد والوجيز	النووي والآمدي	مصر	
المستدرك على الصحيحين في الحديث	الحاكم النيسابوري	حيدر آباد	١٣٣٤
مسند الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل	بيروت	
المصنف	عبد الرزاق	الطبعة الأولى	
المعجم الكبير	الطبراني	بغداد	١٩٧٩
المفصل في تفسير القرآن العظيم	المحلي والسيوطي	بيروت	٢٠٠٣
منهل الواردين، شرح رياض الصالحين	النووي	بيروت	١٩٧٠
موطأ الإمام مالك	الإمام مالك	بيروت	١٩٧١

تنبيـــه*

«مراعاة لحقوق المؤلفَين، قد أثبتنا القرآن الكريم»
«مضبوطًا بالشكل الكامل على حسب رواية»
«الشيخَين المفسرَين، وإن كانت تخالف»
«رواية حفص. فليتنبه القارئ لذلك»

راجعه فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ المقارئ المصرية

* ورد هذا التنبيه في أول مطبوعة البابي الحلبي لتفسير الجلالين، وجاء في آخرها ما يلي:
بحمد الله وحسن توفيقه تم طبع تفسير الجلالين مصححًا بمعرفة لجنة من العلماء
برياسة الشيخ أحمد سعد علي

القاهرة في يوم الخميس { ٨ ربيع الأول ١٣٧٤هـ
٤ نوفمبر ١٩٥٤م }

ملاحظة المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

المحتوى